

نَّاْمَلَتْ مَبْنَ زِيَادَةَ فِي

سُورَةُ الْأَنْعَامُ

رَقِبَةُ غَرَبَيَّةٍ

تأملات شيخ السلام ابن تيمية
في
القرآن الكريم
سورة الأنعام
رقية محمود الغرابيبة

الفهرس

28	مقدمة سورة الانعام
35	الانعام 18-1
116	الانعام 39-19
216	الانعام 58-40
330	الانعام 73-59
413	الانعام 90-74
520	الانعام 117-91
774	الانعام 135-118
788	مسائل فقهية
926	الانعام 153-136
978	مسائل فقهية
1159	الانعام 165-154

الفهرس (2)

28	مقدمة سورة الانعام
35	الأنعام 18-1
36	أول من يدعى الى الجنة الحمادون
37	الحمد نوعان
38	الحمد أعم من الشكر
39	الليل والنهر تبع للسموات والارض
41	أخبر سبحانه بخلقه الزمان في غير موضع
43	جعل المشركون لله أندادا في العبادة والمحبة والداعاء
45	{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}
46	للله صفات اختيارية
48	إن الله خلق ادم من تراب
48	أجل القيامة المسمى عنده فلا يعلمه إلا هو
49	ان الرب تعالى بائن من مخلوقاته
49	الله سبحانه رب كل شيء ومليكه
51	حلول المثال العلمي
56	{الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}
58	النسخ لا يجوز في الأخبار
60	الكسب هو الفعل الذي يعود على فاعله بنفع أو ضر
61	الآيات والبراهين الدالة على نبوة محمد كثيرة متنوعة
61	الآيات والبراهين الدالة على نبوة محمد كثيرة متنوعة
65	الذكاء والأخلاق لا يوجب النجاة الا بالإيمان بالله وتوحيده
68	الأعمال هي سبب في الثواب والعقاب

- الإلتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد ومحوها تغيير في وجه العقل
 والأعراض عنها قدح في الشرع
- 69 _____
 كثير في اللغة يكون أمران متلازمان فيطلق الإسم عليهما
- 70 _____
 ليس كل انعام كرامة ولا كل امتحان عقوبة
- 71 _____
 الكتاب اسم للقرآن العربي بالضرورة والاتفاق
- 72 _____
 الاقرار بالرب وملائكته معروف عند عامة الأمم
- 73 _____
 يجيب سبحانه عن شبه منكري جنس الرسالة
- 74 _____
 البشر يعجزون عن رؤية الملك في صورته إلا من أيده الله
- 75 _____
 لو جاء الملائكة في صورة لبشر لحصل النبس
- 76 _____
 السنة لا تتبدل ولا تحول
- 77 _____
 أبقى الله سبحانه آثار المكذبين لنعتبر بها ونتعظ
- 78 _____
 } كتب على نفسه الرحمة }
- 79 _____
 كتابته على نفسه تستلزم إرادته
- 80 _____
 الله سبحانه قد جمع فيما وصف وسمى به نفسه بين النفي والإثبات
- 81 _____
 كل ما سواه من المخلوقات فإنه غير الله تعالى
- 82 _____
 حقيقة التوحيد إخلاص الدين كله لله
- 83 _____
 } وهو يطعم ولا يطعم }
- 84 _____
 اتباع الامر أصل عام واجتناب المنهى عنه فرع خاص
- 85 _____
 رسول الله هم أطوع الخلق لله
- 86 _____
 المخلوق ليس بالله في نفسه لكن عابده اتخذه لها
- 87 _____
 الاسلام هو الإستسلام لله وهو الخضوع له والعبودية له
- 88 _____
 أن الأمان من عذاب الله وحصول السعادة إنما هو
- 89 _____
 التوحيد الذي بعث الله به رسلاه هو توحيد الالوهية
- 90 _____
 قطب رحى الدين

97	جميع المخلوقات فقراء لله تعالى
القسم المحمود من الناس وهو حال الذين حفروا إليك نعبد وإياك	
101	نستعين
102	حكم من إذا أصابته نوبة أو خوف استدرج بشيخه
102	{ فهو على كل شيء قادر }
105	النسخ لا يجوز في الأخبار
109	بيان ما أنكرت الجهمية الضلال أن يكون الله على العرش
111	ان فعل الله كله حسن جميل
111	لطائف لغوية
116	الانعام 39-19
117	القرآن كله يثبت توحيد الإلهية
120	يبين للمشركين قبح ما هم عليه من الشرك
122	الطريقان التي بها تثبت نبوة النبي
124	النذارة ليست مختصة بمن شافهم بالخطاب
125	أحكام الكفر والتأديب لا تثبت إلا بعد بلوغ الرسالة
130	صفات الله التي وصف بها نفسه في كتابه ووصفه بها نبيه
131	أهل الكتاب عندهم ما يصدقك فيما كذب فيهم الكافرون
132	أصل الإيمان
137	بيان خطأ قول جهنم أن الإيمان مجرد تصديق القلب وعلمه
140	نم الله الكاذب على الله والمكذب بالحق
143	الفرق بين دلائل النبي الصادق ودلائل المتنبي في الكذاب
144	الشرك وسائل البدع مبناهما على الكذب والافتراء
145	شأن النفس يوم القيمة يجادل الله بالباطل
147	القلب الميت

150	أصل صلاح القلب هو حياته واستئناته
158	{أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَفْفَالُهَا }
159	سماع فقه و قبول
160	البصر أقوى وأكمل والسمع أعم وأشمل
161	الآيات البراهين الدالة على نبوة محمد
162	يهلكون أنفسهم بنهاية عن الرسول ونأيهم عنه
164	إن الله يعلم ما لا يكمن لو كان كيف كان يكون
165	بعد الموت يصير الغيب شهادة
166	من وقف عند الحقيقة الكونية ولم يقم بما أمر به من الحقيقة الدينية كان من جنس إبليس وأهل النار
170	استعمال لفظ الذوق في إدراك الملائم والمنافر
171	فسر طائفة من أهل السنة اللقاء في كتاب الله بالرؤيا
172	لفظ العقل في القرآن
174	العلم بالحق يوجب إتباعه إلا لمعارض راجح مثل إتباع الهوى بالإستكبار
177	الحزن نهى عنه وان تعلق بامر الدين
178	أعمال القلوب التي أوجبها الله ورسوله هي من الإيمان {إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُولُونَ الْأَشْهَادُ }
181	
194	القيام بالواجبات يحتاج إلى شروط
196	وعد الله الذي وعده رسالته من كلماته التي لا مبدل لها
197	الإيمان بما وصف الله سبحانه به نفسه
198	قصص المرسلين تسلية وتبنيت
199	ان الله سبحانه قادر على ما لا يفعله
200	العلم الحقيقي الراسخ في القلب يمتنع أن يصدر معه ما يخالفه

الآيات التي يجعلها الله دلالة على صدق الأنبياء هي مما ينزله	202
إن الله عز وجل يوم القيمة يحشر البهائم ويقتص بعضها من بعض	
202	
جامع الجامع جامع و دليل الدليل دليل	202
حياة القلوب وموتها	203
من يهده الله فلا مضل له و من يضل فلا هادي له	204
صلاح الخلق في معرفة ربهم	206
من أعرض عن اتباع الحق الذي يعلمه تبعاً لهواه فإن ذلك يورثه الجهل والضلال	207
ما يقوم بالقلب من الشعور يوجب أموراً ظاهرة	209
لطائف لغوية	210
الانعام 58-40	216
لفظ الدعاء والدعاوة في القرآن يتناول معنيين	217
ذم الله سبحانه حربين	218
من دعاه موقفاً أن يجيب دعوة الداعي إذا دعاه أجابه وقد يكون مشركاً وفاسقاً	225
الشرك نوعان	227
حكم من إذا أصابته نوبة أو خوف استنجد بشيخه	229
الحكمة من ذكر أنه أخذهم بالعذاب ولم يقل بالذنب	230
"ما نزل بلاء إلا بذنب ولا رفع إلا بتنوبة"	230
قسوة القلوب من ثمرات المعاصي	232
البدعة أحب إلى إبليس من المعصية	234
"إذا رأيت الله ينعم على العبد مع إقامته على معصيته فإنما هو استدرج يستدرج به"	235
الحمد أوسع العلوم الإلهية	235

الله سبحانه يسوي بين المتماثلين ويفرق بين المختلفين	239
التوحيد والايمان بالرسل متلازمان	240
قرن الصلاح والاصلاح بالايمان	242
ان الله لم يعلق وعد الجنة الا باسم الايمان	242
إذا ذكر حكمة للفعل لم يلزم أن لا تكون له حكمة أخرى	243
الحكمة من قوله} ولا خوفٌ عَلَيْهِمْ {	244
المتبعون للرسل هم المهدتون	244
العلم والقدرة والغنى لا تصلح على وجه الكمال الا الله وحده	245
من يزعم ان نبي او شخص ما ينطبق علمه على علم الله تعالى فان هذا كفر صريح	246
دعاة الميت والغائب والاستغاثة به من عبادات الضالين	247
الاستقامة في اتباع ما أمر	249
الرد على احتجاجهم بان الملائكة افضل	250
مدح الله انواع العلم واسبابه وكماله	251
بعثت الرسل ليكون الدين كله لله	252
مقتضيات محبة الله ورسوله	252
إذا سالت فسائل الله وإذا استعن بالله	253
الشرك نوعان	254
الشفاعة نوعان	258
الشفاعة المنفية في القرآن	260
الشفاعة التي نفاهها القرآن مطلقا ما كان فيها شرك	266
لا يتقدم أحد عند الله بسلطانه وماله ولا بذله وفقره	268
الارادة هي الفارقة بين اهل الجنة واهل النار	270
الصلاوة والدعاء فيها إرادة وجه الله	271

271	الزهد الشرعى و الرغبة الشرعية
272	سميت الصلاة دعاء
274	اسم الوجه مذكور فى تقرير الوهيت
274	لا يذكر الكفار حجة صحيحة
لو كان العمل لا يقبل إلا من لا كبيرة عليه لم يصح إسلام الذمي حتى	
275	يتوب من الفواحش
276	من تكون لبيان الجنس
277	{ بِلَّهُ يَمْنُ عَلَيْكُمْ أَنْ هَذَا كُمْ لِإِيمَانٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ }
280	الله على عبده المطيع المؤمن نعمة دينية خصه بها دون الكافر
284	{ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ }
285	الناس لهم في أفعال الله ثلاثة أقوال
292	للمخلوق على الله حق وهو الذى أوجبه على نفسه بحكمته
296	كل من عصى الله فهو جاهل
التائب يتوب مما تركه من حقوق الله تعالى وما فعله من السيئات	301
305	التوبة قد يكون من تمامها عمل صالح يعمله
306	اعتقاد أهل السنة لا ينفون عنه ما وصف به نفسه
308	الله سبحانه أحكم كتابه ثم فصله وبينه لعباده
309	لفظ الدعاء يتناول معنيين
310	العلم الحقيقى الراسخ في القلب يمتنع أن يصدر معه ما يخالفه
311	{ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَبَعُوا السُّبُّلَ }
313	{ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْ رَبِّي }
319	الفرق بين أمره الدينى وخلقه الكونى
319	الله سبحانه يحكم ويشهد ويقتى ويقص ويبشر ويهدى بكلامه
320	لطائف لغوية

- 330 كتب الله في اللوح المحفوظ مقادير الخلق
- من الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه من غير تحريف ولا تعطيل
- 332
- الله عز وجل على العرش في السماء
- الحفظة الموكلين ببني آدم
- 335 "إن أمسكت نفسى فارحمنا وان أرسلتها فاحفظها "
- أن الله تعالى قد أضاف كثيراً من الحوادث إليه
- إن الخلق كلهم مصيرهم ومرجعهم إلى الله على أي طريق سلكوا
- كل سائل راغب راهب
- السنة في الدعاء كله المخافتة
- من ترك بعض ما أمر به بعد قضاء حاجته فهو من أهل الذنب
- يذم الله من يشرك به بعد كشف البلاء عنه
- أن الله على كل شيء قادر سواء شاءه أو لم يشاء
- الله سبحانه يهدد بالقدرة لكون المقدور يقترن بها
- إذا انقطع عن الناس نور النبوة و قعوا في ظلمة الفتنة
- تنفي الفتنة بالإستغفار
- كل خير في غير هذه الأمة فهو فيها أعظم و كل شر فيها فهو في غيرها
- أعظم
- 357
- "لكل خبر يخبر به الله وقت ومكان يقع فيه "
- القرآن هو شرف لمن آمن به
- القاعد المستمع من غير إنكار بمنزلة الفاعل
- ما خالف الشرع والدين فإنه يكون من النفس والشيطان
- الخانضون في آيات الله بالباطل
- الهجر الشرعي نوعان

370	الخلوة والعزلة والانفراد المشروع
371	"إذا سألت فاسئل الله وإذا استعن فالست عن بالله"
372	صلاح القلب في العدل وفساده في الظلم
373	الله الشفاعة جميما
377	الشرك نوعان
379	الشفاعة نوعان
381	إثبات الشفاعة لأهل الكبائر
384	الدعاء
384	الحيرة من جنس الجهل والضلال
387	دين الله هو اسلام الوجه لله والاحسان
389	الصلاۃ لها شأن انفردت به على سائر الاعمال
391	بيان ما أمر الله به ورسوله من إقام الصلاة وإتمامها والطمأنينة
396	حكم من ترك واجبا من واجبات الصلاة
399	الشارع لم ينقل الاسماء ولم يغيرها ولكن استعملها مقيدة لا مطلقة
400	للله سبحانه في كل ما يخلقه حكمة يحبها ويرضاها
403	الأمر الكوني
405	للله كلمات كثيرة
406	ما شاء الله كان وما لم يشاً لم يكن
407	{ عالم الغيب والشهادة }
407	لطائف لغوية
413	الانعام 74-90
414	ابراهيم دعا إلى الفطرة
421	حقيقة الخيفية
423	أصل العبادة هي المحبة

426	المخلوق ليس باله فى نفسه لكن عابده جعله الها
427	الذين يجمعون بين السحر وعبادة الكواكب من أعظم أنواع الشرك
429	كان ابراهيم موقنا
429	الاخلاص ينفى اسباب دخول النار
433	تعليق النجاة والفالح في الآخرة بالتوحيد
437	الرد على الذين ينكرون صفات الله تعالى الاختيارية
450	اخلاص الدين لله هو الدين الذي لا يقبل الله سواه
457	"من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الایمان"
459	إقامة الوجه ضد ازاغته وامالته وهو الصراط المستقيم
461	الباطن هو الأصل والظاهر هو الكمال والشعار
463	امام الحنفاء
464	للله تبارك وتعالى حق لا يشركه فيه أحد
466	من كان في قلبه رياضة لمخلوق ففيه من عبوديته بحسب ذلك
469	إن الإشراك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل
473	أصل العدل
475	الامن هو لمن لم يخلط ايمانه بشرك
478	الظلم ثلاثة أنواع
482	الصحابة كانوا إذا عرض لأحدهم شبهة في آية أو حديث سأله عن ذلك
483	ذكر أقوال الكفار وحجتهم وجوابها بأحسن الحجج وأكملتها
483	{ما يُجادلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا}
484	تعليق دخول الجنة بالإيمان
484	{يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ}
487	ذكر الله أنه يرفع درجات من يشاء

- المكذبون للرسل دائمًا حجتهم داحضة متناقضة 488
- الأنبياء دعوا إلى عبادة الله وحده لا شريك له 489
- تعليق الحكم بالشرط لا يدل على تحقيق الشرط 489
- ابراهيم أبو الأنبياء 489
- الأنبياء أفضل الخلق وهم أصحاب الدرجات العلي 490
- الله خالق أفعال العباد 491
- إن الله لم يجعل شيئاً يحيط جميع الحسنات إلا الكفر 494
- الرد على الذين يقولون إن الكبيرة تحبط الحسنات حتى الإيمان 499
- الردة عن الإسلام 501
- لم يثن الله على أحد في القرآن بنسبه 506
- الإحسان يجمع كمال الإخلاص لله ويجمع الإتيان بالفعل الحسن الذي يحبه الله 507
- الصالح هو الذي استوت سريرته وعلانيته 507
- الإسلام دين جميع المسلمين 508
- {أولئك الذين هدى الله فيهداهم افتدوا} 510
- {إنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ} 511
- تعليم القرآن والعلم بغير أجراً فهو أفضل الأعمال 511
- لطائف لغوية 513
- الأنعام 91-117
- أن الله لم ينزل كتاباً أهدى من التوراة والقرآن 522
- الاقتصرار على الاسم المفرد لا أصل له 525
- اسلوب القرآن في مجادلته 537
- {ومَا قَدَرُوا اللَّهُ حَقَّ قَدْرِهِ} 540
- أن العالم العلوى والسفلى بالنسبة إلى الخالق سبحانه وتعالى في غاية الصغر 545

546	الإيمان الذي يهبه الله لعبدة سماه نورا
547	الناس في النبوة على درجات
549	أصل الإسلام هو الإيمان بالوحدانية والرسالة
	رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنته الجهاد في سبيل الله
551	من الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه من غير تحريف ولا تعطيل
552	
553	إذا ذكر حكمة للفعل لم يلزم أن لا تكون له حكمة أخرى
553	{ ومن قال سأئزل مثل ما أنزل الله }
558	من ادعى النبوة وهو كاذب فهو من أكفر الكفار
570	لا معصوم إلا الأنبياء
571	أساس الطريق إلى الله
573	القرآن قد بين النعيم والعقاب في البرزخ
577	الفرق بين المحبة لله والمحبة مع الله
578	ان الأمر يومئذ لله
578	الشفاعة المنفية في القرآن
583	الشرك وسائر البدع مبناهما على الكذب
	الشرك أن يجعل لغيره شركا أو نصيبا في عبادتك وتوكلك وإستعانتك
584	
587	حياة القلوب ونورها وموتها وظلمتها
587	القدرة التي تبهر العقول
	انكار بعض الناس ان يكون شيء من حركات الكواكب وغيرها من
588	الأسباب فهو أيضا قول بلا علم
590	أخبر سبحانه بخلقه الزمان في غير موضع
592	الحكمة من اعتبار الشهر والعام الهجري دون الشمسي

593	{وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمٍ هُمْ يَهْتَدُونَ }
594	الرد على أقوال الفلسفه
597	الله سبحانه خلق الأسباب والمسببات
601	{ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ }
603	تقرير أصول الدين من مسائل التوحيد والصفات
606	ثبتت صفات الكمال لله دون ما سواه
609	نزع الله تعالى نفسه عن الولادة وعن اتخاذ الولد
612	ذكر ثلاث أدلة على نفي ما زعموه من خرق البنين
619	بين القرآن أنهم أخطأوا طريق القياس في العلة والتولد
627	انفراده بالملك و علمه بكل شئ يستلزم ان يكون فاعلا بارادته
628	بيان بطلان دعوى النصارى
632	أن الله خالق كل شيء و خالق أفعال العباد
637	الشر لم يضف إلى الله إلا على أحد و جوه ثلاثة
638	"الخير بيديك و الشر ليس اليك "
641	الاسم تتبع دلالته بحسب قيوده
643	لفظ العبادة يتضمن كمال الذل بكمال الحب
644	إجماع السلف على ثبات الرؤية بالعين في الآخرة ونفيها في الدنيا
650	الرد على الذين ينكرون الرؤية
654	النفي ليس فيه مدح ولا كمال إلا إذا تضمن إثباتا
656	العلم الحقيقي الراسخ في القلب يمتنع أن يصدر معه ما يخالفه من قول أو فعل
657	من كان من المؤمنين مستضعف فليعمل باية الصبر والصفح واما اهل القوة فانما يعملون باية القتال
659	قدرة الرب لا يفعل بها إلا مع وجود مشينته
661	السب قدر زائد على الكفر

- الشرك والغلو يخرج أصحابه إلى أن يجعلوا البشر مثل الإله 665
- الدعاء والدعوة دعاء عبادة ودعاء مسألة 667
- الغفلة والشهوة أصل الشر 668
- الآيات لا تستلزم الهدى بل تستلزم إقامة الحجة 671
- "من ثواب الحسنة الحسنة بعدها " 674
- ما يعاقب به الناس على الذنب سلب الهدى و العلم النافع 677
- العلم يهتف بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل 683
- طريقان مبتدعان وطريق شرعي 686
- وصف الله أهل الباطل بأنهم يعمهون 687
- ليس من الأعضاء أشد إرتباطاً بالقلب من العينين 689
- الدعاء و التعليم و الإرشاد له فاعل و له قابل 690
- للشيطان وسوسات في قلوب الناس 693
- الأصول الثلاثة توحيد الله والإيمان برسله وبال يوم الآخر أمور متلازمة 695
- الكتاب هو الحاكم بين الناس شرعاً و ديناً 696
- وعد الله الذي وعده رسالته من كلماته التي لا مبدل لها 698
- حكم الحلف على فعل مأمور إذا علقه بالمشيئة 700
- القرآن العربي العظيم كلام الله العزيز العليم 701
- الرد على الذين يقولون ان جبريل اخذ القرآن من الكتاب لم يسمعه من الله 706
- كل مبتدع ديناً خالف به سنة الرسول لا يتبع الا ديناً 710
- الوحى وحياناً 711
- سماع كلام أهل البدع لمن يضره ذلك باب تجتمع فيه الشبهات والشهوات 714
- الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان 715

716	كل متمرد عند العرب شيطان وفي اشتقاقه قوله
720	مخالفة الرسل وترك اليمان بالأخره متلزمان
724	الذين عندهم ما ينافق بعض ما أخبرت به الرسل هم ثلاثة اصناف
725	أخبر الله في غير موضع من القرآن نزل منه
728	أهل الكتاب يعلمون أن الله إنما أرسل إلى الناس بشراً مثلهم
731	القرآن كلام الله ليس بمخلوق
734	النزول في كتاب الله عز وجل ثلاثة أنواع
736	كما تحقق الحقائق كان ما دل عليه القرآن هو الحق
738	علو الله تعالى عن سائر مخلوقاته
741	{لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدْ مَدْمُومًا مَّخْدُولًا }
741	ان الله يبعث لهذه الامة في راس كل مائة سنة من يجدد لها دينها
743	أسماء القرآن
744	الله يأمر الأنبياء مع علمه أنهم يطيعونه
745	الرب سبحانه على صراط مستقيم
746	دلائل نبوة محمد قطعية يقينية
747	{سَرِّيْهُمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ }
748	بالصدق والعدل تصلح جميع الاحوال وهم قرينان
749	كلمات الله تعالى نوعان
752	أهل السنة والجماعة لا ينفون عن الله ما وصف به نفسه
755	لفظ الكلمة في الكتاب والسنة إنما يراد به الجملة التامة
759	المضاف إلى الله نوعان
759	جماع الشر الجهل والظلم
761	لطائف لغوية
774	الانعام 118-135

الاسم يظهر به المسمى ويعلو	775
اسماء الله عز وجل مباركة	778
بين الله للمسلمين جميع ما يتقونه	779
الأصل في جميع الأعيان الموجودة أن تكون حلالا مطلقا	780
انتفاء دليل التحريرم على عدم التحرير	783
قيد الأمور بالقدرة والاستطاعة والوسع والطاقة	786
مسائل فقهية	788
1- حكم التسمية على الذبحة	788
2-الأصل في جميع الأعيان الموجودة أن تكون حلالا مطلقا	794
3-الأصل في الأعيان الطهارة	795
4-أكل الميّة للمضطرب واجب عليه	796
5-من يتداوى بالخمر ولحم الخنزير وغير ذلك من المحرمات هل يباح للضرورة أم لا وهل هذه الآية {وَقُدْ فَصَلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضطُرْزْتُمْ إِلَيْهِ} الآتىعما ذكر أم لا ؟	796
{ وَمَنْ أَضْلَلَ مِنْ إِنْ تَبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنْ اللَّهِ }	797
اتباع الأهواء فى الديانات أعظم من اتباع الاهواء فى الشهوات	800
كل حب وذوق ووجد لا تشهد له هذه الشريعة فهو من أهواء	802
صلاح بنى آدم الإيمان والعمل الصالح ولا يخرجهم عن ذلك إلا شيئا	805
وجود العلم بخبر من الأخبار هو الضابط في حصول التواتر	808
لا يحل لأحد أن يتكلم في الدين بلا علم	810
النفس خائنة لها في السر أهواء و أفعال باطنية	812
الأدلة الصحيحة لا تتناقض	814
القياس الذي يتبع	817
الاسم المجرد لا يفيد الإيمان	822

- الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان 825
- الرسالة روح العالم ونوره وحياته 828
- كفل الله لمن آمن به أن يجعل له نورا يمشي به في الناس 832
- الله على عبده المطيع المؤمن نعمة دينية خصه بها دون الكافر 838
- "من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم" 840
- الآيات والبراهين الدالة على نبوة محمد كثيرة متنوعة 841
- كل عطاء من الله فضل وكل عقوبة منه عدل 842
- { الله أعلم حيث يجعل رسالته } 843
- الحكمة الحاصلة من الشرائع ثلاثة أنواع 845
- من يفضله الله تعالى فانه يفضلة بالأسباب التي يستحق بها التفضيل
بالجزاء 848
- وجوب التصديق بصفات الله تعالى ليس موقوفا على أن يقوم عليها دليل عقلي 852
- جاءت الإرادة في كتاب الله على نوعين 853
- هل أراد الله تعالى المعصية من خلقه أم لا؟ 868
- الهدي أربعة أقسام 872
- أن الله خص المؤمنين بنعمة دون الكافرين بأن هداهم للإيمان 875
- { يَجْعَلُ اللَّهُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ } 878
- "إن للحسنة لنورا في القلب وإن للسيئة لظلمة في القلب " 882
- من الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه وبما وصفه به
رسوله 885
- استمتاع الانس بالجن والجن بالانس 887
- التوحيد والإيمان بالرسل متلازمان 894
- كما تكونون يول عليكم 896
- { وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا } 897

901	المؤمنون بالرسل المتبعون لهم هم المهددون
907	القرآن خطاب للثقلين
911	هل في الجن رسل أم ليس فيهم إلا نذر؟
914	الجنة والنار درجات
914	{كتب ربكم على نفسه الرحمة }
915	ال الخليفة هو الذي خلف غيره
917	"لا تهلك أمة حتى يتبعوا أهواهم ويتركوا ما جاءتهم به أنبياؤهم"
918	لطائف لغوية
926	الانعام 153-136
928	أصل دروس دين الله وشرائعه وظهور الكفر والمعاصي التشبه بالكافرين
930	كل من احتج بالقدر فإنه متناقض
939	الشرك والغلو يخرج أصحابه إلى أن يجعلوا البشر مثل الإله
941	الأصل في العبادات التوقيف والأصل في العادات العفو
943	جميع بنى آدم العقلاة لا بد لهم من أمور يأمرون بها وأمور ينهون عنها
945	الفرق بين الحب في الله والحب مع الله
947	إذا ذكر حكمة للفعل لم يلزم أن لا تكون له حكمة أخرى
948	السيئات منشؤها الجهل والظلم
950	من اتخذ إلهه هواه قد زين له سوء عمله
950	ان الله قادر على ما لا يفعله
951	نفس اسماء الله عز وجل مباركة وبركتها من جهة دلالتها على المسمى
953	الدين ما شرعه الله ورسوله
959	يجيء الوصف في القرآن مستعملاً في الكذب

- 960 _____ "كل من عمل سوءا فهو جاهل "
- 961 _____ بذل المال لا يجوز إلا لمنفعة في الدين أو الدنيا
- 963 _____ المؤمن يبتلى بوساؤس الشيطان وبوساؤس الكفر
- 965 _____ ندم لمن عمل بالظن
- 966 _____ من ادعى النبوة وهو كاذب فهو من أكفر الكفار وأظلم الظالمين
- 967 _____ خلق الله الأشياء بأسباب
- 969 _____ ما حرم رسول الله إنما هو زيادة تحريم ليس نسخاً للقرآن
- ما كان يحرمه أهل الجاهلية مما ذكره الله في القرآن هو من الدين المبدل
- 974 _____
- 975 _____ "هذا الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسدوا وقاربوا"
- 978 _____ مسائل فقهية
- 978 _____ 1-الأصل في جميع الأعيان الموجودة أن تكون حلاً
- 985 _____ 3-حكم لبن الميّة وأنفتحتها
- 986 _____ 4-حكم طهارة جلود الميّة بالدباغ
- 990 _____ 5-حكم ما ذبحه أهل الكتاب لكتانسهم أو لأعيادهم
- 993 _____ 6-حكم التداوى
- 994 _____ 7-أكل الميّة للمضطر واجب عليه
- 995 _____ 7-الخيانث جميعاً تباح للمضطر
- 996 _____ 8-لم يوجب ما لا يستطيع ولم يحرم ما يضره إليه
- 998 _____ الأعمال هي سبب في الثواب والعقاب
- الحسنات سبب للتحليل ديناً وكوناً والسيئات سبب للتحريم ديناً وكوناً
- 999 _____ التحليل والتحريم لا يتعلّق بِاستطابة العرب ولا بِاستخبارتهم
- 1001 _____ الاحتجاج بالقدر حجة باطلة داحضة

اصل ضلال من ضل هو بتقديم قياسه على النص المنزلي عند الله	
1010	
الأفعال منقسمة إلى حسن وسوء مع كونه تعالى خالق الصنفين	1018
مطالبة بالعلم وذم لمن يتبع الظن وما عنده علم	1022
عامة ما ذم الله به المشركين في القرآن من الدين المنهي عنه إنما هو الشرك والتحريم	1023
المحتاجون على القدر بإسقاط الأمر والنهي يشبهون المشركين	1024
من اكتفى بالحقائق الكونية ولم يتبع الحقائق الدينية كان من أتباع أبليس العين	1034
القدرة الجبرية الجهمية حقيقة قولهم من جنس قول المشركين	1040
أصل الضلال اتخاذ دين لم يشرعه الله أو تحريم مالم يحرمه الله	1054
أهل السنة وسط بين أهل التعطيل وبين أهل التمثل	1058
أصل الضلال اتباع الظن والهوى	1059
من احتج بالقدر على ما فعله من ذنبه كان من أخسر الناس	1059
احرص على ما ينفعك واستعن بالله	1061
الإيمان بالقدر هدى والإحتجاج به على الله ضلال وغى	1062
{فَلَوْ شَاءَ لَهَا كُمْ أَجْمَعِينَ}	1065
الأصول الثلاثة توحيد الله والإيمان برسله وبالاليوم الآخر أمور متلازمة	
1066	
ثلاث مهلكات	
أهل البدع والتفرق هم أهل الأهواء	1069
إن المشركين يعدلون آلهتهم برب العالمين	1071
أعلم الناس من كان رأيه وقياسه موافقا للنصوص	1072
"ليس أحد أغير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن"	1073
المحرمات قسمان	1077

1082	جميع الرسل متفقون في الأصول الاعتقادية والعلمية
1085	قرن حق الآبوبين بحقه
1086	خص هذه الصورة بالنهي لأنها هي الواقعه لأن التحرير يختص بها
1087	الشريعة تأمر بالمصالح الخالصة والراجحة
1088	"أول ما يقضى بين الناس يوم القيمة في الدماء"
1093	النظر إلى العورات حرام
1095	مدح الله وأثنى على من كان له عقل
1097	أعظم الله أمر اليتامي في كتابه
1099	على الله الأحكام ببلوغ الحلم
1101	الشرائع جاء بتحصيل المصالح وتكتميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها تحقيق المناط أن يعمل بالنصل والإجماع
1102	بخس المكياط و الميزان من الأعمال التي أهلك الله بها قوم شعيب
1103	{ لا تكفل نفساً إلا وسعها }
1108	العدل جماع الدين والحق والخير كله
1113	صحة القلب وصلاحه في العدل ومرضه من الزيف والظلم والانحراف
1115	العدل في القول خبر يتعلق بالماضي و الحاضر و الوفاء بالعهد يكون في القول المتعلق بالمستقبل
1116	يستدل بالعدل على القياس الصحيح العقلي والشرعى
1118	طريق الموازنة والمعادلة من سلكه كان قائما بالقسط
1120	{ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَبَعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ }
1122	الدين ما شرعه الله ورسوله
1123	حيث ذكر الله الحق في القرآن جعله واحداً وجعل الباطل متعدداً

- كتاب الله حكم ما بينكم ومن ابتغى الهدى في غيره أضلله الله _____ 1126
 كل بدعة ليست واجبة ولا مستحبة فهي بدعة سيئة وهي ضلاله _____ 1133
 معرفة ما جاء به الرسول و ما أراده بالفاظ القرآن و الحديث هو أصل
 العلم و الإيمان و السعادة _____ 1140
- من أصول الإسلام أن تميز ما بعث الله به محمدا من الكتاب والحكمة
 1142
- ان اتباع الامر أصل عام وان اجتناب المنهى عنه فرع خاص _____ 1145
 "تعودوا بالله من فتنة العالم الفاجر والعابد الجاهل فان فتنتهما فتنه لكل
 مفتون" _____ 1146
- "إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين" _____ 1148
- لطائف لغوية _____ 1151
- الأنعام 154-165 _____ 1159
 إن الله تعالى إنما يخص بالذكر من الكتب المتقدمة التوراة _____ 1160
 الرحمة تحصل بالقرآن _____ 1161
 أنزل القرآن كراهة أن يقولوا ذلك ومنعا ودفعا _____ 1162
 التقوى ان تعمل بطاعة الله على نور من الله وأن ترك معصية الله على
 نور من الله _____ 1163
- إثبات الملائكة وأفعالها وكلامها وتأثيرها في العالم _____ 1164
 مذهب سلف الأمة أنهم يصفونه بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله
 في النفي والاثبات _____ 1164
- يفتح الله عز وجل للتوبة مسيرة عرضه أربعون سنة ولا يغلق حتى تطلع
 الشمس من قبله _____ 1168
- أنواع الاختلاف _____ 1169
- اتبع الناس للرسول اقلهم اختلافا _____ 1173
- وجوب الاجتماع في الدين _____ 1176
- بعض صور التفرق والاختلاف _____ 1179

1180	التفرق والاختلاف في الكتاب والسنة
1188	2-الرافضة سلكوا في الصحابة مسلك التفرق
1189	3-زوال الألفة والعصمة واخوة الدين
1194	4- تكفير الطائفية غيرها من طوائف المسلمين وإستحلال دمائهم وأموالهم
1197	5- ان كثيرا من نزاع الناس سببه ألفاظ مجملة مبدعة ومعان مشتبهة
1199	المراد بالحسنة والسيئة عند عامة المفسرين
1201	يعطى العبد بكل حسنة عشر أمثالها
1202	الظلم ممتنع من الله سبحانه وتعالى
1203	التوحيد هو أول الدين وأخره وباطن الدين وظاهره
1208	الاسلام دين جميع المرسلين
1212	أهل البدع والضلال يحجون إلى المشاهد وقبور شيوخهم
1216	الصلاوة و النسكة هما أجل ما يتقرب به إلى الله
1218	الاحكام المتعلقة بالاضحية
1219	1-تسميه الله على الذبيحة غير ذبها الله
1221	الأضحية من أعظم شعائر الاسلام
1223	وقت الأضحية
1224	الاسلام فى الاصل من باب العمل وأما الایمان فاصله تصديق واقرار ومعرفة
1227	{ ولا تزِرْ وازِرَةٌ وزْرَ أُخْرَى }
1232	الرد على الذين يقولون يعبد من لم يبعث إليه رسولا
1235	الايمان بربوبية الله
1236	لا يصلح إن يقال إن الله يستخلف أحدا عنه
1241	وجوب اتخاذ الإماراة

الشر لم يرد فى أسمائه وإنما ورد فى مفعولاته
لطائف لغوية

§§~**الأنعام(مكية)165**

مقدمة سورة الانعام

***سورة الأنعام** سورة مكية باتفاق الناس¹

وسورة الأنعام سورة عظيمة مشتملة على أصول الإيمان
والتوحيد¹

* قال الله تعالى { بَلِيَ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرٌ } البقرة 112

عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ { 112 } البقرة 112

وقد فسر إسلام الوجه لله بما يتضمن إخلاص قصد العبد لله بالعبادة له وحده وهو محسن بالعمل الصالح المشروع المأمور به وهذا الأصلان جماع الدين أن لا نعبد إلا الله وأن نعبد بما شرع لا نعبد بالبدع وقال تعالى { فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا } الكهف 110

وكان عمر بن الخطاب يقول في دعائه اللهم اجعل عملي كلها صالحة واجعله لوجهك خالصا ولا تجعل لأحد فيه شيئاً قال الفضيل بن عياض في قوله تعالى لبيلكم أيكم أحسن عملاً قال أخلصه وأصوبه قالوا يا أبا علي ما أصوبه وأخلصه قال إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا والخاص أن يكون لله والصواب أن يكون على السنة وهذا الأصلان هما تحقيق الشهادتين اللتين هما رأس الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمدا رسول الله فإن الشهادة لله بأنه لا إله إلا هو تتضمن إخلاص الألوهية له فلا يجوز أن يتائل القلب غيره لا بحب ولا خوف ولا رجاء ولا إجلال ولا إكبار ولا رغبة ولا رهبة بل لا بد أن يكون الدين كله لله كما قال تعالى { وَقَاتَلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ انتَهُوا فَلَا عُذْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ } البقرة 193

بعض الدين لله وبعضه لغيره كان في ذلك من الشرك بحسب ذلك وكمال الدين كما جاء في الحديث الذي رواه الترمذى وغيره من

أَحَبَ اللَّهُ وَأَبْغَضَ اللَّهُ وَأَعْطَى اللَّهُ وَمِنْعَ اللَّهِ فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانُ
 فَالْمُؤْمِنُونَ يَحْبُّونَ اللَّهَ وَاللَّهُ وَالْمُشْرِكُونَ يَحْبُّونَ مَعَ اللَّهِ كَمَا قَالَ
 تَعَالَى {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ
 الَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُ حُبًا لِّلَّهِ} البقرة 165 وَالشَّهادَةُ بِأَنَّ مُحَمَّداً
 رَسُولَ اللَّهِ تَتَضَمَّنُ تَصْدِيقَهُ فِي كُلِّ مَا أَخْبَرَ وَطَاعَتْهُ فِي كُلِّ مَا
 أَمْرَ فَمَا أَثْبَتَهُ وَجَبَ إِثْبَاتُهُ وَمَا نَفَاهُ وَجَبَ نَفِيهِ كَمَا يَجِبُ عَلَى
 الْخَلْقِ أَنْ يَتَبَتَّوْا مَا أَثْبَتَهُ الرَّسُولُ لِرَبِّهِ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصَّفَاتِ
 وَيَنْفُوُ عَنْهُ مَا نَفَاهُ عَنْهُ مِنَ مَمَاثِلِ الْمَخْلُوقَاتِ فَيُخَلِّصُونَ مِنَ
 الْتَّعْطِيلِ وَالْتَّمَثِيلِ وَيَكُونُونَ عَلَى خَيْرِ عِقِيدَةٍ فِي إِثْبَاتِ بِلَا تَشْبِيهٍ
 وَتَنْزِيهٍ بِلَا تَعْطِيلٍ وَعَلَيْهِمْ أَنْ يَفْعُلُوا مَا أَمْرَهُمْ بِهِ وَأَنْ يَنْتَهُوا عَمَّا
 نَهَاهُمْ عَنْهُ وَيَحْلُّوا مَا أَحْلَهُ وَيَحْرِمُوا مَا حَرَمَهُ فَلَا حَرَامَ إِلَّا مَا
 حَرَمَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا دِينٌ إِلَّا مَا شَرَعَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلِهَذَا ذَمِّ اللَّهِ
 الْمُشْرِكِينَ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ وَالْأَعْرَافِ وَغَيْرِهِمَا لِكُونِهِمْ حَرَمُوا
 مَالَمْ يَحْرَمَهُ اللَّهُ وَلِكُونِهِمْ شَرَعُوا دِينًا لَمْ يَأْذِنْ بِهِ اللَّهُ كَمَا فِي قَوْلِهِ
 تَعَالَى {وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَّا مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامَ
 نَصِيبِيَاً} الْأَنْعَامِ 136 إِلَى آخرِ السُّورَةِ وَمَا ذَكَرَ اللَّهُ فِي صَدْرِ
 سُورَةِ الْأَعْرَافِ وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ
 مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذِنْ بِهِ اللَّهُ} الشُّورِيَّةِ 21

*فَانْ اقواماً استحلوا بعضاً ما حرم الله واقواماً حرموا بعض ما
 احل الله تعالى وكذلك اقواماً احدثوا عبادات لم يشرعها الله بل
 نهى عنها و اصل الدين ان الحلال ما احله الله
 ورسوله والحرام ما حرم الله ورسوله والدين ما شرعه الله
 ورسوله ليس لاحد ان يخرج عن الصراط المستقيم الذي بعث
 الله به ورسوله قال الله تعالى {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا
 فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَشْرِعُوا السُّبُّلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَاعِدُكُمْ بِهِ
 لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} الأنعام 153 وفي حديث عبد الله بن مسعود
 رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه خط خطأ وخط
 خطوطاً عن يمينه وشماله ثم قال هذه سبيل الله وهذه سبل على
 كل سبيل منها شيطان يدعوك اليه ثم قرأ و{وَأَنَّ هَذَا

صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَنْتَهُوا أَسْبُلَ فَنَفَرَ قَبْكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ
 } الأنعام 153 وقد ذكر الله تعالى في **سورة الانعام** والاعراف
 وغير هما ما ذم به المشركين حيث حرموا ما لم يحرمه الله تعالى
 كالبحيرة والسائلة واستحلوا ما حرم الله كقتل اولادهم وشرعوا
 دينا لم يأذن به الله فقال تعالى {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءٌ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ
 الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذِنْ بِهِ اللَّهُ } الشورى 21 ومنه اشياء هي محرمة
 جعلوها عبادات كالشرك والغواش مثل الطواف بالبيت عراة
 وغير ذلك ¹

* أما العبادات فأعظمها الصلاة والناس آما أن يبتذلوا مسائلها
 بالظهور لقوله صلى الله عليه وسلم مفتاح الصلاة الظهور
 كما رتبه أكثرهم وأما بالمواقيت التي تجب بها الصلاة كما فعله
 مالك وغيره فاما الطهارة والنجاسة فنوعان من الحلال
 والحرام في اللباس ونحوه تابعان للحلال والحرام في الأطعمة
 والأشربة ومذهب أهل الحديث في هذا الأصل العظيم الجامع
 وسط بين مذهب العراقيين والجازيين فإن أهل المدينة مالكا
 وغيره يحرمون من الأشربة كل مسکر كما صحت بذلك
 النصوص عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه متعددة
 وليسوا في الأطعمة كذلك بل الغالب عليهم فيها عدم التحرير
 فيبيحون الطيور مطلقاً وإن كانت من ذات المخالف ويكرهون
 كل ذي ناب من السباع وفي تحريمها عن مالك روایتان وكذلك
 في الحشرات عنه هل هي محرمة أو مكرهه روایتان وكذلك
 البغال والحمير وروي عنه أنها مكرهه أشد من كراهة السباع
 وروي عنه أنها محرمة بالسنة دون تحريم الحمير والخيل أيضا
 يكرهها لكن دون كراهة السباع وأهل الكوفة في باب
 الأشربة مخالفون لأهل المدينة ولسائر الناس ليست الخمر عندهم
 إلا من العنب ولا يحرمون القليل من المسکر إلا أن يكون خمرا
 من العنب أو أن يكون من نبيذ التمر أو الزبيب النيء أو يكون
 من مطبوخ عصير العنب إذا لم يذهب ثلثاه وهم في الأطعمة في
 غاية التحرير حتى حرموا الخيل والضباب وقيل إن أبا حنيفة

يكره الضب والضباع ونحوها فأخذ أهل الحديث في الأشربة
بقول أهل المدينة وسائر أهل الأمسكار موافقة للسنة المستفيضة
عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في التحرير وزادوا
عليهم في متابعة السنة وصنف الإمام أحمد كتاباً كبيراً في
الأشربة ما علمت أحداً صنف أكبر منه وكتاباً أصغر منه وهو
أول من أظهر في العراق هذه السنة حتى إن دخل بعضهم بغداد
فقال هل فيها من يحرم النبيذ فقالوا لا إلا أحمد بن حنبل دون
غيره من الأئمة وأخذ فيها بعامة السنة حتى إن حرم العصير
والنبيذ بعد ثلاثة وان لم يظهر فيه شدة متابعة للسنة المأثوره في
ذلك لأن الثلاث مظنة ظهور الشدة غالباً والحكمة هنا مما تخفي
فأقيمت المظنة مقام الحكمة حتى إن كره الخليطين إما كراهة
تنزيه أو تحرير على اختلاف الروايتين عنه وحتى اختلف قوله
في الانتباذ في الأوعية هل هو مباح أو محرم أو مكره لأن
أحاديث النهي كثيرة جداً وأحاديث النسخ قليلة فاختار اجتهاده
هل تنفس تلك الأخبار المستفيضة بمثل هذه الأخبار التي لا
ترجع عن كونها أخبار آحاد ولم يخرج البخاري منها شيئاً
وأخذوا في الأطعمة بقول أهل الكوفة لصحة السنن عن النبي
صلى الله عليه وسلم بتحريم كل ذي ناب من السباع وكل ذي
مخلب من الطير و تحريم لحوم الحمر لأن النبي صلى الله عليه
و سلم أنكر على من تمسك في هذا الباب بعدم وجود نص
التحريم في القرآن حيث قال لا ألغين أحدكم متكتئاً على
أريكته يأتيه الأمر من أمرني مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول
بيتنا و بينكم هذا القرآن فما وجدنا فيه من حلال استحللناه و ما
وجدنا فيه من حرام حرمناه ألا و إني أوتيت الكتاب و مثله معه
وإن ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حرم الله تعالى
و هذا المعنى محفوظ عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير
وجه و علموا أن ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم
إنما هو زيادة تحريم ليس نسخاً للقرآن لأن إنما دل على أن الله لم
يحرم إلا الميتة و الدم و لحم الخنزير و عدم التحرير ليس تحليلاً

و إنما هو بقاء للأمر على ما كان و هذا قد ذكره الله في **سورة الأنعام** التي هي مكية باتفاق العلماء ليس كما ظنه أصحاب مالك و الشافعي أنها من آخر القرآن نزولا و إنما سورة المائدة هي المتأخرة وقد قال الله فيها {الْيَوْمَ أَحِلَّ لَكُمُ الطَّيْبَاتُ} المائدة 5 فعلم أن عدم التحرير المذكور في **سورة الأنعام** ليس تحليلًا و إنما هو عفو فتحريم رسول الله رافع للعفو ليس نسخاً للقرآن لكن لم يوافق أهل الحديث الكوفيين على جميع ما حرموه بل أحلوها الخيل لصحة السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم بتحليلها يوم خير و بأنهم ذبحوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرساً و أكلوا لحمه و أحلووا الضب لصحة السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم بأنه قال لا أحرمه و بأنه أكل على مائته وهو ينظر ولم يذكر على من أكله و غير ذلك مما جاءت فيه الرخصة فنفقوها عما حرمهم أهل الكوفة من الأطعمة كما زادوا على أهل المدينة في الأشربة لأن النصوص الدالة على تحريم الأشربة المسكرة أكثر من النصوص الدالة على تحريم الأطعمة و لأهل المدينة سلف من الصحابة و التابعين في استحلال ما أحلوه أكثر من سلف أهل الكوفة في استحلال المسكر و المفاسد الناشئة من المسكر أعظم من مفاسد خبائث الأطعمة و لهذا سميت الخمر أم الخبائث كما سماها عثمان بن عفان رضي الله عنه و غيره و أمر النبي صلى الله عليه وسلم بجلد شاربها فإنه لم يحد فيها أحد من أهل العلم إلا ما بلغنا عن الحسن البصري بل قد أمر صلى الله عليه وسلم بقتل شارب الخمر في الثالثة أو الرابعة و إن كان الجمھور على أنه منسوخ و نهى النبي صلى الله عليه وسلم فيما صح عنه عن تخليل الخمر و أمر بشق ظروفها و كسر دنانها و إن كان قد اختلفت الرواية عن أحمد هل هذا باق أو منسوخ ولما كان الله سبحانه و تعالى إنما حرم الخبائث لما فيها من الفساد إما في العقول أو الأخلاق أو غيرها ظهر على الذين استحلوا بعض المحرمات من الأطعمة أو الأشربة ممن النقص بقدر ما فيها من المفسدة و لولا

التأويل لاستحقوا العقوبة ثم إن الإمام أحمد وغيره من علماء الحديث زادوا في متابعة السنة على غيرهم بأن أمروا بما أمر الله به ورسوله مما يزيل ضرر بعض المباحثات مثل لحوم الإبل فإنها حلال بالكتاب والسنة والإجماع ولكن فيها من القوة الشيطانية ما أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله إنها جن خلقت من جن وقد قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو داود الغضب من الشيطان وإن الشيطان من النار وإنما تطفئ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليتووضأ فأمر بالتووضؤ من الأمر العارض من الشيطان فأكل لحمها يورث قوة شيطانية تزول لما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم من الوضوء من لحمها كما صح ذلك عنه من غير وجه من حديث جابر بن سمرة و البراء بن عازب وأبي بن الحضير و ذي الغرة وغيرهم فقال مرة توضؤوا من لحوم الإبل ولا توضؤوا من لحوم الغنم و صلوا في مرابض الغنم و لا تصلوا في معاطن الإبل فمن توضؤا من لحومها اندفع عنه ما يصيب المدمنين لأكلها من غير وضوء كالأعراب من الحقد و قسوة القلب التي أشار إليها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله المخرج عنه في الصحيحين إن الغلطة و قسوة القلوب في الفدادين أصحاب الإبل و إن السكينة في أهل الغنم¹

الأنعام 18-1

إِلَّا حَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ
 الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ{1} هُوَ
الَّذِي خَلَقَكُم مِّنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمٌّ عِنْدَهُ ثُمَّ
 أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ{2} وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ
يَعْلَمُ سَرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ{3} وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ
آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ{4} فَقَدْ كَذَبُوا
بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَاءٌ مَا كَانُوا بِهِ
 يَسْتَهْزِئُونَ{5} أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِم مِّنْ قَرْنَاتِ
مَكَانَاتِهِمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نَمَكِنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ
 عَلَيْهِمْ مَدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ
 بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنَاتِ أَخْرِيَنَ{6} وَلَوْ نَرَلَنَا
عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمْسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لِقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ
 هَذَا إِلَّا سُحْرٌ مُّبِينٌ{7} وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ
وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقَضَى الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنَظِّرُونَ{8} وَلَوْ
جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَأَبْسَنَاهُ عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ{9}
وَلَقَدْ اسْتَهْزَئَ بِرُسُلِنَا مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخْرُوا مِنْهُمْ
 مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ{10} قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ
انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ{11} قُلْ لَمَنْ مَا فِي
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ
 لِيَجْعَلَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا
أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ{12} وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي الظَّلَالِ
وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ{13} قُلْ أَعِيرِ اللَّهَ أَتَخْذُ وَلِيًّا
فَأَطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَهُوَ يُطْعَمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي
 أَمْرَتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ

الْمُشْرِكَيْنَ{14} قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ
عَظِيمٍ{15} مَنْ يُصْرَفُ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحْمَةً وَذَلِكَ
الْفُوزُ الْمُبِينُ{16} وَإِنْ يَمْسِكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ
إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسِكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ{17}
وَهُوَ الْقَاهِرُ فُوقَ عَبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ{18}

أول من يدعى إلى الجنة الحمادون

قال تعالى {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ
 الْظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ} الانعام 1 فالملصلي
 في آخر القيام بعد الركوع يقول ربنا ولك الحمد ملء السماء
 وملء الأرض إلى قوله أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد وكلنا
 لك عبد لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد
 منك الجد وقوله أحق ما قال العبد خبر مبتدأ محنوف أى هذا
 الكلام أحق ما قال العبد فتبيين ان حمد الله والثناء عليه أحق ما
 قاله العبد وفي ضمه توحيد له اذا قال ولك الحمد أى لك لا
 لغيرك وقال في آخره لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت
 وهذا يقتضى انفراده بالعطاء والمنع فلا يستعن الا به ولا يطلب
 الا منه ثم قال ولا ينفع ذا الجد منك الجد فيبين ان الانسان
 وان أعطى الملك والغني والرئاسة فهذا لا ينجيه منك انما ينجيه
 الايمان والتقوى وهذا تحقيق قوله {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}
 الفاتحة 5 فكان هذا الذكر في آخر القيام لأنه ذكر أول القيام
 وقوله أحق ما قال العبد يقتضى ان يكون حمد الله أحق الاقوال
 بان قوله العبد وما كان احق الاقوال كان افضلها واجبها على
 الانسان ولهذا افترض الله على عباده في كل صلاة ان
 يفتتحوها بقولهم {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} الفاتحة 2 وامرهم
 ايضا ان يفتتحوا كل خطبة بالحمد لله فامرهم ان يكون

مقدما على كل كلام سواء كان خطابا للخالق او خطابا للمخلوق ولهذا يقدم النبي صلى الله عليه وسلم الحمد أمام الشفاعة يوم القيمة ولهذا أمرنا بتقديم الثناء على الله في التشهد قبل الدعاء وقال النبي صلى الله عليه وسلم كل امر ذى بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أخذن وأول من يدعى إلى الجنة الحمادون الذين يحمدون الله على السراء والضراء وقوله صلى الله عليه وسلم {الْحَمْدُ لِلّٰهِ} الفاتحة [حمد مطلق فان الحمد اسم جنس والجنس له كمية وكيفية فالثناء كميته وتكتيره وتعظيمه كيفيته¹

الحمد نوعان

*فإن الله سبحانه أخبر أن له الحمد وأنه حميد مجيد وإن له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم ونحو ذلك من أنواع المحامد و الحمد نوعان حمد على احسانه إلى عباده وهو من الشكر وحمد لما يستحقه هو بنفسه من نعمت كماله وهذا الحمد لا يكون إلا على ما هو في نفسه مستحق للحمد وإنما يستحق ذلك من هو متصف بصفات الكمال وهي أمور وجودية فأن الأمور العدمية المحسنة لا حمد فيها ولا خير ولا كمال و معلوم ان كل ما يحمد فانما يحمد على ماله من صفات الكمال فكل ما يحمد به الخلق فهو من الخالق والذى منه ما يحمد عليه هو أحق بالحمد فثبت انه المستحق للمحامد الكاملة وهو أحق من كل محمود بالحمد والكمال من كل كامل وهو المطلوب¹

* فقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كل مولود يولد على الفطرة وفي صحيح مسلم عنه أنه قال يقول الله تعالى خلقت عبادي حنفاء فاجتنالهم الشياطين وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا فالله فطر عباده على الحنيفة ملة إبراهيم وأصلها محبة الله وحده فما من فطرة لم تفسد إلا وهي تجد فيها محبة الله تعالى لكن قد تفسد الفطرة إما ل الكبر وغرض فاسد كما في فرعون وإما بأن

يشرك معه غيره في المحبة كما قال تعالى {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُجْبِونَهُمْ كَحْبَ اللَّهِ} البقرة 165 وأما أهل التوحيد الذين يعبدون الله مخلصين له الدين فإن في قلوبهم محبة الله لا يماثله فيها غيره ولهذا كان الرب محمودا حمدًا مطلقا على كل ما فعله وحمدًا خاصا على إحسانه إلى الحامد فهذا حمد الشكر والأول حمده على كل ما فعله كما قال **{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ}** {الأنعام} 1 **{الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}** فاطر 1 والحمد ضد الذم والحمد خبر بمحاسن محمود مقرن بمحبته والذم خبر بمساوئ المذموم مقرن ببغضه فلا يكون حمد لمحمود إلا مع محبته ولا يكون ذم لمذموم إلا مع بغضه وهو سبحانه له الحمد في الأولى والآخرة وأول ما نطق به آدم الحمد لله رب العالمين وأول ما سمع من ربه يرحمك ربك وأخر دعوى أهل الجنة أن الحمد لله رب العالمين وأول من يدعى إلى الجنة الحمادون ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم صاحب لواء الحمد آدم فمن دونه تحت لوانه وهو صاحب المقام محمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون فلا تكون عبادة إلا بحب المعبد ولا يكون حمد إلا بحب محمود وهو سبحانه المعبد محمود¹

الحمد أعم من الشكر

*الحمد يتضمن المدح والثناء على محمود بذكر محسنه سواء كان الإحسان إلى الحامد أو لم يكن الشكر لا يكون إلا على إحسان المشكور إلى الشاكر فمن هذا الوجه الحمد أعم من الشكر لأنه يكون على المحسن والإحسان فإن الله تعالى يحمد على ما له من الأسماء الحسنى والمثل الأعلى وما خلقه في الآخرة والأولى ولهذا قال تعالى {وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلَّ وَكَبْرَهُ تَكْبِيرًا} الإسراء 111 وقال **{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ}** {الأنعام} 1 وقال **{الْحَمْدُ**

اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي
 الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَيْرُ¹ سبأ 1 وَقَالَ {الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ
 السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَئِيْ أَجْنَاحَةٍ مَتَّشِّيَّا
 وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ
 }فاطر 1 وَأَمَّا الشَّكْرُ فَإِنَّهُ لَا يَكُونُ إِلَّا عَلَى الإِنْعَامِ فَهُوَ أَخْصُ مَنْ
 الْحَمْدُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ لَكُنَّهُ يَكُونُ بِالْقَلْبِ وَالْيَدِ وَاللِّسَانِ كَمَا قِيلَ
 أَفَادُكُمُ النَّعَمَاءُ مِنِي ثَلَاثَةً يَدِي وَلِسَانِي وَالضَّمِيرُ الْمَحْبُوبُ وَلَهُذَا
 قَالَ تَعَالَى {أَعْمَلُوا أَلَّا ذَأْوُدَ شُكْرًا²} سبأ 13 وَالْحَمْدُ إِنَّمَا
 يَكُونُ بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ فَمِنْ هَذَا الْوَجْهِ الشَّكْرُ أَعْمَمُ مِنْ جَهَةِ أَنْوَاعِهِ
 وَالْحَمْدُ أَعْمَمُ مِنْ جَهَةِ أَسْبَابِهِ وَفِي الْحَدِيثِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَأْسُ
 الشَّكْرِ فَمَنْ لَمْ يَحْمِدْ اللَّهَ لَمْ يَشْكُرْهُ وَفِي الصَّحِيفَةِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ إِنَّ اللَّهَ لِيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ
 يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيُحَمِّدَهُ عَلَيْهَا وَيَشْرُبَ الشَّرْبَةَ فَيُحَمِّدَهُ عَلَيْهَا وَاللَّهُ
 أَعْلَمُ¹

الليل والنهر تبع للسموات والارض

* الليل والنهر الذي هو حاصل بالشمس هو تبع للسموات والارض لم يخلق هذا الليل وهذا النهر قبل هذه السموات والارض بل خلق هذا الليل وهذا النهر تبعا لهذه السموات والارض فان الله اذا اطلع الشمس حصل النهر واذا غابت حصل الليل فالنهار بظهورها والليل بغروبها فكيف يكون هذا الليل وهذا النهر قبل الشمس والشمس والقمر مخلوقان مع السموات والارض وقد قال تعالى {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ
 وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلُّ فِي فَلَكٍ يَسْبُحُونَ} الأنبياء 3
 وقال تعالى {لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرُ وَلَا اللَّيْلُ
 سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلُّ فِي فَلَكٍ يَسْبُحُونَ} يس 40 قال ابن عباس وغيره من السلف في فلكة مثل فلكة المغزل فقد أخبر تعالى أن الليل والنهر والشمس والقمر في الفلك و الفلك هو السموات عند أكثر العلماء بدليل أن الله ذكر في هاتين الآيتين ان

الشمس والقمر في الفلك وقال في موضع آخر {أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طَبَاقًا} {15} وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا {16} نوح 15-16 فأخبر أنه جعل الشمس والقمر في السموات وقال تعالى {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظِّلَامَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدُلُونَ} {الأنعام} 1 بين أنه خلق السموات والأرض وأنه خلق الظلمات والنور لأن العمل هو التصوير يقال جعل كذا اذا صيره فذكر أنه خلق السموات والأرض وأنه جعل الظلمات والنور لأن الظلمات والنور مجعلة من الشمس والقمر المخلوقة في السموات وليس الظلمات والنور والليل والنهار جسما قائما بنفسه ولكنه صفة وعرض قائم بغيره فالنور هو شعاع الشمس وضوءها الذي ينشره الله في الهواء وعلى الأرض وأما الظلمة في الليل فقد قيل هي كذلك وقيل هي أمر وجودي فهذا الليل وهذا النهار اللذان يختلفان علينا اللذان يولج الله أحدهما في الآخر فيiolج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ويختلف أحدهما الآخر يتعاقبان كما قال تعالى {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاحْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولَئِي الْأَلْبَابِ} آل عمران 190 وقال تعالى {لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ} {40} يس 40 بين سبحانه أنه جعل لكل شيء قدرًا واحدًا لا يتعداه فالشمس لا ينبغي لها أن تدرك القمر وتتحقق بل لها مجرى قدره الله لها وللقمري مجرى قدره الله له كما قال تعالى

{وَآيَةٌ لَّهُمُ الَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ} {37} {وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقْرٍ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ} {38} {وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعَرْجُونِ الْقَدِيمِ} {39} يس 37-39 ثم قال {لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ} {40} يس 40 أي لا يفوته ويتقدم امامه حتى يكون بينهما برزخ بل هو متصل به لا هذا ينفصل عن هذا ولا هذا ينفصل عن هذا {وَكُلُّ فِي فَلَكٍ يَسْبِحُونَ} {40} يس 40 فالمقصود

أن هذا الليل وهذا النهار جعلهما الله تبعاً لهذه السموات والارض
1

أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ بِخَلْقِهِ الْزَّمَانَ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ

*قال تعالى { وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ } الأنعام 1 ومن هذا
تسمية الليل ظلمة والنهر نوراً فإنها عرضان وقد قيل لها
جوهران¹

*قوله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر
مروي بألفاظ آخر ك قوله يقول الله يؤذيني ابن آدم يسب الدهر
وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهر وفي لفظ لا
تسبووا الدهر فإن الله هو الدهر يقلب الليل والنهر وفي لفظ
يقول ابن آدم يا خيبة الدهر وأنا الدهر فقوله في الحديث
بيدي الأمر أقلب الليل والنهر يبين أنه ليس المراد به أنه
الزمان فإنه قد أخبر أنه يقلب الليل والنهر والزمان هو الليل
والنهار فدل نفس الحديث على أنه هو يقلب الزمان ويصرفه كما
دل عليه قوله تعالى { إِنَّمَا تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزِّجِ الْحَسَابَ ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ
ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَاماً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خَلَالِهِ وَيَنْزَلُ مِنَ السَّمَاءِ
مِنْ حِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصَبِّبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرُفُهُ عَنْ مَنْ
يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقَهُ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ } 43 { يُقْلِبُ اللَّهُ الْلَّيْلَ وَالنَّهَارَ
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعْنَةً لَا يُلْهِي الْأَبْصَارِ } 44 { النور 43-44 وإذ جاء
السحب سوقه والودق المطر فقد بين سبحانه خلقه للمطر
وإنزاله على الأرض فإنه سبب الحياة في الأرض فإنه سبحانه
جعل من الماء كل شيء حي ثم قال { يُقْلِبُ اللَّهُ الْلَّيْلَ وَالنَّهَارَ }
النور 44 إذ تقلبه الليل والنهر تحويل أحوال العالم بإنزال
المطر الذي هو سبب خلق النبات والحيوان والمعدن وذلك سبب
تحويل الناس من حال إلى حال المتضمن رفع قوم وخفض
آخرين وقد أخبر سبحانه بخلقه الزمان في غير موضع ك قوله
{ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ } الأنعام 1 وقوله { وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ الْلَّيْلَ
وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلُّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ } الأنبياء 33

وقوله {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خُلْفَةً لَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا} الفرقان 62 قوله {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاحْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لَّا يُلِيقُ الْأَبْابِ}آل عمران 190 وغير ذلك من النصوص التي تبين أنه خالق الزمان ولا يتوهم عاقل أن الله هو الزمان فإن الزمان مقدار الحركة والحركة مقدارها من باب الأعراض والصفات القائمة بغيرها كالحركة والسكون والسوداد والبياض ولا يقول عاقل أن خالق العالم هو من باب الأعراض والصفات المفتقرة إلى الجواهر والأعيان فإن الأعراض لا تقوم بنفسها بل هي مفتقرة إلى محل تقويم به والمفتقر إلى ما يغايره لا يوجد بنفسه بل بذلك الغير فهو يحتاج إلى ما به وجوده فليس هو غنيا في نفسه عن غيره فكيف يكون هو الخالق لكل ماسواه ومعلوم أن المراتب ثلاثة ثم أن يستغنى بنفسه وأن يحتاج إليه ما سواه وهذه صفة الخالق سبحانه فكيف يتلوهم أنه من النوع الأول وأهل الإلحاد القائلون بالوحدة أو الحلول أو الإتحاد لا يقولون أنه هو الزمان ولا أنه من جنس الأعراض والصفات بل يقولون هو مجموع العالم أو حال في مجموع العالم فليس في الحديث شبهة لهم لو لم يكن قد بين فيه أنه سبحانه مقلب الليل والنهر فكيف وفي نفس الحديث أنه بيده الأمر يقلب الليل والنهر إذا تبين هذا فللناس في الحديث قولان معروfan لأن أصحاباً أَحَدُهُمْ وَغَيْرُهُمْ أَحَدُهُمْ وَهُوَ قَوْلُ أَبْيَ عَبْدِ وَأَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ أَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ خَرَجَ الْكَلَامُ فِيهِ لِرَدِّ مَا يَقُولُهُ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ وَمَنْ أَشْبَهُهُمْ إِذَا أَصَابُتْهُمْ مُصِيبَةً أَوْ مَنْعَلِيَّاً أَغْرَاضَهُمْ أَخْذُوا يَسْبُونَ الدَّهْرَ وَالزَّمَانَ يَقُولُ أَحَدُهُمْ قَبْحُ الدَّهْرِ الَّذِي شَتَّتَ شَمْلَنَا وَلَعْنَ اللَّهِ الزَّمَانِ الَّذِي جَرَى فِيهِ كَذَا وَكَذَا وَكَثِيرًا مَا جَرَى مِنْ كَلَامِ الشَّعْرَاءِ وَأَمْثَالِهِمْ نَحْنُ هَذَا كَوْلُهُمْ يَا دَهْرَ فَعَلْتَ كَذَا وَهُمْ يَقْصِدُونَ سَبَبَهُمْ فَعَلَ تَلْكَ الْأَمْرَ وَيُضَيِّفُونَهَا إِلَى الدَّهْرِ فَيَقُولُ السَّبَبُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى لَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي فَعَلَ تَلْكَ الْأَمْرَ وَأَحْدَثَهُ وَالدَّهْرُ مَخْلُوقُهُ لَهُ هُوَ الَّذِي يَقْلِبُهُ وَيَصْرُفُهُ وَالْتَّقْدِيرُ أَنَّ ابْنَ آدَمَ يَسْبُبُ مِنْ فَعْلِهِ هَذَا

الأمور وأنا فعلتها فإذا سب الدهر فمقصوده سب الفاعل وإن
 أضاف الفعل إلى الدهر والدهر لا فعل له وإنما الفاعل هو الله
 وحده وهذا كرجل قضى عليه قاض بحق أو أفتاه مفت بحق
 فجعل يقول لعن الله من قضى بهذا أو أفتى بهذا ويكون ذلك من
 قضاء النبي صلى الله عليه وسلم وفتياه فيقع السب عليه وإن كان
 الساب لجهله أضاف الأمر إلى المبلغ في الحقيقة والمبلغ فعل من
 التبليغ بخلاف الزمان فإن الله يقلبه ويصرفة والقول الثاني قول
 نعيم بن حماد وطائفة معه من أهل الحديث والصوفية إن الدهر
 من أسماء الله تعالى معناه القديم الأزلية وروروا في بعض الأدعية
 يا دهر يا ديهور يا ديهار وهذا المعنى صحيح لأن الله سبحانه هو
 الأول ليس قبله شيء وهو الآخر ليس بعده شيء فهذا المعنى
 صحيح إنما النزاع في كونه يسمى دهرا بكل حال فقد أجمع
 المسلمين وهو مما علم بالعقل الصرير أن الله سبحانه وتعالى
 ليس هو الدهر الذي هو الزمان أو ما يجري مجرى الزمان فإن
 الناس متفقون على الزمان الذي هو الليل والنهاز وكذلك ما
 يجري مجرى ذلك في الجنة كما قال تعالى {وَلَئِنْ رِزْقُهُمْ فِيهَا
 بُكْرَةً وَعَشِيًّا} مريم 62 قالوا على مقدار البكرة والعشي في
 الدنيا الآخرة يوم الجمعة يوم المزيد والجنة ليس فيها شمس ولا
 زهرير ولكن تعرف الأوقات بأنوار آخر قد روى أنه تظهر من
 تحت العرش فالزمان هنالك مقدار الحركة التي بها تظهر تلك
 الأنوار¹

جعل المشركون لله أندادا في العبادة والمحبة والدعاء

* وإذا كان الشيء يعدل غيره فعدل الشيء بالفتح هو مساويه
 وإن كان من غير جنسه كما قال تعالى {أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا
 } المائدة 95 والصيام ليس من جنس الطعام والجزاء و لكنه
 يعادله في القدر و كذلك قوله صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله
 منه صرفا ولا عدلا و قوله تعالى {وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ}
 } البقرة 123 أي فدية و الفدية ما يعدل بالمفدي و إن كان من

غير جنسه { ثمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ } الأنعام١ أي يجعلون له عدلاً أي نداً في الإلهية وإن كانوا يعلمون أنه ليس من جنس رب سبحانه^١

* فإن المشركين يعدلون آهتهم برب العالمين كما قال { ثمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ } الأنعام١ وقال { تَالَّهِ إِنِّي كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ } ٩٧ { إِذْ نُسَوِّيْكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ } ٩٨ الشعراة ٩٧-٩٨

* أن عامة السيرات يدخل في الظلم وأن الحسنات غالباًها عدل وأن القسط هو المقصود بارسال الرسل وإنزال الكتب والقسط والعدل هو التسوية بين الشيئين فان كان بين متماثلين كان هو العدل الواحِد المحمود وإن كان بين الشيء وخلافه كان من باب قوله { ثمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ } الأنعام١ كما قالوا { تَالَّهِ إِنِّي كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ } ٩٧ { إِذْ نُسَوِّيْكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ } ٩٨ الشعراة ٩٧-٩٨ فهذا العدل والتسوية والتمثيل والاشراك هو الظلم العظيم وإذا عرف أن مادة العدل والتسوية والتمثيل والقياس والاعتبار والتشريك والتشبيه والتنظير من جنس واحد فيستدل بهذه الأسماء على القياس الصحيح العقلي والشرعى ويؤخذ من ذلك تعبير الرؤيا فان مداره على القياس والاعتبار والمشابهة التي بين الرؤيا وتأويلها ويؤخذ من ذلك ما في الأسماء واللغات من الاستعارة والتشبيه إما في وضع اللفظ بحيث يصير حقيقة في الاستعمال وإما في الاستعمال فقط مع القرينة اذا كانت الحقيقة أخرى فان مسميات الأسماء المشابهة مشابهة ويؤخذ من ذلك ضرب الأمثال للتوصير تارة وللتصديق أخرى وهو نافعة جداً وذلك أن أدرك النفس لعين الحقائق قليل وما لم يدركه فإنما يعرفه بالقياس على ما عرفته فإذا كان هذا في المعرفة فهي التعريف ومخاطبة الناس أولى وأخرى^١

*أن المشركين لم يكونوا يثبتون مع الله إلها آخر مساويا له في الصفات والأفعال بل ولا كانوا يقولون إن الكواكب والشمس والقمر خلقت العالم ولا أن الأصنام تخلق شيئاً من العالم ومن ظن أن قوم إبراهيم الخليل كانوا يعتقدون أن النجم أو الشمس أو القمر رب العالمين أو أن الخليل عليه السلام لما قال هذا ربي أراد به رب العالمين فقد غلط غلطاً بيّناً بل قوم إبراهيم كانوا مقررين بالصانع وكانوا يشركون بعبادته كأمثالهم من المشركين فأخبر تعالى عن الخليل أنه عدو لكل ما يعبدونه إلا لرب العالمين كما قال تعالى {إِنَّمَا يَرَى وَجْهُنَّمَ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} الأنعام 79 ولم يقل من المعطلين فإن قومه كانوا يشركون ولم يكونوا معطلين كفرعون اللعين فلم يكونوا جاحدين للصانع بل عدوا به وجعلوا له أندادا في العبادة والمحبة والدعاء وهذا كما قال تعالى {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُماتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدُلُونَ} الأنعام¹

{ لَيْسَ كَمُثْلِهِ شَيْءٌ }

*ودين الإسلام مبني على أصلين وهما تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأول ذلك أن لا تجعل مع الله الهآ آخر فلا تحب مخلوقاً كما تحب الله ولا ترجوه كما ترجو الله ولا تخشاه كما تخشى الله ومن سوى بين المخلوق والخالق في شيء من ذلك فقد عدل بالله وهو من الذين يربهم يعدلون وقد جعل مع الله الهآ آخر وإن كان مع ذلك يعتقد أن الله وحده خلق السموات والأرض فإن مشركي العرب كانوا مقررين بأن الله وحده خلق السموات والأرض كما قال تعالى {وَلَئِن سَأَلْتُهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّ يُؤْفَكُونَ} العنكبوت 61 وكانوا مع ذلك مشركين يجعلون مع الله آلهة أخرى¹

* والقرآن ملآن من توحيد الله تعالى وأنه ليس كمثله شيء فلا يمثل به شيء من المخلوقات في شيء من الأشياء إذ ليس كمثله شيء لافي ذاته ولا في صفاتاته ولا في أفعاله ولا فيما يستحقه من العبادة والمحبة والتوكيل والطاعة والدعاء وسائر حقوقه قال تعالى {رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا} مريم 65 فلا أحد يساميه ولا يستحق أن يسمى بما يختص به من الأسماء ولا يساويه في معنى شيء من الأسماء لا في معنى الحقيقة ولا العليم ولا القدير ولا غير ذلك من الأسماء ولا في معنى الذات والموجود ونحو ذلك من الأسماء العامة ولا يكون إليها ولا ربا ولا خالقا فقال تعالى {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} 1 {اللَّهُ الصَّمَدُ} 2 {لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَدْ} 3 {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ} 4 الآيات 4-1 فلم يكن أحد يكافيه في شيء من الأشياء فلا يساويه شيء ولا يماثله شيء ولا يعادله شيء قال تعالى {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلَمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدُلُونَ} الأنعام 1 وقال تعالى {فَكُبُرُواْ فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ} 94 {وَجُنُودُ إِبْلِيسِ أَجْمَعُونَ} 95 {قَالُواْ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ} 96 {تَالَّهُ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} 97 {إِذْ نُسَوِّيْكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ} 98 الشعراة 94-98 وقال تعالى {وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِعُونَ} 73 فلا تصرِبُواْ لله الأمثال إنَّ الله يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ 74 النحل 73-174

للله صفات اختيارية

* قوله {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ} الأنعام 1 {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ} الكهف 1 ونحو ذلك

فإذا لم يكن له فعل يقوم به باختباره امتنع ذلك كله فانه من المعلوم بصربيح العقل أنه اذا خلق السموات والارض فلا بد من فعل يصير به خالقا والا فلو استمر الامر على حال واحدة لم يحدث فعل لكان الامر على ما كان قبل أن يخلق وحينئذ فلم يكن المخلوق موجودا فكذلك يجب أن لا يكون المخلوق موجودا ان كان الحال في المستقبل مثل ما كان في الماضي لم يحدث من الرب فعل هو خلق السموات والأرض وقد قال تعالى {مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ} الكهف 51 ومعلوم أنهم قد شهدوا نفس المخلوق فدل على أن الخلق لم يشهدوه وهو تكوينه لها واحاداته لها غير المخلوق الباقى وأيضا فانه قال {خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ} الأعراف 54 فالخلق لها كان في ستة أيام وهي موجودة بعد المشيئة فالذى اختص بالمشيئة غير الموجود بعد المشيئة وكذلك {الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ} البقرة 163 فان الرحمن الرحيم هو الذى يرحم العباد بمشيئته وقدره فان لم يكن له رحمة الا نفس اراردة قديمة او صفة أخرى قديمة لم يكن موصوفا بأنه يرحم من يشاء ويعدب من يشاء قال الخليل {فُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقُ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّسَاءَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} 20 {يُعَذَّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُنْفَلُونَ} 21 العنكبوت 20-21 فالرحمة ضد التعذيب والتعذيب فعله وهو يكون بمشيئته كذلك الرحمة تكون بمشيئته كما قال {وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ} العنكبوت 1

* جاءت الكتب الإلهية بخطاب الناس بالمعقولات الصحيحة الفطرية فإن الرسل بعثوا بتقرير الفطرة وتمكيلها لا بتغيير الفطرة وتحويلها والنفس إنما تناول كمالها بسعادتها ونجاتها بالفطرة المكملة بالشرعية المنزلة ولهذا حيث ذكر الله في كتابه شيئاً من هذه الأسماء التي تدل على الفعل لم يعقل العقلاة من ذلك إلا أنه حدث كقوله تعالى {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلْمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدَلُونَ}

{**الأنعام** 1} إلى أمثال ذلك من الخطاب الذي قد علم بالإضطرار معناه وأن بناءها أمر حادث كان بعد أن لم يكن¹

إن الله خلق ادم من تراب

*قال تعالى { هُوَ الَّذِي خَلَقْتُم مِّنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمٌّ عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ } **الأنعام** 2 فإن الله خلق ادم من تراب وخلط التراب بالماء حتى صار طينا وأليس الطين حتى صار صلصالا كالفارخار¹

أجل القيامة المسمى عنده فلا يعلمه إلا هو

*قوله سبحانه { ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمٌّ عِنْدَهُ } **الأنعام** 2 فالأجل الأول هو أجل كل عبد الذي ينقضي به عمره والأجل المسمى عنده هو أجل القيامة العامة ولهذا قال { وَأَجَلٌ مُّسَمٌّ عِنْدَهُ } **الأنعام** 2 فان وقت الساعة لا يعلمه ملك مقرب ولا نبى مرسلا كما قال { يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ } الأعراف 187 بخلاف ما إذا قال مسمى قوله { إِذَا تَدَائِنْتُمْ بِدِينِ إِلَيْ أَجَلٍ مُّسَمٌّ } **البقرة** 282 إذ لم يقيد بأنه مسمى عنده فقد يعرفه العباد وأما أجل الموت فهذا تعرفه الملائكة الذين يكتبون رزق العبد وأجله و عمله و شقى أو سعيد كما قال في الصحيحين عن ابن مسعود قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان أحدكم يجمع خلقه في بطنه أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث اليه الملك فيؤمر بأربع كلمات فيقال أكتب رزقه وأجله و عمله و شقى أو سعيد ثم ينفح فيه الروح وهذا الأجل الذي هو أجل الموت قد يعلمه الله لمن شاء من عباده وأما أجل القيامة المسمى عنده فلا يعلمه إلا هو¹

{ هُوَ الَّذِي خَلَقْتُم مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمٌّ عِنْدَهُ ثُمَّ
أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ } الأنعام 2

ان الرب تعالى بائن من مخلوقاته

*قال تعالى {وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ}
الزخرف 84 أي هو إله من في السموات وإله من في الأرض
كما قال الله تعالى {وَلَهُ الْمُتَّلِّ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } الروم 27 وكذلك قوله تعالى {وَهُوَ اللَّهُ
فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ } الأنعام 3 كما فسره أئمة العلم

كالإمام احمد وغيره انه المعبد في السموات والأرض
وأجمع سلف الأمة وأئمتها على ان الرب تعالى بائن من
مخلوقاته يوصف بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من
غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل يوصف
بصفات الكمال دون صفات النقص ويعلم انه ليس كمثله شيء
في صفات الكمال كما قال الله تعالى { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } 1 الله
الصمد {2} لم يلد ولم يولد {3} ولم يكن له كفواً أحد {4}
الاخلاص 4-1 قال ابن عباس الصمد العليم الذي كمل في
علمه العظيم الذي كمل في عظمته القدير الكامل في قدرته
الحكيم الكامل في حكمته السيد الكامل في سؤده وقال ابن
مسعود وغيره هو الذي لا جوف له والحادي الذي لا نظير له
فاسمه الصمد يتضمن اتصفه بصفات الكمال ونفي
النقياص عنه واسمه الاحمد يتضمن اتصفه انه لا مثل له¹

الله سبحانه رب كل شيء ومليكه

*ولما كانت كل حركة وعمل في العالم فأصلها المحبة والإرادة
وكل محبة وإرادة لا يكون أصلها محبة الله وإرادة وجهه فهي
باطلة فاسدة كان كل عمل لا يراد به وجهه باطلًا فأعمال الثقلين
الجن والإنس منقسمة منهم من يعبد الله ومنهم من لا يعبد بل قد
 يجعل معه إليها آخر وأما الملائكة فهم عابدون لله وجميع

الحركات الخارجة عن مقدوربني آدم والجن والبهائم فهي من عمل الملائكة وتحريكها لما في السماء والأرض وما بينهما فجميع تلك الحركات والأعمال عبادات الله متضمنة لمحبته وإرادته وقصده وجميع المخلوقات عابدة لخالقها إلا ما كان من مردة النقلين وليس عبادتها إياها قبولها لتدبيره وتصريفه وخلفه فإن هذا عام لجميع المخلوقات حتى كفاربني آدم فلا يخرج أحد عن مشيئته وتدبیره وذلك بكلمات الله التي كان النبي يستعيذ بها فيقول أَعُوذُ بِكَلْمَاتِ اللَّهِ التَّامَاتِ الَّتِي لَا يَجُوزُ هُنْ بِرٌ وَلَا فاجر وهذا من عموم ربو بيته وملكه وهذا الوجه هو الذي أدركه كثير من أهل النظر والكلام حتى فسروا ما في القرآن والحديث من عبادة الأشياء وسجودها وتسبيحها بذلك وهم غالطون في هذا التخصيص شرعاً وعقلاً أيضاً فإن المعقول الذي لهم يعرفهم أن كل شيء وكل متحرك وأن كان له مبدأ فلا بد له من غاية ومتى كما يقولون لها علتان فاعلية وغائية والذي ذكروه إنما هو من جهة العلة الفاعلية وبعض المخلوقين كذلك يجعلونه من جهة العلة الغائية وهذا غلط فلا يصلح أن يكون شيء من المخلوقات علة فاعلية ولا غائية إذ لا يستقل مخلوق بأن يكون علة تامة قط ولها لم يصدر عن مخلوق واحد شيء قط ولا يصدر شيء في الآثار إلا عن اثنين من المخلوقات كما قد بينا هذا في غير هذا الموضوع وكذلك لا يصلح شيء من المخلوقات أن يكون علة غائية تامة إذ ليس في شيء من المخلوقات كمال مقصود حتى من الأحياء فالمخلوقات بأسرها يجتمع فيها هذان النقصان أحدهما أنه لا يصلح شيء منها أن تكون علة تامة لا فاعلية ولا غائية والثاني أن ما كان فيها علة فله علة سواء كان علة فاعلية أو غائية فالله سبحانه رب كل شيء وملكيه وهو رب العالمين لا رب لشيء من الأشياء إلا هو وهو إلى الله كل شيء وهو في السماء إليه وفي الأرض إليه وهو الله في السموات وفي الأرض لو كان فيهما إله إلا الله لفسدنا وما من إليه إلا الله سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً

فعبادة المخلوقات وتسبيحها هو من جهة إلهيته سبحانه وتعالى
وهو الغاية المقصودة منها ولها¹

* وهو كما يشهد ربوبيته وتديبره العالم المحيط وحكمته
ورحمته فكذلك يشهد إلهيته العامة فانه {وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ إِلَهٌ
وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ} الزخرف 84 إله في السماء وإله في الأرض
{يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأنٍ
الرحمن 29 وكذلك قوله {وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي
الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهَرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ} الأنعام 3 على
أحد القولين على وقف من يقف عند قوله {وَفِي الْأَرْضِ
{الأنعام 3 فان المعنى هو في السموات الله وفي الأرض الله ليس
فيهما من هو الله غيره وهذا وان كان مشابها لقوله {وَهُوَ
الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ} الزخرف 84 فهو أبلغ
منه ونظيره قوله {لَوْ كَانَ فِيهِمَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ أَفْسَدَتَا} الأنبياء 22
وقد قال تعالى {وَهُوَ الَّذِي بَيَّنَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ
وَلَهُ الْمَثُلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}
{الروم 27 وقوله {سَبَّحَ اللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} الحديد 1 وقوله {وَلَهُ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكُرْهًا وَظَلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْأَصَالِ}
{الرعد 15 وهذا من معانى أوهيته وخصوص الكائنات وأسلامها
له وافتقارها اليه وسؤالها اياته ودعاء الخلق اياته اما دعاء عبادة
اما دعاء مسألة واما دعاؤهما جميعا ومن اعرض عنه
وقت الاختيار {وَإِذَا مَسَكْمُ الْضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ
إِلَّا إِيَاهُ} الإسراء 67 {أَمَّنْ يُحِبُّ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ} النمل 62
ونشهد أن كل معبود سواه من لدن عرشه الى قرار أرضه فإنه
باطل الا وجهه الكريم كما نشهد أنها كلها مفتقرة اليه في مبدئها
نشهد أنها مفتقرة اليه في منتهاها والا كانت باطلة¹

حلول المثال العلمي

*(فيه نقص في البداية) قال تعالى {وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي
 الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهَرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ } الأنعام 3 يراد به
 حلول المثال العلمي ومن هذا الباب ما يرويه النبي عن ربه قال
 يقول الله أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه فأخبر أن
 شفتيه تتحرك به أي باسمه وكذلك قوله في الحديث الصحيح
 عبدي مرضت فلم تعدني فيقول العبد رب كيف أعودك وأنت
 رب العالمين فيقول أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلو عدته
 لوجدتني عنده فقال لوجدتني عنده ولم يقل لوجدتني إياه وهو
 عنده أي في قلبه والذي في قلبه المثال العلمي وقال تعالى
 عبدي جعت فلم تطعني فيقول وكيف أطعمك وأنت رب
 العالمين فيقول أما علمت أن عبدي فلانا جاء فلو أطعمته لوجدت
 ذلك عندي ولم يقل لوجدتني قد أكلته وكذلك قوله في الحديث
 الصحيح الذي رواه البخاري عن أبي هريرة عن النبي قال يقول
 الله تعالى من عادى لي ولها فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلى
 عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقارب إلى
 بالنواول حتى أحبه فإذا أحبته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره
 الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها
 وفي رواية فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي وإن
 سألني لأعطيته وإن استعاذه لأعيذه وما ترددت عن شيء أنا
 فاعله ترددت عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره
 مساعته وهذا الحديث قد يحتاج به القائلون بالحلول العام أو
 الاتحاد العام أو وحدة الوجود وقد يحتاج به من يقول بالخاص من
 ذلك كأشباء النصارى والحديث حجة على الفريقين فإنه قال
 من عادى لي ولها فقد آذنته بالحرب فأثبتت ثلاثة ولها له وعدوا
 يعادى ولها وميز بين نفسه وبين ولها وعدو ولها فقال من
 عادى لي ولها فقد آذنته بالحرب ولكن دل ذلك على أن ولها الذي
 والاه فصار يحب ما يحب ويبغض ما يبغض ويواتي من يواتي
 ويعادى من يعادى فيكون الرب مؤذنا بالحرب لمن عاداه بأنه
 معاد لله ثم قال تعالى وما تقرب إلى عبدي بمثل أداء ما

افتراضت عليه فرق بين العبد المتقرب والرب المتقرب إليه ثم قال ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنواقل حتى أحبه فيبين أنه يحبه بعد تقربه بالنواقل والفرائض ثم قال فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وعند أهل الحلول والاتحاد العام أو الوحدة هو صدره وبطنه وظهره ورأسه وشعره وهو كل شيء أو في كل شيء قبل التقرب وبعده وعند الخاص وأهل الحلول صار هو وهو كالنار والحديد والماء واللبن لا يختص بذلك آلة الإدراك والفعل ثم قال تعالى فبِي يسمع وَبِي يَبْصُرُ وَبِي يَبْطِشُ وَبِي يَمْشِي وَعَلَى قَوْلِ هُوَلَاءِ الرَّبِّ هُوَ الَّذِي يَسْمَعُ وَيَبْصُرُ وَيَبْطِشُ وَيَمْشِي وَالرَّسُولُ إِنَّمَا قَالَ فَبِي ثُمَّ قَالَ وَلَئِنْ سَأَلْتَنِي لَأُعْطِيَنِي لَأُعْيَنْنِي فَجَعَلَ الْعَبْدَ سَائِلاً مُسْتَعِيْداً وَالرَّبُّ مَسْؤُلًا مُسْتَعِداً بَهُ وَهَذَا يَنْاقِضُ الْإِتْهَادَ وَقَوْلَهُ فَبِي يَسْمَعُ مُثُلَّ قَوْلِهِ مَا تَحْرَكَ بِي شَفَتاهُ يَرِيدُ بِهِ الْمَثَالُ الْعَلْمِيِّ وَقَوْلُ اللَّهِ فَيَكُونُ اللَّهُ فِي قَلْبِهِ أَيُّ مَعْرِفَتَهُ وَمَحْبَبَتَهُ وَهَدَاهُ وَمَوَالَاتَهُ وَهُوَ الْمَثَلُ الْعَلْمِيُّ فِي ذَلِكَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ يَسْمَعُ وَيَبْصُرُ وَيَبْطِشُ وَيَمْشِي وَالْمَخْلُوقُ إِذَا أَحَبَّ الْمَخْلُوقَ أَوْ عَظَمَهُ أَوْ أَطَاعَهُ يَعْبُرُ عَنْهُ بِمُثُلِّهِ هَذَا فَيَقُولُ أَنْتَ فِي قَلْبِي وَفِي فَوَادِي وَمَا زَلْتَ بَيْنَ عَيْنِي وَمِنْهُ قَوْلُ الْفَائِلِ مَثَالُكَ فِي عَيْنِي وَذِكْرُكَ فِي فَمِي وَمَثُواكَ فِي قَلْبِي فَأَيْنَ تَغِيبُ وَقَوْلُ الْآخِرِ وَمِنْ عَجَبِي أَنِّي أَحَنَّ إِلَيْهِمْ وَأَسْأَلُ عَنْهُمْ مِنْ لَقِيتِهِمْ وَهُمْ مَعِي وَتَطْلِبُهُمْ عَيْنِي وَهُمْ فِي سَوَادِهَا وَيَشْتَاقُهُمْ قَلْبِي وَهُمْ بَيْنَ أَضْلَعِي وَمُثُلِّهِ هَذَا كَثِيرٌ مَعَ عِلْمِ الْعُقَلَاءِ أَنْ نَفْسَ الْمَحْبُوبِ الْمُعْبُودُ هُوَ فِي نَفْسِهِ لَيْسَ ذَاتَهُ فِي عَيْنِ مَحْبِهِ وَلَا فِي قَلْبِهِ وَلَكِنْ قَدْ يَشْتَبِهُ هَذَا بِهِذَا حَتَّى يَظْنَنَ الْغَالِطُونَ أَنْ نَفْسَ الْمَحْبُوبِ الْمُعْبُودِ فِي ذَاتِ الْمَحْبُوبِ الْعَابِدِ وَلَذِكَّرِ غُلْطُ بَعْضِ الْفَلَاسِفَةِ حَتَّى ظَنَّوْا أَنْ ذَاتَ الْمَعْلُومِ الْمَعْقُولِ يَتَحَدَّدُ بِالْعَالَمِ الْعَاقِلِ فَجَعَلُوا الْمَعْقُولَ وَالْعَاقِلَ وَالْعَاقِلَ شَيْئًا وَاحِدًا وَلَمْ يَمْيِيزُوا بَيْنَ حُلُولِ مَثَالِ الْمَعْلُومِ وَبَيْنَ حُلُولِ ذَاتِهِ وَهَذَا يَكُونُ لِضَعْفِ الْعَقْلِ وَقُوَّةِ سُلْطَانِ الْمُحْبَّةِ وَالْمُعْرِفَةِ فِي غَيْبِ الإِنْسَانِ

بمعبوده عن عبادته وبمحبوبه عن محبته وبمشهوده عن شهادته وبمعروفة عن معرفته فيبني من لم يكن عن شهود العبد لا أنه نفسه يعدم وييفى في من لم ينزل في شهوده فيبني أن يعرف هذا النوع من الكلام فإنه تحل به إشكالات كثيرة فإن هذا موجود في كلام الله ورسله وكلام المخلوقين في عامة الطوائف مع ظهور المعنى ومعرفة المتكلم والمخاطب أنه ليس المراد أن ذات أحدهما اتحدت بذات الآخر بل أبلغ من ذلك يطلق لفظ الحلول والاتحاد ويراد به معنى صحيح كما يقال فلان وفلان بينهما اتحاد إذا كانا متفقين فيما يحبان ويبغضان ويyoاليان ويعاديان فلما اتحد مرادهما ومقصودهما صار يقال هما متحددان وبينهما اتحاد ولا يعني بذلك أن ذات هذا اتحدت بذات الآخر كاتحاد النار والحديد والماء واللبن أو النفس والبدن وكذلك لفظ الحلول والسكنى والتخلل وغير ذلك¹

*فالمؤمنون يعرفون الله ويحبونه ويعبدونه ويدذكرونه ويقال هو في قلوبهم والمراد معرفته ومحبته وعبادته وهو المثل العلمي ليس المراد نفس ذاته كما يقول الإنسان لغيره أنت في قلبي وما زلت في قلبي وبين عيني ويقال ساكن في القلب يعمره لست أنساه فاذكره¹

* وهو سبحانه وتعالى قد وصف نفسه في كتابه وفي سنة نبيه بقربه من الداعي وقربه من المقرب إليه فقال تبارك وتعالى {وَإِذَا سَأَلْتَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُحِبُّ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِي } البقرة 186 وثبت في الصحيحين عن أبي موسى أنهم كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فكانوا يرفعون أصواتهم بالتكبير فقال أيها الناس أربعوا على أنفسكم فانكم لا تدعون أصم ولا غائبًا انما تدعون سميوا قريباً أن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته وفي الصحيحين عن النبي يقول الله تعالى من تقرب إلى شبراً تقربت إليه ذراعاً ومن تقرب إلى ذراعاً تقربت إليه باعاً ومن أتانى يمشى

أتىته هرولة وقربه من العباد بتقربهم إليه مما يقربه جميع من يقول أنه فوق العرش سواء قالوا مع ذلك أنه تقوم به الأفعال الاختيارية أو لم يقولوا وأما من ينكر ذلك فمنهم من يفسر قرب العباد بكونهم يقاربونه ويشابهونه من بعض الوجوه فيكونون قريبين منه وهذا تفسير أبي حامد والمتفلسفة فانهم يقولون الفلسفة هي التشبه بالله على قدر الطاقة ومنهم من يفسر قربهم بطاعتهم ويفسر قربه باثابته وهذا تفسير جمهور الجهمية فانهم ليس عندهم قرب ولا تقريب أصلاً ومما يدخل في معانى القرب وليس في الطوائف من ينكره قرب المعروف والمعبود إلى قلوب العارفين العابدين فان كل من أحب شيئاً فانه لابد ان يعرفه ويقرب من قلبه والذى يبغضه يبعد من قلبه لكن هذا ليس المراد به أن ذاته نفسها تحل في قلوب العارفين العابدين وإنما في القلوب معرفته وعبادته ومحبته والإيمان به ولكن العلم يطابق المعلوم وهذا الإيمان الذي في القلوب هو المثل الأعلى الذي له في السموات والأرض وهو معنى قوله تعالى {وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ} الزخرف 84 وقوله {وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهَرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ} الأنعام 3 وقد غلط في هذه الآية طائفة من الصوفية وال فلاسفة وغيرهم فجعلوه حلول الذات وإن اتحادها بالعبد والعارف من جنس قول النصارى في المسيح وهو قول باطل كما قد بسط في موضعه والذين يثبتون تقربيه العباد إلى ذاته هو القول المعروف للسلف والأئمة وهو قول الأشعري وغيره من الكلابية فانهم يثبتون قرب العباد إلى ذاته وكذلك يثبتون إستواءه على العرش بذاته ونحو ذلك ويقولون الاستواء فعل فعله في العرش فصار مستويًا على العرش وهذا ايضاً قول ابن عقيل وابن الزاغوني وطوائف من أصحاب أحمد وغيرهم وأما دنوه نفسه وتقربه من بعض عباده فهذا يثبته من يثبت قيام الأفعال الاختيارية بنفسه ومجيئه يوم القيمة ونزوله واستوانه على العرش وهذا مذهب أئمة

السلف وأئمة الاسلام المشهورين وأهل الحديث والنقل عنهم بذلك متواتر وأول من أنكر هذا في الاسلام الجهمية ومن وافقهم من المعتزلة وكانوا ينكرون الصفات والعلو على العرش ثم جاء ابن كليب فخالفهم في ذلك واثبت الصفات والعلو على العرش لكن وافقهم على أنه لا تقوم به الامور الاختيارية ولهذا أحدث قوله في القرآن أنه قد تم لم يتم به بقدرته ولا يعرف هذا القول عن أحد من السلف بل المتواتر عنهم أن القرآن كلام الله غير مخلوق وإن الله يتكلم بمشيئته وقدرته كما ذكرت ألفاظهم في كتب كثيرة في مواضع غير هذا فالذين يثبتون أنه كل موسى بمشيئته وقدرته كلاما قائما به هم الذين يقولون أنه يدuno ويقرب من عباده بنفسه¹

{الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى }

قال الإمام أحمد في كتابه الذي كتبه في الرد على الجهمة والزنادقة بيان ما أنكرت الجهمية الضلال أن يكون الله على العرش وقد قال تعالى {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى } طه 5 وقال {خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} الأعراف 54 فقالوا هو تحت الأرض السابعة كما هو على العرش فهو على العرش وفي السموات وفي الأرض وفي كل مكان لا يخلو منه مكان ولا يكون في مكان دون مكان ويثنون آيات من القرآن {وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ} الأنعام 3 قلنا قد عرف المسلمين أماكن كثيرة ليس فيها من عظيم الرب شيء فقالوا أى شيء قلنا أحشاءكم واجوفكم واجواف الخنازير والحسوش والأماكن القدرة ليس فيها من عظيم الرب شيء وقد أخبرنا أنه في السماء فقال {أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ} الملك 16 وقد قال جل ثناؤه {إِلَيْهِ يَصْدُعُ الْكَلْمُ الطَّيِّبُ} فاطر 10 وقال تعالى {إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ} آل عمران 55

وقال تعالى {بِلْ رَفَعَهُ اللّٰهُ إِلٰيْهِ} النساء 158 وقال تعالى {وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ} الأنبياء 19 وقال تعالى {يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مَنْ فَوْقُهُمْ} النحل 50 وقال تعالى {ذِي الْمَعَارِجِ} 3 تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلٰيْهِ} 4 المعارض 3-4 وقال تعالى {وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ} الأنعام 18 وقال تعالى {وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ} الشورى 4 قال فهذا خبر الله أنه في السماء ووجدنا كل شيء في اسفل مذموما يقول جل ثناؤه {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرِكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ} النساء 145 وقال تعالى {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ أَصْلَانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونُنَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ} فصلت 29 وقالنا لهم أليس تعلمون ان ابليس مكانه مكان الشياطين مكانهم مكان فلم يكن الله ليجتمع هو وابليس في مكان واحد ولكن معنى قوله عز وجل **{وَهُوَ اللّٰهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ} الأنعام 3** يقول هو الله من في السموات واله من في الأرض وهو الله على العرش وقد أحاط علمه بما دون العرش لا يخلو من علم الله مكان ولا يكون علم الله في مكان دون مكان وذلك قوله {لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللّٰهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللّٰهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا} الطلاق 12 وقال من الاعتبار في ذلك لو أن رجلاً كان في يده قدح من قوارير صاف وفيه شيء صاف لكان نظر ابن آدم قد أحاط بالقدح من غير أن يكون ابن آدم في القدح والله وله المثل الأعلى قد أحاط بجميع خلقه من غير أن يكون في شيء من خلقه وحصلة أخرى لو أن رجلاً بنى داراً بجميع مرافقتها ثم أغلق بابها وخرج كان ابن آدم لا يخفى عليه كم بيت في داره وكم سعة كل بيت من غير أن يكون صاحب الدار في جوف الدار فالله عز وجل وله المثل الأعلى قد أحاط بجميع ما خلق وعلم كيف هو وما هو من غير أن يكون في شيء مما خلق¹

النسخ لا يجوز في الأخبار

*وقال الإمام أبو عبدالله الحارت بن اسماعيل بن أسد المحاسبي في كتابه المسمى فهم القرآن قال في كلامه على الناسخ والمنسوخ وأن النسخ لا يجوز في الأخبار قال لا يحل لأحد أن يعتقد أن مدح الله وصفاته ولا أسماءه يجوز أن ينسخ منها شيء إلى أن قال وكذلك لا يجوز إذا أخبر أن صفاته حسنة علياً أن يخبر بذلك أنها دنية سفلية فيصف نفسه بأنه جاهل ببعض الغيب بعد أن أخبر أنه عالم بالغيب وأنه لا يبصر ما قد كان ولا يسمع الأصوات ولا قدره له ولا يتكلم ولا كلام كان منه وأنه تحت الأرض لا على العرش جل وعلا عن ذلك فإذا عرفت ذلك واستيقنته علمت ما يجوز عليه النسخ وما لا يجوز فان تلوت آية في ظاهر تلاوتها تحسب أنها ناسخة لبعض أخباره وكذلك قوله تعالى {وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ} [الأنعام: 18] وقوله {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ إِسْتَوَى} [طه: 5] وقوله {إِنَّمَا نَتَّلِعُ مَنْ فِي السَّمَاءِ} [الملك: 16] وقوله {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلْمُ الطَّيْبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ} [فاطر: 10] وقال {يُبَيِّنُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ} [السجدة: 5] وقال {تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ} [المعارج: 4] وقال لعيسي {إِنِّي مُتَوْفِيَّ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطْهِرُكَ مِنَ الظِّينَ كَفَرُوا} [آل عمران: 55] الآية وقال {بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ} [النساء: 158] وقال {إِنَّ الظِّينَ عِنْ رَبِّكَ لَا يَسْتَكِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ} [الأعراف: 206] وذكر الآلهة أن لو كان الله لا يبتغوا إلى ذي العرش سبيلاً حيث هو فقال {قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ إِلَهٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَأْبَتَغَوا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا} [الإسراء: 42] أى طلبه وقال {سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} {الأعلى: 1} قال أبو عبدالله فلن ينسخ ذلك لهذا أبداً كذلك قوله {وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ} [الزخرف: 84] وقوله {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ} [ق: 16] وقوله {وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ}

يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ {الأنعام 3} قوله { مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى
 ثَلَاثَةٌ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ } المجادلة 7 الآية فليس هذا بناسخ لهذا ولا
 هذا ضد لذلك وأعلم أن هذه الآيات ليس معناها أن الله أراد
 الكون بذاته فيكون في أسفل الأشياء أو ينتقل فيها لانتقالها
 ويتبغض فيها على أقدارها ويزول عنها عند فنائها جل وعز عن
 ذلك وقد نزع بذلك بعض أهل الضلال فزعموا أن الله تعالى في
 كل مكان بنفسه كائنا كما هو على العرش لا فرقان بين ذلك ثم
 أحالوا في النفي بعد تثبيت ما يجوز عليه في قوله ما نفوه لأن
 كل من يثبت شيئا في المعنى ثم نفاه بالقول لم يعن عنه نفيه
 بلسانه واحتجوا بهذه الآيات أن الله تعالى في كل شيء بنفسه
 كائنا ثم نفوا معنى ما أثبتوه فقالوا لا كالشىء في الشىء قال

ابو عبدالله لنا قوله { حَتَّىٰ نَعْلَمْ } محمد 31 { وَسَيَرَى اللَّهُ
 } التوبة 94 { إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ } الشعراء 15 فانما معناه
 حتى يكون الموجود فيعلمه موجودا ويسمعه مسموعا ويبصره
 مبصرا لا على استحداث علم ولا سمع ولا بصر وأما قوله
 { وَإِذَا أَرَدْنَا } الإسراء 16 اذا جاء وقت كون المراد فيه وان
 قوله { عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى } طه 5 { وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ
 } الأنعام 18 الآية { أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ } الملك 16 { إِذَا
 لَا يَتَغَرَّبُ إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا } الإسراء 42 فهذا وغيره مثل قوله
 { تَعْرُجُ الْمَلَائِكَهُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ } المعارج 4 { إِلَيْهِ يَصْعُدُ الْكَلْمُ
 الطَّيِّبُ } فاطر 10 هذا منقطع يوجب أنه فوق العرش فوق
 الأشياء كلها منزه عن الدخول في خلقه لا يخفى عليه منهم خافية
 لأنه أبان في هذه الآيات أنه أراد أنه بنفسه فوق عباده لأنه قال
 { أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ } الملك 16 يعني
 فوق العرش والعرش على السماء لأن من قد كان فوق كل شيء
 على السماء في السماء وقد قال مثل ذلك في قوله { فَسِيحُوا فِي
 الْأَرْضِ } التوبة 2 يعني على الأرض لا يريد الدخول في
 جوفها وكذلك قوله { يَتَبَيَّهُونَ فِي الْأَرْضِ } المائدة 26 يعني
 على الأرض لا يريد الدخول في جوفها وكذلك قوله {

وَلَا أَصْلَبْنَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ } طه 71 يعني فوقها عليها وقال {أَمِنْتُم مَّنْ فِي السَّمَاءِ } الملك 16 ثم فصل فقال {أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ } الملك 16 ولم يصل فلم يكن لذلك معنى اذا فصل قوله {مَنْ فِي السَّمَاءِ } الملك 16 ثم استأنف التخويف بالخسف إلا أنه على عرشه فوق السماء وقال تعالى {يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ } السجدة 5 وقال {تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ } المعارج 4 فيبين عروج الأمر وعروج الملائكة ثم وصف وقت صعودها بالارتفاع صاعدة اليه فقال {فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةً } المعارج 4 فقال صعودها إليه وفصله من قوله إليه كقول القائل اصعد إلى فلان في ليلة أو يوم وذلك أنه في العلو وإن صعودك إليه في يوم فإذا صعدوا إلى العرش فقد صعدوا إلى الله عز وجل وإن كانوا لم يروه ولم يساووه في الإرتفاع في علوه فإنهم صعدوا من الأرض ورجعوا بالأمر إلى العلو قال تعالى {بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ } النساء 158 ولم يقل عنده¹

*قال الله تعالى {وَلَهُ الْمِثْلُ الْأَعْلَى } الروم 27 وكقوله {وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ } الزخرف 84 {وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ } الأنعام 3 وهو المثل في قوله {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ } الشورى 1 فإنه سبحانه لا يماثله شيء أصلا فنفسه المقدسة لا يماثلها شيء من الموجودات وصفاتها لا يماثلها شيء من الصفات وما في القلوب من معرفته لا يماثله شيء من المعارف ومحبته لا يماثلها شيء فله المثل الأعلى كما أنه في نفسه الأعلى¹

الكب هو الفعل الذي يعود على فاعله بنفع أو ضر

*قال تعالى {وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ } الأنعام 3 أن الكسب هو الفعل الذي يعود على فاعله بنفع أو ضر كما قال تعالى {لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ } البقرة 286 فيبين سبحانه أن كسب النفس

لها أو عليها و الناس يقولون فلان كسب مالاً أو حمداً أو شرفاً كما
أنه ينتفع بذلك^١

الآيات والبراهين الدالة على نبوة محمد كثيرة متنوعة

* والأيات والبراهين الدالة على نبوة محمد كثيرة متنوعة وهي أكثر وأعظم من آيات غيره من الأنبياء ويسمى بها من يسمى بها من الناظار معجزات وتسمى دلائل النبوة وأعلام النبوة وهذه الألفاظ إذا سميت بها آيات الأنبياء كانت أدل على المقصود من لفظ المعجزات ولهذا لم يكن لفظ المعجزات موجوداً في الكتاب والسنة وإنما فيه لفظ الآية والبينة والبرهان وأما لفظ الآيات فكثير في القرآن كقوله تعالى في حق محمد {وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ} {٤} فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءً مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} {٥}

الانعام-٤٥

الآيات والبراهين الدالة على نبوة محمد كثيرة متنوعة

* والأيات والبراهين الدالة على نبوة محمد كثيرة متنوعة وهي أكثر وأعظم من آيات غيره من الأنبياء ويسمى بها من يسمى بها من الناظار معجزات وتسمى دلائل النبوة وأعلام النبوة وهذه الألفاظ إذا سميت بها آيات الأنبياء كانت أدل على المقصود من لفظ المعجزات ولهذا لم يكن لفظ المعجزات موجوداً في الكتاب والسنة وإنما فيه لفظ الآية والبينة والبرهان وأما لفظ الآيات فكثير في القرآن كقوله تعالى في حق محمد {وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ} {٤} فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءً مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} {٥}

الانعام-٤٥

* وما ينبغي أن يعلم أن الله إذا أرسل نبياً وأنهى بأية دالة على صدقه قامت بها الحجة وظهرت بها المحة فمن طالبهم بأية ثانية لم تجب إجابته إلى ذلك بل وقد لا ينبغي ذلك لأنه إذا جاء

بآية ثانية طولب بثالثة وإذا جاء بثلاثة طلوب برابعة وطلب المتعنتين لا أمد له ومعلوم أنه قامت عليه حجة في مسألة علم أو حق من حقوق العباد التي يتخاصلون فيها وقال أنا لا أقبل حتى تقول عليه حجة ثانية وثالثة كان ظالماً متعدياً ولم يجب إجابته إلى ذلك ولا يمكن الحكم الخصوم من ذلك بل إذا قامت البينة بحق المدعى حكم له بذلك ولو قال المطلوب أريد بینة ثانية وثالثة ورابعة لم يجب إلى ذلك فحق الله الذي اوجبه على عباده من توحيده والإيمان به وبرسله أولى إذا أقام بینة أوجبت على الخلق الإيمان برسله أن لا يجب إجابة الطالب إلى ثانية وثالثة ثم قد يكون في تتبع الآيات حكمة فيتبع تعالى بين الآيات كما أرسل محمداً صلى الله عليه وسلم بآيات متعددة لعموم دعوته وشمولها فإن الأدلة كلما كثرت وتواترت على مدلول واحد كان أوكد وأظهر وأيسر لمعرفة الحق فقد يعرف دلالة أحد الأدلة من لا يعرف الآخر وقد يبلغ هذا ما لم يبلغ هذا وقد يرسل الأنبياء بآيات متابعة وتقسى قلوب الكفار عن الإيمان لتابع الآيات آية بعد آية لينتشر ذلك ويظهر ويبلغ ذلك قوماً آخرين فيكون ذلك سبباً لإيمانهم كما فعل بآيات موسى وآيات محمد كما ذكر في التوراة أنه يقسى قلب فرعون لظهور عجائبه وآياته وكما صد المكذبين عن الإيمان بمحمد حتى يمانعوه ويسعوا في معارضته والقدح في آياته فيظهر بذلك عجزهم عن معارضة القرآن وغيره من آياته فيكون ذلك من تمام ظهور آياته وبراهينه بخلاف ما لوى اتبع ابتداء بدون ذلك فإنه قد كان يظن أنهم قادرون على معارضته وكذلك أيضاً يكون في ذلك على يقينه وصبره وجهاده ويعين من آمن به وصبرهم وجهادهم ما ينالون به عظيم الدرجات في الدنيا والآخرة وقد تقتضي الحكمة أن لا يرسل بالآيات التي توجب عذاب الاستئصال كما ذكره الله في كتابه من أن الكفار كانوا يقترون على الأنبياء آيات غير الآيات التي جاؤوا بها فتارة يجيئهم الله إلى ذلك لما فيه من الحكمة والمصلحة وتارة لا يجيئهم لما فيه في ذلك من المضررة والمفسدة عند

جمهور أهل الملل من المسلمين وغيرهم الذين يقولون إنه يفعل للحكمة ومن لم يعلل أفعاله يرد ذلك إلى محض المشيئة ويقول إقتنى بالمراد والمفسدة عادة وسنة من الله وإن لم يفعل هذا لهذا وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم ربما طلب تلك الآيات رغبة منه في إيمانهم بها فيجاب بأن الآيات لا تستلزم الهدى بل تستلزم إقامة الحجة وتوجب عذاب الاستئصال لمن كذب بها والله تعالى قد يظهر الآيات الكثيرة مع طبعه على قلب الكافر كما فعل بفرعون وأبي لهب وغيرهما لما في ذلك من الحكمة العظيمة كما دل على ذلك القرآن والتوراة وغيرهما وقد بين أنه لا يظهرها لانتفاء الحكمة فيها أو لوجود المفسدة قال تعالى {
 وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لِيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا
 الْآيَاتُ عِنْدَ اللهِ وَمَا يُشَعِّرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ} 109
 وَنَقْلُبُ أَفْئَدَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةً وَنَدْرُهُمْ فِي
 طُعْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} 110 { وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَمْهُمْ
 الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبْلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ
 اللهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ} 111 { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عُذُواً
 شَيَاطِينَ النَّاسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمُ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ
 غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلَوْهُ فَدَرْهُمٌ وَمَا يَنْفِرُونَ} 112
 الانعام 109-112 قال تعالى {وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلَّا
 أَنْ كَذَبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَأَتَيْنَا تَمْوِيدَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا
 نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا} الإسراء 59 بين سبحانه أنما منعه
 أن يرسل بالآيات إلا تكذيب الأولين بها الذي استحقوا بها الهلاك
 فإذا كذب بها هؤلاء استحقوا ما استحقه أولئك من عذاب

الاستئصال وهذا المعنى مذكور في عامة كتب التفسير والحديث
 وغيرها من كتب المسلمين وهو معروف بالأسانيد الثابتة عن
 الصحابة والتابعين لهم بإحسان فقد ذكر المفسرون ما رواه أهل
 التفسير وال الحديث والمسند وغيرهم من حديث الأعمش عن جعفر
 بن إيسا عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال سأله أهل مكة
 النبي صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم الصفا ذهبا وأن ينحي

عنهم الجبال حتى يزرعوا قال فقيل له إن شئت تستأني بهم وإن
 شئت أن تؤتني بهم فأنزل الله هذه الآية {وَمَا مَنَعَنَا أَنْ
 قَالَ لَا بِلِ أَسْتَأْنِي بِهِمْ فَإِنَّهُمْ كُفَّارٌ كَمَا هُنَّ
 قَبْلَهُمْ بِالآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبُوا بِهَا الْأَوَّلُونَ وَأَتَيْنَا ثُمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً
 فَظَلَّمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا} الإسراء 59 وروى ابن
 أبي حاتم وغيره عن مالك بن دينار قال سمعت الحسن البصري
 في قوله {وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبُوا بِهَا الْأَوَّلُونَ
 } الإسراء 59 قال رحمة لكم ايتها الأمة أنا لو أرسلنا بالآيات
 فكذبتم بها اصابكم ما أصاب من قبلكم وفي الانجيل أن اليهود
 طلبوا من المسيح آية من السماء فقال لهم المسيح الأمة الفاجرة
 تطلب آية ولا تعطى إلا مثل آية نونان وقد كانت الآيات يأتي بها
 محمد صلى الله عليه وسلم آية بعد آية فلا يؤمنون بها وقد كانت
 الآيات يأتي بها محمد صلى الله عليه وسلم آية بعد آية فلا
 يؤمنون بها قال تعالى {وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ رَبِّهِمْ إِلَّا
 كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ} 4 فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ
 يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءٌ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ 5 أَلَمْ يَرَوْا كُمْ أَهْلُكَنَا مِنْ
 قَبْلِهِمْ مَنْ قَرْنَ مَكَانَاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ
 عَلَيْهِمْ مَدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلُكَنَا هُمْ بِذُنُوبِهِمْ
 وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنَانَا أَخْرَيَنَ 6 وَلَوْ أَنَّ زَلَّنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي
 قِرْطَاسٍ فَلَمَسْوُهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سُحْرٌ
 مُبِينٌ 7 وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنَّزَلْنَا مَلَكًا لَقَضَيَ الْأُمُورُ
 ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ 8 وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ
 مَا يُلِسُّونَ 9 وَلَقَدْ اسْتَهْزَئَ بِرُسُلِنَا مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ
 سَخَرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ 10 فَلَمْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ
 ثُمَّ انْظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ 11 سورة الأنعام 4-11
 أخبر سبحانه بأن الآيات تأتيهم {وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ رَبِّهِمْ
 إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ} الأنعام 4 وأنهم بتكذيبهم الحق سوف
 يرون صدق ما جاء به الرسول كما أهلك من قبلهم بذنبهم التي
 هي تكذيب الرسول فإن الله يقول {وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى}

حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَّهَا رَسُولًا يَنْذِلُ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ } القصص 59 وأخبر بشدة كفرهم بأنه {وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمْسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ } الأنعام 7 وبين سبحانه أنه لو جعل الرسول ملكاً لجعله على صورة الرجل إذ كانوا لا يطيقون أن يروا الملائكة في صورهم وحينئذ فكان اللبس يقع لظنهم أن الرسول ¹ بشر لا ملك

الذكاء والأخلاق لا يوجب النجاة الا بالايمان بالله وتوحيده

*قد جعل الله لكل شيء قدرًا والقوم وان كان لهم ذكاء وفطنة وفيهم زهد وأخلاق لهذا القدر لا يوجب السعادة والنجاة من العذاب الا بالاصول المتقدمة من الايمان بالله وتوحيده واخلاص عبادته والايمان برسله وبالاليوم الاخر والعمل الصالح وإنما قوة الذكاء بمنزلة قوة البدن وقوة الارادة فالذى يؤتى فضائل علمية وارادية بدون هذه الاصول يكون بمنزلة من يؤتى قوة فى جسمه وبدنه بدون هذه الاصول وأهل الرأي والعلم بمنزلة اهل الملك والامارة وكل من هؤلاء وهؤلاء لا ينفعه ذلك شيئاً الا ان يعبد الله وحده لا شريك له ويؤمن برسله وبالاليوم الآخر وهذه الامور متلازمة فمن عبد الله وحده لزم ان يؤمن برسله ويؤمن بالاليوم الاخر فيستحق الثواب والا كان من اهل الوعيد يخلد في العذاب هذا اذا قامت عليه الحجة بالرسل ولما كان كل واحد من اهل الملك والعلم قد يعارضون الرسل وقد يتبعونهم ذكر الله ذلك في كتابه في غير موضع فذكر فرعون والذى حاج ابراهيم في ربه لما آتاه الله الملك والملا من قوم نوح وعاد

وغيرهم من المستكبرين المكذبين للرسل وذكر قول علمائهم
 قوله {فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُّهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَحُوا بِمَا عِنْدَهُم مِّنَ الْعِلْمِ
 وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهِزُونَ} 83 {فَلَمَّا رَأَوْا بِمَا سَنَا قَالُوا أَمَّا
 بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرُنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ} 84 {فَلَمْ يَأْكُلُونَهُمْ إِيمَانَهُمْ
 لَمَّا رَأَوْا بِمَا سَنَا سُنْنَتِ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ
 الْكَافِرُونَ} 85 غافر 85-83 وقال تعالى {مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ
 اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرِبُنَّكَ تَقْلِبُهُمْ فِي الْبَلَادِ} 4 {كَذَّبُتْ قَاتِلُهُمْ
 قَوْمُ نُوحَ وَالْأَحْرَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ
 وَجَادُلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوْا بِهِ الْحَقَّ فَأَخْذَتْهُمْ فَكَيْفَ كَانَ
 عَقَابٌ} 5 غافر 5-4 الى قوله {الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ
 سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتاً عَنَّ اللَّهِ وَعَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَّاكَ يَطْبَعُ اللَّهُ
 عَلَى كُلِّ قُلْبٍ مُّتَكَبِّرٍ جَبَارٌ} غافر 35 والسلطان هو الوحي
 المنزل من عند الله كما ذكر ذلك في غير

موضع قوله {أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ
 يُشْرِكُونَ} الروم 35 وقوله {مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ}
 {الأعراف} 71 وقال ابن عباس كل سلطان في القرآن فهو
 الحجة ذكره البخاري في صحيحه وقد ذكر في هذه
 السورة سورة حم غافر من حال مخالفي الرسل من الملوك
 والعلماء مثل مقول الفلاسفة وعلمائهم ومجادلتهم واستكبارهم ما
 فيه عبرة مثل قوله {إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ
 سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كَبِيرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ} غافر 56
 ومثل قوله {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنِّي يُصْرَفُونَ
 } 69 {الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلُنَا فَسَوْفَ
 يَعْلَمُونَ} 70 {إِذَا الْأَغْلَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْخَبُونَ} 71
 {فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ} 72 غافر 69-72 الى قوله
 {ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ
 تَمَرَّحُونَ} غافر 75 وختم السورة بقوله تعالى {فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ
 رُسُلُّهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَحُوا بِمَا عِنْدَهُم مِّنَ الْعِلْمِ} غافر 83 وكذلك
 في سورة الانعام والأعراف وعامة سور المكية وطائفة من

السور المدنية فانها تشمل على خطاب هؤلاء وضرب الامثال
ومقاييس لهم وذكر قصصهم وقصص الانبياء واتباعهم معهم
فقال سبحانه {وَلَقَدْ مَكَّنَاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا
وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ
مِّنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ
يَسْتَهْزِئُونَ } الأحقاف 26

فأخبر بما مكنتهم فيه من اصناف الادراكات والحركات واخبر ان ذلك لم يغرن عنهم حيث جدوا بآيات الله وهي الرساله التي بعث بها رسله ولهذا حدثى ابن الشيخ الحصيرى عن والده الشيخ الحصيرى شيخ الحنيفه فى زمانه قال كان فقهاء بخارى يقولون فى ابن سينا كان كافرا ذكرا وقال الله تعالى {أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِدُنُوِّيهِمْ وَمَا كَانُوا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ} غافر 21 الآية والقوة نعم قوة الادراك النظرية وقوة الحركة العملية وقال فى الآية الأخرى {كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ} غافر 82 فأخبر بفضلهم فى الكم والكيف وانهم اشد فى انفسهم وفي آثارهم فى الارض وقال تعالى {فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} 82 فلما جاءتهم رسلهم بالبيانات فرحا بما عندهم من العلم وحاق بهم مَا كانوا به يستهزئون {يَسْتَهْزِئُونَ} 83 غافر 82-83 وقال تعالى {وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} 6 يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون {الروم 6-7 الى قوله} اللَّهُ يَبِدِّلُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ {الروم 11} وقال تعالى {فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيَهُمْ أَنْبَاءٌ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} 5 ألم يروا كم أهلكتنا من قبلهم من قرنه مكناهم في الأرض ما لم نمك لكم وأرسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الانهار تجري من تحتهم فأهلكتناهم بدنوبيهم وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين {الأنعام 5-6} وقد قال سبحانه عن اتباع هؤلاء الانهه من اهل الملك والعلم

المخالفين للرسل {يَوْمَ ثُقَبَ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا أَيُّنَا
 أَطْعَنَا اللَّهَ وَأَطْعَنَا الرَّسُولَ} 66 وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطْعَنَا سَادَتَنَا
 وَكُبَرَاءِنَا فَأَضْلَلُونَا السَّبِيلَ} 67 رَبَّنَا أَتَهُمْ ضَعْفَيْنِ مِنَ الْعَدَابِ
 وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا} 68 الأحزاب 66-68 وقال تعالى {وَإِذْ
 يَتَحَاجُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا
 فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ} غافر 47 إلى قوله {قال
 الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلُّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ} غافر 48
 ومثل هذا في القرآن كثير يذكر فيه من أقوال اعداء الرسل
 وافعهم وما اوتوه من قوى الادراكات والحركات التي لم تفعهم
 لما خالفوا الرسل وقد ذكر الله سبحانه ما في المنتسبين
 إلى اتباع الرسل من العلماء والعباد والملوك من النفاق والضلال
 في مثل قوله {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ
 وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ
 } التوبة 34 يستعمل لازما يقال صد صدودا اي اعرض كما قال
 تعالى {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ
 رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنَّكَ صُدُودًا} النساء 61 ويقال صد
 غيره يصده والوصفان يجتمعان فيهم ومثل قوله {أَلَمْ تَرَ إِلَى
 الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْرِ وَالظَّاغُوتِ
 وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هُوَ لَاءُ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا
 } النساء 51 وفي الصحيحين عن أبي موسى عن النبي قال
 مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الاترجه طعمها طيب وريحها
 طيب ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة طعمها طيب
 ولا ريح لها ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانه ريحها
 طيب وطعمها مر ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن مثل الحنظله
 طعمها مر ولا ريح لها فبین ان في الذين يقرءون القرآن
¹ مؤمنين ومنافقين

الأعمال هي سبب في الثواب والعقاب

* الأفعال هي سبب في الثواب والعقاب فلو قال قائل إن الله أخرج آدم من الجنة بلا ذنب وأنه قدر ذلك أو قال إنه غفر لآدم بلا توبة وإنه علم ذلك كان هذا كذبا وبهتانا بخلاف ما إذا قال **{فَتَقَوَّى آدُمْ مِنْ رَبِّهِ كَلْمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ}** {البقرة 37} **{فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْا ثُمُّهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ**

{طه 121} فإنه يكون صادقا في ذلك والله سبحانه علم ما يكون من آدم قبل أن يكون وهو عالم به بعد أن كان و كذلك كل ما أخبر به من قصص الأنبياء فإنه علم أنه أهلك نوح وعاد وثモد وفرعون ولوط ودين و غيرهم بذنبهم وأنه نجى الأنبياء ومن اتباعهم بإيمانهم و تقوتهم كما قال **{فَلَمَّا نَسُوا مَا ذَكَرُوا وَإِنَّهُمْ بِأَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخْذَنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَيْسِ بِمَا كَانُوا يَفْسُدُونَ}** {الأعراف 165} و قال **{فَكُلَا أَخْذَنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخْذَنَاهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَقْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ}** {العنكبوت 40} و قال **{فَأَهْلَكَنَا هُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنَانِ آخَرِينَ}** {الأنعام 1}

الإلتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد ومحوها تغيير في وجه العقل والأعراض عنها قبح في الشرع

* منهم (الرافضة) يتربكون الأسباب الدنيوية ويجعلون وجود السبب كعدمه و منهم قوم يتربكون الأسباب الأخروية فيقولون إن سبق العلم والحكم أنا سعداء فنحن سعداء وإن سبق أنا أشقياء فنحن أشقياء فلا فائدة في العمل و منهم من يتربك الدعاء بناء على هذا الأصل الفاسد ولا ريب أن هذا الأصل الفاسد مخالف للكتاب والسنة وإجماع السلف وأئمة الدين ومخالف لصرح المعقول ومخالف للحس والمشاهدة وقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن إسقاط الأسباب نظرا إلى القدر فرد ذلك كما ثبت في الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ما منكم من أحد إلا وقد علم مقعده من الجنة ومقعده من النار قالوا يا رسول الله

أفلأ ندع العمل ونتكل على الكتاب فقال لا اعملوا فكل ميسر لما خلق له وفي الصحيح أيضا أنه قيل له يا رسول الله أرأيت ما يكدر الناس فيه اليوم وي عملون أشياء قضى عليهم ومضى أم فيما يستقبلون مما أتاهم فيه الحجة فقال بل شيء قضى عليهم ومضى فيهم قالوا يا رسول الله أفلأ ندع العمل ونتكل على كتابنا فقال لا اعملوا فكل ميسر لما خلق له وفي السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قيل له أرأيت أدوية نتداوی بها ورقى نسترقی بها وتقاة نتقيقها هل ترد من قدر الله شيئاً فقال هي من قدر الله وقد قال تعالى في كتابه {وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَفَاثَ سَحَابًا ثَقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدَ مَيْتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الْمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرُجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} الأعراف 57 وقال تعالى {وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتَثْبِرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيْتٍ فَأَحْيَنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ} فاطر 9 وقال {فَأَهْلَكَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنَانِ آخَرِينَ} الأنعام 6 وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لسعد عسى أن تخلف فينتفع بك أقوام ويضر بك آخرون فكيف يمكن أن يشهد أن الله لم ينصب على توحيده دليلاً ولا جعل للنجاة من عذابه وسيلة ولا جعل لما يفعله المتكول من عباده سبباً وهو مسبب الأسباب وخلق كل شيء بسبب منه لكن الأسباب كما قال فيها أبو حامد وأبو الفرج بن الجوزي وغيرهما الإلتقات إلى الأسباب شرك في التوحيد ومحو الأسباب أن تكون أسباباً تغيير في وجه العقل والأعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع¹

كثير في اللغة يكون أمران متلازمان فيطلق الإسم عليهم

* كثير في اللغة يكون أمران متلازمان إما دائمًا وإما غالباً فيطلق الإسم عليهم ويغلب هذا تارة وهذا تارة وقد يقع على أحدهما مفرداً كلفظ النهر و القرية و الميزاب و نحو

ذلك مما فيه حال ومحل فالإسم يتناول مجرى الماء والماء
الجاري وكذلك لفظ

القرية يتناول المساكن والسكان ثم تقول حفر النهر فالمراد به
المجرى و تقول جري النهر فالمراد به الماء وتقول جرى
الميزاب تعنى الماء ونصب الميزاب تعنى الخشب وقال تعالى
﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَنَةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغْدًا
مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخُوفِ
بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ النحل 112 والمراد السكان في المكان وقال
تعالى ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةً أَهْلَكَنَا هَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًاً أَوْ هُمْ قَاتِلُونَ
﴾الأعراف 4 و قال تعالى ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ
الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ يوسف 82 و قال تعالى ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَا هُمْ
أَمَّا ظَلَمُوا﴾ الكهف 59 و قال تعالى ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا
أَخْذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ هود 102 و قال تعالى ﴿لَنُنذِرَ أَمْ
الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ الشورى 7 و قال تعالى ﴿فَكَيْنَ مِنْ قَرْيَةٍ
أَهْلَكَنَا هَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبَنِرٌ مُعَطَّلٌ
وَقُصْرٌ مَشِيدٌ﴾ الحج 45 و الخاوي على عروشه المكان لا
السكان و قال تعالى ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى
عُرُوشِهَا﴾ البقرة 259 لما كان المقصود بالقرية هم السكان
كان إرادتهم أكثر في كتاب الله وكذلك لفظ النهر لما كان
المقصود هو الماء كان إرادته أكثر ك قوله **﴿وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ**
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ﴾ الأنعام 6 و قوله **﴿وَفَجَرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا**
﴿الكهف 33 فهذا كثير أكثر من قوله حفرنا النهر و
كذلك إطلاق لفظ القرآن على نفس الكلام أكثر من إطلاقه على
نفس التكلم وكذلك لفظ الكلام والقول والقصص وسائر أنواع
الكلام يراد بها نفس الكلام أكثر مما يراد بها فعل المتكلم وهذه
الأمور لبسطها موضع آخر¹

ليس كل انعام كرامة ولا كل امتحان عقوبة

*قال تعالى { أَلَمْ يَرُوا كُمْ أَهْلَكُنَا مِنْ قَرْنَ مَكَّنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مَدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَانَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ } الانعام 6 كما جاء في الحديث المعروف أن سعد بن أبي وقاص قال يا رسول الله الرجل يكون حامية القوم ايسهم له مثل ما يسهم لا ضعفهم فقال يا سعد وهل تتصررون وتترزقون الا بضعفائكم بدعائهم وصلاتهم واحلاصهم وقد يكون للرزق والنصر اسباب آخر فان الفجار والكافر أيضا يرزقون وينصرون وقد يجدهم على المؤمنين ويختفون من عدوهم لينبنيوا اليه ويتوبوا من ذنوبهم فجميع لهم بين غفران الذنوب وتغريج الكروب وقد يملى للكفار ويرسل السماء عليهم مدرارا ويمدهم بأموال وبنين ويستدرجهم من حيث لا يعلمون إما ليأخذهم في الدنيا أخذ عزيز مقتدر وأما ليضعف عليهم العذاب في الآخرة فليس كل انعام كرامة ولا كل امتحان عقوبة قال الله تعالى { فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ } 15 وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَذَرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ } 16 الفجر 15-16

الكتاب اسم للقرآن العربي بالضرورة والاتفاق

*الكتاب اسم للقرآن العربي بالضرورة والاتفاق فان الكلبية أو بعضهم يفرق بين الكلام وكتاب الله فيقول كلامه هو المعنى القائم بالذات وهو غير مخلوق وكتابه هو المنظوم المؤلف العربي وهو مخلوق والقرآن يراد به هذا تارة وهذا تارة والله تعالى قد سمي نفس مجموع اللفظ والمعنى قرآنا وكتابا وكلاما فقال تعالى { الَّرَّ تَلَكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ } الحجر 1 وقال { طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ } النمل 1 وقال { وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ } الأحقاف 29 الى قوله تعالى { قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أَنْزَلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ } الأحقاف 30 فيبين ان الذى سمعوه هو القرآن وهو

الكتاب وقال {بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّحِيدٌ}21 في لوح محفوظ22 البروج 21-22 وقال {إِنَّهُ لِقُرْآنٌ كَرِيمٌ}77 في كتاب مكُونٍ78 الواقعة 77-78 وقال {يَتْلُو صُحْفًا مُّطَهَّرًا}2 فيها كتب قيمة3 البينة 2-3 وقال {وَالظُّور}1 وكتاب مسطور2 في رقٌ منتشر3 الطور 1-3 وقال **{وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمْسُوهُ يَأْتِيَهُمْ}4 الأنعام 7 ولكن لفظ الكتاب قد يراد به المكتوب فيكون هو الكلام وقد يراد به ما يكتب فيه كما قال تعالى {إِنَّهُ لِقُرْآنٌ كَرِيمٌ}77 في كتاب مكُونٍ78 الواقعة 77-78 وقال {وَنُخْرُجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا}5 الإسراء 13¹**

* وقال تعالى **{وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمْسُوهُ يَأْتِيَهُمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ}7** و قالوا لولا انزل عليه ملك و لو انزلنا ملكا لقضى الأمر ثم لا ينتظرون8 **{وَلَوْ جَعَلْنَا مَلَكًا لِجَعْلَانَهُ رَجُلًا وَلَلْبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يُلِبِّسُونَ}9**

المائدة 7-9 بين أن الرسول لو كان ملكا لكان في صورة رجل إذ لا يستطيعون الأخذ عن الملك على صورته ولو كان في صورة رجل لعاد اللبس¹

الاقرار بالرب وملائكته معروفة عند عامة الأمم

* وكذلك الملائكة يقر بها عامة الأمم كما ذكر الله عن قوم نوح وعاد وثモود وفرعون مع شركهم وتكذيبهم بالرسل أنهم كانوا يعرفون الملائكة قال قوم نوح {مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مُّتَلَكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً} المؤمنون 24 وقال {أَنْدَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ}13 {إِذْ جَاءُوكُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهُ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً}14 فصلت 13-14 وقال فرعون {أَمْ أَنَا

خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكُادُ يُبَيِّنُ {52} فَلَوْلَا أَقِيَ عَلَيْهِ
أَسْوَرَةً مِنْ دَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ
مُقْتَرِنِينَ {53} الزخرف 52-53 وكذلك مشركون العرب قال
تعالى {وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ
الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنَظَّرُونَ } الأنعام 8 وقال تعالى {وَقَالُوا مَالِ هَذَا
الرَّسُولُ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ
فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا } الفرقان 7 وقال تعالى عن الأمم مطلقاً {
وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ
بَشَّارًا رَسُولاً } 94 قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ
مُطْمَئِنِينَ لَنَزَّلَنَا عَلَيْهِم مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولاً } 95 الإسراء 95-96
فَكانت هذه الأمم المكذبة للرسل المشركة بالرب مقرة بالله
وبملائكته فكيف بمن سواهم فعلم أن الإقرار بالرب وملائكته
المعروف عند عامة الأمم¹

يجيب سبحانه عن شبهه منكري جنس الرسالة

* يقول سبحانه {كَذَّبْتُ قَوْمً نُوحَ الْمُرْسَلِينَ } الشعرااء 105
{كَذَّبْتُ عَادَ الْمُرْسَلِينَ } الشعرااء 123 {كَذَّبْتُ ثَمُودَ الْمُرْسَلِينَ }
الشعرااء 141 {كَذَّبْتُ قَوْمً لُوطِ الْمُرْسَلِينَ } الشعرااء 160 ونحو ذلك وكل من هؤلاء إنما جاءه رسول واحد لكن كانوا مكذبين بجنس الرسل لم يكن تكذيبهم بالواحد لخصوصه وهذا بخلاف تكذيب اليهود والنصارى لمحمد صلى الله عليه وسلم فأنهم لم يكذبوا جنس الرسل إنما كذبوا واحداً بعينه بخلاف مشركي العرب الذين لم يعرفوا الرسل فان الله يحتاج عليهم في القرآن باثبات جنس الرسالة ولهذا يجيب سبحانه عن شبهه منكري جنس الرسالة كقولهم {أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَّارًا رَسُولاً } الإسراء 94 فيقول {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } النحل 43 أي هذا متواتر عند أهل الكتاب فاستلهم عن الرسل الذين جاءتهم أكانوا بشراً أم لا وكذلك قوله {وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ

الأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ {8} وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلِلْبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ {9} الانعام 8-9 فانهم لا يستطيعون الاخذ عن الملك في صورته فلو أرسلنا اليهم ملكا لجعلناه رجلا في صورة الانسان وحينئذ كان يتبس عليهم الامر ويقولون هو رجل والرجل لا يكون رسولا وكذلك الرسل قبله قال تعالى {أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّنْ رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنْكُمْ لَيُنذِرَكُمْ وَلَتَنْتَقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرَحَّمُونَ } الأعراف 63 {أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ } يونس 2 وكما قال تعالى {قُلْ مَا كُنْتُ بِدُعَاً مِّنَ الرُّسُلِ } الأحقاف 9 ونحو ذلك فكان علمهم بثبوت معين من هذا النوع يوجب العلم بقضية مطلقة وهو ان هذا النوع موجود بخلاف ما إذا اثبت ذلك ابتداء بلا وجود نظير فانه يكون اصعب وإن كان ممكنا فان نوها اول رسول بعثه الله الى اهل الارض ولم يكن قبله رسول بعث الى الكفار المشركين يدعوهم الى الانتقال عن الشرك الى التوحيد وآدم والذين كانوا بعده كان الناس في زمهنم مسلمين كما قال ابن عباس كان بين آدم ونوح عشر قرون كلهم على الاسلام لكن لما بعث الله نوها وانجي من آمن به وأهله من كذبه صار هذا المعين يثبت هذا النوع أقوى مما كان يثبت ابتداء¹

البشر يعجزون عن رؤية الملك في صورته إلا من أいで

الله

*قال تعالى {مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى } النجم 2 فقوله {صَاحِبُكُمْ } النجم 2 تتبه على نعمته على البشر واحسانه اليهم إذ بعث اليهم من يصحبهم ويصحبونه بشرا مثلهم فانهم لا يطيقون الاخذ عن الملك كما قال تعالى {وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ {8} وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلِلْبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ {9} } الانعام 8-9

وروى ابن ابي حاتم عن ابي زرعة عن منجاب بن الحيث عن بشر بن عمارة عن ابي روق عن الضحاك عن ابن عباس ولو

أنزلنا ملكا لقضى الأمر لأهلناهم ثم لا ينظرون لا يؤخرون ولو
 جعلناه ملكا لجعلناه رجلا يقول لو اتاهم ملك ما أتاهم إلا في
 صورة رجل لأنهم لا يستطيعون النظر إلى الملائكة وكذلك قال
 غيره من المفسرين وللبسا عليهم قالوا لخلطنا ولشبها عليهم ما
 يخلطون ويشبهون على أنفسهم حتى يشكوا فلا يدرروا إملك هو او
 ادمي فبین سبحانه انه لو أنزل ملكا لم يمكنهم ان يروه إلا في
 صورة بشر كما كان جبريل يأتي النبي صلى الله عليه وسلم إذا
 رأه الناس في صورة دحية الكلبي او في صورة اعرابي لما اتاه
 وسأله عن الاسلام والايام والاحسان وكذلك لما اتوا ابراهيم
 ولوطا ورأتهم سارة وقم لوطا لم يأتوا إلا في صورة رجال
 وكذلك لما اتى جبريل مريم عليها السلام لينفح فيها اتها في
 صورة رجل قال تعالى {فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحًا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا
 سَوِيًّا} {17} قال إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيناً {18} قال
 إنما أنا رسول ربكم لا أهبة لك غلاماً زكيماً {19} مريم 17-19
 وإذا كانوا لا يستطيعون ان يروا الملك إلا في صورة رجل فلو
 جاءهم لقالوا هذا بشر ليس بملك واشتبه الامر واختلط والتبس
 الامر عليهم فلم تكن هذه شبهة تقطع بازوال ملك وهذا كما
 قال في السورة الاخرى {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ فَإِنَّ الرُّوحَ مِنْ
 أَمْرِ رَبِّيِّ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} {85} ولئن شئنا لنتذهب
 بالذى أوحيننا إليه ثم لا تحد ذلك به علينا وكيلاً {86} إِلَّا رَحْمَةً
 مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا {87} قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ
 وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوكُمْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنَ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ
 بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا {88} وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنَ
 مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَلَمَّا بَيْتُ الْنَّاسُ إِلَّا كُفُورًا {89} إِلَى قَوْلِهِ {وَمَا
 مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءُهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا
 رَسُولًا} {94} قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةً يَمْشُونَ مُطْمَئِنِينَ
 لَنَزَّلَنَا عَلَيْهِم مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا {95} الاسراء 85-94
 وايضا في قوله {صَاحِبُكُمْ} التكوير 22 بيان انه عربي بعث
 بلسانهم كما قال {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ

{ إبراهيم 4 وقد قال تعالى {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ
 عَلَيْهِ مَا عَنْتُمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَوِوفٌ رَّحِيمٌ } التوبة 128
 قيل المراد من انفس العرب فالخطاب لهم وقيل من انفسبني
 ادم فهو بشر لا ملك ولا جني لان الخطاب لجميع الخلق الذين
 ارسل اليهم لا سيما وهذه في سورة براءة وهي من اخر القرآن
 نزولا وقيل ان هذه الاية اخر ما نزل وقد نزلت بعد دعوة الروم
 والفرس والقبط وهو بالمؤمنين من هؤلاء كلهم رؤف رحيم ولا
 ريب انه صلى الله عليه وسلم من الانس ومن العرب افضل
 الانس ومن قريش افضل العرب ومن بنى هاشم افضل قريش
 والانفس يراد بهم جنس الانسان كما قال تعالى {لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ
 ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا } النور 12 فقوله
 صاحبكم مثل قوله من انفسكم ومثل قوله {أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَاباً أَنْ
 أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ } يونس 2 وقوله {سُبْحَانَ
 رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا } الإسراء 93 لم يقصد بهذا اللفظ
 تفضيل الملك عليه كما توهمه بعض الناس كما ان قوله ان
 اوحيانا الى رجل { أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ } يونس 2 وقوله {
 سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا } الإسراء 93 لم يقصد به
 ان غيره افضل منه ¹

*من الأشياء ما يرى ومنها ما لا يرى والفارق بينهما لا يجوز
 أن يكون أموراً عدمية لأن الرؤية أمر وجودي والمرئي لا يكون
 إلا موجوداً فليست عدمية لا تتعلق بالمدعوم ولا يكون الشرط فيه
 إلا أمراً وجودياً لا يكون عدانياً وكل ما لا يشترط فيه إلا الوجود
 دون العدم كان بالوجود الأكمل أولى منه بالأقصى فكل ما كان
 وجوده أكمل كان أحق بأن يرى وكل ما لم يمكن أن يرى فهو
 أضعف وجوداً مما يمكن أن يرى فال أجسام الغليظة أحق بالرؤية
 من الهواء والأشياء أحق بالرؤية من الظلام لأن النور أولى
 بالوجود والظلمة أولى بالعدم والموجود الواجب الوجود أكمل
 الموجودات وجوداً وأبعد الأشياء عن العدم فهو أحق بأن يرى
 وإنما لم نره لعجز أبصارنا عن رؤيته لا لأجل امتناع رؤيته كما

أن شعاع الشمس أحق بأن يرى من جميع الأشياء ولهذا مثل النبي صلى الله عليه وسلم رؤية الله به فقال ترون ربكم كما ترون الشمس والقمر شبه الرؤية بالرؤبة وإن لم يكن المرئي مثل المرئي ومع هذا فإذا حدق البصر في الشعاع ضعف عن رؤيته لا لامتناع في ذات المرئي بل لعجز الرائي فإذا كان في الدار الآخرة أكمل الله تعالى الآدميين وقواهم حتى أطاقوا رؤيته ولهذا لما تجلى الله عز وجل للجبل خر موسى صعقا { فَلَمَّا
 أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ } الأعراف 143
 قيل أول المؤمنين بأنه لا يراك حي إلا مات ولا يابس إلا تدهد
 فهذا للعجز الموجود في المخلوق لا لامتناع في ذات المرئي بل
 كان المانع من ذاته لم يكن إلا لنقص وجوده حتى ينتهي الأمر
 إلى المعدوم الذي لا يتصور أن يرى خارج الرائي ولهذا كان
 البشر يعجزون عن رؤية الملك في صورته إلا من أيده الله كما
 أيد نبينا صلى الله عليه وسلم قال تعالى { وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلْ
 عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقَضَى الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنَظَّرُونَ } 8
 جَعَلْنَا مَلَكًا لَجَعْلَنَا رَجُلًا وَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يُلِسُّونَ } 9 الأنعام 8-9
 قال غير واحد من السلف هم لا يطيقون أن يروا الملك في
 صورته فلو أنزلنا إليهم ملكا لجعلناه في صورة بشر وحينئذ كان
 يشتبه عليهم هل هو ملك أو بشر فما كانوا ينتفعون بإرسال الملك
 إليهم فأرسلنا إليهم بشرا من جنسهم يمكنهم رؤيته والتلقى عنه
 وكان هذا من تمام الإحسان إلىخلق والرحمة ولهذا قال تعالى
 { وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ } التكوير 22¹

لو جاء الملائكة في صورة بشر لحصل البس

* يبين أنه لم يرسل ملائكة بل رجالا من أهل القرى ليبيين أن هذا معتاد معروف ليس هو أمرا لم تجر به عادة الرب فان الكفار كانوا يقولون إنما يرسل الله ملائكة أو يرسل مع البشر ملائكة قال تعالى { وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلْ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقَضَى

الأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ {8} وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلْكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَبَسْنَا عَنْهُم مَا يُلِبِّسُونَ {9} الأنعام 8-9 بين أنهم لا يطقون الأخذ عن الملائكة إن لم يأتوا في صورة البشر ولو جاءوا في صورة بشر لحصل اللبس¹

*فإن من الكفار من كان يزعم أن الله لا يرسل إلا ملكاً أو بشراً معه ملك ويتعجبون من إرسال بشر ليس معه ملك ظاهر فيبين سبحانه أنكم لا تطقون التقلي عن الملك فلو أنزلناه ملكاً لجعلناه في صورة بشر وحينئذ كنتم تظنونه بشراً فيحصل اللبس عليكم فأمر الله تعالى بسؤال أهل الكتاب عنمن أرسل إليهم أكان بشراً أم كان ملكاً ليقيم الحجة بذلك على من أنكر إرسال بشر كما قال تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَإِنَّا لَهُ أَهْلُ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } 7 { وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ } 8 ثمَّ صَدَقَاهُمُ الْوَعْدُ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ } 9 الأنبياء 7-9 وأهل الذكر هم أهل الذكر الذي أنزله الله تعالى¹

{وَلَقَدِ اسْتَهْزَئَ بِرُسُلِ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ } الأنعام 10

السنة لا تتبدل ولا تحول

*وقد بين سبحانه وتعالي أن السنة لا تتبدل ولا تحول في غير موضع و السنة هي العادة التي تتضمن أن يفعل في الثاني مثل ما فعل بنظيره الاول ولهذا أمر سبحانه وتعالي بالاعتبار وقال {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولَئِكَ الْأَبْلَابِ } يوسف 111 والاعتبار أن يقرن الشيء بمثله فيعلم أن حكمه مثل حكمه كما قال ابن عباس هلا اعتبرتم الاصابع بالاسنان فذا قال { فَاعْتَبِرُوا يَا أُولَئِكَ الْأَبْصَارِ } الحجر 2 وقال {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولَئِكَ الْأَبْلَابِ } يوسف 11 أفاد أن من عمل

مثل أعمالهم جوزى مثل جزائهم ليحذر أن يعمل مثل أعمال الكفار وليرغب في أن يعمل مثل أعمال المؤمنين اتباع الانبياء قال تعالى {قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنُنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ} آل عمران 137 وقال تعالى {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ} الانعام 11

أبقى الله سبحانه آثار المكذبين لنعتبر بها ونتعظ

* قال تعالى {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ} الانعام 11 قص الله علينا أخبار الأمم المكذبة للرسل وما صارت اليه عاقبتهم وأبقى آثارهم وديارهم عبرة لمن بعدهم وموعدة وكذلك مسخ من مسخ قرده وخازير لمخالفتهم لأنبيائهم وكذلك من خسف به وأرسل عليه الحجارة من السماء وأغرقه في اليم وأرسل عليه الصيحة وأخذه بأنواع العقوبات وإنما ذلك بسبب مخالفتهم للرسل واعتراضهم عما جاءوا به واتخاذهم أولياء من دونه وهذه سنته سبحانه فيمن خالفة رسله وأعرض عنما جاؤوا به واتبع غير سبيلهم ولهذا أبقى الله سبحانه آثار المكذبين لنعتبر بها ونتعظ لئلا نفعل كما فعلوا فيصيّبنا ما أصابهم كما قال تعالى {إِنَّا مُنْزَلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذَهِ الْفَرِيَةِ رِجْزاً مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُدُونَ} 34 {وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيْنَهَا لَقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} 35 العنكبوت 34-35 وقال تعالى {ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ} 136 {وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُونَ عَلَيْهِمْ مُّصْبِحِينَ} 137 {وَبِاللَّيلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} 138 الصافات 136-138 أي تمررون عليهم نهاراً بالصبح وبالليل ثم قال {أَفَلَا تَعْقِلُونَ} الصافات 138 وقال تعالى في مدائن قوم لوط {وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّنْ سِجِّيلٍ} 74 {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ} 75 {وَإِنَّهَا لِسِبِيلٍ مُّقِيمٍ} 76 الحجر 74-76 يعني مدائنهم بطريق مقيم يراها المار بها وقال تعالى {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} يوسف 109 وهذا كثير في الكتاب العزيز

يُخْبِرُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَنِ إِهْلَاكِ الْمُخَالِفِينَ لِرَسُولٍ وَنَجَاهَةِ اتِّبَاعِ
الْمَرْسَلِينَ وَلَهُذَا يَذْكُرُ سُبْحَانَهُ فِي سُورَةِ الشُّعْرَاءِ قَصْدَةُ مُوسَى
وَابْرَاهِيمَ وَنُوحَ وَعَادَ وَثَمُودَ وَلُوطَ وَشَعِيبَ وَيُذْكُرُ لِكُلِّ نَبِيٍّ
إِهْلَاكَهُ لِمَكْذِبِيهِمْ وَالنَّجَاهَةَ لَهُمْ وَلَا تَبَاعُهُمْ ثُمَّ يَخْتَمُ الْقَصْدَةُ بِقَوْلِهِ { إِنَّ
فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ } 190 { وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ
الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ } 191 { الشُّعْرَاءُ 190-191 } فَخَتَمَ الْقَصْدَةُ بِاسْمَيْنِ
مِنْ اسْمَائِهِ تَقْضِيَهَا تَلْكَ الصَّفَةُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ فَانْتَقِمْ مِنْ
أَعْدَائِهِ بِعَزْتِهِ وَانْجِي رَسُولَهُ وَاتِّبَاعَهُمْ بِرَحْمَتِهِ^١

* قال تعالى { فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ } 35 { فَمَا
وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ } 36 { وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ
يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ } 37 { الْذَّارِيَاتُ 35-37 } وَقَالَ فِي سُفِينَةِ
نُوحَ { وَلَقَدْ تَرَكْنَا هَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُذَكَّرِ } الْقَمَرُ 15 فَأَخْبَرَ أَنَّهُ
أَبْقَى آيَاتٍ وَهِيَ الْعَلَامَاتُ وَالدَّلَالَاتُ فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ مَا
يُخَصِّهُ مِنْ أَخْبَارِ الْمُؤْمِنِينَ وَحَسْنِ عَاقِبَتِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَأَخْبَارِ
الْكُفَّارِ وَسُوءِ عَاقِبَتِهِمْ فِي الدُّنْيَا هُوَ مِنْ بَابِ الْآيَاتِ وَالدَّلَالَاتِ
الَّتِي يَسْتَدِلُّ بِهَا وَيَعْتَبِرُ بِهَا عِلْمًا وَوَعْظًا فَيُفِيدُ مَعْرِفَةً صَحَّةً مَا
أَخْبَرَتْ بِهِ الرَّسُولُ وَيُفِيدُ التَّرْغِيبَ وَالتَّرْهِيبَ وَيَدِلُّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ
اللَّهَ يَرْضِي عَنِ أَهْلِ طَاعَتِهِ وَيَكْرِمُهُمْ وَيَغْضِبُ عَلَى أَهْلِ
مَعْصِيَتِهِ وَيَعَاقِبُهُمْ كَمَا يَسْتَدِلُّ بِمَخْلُوقَاتِهِ الْعَامَةِ عَلَى قَدْرِهِ فَإِنَّ
الْفَعْلَ يَسْتَلزمُ قَدْرَةَ الْفَاعِلِ وَيَسْتَدِلُّ بِالْحُكْمِ الْأَفْعَالِ عَلَى
عِلْمِهِ لِأَنَّ الْفَعْلَ الْمُحْكَمُ يَسْتَلزمُ عِلْمَ الْفَاعِلِ وَبِالتَّخْصِيصِ عَلَى
مُشَبِّهِتِهِ لِأَنَّ التَّخْصِيصَ مُسْتَلزمٌ لِإِرَادَتِهِ فَكَذَلِكَ يَسْتَدِلُّ
بِالتَّخْصِيصِ بِمَا هُوَ أَحْمَدُ عَاقِبَةً عَلَى حَكْمَتِهِ لِأَنَّ تَخْصِيصَ الْفَعْلِ
بِمَا هُوَ مُحَمَّدٌ فِي الْعَاقِبَةِ مُسْتَلزمٌ لِلْحِكْمَةِ وَيَسْتَدِلُّ بِالتَّخْصِيصِ
الْأَنْبِيَاءُ وَإِتَّبَاعُهُمْ بِالنَّصْرِ وَحَسْنِ الْعَاقِبَةِ وَتَخْصِيصِ مَكْذِبِيهِمْ
بِالْخَزِيرِ وَسُوءِ الْعَاقِبَةِ عَلَى أَنَّهُ يَأْمُرُ وَيَحْبُّ وَيَرْضِي مَا جَاءَتْ
بِهِ الْأَنْبِيَاءُ وَيَكْرِهُ وَيَسْخُطُ مَا كَانَ عَلَيْهِ مَكْذُوبًا لِأَنَّ تَخْصِيصَ
أَحَدِ النَّوْعَيْنِ بِالْإِكْرَامِ وَالنَّجَاهَةِ وَالذِّكْرِ الْحَسَنِ وَالدُّعَاءِ وَ

تخصيص الآخر بالعذاب و الهلاك و قبح الذكر و اللعنة يستلزم
محبة ما فعله الصنف الأول و بغض ما فعله الصنف الثاني¹

{ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ }

* وهو سبحانه مع غناه عن العالمين خلقهم وأرسل إليهم رسولاً
يبين لهم ما يسعدهم و ما يشقيهم ثم أنه هدى عباده المؤمنين لما
اختلفوا فيه من الحق بإذنه فمن عليهم بالإيمان و العمل الصالح
خلقه بفضله و إرساله الرسول بفضله و هدايته لهم بفضله و
جميع ما ينالون به الخيرات من قواهم وغير قواهم هي بفضله
فكذلك الثواب والجزاء هو بفضله و إن كان أوجب ذلك على
نفسه كما حرم على نفسه الظلم و وعد بذلك كما قال { كَتَبَ
عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ
خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ } الانعام 12 وقال يا عبادي انى
حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا و قال
تعالى { وَكَانَ حَقًا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ } الروم 47 فهو واقع
لا محالة واجب بحكم إيجابه ووعده لأن الخلق لا يوجبون على
الله شيئاً أو يحرمون عليه شيئاً بل هم أعجز من ذلك وأقل من
ذلك وكل نعمة منه فضل و كل نعمة منه عدل كما في الحديث
المتقدم إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن و
جد خيراً فليحمد الله و من وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه
وفى الحديث الصحيح سيد الإستغفار أن يقول العبد اللهم أنت
ربى لا إله إلا أنت خلقتني و أنا عبدك و أنا على عهديك و وعدك
ما استطعت أعود بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك على و
أبوء بذنبي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت من قالها إذا
أصبح موقفنا بها فمات من ليلته دخل الجنة فقوله أبوء لك
بنعمتك على و أبوء بذنبي إعتراف بإنعام رب و ذنب العبد كما
قال بعض السلف أنى أصبح بين نعمة تنزل من الله على و بين
ذنب يصعد مني إلى الله فأريد أن أحدث للنعمه شکراً و للذنب

¹ إستغفاراً

كتابته على نفسه تستلزم إرادته

*إنا فرضنا إنا نعلم بالعقل حسن بعض الأفعال وقبحها لكن العقل لا يقول إن الخالق كالمخلوق حتى يكون ما جعله حسناً لهذا أو قبيحاً له جعله حسناً للأخر أو قبيحاً له كما يفعل مثل ذلك القدرة لما بين الرب والعبد من الفروق الكثيرة وإن فرضنا أن حسن الأفعال وقبحها لا يعلم إلا بالشرع فالشرع قد دل على أن الله قد نزه نفسه عن افعال وأحكام فلا يجوز ان يفعلها تارة بخبره مثنياً على نفسه بأنه لا يفعلها وتارة بخبره أنه حرمتها على نفسه هذا يبين المسألة الثانية فنقول الناس لهم في أفعال الله باعتبار ما يصلح منه ويجوز وما لا يجوز منه ثلاثة أقوال طرفان ووسط فالطرف الواحد طرف القدرة وهو الذين حجروا عليه أن يفعل إلا ما ظنوا بعقولهم أنه الجائز له حتى وضعوا له شريعة التعديل والتوجيه فأوجبوا عليه بعقولهم أموراً كثيرة وحرموا عليه بعقولهم أموراً كثيرة لا بمعنى أن العقل أمر له وناء فإن هذا لا يقوله عاقل بل بمعنى أن تلك الأفعال مما علم بالعقل وجوبها وتحريمها ولكن إدخلوا في ذلك المنكرات ما بنوه على بدعتهم في التكذيب بالقدر وتتابع ذلك والطرف الثاني طرف الغلة في الرد عليهم وهو الذين قالوا لا ينزعه الرب عن فعل من الأفعال ولا نعلم وجه إمتناع الفعل منه إلا من جهة خبره أنه لا يفعله المطابق لعلمه بأنه لا يفعله وهو لاء منعوا حقيقة ما أخبر به من أنه كتب على نفسه الرحمة وحرم على نفسه الظلم قال الله تعالى {وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِأَيَّاتِنَا قُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ} الأنعام 54 وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي قال إن الله لما قضى الخلق كتب على نفسه كتاب فهو موضوع عنده فوق العرش إن رحمتى تغلب غضبى ولم يعلم هؤلاء أن الخبر مجرد المطابق للعلم لا يبين وجه فعله وتركه إذ العلم يطابق المعلوم فعلم بأنه يفعل هذا وأنه لا يفعل هذا ليس فيه تعارض لأنه كتب هذا على نفسه وحرم هذا على

نفسه كما لو أخبر عن كائن من كان أنه يفعل هذا ولا يفعل هذا لم يكن في هذا بيان لكونه محموداً ممدوداً على فعل هذا وترك هذا ولا في ذلك ما يبين قيام المقتضى لهذا والمانع من هذا فإن الخبر الممحض كاشف عن المخبر عنه ليس فيه بيان ما يدعوه إلى الفعل ولا إلى الترك بخلاف قوله {**كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ**}

{**الأنعام 12**} وحرم على نفسه الظلم فإن التحرير مانع من الفعل وكتابته على نفسه داعية إلى الفعل وهذا بين واضح إذ ليس المراد بذلك مجرد كتابته انه يفعل وهو كتابة التقدير كما قد ثبت في الصحيح انه قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين الف سنة وكان عرشه على الماء فإنه قال {**كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ**} {**الأنعام 12**} ولو أريد كتابة التقدير كان قد كتب على نفسه الغضب كما كتب على نفسه الرحمة إذ كان المراد مجرد الخبر بما سيكون ولكن قد حرم على نفسه كل ما لم يفعله من الإحسان كما حرم الظلم وكما أن الفرق ثابت في حقنا بين قوله {**كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى**}

{**البقرة 178**} وبين قوله {**وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزِّبْرِ**} {**القمر 52**} قوله {**مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّنْ قَبْلِ أَنْ تُنَبَّأَهَا**} {**الحديد 22**} قوله فيبعث إليه الملك فيؤمر بأربع كلمات فيقال له أكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد فهكذا الفرق أيضاً ثابت في حق الله ونظير ما ذكره من كتابته على نفسه كما تقدم قوله تعالى {**وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ**} {**الروم 47**} قوله النبي في الحديث الصحيح يا معاذ أتدري ما حق الله على عباده قلت الله ورسوله أعلم قال حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً اتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك قلت الله ورسوله أعلم قال حقهم عليه إلا يعبدتهم ومنه قوله في غير حديث كان حقاً على الله أن يفعل به كذا فهذا الحق الذي عليه هو أحقه على نفسه بقوله ونظير تحريرمه على نفسه وإيجابه على نفسه ما أخبر به من قسمه لي فعلن وكلمه السابقة قوله {**وَلَوْلَا كَلِمَةً**}

سَبَقْتُ مِنْ رَبِّكَ { طه 129 } وقوله { الْأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ } السجدة 13
و { لَنْهُلَّكَنَ الظَّالِمِينَ } إبراهيم 13 { فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرَجُوا مِنْ
دِيَارِهِمْ وَأَوْدُوا فِي سَيِّلِي وَقَاتَلُوا وَقُتُلُوا لِأَكْفَرَنَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ
وَلَا دُخُلُّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ } آل عمران 195
{ فَلَنْسَالَّنَ الَّذِينَ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ وَلَنْسَالَّنَ الْمُرْسَلِينَ } الأعراف 6
ونحو ذلك من صيغ القسم المتضمنة معنى الإيجاب والمعنى
بخلاف القسم المتضمن للخبر الممضى ولهذا قال الفقهاء اليمين
إما أن توجب حقا أو منعا أو تصديقا أو تكديبا وإذا كان معقولا
في الإنسان أنه يكون آمرا مأمورا كقوله { إِنَّ النَّفْسَ لِأَمَارَةٌ
بِالسُّوءِ } يوسف 53 قوله { وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى
النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى } النازعات 40 مع أن العبد له أمر وناه فوقه
والرب الذى ليس فوقه أحد لأن يتصور أن يكون هو الأمر
الكاتب على نفسه الرحمة والنهاي المحرم على نفسه الظلم أولى
واحرى وكتابته على نفسه ذلك تستلزم إرادته لذلك ومحبته له
ورضاه بذلك وتحريم الظلم على نفسه يستلزم بغضه لذلك
وكراحته له وإرادته ومحبته للفعل توجب وقوعه منه وبغضه له
وكراحته لأن يفعله يمنع وقوعه منه فأما ما يحبه ويبغضه من
أفعال عباده فذلك نوع آخر ففرق بين فعله هو وبين ما هو مفعول
مخلوق له وليس في مخلوقه ما هو ظلم منه وإن كان بالنسبة إلى
فاعله الذى هو الإنسان هو ظلم كما ان أفعال الإنسان هي بالنسبة
إليه تكون سرقة وزنا وصلة وصوما والله تعالى خالقها بمشيئته
وليس بالنسبة إليه كذلك إذ هذه الأحكام هي لفاعله الذى قام به
هذا الفعل كما أن الصفات هي صفات للموصوف الذى قامت به
لا للخالق الذى خلقها وجعلها صفات والله تعالى خلق كل صانع
وصنعه كما جاء فى الحديث وهو خالق كل موصوف وصفته
ثم صفات المخلوقات ليست صفات له كالألوان والطعوم
والروائح لعدم قيام ذلك به وكذلك حركات المخلوقات ليست
حركات له ولا أفعالا له بهذا الإعتبار لكونها مفعولات هو خلقها
وبهذا الفرق تزول شبهة كثيرة والأمر الذى كتبه على نفسه

يستحق عليه الحمد والثناء وهو مقدس عن ترك هذا الذى لو ترك
لكان تركه نقصا وكذلك الأمر الذى حرمه على نفسه يستحق
الحمد والثناء على تركه وهو مقدس عن فعله الذى لو كان
لأوجب نقصا وهذا كله بين والله الحمد عند الذين اوتوا العلم
والإيمان وهو أيضا مستقر في قلوب عموم المؤمنين¹

*قول الجمهور إن الله عظيم حكيم رحيم قائم بالقسط وإنه سبحانه
كتب على نفسه الرحمة وهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها كما
نطق بذلك نصوص الكتاب والسنة وكما يشهد به الاعتبار حسا
وعقلا وذلك واقع منه بحكمته ورحمته وبحكم أنه كتب على نفسه
الرحمة وحرم على نفسه الظلم لأن الخلق يوجبون عليه
ويحرمون ولا بأنه يشبه المخلوق فيما يجب ويحرم بل كل نعمة
منه فضل وكل نعمة منه عدل وليس لمخلوق عليه حق إلا ما
أحقه هو على نفسه المقدسة قوله { كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ }
{ الأنعام 12 } { كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ } الأنعام 54
وقوله { وَكَانَ حَقًا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ } الروم 47 وذلك بحكم
وعده وصدقه في خبره وهذا متافق عليه بين المسلمين وبحكم
كتابه على نفسه وحكمته ورحمته وهذا فيه تفصيل ونزاع مذكور
في غير هذا الموضوع¹

الله سبحانه قد جمع فيما وصف وسمى به نفسه بين النفي والإثبات

* ومن الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه وبما
وصفه به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا
تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل بل يؤمنون بأن الله سبحانه
ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فلا ينفون عنه ما وصف به
نفسه ولا يحرفون الكلم عن مواضعه ولا يلحدون في أسماء الله
وآياته ولا يكيفون ولا يمثّلون صفاته بصفات خلقه لأنه سبحانه
لا سمي له ولا كفو له ولا ند له ولا يقاس بخلقه سبحانه وتعالى
فإنه أعلم بنفسه وبغيره وأصدق قيلا وأحسن حديثا من خلقه وهو

سبحانه قد جمع فيما وصف وسمى به نفسه بين النفي والإثبات وقد دخل في هذه الجملة قوله سبحانه **{قُلْ لَمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لَهُ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ}** الأعما¹

{قُلْ لَمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لَهُ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لِيَجْمَعَنُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ حَسِرُوا أَنْفُسُهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} الأنعام¹²

{وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} المائدة¹³

كل ما سواه من المخلوقات فإنه غير الله تعالى

* وقد قال تعالى **{قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيْمًا الْجَاهِلُونَ}** الزمر⁶⁴ وقال تعالى **{قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَخْدُ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ}** الأنعام¹⁴ **{أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا}** الأنعام¹¹⁴ فلو لم يكن هناك غيره لم يكن المشركون أمروه بعبادة غير الله ولا اتخاذ غير الله ولها ولا حكما فلم يكونوا يستحقون الإنكار فلما أنكر عليهم ذلك دل على ثبوت غير يمكن عبادته واتخاذه ولها وحكمها وأنه من فعل ذلك فهو مشرك بالله كما قال تعالى **{فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونُ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ}** الشعراء²¹³ وقال **{لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدْ مَذْمُومًا مَخْذُولًا}** الإسراء²² وأمثال ذلك¹

* وقد علم بالكتاب والسنّة والاجماع وبالعلوم العقلية الضرورية إثبات غير الله تعالى وأن كل ما سواه من المخلوقات فإنه غير الله

تعالى ليس هو الله ولا صفة من صفات الله ولهذا أنكر الله على من عبد غيره ولو لم يكن هناك غير لما صح الانكار قال تعالى {قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِدُ وَلِيَا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} ^١ الأنعام ١٤

حقيقة التوحيد إخلاص الدين كله لله

*التوحيد الذي جاءت به الرسل ونزلت به الكتب وبه بعث الله الأولين والآخرين من الرسل قال تعالى {وَاسْأَلْنَا مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ اللَّهُ يُعْبَدُونَ} الزخرف ٤٥ وقال تعالى {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَبِبُوا الطَّاغُوتَ فَمَنْ هُنَّ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّاتِ وَمَنْ هُنُّ مِنْ حَقٍّ عَلَيْهِ الضَّلَالُ} النحل ٣٦ وقال تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونَ} الأنبياء ٢٥ وقد أخبر الله تعالى عن كل من الرسل مثل نوح وهود وصالح وشعيب وغيرهم أنهم قالوا لقومهم آبادوا الله مالكم من إله غيره وهذا أول دعوة الرسل وأخرها قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح المشهور أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنني رسول الله فإذا قالوها فقد عصموها من دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح أيضاً من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة وقال من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الحنة والقرآن كله مملوء من تحقيق هذا التوحيد والدعوة إليه وتعليق النجاة والفلاح واقتضاء السعادة في الآخرة به ومعلوم أن الناس متفضلون في تحقيقه وحقيقة إخلاص الدين كله لله والفناء في هذا التوحيد مقررون بالبقاء وهو أن تثبت الإلهية الحق في قلبك وتنتفي الإلهية ما سواه فتجمع بين النفي والإثبات فتقول لا إله إلا الله فالنفي هو الفناء والإثبات هو البقاء وحقيقة أن تفني بعبادته عما سواه ومحبته عن محبة ما سواه وبخشيتها عن خشية ما سواه وبطاعتة عن طاعة ما سواه وبموالاته عن

موالة ما سواه وبسؤاله عن سؤال ما سواه وبالاستعاذه به عن
 الإستعاذه بما سواه وبالتوكل عليه عن التوكل على ما سواه
 وبالتفويض إليه عن التفويض إلى ما سواه وبالإنابة إليه عن
 الإنابة إلى ما سواه وبالتحاكم إليه عن التحاكم إلى ما سواه
 وبالخاصم إليه عن التخاصم إلى ما سواه وفي الصحيحين
 عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول إذا قام يصلي من
 الليل وقد روي أنه كان يقوله بعد التكبير اللهم لك الحمد أنت قيم
 السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت نور السموات
 والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت الحق وقولك الحق ووعدك
 الحق ولقاوك حق والجنة حق والنار حق والنبتون حق ومحمد
 حق اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أبنت وبك
 خاصمت وإليك حاكمت فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت
 وقال تعالى {قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِدُ وَلَيْاً فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
 وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ} الأنعام 14 وقال {أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا
 وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا} الأنعام 14 وقال {
 أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيْمَانَ الْجَاهِلُونَ} 64 {وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ
 وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيْحَبَطَ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ
 الْخَاسِرِينَ} 65 {بِلِ اللَّهِ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ} 66 الزمر
 64-66 وقال تعالى {قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ
 مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِبَلًا مَلَةً إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} 161
 {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} 162
 {لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أَمْرَتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ} 163 {قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ
 أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكُسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا
 عَلَيْهَا} 164 الأنعام 161-164 وهذا التوحيد كثير في
 القرآن وهو أول الدين وأخره وباطن الدين وظاهره وذروة سنام
 هذا التوحيد لأولى العزم من الرسل ثم للخليلين محمد وإبراهيم
¹ صلى الله عليهما وسلم تسليماً
{وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ}

* و دل قوله الأَحَد الصَّمْد على أنه لم يلد ولم يولد و لم يكن له كفواً أحد فإن الصمد هو الذي لا جوف له و لا أحشاء فلا يدخل فيه شيء فلا يأكل و لا يشرب سبحانه و تعالى كما قال {قُلْ أَعْيُّرَ اللَّهَ أَتَخْذُ وَلِيًّا فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ} الأنعام 14 و في قراءة الأعمش و غيره و لا يطعم بالفتح و قال تعالى {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ} 56 مَا أَرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أَرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونَ} 57 الذاريات 56-57¹

اتباع الامر أصل عام و اجتناب المنهي عنه فرع خاص

* ان الكلمات الجوامع التي في القرآن تتضمن امثال المأمور به والوعيد على المعصية بتركه مثل قوله تعالى لنبيه {فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغُوا} هود 112 وقال {فَلَذِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَشْتَغِلْ أَهْوَاءَهُمْ} الشورى 15 وقال {قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} 14 {قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} 15 الأنعام 14-15 وقال {قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ} 11 {وَأُمِرْتُ لَأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ} 12 الزمر 11-12 وقال {قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عَنِي خَرَائِنَ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلِكٌ إِنْ أَتَتْنِي إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هُنَّ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ} الأنعام 50 وقال {وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ} يونس 109 وقال {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَنَبَّعُوا السُّبُلُ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ} الأنعام 153 الى أمثل هذه النصوص التي يوصى فيها باتباع ما أمر ويبين أن الاستقامة في ذلك وانه لم يأمر الا بذلك وأنه ان ترك ذلك كان عليه العذاب ونحو ذلك مما يبين ان اتباع الامر أصل عام وان اجتناب المنهي عنه فرع خاص¹

رسُلُ اللَّهِ هُمْ أَطْوَعُ الْخَلْقِ اللَّهِ

*أن رسول الله جاء بالرسالة من الله وهذا يختص به وتصديق هذه الرسالة والإيمان بها واجب على الثقلين والرسول هو أول من يحب عليه الإيمان بهذه الرسالة التي أرسله الله بها ولهذا قال في سورة يونس {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِّنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكُنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّكُمْ وَأَمْرَتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} يونس 104 وقال { قُلْ إِنِّي أَمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ } الأنعام 14 إلى غير ذلك من الآيات فهو يتعلق به أمران عظيمان أحدهما إثبات نبوته وصدقه فيما بلغه عن الله وهذا مختص به والثاني تصديقه فيما جاء به وأن ما جاء به من عند الله حق يجب اتباعه وهذا يجب عليه وعلى كل أحد فإنه قد يوجد فيمن يرسله المخلوق من يصدق في رسالته لكنه لا يتبعها إما لطعنه في المرسل وإما لكونه يعصيه وإن كان قد أرسل بحق فالملوك كثيراً ما يرسلون رسولاً بكتب وغيرها ببلغ الرسل رسالتهم فيصدقون بها ثم قد يكون الرسول أكثر مخالفة لمرسله من غيره من المرسل إليهم ولهذا ظن طائفة منهم القاضي أبو بكر أن مجرد كونه رسولاً لله لا يستلزم المدح ثم قال إن هذا قد يقال فيمن قبل الرسالة وبلغها وفيمن لم يقبل لكن هذا غلط فإن الله لا يرسل رسولاً إلا وقد إصطفاه فيبلغ رسالات ربه ورسل الله هم أطوع الخلق لله وأعظم إيماناً بما بعثوا به بخلاف المخلوق فإنه يرسل من يكذب عليه ومن يعصيه ومن لا يعتقد وجوب طاعته والخالق منزه عن ذلك¹

المخلوق ليس بالله في نفسه لكن عابده اتخذه لها

* و اذا آمن بالرب واعتقد ربوبيته وأخبر بها كان قد اتخذ الله ربا ولم يبغ ربا سوى الله ولم يتخذ ربا سواه كما قال تعالى {قُلْ أَغْيِرَ اللَّهُ أَبْغِي رَبِّاً وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ} الأنعام164 وقال تعالى {أَغْيِرَ اللَّهُ أَتَخْذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} الأنعام14 وقال {وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّنَ أَرْبَابًا أَيَّامُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} آل عمران 80 وهو أيضا في نفسه هو الاله الحق لا الله غيره فإذا عبده الانسان فقد وحده من لم يجعل معه لها آخر ولا اتخاذ لها غيره قال تعالى {فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا أَخْرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ} الشعرااء 213 وقال تعالى {لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا أَخْرَ فَتَقْعُدْ مَذْمُومًا مَخْدُولًا} الإسراء 22 وقال ابراهيم لأبيه آزر {أَتَتَّخِذُ أَصْنَاماً إِلَهًا إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} الأنعام 74 فالمخلوق ليس بالله في نفسه لكن عابده اتخاذها وجعلها لها وسماه لها وذلك كله باطل لا ينفع صاحبه بل يضره كما أن الجاهل اذا اتخاذ اماما ومفتيها وقاضيا كان ذلك باطلا فانه لا يصلح أن يوم ولا يفتى ولا يقضى وغير الله لا يصلح ان يتخذ لها يعبد ويدعى فانه لا يخلق ولا يرزق وهو سبحانه لا مانع لما أعطى ولا معطى لما منع ولا ينفع ذا الجد منه الجد ومن دعا من لا يسمع دعاءه أو يسمع ولا يستجيب له فدعاؤه باطل وضلالة كل من سوى الله اما أنه لا يسمع دعاء الداعي أو يسمع ولكن لا يستجيب له فإن غير الله لا يستقل بفعل شيء ألبنته وقد قال تعالى {قُلْ اذْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْ قَالَ ذَرْرَةً فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شُرُكٍ وَمَا لَهُمْ مِنْ هُنْ مِنْ ظَهِيرٍ} 22-23 فغير الله لا الشفاعة عنده إلا لمن أذن له {23} سباء 22-23 مالك لشيء ولا شريك في شيء ولا هو معاون للرب في شيء بل قد يكون له شفاعة ان كان من الملائكة والأنبياء والصالحين ولكن لا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له فلا بد أن يأذن للشافع أن يشفع وان يأذن للمشفوع له أن يشفع له ومن دونه لا يملكون الشفاعة البنتة فلا يصلح من سواه لأن يكون لها معبودا كما لا

يصلح أن يكون خالقا رازقا لا الله الا هو وحده لا شريك له له
الملك وله الحمد وهو على كل شيء قادر^١

الاسلام هو الإستسلام لله وهو الخضوع له والعبودية له

* {قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخُذُ وَلَيْاً فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ
وَلَا يُطْعِمُ قُلْ إِنِّي أَمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَ مِنَ
الْمُشْرِكِينَ} المائدة ١٤ أن الاسلام دين و الدين مصدر دان
يدين دينا اذا خضع وذل و دين الاسلام الذي ارتضاه الله
وبعث به رسالته هو الاستسلام لله وحده فاصله في القلب هو
الخضوع لله وحده بعبادته وحده دون ما سواه فمن عبده وعبد
معه الها آخر لم يكن مسلما ومن لم يعده بل استكبر عن عبادته
لم يكن مسلما والاسلام هو الإستسلام لله وهو الخضوع له
والعبودية له هكذا قال اهل اللغة اسلم الرجل اذا استسلم فالاسلام
في الاصل من باب العمل عمل القلب والجوارح^١

* ولفظ الإسلام يتضمن الاستسلام والانقياد ويتضمن الاخلاص
مأخذ من قوله تعالى {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءٌ
مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لَرَجُلٍ هُلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بِلْ
أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} الزمر ٢٩ فلا بد في الإسلام من الاستسلام
للله وحده وترك الاستسلام لما سواه وهذا حقيقة قولنا لا إله إلا الله
فمن استسلم لله ولغير الله فهو مشرك والله لا يغفر أن يشرك به
ومن لم يستسلم له فهو مستكبر عن عبادته وقد قال تعالى
{وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لِكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي
سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَآخِرِينَ} غافر ٦٠ وثبت عنه صلى الله
عليه وسلم في الصحيح أنه قال لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال
ذرة من ذهب ولا يدخل النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان فقيل
له يا رسول الله الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا

أفمن الكبر ذلك قال لا إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق
وغمط الناس بطر الحق جده ودفعه وغمط الناس ازدراؤهم
¹واحتقارهم

أن الأمان من عذاب الله وحصول السعادة إنما هو بطاعة

* وقد أمر تعالى أفضل الخلق ان يقول إنه لا يملك لنفسه ضراً
ولا نفعاً ولا يملك لغيره ضراً ولا رشداً فقال تعالى {قل لاً
أَمْلَكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ} الأعراف 188 وقال
{قُلْ إِنِّي لَا أَمْلَكُ لَكُمْ ضَرًا وَلَا رَشَدًا} 21 {قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي
مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحِدًا} 22 {إِلَّا بَلَاغًا مِنْ اللَّهِ
وَرِسَالَاتِهِ} 23 الجن 21-23 يقول لن يجيرني من الله احد إن
عصيته كما قال تعالى {قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ
عَظِيمٍ} الزمر 13 {قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ
عَظِيمٍ} المائدة 15 {وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحِدًا} الجن 22 اي ملجاً
الجا اليه إلا بلاغا من الله ورسالته أى لا يجيرني منه احد الا
طاعته ان أبلغ ما أرسلت به اليكم فبذلك تحصل الاجاره والأمن
وقيل أيضا لا أملك لكم ضرا ولا رشدا لا أملك الا تبليغ ما
ارسلت به منه ومثل هذا في القرآن كثير فتبين أن الأمان من
عذاب الله وحصول السعادة إنما هو بطاعته تعالى لقوله {مَا
يَفْعُلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ} النساء 147 وقال تعالى
{قُلْ مَا يَعْبُأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ} الفرقان 77 أى لو لم تدعوه
كما أمر فتطييعوه فتعبدوه وتطيعوا رسle فانه لا يعبأ بكم شيئاً
¹ {مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفُوزُ الْمُبِينُ}

التوحيد الذي بعث الله به رسle هو توحيد الالوهية

* فالتوحيد الذي بعث الله به رسle وانزل به كتبه هو ان يعبد الله
وحده لا شريك له فهو توحيد الالوهية وهو مستلزم لتوحيد
الربوبية وهو ان يعبد الحق رب كل شيء فاما مجرد توحيد

الربوبية وهو شهود ربوبية الحق لكل شيء فهذا التوحيد كان في المشركين كما قال تعالى وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون سورة يوسف 106 وان الله هو رب كل شيء وعالم بكل شيء وملكيه لا يخلق ولا يرزق الا هو ولا يعطى ولا يمنع الا هو لا مانع لما اعطي ولا مطعي لما منع {وَإِن يَمْسِكْ
 اللَّهُ بِبَصُرٍ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسِكْ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ
 شَيْءٍ قَدِيرٌ} الأنعام 17¹

* وهو سبحانه الضار النافع قادر على أن يضر من يشاء وإن كان ما ينزله من الضر بعاديه هو رحمة في حفهم كما قال أليوب { مَسِنَيَ الْضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ } الأنبياء 83 وقال تعالى { وَإِن يَمْسِكَ اللَّهُ بِبَصُرٍ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسِكْ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } 17 { وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَيْرُ } 18 الأنعام 17-18 وقال أيضاً لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم { قُلْ لَا أَمْلَأُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلَا ضَرَّاً إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ } الأعراف 188 وقال تعالى { وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَجِينَ الْبَأْسِ } البقرة 177 وهو سبحانه يحدث ما يحدثه من الضرر بمن لا يوصف بمعصية من الأطفال والمجانين والبهائم لما في ذلك من الحكمة والنعمة والرحمة كما هو مبوسط في غير هذا الموضوع ¹

قطب رحى الدين

* قال تعالى { وَإِن يَمْسِكَ اللَّهُ بِبَصُرٍ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسِكْ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } 17 { وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَيْرُ } 18 الأنعام 17-18 فتوحيد الله وإخلاص الوجه والعمل له عبادة واستعانة هي قطب رحى الدين وذلك أن العبد بل كل حي وكل مخلوق سوى الله هو فقير يحتاج إلى جلب ما ينفعه ودفع ما يضره والمنفعة للحي هي من جنس النعيم واللذة والمضررة هي من جنس الألم والعذاب فلا بد له من أمرتين أحدهما هو المطلوب المقصود المحظوظ

الذى ينتفع ويلتذ به والثانى هو المعين الموصى المحصل
 لذلك المقصود والمانع من دفع المكروره وهذا هما الشيئان
 المنفصلان الفاعل والغاية فهنا أربعة أشياء أحدتها أمر هو
 محبوب مطلوب الوجود والثانى أمر مكروره مبغض مطلوب
 العدم والثالث الوسيلة الى حصول المطلوب المحبوب
 والرابع الوسيلة الى دفع المكروره وهذه الأربعه الأمور ضروريه
 للعبد بل وكل حى لا يقوم وجوده وصلاحه إلا بها وأما ما ليس
 بحى فالكلام فيه على وجه آخر إذا تبين ذلك فيبيان ما ذكرته
 من وجوه أحدتها أن الله تعالى هو الذى يحب أن يكون هو
 المقصود المدعوا المطلوب وهو المعين على المطلوب وما سواه
 هو المكروره وهو المعين على دفع المكروره فهو سبحانه الجامع
 للأمور الأربعه دون ما سواه وهذا معنى قوله {إِنَّكَ نَعْبُدُ وَإِنَّكَ
 نَسْتَعِينُ} الفاتحة 5 فإن العبودية تتضمن المقصود المطلوب لكن
 على أكمل الوجوه والمستعان هو الذى يستعان به على المطلوب
 فالاول من معنى الألوهية والثانى من معنى الربوبية إذ الاله
 هو الذى يؤله فيبعد محبة وإنابة وإجلالا وإكراما والرب هو الذى
 يربى عبده فيعطيه خلقه ثم يهديه الى جميع أحواله من العبادة
 وغيرها وكذلك قوله تعالى {عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} هود 88
 وقوله {فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْنَ عَلَيْهِ} هود 123 وقوله {عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا
 وَإِلَيْكَ أَنْبَأْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ} الممتحنة 4 وقوله تعالى {وَتَوَكَّلْنَ
 عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبَّحْ بِحَمْدِهِ} الفرقان 58 وقوله تعالى
 {عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ} الرعد 30 وقوله {وَادْكُرْ اسْمَ
 رَبِّكَ وَتَبَّئْ إِلَيْهِ تَبَّيِّلًا} 8 {رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
 فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا} 9 المزمل 8-9 فهذه سبعة مواضع تنتظم هذين
 الأصلين الجامعين¹

*قال تعالى في حكايته عن الخليل { وَحَاجَةُ قَوْمٌ فَالْ
 أَثْحَاجُونَ فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ
 رَبِّي شَيْئًا وَسَعَ رَبِّي كُلَّ شَيْئٍ عَلَمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ } 80 وَكَيْفَ
 أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنْزَلْ بِهِ

عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ {81}
الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ
مُهْتَدُونَ {82} وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرَفَعُ

دَرَجَاتٍ مَّنْ نَشَاءَ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ {83} الانعام 80-83 فإن
هؤلاء المشركين الشرك الأكبر والأصغر يخوفون المخلصين
بشفعائهم فيقال لهم نحن لا نخاف هؤلاء الشفعاء الذين لكم فإنهم
خلق من خلق الله لا يضرن إلا بعد مشيئة الله قال تعالى {وَإِنْ
يَمْسِكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسِكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} الأنعام 17 {وَإِنْ يَمْسِكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا
كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرْدِكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَ لِفَضْلِهِ يُصَبِّبُ بِهِ مَنْ
يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} يونس 107 فمن مسه الله
بضر فلا كاشف له إلا هو ومن أصابه برحة فلا راد لفضله
وكيف نخاف هؤلاء المخلوقين الذين جعلتموهم شفعاء وأنتم لا
تخافون الله وأنتم قد أحذتم في دينه من الشرك مالم ينزل به وحياة
من السماء فأي الفريقين أحق بالأمن من كان لا يخاف إلا الله ولم
يبتدع في دينه شركاً أم من ابتدع في دينه شركاً بغير إذنه بل من
آمن ولم يخلط إيمانه بشرك فهو لاء هم الذين لهم الأمن وهم
مهتدون وهذه الحجة المستقيمة التي يرفع الله بها وبأمثالها
أهل العلم درجات¹

جميع المخلوقات فقراء لله تعالى

*وذلك أن الإنسان بل وجميع المخلوقات عباد الله تعالى فقراء
إليه مماليك له و هو ربهم و ملوكهم و إلههم لا إله إلا هو
فالملحوق ليس له من نفسه شيء أصلاً بل نفسه و صفاته و
أفعاله و ما ينتفع به أو يستحقه و غير ذلك إنما هو من خلق الله و
الله عزوجل رب ذلك كله و مليكه و بارئه و خالقه و مصوروه
و إذا قلنا ليس له من نفسه إلا العدم فالعدم ليس هو شيئاً يفتقر إلى
فاعل موجود بل العدم ليس بشيء و بقاوه مشروط بعدم فعل
الفاعل لا أن عدم الفاعل يوجبه و يقتضيه كما يوجب الفاعل

المفعول الموجود بل قد يضاف عدم المعلول الى عدم العلة و بينهما فرق و ذلك أن المفعول الموجود إنما خلقه و أبدعه الفاعل و ليس المعدوم أبدعه عدم الفاعل فإنه بقضي الى التسلسل و الدور ولأنه ليس اقتضاء أحد العدمين للأخر بأولى من العكس فإنه ليس أحد العدمين مميزا لحقيقة استوجب بها أن يكون فاعلا وان كان يعقل أن عدم المقتضى أولى بعدم الآخر من العكس فهذا لأنه لما كان وجود المقتضى هو المفید لوجود المقتضى صار العقل يضيف عدمه الى عدمه إضافة لزومية لأن عدم الشيء إما ان يكون لعدم المقتضى أو لوجود المانع و بعد قيام المقتضى لا يتصور أن يكون العدم إلا لأجل هاتين الصورتين أو لحالتيں فلما كان الشيء الذي انعقد سبب وجوده يعوقه و يمنعه المانع المنافي و هو أمر موجود و تارة لا يكون سببه قد انعقد صار عدمه تارة يناسب إلى عدم مقتضيه و تارة الى وجود مانعه و منافيه و هذا معنى قول المسلمين ما شاء الله كان و ما لم يشأ لم يكن إذ مشيئته هي الموجبة وحدها لا غيرها فيلزم من انتفاءها انتفاء لا يكون شيء حتى تكون مشيئته لا يكون شيء بدونها بحال فليس لنا سبب يقتضي وجود شيء حتى تكون مشيئته مانعة من وجوده بل مشيئته هي السبب الكامل فمع وجودها لمانع و مع عدمها لا مقتضى {ما يفتح الله للناس من رحمة فلَا مُمسِكٌ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فلَا مُرْسِلٌ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ} فاطر 2 {وَإِنْ يَمْسِكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرْدِكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَأْدٌ لِفَضْلِهِ} يونس 107 {وَإِنْ يَمْسِكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسِكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} 17 {وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَيْرُ} 18 الأنعام 17-18 {قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَذْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِي اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ} الزمر 38 وإذا عرف أن العبد ليس له من نفسه خير أصلا بل ما بنا من نعمة فمن الله و إذا مسنا الضر فإليه نجأ والخير كله بيديه كما قال {مَا أَصَابَكَ مِنْ

حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك } النساء 79 و قال
 { أو لاما أصابتكم مصيبه قد أصبتم متلها فلتمنى أنى هذا قل هو من
 عند نفسكم } آل عمران 165 و قال النبي صلى الله عليه وسلم
 في سيد الاستغفار الذي في صحيح البخاري اللهم أنت ربى
 لا إله إلا أنت خلقتني و أنا على عهده و وعدك ما
 استطعت أعود بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك على و
 أبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنب إلا أنت و قال في
 دعاء الاستفصال الذي في صحيح مسلم لبيك و سعيك والخبر
 بيديك و الشر ليس إليك تبارك ربنا و تعالىت ¹

*وقال تعالى { أَفَغَيْرَ بَيْنَ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ
 وَالْأَرْضَ طُوعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ } آل عمران 83
 فذكر إسلام الكائنات طوعاً وكرها لأن المخلوقات جميعها متعددة
 له التعبد العام سواء أقر المقرب بذلك أو انكره وهم مدینون
 مدبرون فهم مسلمون له طوعاً وكرها ليس لأحد من المخلوقات
 خروج عما شاءه وقدره وقضاءه ولا حول ولا قوة إلا به و هو
 رب العالمين وملكيهم يصرفهم كيف يشاء وهو خالقهم كلهم
 وبارئهم ومصورهم وكل ما سواه فهو مرربوب مصنوع مفطور
 فقير يحتاج معبود مقهور وهو الواحد القهار الخالق الباري
 المصور وهو وإن كان قد خلق ما خلقه بأسباب فهو خالق السبب
 والمقدر له وهو مفقر إليه كافتقار هذا وليس في المخلوقات سبب
 مستقل بفعل ولا دفع ضرر بل كل ما هو سبب فهو يحتاج إلى
 سبب آخر يعاونه وإلى ما يدفع عنه الضد الذي يعارضه ويمانعه
 وهو سبحانه وحده الغني عن كل ما سواه ليس له شريك يعاونه
 ولا ضد يناؤه ويعارضه قال تعالى { قُلْ أَفَرَأَيْمَ مَا تَدْعُونَ مِنْ
 دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِي اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرَّهُ أَوْ أَرَادَنِي
 بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلْ
 الْمُتَوَكِّلُونَ } الزمر 38 وقال { وَإِنْ يَمْسِكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ
 لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسِكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } 17 و هو
 القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخير } 18 الأنعام 17-18 ¹

*ومعلوم أنه لا يكون شيء إلا بمشيئة الله وقدرته وأن الخلق ليس منهم شيء إلا ما أحدهه الله فيهم فإذا انقطع طلب القلب للمعونة منهم وطلبها من الله فقد طلبها من خالقها الذي لا يأتي بها إلا هو قال تعالى {مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكٌ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلٌ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ} فاطر 2 وقال تعالى {وَإِنْ يَمْسِكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرْدِكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَأْدٌ لِفَضْلِهِ} يونس 107 وقال تعالى {وَإِنْ يَمْسِكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسِكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} 17 {وَهُوَ الْفَاعِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَيْرُ} 18 الأنعام 17-18 وقال تعالى قل أرأيتم ما تدعون من دون الله ان أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته {قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِي اللَّهُ بِضُرٍّ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ} الزمر 38 وقال صاحب يس {أَتَتَخِذُ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا إِنْ يُرْدِنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقُذُونَ} 23 {إِنِّي إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} 24-23 يس ولهذا يأمر الله بالتوكل عليه وحده في غير موضع وفي الآخر من سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله ومن سره أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يده قال تعالى {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبَّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَيْرًا} الفرقان 58

*فإن ما تعلقت به المشيئة تعلقت به القدرة فإن ما شاء الله كان ولا يكون شيء إلا بقدرته وما تعلقت به القدرة من الموجودات تعلقت به المشيئة فإنه لا يكون شيء إلا بقدرته ومشيئته وما جاز أن تتعلق به القدرة جاز أن تتعلق به المشيئة وكذلك بالعكس و مالا فلا ولهذا قال {فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} الأنعام 17 و الشيء في الأصل مصدر شاء يشاء شيئاً كان ينال نيلاثم و ضعوا المصدر موضع المفعول فسموا المشيء شيئاً كما يسمى

المنيل نيلا ف قالوا نيل المعدن و كما يسمى المقدور قدرة و المخلوق خلقا ف قوله { فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } الأنعام 17 أي على كل ما يشاء ف منه ما قد شيء وجد و منه ما لم يشأ لكنه شيء في العلم بمعنى أنه قابل لأن يشاء و قوله { عَلَى كُلِّ شَيْءٍ } الأنعام 17 يتناول ما كان شيئا في الخارج و العلم أو ما كان شيئا في العلم فقط بخلاف مالا يجوز أن تتناوله المشيئة و هو الحق تعالى و صفاته أو الممتنع لنفسه فإنه غير داخل في العموم و لهذا اتفق الناس على أن الممتنع لنفسه ليس بشيء¹

القسم المحمود من الناس وهو حال الذين حققوا إياك نعبد وإياك نستعين

*القسم المحمود من الناس وهو حال الذين حققوا إياك نعبد وإياك نستعين و قوله هود فاعبده وتوكل عليه فاستعنوا به على طاعته وشهدوا أنه إلههم الذي لا يجوز أن يعبدوا إلا إياه وطاعة رسوله وأنه ربهم الذي ليس لهم من دونه ولهم ولا شفيع وأنه { وَإِنْ يَمْسِكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسِكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } الأنعام 17 ولهذا قال طائفة من العلماء الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد ومحو الأسباب أن تكون أسبابا نقص في العقل والإعراض عن الأسباب بالكلية قبح في الشرع وإنما التوكل المأمور به ما يجتمع فيه مقتضي التوحيد والعقل والشرع¹

*ولا يأتي بالحسنات الا الله ولا يذهب السيئات الا الله { وَإِنْ يَمْسِكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسِكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } الأنعام 17 و اذا دعا العبد ربه باعطاء المطلوب ودفع المرهوب جعل له من الایمان بالله ومحبته ومعرفته وتوحيده ورجائه وحياة قلبه واستئاته بنور الایمان ما قد يكون أفع له من ذلك المطلوب ان كان عرضا من الدنيا وأما إذا طلب منه أن يعيشه على ذكره وشكره وحسن عبادته وما يتبع ذلك فهنا المطلوب قد يكون أفع من الطلب وهو الدعاء

والمطلوب الذكر والشكر وقيام العبادة على أحسن الوجوه وغير ذلك¹

حكم من إذا أصابته نائبة أو خوف استتجد بشيخه

* حكم من إذا أصابته نائبة أو خوف استتجد بشيخه وأما الرجل إذا أصابته نائبة أو خاف شيئاً فاستغاث بشيخه يطلب تثبيت قلبه من ذلك الواقع فهذا من الشرك وهو من جنس دين النصارى فإن الله هو الذي يصيب بالرحمة ويكشف الضر قال تعالى {وَإِنْ يَمْسِسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسِسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} الأنعام 17¹

{ فهو على كل شيء قادر }

* قال تعالى {وَإِنْ يَمْسِسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسِسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَادِيرٌ} الأنعام 17 اتفق المسلمون وسائر أهل الملل على أن الله على كل شيء قادر كما نطق بذلك القرآن أى في مواضع كثيرة جداً وقد بسطت الكلام في الرد على من انكر قدرة الله في غيره موضع كما قد كتبناه على الأربعين و المحصل و في شرح الأصبهانية و غير ذلك و تكلمنا على ما ذكره الرازي و غيره في مسألة كون الله قادرًا مختارا و ما وقع فيها من التقصير الكبير مما ليس هذا موضعه والمقصود هنا الكلام بين أهل الملل الذين يصدقون الرسل فنقول هنا مسائل المسألة الأولى قد أخبر الله أنه على كل شيء قادر و الناس في هذا على ثلاثة أقوال طائفة تقول هذا عام يدخل فيه الممتنع لذاته من الجمع بين الصدين و كذلك دخل في المقدور كما قال ذلك طائفة منهم ابن حزم و طائفة تقول هذا عام مخصوص يخص منه الممتنع لذاته فإنه و إن كان شيئاً فإنه لا يدخل في المقدور كما ذكر ذلك ابن عطية و غيره و كلا القولين

خطأ و الصواب هو القول الثالث الذي عليه عامة النظر و هو أن الممتنع لذاته ليس شيئاً أليته و أن كانوا امتناعين في المعدو فإن الممتنع لذاته لا يمكن تتحققه في الخارج و لا يتصوره الذهن ثابتاً في الخارج و لكن يقدر إجتماعهما في الذهن ثم يحكم على ذلك بأنه ممتنع في الخارج إذ كان يمتنع تتحققه في الأعيان و تصوره في الأذهان إلا على وجه التمثيل بأن يقال قد تجتمع الحركة و السكون في الشيء فهل يمكن في الخارج أن يجتمع السواد و البياض في محل واحد كما تجتمع الحركة و السكون فيقال هذا غير ممكن فيقدر إجتماع نظير الممكן ثم يحكم بإمتناعه و أما نفس إجتماع البياض والسواد في محل واحد فلا يمكن و لا يعقل فليس بشيء لا في الأعيان و لا في الأذهان فلم يدخل في قوله {فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} الأنعام 17 المسألة

الثانية أن المعدو ليس بشيء في الخارج عند الجمهور و هو الصواب وقد يطلقون أن الشيء هو الموجود فيقال على هذا فيلزم أن لا يكون وقدراً إلا على موجود و ما لم يخلقه لا يكون قدراً عليه و هذا قول بعض أهل البدع قالوا لا يكون قدراً إلا على ما أراده دون ما لم يرده و يحكي هذا عن تلميذ النظام و الذين قالوا إن الشيء هو الموجود من نظر المثبتة كالأشعرى و من وافقه من أتباع الأئمة أحمد و غير أحمد كالقاضى أبي يعلى و ابن الزاغونى و غيرهما يقولون أنه قادر على الموجود فيقال أن هؤلاء أثبتوا ما لم تثبته الآية فالآية أثبتت قدرته على الموجود و هؤلاء قالوا هو قادر على الموجود والمعدوم و التحقيق أن الشيء إسم لما يوجد في الأعيان و لما يتصور في الأذهان فما قدره الله و علم أنه سيكون هو شيء في التقدير و العلم و الكتاب و أن لم يكن شيئاً في الخارج و منه قوله {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} سورة الرعد 82 و لفظ الشيء في الآية يتناول هذا و هذا فهو على كل شيء ما و جد و كل ماتصوره الذهن موجوداً إن تصور أن يكون موجوداً قديراً لا يستثنى من ذلك شيء و لا يزيد عليه شيء كما قال تعالى {بَلَى قَادِرِينَ عَلَى

أَن نُسُوِّيَ بَنَانَه } الْقِيَامَة 4 وَ قَالَ { قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ
 يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلَكُمْ } الْأَنْعَام 65 و
 قَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّهَا لَمَّا نَزَلَتْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ
 سَلَّمَ أَعُوذُ بِوْجَهِكَ فَلَمَّا نَزَلَ { أَوْ يَلْبِسُكُمْ شَيْئاً وَيُذَنِّيَ
 بَعْضَكُمْ بِأَسَّ بَعْضٍ } الْأَنْعَام 65 الْآيَة قَالَ هَاتَانِ أَهُونُ فَهُوَ
 قَادِرٌ عَلَى الْأَوْلَتِينِ وَ إِنْ لَمْ يَفْعُلْهُمَا وَ قَالَ { وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ
 مَاءً بِقَدْرٍ فَاسْكَنَاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابِهِ لَقَادِرُونَ }
 الْمُؤْمِنُون 18 قَالَ الْمُفَسِّرُونَ لَقَادِرُونَ عَلَى أَنْ نَذْهَبَ بِهِ
 حَتَّى تَمُوتُوا عَطْشًا وَ تَهْلِكَ مَوَاشِيكُمْ وَ تَخْرُبَ أَرَاضِيكُمْ وَ مَعْلُومَ
 أَنَّهُ لَمْ يَذْهَبْ بِهِ وَ هَذَا كَوْلُهُ { أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشَرَّبُونَ }
 الْوَاقِعَة 68 إِلَى قَوْلِهِ وَ { وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ }
 الْوَاقِعَة 82 وَ هَذَا يَدِلُ عَلَى أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى مَا لَا يَفْعُلُهُ فَإِنَّهُ أَخْبَرَ
 أَنَّهُ لَوْ شَاءَ جَعَلَ الْمَاءَ أَجَاجَا وَ هُوَ لَمْ يَفْعُلْهُ وَ مِثْلُ هَذَا وَ { وَلَوْ
 شِئْنَا لَا تَبْيَأَنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا } السَّجْدَة 13 { وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَ
 مَنْ فِي الْأَرْضِ } يُونُس 99 { وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا افْتَنَنَا } الْبَقْرَة 253
 فَإِنَّهُ أَخْبَرَ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ أَنَّهُ لَوْ شَاءَ لَفْعَلَ أَشْيَاءً وَ هُوَ لَمْ يَفْعُلَهَا
 فَلَوْ لَمْ يَكُنْ قَادِرًا عَلَيْهَا لَكَانَ إِذَا شَاءَهَا لَمْ يَمْكُنْ فَعَلَهَا
 الْمَسْأَلَةُ التَّالِثَةُ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ أَفْعَالُ
 الْعِبَادَ وَ غَيْرِ أَفْعَالِ الْعِبَادَ وَ أَكْثَرُ الْمُعْتَزَلَةِ يَقُولُونَ أَنَّ أَفْعَالَ الْعِبَادَ
 غَيْرَ مَقْدُورَةُ الْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ أَنَّهُ يَدْخُلُ فِي ذَلِكَ
 أَفْعَالَ نَفْسِهِ وَ قَدْ نَطَقَ النَّصْوُصُ بِهَذَا وَ هَذَا كَوْلُهُ تَعَالَى
 { أَوْلَيْسَ الدِّي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ
 مِثْلَهُمْ } يَس 81 { أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىَ }
 الْقِيَامَة 40 { بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسُوِّيَ بَنَانَهُ } الْقِيَامَة 4
 وَ نَظَائِرُهُ كَثِيرَةُ وَ الْقُدْرَةُ عَلَى الْأَعْيَانِ جَاءَتِ فِي مِثْلِ قَوْلِهِ
 { وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ } الْمُؤْمِنُون 12 { أَيَحْسَبُ
 أَنَّ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ } الْبَلْدَ 5 وَ جَاءَتِ مَنْصُوصَا عَلَيْهَا فِي
 الْكِتَابِ وَ السُّنَّةِ أَمَا الْكِتَابُ فَقَوْلُهُ { فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ
 مُنْتَقِمُونَ } الْزَّخْرَف 41 فَبَيْنَ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ يَقْدِرُ عَلَيْهِمْ أَنْفُسَهُمْ وَ

هذا نص في قدرته على الأعيان المفعولة و قوله { وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَارٍ } ق 45 و { لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصْنِطِرٍ } الغاشية 22 و نحو ذلك و هو يدل بمفهومه على أن الرب هو الجبار عليهم المسيطر و ذلك يستلزم قدرته عليهم و قوله { فَظَنَّ أَنْ لَنْ تَقْدِرَ عَلَيْهِ } الأنبياء 87 على قول الحسن و غيره من السلف من جعله من القدرة دليل على أن الله قادر عليه و على أمثاله و كذلك قول الموصي لأهله لأن قدر الله على ليعذبني عذابا ما عذبه أحدا من العالمين فلما حرقوه أعاده الله تعالى و قال له ما حملك على ماصنعت قال خشيتك يارب فغفر له و هو كان مخطئا في قوله لأن قدر الله على ليعذبني كما يدل عليه الحديث و أن الله قدر عليه لكن لخشتيه و إيمانه غفر الله له هذا الجهل و الخطأ الذي وقع منه وقد يستدل بقوله { أَلَمْ نَخْلُقُكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ } المرسلات 20 إلى قوله { فَنَعْمَ الْقَادِرُونَ } المرسلات 23 على قول من جعله من القدرة فإنه يتناول القدرة على المخلوقين و إن كان سبحانه قادرا أيضا على خلقه فالقدرة على خلقه قدرة عليه و القدرة عليه قدرة على خلقه و جاء أيضا الحديث منصوصا في مثل قول النبي صلى الله عليه وسلم لأبي مسعود لما رأه يضرب عبده الله أقدر عليك منك على هذا فهذا فيه بيان قدرة الرب على عين العبد و أنه أقدر عليه منه على عبده و فيه إثبات قدرة العبد¹

النسخ لا يجوز في الأخبار

*وقال الإمام أبو عبدالله الحارث بن اسماعيل بن أسد المحاسبي في كتابه المسمى فهم القرآن قال في كلامه على الناسخ والمنسوخ وأن النسخ لا يجوز في الأخبار قال لا يحل لأحد أن يعتقد أن مدح الله وصفاته ولا أسماءه يجوز أن ينسخ منها شيء إلى أن قال وكذلك لا يجوز إذا أخبر أن صفاته حسنة علينا أن يخبر بذلك أنها دنية سفلية فيصف نفسه بأنه جاهل ببعض الغيب بعد أن أخبر أنه عالم بالغيب وأنه لا ينصر ما قد كان ولا يسمع

الا صوات ولا قدره له ولا يتكلم ولا كلام كان منه وأنه تحت الأرض لا على العرش جل وعلا عن ذلك فإذا عرفت ذلك واستيقنته علمت ما يجوز عليه النسخ وما لا يجوز فان تلوت آية في ظاهر تلاوتها تحسب أنها ناسخة لبعض اخباره وكذلك قوله تعالى **{وَهُوَ الْفَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَيْرُ}**
الأنعام 18 قوله **{الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}** { طه } 5 وقوله **{أَمْنِثُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ}** { الملك } 16 وقوله **{إِلَيْهِ يَصْنَعُ}** الكلم الطيب والعمل الصالح يرقعه فاطر 10 وقال **{يُدَبِّرُ}** الأمر من السماء إلى الأرض ثم يergus إلهه } السجدة 5 وقال **{تَرْجُّ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ}** { المعارج } 4 وقال ليعسى **{إِنَّمَا يُتَوَفِّيُكُمْ وَرَافِعُكُمْ إِلَيَّ وَمُطْهِرُكُمْ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا}** } آل عمران 55 الآية وقال **{بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ}** { النساء } 158 وقال **{إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ}** { الأعراف } 206 وذكر الآلة أن لو كان الله لا يبتغوا إلى ذي العرش سبيلا حيث هو فقال **{قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ الَّهُ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَأْتَتْهُمْ إِلَيْهِ الْعَرْشُ سَبِيلًا}** { الإسراء } 42 أى طلبه وقال **{سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى}** { الأعلى } 1 قال أبو عبدالله فلن ينسخ ذلك لهذا أبدا كذلك قوله **{وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ}** { الزخرف } 84 قوله **{وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ}** { ق } 16 وقوله **{وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سرَّكُمْ وَجَهَرَكُمْ}** { الأنعام } 3 وقوله **{مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ}** { المجادلة } 7 الآية فليس هذا بناسخ لهذا ولا هذا ضد ذلك وأعلم أن هذه الآيات ليس معناها أن الله أراد الكون بذاته فيكون في أسفل الأشياء أو ينتقل فيها لانتقالها ويتبغض فيها على أقدارها ويزول عنها عند فنائها جل وعز عن ذلك وقد نزع بذلك بعض أهل الضلال فزعموا أن الله فز عموا أن الله تعالى في كل مكان بنفسه كائنا كما هو على العرش لا فرقان بين ذلك ثم أحالوا في النفي بعد تثبيت ما يجوز عليه في قولهم ما نفوه لأن كل من يثبت شيئا في المعنى ثم نفاه

بالقول لم يغرن عنه نفيه بلسانه واحتجوا بهذه الآيات أن الله تعالى في كل شيء بنفسه كائناً ثم نفوا معنى ما أثبتوه فقالوا لا كالشىء في الشيء قال أبو عبدالله لنا قوله { حَتَّىٰ نَعْلَمْ } محمد 31 { وَسَيَرَى اللَّهُ } التوبة 94 { إِنَّا مَعْكُمْ مُسْتَمْعُونَ } الشعراة 15 فانما معناه حتى يكون الموجود فيعلمته موجوداً ويسمعه مسموعاً ويبيصره مبصر لا على استحداث علم ولا سمع ولا بصر وأما قوله { إِذَا أَرَدْنَا } النحل 40 اذا جاء وقت كون المراد فيه وان قوله { عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى } طه 5 { وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ } الأنعام 18 الآية { أَمْنِثُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ } الملك 16 { إِذَا لَا يَنْجُوا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا } الإسراء 42 فهذا وغيره مثل قوله { تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ } المعارج 4 { إِلَيْهِ يَصْنَعُ الْكَلْمُ الطَّيِّبُ } فاطر 10 هذا منقطع يوجب أنه فوق العرش فوق الأشياء كلها منزه عن الدخول في خلقه لا يخفى عليه منهم خافية لأنه أبان في هذه الآيات أنه أراد أنه بنفسه فوق عباده لأنه قال { أَمْنِثُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ } الملك 16 يعني فوق العرش والعرش على السماء لأن من قد كان فوق كل شيء على السماء في السماء وقد قال مثل ذلك في قوله { فَسَيِّحُوا فِي الْأَرْضِ } التوبة 2 يعني على الأرض لا يريد الدخول في جوفها وكذلك قوله { يَتَبَيَّهُونَ فِي الْأَرْضِ } المائدة 26 يعني على الأرض لا يريد الدخول في جوفها وكذلك قوله { وَلَا صَلَبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ } طه 71 يعني فوقها عليها وقال { أَمْنِثُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ } الملك 16 ثم فصل فقال { أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ } الملك 16 ولم يصل فلم يكن لذلك معنى اذا فصل قوله { مَنْ فِي السَّمَاءِ } الملك 16 ثم استأنف التخويف بالخشوف إلا أنه على عرشه فوق السماء وقال تعالى { يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ } السجدة 5 وقال { تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ } المعارج 4 فيبين عروج الأمر وعروج الملائكة ثم وصف وقت صعودها

بالارتفاع صاعدة اليه فقال {في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة} {المعارج 4} فقال صعودها إليه وفصله من قوله إليه كقول القائل اصعد إلى فلان في ليلة أو يوم وذلك أنه في العلو وإن صعودك إليه في يوم فإذا صعدوا إلى العرش فقد صعدوا إلى الله عز وجل وإن كانوا لم يروه ولم يساووه في الإرتفاع في علوه فإنهم صعدوا من الأرض ورجعوا بالأمر إلى العلو¹

*وقال أبو عبد الله محمد بن أبي زمنين الامام المشهور من أئمة المالكية في كتابه الذي صنفه في أصول السنة قال ومن قول أهل السنة أن الله ينزل إلى سماء الدنيا ويؤمنون بذلك من غير أن يحدوا فيه حدا وذكر الحديث من طريق مالك وغيره إلى أن قال وأخبرني وهب عن ابن وضاح عن الزهرى عن ابن عباد قال ومن أدركك من المشائخ مالك وسفيان وفضيل بن عياض وعيسى بن المبارك ووكيع كانوا يقولون إن النزول حق قال ابن وضاح وسألت يوسف بن عدى عن النزول قال نعم أومن به ولا أحد فيه حدا وسألت عنه ابن معين فقال نعم أقربه ولا أحد فيه حدا قال محمد وهذا الحديث يبين أن الله عز وجل على العرش في السماء دون الأرض وهو ايضاً يبين في كتاب الله وفي غير حديث عن رسول الله قال تعالى {يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنِ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ} {السجدة 5} وقال تعالى {أَمَنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ} {16} {أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِير} {17} {الملك 16-17} وقال تعالى {إِلَيْهِ يَصْعُدُ الْكَلْمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ} {فاطر 10} وقال {وَهُوَ الْفَاعِرُ قَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَيْرُ} {الأنعام 18} وقال تعالى {يَا عِيسَى اذْنِي مُتَوَفِّيَكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ} {آل عمران 55} وقال {بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ} {النساء 158} وذكر من طريق مالك قول النبي للجارية أين الله قالت في السماء قال من أنا قالت أنت رسول الله قال فاعتقلها قال والأحاديث

مثل هذا كثيرة جداً فسبحان من علمه بما في السماء كعلمه بما في الأرض لا اله الا هو العلي العظيم^١

وقال الحافظ أبو بكر البهقى باب القول في الاستواء قال الله تعالى {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} طه ٥ {ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} الأعراف ٥٤ {وَهُوَ الْفَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ} الأنعام ١٨ {يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ} النحل ٥٠ {إِنَّهُ يَصْنَعُ الْكَلْمَ الطَّيِّبَ وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ يَرْفَعُهُ} فاطر ١٠ {أَمِنْتُمْ مَّنْ فِي السَّمَاءِ} الملك ١٦ واراد من فوق السماء كما قال {وَلَا أَصْلَبُنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ} طه ٧١ بمعنى على جذوع النخل وقال {فَسَيِّحُوا فِي الْأَرْضِ} التوبة ٢ اي على الأرض وكل ما علا فهو سماء والعرش أعلى السموات فمعنى الآية أمنتم من على العرش كما صرحت به في سائر الآيات قال وفيما كتبنا من الآيات دلالة على إبطال قول من زعم من الجهمية ان الله بذاته في كل مكان و قوله {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ} الحديد ٤ إنما اراد بعلمه لا بذاته^١

بيان ما أنكرت الجهمية الضلال أن يكون الله على العرش

* قال الإمام أحمد في كتابه الذي كتبه في الرد على الجهمة والزنادقة بيان ما أنكرت الجهمية الضلال أن يكون الله على العرش وقد قال تعالى {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} طه ٥ وقال {خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} الأعراف ٥٤ فقالوا هو تحت الأرض السابعة كما هو على العرش فهو على العرش وفي السموات وفي الأرض وفي كل مكان لا يخلو منه مكان ولا يكون في مكان دون مكان وييتلون آيات من القرآن {وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ} الأنعام ٣ قلنا قد عرف المسلمين أماكن كثيرة ليس فيها من عظيم الرب شيء فقالوا أي شيء قلنا أحشاءكم واجوافكم واجواف الخنازير والحسوش والأماكن

القدرة ليس فيها من عظيم الرب شيء وقد أخبرنا أنه في السماء
 فقال {أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ
 تَمُورُ } الملك 16 وقد قال جل ثناؤه {إِلَيْهِ يَصْنَعُ الْكَلْمُ الطَّيِّبُ }
 فاطر 10 وقال تعالى {إِنِّي مُتَوَفِّيَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ } آل عمران 55

وقال تعالى {بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ} النساء 158 وقال تعالى {وَلَهُ
 مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ
 وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ } الأنبياء 19 وقال تعالى {يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مَنْ
 فَوْقُهُمْ } النحل 50 وقال تعالى {ذِي الْمَعَارِجِ } 3 تَعْرُجُ
 الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ } 4 المعاраж 4-3 وقال تعالى **{وَهُوَ**
الْفَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ} **{الأنعام 18}** وقال تعالى { وَهُوَ الْغَلِيُّ
 الْعَظِيمُ } الشورى 4 قال فهذا خبر الله أنه في السماء ووجدنا
 كل شيء في أسفل مذموما يقول جل ثناؤه {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي
 الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ } النساء 145 وقال تعالى {وَقَالَ
 الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْبَنَا الَّذِينَ أَضَلَّنَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسَ نَجْعَلُهُمَا
 تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونُوا مِنَ الْأَسْفَلِينَ } فصلت 29 وقلنا لهم أليس
 تعلمون ان ابليس مكانه مكان والشياطين مكانهم مكان فلم يكن
 الله ليجتمع هو وابليس في مكان واحد ولكن معنى قوله عز وجل
 {وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ } الأنعام 3 يقول هو الله
 من في السموات والله من في الأرض وهو الله على العرش وقد
 أحاط علمه بما دون العرش لا يخلو من علم الله مكان ولا يكون
 علم الله في مكان دون مكان وذلك قوله {لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ
 شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا } الطلاق 12 وقال
 من الاعتبار في ذلك لو أن رجلا كان في يده قدر من قوارير
 صاف وفيه شيء صاف لكان نظر ابن آدم قد أحاط بالقدر من
 غير أن يكون ابن آدم في القدر والله وله المثل الأعلى قد أحاط
 بجميع خلقه من غير أن يكون في شيء من خلقه وحصلة
 أخرى لو أن رجلا بنى دارا بجميع مرافقها ثم اغلق بابها وخرج
 كان ابن آدم لا يخفى عليه كم بيت في داره وكم سعة كل بيت من

غير أن يكون صاحب الدار في جوف الدار فالله عز وجل وله
المثل الأعلى قد أحاط بجميع ما خلق وعلم كيف هو وما هو من
غير أن يكون في شيء مما خلق^١

ان فعل الله كله حسن جميل

ان فعل الله كله حسن جميل قال الله عز وجل {الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ} السجدة 7 وقال تعالى {صُنْعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ} النمل 8 و قال تعالى {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَدَرِّوْا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سِيْجَرَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} الأعراف 180 وقال النبي ان الله جميل يحب الجمال وهو حكم عدل قال الله تعالى {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمُ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} آل عمران 18

وقال تعالى {إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَأْكُ حَسَنَةً يُضَاعِفُهَا} النساء 40 وقال تعالى {وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَيْرُ} الأنعام 18^١

لِطَائِفُ لِغْوِيَّةٍ

1- قال تعالى { وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ } الأنعام 1 ومن هذا
تسمية الليل ظلمة والنهر نورا فإنهما عرضان وقد قيل هما
جو هر ان¹

2- ال تعالى {وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ} الأنعام 3 أن الكسب هو الفعل الذي يعود على فاعله بنفع أو ضر كما قال تعالى {لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ} البقرة 286 فيبين سبحانه أن كسب النفس لها أو عليها و الناس يقولون فلان كسب مالا أو حمدا أو شرفا كما أنه ينتفع بذلك¹

3- قال تعالى {فَأَهْلَكَنَا هُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأُنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ} الأنسام 6 عامة الأسماء يتتنوع مسمهاها بالاطلاق والتقييد وكذلك لفظ الذنوب اذا أطلق دخل فيه ترك كل واجب و فعل كل حرم كما في قوله {يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً} الزمر 53 ثم قد يقرن بغيره كما في قوله {رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا} آل عمران 147¹

4- قوله تعالى {وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ} المائدة 6 فيقال النهر كالقرية والميزاب كما يستعمل لفظ القرية تارة في السكان في مثل قوله {وَاسْأَلِ الْقُرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا} يوسف 82 وتارة في المساكن ونحو ذلك يراد به الحال ويراد به المحل فإذا قيل حفر النهر أريد به المحل وإذا قيل جرى النهر أريد به الحال¹

5- الكتاب اسم للقرآن العربي بالضرورة والاتفاق فان الكلبية أو بعضهم يفرق بين الكلام وكتاب الله فيقول كلامه هو المعنى القائم بالذات وهو غير مخلوق وكتابه هو المنظوم المؤلف العربي وهو مخلوق والقرآن يراد به هذا تارة وهذا تارة والله تعالى قد سمي نفس مجموع اللفظ والمعنى قرآنا وكتابا وكلاما فقال تعالى {الرَّ تَلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ} الحجر 1 وقال {طَسْ تَلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ} النمل 1 وقال {وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ} الأحقاف 29 إلى قوله تعالى {قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدِيهِ} الأحقاف 30 فيبين ان الذى سمعوه هو القرآن وهو الكتاب وقال {بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّحِيدٌ} 21 {فِي لُوحٍ مَّحْفُوظٍ} 22 البروج 21-22 وقال {إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ} 77 {فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ} 78 الواقعة 77-78 وقال {يَتْلُو صُحْفًا مُّطَهَّرًا} 2 {فِيهَا كُتُبٌ قِيمَةٌ} 3 البينة 2-3 وقال {وَالظُّورُ} 1 {وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ} 2 {فِي رَقٍ مَّنْشُورٍ} 3 الطور 1-3 وقال {وَلَوْ نَزَّلْنَا

عَلَيْكِ كِتَاباً فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ { الأنعام 7} ولكن لفظ الكتاب قد يراد به المكتوب فيكون هو الكلام وقد يراد به ما يكتب فيه كما قال تعالى {إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ} 77 في كتاب مَكْنُونٍ 78 الواقعة 77-78 وقال {وَنُخْرُجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يُلْقَاهُ مَنْشُورًا } الإسراء 13¹

6- قال تعالى { كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ } الأنعام 12 ورحمته اسم جامع لكل خير ودار الرحمة الخالصة هي الجنة¹

7- قال تعالى { وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ } الأنعام 13 سماع منزه عن الصم عليم منزه عن الجهل¹

8- قال تعالى { قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخَذُ وَلِيًّا فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } الأنعام 14 ولفظ الإسلام يتضمن

الإسلام والانقياد ويتضمن الإخلاص مأخذ من قوله تعالى { ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءٌ مُتَشَابِكُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هُلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بْلَى أَكْثُرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } الزمر 29 فلا بد في الإسلام من الاستسلام لله وحده وترك الاستسلام لما سواه وهذا حقيقة قولنا لا إله إلا الله فمن استسلم لله ولغير الله فهو مشرك والله لا يغفر أن يشرك به ومن لم يستسلم له فهو مستكبر عن عبادته وقد قال تعالى { وَقَالَ رَبُّكُمْ اذْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَآخِرِينَ } غافر 60¹

9- فإن ما تعلقت به المشيئة تعلقت به القدرة فإن ما شاء الله كان و لا يكون شيء إلا بقدرته وما تعلقت به القدرة من الموجودات تعلقت به المشيئة فإنه لا يكون شيء إلا بقدرته ومشيئته وما جاز أن تتعلق به القدرة جاز أن تتعلق به المشيئة و كذلك بالعكس و مالا فلا ولهاذا قال { فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } الأنعام 17 و الشيء في الأصل مصدر شاء يشاء شيئاً كنال بنال نيلا ثم وضعوا المصدر موضع المفعول فسموا المشيء شيئاً كما يسمى

المنيل نيلا ف قالوا نيل المعدن و كما يسمى المقدور قدرة و
المخلوق خلقا قوله { فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } الأنعام 17
أي على كل ما يشاء فمنه ما قد شيء فوجد و منه ما لم يشا ل肯ه
شيء في العلم بمعنى أنه قابل لأن يشاء و قوله { عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ } الأنعام 17 يتناول ما كان شيئا في الخارج و العلم أو ما
كان شيئا في العلم فقط بخلاف مالا يجوز أن تتناوله المشيئة و
هو الحق تعالى و صفاته أو الممتنع لنفسه فإنه غير داخل في
العلوم و لهذا إنفق الناس على أن الممتنع لنفسه ليس بشيء¹
10- { فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } الأنعام 17 قادر منزه عن
العجز والضعف¹

11- قال تعالى { وَهُوَ الْفَاعِلُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَيْرُ }
الأنعام 18 حكيم منزه عن السفة¹

{ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ
 وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأَنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَنْتُكُمْ
 لَتَشْهُدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ أَهْلَهُ أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهُدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ
 إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ } 19 } الَّذِينَ آتَيْنَاهُمْ
 الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسَرُوا
 أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ } 20 } وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى
 اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ } 21 } وَيَوْمَ
 نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمْ
 الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ } 22 } ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَشَّتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا
 وَاللَّهِ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ } 23 } انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى
 أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ } 24 } وَمِنْهُمْ مَنْ
 يَسْتَمِعُ إِلَيْكُمْ وَجَعَلُنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكْنَةً أَنْ يَفْقُهُوهُ وَفِي
 آذانِهِمْ وَقَرَا وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا
 جَاءُوكُمْ يُجَادِلُونَكُمْ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ
 الْأَوَّلِينَ } 25 } وَهُمْ يَنْهَاونَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهَلِّكُونَ
 إِلَّا أَنفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ } 26 } وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقْفُوا عَلَى
 النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نَرَدُ وَلَا نَكْذِبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ
 الْمُؤْمِنِينَ } 27 } بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفِونَ مِنْ قَبْلِ وَلَوْ
 رُدُوا لَعَادُوا لِمَا نَهَا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ } 28 } وَقَالُوا إِنَّ
 هَيِّ إِلَّا حَيَا تَنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ } 29 } وَلَوْ تَرَى إِذْ
 وُقْفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلِيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا
 قَالَ فَذَوْقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفِرُونَ } 30 } قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ
 كَذَبُوا بِلِقَاءَ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءُتْهُمُ السَّاعَةَ بَغْتَةً قَالُوا يَا
 حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أُوزَارَهُمْ عَلَى

ظُهُورُهُمْ أَلَا سَاءَ مَا يَرْزُونَ {31} وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا
لَعْبٌ وَلَهْوٌ وَلَلَّذَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَفَقَّهُونَ أَفَلَا
تَعْقِلُونَ {32} قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَخْرُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا
يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ {33} وَلَقَدْ
كُذِبْتُ رُسُلًا مِّنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِبُوا وَأَوْذَوْا حَتَّىٰ
أَتَاهُمْ نَصْرًا وَلَا مُبْدِلَ لِكَلْمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءُكَ مِنْ نَّبِيٍّ
الْمُرْسَلِينَ {34} وَإِنْ كَانَ كَبَرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ
اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِي نَفْقَاً فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلْمًا فِي السَّمَاءِ
فَتَأْتِيهِمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونُنَّ
مِنَ الْجَاهِلِينَ {35} إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىٰ
يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ {36} وَقَالُوا لَوْلَا نَزَّلَ عَلَيْهِ
آيَةٌ مِّنْ رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنَّ
أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ {37} وَمَا مِنْ دَآبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا
طَائِرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحِيهِ إِلَّا أَمْمَ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ
مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ {38} وَالَّذِينَ كَذَبُوا
بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَاءُ اللَّهُ يُضْلِلُهُ وَمَنْ
يَشَاءُ يَجْعَلُهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ {39}

القرآن كله يثبت توحيد الإلهية

*فإن العرب لم تتكلم بلفظ لا اله مجردًا ولا كانوا نافعين للصانع حتى يقولوا لا اله بل كانوا يجعلون مع الله آلهة أخرى قال تعالى {أَئِنَّكُمْ لَتَشْهُدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلَّهَ أُخْرَىٰ قُلْ لَا أَشْهَدُ} الأنعام 19 ولهمذا قالوا {أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ} ص 5 والقرآن كله يثبت توحيد الإلهية ويعيب عليهم الشرك وقد توادر عنه صلى الله عليه وسلم أنه أول ما دعى الخلق إلى شهادة أن لا اله إلا الله وقال أمرت أن اقاتل

الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله والمشركون لم يكونوا ينمازونه في الاتباث بل في النفي فكان الرسول والمشركون متفقين على اثبات إلهية الله وكان الرسول ينفي إلهية ما سوى الله وهم يثبتون فلم يتكلم أحد لا من المسلمين ولا من المشركين بهذه الكلمة إلا لاثبات إلهية الله ولنفي إلهية ما سواه والمشركون كانوا يثبتون إلهية ما سواه مع إلهيته¹

*وقال الله تعالى {فَكُبِّلُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ} 94 {وَجُنُودُ إِلَيْسَ أَجْمَعُونَ} 95 {قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ} 96 {تَالَّهُ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} 97 {إِذْ نُسَوِّيْكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ} 98 {وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ} 99 {فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ} 100 {وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ} 101 {فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} 102 {الشِّعْرَاءُ 98-102} قوله {إِذْ نُسَوِّيْكُمْ} الشِّعْرَاءُ 98 لم يريدوا به أنهم جعلوهم مساوين لله من كل وجه فان هذا لم يقله أحد من بنى آدم ولا نقل عن قوم فقط من الكفار أنهم قالوا ان هذا العالم له خالقان متماثلان حتى المجنوس القائلين بالأصلين النور والظلمة متقوون على أن النور خير يستحق أن يعبد ويحمد وان الظلمة شريرة تستحق أن تندم وتلعن واختلفوا هل الظلمة محدثة أو قديمة على قولين وبكل حال لم يجعلوها مثل النور من كل وجه وكذلك مشركون العرب كانوا متقوين على أن أربابهم لم تشارك الله في خلق السموات والأرض بل كانوا مقررين بأن الله وحده خلق السموات والأرض وما بينهما كما أخبر عنهم بذلك في غير آيه قوله تعالى {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ} 61 {اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} 62 {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لِيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثُرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ} 63 {العنكبوت 63-64} وقال تعالى {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لِيَقُولُنَّ خَلَقْهُنَّ الْعَرَبِيُّ الْعَلِيمُ} 9 {الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا

**لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ {10} وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرِ فَإِن شَرَّنَا بِهِ
بَلْدَةً مَيْتَانًا كَذَلِكَ تُخْرِجُونَ {11} وَالَّذِي خَلَقَ الْأَرْوَاحَ كُلَّهَا وَجَعَلَ
لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكُبُونَ {12} لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ
تَذَكَّرُوا نِعْمَةً رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا
هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ {13} وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِّبُونَ {14}**

الزخرف 9-14 وهذه الصفات من كلام الله تعالى ليست من تمام جوابهم وقال تعالى { قُلْ لَمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ
تَعْلَمُونَ {84} سَيَقُولُونَ اللَّهُ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ {85} قُلْ مَنْ رَبُّ
السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ {86} سَيَقُولُونَ اللَّهُ قُلْ أَفَلَا
تَنَقَّوْنَ {87} قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلْكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُحِيرُ وَلَا يُجَارُ
عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ {88} سَيَقُولُونَ اللَّهُ قُلْ فَإِنَّى شُسْرَوْنَ {89}
المؤمنون 84-89 وقال تعالى { قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنَّا كُمْ عَذَابُ اللَّهِ
أَوْ أَنْتُمُ السَّاعَةُ أَغْيَرُ اللَّهِ تَذَعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ {40} بَلْ إِيَّاهَا
تَذَعُونَ فَيُكْسِفُ مَا تَذَعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَتَسْوَنَ مَا
تُشْرِكُونَ {41} الأنعام 40-41 وكذلك قوله { اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا
يُشْرِكُونَ {59} أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ
السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْثِيَا
شَجَرَهَا إِلَّهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدُلُونَ {60} أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ
قَرَارًا وَجَعَلَ خَلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ
حَاجِزًا إِلَّهٌ مَعَ اللَّهِ {61} } النمل 59-61 أى إِلَهٌ مع الله فعل هذا
وهذا استفهام انكار وهم مقررون بأنه لم يفعل هذا الله آخر مع الله
ومن قال من المفسرين ان المراد هل مع الله الله آخر فقد غلط
فانهم كانوا يجعلون مع الله الالهة أخرى كما قال تعالى { أَنْتُمْ
لَتَشَهَّدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ الْهَمَّ أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهُدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ
وَإِنَّمَا يَرِيَءُ مِمَّا تُشْرِكُونَ } الأنعام 19 وقال تعالى { فَمَا

**أَغْنَتْ عَنْهُمْ الْهَمَّ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ } هود 101
وقال تعالى عنهم { أَجَعَلَ الْأَلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنْ هَذَا لَشَيْءٌ
عُجَابٌ } ص 5 وكانوا معتبرين بأن الالههم لم تشارك الله في
خلق السموات والأرض ولا خلق شيء بل كانوا يتذذلونهم شفعاء**

ووسائله كما قال تعالى {وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هُؤُلَاءِ شُفَاعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ} يومنس 18 وقال عن صاحب بيس { وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } 22 { أَتَنْخَذُ مِنْ دُونِهِ اللَّهَ إِنْ يُرِدْنَ الرَّحْمَنَ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِدُونِ } بيس 22-23¹

يبين للمشركين قبح ما هم عليه من الشرك

* وقد أخبر الله تعالى عن قبح أعمال الكفار قبل أن يأتيهم الرسول قوله لموسى {إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَى الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شَيْعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ } 4 { وَنُرِيدُ أَنْ نَمْنَعَ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضْعَفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلُهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلُهُمُ الْوَارِثِينَ } 5 { وَنُمْكِنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ } 6 القصص-4-6 فهذا خبر عن حاله قبل أن يولد موسى وحين كان صغيرا قبل أن يأتيه بر رسالة انه كان طاغيا مفسدا و ايضا أمر الله الناس أن يتوبوا ويستغفروا مما فعلوه فلو كان كالمحاب المستوى الطرفين والمغفو عنه وكفعل الصبيان والمجانين ما أمر بالاستغفار والتوبة فعلم أنه كان من السيئات القبيحة لكن الله لا يعقوب الا بعد إقامة الحجة وهذا قول ابراهيم الخليل لقومه أيضا {مَاذَا تَعْبُدُونَ } 85 { أَفْكَأَ الَّهُمَّ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ } 86 { فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ } 87 { الصافات 85-87 إلى قوله } أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِثُونَ } 95 { وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ } 96 { الصافات 95-96 فهذا كله يبين قبح ما كانوا عليه قبل النهي وقبل انكاره عليهم ولهذا استفهم استفهام منكر فقال { أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِثُونَ } 95 { أَتَعْبُدُونَ مَا تَعْمَلُونَ } 96 { الصافات 95-96 } أي وخلق ما تتحتون فكيف يجوز أن تعبدوا ما تصنعونه بأيديكم وتدعون رب العالمين فلو لا ان حسن التوحيد وعبادة الله تعالى وحده لا شريك له وقبح الشرك ثابت في نفس الامر معلوم بالعقل لم يخاطبهم بهذا إذ كانوا لم يفعلوا شيئا يذمون عليه بل كان فعلهمأكلهم وشربهم وإنما كان قبيحا بالنهاي ومعنى قبحه كونه منهيا عنه ولا

لمعنى فيه كما تقوله المجرة وأيضاً ففي القرآن في مواضع كثيرة وبين لهم قبح ما هم عليه من الشرك وغيره بالأدلة العقلية ويضرب لهم الأمثل كقوله تعالى

{ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَبْيَتْنَا
بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِثُوا شَجَرَهَا إِلَّا هُنَّ مَعَ اللَّهِ بِلْ
هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ } 60 { أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خَلَالَهَا
آنَهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا إِلَّا هُنَّ مَعَ اللَّهِ
بِلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } 61 { أَمَّنْ يُحِبُّ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ
وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفاءَ الْأَرْضِ إِلَّا هُنَّ مَعَ اللَّهِ } 62
النمل 60-62 وهذا في جملة بعد جملة يقول { إِلَّا هُنَّ مَعَ اللَّهِ }
انكارا عليهم أن يعبدوا غير الله ويتخذوه إليها مع اعترافهم بأن
هذا لم يفعله إله غير الله وإنما فعله هو وحده قوله { إِلَّا
جواب الاستفهام أي إله مع الله موجود وهذا مَعَ اللَّهِ }
غلط فانهم يجعلون مع الله آلهة ويشهدون بذلك لكن ما كانوا
يقولون إنهم فعلوا ذلك والتقرير انما يكون لما يقررون به وهم
مقررون بأنهم لم يفعلوا لا يقررون بأنه لم يكن معه إله قال تعالى
{ أَتَنْكُمْ لَتَشْهُدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهُدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ
إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ } الأنعام 19

* ودين الإسلام مبني على أصلين وهما تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأول ذلك أن لا تجعل مع الله لها آخر فلا تحب مخلوقا كما تحب الله ولا ترجوه كما ترجو الله ولا تخشى كما تخشى الله ومن سوى بين المخلوق والخالق في شيء من ذلك فقد عدل بالله وهو من الذين بربهم يعدلون وقد جعل مع الله لها آخر وإن كان مع ذلك يعتقد أن الله وحده خلق السموات والأرض فإن مشركي العرب كانوا مقررين بأن الله وحده خلق السموات والأرض كما قال تعالى {وَلَئِن سَأَلْتُهُم مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَإِنَّ يُؤْفَكُونَ} العنكبوت 61 وكانوا مع ذلك مشركين يجعلون مع الله

الله أخرى قال تعالى {أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلَّهٰ أَخْرَى
قُلْ لَاَ أَشْهَدُ } الأنعام 19¹

الطريقان التي بهما تثبت نبوة النبي

* ودلائل نبوة محمد قطعية يقينية لا يمكن الالحاد فيها بظن فإن
الظن لا يدفع اليقين لا سيما مع الآثار الكثيرة المخبرة بأن محمدا
كان مكتوباً باسمه الصرير فيما هو منقول عن الأنبياء كما في
صحيح البخاري أنه قيل لعبد الله بن عمرو أخبرنا ببعض صفة
رسول الله في التوراة فقال إنه لموصوف في التوراة ببعض
صفته في القرآن يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً وبمشراً ونديراً
وحرزاً للأمينين أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكلاً لست بفظ
ولا غليظ ولا سخاب بالأسواق ولا تجزي بالسيئة السيئة ولكن
تجزى بالسيئة الحسنة وتغفو وتغفر ولن أقبضه حتى أقيم به الملة
الموجاء فأفتح به أعيناً عمياً وأذاناً صماً وقلوباً غلفاً بأن يقولوا لا
إله إلا الله¹

* قال تعالى {قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بِيْنِي وَبَيْنَكُمْ
وَأَوْحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْفُرْقَانُ لِأَنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ
اللَّهِ آلَّهٰ أَخْرَى قُلْ لَاَ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ اللَّهُ وَاحِدٌ وَإِنَّمَا بَرِيءٌ مِّمَّا
تُشْرِكُونَ } الأنعام 19 و هذان الطريقان بهما تثبت نبوة النبي و
هي الآيات و البراهين الدالة على صدقه أو شهادة نبى آخر قد
علم صدقه له بالنبوة فذكر هذين النوعين بقوله { قُلْ كَفَى
بِاللَّهِ بِيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا } العنكبوت 52 وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ
{ الرعد 43 فذلك يعلم بها صدقه بالنظر العقلى فى آياته و
براهينه و هذه يعلم بها صدقه بالخبر السمعي المنقول عن
الأنبياء قبله وكذلك قوله { قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ
شَهِيدٌ بِيْنِي وَبَيْنَكُمْ } الأنعام 19 فقوله { قُلْ اللَّهُ } الأنعام 19
فيها وجهان قيل هو جواب السائل و قوله { شَهِيدٌ }
{ الأنعام 19 خبر مبتدأ أي هو شهيد وقيل هو مبتدأ و قوله

{ شَهِيدٌ } الأنعام 19 خبره فاغنى ذلك عن جواب الاستفهام و الأول على قراءة من يقف على قوله { قُلِ اللَّهُ } الأنعام 19 و الثاني على قراءة من لا يقف و كلاهما صحيح لكن الثاني أحسن و هو أتم وكل أحد يعلم أن الله أكبر شهادة فلما قال { قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً } الأنعام 19 علم أن الله أكبر شهادة من كل شيء فقيل له { قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ } الأنعام 19 و لما قال { اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ } الأنعام 19 كان في هذا ما يغنى عن قوله أن الله أكبر شهادة و ذلك أن كون الله أكبر شهادة هو معلوم و لا يثبت بمجرد قوله { أَكْبَرُ شَهَادَةً } الأنعام 19 بخلاف كونه شهيدا بينه وبينهم فان هذا مما يعلم بالنص والاستدلال فينظر هل شهد الله بصدقه و كذبهم في تكذيبه أم شهد بكذبه و صدقهم في تكذيبه و إذا نظر في ذلك علم أن الله شهد بصدقه و كذبهم بالنوعين من الآيات بكلامه الذي أنزله و بما بين أنه رسول صادق ولهاذا أعقبه بقوله { وَأَوْحَى إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأَنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ } الأنعام 19 فإن هذا القرآن فيه الانذار و هو آية شهد بها أنه صادق و بالآيات التي يظهرها في الآفاق و في الأنفس حتى يتبين لهم أن القرآن حق و قوله في هذه الآية { قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ } الأنعام 19 و كذلك قوله { قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ } الرعد 43 { قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ } الإسراء 96 و كذلك قوله { قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا } العنكبوت 52 و كذلك قوله { هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ } الأحقاف 8 ذكر سبحانه أنه شهيد بينه وبينهم و لم يقل شاهد علينا و لا شاهد لي لأنه ضمن الشهادة الحكم فهو شهيد يحكم بشهادته بيني و بينكم و الحكم قدر زائد على مجرد الشهادة فان الشاهد قد يؤدي الشهادة و أما الحكم فإنه يحكم بالحق للحق على المبطل و يأخذ حقه منه و يعامل الحق بما يستحقه و المبطل بما يستحقه وهكذا شهادة الله بين الرسول و متبعيه و بين مكذبيه فانها تتضمن حكم الله للرسول و أتباعه يحكم بما يظهره من الآيات الدالة على صدق

الرسول على أنها الحق و تلك الآيات أنواع متعددة ويحكم له أيضا بالنجاة و النصر و التأييد و سعادة الدنيا و الآخرة و لمكذبيه بالهلاك و العذاب و شقاء الدنيا و الآخرة كما قال تعالى {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ} التوبة 33 فيظهره بالدلائل و الآيات العلمية التي تبين أنه حق و يظهره أيضا بنصره و تأييده على مخالفيه و يكون منصورا كما قال تعالى {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًاٍ إِلَيْنَاٰ بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُولُ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ} الحديد 25 فهذه شهادة حكم كما قدمنا ذلك في قوله {شَهَدَ اللَّهُ {آل عمران} 18 قال مجاهد والفراء و أبو عبيدة } شهاد الله {آل عمران} 18 أي حكم و قضى لكن الحكم في قوله {بِيَنِي وَبَيْنَكُمْ} الأنعام 19 أظهر و قد يقول الإنسان لا خر فلان شاهد بيني و بينك أي يتحمل الشهادة بما بيننا فالله يشهد بما أنزله و قوله و هذا مثل الشهادة على أعمال العباد و لكن المكذبون ما كانوا ينكرون التكذيب و لا كانوا يتهمون الرسول بأنه ينكر دعوى الرسالة فيكون الشهيد بتضمن الحكم أثبت و أشبه بالقرآن و الله أعلم¹

النذارة ليست مختصة بمن شافهم بالخطاب

* في الصحيحين عن النبي أنه قال بلغوا عنِي ولو آية و قال نصر الله امراء سمع منا حديثاً فبلغه إلى من لم يسمعه و قال ليبلغ الشاهد الغائب و قال إن العلماء ورثة الأنبياء و قد قال تعالى في القرآن { وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ } الأَنْعَام ١٩ فكل من بلغه القرآن فهو مخاطب به يتناوله خطاب القرآن^١

* فإن حمدنا صلى الله عليه وسلم قد عرف بالإضطرار من دينه أنه مبعوث إلى جميع الإنس والجن والله تعالى خاطب بالقرآن جميع التقلين كما قال {لأنذركم به ومن بلغ } الأنعام 19

فكل من بلغه القرآن من إنسني و جنبي فقد أندره الرسول به و الإنذار هو الإعلم بالمخوف و المخوف هو العذاب ينزل بمن عصى أمره و نهيه فقد أعلم كل من و صل إليه القرآن أنه إن لم يطعه و إلا عذبه الله تعالى و أنه إن أطاعه أكرمه الله تعالى و هو قد مات فإنما طاعته بإتباع ما في القرآن مما أوجبه الله و حرمه و كذلك ما أوجبه الرسول و حرمه بسننته فإن القرآن قد بين وجوب طاعته و بين أن الله أنزل عليه الكتاب و الحكمة و قال لأزواج نبيه {وَأَذْكُرْنَّ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ} الأحزاب¹

*أمره بتبلیغ رسالته بحسب الإمکان إلى طائفة بعد طائفة وأمر بتبلیغ الأقرب منه مكاناً و نسباً ثم بتبلیغ طائفة بعد طائفة حتى تبلغ النذارة إلى جميع أهل الأرض كما قال تعالى {قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً فُلِّ اللَّهِ شَهِيدٌ بِنْيٰ وَبَيْنَكُمْ وَأَوْحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأَنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَنِّيَنَّكُمْ لَتَشْهُدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَهُ أَخْرَى قُلْ لَا أَشْهُدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ} الأنعام 19 أي من بلغه القرآن فكل من بلغه القرآن فقد أندره محمد صلى الله عليه وسلم ونبين هنا أن النذارة ليست مختصة بمن شافهم بالخطاب بل ينذرهم به وينذر من بلغهم القرآن¹

*والقرآن نفسه لفظه و معناه الذي تكلم الله به و سمعه جبريل من الله و سمعه محمد من جبريل و بلغه محمد إلى الناس و أندره به الأمم لقوله تعالى {لِأَنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ} الأنعام 19 و واحد وهو كلام الله¹

أحكام الكفر و التأديب لا تثبت إلا بعد بلوغ الرسالة

* فمعلوم أن الحجة إنما تقوم بالقرآن على من بلغه كقوله {لِأَنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ} الأنعام 19 فمن بلغه بعض القرآن دون بعض قامت عليه الحجة بما بلغه دون ما لم يبلغه فإذا اشتبه

معنى بعض الآيات وتنازع الناس في تأويل الآية وجوب رد ما تنازعوا فيه إلى الله ورسوله فإذا اجتهد الناس في فهم ما أراده الرسول فالمصيب له أجران والمخطئ له أجر¹

*فمن جد وجوبها(الصلاه) بجهله عرف ذلك وإن جدها عناداً كفر هذا اصل مضطرب في مباني الإسلام الخمسة و في الأحكام الظاهرة المجمع عليها من مكلف إن كان الجاحد بذلك معذوراً مثل إن يكون حديث عهد بالإسلام أو قد نشأ بباديه هي مظنة الجهل بذلك لم يكفر حتى يعرف إن هذا دين الإسلام لأن أحكام الكفر والتاديب لا تثبت إلا بعد بلوغ الرسالة لا سيما فيما لا يعلم بمجرد العقل قال الله تعالى {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا} الإسراء 15 وقال تعالى {لَيَأْكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ} النساء 165 وقال تعالى {وَلَوْ أَنَّا هَلَكْنَا هُمْ بِعَذَابٍ مِّنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا} طه 134 وقال تعالى {وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْفُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أَمْمَهَا رَسُولًا يَنْذِلُ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا} القصص 59 وقال تعالى {لَأَنذِرْكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ} الأنعام 19 فالإنذار لمن بلغه القرآن بلفظه أو معناه فإذا بلغته الرسالة بواسطة أو غير واسطة قامت عليه الحجة و انقطع عذر¹

*أما تارك الصلاة فهذا إن لم يكن معتقداً لوجوبها فهو كافر بالنص والإجماع لكن إذا أسلم ولم يعلم أن الله أوجب عليه الصلاة أو وجوب بعض أركانها مثل أن يصلي بلا وضوء فلا يعلم أن الله أوجب عليه الوضوء أو يصلي مع الجنابة فلا يعلم أن الله أوجب عليه غسل الجنابة فهذا ليس بكافر إذا لم يعلم لكن إذا علم الوجوب هل يجب عليه القضاء فيه قوله للعلماء في مذهب أحمد وممالك وغيرهما قيل يجب عليه القضاء وهو المشهور عن أصحاب الشافعى وكثير من أصحاب أحمد وقيل لا يجب عليه القضاء وهذا هو الظاهر وعن أحمد فى هذا الأصل روایتان منصوصتان فيمن صلى في معاطن الإبل ولم

يُكَلِّ علم بالنَّهْيِ ثُمَّ علم هُل يُعَيَّد عَلَى روايَتَيْنِ وَمِنْ صَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأْ مِنْ لَحْوِ الْإِبْلِ وَلَمْ يَكُنْ عَلَمَ بِالنَّهْيِ ثُمَّ علم هُل يُعَيَّد عَلَى روايَتَيْنِ مَنْصُوصَتَيْنِ وَقِيلَ عَلَيْهِ الإِعَادَةُ إِذَا تَرَكَ الصَّلَاةَ جَاهِلًا بِوُجُوبِهَا فِي دَارِ الْإِسْلَامِ دُونَ دَارِ الْحَرْبِ وَهُوَ الْمَشْهُورُ مِنْ مَذَهَّبِ أَبِي حَنِيفَةَ وَالصَّائِمُ إِذَا فَعَلَ مَا يَفْطُرُ بِهِ جَاهِلًا بِتَحْرِيمِ ذَلِكَ فَهُلْ عَلَيْهِ الإِعَادَةُ عَلَى قَوْلَيْنِ فِي مَذَهَّبِ أَحْمَدَ وَكَذَلِكَ مِنْ فَعْلِ مَحْظُورَةِ فِي الْحَجَّ جَاهِلًا وَأَصْلُ هَذَا أَنْ حَكْمَ الْخُطَابِ هُلْ يَثْبُتُ فِي حَقِّ الْمَكْلُوفِ قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَهُ فِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ فِي مَذَهَّبِ أَحْمَدَ وَغَيْرِهِ قِيلَ يَثْبُتُ وَقِيلَ لَا يَثْبُتُ وَقِيلَ يَثْبُتُ الْمُبْتَدَأُ دُونَ النَّاسِخِ وَالْأَظَهَرِ أَنَّهُ لَا يَجُبُ قَضَاءُ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ وَلَا يَثْبُتُ الْخُطَابُ إِلَّا بَعْدَ الْبَلَاغِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى {الَّذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ}

{الأنعام 19} وَقَوْلُهُ {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا} {الإسراء 15} وَلِقَوْلِهِ {إِنَّا لَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ} {النساء 165} وَمِثْلُ هَذَا فِي الْقُرْآنِ مُتَعَدِّدٌ بَيْنَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ لَا يَعْاقِبُ أَحَدًا حَتَّىٰ يَبْلُغَهُ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ وَمَنْ عَلِمَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ فَآمَنَ بِذَلِكَ وَلَمْ يَعْلَمْ كَثِيرًا مَا جَاءَ بِهِ لَمْ يَعْذِبْهُ اللَّهُ عَلَى مَا لَمْ يَبْلُغْهُ إِنَّهُ إِذَا لَمْ يَعْذِبْهُ عَلَى تَرْكِ الْإِيمَانِ بَعْدِ الْبَلَوغِ فَإِنَّهُ لَا يَعْذِبْهُ عَلَى بَعْضِ شَرائِطِهِ إِلَّا بَعْدِ الْبَلَاغِ أُولَى وَأَحْرَى وَهَذِهِ سُنَّةُ رَسُولِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيَّةُ عَنْهُ فِي أَمْثَالِ ذَلِكِ فَإِنَّهُ قَدْ ثَبَّتَ فِي الصَّاحِحَاتِ أَنَّ طَائِفَةً مِنْ اصْحَابِهِ ظَنَّوْا أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى {الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ} الْبَقْرَةُ 187 هُوَ الْحِبْلُ الْأَبْيَضُ مِنْ الْحِبْلِ الْأَسْوَدِ فَكَانَ أَحَدُهُمْ يَرْبِطُ فِي رِجْلِهِ حِبْلًا ثُمَّ يَأْكُلُ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ هَذَا مِنْهُ فَبَيْنَ النَّبِيِّ أَنَّ الْمَرَادَ بِيَابِضِ النَّهَارِ وَسَوَادِ اللَّيلِ وَلَمْ يَأْمُرْهُمْ بِالإِعَادَةِ وَكَذَلِكَ عُمَرُ بْنُ الْخُطَابِ وَعُمَارُ أَجْنَبَا فَلَمْ يَصُلْ عَرْمَهُ حَتَّىٰ أَدْرَكَ الْمَاءَ وَظَنَّ عُمَارُ أَنَّ التَّرَابَ يَصُلُّ إِلَيْهِ حِيثُ يَصُلُّ الْمَاءَ فَتَمْرَغُ كَمَا تَمْرَغُ الدَّابَّةُ وَلَمْ يَأْمُرْ وَاحِدًا مِنْهُمْ بِالْقَضَاءِ وَكَذَلِكَ أَبُو ذِرٍّ بَقِيَ مَدَةً جَنِيَا لَمْ يَصُلْ وَلَمْ يَأْمُرْهُ بِالْقَضَاءِ بَلْ أَمْرَهُ بِالْتَّيِّمِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ وَكَذَلِكَ الْمُسْتَحَاضَةُ قَالَتْ أَنَّهُ اسْتَحَاضَ حِيْضَةً شَدِيدَةً تَمْنَعُنِي الصَّلَاةَ وَالصَّوْمَ فَأَمْرَهَا بِالصَّلَاةِ

زمن دم الإستحاضة ولم يأمرها بالقضاء ولما حرم الكلام في الصلاة تكلم معاوية بن الحكم السلمي فنؤ الصلاة بعد التحرير جاهلا بالتحريم فقال له أن صلاتنا هذه لا يصلح فيها شيء من كلام الآدميين ولم يأمره بإعادة الصلاة ولما زيد في الصلاة الحضر حين هاجر إلى المدينة كان من كان بعيدا عنه مثل من كان بمكة وبأرض الحبشة يصلون ركعتين ولم يأمرهم النبي بإعادة الصلاة ولما فرض شهر رمضان في السنة الثانية من الهجرة ولم يبلغ الخبر إلى من كان بأرض الحبشة من المسلمين حتى فات ذلك الشهر لم يأمرهم بإعادة الصيام وكان بعض الأنصار لما ذهبوا إلى النبي من المدينة إلى مكة قبل الهجرة قد صلى إلى الكعبة معتقداً جواز ذلك قبل أن يؤمر بإستقبال الكعبة وكانوا حينئذ يستقبلون الشام فلما ذكر ذلك للنبي أمره بإستقبال الشام ولم يأمره بإعادة ما كان صلى وثبت عنه في الصحيحين أنه سئل وهو بالجعرانة عن رجل أحرم بالعمره وعليه جبة وهو متضمخ بالخلوف فلما نزل عليه الوحي قال له إنزع عنك جبتك وإغسل عنك أثر الخلوق وإصنع في عمرتك ما كنت صانعا في حجك وهذا قد فعل محظورا في الحج وهو ليس الجبة ولم يأمره النبي على ذلك بدم ولو فعل ذلك مع العلم للزمه دم وثبت عنه في الصحيحين انه قال للأعرابي المسيء في صلاته صل فإنك لم تصل مرتبين او ثلاثة فقال والذي بعثك بالحق ما احسن غير هذا فعلمته ما يجزيني في الصلاة فعلمته الصلاة المجزية ولم يأمره بإعادة ما صلى قبل ذلك مع قوله ما احسن غير هذا وإنما أمره أن يعيد تلك الصلاة لأن وقتها باق فهو مخاطب بها والتي صلاتها لم تبرأ بها الذمة وقت الصلاة باق ومعلوم أنه لو بلغ صبي أو أسلم كافر أو طهرت حائض أو أفاق مجنون والوقت باق لزتمتهم الصلاة أداء لا قضاء وإذا كان بعد خروج الوقت فلا إثم عليهم فهذا المسيء الجاهل إذا علم بوجوب الطمأنينة في أثناء الوقت فوجب عليه الطمأنينة حينئذ ولم تجب عليه قبل ذلك فلهذا أمره بالطمأنينة في

صلوة تلك الوقت دون ما قبلها وكذلك أمره لمن صلى خلف الصف أن يعيد ولمن ترك لمعة من قدمه أن يعيد الوضوء والصلاوة وقوله أولاً صل فإنك لم تصل

تبين أن ما فعله لم يكن صلاة ولكن لم يعرف أنه كان جاهلاً بوجوب الطمأنينة فلهذا أمره بالإعادة ثم علمه إياها لما قال والذى بعثك بالحق لا أحسن غير هذا فهذه نصوصه فى محظورات الصلاة والصيام والحج مع الجهل فيمن ترك واجباتها مع الجهل وأما أمره لمن صلى خلف الصف أن يعيد فذلك انه لم يأت بالواجب مع بقاء الوقت فثبت الوجوب فى حقه حين أمره النبي لبقاء وقت الوجوب لم يأمره بذلك مع مضي الوقت وأما أمره لمن ترك لمعة فى رجله لم يصبها الماء بالإعادة فلأنه كان ناسيا فلم يفعل الواجب كمن نسي الصلاة وكان الوقت باقيا فإنها قضية معينة بشخص لا يمكن أن يكون فى الوقت وبعده أعنى انه رأى فى رجل رجل لمعة لم يصبها الماء فأمره أن يعيد الوضوء والصلاحة رواه أبو داود وقال احمد بن حنبل حديث جيد وأما قوله ويل للأعقاب من النار ونحوه فإنما يدل على وجوب تكميل الوضوء ليس فى ذلك أمر بإعادة شيء ومن كان أيضاً يعتقد أن الصلاة تسقط عن العارفين أو عن المشائخ الوالصلين أو عن بعض أتباعهم أو أن الشيخ يصلي عنهم أو أن الله عباداً اسقط عنهم الصلاة كما يوجد كثير من ذلك في كثير من المنتسبين إلى الفقر والزهد وإتباع بعض المشائخ والمعرفة فهو لاء يستتابون باتفاق الأئمة فإن أقرروا بالوجوب وإلا قوتلوا وإذا أصرروا على جحد الوجوب حتى قتلوا كانوا من المرتدين ومن تاب منهم صلى لم يكن عليه إعادة ما ترك قبل ذلك في أظهره قوله العلماء فإن هؤلاء إنما ان يكونوا مرتدین وإنما ان يكونوا مسلمین جاهلين للوجوب فإن قيل إنهم مرتدون عن الإسلام فالمرتد إذا أسلم لا يقضى ما تركه حال الردة عن جمهور العلماء كما لا يقضي الكافر إذا أسلم ما ترك حال الكفر باتفاق العلماء ومذهب مالك وابي حنيفة وأحمد في

أظهر الروايتين عنه والأخرى يقضي المرتد كقول الشافعى
والأول اظهر فـإن الذين إرتدوا على عهد رسول الله كالحارت
إبن قيس وطائفة معه أنزل الله فيهم {كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُواً
بَعْدَ إِيمَانِهِمْ} آل عمران 86 الآية والتى بعدها وكعبد الله بن أبي
سرح والذين خرجوا مع الكفار يوم بدر وأنزل فيهم {إِنَّمَا إِنَّ رَبَّكَ
لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا قُتُلُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ
بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ} النحل 110 فهؤلاء عادوا إلى الإسلام
وعبد الله بن أبي سرح عاد إلى الإسلام عام الفتح وبابعه النبي ولم
يأمر أحدا

منهم بإعادة ما ترك حال الكفر فى الردة كما لم يكن يأمر سائر
الكافر إذا أسلموا وقد إرتد فى حياته خلق كثير إتبعوا الأسود
العنسي الذى تتبأ بصنعاء اليمن ثم قتله الله وعاد أولئك إلى
الإسلام ولم يؤمرروا بالإعادة وتبأ مسليمة الكذاب وأتبعه
خلق كثير قاتلهم الصديق والصحابة بعد موته حتى أعادوا من
بقى منهم إلى الإسلام ولم يأمر أحدا منهم بالقضاء وكذلك سائر
المرتدين بعد موته وكان أكثر البوادي قد إرتدوا ثم عادوا
إلى الإسلام ولم يأمر أحدا منهم بقضاء ما ترك من الصلاة و قوله
تعالى {قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَهْوَى يُعْقَرُ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ
} الأنفال 38 يتناول كل كافر وإن قيل إن هؤلاء لم يكونوا
مرتدين بل جهالا بالوجوب وقد تقدم أن الأظهر فى حق هؤلاء
أنهم يستأنفون الصلاة على الوجه المأمور ولا قضاء عليهم فهذا
حكم من تركها غير معتقد لوجوبها ¹

صفات الله التي وصف بها نفسه في كتابه ووصفه بها نبيه

* وقال أبو عبدالله محمد بن أبي زمنين الامام المشهور
من أئمة المالكية في كتابه الذي صنفه في أصول السنة قال
فيه في الإيمان بصفات الله تعالى وأسمائه قال وأعلم بأن
أهل العلم بالله وبما جاءت به أنبياؤه ورسله يرون الجهل بما لم

يُخْبِرُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ عُلَمًا وَالْعَجَزُ عَنْ مَا لَمْ يَدْعُ إِلَيْهِ أَيْمَانًا وَأَنْهُمْ اَنَّمَا يَنْتَهُونَ مِنْ وَصْفِهِ بِصَفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ إِلَى حِيثُ اَنْتَهَى فِي كِتَابِهِ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ وَقَدْ قَالَ وَهُوَ اَصْدِقُ الْقَاتِلِينَ {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ} الْقُصْصَ 88 وَقَالَ {قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً} قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بِيَنِي وَبِيَنْكُمْ} الْأَنْعَامَ 19 وَقَالَ {وَيَحْدِرُكُمُ اللَّهُ نَفْسُهُ} {آل عمران} 28 وَذَكَرَ أَحَادِيثَ الصَّفَاتِ ثُمَّ قَالَ فِيهِنَّ صَفَاتٍ رَبِّنَا الَّتِي وَصَفَ بِهَا نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ وَوَصَفَهُ بِهَا نَبِيُّهُ وَلَيْسَ فِي شَيْءٍ مِنْهَا تَحْدِيدٌ وَلَا تَشْبِيهٌ وَلَا تَقْدِيرٌ} {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} الْشُورَى 11 لَمْ تَرِهِ الْعَيْنُ فَتَحَدَّهُ كَيْفُ هُوَ وَلَكِنْ رَأَتْهُ الْقُلُوبُ فِي حَقَائِقِ الْإِيمَانِ¹

* فالفرق بين مقام المخاطبة ومقام الاخبار فرق ثابت بالشرع والعقل وبه يظهر الفرق بين ما يدعى الله به من الأسماء الحسنة وبين ما يخبر به عنه عز وجل مما هو حق ثابت لإثبات ما يستحقه سبحانه من صفات الكمال ونفي ما تنزعه عنه عز وجل من العيوب والنواقص فإنه الملك القدوس السلام سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كثيراً وقال تعالى {وَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَدَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} الْأَعْرَافَ 180 مع قوله {قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً} قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بِيَنِي وَبِيَنْكُمْ} الْأَنْعَامَ 19 ولا يقال في الدعاء يا شيء¹

أَهْلُ الْكِتَابِ عِنْهُمْ مَا يَصْدِقُ فِيمَا كَذَبَ فِيهِ الْكَافِرُونَ

* أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ مُوسَى وَالْمَسِيحَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ بَشَرًا بِمُحَمَّدٍ¹
* قَالَ تَعَالَى {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} الْأَنْعَامَ 20 المقصود بيان أن أهل الكتاب عندهم ما يصدقون فيما كذبوا فيه الكافرون وذلك من وجوه أحدتها أن الكتب المتقدمة تنتطق بأن موسى وغيره دعوا إلى عبادة الله وحده ونحوها عن الشرك فكان في هذا حجة على من ظن أن الشرك دين ومثل هذا قوله تعالى

{وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهَةً يُعْبَدُونَ } الزخرف 45

الوجه الثاني أن أهل الكتاب يعلمون أن الله إنما أرسل إلى الناس بشراً مثلكم لم يرسل إليهم ملكاً فـإـن من الكفار من كان يزعم أن الله لا يرسل إلا ملكاً أو بشراً معه ملك ويتعجبون من إرسال بشر ليس معه ملك ظاهر كما قال تعالى {وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءُهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولاً} 94

{قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولاً} 95

الإسراء 94-95

* أن أهل الكتاب يعلمون أن الله إنما أرسل إلى الناس بشراً مثلكم لم يرسل إليهم ملكاً ولـهـذا كان النبي في خطابه لأهل الكتاب يقول لهم والله الذي لا إله إلا هو إنكم لـتـعلمـونـ أـنـيـ رسـولـ اللهـ وكـذـالـكـ منـ أـسـلـمـ مـنـهـمـ كـعـبـدـالـلـهـ بنـ سـلـامـ كانـ يـقـولـ لـغـيرـهـ منـ أـهـلـ الـكتـابـ وـالـلـهـ الـذـيـ لاـ إـلـهـ إـلـاـ هوـ إـنـكـمـ لـتـعـلـمـونـ أـنـهـ رسـولـ اللهـ وهذا أمر معروف في الأحاديث الصحاح المخرجة في الصحيحين وغيرهما¹

* وما ينبغي أن يعرف ما قد نبهنا عليه غير مرة أن شهادة الكتب المتقدمة لـمـحمدـ إـمـاـ شـهـادـتـهـ بـنـبـوـتـهـ إـمـاـ شـهـادـتـهـ بـمـثـلـ ماـ أـخـبـرـ بـهـ هـوـ مـنـ الـآـيـاتـ الـبـيـنـاتـ عـلـىـ نـبـوـتـهـ وـنـبـوـتـهـ مـنـ قـبـلـهـ وـهـ حـجـةـ عـلـىـ أـهـلـ الـكتـابـ وـعـلـىـ غـيرـ أـهـلـ الـكتـابـ مـنـ أـصـنـافـ المـشـرـكـينـ الـمـلـحـدـينـ كـمـاـ قـدـ ذـكـرـ اللـهـ هـذـاـ النـوـعـ مـنـ الـآـيـاتـ فـيـ غـيرـ مـوـضـعـ مـنـ كـتـابـهـ كـمـاـ فـيـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرُفُونَهُ كَمَا يَعْرُفُونَ أَبْنَاءَهُمْ} الأنعام 20

أصل الإيمان

* قال تعالى {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرُفُونَهُ كَمَا يَعْرُفُونَ أَبْنَاءَهُمْ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ } الأنعام 20

ان لفظ الایمان انما يستعمل في بعض الاخبار وهو مأخذ من الامن كما ان الاقرار مأخذ من قر فالمؤمن صاحب امن كما ان المقر صاحب اقرار فلا بد في ذلك من عمل القلب بموجب تصديقته فإذا كان عالما بأن محمدا رسول الله ولم يقترن بذلك حبه وتعظيمه بل كان بيغضنه ويحسده ويستكبر عن اتباعه فان هذا ليس بمؤمن به بل كافر به ومن هذا الباب كفر ابليس وفرعون واهل الكتاب الذين يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وغير هؤلاء فان ابليس لم يكن يكذب خبرا ولا مخبرا بل استكبر عن امر ربه وفرعون وقومه قال الله فيهم {وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنُتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا} النمل 14 وقال له موسى {لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هُوَلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ} الإسراء 102 وقال تعالى {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ} البقرة 146 ف مجرد علم القلب بالحق ان لم يقترن به عمل القلب بموجب علمه مثل محبة القلب له و اتباع القلب له لم ينفع صاحبه بل اشد الناس عذابا يوم القيمة عالم لم ينفعه الله بعلمه وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم انى اعوذ بك من علم لا ينفع ونفس لا تشبع ودعاء لا يسمع وقلب لا يخشع ولكن الجهمية ظنوا ان مجرد علم القلب وتصديقه هو الایمان وان من دل الشرع على انه ليس بمؤمن فان ذلك يدل على عدم علم قلبه وهذا من اعظم الجهل شرعا وعقلا وحقيقة توجيه التسوية بين المؤمن والكافر ولها اطلاق وكيع بن الجراح واحمد بن حنبل وغيرهما من الانئمة كفراهم بذلك فانه من المعلوم ان الانسان يكون عالما بالحق ويبغضه لغرض آخر فليس كل من كان مستكرا عن الحق يكون غير عالم به و حينئذ فالايام لا بد فيه من تصديق القلب و عمله وهذا معنى قول السلف الایمان قول و عمل ثم انه اذا تحقق القلب بالتصديق والمحبة التامة المتضمنة للارادة لزم وجود الأفعال الظاهرة فان الارادة الجازمة اذا افترنت بها القدرة التامة لزم وجود المراد قطعا وانما يتنقى وجود الفعل لعدم كمال القدرة او لعدم كمال الارادة والا

فمع كمالها يجب وجود الفعل الاختيارى فإذا اقر القلب اقرارا
 تماماً بان مهداً رسول الله واحبه محبة تامة امتنع مع ذلك ان لا
 يتكلم بالشهادتين مع قدرته على ذلك لكن ان كان عاجزاً الخرس
 ونحوه او الخوف ونحوه لم يكن قادراً على النطق بهما و ابو
 طالب وان كان عالماً بان مهداً رسول الله وهو محب له فلم
 تكن محبته له لمحبته لله بل كان يحبه لأنه ابن أخيه فيحبه للقراة
 واذا احب ظهوره فلما يحصل له بذلك من الشرف والرئاسة
 فأصل محبوبه هو الرئاسة فلهذا لما عرض عليه الشهادتين عند
 الموت رأى ان بالاقرار بهما زوال دينه الذي يحبه فكان دينه
 احب اليه من ابن أخيه فلم يقر بهما فلو كان يحبه لأنه رسول الله
 كما كان يحبه ابو بكر الذي قال الله فيه {وَسَيَجِّنُهَا
 الْأَنْقَى} {17} {الَّذِي يُؤْتَى مَالُهُ يَتَرَكَّى} {18} {وَمَا لَأَحَدٍ عِنْهُ مِنْ
 نِعْمَةٍ ثُجْرَى} {19} {إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى} {20} {وَلَسَوْفَ
 يَرْضَى} {21} الليل 21-17 وكما كان يحبه سائر المؤمنين به
 كعمر وعثمان وعلى غيرهم لنطق بالشهادتين قطعاً فكان حبه
 حباً لله لا حباً لله ولهذا لم يقبل الله ما فعله من نصر الرسول
 وموازنته لأنه لم يعمله الله والله لا يقبل من العمل الا ما اريد به
 وجهه بخلاف الذي فعل ما فعل ابتغا ووجه رباه الأعلى وهذا
 مما يتحقق ان الایمان والتوحيد لابد فيهما من عمل القلب
 كحب القلب فلا بد من اخلاص الدين لله والدين لا يكون ديناً الا
 بعمل فان الدين يتضمن الطاعة والعبادة وقد انزل الله عز وجل
 سورتى الاخلاص قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد
 احدهما فى توحيد القول والعلم والثانية فى توحيد العمل

والارادة فقال فى الأول {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} {1} {اللَّهُ الصَّمَدُ} {2} لم
 يلِدْ وَلَمْ يُوْلَدْ} {3} ولم يكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ} {4} الاخلاص 4-1 فامرہ
 ان يقول هذا التوحيد وقال في الثاني {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} {1}
 لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ} {2} وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ} {3} وَلَا أَنَا عَابِدٌ
 مَا عَبَدْتُمْ} {4} وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ} {5} لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِي

دين {6} الكافرون 6 فأمره ان يقول ما يوجب البراءة من عباده غير الله واحلاص العبادة لله¹

* وهؤلاء المعروفون مثل حماد بن أبي سليمان وأبي حنيفة وغيرهما من فقهاء الكوفة كانوا يجعلون قول اللسان وإعتقاد القلب من الإيمان وهو قول أبي محمد بن كلام وأمثاله لم يختلف قولهم في ذلك ولا نقل عنهم أنهم قالوا الإيمان مجرد تصديق القلب لكن هذا القول حکوه عن الجهم بن صفوان ذكرروا أنه قال الإيمان مجرد معرفة القلب وإن لم يقر بلسانه وإشتد نكيرهم لذلك حتى أطلق وكيع بن الجراح وأحمد بن حنبل وغيرهما كفر من قال ذلك فإنه من أقوال الجهمية وقالوا إن فرعون وإبليس وأبا طالب واليهود وأمثالهم عرفوا بقلوبهم وجحدوا بالسننهم فقد كانوا مؤمنين وذكروا قول الله {وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنُتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا } النمل 14 قوله {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ } الأنعام 20 قوله { فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ } الأنعام 33 وقالوا إبليس لم يكذب خبرا ولم يجد فإن الله أمره بلا رسول ولكن عصى وإستكبر وكان كافرا من غير تكذيب في الباطن وتحقيق هذا مبسط في غير هذا الموضع¹

* فالتصديق الذي في القلب وعلمه يقتضي عمل القلب كما يقتضي الحس الحركة الإرادية لأن النفس فيها قوتان قوة الشعور بالملائم والمنافي والإحساس بذلك والعمل والتصديق به وقوة الحب للملائم والبغض للمنافي والحركة عن الحس بالخوف والرجاء والموالاة والمعاداة وإدراك الملائم يوجب اللذة والفرح والسرور وإدراك المنافي يوجب الألم والغم وقد قال النبي كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جموعه هل تحسون فيها من جدعاء فالقلوب مفطورة على الإقرار بالله تصديقا به وديننا له لكن يعرض لها ما يفسدها ومعرفة الحق تقتضي محبتة ومعرفة

الباطل تقتضي بغضه لما في الفطرة من حب الحق وبغض
 الباطل لكن قد يعرض لها ما يفسد إما من الشبهات التي تصدها عن
 تصدها عن التصديق بالحق وإما من الشهوات التي تصدها عن
 اتباعه ولهذا أمرنا الله أن نقول في الصلاة {اهدنا الصراط
 المستقيم}6 صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم
 ولا الضالين}7 الفاتحة 6-7 وقال النبي صلى الله عليه وسلم
 اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون لأن اليهود يعرفون
 الحق كما يعرفون أبناءهم ولا يتبعونه لما فيهم من الكبر والحسد
 الذي يوجب بعض الحق ومعاداته والنصاري لهم عبادة وفي
 قلوبهم رأفة ورحمة وربانية يتدعواها لكن بلا علم فهم ضلال
 هؤلاء لهم معرفة بلا قصد صحيح وهؤلاء لهم قصد في الخير
 بلا معرفة له وينضم إلى ذلك الظن وإتباع الهوى فلا يبقى في
 الحقيقة معرفة نافعة ولا قصد نافع بل يكون كما قال تعالى عن
 مشركي أهل الكتاب {وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي
 أَصْحَابِ السَّعِيرِ} الملك 10 وقال تعالى {وَلَقَدْ ذَرَانَا لِجَهَنَّمَ
 كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنْسَانِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا
 يُبَصِّرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَذْنَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أَوْلَئِكَ كَاالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ
 أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ} الأعراف 179 فلإيمان في
 القلب لا يكون إيمانا بمجرد تصديق ليس معه عمل القلب
 ومحبه من محبة الله ورسوله ونحو ذلك كما أنه لا يكون إيمانا
 بمجرد ظن وهو بل لابد في أصل الإيمان من قول القلب
 وعمل القلب¹

* أن الشخص إما أن يبين له أن ما بعث الله به رسوله حق
 ويعدل عن ذلك إلى اتباع هواه أو يحسب أن ما هو عليه من ترك
 ذلك هو الحق فهذا متبع للظن والأول متبع لهواه اجتماع الأمريين
 قال تعالى في صفة الأولين {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرُفُونَهُ كَمَا
 يَعْرُفُونَ أَبْنَاءَهُمْ} الأنعام 20 وقال تعالى في صفة الآخرين
 {أَفَمَنْ زَرِينَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ
 وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} فاطر 8 فال الأول حال المغضوب عليهم الذين

يعرفون الحق ولا يتبعونه كما هو موجود في اليهود والثاني
حال الذين يعلمون بغير علم قال تعالى { وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضْلِلُونَ
بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ } الأنعام ١١٩

بيان خطأ قول جهنم مجرد تصديق القلب وعلمه

*فإن الإيمان أصله الإيمان الذي في القلب ولا بد فيه من شيئين تصدق بالقلب وإقراره ومعرفته ويقال لهذا قول القلب قال الجنيد بن محمد التوحيد قول القلب والتوكيل عمل القلب فلا بد فيه من قول القلب وعمله ثم قول البدن وعمله ولا بد فيه من عمل القلب مثل حب الله ورسوله وخشية الله وحب ما يحبه الله ورسوله وبغض ما يبغضه الله ورسوله وإخلاص العمل لله وحده وتوكيل القلب على الله وحده وغير ذلك من أعمال القلوب التي أوجبها الله ورسوله وجعلها من الإيمان ثم القلب هو الأصل فإذا كان فيه معرفة وإرادة سرى ذلك إلى البدن بالضرورة لا يمكن أن يختلف البدن عما يريده القلب ولهذا قال النبي في الحديث الصحيح ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد ألا وهي القلب وقال أبو هريرة القلب ملك والأعضاء جنوده فإذا طاب الملك طابت جنوده وإذا خبث الملك خبثت جنوده وقول أبي هريرة تقريب وقول النبي أحسن بيانا فإن الملك وإن كان صالحًا فالجند لهم إختيار قد يعصون به ملتهم وبالعكس فيكون فيهم صلاح مع فساده أو فساد مع صلاحه بخلاف القلب فإن الجسد تاب له لا يخرج عن إرادته قط كما قال النبي صلى الله عليه وسلم إذا صلحت صلح لها سائر الجسد وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد فإذا كان القلب صالحًا بما فيه من الإيمان علماً وعملاً قليلاً لزم ضرورة صلاح الجسد بالقول الظاهر والعمل بالإيمان المطلق كما قال أئمة أهل الحديث قول وعمل قول باطن وظاهر وعمل باطن وظاهر والظاهر تابع للباطن لازم له متى صلح الباطن

صلاح الظاهر وإذا فسد فسد ولهذا قال من قال من الصحابة عن المصلى العاشر لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه فلا بد فى إيمان القلب من حب الله ورسوله وأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما قال الله تعالى {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنَدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ الْأَنْجَانِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُ حُبًّا لِّلَّهِ} البقرة 165 فوصف الذين آمنوا بأنهم أشد حبا لله من المشركين لأندادهم وفي الآية قوله قيل يحبونهم كحب المؤمنين الله والذين آمنوا أشد حبا لهم لأوثانهم وقيل يحبونهم كما يحبون الله والذين آمنوا أشد حبا لهم وهذا هو الصواب والأول قول متناقض وهو باطل فإن المشركين لا يحبون الأنداد مثل محبة المؤمنين الله و تستلزم الإرادة والتامة مع القدرة تستلزم الفعل فيمتنع أن يكون الإنسان محبا لله ورسوله مریدا لما يحبه الله ورسوله إرادة جازمة مع قدرته على ذلك وهو لا يفعله فإذا لم يتكلم الإنسان بالإيمان مع قدرته دل على أنه ليس في قلبه الإيمان الواجب الذي فرضه الله عليه ومن هنا يظهر خطأ قول

جهم بن صفوان ومن اتبעהه حيث ظنوا أن الإيمان مجرد تصديق القلب و علمه لم يجعلوا أعمال القلب من الإيمان وظنوا أنه قد يكون الإنسان مؤمنا كامل الإيمان بقلبه وهو مع هذا يسب الله ورسوله ويعادى الله ورسوله ويعادى أولياء الله ويؤلى أعداء الله ويقتل الأنبياء ويهدم المساجد ويهين المصاحف ويكرم الكفار غاية الكرامة ويهين المؤمنين غاية الإهانة قالوا وهذه كلها معاصر لا تناهى الإيمان الذي في قلبه بل يفعل هذا وهو في الباطن عند الله مؤمن قالوا وإنما ثبت له في الدنيا أحکام الكفار لأن هذه الأقوال أمرة على الكفر ليحكم بالظاهر كما يحكم بالإقرار والشهود وإن كان في الباطن قد يكون بخلاف ما اقر به وبخلاف ما شهد به الشهود فإذا أورد عليهم الكتاب والسنة والإجماع على أن الواحد من هؤلاء كافر في نفس الأمر معذب في الآخرة قالوا فهذا دليل على إنقاء التصديق والعلم من قلبه فالكافر عندهم شيء واحد وهو الجهل والإيمان شيء واحد وهو

العلم أو تكذيب القلب وتصديقه فإنهم متنازعون هل تصديق
 القلب شيء غير العلم أو هو هو وهذا القول مع أنه أفسد قول
 قيل في الإيمان فقد ذهب إليه كثير من أهل الكلام
 المرجئة وقد كفر السلف كوكيع بن الجراح وأحمد بن حنبل
 وابي عبيد وغيرهم من يقول بهذا القول وقالوا إبليس كافر بنص
 القرآن وإنما كفره بإستكباره وإمتناعه عن السجود لآدم لا لكونه
 كذب خبرا وكذلك فرعون وقومه قال الله تعالى فيهم {وَجَحَدُوا
 بِهَا وَاسْتَيْقَنُتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا } النمل 14 وكذلك اليهود
 الذين قال الله فيهم {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ
 أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ } البقرة 146
 وقال {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ الَّذِينَ
 خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ } الأنعام 20 وكذلك كثير من
 المشركين الذين قال الله فيهم {فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ
 بِأَيَّاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ } الأنعام 33 فهو لاء غلطوا في
 أصلين أحدهما ظنهم أن الإيمان مجرد تصديق وعلم
 فقط ليس معه عمل وحال وحركة وإرادة ومحبة وخشية في
 القلب وهذا من أعظم غلط المرجئة مطلقا فإن أعمال القلوب
 التي يسميها بعض الصوفية أحوالا ومقامات أو منازل السائرين
 إلى الله أو مقامات العارفين أو غير ذلك كل ما فيها مما فرضه
 الله ورسوله فهو من الإيمان الواجب وفيها ما أحبه ولم يفرضه
 فهو من الإيمان المستحب فال الأول لابد لكل مؤمن منه ومن
 اقتصر عليه فهو من الابرار اصحاب اليمين ومن فعله و فعل
 الثاني كان من المقربين السابقين وذلك مثل حب الله ورسوله بل
 أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما بل أن يكون الله
 ورسوله والجهاد في سبيله أحب إليه من أهله وماله ومثل خشية
 الله وحده دون خشية المخلوقين ورجاء الله وحده دون رجاء
 المخلوقين والتوكيل على الله وحده دون المخلوقين والإذابة إليه
 مع خشيته كما قال تعالى { هَذَا مَا تُوَعَّدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ
 حَفِظِ } 32 { مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقُلْبٍ مُنِيبٍ } 33 { ق

33-32 ومثل الحب في الله والبغض في الله والموالاة لله والمعاداة لله والثانية ظنهم أن كل من حكم الشارع بأنه كافر مخلد في النار فإنما ذاك لأنه لم يكن في قلبه شيء من العلم والتصديق وهذا أمر خالفوا به الحس والعقل والشرع وما أجمع عليه طوائف بني آدم السليمي الفطرة وجماهير النظار فإن الإنسان قد يعرف أن الحق مع غيره ومع هذا يجحد ذلك لحسده إياه أو لطلب علوه عليه أو لهوى النفس ويحمله ذلك الهوى على أن يعتدى عليه ويرد ما يقول بكل طريق وهو في قلبه يعلم أن الحق معه وعامة من كذب الرسل علموا أن الحق معهم وأنهم صادقون لكن إما لحسدهم وإما لإرادتهم العلو والرياسة وإما لحبهم دينهم الذي كانوا عليه وما يحصل لهم به من الأغراض كأموال ورياسة وصداقة أقوام وغير ذلك فغيرون في اتباع الرسل ترك الأهواء المحبوبة إليهم أو حصول أمور مكرورة إليهم فيكتذبونهم ويعادونهم فيكونون من أكفر الناس كإيليس وفرعون مع علمهم بأنهم على الباطل والرسل على الحق ولهذا لا يذكر الكفار حجة صحيحة تقدح في صدق الرسل إنما يعتمدون على مخالفة أهوائهم كقولهم لنوح {أَنْوَمْنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذُلُونَ} الشعراء 111 ومعلومات أن إتباع الأرذلين له لا يقدح في صدقه لكن كرهوا مشاركة أولئك¹

ذم الله الكاذب على الله والمكذب بالحق

*فإنه لا معصوم إلا الأنبياء ولهذا لم يجب الإيمان بكل ما يقوله بشر إلا أن يكون نبيا فإن الإيمان واجب بكل ما يأتي به النبي وإذا كان الأمر كذلك فمعلوم بالتواتر أن محدثا ذكر أنه رسول إبراهيم وموسى وعيسى بل أخبر أنه سيد ولد آدم وأن آدم فمن دونه تحت لوائه يوم القيمة وأنه لما اسرى به وعرج إلى ربه علا على الأنبياء كلهم على إبراهيم وموسى وهرون ويحيى وعيسى وغيرهم وأخبر أنه لانبي بعده وأن امته هم الآخرون فيخلق السابقون يوم القيمة وأن الكتاب الذي انزل إليه أحسن

ال الحديث وأنه مهيمن على ما بين يديه من الكتب مع تصديقه لذلك
وحيثند فإن كان عالماً بصدق نفسه فهو نبي رسول ومن قال هذا
القول وهو يعلم أنه كاذب فهو من أظلم الناس وأفجرهم
**{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ
الظَّالِمُونَ}** {الأنعام 121}

* و قد قال تعالى {فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَبَ بِالصَّدْقِ
إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَأْوَى لِلْكَافِرِينَ} {32} {وَالَّذِي جَاءَ
بِالصَّدْقِ وَصَدَقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} {33} الزمر 32-33 الآية
فقد ذم الله سبحانه و تعالى الكاذب على الله و المكذب بالصدق و
هذا ذم عام و الرافضة اعظم أهل البدع دخولا في هذا
الوصف المذموم فإنهم اعظم الطوائف افتراء للكذب على الله و
اعظمهم تكذيبا بالصدق لما جاءهم وأبعد الطوائف عن المجيء
بالصدق و التصديق به و أهل السنة المحسنة أولى الطوائف
بهذا فإنهم يصدقون و يصدقون بالحق في كل ما جاء به و ليس
لهم هو إلا مع الحق و الله تعالى مدح الصادق فيما يجيء به
و المصدق بهذا الحق فهذا مدح للنبي صلى الله عليه وسلم و لكل
من آمن به و بما جاء به و هو سبحانه لم يقل و الذي جاء
بالصدق و الذي صدق به فلم يجعلهما صنفين بل جعلهما صنفا
واحدا لأن المراد مدح النوع الذي يجيء بالصدق و يصدق
بالصدق فهو ممدوح على اجتماع الوصفين على أن لا يكون من
شأنه إلا أن يجيء بالصدق و من شأنه أن يصدق بالصدق و
قوله {جَاءَ بِالصَّدْقِ} الزمر 33 اسم جنس لكل صدق و أن
كان القرآن أحق بالدخول في ذلك من غيره و لذلك صدق به أي
بجنس الصدق و قد يكون الصدق الذي صدق به ليس هو عين
الصدق الذي جاء به كما تقول فلان يسمع الحق و يقول الحق و
يقبله و يأمر بالعدل و يعمل به أي هو موصوف بقول الحق
لغيره و قبول الحق من غيره وأنه يجمع بين الأمر بالعدل و
العمل به وإن كان كثير من العدل الذي يأمر به ليس هو عين
العدل الذي يعمل به فلما ذم الله سبحانه من اتصف بأحد

الوصفين الكذب على الله و التكذيب بالحق إذ كل منهما يستحق به الذم مدح ضدهما الحالى عنهم بأن يكون يجىء بالصدق لا بالكذب و أن يكون مع ذلك مصدقاً بالحق لا يكون ممن يقوله هو و إذا قاله غيره لم يصدقه فإن من الناس من يصدق و لا يكذب لكن يكره أن غيره يقوم مقامه في ذلك حسدا و منافسة فيكذب غيره في غيره أو لا يصدقه بل يعرض عنه و فيهم من يصدق طائفه فيما قالت قبل أن يعلم ما قالوه اصدق هو أم كذب و الطائفة الأخرى لا يصدقها فيما تقول و أن كان صادقاً بل إما أن يصدقها وإما أن يعرض عنها و هذا موجود في عامة أهل الأهواء تجد كثيراً منهم صادقاً فيما ينقله لكن ما ينقله عن طائفته يعرض عنه فلا يدخل هذا في المدح بل في الذم لأنه لم يصدق بالحق الذي جاءه والله قد ذم الكاذب والمكذب بالحق لقوله في غير آية {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَبَ بِالْحَقِّ} العنكبوت 68 وقال {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَبَ بِأَيَّاتِهِ} الأنعام 21 ولهذا لما كان مما وصف الله به الأنبياء الذين هم أحق الناس بهذه الصفة أن كلاً منهم يجىء بالصدق فلا يكذب فكل منهم صادق في نفسه مصدق لغيره ولما كان قوله و الذي صنفوا من الأصناف لا يقصد به واحد بعينه أعاد الضمير بصيغة الجمع فقال {وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدْقِ وَصَدَقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} الزمر 33 وأنت تجد كثيراً من المنتسبين إلى علم و دين لا يكذبون فيما يقولونه بل لا يقولون إلا الصدق لكن لا يقللون ما يخبر به غيرهم من الصدق بل يحملهم الهوى و الجهل على تكذيب غيرهم وإن كان صادقاً أما تكذيب نظيره وإما تكذيب من ليس من طائفته و نفس تكذيب الصادق هو من الكذب ولهذا قرنه بالكافر على الله فقال {فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَبَ بِالصَّدْقِ إِذْ جَاءَهُ} الزمر 32 فكلاهما كاذب هذا كاذب فيما يخبر به عن الله و هذا كاذب فيما يخبر به عن المخبر عن الله

و النصارى يكثر فيهم المفترون للكذب على الله و اليهود يكثر فيهم المكذبون بالحق و هو سبحانه ذكر المكذب بالصدق نوعا ثانيا لأنه أولا لم يذكر جميع أنواع الكذب بل ذكر من كذب على الله و أنت إذا تدبرت هذا و علمت أن كل واحد من الكذب على الله و التكذيب بالصدق مذموم و أن المدح لا يستحقه إلا من كان آتيا بالصدق مصدقا للصدق علمت أن هذا مما هدى الله به عباده إلى صراطه المستقيم إذا تأملت هذا تبين لك أن كثيرا من الشر أو أكثره يقع من أحد هذين فتجد إحدى الطائفتين أو الرجلين من الناس لا يكذب فيما يخبر به من العلم لكن لا يقبل ما تأتي به الطائفة الأخرى فربما جمع بين الكذب على الله و التكذيب بالصدق¹

الفرق بين دلائل النبي الصادق ودلائل المتتبِّع الكاذب

*كانت سنة الله وعادته نصر المؤمنين بالأنباء الصادقين على الكافرين والمنافقين كما أن سنته تأييدهم بالأيات البينات ومن ادعى النبوة وهو كاذب فهو من أكفر الكفار وأظلم الطالمين قال تعالى {وَمَنْ أَظْلَمُ مِنْ افْرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَبَ بِإِيمَانِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ} الأنعام 21 ومن كان كذلك كان الله يمقته ويعغضه ويعاقبه ولا يدوم أمره بل هو كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح عن أبي هريرة قال إن الله يملأ للظلم فإذا أخذه لم يفلته ثم قرأ {وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْفَرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ} هود 102 وقال أيضا في الحديث الصحيح عن أبي موسى أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع تقينها الرياح تقومها تارة وتتمليها أخرى ومثل المنافق مثل شجرة الأرز لا تزال ثابتة على أصلها حتى يكون انجعافها مرة واحدة فالكافر الفاجر وإن أعطي دولة فلا بد من زوالها بالكلية وبقاء ذمه ولسان السوء له في العالم وهو يظهر سريعاً ويذوب سريعاً

كدولة الأسود العنسي ومسيلمة الكذاب والحارث الدمشقي وبابا الرومي ونحوهم وأما الأنبياء فإنهم يبتلون كثيراً ليمحصوا بالبلاء فإن الله إنما يمكن العبد إذا ابتلاه ويظهر أمرهم شيئاً كالزرع قال تعالى {مُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشْدَاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحْمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ} وَرَضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثْرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَتَّهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَتَّهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطَأً فَازَرَهُ فَاسْتَعْظَأَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا

{الفتح 29} ولهذا كان أول ما يتبعهم ضعفاء الناس فاعتبار هذه الأمور وسنة الله في أولياته وأنبيائه الصادقين وفي أعداء الله والمتتبّعين الكاذبين مما يوجب الفرق بين النوعين وبين دلائل النبي الصادق ودلائل المتتبّع الكاذب وقد ذكر ابتلاء النبي والمؤمنين ثم كون العاقبة لهم في غير موضع¹

الشرك وسائر البدع مبناهَا على الكذب والافتراء

* والله سبحانه يقرن في كتابه بين الشرك والكذب كما يقرن بين الصدق والإخلاص ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح عدلت شهادة الزور بالإشراك بالله مرتين ثم قرأ قول الله تعالى {فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأُوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قُولَ الزُّورِ} 30 {حُنَفَاءُ اللَّهِ غَيْرُ مُشْرِكِينَ بِهِ} 31 {الحج 30-31} وقال تعالى {وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شَرَكَوْكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَرْعُمُونَ} 22 {ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ} 23 {انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ} 24 {الأنعام 22-24} والشرك وسائر البدع مبناهَا على الكذب والافتراء ولهذا فإن كل من كان عن التوحيد والسنة أبعد كان إلى الشرك والابتداع والافتراء أقرب كالرافضة الذين هم أكذب طوائف أهل الأهواء وأعظمهم شركاً فلا يوجد في أهل الأهواء أكذب منهم ولا أبعد عن التوحيد

حتى إنهم يخربون مساجد الله التي يذكر فيها اسمه فيعطيونها عن الجماعات والجماعات ويعمرون المشاهد التي أقيمت على القبور التي نهى الله ورسوله عن اتخاذها والله سبحانه في كتابه إنما أمر بعمارنة المساجد لا المشاهد¹

شأن النفس يوم القيمة يجادل الله بالباطل

*قال تعالى {وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ} النساء 107 أنه لا يجوز الجدال عن الخائن ولا يجوز للإنسان أن يجادل عن نفسه إذا كانت خائنة لها في السر أهواه وأفعال باطنة تخفي على الناس قال تعالى {يَعْلَمُ خَائِنَةً الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ} غافر 19 وقال تعالى {وَدَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ} الأنعام 120 وقال تعالى {قُلْ إِنَّمَا حَرَمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ} الأعراف 33 وقد قال تعالى {بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ} 14 {وَلَوْ أَلْقَى مَعَذِيرَةً} 15 القيمة 14-15 فإنه يعتذر عن نفسه بأعذار و يجادل عنها وهو يصرها بخلاف ذلك و قال تعالى {كَفَى بِنَفْسِكِ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا} الإسراء 14 و قال تعالى {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُهُ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشَهِّدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُ الْخَصَامِ} البقرة 204 وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم فهو يجادل عن نفسه بالباطل وفيه لدد أي ميل و اعوجاج عن الحق و هذا على نواعين أحدهما أن تكون مجادلة و ذبه عن نفسه مع الناس و الثاني فيما بينه وبين ربه بحيث يقيم أعذار نفسه و يظنه محققة و قصدها حسنا و هي خائنة ظالمة لها أهواه خفية قد كتمتها حتى لا يعرف بها الرجل حتى يرى و ينظر قال شداد بن أوس إن أخوف ما أخاف عليكم الشهوة الخفية قال أبو دواد هي حب الرياسة وهذا من شأن النفس حتى أنه يوم القيمة يريد أن يدفع عن نفسه و يجادل الله بالباطل قال تعالى {يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمْ

الْكَادِبُونَ {18} اسْتَحْوَدَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ
 حِزْبُ الشَّيْطَانِ إِلَّا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ
 الْخَاسِرُونَ {19} المَجَادِلَةُ 18-19 وَقَالَ تَعَالَى {وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ
 جَمِيعًا لَمْ نَقُولْ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَرْعَى مُعْنَوْنَ
 } 22} ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهُ رَبُّنَا مَا كُنَّا
 مُشْرِكِينَ {23} انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا
 كَانُوا يَفْتَرُونَ {24} الْأَنْعَامُ 22-24 وقد جاءت الأحاديث بأنَّ
 الانسان يجد أعماله يوم القيمة حتى يشهد عليه سمعه وبصره
 وجوارحه و قال تعالى {وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَنِرُونَ أَنْ يَشَهَّدَ
 عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنُتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا
 يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ} فصلت 22 ومن عادة المنافقين المجادلة
 عن أنفسهم بالكذب والأيمان الفاجرة وصفهم الله بذلك في غير
 موضع وفي قصة تبوك لما رجع النبي صلى الله عليه وسلم و جاء المنافقون يعتذرون إليه فجعل يقبل علانيتهم ويكل سرائرهم
 إلى الله فلما جاء كعب قال و الله يارسول الله لو قعدت بين يدي
 ملك من ملوك الأرض لقدرتك أن أخرج من سخطه إنى أوتيت
 جدلاً ولكن أخاف إن حدثتك حديث كذب ترضى به عنى
 ليوشكن الله أن يسخطك علي و لئن حدثتك حديث صدق تجد
 علي فيه إني لأرجو فيه عفو الله لا والله ما كان لي من عذر و الله
 ما كنت أقوى قط و لا أيسر مني حين تختلف عنك فقال النبي
 صلى الله عليه وسلم أما هذا فقد صدق يعني و الباقي يكذبون ثم
 إنه هجره مدة ثم تاب الله عليه ببركة صدقة فالاعتذار عن
 النفس بالباطل والجدال عنها لا يجوز بل إن أذنب سرا بينه و
 بين الله اعترف لربه بذنبه و خضع له بقلبه و سأله مغفرته و تاب
 إليه فإنه غفور رحيم تواب و إن كانت السيئة ظاهرة تاب ظاهراً
 و إن أظهر جميلاً و أبطن قبيحاً تاب في الباطن من القبيح فمن
 أساء سراً أحسن سراً و من أساء علانيةً أحسن علانيةً {إِنَّ
 الْحَسَنَاتِ يُذْهِبُنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلَّذَّاكِرِينَ} هود 114¹

القلب الميت

* والقلب الحى المنور فانه لما فيه من النور يسمع ويبصر ويعقل والقلب الميت فانه لا يسمع ولا يبصر قال تعالى {وَمَتَّلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمْثَلُ الَّذِي يَتَعَقَّبُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بُكْمُ عُمْيٌ

فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ } البقرة 171 وقال تعالى {وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَإِنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ } 42
 وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَإِنْتَ تَهْدِي الْعُمَى وَلَوْ كَانُوا لَا يُبَصِّرُونَ } 43 يونس 42-43 وقال تعالى {وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكْنَةً أَنْ يَفْقُهُوهُ وَفِي آذانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاؤُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأُولَئِينَ } الأنعام 25 الآيات

فأخبر انهم لا يفقهون بقلوبهم ولا يسمعون بأذانهم ولا يؤمنون بما رأوه من النار كما اخبر عنهم حيث قالوا قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فذكروا الموانع على القلوب والسمع والابصار وابداهم حبة تسمع الا صوات وترى الا شخصاً لكن حياة البدن بدون حياة القلب من جنس حياة البهائم لها سمع وبصر وهي تأكل وتشرب وتتنفس ولهاذا قال تعالى {وَمَتَّلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمْثَلُ الَّذِي يَتَعَقَّبُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً } البقرة 171 فشبهم بالغم الذي ينبع بها الراعي وهي لا تسمع الا نداء كما قال في الآية الأخرى {أَمْ تَحْسِبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بِلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا } الفرقان 44 وقال تعالى {وَلَقَدْ ذَرَانَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسَنَ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقُهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبَصِّرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَذْنٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بِلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ } الأعراف 179

فطائفة من المفسرين تقول في هذه الآيات وما اشبهها كقوله {وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنِّهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَانَ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ } يونس 12

وأمثالها مما ذكر الله في عيوب الإنسان وذمها فيقول هؤلاء هذه الآية في الكفار والمراد بالانسان هنا الكافر فيبقى من يسمع ذلك يظن انه ليس لمن يظهر الاسلام في هذا الزم والوعيد نصيب بل يذهب وهمه الى من كان مظهرا للشرك من العرب او الى من يعرفهم من مظهرى الكفر كاليهود والنصارى ومشركى الترك والهند ونحو ذلك فلا ينتفع بهذه الآيات التي أنزلها الله ليهتدى بها عباده فيقال اولا المظهرون للاسلام فيهم مؤمن ومنافق والمنافقون كثيرون في كل زمان والمنافقون في الدرك الاسفل من النار ويقال ثانيا الانسان قد يكون عنده شعبه من نفاق وكفر وان كان معه ايمان كما قال النبي في الحديث المتفق عليه أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهم كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها اذا حدث كذب او اذا اؤتمن خان او اذا عاهد غدر او اذا خاصم فجر فأخبر أنه من كانت فيه خصلة منهم كانت فيه خصلة من النفاق وقد ثبت في الحديث الصحيح أنه قال لابى ذر رضى الله عنه انك امرؤ فيك جاهلية وابو ذر رضى الله عنه من أصدق الناس ايمانا وقال في الحديث الصحيح أربع في امتى من امر الجاهلية الفجر بالاحساب والطعن في الأنساب والنياحة والاستسقاء بالنجوم وقال في الحديث الصحيح لتتبين سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا حجر ضب لدخلتموه قالوا اليهود والنصارى قال فمن وقال أيضا في الحديث الصحيح لتأخذن امتى ما أخذت الامم قبلها شبرا بشبر وذراعا بذراع قالوا فارس والروم قال ومن الناس الا هؤلاء وقال ابن أبي مليكة أدركت ثلاثة من اصحاب محمد كلهم يخاف النفاق على نفسه وعن على او حذيفة رضى الله عنهم 0 قال القلوب اربعة قلب اجرد فيه سراج يزهر بذلك قلب المؤمن وقلب اغلف بذلك قلب الكافر وقلب منكوس بذلك قلب المؤمن المنافق وقلب فيه مادتان مادة تمده الاريمان ومادة تمده النفاق فأولئك قوم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا وإذا عرف

هذا علم ان كل عبد ينتفع بما ذكر الله في اليمان من مدح شعب اليمان ونم شعب الكفر وهذا كما يقول بعضهم في قوله {اَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} الفاتحة⁶ فيقولون المؤمن قد هدى إلى الصراط المستقيم فأى فائدة في طلب الهدى ثم يجيب بعضهم بأن المراد ثبتنا على الهدى كما تقول العرب للنائم نم حتى آيتاك او يقول بعضهم الزم قلوبنا الهدى فحذف المزوم ويقول بعضهم زدنى هدى وإنما يوردون هذا السؤال لعدم تصورهم الصراط المستقيم الذي يطلب العبد الهدایة اليه فان المراد به العمل بما امر الله به وترك ما نهى الله عنه في جميع الأمور والانسان وإن كان أقر بان محمدا رسول الله وان القرآن حق على سبيل الاجمال فاكثر ما يحتاج اليه من العلم بما ينفعه ويضره وما امر به وما نهى عنه في تفاصيل الأمور وجزئياتها لم يعرفه وما عرفه فكثير منه لم يعمل بعلمه ولو قدر أنه بلغه كل أمر ونهى في القرآن والسنة فالقرآن والسنة إنما تذكر فيهما الامور العامة الكلية لا يمكن غير ذلك لا تذكر ما يخص به كل عبد ولهذا امر الانسان في مثل ذلك بسؤال الهدى إلى الصراط المستقيم والهدى إلى الصراط المستقيم يتناول هذا كله يتناول التعريف بما جاء به الرسول مفصلاً ويتناول التعريف بما يدخل في اوامره الكليات ويتناول الهام العمل بعلمه فإن مجرد العلم بالحق لا يحصل به الإهتداء أن لم يعلم بعمله ولهذا قال لنبيه بعد صلح الحديبية {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا} {1} ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وَيُتَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا² {الفتح-2} وقال في حق موسى وهرون {وَأَتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ} {117} وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ {118} الصافات 117-118 والمسلمون قد تنازعوا فيما شاء الله من الامور الخبرية والعلمية الا عقادية والعملية مع أنهم كلهم متقوون على أن محمداً حق والقرآن حق فلو حصل لكل منهم الهدى إلى الصراط المستقيم فيما اختلفوا فيه لم يختلفوا ثم الذين علموا ما أمر الله به أكثرهم يعصونه ولا يحتذون حذوه فلو

هدوا الى الصراط المستقيم في تلك الاعمال لفعلوا ما أمروا به وتركوا ما نهوا عنه والذين هداهم الله من هذه الأمة حتى صاروا من أولياء الله المتقيين كان من أعظم أسباب ذلك دعاؤهم الله بهذا الدعاء في كل صلاة مع علمهم بحاجتهم وفاقتهم إلى الله دائمًا في أن يهديهم الصراط المستقيم فبدوام هذا الدعاء والافتقار صاروا من أولياء الله المتقيين قال سهل ابن عبد الله التستري ليس بين العبد وبين ربه طريق أقرب إليه من الافتقار وما حصل فيه الهدى في الماضي فهو محتاج إلى حصول الهدى فيه في المستقبل وهذا حقيقة قول من يقول ثبتنا واهدنا لزوم الصراط¹

أصل صلاح القلب هو حياته واستئنته

* وأصل صلاح القلب هو حياته واستئنته لذلك ذكر الله حياة القلوب ونورها وموتها وظلمتها في غير موضع كقوله {إِنَّمَا مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقُّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ} يس 70 وفي الحديث الصحيح مثل البيت يذكر الله فيه والبيت الذي لا يذكر الله فيه كمثل الحي والميت وفي الصحيح أيضاً أجعلوا من صلاتكم في بيوتكم ولا تتخذوها قبوراً وفي الدعاء المأثور أجعل القرآن ربنا قلوبنا ونور صدورنا والرابع هو المطر الذي ينزل من السماء فینبیت به النبات قال النبي صلى الله عليه وسلم إن مما ينبت الربيع ما يقتل حبطاً أو يلم والفصل الذي ينزل فيه أول المطر تسمیه العرب الربيع لنزول المطر الذي ينبت الربيع فيه وغيرهم يسمی الربيع الفصل الذي يلي الشتاء فإن منه تخرج الأزهار التي تخلق منها الثمار وتتنبت الاوراق على الاشجار والقلب الحي المنور فإنه لما فيه من النور يسمع ويبصر ويعقل والقلب الميت فإنه لا يسمع ولا يبصر و قال تعالى {وَمَنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قَلْبِهِمْ أَكْنَاءَ أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقُرُّاً وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُونَكَ كُفَّارُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ} الأنعام 25 فأخبر أنهم لا

يَفْقَهُونَ بِقُلُوبِهِمْ وَلَا يَسْمَعُونَ بِأَذْنَاهُمْ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِمَا رَأَوْهُ مِنْ
النور^١

* إن الله سبحانه وتعالى خلق القلب للإنسان يعلم به الأشياء كما خلق العين يرى بها الأشياء والأذن يسمع بها الأشياء وكما خلق سبحانه كل عضو من أعضائه لأمر من الأمور وعمل من الأعمال فاليد للبطش والرجل للسعى واللسان للنطق والفم للذوق والأنف للشم والجلد للمس وكذلك سائر الأعضاء الباطنة الظاهرة فإذا استعمل العضو فيما خلق له وأعد من أجله فذلك هو الحق القائم والعدل الذي قامت به السماوات والأرض وكان ذلك خيراً وصلاحاً لذاك العضو ولربه وللشيء الذي استعمل فيه وذلك الإنسان هو الصالح الذي استقام حاله وأولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون وإذا لم يستعمل العضو في حقه بل ترك بطلاً فذلك خسران وصاحبـه مغبون وإن استعمل في خلاف ما خلق له فهو الضلال والهلاك وصاحبـه من الذين بدلوـوا نعمة الله كفراً ثم إن سيد الأعضاء ورأسها هو القلب كما سمي قلباً قال النبي صلى الله عليه وسلم إن في الجسد مضحة إذا صلحـت صلحـ الجسد كله وإذا فسدـت فسدـ الجسد كله إلا وهي القلب وقال صلى الله عليه وسلم الإسلام علانية والإيمان في القلب ثم أشار بيده إلى صدره وقال ألا إن التقوى هـا هنا ألا إن التقوى هـا هنا وإذا قد خلقـ ليعلم به فتوـجه نحو الأشياء ابـتـغـاءـ العلمـ بهاـ هوـ الفـكـرـ والنـظـرـ كـماـ إـقـبـالـ الإـذـنـ عـلـىـ الـكـلـامـ ابـتـغـاءـ سـمعـهـ هوـ الإـصـغـاءـ والإـسـتـمـاعـ وـاـنـصـرافـ الـطـرفـ إـلـىـ الـأـشـيـاءـ طـلـبـاـ لـرـؤـيـتهاـ هوـ النـظـرـ فـالـفـكـرـ لـالـقـلـبـ كـاـلـإـصـغـاءـ لـالـأـذـنـ إـذـ سـمعـتـ مـاـ أـصـغـتـ إـلـيـهـ وـمـثـلـهـ نـظـرـ الـعـيـنـينـ فـيـ شـيـءـ وـإـذـ عـلـمـ مـاـ نـظـرـ فـيـهـ فـذـاكـ مـطـلـوـبـةـ كـمـاـ أـنـ الـأـذـنـ إـذـ سـمعـتـ مـاـ أـصـغـتـ إـلـيـهـ أـوـ الـعـيـنـ إـذـ أـبـصـرـتـ مـاـ نـظـرـتـ إـلـيـهـ وـكـمـ مـنـ نـاظـرـ مـفـكـرـ لـمـ يـحـبـ الـعـلـمـ وـلـمـ يـنـلـهـ كـمـ أـنـهـ كـمـ مـنـ نـاظـرـ إـلـىـ الـهـلـالـ لـاـ يـبـصـرـهـ وـمـسـتـمـعـ إـلـىـ صـوتـ لـاـ يـسـمـعـهـ وـعـكـسـهـ مـنـ يـبـؤـتـيـ عـلـمـاـ بـشـيـءـ لـمـ يـنـظـرـ فـيـهـ وـلـمـ تـسـبـقـ مـنـهـ سـابـقـةـ فـكـرـ كـمـ فـاجـأـتـهـ رـوـيـةـ الـهـلـالـ مـنـ غـيرـ قـصـدـ

إِلَيْهِ أَوْ سَمِعَ قَوْلًا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَصْغِي إِلَيْهِ وَذَلِكَ كُلُّهُ لِأَنَّ الْقَلْبَ
بِنَفْسِهِ يَقْبِلُ الْعِلْمَ وَإِنَّمَا الْأَمْرَ مُوقَفٌ عَلَى شَرَائِطٍ وَاسْتَعْدَادٍ قَدْ
يَكُونُ فَعْلًا مِنَ الْإِنْسَانِ فَيَكُونُ مَطْلُوبًا وَقَدْ يَأْتِي فَضْلًا مِنَ اللَّهِ
فَيَكُونُ مَوْهُوبًا فَصَالَحَ الْقَلْبَ وَحْقَهُ وَالَّذِي خَلَقَ مِنْ أَجْلِهِ هُوَ أَنْ
يَعْقُلُ الْأَشْيَاءَ لَا أَقْوَلُ أَنْ يَعْلَمُهَا فَقَدْ يَعْلَمُ الشَّيْءَ مِنْ لَا يَكُونُ
عَاقِلًا لَهُ بَلْ غَافِلًا عَنْهُ مَلْغِيَا لَهُ وَالَّذِي يَعْقُلُ الشَّيْءَ هُوَ الَّذِي
يَقِيدُهُ وَيُضْبِطُهُ وَيَعْيِيهِ وَيَثْبِتُهُ فِي قَلْبِهِ فَيَكُونُ وَقْتُ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ غَيْرًا
فَيَطَابِقُ عَمْلَهُ قَوْلَهُ وَبَاطِنَهُ ظَاهِرٌ وَذَلِكَ هُوَ الَّذِي أَوْتَيَ الْحِكْمَةَ
} وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتَيَ خَيْرًا كَثِيرًا } الْبَقْرَةُ 269 وَقَالَ
أَبُو الدَّرَداءِ إِنَّ مِنَ النَّاسِ يُؤْتَى مِنْ عِلْمًا وَلَا يُؤْتَى حِكْمَةً وَإِنَّ
شَدَادَ بْنَ أَوْسٍ مِنْ أُوْتَى عِلْمًا وَحِكْمَةً هَذَا مَعَ أَنَّ النَّاسَ مُتَبَاينُونَ
فِي نَفْسِهِ أَنْ يَعْقُلُوا الْأَشْيَاءَ مِنْ بَيْنِ كَامِلٍ وَنَاقِصٍ وَفِيمَا يَعْقُلُونَهُ
مِنْ بَيْنِ قَلِيلٍ وَكَثِيرٍ وَجَلِيلٍ وَدَقِيقٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ ثُمَّ هَذِهِ الْأَعْضَاءُ
الْثَّلَاثَةُ هِيَ أَمْهَاتُ مَا يَنْالُ بِهِ الْعِلْمُ يَدْرُكُ أَعْنَى الْعِلْمِ الَّذِي يَمْتَازُ
بِهِ الْبَشَرُ عَنْ سَائِرِ الْحَيَوانَاتِ دُونَ مَا يُشَارِكُهُ فِيهِ مِنَ الشَّمْ وَالْذُوقِ
وَاللَّمْسِ وَهُنَّا يَدْرُكُونَ بِهِ مَا يُحِبُّ وَيُكْرِهُ وَمَا يُمْيِزُ بِهِ مِنْ يَحْسُنُ
إِلَيْهَا وَيُسْيءُ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى { وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ
بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ
وَالْأَفْئَدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } النَّحْلُ 78 وَقَالَ { ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ
رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئَدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ }
السَّجْدَةُ 9 وَقَالَ { وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ
وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُلًا } الْإِسْرَاءُ 36
وَقَالَ { وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئَدَةً } الْأَحْقَافُ 26
وَقَالَ { خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ
غِشَاوَةً } الْبَقْرَةُ 7 وَقَالَ فِيمَا لَكَ عَضْوٌ مِنْ هَذِهِ الْأَعْضَاءِ مِنْ
الْعَمَلِ وَالْقُوَّةِ { وَلَقَدْ ذَرَنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسَانَ لَهُمْ
فُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبَصِّرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا
يَسْمَعُونَ بِهَا } الْأَعْرَافُ 179 ثُمَّ إِنَّ الْعَيْنَ تَقْصُرُ عَنِ الْقَلْبِ
وَالْأَذْنَ وَتَفَارِقُهُمَا فِي شَيْءٍ وَهُوَ أَنَّهَا إِنَّمَا تَرَى بِهَا الْأَشْيَاءَ

الحاضرة والأمور الجسمانية مثل الصور والأشخاص فأما القلب والأذن فيعلم بهما ما غاب عن الإنسان وما لا مجال للبصر فيه من الأشياء بنفسه إذا كان العلم بها هو غذاؤه وخاصيته أما الأذن فإنها تحمل الكلام المشتمل على العلم إلى القلب فهي نفسها إنما تناول القول والكلام فإذا وصل ذلك إلى القلب أخذ منه ما فيه من العلم فصاحب العلم في حقيقة الأمر هو القلب وإنماسائر الأعضاء حجته توصل إليه من الأخبار ما لم يكن ليأخذه بنفسه حتى إن من فقد شيئاً من هذه الأعضاء فإنه يفقد بفقده من العلم ما كان هو الواسطة فيه فالأخصم لا يعلم ما في الكلام من العلم والضرر لا يدرى ما تحتوي عليه الأشخاص من الحكمة البالغة وكذلك من نظر إلى الأشياء بغير قلب أو استمع إلى كلمات أهل العلم بغير قلب فإنه لا يعقل شيئاً فمدار الأمر على القلب وعند هذا تستبين الحكمة في قوله تعالى {أَفَمُّ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ أَذَانٌ يَسْمَعُونَ} {بِهَا} الحج 46 حتى لم يذكر هنا العين كما في الآيات السوابق فإن سياق الكلام هنا في أمور غائبة وحكمة معقوله من عواقب الأمور لا مجال لنظر العين فيها ومثله قوله {أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ} الفرقان 44 وتتبين حقيقة الأمر في قوله {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ} {ق 37}

فإن من يؤتى الحكمة وينتفع بالعلم على منزلتين إما رجل رأى الحق بنفسه فقبله واتبعه ولم يحتاج إلى من يدعوه إليه فذلك صاحب القلب أو رجل لم يعقله بنفسه بل هو يحتاج إلى من يعلمه وتتبين له ويؤديه فهذا أصغى فألقى السمع وهو شهيد أي حاضر القلب ليس بغايه كما قال مجاهد أوتى العلم وكان له ذكرى ويتبيّن قوله {وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْمَعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ شُمُّ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ} {42} ومنهم من ينظر إليك أَفَأَنْتَ ثَهِيدِي الْعُمَيْ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبَصِّرُونَ {43} يونس 42-43 وقوله {وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكْنَهَ أَنْ

يَفْقُهُهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقُرَاً وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ
الأنعام 25 ثُمَّ إِذَا كَانَ حَقُّ الْقَلْبِ أَنْ يَعْلَمَ الْحَقَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ
المبين { فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَا دَرَأَ الْحَقَّ إِلَّا الضَّلَالُ }

{**يوس 32**} إِذَا كَانَ كُلُّ مَا يَقُعُ عَلَيْهِ لَمْحَةٌ نَاظِرٌ وَيَحْوِلُ فِي لَفْتَةٍ خَاطِرٌ فَاللَّهُ رَبُّهُ وَمَنْشِئُهُ وَفَاطِرُهُ وَمُبْدِئُهُ لَا يَحْيِطُ عِلْمًا إِلَّا بِمَا هُوَ مِنْ آيَاتِهِ الْبَيِّنَةُ فِي أَرْضِهِ وَسَمَائِهِ وَأَصْدِقُ كَلْمَةَ قَالَهَا لِبِيدِ الْأَلَّا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَّ اللَّهُ بِاطْلُ مَا مِنْ شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ إِذَا نَظَرْتَ إِلَيْهِ مِنْ جَهَةِ نَفْسِهِ وَجَدْتَهُ إِلَى الْعَدْمِ مَا هُوَ فَقِيرٌ إِلَى الْحِيَ الْقَيُومِ فَإِذَا نَظَرْتَ إِلَيْهِ وَقَدْ تَوَلَّتْ يَدُ الْعَنَيْةِ بِتَقْدِيرِ مِنْ أَعْطَى كُلُّ شَيْءٍ خَلْقَهُ هُمْ هُدِيَ رَأَيْتَهُ حِينَذْ مُوجُودًا مَكْسُوا حَلَلَ الْفَضْلَ وَالْإِحْسَانَ فَقَدْ اسْتَبَانَ الْقَلْبُ إِنَّمَا خَلَقَ لِذَكْرِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ وَلِذَلِكَ قَالَ بَعْضُ الْحَكَمَاءِ الْمُتَقْدِمِينَ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ أَظْنَهُ سَلِيمَانُ الْخَوَاصِ رَحْمَهُ اللَّهُ الذَّكْرُ لِلْقَلْبِ بِمَنْزِلَةِ الْغَذَاءِ لِلْجَسَدِ فَكَمَا لَا يَجِدُ الْجَسَدُ لَذَّةَ الطَّعَامِ مَعَ السَّقْمِ فَكَذَلِكَ الْقَلْبُ لَا يَجِدُ حَلاوةَ الذَّكْرِ مَعَ حَبِ الدُّنْيَا أَوْ كَمَا قَالَ فَإِذَا كَانَ الْقَلْبُ مَشْغُولًا بِاللَّهِ عَاقِلًا لِلْحَقِّ مُفْكِرًا فِي الْعِلْمِ فَقَدْ وَضَعَ مَوْضِعَهُ كَمَا أَنَّ الْعَيْنَ إِذَا صَرَفَتْ إِلَى النَّظَرِ فِي الْأَشْيَاءِ فَقَدْ وَضَعَتْ فِي مَوْضِعِهَا أَمَّا إِذَا لَمْ يَصْرُفْ إِلَى الْعِلْمِ وَلَمْ يَرِعْ فِيهِ الْحَقِّ فَنَسِيَ رَبُّهُ فَلَمْ يَوْضُعْ فِي مَوْضِعِهِ بَلْ هُوَ ضَائِعٌ وَلَا يَحْتَاجُ أَنْ يَقُولَ قَدْ وَضَعَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ بَلْ لَمْ يَوْضُعْ أَصْلًا فَإِنَّ مَوْضِعَهُ هُوَ الْحَقُّ وَمَا سُوِّيَ الْحَقُّ بَاطِلٌ فَإِذَا لَمْ يَوْضُعْ فِي الْحَقِّ لَمْ يَبْقِ إِلَّا الْبَاطِلُ وَالْبَاطِلُ لَيْسَ بِشَيْءٍ أَصْلًا وَمَا لَيْسَ بِشَيْءٍ أَخْرَى إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَوْضِعًا وَالْقَلْبُ هُوَ بِنَفْسِهِ لَا يَقْبِلُ إِلَّا الْحَقَّ فَإِذَا لَمْ يَوْضُعْ فِيهِ فَإِنَّهُ لَا يَقْبِلُ غَيْرَ مَا خَلَقَ لَهُ {**سُنْنَةُ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنْنَةَ اللَّهِ تَبَدِيلًا**} الفتح 23 وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ لَيْسَ بِمَتْرُوكٍ مَخْلُى فَإِنَّمَا لَا يَزَالُ مِنْ أُوْدِيَةِ الْأَفْكَارِ وَأَقْطَارِ الْأَمَانِيِّ لَا يَكُونُ عَلَى الْحَالِ الَّتِي تَكُونُ عَلَيْهَا الْعَيْنُ وَالْأَذْنُ مِنَ الْفَرَاغِ وَالتَّخْلِيِّ فَقَدْ وَضَعَ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ لَا مَطْلُقٍ وَلَا مَعْلُقٍ مَوْضِعٍ لَا مَوْضِعٍ لَهُ وَهَذَا مِنَ الْعَجْبِ فَسَبْحَانُ الْعَزِيزِ

الحكيم وإنما تكشف له هذه الحال عند رجوعه إلى الحق إما في الدنيا عند الإنابة أو عند المنقلب إلى الآخرة فيرى سوء الحال التي كان عليها وكيف كان قلبه ضالاً عن الحق هذا إذا صرف إلى الباطل فأما لو ترك وحالته التي فطر عليها فارغاً عن كل ذكر وحالياً من كل فكر لقد كان يقبل العلم الذي لا جهل فيه ويرى الحق الذي لا ريب فيه فهو من بربه وينبئ إليه فإن كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة جماع لا تحس فيها من جدعا {فَأَقْمِ وَجْهَكَ لِلَّذِينَ حَنِيفَا فَطَرَ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخُلُقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ} الروم 30 وإنما يحول بينه وبين الحق في غالب الحال شغله بغيه من فتن الدنيا ومطالب الجسد وشهوات النفس فهو في هذه الحال كالعين الناظرة إلى وجه الأرض لا يمكنها أن ترى مع ذلك الهلال أو هو يميل إليه فيصده عن اتباع الحق فيكون كالعين التي فيها قدى لا يمكنها رؤية الأشياء ثم الهوى قد يعرض له قبل معرفة الحق فيصده عن النظر فيه فلا يتبيّن له الحق كما قيل حبك الشيء يعمي ويصم فيبقى في ظلمة الأفكار وكثيراً ما يكون ذلك كبراً يمنعه عن أن يطلب الحق {فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فُلُوْبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكِرُونَ} النحل 22 وقد يعرض الهوى بعد أن عرف الحق فيجدهه ويعرض عنه كما قال سبحانه فيهم {سَأَصْرِفُ عَنْ أَيَّاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا}

{الأعراف 146 ثم القلب للعمل كالإناء للماء والوعاء للغسل والوادي للسيل كما قال تعالى {أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَأَلْتُ أَوْدِيَةً بِقَرَرِهَا} الرعد 17 الآية وقال النبي صلى الله عليه وسلم إن مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً فكانت منها طائفة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت فيها أجادب أمسكت الماء فسقى الناس وزرعوا وأصاب منها طائفة إنما هي قيungan لا تمسك ماء ولا تنتت كلاًً فذلك مثل

من فقه في دين الله ونفعه ما أرسلت به ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به وفي حديث كميل بن زياد عن علي رضي الله عنه قال القلوب أو عية فخيرها أو عاها وبلغنا عن بعض السلف قال القلوب آنية الله في أرضه فأحبها إلى الله تعالى أرقها وأصفاها وهذا مثل حسن فإن القلب إذا كان رقيقاً ليناً كان قبوله للعلم سهلاً يسيراً ورسخ فيه وأثر وإن يكن فاسياً غليظاً يكن قبوله للعلم صعباً عسيراً ولا بد من ذلك أن يكون زكياً صافياً سليماً حتى يزكوه فيه العلم ويثير ثمراً طيباً وإلا فلو قبل العلم وكان فيه كدر وخبث أفسد ذلك العلم وكان كالدغل في المذرع إن لم يمنع الحب من أن ينبع منه من أن يزكوه ويطيب وهذا بين لأولي الأ بصار وتلخيص هذه الجملة أنه إذا استعمل في الحق فله وجهان وجه مقبل على الحق ومن هذا الوجه يقال له وعاء وإناء لأن ذلك يستوجب ما يوعى فيه ويوضع فيه وهذه الصبغة وجود ثبوت وجه معرض عن الباطل ومن هذا الوجه يقال له زكي وسلمي وظاهر لأن هذه الأسماء تدل على عدم الشر والخبث والدغل وهذه الصبغة عدم ونفي وبهذا يتبيّن أنه إذا صرف إلى الباطل فله وجهان وجه الوجود أنه منصرف إلى الباطل مشغول به وجه العدم أنه معرض عن الحق غير قابل له وهذا يبيّن من البيان والحسن والصدق ما في قوله إذا ما وضعت القلب في غير موضع وضع بغير إناء فهو قلب مضيع فإنه لما أراد أن يبيّن حال من ضياع قلبه فظلم نفسه بأن اشتغل بالباطل وملأ به قلبه حتى لم يبق فيه متسع للحق ولا سبيل له إلى الولوج فيه ذكر ذلك منه فوصف حال هذا القلب بوجهيه ونعته بمذهبيه فذكر أولاً وصف الوجود منه فقال إذا ما وضعت القلب في غير موضع يقول إذا شغلته بما لم يخلق له فصرفته إلى الباطل حتى صار موضوعاً فيه ثم الباطل على منزلتين إحداهما تشغله عن الحق ولا تعانده مثل الأفكار والهموم التي من علائق الدنيا وشهوات النفس والثانية تعاند الحق وتصد عنه مثل الآراء الباطلة

والأهواء المردية من الكفر والنفاق والبدع وشبه ذلك بل القلب لم يخلق إلا لذكر الله فما سوى ذلك فليس موضعه ثم ذكر ثانياً ووصف العدم منه فقال بغير إماء يقول إذا وضعته بغير إماء فوضعه ولا إماء معك كما تقول حضرت المجلس بلا محبرة فالكلمة حال من الواضع لا من الموضوع والله أعلم وبيان هذه الجملة والله أعلم أنه يقول إذا ما وضع قلبك في غير موضع فاشتعل بالباطل ولم يكن معك إماء يوضع فيه الحق ويتنزل إليه الذكر والعلم الذي هو حق القلب فقلبك إذا مضيغ ضيعته من وجهي التضييع وإن كانا متهددين من جهة أنك وضعته في غير موضوع ومن جهة أنه لا إماء معك يكون وعاء لحقه الذي يجب أن يعطاه كما لو قيل لملك قد أقبل على الله إذا اشتغلت بغير المماسكة وليس في الملك من يدبره فهو ملك ضائع لكن هنا الإناء هو القلب بعينه وإنما كان ذلك لأن القلب لاينوب عنه غيره فيما يجب أن يصنعه} ولا تزرُوا زرَ آخَرَ {الأنعام 164 وإنما خرج الكلام في صورة اثنين بذكر نعتين لشيء واحد كما جاء نحوه في قوله تعالى {نَزَّلَ عَلَيْكُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدَّقاً لِمَا بَيْنَ يَدِيهِ وَأَنْزَلَتِ الْتُورَةَ وَالْإِنْجِيلَ {3} مِنْ قَبْلِ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ {4} آل عمران 3-4 قال قتادة والربيع هو القرآن فرق فيه بين الحلال والحرام والحق والباطل وهذا لأن الشيء الواحد إذا كان له وصفان كبيران فهو مع وصف كالشيء الواحد وهو مع الوصفين بمنزلة الاثنين حتى لو كثرت صفاتاته لتنزل منزلة أشخاص ألا ترى أن الرجل الذي يحسن الحساب والطب بمنزلة حاسب وطبيب والرجل الذي يحسن التجارة والبناء بمنزلة نجار وبناء والقلب لما كان يقبل الذكر والعلم فهو بمنزلة الإناء الذي يوضع فيه الماء وإنما ذكر في هذا البيت الإناء من بين سائر أسماء القلب لأنه هو الذي يكون رقيقاً وصافياً وهو الذي يأتي به المستطعم المستعطي في منزلة البائس الفقير ولما كان ينصرف عنibal فهو زكي وسليم فكانه اثنان ويتباين في الصورة أن الإناء غير القلب فهو يقول إذا ما وضع قلبك في

غير موضع وهو الذي يوضع فيه الذكر والعلم ولم يكن معك إناه
يوضع فيه المطلوب فتركها ثم أقبل يطلب طعاما فقيل له هات
إناه نعطاك طعاما فاما إذ أتيت وقد وضعت زبديتك مثلا في
البيت وليس معك إناه نعطيك فيه شيئا رجعت بخفي حنين وإذا
تأمل من له بصر بأساليب البيان وتصاريف اللسان وجد موقع
هذا الكلام من العربية والحكمة كليهما موقعا حسنا بليغا فإن
نقيس هذه الحال المذكورة أن يكون القلب مقبلا على الحق
والعلم والذكر معرضا عن ذكر غير ذلك وتلك هي الحنيفة دين
إبراهيم عليه السلام فإن الحنف هو الميل عن الشيء بالإقبال
على آخر فالدين الحنيف هو الإقبال على الله وحده والإعراض
عما سواه وهو الإخلاص الذي ترجمته كلمة الحق والكلمة الطيبة
لا إله إلا هو اللهم ثبتنا عليها في الدنيا وفي الآخرة ولا حول ولا
قوة إلا بالله¹

{أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَفْقَالُهَا }

* و قال تعالى {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَفْقَالُهَا }
 {محمد 24} و قال {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عَنْ
 غَيْرِ اللَّهِ لَوْجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا } النساء 82 و قال تعالى {أَفَمْ
 يَدْبَرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ أَبْنَاءُهُمُ الْأَوَّلِينَ } المؤمنون 68
 و قال تعالى {فَبَشِّرْ عِبَادِ } 17 {الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَبَعُونَ
 أَحْسَنَهُ } 18 {الزم 17-18} و قال {وَالَّذِينَ إِذَا ذُكْرُوا
 بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخْرُوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا } الفرقان 73 و قال
 {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } يوسف 2 و قال {
 كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ } هود 1 و قال
 {كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَقَوْمٍ يَعْلَمُونَ } 3 {بَشِّيرًا وَنَذِيرًا
 } 4 {فصلت 3-4 إلى قوله } {وَمِنْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ }
 {فصلت 5 فإذا كان كثير من القرآن أو أكثره مما لا يفهم احد
 معناه لم يكن المتبر المعقول إلا بعضه و هذا خلاف ما دل عليه
 القرآن لا سيما عامة ما كان المشركون ينكرونه كالآيات الخبرية

و الأخبار عن اليوم الآخر أو الجنة و النار و عن نفي الشركاء و الأولاد عن الله و تسميتها بالرحمن فكان عامة إنكارهم لما يخبرهم به من صفات الله نفيا و إثباتا و ما يخبرهم به عن اليوم الآخر و قد ذم الله من لا يعقل ذلك و لا يفقهه و لا يتذمرون فعلم أن الله يأمر بعقل ذلك و تذمره و قد قال تعالى { وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَإِنَّتِ سَمِعَ الصُّمُّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقُلُونَ } 42 { يُبَصِّرُونَ } 43 { يُونس } 43-42 و قال { وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكْنَةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا } الأنعام 25 الآية و قال تعالى { وَإِذَا قَرَأَتِ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَ أَيْمَانِهِمْ وَبَيْنَ أَذْنَاهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا } 45 { وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكْنَةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا } 46 الإسراء 45-46 الآية ¹

سمع فقه و قبول

* أصل السماع الذي أمر الله به هو سماع ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم سماع فقه و قبول و لهذا إنقسم الناس فيه أربعة أصناف صنف معرض ممتنع عن سماعه و صنف سمع الصوت و لم يفقه المعنى و صنف فقهه و لكنه لم يقبله و الرابع الذي سمعه سماع فقه و قبول الأول كالذين قال فيهم { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَا فِيهِ لَعْلَكُمْ تَغْلِبُونَ } فصلت 26 و الصنف الثاني من سمع الصوت بذلك لكن لم يفقه المعنى قال تعالى { وَمَنْ لِمَنِ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمْثُلِ الَّذِي يَنْتَعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاء وَنِدَاء صُمُّ بُكْمُ عُمِّي فَهُمْ لَا يَعْقُلُونَ } البقرة 171 وقال تعالى { وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكْنَةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاؤُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ } الأنعام 25 و قال تعالى { وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَإِنَّتِ سَمِعَ الصُّمُّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقُلُونَ } 42 { وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَإِنَّتِ تَهْدِي الْعُمَّيَ وَلَوْ كَانُوا لَا

يُبَصِّرُونَ {43} إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ {44} يُونس 42-44 و قال تعالى {وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَاباً مَسْتُوراً {45} وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكْنَةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُوراً {46} نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَنْتَعِنُ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُوراً {47} الإسراء 45-47 و قال تعالى {وَمَنْ أَظْلَمُ مِنْ ذُكْرِ بِاِيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمْتُ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكْنَةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذَا أَبَدَا } الكهف 57 و قوله أن يفقهوه يتناول من لم يفهم منه تفسير اللفظ كما يفهم بمجرد العربية و من فهم ذلك لكن لم يعلم نفس المراد في الخارج و هو الأعيان و الأفعال و الصفات المقصودة بالأمر و الخبر بحيث يراها و لا يعلم أنها مدلول الخطاب مثل من يعلم و صفا مذوما و يكون هو متصفا به أو ببعضها من جنسه و لا يعلم أنه داخل فيه ¹

*فذهب المعرض عما يجب من استماع المشتغل عنه باستماع الغناء كما هو فعل كثير من الذين أضاعوا الصلاة و اتبعوا الشهوات و حال كثير من المتنسكة في اعتراضهم بسماع المكاء والتصدية عن سماع قول الله تعالى و مثل هذا قوله تعالى وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكْنَةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ {25} الانعام ¹ 25

البصر أقوى وأشمل والسمع أعم وأشمل

* قال تعالى { وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكْنَةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا

جَاؤُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ {
الأنعام 25}

فإن البصر يرى غير مباشرة المرئي والذوق والشم واللمس لا يحصل له الاحساس إلا ب مباشرة المحسوس والسمع وإن كان يحس الأصوات فالمقصود الأعظم به معرفة الكلام وما يخبر به المخبرون من العلم وهذا سبب تقضيل طائفة من الناس ل السمع على البصر كما ذهب إليه ابن قتيبة وغيره وقال الأكثرون البصر أفضل من السمع والتحقيق أن إدراك البصر أكمل كما قاله الأكثرون كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ليس المخبر كالمعاين لكن السمع يحصل به من العلم لنا أكثر مما يحصل ب البصر ف البصر أقوى وأكمل والسمع أعم وأشمل وهاتان الحاستان هما الأصل في العلم بالمعلومات التي يمتاز بها الإنسان عن البهائم استطراد ولهذا يقرن الله بينهما الفؤاد في مواضع قوله تعالى {إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادُ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُلًا} الإسراء 36 وقال تعالى {خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاؤَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} البقرة 17

الآيات البراهين الدالة على نبوة محمد

* والآيات والبراهين الدالة على نبوة محمد كثيرة متعددة وهي أكثر وأعظم من آيات غيره من الأنبياء ويسميها من يسميها من النظار معجزات وتسمى دلائل النبوة وأعلام النبوة وهذه الألفاظ إذا سميت بها آيات الأنبياء كانت أدلة على المقصود من لفظ المعجزات ولهذا لم يكن لفظ المعجزات موجوداً في الكتاب والسنة وإنما فيه لفظ الآية والبينة والبرهان وأما لفظ الآيات فكثير في القرآن كقوله تعالى في حق محمد {وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلَنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكْنَةً أَنْ يَقْهُمُوهُ وَفِي أَذْنِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ } الأنعام 25

*أن اسم الهلاك يراد به الفساد وخروجه عما يقصد به ويراد وهذا مناسب لما لا يكون لله فإنه فاسد لا ينتفع به في الحقيقة بل هو خارج عما يجب قصده وإرادته قال تعالى {وَهُمْ يَنْهَا عَنْهُ وَيَنْأُونَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ}

{الأنعام} 26 أخبر أنهم يهلكون أنفسهم بنهيهم عن الرسول ونأيهم عنه ومعلوم أن من نأى عن اتباع الرسول ونهى غيره عنه وهو الكافر فإن هلاكه بکفره هو حصول العذاب المکروه له دون النعيم المقصود^١

*فإن النأى كلما قل بعده أو كثر كأنه مثل المفارقة والبعد إنما يستعمل فيما كثرت مسافة مفارقته وقد قال تعالى {وَهُمْ يَنْهَا عَنْهُ وَيَنْأُونَ عَنْهُ} {الأنعام} 26 وهم مذمومون على مجانبته والتتحى عنه سواء كانوا قربين أو بعيدين وليس كلهم كان بعيدا عنه لا سيما عند من يقول نزلت في أبي طالب وقد قال النابغة والنؤى كالحوض بالمظلومة الجلد والمراد به ما يحفر حول الخيمة لينزل فيه الماء ولا يدخل الخيمة أى صار كالحوض فهو جانب للخيمة ليس بعيدا منها^١

يهلكون أنفسهم بنهيهم عن الرسول ونأيهم عنه

*أن اسم الهلاك يراد به الفساد وخروجه عما يقصد به ويراد وهذا مناسب لما لا يكون لله فإنه فاسد لا ينتفع به في الحقيقة بل هو خارج عما يجب قصده وإرادته قال تعالى {وَهُمْ يَنْهَا عَنْهُ وَيَنْأُونَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ}

{الأنعام} 26 أخبر أنهم يهلكون أنفسهم بنهيهم عن الرسول ونأيهم عنه ومعلوم أن من نأى عن اتباع الرسول ونهى غيره عنه وهو الكافر فإن هلاكه بکفره هو حصول العذاب المکروه له دون النعيم المقصود^١

*فإن النأى كلما قل بعده أو كثر كأنه مثل المفارقة والبعد إنما يستعمل فيما كثرت مسافة مفارقته وقد قال تعالى {وَهُمْ يَنْهَا عَنْهُ وَيَنْأُونَ عَنْهُ} {الأنعام} 26 وهم مذمومون على مجانبته

والتنحى عنه سواء كانوا قريبين أو بعيدين وليس كلهم كان بعيدا عنه لا سيما عند من يقول نزلت في أبي طالب وقد قال النابغة والنؤى كالحوض بالمظلومة الجلد والمراد به ما يحفر حول الخيمة لينزل فيه الماء ولا يدخل الخيمة أى صار كالحوض فهو جانب للخيمة ليس بعيدا منها وروى ابن بطة باسناده عن مبارك بن حسان قال قلت لسالم الأفطس رجل أطاع الله فلم يعصه ورجل عصى الله فلم يطعه فصار المطيع إلى الله فأدخله الجنة وصار العاصي إلى الله فأدخله النار هل يتقادلان في اليمان قال لا قال فذكرت ذلك لعطاء فقال سلهم اليمان طيب أو خبيث فان الله قال {لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثُ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} الأنفال 37 فسألتهم فلم يجيبوني فقال بعضهم ان اليمان يحيطون الآية التي في البقرة {إِنَّ الْبَرَّ أَنْ تُؤْلِمُوا وَجُوهرَ كُمْ قِبْلَ الْمَشْرُقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبَرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّنَ} البقرة 177 قال ثم وصف الله على هذا الاسم ما لزمه من العمل فقال {وَأَتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذُوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ} البقرة 177 الى قوله {وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفَقُونَ} البقرة 177 فقال سلهم هل دخل هذا العمل في هذا الاسم وقال {وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ} الإسراء 19 فاللزم الاسم العمل والعمل الاسم والمقصود هنا أنه لم يثبت المدح إلا على ايمان معه العمل لا على ايمان خال عن عمل فإذا عرف أن الذم والعذاب واقع في ترك العمل كان بعد ذلك نزاعهم لافائدة فيه بل يكون نزاعا لفظيا مع أنهم مخطئون في اللفظ مخالفون للكتاب والسنة وان قالوا انه لا يضره ترك العمل فهذا كفر صريح وبعض الناس يحكى هذا عنهم وأنهم يقولون ان الله فرض على العباد فرائض ولم يرد منهم أن يعملوها ولا يضرهم تركها وهذا قد يكون قول الغالية الذين يقولون لا يدخل النار من

أهل التوحيد أحد لكن ما علمت معيناً أحكى عنه هذا القول وإنما الناس يحكونه في الكتب ولا يعيّنون قائله وقد يكون قول من لا خلاق له فان كثيراً من الفساق والمنافقين يقولون لا يضر مع الإيمان ذنب أو مع التوحيد وبعض كلام الرادين على المرجئة وصفهم بهذا ويدل على ذلك قوله تعالى في آخر الآية {**أَوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأَوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ**} البقرة 177 فقوله صدقوا أى في قولهم آمنوا كقوله {**قَالَتِ الْأَغْرِبَةُ أَمَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ**}

{**الحجرات 14**} إلى قوله {**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَأُوا وَجَاهُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**} الحجرات 15 أى هم الصادقون في قولهم آمنا بالله بخلاف الكاذبين الذين قال الله فيهم {**إِذَا جَاءَكُمُ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهُدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللهُ يَشْهُدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ**} المنافقون¹

إن الله يعلم ما لا يكون لو كان كيف كان يكون

*قال تعالى {وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نَرَدُ وَلَا نُكَذَّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} 27 {**بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفِونَ مِنْ قَبْلٍ وَلَوْ رُدُوا لَعَادُوا لِمَا نَهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ**} 28 الأنعام 27-28 إن الله يعلم ما كان و ما يكون وما لا يكون لو كان كيف كان فإن هذا من باب العلم والخبر بما لا يكون لو كان كيف يكون كقوله {**لَوْ كَانَ فِيهِمَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا**} الأنبياء 22 و قوله {**لَوْ رُدُوا لَعَادُوا لِمَا نَهُوا عَنْهُ**} الأنعام 28 و قوله {**لَوْ خَرَجُوا فِيْكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا**} التوبة 47 و قوله {**لَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ**} الأنفال 23 و أمثل ذلك كما روى أنه يقال للعبد في قبره حين يفتح له باب إلى الجنة وإلى النار ويقال هذا منزلك ولو عملت كذا وكذا أبدلك الله به منزلا آخر¹

* وقد ذكر الله علمه بما سيكون بعد ان يكون في بضعة عشر موضعًا في القرآن مع اخباره في مواضع اكثـر من ذلك انه يعلم ما يكون قبل ان يكون وقد اخبر في القرآن من المستقبلات التي لم تكن بعد بما شاء الله بل اخبر بذلك نبيه وغير نبيه ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء بل هو سبحانه يعلم ما كان وما يكون وما لو كان كيف كان يكون قوله **{وَلَوْ رُدُوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ} {الأنعام 28}** بل وقد يعلم بعض عباده بما شاء ان يعلمه من هذا وهذا ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء ^١

بعد الموت يصير الغيب شهادة

* وأما ما أخبرت به الرسل من الغيب فليس هو معقولاً مجرداً في النفس ولا هو موجود في الخارج لا يحس به بحال بل هو مما يحس به كما أخبرت بالملائكة والجن وغير ذلك وكل ذلك مما يجوز رؤيته والإحساس به وكذلك ما أخبرت به من الجنة والنار هو مما يحس به وكذلك الرب تبارك وتعالى وتقدس وتعظم تجوز رؤيته بل يرى بالأبصار في الآخرة في عرصات القيمة وفي الجنة كما تواترت بذلك النصوص عن النبي صلى الله عليه وسلم واتفق عليه سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأنئمة المسلمين ولهذا فرقت الرسل بين هذا وذاك فإن هذا شهادة أي مشهود لنا محسوس الآن وذاك غيب أي غائب عنا الآن لا مشهود وهذا فرق إضافي باعتبار حالنا في مشهوده الآن وعدم مشهوده فإذا متنا صار الغيب شهادة وشهدنا ما كانت الرسل أخبرت به وكان غيبنا عنا قال تعالى **{وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبَّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ} {الأنعام 130}**

من وقف عند الحقيقة الكونية ولم يقم بما أمر به من الحقيقة الدينية كان من جنس إبليس وأهل النار

*قال تعالى {وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ
قَالُوا بَلَى وَرَبَّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ} {30} قد
خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءَ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءُتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا
حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أُوزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ
إِلَّا سَاءَ مَا يَزَرُونَ} {31} وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعْبٌ وَلَهُوَ وَلِلَّذَّارُ
الآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقَوْنَ أَفَلَا تَعْقُلُونَ} {32} قد نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ
الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ
يَجْحَدُونَ} {33} الأنعام 30-33 فهو سبحانه رب العالمين وخالقهم
ورازقهم ومحبيهم ومميتهم ومقلب قلوبهم ومصرف أمورهم لا
رب لهم غيره ولا مالك لهم سواه ولا خالق إلا هو سواء اعترفوا
بهذا أنكروه سواء علموا بذلك أو جهلوه لكن أهل الإيمان منهم
عرفوا بذلك واعترفوا به بخلاف من كان جاهلا بذلك أو جادا له
مستكبرا على ربه ولا يقر ولا يخضع له مع علمه بأن الله ربه
والخالقه فالمعرفة بالحق إذا كانت مع الاستكبار عن قبوله والجحد
له كان عذابا على صاحبه كما قال تعالى {وَجَحَدُوا بِهَا
وَاسْتَيْقَنُتْهَا أَنفُسُهُمْ ظَلَمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ
} النمل 14 وقال تعالى {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرُفُونَهُ كَمَا
يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لِيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ
} البقرة 146 وقال تعالى {فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ
بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ} {الأنعام 33} فإن اعترف العبد ان الله ربه
والخالقه وأنه مفتقر اليه محتاج اليه عرف العبودية المتعلقة
بربوبيه الله وهذا العبد يسأل ربه فيتضارع اليه ويتوكل عليه لكن
قد يطعن امره وقد يعصيه وقد يعبده مع ذلك وقد يعبد الشيطان
والاصنام ومثل هذه العبودية لاتفرق بين اهل الجنة والنار
ولا يصير بها الرجل مؤمنا كما قال تعالى {وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ
بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ} يوسف 106 فإن المشركين كانوا يقرون

ان الله خالقهم ورازقهم وهم يعبدون غيره قال تعالى {وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ مَنْ حَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لِيَقُولُنَّ اللَّهُ} لقمان 25 وقال تعالى {قُلْ لَمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} 84 سَيَقُولُونَ اللَّهُ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} 85 المؤمنون 84-85 الى قوله {قُلْ فَإِنَّى شُسْحَرُونَ} المؤمنون 89 وكثير من يتكلّم في الحقيقة ويشهدها يشهد هذه الحقيقة وهي الحقيقة الكونية التي يشترك فيها وفي شهودها ومعرفتها المؤمن والكافر والبر والفاجر وأبليس معترف بهذه الحقيقة واهل النار قال أبليس {رَبِّ فَانظُرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبَيَّنُونَ} الحجر 36 وقال {رَبِّ إِنِّي أَغْوَيْتُ لِأَرْبَعَةِ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا غُوَيْنِهِمْ أَجْمَعِينَ} الحجر 39 وقال {فَيُعَزِّزُكَ لِأَغْوِيَهُمْ أَجْمَعِينَ} ص 82 وقال {أَرَأَيْتَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ} الإسراء 62 وامثال هذا من الخطاب الذي يقر فيه بان الله ربه و خالقه و خالق غيره وكذلك اهل النار قالوا {قَالُوا رَبَّنَا غَلَبْتَ عَلَيْنَا شَقَوْتَنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ} المؤمنون 106 وقال تعالى {وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبَّنَا} الأنعام 30 فمن وقف عند هذه الحقيقة و عند شهودها ولم يقم بما امر به من الحقيقة الدينية التي هي عبادته المتعلقة بالهيته وطاعة امره وامر رسوله كان من جنس أبليس واهل النار وان ظن مع ذلك انه خواص اولياء الله واهل المعرفة والتحقيق الذين يسقط عنهم الأمر والنهي الشرعيان كان من اشر اهل الكفر والالحاد ومن ظن ان الخضر وغيره سقط عنهم الامر لمشاهدة الارادة ونحو ذلك كان قوله هذا من شر اقوال الكافرين بالله ورسوله حتى يدخل في النوع الثاني من معنى العبد وهو العبد العابد فيكون عابدا الله لا يعبد الا ايها فيطيع امره وأمر رسليه ويؤالي أولياء المؤمنين المتقيين ويعادي اعداءه وهذا العبادة المتعلقة بالهيته ولهذا كان عنوان التوحيد لا اله الا الله بخلاف من يقر بربوبيته ولا يعبد او يعبد معه لها آخر فالله الذي يأله القلب بكمال الحب والتعظيم والاجلال والاكرام والخوف والرجاء ونحو ذلك وهذه

العبادة هي التي يحبها الله ويرضاها بها وصف المصطفين من عباده وبها بعث رسلاه وأما العبد بمعنى المعبد سواء اقر بذلك او انكره فتلك يشترک فيها المؤمن والكافر وبالفرق بين هذين النوعين يعرف الفرق بين الحقائق الدينية الدالة في عبادة الله ودينه وامرہ الشرعى التي يحبها ويرضاها ويؤلى اهلها ويكرمهم بجنته وبين الحقائق الكونية التي يشترک فيها المؤمن والكافر والبر والفاجر التي من اكتفى بها ولم يتبع الحقائق الدينية كان من اتباع ابليس اللعين والكافرين برب العالمين ومن اكتفى بها في بعض الامور دون بعض او في مقام او حال نقص من إيمانه وولايته لله بحسب ما نقص من الحقائق الدينية وهذا مقام عظيم فيه غلط الغالطون وكراه فيه الاشتباہ على السالكين حتى زلق فيه من اكابر الشيوخ المدعين التحقيق والتوحيد والعرفان مالا يحصل لهم الا الله الذي يعلم السر والاعلان والى هذا اشار الشيخ عبد القادر رحمه الله فيما ذكر عنه فيبين ان كثيرا من الرجال إذا وصلوا إلى القضاء والقدر أمسكوا الا انما فإني انفتحت لي فيه روزنة فنمازعت اقدار الحق بالحق للحق والرجل من يكون منازعا للقدر لا من يكون موافقا للقدر والذى ذكره الشيخ رحمه الله هو الذى امر الله به ورسوله لكن كثير من الرجال غلطوا فإنهم قد يشهدون ما يقدرون على احدهم من المعاصي والذنوب أو ما يقدر على الناس من ذلك بل من الكفر ويشهدون ان هذا جار بمشيئة الله وقضائه وقدرة داخل في حكم ربوبيته ومقتضى مشيئته فيظلون الاستسلام لذلك وموافقته والرضا به ونحو ذلك دينا وطريقا وعبادة فيضاهون المشركين الذين قالوا {لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكَنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمَنَا مِنْ شَيْءٍ} الأنعام 148 وقالوا {أَنْطَعْمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمْهُ}يس 47 وقالوا {لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَا هُمْ} الزخرف 20 ولو هدوا لعلموا أن القدر أمرنا ان نرضى به ونصبر على موجبه في المصائب التي تصيبنا كالافقر والمرض والخوف قال تعالى {مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ}

وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ } التغابن 11 قال بعض السلف هو
 الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم
 وقال تعالى {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ
 إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَبْرَأُوهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ } 22
 لِكَيْلًا تَأْسُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَقْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ } 23} الحديد 22-23
 وفي الصحيحين عن النبي أنه قال احتج آدم وموسى فقال
 انت آدم الذي خلقك الله بيده ونفح فيك من روحه واسجد لك
 ملائكته وعلمك اسماء كل شيء فلماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة
 فقال آدم أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه فهل
 وجدت ذلك مكتوبا على قبل ان أخلق قال نعم قال فحج آدم
 موسى وأدم عليه السلام لم يحتاج على موسى بالقدر ظنا أن
 المذنب يحتاج بالقدر قان هذا لا يقوله مسلم ولا عاقل ولو كان هذا
 عذرا لكان عذرا لا بليس وقوم هود وكل كافر ولا موسى لام آدم
 أيضا لأجل الذنب فان آدم قد تاب إلى ربه فاجتباه وهدى ولكن
 لامه لأجله المصيبة التي لحقتهم بالخطيئة ولهاذا قال فلماذا
 أخرجتنا ونفسك من الجنة فأجابه آدم أن أن هذا كان مكتوبا قبل
 أن أخلق فكان العمل والمصيبة المترتبة عليه مقدار وما قدر من
 المصائب يجب لاستسلام له فإنه من تمام الرضا بالله ربها
 وأما الذنوب فليس للعبد ان يذنب واذا اذنب فعليه ان يستغفر
 وفيتوب من المعايب ويصبر على المصائب قال تعالى {فَاصْبِرْ
 إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ } غافر 55 وقال تعالى { وَإِنْ
 تَصْبِرُوْا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا } آل عمران 120 وقال
 {وَإِنْ تَصْبِرُوْا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ } آل عمران 186
 وقال يوسف {إِنَّهُ مَنْ يَتَّقَ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ
 الْمُحْسِنِينَ } يوسف 90 وكذلك ذنوب العباد يجب على العبد
 فيها ان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بحسب قدرته ويجاهد
 في سبيل الله الكفار والمنافقين ويyoالي اولياء الله ويعادي اعداء
 الله ويحب في الله ويبغض في الله¹

استعمال لفظ الذوق في إدراك الملائم والمنافر

*قال تعالى { فَإِذَا قَاتَاهَا اللَّهُ لِبَاسُ الْجُوعِ وَالْخُوفِ } النحل 112
فان من الناس من يقول الذوق حقيقة في الذوق بالفم واللباس بما يلبس على البدن وإنما استعير هذا وهذا وليس كذلك بل قال الخليل الذوق في لغة العرب هو طعم الشيء والاستعمال يدل على ذلك قال تعالى { وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ } السجدة 21 وقال { وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ } فصلت 50 وقال { ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ } الدخان 49 وقال { فَذَاقْتُ وَبَالَ أَمْرِهَا } الطلاق 9 وقال { فَذُوقُوا العَذَابَ بِمَا كُنْתُمْ تَكْفُرُونَ } الأنعام 30

وقال النبي ذاق طعم الايمان من رضى بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا وفي بعض الادعية أذقنا برد عفوك وحلاوة مغفرتك فلفظ الذوق يستعمل في كل ما يحس به ويجد ألمه أو لذته فدعوى المدعى اختصاص لفظ الذوق بما يكون بالفم تحكم منه لكن ذاك مقيد فيقال ذقت الطعام وذقت هذا الشراب فيكون معه من القيود ما يدل على أنه ذوق بالفم وإذا كان الذوق مستعملا فيما يحسه الانسان بباطنه أو بظاهره حتى الماء الحمييم يقال ذاقه فالشراب اذا كان باردا أو حارا يقال ذقت حره وبرده ولفظ ذوق الجوع والخوف فان هذا اللفظ يدل على الاحساس بالمؤلم وإذا أضيف الى المذى على الاحساس به قوله صلى الله عليه وسلم ذاق طعم الايمان من رضى بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا فان قيل فلم لم يصف نعيم الجنة بالذوق قيل لأن الذوق يدل على جنس الاحساس ويقال ذاق الطعام لمن وجد طعمه وان لم يأكله وأهل الجنة نعيمهم كامل تام لا يقتصر فيه على الذوق بل استعمل لفظ الذوق في النفي كما قال عن أهل النار { لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا } النبأ 24 أي لا يحصل لهم من ذلك ولا ذوق وقال

عن أهل الجنة {لَا يَدُوْقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى
} الدخان 56^١

* ولفظ الذوق وإن كان قد يظن أنه في الأصل مختص بذوق اللسان فاستعماله في الكتاب والسنة يدل على أنه أعم من ذلك مستعمل في الإحساس بالملائم والمنافر كما أن لفظ الإحساس في عرف الاستعمال عام فيما يحس بالحواس الخمس بل وبالباطن وأما في اللغة فأصله الرؤيا كما قال {هَلْ تُحْسُنَ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ} مريم 98 والمقصود لفظ الذوق قال تعالى {فَادَّاقْهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعَ وَالْخَوْفِ} النحل 112 فجعل الخوف والجوع مذوقاً وأضاف إليهما اللباس ليشعر أنه ليس الجائع والخائف فشله وأحاط به إحاطة اللباس باللباس بخلاف من كان الألم لا يستوعب مشاعره بل يختص ببعض المواقف وقال تعالى {فَدُوْقُوا الْعَذَابَ} آل عمران 106 وقال تعالى {ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ} الدخان 49 وقال تعالى {يَوْمَ يُسْبَحُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ دُوْقُوا مَسَّ سَقَرَ} القمر 48 وقال {لَا يَدُوْقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ} الدخان 56 وقال تعالى {لَا يَدُوْقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا} 24 {إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَاقًا} 25 {النَّبَاء} 24-25 وقال {وَلَنْ يُنْذِيقَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى ذُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لِعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} السجدة 21 وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ذاق طعم الإيمان من رضي ب الله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبياً فاستعمال لفظ الذوق في إدراك الملائم والمنافر كثير^١

فسر طائفة من أهل السنة اللقاء في كتاب الله بالرؤوية

* وقد جاء في الكتاب والسنة الفاظ من نحو لقاء الله كقوله {وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَنِّيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبَّنَا} الأنعام 30^١

* فسر طائفة من أهل السنة اللقاء في كتاب الله بالرؤيه منهم ابو عبدالله بن بطة الامام قالوا في قول الله {الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ} الكهف 105 وفي قوله {مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَا تَمْتَحِنُهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} العنكبوت 5 وفي قول الله {وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاسِعِينَ} 45 {الَّذِينَ يَظْنُونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ} البقرة 45-46 وفي قوله {قَالَ الَّذِينَ يَظْنُونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهَ {البقرة 249} وفي قوله {قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقاءِ اللَّهِ} الأنعام 31 ان اللقاء يدل على الرؤيه والمعاينة وعلى هذا المعنى فقد استدل المثبتون بقوله سبحانه وتعالي {يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَذَحاً فَمُلَاقِيهِ} الانشقاق 6 ومن أهل السنة من قال اللقاء اذا قرن بالتحية فهو من الرؤيه وقال ابن بطة سمعت أبا عمر الزاهد اللغوي يقول سمعت أبا العباس أحمد بن يحيى

بلغنا يقول في قوله {وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا} 43 {تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يُلْقَوْنَهُ سَلَامٌ} 44 {الأنفال 43-44} أجمع أهل اللغة أن اللقاء هنا لا يكون الا معاينة ونظرة بالأ بصار وأما الفريق الأول (يقصد من ينكر رؤيه الكفار لل سبحانه وتعالي) فقال بعضهم ليس الدليل من القرآن على رؤيه المؤمنين ربهم قوله {تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يُلْقَوْنَهُ سَلَامٌ} الأحزاب 44 وانما الدليل آيات آخر مثل قوله {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ} 22 {إِلَى رَبِّهَا نَاضِرَةٌ} 23 {القيمة 22-23} و قوله {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ} 26 {يونس 26} و قوله {إِنَّ الْأَيْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ} 22 {على الْأَرَائِكِ يَنْظَرُونَ} 23 {المطففين 22-23} و قوله {أَلَمْ مَآ يَشَاؤُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ} 35¹

لفظ العقل في القرآن

* قال تعالي {وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعْبٌ وَلَهُوَ وَلِلَّدَارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} الأنعام 32 ان اسم العقل عند المسلمين وجمهور العقلاء إنما هو صفة وهو الذي يسمى عرضا قائما

بالعاقل وعلى هذا دل القرآن في قوله تعالى لعلكم تعقلون
 وقوله {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا}
 }الحج 46 وقوله {قَدْ بَيَّنَاهُ لِكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ}آل
 عمران 118 ونحو ذلك مما يدل على ان العقل مصدر عقل
 يعقل عقلاً وإذا كان كذلك فالعقل لا يسمى به مجرد العلم الذي لم
 يعمل به صاحبه ولا العمل بلا علم بل إنما يسمى به العلم الذي
 يعمل به والعمل بالعلم ولهذا قال أهل النار {لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ
 نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ} الملك 10 وقال تعالى {أَفَلَمْ
 يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا} }الحج 46
 والعقل المشروط في التكليف لا بد أن يكون علوماً يميز بها
 الإنسان بين ما ينفعه وما يضره فالمحجون الذي لا يميز بين
 الدرارهم والفلوس ولا بين أيام الأسبوع ولا يفقه ما يقال له من
 الكلام ليس بعاقل أما من فهم الكلام ويميز بين ما ينفعه وما يضره
 فهو عاقل ثم من الناس من يقول العقل هو علوم ضرورية ومنهم
 من يقول العقل هو العمل بموجب تلك العلوم والصحيح أن
 اسم العقل يتناول هذا وهذا وقد يراد بالعقل نفس الغريزة التي في
 الإنسان التي بها يعلم ويميز ويقصد المنافع دون المضار كما قال
 أحمد بن حنبل والحارث المحاسبي وغيرهما ان العقل غريزة
 وهذه الغريزة ثابتة عند جمهور العقلاة كما أن في العين قوة بها
 يبصر وفي اللسان قوة بها يذوق وفي الجلد قوة بها يلمس عند
 جمهور العقلاة¹

*قال تعالى {وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعْبٌ وَأَهُوَ لَلَّدَارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ
 لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} الانعام 32 الناس يدركون بعقولهم
 الامور الدنيا فيعرفون ما يجلب لهم منفعة في الدنيا وما يجلب
 لهم مضره وهذا من العقل الذي ميز به الانسان فانه يدرك من
 عواقب الافعال ما لا يدركه الحس ولفظ العقل في القرآن يتضمن
 ما يجلب به المنفعة وما يدفع به المضر¹

*قال تعالى {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لَّاْوَلِي النُّهَى} طه 54 أى العقول وقال تعالى {هَلْ فِي ذَلِكَ قَسْمٌ لِّذِي حِجْر} الفجر 5 أى لذى عقل وقال تعالى {وَاتَّقُونَ يَا أُولَى الْأَلْبَابِ} البقرة 197 وقال {إِنَّ شَرَ الدَّوَابَّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُ الْبُكُمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ} الأنفال 22 وقال تعالى {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} يوسف 2 فإنما مدح الله وأثنى على من كان له عقل فاما من لا يعقل فإن الله لم يمدحه ولم يثن عليه ولم يذكره بخير قط بل قال تعالى عن أهل النار {وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ} الملك 10 وقال تعالى {وَلَقَدْ ذَرَانَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنْسَانِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبَصِّرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أَوْلَئِكَ كَاالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أَوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ} الأعراف 179 وقال {أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَاالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا} الفرقان 44¹

العلم بالحق يوجب إتباعه إلا لمعارض راجح مثل إتباع الهوى بالإستكبار

*قال تعالى {فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ} الأنعام 33 فالكافر الذين جحدوا ما علموا أنه الحق
1

*الكافر المعاند الذى ترك استماع القرآن كبرا وحسدا و هوى او سمعه وتبره واستيقنت نفسه انه حق من عند الله ولكن جحد ذلك ظلما وعلوا كحال فرعون واكثر اهل الكتاب والمرشكين الذين { لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ} الأنعام 33¹

أن العمل إما بمعرفة الحق وإتباعه فى العلم والعمل جميعا صلاح القول والعمل العلم والإرادة والعلم أصل العمل و أصل الإرادة والمحبة وغير ذلك وهو مستلزم له مالم يحصل معارض مانع فالعلم بالحق يوجب إتباعه إلا لمعارض راجح

مثل إتباع الهوى بالاستكبار ونحوه كحال الذين قال الله فيهم {سَاءَرْفُ عَنِ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا} الأعراف 146 وقال {وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنُتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًا} النمل 14 وقال {فَإِنَّهُمْ لَا يُكَدِّبُونَكَ وَلَكِنَ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ} الأنعام 33

ولهذا قال {يَا ذَاوُوْدُ اِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهُوَى فَيُضِلُّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} ص 26 ونحو ذلك فإن أصل الفطرة التي فطر الناس عليها إذا سلمت من الفساد إذا رأت الحق إتبنته وأحبته إذ الحق نوعان حق موجود فالواجب معرفته والصدق في الإخبار عنه وضد ذلك الجهل والكذب وحق مقصود وهو النافع للإنسان فالواجب إرادته والعمل به وضد ذلك إرادة الباطل وإتباعه ومن المعلوم أن الله خلق في النفوس محبة العلم دون الجهل ومحبة الصدق دون الكذب ومحبة النافع دون الضار وحيث دخل ضد ذلك فلمعارض من هو وكبر وحسد ونحو ذلك كما انه في صالح الجسد خلق الله فيه محبة الطعام والشراب الملائم له دون الضار فإذا إشتئى ما يضره أن كره ما ينفعه فلمرض في الجسد وكذلك أيضا إذا إندفع عن النفس المعارض من الهوى وال الكبر والحسد وغير ذلك أحب القلب ما ينفعه من العلم النافع والعمل الصالح كما أن الجسد إذا إندفع عنه المرض أحب ما ينفعه من الطعام والشراب فكل واحد من وجود المقتضى وعدم الدافع سبب للأخر وذلك سبب لصلاح حال الإنسان وضدهما سبب لضد ذلك فإذا ضعف العلم غلبه الهوى الإنسان وإن وجد العلم والهوى وهما المقتضى والدافع فالحكم للغالب وإذا كان كذلك فصلاح بنى آدم بالإيمان والعمل الصالح ولا يخرجهم عن ذلك إلا شيطان أحدهما الجهل المضاد للعلم فيكونون ضلالاً والثانى إتباع الهوى والشهوة للذين في النفس فيكونون غواة مغضوبوا عليهم ولهذا قال {وَالنَّجْمٌ إِذَا هُوَى} 1 {مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى} 2

النجم 1-2 وقال عليكم بستى وسنة الخلفاء الراشدين
 المهدىين من بعدى تمسكوا بها وعضووا عليها بالتواجذ
 فوصفهم بالرشد الذى هو خلاف الغى وبالهوى الذى هو خلاف
 الضلال وبهما يصلح العلم والعمل جمیعاً ويصیر الإنسان عالماً
 عادلاً لا جاهلاً ولا ظالماً¹

* أن الشخص إما أن يبین له أن ما بعث الله به رسوله حق
 ويعدل عن ذلك إلى اتباع هواه أو يحسب أن ما هو عليه من ترك
 ذلك هو الحق فهذا متبوع للظن والأول متبوع لهواه اجتماع الأمرین
 قال تعالى في صفة الأولین {فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَ الظَّالِمِينَ
 بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ} الأنعام 33 وقال تعالى في صفة الآخرين
 {قُلْ هُنَّ نُنَبِّكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا} 103 {الَّذِينَ صَنَّلَ سَعْيُهُمْ فِي
 الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا} 104 الكهف
 103-104 فالاول حال المغضوب عليهم الذين يعرفون الحق
 ولا يتبعونه كما هو موجود في اليهود والثاني حال الذين
 يعملون بغير علم قال تعالى {وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضْلِلُونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ
 عِلْمٍ} الأنعام 119¹

* وهؤلاء المعروفون مثل حماد بن أبي سليمان وأبي حنيفة
 وغيرهما من فقهاء الكوفة كانوا يجعلون قول اللسان وإعتقاد
 القلب من الإيمان وهو قول أبي محمد بن كلاب وأمثاله لم يختلف
 قولهم في ذلك ولا نقل عنهم أنه قالوا الإيمان مجرد تصديق
 القلب لكن هذا القول حکوه عن الجهم بن صفوان
 ذكروا أنه قال الإيمان مجرد معرفة القلب وإن لم يقر بلسانه
 وإشتدعون بهم لذلك حتى أطلق وكيع بن الجراح وأحمد بن حنبل
 وغيرهما كفر من قال ذلك فإنه من أقوال الجهمية وقالوا إن
 فرعون وإبليس وأبا طالب واليهود وأمثالهم عرفوا بقلوبهم
 وجحدوا بالسنن فـقد كانوا مؤمنين وذكروا قول الله {وَجَحَدُوا
 بِهَا وَاسْتَيْقَنْتُهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَأَعْلُوًا} النمل 14 قوله {الَّذِينَ
 آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرُفُونَهُ كَمَا يَعْرُفُونَ أَبْنَاءَهُمْ} البقرة 146

وقوله {فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحُدُونَ} **الأنعام 33** قالوا إبليس لم يكذب خبرا ولم يجد فان الله أمره بلا رسول ولكن عصى وإستكبر وكان كافرا من غير تكذيب في الباطن وتحقيق هذا مبسوط في غير هذا الموضع ¹

الحزن نهى عنه وان تعلق بامر الدين

* قال تعالى {قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحُدُونَ} الأنعام 33 واما الحزن فلم يأمر الله به ولا رسوله بل قد نهى عنه في موضع وان تعلق بامر الدين كقوله تعالى {وَلَا تَهُنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} آل عمران 139 وقوله {وَلَا تَحْزِنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَأْكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ} النحل 127 وقوله {إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزِنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا} التوبة 40 وقوله {وَلَا يَحْزُنَكَ قَوْلُهُمْ} يونس 65 وقوله {إِلَكِيَا لَتَأسُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا أَتَاكُمْ} الحديد 23 وامثال ذلك كثير وذلك لأنه لا يجلب منفعة ولا يدفع مضره فلا فائدة فيه وما لا فائدة فيه لا يأمر الله به نعم لا يأثم صاحبه اذا لم يقترن بحزنه محرم كما يحزن على المصائب كما قال النبي ان الله لا يؤاخذ على دمع العين ولا على حزن القلب ولكن يؤاخذ على هذا او يرحم و Ashton بيده الى لسانه وقال تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول الا ما يرضي الرب ومنه قوله تعالى {وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ} يوسف 84 وقد تبين بالحزن ما يثاب صاحبه عليه ويحمد عليه فيكون محمودا من تلك الجهة لا من جهة الحزن كالحزين على مصيبة في دينه وعلى مصائب المسلمين عموما فهذا يثاب على ما في قلبه من حب الخير وبغض الشر وتتوابع ذلك ولكن الحزن على ذلك اذا افضى الى ترك مأمور من الصبر والجهاد وجلب منفعة ودفع مضره نهى عنه والا كان حسب صاحبه رفع الاثم عنه من جهة الحزن واما ان افضى الى ضعف القلب واشتغاله به

عن فعل ما امر الله ورسوله به كان مذموما عليه من تلك الجهة وان كان محمودا من جهة اخرى واما المحبة لله والتوكيل عليه والاخلاص له ونحو ذلك فهذه كلها خير محض وهي حسنة محبوبة في حق كل احد من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ومن قال ان هذه المقامات تكون للعامة دون الخاصة فقد غلط في ذلك ان اراد خروج الخاصة عنها فان هذه لا يخرج عنها مؤمن قط وانما يخرج عنها كافر او منافق وقد تكلم بعضهم في ذلك بكلام بينما غلطه فيه وانه تقدير في تحقيق هذه المقامات بكلام مبسوط وليس هذا موضعه¹

أعمال القلوب التي أوجبها الله ورسوله هي من الإيمان

*فإن الإيمان أصله الإيمان الذي في القلب ولا بد فيه من شيئين تصديق بالقلب وإقراره ومعرفته ويقال لهذا قول القلب قال الجنيد بن محمد التوحيد قول القلب والتوكيل عمل القلب فلا بد فيه من قول القلب وعمله ثم قول البدن وعمله ولا بد فيه من عمل القلب مثل حب الله ورسوله وخشية الله وحب ما يحبه الله ورسوله وبغض ما يبغضه الله ورسوله وإخلاص العمل لله وحده وتوكيل القلب على الله وحده وغير ذلك من أعمال القلوب التي أوجبها الله ورسوله وجعلها من الإيمان ثم القلب هو الأصل فإذا كان فيه معرفة وإرادة سرى ذلك إلى البدن بالضرورة لا يمكن أن يتخلل البدن عما يريده القلب ولهذا قال النبي في الحديث الصحيح ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد ألا وهي القلب وقال أبو هريرة القلب ملك والأعضاء جنوده فإذا طاب الملك طابت جنوده وإذا خبث الملك خبثت جنوده وقول أبي هريرة تقريب وقول النبي أحسن بيانا فإن الملك وإن كان صالحًا فالجند لهم اختيار قد يعصون به ملکهم وبالعكس فيكون فيهم صلاح مع فساده أو فساد مع صلاحه بخلاف القلب فإن الجسد تابع له لا يخرج عن إرادته قط كما قال النبي صلى الله عليه وسلم إذا

صلحت صلح لها سائر الجسد وإذا فسست فسد لها سائر الجسد فإذا كان القلب صالحًا بما فيه من الإيمان علماً و عملاً قلبياً لزم ضرورة صلاح الجسد بالقول الظاهر والعمل بالإيمان المطلق كما قال أئمة أهل الحديث قول و عمل قول باطن و ظاهر و عمل باطن و ظاهر و الظاهر تابع للباطن لازم له متى صلح الباطن صلح الظاهر وإذا فسد فسد ولهذا قال من قال من الصحابة عن المصلى العابث لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه فلا بد في إيمان القلب من حب الله و رسوله وأن يكون الله و رسوله أحب إليه مما سواهما قال الله تعالى {وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنَّدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ الْأَنْجَوْنِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُ حُبًا لِّلَّهِ} البقرة 165 فوصف الذين آمنوا بأنهم أشد حباً لله من المشركين لأندادهم وفي الآية قوله قيل يحبونهم كحب المؤمنين الله والذين آمنوا أشد حباً لله منهم لأوثانهم وقيل يحبونهم كما يحبون الله والذين آمنوا أشد حباً لله منهم وهذا هو الصواب والأول قول متناقض وهو باطل فإن المشركين لا يحبون الأنداد مثل محبة المؤمنين الله و تستلزم الإرادة والإرادة التامة مع القدرة تستلزم الفعل فيمتنع أن يكون الإنسان محبًا لله و رسوله مريداً لما يحبه الله و رسوله إرادة جازمة مع قدرته على ذلك وهو لا يفعله فإذا لم يتكلم الإنسان بالإيمان مع قدرته دل على أنه ليس في قلبه الإيمان الواجب الذي فرضه الله عليه ومن هنا يظهر خطأ قول جهم بن صفوان ومن اتبעהه حيث ظنوا أن الإيمان مجرد تصديق القلب و علمه لم يجعلوا أعمال القلب من الإيمان وظنوا أنه قد يكون الإنسان مؤمناً كامل الإيمان بقلبه وهو مع هذا يسب الله و رسوله ويعادى الله و رسوله ويعادى أولياء الله و يوالي أعداء الله ويقتل الأنبياء وبهدم المساجد ويهين المصاحف و يكرم الكفار غاية الكرامة ويهين المؤمنين غاية الإهانة قالوا وهذه كلها معاصر لا تناهى الإيمان الذي في قلبه بل يفعل هذا وهو في الباطن عند الله مؤمن قالوا وإنما ثبت له في الدنيا أحكام الكفار لأن هذه الأقوال أمارة على الكفر ليحكم بالظاهر كما يحكم

بالإقرار والشهود وإن كان في الباطن قد يكون بخلاف ما اقر به وبخلاف ما شهد به الشهود فإذا أورد عليهم الكتاب والسنة والإجماع على أن الواحد من هؤلاء كافر في نفس الأمر معذب في الآخرة قالوا فهذا دليل على إنفقاء التصديق والعلم من قلبه فالكفر عندهم شيء واحد وهو الجهل والإيمان شيء واحد وهو العلم أو تكذيب القلب وتصديقه فإنهم متذمرون هل تصدق القلب شيء غير العلم أو هو هو وهذا القول مع أنه أفسد قول قيل في الإيمان فقد ذهب إليه كثير من أهل الكلام المرجئة وقد كفر السلف كوكيع بن الجراح وأحمد بن حنبل وابي عبيد وغيرهم من يقول بهذا القول وقالوا إبليس كافر بنص القرآن وإنما كفره بإستكباره وإمتاعه عن السجود لأدم لا لكونه كذب خبرا وكذلك فرعون وقومه قال الله تعالى فيهم {وَجَحْدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنْتُهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا} النمل 14 وكذلك اليهود الذين قال الله فيهم {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرُفُونَ أَبْنَاءَهُمْ} البقرة 146 وكذلك كثير من المشركين الذين قال الله فيهم {فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ} الأنعام 33 فهو لاء غلطوا في أصلين أحدهما ظنهم أن الإيمان مجرد تصديق وعلم فقط ليس معه عمل وحال وحركة وإرادة ومحبة وخشية في القلب وهذا من أعظم غلط المرجئة مطلقا فإن أعمال القلوب التي يسميها بعض الصوفية أحوالا ومقامات أو منازل السائرين إلى الله أو مقامات العارفين أو غير ذلك كل ما فيها مما فرضه الله ورسوله فهو من الإيمان الواجب وفيها ما أحبه ولم يفرضه فهو من الإيمان المستحب فال الأول لابد لكل مؤمن منه ومن اقتصر عليه فهو من الابرار اصحاب اليمين ومن فعله وفعل الثاني كان من المقربين السابقين وذلك مثل حب الله ورسوله بل أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما بل أن يكون الله ورسوله والجهاد في سبيله أحب إليه من أهله وماله ومثل خشية الله وحده دون خشية المخلوقين ورجاء الله وحده دون رجاء المخلوقين والتوكيل على

الله وحده دون المخلوقين والإنابة إليه مع خشيته كما قال تعالى
 { هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَابٍ حَفِظٌ } 32 { مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنُ
 بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقُلْبٍ مُّنِيبٍ } 33 { ق 32-33 ومثل الحب في الله
 والبغض في الله والموالاة لله والمعاداة لله والثانية ظنهم
 أن كل من حكم الشارع بأنه كافر مخلد في النار فإنما ذاك لأنه لم
 يكن في قلبه شيء من العلم والتصديق وهذا أمر خالفوا به الحس
 والعقل والشرع وما أجمع عليه طوائف بنى آدم السليمي الفطرة
 وجمahir النظار فإن الإنسان قد يعرف أن الحق مع غيره ومع
 هذا يجحد ذلك لحسده إيه أو لطلب علوه عليه أو لهوى النفس
 ويحمله ذلك الهوى على أن يعتدى عليه ويرد ما يقول بكل
 طريق وهو في قلبه يعلم أن الحق معه وعامة من كذب الرسل
 علموا أن الحق معهم وأنهم صادقون لكن إما لحسدهم وإما
 لإرادتهم العلو والرياسة وإما لحبهم دينهم الذي كانوا عليه وما
 يحصل لهم به من الأغراض كأموال ورياسة وصداقة أقوام
 وغير ذلك فيرون في اتباع الرسل ترك الأهواء المحبوبة إليهم
 أو حصول أمور مكرودة إليهم فيكتبنهم ويعادونهم فيكونون من
 أكفر الناس كإبليس وفرعون مع علمهم بأنهم على الباطل
 والرسل على الحق ولهذا لا يذكر الكفار حجة صحيحة تقدح
 في صدق الرسل إنما يعتمدون على مخالفة أهوائهم كقولهم لنوح
 { أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذُلُونَ } الشعرااء 111 وعلوم أن اتباع
 الأرذلين له لا يقدح في صدقه لكن كرهوا مشاركة أولئك¹

إِنَّا لَنَصْرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُولُ الْأَشْهَادُ }

*قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح عن أبي
 موسى أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المؤمن
 كمثل الخامدة من الزرع تفيتها الرياح تقومها تارة وتتمليها أخرى
 ومثل المنافق مثل شجرة الأرز لا تزال ثابتة على أصلها حتى

يكون انجعافها مرة واحدة فالكاذب الفاجر وإن أعطي دولة فلا بد من زوالها بالكلية وبقاء ذمه ولسان السوء له في العالم وهو يظهر سريعاً ويزول سريعاً كدولة الأسود العنси ومسيلمة الكذاب والحارث الدمشقي وبابا الرومي ونحوهم وأما الأنبياء فإنهم يبتلون كثيراً ليمحصوا بالبلاء فإن الله إنما يمكن العبد إذا ابتلاه ويظهر أمرهم شيئاً فشيئاً كالزرع قال تعالى {مُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشْدَاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحْمَاءٌ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَتَّغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرَضُوا نَاسًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَئِرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطَأً فَازَرَهُ فَاسْتَعْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعِجِّبُ الزُّرَاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا } الفتح 29 ولهذا كان أول ما يتبعهم ضعفاء الناس فاعتبار هذه الأمور وسنة الله في أولياته وأنبيائه الصادقين وفي أداء الله والمتتبّعين الكاذبين مما يجب الفرق بين النوعين وبين دلائل النبي الصادق ودلائل المتتبّع الكاذب وقد ذكر ابتلاء النبي والمؤمنين ثم كون العاقبة لهم في غير موضع كقوله تعالى {وَلَقَدْ كُذِبَتِ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا أَعْلَى مَا كُذِبُوا وَأَوْدُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبْدَلٌ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيٍّ الْمُرْسَلِينَ } الأنعام 134

*قال تعالى { إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ } 13 { وَإِنَّ الْفُجَارَ لَفِي جَحِيمٍ } 14 الانفطار 13-14 ووعد أهل الإيمان والعمل الصالح بالنعيم التام في الدار الآخرة ووعد الكفار بالعذاب التام في الدار الآخرة أعظم من أن يذكر هنا وهذا مما لم ينazu فـيه أحد من أهل الإسلام من الخطأ الظن بأن نعيم الدنيا لا يكون إلا لأهل الكفر والفحور ولكن تذكر هنا نكتة نافعة وهو أن الإنسان قد يسمع ويرى ما يصيب كثيراً من أهل الإيمان والإسلام في الدنيا من المصائب وما يصيب كثيراً من الكفار والفحار في الدنيا من الرياسة والمال وغير ذلك فيعتقد أن النعيم في الدنيا لا يكون إلا لأهل الكفر والفحور وأن المؤمنين ليس لهم في الدنيا ما يتعمدون

بـه إـلا قـليـلا وـكـذـلـك قد يـعـتـقـد أـن العـزـة وـالـنـصـرـة قد تـسـتـفـر لـلـكـفـارـ وـالـمـنـافـقـين عـلـيـ الـمـؤـمـنـينـ وـإـذـا سـمـعـ ما جـاءـ فـيـ الـقـرـآنـ مـنـ أـنـ العـزـةـ لـلـهـ وـرـسـوـلـهـ وـلـلـمـؤـمـنـينـ وـأـنـ الـعـاقـبـةـ لـلـتـقـوـىـ وـقـوـلـ اللهـ تـعـالـىـ {وـإـنـ جـذـنـنـا لـهـمـ الـغـالـبـونـ} الصـافـاتـ 173ـ وـهـوـ مـنـ يـصـدـقـ بالـقـرـآنـ حـمـلـ هـذـهـ الـآـيـاتـ عـلـيـ الدـارـ الـآـخـرـةـ فـقـطـ وـقـالـ أـمـاـ الـدـنـيـاـ فـمـاـ نـرـىـ بـأـعـيـنـنـاـ إـلـاـ أـنـ الـكـفـارـ وـالـمـنـافـقـينـ فـيـهـاـ يـظـهـرـونـ وـيـغـلـبـونـ الـمـؤـمـنـينـ وـلـهـمـ الـعـزـةـ وـالـنـصـرـةـ وـالـقـرـآنـ لـاـ يـرـدـ بـخـلـافـ الـمـحـسـوسـ وـيـعـتـمـدـ عـلـيـ هـذـاـ فـيـمـاـ إـذـاـ أـدـيـلـ أـدـيـلـ عـلـيـهـ عـدـوـ مـنـ جـنـسـ الـكـفـارـ وـالـمـنـافـقـينـ أـوـ الـظـالـمـينـ وـهـوـ عـنـ نـفـسـهـ مـنـ أـهـلـ الإـيمـانـ وـالـتـقـوـىـ فـيـرـىـ أـنـ صـاحـبـ الـبـاطـلـ قـدـ عـلـاـ عـلـىـ صـاحـبـ الـحـقـ فـيـقـولـ أـنـ عـلـىـ الـحـقـ وـأـنـاـ مـغـلـوبـ وـإـذـاـ ذـكـرـهـ إـنـسـانـ بـمـاـ وـعـدـ اللـهـ مـنـ حـسـنـ الـعـاقـبـةـ لـلـمـتـقـيـنـ قـالـ هـذـاـ فـيـ الـآـخـرـةـ فـقـطـ وـإـذـاـ قـيـلـ لـهـ كـيـفـ يـفـعـلـ اللـهـ بـأـولـيـائـهـ مـثـلـ هـذـهـ الـأـمـورـ قـالـ يـفـعـلـ مـاـ يـشـاءـ وـرـبـماـ قـالـ بـقـلـبـهـ أـوـ لـسـانـهـ أـوـ كـانـ حـالـهـ يـقـضـيـ أـنـ هـذـاـ نـوـعـ مـنـ الـظـلـمـ وـرـبـماـ ذـكـرـ قـوـلـ بـعـضـهـمـ مـاـ عـلـيـ الـخـلـقـ أـصـرـ مـنـ الـخـالـقـ لـكـنـ يـقـولـ يـفـعـلـ اللـهـ مـاـ يـشـاءـ وـإـذـاـ ذـكـرـ بـرـحـمـةـ اللـهـ وـحـكـمـتـهـ لـمـ يـقـلـ إـلـاـ أـنـهـ يـفـعـلـ مـاـ يـشـاءـ فـلـ يـعـتـقـدـونـ أـنـ صـاحـبـ الـحـقـ وـالـتـقـوـىـ مـنـصـورـ مـؤـيدـ بـلـ يـعـتـقـدـونـ أـنـ اللـهـ يـفـعـلـ مـاـ يـشـاءـ وـهـذـهـ الـأـقـوـالـ مـبـنـيـةـ عـلـيـ مـقـدـمـتـيـنـ إـحـدـاهـمـاـ حـسـنـ ظـنـهـ بـدـيـنـ نـفـسـهـ نـوـعـاـ وـشـخـصـاـ وـاعـتـقـادـ أـنـهـ قـائـمـ بـمـاـ يـجـبـ عـلـيـهـ وـتـارـكـ مـاـ نـهـيـ عـنـهـ فـيـ الـدـيـنـ الـحـقـ وـاعـتـقـادـهـ فـيـ خـصـمـهـ وـنـظـيرـهـ خـلـافـ ذـلـكـ أـنـ دـيـنـهـ باـطـلـ نـوـعـاـ وـشـخـصـاـ لـأـنـهـ تـرـكـ الـمـأـمـورـ وـفـعـلـ الـمـحـظـورـ وـالـمـقـدـمـةـ الـثـانـيـةـ أـنـ اللـهـ قـدـ لـاـ يـؤـيدـ صـاحـبـ الـدـيـنـ الـحـقـ وـيـنـصـرـهـ وـقـدـ لـاـ يـجـعـلـ لـهـ الـعـاقـبـةـ فـيـ الـدـنـيـاـ فـلـ يـنـبـغـيـ الـاغـتـارـ بـهـذـاـ الـمـؤـمـنـ يـطـلـبـ نـعـيمـ الـدـنـيـاـ وـالـنـعـيمـ التـامـ فـيـ الـآـخـرـةـ وـمـنـ الـمـعـلـومـ أـنـ الـعـبـدـ وـإـنـ أـقـرـ بـالـآـخـرـةـ فـهـوـ يـطـلـبـ حـسـنـ عـاقـبـةـ الـدـنـيـاـ فـقـدـ يـطـلـبـ مـاـ لـاـ بـدـ مـنـهـ مـنـ دـفـعـ الـضـرـرـ وـجـلـبـ الـمـنـفـعـةـ وـقـدـ يـطـلـبـ مـنـ زـيـادـةـ النـفـعـ وـدـفـعـ الـضـرـرـ مـاـ يـظـنـ أـنـهـ مـبـاـحـ فـإـذـاـ اـعـتـقـدـ أـنـ الـدـيـنـ الـحـقـ قـدـ يـنـافـيـ ذـلـكـ لـزـمـ مـنـ ذـلـكـ إـعـراضـ الـقـلـبـ عـنـ الرـغـبةـ فـيـ كـمـالـ الـدـيـنـ الـحـقـ وـفـيـ حـالـ السـابـقـيـنـ

والمحربين بل قد يعرض عن حال المقتضدين أصحاب اليمين
فيدخل مع الظالمين بل قد يكفر ويصير من المرتدين المنافقين أو
المعلمين بالكفر وإن لم يكن هذا في أصل الدين كان في كثير من
أصوله وفروعه كما قال النبي يصبح الرجل مؤمناً ويسمى كافراً
أو يسمى مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا وذلك
إذا اعتقد أن الدين لا يحصل إلا بفساد دنياه ولذلك فإنه يفرح
بحصول الضرر له ويرجو ثواب ضياع ما لا بد له من المنفعة
وهذه الفتنة التي صدت أكثر بنى آدم عن تحقيق الدين وأصلها
الجهل بحقيقة الدين وبحقيقة النعيم الذي هو مطلوب النفوس في
كل وقت إذ قد ذكرنا أن كل عمل فلا بد فيه من إرادة به لطلب ما
ينعم فهناك عمل يطلب به النعيم ولا بد أن يكون المرء عارفاً
بالعمل الذي يعمله وبالنعم الذي يطلبه ثم إذا علم هذين
الأصلين فلابد أن تكون فيه إرادة جازمة على العمل بذلك وإلا
فالعلم بالمطلوب وبطريقه لا يحصل المقصود إلا مع الإرادة
الجازمة والإرادة الجازمة لا تكون إلا مع الصبر ولهذا قال
سبحانه وتعالى {وَالْعَصْرُ} {1} إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ {2} إِلَّا
الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا
بِالصَّيْرِ {3} العصر 1-3 وقال تعالى {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ
بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ} السجدة 24 فاليقين
هو العلم الثابت المستقر والصبر لابد منه لتحقيق الإرادة الجازمة
والقدمتان اللتان التي بنيت عليهما هذه البلية مبناهما على الجهل
بأمر الله ونهيه وبوعده ووعيده فإن صاحبهما إذا اعتقد أنه قائم
باليدين الحق فقد اعتقد أنه فاعل للمأمور تارك للمحظور وهو
على العكس من ذلك وهذا يكون من جهله باليدين الحق وإذا
اعتقد أن صاحب الحق لا ينصره الله في الدنيا بل قد تكون العاقبة
في الدنيا للكفار على المؤمنين ولأهل الفجور على أهل البر فهذا
من جهله بوعد الله تعالى من الخطأ الاعتقاد أن الله ينصر
الكافر في الدنيا ولا ينصر المؤمنين أما الأول فما أكثر من
يتراك واجبات لا يعلم بها ولا بوجوبها وما أكثر من يفعل

محرمات لا يعلم بتحريمها بل ما أكثر من يعبد الله بما حرم ويترك ما أوجب وما أكثر من يعتقد أنه هو المظلوم الحق من كل وجه وأنه خصمته هو الظالم المبطل من كل وجه ولا يكون الأمر كذلك بل يكون معه نوع من الباطل والظلم ومع خصمته نوع من الحق والعدل وحبك الشيء يعمي ويصم والإنسان مجبول على محبة نفسه فهو لا يرى إلا محسنها ومبغض لخصمه فلا يرى إلا مساوئه وهذا الجهل غالبه مقرون بالهوى والظلم فإن الإنسان ظلوم جهول وأكثر ديانات الخلق إنما هي عادات أخذوها عن آبائهم وأسلافهم وتقليلهم في التصديق والتکذیب والحب والبغض والموالاة والمعاداة كما قال تعالى {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءِنَا أَوْلُو كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ } لقمان 21 وقال تعالى {يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطْعَنَا اللَّهَ وَأَطْعَنَا الرَّسُولَا } 66 { وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطْعَنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءِنَا فَأَضْلَلُوْنَا السَّبِيلَا } 67 الأحزاب 66-67 وقال تعالى {وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءُهُمُ الْعِلْمُ بَعْدًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةً سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجْلِ مُسَمًّى لَقُضَى بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُرْثَيُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٌ } الشورى 14 وأما الثاني فما أكثر من يظن أن أهل الدين الحق في الدنيا يكونون أدلاً معذبين بما فيه بخلاف من فارقهم إلى طاعة أخرى وسبيل آخر ويكتب بوعده الله بنصرهم والله سبحانه قد بين بكتابه كلا المقدمتين فقال تعالى {إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُولُونَ إِلَّا شَهَادًا } غافر 51 وقال تعالى في كتابه { وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ } 171 { إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ } 172 { وَإِنَّ جُنَاحَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ } 173 { الصافات 171-173 } وقال تعالى في كتابه { إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُثُرًا كَمَا كُثُرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ } المجادلة 5 وقال تعالى { إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَوْلَئِكَ فِي الْأَذَلِينَ } 20 { كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلَبِنَا أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ فَوْيٌ عَزِيزٌ } 21 { المجادلة 20-21 } وقال تعالى في كتابه { إِنَّمَا }

وَلِيُكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقْيِمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ
 الرِّزْكَاهَ وَهُمْ رَاكِعُونَ {55} وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا
 فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ {56} المائدة 55-56 وَذُمْ مِن يَطْلُبُ
 النَّصْرَةَ بِوَلَاءِ غَيْرِهِ فَقَالَ تَعَالَى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا
 تَتَخَذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءَ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ
 مَنْكُمْ فَإِنَّهُمْ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ {51} فَتَرَى الَّذِينَ
 فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَحْسَنَ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةً
 فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرًا مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا
 أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ {52} وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهُولَاءِ الدِّينِ
 أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حِيطَنْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا
 خَاسِرِينَ {53} المائدة 53-54 وَقَالَ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ {بَشِّرُ
 الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا} 138 الَّذِينَ يَتَخَذُونَ الْكَافِرِينَ
 أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيُّتَغَوَّلُونَ عِنْهُمُ الْعِزَّةُ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ
 جَمِيعًا {139} النساء 138-139 وَقَالَ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ
 {يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعْزَمِينَ مِنْهَا الْأَدَلَّ وَاللَّهُ
 الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكُنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ} المناقبون 8
 وَقَالَ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلَلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ
 يَصْنَعُ الْكَلْمَ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ
 السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ بِيُورُ} فاطر 10 وَقَالَ
 فِي كِتَابِهِ {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينَ الْحَقِّ لِيُظْهِرُهُ
 عَلَى الَّذِينَ كُلَّهُ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا} الفتح 28 وَقَالَ تَعَالَى فِي
 كِتَابِهِ {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينَ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى
 الَّذِينَ كُلَّهُ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ} 9 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ
 عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ الْيَمِّ} 10 تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
 وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
 تَعْلَمُونَ {11} يَعْفُرُ لَكُمْ ذُنُوبُكُمْ وَيُدْخِلُكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
 الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنٍ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} 12
 وَأَخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ فَرِیْبٌ وَبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ {13}
 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ

للْحَوَارِيْبِ مِنْ اَنْصَارِيْ إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّوْنَ نَحْنُ اَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَّنَتْ طَائِفَةً مِنْ بَنِي اِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةً فَإِيْدَنَا الدِّيْنَ اَمْنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَاصْبَحُوا ظَاهِرِيْنَ {14} الصَّفَ-9-14 وقال تعالى في كتابه { يَا عِيسَى اِنِّي مُتَوَفِّيْكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الدِّيْنِ كَفَرُوا وَجَاءُكَ اَتَّبِعُوكَ فَوْقَ الدِّيْنِ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ } آل عمران 55 وقال تعالى في كتابه { وَلَوْ قَاتَلُكُمُ الَّذِيْنَ كَفَرُوا لَوْلَوْا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَحْدُوْنَ وَلَيْاً وَلَا نَصِيرًا } 22 سُنَّةُ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِ وَلَنْ تَجِدْ لِسُنَّةَ اللَّهِ تَبَدِّيْلًا {23} الفتح 22-23 وقال تعالى في كتابه { هُوَ الَّذِي اخْرَجَ الَّذِيْنَ كَفَرُوا مِنْ اَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوْلَى الْحَشْرِ } الحشر 2 إلى قوله تعالى { ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَقَابِ } الحشر 4 وقال تعالى { وَلَا تَهْنُوا وَلَا تَحْزُنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِيْنَ } آل عمران 139 وقال تعالى لما قص قصة نوح وهي نصرة على قومه في الدنيا فقال تعالى { تَلَكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحيَهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُنْتَقِيْنَ } هود 49 وقال تعالى { وَأَمْرُ اَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلْنَّقْوَى } طه 132 وقال تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوْ بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا } آل عمران 118 إلى قوله { وَإِنْ تَصْبِرُوْا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُوْنَ مُحِيطٌ } آل عمران 120 وقال تعالى { بَلَى إِنْ تَصْبِرُوْا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِنُكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ الْاَفِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِيْنَ } آل عمران 125 وقال يوسف وقد نصره الله في الدنيا لما دخل عليه أخوهه { قَالُوا اِنَّكَ لَأَنْتَ يُوْسُفُ قَالَ اَنَا يُوْسُفُ وَهَذَا اَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا اِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ اَجْرَ الْمُحْسِنِيْنَ } يوسف 90 وقال تعالى في كتابه { يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اِنَّ اللَّهَ يَجْعَلَ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرُ لَكُمْ وَاللَّهُ دُوْلَهُ الْفَضْلُ الْعَظِيْمُ } الأنفال 29 وقال تعالى { وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلَ لَهُ مَخْرَجًا } 2

وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَوَكِّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بِالْعَالَمِ أَمْرٍ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا {3} الطلاق 3-2
 وقد روي عن أبي ذر عن النبي أنه قال لو عمل الناس كلهم بهذه الآية لوسعتهم رواه ابن ماجه وغيره وأخبر أن ما يحصل له من مصيبة انتصار العدو وغيرها إنما هو بذنبهم فقال تعالى في يوم أحد {أَوَلَمَا أَصَابَتُكُمْ مُصِيبَةً قَدْ أَصَبَّتُمْ مُنْتَهِيَّا فَلْتُمْ أَنَّى هَذَا فُلْنُ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنفُسِكُمْ} آل عمران 165
 وقال تعالى {إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَّقَيِّ الْجَمِيعَانِ إِنَّمَا اسْتَرَّلَهُمُ الشَّيْطَانُ بِعِظْمٍ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ} آل عمران 155
 وقال تعالى {وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبْتُ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ} الشورى 30 وقال تعالى {مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمَنْ أَنْهَى وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمَنْ نَفَسِكَ} النساء 79 وقال تعالى {وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمْتُ أَيْدِيهِمْ} الشورى 48 وقال تعالى {أَوْ يُوَبِّقُهُنَّ بِمَا كَسَبُوا} الشورى 34 وذم في كتابه من لا يثق بو عده لعباده المؤمنين وذكر ما يصيب الرسل والمؤمنين فقال تعالى {إِذْ جَاؤُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ رَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْخَاجِرَ وَتَظَنَّوْنَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا} 10
 هُنَالِكَ ابْنُلَيِّ الْمُؤْمِنُونَ وَرُلْزُلُوا رُلْزًا شَدِيدًا {11} وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَاقِفُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا {12} وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَتْرَبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَأَرْجَعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بِيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فَرَارًا {13} وَلَوْ دُخَلْتُ عَلَيْهِمْ مِنْ أَفْطَارِهَا ثُمَّ سُلِّلُوا الْفِتْنَةَ لَأَتُوهَا وَمَا تَلَبَّلُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا {14} الأحزاب 14-10 وقال تعالى {أَمْ حَسِينُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتُكُمْ مَثِيلُ الَّذِينَ خَلُوا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهُمُ الْبَاسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَرُلْزُلُوا حَتَّى يَقُولُ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ إِلَّا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ} البقرة 214 وقال تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقَرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارٌ

الآخرة خير للذين انقوا افلا تعقولون {109} حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من شقاء ولا يردد بأسنا عن القوم المجرمين {110} لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصدق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يومئون {111}

يوسف 109-111 ولهذا أمر الله رسوله والمؤمنين باتباع ما أنزل إليهم وهو طاعته وهو المقدمة الأولى وأمرهم بانتظار وعده وهي المقدمة الثانية وأمرنا بالاستغفار والصبر لأنهم لا بد أن يحصل لهم تقصير وذنب فيزيله الاستغفار ولا بد مع انتظار الوعد من الصبر وبالاستغفار تتم الطاعة وبالصبر يتم اليقين

بالوعد إن كان هذا كله يدخل في مسمى الطاعة والإيمان قال تعالى {وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ} يوൺ 109 وقال تعالى {وَلَقَدْ كُذِبَتْ رُسُلٌ مِّنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبْدِلٌ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مِّنْ نَبَّا الْمُرْسَلِينَ} الأنعام 34 وقال تعالى {فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَقْبِلِينَ} هود 49 وأمرهم أيضا بالصبر إذا أصابتهم مصيبة بذنبهم مثل ظهور العدو وكما قال تعالى في قصة أحد {وَلَا تَهُوَا وَلَا تَحْرُنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} 139 إن يمسسكم فرج فقد مس القوم فرج مثلك وتلك الأيام نداولها بين الناس ولعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداه والله لا يحب الظالمين {140} وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين {141} آل عمران 139-141 وأيضا فقد

قص سبحانه في كتابه نصره لرسله ولعباده المؤمنين على الكفار في قصة نوح وهو صالح وشعيب ولوط وفرعون وغير ذلك وقال تعالى {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولَئِكَ الْأَلْبَابِ} يوسف 111 وقال تعالى {وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ حَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ} النور 34 وهذا يتبيّن بأصلين أحدهما أن حصول النصر وغيره من أنواع النعيم لطائفة أو شخص لا ينافي ما يقع في خلال ذلك من قتل بعضهم وجرحه

ومن أنواع الأذى وذلك أن الخلق كلهم يموتون فليس في قتل الشهداء مصيبة زائدة على ما هو معناد لبني آدم فمن عد القتل في سبيل الله مصيبة مختصة بالجهاد كان من أجهل الناس بل الفتن التي تكون بين الكفار وتكون بين المختلفين من أهل القبلة ليس مما يختص بالقتال فإن الموت يعرض لبني آدم بأسباب عامة وهي المصائب التي تعرض لبني آدم من مرض بطاعون وغيره ومن جوع وغيره وبأسباب خاصة فالذين يعتادون القتال لا يصيبهم أكثر مما يصيب من لا يقاتل بل الأمر بالعكس كما قد جربه الناس ثم موت الشهيد من أيسير الميتات ولهذا قال سبحانه وتعالى { قُلْ لَنْ يَنْفَعُكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا }¹⁶ { قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا }¹⁷ الاحزاب 16-17 فأخبر سبحانه أن الفرار من القتل أو الموت لا ينفع فلافائدة فيه وأنه لو نفع لم ينفع إلا قليلاً إذ لا بد من الموت وأخبر أن العبد لا يعصمه من الله أحد إن أراد به سوءاً أو أراد به رحمة وليس له من دون الله ولبي ولا نصير فأين نفر من أمره وحكمه ولا ملجاً منه إلا إليه قال تعالى { قَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مَنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ } الذاريات 50 وهذا أمر يعرفه الناس من أهل طاعة الله وأهل معصيته كما قال أبو حازم الحكيم لما يلقي الذي لا ينقى الله من معالجه الخلق أعظم مما يلاقاه الذي يتقى الله من معالجة النقوى والله تعالى قد جعل أكمل المؤمنين إيماناً أعظمهم بلاء كما قيل للنبي أي الناس أشد بلاء قال الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل يبتلي الرجل على حسب دينه فإن كان في دينه صلابة زيد في بلائه وإن كان في دينه رقة خفف عنه ولا يزال البلاء بالمؤمن حتى يمشي على الأرض وليس عليه خطيئة ومن هذا أن الله شرع من عذاب الكفار بعد نزول التوراة بأيدي المؤمنين في الجهاد ما لم يكن قبل ذلك حتى إنه قيل لم ينزل بعد التوراة عذاب عام من السماء للأمم كما قال تعالى { وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا

الْقُرُونُ الْأُولَى بِصَائِرٍ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ

{ القصص 43 فإنه قبل ذلك قد أهلك قوم فرعون وشعب لوط وعاد وثモود وغيرهم ولم يهلك الكفار بجهاد المؤمنين ولما كان موسى أفضل من هؤلاء وكذلك محمد وما الرسولان المبعوثان بالكتابيين العظيمين كما قال تعالى {إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ فِرْعَوْنَ رَسُولاً} المزمل 15 وقال تعالى {قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوْلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلِ} القصص 48 إلى قوله {قُلْ فَأَتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدِي مِنْهُمَا أَتَتْغُهْ} القصص 49 وأمر الله هذين الرسولين بالجهاد على الدين وشريعة محمد أكمل فلهذا كان الجهاد في أمته أعظم منه في غيرهم قال تعالى {كُتبَ عَلَيْكُمُ الْفِتْنَالْ وَهُوَ كُرْهَةٌ لَكُمْ وَعَسَى أَن تَكُرَّهُوَا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوَا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} البقرة 216 وقال تعالى {وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَا نَتَصَرَّ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لَيْلَوْ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ} محمد 4 وقال تعالى للمناقفين {وَنَحْنُ نَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُونَا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبَّصُونَ} التوبة 52 فالجهاد للكفار أصلح من هلاكم بعذاب سماء من وجوه أحدتها أن ذلك أعظم في ثواب المؤمنين وأجرهم وعلو درجاتهم لما يفعلونه من الجهاد في سبيل الله لأن تكون كلمة الله هي العليا ويكون الدين كله الله الثاني أن ذلك أنسع للكفار أيضا فإنهم قد يؤمنون من الخوف ومن أسر منهم وسيم من الصغار يسلم أيضا وهذا من معنى قوله تعالى {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أَخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} آل عمران 110 قال أبو هريرة وكنتم خير الناس تأتون بهم في الأقيادات والسلالس حتى تدخلوهم الجنة فصارت الأمة بذلك خير أمة أخرجت للناس وأفلاح بذلك المقاتلون وهذا هو مقصود الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهذا من معني كون محمد ما أرسل إلا رحمة للعالمين فهو رحمة في حق كل أحد بحسبه حتى المكذبين له هو في حقهم رحمة أعظم مما كان غيره ولهذا لما أرسل الله إليه

ملك الجبال وعرض عليه أن يقلب عليهم الأخشبين قال لا
استأني بهم لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله وحده لا
شريك له الوجه الثالث أن ذلك أعظم عزة للإيمان وأهله
وأكثر لهم فهو يوجب من علو الإيمان وكثرة أهله ما لا يحصل
بدون ذلك وأمر المنافقين والفجار بالمعروف ونهيهم عن المنكر
هو من تمام الجهاد وكذلك إقامة الحدود ومعلوم أن في
الجهاد وإقامة الحدود من إتلاف النفوس والأطراف والأموال ما
فيه فلو بلغت هذه النفوس النصر بالدعاء ونحوه من غير جهاد
لكان ذلك من جنس نصر الله للأنبياء المتقدمين من أممهم لما
أهلوك نفوسهم وأموالهم وأما النصر بالجهاد وإقامة الحدود
فذلك من جنس نصر الله لما يختص به رسوله وإن كان محمد
وأمته منصورين بالنوعين جميعاً لكن يشرع في الجهاد باليد ما
لا يشرع في الدعاء وأما الأصل الثاني فإن التنعم إما بالأمور
الدنيوية وإما بالأمور الدينية فأما الدنيوية فهي الحسية مثل
الأكل والشرب والنكاف واللباس وما يتبع ذلك والنفسية وهي
الرياسة والسلطان فأما الأولى فالمؤمن والكافر والمنافق
مشتركون في جنسها ثم يعلم أن التعريم بها ليس هو حقيقة واحدة
مستوية فيبني آدم بل هم متفاوتون في قدرها ووصفها تفاوتاً
عظيمًا فإن من الناس من يتنعم بنوع من الأطعمة والأشربة
الذي يتأندي بها غيره إما لاعتياده ببلده وإما لموافقته مزاجه وإما
لغير ذلك ومن الناس من يتنعم بنوع من المناكح لا يحبها
غيره كمن سكن البلاد الجنوبية فإنه يتنعم بنكاح السمر ومن سكن
البلاد الشمالية فإنه يتنعم بنكاح البيض وكذلك اللباس
والمساكن فإن أقواماً يتعمدون من البرد بما يتأندي به غيرهم
وأقواماً يتعمدون من المساكن بما يتأندي به غيرهم بحسب العادة
والطبع وكذلك الأزمنة فإنه في الشتاء يتنعم الإنسان بالحر
وفي الصيف يتنعم بالبرد وأصل ذلك أن التنعم في الدنيا
بحسب الحاجة إليها والانتفاع بها فكل ما كانت الحاجة أقوى
والمنفعة أكثر كان التنعم ولذاته أكمل والله قد أباح للمؤمنين

الطيبات فالذين يقتضدون في المأكل نعيمهم بها أكثر من نعيم المسروفين فيها فإن أولئك إذا أدمنوها وأفواها لا يبقي لها هذا عندهم كبير لذة مع أنهم قد لا يصبرون عنها وتكثر أمراضهم بسببها وأما الدين فجماعه شيئاً تصدق الخبر وطاعة الأمر

ومعلوم أن التنعم بالخبر بحسب شرفه وصدقه والمؤمن معه من الخبر الصادق عن الله وعن مخلوقاته ما ليس مع غيره فهو من أعظم الناس نعيمًا بذلك بخلاف من يكثر في أخبارهم الكذب وأما طاعة الأمر فإن من كان ما يؤمر به صلاحًا وعدلاً ونافعاً يكون تنعمه به أعظم من تنعم من يؤمر بما ليس بصلاح ولا عدل ولا نافع وهذا من الفرق بين الحق والباطل فإن الله سبحانه يقول في كتابه {الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ} {1} وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا تُرْزَلُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتُهُمْ وَأَصْلَحَ بَالَّهُمْ} {2} ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ

أَمْثَالَهُمْ} {3} محمد-3 وقال {وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٌ بِقِيَةٍ يَحْسِبُهُ الظَّمَانُ مَاءٌ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْفَاهُ حِسَابٌ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ} النور 39 وتفصيل ذلك أن الحق نوعان حق موجود وحق مقصود وكل منهما ملازم للآخر فالحق الموجود هو الثابت في نفسه فيكون العلم به حقاً والخبر عنه حقاً والحق المقصود هو النافع الذي إذا قصده الحي انتفع به وحصل له النعيم فصل وما يظهر الأمر ما ابتلي الله به عباده في الدنيا من النساء والضراء وقال سبحانه {فَإِنَّا

الإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ} {15} وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ} {16} كَلَّا {17} الفجر 15-17 يقول الله سبحانه ليس الأمر كذلك ليس إذا ما ابتلاه فأكرمه ونعمه يكون ذلك إكراماً مطافقاً وليس إذا ما قدر عليه رزقه يكون ذلك إهانة بل هو ابتلاء في الموضعين وهو الاختبار والامتحان فإن شكر الله على الرخاء وصبر على

الشدة كان كل واحد من الحالين خيرا له كما قال النبي لا يقضى الله للمؤمن قضاء إلا كان خيرا له وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء فشكر كان خيرا له وإن أصابته ضراء فصبر كان خيرا له وإن لم يشكر ولم يصبر كان كل واحد من الحالين شرا له¹

القيام بالواجبات يحتاج إلى شروط

*الناس مأمورون عند المصائب التي تصيبهم بأفعال الناس أو بغير أفعالهم بالتسليم للقدر وشهاد الروبية كما قال تعالى {مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيَّةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ يُكَلِّ شَيْءٍ عَلَيْمٌ} {التغابن} 11 قال ابن مسعود أو غيره هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم إحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزن وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت لكان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان فأمره بالحرص على ما ينفعه وهو طاعة الله ورسوله فليس للعباد أنسع من طاعة الله ورسوله و أمره إذا أصابته مصيبة مقدرة أن لا ينظر إلى القدر ولا يتحسر بتقدير لا يفيد ويقول قدر الله وما شاء فعل ولا يقول لو أني فعلت لكان كذا فيقدر ما لم يقع يتمنى أن لو كان وقع فإن ذلك إنما يورث حسر وحزنا لا يفيد و التسليم للقدر هو الذي ينفعه كما قال بعضهم الأمر أمران أمر فيه حيلة فلا تعجز عنه و أمر لا حيلة فيه فلا تجزع منه و ما زال أئمة الهدى من الشيوخ وغيرهم يوصون الإنسان بأن يفعل المأمور و يترك المحظور و يصبر على المقدور وإن كانت تلك المصيبة بسبب فعل آدمي فلو أن رجلا أنفق ماله في المعاصي حتى مات ولم يخلف لولده مالا أو ظلم الناس بظلم صاروا لأجله يبغضون أولاده و يحرمونهم ما يعطونه لأمثالهم لكان هذا مصيبة في حق الأولاد حصلت بسبب فعل الأب فإذا قال أحدهم لأبيه أنت فعلت

بنا هذا قيل للإبن هذا كان مقدورا عليكم و أنتم مأمورون بالصبر على ما يصيبكم و الأب عاص الله فيما فعله من الظلم و التبذير ملوم على ذلك لا يرتفع عنه ذم الله و عقابه بالقدر السابق فإن كان الأب قد تاب تو به نصوها و تاب الله عليه و غفر له لم يجز ذمه و لا لومه بحال لا من جهة حق الله فإن الله قد غفر له و لا من جهة المصيبة التي حصلت لغيره بفعله إذ لم يكن هو ظالما لأولئك فإن تلك كانت مقدرة عليهم و بهذا جاء الكتاب و السنة قال الله تعالى {مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنَ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ} التغابن 11 و قال تعالى {مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ إِلَيْكُمْ} ذلك على الله يسير الحديد 22 و سواء في ذلك المصائب السماينية و المصائب التي تحصل بأفعال الآدميين قال تعالى {وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا} المزمول 10 {وَلَقَدْ كَذَبَتْ رُسُلٌ مِّنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كَذَبُوا وَأَوْذَوْا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا} الأنعام 34 و قال في سورة الطور بعد قوله {فَذَكَرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنْ وَلَا مَحْجُونْ} 29 {أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرْ نَثَرَبَصُ بِهِ رَبِّ الْمَنْوَنْ} 30 {فُلْ تَرَبَصُوا فَإِنَّمَا مَعَكُمْ مِّنَ الْمُتَرَبَّصِينَ} 31 الطور 29-31 إلى قوله {أَمْ يَقُولُونَ تَفَوَّلُهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ} 33 الطور 33 إلى قوله {أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِّنْ مَغْرِمِ مُتَقْلُونَ} 40 {أَمْ عَنَدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ} 41 الطور 40-41 إلى قوله {وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا} 48 الطور 48¹

* والقيام بالواجبات من الدعوة الواجبة وغيرها يحتاج إلى شروط يقام بها كما جاء في الحديث ينبعي لمن أمر بالمعروف ونهى عن المنكر أن يكون فقيها فيما يأمر به فقيها فيما ينهى عنه رفيقا فيما يأمر به رفيقا فيما ينهى عنه حلما فيما يأمر به حلما فيما ينهى عنه فالفقه قبل الأمر ليعرف المعروف وينكر المنكر والرفق عند الأمر ليس إلا أقرب الطرق إلى تحصيل المقصود والحلم بعد الأمر ليصير على أذى المأمور المنهى فإنه كثيرا ما يحصل له الأذى بذلك ولهذا قال تعالى

{وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَإِنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ} لقمان 17 وقد أمر نبينا بالصبر في مواضع كثيرة كما قال تعالى في أول المدثر {فَمُّ فَانَذَرْ} 2 {وَرَبَّكَ فَكَبَرْ} 3 {وَثِيَابَكَ فَطَهَرْ} 4 {وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ} 5 {وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرْ} 6 {وَلِرَبِّكَ فَإِنَّكَ فَاصْبِرْ} 7 المدثر 2-7 وقال تعالى {وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا} الطور 48 وقال {وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ} المزمل 10 وقال تعالى {وَلَقَدْ كُذِبَتْ رُسُلٌ مِّنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا} على ما كذبوا وأوذوا حتى آتاهُمْ نَصْرُنَا ¹ الأنعام 34

وعد الله الذي وعده رسلاه من كلماته التي لمبدل لها

* وقد توادر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يستعيد ويأمر بالاستعادة بكلمات الله التامات وفي بعض الأحاديث التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر وقال تعالى {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} 62 {الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ} 63 {لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} 64 يونس 62-64 قال تعالى {وَلَقَدْ كُذِبَتْ رُسُلٌ مِّنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ آتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبْدَلٌ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَّبِيًّا الْمُرْسَلِينَ} الأنعام 34 فأخبر في هذه الآية أيضا أنه لمبدل كلمات الله عقب قوله {فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ آتَاهُمْ نَصْرُنَا} 34 الأنعام و ذلك بيان أن وعد الله الذي

وعده رسلاه من كلماته التي لمبدل لها لما قال في أولياته {لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ} يونس 64 فإنه ذكر أنه لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وأن لهم البشري في الحياة الدنيا وفي الآخرة فوعدهم بنفي المخافة و الحزن وبالبشرى في الدارين وقال بعد ذلك {لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ} يونس 64 فكان في هذا تحقيق كلام الله الذي هو وعده كما قال {فَلَا تَحْسِبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفًا وَعْدَهُ رُسُلُهُ} إبراهيم 47 وقال {وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ

النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } الروم 6 و قال المؤمنون { رَبَّنَا وَآتَنَا مَا
 وَعَدْنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْرِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ
 } آل عمران 194 فاختلف ميعاده تبديل لكلماته و هو سبحانه
 لامبدل لكلماته يبين ذلك قوله تعالى { لَا تُخَتَّصِمُوا
 لَدَيْ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ } 28 { مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلُ لَدَيْ وَمَا أَنَا
 بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ } 29 ق 28-29 فأخبر سبحانه أنه قدم إليهم
 بالوعيد وقال { مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلُ لَدَيْ } 29 و هذا يقتضي
 أنه صادق في وعيده أيضا و ان وعيده لا يبدل وهذا مما
 احتج به القائلون بأن فساق الملة لا يخرجون من النار و قد تكلمنا
 عليهم في غير هذا الموضوع لكن هذه الآية تضعف جواب من
 يقول إن اختلاف الوعيد جائز فان قوله { مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلُ لَدَيْ }
 { ق 29 بعد قوله { وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ }
 ق 28 دليل على أن وعيده لا يبدل كما لا يبدل وعده
 لكن التحقيق الجمع بين نصوص الوعيد و الوعد و تفسير بعضها
 ببعض من غير تبديل شيء منها كما يجمع بين نصوص الأمر و
 النهي من غير تبديل شيء منها و قد قال تعالى { سَيَقُولُ
 الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمُ إِلَى مَغَانِمٍ لِتَأْخُذُوهَا نَرُونَا نَتَّعَكُمْ يُرِيدُونَ أَن
 يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ } الفتح 15 و الله أعلم¹

الإيمان بما وصف الله سبحانه به نفسه

*فاعتقد الفرقة الناجية المنصورة الى قيام الساعة أهل السنة
 والجماعة وهو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد
 الموت والإيمان بالقدر خيره وشره ومن الإيمان بالله الإيمان
 بما وصف به نفسه في كتابه وبما وصفه به رسوله محمد صلى
 الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا
 تمثيل بل يؤمنون بأن الله سبحانه ليس كمثله شيء وهو
 السميع البصير فلا ينفعون عنه ما وصف به نفسه ولا
 يحرفون الكلم عن موضعه ولا يلحدون في أسماء الله وآياته ولا
 يكيفون ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه لأنه سبحانه لا سمي له

و لا كفو له ولا ند له ولا يقاس بخلقه سبحانه و تعالى فانه سبحانه
 أعلم بنفسه وبغيره وأصدق قيلاً وأحسن حديثاً من خلقه ثم
 رسنه صادقون مصدوقون بخلاف الذين يقولون عليه مالا
 يعلمون ولها قال سبحانه و تعالى {سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعَزَّةِ
 عَمَّا يَصِفُونَ} 180 {وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ} 181 {وَالْحَمْدُ لِلَّهِ
 رَبِّ الْعَالَمِينَ} 182 {الصافات} 180-182 فسبح نفسه عما
 وصفه به المخالفون للرسل وسلم على المرسلين لسلامة ما قالوه
 من النقص والعيب وهو سبحانه قد جمع فيما وصف وسمى
 به نفسه بين النفي والإثبات فلا عدول لأهل السنة والجماعة عما
 جاء به المرسلون فإنه الصراط المستقيم صراط الذين انعم الله
 عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وقد دخل في
 هذه الجملة ما وصف به نفسه في سورة الإخلاص التي تعدل
 ثلث القرآن وقوله سبحانه { وَلَا مُبَدِّلٌ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ } { الأنعام} 34¹

قصص المرسلين تسلية وتبنيت

* وقد اخر جا في الصحيحين عن خباب بن الارت قال شكونا الى
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسط بردة له في ظل
 الكعبة فقلنا يا رسول الا تستنصر لنا الا تدعوا لنا فقال قد كان من
 قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الارض فيجعل فيها فيجاء
 بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط
 الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب فما يصده ذلك عن دينه
 والله ليتمن الله هذا الامر حتى يسيرراكب من صناعه الى
 حضرموت لا يخاف الا الله والذئب على غنميه ولكنكم قوم
 تعجلون ومعلوم ان هذا انما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم في
 معرض الثناء على اولئك لصبرهم وثبتاتهم وليكون ذلك عزة
 للمؤمنين من هذه الامة وقال الله تعالى {وَلَفَدَ كُدُّبْتُ
 رُسُلٌ مِّنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُدُّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا
 وَلَا مُبَدِّلٌ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ} { الأنعام} 34¹

*وفي القرآن من قصص المرسلين التي فيها تسلية وتنبيه
ليتأسى بهم في الصبر على ما كذبوا وأونوا¹

ان الله سبحانه قادر على ما لا يفعله

* قال تعالى {وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ اعْرَاضُهُمْ فَإِنْ أَسْتَطَعْتُ أَنْ
تَبْتَغِي نَفْقَاً فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلْمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيهِمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ
الله لجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ} الانعام 35 اتفق
ال المسلمين وسائر أهل الملل على أن الله على كل شيء قادر كما
نطق بذلك القرآن أي في مواضع كثيرة جدا وأن الشيء إسم لما
يو جد في الأعيان ولما يتصور في الأذهان فما قدر الله وعلم
أنه سيكون هو شيء في التقدير والعلم والكتاب وأن لم يكن
شيئا في الخارج ومنه قوله {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ
كُنْ فَيَكُونُ} يس 82 و لفظ الشيء في الآية يتناول هذا وهذا
 فهو على كل شيء ما وجد وكل ماتصوره الذهن موجودا إن
تصور أن يكون موجودا قدير لا يستثنى من ذلك شيء ولا يزداد
عليه شيء كما قال تعالى {بَلِّي قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَائَهُ
} القيامة 4 وقال {وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدْرِ فَاسْكَنَاهُ فِي
الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابِهِ لَقَادِرُونَ} المؤمنون 18 قال
المفسرون لقادرون على أن نذهب به حتى تموتوا عطشا و تهلك
مواشيم و تخرب أراضيكم و معلوم أنه لم يذهب به و هذا كقوله
{أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَسْرِبُونَ} الواقعة 68 إلى قوله و
{وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ} الواقعة 82 و هذا يدل على أنه
 قادر على مالا يفعله فإنه أخبر أنه لو شاء جعل الماء أحاجا و هو
 لم يفعله و مثل هذا قال تعالى {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى
الْهُدَى} الانعام 35 و {وَلَوْ شِئْنَا لَأَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاها
} السجدة 13 {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنِ فِي الْأَرْضِ} يونس 99
{ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَلُوا } البقرة 253 فإنه أخبر في غير

موضع أنه لو شاء لفعل أشياء و هو لم يفعلها فلو لم يكن قادرا
عليها لكان إذا شاءها لم يمكن فعلها^١

*قدرة الرب لا يفعل بها إلا مع وجود مشيئته فإن ما شاء كان
وما لم يشاً لم يكن وليس كل ما كان قادرا عليه فعله قال
تعالى {بَلِّيْ قَادِرِينَ عَلَىْ أَنْ نُسُوْيَ بَنَانَةً} القيامة 4 وقال تعالى
{قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىْ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقَكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ
أَرْجُلَكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ} الأنعام 65
وقد ثبت في الصحيحين عن جابر رضي الله عنه أنه لما نزلت
هذه الآية قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم
قال النبي صلى الله عليه وسلم أعود بوجهك أو من تحت
أرجلكم قال أعود بوجهك أو يلبسكم شيئاً ويديق ببعضكم
بأس بعض قال هاتان أهون وقال تعالى {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ
لَا مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا} يونس 99 وقد قال تعالى
{وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَّلُونَ مُخْلَفِينَ
هُودٌ 118} وقال {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا افْتَنَّهُمْ} البقرة 253 ومثل
هذا متعدد في القرآن وإذا كان لو شاءه لفعله دل على أنه
 قادر عليه فإنه لا يمكن فعل غير المقدر وإذا كان كذلك علم أن
 الفعل لو وجد بمجرد كونه قادرا الواقع كل مقدر بل لا بد مع
القدرة من الإرادة^١

العلم الحقيقي الراسخ في القلب يمتنع أن يصدر معه ما يخالفه

* قال تعالى {إِنَّمَا يَسْتَحِيْبُ الَّذِيْنَ يَسْمَعُوْنَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ
الأنعام 36} وقال تعالى {وَالَّذِيْنَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمُّ وَبُكْمُ فِي
الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَاءُ اللَّهُ يُضْلِلُهُ وَمَنْ يَشَاءُ يَجْعَلُهُ عَلَى صِرَاطٍ
مُسْتَقِيمٍ} الأنعام 39 أن المسموع وإن كان أصله نفس السمع الذي
يشبه الإدراك لكن إذا كان المسموع طلبا ففائدةه وموجبه
الاستجابة والقبول وإذا كان المسموع خبرا ففائدةه التصديق
والاعتقاد فصار يدخل مقصوده وفائدةه في مسماه نفيا وإثباتا

فيقال فلان يسمع لفلان أى يطيعه فى أمره أو يصدقه فى خبره وفلان لا يسمع ما يقال له أى لا يصدق الخبر ولا يطيع الأمر كما بين الله السمع عن الكفار فى غير موضع كقوله {وَمَثُلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثُلُ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً } البقرة 171 قوله { وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُ الدُّعَاء } الأنبياء 45 وذلك لأن سمع الحق يوجب قبوله ايجاب الاحساس الحركة وايجاب علم القلب حركة القلب فان الشعور بالملائم يوجب الحركة اليه والشعور بالمنافر يوجب النفرة عنه فحيث انتفى موجب ذلك دل على انتفاء مبدئه ولهذا قال تعالى {إِنَّمَا يَسْتَحِبُّ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ } الأنعام 36 وقال تعالى {وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا صُمُّ وَبُكْمٌ فِي الطَّلْمَاتِ مَنْ يَشَاءُ اللَّهُ يُضْلِلُهُ وَمَنْ يَشَاءُ يَجْعَلُهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ } الانعام 39 ولهذا جعل سمع الكفار بمنزلة سمع البهائم لأصوات الرعاعة أى يسمعون مجرد الأصوات سمع الحيوان لا يسمعون ما فيها من تأليف الحروف المتضمنة للمعنى السمع الذى لا بد أن يكون بالقلب مع الجسم¹

* قال أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كل من عمل سوءا فهو جاهل وسبب ذلك أن العلم الحقيقي الراسخ في القلب يمتنع أن يصدر معه ما يخالفه من قول أو فعل فمتي صدر خلافه فلا بد من غفلة القلب عنه أو ضعف القلب عن مقاومة ما يعارضه وتلك أحوال تناقض حقيقة العلم فيصير جهلا بها الاعتبار ومن هنا تعرف دخول الأعمال في مسمى الإيمان حقيقة لا مجازا وإن لم يكن كل من ترك شيئا من الأعمال كافرا أو خارجا عن أصل مسمى الإيمان وكذلك اسم العقل ونحو ذلك من الأسماء ولهذا يسمى الله تعالى أصحاب هذه الأحوال موتى وعميا وصمما وبكما وضالين وجاهلين ويصفهم بأنهم لا يعقلون ولا يسمعون ويصف المؤمنين بأولي الألباب والنها وأنهم مهتدون وأن لهم نورا وأنهم يسمعون ويعقلون¹

قال تعالى { وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ
عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } الأنعام 37

الآيات التي يجعلها الله دلالة على صدق الأنبياء هي ما ينزله

* والآيات التي يجعلها الله دلالة على صدق الأنبياء هي مما ينزله كما قال { وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ
قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } الأنعام 37
وقال { إِنَّنَا نَنَزَّلُ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا
خَاصِّيَّةً } الشعراة 4 وقال تعالى { فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا
غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا
كَانُوا يَفْسُدُونَ } البقرة 59¹

إن الله عز وجل يوم القيمة يحشر البهائم ويقتصر لبعضها من بعض

* وأما البهائم فجميعها يحشرها الله سبحانه كما دل عليه الكتاب والسنة قال تعالى { وَمَا مِنْ ذَبَابٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ
بِجَاحَيْهِ إِلَّا أَمْمَ مَأْتَلَكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ نَّمِّ إِلَى
رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ } الأنعام 38 وقال تعالى { وَإِذَا الْوُحُوشُ
حُشِّرَتْ } التكوير 5 وقال تعالى { وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَ فِيهِمَا مِنْ ذَبَابٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ
} الشورى 29 وحرف إذا إنما يكون لما يأتي لا محالة والأحاديث في ذلك مشهورة فإن الله عز وجل يوم القيمة يحشر البهائم ويقتصر لبعضها من بعض ثم يقول لها كوني ترابا فتصير ترابا فيقول الكافر حينئذ { يَا لَيْتَنِي كُنْتُ ثُرَابًا } النبأ 40 ومن قال أنها لا تحيا فهو مخطيء في ذلك أقبح خطأ بل هو ضال أو كافر والله أعلم¹

جامع الجامع جامع و دليل الدليل دليل

*فان ما دل كتاب الله على إباحته بعمومه فانه في كتاب الله لأن قولنا هذا في كتاب الله يعم ما هو فيه بالخصوص وبالعموم وعلى هذا معنى قوله تعالى { وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ } النحل 89 و قوله { وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الدِّيْنِ بَيْنَ يَدِيهِ وَتَقْسِيلَ كُلَّ شَيْءٍ } يوسف 111 و قوله { مَّا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ } الأنعام 38 على قول من جعل الكتاب هو القرآن وأما على قول من جعله اللوح المحفوظ فلا يجيء هنا يدل على ذلك أن الشرط الذي ثبت جوازه سنة أو إجماع صحيح بالاتفاق فيجب أن يكون في كتاب الله الأمر باتباع السنة و اتباع سبيل المؤمنين فيكون في كتاب الله بهذا الاعتبار لأن جامع الجامع جامع و دليل الدليل دليل بهذا الاعتبار¹

حياة القلوب وموتها

*وأصل صلاح القلب هو حياته واستثارته قال تعالى { أَوَ مَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلَهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا } الأنعام 122 لذلك ذكر الله حياة القلوب ونورها وموتها وظلمتها في غير موضع قوله { الْيَنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحْقِقُ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ } يس 70 و قوله تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَحْبِبُوْا لَهُ وَلِرَسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحِبِّبُكُمْ } الأنفال 24 ثم قال { وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ } الأنفال 24 وقال تعالى { يُخْرُجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيْتِ وَيُخْرُجُ الْمَيْتَ مِنَ الْحَيِّ } يومن 3 ومن انواعه انه يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن وفي الحديث الصحيح مثل البيت الذي يذكر الله فيه والبيت الذي لا يذكر الله فيه مثل الحي والميت وفي الصحيح ايضا اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم ولا تتخذوها قبورا وقد قال تعالى { وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سُمٌ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَاءُ اللَّهُ يُضْلِلُهُ وَمَنْ يَشَاءُ يَجْعَلُهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } الأنعام 39 وذكر سبحانه آية النور

آية الظلمة فقال {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثْلُ نُورِهِ كَمْشَكَاهُ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي رُجَاجَةِ الزُّجَاجَةِ كَانَهَا كَوْكَبٌ دُرْرِيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةِ مُبَارَكَةِ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ } النور 35 فهذا مثل نور الايمان في قلوب المؤمنين ثم قال {وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٌ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوْفَاهُ حِسَابٌ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ } 39 أَوْ كَظُلَمَاتٍ فِي بَحْرٍ لَجِيٍّ يَعْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلَمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكُدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ } 40 النور 40 فالاول مثل الاعتقادات الفاسدة والأعمال التابعة لها يحسبها صاحبها شيئاً ينفعه فإذا جاءها لم يجدها شيئاً ينفعه فوفاه الله حسابه على تلك الاعمال و الثاني مثل للجهل البسيط وعدم الايمان والعلم فان صاحبها في ظلمات بعضها فوق بعض لا يبصر شيئاً فان البصر إنما هو بنور الايمان والعلم قال تعالى {إِنَّ الَّذِينَ آتَقُوا إِذَا مَسَهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ } الأعراف 201¹

من يهدى الله فلا مضل له و من يضل فلا هادي له

*قال تعالى { وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلَمَاتِ مَنْ يَشَاءُ اللَّهُ يُضْلِلُهُ وَمَنْ يَشَاءُ يَجْعَلُهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } الأنعام 39 أن الله رب كل شيء و خالقه و مليكه لارب غيره و لا خالق سواه و إنه ما شاء كان و ما لم يشا لم يكن لا حول و لا قوة إلا به و لا ملجاً منه إلا إليه و أنه على كل شيء قادر فجميع ما في السموات و الأرض من الأعيان و صفاتها و حركاتها فهي مخلوقة له مقدورة له مصرافة بمشيئته لا يخرج شيء منها عن قدرته و ملكه و لا يشركه في شيء من ذلك غيره بل هو سبحانه لا إله إلا هو و حده لا شريك له له الملك و له الحمد و هو على

كل شيء قادر فالعبد فقير إلى الله في كل شيء يحتاج إليه في كل شيء لا يستغني عن الله طرفة عين فمن يهده الله فلا مضل له و من يضل فلا هادي له¹

*إن كل ما في الوجود فهو مخلوق له خلقه بمشيئته و قدرته و ما شاء كان و مالم يشاً لم يكن و هو الذي يعطى و يمنع و يخوض و يرفع و يعز و يذل و يغني و يفقر و يضل و يهدى و يسعد و يشقى و يولى الملك من يشاء و ينزعه من يشاء و يشرح صدر من يشاء للإسلام و يجعل صدر من يشاء ضيقاً كأنما يصعد في السماء و هو يقلب القلوب ما من قلب العباد إلا و هو بين إصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أن يقيمه أقامه و إن شاء أن يزيجه أزاغه و هو الذي حب إلى المؤمنين الإيمان و زينه في قلوبهم و كره إليهم الكفر و الفسق و العصيان أولئك هم الراشدون و هو الذي جعل المسلم مسلماً و المصلي مصلياً قال الخليل {رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ دُرِّيَتَنَا أُمَّةٌ مُسْلِمَةٌ لَكَ} البقرة 128 و قال {رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةَ وَمِنْ دُرِّيَتِي} إبراهيم 40 و قال تعالى {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهُدُونَ بِأَمْرِنَا لِمَا صَبَرُوا} السجدة 24 و قال عن آل فرعون {وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ} القصص 41 و قال تعالى

{إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هُلُوعًا} 19 {إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا} 20 {وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنْوِعًا} 21 المعارض 19-21 و قال {وَاصْنَعِ الْفَلَكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا} 37 هود 38 و قال {وَيَصْنَعِ الْفَلَكَ} هود 38 والفالك مصنوعة لبني آدم و قد أخبر الله تبارك و تعالى أنه خلقها بقوله {وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مَثْلِهِ مَا يَرْكُبُونَ} يس 42 و قال {وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُونِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُونَهَا يَوْمَ ظَعْنَكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتُكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ} النحل 80 الآيات و هذه كلها مصنوعة لبني آدم و قال تعالى {أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِثُونَ} 95 وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ 96 الصافات 95-96 فما معنى

الذي و من جعلها مصدرية فقد غلط لكن إذا خلق المنحوت كما خلق المصنوع و الملبوس و المبني دل على أنه خالق كل صانع و صنعته و قال تعالى {مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلَلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا} الكهف 17 و قال {فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَ يَسْرَحْ صَدْرَهُ لِإِسْلَامٍ وَمَن يُرِدْ أَن يُضْلِلَهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيْقًا حَرَاجًا} الأنعام 125 و هو سبحانه خالق كل شيء و ربه و مليكه و له فيما خلقه حكمة باللغة و نعمة سابعة و رحمة عامة و خاصة و هو لا يسأل عما بفعل و هم يسألون لا لمجرد قدرته و قهره بل لكمال علمه و قدرته و رحمته و حكمته فإنه سبحانه و تعالى أحكم الحكمين و أرحم الرحيمين و هو أرحم بعباده من الوالدة بولدها و قد أحسن كل شيء خلقه و قال تعالى {وَتَرَى الْجَبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ} النمل 88 و قد خلق الله سبحانه تعالى الأشياء بأسباب كما قال تعالى {وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنِ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا} البقرة 164 و قال {فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ النَّمَراتِ} الأعراف 57 و قال تعالى {يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبْلَ السَّلَامِ} المائدة 1¹

صلاح الخلق في معرفة ربهم

*قال تعالى {وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِيَآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَن يَشَاءُ اللَّهُ يُضْلِلُهُ وَمَن يَشَاءُ يَجْعَلُهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} الأنعام 39 أن الله سبحانه لما كان هو الأول الذي خلق الكائنات والآخر الذي إليه تشير الحادثات فهو الأصل الجامع فالعلم به أصل كل علم وجامعه وذكره أصل كل كلام وجامعه والعمل له أصل كل عمل وجامعه وليس للخلق صلاح إلا في معرفة ربهم وعبادته وإذا حصل لهم ذلك فما سواه إما فضل نافع واما فضول غير نافعة واما أمر مضر ثم من العلم به تتشعب أنواع العلوم ومن

عبادته وقصده تتشعب وجوه المقاصد الصالحة والقلب بعبادته والإستعانة به معتصم مستمسك قد لجأ إلى ركن وثيق واعتصم بالدليل الهادى والبرهان الوثيق فلا يزال إما فى زيادة العلم والإيمان وإما فى السلامة عن الجهل والكفر وبهذا جاءت النصوص الإلهية فى أنه بالإيمان يخرج الناس من الظلمات إلى النور وضرب مثل المؤمن وهو المقر بربه علما وعملا بالحى والبصير والسميع والنور والظل وضرب مثل الكافر بالميئ والأعمى والأصم والظلمة والحرور وقالوا فى الوسوسات الخناس هو الذى اذا ذكر الله خنس وإذا غفل عن ذكر الله وسوس فتبين بذلك أن ذكر الله أصل لدفع الوسوس الذى هو مبدأ كل كفر وجهل وفسق وظلم وقال الله تعالى {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ} الحجر 42 وقال {إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} النحل 99 وقال {وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} آل عمران 101 ونحو ذلك من النصوص¹

*والنصوص الواردة فيها الهدى والشفاء والذى بلغها بلاغا مبينا هو أعلم الخلق بربه وأنصحهم لخلقه وأحسنهم بيانا وأعظمهم بلاغا فلا يمكن أحد أن يعلم ويقول مثل ما علمه الرسول وقاله وكل من من الله عليه بصيرة فى قلبه تكون معه معرفة بهذا ثم قال تعالى {وَيَرَى الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ} سباء 6 وقال فى صدهم {وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمُّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَاءُ اللَّهُ يُضْلِلُهُ وَمَنْ يَشَاءُ يَجْعَلُهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} الأنعام 139

من أعرض عن اتباع الحق الذى يعلمه تبعا لهواه فإن ذلك يورثه الجهل والضلal

*و العمل له أثر في القلب من نفع وضر وصلاح قبل أثره في الخارج فصلاحها عدل لها وفسادها ظلم لها قال بعض السلف إن للحسنة لنورا في القلب وقوة في البدن وضياء في الوجه وسعة

في الرزق ومحبة في قلوب الخلق وإن للسيئة لظلمة في القلب
 وسوداً في الوجه وهذا في البدن ونقصاً في الرزق وبغضاً في
 قلوب الخلق وأصل صلاح القلب هو حياته واستئثاره لذلك ذكر
 الله حياة القلوب ونورها وموتها وظلمتها في غير موضع كقوله
 ياسين لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين وفي
 الحديث الصحيح مثل البيت يذكر الله فيه والبيت الذي لا يذكر الله
 فيه كمثل الحي والميت وفي الصحيح أيضاً أجعلوا من صلاتكم
 في بيوتكم ولا تتخذوها قبوراً **{وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِأَيَّاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَن يَشَاءُ اللَّهُ يُضْلِلُهُ وَمَن يَشَاءُ يَجْعَلُهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}**
 {الأنعام 39¹}

* أن أول التوبة العلم بأن فعله سيء ليتوب منه أو أنه ترك حسناً
 مأموراً به أو أمر إيجاب أو أمر استحباب ليتوب ويفعله فما دام
 يرى فعله حسناً وهو سيء في نفس الأمر فإنه لا يتوب ولكن
 التوبة ممكنة وواقعه بأن يهديه الله ويرشده حتى يتبين له الحق
 كما هدى سبحانه وتعالى من هدى من الكفار والمنافقين وطوائف
 أهل البدع والضلال وهذا يكون بأن يتبع من الحق ما علمه فمن
 عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم وكذلك من أعرض عن
 اتباع الحق الذي يعلمه تتبعاً لهواه فإن ذلك يورثه الجهل والضلال
 حتى يعمى قلبه عن الحق الواضح ولهذا قال من قال من السلف
 كسعيد بن جبير إن من ثواب الحسنة بعدها وإن من
 عقوبة السيئة بعدها وقد ثبت في الصحيحين عن ابن
 مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال
 عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى
 الجنة ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند
 الله صديقاً وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن
 الفجور يهدي إلى النار ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب
 حتى يكتب عند الله كذباً فأخبر النبي أن الصدق يستلزم البر وأن
 الكذب يستلزم الفجور **{وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِأَيَّاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ}**

مَن يَشَاءُ اللَّهُ يُضْلِلُهُ وَمَن يَشَاءُ يَجْعَلُهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ
} الأنعام 39^١

ما يقوم بالقلب من الشعور يوجب أموراً ظاهرة

* قال تعالى {وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَن يَشَاءُ اللَّهُ يُضْلِلُهُ وَمَن يَشَاءُ يَجْعَلُهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } الأنعام 39

إن الصراط المستقيم هو أمور باطنية في القلب من اعتقادات وإرادات وغير ذلك وأمور ظاهرة من أقوال وأفعال قد تكون عبادات وقد تكون أيضاً عادات في الطعام واللباس والنكاح والمسكن والاجتماع والافتراق والسفر والإقامة والركوب وغير ذلك و هذه الأمور الباطنة والظاهرة بينهما ولا بد ارتباط و مناسبة فإن ما يقوم بالقلب من الشعور والحال يوجب أموراً ظاهرة وما يقوم بالظاهر من سائر الأعمال يوجب للقلب شعوراً وأحوالاً وقد بعث الله عبده ورسوله محمداً صلى الله عليه وسلم بالحكمة التي هي سنته وهي الشريعة والمنهاج الذي شرعه له فكان من هذه الحكمة أن شرع له من الأعمال والأقوال ما يبيان سبيل المغضوب عليهم والضالين وأمر بمخالفتهم في الهدى الظاهر وإن لم يظهر لكثير من الخلق في ذلك مفسدة لأمور منها أن المشاركة في الهدى الظاهر تورث تناسباً وتشاكلاً بين المتشابهين يقود إلى الموافقة في الأخلاق والأعمال وهذا أمر محسوس فإن اللابس لثياب أهل العلم مثلاً يجد من نفسه نوع انضمام إليهم واللابس لثياب الجندي المقاتلة مثلاً يجد في نفسه نوع تخلق بأخلاقهم ويصير طبعه مقتضايا لذلك إلا أن يمنعه من ذلك مانع ومنها أن المخالفة في الهدى الظاهر توجب مبادئه ومقارنته توجب الانقطاع عن موجبات الغضب وأسباب الضلال والانعطاف إلى أهل الهدى والرضوان وتحقق ما قطع الله من الموالاة بين جنده المفاحفين وأعدائه الخاسرين وكلما كان القلب أتم حياة وأعرف بالإسلام الذي هو الإسلام لست أعني مجرد التوسم به ظاهراً أو باطناً بمجرد الاعتقادات

التقليدية من حيث الجملة كان إحساسه بمحارقة اليهود والنصارى باطننا أو ظاهراً أتم وبعده عن أخلاقهم الموجدة في بعض المسلمين أشد ومنها أن مشاركتهم في الهدى الظاهر توجب الاختلاط الظاهر حتى يرتفع التمييز ظاهراً بين المهدىين المرضىين وبين المغضوب عليهم والضالين إلى غير ذلك من الأسباب الحكمية هذا إذا لم يكن ذلك الهدى الظاهر إلا مباحثاً لو تجرد عن مشابهتهم فاما إن كان من موجبات كفرهم فإنه يكون شعبة من الكفر فموافقتهم فيه موافقة في نوع من أنواع ضلالهم ومعاصيهم فهذا أصل ينبغي أن يتقطن له والله أعلم¹

لطائف لغوية

1- كل ما سوى الله تعالى يجمع بلفظ التأنيث فيقال الملائكة ويقال لما يعبد من دون الله آلته قال تعالى {قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهادَةً فُلَّ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأَوْحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأَنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَنْكُمْ لَتَشْهُدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلَّهُ أَخْرَى قُلْ لَا أَشْهُدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ} الأنعام 19 وقال تعالى {وَجَاءَوْرَنَا بَيْنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَاتَّوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ إِلَهٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ} 138 {إِنَّ هَؤُلَاءِ مُنْتَبِرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} 139 {قَالَ أَغَيْرُ اللَّهِ أَبْغِيْكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَلَّكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ} 140 {الْأَعْرَاف 138-140} هي أواثان وهي مؤنة قال تعالى {قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِي اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسِيبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ} الزمر 38 فالآلة المعبدة من دون الله كلها بهذه المثابة وهي الأواثان التي تتخذ من دون الله¹

2- قال تعالى {وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا إِيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَرْزُّعُمُونَ} 22 {ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا

وَاللَّهُ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ {23} انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ {24} الأَنْعَامُ 24-22

عامة الأسماء يتتنوع مسمهاها بالاطلاق والتقييد ولفظ الضلال اذا اطلق تناول من ضل عن الهدى سواء كان عمداً او جهلاً ولزم ان يكون معذباً كقوله {إِنَّهُمْ أَفْوَأُبَاءُهُمْ ضَالِّينَ } 69 فهم على آثارِهِمْ يُهْرَعُونَ {70} وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ {71}

الصافات 69-71 وقوله {وَقَالُوا رَبُّنَا إِنَّا أَطْعَنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءِنَا فَأَضْلَلُونَا السَّبِيلَ } 67 رَبُّنَا آتَهُمْ ضَعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْغَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا {68} الأحزاب 67-68 وقوله {فَمَنِ اتَّبَعَ هُدًى يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ ثُمَّ يَقْرَنُ بِالْغَيْرِ وَالْغَضَبِ كَمَا فِي قَوْلِهِ {مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى } النجم 2 وفى قوله {غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ } الفاتحة 7 وقوله {إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ } القمر 47¹

3- الضمير يعود تارة إلى لفظ من وتارة إلى معناها كقوله {وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ } الأَنْعَامُ 25 {وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ } يونس 42 {وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرَ أَوْ أَنْثَى } النساء 124 {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَأُخْبِرَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَأُجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } النحل 97¹

4- وهو سبحانه يذكر جواب القسم تارة وهو الغالب وتارة يحذفه كما يحذف جواب لو كثيراً كقوله تعالى { لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْبَيِّنِينَ } التكاثر 5 وقوله { لَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ } الرعد 31 { وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ } الأنفال 50 { وَلَوْ تَرَى إِذْ فَرَّعُوا فَلَا فَوْتَ } سباء 51 { وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ } الأَنْعَامُ 27 { وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ } الأَنْعَامُ 30 ومثل هذا حذفه من أحسن الكلام لأن المراد أنك لو رأيته لرأيت هولاً عظيماً فليس في ذكر الجواب زيادة على ما دل المحرم وهو أيضاً تتبية فإذا أقسم به وفيه

الحال فإذا كان فيه الحرام كان أولى بالتعظيم وكذلك اذا أريد
الحلول فانه هو السلبي فالمعنى واحد¹

5- ولفظ الذوق وإن كان قد يظن أنه في الأصل مختص بذوق اللسان فاستعماله في الكتاب والسنة يدل على أنه أعم من ذلك مستعمل في الإحساس بالملائم والمنافر كما أن لفظ الإحساس في عرف الاستعمال عام فيما يحس بالحواس الخمس بل وبالباطن وأما في اللغة فأصله الرؤيا كما قال { هَلْ تُحْسِنُ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ } مريم 98 والمقصود لفظ الذوق قال تعالى { فَادَّاقُهَا اللَّهُ لِبَاسُ الْجُouعِ وَالْخَوْفِ } النحل 112 فجعل الخوف والجوع مذوقا وأضاف إليهما اللباس ليشعر أنه ليس الجائع والخائف فشلمه وأحاط به إحاطة اللباس باللباس بخلاف من كان الألم لا يستوعب مشاعره بل يختص ببعض المواقف قال تعالى { وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقْفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبَّنَا قَالَ فَدُوْقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ } الانعام 30 وقال تعالى { فَدُوْقُوا الْعَذَابَ } آل عمران 106 وقال تعالى { ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ } الدخان 49 وقال تعالى { يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ دُوْقُوا مَسَّ سَقَرَ } القمر 48 وقال { لَا يَدُوْقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ } الدخان 56 وقال تعالى { لَا يَدُوْقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا } 24 { لَا حَمِيًّا وَغَسَّاقًا } 25 { النَّبَأ 24-25 وقال { وَلَنُذَيْقَنَّهُم مِنَ الْعَذَابِ الْأَذَنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } السجدة 21 وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ذاق طعم الإيمان من رضي ب الله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا فاستعمال لفظ الذوق في إدراك الملائم والمنافر كثير¹

6- قال تعالى { وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعْبٌ وَلَهُوَ وَلِلَّادَارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ } الانعام 32 ان اسم العقل عند المسلمين وجمهور العقلاة إنما هو صفة وهو الذي يسمى عرضا قائما بالعقل وعلى هذا دل القرآن في قوله تعالى لعلكم تعقلون قوله { أَفَمُمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ

يَعْقِلُونَ بِهَا } الحج 46 وقوله { قَدْ بَيَّنَاهُ لِكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ } آل عمران 118 ونحو ذلك مما يدل على ان العقل مصدر عقل يعقل عقلا وإذا كان كذلك فالعقل لا يسمى به مجرد العلم الذي لم يعمل به صاحبه ولا العمل بلا علم بل إنما يسمى به العلم الذي يعمل به والعمل بالعلم ولهذا قال أهل النار { إِلَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْنَابِ السَّعِيرِ } الملك 10 وقال تعالى { أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا } الحج 46 والعقل المشروط في التكليف لا بد أن يكون علوما يميز بها الانسان بين ما ينفعه وما يضره فالمحجون الذي لا يميز بين الدرارهم والفلوس ولا بين أيام الأسبوع ولا يفقه ما يقال له من الكلام ليس بعاقل أما من فهم الكلام وميز بين ما ينفعه وما يضره فهو عاقل ثم من الناس من يقول العقل هو علوم ضرورية ومنهم من يقول العقل هو العمل بموجب تلك العلوم والصحيح أن اسم العقل يتناول هذا وهذا وقد يراد بالعقل نفس الغريزة التي في الانسان التي بها يعلم ويميز ويقصد المنافع دون المضار كما قال أحمد بن حنبل والحارث المحاسبي وغيرهما ان العقل غريزة وهذه الغريزة ثابتة عند جمهور العقلاة كما أن في العين قوة بها يبصر وفي اللسان قوة بها يذوق وفي الجلد قوة بها يلمس عند جمهور العقلاة¹

7 - قال تعالى { وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ اعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِي نَفَقاً فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلْمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيهِمْ بِأَيَّهِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ } الأنعام 35
 عامة الأسماء يتتنوع مسماتها بالاطلاق والتقييد وكذلك لفظ الهدى اذا أطلق تناول العلم الذي بعث الله به رسوله والعمل به جميعا فيدخل فيه كل ما أمر الله به كما في قوله { اهداها الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } الفاتحة 6 والمراد طلب العلم بالحق والعمل به جميعا وكذلك قوله { هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ } البقرة 2 والمراد به أنهم يعلمون ما فيه ويعملون به ولهذا صاروا مفلحين وكذلك قول أهل الجنة { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا } الأعراف 43 وإنما

هداهم بأن ألهمهم العلم النافع والعمل الصالح ثم قد يقرن
الهدى اما بالاجتباء كما فى قوله { وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى
صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } الأنعام 87 وكما فى قوله { شَاكِرًا لِأَنَّعُمَهُ
اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ } النحل 121 { اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي
إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ } الشورى 13 وكذلك قوله تعالى { هُوَ الَّذِي
أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ } التوبه 33 والهدى هنا هو
الإيمان ودين الحق هو الاسلام واذا أطلق الهدى كان كالايمان
المطلق يدخل فيه هذا وهذا¹

8- فان نفق يشبه خرج ومنه نفقة الدابة اذا ماتت ومنه نفقاء
اليربوع والنفق في الأرض قال تعالى { فَإِنْ اسْتَطَعْتُ أَنْ تَنْتَغِي
نَفَقًا فِي الْأَرْضِ } الأنعام¹ 35

9- قال تعالى { وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ
قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } الأنعام 37
قدير منزه عن العجز والضعف¹

10- قال تعالى { وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ
يَشَا اللَّهُ يُضْلِلُهُ وَمَنْ يَشَا يَجْعَلُهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } الأنعام 39
عامة الأسماء يتتنوع مسماتها بالطلاق والتقييد ولفظ الضلال
اذا أطلق تناول من ضل عن الهدى سواء كان عمدا أو جهلا
ولزم أن يكون معذبا كقوله { إِنَّهُمْ أَفْوَأُ أَبَاءُهُمْ ضَالِّينَ } 69
فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ } 70 { وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ
الْأَوَّلِينَ } 71 { الصافات 69- 71 وقوله { وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا
أَطْعَنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءِنَا فَأَضْلَلُونَا السَّبِيلَ } 67 { رَبَّنَا أَنَّهُمْ ضَيْقَنِينَ
مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا } 68 { الأحزاب 67- 68 وقوله
فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَىِي فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْفَعُ } طه 123 ثم يقرن بالغنى
والغضب كما فى قوله { مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى } النجم 2
وفى قوله { غَيْرُ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ } الفاتحة 7
وقوله { إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ } القمر 47¹

الانعام 40-58

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغْيَرْ
اللَّهُ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ {40} بَلْ إِيَاهُ تَدْعُونَ فَيُكَثِّفُ
مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَسْوَنَ مَا تُشْرِكُونَ {41} وَلَقَدْ
أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَّةٍ مِّنْ قَبْلِكَ فَأَخْذَنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ
لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ {42} فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بِأَسْنَا تَضَرَّعُوا
وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ {43} فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ
كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرَحُوا بِمَا أَوْتُوا أَخْذَنَاهُمْ بَعْثَةً فَإِذَا هُمْ
مُبْلِسُونَ {44} فَقُطِّعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ
رَبِّ الْعَالَمِينَ {45} قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخْذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ
وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ بِهِ
انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ {46} قُلْ
أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَعْثَةً أَوْ جَهَرَةً هَلْ يُهَلِّكُ إِلَّا
الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ {47} وَمَا نَرْسَلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ
وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خُوفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ
يَحْزَنُونَ {48} وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا يَمْسِهُمُ الْعَذَابُ بِمَا
كَانُوا يَفْسُدُونَ {49} قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي حَزَانَنِ اللَّهِ وَلَا
أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَبْعُ إِلَّا مَا يُوْحَى
إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ {50}
وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ
مِّنْ دُونِهِ وَلَيْ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقَوْنَ {51} وَلَا تَطْرُدْ
الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاءِ وَالْعَشَىٰ يُرِيدُونَ وَجْهَهُمْ مَا
عَلَيْكَ مِنْ حَسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حَسَابَكَ عَلَيْهِمْ مِنْ
شَيْءٍ فَتَطْرُدُهُمْ فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ {52} وَكَذَلِكَ فَتَنَّا

بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء منَ الله عَلَيْهم مِنْ يَبْيَنُنَا
الْيَسَ اللَّهُ بِأَعْلَمُ بِالشَّاكِرِينَ {53} وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ
يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ
الرَّحْمَةُ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَاهَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ
وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ {54} وَكَذَلِكَ نَفَصِّلُ الْآيَاتِ
وَلَتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ {55} قُلْ إِنِّي نَهَيْتُ أَنْ أَعْبُدُ
الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا تَتَبَعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَّلْتُ
إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهَتَّدِينَ {56} قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَّبِّي
وَكَذَبْتُمْ بِهِ مَا عَنِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ
يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ {57} قُلْ لَوْ أَنَّ عَنِي مَا
تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقَضَى الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
بِالظَّالِمِينَ {58}

لُفْظ الدُّعَاءِ وَالدُّعْوَةِ فِي الْقُرْآنِ يَتَنَوَّلُ مَعْنَيِّيْنِ

* الدُّعَاءُ قصد المدعو و التوجه إليه إما على وجه المسألة و إما على وجه العبادة المحضة لأن دعاء الشيء هو طلبه و إرادته سواء طلب لذاته أو للأمر منه و من ذلك قوله تعالى {وقال رَبُّكُمْ اذْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} غافر 60 فإنه فسر بالمسألة و بالعبادة و قوله تعالى {أَغْيِرْ اللَّهُ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ¹} الأنعام 40

* لُفْظ الدُّعَاءِ وَالدُّعْوَةِ فِي الْقُرْآنِ يَتَنَوَّلُ مَعْنَيِّيْنِ دُعَاءُ العبادة و دُعَاءُ المسألة قال الله تعالى {فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَيْهَا أَخَرَ فَتَكُونُ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ} الشعراء 213 وقال تعالى {وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَيْهَا آخَرَ لَا بُرُّهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ} المؤمنون 117 وقال تعالى {وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَيْهَا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} القصص 88 وقال {وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ

يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَداً } الجن 19 وقال {إِن يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَّا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا } النساء 117
 ولفظ الصلاة في اللغة اصله الدعاء وسميت الصلاة دعاء لتضمنها معنى الدعاء وهو العبادة والمسألة وفي الصحيحين عن النبي انه قال ينزل ربنا كل ليلة الى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغرنى فأغفر له فذكر او لا لفظ الدعاء ثم ذكر السؤال والاستغفار والمستغفر سائل كما ان السائل داع لكن ذكر السائل لدفع الشر بعد السائل الطالب للخير وذكرهما جمیعا بعد ذكر الداعي الذى يتناولهما وغيرهما فهو من باب عطف الخاص على العام وقال تعالى {وَإِذَا سَأَلَكَ عَبْدِي عَنِ فَإِنِّي قَرِيبٌ أَجِبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ } البقرة 186 وكل سائل راغب راهب فهو عابد للمسؤول وكل عابد له فهو ايضا راغب وراهب يرجو رحمته ويخاف عذابه فكل سائل وكل سائل عابد واحد الاسمين يتناول الآخر عند تجرده عنه ولكن اذا جمع بينهما فانه يراد بالسائل الذي يطلب جلب المنفعة ودفع المضررة بصيغة السؤال والطلب ويراد بالعبد من يطلب ذلك بامتثال الامر وان لم يكن في ذلك صيغة سؤال والعابد الذي يزيد وجهه الله والنظر اليه هو ايضا راجح خائف راهب يرغبه في حصول مراده ويراهب من فواته قال تعالى {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغْبًا وَرَهْبًا } الأنبياء 90 وقال تعالى {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ حَوْفًا وَطَمَعًا } السجدة 16 ولا يتصور ان يخلو داع الله دعاء عبادة او دعاء مسألة من الرغب والرهب من الخوف والطمع¹

ذم الله سبحانه حربين

*قال الله تعالى {فَكَبَّبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَالُووْنَ} 94 {وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُوْنَ} 95 {قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُوْنَ} 96 {تَالَّهُ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِيِّنٍ} 97 {إِذْ نُسَوِّيْكُم بِرَبِّ الْعَالَمِيْنَ} 98 {وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا

المُجْرِمُونَ {99} فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ {100} وَلَا صَدِيقٍ
 حَمِيمٍ {101} فَلَوْ أَنَّا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ {102} الشُّعُرَاءُ
 102-94 وَقُولُهُ {إِذْ نُسَوِّيْكُمْ} {98} الشُّعُرَاءُ 98 لَمْ يُقلْ
 يرِيدُوا بِهِ أَنْهُمْ جَعَلُوهُمْ مَسَاوِينَ لِلَّهِ مِنْ كُلِّ وِجْهٍ فَإِنْ هَذَا لَمْ يُقَلِْ
 أَحَدٌ مِنْ بَنِي آدَمَ وَلَا نَقْلٌ عَنْ قَوْمٍ قَطْ مِنَ الْكُفَّارِ أَنْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَذَا
 الْعَالَمَ لَهُ خَالقُونَ مُتَمَاثِلُونَ حَتَّى الْمُجَوْسُ الْقَاتِلُونَ بِالْأَصْلِينَ
 النُّورُ وَالظُّلْمَةُ مُتَقْقُونَ عَلَى أَنَّ النُّورَ خَيْرٌ يَسْتَحِقُ أَنْ
 يُعْبَدُ وَيُحْمَدُ وَإِنَّ الظُّلْمَةَ شَرِيرَةٌ تَسْتَحِقُ أَنْ تَذَمَّنَ وَتُلَعَّنَ
 وَأَخْتَلُفُوا هُلُ الظُّلْمَةُ مُحَدَّثَةٌ أَوْ قَدِيمَةٌ عَلَى قَوْلِيْنَ وَبِكُلِّ حَالٍ لَمْ
 يَجْعَلُوهُنَا مِثْلَ النُّورِ مِنْ كُلِّ وِجْهٍ وَكَذَلِكَ مُشَرِّكُو الْعَرَبِ
 كَانُوا مُتَقْفِينَ عَلَى أَنَّ أَرْبَابَهُمْ لَمْ تُشَارِكُ اللَّهُ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ
 وَالْأَرْضِ بَلْ كَانُوا مُقْرِينَ بِأَنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ
 وَمَا بَيْنَهُمَا كَمَا أَخْبَرُ عَنْهُمْ بِذَلِكَ فِي غَيْرِ آيَةٍ كَقُولُهُ تَعَالَى {
 وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
 لِيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ} {61} اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ
 عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ {62} وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ مَنْ نَزَّلَ
 مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْبِبُهُ إِلَيْهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لِيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ بِلَّ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقُلُونَ {63} العنكبوت 63-61
 تَعَالَى {وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لِيَقُولُنَّ خَلَقُهُنَّ
 الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ} {9} الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا
 سُبُّلًا لَعَلَّكُمْ تَهَذَّبُونَ {10} وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدِرُ
 فَإِنْشَرَنَا بِهِ بُلْدَةً مَيْتَانًا كَذَلِكَ تُخْرِجُونَ {11} وَالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ وَاجَّ
 كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلُكَ وَالْأَنْعَامَ مَا تَرْكُبُونَ {12} لَتَسْتَوُوا عَلَى
 ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذَكَّرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ
 الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ {13} وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا
 لَمْ نَنْقِبُونَ {14} الزُّخْرُفُ 14-9 وَهَذِهِ الصَّفَاتُ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ
 تَعَالَى لَيْسَ مِنْ تَنَمُّ جَوَابِهِمْ وَقَالَ تَعَالَى {قُلْ لَمَنْ الْأَرْضُ
 وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} {84} سَيَقُولُونَ اللَّهُ قُلْ أَفَلَا
 تَذَكَّرُونَ {85} قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ

الْعَظِيمُ {86} سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ {87} قُلْ مَنْ بِيَدِهِ
مَلْكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُحِبُّ وَلَا يُحَاجِرُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ
تَعْلَمُونَ {88} سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَإِنِّي شَسْرُونَ {89} الْمُؤْمِنُونَ
وَقَالَ تَعَالَى {قُلْ أَرَأَيْتُكُمْ إِنْ أَتَأْكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتُكُمْ
السَّاعَةُ أَغْيَرُ اللَّهُ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ {40} بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ
فَيَكْسِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا
شَرِّكُونَ {41} الأَعْوَامِ 41-40 وكذلك قوله {اللَّهُ خَيْرٌ أَمَا
يُشْرِكُونَ {59} أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ
السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِثُوا
شَجَرَهَا إِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ {60} أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ
قَرَارًا وَجَعَلَ خَلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ
حَاجِزاً إِلَهٌ مَعَ اللَّهِ {61} النَّمَلِ 60-61 أى إله مع الله فعل هذا
وَهُدُداً استفهام انكار وهم مقررون بأنه لم يفعل هذا الله آخر مع الله
ومن قال من المفسرين ان المراد هل مع الله الله آخر فقد غلط
فانهم كانوا يجعلون مع الله آلهة أخرى كما قال تعالى {أَتَنْكُمْ
لَتَشْهُدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهُدُ} الأَعْوَمِ 19 وقال
تعالى {فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلَهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ
شَيْءٍ} هود 101 وقال تعالى عنهم {أَجَعَلَ الْآلَهَةَ إِلَهًا
وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ} ص 5 وكانوا معترفين بأن آلهتهم
لم تشارك الله في خلق السموات والأرض ولا خلق شيء بل
كانوا يتخذونهم شفعاء ووسائل كما قال تعالى {وَيَعْدُونَ مِنْ
دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هُؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْ
اللَّهِ} يوں 18 وقال عن صاحب بیس {وَمَا لَيْ لَا أَعْبُدُ الَّذِي
فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} 22 {أَتَتَّخِدُ مِنْ دُونِهِ آلهَةً إِنْ يُرِدُنِ
الرَّحْمَنَ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونَ} یس 22-23
وقال تعالى {وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْسِرُوا إِلَى
رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لِعَلَيْهِمْ يَتَّقُونَ} الأَعْوَمِ 51
وقال تعالى {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ} الأَعْوَمِ 51
سَتَّةَ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلَىٰ وَلَا

شَفِيعٌ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ } السجدة 4 وقال {فُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلُكُونَ مِنْ قَالَ دَرَّةً فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شُرْكٍ وَمَا لَهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ } 22 { وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْهُ إِلَّا لِمَنْ أَذْنَ لَهُ } 23 { سبأ 22-23 فنفي عما سواه كل ما يتعلق به المشركون فنفي أن يكون لغيره ملك أو قسط من الملك أو يكون عونا لله ولم يبق الا الشفاعة فيبين أنها لا تفع إلا لمن أذن له رب كما قال تعالى { مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ } البقرة 255 وقال تعالى عن الملائكة { وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرْتَضَى } الأنبياء 28 وقال { وَكُمْ مَنْ مَلَكَ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُعْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذِنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى } النجم 26 وهذه الشفاعة التي يظنه المشركون هي منقية يوم القيمة كما نفاحتها القرآن وأما ما أخبر به النبي أنه يكون فأخبر أنه يأتي فيسجد لربه ويحمده لا يبدأ بالشفاعة أولا فإذا سجد وحمد ربها بمحامد يفتحها عليه يقال له أى محمد ارفع رأسك وقل تسمع وسل تعط واسفع تشفع فيقول أى رب أمتى فيحد له حدا فيدخلهم الجنة وكذلك في الثانية وكذلك في الثالثة وقال له أبو هريرة من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيمة قال من قال لا الله الا الله خالصا من قلبه فتلك الشفاعة هي لأهل الاخلاص باذن الله ليست لمن أشرك بالله ولا تكون إلا باذن الله وحقيقة ان الله هو الذي يتفضل على أهل الاخلاص والتوحيد فيغفر لهم بواسطة دعاء الشافع الذي أذن له أن يشفع ليكرمه بذلك وينال به المقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون كما كان في الدنيا يستنقى لهم ويدعو لهم وتلك شفاعة منه لهم فكان الله يجيب دعاءه وشفاعته وإذا كان كذلك فالظلم ثلاثة أنواع فالظلم الذي هو شرك لا شفاعة فيه وظلم الناس بعضهم بعضا لابد فيه من اعطاء المظلوم حقه لا يسقط حق المظلوم لا بشفاعة ولا غيرها ولكن قد يعطي المظلوم من الظلم كما قد يغفر لظلم نفسه بالشفاعة فالظلم المطلق ما له من شفيع مطاع وأما الموحد فلم يكن ظالما مطلقا بل هو موحد

مع ظلمه لنفسه وهذا انما نفعه في الحقيقة اخلاصه لله فبه صار من أهل الشفاعة ومقصود القرآن بنفي الشفاعة نفي الشرك وهو أن أحدا لا يعبد إلا الله ولا يدعوه غيره ولا يسأل غيره ولا يتوكل على غيره لا في شفاعة ولا غيرها فليس له أن يتوكل على أحد في أن يرزقه وإن كان الله يأته برزقه بأسباب كذلك ليس له أن يتوكل على غير الله في أن يغفر له ويرحمه في الآخرة وإن كان الله يغفر له ويرحمه بأسباب من شفاعة وغيرها فالشفاعة التي نفاحتها القرآن مطلقا ما كان فيها شرك وتلك منتفية مطلقا ولهذا أثبتت الشفاعة باندنه في مواضع وتلك قد بين الرسول أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والأخلاق فهى من التوحيد ومستحقها أهل التوحيد¹

*ولما كان الأمر كما أخبر الله به في قوله {مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ} النساء 79 أوجب هذا أن لا يطلب العبد الحسنات والحسنات تدخل فيها كل نعمة إلا من الله وأن يعلم أنها من الله وحده فيستحق الله عليها الشكر الذي لا يستحقه غيره ويعلم أنه لا إله إلا هو كما قال تعالى {وَمَا كُمْ مِنْ نُعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ} النحل 53 فهذا يوجب على العبد شكره وعبادته وحده ثم قال {ثُمَّ إِذَا مَسَكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجَارُونَ} النحل 53 وهذا إخبار عن حالهم والجوار يتضمن رفع الصوت والانسان إنما يجأر إذا أصابه الضر وأما في حال النعمة فهو ساكن إما شاكرا وإما كفورا {ثُمَّ إِذَا مَسَكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجَارُونَ} 53 {ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ} 54 {النحل 53- 54} وهذا المعنى قد ذكره الله في غير موضع يذم من يشرك به بعد كشف البلاء عنه وإسباغ النعماء عليه فيضيف العبد بعد ذلك الانعام إلى غيره ويعبد غيره تعالى و يجعل المشكور غيره على النعم كما قال تعالى {وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مَنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ} 33 {ليكُفُرُوا بِمَا آتَيْنَا هُمْ فَتَمَّتُّهُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ} 34 الروم 33-34 وقال تعالى {فَلْ مَنْ

يُنْجِيْكُم مِّنْ ظُلْمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا
مِنْ هَذِهِ لَنْكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ {63} قُلِ اللَّهُ يُنْجِيْكُم مِّنْهَا وَمِنْ كُلِّ
كَرْبٍ ثُمَّ إِنْتُمْ تُشْرِكُونَ {64} الأنعام 63-64 و قال تعالى {وَإِذَا
 مَسَ الْأَنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنْبِيًّا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نِسِيَ
 مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلٍ وَجَعَلَ اللَّهُ أَنْدَادًا لِيُضْلِلَ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ
 تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ {الزمر 8} و قوله
 {نِسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ} الزمر 8 أي نسي الضر الذي كان
 يدعوه الله لدفعه عنه كما قال في سورة الأنعام {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ
أَتَأْكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَنْكُمُ السَّاعَةُ أَغْيَرُ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ {40} بل إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيُكْسِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ
وَتَنَسَّوْنَ مَا شُرِّكُونَ {41} الأنعام 40-41 فذم الله سبحانه
 حزبين حزبا لا يدعونه في الضراء ولا يتوبون إليه و حزبا
 يدعونه و يتضرعون إليه و يتوبون إليه فإذا كشف الضر عنهم
 أعرضوا عنه و أشركوا به ما اتخذوا من الأنداد من دونه
 فهذا الحزب نوعان كالمعطلة و المشركة حزب إذا نزل بهم
 الضر لم يدعوه الله و لم يتضرعوا إليه و لم يتوبوا إليه كما قال
 {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَّمٍ مِّنْ قَبْلِكَ فَأَخْذَنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ
 يَتَضَرَّعُونَ {42}} فَلَوْلَا إِذْ جَاءُهُمْ بِأَسْنَانٍ تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَّتْ
 قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ {43} الأنعام 42-43
 و قال تعالى {وَلَقَدْ أَخْذَنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا
 يَتَضَرَّعُونَ} المؤمنون 76 و قال تعالى {أَوْلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ
 يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَكَّرُونَ
 } التوبة 126 و قال تعالى {وَلَنْذِيقَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ
 الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} السجدة 21 و حزب يتضرعون
 إليه في حال الضراء و يتوبون إليه فإذا كشفها عنهم أعرضوا
 عنه كما قال تعالى {وَإِذَا مَسَ الْأَنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنِيهِ أَوْ
 قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرُّهُ مَرَّ كَانَ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٌّ
 مَسَّهُ كَذَلِكَ زُرِّيْنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} يونس 12 و قال
 تعالى {وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانَ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ

الشَّرُّ فَدُوْ دُعَاء عَرِيضٌ } فصلت 51 و قال تعالى { وَإِذَا مَسَكْمُ الْضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كُفُورًا } الإسراء 67 و قال في المشركين ما تقدم { وَمَا بَكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَكْمُ الْضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجَارُونَ } 53 ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الْضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ } 54 النحل 53-54 والمدوح هو القسم الثالث و هم الذين يدعونه و يتوبون اليه و يتثنون على عبادته و التوبة اليه في حال السراء فيعبدونه و يطعونه في السراء و الضراء و هم أهل الصبر و الشكر كما ذكر ذلك عن أنبيائه عليهم السلام فقال تعالى { وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقِرَّ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ } 87 فاستجئنا له و نرجئناه من الغم و كذلك نُنْهِي الْمُؤْمِنِينَ } 88 الانبياء 87-88¹

*والسائل إذا حصل سؤاله برد فإنه لم يكن مراده إلا سؤاله وإذا حصل إعراض عن الله فهذا حال الكفار الذين ذمهم الله في القرآن كقوله { وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الْضُّرُّ دَعَانَا لِجَنِّبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَانَ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٌّ مَسَّهُ } يونس 12 وقال تعالى { قُلْ مَن يُنْجِيْكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنْكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ } 63 { قُلِ اللَّهُ يُنْجِيْكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ شُرْكُونَ } 64 الأنعام 63-64 وقال تعالى { وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَارَبَهُ مُنْبِيًّا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا حَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلٍ وَجَعَلَ اللَّهُ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَّتْ بُكْفُرَكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ } الزمر 8

{ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلَ } الزمر 8 أى نسي ما كان يدعو الله إليه وهو الحاجة التي طلبها فإن دعاءه كان إليها أى توجهه إليها وقصده فهي الغاية التي كان يقصدها وإذا كانت ما مصدرية كان تقديره نسي كونه يدعو الله إلى حاجته كما قال تعالى في الآية الأخرى { فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَانَ لَمْ يَدْعُنَا }

إلى ضُرٌّ مَسَهُ {يونس 12} لكن على هذا يبقى الضمير في إليه عائداً على غير مذكور بخلاف ما إذا جعلت بمعنى الذي فان التقدير نسي حاجته الذي دعاني إليها من قبل فنسي دعاءه الله الذي كان سبب الحاجة وإلى حرف الغاية كما قال تعالى في الآية الأخرى {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَكُمُ السَّاعَةُ أَغْيَرُ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} {40} {بْلِ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَسْوَنَ مَا تُشْرِكُونَ} {41} الأنعام 40-41

فقد أخبر تعالى أنه يكشف ما يدعون إليه وهي الشدة التي دعوا إليها وأما المؤمن فلا بد بعد قضاء حاجته من عبادة الله وإخلاصه له كما أمره إما قياما بالواجب فقط فيكون من الأبرار أو بالواجب والمستحب فيكون من المقربين ومن ترك بعض ما أمر به بعد قضاء حاجته فهو من أهل الذنب وقد يكون ذلك من الشرك الأصغر الذي يبتلي به غالب الخلق إما شركا في الربوبية وإما شركا في الألوهية كما مبسوط في موضعه وقد يبتلي في أماكن الجهل وزمانه كثير من الناس بما هو من الشرك الأكبر وهم لا يعلمون فالسائل مقصوده سؤاله وإن حصل له ما هو محبوب الرب من إنابة إليه ومحبته وتوبته فهذا بالعرض وقد يدوم والأغلب أنه لا يدوم إلا أن يكون ذلك المحبوب للرب هو سؤاله مثل أن يسأل الله التوبة والإعانة على ذكره وشكره وحسن عبادته فهنا مطلوبه محبوب للرب ولهذا نعم الله من لم يطلب إلا الدنيا في قوله {فَمَنِ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا أَتَنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ} البقرة 200¹

من دعاه موقفنا أن يجيب دعوة الداعي إذا دعاه أحباه وقد يكون مشركاً وفاسقاً

* وقال تعالى {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُحِبُّ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلَيْسَتْ حِبْبًا لِي وَلَيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ} البقرة 186 وقد روى أن بعض الصحابة قال يا رسول الله

ربنا قريب فنناجيه أم بعيد فنناديه فأنزل الله هذه الآية فأخبر
 سبحانه أنه قريب يجيب دعوة الداعي إذا دعاه ثم أمرهم
 بالاستجابة له وبالإيمان به كما قال بعضهم فليستجيبوا لي إذا
 دعوا لهم وليرؤمنوا بي إذا دعوا لهم قالوا وبهذين الشيئين
 تحصل إجابة الدعوة بكمال الطاعة لألوهيته وبصحة الإيمان
 بربوبيته فمن استجاب لربه بامتثال أمره ونهيه حصل مقصوده
 من الدعاء وأجيب دعاؤه كما قال تعالى {وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ
 آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَرِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ} الشورى 26 أي
 يستجيب لهم يقال استجابه واستجاب له فمن دعاه موقفنا أن
 يجيب دعوة الداعي إذا دعاه أجا به وقد يكون مشركاً وفاسقاً فإنه
 سبحانه هو القائل {وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنِّهِ أَوْ
 قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرُّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ
 مَسَّهُ كَذَلِكَ زُرِّينَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} يونس 12 وهو
 القائل سبحانه {وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا
 إِيَاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْنَاهُ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا}
 الإسراء 67 وهو القائل سبحانه {قُلْ أَرَأَيْتُكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ
 اللَّهِ أَوْ أَتَتُكُمُ السَّاعَةُ أَغْيَرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْתُمْ صَادِقِينَ} 40 بل
 إِيَاهُ تَدْعُونَ فَيُكْسِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنسَوْنَ مَا
 شُرِّكُونَ} 41 الأنعام 40-41 ولكن هؤلاء الذين يستجاب
 لهم لا يقرارهم بربوبيته وأنه يجيب دعاء المضطرب إذا دعاه إذا لم
 يكونوا مخلصين له الدين في عبادته ولا مطيعين له ولرسوله
 كان ما يعطونهم بدعائهم متاعا في الحياة الدنيا ومالهم في الآخرة
 من خلق وقال تعالى {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلَنَا لَهُ فِيهَا
 مَا نَشَاءَ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَدْمُومًا مَدْحُورًا}
 18 {وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ
 كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا} 19 كُلًا نِمْدُ هُؤُلَاءِ وَهُؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ
 رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءَ رَبِّكَ مَحْظُورًا} 20 الإسراء 18-20 وقد
 دعا الخليل عليه الصلاة والسلام بالرزق لأهل الإيمان فقال {
 وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ التَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

{ البقرة 126 } قال الله تعالى { وَمَنْ كَفَرَ فَأَمْتَعْهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرْهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ } البقرة 126 فليس كل من متنه الله برزق ونصر إما إجابة لدعائه وإما بدون ذلك يكون من يحبه الله ويواлиه بل هو سبحانه يرزق المؤمن والكافر والبر والفاجر وقد يجيب دعاءهم ويعطيهم سؤلهم في الدنيا وما لهم في الآخرة من خلاق ومن هذا الباب من قد يدعو دعاء معتمديا فيه إما بطلب مالا يصلح أو بالدعاء الذي فيه معصية الله من شرك أو غيره فإذا حصل بعض غرضه ظن أن ذلك دليل على أن عمله صالح بمنزلة من أملى له وأمده بالمال والبنين فظن أن ذلك مسارعة له في الخيرات قال تعالى { فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكْرُوا بِهِ قَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرَحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَعْتَهُ فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ } الأنعام 44

* الدعاء لله وحده سواء كان دعاء العبادة أو دعاء المسئلة والإستغاثة كما قال تعالى { فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَاوْ كَرَهُ الْكَافِرُونَ } غافر 14 وذم الذين يدعون الملائكة والأنبياء وغيرهم فقال { قُلْ أَرَأَيْتُكُمْ إِنْ أَتَكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَنْتُكُمُ السَّاعَةُ أَغْيِرُ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } 40 { بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسُونَ مَا تُشْرِكُونَ } 41 { الأنعام 40-41 }

الشرك نوعان

* ومن رحمة الله تعالى أن الدعاء المتضمن شركا كدعاء غيره أن يفعل أو دعائه أن يدعو الله ونحو ذلك لا يحصل به غرض صاحبه ولا يورث حصول الغرض شبهة إلا في الأمور الحقيرة فاما الأمور العظيمة كإزال الغيث عند القحط وكشف العذاب النازل فلا ينفع فيه هذا الشرك كما قال تعالى { قُلْ أَرَأَيْتُكُمْ إِنْ أَتَكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَنْتُكُمُ السَّاعَةُ أَغْيِرُ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } 40 { بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسُونَ مَا تُشْرِكُونَ } 41 { الأنعام 40-41 } فكون هذه المطالب العظيمة لا يستجيب فيها إلا هو سبحانه دل على توحيده

وقطع شبهة من أشرك به وعلم بذلك أن ما دون هذا أيضاً من الإجابات إنما حصولها منه وحده لا شريك له وإن كانت تجري بأسباب محرمة أو مباحة كما أن خلقه للسموات والأرض والرياح والسحب وغير ذلك من الأجسام العظيمة دل على وحدانيته وأنه خالق كل شيء وأن ما دون هذا بأن يكون خالقاً له أولى إذ هو حاصل عن مخلوقاته العظيمة فخالق السبب التام خالق للمسبب لا محالة وجماع الأمر أن الشرك نوعان شرك في ربوبيته بأن يجعل لغيره معه تدبير إما كما قال سبحانه {قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلُكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شَرِيكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّنْ ظَهِيرٍ} سبا 22 وبين أنهم لا يملكون مثقال ذرة استقلالاً ولا يشركونه في شيء من ذلك ولا يعيونه على ملكه ومن لم يكن مالكاً ولا شريكاً ولا عوناً فقد انقطعت علاقته وشرك في الألوهية بأن يدعوه غيره دعاء عبادة أو دعاء مسألة كما قال تعالى {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} 5 الفاتحة فكما أن إثبات المخلوقات أسباب لا تقدح في توحيد الربوبية ولا تمنع أن الله خالق كل شيء ولا توجب أن يدعى مخلوق دعاء عبادة أو دعاء استغاثة كذلك إثبات بعض الأفعال المحرمة من شرك أو غيره أسباباً لا يقدح في توحيد الإلهية ولا يمنع أن يكون الله هو الذي يستحق الدين الخالص ولا يوجب أن تستعمل الكلمات والأفعال التي فيها شرك إذ كان الله يسخط ذلك ويعاقب العبد عليه وتكون مضره ذلك على العبد أكثر من منفعته إذ قد جعل الله الخير كله في أنا لا نعبد إلا إياه ولا نستعين إلا إياه وعامة آيات القرآن تثبت هذا الأصل الأصيل حتى إنه سبحانه قطع أثر الشفاعة بدون إذنه كقوله سبحانه {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ} البقرة 255¹

*فإن الله هو الذي يصيب بالرحمة ويكشف الضر قال تعالى {وَإِنْ يَمْسِسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرْدِكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَأْدَ لِفَضْلِهِ} يونس 107 وقال تعالى {مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ

رَحْمَةً فَلَا مُمسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ } فاطر 2
وقال تعالى { قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَنْتُمُ السَّاعَةُ أَغْيِرُ
اللَّهُ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } 40 } بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيُكْشِفُ مَا
تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ } 41 } الأنعام 40-41
وقال تعالى { قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلُكُونَ كَشْفَ
الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا } 56 } أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى
رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ
عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا } 57 } الإسراء 56-57 فبين أن من
يدعى من الملائكة والأنبياء وغيرهم لا يملكون كشف الضر
عنهم ولا تحويلًا¹

* فقد علم المسلمين كلهم أن ما ينزل بال المسلمين من النوازل في
الرغبة والرهبة مثل دعائهم عند الاستسقاء لنزول الرزق
ودعائهم عند الكسوف والاعتداد لرفع البلاء وأمثال ذلك إنما
يدعون في ذلك الله وحده لا شريك له لا يشركون به شيئاً لم يكن
للمسلمين قط أن يرجعوا بحوائجهم إلى غير الله عز وجل بل كان
المشركون في جاهليتهم يدعونه بلا واسطة فيجيبهم الله أفتراهم
بعد التوحيد والإسلام لا يجيب دعاءهم إلا بهذه الواسطة التي ما
أنزل الله بها من سلطان قال { قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ
أَنْتُمُ السَّاعَةُ أَغْيِرُ اللَّهُ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } 40 } بَلْ إِيَّاهُ
تَدْعُونَ فَيُكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ } 41 }
الأنعام 40-41 وقال { وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَّ مِنْ قَبْلَكَ فَآخَذَنَا هُمْ
بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّرُونَ } 42 } فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بِأَسْنَا
تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ } 43 } الأنعام 42-43¹

حكم من إذا أصابته نائية أو خوف استجده بشيخه

* وأما الرجل إذا أصابته نائية أو خاف شيئاً فاستغاث بشيخه
يطلب تثبيت قلبه من ذلك الواقع فهذا من الشرك وهو من جنس
دين النصارى فإن الله هو الذي يصيب بالرحمة ويكشف الضر

قال تعالى { قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَثَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَنْتُمُ السَّاعَةُ أَغْيِرَ
اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } 40 { بَلْ إِيَاهُ تَدْعُونَ فَيَكْسِفُ مَا
تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسُونَ مَا شُرِكُونَ } 41 { الأنعام 40-41 }¹

الحكمة من ذكر أنه أخذهم بالعذاب ولم يقل بالذنب

* قال تعالى { فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ } غافر 21 فإن أخذه يتضمن أخذهم ليصلوا بعد الموت إلى العذاب ولفظ الهالك يقتضي هلاكهم في الدنيا وزوال النعمة عنهم فذكر هلاكهم بزوال النعم وذكروا أخذهم بالنقم كما قال { وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ
بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ } الأنعام 42 فهذا تعذيب لهم في الدنيا ليتضروا بها وليتوبوا وذكر هنا أنه أخذهم بالعذاب ولم يقل بالذنب كأنه والله أعلم ضمن ذلك معنى جذبهم إلينا لينبوا وليتوبوا وإذا قال فأخذهم الله بذنبهم يكون قد أهلكهم فأخذهم إليه
بالهلاك ¹

* فهنا أخبر أنه بالعذاب الأدنى ما است كانوا وما تضرعوا حتى أخذهم بالإهلاك كما (يبدو هنا فيه نقص الرجوع إلى نفس المرجع) وقال { وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ
وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ } 42 { فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا
وَلَكِنْ قَسْتُ قُلُوبَهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } 43 { فَلَمَّا
نَسُوا مَا ذَكَرُوا بِهِ فَتَحَنَّا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا
أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَعْثَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ } 44 { فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ
ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } 45 { الأنعام 42-45 }¹

"ما نزل بلاء إلا بذنب ولا رفع إلا بتبوية"

* قال تعالى { مَا أَصَابَكُ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكُ مِنْ سَيِّئَةٍ
فَمِنْ نَفْسِكَ } النساء 79 فيبين الله سبحانه أن الحسنة من الله ينعم بها عليهم وأن السيئة أنا تصيبهم بذنبهم ولهذا قال تعالى { وَمَا
كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ
} الأنفال 33 فأخبر أنه لا يعذب مستغفرا لأن الإستغفار يمحو

الذنب الذي هو سبب العذاب فيندفع العذاب كما في سنن أبي داود
 وابن ماجه عن النبي أنه قال من أكثر الإستغفار جعل الله له
 من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا
 يحتسب وقد قال تعالى {إِلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهُ أَنَّى لَكُمْ مَّنْهُ نَذِيرٌ
 وَبَشِيرٌ} {2} وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوَبُوا إِلَيْهِ يُمْتَعَكُمْ مَّتَاعًا حَسَنًا
 إِلَى أَجْلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلُّوْا فَإِنِّي أَخَافُ
 عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ} {3} هود-3 فبين أن من وحده
 واستغفره متاعه متاعنا إلى أجل مسمى ومن عمل بعد ذلك
 خيرا زاده من فضله وفي الحديث يقول الشيطان أهلكت
 الناس بالذنوب وأهلكوني بلا إله إلا الله والإستغفار فلما رأيت
 ذلك بثنت فيهم الأهواء فهم بذنبون ولا يتوبون لأنهم يحسبون
 أنهم يحسنون صنعا ولهذا قال تعالى **{فَلَخَذَنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ**
وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّرُونَ} الأعرام 42 أي فهلا إذ جاءهم بأمسنا
 تضرعوا فحقهم عند مجيء البأس التضرع وقال تعالى {وَلَقَدْ
 أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّرُونَ
 } المؤمنون 76 قال عمر بن عبد العزيز ما نزل بلاء إلا بذنب
 ولا رفع إلا بتوبة ¹

*قال بعض السلف إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه وفي
 الحديث عن النبي من أكثر الإستغفار جعل الله له من كل هم
 فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب وقد
 أخبر الله تعالى أن الحسنات يذهبن السيئات والإستغفار سبب
 للرزق والنعمه وأن المعاصي سبب للمصائب والشدة فقال تعالى
 {الرَّكِيْبُ احْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فَصَّلَتْ مِنْ لَدْنِ حَكِيمٍ خَبِيرٍ} هود 1
 إلى قوله {وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ} هود 3 وقال تعالى
 {اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَارًا} نوح 10 إلى قوله {وَيَجْعَلُ
 لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلُ لَكُمْ أَنْهَارًا} نوح 12 وقال تعالى {وَاللَّهُ
 اسْتَقْامُوا عَلَى الظَّرِيقَةِ لَا سُقِيَّاهُمْ مَاءٌ غَدَقًا} 16 {لِنَفْتَتْهُمْ
 فِيهِ} 17 الجن 16-17 وقال تعالى {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى أَمْتُنُوا
 وَأَتَقْوَ أَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَبُوا

فَأَخْذُنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ {الأعراف 96} وقال تعالى {وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَا كُلُّهُمْ فَوْقِهِمْ وَمَنْ تَحْتَ أَرْجُلِهِمْ } المائدة 66 وقال تعالى {وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبْتُ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنِ كَثِيرٍ } الشورى 30 وقال تعالى {وَلَئِنْ أَدْقَنَا الْإِنْسَانَ مِنَ رَحْمَةِ ثُمَّ نَزَّعْنَا هَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيُوْسُنْ كَفُورٌ } هود 9 وقال تعالى {مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ } النساء 79 وقال تعالى { فَأَخْذُنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّرُونَ } 42 فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسْتَ قُلُوبَهُمْ وَرَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } 43 الأنعام 42-43 وقد أخبر الله تعالى في كتابه أنه يبتلي عباده بالحسنات والسيئات فالحسنات هي النعم والسيئات هي المصائب ليكون العبد صبارا شكورا وفي الصحيح عن النبي أنه قال والذي نفسي بيده لا يقضي الله للمؤمن قضاء إلا كان خيرا له وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له¹

قسوة القلوب من ثمرات المعاصي

* قال تعالى {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخْذُنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّرُونَ } 42 فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسْتَ قُلُوبَهُمْ وَرَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } 43 فَلَمَّا نَسُوا مَا ذَكَرُوا بِهِ فَتَحَنَّا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخْذُنَاهُم بَعْثَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ } 44 فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } 45 الأنعام 42-45 وقسوة القلوب من ثمرات المعاصي وقد وصف الله سبحانه بها اليهود في غير موضع فقال تعالى {وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيقَاتَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعْثَنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَفَمْتُ الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ الزَّكَاةَ وَأَمْنَتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا

لَا كَفَرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتُكُمْ وَلَا دُخُلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
 فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلُ {12} فِيمَا نَقْضُهُمْ
 مِّيقَاهُمْ لَعَنَّا هُمْ وَجَعَلُنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحرِّقُونَ الْكَلَمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ
 وَنَسُوا حَطَا مِمَّا دَكَرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطْلُعُ عَلَىٰ خَانِثَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا
 مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفُحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ {13} المائدة 12-13
 وإن قوما من هذه الأمة من ينسب إلى علم أو دين قد
 أخذوا من هذه الصفات بنصيب يرى ذلك من له بصيرة فنعود بالله
 من كل ما يكرهه الله ورسوله ولهذا كان السلف يحذرون هذا
 فروى البخاري في صحيحه عن أبي الأسود قال بعث أبو موسى
 إلى قراء البصرة فدخل عليه ثلاثة رجال قد قرءوا القرآن فقال
 أنتم خيار أهل البصرة وقرأوهم فاتلوه ولا يطولن عليكم الأمد
 فتقسو قلوبكم كما قشت قلوب من كان قبلكم وإنما نقرأ سورة
 نسبها في الطول والشدة ببراءة فأنسيتها غير أنني حفظت منها لو
 كان لابن آدم واديان من ذهب لا يبتغى واديا ثالثا ولا يملأ جوف ابن
 آدم إلا التراب وكنا نقرأ سورة كنا نسبها بإحدى المسجيات
 فأنسيتها غير أنني حفظت منها {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا
 لَا تَفْعَلُونَ } الصف 2 فتكتب شهادة في أعناقكم فتسألون عنها يوم
 القيمة فحذر أبو موسى القراء أن يطول عليهم الأمد فتقسو قلوبهم
 ثم لما كان نقض الميثاق يدخل فيه نقض ما عهد الله إليهم من الأمر
 والنهي وتحريف الكلم عن مواضعه وتبدل وتأويل كتاب الله أخبر
 ابن مسعود رضي الله عنه بما يشبه ذلك فروى الأعمش عن
 عمارة بن عمير عن الربيع بن أبي عميلة الفزاري حدثنا عبد الله
 حديثا ما سمعت حدثنا هو أحسن منه إلا كتاب الله أو روایة عن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إنبني إسرائيل لما طال عليهم
 الأمد قشت قلوبهم فاختروا كتابا من عند أنفسهم اشتهرته قلوبهم
 واستحلته أنفسهم وكان الحق يحول بينهم وبين كثير من شهواتهم
 حتى نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم لأنهم لا يعلمون فقالوا
 اعرضوا هذا الكتاب علىبني إسرائيل فإن تابعواكم فاتركوه وإن
 خالفوكم فاقتلوهم ثم قالوا لا بل أرسلوا إلى فلان رجل من علمائهم

فأعرضوا عليه هذا الكتاب فإن تابعكم فلن يخالفكم أحد بعده وإن خالفكم فاقتلوه فلن يختلف عليكم بعده أحد فأرسلوا إليه فأخذ ورقة فكتب فيها كتاب الله ثم جعلها في قرن ثم علقها في عنقه ثم لبس عليها الثياب ثم أتاهم فعرضوا عليه الكتاب فقالوا أتومن بهذا فأوما إلى صدره فقال آمنت بهذا ومالي لا أومن بهذا يعني الكتاب الذي في القرن فخلوا سبيله وكان له أصحاب يغشونه فلما مات نبشوه فوجدوا القرن ووجدوا فيه الكتاب فقالوا ألا ترون قوله آمنت بهذا ومالي لا أومن بهذا إنما عنى هذا الكتاب فاختلف بنو إسرائيل على بعض وبسبعين ملة وخير مللهم أصحاب ذي القرن قال عبد الله وإن من بقي منكم سيرى منكرا وبحسب أمرى يرى منكرا لا يستطيع أن يغيره أن يعلم الله من قبله أنه له كاره^١

البدعة احب الى ابليس من المعصية

* قال تعالى {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَّمٍ مِّنْ قَبْلِكَ فَآخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ} {42} فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بِأَسْنَانَ تَضَرُّعًا وَلَكِنْ قَسَّتْ قُلُوبُهُمْ وَرَزَّيَنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} {43} فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِرُوا بِهِ فَتَحَنَّا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرَحُوا بِمَا أُوتُوا أَخْذَنَاهُمْ بِعَنَّةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ} {44} فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} {45} {الأنعام 42-45} قال أمّة الإسلام كسفيان الثوري وغيره ان البدعة احب الى ابليس من المعصية لأن البدعة لا يتاب منها والمعصية يتاب منها ومعنى قولهم ان البدعة لا يتاب منها ان المبتدع الذي يتخذ ديننا لم يشرعه الله ولا رسوله قد زين له سوء عمله فرأه حسنا فهو لا يتوب ما دام يراه حسنا لأن اول التوبة العلم بأن فعله سيء ليتوب ويفعله بما دام يرى فعله حسنا وهو سيء في استحباب ليتوب ولكن التوبة منه ممكنة وواقعة بأن نفس الامر فانه لا يتوب ولكن التوبة منه ممكنة وواقعة بأن يهديه الله ويرشده حتى يتبين له الحق كما هدى سبحانه وتعالى من هدى من الكفار والمنافقين وطوائف من اهل البدع والضلال

وهذا يكون بأن يتبع من الحق ما علمه فمن عمل بما علم اورثه
الله علم ما لم يعلم كما قال تعالى {وَالَّذِينَ اهْنَدُوا زَادُهُمْ هُدًى
وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ} محمد¹

"إذا رأيت الله ينعم على العبد مع إقامته على معصيته فإنما هو استدرج يستدرج به"

*ما ينعم به الله على بعض الكفار والفساق من الرياسات والأموال في الدنيا فإنها إنما تصير نعمة حقيقة إذا لم تضر صاحبها في الآخرة ولها اختلاف أصحابنا وغيرهم من العلماء هل ما ينعم به على الكافر نعمة أم ليس بنعمة وإن كان الخلاف لفظيا قال الله تعالى {فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكْرُوا بِهِ فَتَحْنَاهُ عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخْذَنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ} الأنعام 44 وفي الحديث إذا رأيت الله ينعم على العبد مع إقامته على معصيته فإنما هو استدرج يستدرج به¹

الحمد أوسع العلوم الإلهية

*والحمد مقاص كل أمر ذى بال من مناجات الرب ومخاطبة العباد بعضهم بعضا والشهادة مقرونة بالحمد وبالتكبير فهى فى الأذان وفي الخطب خاتمة الثناء فتذكر بعد التكبير ثم يخاطب الناس بقول المؤذن حى على الصلاة حى على الفلاح وتذكر فى الخطب ثم يخاطب الناس بقول إما بعد وتنذكر فى التشهد ثم يتخير من الدعاء أعجبه إليه فالحمد والتوحيد مقدم فى خطابخلق للخالق والحمد له الإبتداء فإن الله لما خلق آدم عليه السلام أول ما أنطقه بالحمد فإنه عطس وقال الحمد لله رب العالمين فقال الله يرحمك ربك وكان أول ما نطق به الحمد وأول ما سمع من الله الرحمة وبه إفتح الله ألم القرآن والتشهد هو الخاتمة فأول الفاتحة الحمد لله وآخر ما للرب إياك نعبد وكذلك التشهد والخطب فيها التشهد بعد الفاتحة فإن يتضمن إليه الرب وهو أن يكون الرب هو المعبد هذا هو الغاية التى ينتهى

إِلَيْهَا أَعْمَلُ الْعِبَادَ وَ {لَوْ كَانَ فِيهِمَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا
 }الْأَنْبِيَاء٢٢ لكن قدم الحمد لأن الحمد يكون من الله ويكون
 من الخلق وهو باق في الجنة {وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
 الْعَالَمِينَ }يونس10 بخلاف العبادة فإن العبادة إنما تكون في
 الدنيا بالسجود ونحوه وتوحيده وذكره باق في الجنة ليهمه أهل
 الجنة كما يلهمهم النفس وهذه الأذكار هي من جنس الأقوال
 ليست من العبادات العملية كالسجود والقيام والإحرام والرب
 تعالى يحمد نفسه ولا يعبد نفسه فالحمد أوسع العلوم الإلهية
 والحمد يفتح به ويختتم به فالسنة لمن أكل وشرب أن يحمد الله
 وفي صحيح مسلم عن النبي أنه قال لك إن الله ليرضى عن
 العبد يأكل الأكلة فيحمه عليها ويشرب الشربة فيحمه عليها
 وقال تعالى {وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقَبِيلُ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ }
 الزمر75 وقال تعالى {فَقَطَعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ
 لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ }الأنعام45 وقال {وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ
 لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ }يونس10¹

* و في الصحيحين عن زيد بن خالد الجهنمي قال صلى بنا رسول
 الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح على أثر سماء كانت من
 الليل قال أتدرون ماذا قال ربكم قالوا الله و رسوله أعلم قال
 قال أصبح من عبادي مؤمن بي و كافر فمن قال مطرنا بفضل
 الله و رحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب و من قال مطرنا
 بنوء كذا و كذا فذاك كافر بي مؤمن بالكوكب و هذا كثير جدا
 في الكتاب والسنة يذم سبحانه من يضيق إنعامه إلى غيره و
 يشركه به قال بعض السلف هو كقوله كانت الريح طيبة و الملاح
 حاذقا ولهذا قرن الشكر بالتوحيد في الفاتحة و غيرها
 أولها شكر و أوسطها توحيد و في الخطب المشوعة لابد فيها من
 تحميد و توحيد و هذان هما ركن في كل خطاب ثم بعد ذلك يذكر
 المتalking من مقصوده ما يناسب من الأمر و النهي و الترغيب و
 الترهيب و غير ذلك و قوله لا إله إلا الله و حده لا شريك
 له له الملك و له الحمد يتضمن التوحيد و التحميد و كذلك كان

يقول عقب الصلاة لا إله إلا الله و لا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون و هو سبحانه يفتح خطابه بالحمد و يختتم الأمور بالحمد و أول ما خلق آدم كان أول شيء أنطقه به الحمد فإنه عطس فأنطقه بقوله الحمد لله فقال له يرحمك ربك يا آدم و كان أول ما تكلم به الحمد و أول ما سمعه الرحمة وهو يختتم الأمور بالحمد بقوله { وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } الزمر 75 { فَقُطِعَ دَأِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } الأنعام 45 { وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } يومنس 10 و هو سبحانه { لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأَوَّلِ وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } القصص 70 و التوحيد أول الدين و آخره فأول مادعا إليه الرسول صلى الله عليه وسلم شهادة أن لا إله إلا الله و قال أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدون أن لا إله إلا الله و قال لمعاذ إنك تأتي قوماً أهل الكتاب فليكن أول ماتدعوههم إليه شهادة أن لا إله إلا الله و أن محمداً رسول الله و ختم الأمر بالتوحيد فقال في الصحيح من روایة مسلم عن عثمان من مات و هو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة و في الحديث الصحيح من روایة مسلم عن أبي هريرة لقنا موتاكم لا إله إلا الله و في السنن من حديث معاذ من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة و في المسند إني لا علم كلمة لا يقولها عبد

حين الموت إلا و جد روحه لها روحها و هي الكلمة التي عرضها على عميه عند الموت فهو سبحانه جعل الليل و النهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد مشكور فيتذكر الآيات المثبتة للعلم و الإيمان فإذا عرف الآلة الله شكره على الآئمه و كلماهما متلازمان فالآيات و الآلاء متلازمان ما كان من الآلاء فهو من الآيات و ما كان من الآيات فهو من الآلاء و كذلك الشكر و التذكر متلازمان فإن الشاكر إنما يشكر بحمده و طاعته و فعل ما أمر به و ذلك إنما يكون بتذكر ما تدل عليه آياته من اسمائه و ممادحه و من أمره و نهيه فيثني عليه بالخير و يطاع في الأمر

هذا هو الشكر و لابد فيهما من التذكر و التذكرة إذا تذكر آياته عرف ما فيها من النعمة و الإحسان ففي آياته تعم المخلوقات كلها و هي خير و نعم و إحسان فكل مخالفه سبحانه فهو نعمة على عباده و هو خير وهو سبحانه بيده الخير والخير بيديه و في دعاء القنوت و نثني عليك الخير كله و في دعاء الاستفصال والخير بيديك و الشر ليس إليك¹

*فالصلوة في آخر القيام بعد الركوع يقول ربنا ولد الحمد ملء السماء وملء الأرض إلى قوله أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد وقوله أحق ما قال العبد خبر مبتدأ محفوظ أي هذا الكلام أحق ما قال العبد فتبين أن حمد الله و الثناء عليه أحق ما قاله العبد وفي ضمه توحيد له إذا قال ولد الحمد أي لك لا لغيرك و قال في آخره لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت وهذا يقتضي انفراده بالعطاء والمنع فلا يستعان الا به ولا يطلب الا منه ثم قال ولا ينفع ذا الجد منك الجد فتبين أن الإنسان وان أعطى الملك والغني والرئاسة فهذا لا ينجيه منك انما ينجيه اليمان والتقوى وهذا تحقيق قوله {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} الفاتحة⁵ فكان هذا الذكر في آخر القيام لأن ذكر أول القيام وقوله أحق ما قال العبد يقتضي ان يكون حمد الله أحق الاقوال بان ي قوله العبد وما كان احق الاقوال كان افضلها واجبها على الانسان ولهذا افترض الله على عباده في كل صلاة ان يفتحوها بقولهم {الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} الفاتحة² وامرهم ايضا ان يفتحوا كل خطبة بالحمد لله فامرهم ان يكون مقدما على كل كلام سواء كان خطابا للخلق او خطابا للمخلوق ولهذا يقدم النبي الحمد أمام الشفاعة يوم القيمة ولهذا أمرنا بتقديم الثناء على الله في التشهد قبل الدعاء وقال النبي كل امر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أخذم وأول من يدعى إلى الجنة الحمادون الذين يحمدون الله على السراء

والضراء وقوله {الْحَمْدُ لِلّٰهِ} الفاتحة ١ حمد مطلق فان الحمد اسم جنس والجنس له كمية وكيفية فالثناء كميته وتكبره وتعظيمه كيفيته^١

*وقال تعالى {فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } الأنعام 45 فان الله سبحانه اخبر ان له الحمد وانه حميد مجيد وان له الحمد في الاولى والآخرة وله الحكم ونحو ذلك من انواع المhammad و الحمد نوعان حمد على احسانه الى عباده وهو من الشكر وحمد لما يستحقه هو بنفسه من نعوت كماله وهذا الحمد لا يكون الا على ما هو في نفسه مستحق للحمد وانما يستحق ذلك من هو متصف بصفات الكمال وهي امور وجودية فان الامور العدمية المحسنة لا حمد فيها ولا خير ولا كمال وملعون ان كل ما يحمد فانما يحمد على ماله من صفات الكمال فكل ما يحمد به الخلق فهو من الخالق والذى منه ما يحمد عليه هو أحق بالحمد فثبت انه المستحق للمhammad الكاملة وهو احق من كل محمود بالحمد والكمال من كل كامل وهو المطلوب^١

الله سبحانه يسوى بين المتماثلين ويفرق بين المختلفين

قوله تعالى { قُلْ أَرَأَيْتُكُمْ إِنْ أَتَّاكُمْ عَذَابُ اللّٰهِ بَعْثَةً أَوْ جَهَرَةً هُنْ بِهُنْكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ } الأنعام 47 فإنه سبحانه إذا حكم في الأمور المتماثلة بحكم فإن ذلك لا ينتقض ولا يتبدل ولا يتحول بل هو سبحانه لا يفوّت بين المتماثلين وإذا وقع تغيير فذلك لعدم التمايز وهذا القول أشبه بأصول الجمهور القائلين بالحكمة في الخلق والأمر وأنه سبحانه يسوى بين المتماثلين ويفرق بين المختلفين كما دل القرآن على هذا في مواضع قوله تعالى {أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ } القلم 35 ومن هذا الباب صارت قصص المتقدمين عبرة لنا ولو لا القياس واطراد فعله وسننته لم

يصح الإعتبار بها والإعتبار إنما يكون إذا كان حكم الشيء حكم نظيره كالأمثال المضروبة في القرآن وهي كثيرة^١

التوحيد والإيمان بالرسل متلازمان

*أن التوحيد والإيمان بالرسل متلازمان وكذلك الإيمان باليوم الآخر هو والإيمان بالرسل متلازمان فالثلاثة متلازمة ولهذا يجمع بينها في مثل قوله {وَلَا تَتَبَعَ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ } الأنعام150 ولهذا أخبر أن الذين لا يؤمنون بالآخرة مشركون فقال تعالى {وَإِذَا ذُكِّرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَرَتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ } الزمر45 وأخبر عن جميع الأشقياء ان الرسل انذرتهم باليوم الآخر كما قال تعالى { كُلُّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَالَّهُمْ حَزَنَّهَا أَلْمٌ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ }8 قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وفتنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير }9 و قالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير }10 فاعتبر فروا بذنبهم فسحقا لأصحاب السعير }11 الملك8-11 فأخبر ان الرسل انذرتهم وانهم كذبوا بالرسالة وقال تعالى {وَسَيِّقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمِراً حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فُتُحِتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ حَزَنَّهَا أَلْمٌ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَتْلُوُنَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقاءَ يَوْمَكُمْ هَذَا فَالْلَّوْ بَلَى } الزمر71 فأخبر عن اهل النار انهم قد جاءتهم الرسالة وانذروا باليوم الآخر وقال تعالى {وَيَوْمَ يُحْشَرُونَ جَمِيعاً يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدْ اسْتَكْثَرْتُمْ مِّنَ الْإِنْسَنِ وَقَالَ أَوْلِيَاءُهُمْ مِّنَ الْإِنْسَنِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعْ بِعَضْنَا بِعَضْنَ وَبَلَغْنَا أَجْلَنَا الَّذِي أَجَلْنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَأُكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنْ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ }128 و كذلك نولي بعض الطالمين بعضاً بما كانوا يكسبون }129 يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسَنِ أَلْمٌ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقْصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقاءَ يَوْمَكُمْ هَذَا قَالُوا شَهَدْنَا عَلَى أَنفُسِنَا وَغَرَّنَا حَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهَدُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ }130 الأنعام128-130 فأخبر عن جميع الجن والانس

ان الرسل بلغتهم رسالة الله وهى آياته وأنهم انذروهم اليوم الآخر وكذا قال { قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا } 103 { الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } 104 { الكهف 103-104 الى قوله } أَوْلَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَاءِ } 105 { الكهف 105 فأخبر انهم كفروا بآياته وهى رسالته وبلقائه وهو اليوم الآخر وقد اخبر ايضا فى غير موضع بأن الرسالة عمت بني آدم وان الرسل جاءوا مبشرين ومنذرين كما قال تعالى { إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِّيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مَنْ مِنْ أَمَّةٍ إِلَّا خَلَّ فِيهَا نَذِيرٌ } فاطر 24 وقال تعالى { إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْنَا نُوحٌ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ بَعْدِهِ } النساء 163 الى قوله { وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا }

حَكِيمًا } 165 { النساء 165 وقال تعالى { وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } 48 { وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمْسُهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَعْسُفُونَ } 49 { الانعام 48-49 فأخبر ان من آمن بالرسل واصلح من الأولين والآخرين فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون¹

* والرسل هم وسائل بين الله وبين خلقه في تبليغ رسالته وامرها ونهيه ووعده ووعيده كما قال تعالى { وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ } 48 { الأنعام 48 } وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ } الكهف 56 وقال { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا } 45 { وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِنْهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا } 46 { الأحزاب 45-46 فأخبر انه ارسله شاهدا كما قال { لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ } الحج 78 وقال { فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أَمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هُؤُلَاءِ شَهِيدًا } النساء 41 وقال { وَكَذَّلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أَمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا } البقرة 143 ولما دفن النبي صلى الله عليه وسلم شهداء احد قال اما انا فشهيد على هؤلاء وقوله مبشر ونذيرا بالوعد والوعيد وداعيا الى الله باذنه بالامر والنهى¹

*أن الله يرسل الرسل إلى الناس تأمرهم و تنهىهم يرسلهم مبشرين و منذرين كما قال تعالى {وَمَا نُرِسِّلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا
مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ} **الأنعام** 48 يذرون الذين أساوا عقوبات أعمالهم و يبشرون الذين آمنوا و عملوا الصالحات بالنعم المقيم و {أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا} 2 {مَا كِتَبْنَا فِيهِ أَبْدًا} 3 **الكهف** 3-2¹

قرن الصلاح والاصلاح بالايامان

*قرن الصلاح والاصلاح بالايامان في مواضع كثيرة كقوله تعالى {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} **البقرة** 82 {فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} **الأنعام** 48 و معلوم أن الايمان أفضل الاصلاح وأفضل العمل الصالح كما جاء في الحديث الصحيح أنه قيل يا رسول الله أى الأعمال أفضل قال ايمان بالله¹

*فإن الله أمر بالصلاح ونهى عن الفساد وبعث رسله بتحصيل المصالح و تكميلها و تعطيل المفاسد و تقليلها {وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُقْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ} **الأعراف** 142 وقال شعيب {إِنْ أَرِيدُ إِلَّا الإِصْلَاحَ مَا
اسْتَطَعْتُ} **هود** 8 و قال تعالى {فَمَنْ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} **الأعراف** 35 و قال تعالى {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ} 11 {أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ} 12 **البقرة** 11-12¹

ان الله لم يعلق وعد الجنة الا باسم الايمان

*فإن الله لم يعلق وعد الجنة الا باسم الايمان لم يعلقه باسم الإسلام مع إيجابه الاسلام و اخبره أنه دينه الذي ارتضاه وأنه لا يقبل دينا غيره ومع هذا فما قال ان الجنة أعدت للمسلمين ولا قال وعد الله المسلمين بالجنة بل انما ذكر ذلك باسم الايمان كقوله {وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارَ} **التوبه** 72 فهو يعلقها باسم الايمان المطلق أو المقيد

بالعمل الصالح كقوله {فَمَنْ أَمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} الأنعام 48 والآيات في هذا المعنى كثيرة فالوعد بالجنة والرحمة في الآخرة وبالسلامة من العذاب علق باسم الإيمان المطلق والمقييد بالعمل الصالح ونحو ذلك وهذا كما تقدم أن المطلق يدخل فيه فعل ما أمر الله به ورسوله ولم يعلق باسم الإسلام فلو كان من اتي من الإيمان بما يقدر عليه وعجز عن معرفة تفاصيله قد يسمى مسلماً لا مؤمناً لكان من اهل الجنة وكانت الجنة يستحقها من يسمى مسلماً وإن لم يسم مؤمناً وليس الأمر كذلك بل الجنة لم تتعلق إلا باسم الإيمان وهذا أيضاً مما يستدل به من قال إنه ليس كل مسلم من المؤمنين الموعودين بالجنة اذ لو كان الأمر كذلك لكان وعد الجنة معلقاً باسم الإسلام كما علق بإسم الإيمان وكما علق بإسم التقوى واسم البر في مثل قوله {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ} المرسلات 41 وقوله {إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ} المطففين 22 وباسم أولياء الله كقوله {أَلَا إِنَّ أُولَئِكَ اللَّهُ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} 62} الذين آمنوا و كانوا يتَّقُونَ {63} لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تُبْدِلُ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ العظيم {64} يونس 62-64 فلما لم يجر إسم الإسلام هذا المجرى علم أن مسماه ليس ملازماً لمسمى الإيمان كما يلزم اسم البر والتقوى وأولياء الله وأن إسم الإسلام يتناول من هو من أهل الوعيد وإن كان الله يثبته على طاعته مثل أن يكون في قلبه إيمان ونفاق يستحق به العذاب فهذا يعاقبه الله ولا يخلده في النار لأن في قلبه مثقال ذرة أو أكثر من مثقال ذرة من إيمان¹

إذا ذكر حكمة للفعل لم يلزم أن لا تكون له حكمة أخرى

* قال تعالى {وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} 48} والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون {49} الانعام 48-49

ومعلوم أنه لم يبعث لمجرد الإنذار بل وليس من آمن به ولأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر وتحليل الطبيات وتحريم الخبائث وغير ذلك من مقاصد الرسل وفي ذلك حكم أخرى ومثل ذلك كثير في كلام الله عز وجل وغير كلام الله إذا ذكر حكمة للفعل لم يلزم أن لا تكون له حكمة أخرى لكن لا بد لتصحص تلك الحكمة بالذكر في ذلك الموضع من مناسبتها وهذا كالمناسبة في قوله {لِتُنذِرَ قَوْمًا مَا أَنذَرَ آباؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ} يس 6 فإن هؤلاء كانوا أول المنذرين وأحقهم بالإذار فكان في تخصيصهم بالذكر فائدة لا أنه خصم لانتقاء إنذار من سواهم

الحكمة من قوله {ولَا خُوفٌ عَلَيْهِمْ}

*فإن انتقاء الخوف علة تقضى انتقاء ما يخافه ولها قال {
ولَا خُوفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} البقرة 62 لم يقل لا يخافون
فهم لا خوف عليهم وإن كانوا يخافون الله ونفي عنهم أن يحزنوا
لأن الحزن إنما يكون على ماض فهم لا يحزنون بحال لا في
القبر ولا في عرصات القيامة بخلاف الخوف فإنه قد يحصل لهم
قبل دخول الجنة ولا خوف عليهم في الباطن كما قال تعالى
{أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} 62 {الذين
آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ} 63 {يونس 62- 63}¹

المتبعون للرسل هم المهدتون

*فإن الخلق لا يعلمون ما يحبه الله ويرضاه وما أمر به وما نهى عنه وما أده لأوليائه من كرامته وما وعده به أعداءه من عذابه ولا يعرفون ما يستحقه الله تعالى من اسمائه الحسنى وصفاته العليا التي تعجز العقول عن معرفتها وأمثال ذلك الا بالرسل الذين أرسلهم الله الى عباده فالمؤمنون بالرسل المتبعون لهم هم المهدتون الذين يقربهم لديه زلفى ويرفع درجاتهم ويكرمهم فى الدنيا والآخرة وأما المخالفون للرسل فإنهم ملعونون وهم عن ربهم ضالون محظوظون قال ابن عباس تكفل الله لمن قرأ

القرآن وعمل بما فيه أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة
وقال تعالى {وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ
وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ بَخْزُنُونَ} 48 {وَالَّذِينَ كَذَّبُوا
بِإِيمَانِنَا يَمْسُهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُدُونَ} 49 {الأنعام-48-49}^١

العلم والقدرة والغنى لا تصلح على وجه الكمال الا لله

وَهُدَى

* صفات الكمال ترجع إلى ثلاثة العلم والقدرة والغنى وان شئت ان تقول العلم والقدرة اما على الفعل وهو التأثير وإما على الترك وهو الغنى والأول اجود وهذه الثلاثة لا تصلح على وجه الكمال الا لله وحده فانه الذى احاط بكل شيء علما وهو على كل شيء قدير وهو غنى عن العالمين وقد امر الرسول ان يبرأ من دعوى هذه الثلاثة بقوله {فَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَرَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبَعَ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ} {الأنعام-50} وكذلك قال نوح عليه السلام {وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَرَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ} هود 31 فهذا أول أولى العزم واول رسول بعثه الله تعالى إلى أهل الأرض وهذا خاتم الرسل وخاتم أولى العزم كلامها يتبرأ من ذلك وهذا لأنهم يطالبون الرسول تارة بعلم الغيب بقوله {وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} الأنبياء 38 و {يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي} {الأعراف-187} وتارة بالتأخير بقوله {وَقَالُوا لَنِ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجِرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَتْبُوْعاً} 90 أو تكون لك جنة من نخيل و عناب فتفجر الأنهاار خلالها تفجيرها 91 أو سقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بـ الله والملايكه قبيلا 92 أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقبك حتى تنزل علينا كتابا نقرره قل سبحان ربى هل كنت إلا بشرا رسولا 93 الإسراء 90-93 وتارة بعييون عليه الحاجة البشرية بقوله {وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ

وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا {7} 8-
 أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا {8} الفرقان 7
 فأمره ان يخبر انه لا يعلم الغيب ولا يملك خزائن الله ولا هو ملك
 غنى عن الاكل والمال إن هو الا متبع لما اوحى اليه واتباع ما
 اوحى اليه هو الدين وهو طاعة الله وعبادته علما وعملا بالباطن
 والظاهر وانما ينال من تلك الثلاثة بقدر ما يعطيه الله تعالى
 فيعلم منه ما علمه اياه ويقدر منه على ما اقدره الله عليه ويستغنى
 بما اغناه الله عنه من الامور المخالفة للعادة المطردة او لعادة
 غالب الناس¹

أن يقال الخوارق ثلاثة أنواع منها ما هو من جنس الغناء عن
 الحاجات البشرية ومنها ما هو من جنس العلم الخارج عن قوى
 البشر ومنها ما هو من جنس المقدورات الخارجة عن قدرة
 البشر ولهذا قال نوح عليه السلام وهو أول رسول أرسله الله إلى
 أهل الأرض {فَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي حَرَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ
 وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ } الأنعام 50 فالغناء من جنس الاستغناة
 عن الأكل والشرب مدة والعلم من جنس الإخبار عن الغيوب
 والقدرة من جنس الأفعال الشاقة ببدنه والتصرف في العناصر
 بالاستحالة والزلزلة ونحو ذلك¹

من يزعم ان نبي او شخص ما ينطبق علمه على علم الله تعالى فان هذا كفر صريح

*إذا كان فى الزمان رجل هو أفضل أهل الزمان فتسميته
 بالقطب الغوث الجامع بدعة ما أنزل الله بها من سلطان ولا
 تكلم بهذا أحد من سلف الأمة وأئمتها وما زال السلف يظنون فى
 بعض الناس أفضل أو من أفضل أهل زمانه ولا يطلقون عليه
 هذه الأسماء التى ما أنزل الله بها من سلطان لا سيما أن من
 المنتهلين لهذا الإسم من يدعى أن أول الأقطاب هو الحسن بن
 على بن أبي طالب رضى الله عنهمما ثم يتسلل الأمر إلى ما دونه
 إلى بعض مشايخ المتأخرین وهذا لا يصح على مذهب أهل السنة

ولا على مذهب الراافضة فain ابو بكر وعمر وعثمان وعلى السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والحسن عند وفاة النبي صلى الله عليه وآلـه وسلم كان قد قارب سن التمييز والإحتلام وقد حكى عن بعض الأكابر من الشيوخ المنتحليـن لهذا أن القطب الفرد الغوث الجامـع ينطبق علمـه على علم الله تعالى وقدرته على قدرة الله تعالى فيعلم ما يعلـمـه الله ويقدر على ما يقدر عليه الله وزعم أن النبي صلى الله عليه وآلـه وسلم كان كذلك وإن هذا إنـتـقل عنه إلى الحسن وتسلـسلـ إلى شـيخـه فـيـبيـنـتـ أنـهـ كـفـرـ صـرـيـحـ وجـهـلـ قـبـيـحـ وإنـ دـعـوىـ هـذـاـ فـيـ رـسـوـلـ اللهـ صـلـيـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ كـفـرـ دـعـ ماـ سـواـهـ وـقـدـ قـالـ اللهـ تـعـالـيـ {قـلـ لـأـ أـقـوـلـ لـكـمـ عـنـديـ خـزـائـنـ اللهـ وـلـأـ عـلـمـ الـغـيـبـ وـلـأـقـوـلـ لـكـمـ إـنـيـ مـلـكـ إـنـيـ مـلـكـ إـنـ تـبـعـ إـلـاـ مـاـ يـوـحـيـ إـلـيـ} الأنـعامـ 50 وـقـالـ تـعـالـيـ {قـلـ لـأـ أـمـلـكـ لـنـفـسـيـ نـفـعاـ وـلـأـ ضـرـاـ إـلـاـ مـاـ شـاءـ اللهـ وـلـوـ كـنـتـ أـعـلـمـ الـغـيـبـ لـأـسـتـكـرـتـ مـنـ الـخـيـرـ وـمـاـ مـسـنـيـ السـوـءـ} الأـعـرـافـ 188

* وهذا قاله نوح عليه السلام أول الرسـلـ {وـلـأـقـوـلـ لـكـمـ عـنـديـ خـزـائـنـ اللهـ وـلـأـ عـلـمـ الـغـيـبـ وـلـأـقـوـلـ لـكـمـ إـنـيـ مـلـكـ إـنـ تـبـعـ إـلـاـ مـاـ يـوـحـيـ إـلـيـ} الأنـعامـ 50 وهذا ونحوه يتضمن اعترافـهـ بأنهـ عبدـ اللهـ وـرـسـوـلـ مـنـ اللهـ لاـ يـتـعـدـيـ حدـ الرـسـالـةـ وـلـاـ يـدـعـيـ المـشارـكـةـ فـيـ
الـأـلوـهـيـةـ¹

* قال تعالى {قـلـ لـأـقـوـلـ لـكـمـ عـنـديـ خـزـائـنـ اللهـ وـلـأـ عـلـمـ الـغـيـبـ وـلـأـقـوـلـ لـكـمـ إـنـيـ مـلـكـ إـنـ تـبـعـ إـلـاـ مـاـ يـوـحـيـ إـلـيـ} الأنـعامـ 50 فـانـ الـأـمـرـ كـلـهـ
¹ اللهـ

دـعـاءـ المـيـتـ وـالـغـائـبـ وـالـاستـغـاثـةـ بـهـ مـنـ عـبـادـاتـ الـضـالـيـنـ

*والشيوخ الذين يقتدى بهم يدلون عليه ويرشدون اليه بمنزلة الأئمة في الصلاة يصلون ويصلى الناس خلفهم وبمنزلة الدليل الذي للحاج هو يدخلهم على البيت وهو وهم جمیعاً يحجون إليه ليس لهم من الالهية نصيب بل من جعل لهم شيئاً من ذلك فهو من جنس النصارى المشركين الذين قال الله في حقهم {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانِهِمْ أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ أَبْنَى مَرْيَمَ وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} التوبة 31 وقد قال نوح عليه السلام {وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَرَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ خَرَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ} هود 31 وهكذا امر الله محمداً ان يقول {قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَتْكُمْ إِلَيَّ مَا يُوَحَّى إِلَيَّ قُلْ هُنَّ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ} الأنعام 50 فليس لأحد أن يدعو شيخاً ميتاً أو غائباً بل ولا يدعوه ميتاً ولا غائباً لا من الأنبياء ولا غيرهم فلا يقول لأحد هم يا سيدي فلان أنا في حسبك او في جوارك ولا يقول بك استغثت وبك استجير ولا يقول إذا عثر يا فلان ولا يقول محمد وعلى ولا السيدة نفيسة ولا سيدي الشيخ احمد ولا الشيخ عدى ولا الشيخ عبدالقادر ولا غير ذلك ولا نحو ذلك مما فيه دعاء الميت والغائب ومسألته والاستغاثة به والاستئثار به بل ذلك من افعال المشركين وعبادات الضالين ومن المعلوم ان سيد الخلق محمد وقد ثبت في صحيح البخاري ان الناس لما اجدبوا استسقى عمر بالعباس وقال اللهم إنا إذا اجدبنا توسلنا إليك بنبينا فتسقينا وانا نتوسل بعم بنينا فاسقنا فيسوقون فكانوا في حياة النبي يتتوسلون بدعائه وشفاعته لهم كما يتتوسل به الناس يوم القيمة ويستفسرون به إلى ربهم فيأخذن الله له في الشفاعة فيشفع لهم إلا ترى الله يقول {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ} البقرة 255 وقال تعالى {قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شُرُكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّنْ ظَهِيرٍ} 22 ولا تنفع الشفاعة عندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذْنَ لَهُ

{23} سبأ 22-23 فبين سبحانه ان المخلوقات كلها ليس لأحد منها شيء في الملك ولا له شريك فيه ولا له ظهير اى معين لله تعالى كما تعاون الملوك وبين ان الشفاعة عنده لا تنفع الا لمن اذن له واذا كان يوم القيمة يجيء الناس إلى آدم ثم نوح ثم ابراهيم ثم موسى ثم عيسى فيطلبون الشفاعة منهم فلا يشفع لهم احد من هؤلاء الذين هم سادة الخلق حتى يأتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فيأتي ربه فيحمده بمحامد ويسجد له فإذا اذن له في الشفاعة شفع لهم بهذه حال هؤلاء الذين هم أفضل الخلق كيف غيرهم فلما مات النبي لم يكونوا يدعونه ولا يستغفرون به ولا يطلبون منه شيئاً لا عند قبره ولا بعيداً من قبره بل ولا يصلون عند قبره ولا قبل غيره لكن يصلون ويسلمون عليه ويطیعون امره ويتبعون شريعته ويقومون بما احبه الله تعالى من حق نفسه وحق رسوله وحق عباده المؤمنين فانه قال لا تطروني كما اطرت النصارى عيسى بن مریم فانما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله وقال اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد

1

الاستقامة في اتباع ما أمر

* ان الكلمات الجوامع التي في القرآن تتضمن امثال المأمور به والوعيد على المعصية بتراكه مثل قوله تعالى لنبيه {فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغُوْا} هود:112 وقال {فَلَذِلْكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعَ أَهْوَاءَهُمْ} الشورى:15 وقال {قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} 14 {قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} 15 الأنعام:14-15 وقال {قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ} 11 {وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ} 12 الزمر:11-12 وقال {قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَرَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَتْكُمْ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ

الأنعام 50 وقال {وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمُ اللَّهُ
وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ } يونس 109 وقال {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي
مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَبَعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ
الأنعام 153 الى أمثل هذه النصوص التي يوصى فيها باتباع ما
أمر ويبين أن الاستقامة في ذلك وأنه لم يأمر إلا بذلك وأنه ان
ترك ذلك كان عليه العذاب ونحو ذلك مما يبين ان اتباع الامر
أصل عام وان اجتناب المنهي عنه فرع خاص ١

الرد على احتجاجهم بان الملائكة افضل

* وَهَا نَحْنُ نَذِكِرُ مَا احْتَجَوْا بِهِ قَوْلَهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ {قُلْ لَا أَقُولُ
لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي
مَلَكٌ} الْأَنْعَامُ 50 وَمِثْلُهُ هُودٌ {وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا
أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ} هُود١٣ فَإِلَيْهِ احْتِاجَ فِي هَذَا مِنْ
وَجْهِهِ أَحَدُهَا أَنَّهُ قَرْنَ استقرار خزائنه وَعِلْمُ الْغَيْبِ بِنَفْيِ الْقَوْلِ
بِأَنَّهُ مَلَكٌ وَسَلَبَهَا عَنْ نَفْسِهِ فِي نِسْقٍ وَاحِدٍ فَإِذَا كَانَ حَالٌ مِنْ يَعْلَمُ
الْغَيْبِ وَيَقْدِرُ عَلَى الْخَزَائِنِ أَفْضَلُ مِنْ حَالٍ مِنْ لَا يَكُونُ كَذَلِكَ
وَجْبٌ أَنْ يَكُونَ حَالُ الْمَلَكِ أَفْضَلُ مِنْ حَالٍ مِنْ لِيْسَ بِمَلَكٍ وَإِنْ
كَانَ نَبِيًّا كَمَا فِي الْآيَةِ وَثَانِيَهَا أَنَّهُ إِنَّمَا نَفَى عَنْ نَفْسِهِ حَالًا
أَعْظَمُ مِنْ حَالِهِ الثَّابِتَةِ وَلَمْ يَنْفِ حَالًا دُونَ حَالِهِ لَأَنَّ مِنْ اتَّصَفَ
بِالْأَعْلَى فَهُوَ عَلَى مَا دَوْنَهُ أَقْدَرٌ عَلَى أَنْ حَالُ الْمَلَكِ أَفْضَلُ مِنْ
حَالِهِ أَنْ يَكُونَ مَلَكًا وَهُوَ الْمَطْلُوبُ وَثَالِثُهَا مَا ذَكَرَ الْفَاضِلُ أَنَّهُ
لَوْلَا مَا اسْتَقَرَ فِي نُفُوسِ الْمَخَاطِبِينَ مِنْ أَنَّ الْمَلَكَ أَعْظَمُ لِمَا حَسَنَ
مُواجِهَتِهِمْ بِسَلْبِ شَيْءٍ هُوَ دُونَ مَرْتَبِهِ وَهَذَا إِلَيْهِ اعْتِقَادُ الذِّي كَانَ
فِي نُفُوسِ الْمَخَاطِبِينَ أَمْرٌ قَرَرُوا عَلَيْهِ وَلَمْ يَنْكِرُهُ عَلَيْهِمْ فَبَيْتُ أَنَّهُ
حَقُّ الْجَوَابِ مِنْ وَجْهِهِ أَحَدُهَا أَنَّهُ نَفَى أَنْ يَكُونَ عَالِمًا
بِالْغَيْبِ وَعِنْهُ خَزَائِنُ اللَّهِ وَنَفَى أَنْ يَكُونَ مَلَكًا لَا يَأْكُلُ وَلَا يَشْرُبُ
وَلَا يَتَمْتَعُ وَإِذَا نَفَى ذَلِكَ عَنْ نَفْسِهِ لَمْ يَجِدْ أَنْ يَكُونَ الْمَلَكَ أَفْضَلَ
مِنْهُ أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَوْ قَالَ وَلَا أَنَا كَاتِبٌ وَلَا أَنَا قَارِئٌ لَمْ يَدْلِ عَلَى
أَنَّ الْكَاتِبَ وَالْقَارِئَ أَفْضَلُ مِنْهُ لِمَا يَكُونُ بِكَاتِبٍ وَلَا قَارِئٌ فَلَمْ يَكُنْ

في الآية حجة وأيضاً ما قال القاضي أنهم طلبوا صفات الألوهية وهي العلم والقدرة والغنا وهي ان يكون عالماً بكل شيء قديراً على كل شيء غنياً عن كل شيء فسلب عن نفسه صفات الألوهية ولهذا قالوا {مَالْ هَذَا الرَّسُولُ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ} الفرقان 7 وقال تعالى محتاجاً عنه {وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ} الفرقان 20 فكانهم أرادوا منه صفة الملائكة أن يكون متلبساً بها فإن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون والبشر لهم أجواب يأكلون ويسربون فكان الأمر إلى هذه الصفة وهذا بين أن شاء الله وثانيها أن الآخر أكمل في أمر من الأمور ففى عن نفسه حال الملك في ذلك ولم يلزم أن يكون له فضيلة يمتاز بها وقد تقدم مثل هذا فيما ذكر من حال الملك وعظمته وأنه ليس للبشر من نوعه مثله ولكن لم لا قلت من غير نوعه للبشر ما هو أفضل منه ولهذا إذا سئل الإنسان عما يعجز عنه قد يقول لست بملك وإن كان المؤمن أفضل من حال الجن والملك من الملوك وثالثها أن أقصى ما فيه تقضيل الملك في تلك الحال ولو سلم بذلك لم ينف أن يكون فيما بعد أفضل من الملك ولهذا تزيد قدرته وعلمه وغناه في الآخرة وهذا كما لو قال الصبي لا أقول أني شيخ ولا أقول أني عالم ومن الممكن ترقيه إلى ذلك وأكمل منه¹

مدح الله انواع العلم واسبابه وكماله

* قال تعالى {قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنِّي خَرَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبَعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هُنْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَقَرَّرُونَ } الأنعام 50 قد مدح الله العلم والعقل والفقه وهذا كثير في القرآن يأمر ويمدح التفكير والتدبر والتذكر والنظر والاعتبار والفقه والعلم والعقل والسمع والبصر والنطق ونحو ذلك من انواع العلم واسبابه وكماله ويذم اضداد ذلك¹

بعثت الرسل ليكون الدين كله لله

*وقال الله تعالى {وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشِرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلَيُّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ } الأنعام 51
 وقال الله تعالى {مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيهِ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُوْنُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكُنْ كُوْنُوا رَبَّانِيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ } 79 { وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمُلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّنَ أَرْبَابًا أَيًّا أَمْرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ } 80 {ال عمران 79-80 والله تعالى بعث الرسل وانزل الكتب ليكون الدين كله لله وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح أنا عشر الانبياء ديننا واحد فالدين واحد وان تفرقوا الشرعة والمنهاج قال الله تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ } الأنبياء 25¹

مقتضيات محبة الله ورسوله

*محبة الله ورسوله وعباده المتقين تقتضى فعل محبوباته وترك مكروهاته والناس يتفضلون في هذا تقاضلاً عظيماً فمن كان اعظم نصيباً من ذلك كان اعظم درجة عند الله وما من احب شخصاً لهواه مثل ان يحبه لدنيا يصيبيها منه او لحاجة يقوم له بها او لمال يتأكله به او بعصبية فيه ونحو ذلك من الاشياء وهذه ليست محبة الله بل هذه محبة لهوى النفس وهذه المحبة هي التي توقع اصحابها في الكفر والفسق والعصيان وما اكثر من يدعى حب مشائخ الله ولو كان يحبهم الله لاطاع الله الذي احبهم لاجله فان المحبوب لاجل غيره تكون محبته تابعة لمحبة ذلك الغير وكيف يحب شخصاً الله من لا يكون محب الله وكيف يكون محب الله من يكون معرضاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

وسبيل الله وما أكثر من يحب شيوخاً أو ملوكاً وغيرهم فيتذذهم
انداداً يحبهم كحب الله والفرق بين المحبة لله والمحبة مع الله
ظاهرة فأهل الشرك يتذذون انداداً يحبونهم كحب الله والذين
امنوا اشد حباً لله واهل الایمان يحبون وذلك ان اهل الایمان
اصل حبهم هو حب الله ومن احب الله احب من يحبه الله ومن
احبه الله احب الله فمحبوب المحبوب محبوب الله يحب الله فمن
احب الله احبه الله فيحب من احب الله واما اهل الشرك
فيتذذون انداداً وشفعاء يدعونهم من دون الله قال الله تعالى
(ولَقَدْ حُنْثَمُونَا فُرَادَى كَمَا حَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةً وَتَرَكْتُمْ مَا حَوَّلْنَاكُمْ
وَرَاءَ ظُهُورَكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيْكُمْ
شُرَكَاءَ لَقَدْ تَقْطَعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَرْعُمُونَ) الأنعام 94
وقال الله تعالى (وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ
تُرْجَعُونَ) 22 {أَتَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ الْهَمَةَ إِنْ يُرِدُنَ الرَّحْمَنَ بِضُرٍّ لَّا
تُعْنِ عَنِي شَفَا عَنْهُمْ شَيْئاً وَلَا يُنْقَذُونَ} 23 {إِنِّي إِذَا لَفِي ضَلَالٍ
مُّبِينٍ} 24 {إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونَ} 25 {يس 22-25 وقال
الله تعالى (وَأَنِذْرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشِرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ
لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) الأنعام 151

إذا سألت فسائل الله وإذا استعنت فاستعن بالله

* وتوحيد الله وإخلاص الدين له في عبادته واستعانته في القرآن
كثير جداً بل هو قلب الإيمان وأول الإسلام وأخره كما قال النبي
صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا
إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وقال إنني لأعلم كلمة لا
يقولها عند الموت أحد إلا وجد روحه لها روحها وقال من
كان آخر كلامه لا إله إلا الله وجبت له الجنة وهو قلب الدين
والإيمان وسائر الأعمال كالجوارج له وقول النبي إنما
الأعمال بالنيات وإنما لكل أمري ما نوى فمن كانت هجرته إلى
الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا
يصيبها أو إمرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر اليه فبين بهذا

أن النية عمل القلب وهي أصل العمل وإخلاص الدين الله وعبادة الله وحده ومتابعة الرسول فيما جاء به هو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وهو دين الإسلام العام الذي بعث الله به جميع الرسل كما قال تعالى {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} النحل 36 وقال النبي لمعاذ بن جبل يا معاذ أتدري ما حق الله على عباده قلت الله ورسوله أعلم قال حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك أن لا يعذبهم وقال لابن عباس إذا سألت فاسئل الله وإذا استعن بالله وقال تعالى {وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيُّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} الأنعام 51 فالولي الذي يتولى أمرك كله والشفيع الذي يكون شافعاً فيه أى عوناً فليس للعبد دون الله من ولى يستقل ولا ظهير معين¹

الشرك نوعان

*فهذا أصل عظيم على المسلم أن يعرفه فإنه أصل الإسلام الذي يتميز به أهل الإيمان من أهل الكفر وهو الإيمان بالوحدانية والرسالة شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وقد وقع كثير من الناس في الإخلال بحقيقة هذين الأصلين أو أحدهما مع ظنه أنه في غاية التحقيق والتوحيد والعلم والمعرفة فإقرار المشرك بأن الله رب كل شيء وملكيه وخالقه لا ينجيه من عذاب الله ان لم يقرنه به اقراره بأنه لا اله الا الله فلا يستحق العبادة أحد الا هو وأن محمدا رسول الله فيجب تصديقه فيما أخبر وطاعته فيما أمر فإنه سبحانه أخبر عن المشركين كما تقدم بأنهم أثبتوا وسائل بينهم وبين الله يدعونهم ويختذلونهم شفعاء بدون اذن الله قال تعالى {وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيُّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} الأنعام 51¹

*فإن المشركين لم يكن أحد منهم يقول إن العالم له خالقان ولا إن الله معه إله يساويه في صفاتيه هذا لم يقله أحد من المشركين بل

كانوا يقرون بأن خالق السموات والأرض واحد كما أخبر الله عنهم بقوله {قُلْ لَمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} 84
 سَيَقُولُونَ اللَّهُ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} 85 {قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ
 وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ} 86 {سَيَقُولُونَ اللَّهُ قُلْ أَفَلَا تَتَقَوَّنَ} 87 {قُلْ
 مَنْ بِيَدِهِ مَلْكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُحِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ
 تَعْلَمُونَ} 88 {سَيَقُولُونَ اللَّهُ قُلْ فَإِنِّي شَحِرُونَ} 89
 المؤمنون 84-89 وكانوا يتخدون آهتهم وسائل تقربهم إلى الله
 زلفى وتشفع لهم كما قال تعالى {وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ
 يُحْشِرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقَوْنَ
 } الأنعام 151

* ولا قال احد قط من الادميين ان كوكبا من الكواكب او ان
 الشمس والقمر ابدعت السموات كلها ولا يقول هذا عاقل بل عباد
 الشمس والقمر والكواكب يعبدونها كما يعبد عباد الاصنام
 للاصنام وكما يعبد عباد الانبياء والصالحين لهم ولتماثيلهم وكما
 يعبدون اخرون الملائكة وآخرون يعبدون الجن لما يرجون
 عبادتها من جلب منفعة او دفع مضره لا لاعتقادهم انها خلقت
 العالم بل قد يجعلونها شفاء ووسائل بينهم وبين رب
 العالمين كما قال تعالى {وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ
 وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هُؤُلَاءِ شُفَاعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَتْبِعُونَ اللَّهَ بِمَا لَا
 يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ} يومنس 18 وقال تعالى {
 وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أُولَئِيَّةَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيَقْرُبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى
 } الزمر 3 وقال تعالى {وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشِرُوا
 إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ} الأنعام 150 وقال
 تعالى {أَنْ تُبَسَّلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ
 وَلَا شَفِيعٌ} الأنعام 70 وقال تعالى {الَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ
 وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ
 مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} السجدة 4 والشفاعة
 التي اخبرت بها الرسل هي ان يأذن الله للشفعي فيكون
 الامر كله الله كما قال تعالى {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا

{بِإِذْنِهِ} البقرة 255 وقال { وَلَا يَسْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى
الأنبياء 28 وهذا بخلاف ما اتخذ المشركون من الشفاعة¹

* أن الشرك نوعان شرك في ربوبيته بأن يجعل لغيره معه تدبير
إما كما قال سبحانه { قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ رَأَيْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا
يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا
مِنْ شَرْكٍ وَمَا لَهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ } سبا 22 فبين أنهم لا يملكون
مثقال ذرة استقلالا ولا يشركونه في شيء من ذلك ولا يعينونه
على ملكه ومن لم يكن مالكا ولا شريكا ولا عونا فقد انقطعت
علاقته وشرك في الأولوية بأن يدعوه غيره دعاء عبادة أو
دعاء مسألة كما قال تعالى { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } 5
الفاتحة فكما أن إثبات المخلوقات أسباب لا يندرج في توحيد
الربوبية ولا تمنع أن الله خالق كل شيء ولا توجب أن يدعى
مخلوق دعاء عبادة أو دعاء استغاثة كذلك إثبات بعض الأفعال
المحرمة من شرك أو غيره أسبابا لا يندرج في توحيد الإلهية ولا
يمنع أن يكون الله هو الذي يستحق الدين الخالص ولا يوجب أن
 تستعمل الكلمات والأفعال التي فيها شرك إذ كان الله يسخط ذلك
ويعاقب العبد عليه وتكون مضره ذلك على العبد أكثر من منفعته
إذ قد جعل الله الخير كله في أنا لا نعبد إلا إياه ولا نستعين إلا إياه
وعمامة آيات القرآن تثبت هذا الأصل الأصيل حتى إنه سبحانه
قطع أثر الشفاعة بدون إذنه كقوله سبحانه { وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ
يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلَيُ وَلَا شَفِيعٌ
لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ } الأنعام 151¹

* فمن اعتقاد أنه لا بد من واسطة في جلب المنافع ودفع المضار
مثل أن يكون واسطة في رزق العباد ونصرهم وهداهم يسألونه
ذلك ويرجون إليه فيه فهذا من أعظم الشرك الذي كفر الله به
المشركين حيث اتخذوا من دون الله أولياء وشففاء يجتلبون بهم
المنافع ويجتنبون المضار لكن الشفاعة لمن يأذن الله له فيها

حتى قال {وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشِرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} {الأنعام 51}

* الدين الذى بعث الله به رسلاه وأنزل به كتبه هو عبادة الله وحده لا شريك له وإستعانته والتوكيل عليه ودعاؤه لجلب المنافع ودفع المضار كما قال تعالى { تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ }1 { إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لِهِ الدِّينِ }2 { أَلَا إِنَّهُ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أُولَئِكَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقْرِبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْلِفُونَ }3 الزمر-3 و قال تعالى { قُلِ اذْعُوا الَّذِينَ رَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلُكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا }56 { أَوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ بِيَتَّغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيْهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا }57

الاسراء 56-57 قالت طائفة من السلف كان أقوام يدعون المسيح وعزيرا والملائكة قال الله تعالى هؤلاء الذين تدعونهم عبادى كما أنتم عبادى ويرجون رحمتى كما ترجون رحمتى ويخافون عذابى كما تخافون عذابى ويتقربون إلى كما تتقربون إلى فإذا كان هذا حال من يدعوا الأنبياء والملائكة فكيف بمن دونهم وقال تعالى {أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أُولَئِكَ إِنَّا أَعْنَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا } الكهف 102 وقال تعالى {قُلِ اذْعُوا الَّذِينَ رَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلُكُونَ مِنْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شُرُكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ }22 { وَلَا تَنْقَعُ الشَّفَاعَةَ عِنْهُ إِلَّا لِمَنْ أَذْنَ لَهُ }23 سبا 22-23 فيبين سبحانه أن من دعى من دون الله من جميع المخلوقات من الملائكة والبشر وغيرهم أنهم لا يملكون مثقال ذرة في ملكه وأنه ليس له شريك في ملكه بل هو سبحانه له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وأنه ليس له عون يعاونه كما يكون للملك أعوان وظباء وإن الشفاعة عنده لا يشفعون إلا من إرتضى فنفي بذلك وجوه الشرك وذلك أن من يدعون من دونه إما أن يكون مالكا وإما أن لا يكون مالكا وإذا لم يكن مالكا

فاماً أن يكون شريكاً وإماً أن لا يكون شريكاً وإذا لم يكن شريكاً فاماً يكون معاوناً وأماً أن يكون سائلاً طالباً فالأقسام الأولى الثلاثة وهي الملك والشركة والمساعدة منتفية وأما الرابع فلا يكون إلا من بعد إذنه كما قال تعالى {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفُعُ عَنْهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ} البقرة 255 وقال تعالى {وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْسِرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} الأنعام 1⁵¹

الشفاعة نوعان

* وقال تعالى {قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلُكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا} 56 {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيْهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَةَ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا} 57 الآراء 56-57 قال طائفة من السلف كان أقوام يدعون الملائكة والأنبياء فقال الله تعالى هؤلاء الذين تدعونهم هم عبادى كما أنتم عبادى يرجون رحمتى كما ترجون رحمتى ويخافون عذابى كما تخافون عذابى ويتقربون الى كما يتقربون الى فنھى سبحانه عن دعاء الملائكة والأنبياء مع اخباره لنا أن الملائكة يدعون لنا ويستغفرون ومع هذا فليس لنا أن نطلب ذلك منهم وكذلك الأنبياء والصالحون وان كانوا أحيا في قبورهم وان قدر انهم يدعون للأحياء وان وردت به آثار فليس لأحد أن يطلب منهم ذلك ولم يفعل ذلك أحد من السلف لأن ذلك ذريعة الى الشرك بهم وعبادتهم من دون الله تعالى بخلاف الطلب من أحدتهم في حياته فإنه لا يفضي الى الشرك ولأن ما تفعله الملائكة ويفعله الأنبياء والصالحون بعد الموت هو بالامر الكوني فلا يؤثر فيه سؤال السائلين بخلاف سؤال أحدهم في حياته فإنه يشرع اجابة السائل وبعد الموت انقطع التكليف عنهم قال تعالى {وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْسِرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} الأنعام 51 وقال تعالى {مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيهِ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ

يَقُولُ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِينَ بِمَا
 كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ {79} وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ
 تَتَخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّنَ أَرْبَابًا أَيًّا مُرْكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ
 مُسْلِمُونَ {80} آل عمران 79-80 فبين سبحانه أن من اتخذ
 الملائكة والنبيين أربابا فهو كافر فالشفاعة نوعان أحدهما
 الشفاعة التي نفاه الله تعالى كالتى أثبته المشركون ومن
 ضاهاهم من جهل هذه الأمة وضلالهم وهى شرك والثانى
 أن يشفع الشفيع بإذن الله وهذه التي أثبته الله تعالى لعباده
 الصالحين ولهذا كان سيد الشفعاء إذا طلب منه الخلق الشفاعة
 يوم القيمة يأتي ويسجد قال فأحمد ربى بمحمد يفتحها على لا
 أحسنها الآن فيقال أى محمد ارفع رأسك وقل يسمع وسل تعطه
 واسفع تشفع فإذا أذن له فى الشفاعة شفع لمن أراد الله أن يشفع
 فيه¹

*في التوحيد فإن اليهود شبهوا الخالق بالخلق فيما يختص
 بالخلق وهو صفات النقص الذي يجب تنزيهه رب عنها
 والنصارى شبهوا المخلوق بالخالق فيما يختص بالخالق وهو
 صفات الكمال التي لا يستحقها إلا الله تبارك تعالى والنصارى
 يصفون المخلوق بما يتصرف به الخالق فيجعلونه رب العالمين
 خالق كل شيء ومليكه الذي هو بكل شيء عليم وعلى كل شيء
 قدير واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن
 مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إليها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما
 يشرون واتخذوا الملائكة والنبيين أربابا وصوروا تماثيل
 المخلوقات واتخذوهم شفعاء يشفعون لهم عند الله كما فعل عباد
 الأولئك كما قال الله تعالى

{وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضْرُرُهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هُؤُلَاءِ
 شُفَاعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَنْبَيُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي
 الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشَرِّكُونَ } يوں 18 ولهذا قال
 تعالى {وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُخْسِرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ

لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ } الأنعام 51

وال المسلمين و سط يصفون الله بما وصف به نفسه و وصفه به رسله من غير تحرير ولا تعطيل ولا تكليف ولا تمثيل يصفونه بصفات الكمال و ينزعونه عن الناقص التي تتمتع على الخالق ولا يتصل بها إلا المخلوق فيصفونه بالحياة والعلم والقدرة والرحمة والعدل والإحسان و ينزعونه عن الموت والنوم والجهل والعجز والظلم والفناء و يعلمون مع ذلك أنه لا مثيل له في شيء من صفات الكمال فلا أحد يعلم كعلمه ولا يقدر كقدرته ولا يرحم كرحمته ولا يسمع كسمعه ولا يبصر كبصره ولا يخلق كخلقه ولا يستوي كاستواه ولا يأتي كإتيانه ولا ينزل كنزاوله¹

* فمشركون العرب والنصارى والمبتدعون من المسلمين ونحوهم من يقول إن الله فاعل مختار فإن هؤلاء يثبتون شفيعاً يشفع إلى الله فيقضى حاجته وجعلوا شفيعهم من جنس الذي شفع عند الملوك فأبطل الله سبحانه وتعالى ذكر ذلك وكفر من أثبت هذه الشفاعة¹

الشفاعة المنافية في القرآن

* وأن كل من دعى من دون الله لا يملك الشفاعة فإن المالك للشيء هو الذي يتصرف فيه بمشيئته وقدرته والرب تعالى لا يشفع أحد عنده إلا بإذنه فلا يملك أحد من المخلوقين الشفاعة بحال ولا يقال في هذا إلا بإذنه إنما يقال ذلك في الفعل فيقال من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه وأما في الملك فلا يمكن أن يكون غيره مالكا لها فلا يملك مخلوق الشفاعة بحال ولا يتصور أن يكوننبي فمن دونه مالكا لها بل هذا ممتنع كما يمتنع أن يكون خالقاً ورباً ولهذا لما نفي الشفعاء من دونه نفاهم نفيها مطلقاً بغير استثناء وإنما يقع الاستثناء إذا لم يقيدهم بأنهم من دونه كما قال تعالى {وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ } الأنعام 51 وكما قال تعالى { وَذَكَرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا

مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ } الْأَنْعَامُ 70 وَكَمَا قَالَ تَعَالَى {
 مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ } السَّجْدَةُ 4
 فَلَمَا قَالَ مِنْ دُونِهِ نَفِيَ الشَّفاعةُ مُطْلَقاً وَإِذْ ذُكِرَ بِإِذْنِهِ لَمْ يَقُلْ مِنْ
 دُونِهِ كَوْلَهُ { مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عَنْهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ } الْبَقْرَةُ 255
 وَقَوْلُهُ { إِنَّمَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ اذْنِهِ } يُونُسُ 3 فَمِنْ تَدْبِيرِ
 الْقُرْآنِ تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى { اللَّهُ تَرَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثَ كِتَاباً
 مُتَسَابِهاً مَثَانِيَ تَقْسِعُرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلَيْنُ
 جُلُودُهُمْ وَفُلُوْبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ
 وَمَنْ يُضْلِلَ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ } الزَّمْرُ 23

فَالشَّفاعةُ الْمَنْفِيَةُ فِي الْقُرْآنِ كَوْلُهُ تَعَالَى { يَوْمَ يَأْتِي تَوْيِلُهُ يَقُولُ
 الَّذِينَ نَسُواهُ مِنْ قَبْلٍ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شَفَاعَةٍ
 فَيَشْفَعُونَا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَعَمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ } الْأَعْرَافُ 53
 وَأَمْثَالُ ذَلِكَ وَاحْتَاجَ بِكَثِيرٍ مِنَ الْخَوَارِجِ وَالْمُعْتَزَلَةِ عَلَى مَنْعِ
 الشَّفاعةَ لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ إِذْ مَنْعَوْا أَنْ يَشْفَعَ لَمَنْ يَسْتَحِقَ الْعَذَابَ أَوْ أَنْ
 يَخْرُجَ مِنَ النَّارِ مِنْ يَدِهِا وَلَمْ يَنْفُوا الشَّفاعةَ لِأَهْلِ الثَّوَابِ فِي
 زِيَادَةِ الثَّوَابِ وَمَذَهَبِ سَلْفِ الْأُمَّةِ وَأَنْتَمُهَا وَسَائِرِ أَهْلِ السَّنَةِ
 وَالْجَمَاعَةِ إِثْبَاتِ الشَّفاعةِ لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ وَالْقُولُ بِأَنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ
 النَّارِ مِنْ قَلْبِهِ مُتَقَلِّلًا ذَرَّةً مِنْ إِيمَانِهِ وَأَيْضًا فِي الْأَحَادِيثِ
 الْمُسْتَفِيَضَةِ عَنِ النَّبِيِّ فِي الشَّفاعةِ فِيهَا اسْتِشْفَاعٌ أَهْلُ الْمَوْقَفِ
 لِيُقْضَى بَيْنَهُمْ وَفِيهِمُ الْمُؤْمِنُ وَالْكَافِرُ وَهَذَا فِيهِ وَعْ شَفاعةَ لِلْكُفَّارِ
 وَأَيْضًا فِي الصَّحِيحِ عَنِ الْعَبَاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَنَّهُ قَالَ يَا
 رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَفَعَتْ أَبَا طَالِبٍ بْشَيْءٍ فَإِنَّهُ يَحْوِطُكَ وَيَغْضِبُ لَكَ
 قَالَ نَعَمْ هُوَ فِي ضَحْضَاحِ مِنْ نَارٍ وَلَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ
 الْأَسْفَلُ مِنَ النَّارِ وَعَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ قَالَ سَعَتِ الْعَبَاسُ
 يَقُولُ قَلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبَا طَالِبٍ كَانَ يَحْوِطُكَ وَيَنْصُرُكَ فَهَلْ
 نَفَعَهُ ذَلِكَ قَالَ نَعَمْ وَجَدْتُهُ فِي غُمَرَاتِ نَارٍ فَأَخْرَجْتُهُ إِلَى
 ضَحْضَاحِ وَعَنِ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ
 اللَّهِ ذَكَرَ عَنْهُ عَمِهِ أَبُو طَالِبٍ فَقَالَ لَعَلَهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ
 الْقِيَامَةِ فَيَجْعَلُ فِي ضَحْضَاحِ مِنَ النَّارِ يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ يَغْلِي مِنْهُ دَمَاغُهِ

فهذا نص صحيح صريح لشفاعته في بعض الكفار أن يخفف عنه العذاب بل في أن يجعل أهون أهل النار عذابا كما في الصحيح أيضا عن ابن عباس أن رسول الله قال أهون أهل النار عذابا أبو طالب وهو منتعل بنعلين يغلى منها دماغه وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن أدنى أهل النار عذابا منتعل بنعلين من نار يغلى دماغه من حرارة نعليه وعن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله يقول إن أهون أهل النار عذابا يوم القيمة لرجل يوضع في أحوض قدميه جمرتان يغلى منها دماغه وعنده قال قال رسول الله إن أهون أهل النار عذابا من له نعلان وشراكان من نار يغلى منها دماغه كما يغلى المرجل ما يرى أن أحدا أشد منه عذابا وإنه لأهونهم عذابا وهذا السؤال الثاني يضعف جواب من تأول نفي الشفاعة على الشفاعة للكفار وإن الظالمين هم الكافرون فيقال الشفاعة المنافية هي الشفاعة المعروفة عند الناس عند الإطلاق وهي أن يشفع الشفيع إلى غيره ابتداء فيقبل شفاعته فأما إذا أذن له في أن يشفع فشفع لم يكن مستقلا بالشفاعة بل يكون مطينا له أى تابعا له في الشفاعة وتكون شفاعته مقبولة ويكون الأمر كله للأمر المسؤول وقد ثبت بنص القرآن في غير آيه أن أحدا لا يشفع عنده إلا بإذنه كما قال تعالى {من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه} البقرة 255 وقال {يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قوله طه 109 وقال {ولا يشفعون إلا لمن ارتضى} الأنبياء 28 وأمثال ذلك والذى يبيّن أن هذه هي الشفاعة المنافية أنه قال {وأنذر به الذين يخالفون أن يُحشرُوا إلى ربِّهم ليس لهم مِنْ دُونِهِ وَلَا شَفِيعٌ لَّهُمْ يَتَّقُونَ} الأنعام 51 وقال تعالى {اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِنَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِّنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ} السجدة 4 فأخبر أنه ليس لهم من دون الله ولد ولا شفيع وأما نفي الشفاعة بدون إذنه فإن الشفاعة إذا كانت بإذنه لم تكن من دونه كما أن الولاية

التي بإذنه ليست من دونه كما قال تعالى {إِنَّمَا وَلِيُكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقْيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ} 55 وَمَن يَبْوَلَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ} 56 المائدة 55-56 وأيضاً فقد قال {أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوْلَوْ كَانُوا لَا يَمْلُكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ} الزمر 43 {أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوْلَوْ كَانُوا لَا يَمْلُكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ} 43 قُلْ اللَّهُ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} 44 الزمر 44-43 فذم الذين اتخذوا من دون الله شفاعة وأخبر أن الله الشفاعة جميعاً فعلم أن الشفاعة منقية عن غيره إذ لا يشفع أحد إلا بإذنه وتلك فهى له وقد قال {وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَصْرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَنْتُبُوْنَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} يوئس 18 يوضح ذلك أنه نفي يومئذ الخلة بقوله {مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا يَبْيَعُ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الطَّالِمُونَ} البقرة 254 و معلوم أنه إنما نفى الخلة المعروفة ونفعها المعروف كما ينفع الصديق الصديق في الدنيا كما قال {وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ} 17 ثمَّ ما أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ} 18 يوم لا تملك نفسُ لنفسٍ شيئاً والأمرُ يومئذ لله} 19 الانفطار 17-19 وقال {إِلَيْنَا يَوْمُ التَّلَاقِ} 15 يوم هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ} 16 غافر 16 لم ينف أن يكون في الآخرة خلة نافعة بإذنه فإنه قد قال {هُنَّ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةُ أَنْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} 66 الأخلاقي يومئذ بعضهم ليغضض عدو إلا المنافقين} 67 يا عباد لَا خُوفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ} 68 الزخرف 66-68 الآيات وقد قال النبي يقول الله تعالى حق محبتي للمتحابين في ويقول الله تعالى أين المتحابون بجلالى اليوم أظلمهم في ظلى يوم لا ظل إلا ظلى فتعين أن الأمر كله عائد إلى تحقيق التوحيد وأنه لا ينفع أحد ولا

يضر الا بإذن الله وأنه لا يجوز أن يعبد أحد غير الله ولا يستعن به من دون الله وأنه يوم القيمة يظهر لجميع الخلق أن الأمر كله لله ويتبرأ كل مدع من دعوه الباطلة فلا يبقى من يدعى لنفسه معه شركا في ربوبيته أو الهيته ولا من يدعى ذلك لغيره بخلاف الدنيا فإنه وإن لم يكن رب ولا الله إلا هو فقد اتخذ غيره ربا والها وادعى مدعون وفي الدنيا يشفع الشافع عند غيره وينتفع بشفاعته وإن لم يكن أذن له في الشفاعة ويكون خليله فيعينه ويفتنى نفسه من الشر فقد ينتفع بالنفوس والأموال في الدنيا والنفوس ينتفع بها تارة بالاستقلال وتارة بالإعانة وهي الشفاعة والأموال بالفداء فنفي الله هذه الأقسام الثلاثة قال تعالى {لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَدُ مِنْهَا عَدْلٌ} البقرة 48 وقال {لَا يَبْيَعُ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ} البقرة 254 كما قال {لَا يَجْزِي وَالدُّ عنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٌ عَنْ وَالدِّهِ شَيْئًا} لقمان 33 فهذا هذا والله أعلم وعاد ما نفاه الله من الشفاعة إلى تحقيق أصلى الإيمان وهي الإيمان با الله وبال يوم الآخر التوحيد والمعاد كما قرر بينهما في مواضع كثيرة قوله {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ} البقرة 8 وقوله {الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ} البقرة 156 وقوله {مَا خَلَقْنَاهُمْ وَلَا بَعْثَرْنَاهُمْ إِلَّا كَنْفُسَ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} لقمان 28 وقوله {وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَنَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} البقرة 28 وأمثال ذلك¹

* ان الله سبحانه وتعالى نفى الشفاعة التي يثبتها أهل الشرك ومن شابههم من أهل البدع من أهل الكتاب والمسلمين الذين يظنون أن للخلق عند الله من القدر أن يشفعوا عنده بغير إذنه كما يشفع الناس بعضهم عند بعض فيقبل المشفع إليه شفاعة شافع ل حاجته إليه رغبة ورهبة وكما يعامل المخلوق المخلوق بالمعاوضة فالمشركون كانوا يتخذون من دون الله شفعاء من

الملائكة والأنبياء والصالحين ويصورون تماثيلهم فيستشفعون بها ويقولون هؤلاء خواص الله فحن نتوسل إلى الله بدعائهم وعبادتهم ليشفعوا لنا كما يتوسل إلى الملوك بخواصهم لكونهم أقرب إلى الملوك من غيرهم فيشفعون عند الملوك بغير إذن الملوك وقد يشفع أحدهم عند الملك فيما لا يختاره فيحتاج إلى إجابة شفاعته رغبة وريبة فأنكر الله هذه الشفاعة فقال تعالى {وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَئِنْ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} الأنعام 51 وقال تعالى {وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هُؤُلَاءِ شَفَاعَوْنَآ عِنْدَ اللَّهِ فَنَّ اتَّبَعُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشَرِّكُونَ} 18 يونس

فهذه الشفاعة التي أثبّتها المشركون للملائكة والأنبياء والصالحين حتى صوروا تماثيلهم وقالوا استشفاعنا بتماثيلهم استشعّ بهم وكذلك قصدوا قبورهم وقالوا نحن نستشعّ بهم بعد مماتهم ليشفعوا لنا إلى الله وصوروا تماثيلهم فعبدوه كذلك وهذه الشفاعة أبطلها الله ورسوله وذم المشركين عليها وكفرهم بها قال الله تعالى عن قوم نوح {وَقَالُوا لَا تَدْرُنَّ إِلَهَكُمْ وَلَا تَدْرُنَّ وَدًا وَلَا سُواعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعْوَقَ وَنَسْرًا} 23 {وَقَدْ أَضْلَلُوا كَثِيرًا} 24 نوح 23-24

قال بن عباس وغيره هؤلاء قوم صالحون كانوا في قوم نوح فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم فعبدوه وهذا مشهور في كتب التفسير والحديث وغيره كالبخاري وغيره وهذه أبطلها النبي وحسم مادتها وسد ذريتها حتى لعن من إتّخذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد يصلّى فيها وإن كان المصلى فيها لا يستشعّ بهم ونهى عن الصلاة إلى القبور وأرسل على بن أبي طالب فأمره أن لا يدع قبراً مشرفاً إلا سواه ولا تمثلاً إلا طمسه ومحاه ولعن المصورين وعن أبي الهياج الأسدى قال لى على بن أبي طالب لأبعنك على ما بعثني رسول الله إلا تدع تمثلاً إلا طمسه ولا قبراً مشرفاً إلا سويته وفي لفظ ولا صورة إلا طمستها أخرجه مسلم¹

الشفاعة التي نفها القرآن مطلقاً ما كان فيها شرك

*وقال تعالى {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَنْتُمُ السَّاعَةُ أَغْيَرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} 40 {بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْسِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ} 41 الأنعام 40-41

وكذلك قوله {اللَّهُ خَيْرٌ مَمَّا يُشْرِكُونَ} 59 {أَمْنٌ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَإِنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَانبَتَنَا بِهِ حَادِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُتْبِعُوا شَجَرَهَا أَلَّهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدُلُونَ} 60 الأنعام 60

أَمْنٌ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَّهُ مَعَ اللَّهِ} 61 النمل 59-61 أى الله مع الله فعل هذا وهذا استفهام انكار وهم مقرون بأنه لم يفعل هذا الله آخر مع الله ومن قال من المفسرين ان المراد هل مع الله الله آخر فقد غلط فانهم كانوا يجعلون مع الله آلهة أخرى كما قال تعالى {أَنْتُمْ لَتَشْهُدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلَّهُ أُخْرَى قُلْ لَا أَسْهُدُ} الأنعام 19

وقال تعالى {فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ أَلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ} 101 هود 101 وقال تعالى عنهم {أَجَعَلَ الْآلَهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ} ص 5 وكانوا معترفين بأن آلهتهم لم تشارك الله في خلق السموات والأرض ولا خلق شيء بل كانوا يتخذونهم شفعاء ووسائل كما قال تعالى {وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هُوَ لَاءُ شَفَاعَوْنَأَنَّ اللَّهَ يُونس 18 وقال عن صاحب يس {وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الدِّيْنِ فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} 22 آل عمران 22

{يُرِدُنَ الرَّحْمَنَ بِضُرٍّ لَا ثُغْنَ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِدُونَ} يس 23-22 وقال تعالى {وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشِرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَهُمْ يَتَّقُونَ} آل عمران 51 وقال تعالى {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ أَفَلَا تَتَكَبَّرُونَ} السجدة 4 وقال {قُلْ اذْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا

فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شُرُكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَاهِرٍ {22} وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْهُ إِلَّا لِمَنْ أَذْنَ لَهُ {23} } سباء 22-23 فنفي عما سواه كل ما يتعلق به المشركون فنفي أن يكون لغيره ملك أو قسط من الملك أو يكون عونا لله ولم يبق إلا الشفاعة فيبين أنها لا تنجي إلا لمن أذن لها رب كما قال تعالى { مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ } البقرة 255 وقال تعالى عن الملائكة { وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرْتَضَى } الأنبياء 28 وقال { وَكُمْ مَنْ مَلَكْ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذِنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى } النجم 26 بهذه الشفاعة التي يظنها المشركون هي منقية يوم القيمة كما نفاحتها القرآن وأما ما أخبر به النبي أنه يكون فأخبر أنه يأتي فيسجد لربه ويحمده لا يبدأ بالشفاعة أولاً فإذا سجد وحمد ربه بمحمد يفتحها عليه يقال له أى محمد ارفع رأسك وقل تسمع وسل تعط واسمع تشفع فيقول أى رب أمتى فيحد له حدا فيدخلهم الجنة وكذلك في الثانية وكذلك في الثالثة وقال له أبو هريرة من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيمة قال من قال لا الله إلا الله خالصا من قبله فتلك الشفاعة هي لأهل الأخلاص باذن الله ليست لمن أشرك بالله ولا تكون إلا باذن الله وحقيقة ان الله هو الذي يتفضل على أهل الأخلاص والتوحيد فيغفر لهم بواسطة دعاء الشافع الذي أذن له أن يشفع ليكرمه بذلك وينال به المقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون كما كان في الدنيا يستسقى لهم ويدعوا لهم وتلك شفاعة منه لهم فكان الله يجيب دعاءه وشفاعته وإذا كان كذلك فالظلم ثلاثة أنواع فالظلم الذي هو شرك لا شفاعة فيه وظلم الناس بعضهم بعضاً لا بد فيه من اعطاء المظلوم حقه لا يسقط حق المظلوم لا بشفاعة ولا غيرها ولكن قد يعطي المظلوم من الظلم كما قد يغفر لظلم نفسه بالشفاعة فالظلم المطلق ما له من شفيع مطاع وأما الموحد فلم يكن ظالماً مطلقاً بل هو موحد مع ظلمه لنفسه وهذا إنما نفعه في الحقيقة أخلاصه لله فبه صار من أهل الشفاعة ومقصود

القرآن بنفي الشفاعة نفي الشرك وهو أن أحدا لا يعبد إلا الله ولا يدع غيره ولا يسأل غيره ولا يتوكى على غيره لا في شفاعة ولا غيرها فليس له أن يتوكى على أحد في أن يرزقه وإن كان الله يأتيه برزقه بأسباب كذلك ليس له أن يتوكى على غير الله في أن يغفر له ويرحمه في الآخرة وإن كان الله يغفر له ويرحمه بأسباب من شفاعة وغيرها فالشفاعة التي نفاحتها القرآن مطلقا ما كان فيها شرك وتلك منتفية مطلقا ولهذا ثبتت الشفاعة باذنه في مواضع وتلك قد بين الرسول أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والأخلاق فهي من التوحيد ومستحقها أهل التوحيد¹

لا يتقدم أحد عند الله بسلطانه وماليه ولا بذله وفقره

* كان سعد وابن مسعود وصهيب وبلال وغيرهم من المستضعفين وطلب المشركون من النبي صلى الله عليه وسلم طردهم فنهاه الله عن ذلك وأنزل {وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَذْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاءِ وَالْعَشَيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَقَطَرُدُهُمْ فَقَنُونَ مِنَ الطَّالِمِينَ} 52 {وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَيَقُولُوا أَهُؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمُ بِالشَّاكِرِينَ} 53 {الأنعام 52-53} وقوله {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَذْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاءِ وَالْعَشَيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَكَ عَنْهُمْ ثُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطْعِ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا} الكهف 28 وقال في المستضعفين من المؤمنين {إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ} 29 {وَإِذَا مَرُوا بِهِمْ يَتَغَامِرُونَ} 30 {وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَيْ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِنَ} 31 {وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هُؤُلَاءِ أَضَالُونَ} 32 {وَمَا أَرْسَلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ} 33 {فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ} 34 {عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظَرُونَ} 35 {المطففين 29-34} وقال {زُينَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْ فَوْقُهُمْ يَوْمُ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِعِنْدِ حِسَابٍ} البقرة 212

وقال {وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رَجًا يَعْرُفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا
 مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمِيعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ شَتَّاكُرُونَ} 48 أَهُولَاءِ الَّذِينَ
 أَقْسَمْنَاهُمْ لَا يَنْأِلُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ
 تَحْزَنُونَ} 49 {الْأَعْرَافِ 48-49} وقال {وَقَالُوا مَا لَنَا لَا
 نَرَى رَجًا كَيْنَانَا نَعْدُهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ} 62 {أَتَخَذَنَا هُمْ سِخْرِيًّا أَمْ
 زَاغْتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارِ} 63 {ص 62-63} وقال عن قوم نوح
 {قَالُوا أَنَّوْمِنْ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذُلُونَ} {الشِّعْرَاءُ 111} وقال تعالى
 {فَقَالَ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مُّثْنَا وَمَا
 نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُنَا بِإِدَيِ الرَّأْيِ} {هُودٌ 27} وقال عن
 قوم صالح {قَالَ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضْعَفُوا
 لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا
 أُرْسَلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ} 75 {قالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالذِي آمَنْتُمْ بِهِ
 كَافِرُونَ} 76 {الْأَعْرَافِ 75-76} وفي الصحيحين أن هرقل
 سأله أبو سفيان بن حرب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
 أشراف الناس اتباعوه أم ضعفاً لهم قال بل ضعفاً لهم قال هم أتباع
 1 الرسل

* وأما قوله {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاءِ
 وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ} الكهف 28 فهي عامة فيمن متناوله هذا
 الوصف مثل الذين يصلون الفجر والعصر في جماعة فانهم
 يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه وأمر الله نبيه بالصبر
 مع عباده الصالحين الذين يريدون وجهه والا تعد عيناه عنهم
 تزيد زينة الحياة الدنيا وهذه الآية في الكهف وهي سورة مكية
 وكذلك الآية التي في سورة الأنعام {وَلَا تَطْرُدُ الَّذِينَ يَدْعُونَ
 رَبَّهُمْ بِالْغَدَاءِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ
 شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدُهُمْ فَتَكُونُ مِنْ
 الظَّالِمِينَ} الأنعام 52 وقد روى أن هاتين الآيتين نزلتا في
 المؤمنين المستضعفين لما طلب المتكبرون ان يبعدهم النبي عنه
 فنهاه الله عن طرد من يريد وجه الله وان كان مستضعفا ثم امره
 بالصبر معهم وكان ذلك قبل الهجرة الى المدينة لكن هي متناوله

لكل من كان بهذا الوصف والمقصود بذلك ان يكون مع المؤمنين المتقين الذين هم أولياء الله وان كانوا فقراء ضعفاء ولا يتقدم أحد عند الله بسلطانه وماليه ولا بذلك وفقره وإنما يتقدم عنده بالإيمان والعمل الصالح فنهى الله نبيه ان يطيع أهل الرياسة والمال الذين يريدون بإبعاد من كان ضعيفاً أو فقيراً وامره ان لا يطرد من كان منهم يريد وجهه وان يصبر نفسه معهم في الجماعة التي امر فيها بالاجتماع بهم كصلة الفجر والعصر ولا يطيع امر الغافلين عن ذكر الله المتبعين لأهوائهم¹

* كان النبي وخلفاؤه يعدلون بين المسلمين غنيهم وفقيرهم في امورهم ولما طلب بعض الأغنياء من النبي ابعاد الفقراء نهاه الله عن ذلك وأثنى عليهم بأنهم يريدون وجهه فقال {وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ} الأنعام 52 الآية وقال {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ} الكهف 28 ولما طلب بعض الفقراء من النبي مالا يصلح له نهاه عن ذلك وقال يا أبا ذر انى اراك ضعيفاً وانى احب لك ما احب لنفسى لاتأمرن على اثنين ولا تولين مال يتيم¹

الارادة هي الفارقة بين اهل الجنة واهل النار

* فإن الحى لابد له من اراده فلا يمكن حيا أن لا تكون له إرادة فإن الإرادة التي يحبها الله ورسوله ويأمر بها أمر إيجاب أو أمر إستحباب لا يدعها إلا كافر أو فاسق أو عاص إن كانت واجبة وإن كانت مستحبة كان تاركها تاركاً لما هو خير له والله تعالى وصف الأنبياء والصديقين بهذه الإرادة فقال تعالى {وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاءِ وَالْعَشِّيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ } الأنعام 52¹

* واما كون الانسان مریداً لما امر به او كاره له فهذا لا تلتقيت اليه الشرائع بل ولا امر عاقل بل الانسان ماموراً بمخالفته هوه و الارادة هي الفارقة بين اهل الجنة واهل النار كما قال تعالى {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلَنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ

لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَدْمُومًا مَدْحُورًا {18} وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا {19} {الإِسْرَاءُ 18-19}

وقال تعالى {تَلَكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ تَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُواً فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً} القصص 83 وقال تعالى {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَهَا نُوفٌ إِلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُنْخَسِّنُونَ} هود 15 الآية وقال تعالى {وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاءِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ} {الأنعام 52} ¹

* أن سبيل الله يحمد فيه الزهد فيما زهد الله فيه من فضول الدنيا فتحمد فيه الرغبة والإرادة لما حمد الله إرادته والرغبة فيه ولهاذا كان أساس الطريق الإرادة كما قال تعالى {وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاءِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ} {الأنعام 52}

الصلوة والدعاء فيها إرادة وجه الله

* فإن الصلاة فيها إرادة وجه الله كما قال تعالى {وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاءِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ} {الأنعام 52} أي يصلون صلاة الفجر والعصر والداعى يقصد ربه ويريده ف تكون القلوب في هذه الأشياء مريدة لربها محبة له¹

* وقد فسر هذا الدعاء بصلاتى الفجر والعصر ولما أخبر أنهم يريدون وجهه بهاتين الصلاتين¹

الزهد الشرعي و الرغبة الشرعية

* الزهد خلاف الرغبة يقال فلان زاهد في كذا وفلان راغب فيه و الرغبة هي من جنس الإرادة فالزهد في الشيء إنتفاء الإرادة له أما مع وجود كراحته وإنما مع عدم الإرادة والكرابة بحيث لا يكون لا مریدا له ولا كارها له وكل من لم يرغب في الشيء ويريد ف فهو زاهد فيه وكما أن سبيل الله يحمد فيه الزهد فيما زهد الله فيه من فضول الدنيا فتحمد فيه الرغبة والإرادة لما حمد الله إرادته والرغبة فيه ولهاذا كان أساس

الطريق الإرادة كما قال تعالى {وَلَا تَطْرُدُ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ
بِالْغَدَاءِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ} الأنعام 52 وقال تعالى
{وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانُوا
سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا} الإسراء 19 ونظائره متعددة

كما رغب في الزهد ودمضده في قوله {من كان يريد
الحياة الدنيا وزينتها نُوفِّ إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يُنْخَسُونَ
}15 {أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ}16 هود 15-16
وقال تعالى {الْهَامُكُ التَّكَاثُرُ}1 التكاثر 1 السورة وقال
تعالى {وَتَأْكِلُونَ الثُّرَاثَ أَكْلًا لَمَّا}19 {وَثْبُونَ الْمَالَ حُبًّا
جَمًّا}20 الفجر 19 وقال {إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَوُدٌ}6 وإنَّهُ
على ذلك لشهيد 7 وإنَّه لحب الخير لشديد 8 العاديات 6-8
وقال تعالى {أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَزِينَةٌ وَتَفَاهُ
بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأُولَادِ} الحديدي 20 الآية وهذا باب
واسع وإنما المقصود هنا تميز الزهد الشرعي من
غيره وهو الزهد المحمود وتميز الرغبة الشرعية من
غيرها وهي الرغبة المحمودة فإنه كثيراً ما يشتبه الزهد بالكسل
والعجز والبطالة عن الأوامر الشرعية وكثيراً ما تشتبه الرغبة
الشرعية بالحرص والطمع والعمل الذي ضل سعى صاحبه 1

سميت الصلاة دعاء

* الدعاء قصد المدعو والتوجه إليه إما على وجه المسألة وإما
على وجه العبادة المحضة لأن دعاء الشيء هو طلبه وإرادته
سواء طلب لذاته أو للأمر منه ومن ذلك قوله تعالى {وَقَالَ
رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَحِبْ لَكُمْ} غافر 60 فإنه فسر بالمسألة و
بالعبادة و قوله تعالى {وَلَا تَطْرُدُ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاءِ
وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ} الأنعام 52¹

* قال تعالى {وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاءِ وَالْعَشَيِّ} **يُرِيدُونَ وَجْهَهُ** {الأنعام 52} لفظ الدعاء والدعوة في القرآن يتناول معنيين دعاء العبادة ودعاء المسألة قال الله تعالى {فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ} الشعراء 213 وقال تعالى {وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا يُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ} المؤمنون 117 وقال تعالى {وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} القصص 88 وقال {وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدَأَ} الجن 19 وقال {إِن يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَّا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا} النساء 117 ولفظ الصلاة في اللغة اصله الدعاء وسميت الصلاة دعاء لتضمنها معنى الدعاء وهو العبادة والمسألة وفي الصحيحين عن النبي انه قال ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغرنى فأغفر له فذكر او لا لفظ الدعاء ثم ذكر السؤال والاستغفار والمستغفر سائل كما ان السائل داع لكن ذكر السائل لدفع الشر بعد السائل الطالب للخير وذكرهما جميا بعد ذكر الداعي الذي يتناولهما وغيرهما فهو من باب عطف الخاص على العام وقال تعالى {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أَجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ} البقرة 186 وكل سائل راغب راهب فهو عابد للمسؤول وكل عابد له فهو ايضا راغب وراهب يرجو رحمته ويخاف عذابه فكل عابد سائل وكل سائل عابد واحد الاسمين يتناول الآخر عند تجرده عنه ولكن اذا جمع بينهما فانه يراد بالسائل الذي يطلب جلب المنفعة ودفع المضررة بصيغة السؤال والطلب ويراد بالعبد من يطلب ذلك بامتثال الامر وان لم يكن في ذلك صيغة سؤال والعابد الذي يريد وجه الله والنظر اليه هو ايضا راج خائف راغب راهب يرغب في حصول مراده ويرهب من فواته قال تعالى {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَا رَغْبًا وَرَهْبًا} الأنبياء 90 وقال تعالى {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنْ

المَضَاجِعَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ حَوْفًا وَطَمَعًا } السجدة 16 ولا يتصور ان يخلو داعي الله دعاء عبادة او دعاء مسألة من الرغب والرهب من ¹
الخوف والطمع

* والدعاء لله وحده سواء كان دعاء العبادة أو دعاء المسئلة
والإستعانة كما قال تعالى {وَلَا تَتَرُّدُ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ
بِالْغَدَاءِ وَالْعَشَّيِّ } الأنعام 52¹

اسم الوجه مذكور في تقرير الوهية

* قال تعالى {وَلَا تَتَرُّدُ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاءِ وَالْعَشَّيِّ
يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلِيَّكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ
عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَقَطْرُدَهُمْ فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ } الأنعام 52 اسم
الوجه في الكتاب والسنة إنما يذكر في سياق العبادة له والعمل له
والتوجيه إليه فهو مذكور في تقرير الوهية وعبادته وطاعته لا
في تقرير وحدانية كونه خالقاً ورباً وذلك المعنى هو العلة الغائية
وهذا هو العلة الفاعلية والعلة الغائية هي المقصودة التي هي
أعلى وأشرف بل هي علة فاعلية للعلة الفاعلية ولها قدّمت في
مثل قوله {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } الفاتحة 5 وفي مثل قوله
{ فَاعْبُدُهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ } هود 123¹

لا يذكر الكفار حجة صحيحة

* وما أجمع عليه طوائف بنى آدم السليمى الفطرة وجمahir النظار فإن الإنسان قد يعرف أن الحق مع غيره ومع هذا يجد ذلك لحسده إياه أو لطلب علوه عليه أو لهوى النفس ويحمله ذلك الهوى على أن يعتدى عليه ويرد ما يقول بكل طريق وهو فى قلبه يعلم أن الحق معه وعامة من كذب الرسل علموا أن الحق معهم وأنهم صادقون لكن إما لحسدهم وإما لإرادتهم العلو والرياسة وإما لحبهم دينهم الذى كانوا عليه وما يحصل لهم به من الأغراض كأموال ورياسة وصادقة أقراص وغير ذلك فيرون فى اتباع الرسل ترك الأهواء المحبوبة إليهم أو حصول أمور

مكر و هة إليهم فيكذبونهم ويعادونهم فيكونون من أكفر الناس كايليس وفرعون مع علمهم بأنهم على الباطل والرسل على الحق ولهذا لا يذكر الكفار حجة صحيحة تقدح في صدق الرسل إنما يعتمدون على مخالفة أهوائهم كقولهم لنوح {أَنُؤْمِنُ لَكَ وَأَتَبْعَكَ الْأَرْذَلُونَ} الشعراء 111 وعلوم أن إتباع الأرذلين له لا يقدح في صدقه لكن كرهوا مشاركة أولئك كما طلب المشركون من النبي صلى الله عليه وسلم إبعاد الضعفاء كسعد بن أبي وقاص وإبن مسعود وخباب بن الارت وعمار بن ياسر وبلال ونحوهم وكان ذلك بمكة قبل أن يكون في الصحابة أهل الصفة فأنزل الله تبارك

وتعالى {وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاءِ وَالْعَشَيِّ
يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ
عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدُهُمْ فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ} 52 {وَكَذَلِكَ فَتَنَّا
بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيُقُولُوا أَهُؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلِيَسَ اللَّهُ
بِأَعْلَمِ بِالشَّاكِرِينَ} 53 الأنعام 52-53 وهذه الأمور وأمثالها ليست حجا تقدح في صدق الرسل بل تبين أنها تخالف إرادتهم وأهوائهم وعاداتهم فلذلك لم يتبعوهم وهؤلاء كلهم كفار بل أبو طالب وغيره كانوا يحبون النبي ويحبون علو كلمته وليس عندهم حسد له وكانتوا يعلمون صدقه ولكن كانوا يعلمون أن في متابعته فراق دين آبائهم وذم قريش لهم مما احتملت نفوسهم ترك تلك العادة وإحتمال هذا الذم فلم يتركوا الإيمان لعدم العلم بصدق الإيمان به بل لهوى النفس فكيف يقال إن كل كافر إنما كفر لعدم علمه بالله¹

لو كان العمل لا يقبل إلا من لا كبيرة عليه لم يصح إسلام الذمي حتى يتوب من الفواحش

*(**فيه نقص في البداية الرجوع إلى نفس المرجع**) فالكافر إذا أسلم وعليه للناس مظالم من قتل وغصب وقذف وكذلك الذمي إذا أسلم قبل إسلامه مع بقاء مظالم العباد عليه فلو كان العمل لا يقبل إلا من لا كبيرة عليه لم يصح إسلام الذمي حتى يتوب من

الفواحش والمظالم بل يكون مع إسلامه مخلدا وقد كان الناس مسلمين على عهد رسول الله ولهم ذنوب معروفة وعليهم تبعات فيقبل إسلامهم ويتوبون إلى الله سبحانه من التبعات كما ثبت في الصحيح أن المغيرة بن شعبة لما أسلم وكان قد رافق قوما في الجاهلية فغدر بهم وأخذ أموالهم وجاء فأسلم فلما جاء عروة بن مسعود عام الحديبية والمغيرة قائم على رأس النبي صلى الله عليه وسلم بالسيف دفعه المغيرة بالسيف فقال من هذا فقلوا ابن أخيك المغيرة قال يا غدر ألسنت أسعى في غدرتك فقال النبي صلى الله عليه وسلم أما الإسلام فأقبله وأما المال فلست منه في شيء وقد قال تعالى **{وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاءِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلِمْتَ مِنْ حِسَابِهِمْ مَنْ شَاءَ إِنَّمَا يَنْهَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مَنْ شَاءَ إِنَّمَا يَنْهَا مِنْ حِسَابِكَ مَنْ فَتَأْكُلُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ}**

{الأنعام 52} وقالوا لنوح {أَنُؤْمِنُ لَكَ وَإِنَّكَ
الْأَرْذُلُونَ} 111 {فَالَّذِينَ كَانُوا عَلَيْهِمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} 112 {إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ} 113 {الشعراء 111-113} ولا نعرف من المسلمين جاءه ذمي يسلم فقال له لا يصح إسلامك حتى لا يكون عليك ذنب وكذلك سائر أعمال البر من الصلاة والزكاة¹

من تكون لبيان الجنس

* ومن تكون لبيان الجنس فلا يقتضي أن يكون قد بقى من المجرور بها شيء خارج عن ذلك الجنس كما في قوله تعالى {فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأُوْثَانِ} الحج 30 فإنه لا يقتضي أن يكون من الأوثان ما ليس برجس وإذا قلت ثوب من حرير فهو قوله ثوب حرير وكذلك قوله باب من حديد قوله باب حديد وذلك لا يقتضي أن يكون هناك حرير وحديد غير المضاف إليه وإن كان الذي يتصوره كليا فإن الجنس الكلي هو ما لا يمنع تصوره من وقوع الشركة فيه وإن لم يكن مشتركا فيه في الوجود ولما قال لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم {وَمَنْ يَقْتُلْ مِنْكُنَّ اللَّهُ

وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرًا هَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا
 كَرِيمًا } الأحزاب 31 لم يمنع أن يكون كل منهن تقدت لله
 ورسوله وتعمل صالحا ولما قال تعالى {وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ
 يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا قُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ أَنَّهُ
 مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غَفُورٌ
 رَّحِيمٌ } الأنعام 54 لم يمنع هذا أن يكون كل منهم متصفا بهذه
 الصفة ويجوز أن يقال إنهم لو عملوا سوءاً بجهالة ثم تابوا من
 بعده وأصلحوا لم يغفر إلا لبعضهم ولهذا تدخل من هذه في
 النفي لتحقيق نفي الجنس كما في قوله تعالى {وَمَا أَلْتَهُمْ مِنْ
 عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ } الطور 21 وقوله { وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ } آل
 عمران 62 وقوله { فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ
 } الحاقة 47 ولهذا إذا دخلت في النفي تحقيقاً أو تقديرها أفادت نفي
 الجنس قطعاً فالتحقيق ما ذكر والتقدير كقوله تعالى { وَمَا مِنْ
 إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ } آل عمران 62 وقوله { لَا رَبَّ فِيهِ } البقرة 2 ونحو
 ذلك¹

{ بِلَ اللَّهِ يَمْنُ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَأْكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ }

*أن سائر أهل السنة الذين يقررون بالقدر ليس فيهم من يقول إن
 الله تعالى ليس بعدل ولا من يقول إنه ليس بحكيم ولا فيهم من
 يقول إنه يجوز أن يترك واجباً ولا أن يفعل قبيحاً فليس في
 المسلمين من يتكلم بمثل هذا الكلام الذي أطلقه ومن أطلقه كان
 كافراً مباح الدم باتفاق المسلمين ولكن هذه مسألة القدر
 والنزاع فيها معروف بين المسلمين فأما نفاة القدر كالمعتزلة
 ونحوهم فقولهم هو الذي ذهب إليه متأخرو الإمامية وأما
 المثبتون للقدر وهو جمهور الأمة وأئمتها كالصحابة والتابعين
 لهم بإحسان وأهل البيت وغيرهم فهو لاءٌ تنازعوا في تفسير عدل
 الله وحكمته والظلم الذي يجب تنزيهه عنه وفي تعليل أفعاله
 وأحكامه ونحو ذلك فقللت طائفة إن الظلم ممتنع منه غير

مقدور وهو محال لذاته كالجمع بين النقيضين وإن كل ممكн
 مقدور فليس هو ظلماً و هو لاء هم الذين قصدوا الرد عليهم
 و هو لاء يقولون إنه لو عذب المطهعين ونعم العصاة لم يكن ظلماً
 وقالوا الظلم التصرف فيما ليس له والله تعالى له كل شيء أو هو
 مخالفة الأمر والله لا أمر له وهذا قول كثير من أهل الكلام
 المثبتين للقدر ومن وافقهم من الفقهاء أصحاب الأئمة الأربع
 قال طائفة بل الظلم مقدور ممكناً والله تعالى منزه لا يفعله لعدله
 ولهذا مدح الله نفسه حيث أخبر أنه لا يظلم الناس شيئاً والمدح
 إنما يكون بترك المقدور عليه لا بترك الممتنع قالوا وقد قال
 تعالى {وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا
 وَلَا هَضْمًا} طه 112 قالوا الظلم أن يحمل عليه سيدات غيره
 والهضم أن يهضم حسناته وقال تعالى {ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْفَرَى
 نَقْصُهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ} 100 وما ظلمناهم ولكن ظلموا
 أنفسهم فما أَغْنَتْ عَنْهُمُ الْهَنْثُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ
 لِمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَشْبِيبٍ} 101 هود 100-
 101 فأخبر أنه لم يظلمهم لما أهلكهم بل أهلكهم بذنبهم وقال
 تعالى {وَجِيءَ بِالنَّبِيِّنَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا
 يُظْلَمُونَ} الزمر 69 فدل على أن القضاء بينهم بغير القسط ظلم
 والله منزه عنه وقال تعالى {وَنَاصِعُ الْمَوَازِينَ الْقُسْطُ لِيَوْمِ
 الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِنْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ حَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا
 وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ} الأنبياء 47

أي لا تقص من حسناتها ولا تعاقب بغير سيداتها فدل على أن
 ذلك ظلم ينزله الله عنه وقال تعالى {قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدِيَ
 وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْأَوْعِدِ} 28 ما يُبَدِّلُ الْقَوْلُ لَدِيَ وَمَا أَنَا بِظَلَامٍ
 لِلْعَبِيدِ} 29 ق 28-29 وإنما نزه نفسه عن أمر يقدر عليه لا
 عن الممتنع لنفسه ومثل هذا في القرآن في غير موضع مما
 يبين أن الله ينتصف من العباد ويقضي بينهم بالعدل وأن القضاء
 بينهم بغير العدل ظلم ينزله الله عنه وأنه لا يحمل على أحد ذنب
 غيره وقال تعالى {وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وَزْرٌ أَخْرَى}

{**الأنعام** 164} **فَإِنْ ذَلِكَ يَنْزَهُ اللَّهُ عَنْهُ بِلِ لَكُلِّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ**
وَعَلَيْهَا مَا اكتسبتْ **وَقَدْ ثَبَّتْ فِي الصَّحِّيفَةِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ**
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ يَا عَبْدِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى
نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مَحْرَمًا فَلَا تَظَالِمُوا فَقَدْ حَرَمَ عَلَى نَفْسِهِ الظُّلْمُ
كَمَا كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ فِي قَوْلِهِ {كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ
الرَّحْمَةَ} {**الأنعام** 54} **وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِّيفَةِ لِمَا قَضَى اللَّهُ الْخَلْقُ**
كَتَبَ فِي كِتَابٍ فَهُوَ مَوْضِعُ عِنْدِهِ فَوْقَ الْعَرْشِ إِنْ رَحْمَتِي غَلَبْتِ
غَضْبِي وَالْأَمْرُ الَّذِي كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَى نَفْسِهِ أَوْ حَرَمَهُ عَلَى نَفْسِهِ لَا
يَكُونُ إِلَّا مَقْدُورًا لَهُ سُبْحَانَهُ فَالْمُمْتَنَعُ لِنَفْسِهِ لَا يَكْتُبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَلَا
يَحْرَمُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَهَذَا القَوْلُ قَوْلُ أَكْثَرِ أَهْلِ السَّنَةِ وَالْمُتَبَّتِّينَ
لِلْقَدْرِ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَالْتَّفَسِيرِ وَالْفَقْهِ وَالْكَلَامِ وَالْتَّصُوفِ مِنْ
أَتَبَاعِ الْأَئْمَةِ الْأَرْبَعَةِ وَغَيْرِهِمْ وَعَلَى هَذَا القَوْلِ فَهُؤُلَاءِ هُمْ
الْقَاتِلُونَ بَعْدَ اللَّهِ تَعَالَى وَإِحْسَانِهِ دُونَ مَنْ يَقُولُ مِنَ الْقَدْرِيَّةِ إِنَّ
مَنْ فَعَلَ كَبِيرَةً حَبْطَ إِيمَانَهُ فَإِنْ هَذَا نَوْعٌ مِنَ الظُّلْمِ الَّذِي نَزَّهَ اللَّهُ
سُبْحَانَهُ نَفْسَهُ عَنْهُ وَهُوَ الْقَاتِلُ {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا
**يَرَهُ} 7} {وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ} 8} الزَّلْزَلَةُ 7-8 وأما
من اعتقد أن منته على المؤمنين بالهدایة دون الكافرين ظلم منه
فهذا جهل لوجهين أحدهما أن هذا تفضل منه كما قال تعالى
{**بَلِ اللَّهُ يَمْنُ عَلَيْكُمْ أَنْ هَذَا كُمْ لِإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ****

{**الحجرات** 17} **وَكَمَا قَالَتِ الْأَنْبِيَاءُ {قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنَّنَّا**
إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكُنَّ اللَّهُ يَمْنُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ
{**إِبْرَاهِيم** 11} **وَقَالَ تَعَالَى {وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِعَضًا لِيَقُولُوا**
أَهُؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَنْ بَيْنَنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمُ بِالشَّاكِرِينَ

{**الأنعام** 53} **فَتَخْصِيصُهُ هَذَا بِالْإِيمَانِ كَتْخَصِيصُهُ هَذَا بِمَزِيدِ عِلْمٍ**
وَقُوَّةٍ وَصَحةٍ وَجَمَالٍ وَمَالٍ قَالَ تَعَالَى {أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ
نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَمْعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ
بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَخَذَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا } الزخرف 32 وإذا
خص أحد الشخصين بقوه وطبيعة تقضي غذاء صالحها خصه بما
يناسب ذلك من الصحة والعافية وإذا لم يعط الآخر ذلك نقص

عنه وحصل له ضعف ومرض والظلم وضع الشيء في غير موضعه فهو لا يضع العقوبة إلا في المثل الذي يستحقها لا يضعها على محسن أبداً وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يمين الله ملائكة لا يغتصبها نفقة سحاء الليل والنهر أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم يغض ما في يمينه والقسط بيده الأخرى يقبض ويبيط فبين أنه سبحانه يحسن ويعدل ولا يخرج فعله عن العدل والإحسان ولهذا قيل كل نعمة منه فضل وكل نعمة منه عدل ولهذا يخبر أنه تعالى يعاقب الناس بنذوبهم وأن إنعامه عليهم إحسان منه كما في الحديث الصحيح الإلهي يقول الله تعالى يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه وقد قال تعالى {مَا أَصَابَكُمْ مِنْ حَسَنَةٍ فَمَنَّ اللَّهُ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمَنْ نَفِسَكَ وَأَرْسَلَنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَكَفَى بِإِلَهٍ شَهِيداً } النساء 79 أي ما أصابك من نعم تحبها كالنصر والرزق فالله أنعم بذلك عليك وما أصابك من نقم تكرها فبذوبك وخطيئتك فالحسنات والسيئات هنا أراد بها النعم والمصائب¹

الله على عبده المطيع المؤمن نعمة دينية خصه بها دون الكافر

* وما قالته القدرية فهو بناء على أصلهم الفاسد وهو أن إقدار الله المؤمن والكافر والبر والفاجر سواء فلا يقولون إن الله خص المؤمن المطيع بإعانته حصل بها الإيمان بل يقولون إن إعانته للمطيع والعاصي سواء ولكن هذا بنفسه رجح الطاعة وهذا بنفسه رجح المعصية كالوالد الذي أعطى كل واحد من ابنيه سيفاً فهذا جاهد به في سبيل الله وهذا قطع به الطريق أو أعطاهم ما لا فهذا أنفقه في سبيل الله وهذا أنفقه في سبيل الشيطان وهذا القول فاسد باتفاق أهل السنة والجماعة المثبتين للقدر فإنهم متفقون على

أن الله على عبده المطيع المؤمن نعمة دينية خصه بها دون الكافر وأنه أعاذه على الطاعة إعنة لم يعن بها الكافر كما قال تعالى {ولَكُنَّ اللَّهُ حَبِّ الْيُكُمُ الْإِيمَانَ وَرَزِّيْنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهُ إِلَيْكُمُ الْكُفَّارُ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ} الحجرات 7 فبين أنه حب إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم فالقدرة تقول هذا التحبيب والتزيين عام في كلخلق أو هو بمعنى البيان وإظهار دلائل الحق والآية تقتضي أن هذا خاص بالمؤمنين ولهاذا قال {

أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ} الحجرات 7 والكافر ليسوا راشدين وقال تعالى {فَمَن يُرِدُ اللَّهُ أَن يَهْدِيَ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدُ أَن يُضْلِلَهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيْقًا حَرَجًا كَائِنًا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ} الأنعام 125 وقال {أَوَ مَن كَانَ مَتَّنَا فَأَحْبَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُرِّيْنَ لِلْكَافِرِيْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} الأنعام 122 وقال تعالى {وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّيُقْلُوْلُوا أَهْوَاءً مَّنْ اللَّهُ عَلَيْهِ مَنْ بَيْنَ النَّاسِ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِيْنَ} الأنعام 153

* إن نعم الله على عباده تتضمن نفعهم والإحسان إليهم وذلك نوعان أحدهما أن يدفع بذلك مضرتهم ويزيل حاجتهم وفاقتهم مثل رزقهم الذي لو لا هو لماتوا جوعا ونصرهم الذي لو لا هو لأهلكم عدوهم ومثل هداهم الذي لو لا هو لضلوا ضلالا يضرهم في آخرتهم وهذا النوع من النعمة لا بد لهم منه وإن فقدوه حصل لهم ضرر إما في الدنيا وإما في الآخرة وإن فيهما ولهاذا كان في سورة النحل وهي سورة النعم في أولها أصول النعم وفي أثنائها كمال النعم والنوع الثاني النعم التي تحصل بها من كمال النعم وعلو الدرجة ما لا يحصل بدونها كما أنهم في الآخرة نوعان أبرار أصحاب يمين ومحربون سابقون ومن خرج عن هذين كان من أصحاب الجحيم وإذا كانت النعمة نوعين فالخلق كانوا محتاجين إلى إرسال محمد من هذين الوجهين وحصل بإرساله هذان النوعان من النعمة فإن الناس بدونه كانوا جهلا ضالين أميين وأهل الكتاب منهم ولم يكن قد بقي من

أهل الكتاب أتباع المسيح من هو قائم بالدين الذي يوجب السعادة عند الله في الآخرة بل كانوا قد بدلوا وغيروا وأيضاً فلو قدر أنهم لم يبدلوا شيئاً ففي إرساله من كمال النعم وتوصلها وعلو الدرجات في السعادة ما لم يكن حاصلاً بالكتاب الأول فكان إرساله أعظم نعمة أنعم الله بها على أهل الأرض من نوعي النعيم ومن استقر أحوال العالم تبين له أن الله لم ينعم على أهل الأرض نعمة أعظم من إنعامه بإرساله وإن الذين ردوا رسالته هم من قال الله فيهم {أَلَمْ تَرِ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ} إبراهيم 28 ولهذا وصف بالشكر من قبل هذه النعمة فقال تعالى {وَكَذَلِكَ فَتَنَا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَيَقُولُوا أَهُؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَنْ بَيْنَنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمْ بِالشَّاكِرِينَ} الأنعام 153

* وهو سبحانه مع غناه عن العالمين خلقهم وأرسل إليهم رسولاً يبين لهم ما يسعدهم وما يشق عليهم ثم أنه هدى عباده المؤمنين لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه فمن عليهم بالإيمان والعمل الصالح فخلقه بفضله وإرساله الرسول بفضله و هدايته لهم بفضله و جميع ما ينالون به الخيرات من قواهم و غير قواهم هي بفضله فكذلك الثواب والجزاء هو بفضله وإن كان أوجب ذلك على نفسه كما حرم على نفسه الظلم و وعد بذلك كما قال {كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ} الأنعام 54 وقال تعالى {وَكَانَ حَقًا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ} الروم 47 فهو واقع لامحالة واجب بحكم إيجابه و عده لأن الخلق لا يوجبون على الله شيئاً أو يحرمون عليه شيئاً بل هم أعجز من ذلك و أقل من ذلك و كل نعمة منه فضل و كل نعمة منه عدل كما في الحديث المتقدم إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله و من وجد غير ذلك فلا يلومون إلا نفسه وفي الحديث الصحيح سيد الإستغفار أن يقول العبد اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتني و أنا عبدك و أنا على عهدي و وعدك ما استطعت أعود بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك على و

أبوء بذنبي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت من قالها إذا
أصبح موتنا بها فمات من ليلته دخل الجنة فقوله أبوء لك
بنعمتك على وأبوء بذنبي إعتراف بإنعام الرب وذنب العبد كما
قال بعض السلف أني أصبح بين نعمة تنزل من الله علي و بين
ذنب يصعد مني إلى الله فأريد أن أحذر للنعمه شakra وللذنب
استغفارا¹

* قال تعالى {وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاءِ وَالْعَشَيِّ
يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ
عَلَيْهِم مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدُهُمْ فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ} 52 وَكَذَلِكَ فَتَنَّا
بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَيَقُولُوا أَهُؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلِيُّسَ اللَّهُ
بِأَعْلَمَ بِالسَّاكِرِينَ} 53 الأنعام 52-53 وهو لا يمنع من ذلك ما
يستحقه العبد أصلا ولا يمنع الثواب الا اذا منع سببه وهو العمل
الصالح فأما مع وجود السبب وهو العمل الصالح فإنه من يعمل
من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما {وَمَنْ
يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا
} طه 112 وهو سبحانه المعطي المانع لا مانع لما اعطى ولا
معطي لما منع لكن من على الانسان بالايمان والعمل الصالح ثم
لم يمنعه موجب ذلك اصلا بل يعطيه من الثواب والقرب مالا
عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وحيث منعه
ذلك فلا يبقى سببه وهو العمل الصالح ولا ريب انه يهدي من
يشاء ويضل من يشاء لكن ذلك كله حكمة منه وعدل فمنعه
للأسباب التي هي الاعمال الصالحة من حكمته وعدله واما
المسببات بعد وجود اسبابها فلا يمنعها الحال الا اذا لم تكن اسبابا
 صالحة اما لفساد في العمل واما السبب يعارض موجبه ومقتضاه
فيكون لعدم المقتضى او لوجود المانع واذا كان منعه وعقوبته
من عدم الايمان والعمل الصالح ابتداء حكمة منه وعدل فله
الحمد في الحالين وهو المحمود على كل حال كل عطاء منه
فضل وكل عقوبة منه عدل¹

{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ }

*الأمور العامة التي يفعلها الله عز وجل تكون لحكمة عامة ورحمة عامة كإرسال محمد صلى الله عليه وسلم فإنه كما قال تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } الأنبياء 107 فإن إرساله كان من أعظم النعم على الخلق و فيه أعظم حكمة للخلق و رحمة منه لعباده كما قال تعالى {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمْ آيَاتٍ وَيُزَكِّيْهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ } آل عمران 164 و قال تعالى {وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّيَقُولُوا أَهُوَلَاءِ مَنْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ } الأنعام 53 و قال {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبُتْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقِلِبُ عَلَى عَقِبِهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ } آل عمران 144 و قال تعالى {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفُرًا } إبراهيم 28 قالوا هو محمد صلى الله عليه وسلم فإذا قال قائل فقد تضرر برسالته طائفة من الناس كالذين كذبوه من المشركين وأهل الكتاب كان عن هذا جواباً أحدهما أنه نفعهم بحسب المكان فإنه أضعف شرهم كانوا يفعلونه لو لا الرسالة بإظهار الحجج والآيات التي زللت ما في قلوبهم وبالجهاد والجزية التي أخافتهم وأنزلتهم حتى قل شرهم ومن قتلهم منهم مات قبل أن يطول عمره في الكفر فيعظم كفره فكان ذلك تقليلاً لشره والرسل صلوات الله عليهم بعثوا بتحصيل المصالحة و تكميلها و تعطيل المفاسد و تقليلها بحسب الإمكان و الجواب الثاني أن ما حصل من الضرر أمر مغمور في جنب ما حصل من النفع كالمطر الذي عم نفعه إذا خرب به بعض البيوت أو احتبس به بعض المسافرين والمكتسبين كالقصاريين و نحوهم و ما كان نفعه و مصلحته عامة كان خيراً مقصوداً و رحمة محبوبة و إن تضرر به بعض الناس و هذا

الجواب أجاب به طوائف من المسلمين و أهل الكلام و الفقه و غيرهم من الحنفية و الحنبالية و غيرهم و من الكرامية و الصوفية و هو جواب كثير من المتكلفة¹

الناس لهم في أفعال الله ثلاثة أقوال

*إنا فرضنا إنا نعلم بالعقل حسن بعض الأفعال وقبحها لكن العقل لا يقول إن الخالق كالملحوظ حتى يكون ما جعله حسناً لهذا أو قبيحاً له جعله حسناً للأخر أو قبيحاً له كما يفعل مثل ذلك القدرة لما بين الرب والعبد من الفروق الكثيرة وإن فرضنا أن حسن الأفعال وقبحها لا يعلم إلا بالشرع فالشرع قد دل على أن الله قد نزه نفسه عن افعال وأحكام فلا يجوز ان يفعلها تارة بخبره مثنياً على نفسه بأنه لا يفعلها وتارة بخبره أنه حرمتها على نفسه هذا يبين المسألة الثانية فنقول الناس لهم في أفعال الله باعتبار ما يصلح منه ويجوز وما لا يجوز منه ثلاثة أقوال طرفان ووسط فالطرف الواحد طرف القدرة وهو الذين حجروا عليه أن يفعل إلا ما ظنوا بعقولهم أنه الجائز له حتى وضعوا له شريعة التعديل والتوجيه فأوجبوا عليه بعقولهم أموراً كثيرة وحرموا عليه بعقولهم أموراً كثيرة لا بمعنى أن العقل أمر له وناء فإن هذا لا يقوله عاقل بل بمعنى أن تلك الأفعال مما علم بالعقل وجوبها وتحريمها ولكن إدخلوا في ذلك المنكرات ما بنوه على بدعتهم في التكذيب بالقدر وتتابع ذلك والطرف الثاني طرف الغلة في الرد عليهم وهو الذين قالوا لا ينزعه الرب عن فعل من الأفعال ولا نعلم وجه إمتناع الفعل منه إلا من جهة خبره أنه لا يفعله المطابق لعلمه بأنه لا يفعله وهو لاء منعوا حقيقة ما أخبر به من أنه كتب على نفسه الرحمة وحرم على نفسه الظلم قال الله تعالى {وَإِذَا جَاءَكُنَّا الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِأَيَّاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ} الأنعام 54 وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي قال إن الله لما قضى الخلق كتب على نفسه

كتاب فهو موضوع عنده فوق العرش إن رحمتى تغلب غضبى
ولم يعلم هؤلاء أن الخبر مجرد المطابق للعلم لا يبين وجه فعله
وتركه إذ العلم يطابق المعلوم فعلمه بأنه يفعل هذا وانه لا يفعل
هذا ليس فيه تعرض لأنه كتب هذا على نفسه وحرم هذا على
نفسه كما لو أخبر عن كائن من كان أنه يفعل هذا ولا يفعل هذا لم
يكن في هذا بيان لكونه محموداً ممدوداً على فعل هذا وترك هذا
ولا في ذلك ما يبين قيام المقتضى لهذا والمانع من هذا فإن الخبر
المضمض كاشف عن المخبر عنه ليس فيه بيان ما يدعوه إلى الفعل
ولا إلى الترك بخلاف قوله { كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ }
{ الأنعام 12 } وحرم على نفسه الظلم فإن التحرير مانع من
ال فعل وكتابته على نفسه داعية إلى الفعل وهذا بين واضح إذ ليس
المراد بذلك مجرد كتابته انه يفعل وهو كتابة التقدير كما قد ثبت
في الصحيح انه قدر مقادير الخلاق قبل أن يخلق السموات
والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء فإنه قال
{ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ } { الأنعام 12 } ولو أريد كتابة التقدير
لكان قد كتب على نفسه الغضب كما كتب على نفسه الرحمة إذ
كان المراد مجرد الخبر بما سيكون ولكن قد حرم على نفسه
كل ما لم يفعله من الإحسان كما حرم الظلم وكما أن الفرق
ثابت في حقنا بين قوله { كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى }
{ البقرة 178 } وبين قوله { وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ }
{ القمر 52 } قوله { مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي
أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا } { الحديد 22 } قوله
فيبعث إليه الملك فيؤمر بأربع كلمات فيقال له أكتب رزقه وأجله
و عمله وشقى أو سعيد فهكذا الفرق أيضاً ثابت في حق الله
ونظير ما ذكره من كتابته على نفسه كما تقدم قوله تعالى
{ وَكَانَ حَقًا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ } { الروم 47 } قوله النبي في
الحديث الصحيح يا معاذ أتدري ما حق الله على عباده قلت الله
ورسوله أعلم قال حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً
اتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك قلت الله رسوله أعلم

قال حقهم عليه ألا يعذبهم ومنه قوله في غير حديث كان حقا على الله أن يفعل به كذا فهذا الحق الذي عليه هو أحقه على نفسه بقوله ونظير تحريمه على نفسه وإيجابه على نفسه ما أخبر به من قسمه ليفعلن وكلمته السابقة قوله {ولو لا كلاماً سبقت من ربك} طه 129 قوله {لأملاك جهنم} السجدة 13 و {لنُهَلْكَنَ الظالِمِينَ} إبراهيم 13 فالأذين هاجروا وأخرجو من ديارهم وأودعوا في سيلي وقاتلوا وقتلوا لا يُكفرن عنهم سينات لهم ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهاار {آل عمران 195} {فَلَنَسأَلَنَّ الَّذِينَ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ وَلَنَسأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ} الأعراف 6 ونحو ذلك من صيغ القسم المتضمنة معنى الإيجاب والمعنى بخلاف القسم المتضمن للخبر الممض ولهذا قال الفقهاء اليمين إما أن توجب حقا أو منعا أو تصديقا أو تكذيبا وإذا كان معقولا في الإنسان أنه يكون أمرا مأمورا كقوله {إِنَّ النَّفْسَ لِأَمَارَةٍ بِالسُّوءِ} يوسف 53 قوله {وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى} النازعات 40 مع أن العبد له أمر وناه فوقه والرب الذي ليس فوقه أحد لأن يتصور أن يكون هو الأمر الكاتب على نفسه الرحمة والنهاي المحرم على نفسه الظلم أولى وأحرى وكتابته على نفسه ذلك تستلزم إرادته لذلك ومحبته له ورضاه بذلك وتحريمه الظلم على نفسه يستلزم بغضه لذلك وكراهته له وإرادته ومحبته للفعل توجب وقوعه منه وبغضه له وكراهته لأن يفعله يمنع وقوعه منه فاما ما يحبه ويبغضه من أفعال عباده فذلك نوع آخر ففرق بين فعله هو وبين ما هو مفعول مخلوق له وليس في مخلوقه ما هو ظلم منه وإن كان بالنسبة إلى فاعله الذي هو الإنسان هو ظلم كما ان أفعال الإنسان هي بالنسبة إليه تكون سرقة وزنا وصلة وصوما والله تعالى خالقها بمشيئته وليس بالنسبة إليه كذلك إذ هذه الأحكام هي للفاعل الذي قام بها هذا الفعل كما أن الصفات هي صفات للموصوف الذي قامت به لا للخالق الذي خلقها وجعلها صفات والله تعالى خلق كل صانع وصنعته كما جاء في الحديث وهو خالق كل موصوف وصفته

ثم صفات المخلوقات ليست صفاته له كالألوان والطعوم والروائح لعدم قيام ذلك به وكذلك حركات المخلوقات ليست حركات له ولا أفعالا له بهذا الإعتبار لكونها مفعولات هو خلقها وبهذا الفرق تزول شبة كثيرة والأمر الذي كتبه على نفسه يستحق عليه الحمد والثناء وهو مقدس عن ترك هذا الذي لو ترك لكان تركه نقصا وكذلك الأمر الذي حرمه على نفسه يستحق الحمد والثناء على تركه وهو مقدس عن فعله الذي لو كان لأوجب نقصا وهذا كله بين والله الحمد عند الذين اوتوا العلم والإيمان وهو أيضا مستقر في قلوب عموم المؤمنين ولكن القدرية شبهوا على الناس بشبههم فقابلهم من قبلهم بنوع من الباطل كالكلام الذي كان السلف والأئمة يذمونه وذلك أن المعتزلة قالوا قد حصل الإتفاق على أن الله ليس بظالم كما دل عليه الكتاب والسنة والظالم من فعل الظلم كما أن العادل من فعل العدل هذا هو المعروف عند الناس من مسمى هذا الإسم سمعا وعقلا قالوا ولو كان الله خالقا لأفعال العباد التي هي الظلم لكان ظالما فعارضهم هؤلاء بان قالوا ليس الظالم من فعل الظلم بل الظالم من قام به الظلم وقال بعضهم الظالم من إكتسب الظلم وكان منهيا عنه وقال بعضهم الظالم من فعل محراه عليه أو ما نهى عنه و منهم من قال من فعل الظلم لنفسه وهؤلاء يعنون أن يكون الناهي له والمحرم عليه غيره الذي يجب عليه طاعته ولهذا كان تصور الظلم منه ممتنعا عندهم لذاته كامتناع أن يكون فوقه أمر له وناه ويمتنع عند الطائفتين أن يعود إلى الرب من أفعاله حكم لنفسه وهؤلاء لم يمكنهم أن ينزا عوا أولئك في ان العادل من فعل العدل بل سلموا لك لهم وأن ناز عهم بعض الناس منازعة عنادية والذى يكشف تلبيس المعتزلة أن يقال لهم الظلم والعادل الذى يعرفه الناس وأن كان فاعلا للظلم والعدل فذلك يأتم به أيضا ولا يعرف الناس من يسمى ظالما ولم يقم به الفعل الذى به صار ظالما بل لا يعرفون ظالما إلا من قام به الفعل الذى فعله وبه صار ظالما وإن كان فعله متعلقا بغيره وله

مفعول منفصل عنه لكن لا يعرفون الظالم إلا بأن يكون قد قام به ذلك فكونكم أخذتم في حد الظالم أنه من فعل الظلم وعنتكم بذلك من فعله في غيره فهذا تلبيس وإفساد للشرع والعقل واللغة كما فعلتم في مسمى المتكلم حيث قلتم هو من فعل الكلام ولو في غيره وجعلتم من أحدث كلاماً منفصلاً عنه قائماً بغيره متكلماً وإن لم يقم به هو كلام أصلاً وهذا من أعظم البهتان والقرمطة والسفسطة ولهذا الزرمهن السلف أن يكون ما أحدثه من الكلام في الجمادات وكذلك أيضاً ما خلقه في الحيوانات ولا يفرق حينئذ بين نطق وانطق وإنما قالت الجلود {أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ} فصلت 21 ولم تقل نطق الله بذلك ولهذا قال من قال من السلف كسليمان بن داود الهاشمي وغيره ما معناه أنه على هذا يكون الكلام الذي خلق في فرعون حتى قال {أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى} فصلات 24 كالكلام الذي خلق في الشجرة حتى قالت {إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا} طه 14 فأما أن يكون فرعون محقاً أو تكون الشجرة كفرعون وإلى هذا المعنى ينحو الإتحادية من الجهمية وينشدون وكل كلام في وجود كلامه سواء علينا نثره ونظامه وهذا يستوعب أنواع الكفر ولهذا كان من الأمر البين للخاصة والعامة ان من قال المتكلم لا يقوم به كلاماً أصلاً فإن حقيقة قوله أنه ليس بمتكلم إذ ليس المتكلم إلا هذا ولهذا كان أولوهم يقولون ليس بمتكلم ثم قالوا هو متكلم بطريق المجاز وذلك لما يستقر في الفطر أن المتكلم لابد أن يقوم به كلام وإن كان مع ذلك فاعلا له كما يقوم بالإنسان كلامه وهو كاسب له أما إن يجعل مجرد أحداث الكلام في غيره كلاماً له فهذا هو الباطل وهكذا القول في الظلم فهو أن الظالم من فعل الظلم وليس هو من فعله في غيره ولم يقم به فعل أصلاً بل لا بد أن يكون قد قام به فعل وإن كان متعدياً إلى غيره فهذا جواب ثم يقال لهم الظلم فيه نسبة وإضافة فهو ظلم من الظالم بمعنى أنه بغي وإعتداء عليه وإنما من لم يكن متعدى عليه به ولا هو منه عدوان على غيره فهو في حقه ليس

بظلم لا منه ولا له والله سبحانه إذا خلق أفعال العباد فذلك من جنس خلقه لصفاتهم فهم الموصوفون بذلك فهو سبحانه إذا جعل بعض الأشياء أسود وبعضها أبيض أو طويلاً أو قصيراً أو متحركاً أو ساكناً أو عالماً أو جاهلاً أو قادراً أو عاجزاً أو حياً أو ميتاً أو مؤمناً أو كافراً أو سعيداً أو شقياً أو ظالماً أو مظلوماً كان ذلك المخلوق هو الموصوف بأنه الأبيض والأسود والطويل والقصير والحي والميت والظلم والمظلوم ونحو ذلك والله سبحانه لا يوصف بشيء من ذلك وإنما أحداه لفعل الذي هو ظلم من شخص وظلم لآخر بمنزلة أحداه الأكل والشرب الذي هو أكل من شخص واكل الآخر وليس هو بذلك أكلاً ولا مأكولاً ونظائر هذا كثيرة وإن كان في خلق أفعال العباد لأزمهما ومتعدديها حكم باللغة كما له حكمة باللغة في خلق صفاتهم وسائل المخلوقات لكن ليس هذا موضع تفصيل ذلك وقد ظهر بهذه الوجهين تدليس القدرة وأما تلك الحدود التي عورضا بها فهي دعاؤ ومخالفة أيضاً للمعلوم من الشرع واللغة والعقل أو مشتملة على نوع من الإجمال فإن قول القائل الظالم من قام به الظلم يقتضى أنه لا بد أن يقوم به لكن يقال له وإن لم يكن فاعلاً له أمر الله لابد أن يكون فاعلاً له مع ذلك فإن أراد الأول كان إقصاره على تفسير الظالم بمن قام به الظلم كاقتصر أولئك على تفسير الظالم في فعل الظلم والذي يعرفه الناس عامهم وخاصتهم إن الظالم فاعل للظلم وظلمه فعل قائم به وكل من الفريقين جحد بعض الحق وأما قولهم من فعل محظا عليه أو منهيا عنه وهو ذلك فالإطلاق صحيح لكن يقال قد دل الكتاب والسنة على أن الله تعالى كتب على نفسه الرحمة وكان حقاً عليه نصر المؤمنين وكان حقاً عليه أن يجزي المطهرين وأنه حرم الظلم على نفسه فهو سبحانه الذي حرم بنفسه على نفسه الظلم كما أنه هو الذي كتب بنفسه على نفسه الرحمة لا يمكن أن يكون غيره محظا عليه أو موجباً عليه فضلاً عن أن يعلم ذلك بعقل أو غيره وإذا كان كذلك فهذا الظلم الذي حرمه على نفسه هو ظلم بلا

ريب وهو أمر ممكناً مقدور عليه وهو سبحانه يتركه مع قدرته
عليه بمشيئته وإختياره لأنه عادل ليس بظالم كما يترك عقوبة
الأنبياء والمؤمنين وكما يترك أن يحمل البريء ذنوب المعذبين

¹

* وقال طائفة بل هو أوجب على نفسه وحرم على نفسه كما
نطق بذلك الكتاب والسنة في مثل قوله تعالى {كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى
نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ} الأنعام 54 قوله {وَكَانَ حَقًا عَلَيْنَا نَصْرٌ
الْمُؤْمِنِينَ} الروم 47 قوله في الحديث الإلهي الصحيح يا عبادي
أني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرباً وأما أنا
العبد يوجبون عليه ويحرمون عليه فممتنع عند أهل السنة كلهم
ومن قال إنه أوجب على نفسه أو حرم على نفسه فهذا الوجوب
والتحريم يعلم عندهم بالسمع وهل يعلم بالعقل على قولين لأهل
السنة ¹

*قول الجمهور إن الله عليم حكيم رحيم قائم بالقسط وإنه سبحانه
كتب على نفسه الرحمة وهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها كما
نطق بذلك نصوص الكتاب والسنة وكما يشهد به الاعتبار حسا
وعقلاً وذلك واقع منه بحكمته ورحمته وبحكم أنه كتب على نفسه
الرحمة وحرم على نفسه الظلم لا بأن الخلق يوجبون عليه
ويحرمون ولا بأنه يشبه المخلوق فيما يجب ويحرم بل كل نعمة
منه فضل وكل نعمة منه عدل وليس لمخلوق عليه حق إلا ما
أحقه هو على نفسه المقدسة قوله {كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ
الرَّحْمَةَ} الأنعام 54 قوله {وَكَانَ حَقًا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ}
الروم 47 وذلك بحكم وعده وصدقه في خبره وهذا متافق عليه
بين المسلمين وبحكم كتابه على نفسه وحكمته ورحمته وهذا فيه
تفصيل ونزاع مذكور في غير هذا الموضوع ¹

*تظاهرة النصوص بأن الله قادر مقادير الخالق قبل أن يخلق
السموات والأرض بخمسين ألف سنة و القادر تضمن علمه بما
سيكون و مشيئته لوجود ما قدره و علم أن سيخلقه و القول

قد يكون خبراً وقد يكون فيه معنى الطلب الحض و المنع بالقسم
و إما لكتابته على نفسه كقوله **{كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ**
{الأنعام 54} و قوله **{وَكَانَ حَقًا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ**
الروم 47 و قوله يا عبادي إنني حرمت الظلم على نفسي و
جعلته بينكم محرماً فلا تظالموا و أما قوله **{وَلَكُنْ حَقُّ**
كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ} الزمر 71 فهذا مختص بالكافر و
هو الوعيد المتضمن الجزاء على الأفعال كما قال تعالى لإبليس
{لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبْعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ} ص 85 و قوله
{وَلَوْلَا كَلِمَةُ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَاماً وَأَجَلٌ مُسَمٌّ} طه 129
أي إن عذابهم له أجل مسمى إما يوم القيمة و إما في الدنيا كيوم
بدر و إما عقب الموت وقد ذكر في الآية الأقوال الثلاثة فلولا
كلمة سبقت من ربكم إلى أجل مسمى لكان العذاب لزاماً أي لازماً
لهم فإن المقتضي له قائم تمام وهو كفرهم¹

للخلق على الله حق وهو الذي أوجبه على نفسه بحكمته

* فمن الناس من يقول للخلق على الخالق حق يعلم بالعقل
وقاس المخلوق على الخالق كما يقول ذلك من يقوله من المعتزلة
وغيرهم ومن الناس من يقول لا حق للمخلوق على الخالق
بحال لكن يعلم ما يفعله بحكم وعده وخبره كما يقول ذلك من
يقوله من أتباع جهم والأشعرى وغيرهما من ينسب إلى السنة
ومنهم من يقول بل كتب الله على نفسه الرحمة وأوجب على نفسه
حقاً لعباده المؤمنين كما حرم الظلم على نفسه لم يوجب ذلك
خلق على ولا يقاس بمخلوقاته بل هو بحكم رحمته وحكمته
وعدله كتب على نفسه الرحمة وحرم على نفسه الظلم كما قال
في الحديث الصحيح الإلهي يا عبادي إنني حرمت الظلم على
نفسى وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا وقال تعالى **{كَتَبَ**
رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ} **{الأنعام 54}** وقال تعالى **{وَكَانَ حَقًا**
عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ} الروم 47 وفي الصحيحين عن معاذ عن

النبى أنه قال يا معاذ أتدرى ما حق الله على عباده قلت الله
 ورسوله أعلم قال حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً يا
 معاذ أتدرى ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك قلت الله ورسوله
 أعلم قال حقهم عليه أن لا يعذبهم فعلى هذا القول لأنبيائه
 وعباده الصالحين عليه سبحانه حق أوجبه على نفسه مع إخباره
 وعلى الثنائى يستحقون ما أخبر بوقوعه وإن لم يكن ثم سبب
 يقتضيه فمن قال ليس للمخلوق على الخالق حق يسأل به
 كما روى أن الله تعالى قال لداود وأى حق لأبنائك على فهو
 صحيح إذا أريد بذلك أنه ليس للمخلوق عليه حق بالقياس
 والإعتبار على خلقه كما يجب للمخلوق على المخلوق وهذا كما
 يظنه جهل العباد من أن لهم على الله سبحانه حقاً بعبادتهم
 وذلك أن النفوس الجاهلية تتخيل أن الإنسان بعبادته وعلمه يصير
 له على الله حق من جنس ما يصير للمخلوق على المخلوق
 كالذين يخدمون ملوكهم وملائكتهم فيجلبون لهم منفعة ويدفعون
 عنهم مضره ويبقى أحدهم يتلقى العوض والمجازاة على ذلك
 ويقول له عند جاءه أو إعراض يراه منه ألم أفعل كذا يمن عليه
 بما يفعله معه وإن لم يقله بلسانه كان ذلك في نفسه وتخيل
 مثل هذا في حق الله تعالى من جهل الإنسان وظلمه ولهذا بين
 سبحانه أن عمل الإنسان يعود نفعه عليه وأن الله غنى عن الخلق
 كما في قوله تعالى {مَنْ عَمَلَ صَالِحًا فَلَنْفَسُهُ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا
 ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ} الجاثية 15 ومن قال بل للمخلوق على
 الله حق فهو صحيح إذا أراد به الحق الذي أخبر الله بوقوعه فإن
 الله صادق لا يخلف الميعاد وهو الذي أوجبه على نفسه بحكمته
¹ وفضله ورحمته

* وقد اتفق العلماء على وجوب ما يجب بعد الله الصادق
 وتتساوزوا هل يوجب الله بنفسه على نفسه ويحرم بنفسه على نفسه
 على قولين ومن جوز ذلك احتاج بقوله سبحانه { كتب
 رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ } الأنعام 54 وبقوله في الحديث

القديسي الصحيح إني حرمت الظلم على نفسي الخ والكلام على هذا مبسوط في موضع آخر وأما الإيجاب عليه سبحانه وتعالى والتحريم بالقياس على خلقه فهذا قول القدرية وهو قول مبدع مخالف لصحيح المنقول وصريح المعمول وأهل السنة متقوون على أنه سبحانه خالق كل شيء وربه ومليكه وأنه ما شاء كان وما شاء لم يكن وأن العباد لا يوجبون عليه شيئاً ولهذا كان من قال من أهل السنة بالوجوب قال إنه كتب على نفسه الرحمة وحرم الظلم على نفسه لا أن العبد نفسه مستحق على الله شيئاً كما يكون للمخلوق على المخلوق فإن الله هو المنعم على العباد بكل خير فهو الخالق لهم وهو المرسل إليهم الرسل وهو الميسر لهم بالإيمان والعمل الصالح ومن توهم من القدرية والمعزلة ونحوهم أنهم يستحقون عليه من جنس ما يستحقه الأجير على المستأجر فهو جاهل في ذلك وإذا كان كذلك لم تكن الوسيلة إليه إلا بما من به من فضله وإحسانه والحق الذي لعباده هو من فضله وإحسانه ليس من باب المعاوضة ولا من باب ما أوجبه غيره عليه فإنه سبحانه يتغالي عن ذلك وإذا سئل بما جعله سبباً للمطلوب من التقوى والأعمال الصالحة التي وعد أصحابها بكرامته وأنه يجعل لهم مخرجاً ويرزقهم من حيث لا يحتسبون فيستجيب دعاءهم ومن أدعية عباده الصالحين ومن شفاعة ذوي الوجاهة عنده فهذا سؤال وتسأل بما جعله هو سبباً وأما إذا سئل بشيء ليس هو سبباً للمطلوب فإما أن يكون إقساماً به عليه فلا يقسم على الله بمخلوق وإنما أن يكون سؤالاً بما لا يقتضي المطلوب فيكون عديم الفائدة فالأنبياء والمؤمنون لهم حق على الله بوعده الصادق لهم وبكلماته التامة ورحمته لهم أن ينصرهم ولا يخذلهم وأن يمنعهم ولا يعذبهم وهم وجهاً عند يقبل من شفاعتهم ودعائهم مالا يقبله من دعاء غيرهم فإذا قال الداعي أسألك بحق فلان وفلان لم يدع ربها وهو لم يسألها باتباعه لذلك الشخص ومحبته وطاعته بل بنفس ذاته وما جعله له ربها من الكرامة فهو لم يسألها بسبب يوجب المطلوب وحينئذ

فيقال أما نفس التوسل والتوجه إلى الله ورسوله بالأعمال الصالحة التي أمر بها كدعاء الثلاثة الذين آتوا إلى الغار بأعمالهم الصالحة وبدعاء الأنبياء والصالحين وشفاعتهم فهذا مما لا نزاع فيه بل هو من الوسيلة التي أمر الله بها في قوله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَحَادِهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} المائدة 35 وقوله سبحانه {أَوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ بِيَتَّغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا} الإسراء 57 فإن ابتغاء الوسيلة إليه هو طلب ما يتلوس به أي يتوصل ويقترب به إليه سبحانه سواء كان على وجه العبادة والطاعة وامتثال الأمر أو كان على وجه السؤال له والاستعاذه به رغبة إليه في جلب المنافع ودفع المضار ولفظ الدعاء في القرآن يتناول هذا وهذا هو الدعاء بمعنى العبادة والدعاء بمعنى المسألة وإن كان كل منهما يستلزم الآخر لكن العبد قد تنزل به النازلة فيكون مقصوده طلب حاجاته وتقرير حكمته فيسعى في ذلك بالسؤال والتضرع وإن كان ذلك من العبادة والطاعة ثم يكون في أول الأمر قصده حصول ذلك المطلوب من الرزق والنصر والعافية مطلقاً ثم الدعاء والتضرع يفتح له من أبواب الإيمان بالله عز وجل ومعونته ومحبته والتعم بذكره ودعائه ما يكون هو أحب إليه وأعظم قدرًا عنده من تلك الحاجة التي همته وهذا من رحمة الله بعباده يسوقهم بال حاجات الدنيوية إلى المقاصد العالية الدينية وقد يفعل العبد ابتداء ما أمر به لأجل العبادة لله والطاعة له ولما عنده من محبته والإنابة إليه وخشيته وامتثال أمره وإن كان ذلك يتضمن حصول الرزق والنصر والعافية وقد قال تعالى {وَقَالَ رَبُّكُمْ اذْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِ} غافر 60 وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه أهل السنن أبي داود وغيره الدعاء هو العبادة ثم قرأ قوله تعالى {وَقَالَ رَبُّكُمْ اذْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} غافر 60 وقد فسر هذا الحديث مع

القرآن بكل النوعين قيل ادعوني أي اعبدوني وأطيعوا أمري
استجب دعاءكم وقيل سلوني أطعمكم وكل النوعين حق¹

كل من عصى الله فهو جاهم

*وأما السيئات فمنشؤها الجهل والظلم فإن أحدا لا يفعل سيئة قبيحة إلا لعدم علمه بكونها سيئة قبيحة أو لهواه وميل نفسه إليها ولا يترك حسنة واجبة إلا لعدم علمه بوجوبها أو لبغض نفسه لها وفي الحقيقة فالسيئات كلها ترجع إلى الجهل وإلا فلو كان عالماً علماً نافعاً بأن فعل هذا يضره ضرراً راجحاً لم يفعله فإن هذا خاصية العاقل ولها إذا كان من الحسنات ما يعلم أنه يضره ضرراً راجحاً كالسقوط من مكان عالٍ أو في نهر يغرقه أو المرور بجانب حاطط مائل أو دخول نار متأججة أو رمي ماله في البحر ونحو ذلك لم يفعله لعلمه بأن هذا ضرر لا منفعة فيه ومن لم يعلم أن هذا يضره كالصبي والمجنون والساهي والغافل فقد يفعل ذلك ومن أقدم على ما يضره مع علمه من الضرر عليه فلظنه أن منفعته راجحة فاما أن يجزم بضرر مرجوح أو يظن أن الخير راجح فلا بد من رجحان الخير إما في الظن وإما في المظنون كالذي يركب البحر ويسافر الأسفار البعيدة للربح فإنه لو جرم بأنه يغرق أو يخسر لما سافر لكنه يتراجع عنده السلامة والربح وإن كان مخطئاً في هذا الظن وكذلك الذنوب إذا جرم السارق بأنه يؤخذ ويقطع لم يسرق وكذلك الزاني إذا جرم بأنه يرجم لم يزن والشارب يختلف حاله فقد يقدم على جلد أربع وثمانين ويديم الشرم مع ذلك ولهاذا كان الصحيح أن عقوبة الشارب غير محددة بل يجوز أن تنتهي إلى القتل إذا لم ينته إلا بذلك كما جاءت بذلك الأحاديث كما هو مذكور في غير هذا الموضع وكذلك العقوبات متى جرم طالب الذنب بأنه يحصل له به الضرر الراجح لم يفعله بل إما أن لا يكون جازماً بتحريمه أو يكون غير جازم بعقوبته بل يرجو العفو بحسنات أو توبة أو

بعفو الله أو يغفل عن هذا كله ولا يستحضر تحريراً ولا وعيداً فيبقى غافلاً غير مستحضر للتحريم والغفلة من أضداد العلم فالغفلة والشهوة أصل الشر قال تعالى {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاءِ وَالْعَشَّيِ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلَنَا قَلْبُهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً} الكهف 28 والهوى وحده لا يستقل بفعل السيئات إلا مع الجهل والإفصاح الهمي إذا علم قطعاً أن ذلك يضره ضرراً راجحاً انتصرت نفسه عنه بالطبع فأن الله تعالى جعل في النفس حباً لما ينفعها وبعضاً لما يضرها فلا تفعل ما تجزم بأنه يضرها ضرراً راجحاً بل متى فعلته كان لضعف العقل ولهذا يوصف هذا بأنه عاقل وذو نهى وذو حجى ولهذا كان البلاء العظيم من الشيطان لا من مجرد النفس فإن الشيطان يزين لها السيئات ويأمرها بها ويدرك لها ما فيها من المحسن التي هي منافع لا مضار كما فعل إبليس بأدم وحواء فأصل ما يوقع الناس في السيئات الجهل وعدم العلم بكونها تضرهم ضرراً راجحاً أو ظن أنها تنفعهم نفعاً راجحاً ولهذا قال الصحابة رضي الله عنهم كل من عصى الله فهو جاهل قال تعالى {وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ} الأنعام 54 ولهذا يسمى حال فعل السيئات الجاهلية فإنه يصاحبها حال من حال جاهلية وعن قتادة قال أجمع أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم على أن كل من عصى ربه فهو في جهالة عمداً كان أو لم يكن وكل من عصى الله فهو جاهل وكذلك قال التابعون ومن بعدهم قال مجاهد من عمل ذنباً من شيخ أو شاب فهو بجهالة وقال من عصى ربه فهو جاهل حتى ينزع عن معصيته وقال أيضاً هو إعطاء الجهل العمد وقال مجاهد أيضاً من عمل سوءاً خطأ أو إنما عمداً فهو جاهل حتى ينزع منه رواهن ابن أبي حاتم ثم قال وروى عن قتادة و عمرو بن مرة و الثوري و نحو ذلك ذلك

خطأ أو عمداً وروى عن مجاهد والضحاك قالاً ليس من جهالته أن لا يعلم حلالاً ولا حراماً ولكن من جهالته حين دخل فيه وقال عكرمة الدنيا كلها جهالة وعن الحسن البصري أنه سُئل عنها فقال هم قوم لم يعلموا مالهم مما عليهم قيل له أرأيت لو كانوا قد علموا قال فليخرجوا منها فإنها جهالة قلت وما يبين ذلك قوله تعالى {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} فاطر 28 وكل من خشيء وأطاعه وترك معصيته فهو عالم كما قال تعالى {أَمَّنْ هُوَ قَاتِنٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذِرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} الزمر 9 وقال رجل للشعبي أيها العالم فقال إنما العالم من يخشى الله تعالى وقوله تعالى {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} فاطر 28 يقتضي أن كل من يخشى الله فهو عالم فإنه لا يخشاه إلا عالم رضي الله عنه ويقتضي أيضاً أن العالم من يخشى الله كما قال السلف قال ابن مسعود كفى بخشية الله علماً وكفى بالاغترار جهلاً¹

* فليس مجرد العلم موجباً لحب المعلوم إن لم يكن في النفس قوة أخرى تلائم المعلوم وهذه القوة موجودة في النفس وكل من القوتين تقوي بالأخر فالعلم يقوي العمل والعمل يقوى العلم فمن عرف الله وقلبه سليم أحبه وكلما إزداد له معرفة إزداد حبه له وكلما إزداد حبه له إزداد ذكره له ومعرفته بأسمائه وصفاته فإن قوة الحب توجب كثرة ذكر المحبوب كما أن البعض يجب الاعتراض عن ذكر المبغض فمن عادي الله ورسوله وحاد الله ورسوله كان ذلك مقتضياً لإعراضه عن ذكر الله ورسوله بالخير وعن ذكر ما يوجب المحنة فيضعف علمه به حتى قد ينساه كما قال تعالى {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أَوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} الحشر 19

وقال تعالى {وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاءً وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً} الكهف 28 وقد يحصل مع ذلك تصديق

وعلم مع بغض ومعاداة لكن تصدق ضعيف وعلم ضعيف ولكن لولا البغض والمعاداة لأوجب ذلك من محبة الله ورسوله ما يشير به مؤمنا فمن شرط الإيمان وجود العلم التام ولهذا كان الصواب أن الجهل ببعض أسماء الله وصفاته لا يكون صاحبه كافرا إذا كان مقرأ بما جاء به الرسول ولم يبلغه ما يوجب العلم بما جهله على وجه يقتضي كفره إذا لم يعلمه كحديث الذي أمر أهله بتحريقه ثم تذريته بل العلماء بالله يتفضلون في العلم به ولهذا يوصف من لم يعمل بعلمه بالجهل وعدم العلم قال تعالى {إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ} النساء 17 قال أبو العالية سألت أصحاب محمد عن هذه الآية فقالوا لي كل من عصى الله فهو جاهل وكل من تاب قبل الموت فقد تاب من قريب ومنه قول ابن مسعود كفى بخشية الله علما وكفى بالإغترار بالله جهلا وقيل للشعبي أيها العالم فقال العالم من يخشي الله وقد قال تعالى {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءِ} فاطر 28 وقال أبو حيان التيمي العلماء ثلاثة عالم بالله وبأمر الله وعالم بالله ليس عالما بأمر الله وعالم بأمر الله ليس عالما بالله فالعالم بالله الذي يخشاه والعالم بأمر الله الذي يعلم حدوده وفرائضه وقد قال تعالى {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءِ} فاطر 28 وهذا يدل على أن كل من يخشي الله فهو عالم وهو حق ولا يدل على أن كل عالم يخشاه لكن لما كان العلم به موجبا للخشية عند عدم المعارض كان عدمه دليلا على ضعف الأصل إذ لو قوى لدفع المعارض وهذا لفظ العقل يراد به الغريرة التي بها يعلم ويراد بها أنواع من العلم ويراد به العمل بموجب ذلك العلم وكذلك لفظ الجهل يعبر به عن عدم العلم ويعبّر به عن عدم العمل بموجب العلم كما قال النبي إذا كان أحدكم صائم فلا يرفث ولا يجهل فإن أمرؤ شاتمه أو قاتله فليقل إني أمرؤ صائم والجهل هنا هو الكلام الباطل بمنزلة الجهل المركب ومنه قول الشاعر ألا لا يجهل أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلين ومن هذا سميت

الجاهلية جاهلية وهي متضمنة لعدم العلم أو لعدم العمل به ومنه قول النبى لأبى ذر إنك إمرؤ فيك جاهلية لما ساب رجلاً وعيره بأمه وقد قال تعالى {إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيمَةَ حَمِيمَةَ الْجَاهِلِيَّةِ} الفتح 26 فإن الغضب والحمى تحمل المرء على فعل ما يضره وترك ما ينفعه وهذا من الجهل الذي هو عمل بخلاف العلم حتى يقدم المرء على فعل ما يعلم أنه يضره وترك ما يعلم أنه ينفعه لما فى نفسه من البغض والمعاداة لأشخاص وأفعال وهو فى هذه الحال ليس عديم العلم والتصديق بالكلية لكنه لما فى نفسه من بغض وحسد غالب موجب ذلك لموجب العلم فدل على ضعف العلم لعدم موجبه ومقتضاه ولكن ذلك الموجب والنتيجة لا توجد عنه وحده بل عنه وعما فى النفس من حب ما ينفعها وبغض ما يضرها فإذا حصل لها مرض ففسدت به أحبت ما يضرها وأبغضت ما ينفعها فتثير النفس كالمريض الذى يتناول ما يضره لشهوة نفسه له مع علمه أنه يضره قلت هذا معنى ما روى عن النبى أن الله يحب البصر النافذ عند ورود الشبهات ويحب العقل الكامل عند حلول الشهوات رواه البيهقي مرسلاً وقد قال تعالى {وَانْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَئِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ} ص 45 فوصفهم بالقوة فى العمل وال بصيرة فى العلم وأصل القوة قوة القلب الموجبة لمحبة الخير وبغض الشر فإن المؤمن قوته فى قلبه وضعفه فى جسمه والمنافق قوته فى جسمه وضعفه فى قلبه فالإيمان لابد فيه من هذين الأصلين التصديق بالحق والمحبة له فهذا أصل القول وهذا أصل العمل¹

* قال تعالى {وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا قُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} الانعام 54 والأمور التى حرمتها الله ورسوله من الشرك والسحر والقتل والزنا وشهادة الزور وشرب الخمر وغير ذلك من المحرمات قد يكون للنفس فيها حظ مما تعده منفعة أو دفع مضره ولو لا ذلك ما أقدمت

النفوس على المحرمات التي لا خير فيها بحال وإنما يقع النفوس في المحرمات الجهل أو الحاجة فاما العالم بقبح الشيء والنهي عنه فكيف يفعله والذين يفعلون هذه الأمور جميعها قد يكون عندهم جهل بما فيه من الفساد وقد تكون بهم حاجة إليها مثل الشهوة إليها وقد يكون فيها من الضرر أعظم مما فيها من اللذة ولا يعلمون ذلك لجهلهم أو تغلبهم أحوازهم حتى يفعلوها والهوى غالبا يجعل صاحبه كأنه لا يعلم من الحق شيئا فإن حبك

للشيء يعمي ويصم ولهذا كان العالم يخشى الله قال

تعالى {وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمَلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } الأنعام 54 وقال أبو العالية سألت أصحاب محمد صلى الله عليه وآلـه وسلم عن قول الله عز وجل {إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ } النساء 17 الآية فقالوا كل من عصى الله فهو جاهم وكل من تاب قبل الموت فقد تاب من قريب وليس هذا موضع البسط لبيان ما في المنهيـات من المفاسد الغالبة وما في المأمورـات من المصالحـ الغالبة بل يكفي المؤمن أن يعلم أن ما أمر الله به فهو لمصلحةـ محضـةـ أوـ غالـبةـ وما نهى الله عنه فهو مفسدةـ محضـةـ أوـ غالـبةـ وإن الله لا يأمر العبـادـ بما أمرـهمـ بهـ لـ حاجـتهـ إـلـيـهمـ وـلاـ نـهـاـهـمـ عـماـ نـهـاـهـمـ بـخـلـابـهـ عـلـيـهـمـ بـلـ أـمـرـهـ بـمـاـ فـيـهـ صـلـاحـهـ وـنـهـاـهـمـ عـماـ فـيـهـ فـسـادـهـ وـلـهـذاـ وـصـفـ نـبـيـهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ بـأـنـهـ {يـأـمـرـهـ بـالـمـعـرـوفـ وـيـنـهـاـهـ عـنـ الـمـنـكـرـ وـيـحـلـ لـهـمـ الـطـيـبـيـاتـ وـيـحـرـمـ عـلـيـهـمـ الـخـبـائـثـ } الأعراف 157

التائب يتوب مما تركه من حقوق الله تعالى ومما فعله من السيئات

* وقد قال سبحانه {وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمَلَ مِنْكُمْ سُوءًا

بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } الْأَنْعَامُ 54
وَقَالَ { إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ
يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا حَكِيمًا
} النَّسَاءُ 17 وَقَالَ { ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ
تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ
} النَّحْلُ 19 فَهَذَا وَانْ كَانَ قَالَ الصَّحَابَةُ وَالتابعُونَ أَنَّ كُلَّ عَاصِ
فَهُوَ جَاهِلٌ كَمَا قَدْ بَسَطَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ فَهُوَ مُتَنَاهِلٌ لِمَنْ يَكُونُ
عِلْمُ التَّحْرِيمِ أَيْضًا فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ يَكُونُ عَامِلًا سُوءًا وَانْ كَانَ لَمْ
يَسْمَعْ الْخَطَابَ الْمُبَيِّنَ الْمُنْهَى عَنْهُ وَانَّهُ يَتُوبُ مِنْ ذَلِكَ فَيُغْفِرُ اللَّهُ
لَهُ وَيَرْحَمُهُ وَانْ كَانَ لَا يَسْتَحِقُ الْعَقَابَ إِلَّا بَعْدِ بَلوَغِ الْخَطَابِ
وَقِيَامِ الْحَجَةِ وَإِذَا كَانَتِ التَّوْبَةُ وَالْاسْتَغْفَارُ تَكُونُ مِنْ تَرْكِ
الْوَاجِبَاتِ وَتَكُونُ مَا لَمْ يَكُنْ عِلْمًا أَنَّهُ ذَنَبٌ تَبَيَّنَ كُثْرَةً مَا يَدْخُلُ فِي
الْتَّوْبَةِ وَالْاسْتَغْفَارِ فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ إِذَا ذَكَرَتِ التَّوْبَةِ
وَالْاسْتَغْفَارَ يَسْتَشْعِرُ قَبَائِحَ قَدْ فَعَلَهَا فَعْلَمَ بِالْعِلْمِ الْعَامِ أَنَّهَا قَبِيحةٌ
كَالْفَحْشَةِ وَالظُّلْمِ الظَّاهِرِ فَأَمَّا مَا قَدْ يَتَخَذُ دِيَنًا فَلَا يَعْلَمُ أَنَّهُ ذَنَبٌ إِلَّا
مِنْ عِلْمٍ أَنَّهُ بَاطِلٌ كَدِينِ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ الْمُبَدِّلِ فَإِنَّهُ مَا
تَجَبَّ التَّوْبَةُ وَالْاسْتَغْفَارُ مِنْهُ وَأَهْلُهُ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى هُدَىٰ
وَكَذَلِكَ الْبَدْعَ كُلُّهَا وَلَهُذَا قَالَ طَائِفَةٌ مِنَ السَّلْفِ مِنْهُمْ
الثُّورَى الْبَدْعَةُ أَحَبُّ إِلَى إِبْلِيسِ مِنَ الْمُعْصِيَةِ لِأَنَّ الْمُعْصِيَةَ يَتَابُ
مِنْهَا وَالْبَدْعَةُ لَا يَتَابُ مِنْهَا وَهَذَا مَعْنَى مَا رَوَى عَنْ طَائِفَةٍ أَنَّهُمْ
قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَجَرَ التَّوْبَةَ عَلَى كُلِّ صَاحِبِ بَدْعَةٍ بِمَعْنَى أَنَّهُ لَا
يَتُوبُ مِنْهَا لِأَنَّهُ يَحْسِبُ أَنَّهُ عَلَى هُدَىٰ وَلَوْ تَابَ لِتَابَ عَلَيْهِ كَمَا
يَتُوبُ عَلَى الْكَافِرِ وَمَنْ قَالَ إِنَّهُ لَا يَقْبِلُ تَوْبَةً مِبْتَدَعٍ مُطْلَقاً فَقَدْ غَلَطَ
غَلَطَا مُنْكِرَا وَمَنْ قَالَ مَا أَذْنَ اللَّهُ لِصَاحِبِ بَدْعَةٍ فِي تَوْبَةٍ فَمَعْنَاهُ مَا
دَامَ مِبْتَدَعًا يَرَاهَا حَسْنَةً لَا يَتُوبُ مِنْهَا فَأَمَّا إِذَا أَرَاهَا اللَّهُ أَنَّهَا قَبِيحةٌ
فَإِنَّهُ يَتُوبُ مِنْهَا كَمَا يَرَا الْكَافِرُ أَنَّهُ عَلَى ضَلَالٍ وَلَا فَمَعْلُومُ أَنَّ
كَثِيرًا مِنْ كَانَ عَلَى بَدْعَةٍ تَبَيَّنَ لَهُ ضَلَالُهَا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْهَا
وَهُؤُلَاءِ لَا يَحْصِيهِمْ إِلَّا اللَّهُ وَالْخَوارِجُ لَمَّا أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ
ابْنَ عَبَّاسَ فَنَاظَرُوهُمْ وَرَجَعُوا مِنْهُمْ نَصْفَهُمْ أَوْ نَحْوَهُ وَتَابُوا وَتَابُوا

منهم آخرون على يد عمر بن عبد العزيز وغيره ومنهم من سمع العلم كتاب وهذا كثير فهذا القسم الذي لا يعلم فاعلوه قوله قبحه قسم كثير من أهل القبلة وهو في غيرهم عام وكذلك ما يترك الإنسان من واجبات لا يعلم وجوهاً كثيرة جداً ثم إذا علم ما كان قد تركه من الحسنات من التوحيد والإيمان وما كان مأموراً بالتوبه منه والاستغفار مما كان سيئة والتائب يتوب مما تركه وضيئه وفرط فيه من حقوق الله تعالى كما يتوب مما فعله من السيئات وإن كان قد فعل هذا وترك هذا قبل الرسالة فالرسالة يستحق العقاب على ترك هذا وفعل هذا والا فكونه كان فاعلاً للسيئات المذمومة وتركها للحسنات التي يذم تاركها كان تائباً قبل ذلك كما تقدم ذكرنا القولين قول من نفي الذم والعقاب وقول من أثبت الذم والعقاب فان قيل إذا لم يكن معاقباً عليها فلا معنى لقبحها قيل بل فيه معنيان أحدهما أنه سبب للعقاب لكن هو متوقف على الشرط وهو الحجة قال تعالى {وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذْتُمْ مِّنْهَا} آل عمران 103 فلو لا انقاذه لسقطوا ومن كان واقفاً على شفير فهلاكه موقوف على سقوطه بخلاف ما اذا بان وبعد عن ذلك فقد بعد عن الهلاك فأصحابها كانوا قربين إلى الهلاك والعذاب الثاني أنهم مذمومون منقوصون معيبون فدرجتهم منخفضة بذلك ولا بد ولو قدر أنهم لم يعذبو لا يستحقون ما يستحقه السليم من ذلك من كرامته ايضاً وثوابه وهذه عقوبة بحرمان خير وهي احد نوعي العقوبة وهذا وإن كان حاصلاً لكل من ترك مستحبها فإنه يفوته خيره ففرق بين ما يفوته مالم يحصل له وبين ما ينقص ما عنده وهذا كلام عام فيما لم يعاقب عليه من الذنب وأما من لم يرسل إليه رسول في الدنيا فقد رويت آثار أنهم يرسل إليهم رسول في عرصات القيمة كما قد بسط في مواضع¹

*وجميع ما يتوب العبد منه سواء كان فعلاً أو تركاً قد لا يكون كان عالماً بأنه ينبغي التوبة منه وقد يكون كان عالماً بذلك فإن الإنسان كثيراً ما يكون غير عالم بوجوب الشيء أو قبحه ثم يتبيّن له فيما

بعد وجوبه أو قبحه وقد يكون عالماً بوجوبه أو قبحه ويتركه أو يفعله لضعف المقتضى لفعل الواجب أو قوة المقتضى ل فعل الفبيح لكن هذا لا يكاد يقع إلا مع ضعف العلم بوجوبه وقبحه وإن إذا كمل العلم استلزم الإرادة الجازمة في الطرفين وقال تعالى **﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ ثَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾** الأنعام 54 والمؤمن لا يزال يخرج من الظلمات إلى النور ويزداد هدى فيتجدد له من العلم والإيمان ما لم يكن قبل ذلك فيتوب مما تركه وفعله والتوبة تصقل القلب وتجليه مما عرض له من رين الذنوب ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر لم يجعل أجر العاجز على إصابة الصواب مع اجتهاده كأجر القادر عليه كما جعل للمرتضى والممسافر مثل ثواب الصحيح المقيم كما جعل المعنور من القاعدين عن الجهاد الذي تمت رغبته بمنزلة المجاهد فإن الأصل هو القلب والبدن تابع فالمستويان في عمل القلب إذا فعل كل منها بقدر بدنه متماثلان بخلاف المتفاضلين في عمل القلب علمه وإرادته وما يتبع ذلك فإنهما لا يتماثلان ولهذا يعاقب العبد على ما تركه من الإيمان بقلبه وإن قيل إن ذلك تكليف ما لا يطاق ولا يعاقب على ما عجز عنه بدنه باتفاق المسلمين فهو يعاقب على ترك ما أمر بإرادته وفعله وإن كانت نفسه لا تريده ولا تحبه وليس هو معاقبا على ترك ما عجز عنه بدنه كجهاد المقعد والأعمى ونحوهما ونفسه إنما لا تعلم الحق الذي بعث الله به رسلاه ولا تريده لتفريطه وتعديه إذ آيات ذلك الحق ظاهرة وهو محظوظ وقد خلق الله كل مولود على الفطرة التي تتضمن القوة على معرفة

هذا الحق وعلى محبته ولكن غير فطرته بما يقلده عن غيره كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جماعه هل تحسون فيها من جدعاء وإذا كان قد خلق

على الصحة والسلامة فهو يستحق العقوبة على ما غيره من خلق
الله بتقريره وعدوانه لاتباعه الظن وما تهوى الأنفس¹

التوبة قد يكون من تمامها عمل صالح يعمله

*فالنوبة قد يكون من تمامها عمل صالح يعمله فيبتلى بعد التوبة لينظر دوام طاعته قال الله تعالى {إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} آل عمران 89 في التائب من الردة وقال في كاتم العلم {إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُؤْبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَابُ الرَّحِيمُ} البقرة 160 وقال {وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} الأنعام 54 وقال في القذف {إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} النور 5 و قال {إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا} 70 {وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا} 71 {الفرقان} 70-71 و قال {وَإِنِّي لَغَفَارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى} طه 82 و لما تاب كعب بن مالك و أصحابه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين بهجرهم حتى نسائهم ثمانيين لليلة و قال النبي صلى الله عليه و سلم في الغامدية لما رجمها لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له و هل و جدت أفضل من أن جادت بنفسها الله و قد أخبر الله عن توبته علىبني إسرائيل حيث قال لهم موسى {يَا قَوْمَ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِإِتْخَادِكُمُ الْعِجْلَ فَتُثْوِبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنَّدَ بَارِئِكُمْ} البقرة 54 و إذا كان الله تعالى قد يبتلى العبد من الحسنات و السيئات و السراء و الضراء بما يحصل معه شكره و صبره أم كفره و جزعه و طاعته أم معصيته فالتألب أحق بالإبتلاء فآدم أهبط إلى الأرض إبتلاء له و فقه الله في هبوطه لطاعته فكان حاله بعد الهبوط ط خيرا من حاله قبل الهبوط¹

اعتقاد أهل السنة لا ينفون عنه ما وصف به نفسه

*فاعتقد الفرقة الناجية المنصورة الى قيام الساعة أهل السنة والجماعة وهو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والإيمان بالقدر خيره وشره ومن الإيمان بالله بالإيمان بما وصف به نفسه في كتابه وبما وصفه به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكليف ولا تمثيل بل يؤمنون بأن الله سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه ولا يحرفون الكلم عن موضعه ولا يلحدون في أسماء الله وأياته ولا يكفيون ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه لأنه سبحانه لا سمي له ولا كفو له ولا ند له ولا يقاس بخلقه سبحانه وتعالى فإنه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره وأصدق قيلاً وأحسن حديثاً من خلقه ثم رسالته صادقون مصدوقون بخلاف الذين يقولون عليه مالاً يعلمون ولهاذا قال سبحانه وتعالى {سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعَزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ}180 وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ{181} وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ{182} الصافات180-182 فسبح نفسه بما وصفه به المخالفون للرسل وسلم على المرسلين لسلامة ما قالوه من النقص والعيب وهو سبحانه قد جمع فيما وصف وسمى به نفسه بين النفي والإثبات فلا عدول لأهل السنة والجماعة مما جاء به المرسلون فإنه الصراط المستقيم صراط الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وقد دخل في هذه الجملة ما وصف به نفسه في سورة الإخلاص التي تعدل ثلث القرآن وقوله سبحانه {كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ¹} الأنعام154

*وقال الإمام أبو عبدالله محمد بن خفيف في كتابه الذي سماه اعتقاد التوحيد باثبات الأسماء والصفات إلى أن قال فأول ما نبتدئ به ما أوردنا هذه المسألة من أجلها ذكر أسماء الله عز وجل في كتابه وما بين صلى الله عليه وسلم من

صفاته في سنته وما وصف به عز وجل مما سنذكر قول القائلين بذلك مما لا يجوز لنا في ذلك أن نرده إلى أحكام عقولنا بطلب الكيفية بذلك ومما قد امرنا بالإسلام له إلى أن قال ثم إن الله تعرف علينا بعد اثبات الوحدانية والاقرار بالالوهية ان ذكر تعالى في كتابه بعد التحقيق بما بدأ من اسمائه وصفاته وأكده عليه السلام بقوله فقبلوا منه كقولهم لأوائل التوحيد من ظاهر قوله لا إله إلا الله إلى أن قال باثبات نفسه بالتفصيل من المجمل فقال لموسى عليه السلام {وَاصْطَنِعْتُكَ لِنَفْسِي} طه 41 وقال {وَيُحَدِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ} آل عمران 28 ولصحة ذلك واستقرار ما جاء به المسيح عليه السلام فقال {تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ} المائدة 116 وقال عز وجل **{كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ}** الأنعام 54 وأكد عليه السلام صحة اثبات ذلك في سنته فقال يقول الله عز وجل من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسه وقال كتب كتابا بيده على نفسه ان رحمتي غلت غضبي وقال سبحان الله رضي نفسه وقال في محاجة آدم لموسى أنت الذي اصطفاك الله واصطنعك لنفسه فقد صرخ بظاهر قوله أنه اثبت لنفسه نفسها واثبت له الرسول ذلك فعلى من صدق الله ورسوله اعتقاد ما أخبر به عن نفسه ويكون ذلك مبينا على ظاهر قوله **{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}** الشورى 11 ثم قال فعل المؤمنين خاصتهم وعامتهم قبول كل ما ورد عنه عليه السلام بنقل العدل عن العدل حتى يتصل به وان مما قضى الله علينا في كتابه ووصف به نفسه ووردت السنة بصحة ذلك ان قال **{إِنَّ اللَّهَ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}** النور 35 ثم قال عقيب ذلك **{نُورٌ عَلَى نُورٍ}** النور 35 وبذلك دعاه صلى الله عليه وسلم أنت نور السموات والأرض ثم ذكر حديث أبي موسى حجابة النور أو النار لو كشفه لأحرقت سمات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه وقال سمات وجهه جلاله ونوره نقله عن الخليل وأبى عبيد وقال قال عبدالله بن مسعود نور السموات نور وجهه¹

الله سبحانه أحكم كتابه ثم فصله وبينه لعباده

* ان الله عالم الانسان البيان كما قال تعالى {الرَّحْمَنُ} {1} عَلَمَ القرآن {2} خَلَقَ الْإِنْسَانَ {3} عَلَمَةُ الْبَيَانَ {4} الرحمن 4-1 وقال تعالى {وَعَلَمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا} البقرة 31 وقال {عَلَمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} العلق 5 والبيان بيان القلب واللسان كما أن العمى والبكم يكون في القلب واللسان كما قال تعالى {صُمُّ بُكْمُ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ} البقرة 18 وقال {صُمُّ بُكْمُ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ} البقرة 171 وقال النبي هلا سألووا إذا لم يعلموا إنما شفاء العي السؤال وفي الاثر العي عي القلب لا عي اللسان أو قال شر العي عي القلب وكان مسعود يقول إنكم في زمان كثير فقهاؤه قليل خطباؤه وسيأتي عليكم زمان قليل فقهاؤه كثير خطباؤه وتبين الأشياء للقلب ضد اشتباهم عليه كما قال الحلال بين والحرام بين وبينهما امور مشتبهات الحديث وقد قرئ قوله **{وَكَذَلِكَ نَفَضَّلُ الْآيَاتِ وَلَتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ}** الأنعام 55 بالرفع والنصب أي ولتبين انت سبيهم فالانسان يستبين الأشياء وهم يقولون قد بان الشيء وبينته وتبين الشيء وتبينته واستبان الشيء واستبنته كل هذا يستعمل لازماً ومتعدياً ومنه قوله تعالى {إِنْ جَاءُكُمْ فَاسِقٌ بَنَّا فَتَبَيَّنُوا} الحجرات 6 هو هنا معند ومنه قوله {بِفَلَاحَةٍ مُّبَيِّنَةٍ} النساء 19 أي متبينة فهنا هو لازم والبيان كالكلام يكون مصدر بان الشيء بياناً ويكون اسم مصدر لبيان كالكلام والسلام لسلم وبين فيكون البيان بمعنى تبين الشيء ويكون بمعنى بينت الشيء أي اوضحته وهذا هو الغالب عليه¹

* قوله تعالى { كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ } هود ١ فقد فصله بعد أحکامه بخلاف من تكلم بكلام لم يحكمه وقد يكون في الكلام المحكم ما لم يبينه لغيره فهو سبحانه أحکم كتابه ثم فصله وبينه لعباده كما قال { وَكَذَلِكَ نَفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ } الأنعام ٥٥ وقال { وَلَقَدْ جِنَّا هُمْ بِكِتَابٍ فَصَلَّنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } الأعراف ٥٢ فهو سبحانه بينه وأنزله على عباده بعلم ليس كمن يتكلم بلا علم^١

لفظ الدعاء يتناول معنيين

* الدعاء قصد المدعو و التوجه إليه إما على وجه المسألة و إما على وجه العبادة المحسنة لأن دعاء الشيء هو طلبه و إرادته سواء طلب لذاته أو للأمر منه و من ذلك قوله تعالى { وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَحِبْ لَكُمْ } غافر ٦٠ فإنه فسر بالمسألة و بالعبادة و قوله تعالى { قُلْ إِنِّي نُهِيُّ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَبْعِي أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَّلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهَتَّدِينَ } الأنعام ٥٦^١

* لفظ الدعاء والدعوة في القرآن يتناول معنيين دعاء العبادة ودعاء المسألة قال الله تعالى { فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا أَخَرَ فَتَكُونُ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ } الشعراء ٢١٣ وقال تعالى { وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا أَخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ } المؤمنون ١١٧ وقال تعالى { وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا أَخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ } القصص ٨٨ وقال { وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا } الجن ١٩ وقال { إِنِّي يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَّا ثُمَّ وَإِنِّي يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا } النساء ١١٧ ولفظ الصلاة في اللغة اصله الدعاء وسميت الصلاة دعاء لتضمنها معنى الدعاء وهو العبادة والمسألة وفي الصحيحين عن النبي انه قال ينزل ربنا كل ليلة الى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغرنى فأغفر له فذكر او لا لفظ الدعاء ثم ذكر

السؤال والاستغفار والمستغفر سائل كما ان السائل داع لكن ذكر السائل لدفع الشر بعد السائل الطالب للخير وذكرهما جمِيعاً بعد ذكر الداعي الذي يتناولهما وغيرهما فهو من باب عطف الخاص على العام وقال تعالى {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أَجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ} البقرة 186 وكل سائل راغب راهب فهو عابد للمُسؤول وكل عابد له فهو ايضاً راغب وراهب يرجو رحمته ويخاف عذابه فكل عابد سائل وكل سائل عابد واحد الاسمين يتناول الآخر عند تجرده عنه ولكن اذا جمع بينهما فانه يراد بالسائل الذي يطلب جلب المنفعة ودفع المضرة بصيغة السؤال والطلب ويراد بالعبد من يطلب ذلك بامتثال الامر وان لم يكن في ذلك صيغة سؤال والعابد الذي يريد وجه الله والنظر اليه هو ايضاً راجح خائف راغب راهب يرغب في حصول مراده ويرهباً من فواته قال تعالى {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَا رَغْبًا وَرَهْبًا} الأنبياء 90 وقال تعالى {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعاً} السجدة 16 ولا يتصور ان يخلو داع لله دعاء عبادة او دعاء مسألة من الرغب والرهبة من الخوف والطمع¹

*والدعاء لله وحده سواء كان دعاء العبادة أو دعاء المسألة والإستعانة كما قال تعالى {فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَا كَرِهَ الْكَافِرُونَ} غافر 14 وذم الذين يدعون الملائكة والأنبياء وغيرهم فقال {قُلْ إِنِّي نُهِيَّتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَلَلَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَّتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهَتَّدِينَ} الأنعام 56

العلم الحقيقى الراسخ فى القلب يمتنع أن يصدر معه ما يخالفه

* {قُلْ إِنِّي نُهِيَتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَتْكُمْ أَهْوَاءُكُمْ قَدْ ضَلَّلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهَتَّدِينَ} الأنعام 56 قال أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كل من عمل سوءا فهو جاهل وسبب ذلك أن العلم الحقيقي الراسخ في القلب يمتنع أن يصدر معه ما يخالفه من قول أو فعل فمتي صدر خلافه فلا بد من غفلة القلب عنه أو ضعف القلب عن مقاومة ما يعارضه وتلك أحوال تناقض حقيقة العلم فيصير جهلا بهذا الاعتبار ومن هنا تعرف دخول الأعمال في مسمى الإيمان حقيقة لا مجازا وإن لم يكن كل من ترك شيئا من الأعمال كافرا أو خارجا عن أصل مسمى الإيمان وكذلك اسم العقل ونحو ذلك من الأسماء ولهذا يسمى الله تعالى أصحاب هذه الأحوال موتى وعميا وصمما وبكما وضالين وجاهلين ويصفهم بأنهم لا يعقلون ولا يسمعون ويصف المؤمنين بأولي الألباب والنهى وأنهم مهتدون وأن لهم نورا وأنهم يسمعون ويعقلون¹

{وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ}

* والهوى مصدر هوى يهوى هوى ونفس المهوى يسمى هوى ما يهوى فاتباعه كاتباع السبيل كما قال تعالى { قُلْ لَا أَتَتْكُمْ أَهْوَاءُكُمْ قَدْ ضَلَّلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهَتَّدِينَ } الأنعام 56 وكما في لفظ الشهوة فاتباع الهوى يراد به نفس مسمى المصدر أي اتباع ارادته ومحبته التي هي هواه واتباع الارادة هو فعل ما تهواه النفس كقوله تعالى { وَاتَّبِعُ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ } لقمان 15 وقوله {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَاحِبُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقَوْنَ } الأنعام 153 وقال { اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رِبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أُولَئِكَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ } الأعراف 3 فلفظ الاتباع يكون للأمر الناهي وللأمر والنهي وللمأمور به والنهي عنه وهو الصراط المستقيم كذلك يكون للهوى أمر ونهي وهو أمر النفس ونهيا كما قال تعالى ان النفس لأماره بالسوء الا ما رحم ربها ان ربها غفور رحيم ولكن

ما يأمر به من الأفعال المذمومة فأحدها مستلزم للأخر فاتباع الأمر هو فعل المأمور واتباع أمر النفس هو فعل ما تهواه فعلى هذه يعلم أن اتباع الشهوات واتباع الأهواء هو اتباع شهوة النفس وهوهاها وذلك يفعل ما يشتهيه وتهواه بل قد يقال هذا هو الذي يتعين في لفظ اتباع الشهوات والأهواء لأن الذي يشتهي ويهاوى إنما يصير موجودا بعد أن يشتهي ويهاوى وإنما يذم الإنسان اذا فعل ما يشتهي ويهاوى عند وجود فهو حينئذ قد فعل ولا ينهى عنه بعد وجوده ولا يقال لصاحبه لا تتبع هواك وأيضا فال فعل المراد المشتهي الذي يهاوى الإنسان هو تابع لشهوته وهواد فليست الشهوة والهوى تابعة له فاتباع الشهوات هو اتباع شهوة النفس وإذا جعلت الشهوة بمعنى المشتهي كان مع مخالفة الأصل يحتاج الى أن يجعل في الخارج ما يشتهي والانسان يتبعه كالمرأة المطلوبة أو الطعام المطلوب وإن سميت المرأة شهوة والطعام أيضا كما في قوله صلى الله عليه وسلم كل عمل ابن آدم له الا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به يدع طعامه طعامه وشرابه وشهوته من أجلي أي بترك شهوته وهو إنما يترك ما يشتهيه كما يترك الطعام لا أنه يدع طعامه بترك الشهوة الموجودة في نفسه فإن تلك مخلوقه فيه مجبول عليها وإنما يثاب اذا ترك ما تطلبـه تلك الشهوة وحقيقة الأمر أنها متألزـمان فمن اتبع نفس شهوته القائمة بنفسه اتبع ما يشتهـيه وكذلك من اتبع الهوى القائم بنفسه اتبع ما يهاـوه فإن ذلك من آثار الارادة واتباع الارادة هو امثالـ أمرـها وفعلـ ما تطلبـه كالـمأمورـ الذي يـتبعـ أمرـ أمـيرـهـ ولاـ بدـ أنـ يـتصـورـ مرـادـهـ الذيـ يـهاـوهـ وـيـشـتهـيهـ فيـ نـفـسـهـ وـيـتخـيلـهـ قـبـلـ فعلـهـ فيـيـقـىـ ذلكـ المـثالـ كـالـإـمامـ معـ المـأـمـورـ يـتبـعـ حـيـثـ كـانـ وـفـعـلـهـ فـيـ الـظـاهـرـ تـبـعـ لـاتـبـاعـ الـبـاطـنـ فـتـبـقـىـ صـورـةـ المـرـادـ المـطلـوبـ المـشـتهـيـ التـيـ فـيـ النـفـسـ هـيـ الـمـحرـكـةـ لـلـانـسـانـ الـأـمـرـةـ لـهـ وـلـهـذاـ يـقـالـ العـلـةـ الغـائـيـةـ عـلـةـ فـاعـلـيـةـ فـإـنـ الـانـسـانـ لـلـعـلـةـ الغـائـيـةـ بـهـذاـ التـصـورـ وـالـأـرـادـةـ صـارـ فـاعـلـاـ لـلـنـفـعـ وـهـذـهـ الصـورـةـ المـرـادـةـ المـتـصـورـةـ فـيـ النـفـسـ هـيـ التـيـ جـعـلـتـ فـاعـلـاـ فـيـكـونـ الـانـسـانـ مـتـبعـاـ لـهـ

والشيطان يمده في الغي فهو يقوى تلك الصورة ويقوى أثرها
 ويزين للناس اتباعها وتلك الصورة تتناول صورة العين
 المطلوبة كالمحظوظ من الصور والطعام والشراب وتتناول نفس
 الفعل الذي هو المباشرة لذلك المطلوب المحظوظ والشيطان
 والنفس تحب ذلك وكلما تصور ذلك المحظوظ في نفسه أراد
 وجوده في الخارج فإن أول الفكر آخر العمل وأول البغية آخر
 الدرك ولهذا يبقى الإنسان عند شهوته وهو أسيراً لذلك مقهوراً
 تحت سلطان الهوى أعظم من قهر كل قاهر فإن هذا القاهر
 الهوائي القاهر للعبد هو صفة قائمة بنفسه لا يمكنه مفارقتها البتة
 والصورة الذهنية تطلبها النفس فإن المحظوظ تطلب النفس أن
 تدركه وتمثله لها في نفسها فو متبع للارادة وإن كانت الذهنية
 والترين من الذين والمراد التصور في نفسه والمشتهي الموجود
 في الخارج له محركان التصور والمشتهي هذا يحركه تحريك
 طلب وأمر وهذا يأمره أن يتبع طلبه وأمره فاتباع الشهوات
 والأهواء يتناول هذا كله بخلاف كل قاهر ينفصل عن الإنسان
 فإنه يمكنه مفارقتها معبقاء نفسه على حالها وهذا إنما يفارقها
 بتغير صفة نفسه ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث
 مهلكات شح مطاع وهو متبع واعجاب المرء بنفسه وثلاث
 منجيات خشية الله في السر والعلانية والقصد في الفقر والغنا
 وكلمة الحق في الغضب والرضا وقوله في الحديث هو متبع
 فيه دليل على أن المتبع هو ما قام في النفس كقوله في الشح
 المطاع وجعل الشح مطاعاً لأنه هو الأمر وجعل الهوى متبعاً
 لأن المتبع قد يكون أاماً يقتدى به ولا يكون أمراً¹

{إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْ رَّبِّي}

*قال تعالى {قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْ رَّبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا
 تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنَّ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقْصُصُ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ
 الْفَاصِلِينَ} الانعام 57 البينة من البيان و البينة هي السبيل
 البينة وهي الطريق البينة الواضحة وهي أيضاً ما تبين بها الحق

فهي بينه في نفسها مبينة لغيرها وقد تفسر بالبيان وهي الدلالة والإرشاد فتكون كالهدي كما يقال فلان على هدى وعلى علم فيفسر بمعنى المصدر والصفة والفاعل ومنه قوله {أَوْلَمْ تَأْتِهِمْ بَيْنَهُ مَا فِي الصُّحْفِ الْأُولَى} طه 133 أي بيان ما فيها أو بيين ما فيها أو الأمر البين فيها وقد سمي الرسول بيينة كما قال {حَتَّىٰ تَأْتِيهِمُ الْبَيْنَةُ} 1 رسول من الله 2 البينة 1-2 فإنه يبين الحق والمؤمن على سبيل بيينة ونور من ربه¹

* ان الله علم الانسان كما قال تعالى {الرَّحْمَنُ} 1 علم القرآن {2} خلق الإنسان {3} علمة البيان {4} الرحمن 4-1 وقال تعالى {وَعَلِمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلُّهَا} البقرة 31 وقال {عَلِمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} العلق 5 والبيان بيان القلب واللسان كما أن العمى والبكم يكون في القلب واللسان كما قال تعالى {صُمُّ بُكْمُ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ} البقرة 18 وقال {صُمُّ بُكْمُ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ} البقرة 171 وقال النبي هلا سألوا إذا لم يعلموا إنما شفاء العي السؤال وفي الاثر العي عي القلب لا عي اللسان أو قال شر العي عي القلب وكان مسعود يقول إنكم في زمان كثير فقهاؤه قليل خطباؤه وسيأتي عليكم زمان قليل فقهاؤه كثير خطباؤه وتبيين الأشياء للقلب ضد اشتباهم عليه كما قال الحلال بين والحرام بين وبينهما امور مشتبهات الحديث وقد قرئ قوله {وَكَذَلِكَ نَفَصِّلُ الْآيَاتِ} ولتسبيب سبيل المجرمين {الأنعام} 55 بالرفع والنصب أي ولتبين انت سبيلهم فالانسان يتبيين الأشياء وهم يقولون قد بن الشيء وبينته وتبين الشيء وتبنته واستبان الشيء واستبنته كل هذا يستعمل لازماً ومتعدياً ومنه قوله تعالى {إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا} الحجرات 6 هو هنا معتد ومنه قوله {إِفْلَاحَشَةٌ مُبَيِّنَةٌ} النساء 19 أي متبينة فهنا هو لازم والبيان كالكلام يكون مصدر بان الشيء بياناً ويكون اسم مصدر لبيان الكلام والسلام لسلام وبين فيكون البيان بمعنى تبيان الشيء ويكون بمعنى بيانت الشيء أي اوضحته وهذا هو الغالب عليه ومنه قوله ان من

البيان لسحراً والمقصود ببيان الكلام حصول البيان لقلب المستمع حتى يتبيّن له الشيء ويستتبّن كما قال تعالى {هذا بيان للناس} آل عمران 138 الآية ومع هذا فالذى لا يستتبّن له كما قال تعالى {فُلْهُ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمَّا أُولَئِكَ يُنَادِونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ} فصلت 44 وقال {وَأَنَزَلْنَا إِلَيْكَ الْذِكْرَ لِتُبَيَّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَّلْ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} النحل 44 وقال {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِتُبَيَّنَ لَهُمْ} إبراهيم 4 وقال {وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ} النور 54 وقال {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيَّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقَوْنَ} التوبه 115 وقال {يُبَيَّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنَّ تَضْلِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} النساء 176 وقال {قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْ رَبِّي} الأنعام 57 الآية وقال {أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْ رَبِّهِ} هود 17 وقال {وَلَقَدْ أَنَزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ} البقرة 99 وقال {يُبَيَّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} النور 61 فاما الاشياء المعلومة التي ليس في زيادة وصفها إلا كثرة كلام وتقييّق وتشدق وتكبر والافصاح بذلك الاشياء التي يستقبّح ذكرها فهذا مما ينهى عنه كما جاء في الحديث أن الله يبغض البليغ من الرجال الذي يدخل بسانه كما تدخل البقرة بسانها وفي الحديث الحياة والعي شعبتان من الایمان والبذاء والبيان شعبتان من النفاق ولهذا قال إن طول صلة الرجل وقصر خطبته مئة من فقهه وفي حديث سعد لما سمع ابنه أو لما وجد ابنه يدعوه وهو يقول اللهم أني اسألك الجنة ونعمتها وبهجهتها وكذا وأعوذ بك من النار وسلامتها واغلالها وكذا قال يا بنى إني سمعت رسول الله يقول سيكون قوم يعتقدون في الدعاء فاياك ان تكون منهم إنك إن أعطيت الجنة اعطيتها وما فيها من الخير وان اعذت من النار
 أعذت منها وما فيها من الشر¹

* قوله {أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْ رَبِّهِ} هود 17 كما تقدم هو قوله {قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْ رَبِّي} الأنعام 57 قوله

{أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيْنَةٍ مِّنْ رَّبِّهِ كَمَنْ زُينَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا
أَهْوَاءِهِمْ} محمد 14 وقوله {أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ
عَلَى نُورٍ مِّنْ رَّبِّهِ} الزمر 22 وقوله {أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّنْ
رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} البقرة 5 فإن هذا النوع يبين أن
المؤمن على أمر من الله فاجتمع في هذا اللفظ حرف الاستعلاء
وحرف من لإبتداء الغاية وما يستعمل فيه حرف ابتداء
الغاية فيقال هو من الله على نوعين فإنه أما أن يكون من الصفات
التي لا تقوم بنفسها ولا بمخلوق فهذا يكون صفة له وما كان عينا
قائمة بنفسها أو بمخلوق فهي مخلوقة فال الأول قوله {وَلَكُنْ
حَقَّ الْقَوْلُ مَنِي} السجدة 13 وقوله {يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِّنْ
رَّبِّكَ} الأنعام 14 كما قال السلف القرآن كلام الله غير
مخلوق منه بدا وإليه يعود والنوع الثاني قوله {وَسَخَّرَ
لُكْمَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ} الجاثية 13
وقوله {وَمَا يُكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ} النحل 53 و {مَا أَصَابَكَ
مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ} النساء 79 وكما يقال إلهام الخير وإيحاؤه من
الله وإلهام الشر وإيحاؤه من الشيطان والوسوسة من الشيطان
فهذا نوعان تارة باعتبار السبب وتارة باعتبار العاقبة والغاية
فالحسنات هي النعم والسيئات هي المصائب كلها من عند الله لكن
تلك الحسنات أنعم الله بها على العبد فهي منه إحساناً وتفضلاً
وهذه عقوبة ذنب من نفس العبد فهي من نفسه باعتبار أن عمله
السيء كان سببها وهي عقوبة له لأن النفس أرادت تلك الذنوب
ووسررت بها وتارة يقال باعتبار حسنات العمل وسيئاته وما
يلقى في القلب من التصورات والإرادات فيقال للحق هو من الله
ألهمه العبد ويقال للباطل أنه من الشيطان وسوس به ومن النفس
أيضاً لأنها أرادته كما قال عمر وابن مسعود فيما
قالوه بإجتهادهم إن يكن صواباً فمن الله وإن يكن خطأً فمنا ومن
الشيطان والله ورسوله بريئان منه وهذا لفظ ابن مسعود في
حديث بروع بنت واشق قال إن يكن صواباً فمن الله وإن يكن
خطأً فمني ومن الشيطان لأن حكم بحكم فإن كان موافقاً لحكم الله

فهو من الله لأنه موافق لعلمه وحكمه فهو منه بإعتبار أنه سبحانه
ألهمه عبده لم يحصل بتوصيت الشيطان والنفس وإن كان خطأ
فالشيطان وسوس به والنفس أرادته ووسوس به وأن كان ذلك
مخلوقاً فيه والله خلقه فيه لكن الله لم يحكم به وأن لم يكن ما وقع
لي من إلهام الملك كما قال ابن مسعود أن للملك بقلب ابن آدم لمة
وللشيطان لمة فلما فلمة الملك إبعاد بالخير وتصديق بالحق ولمة
الشيطان إبعاد بالشر وتكذيب بالحق فالتصديق من باب الخبر
والإبعاد بالخير والشر من باب الطلب والإرادة قال تعالى
{الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمُ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مَنْ نَهَا
وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} البقرة 268 فإن ما يلقى الله في قلوب
المؤمنين من الالهامات الصادقة العادلة هي من وحي الله وكذلك
ما يريهم إياه في المنام قال عبادة بن الصامت رؤيا المؤمن كلام
يكلم به الرب عبده في منامه وقال عمر اقتربوا من أفواه

المطيعين واسمعوا منهم ما يقولون فإنهم يتجلى لهم أمور صادقه
وقد قال تعالى {وَإِذَا أُوْحِيَتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي
وَبِرَسُولِي} المائدة 111 {وَأُوْحِيَنَا إِلَى أُمٌّ مُوسَى} القصص 7
{وَأُوْحِيَنَا إِلَيْهِ لِتُبَيِّنَ لَهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا} يوسف 15 وذلك الهدى
المختص وإن كان قد سماه إلهاماً كما سماه هدى كما في قوله
{وَأَمَّا ثُمُودٌ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحْبُوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى} فصلت 17
وكذلك قد قيل في قوله {وَهَدَيْنَاهُمْ النَّجَدَيْنِ} البلد 10 أي ببناه له
طريق الخير والشر وهو هدى البيان العام المشترك وقيل هدينا
المؤمن لطريق الخير والكافر لطريق الشر فعلى هذا يكون قد
جعل الفجور هدى كما جعل أولئك البيان إلهاماً وكذلك قوله
{إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا} الإنسان 3 قيل هو
الهدى المشترك وهو أنه بين له الطريق التي يجب سلوكها
والطريق التي لا يجب سلوكها وقيل بل هدى كلا من الطائفتين
إلى ما سلكه من السبيل إما شاكراً وإما كافراً لكن تسمية
هذا هدى قد يعذر عنه بأنه هدى مقيد لا مطلق كما قال
{فَبَشِّرُهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} الانشقاق 24 وكما قال {يُؤْمِنُونَ}

بِالْجِبْرِ وَالْطَّاغُوتِ } النساء 51 وأنه { يَقُولُ الْحَقَّ } الأحزاب 4
و { يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ } النحل 90 فهو موافق لقوله وأمره لعلمه
و حكمه كما أن القرآن وسائر كلامه كذلك وباعتبار أنه أنعم على
العبد بواسطة جنده بالملائكة ويقال لضد هذا وهو الخطأ هذا
من الشيطان والنفس لأن الله لا يقوله ولا يأمر به ولأنه إنما ينكته
في قلب الإنسان الشيطان نفسه تقبله من الشيطان فإنه يزين لها
الشيء فتطيعه فيه وليس كل ما كان من الشيطان يعاقب عليه
العبد ولكن يفوته به نوع من الحسنات كالنسیان فإنه من الشيطان
والاحتلام من الشيطان والنعاس عند الذكر والصلوة من الشيطان
والصعق عند الذكر من الشيطان ولا إثم على العبد فيما غلب
عليه إذا لم يكن ذلك بقصد منه أو بذنب قوله { إِنِّي عَلَىٰ
بَيِّنَةٍ مِّنْ رَبِّي } الأنعام 57 وشبهها مما تقدم ذكره من هذا الباب
وكذلك قوله { ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ
آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ } محمد 3 فإن المؤمنين على
تصديق ما أخبر الله به وفعل ما أمر الله بإبتداء وتبلیغاً كالقرآن وقد
قال أن الله أنزل الأمانة في جذر قلوب الرجال فهي تنزل
في قلوب المؤمنين من نوره وهداه وهذه حسنات دینية وعلوم
دينية حق نافعة في الدنيا والآخرة وهو الإيمان الذي هو أفضل
النعم وهو أفضل النعم ¹

* قوله تعالى { أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْ رَبِّهِ وَيَتَّلُو شَاهِدٌ مِّنْهُ } هود 17 وهذا يعم جميع من هو على بيضة من ربها ويتلوه شاهد
منه فالبيضة العلم النافع والشاهد الذي يتلوه العمل الصالح وذلك
يتناول الرسول ومن اتبعه إلى يوم القيمة فإن الرسول على بيضة
من ربها ومتبعيه على بيضة من ربها وقال في حق الرسول
{ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْ رَبِّي } الأنعام 57 وقال في حق
المؤمنين { أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُينَ لَهُ سُوءٌ عَمَلٌ
وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ } محمد 14 ذكر هذا بعد أن ذكر الصنفين في
أول السورة فقال { الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ
أَعْمَالَهُمْ } 1 { وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نَزَّلَ

عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ
بَالْهُمْ {2} ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا
اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ {3} مُحَمَّد١-3 الآيات إلى قوله {أَفَمَنْ
كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءِهِمْ
{مُحَمَّد١٤} وَقَالَ أَبُو الدَّرَداءِ لَا تَهْلِكْ أَمَّةً حَتَّىٰ يَتَّبِعُوا أَهْوَاءِهِمْ
وَيَتَرَكُوا مَا جَاءَتْهُمْ بِهِ أَنْبِيَاءُهُمْ مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ^١

الفرق بين أمره الدينى وخلقه الكونى

*إن الله سبحانه قد فرق بالقرآن وبالإيمان بين أمره الدينى وخلقه الكونى فإن الله سبحانه خالق كل شيء ورب كل شيء وملكه سواء في ذلك الذوات وصفاتها وأفعالها وما شاء الله كان وما لم يشاء لم يكن لا يخرج عن مشيئته شيء ولا يكون شيء إلا بمشيئته وقد فرق الله في كتابه بين القسمين بين من قام بكلماته الكونيات وبين من اتبع كلماته الدينيات وذلك في أمره وإرادته وقضائه وحكمه وإنذه وبعثه وارساله فقال في الحكم الدينى {أَفَحُكْمُ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْعُونَ وَمَنْ أَحْسَنَ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوَقِّنُونَ} المائدة٥٠ وقال في الحكم الكونى {فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْدَنَ لِي أَيْيَ أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ} يوسف٨٠ وبهذا الجمع والتفريق تزول الشبهة في مسألة الأمر الشرعي هل هو مستلزم للإرادة الكونية أم لا فان التحقيق أنه غير مستلزم للإرادة الكونية القدريه وإن كان مستلزمما للإرادة الدينية الشرعية وقد يجمع الحكمين مثل ما في قوله {إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ} ^١الأنعام٥٧

الله سبحانه يحكم ويشهد ويفتى ويقص ويبشر ويهدى بكلامه

*إن الله أخبر بشهادته لرسوله في غير موضع وسمى ما أنزله شهادة منه في قوله {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةَ عِنْهُ} البقرة١٤٠ فدل على أن كلام الله الذي أنزله وأخبر فيه بما أخبر

شهادة منه وهو سبحانه يحكم ويشهد ويقتنى ويقص ويبشر ويهدى بكلامه ويصف كلامه بأنه يحكم ويقتنى ويقص ويهدى ويبشر وينذر كما قال { قُلِ اللَّهُ يُفْتَنُكُمْ فِيهَا } النساء 127 { قُلِ اللَّهُ يُفْتَنُكُمْ فِي الْكَلَالَةِ } النساء 176 وقال { إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ } النمل 76 وقال { تَحْنُ نَقْصًا عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ } يوسف 3 وقال { قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ } الأنعام 57 وكذلك سمي الرسول هاديا فقال { وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } الشورى 52 كما سماه بشيرا وندира وسمى القرآن بشيرا ونديرا فكذلك لما كان هو يشهد للرسول وكان المؤمنين بكلامه الذي أنزله وكان كلامه شهادة منه كان كلامه شاهدا منه كما كان يحكم ويقتنى ويقص ويبشر وينذر¹

{ قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ } الأنعام 58

لطائف لغوية

*قال تعالى { وَلَا تَطْرُدُ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاءِ وَالْعَشَيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ جَسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حَسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدُهُمْ فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ } الأنعام 52 لفظ الدعاء والدعاوة فى القرآن يتناول معنيين دعاء العبادة ودعاء المسألة قال الله تعالى { فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ } الشعراء 213 وقال تعالى { وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا يُبْرُهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُؤْلِحُ الْكَافِرُونَ } المؤمنون 117 وقال تعالى { وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ } القصص 88 وقال { وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدَأً } الجن 19 وقال { إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَّا ثُمَّ وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا } النساء 117

ولفظ الصلاة في اللغة اصله الدعاء وسميت الصلاة دعاء اتضمنها معنى الدعاء وهو العبادة والمسألة وفي الصحيحين عن النبي انه قال ينزل ربنا كل ليلة الى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغرنى فأغفر له فذكر او لا لفظ الدعاء ثم ذكر السؤال والاستغفار والمستغفر سائل كما ان السائل داع لكن ذكر السائل لدفع الشر بعد السائل الطالب للخير وذكرهما جميعا بعد ذكر الداعي الذى يتناولهما وغيرهما فهو من باب عطف الخاص على العام وقال تعالى {وَإِذَا سَأَلَكُ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أَجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ} البقرة 186 وكل سائل راغب راهب فهو عابد للمسؤول وكل عابد له فهو ايضا راغب وراهب يرجو رحمته ويخاف عذابه فكل عابد سائل وكل سائل عابد فاحد الاسمين يتناول الآخر عند تجرده عنه ولكن اذا جمع بينهما فانه يراد بالسائل الذي يطلب جلب المنفعة ودفع المضرة بصيغ السؤال والطلب ويراد بالعبد من يطلب ذلك بامتنال الامر وان لم يكن في ذلك صيغ سؤال والعابد الذي يريد وجه الله والنظر اليه هو ايضا راج خائف راغب راهب يرغب في حصول مراده ويرهبا من فواته قال تعالى {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَا رَغْبًا وَرَهْبًا} الأنبياء 90 وقال تعالى {تَتَّجَافَ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ حَوْفًا وَطَمَعاً} السجدة 16 ولا يتصور ان يخلو داع الله دعاء عبادة او دعاء مسألة من الرغب والرهب من الخوف والطمع¹

* الدعاء قصد المدعو و التوجه إليه إما على وجه المسألة و إما على وجه العبادة المحضة لأن دعاء الشيء هو طلبه و إرادته سواء طلب لذاته أو للأمر منه و من ذلك قوله تعالى {وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} غافر 60 فإنه فسر بالمسألة وبالعبادة و قوله تعالى {أَغْيِرَ اللَّهُ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} الأنعام 40 و قال تعالى {وَلَا تَطْرِدُ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاءِ وَالْعَشَّيِ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ} الأنعام 52¹

* فإن لفظ كل شيء يعم في كل موضع بحسب ما سبقت له كما في قوله {بِكُلِّ شَيْءٍ عَلَيْهِ} البقرة 29 {عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} البقرة 20 وقوله {اللهُ خَالقُ كُلَّ شَيْءٍ} الزمر 62 و {تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ} الأحقاف 25 {وَأَوْتَيْتُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ} النمل 23 و {فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ} الأنعام 44 {وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ} الذاريات 49¹

* وقال تعالى {فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} الأنعام 45 ان أصناف العالمين يراد به جميع اصناف الخلق كما في قوله تعالى {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} الفاتحة 2¹

* قال تعالى {وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} 48 {وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمْسُهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُدُونَ} 49 {الأنعام 48-49} وعلوم أنه لم يبعث لمجرد الإنذار بل ولبيسر من آمن به والأمر لهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر وتحليل الطيبات وتحريم الخبائث وغير ذلك من مقاصد الرسل وفي ذلك حكم أخرى ومثل ذلك كثير في كلام الله عز وجل وغير كلام الله إذا ذكر حكمة للفعل لم يلزم أن لا تكون له حكمة أخرى لكن لا بد لتخصيص تلك الحكمة بالذكر في ذلك الموضع من مناسبته وهذا كالمناسبة في قوله {لِتُنذِرَ قَوْمًا مَا أَنذَرَ أَبْوَاهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ} 6 پس فإن هؤلاء كانوا أول المنذرين وأحقهم بالإذار فكان في تخصيصهم بالذكر فائدة لا أنه خصمهم لانتقاء إنذار من سواهم¹

* قال تعالى {وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} 48 {وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمْسُهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُدُونَ} 49 {الأنعام 48-49} فإن انتقاء الخوف على تقتضي انتقاء ما يخافه ولهذا قال {وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} البقرة 62 لم يقل لا يخافون فهم لا خوف عليهم وإن كانوا يخافون الله ونفي عنهم أن يحزنوا لأن

الحزن انما يكون على ماض فهم لا يحزنون بحال لا في القبر ولا في عرصات القيامة بخلاف الخوف فإنه قد يحصل لهم قبل دخول الجنة ولا خوف عليهم في الباطن كما قال تعالى {إِنَّ أُولَئِءِ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} 62 {الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ} 63 {يونس 62-63}

*قال تعالى {قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَرَائِنَ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبَعْ إِلَّا مَا يُوَحَّى إِلَيَّ فُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ} الأنعام 50 التسوية جعل الشيئين سواء كما قال {وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ} فاطر 19¹

*قوله تعالى {لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} الأنعام 51 اللام لام التعلييل¹ (لامات كي)

* ومن تكون لبيان الجنس فلا يقتضي أن يكون قد بقى من المجرور بها شيء خارج عن ذلك الجنس كما في قوله تعالى {فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنِ الْأُوْثَانِ} الحج 30 فإنه لا يقتضي أن يكون من الأواثان ما ليس برجس وإذا قلت ثوب من حرير فهو كقولك ثوب حرير وكذلك قولك باب من حديد كقولك باب حديد وذلك لا يقتضي أن يكون هناك حرير وحديد غير المضاف إليه وإن كان الذي يتصوره كليا فإن الجنس الكلي هو ما لا يمنع تصوره من وقوع الشركة فيه وإن لم يكن مشتركا فيه في الوجود ولما قال لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم {وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَتَعْمَلْ صَالِحاً نُؤْتَهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْنَدَنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا} الأحزاب 31 لم يمنع أن يكون كل منهن تقدت الله ورسوله وتعمل صالحا ولما قال تعالى {وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ أَنَّهُ مَنْ عَمَلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} الأنعام 54 لم يمنع هذا أن يكون كل منهم متصفا بهذه الصفة ويجوز أن يقال إنهم لو عملوا سوءا بجهالة ثم تابوا من

بعده وأصلحوا لم يغفر إلا لبعضهم ولهذا تدخل من هذه في النفي ل لتحقيق نفي الجنس كما في قوله تعالى {وَمَا أَنْتَا هُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ} الطور 21 و قوله {وَمَا مِنْ إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ} آل عمران 62 و قوله {فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزٌ} الحاقة 47 ولهذا إذا دخلت في النفي تحقيقاً أو تقديرًا أفادت نفي الجنس قطعاً فالتحقيق ما ذكر والتقدير قوله تعالى {وَمَا مِنْ إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ} آل عمران 62 و قوله {لَا رَبِّ فِيهِ} البقرة 2 و نحو ذلك¹

* في قوله تعالى {أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ ثُرَاباً وَعَظَاماً أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ} المؤمنون 35 طال الفصل بين أن وإسمها وخبرها فأعاد أن لتقع على الخبر لتأكيده بها ونظير هذا قوله تعالى {أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ} التوبه 63 لما طال الكلام أعاد أن هذا قول الزجاج وطائفة وأحسن من هذا أن يقال كل واحدة من هاتين الجملتين شرطية مركبة من جملتين جزائيتين فأكذبت الجملة الشرطية بأن على حد تأكيدها في قول الشاعر إن من يدخل الكنيسة يوما يلق فيها جاذرا وظباء ثم أكذبت الجملة الجزائية بأن إذ هي المقصودة على حد تأكيدها في قوله تعالى {وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ} الأعراف 170 ونظير الجملة بين تأكيد الجملة الكبرى المركبة من الشرط والجزاء وتأكيد جملة الجزاء قوله تعالى {إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرُ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} يوسف 90 فلا يقال في هذا إن أعيدت لطول الكلام ونظيره قوله تعالى {إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيِي} طه 74 ونظيره {أَنَّهُ مَنْ عَمَلَ مِنْكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} الأنعام 54 فهما تأكيدان مقصودان لمعنىين مختلفين ألا ترى تأكيد قوله غفور رحيم ب إن غير تأكيد من عمل

سواء بجهالة فإنه غفور رحيم له بـ أن وهذا ظاهر
لإخفاء به وهو كثير في القرآن وكلام العرب¹

* قال تعالى { كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ } الأنعام 54
ورحمته اسم جامع لكل خير ودار الرحمة الخالصة هي الجنة¹

* يراد بنفس الشيء ذاته وعينه كما يقال رأيت زيداً نفسه وقد
قال تعالى { تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ }
المائدة 116 وقال { كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ }
الأنعام 54 وقال تعالى { وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ } آل عمران 28 وفي الحديث الصحيح انه قال لأم المؤمنين لقد
قلت بعدك اربع كلمات لو وزن بما قلتيه لوزنها سبحان الله عدد
خلقه سبحان الله زنة عرشه سبحان الله رضا نفسه سبحان الله
مداد كلماته وفي الحديث الصحيح الالهي عن النبي صلى الله
عليه وسلم يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه
حين يذكرني ان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في
ملا ذكرته في ملا خير منهم فهذه الموضع المراد المراد
فيها بلفظ النفس عند جمهور العلماء الله نفسه التي هي ذاته
المتصف بصفاته ليس المراد بها ذاتا منفكة عن الصفات ولا
المراد بها صفة للذات وطائفة من الناس يجعلونها من باب
الصفات كما يظن طائفة انها الذات المجردة عن الصفات وكلا
القولين خطأ¹

* تقول طائفة جاهلية وشاعر جاهلي وذلك نسبة إلى الجهل
الذي هو عدم العلم أو عدم اتباع العلم فإن من لم يعلم الحق فهو
جاهل جهلاً بسيطاً فإن اعتقاد خلافه فهو جاهل جهلاً مركباً فإن
قال خلاف الحق عالماً بالحق أو غير عالماً فهو جاهل أيضاً كما
قال تعالى { وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا } الفرقان 63
وقال النبي صلى الله عليه وسلم إذا كان أحدكم صائماً فلا يرفث
ولا يفسق ولا يجهل ومن هذا قول بعض الشعراء إلا لا

يجهن أحد علينا فجهل فوق جهل الجاهلين وهذا
 كثير وكذلك من عمل بخلاف الحق فهو جاهل وإن علم أنه
 مخالف للحق كما قال سبحانه {أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ}
 {الأنعام} 54 قال أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كل من عمل
 سوءاً فهو جاهل وسبب ذلك أن العلم الحقيقي الراسخ في
 القلب يمتنع أن يصدر معه ما يخالفه من قول أو فعل فمتى صدر
 خلافه فلا بد من غفلة القلب عنه أو ضعف القلب عن مقاومة ما
 يعارضه وتلك أحوال تناقض حقيقة العلم فيصير جهلاً بهذا
 الاعتبار¹

* ان الله عالم الانسان البيان كما قال تعالى {الرَّحْمَنُ} 1 {عَلَمَ} القرآن {2} خلق الإنسان {3} علمة البيان {4} الرحمن 4-1
 وقال تعالى {وَعَلَمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلُّهَا} البقرة 31 وقال {عَلَمَ} الإنسان مَا لَمْ يَعْلَمْ {العلق} 5 والبيان بيان القلب واللسان كما أن
 العمى والبكم يكون في القلب واللسان كما قال تعالى {صُمُّ بُكْمُ} عمّيّ فهم لا يرجمون {البقرة} 18 وقال {صُمُّ بُكْمُ} عمّيّ فهم لا
 يعقلون {البقرة} 171 وقال النبي هلا سألهوا إذا لم يعلموا إنما
 شفاء العي السؤال وفي الاثر العي عي القلب لا عي
 اللسان أو قال شر العي عي القلب وكان مسعود يقول
 إنكم في زمان كثير فقهاؤه قليل خطباؤه وسيأتي عليكم زمان قليل
 فقهاؤه كثير خطباؤه وتبين الأشياء للقلب ضد اشتباهم عليه
 كما قال الحلال بين والحرام بين وبينهما امور مشتبهات
 الحديث وقد قرئ قوله {وَكَذَلِكَ نَفَضَّلُ الْآيَاتِ وَلِنَسْتَبِينَ} سبيل المجرمين {الأنعام} 55 بالرفع والنصب أي ولتبين انت
 سبيلهم فالانسان يستبين الأشياء وهم يقولون قد بان الشيء
 وبينته وتبينه الشيء وبينته واستبان الشيء واستبنته كل هذا
 يستعمل لازماً ومتعدياً ومنه قوله تعالى {إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا} الحجرات 6 هو هنا معند ومنه قوله {بِفَاجِحَةٍ مُبَيِّنَةٍ}
 {النساء} 19 أي متبيّنة فهنا هو لازم والبيان كالكلام يكون
 مصدر بان الشيء بياناً ويكون اسم مصدر لبيان الكلام والسلام

لسلم وبين فيكون البيان بمعنى تبين الشيء ويكون بمعنى بينت
الشيء أي اوضحته وهذا هو الغالب عليه¹

* قال تعالى {قُلْ إِنِّي نُهِيَتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَبْغِي أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَّلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهَدِّدِينَ} الانعام 56
عامة الأسماء يتتوعد مسماها بالاطلاق والتقييد وكذلك لفظ
الهوى اذا أطلق تناول العلم الذي بعث الله به رسوله والعمل
به جميعاً فيدخل فيه كل ما أمر الله به كما في قوله {اهدنا
الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} الفاتحة 6 والمراد طلب العلم بالحق والعمل
به جميعاً وكذلك قوله {هُدَى لِلْمُتَّقِينَ} البقرة 2 والمراد به
أنهم يعلمون ما فيه ويعلمون به ولهذا صاروا مفلحين وكذلك قول
أهل الجنة {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا} الأعراف 43 وإنما
هداهم بأن ألهمهم العلم النافع والعمل الصالح ثم قد يقرن
الهوى اما بالاجتباء كما في قوله {وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى
صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} الأنعام 87 وكما في قوله {شَاكِرًا لَأَنَّعْمَهُ
اجْتَبَاهُ وَهَذَا} النحل 121 {اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي
إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ} الشورى 13 وكذلك قوله تعالى {هُوَ الَّذِي
أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ} التوبة 33 والهوى هنا هو
الإيمان ودين الحق هو الاسلام اذا أطلق الهوى كان كالإيمان
المطلق يدخل فيه هذا وهذا لفظ الضلال اذا أطلق
تناول من ضل عن الهوى سواء كان عدواً أو جهلاً ولزム أن
يكون معذباً كقوله {إِنَّهُمْ أَفْوَأُوا بَأْبَاءُهُمْ ضَالِّينَ} 69 {فَهُمْ عَلَى
آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ} 70 {وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ} 71
الصفات 69-71 وقوله {وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطْعَنَا سَادَتَنَا
وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّوْنَا السَّبِيلَ} 67 {رَبَّنَا آتَيْهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ
وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا} 68 الأحزاب 67-68 وقوله {فَمَنْ أَتَبَعَ
هُدَائِي فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَسْقُى} طه 123 ثم يقرن بالغنى والغضب
كما في قوله {مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى} النجم 2 وفي قوله
{غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الْضَّالِّينَ} الفاتحة 7 وقوله {إِنَّ
الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ} القمر 47

* و الدعاء قصد المدعو و التوجه إليه إما على وجه المسألة و إما على وجه العبادة المحضة لأن دعاء الشيء هو طلبه و إرادته سواء طلب لذاته أو للأمر منه و من ذلك قوله تعالى {وقال ربكم ادعوني أستحب لكم} غافر 60 فإنه فسر بالمسألة وبالعبادة و قوله تعالى {قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله قل لا تتبع أهواكم قد ضللت إذا وما أنا من المهددين} الأنعام¹ 56

* قال تعالى {قل إني على بيّنة من ربّي وكذبتم به ما عندي ما تستعجلون به إن الحكم إلا لله يُقص الحق وهو خير الفاصلين} الانعام 57 البينة من البيان و البينة هي السبيل البينة وهي الطريق البينة الواضحة وهي أيضاً ما تبين بها الحق فهي بيته في نفسها مبينة لغيرها وقد تقسر بالبيان وهي الدلالة والإرشاد فتكون كالهدى كما يقال فلان على هدى وعلى علم فيفسر بمعنى المصدر والصفة والفاعل ومنه قوله {أولم تأتهم بيّنة ما في الصحف الأولى} طه 133 أي بيان ما فيها أو بيّن ما فيها أو الأمر البين فيها وقد سمي الرسول بيّنة كما قال {حتى تأتِهم البيّنة} 1 {رسولٌ من الله} 2 {البيّنة} 1-2 فإنه يبيّن الحق والمؤمن على سبيل بيّنة ونور من ربه¹

{وَعِنْهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ
وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرْقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي
ظَلَمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ
مُبِينٍ} 59؛ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ
بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلُ مُسَمَّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ
ثُمَّ يُبَيِّنُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} 60؛ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ
وَيَرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَخَدُكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّهُ
رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ} 61؛ ثُمَّ رُدُوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ
الْحَقُّ أَلَّهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ} 62؛ قُلْ مَنْ
يُنَجِّيْكُمْ مِّنْ ظَلَمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَذَعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً
لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ} 63؛ قُلْ اللَّهُ
يُنَجِّيْكُمْ مِّنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ} 64؛ قُلْ هُوَ
الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ
أَرْجُلَكُمْ أَوْ يَلْبِسُكُمْ شَيْعًا وَيُذَيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ
كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِعَاهُمْ يَفْقَهُونَ} 65؛ وَكَذَبَ بِهِ قَوْمٌ
وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ} 66؛ لَكُلِّ نَبِيًّا مُّسْتَقْرِ
وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ} 67؛ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخْوُضُونَ فِي
آيَاتِنَا فَأَعْرَضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا
يُنَسِّيْنَكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدُ بَعْدَ الذِّكْرِي مَعَ الْقَوْمِ
الظَّالِمِينَ} 68؛ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَقْرُونَ مِنْ حَسَابِهِمْ مِّنْ
شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرَى لَعْنَهُمْ يَتَقْرُونَ} 69؛ وَذُرِّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا
دِيْنَهُمْ لَعِبًا وَلَهُوَا وَغَرَّهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَرْ بِهِ أَنْ ثُبِّسَ
نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لِيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ
تَعْدُنَ كُلَّ عَذْلٍ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أَبْسَلُوا بِمَا

كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا
يَكْفِرُونَ {70} قُلْ أَنْدَعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا
يَضْرُنَا وَنَرَدُ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ
الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى
الْهُدَى أَتَنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأَمْرَنَا لِنُسْلَمَ لِرَبِّ
الْعَالَمِينَ {71} وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ
تُحْشَرُونَ {72} وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ
بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلَةُ الْحَقِّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ
يُنَفَّخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ
الْخَبِيرُ {73}

كتب الله في اللوح المحفوظ مقادير الخلق

* وتؤمن الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة بالقدر خيره وشره والإيمان بالقدر على درجتين كل درجة تتضمن شيئين فالدرجة الأولى الإيمان بأن الله تعالى عليم بما الخلق عاملون بعلمه القديم الذي هو موصوف به أولاً وأبداً وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والأرزاق والأجال ثم كتب الله في اللوح المحفوظ مقادير الخلق فأول ما خلق الله الفلم قال له اكتب قال ما أكتب قال اكتب ما هو كائن إلى يوم القيمة فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه جفت الأقلام وطويت الصحف كما قال تعالى {وَعِنَّهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ }

الأنعام 59 وهذا التقدير التابع لعلمه سبحانه يكون في مواضع جملة وتصنيلاً فقد كتب في اللوح المحفوظ ما شاء وإذا خلق جسد الجنين قبل خلق الروح فيه بعث إليه ملكاً فيؤمر بأربع

كلمات فيقال له اكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد ونحو ذلك (فيه نقص هنا الرجوع إلى نفس المرجع)^١

* التوحيد في العبادات المتضمن للإيمان بالشرع والقدر جميماً فنقول لا بد من الإيمان بخلق الله وأمره فيجب الإيمان بأن الله خالق كل شيء وربه ومليكه وأنه على كل شيء قادر وأنه ما شاء كان وما لم يشاً لم يكن ولا حول ولا قوة إلا بالله وقد علم ما سيكون قبل أن يكون وقدر المقادير وكتبها حيث شاء كما قال تعالى {أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} الحج 70 وفي الصحيح عن النبي أنه قال إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء ويجب الإيمان بأن الله أمر بعبادته وحده لا شريك له كما خلق الجن والإنس لعبادته وبذلك أرسل رسلاً وأنزل كتبه^١

* قال تعالى {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدْرٍ} القمر 49 وهو سبحانه يعلم قبل أن يخلق الأشياء كل ما سيكون وهو يخلق بمشيئته فهو يعلمه ويريده وعلمه وإرادته قائم بنفسه وقد يتكلم به ويخبر به كما في قوله {وَلَقَدْ سَبَقْتُ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ} ١71 {إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ} ١72 وإن جندنا لهم الغاليلون ١73 {الصفات} ١71-١73 وهو سبحانه كتب ما يقدره فيما يكتبه فيه كما قال {أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} الحج 70 قال ابن عباس إن الله خلق الخلق وعلم ما هم عاملون ثم قال لعلمه كن كتاباً فكان كتاباً ثم أنزل تصديق ذلك في قوله {أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} الحج ١70

من الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه من غير تحريف ولا تعطيل

*فاعتقد الفرقة الناجية المنصورة الى قيام الساعة أهل السنة والجماعة وهو الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والايمان بالقدر خيره وشره ومن الايمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه وبما وصفه به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكيف ولا تمثيل بل يؤمنون بأن الله سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فلا ينفعون عنه ما وصف به نفسه ولا يحرفون الكلم عن موضعه ولا يلحدون في أسماء الله وآياته ولا يكيفون ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه لأنه سبحانه لا سمى له ولا كفو له ولا ند له ولا يقاس بخلقه سبحانه تعالى فانه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره وأصدق قيلاً وأحسن حديثاً من خلقه ثم رسله صادقون مصدوقون بخلاف الذين يقولون عليه مالاً يعلمون ولهذا قال سبحانه وتعالى {سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ} 180 {وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ} 181 {وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} 182 {الصافات} 180-182 فسبح نفسه بما وصفه به المخالفون للرسل وسلم على المرسلين لسلامة ما قالوه من النقص والعيب وهو سبحانه قد جمع فيما وصف وسمى به نفسه بين النفي والإثبات فلا عدول لأهل السنة والجماعة بما جاء به المرسلون فإنه الصراط المستقيم صراط الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وقد دخل في هذه الجملة ما وصف به نفسه في سورة الإخلاص التي تعدل ثلث القرآن وقوله سبحانه {وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ} ويعلم ما في البر والبحر وما تستقطع من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين¹ {الأنعام} 59

الله عز وجل على العرش في السماء

*وقال الحافظ أبو بكر البهقي باب القول في الاستواء قال الله تعالى {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} {طه} 5 {ثم

استوى على العرش {الأعراف 54} **{وَهُوَ الْفَالِهُ فَوْقَ عِبَادِهِ}**
 {الأنعام 61} **{يَخَافُونَ رَبَّهُم مِنْ فَوْقِهِمْ}** النحل 50 {إِلَيْهِ}
 يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرتفعه {فاطر 10} **{أَمِنْتُمْ**
 مَنْ فِي السَّمَاءِ {المالك 16} وارد من فوق السماء كما قال
 {وَلَا صَلَبَنَّکُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ} طه 71 بمعنى على جذوع النخل
 وقال {فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ} التوبة 2 اي على الأرض وكل ما
 علا فهو سماء والعرش أعلى السموات فمعنى الآية أمنتم من
 على العرش كما صرحت به في سائر الآيات قال وفيما كتبنا من
 الآيات دلالة على ابطال قول من زعم من الجهمية ان الله بذاته
 في كل مكان قوله {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ} الحديد 4 انما
 اراد بعلمه لا بذاته¹

*وقال أبو عبد الله محمد بن أبي زمین الامام المشهور من
 أئمة المالكية في كتابه الذي صنفه في أصول السنة قال
 ومن قول أهل السنة أن الله ينزل إلى سماء الدنيا ويؤمنون بذلك
 من غير أن يحدوا فيه حدا وذكر الحديث من طريق مالك وغيره
 إلى أن قال وأخبرني وهب عن ابن وضاح عن الزهرى عن ابن
 عباد قال ومن أدركك من المشائخ مالك وسفيان وفضيل بن
 عياض وعيسى بن المبارك ووكيع كانوا يقولون ان النزول حق
 قال ابن وضاح وسألت يوسف بن عدى عن النزول قال نعم
 أومن به ولا أحد فيه حدا وسألت عنه ابن معين فقال نعم أقر به
 ولا أحد فيه حدا قال محمد وهذا الحديث يبين أن الله عز
 وجل على العرش في السماء دون الأرض وهو ايضا بين في
 كتاب الله وفي غير حديث عن رسول الله قال تعالى
 {يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنِ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ} السجدة 5
 وقال تعالى {أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا
 هِيَ تَمُورُ} 16 {أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا
 فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٌ} 17 الملك 16-17 وقال تعالى {إِلَيْهِ
 يَصُعدُ الْكَلْمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ} فاطر 10 وقال
 {وَهُوَ الْفَالِهُ فَوْقَ عِبَادِهِ} الأنعام 61 وقال تعالى {يَا

عِيسَى إِنِّي مُتَوَقِّيْكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ { آل عمران 55 } وقال { بل رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ } النساء 158 ذكر من طريق مالك قول النبي للجارية أين الله قالت في السماء قال من أنا قالت أنت رسول الله قال فاعتقها قال والأحاديث مثل هذا كثيرة جداً فسبحان من علمه بما في السماء كعلمه بما في الأرض لا اله إلا هو العلي العظيم^١

الحفظة الموكلين ببني آدم

*قال تعالى { وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقضَى أَجَلُ مُسَمَّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُبَيِّنُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } 60 { وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ } 61 الأنعام 60-61 ذكر الله الحفظة الموكلين ببني آدم الذين يحفظونهم ويكتبون أعمالهم في مواضع من كتابه^١

*والملائكة تنزل إلى الأرض ثم تصعد إلى السماء كما توالت بذلك النصوص وقد أنزل لها الله يوم بدر ويوم حنين ويوم الخندق لنصر رسوله والمؤمنين كما قال تعالى { إِذْ تَسْتَغْيِثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجِابَ لَكُمْ أَنَّىٰ مُمْدُكُمْ بِالْأَفْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ } الأنفال 9^١

"إن أمسكت نفسى فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها"

*قال تعالى { إِنَّ اللَّهَ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قُضِيَ عَلَيْهَا الْمَوْتُ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَى أَجَلٍ مُسَمَّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَكَبَّرُونَ } الزمر 42 وهذا بيان لكون النفس تقبض وقت الموت ثم منها ما يمسك فلا يرسل إلى بدنها وهو الذي قضى عليه الموت ومنها ما يرسل إلى أجل مسمى وهذا إنما يكون في شيء يقوم بنفسة لا في عرض قائم

بغيره فهو بيان لوجود النفس المفارقة بالموت والأحاديث الصحيحة توافق هذا كقول النبي باسمك ربى وضعت جنبي وبك أرفعه فإن أمسكت نفسى فارحمنها وان أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين وقال لما ناموا عن صلاة الصبح أن الله قبض أرواحنا حيث شاء وقال تعالى {وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلُ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّكُمْ بِمَا كُنْתُمْ تَعْمَلُونَ} 60 60 - وَهُوَ الْفَاعِلُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرِسِّلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتُهُ رُسْلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ} 61 61 ثُمَّ رُدُوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ} 62 62 الأنعام 60 - 62

فهذا توف لها بالنوم إلى أجل الموت الذي ترجع فيه إلى الله وأخبار أن الملائكة تتوفاها بالموت ثم يردون إلى الله والبدن وما يقوم به من الأعراض لا يرد إنما يرد الروح وهو مثل قوله في يونس {ثُمَّ رُدُوا إِلَى اللَّهِ} الأنعام 62 وقال تعالى {إِنَّ إِلَيْ رَبِّكَ الرُّجْعَى} العلق 8 وقال تعالى {يَا أَيُّهَا النَّفَسُ الْمُطَمَّنَةُ} 27 27 أرْجِعُ إِلَى رَبِّكَ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً} 28 28 فَادْخُلِي فِي عِبَادِي} 29 29 وَادْخُلِي جَنَّتِي} 30 30 الفجر 27-30 وقال تعالى {قُلْ يَتَوَفَّكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ} السجدة 11 وتوفي الملك إنما يكون لما هو موجود قائم بنفسه والا فالعرض القائم بغيره لا يتوفى فالحياة القائمة بالبدن لا تتحلى بل نزول وتعدم كما تعدم حركته وإدراكه وقال تعالى في المؤمنين {حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدُهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ} 99 99 لَعَلَّي أَعْمَلُ صَالِحًا فَيَمَّا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمَنْ وَرَأَهُمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبَعَّثُونَ} 100 المؤمنون 99-100 فقوله {أرْجِعُونَ} المؤمنون 99 طلب لرجوع النفس إلى البدن كما قال في الواقع {فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ} 86 86 تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} 87 87 الواقعه 86-87 وهو يبين أن النفس موجودة تفارق البدن بالموت قال تعالى {إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمَنْ

وَرَأَيْهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبَعَّثُونَ {100} المؤمنون 100 آخره
والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه
 وسلم 7¹

أن الله تعالى قد أضاف كثيراً من الحوادث إليه وأضافه إلى بعض مخلوقاته

* فإن اسم الملائكة والملائكة يتضمن أنهم رسل الله كما قال تعالى
 {جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا} فاطر 1 وكما قال {وَالْمُرْسَلَاتِ
 عُرْفًا} المرسلات 1 فالملايكه رسل الله في تنفيذ أمره الكوني
 الذي يدبر به السموات والأرض كما قال تعالى {حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ
 أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ} الأنعام 61 وكما قال
 {بَلِّي وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْبُرُونَ} الزخرف 80 وأمره الدينى الذى
 تنزل به الملائكة فإنه قال {اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ
 النَّاسِ} الحج 75 وملائكة الله لا يحصى عددهم إلا الله ومن
 المعلوم أن الملائكة لهم من العلوم والأحوال والإرادات
 والأعمال ما لا يحصيه إلا ذو الجلال ووصفهم في القرآن
 بالتبشير والعبادة الله أكثر من أن يذكر هنا قال تعالى {وَحَتَّىٰ إِذَا
 جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ} الأنعام 61¹

*فإن النبي قال إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله
 إليها ملكاً فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها
 وعظمتها ثم قال يا رب اذكري أو أنتي فيقضى ربك ما شاء ويكتب
 الملك ثم يقول يا رب أجله فيقول ربك ما شاء ويكتب الملك ثم
 يقول يا رب رزقه فيقول ربك ما يشاء ويكتب الملك ثم يخرج
 الملك بالصحيحة في يده فلا يزاد على أمر ولا ينقص رواه مسلم
 من حديث حذيفة بن أبي الغفاري وقد يقال من هذا قوله في
 الزبور في مزمور الخليقة ترسل روحك فيخلقون وفي المزمور
 أيضاً هو قال فكانوا وأمر خلقوا فقد يضاف الخلق إلى الملك
 ومن هذا الباب قوله تعالى {أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِّنَ الطِّينِ كَهْيَةً}

الطَّيْرُ فَانْفَخْ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَبْرَئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ
 وَأَحْبِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخَرُونَ فِي
 بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَا يَهُ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } آل عمران 49
 فأخبره أنه يخلق من الطين كهيئة الطير طيرا بإذن الله وكذلك
 الملك يخلق النطفة في الرحم بإذن الله وهو سبحانه يخلق
 بواسطة الملائكة فإن الملائكة رسول الله في الخلق فجاز أن
 يضاف الفعل إلى الوسائل تارة وإلى الرب أخرى وهذا موجود
 في الكتب الإلهية في غير موضع كما في القرآن {اللَّهُ يَتَوَفَّ فِي
 الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ التِّي قَضَى
 عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأَخْرَى إِلَى أَجْلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ
 لِقَوْمٍ يَتَكَبَّرُونَ } الزمر 42 فانه سبحانه يتوفاها برسله كما قال
 في موضع آخر {وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ
 حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ
 } الأنعام 61 وفي موضع ثالث {قُلْ يَتَوَفَّ أَكْمَ مَلَكُ الْمَوْتِ
 الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ } السجدة 11 فانه يتوفاها
 برسله الذين مقدمهم ملك الموت ¹

* وأما على قول جمهور أهل السنة الذين يقولون إنها مفعولة
 للرب لا فعل له إذا فعله ما قام به والفعل عندهم غير المفعول
 فيقولون إنها مفعولة للرب لا فعل له وإنها فعل للعبد كما
 يقولون في قدرة العبد إنها قدرة للعبد مقدرة للرب لا أنها نفس
 قدرة الرب وكذلك إرادة العبد هي إرادة للعبد مرادة للرب
 وكذلك سائر صفات العبد هي صفات له وهي مفعولة للرب
 مخلوقة له ليست بصفات له وما يبين ذلك أن الله تعالى قد
 أضاف كثيرا من الحوادث إليه وأضافه إلى بعض مخلوقاته إما
 أن يضيف عينه أو نظيره قوله تعالى {اللَّهُ يَتَوَفَّ فِي الْأَنْفُسَ
 حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ التِّي قَضَى
 عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأَخْرَى إِلَى أَجْلٍ مُسَمًّى } الزمر 42 وقال تعالى
 {وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّ أَكْمَ مِلَلِي وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ } الأنعام 60
 مع قوله تعالى {قُلْ يَتَوَفَّ أَكْمَ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ

{السجدة 11} قوله {تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ} {الأنعام 61}
 وكذلك قوله تعالى في الريح {تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا}
 {الأحقاف 25} وقال {وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا
 كَانُوا يَعْرِشُونَ} {الأعراف 137} ¹

إن الخلق كلهم مصيرهم ومرجعهم إلى الله على أي طريق سلكوا

* فإن الخلق كلهم مصيرهم ومرجعهم إلى الله على أي طريق سلكوا كما قال تعالى {إِنَّ أَيَّهَا الْإِنْسَانَ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ} {الانشقاق 6} {إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابُهُمْ} {الغاشية 25} أي إلينا مرجعهم وقال {أَمْ لَمْ يَتَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى} {36} وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَى} {37} {أَلَا تَزَرُّ وَازْرَةٌ وَزُرَّ أَخْرَى} {38} {وَأَنَّ لَيْسَ لِإِنْسَانٍ إِلَّا مَا سَعَى} {39} {وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى} {40} {ثُمَّ يُجْزَأُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَى} {41} {وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى} {42} النجم 36-42 وقال {وَإِمَّا نَرِينَكَ بَعْضَ الَّذِي نَعْدُهُمْ أَوْ نَنْوَفِينَكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ} {يونس 46} فـأـيـ سـبـيلـ سـلـكـهـاـ العـبـدـ فـإـلـىـ اللهـ مـرـجـعـهـ وـمـنـتـهـاـ لـاـبـدـ لـهـ مـنـ لـقاءـ اللهـ {لـيـجـزـيـ الـذـيـنـ أـسـأـوـاـ بـمـاـ عـمـلـوـاـ وـيـجـزـيـ الـذـيـنـ أـحـسـنـوـاـ بـالـحـسـنـيـ} {النجم 31} ¹

* وقال تعالى {وَرُدُوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ} {يونس 30} كما قال في الأنعام {وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرِسِّلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ} {الأنعام 61} وقال {ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ} {محمد 3} ودخل عثمان أو غيره على ابن مسعود وهو مريض فقال كيف تجدك قال أجدى مردودا إلى الله مولاي الحق قال تعالى {يَوْمَ
 شَهَدَ عَلَيْهِمْ أَسْتَئْثِمُ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} {24} {يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقُّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ} {النور 24-25} وقد أقرروا بوجوده في الدنيا لكن في

ذلك اليوم يعلمون أنه الحق المبين دون ما سواه ولهذا قال {
هُوَ الْحَقُّ} النور 25 بصيغة الحصر فانه يومئذ لا يبقى أحد
 يدعى فيه الالهية ولا أحد يشرك بربه احدا¹

كل سائل راغب راهب

* الدعاء قصد المدعو و التوجه إليه إما على وجه المسألة و إما على وجه العبادة المضمة لأن دعاء الشيء هو طلبه و إرادته سواء طلب لذاته أو للأمر منه و من ذلك قوله تعالى {وقال رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} غافر 60 فإنه فسر بالمسألة وبالعبادة و قوله تعالى {قُلْ مَنْ يُنْجِيْكُمْ مِنْ ظُلْمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّ عَا وَخُفْيَةً لَنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنْكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ} الأنعام 63¹

* لفظ الدعاء والدعوة في القرآن يتناول معنيين دعاء العبادة ودعاء المسألة قال الله تعالى {فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَدِّبِينَ} الشعراة 213 وقال تعالى {وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا جِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ} المؤمنون 117 وقال تعالى {وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} القصص 88 وقال {وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لَبَدًا} الجن 19 وقال {إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَّا ثُنَّ وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا} النساء 117
 ولفظ الصلاة في اللغة اصله الدعاء وسميت الصلاة دعاء لتضمنها معنى الدعاء وهو العبادة والمسألة وفي الصحيحين عن النبي انه قال ينزل ربنا كل ليلة الى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغرنى فأغفر له فذكر او لا لفظ الدعاء ثم ذكر السؤال والاستغفار والمستغفر سائل كما ان السائل داع لكن ذكر السائل لدفع الشر بعد السائل الطالب للخير وذكرهما جمیعا بعد ذكر الداعي الذي يتناولهما وغيرهما فهو من باب عطف الخاص على العام وقال تعالى {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنَّمَا قَرِيبٌ

أَجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ } البقرة 186 وكل سائل راغب راهب فهو عابد للمسؤول وكل عابد له فهو ايضا راغب وراهب يرجو رحمته ويختلف عذابه فكل عابد سائل وكل سائل عابد فاحد الاسمين يتناول الآخر عند تجرده عنه ولكن اذا جمع بينهما فانه يراد بالسائل الذي يطلب جلب المنفعة ودفع المضرة بصيغ السؤال والطلب ويراد بالعبد من يطلب ذلك بامتثال الامر وان لم يكن في ذلك صيغ سؤال والعبد الذي يريد وجه الله والنظر اليه هو ايضا راج خائف راغب راهب يرغب في حصول مراده ويرهب من فواته قال تعالى {إِنَّمَا كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَا رَغْبًا وَرَهْبًا } الأنبياء 90 وقال تعالى {تَتَحَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعاً } السجدة 16 ولا يتصور ان يخلو داع الله دعاء عبادة او دعاء مسألة من الرغب والرهب من الخوف والطمع¹

والدعاء لله وحده سواء كان دعاء العبادة أو دعاء المسألة
والاستعانة¹

السنة في الدعاء كله المخافته

* قال تعالى {قُلْ مَن يُنْجِيكُمْ مِنْ ظُلْمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنْكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ } الأنعام 63 السنة في الدعاء كله المخافته إلا أن يكون هناك سبب يشرع له الجهر قال تعالى {اَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ } الأعراف 55 وقال تعالى عن زكريا {إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءَ خَفِيًّا } مريم 3 بل السنة في الذكر كله ذلك كما قال تعالى {وَإِذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ } مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ } الأعراف 205 وفي الصحيحين أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا معه في سفر يجعلون أصواتهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم أيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون

أصم ولا غائبا وإنما تدعون سميعا قريبا أن الذى تدعونه أقرب إلى أحدهم من عنق راحلته وهذا الذى ذكرناه فى الصلاة عليه والدعاء مما إتفق عليه العلماء فكلهم يأمرن العبد إذا دعا أن يصلى على النبي كما يدعوا لا يرفع صوته بالصلاه عليه أكثر من الدعاء سواء كان فى صلاة كالصلوة التامة وصلوة الجنائز أو كان خارج الصلاة حتى عقب التلبية فإنه يرفع صوته بالتلبية ثم عقب ذلك يصلى على النبي ويدعوا سرا وكذلك بين تكبيرات العيد إذا ذكر الله وصلى على النبي فإنه وإن جهر بالتكبير لا يجهر بذلك¹

*أن رفع الأصوات في الذكر المشروع لا يجوز إلا حيث جاءت به السنة كالأذان والتلبية ونحو ذلك فالسنة للذاكرين والداعين إلا يرفعوا أصواتهم رفعا شديدا كما ثبت في الصحيح عن أبي موسى أنه قال كنا مع رسول الله ص فكنا إذا علونا على شرف كبرنا فارتقت أصواتنا فقال يا أيها الناس اربعوا على انفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا وإنما تدعون سميعا قريبا إن الذي تدعون أقرب إلى أحدهم من عنق راحلته وقد قال تعالى **{فَلِمَن يُنْجِيْكُمْ مِّنْ ظُلْمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لِّئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنْكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ}** {الأنعام 63} وفي هذه الآثار عن سلف الأمة وأئمتها ما ليس هذا موضعه كما قال الحسن البصري رفع الصوت بالدعاء بدعة وكذلك نص عليه أحمد ابن حنبل وغيره وقال قيس بن عباد وهو من كبار التابعين من أصحاب على عليه السلام روى عنه الحسن البصري قال كانوا يستحبون خفض الصوت عند الذكر وعند الجنائز وعند القتال¹

من ترك بعض ما أمر به بعد قضاء حاجته فهو من أهل الذنب

* والسائل إذا حصل سؤاله برد فإنه لم يكن مراده إلا سؤاله وإذا حصل إعراض عن الله فهذا حال الكفار الذين ذمهم الله في القرآن كقوله {وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنِّبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَانَ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ} {يوس 12} وقال تعالى {قُلْ مَنْ يُنْجِيْكُمْ مِنْ ظُلْمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ ضَرُّ عَا وَخُفْيَا لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنْكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ} {63} **قُلِ اللَّهُ يُنْجِيْكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْثُمْ**

تُشْرِكُونَ {64} **الأنعام 63-64** وقال تعالى {وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرُّ دَعَارَبَهُ مُنْبِيًّا إِلَهَ ثُمَّ إِذَا خَوَلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلٍ وَجَعَلَ اللَّهَ أَنَدَادًا لِيُضِيلَ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ} {الزمر 8} **فقوله سبحانه** {نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلٍ} {الزمر 8} أي نسي ما كان يدعوه الله إليه وهو الحاجة التي طلبها فإن دعاءه كان إليها أي توجهه إليها وقدره فهي الغاية التي كان يقصدها وإذا كانت ما مصدرية كان تقديره نسي كونه يدعو الله إلى حاجته كما قال تعالى في الآية الأخرى {فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَانَ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ} {يوس 12} لكن على هذا يبقى الضمير في إليه عائدا على غير مذكور بخلاف ما إذا جعلت بمعنى الذي فان التقدير نسي حاجته الذي دعاني إليها من قبل فنسي دعاءه الله الذي كان سبب الحاجة وإلى حرف الغاية كما قال تعالى في الآية الأخرى {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَأْكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتُكُمُ السَّاعَةُ أَغْيَرُ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} {40} **بل إِيَاهُ تَدْعُونَ فَيُكَشِّفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسُونَ مَا تُشْرِكُونَ** {41} **الأنعام 40-41** فقد أخبر تعالى أنه يكشف ما يدعون إليه وهي الشدة التي دعوا إليها وأما المؤمن فلا بد بعد قضاء حاجته من عبادة الله وإخلاصه له كما أمره إما قياما بالواجب فقط فيكون من الأبرار أو بالواجب والمستحب فيكون من المقربين ومن ترك بعض ما أمر به بعد قضاء حاجته فهو من أهل الذنب وقد يكون ذلك من الشرك الأصغر الذي يبتلي به غالب الخلق إما شركا في الربوبية

وإما شركا في الأولية كما مبسوط في موضعه وقد يبنتى
 فى أماكن الجهل وزمانه كثير من الناس بما هو من الشرك
 الأكبر وهم لا يعلمون فالسائل مقصوده سؤاله وإن حصل له ما
 هو محظوظ الرب من إنابته إليه ومحبته وتوبته فهذا بالعرض
 وقد يدوم والأغلب أنه لا يدوم إلا أن يكون ذلك المحبوب للرب
 هو سؤاله مثل أن يسأل الله التوبة والإعانة على ذكره وشكره
 وحسن عبادته فهنا مطلوبه محبوب للرب ولهذا ذم الله من لم
 يطلب إلا الدنيا في قوله {فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا أَنَّا فِي
 الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ} البقرة 200¹

يذم الله من يشرك به بعد كشف البلاء عنه

*ولما كان الأمر كما أخبر الله به في قوله {مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ} النساء 79 أوجب هذا
 أن لا يطلب العبد الحسنات والحسنات تدخل فيها كل نعمة إلا
 من الله وأن يعلم أنها من الله وحده فيستحق الله عليها الشكر
 الذي لا يستحقه غيره ويعلم أنه لا إله إلا هو كما قال تعالى {وَمَا
 بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ} النحل 53 فهذا يوجب على العبد شكره و
 عبادته وحده ثم قال {ثُمَّ إِذَا مَسَكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجَارُونَ}
 {النحل 53} وهذا إخبار عن حالهم والجوار يتضمن رفع
 الصوت والانسان إنما يجأر إذا أصابه الضر وأما في حال
 النعمة فهو ساكن إما شاكرا وإما كفورا {ثُمَّ إِذَا مَسَكُمُ الضُّرُّ
 فَإِلَيْهِ تَجَارُونَ} {53} {54} {النحل 53-54} وهذا المعنى قد ذكره الله
 بربهم يشركون {54} وهذا المعنى قد ذكره الله في غير موضع يذم من يشرك به بعد كشف البلاء عنه ويسأغ
 النعماء عليه فيضيف العبد بعد ذلك الانعام إلى غيره ويعبد غيره
 تعالى ويجعل المشكور غيره على النعم كما قال تعالى {وَإِذَا
 مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مَنْهُ رَحْمَةً إِذَا
 فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ} {33} {لِيَكْفُرُوا بِمَا أَتَيْنَاهُمْ فَتَمَّتُّهُوا
 فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ} {34} الروم 33-34 و قال تعالى {فَلَمَنْ

يُنْجِيْكُم مِّنْ ظُلْمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنْجَانَا
مِنْ هَذِهِ لَنْكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ {63} قُلَّ اللَّهُ يُنْجِيْكُم مِّنْهَا وَمِنْ كُلِّ
كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ {64} الأَنْعَام 63-64 وَقَالَ تَعَالَى {وَإِذَا
 مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنْبِيًّا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ
 مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلٍ وَجَعَلَ اللَّهُ أَنْدَادًا لِيُضْلِلَ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ
 تَمَّتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ } الزمر 8 وَقَوْلُهُ
 { نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ } الزمر 8 أَيْ نَسِيَ الضرُّ الَّذِي كَانَ
 يَدْعُو اللَّهَ لِدْفَعَهُ عَنْهُ كَمَا قَالَ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامَ { قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ
 أَتَّاکُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَّكُمُ السَّاعَةُ أَغْيَرَ اللَّهُ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ
 صَادِقِينَ {40} بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيُكْسِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ
 وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ {41} الأَنْعَام 40-41 فَذِمُّ اللَّهِ سِبْحَانَهُ
 حَزَبَيْنِ حَزَبًا لَا يَدْعُونَهُ فِي الضرَّاءِ وَلَا يَتُوبُونَ إِلَيْهِ وَحَزَبًا
 يَدْعُونَهُ وَيَتَضَرُّعُونَ إِلَيْهِ وَيَتُوبُونَ إِلَيْهِ فَإِذَا كَشَفَ الضرُّ عَنْهُمْ
 أَعْرَضُوا عَنْهُ وَأَشْرَكُوا بِهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ مِنَ الْأَنْدَادِ مِنْ دُونِهِ
 فَهُذَا الْحَزَبُ نَوْعَانُ كَالْمَعْتَلَةِ وَالْمُشْرِكَةِ حَزَبٌ إِذَا نَزَلَ بِهِمْ
 الضرُّ لَمْ يَدْعُو اللَّهَ وَلَمْ يَتَضَرُّعُوا إِلَيْهِ وَلَمْ يَتُوبُوا إِلَيْهِ كَمَا قَالَ
 { وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَّمٍ مِّنْ قَبْلِكَ فَأَخْذَنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ
 يَتَضَرَّعُونَ {42} فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بِأَسْنَانٍ تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَّتْ
 قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ {43} الأَنْعَام 42-43 وَقَالَ
 تَعَالَى { وَلَقَدْ أَخْذَنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا
 يَتَضَرَّعُونَ } الْمُؤْمِنُون 76 وَقَالَ تَعَالَى { أَوْلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ
 يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَكَّرُونَ
 } التَّوْبَة 126 وَقَالَ تَعَالَى { وَلَنُذَيقَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى ذُونَ
 الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } السَّجْدَة 21 وَحَزَبٌ يَتَضَرُّعُونَ
 إِلَيْهِ فِي حَالِ الضرَّاءِ وَيَتُوبُونَ إِلَيْهِ فَإِذَا كَشَفَهُمْ عَنْهُمْ أَعْرَضُوا
 عَنْهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى { وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنِّبِهِ أَوْ
 قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرُّهُ مَرَّ كَانَ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ
 مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيَّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } يُونُس 12 وَقَالَ
 تَعَالَى { وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانَ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ

الشَّرُّ فَدُوْ دُعَاء عَرِيضٍ } فصلت 51 و قال تعالى { وَإِذَا مَسَكْمُ
 الْضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ
 أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كُفُورًا } الإسراء 67 و قال في
 المشركيين ماتقدم { وَمَا بَكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمَنَ اللَّهُ ثُمَّ إِذَا مَسَكْمُ الضُّرُّ
 فَإِلَيْهِ تَجَارُونَ } 53 ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الْضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ
 بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ } 54 { النَّحْل 53-54 والمدوح هو القسم
 الثالث و هم الذين يدعونه و يتوبون اليه و يتثنون على عبادته و
 التوبة اليه في حال السراء فيعبدونه و يطعونه في السراء و
 الضراء و هم أهل الصبر و الشكر كما ذكر ذلك عن أنبيائه
 عليهم السلام فقال تعالى { وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنَّ
 لَنْ نَقِرَّ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي
 كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ } 87 فاستجئنا له و نجئناه من الغم و كذلك
 نُنْهِي الْمُؤْمِنِينَ } 88 { الانبياء 87-88¹

*قال الإمام احمد (التاكد ان هذا القول منسوب اليه غير واضح)
 أنه سبحانه عدل لا يظلم و عدله إحسان إلى خلقه فكلما خلقه فهو
 إحسان إلى عباده و لهذا كان مستحقا للحمد على كل حال و لهذا
 ذكر في سورة النجم أنواعا من مقدوراته ثم قال {فَبِأَيِّ آلاء
 رَبِّكَ تَتَمَارَى } النجم 55 فدل على أن هذه الأنعام مثل إهلاك الأمم
 المكذبة للرسل فإن في ذلك من الدلالة على قدرته و حكمته و
 نعمته على المؤمنين و نصره للرسل و تحقيق ما جاؤا به و أن
 السعادة في متابعتهم و الشقاوة في مخالفتهم ما هو من أعظم النعم
 وكذلك ما ذكره في سورة الرحمن و كل مخلوق هو من الآله من
 وجوه منها أنه يستدل به عليه و على توحيده و قدرته و غير
 ذلك و أنه يحصل به الإيمان و العلم و ذكر الرب وهذه النعمة
 أفضل ما أنعم الله به على عباده في الدين و كل مخلوق يعين
 عليها و يدل عليها هذا مع ما في المخلوقات من المنافع لعباده
 غير الإستدلال بها فإنه سبحانه يقول {فَبِأَيِّ آلاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانَ
 } الرحمن 13 لما يذكر ما يذكره من الآية و قال {فَبِأَيِّ آلاء
 رَبِّكَ تَتَمَارَى } النجم 55 و الآلاء هي النعم و النعم كلها من

آياته الدالة على نفسه المقدسة و وحدانيته و نعوتة و معاني
 أسمائه فهي آلاء آيات و كل ما كان من آلائه فهو من آياته و هذا
 ظاهر و كذلك كل ما كان من آياته فهو من آلائه فإنه يتضمن
 التعريف و الهداية و الدلالة على الرب تعالى و قدرته و حكمته
 و رحمته و دينه و الهدى أفضل النعم و أيضاً فيها نعم
 و منافع لعباده غير الإستدلال كما في خلق الشمس و القمر و
 السحاب و المطر و الحيوان و النبات فإن هذه كلها من آياته و
 فيها نعم عظيمة على عباده غير الإستدلال فهي توجب الشكر لما
 فيها من النعم و توجب التذكر لما فيها من الدلالة قال تعالى
 {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَكَّرَ أَوْ أَرَادَ
 شُكُورًا} الفرقان 62 و قال {تَبَصِّرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ}
 {ق 8} فإن العبد يدعوه إلى عبادة الله داعي الشكر و داعي العلم
 فإنه يشهد نعم الله عليه و ذاك داع إلى شكرها و قد جبت النفوس
 على حب من أحسن إليها و الله تعالى هو المنعم المحسن الذي ما
 بالعباد من نعمة فمنه و حده كما في الحديث من قال إذا أصبح
 اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلفك فمنذك و حدك
 لا شريك لك فقد أدى شكر ذلك اليوم و من قال ذلك إذا أمسى فقد
 أدى شكر تلك الليلة رواه أبو حاتم و ابن حبان في صحيحه
 من حديث ابن عباس و في حديث آخر من قال الحمد لله رب
 لا شريك به شيئاً أشهد أن لا إله إلا الله وقد ذم سبحانه
 من كفر بعد إيمانه كما قال {قُلْ مَنْ يُتَجْيِكُمْ مِّنْ ظُلْمَاتِ الْبَرِّ
 وَالْبَحْرِ} الأنعام 63 الآية فهذا في كشف الضر و في النعم قال
 {وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ} الواقعة 82 أى شكرتم و شكر
 مارزكم الله و نصييكم يجعلونه تكذيباً و هو الاستسقاء بالأنواء
 كما ثبت في حديث ابن عباس الصحيح قال مطر الناس على عهد
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم
 أصبح من الناس شاكر و منهم كافر قالوا هذه رحمة الله و قال
 بعضهم لقد صدق نوء كذا و كذا قال فنزلت هذه الآية {فَلَا
 أَقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ} الواقعة 75 حتى بلغ {وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ

أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ } الواقعة 82 رواه مسلم وفي صحيح مسلم
 أيضاً عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما
 أنزل من السماء من بركة إلا أصبح فريق من الناس بها كافرين
 ينزل الله الغيث فيقول الكوكب كذا و كذا و في لفظ له بكوكب
 كذا و كذا و في الصحيحين عن زيد بن خالد الجهنمي قال
 صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح على أثر
 سماء كانت من الليل قال أتدرون ماذا قال ربكم قالوا الله و
 رسوله أعلم قال أصلح من عبادي مؤمن بي و كافر فمن قال
 مطرنا بفضل الله و رحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب و من
 قال مطرنا بنوء كذا و كذا فذاك كافر بي مؤمن بالكوكب و هذا
 كثير جداً في الكتاب و السنة يذم سبحانه من يضيف إنعامه إلى
 غيره و يشركه به قال بعض السلف هو قوله كانت الريح طيبة
 و الملاح حاذقاً ولهذا قرن الشكر بالتوحيد في
 الفاتحة و غيرها أولها شكر و أوسطها توحيد و في الخطب
 المشوعة لابد فيها من تحميد و توحيد و هذان هما ركن في كل
 خطاب ثم بعد ذلك يذكر المتكلم من مقصوده ما يناسب من الأمر
 و النهي و الترغيب و الترهيب و غير ذلك¹

أن الله على كل شيء قادر سواء شاءه أو لم يشاء

*اتفق المسلمون وسائر أهل الملل على أن الله على كل شيء
 قادر كما نطق بذلك القرآن أى في مواضع كثيرة جداً وأن الشيء
 إسم لما يو جد في الأعيان و لما يتصور في الأذهان فما قدره الله
 وعلم أنه سيكون هو شيء في التقدير و العلم و الكتاب و أن لم
 يكن شيئاً في الخارج و منه قوله {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ
 يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} يس 82 و لفظ الشيء في الآية يتناول لهذا
 وهذا فهو على كل شيء ما و جد و كل ماتصوره الذهن موجوداً
 إن تصور أن يكون موجوداً قديراً لا يستثنى من ذلك شيء و لا
 يزاد عليه شيء كما قال تعالى {بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَةً}
 القيمة 4 و قال {فُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً}

مَنْ فَوْقُكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلُكُمْ } الأَنْعَامٌ 65 وَ قَدْ ثَبَّتَ فِي
 الصَّحِّيْحَيْنِ أَنَّهَا لَمَّا نَزَّلَتْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 أَعُوذُ بِوْجَهِكَ فَلَمَّا نَزَّلَ {أَوْ يَلِسْكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ
بَاسَ بَعْضَ } الأَنْعَامٌ 65 الْآيَةُ قَالَ هَاتَانِ أَهْوَنَ فَهُوَ
 قَادِرٌ عَلَى الْأَوْلَيْنِ وَإِنْ لَمْ يَفْعُلْهُمَا وَقَالَ {وَأَنْزَلْنَا مِنَ
 السَّمَاءِ مَاءً بِقَدْرٍ فَأَسْكَنَاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابِهِ لَقَادِرُونَ
} الْمُؤْمِنُونَ 18 قَالَ الْمُفْسِرُونَ لَقَادِرُونَ عَلَى أَنْ نَذْهَبَ بِهِ
 حَتَّى تَمُوتُوا عَطْشًا وَتَهْلِكُ مَوَاشِيكُمْ وَتُخْرِبُ أَرَاضِيكُمْ وَمَعْلُومَ
 أَنَّهُ لَمْ يَذْهَبْ بِهِ وَهَذَا كَوْلُهُ {أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَسْرِبُونَ
} الْوَاقِعَةُ 68 إِلَى قَوْلِهِ وَ{وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ
} الْوَاقِعَةُ 82 وَهَذَا يَدِلُ عَلَى أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى مَا لَا يَفْعُلُهُ فَإِنَّهُ أَخْبَرَ
 أَنَّهُ لَوْ شَاءَ جَعَلَ الْمَاءَ أَجَاجًا وَهُوَ لَمْ يَفْعُلْهُ وَمِثْلُهُ وَ{وَلَوْ
 شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا } السَّجْدَةُ 13 {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَّنَ
 مَنْ فِي الْأَرْضِ } يُونُسُ 99 {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا افْتَنَنَا } الْبَقْرَةُ 253
 فَإِنَّهُ أَخْبَرَ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ أَنَّهُ لَوْ شَاءَ لَفَعَلَ أَشْيَاءَ وَهُوَ لَمْ يَفْعُلُهَا
 فَلَوْ لَمْ يَكُنْ قَادِرًا عَلَيْهَا لَكَانَ إِذَا شَاءَهَا لَمْ يَمْكُنْ فَعْلَهَا¹

*أَهْلُ السَّنَةِ الْمُتَبَّلِّيْنَ لِلْقَدْرِ إِذَا قَالُوا هُوَ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ مَقْدُورٍ فَإِنَّهُمْ
 يَقُولُونَ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ مَا يَمْكُنُ أَنْ يَكُونَ مَقْدُورًا لِأَيِّ قَادِرٍ
 كَانَ فَمَا مِنْ أَمْرٍ مُمْكِنٌ فِي نَفْسِهِ إِلَّا وَاللَّهُ قَادِرٌ عَلَيْهِ لَا يَتَصَوَّرُ
 عِنْدَهُمْ أَنْ يَقْدِرَ الْعَبَادُ عَلَى مَا لَمْ يَقْدِرِ اللَّهُ عَلَيْهِ وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ
 تَعَالَى {إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } فَصِّلَتْ 39 فَمَا الْمُمْتَنَعُ
 لِنَفْسِهِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بِشَيْءٍ عَنْ دَامَةِ الْعُقَلَاءِ وَإِنَّمَا تَنَازَّ عَوْا فِي
 الْمَعْدُومِ الْمُمْكِنِ هُلْ هُوَ شَيْءٌ أَمْ لَا فَمَا الْمُمْتَنَعُ فَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ
 إِنَّهُ شَيْءٌ ثَابِتٌ فِي الْخَارِجِ فَإِنَّ الْمُمْتَنَعَ هُوَ مَا لَا يَمْكُنُ وَجْهُهُ فِي
 الْخَارِجِ مُثْلُ كَوْنِ الشَّيْءِ مُوْجُودًا مَعْدُومًا فَإِنَّهُ مُمْتَنَعٌ لِذَاتِهِ لَا
 يَعْقُلُ ثَبَوْتَهُ فِي الْخَارِجِ وَكَذَلِكَ كَوْنُ الشَّيْءِ أَسْوَدَ كَلَهُ أَبْيَضُ كَلَهُ
 وَكَوْنُ الْجَسْمِ الْوَاحِدِ بِعِينِهِ فِي الْوَقْتِ الْوَاحِدِ فِي مَكَانِيْنِ
 وَالْمُمْتَنَعُ يَقَالُ عَلَى الْمُمْتَنَعِ لِنَفْسِهِ مُثْلُ هَذِهِ الْأَمْرَوْنِ وَعَلَى الْمُمْتَنَعِ
 لِغَيْرِهِ مُثْلُ مَا عَلِمَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ لَا يَكُونُ وَأَخْبَرَ أَنَّهُ لَا يَكُونُ وَكَتَبَ

أنه لا يكون فهذا لا يكون وقد يقال إنه يمتنع أن يكون لأنه لو كان للزم أن يكون علم الله بخلاف معلومه وخبره بخلاف مخبره لكن هذا هو ممكن في نفسه والله قادر عليه كما قال {بِلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ} القيامة 4 وقال تعالى {وَإِنَّا عَلَى ذَهَابِ بِهِ لَقَادِرُونَ} المؤمنون 18 وقال تعالى {فُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يُلْسِكُمْ شِيَعًا وَيُدِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَقْهُونَ} الأنعام 65 وقد ثبت في الصحيح عن النبي انه لما نزل قوله تعالى {فُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ} الأنعام 65 قال أعود بوجهك {أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ} الأنعام 65 قال أعود بوجهك {أَوْ يُلْسِكُمْ شِيَعًا وَيُدِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ} الأنعام 65 قال هاتان أهون قالوا فهو يقدر الله عليهم وهو لا يشاء أن يفعلهما بل قد أجراه الله هذه الأمة على لسان نبيها ان لا يسلط عليهم عدوا من غيرهم فيجتاحهم او يهلكهم بسنة عامة

ومن ذلك قوله تعالى {أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنَّ نَجْمَعَ عِظَامَهُ} 3 {بِلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ} 4 القيامة 4-3 فالله قادر على ذلك وهو لا يشاؤه وقوله {وَلَوْ شِئْنَا لَأَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًاهَا} السجدة 13 وأمثال ذلك مما أخبر الله تعالى أنه لو شاء لفعله فإن هذه الأمور التي أخبر الله أنه لو شاء لفعلها تستلزم أنها ممكنة مقدورة له¹

*قدرة الرب لا يفعل بها إلا مع وجود مشينته فإن ما شاء كان وما لم يشاً لم يكن وليس كل ما كان قادرا عليه فعله قال تعالى {بِلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ} القيامة 4 وقال تعالى {فُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يُلْسِكُمْ شِيَعًا وَيُدِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ} الأنعام 65 وقال تعالى {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَ مَنِ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا} يوанс 99 وقد قال تعالى {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً}

وَلَا يَرَأُونَ مُخْتَلِفِينَ } هود 118 وقال { وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا افْتَنَّا
 } البقرة 253 و أمثال هذه الآيات تبين أنه لو شاء أن يفعل أمرًا
 لم تكن لفعلها و هذا يدل على أنه قادر على ما علم أنه لا يمكن
 فإنه لو لا قدرته عليه لكن إذا شاء لا يفعله فإنه لا يمكن فعله إلا
 بالقدرة عليه فلما أخبر و هو الصادق في خبره أنه لو شاء لفعله
 علم أنه قادر عليه و إن علم سبحانه أنه لا يمكن و علم أيضًا
 أن خلاف المعلوم قد يكون مقدورا و إذا قيل هو ممتنع فهو من
 باب الممتنع لعدم مشيئة الرب له لا لكونه ممتنعا في نفسه ولا
 لكونه معجوزا عنه ¹

*فالذى لا يقع من مقدورات الرب الذى لو شاء لفعلها و هو يعلم
 أنه لا يفعلها فلا يجوز أن يقال أنه غير قادر عليها كما قاله
 بعض غلاة أهل البدع ¹

* والمنازعون النفاية كذلك منهم من ينفي الصفات مطلقا
 فهذا يكون الكلام معه في الصفات مطلقا لا يختص بالصفات
 الاختيارية و منهم من يثبت الصفات ويقول لا يقوم بذاته شيء
 بمشيئته وقدرته فيقول انه لا يتكلم بمشيئته واختياره ويقول لا
 يرضى ويسخط ويحب ويعغض ويختار بمشيئته وقدرته ويقول
 انه لا يفعل فعلا هو الخلق يخلق به المخلوق ولا يقدر
 عنده على فعل يقوم بذاته بل مقدوره لا يكون الا منفصلا منه
 لهذا موضع تنازع فيه النفاية فقيل لا يكون مقدوره الا
 بائنا عنه كما يقوله الجهمية والكلابية والمعزلة وقيل لا يكون
 مقدوره الا ما يقوم بذاته كما يقوله السالمية والكرامية
 والصحيح ان كليهما مقدور له اما الفعل فمثل قوله تعالى {قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ
 مِّنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ } الأنعام 65 الى امثال ذلك مما يبين انه
 يقدر على الافعال كالاحياء والبعث ونحو ذلك واما
 القدرة على الاعيان ففي الصحيح عن ابي مسعود قال
 كنت اضرب غلاما لي فرأني النبي فقال اعلم ابا

مسعود الله اقدر عليك منك على هذا فقوله الله اقدر عليك منك على هذا دليل على ان القدرة تتعلق بالاعيان المنفصلة قدرة الرب و قدرة العبد ومن الناس من يقول كلاما يتعلق بالفعل كالكرامية ومنهم من يقول قدرة الرب تتعلق بالمنفصل واما قدرة العبد فلا تتعلق الا ب فعل في محلها كالاشورية و النصوص تدل على ان كلا القدرتين تتعلق بالمتصل والمنفصل فان الله تعالى اخبر ان العبد يقدر على افعاله كقوله {فَأَتَقُوا اللَّهَ مَا إسْتَطَعْتُمْ} التغابن 16 و قوله {وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طُولًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ} النساء 25 فدل على ان منا من يستطع ذلك ومنا من لم يستطع وقال النبي يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء اخراجاه في الصحيحين و قوله ان استطعت ان تعمل بالرضا مع اليقين فافعل و قوله في الحديث الذي في الصحيح اذا أمرتكم بامر فاتوا منه ما استطعتم وقد اخبر أنه قادر على عبده وهؤلاء الذين يقولون لا تقوم به¹

* ايضا تنازعهم في المأمور به الذي علم الله أنه لا يكون أو اخبر مع ذلك أنه لا يكون فمن الناس من يقول إن هذا غير مقدر عليه كما أن غالبية القدرة يمنعون أن يتقدم علم الله وخبره وكتابه بأنه لا يكون وذلك لاتفاق الفريقين على أن خلاف المعلوم لا يكون ممكنا ولا مقدورا عليه وقد خالفهم في ذلك جمهور الناس وقللوا هذا منقوض عليهم بقدرة الله تعالى فإنه أخبر بقدره على أشياء مع أنه لا يفعلها كقوله **{فُلْ هُوَ الْفَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فُوقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْسُكُمْ شَيْئًا وَيُذْنِقَ بَعْضَكُمْ بَأْسًا بَعْضٍ}** الأنعام 165

* ومذهب المسلمين أن الله على كل شيء قادر سواء شاءه أو لم يشاء¹

الله سبحانه يهدى بالقدرة لكون المقدور يقترن بها

*ذكر سبحانه أنه خلق الإنسان في كبد {أَيْحَسِبُ أَنَّ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ} البلد 5 ولن لنفي المستقبل يقول أيحسب أن لن يقدر عليه في المستقبل أحد ولهذا كان ذاك الخائف من ربه الذي أمر أهله بارحاقه وذراته يعلم أن الجزاء متعلق بالقدرة فقال لئن قدر الله على ليعدبني عذاباً ما عذبه أحداً من العالمين وهو سبحانه يهدى بالقدرة لكون المقدور يقترن بها كما يهدى بالعلم لكون الجزا يقع معه كما في قوله تعالى {قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِّنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ} {الأنعام: 65} قال النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت أعود بوجهك أعود بوجهك {أَوْ يَلْسِكُمْ شَيْئاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ} {الأنعام: 65} قال هاتان أهون وذلك لأنه تكلم في ذكر القدرة ونوع المقدور كما يقول القائل أين تهرب مني أنا أقدر أن أمسك¹

إذا انقطع عن الناس نور النبوة و قعوا في ظلمة الفتن

* فإذا انقطع عن الناس نور النبوة و قعوا في ظلمة الفتن و حدثت البدع و الفجور و وقع الشر بينهم وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم قال سألت ربى ثلاثة فأعطاني اثنتين ومعنى واحدة سأله أن لا يهلك أمتي بسنة عامه فأعطانيها وسألته أن لا يسلط عليهم عدوا من غيرهم فيجتاحهم فأعطانيها وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها فلن يزال الهرج إلى يوم القيمة و البأس مشتق من المؤس قال الله تعالى {قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِّنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْسِكُمْ شَيْئاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ} {الأنعام: 65} وفي الصحيحين عن جابر قال لما نزل {قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِّنْ فَوْقِكُمْ} قال النبي صلى الله عليه وسلم أعود بوجهك {أَوْ مِنْ

تَحْتَ أَرْجُلْكُمْ { قال أعود بوجهك **{ أَوْ يَلْسِكُمْ شَيْعًا وَيُذِيقَ
بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ** } قال هاتان أهون أو أيسر فدل على أنه لابد أن يلبسهم شيئاً و يذيق بعضهم بأس بعض مع براءة الرسول في هذه الحال و هم فيها في جاهلية و لهذا قال الزهري و قعت الفتنة و أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم متوافرون فأجمعوا على أن كل دم أو مال أو فرج أصيب بتأويل القرآن فهو هدر انزلوه منزلة الجاهلية وقد روى مالك بإسناده الثابت عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تقول ترك الناس العمل بهذه الآية تعنى قوله تعالى {وَإِن طَائِقَنَ مِن
الْمُؤْمِنِينَ افْتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا} الحجرات 9 فإن المسلمين لما اقتلوا كان الواجب الإصلاح بينهم كما أمر الله تعالى فلما لم يعمل بذلك صارت فتنة و جاهلية و هكذا مسائل النزاع التي تنازع فيها الأمة في الأصول و الفروع اذا لم ترد إلى الله و الرسول لم يتبيّن فيها الحق بل يصير فيها المتنازعون على غير بيته من أمرهم فإن رحمهم الله أقر بعضهم ببعضاً و لم يبغ بعضهم على بعض كما كان الصحابة في خلافة عمر و عثمان يتنازعون في بعض مسائل الإجتهداد فيقر بعضهم ببعضاً و لا يعتدى عليه و ان لم يرحموا و قع بينهم الاختلاف المذموم فبغى بعضهم على بعض إما بالقول مثل تكفيره و تفسيقه و إما بالفعل مثل حبسه و ضربه و قتله و هذه حال أهل البدع و الظلم كالخوارج و أمثالهم يظلمون الأمة و يعتدون عليهم اذا نازعواهم في بعض مسائل الدين و كذلك سائر أهل الأهواء فانه يبتدعون بدعة و يكفرون من خالفهم فيها كما تفعل الرافضة و المعتزلة و الجهمية و غيرهم و الذين امتحنوا الناس بخلق القرآن كانوا من هؤلاء ابتدعوا بدعة و كفروا من خالفهم فيها و استحلوا منع حقه و عقوبته فالناس اذا خفي عليهم بعض ما بعث الله به الرسول صلى الله عليه وسلم إما عادلون و اما ظالمون فالعادل فيهم الذي يعمل بما و صل اليه من آثار الأنبياء و لا يظلم غيره و الظالم الذي يعتدي على غيره و هؤلاء ظالمون مع علمهم

بأنهم يظلمون كما قال تعالى { وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءُهُمُ الْعِلْمُ بَعْدَهُمْ } آل عمران 19 فلو سلکوا ما علموه من العدل أقر بعضهم ببعضًا كالمقلدين لأنّة الفقه الذين يعرفون من أنفسهم أنّهم عاجزون عن معرفة حكم الله ورسوله في تلك المسائل فجعلوا أنّتم نواباً عن الرسول قالوا هذه غاية ما قدرنا عليه فالعادل منهم لا يظلم الآخر ولا يعتدى عليه بقوله لا فعل مثل أن يدعى أن قول متبوّعه هو الصحيح بلا حجة يبيّنها ويذم من يخالفه مع أنه معذور¹

تنفي الفتنة بالإستغفار

* في قوله تعالى {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبُهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبُهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ } الأنفال 33 والكلام عليها من وجهين أحدهما في الاستغفار الدافع للعذاب والثاني في العذاب المدفوع بالإستغفار أما الأول فإن العذاب إنما يكون على الذنوب والإستغفار يوجب مغفرة الذنوب التي هي سبب العذاب فيندفع العذاب كما قال تعالى {الر كِتَابٌ أَحَكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ } 1 {أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهُ إِنَّنِي لَكُمْ مَنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ } 2 {وَأَنَّ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوَبُوا إِلَيْهِ يُمْتَعَكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمَّى وَبَيْوَتٌ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلُهُ وَإِنْ تَوَلُوا فَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ } 3 هود 1-3 فبين سبحانه أنّهم إذا فعلوا ذلك متعوا متعاعاً حسناً إلى أجل مسمى ثم إن كان لهم فضل أوتوا الفضل وقال تعالى عن نوح { يَا قَوْمَ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ } 2 {أَنَّ اعْبُدُوا اللَّهَ وَأَنَّقُوهُ وَأَطِيعُونِي } 3 يغفر لك من ذنبك ويبوخركم إلى أجل مسمى {4} نوح 2-4 إلى قوله {اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَارًا } 10 يرسل السماء عليه مدراراً {11} نوح 10-11 الآية وقال تعالى {اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوَبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلُ السَّمَاءَ

عَلَيْكُم مُّدْرَاراً وَيَزْدَكُمْ فُوَّةً إِلَى فُوَّتِكُمْ { هود 52 } وذلك أنه قد قال تعالى { وَمَا أَصَابُكُم مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبْتُ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ } الشورى 30 وقال تعالى { إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَّقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَرَّ لَهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا } آل عمران 155 وقال تعالى { أَوَلَمَا أَصَابَتُكُمْ مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنفُسِكُمْ } آل عمران 165 وقال تعالى { وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمْتُ أَيْدِيهِمْ } الشورى 48 وقال تعالى { مَا أَصَابَكُم مِّنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكُم مِّنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكُ } النساء 79 وأما العذاب المدفوع فهو يعم العذاب السماوي ويعلم ما يكون من العباد وذلك أن الجميع قد سماه الله عذابا كما قال تعالى في النوع الثاني { وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَّبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ } البقرة 49 وقال تعالى { قَاتَلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيهِمْ وَيُخْرِزُهُمْ وَيَنْصُرُكُمْ عَلَيْهِمْ } التوبه 14 وكذلك { قُلْ هُلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا أَحَدُ الْحُسْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا } التوبه 52 إذ التقدير بعذاب من عنده أو بعذاب بأيدينا كما قال تعالى { قَاتَلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيهِمْ وَيُخْرِزُهُمْ وَيَنْصُرُكُمْ عَلَيْهِمْ } التوبه 14 وعلى هذا فيكون العذاب بفعل العباد ومن ذلك قوله تعالى { الرَّازِيَّةُ وَالرَّازِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مَتَّهَ جَلْدَةً } النور 2 إلى قوله { وَلَيَشَهُدَ عَذَابَهُمَا طَافَةً مِّنَ الْمُؤْمِنِيْنَ } النور 2 وقوله تعالى { فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْسَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ } النساء 25 ومن ذلك أنه يقال في بلال ونحوه كانوا من المعذبين في الأرض ويقال إن أبي بكر اشتري سبعة من المعذبين في الله وقال السفر قطعة من العذاب وإذا كان كذلك فقوله تعالى { قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلِسْكُمْ شِيَعاً وَيُنِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ } الأنعام 65 مع ما قد ثبت في الصحيحين عن جابر عن النبي أنه لما نزل قوله { قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِّنْ فَوْقِكُمْ } الأنعام 65 قال

أَعُوذُ بِوْجَهِكَ { أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكَ } الْأَنْعَامُ 65 قال أَعُوذُ
 بِوْجَهِكَ { أَوْ يُلْسِكُمْ شَيْعاً وَيُذِيقُ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ } الْأَنْعَامُ 65
 قال هاتان أَهْوَنَ يَقْضِي أَنْ لَبَسْنَا شَيْعاً وَإِذَا
 بَعْضُنَا بَأْسَ بَعْضٍ هُوَ مِنَ الْعَذَابِ الَّذِي يَنْدِفعُ الإِسْتَغْفَارُ كَمَا قَالَ
 { وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْكُمْ خَاصَّةً } الْأَنْفَالُ 25
 وَإِنَّمَا تَنْفِي الْفِتْنَةُ بِالْإِسْتَغْفَارِ مِنَ الذَّنْبِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ وَقَوْلُهُ
 تَعَالَى { إِلَّا تَنْفِرُواْ يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبِدِّلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ }
 التَّوْبَةُ 39 قَدْ يَكُونُ الْعَذَابُ مِنْ عَنْدِهِ وَقَدْ يَكُونُ بِأَيْدِيِ الْعَبَادِ إِذَا
 تَرَكَ النَّاسُ الْجَهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَدْ يَبْتَلِيهِمْ بِأَنْ يَوْقِعُ بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ
 حَتَّى تَقْعُدْ بَيْنَهُمُ الْفِتْنَةُ كَمَا هُوَ الْوَاقِعُ فَإِنَّ النَّاسَ إِذَا اشْتَغَلُواْ بِالْجَهَادِ
 فِي سَبِيلِ اللَّهِ جَمَعَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَأَلْفَ بَيْنَهُمْ وَجَعَلَ بَأْسَهُمْ عَلَى عَدُوِّ
 اللَّهِ وَعَدُوِّهِمْ وَإِذَا لَمْ يَنْفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَذَابُهُمُ اللَّهُ بِأَنْ يَلْبِسُهُمْ
 شَيْعاً وَيُذِيقُ بَعْضَهُمْ بَأْسَ بَعْضٍ وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ { وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ
 الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } السَّجْدَةُ 21
 يَدْخُلُ فِي الْعَذَابِ الْأَدْنَى مَا يَكُونُ بِأَيْدِيِ الْعَبَادِ كَمَا قَدْ فَسَرَ بِوَقْعَةِ
 بَدْرٍ بَعْضَ مَا وَعَدَ اللَّهُ بِهِ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الْعَذَابِ ^١

كُلُّ خَيْرٍ فِي غَيْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ فَهُوَ فِيهَا أَعْظَمُ وَكُلُّ شَرٍّ فِيهَا فَهُوَ فِي غَيْرِهَا أَعْظَمُ

*قال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيفَ سَأَلَتْ
 رَبِّي لِأَمْتَى ثَلَاثَةَ فَاعْطَانِي اثْنَتَيْنِ وَمِنْعَنِي وَاحِدَةَ سَأْلَتْهُ أَنْ لَا
 يَهْلِكَ امْتَى بِسَنَةِ عَامَةَ فَاعْطَانِي هَا وَسَأْلَتْهُ أَنْ لَا يَسْلُطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًا
 مِنْ غَيْرِهِمْ فَيُجَاهُهُمْ فَاعْطَانِي هَا وَسَأْلَتْهُ أَنْ لَا يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ
 فَمِنْعَنِي هَا وَقَالَ يَامِحْمَدُ أَنِّي إِذَا قُضِيَتْ قَضَاءُ لِمْ يَرِدُ وَكَذَلِكَ
 فِي الصَّحِيفَيْنِ لَمَا نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى { قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ
 يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ } الْأَنْعَامُ 65 قال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ أَعُوذُ بِوْجَهِكَ { أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكَ } الْأَنْعَامُ 65 قال
 أَعُوذُ بِوْجَهِكَ { أَوْ يُلْسِكُمْ شَيْعاً وَيُذِيقُ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ

{ الأنعام 65} قال هاتان أهون و هذا لأنه لابد أن تقع الذنوب من هذه الأمة و لابد أن يختلفوا فان هذا من لوازم الطبع البشري لايمكن أن يكون بنو آدم إلا كذلك ولهذا لم يكن ما وقع فيها من الاختلاف و القتل و الذنوب دليلا على نقصها بل هي أفضلي الأم و هذا الواقع بينهم من لوازم البشرية و هو في غيرها أكثر و أعظم و خير غيرها أقل و الخير فيها أكثر و الشر فيها أقل كل خير في غيرها فهو فيها أعظم و كل شر فيها فهو في غيرها

اعظم¹

" لكل خبر يخبر به الله وقت ومكان يقع فيه "

*فالرسول صلى الله عليه وسلم يحيط بعلم ما أنزل الله عليه وإن كان تأويله لم يأت بعد و في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم لما نزل قوله **{قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ} الأنعام 65** الآية قال إنها كائنة و لم يأت تأويلها بعد قال تعالى **{ وَكَذَبَ بِهِ قَوْمٌ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ} 66** **{لَكُلِّ نَبِيٍّ مُسْتَقْرٌ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ} 67** الأنعام 66-67

قال بعضهم موضع قرار وحقيقة ومتى ينتهي إليه فيبين حقه من باطله وصدقه من كذبه وقال مقاتل لكل خبر يخبر به الله وقت ومكان يقع فيه من غير خلف ولا تأخير وقال ابن السائب لكل قول و فعل حقيقة ما كان منه في الدنيا فستعرفونه وما كان منه في الآخرة فسوف يبدو لكم وسوف تعلمون وقال الحسن لكل عمل جزاء فمن عمل عملا من الخير جوزي به في الجنة و من عمل سوء جوزي به في النار وسوف تعلمون و معنى قول الحسن أن الأعمال قد وقع عليها الوعيد والوعيد فالوعيد عليها هو النبأ الذي له المستقر في بين المعنى ولم يرد أن نفس الجزاء هو نفس النبأ و عن السدي قال **{الْكُلُّ نَبِيٌّ مُسْتَقْرٌ} الأنعام 67** أي ميعاد و عدكموه فسيأتيكم حتى تعرفونه وعن عطاء **{الْكُلُّ نَبِيٌّ مُسْتَقْرٌ} الأنعام 67** تؤخر عقوبته ليعمل ذنبه فإذا عمل ذنبه عاقبه أي لا يعاقب بالوعيد

حتى يفعل الذنب الذي توعده عليه ومنه قول كثير من السلف في
 آيات هذه ذهب تأویلها وهذه لم يأت تأویلها مثل ما روى
 أبو الأشہب عن الحسن و الربيع عن أبي العالية أن هذه الآية
 قرئت على ابن مسعود {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ}
 المائدة 105 الآية فقال ابن مسعود ليس هذا بزمانها قوله ما
 قبلت منكم فإذا ردت عليكم فعليكم أنفسكم ثم قال إن القرآن نزل
 حيث نزل فمنه آي قد مضى تأویلهن قبل أن ينزلن ومنه آي وقع
 تأویلهن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ومنه آي وقع
 تأویلهن بعد النبي صلى الله عليه وسلم بيسير ومنه آي يقع
 تأویلهن بعد اليوم ومنه آي يقع تأویلهن في آخر الزمان ومنه آي
 يقع تأویلهن يوم القيمة ما ذكر من الحساب والجنة والنار فما
 دامت قلوبكم وأهواءكم واحدة ولم تلبسوا شيئاً ولم يذق بعضكم
 بأس بعض فأمروا و انهوا فإذا اختلفت القلوب والأهواء وأ
 ألسنتهم شيئاً و ذاق بعضكم بأس بعض فأمرؤ ونفسه فعند ذلك
 جاء تأویل هذه الآية فابن مسعود رضي الله عنه قد ذكر
 في هذا الكلام تأویل الأمر و تأویل الخبر فهذه الآية عليكم أنفسكم
 من باب الأمر و ما ذكر من الحساب والقيمة من باب الخبر و
 قد تبين أن تأویل الخبر هو وجود المخبر به و تأویل الأمر هو
 فعل المأمور به فالآية التي مضى تأویلها قبل نزولها هي من باب
 الخبر يقع الشيء فيذكره الله كما ذكر ما ذكره من قول المشركين
 للرسول و تكذيبهم له و هي وإن مضى تأویلها فهى عبرة
 ومعناها ثابت في نظيرها ومن هذا قول ابن مسعود خمس قد
 مضين ومنه قوله تعالى {اَفْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ} القمر ١^١

*قال بعض السلف في قوله **{الْكُلُّ نَبِإِ مُسْتَقَرٌ}** {الأنعام 67}
 قال حقيقة فانه ان كان خبرا فالى الحقيقة المخبر بها يؤول
 ويرجع والا لم تكن له حقيقة ولا مآل ولا مرجع بل كان ذنباً وان
 كان طلبا فالى الحقيقة المطلوبة يؤول ويرجع وان لم يكن
 مقصوده موجودا ولا حاصلا ومتى كان الخبر وعدا أو عيذا
 فالى الحقيقة المطلوبة المنتظرة يؤول كما روى عن النبي

أنه تلا هذه الآية {قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يُلْسِكُمْ شِيَعاً} الأنعام 65 قال إنها كائنة ولم يأت تأويلها بعد وعن عبدالله قال خمس قد مضين ^{البطشة واللزام والدخان والقمر والروم}¹

*فالنبي صلى الله عليه وسلم عالم بالتأويل وإن كان التأويل لم يقع بعد وإن كان لا يعرف متى لا يقع فنحن نعلم تأويل ما ذكر الله في القرآن من الوعد والوعيد وإن كنا لا نعرف متى يقع هذا التأويل المذكور في قوله سبحانه وتعالى {هُلْ يَنْظُرُونَ إِلَى تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ} الأعراف 53 قال تعالى ^{الكل نبا} مُسْتَقِرٌ {الأنعام} 67 فنحن نعلم مستقر نبا الله وهو الحقيقة التي أخبر الله بها ولا نعلم متى يكون وقد لا نعلم كيفيتها وقدرها وسواء في هذا تأويل المحكم والمشابه كما قال الله تعالى {قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يُلْسِكُمْ شِيَعاً وَيُذْيِقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ} الأنعام 65 قال النبي صلى الله عليه وسلم إنها كائنة ولم يأت تأويلها بعد فقد عرف تأويلها وهو قوع الإختلاف والفتنة وإن لم يعرف متى يقع وقد لا يعرف صفتة ولا حقيقته فإذا وقع عرف العارف أن هذا هو التأويل الذي دلت عليه الآية وغيره قد لا يعرف ذلك أو ينساه بعد ما كان عرفه فلا يعرف أن هذا تأويل القرآن فإنه لما نزل قوله تعالى {وَانْقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً} الأنفال 25 قال الزبير لقد قرأنا هذه الآية زمانا وما أرانا من أهلها وإذا نحن المعنيون بها {وَانْقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً} الأنفال 25¹

القرآن هو شرف لمن آمن به

*وقد أنزل الله عليه في غير موضع أمر جميع الخلق بعبادته قوله تعالى {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقَوْنَ} 21 سورة البقرة الآية 21 وفريش هم

قومه الذين كذبه جمهورهم أولاً كما قال تعالى {وَكَذَبَ بِهِ قَوْمٌ
وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ} الأنعام 66¹

*في كفاية الله له أعداءه وعصمنه له من الناس وهذا فيه آية لنبوته من وجوه منها أن ذلك تصدق لقوله تعالى {فَاصْدُعْ بِمَا تُؤْمِنُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ} 94 {إِنَّا كَفَيْنَاكَ
الْمُسْتَهْزِئِينَ} 95 {الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ
يَعْلَمُونَ} 96 الحجر 94-96 فهذا إخبار الله بأنه يكفيه المشركين المستهزئين وأخبر أنه يكفيه أهل الكتاب بقوله {
فُولُوا آمَنًا بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا وَمَا أَنْزَلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ
وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ
النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ
مُسْلِمُونَ} 136 {فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْنَدُوا وَإِنْ تَوَلُّوا
فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيُهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} 137
البقرة 136-137 فأخبره الله أنه يكفيه هؤلاء الشاقين له من أهل الكتاب وأخبره أنه يعصمه من جميع الناس بقوله تعالى {يَا
أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلَّغْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ
رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ
} المائدة 67 فهذا خبر عام بأن الله يعصمه من جميع الناس فكل من هذه الأخبار الثلاثة العامة قد وقع كما أخبر وفي هذا عدة آيات منها أنه كفاه أعداءه بأنواع عجيبة خارجة عن العادة المعروفة ومنها أنه نصره مع كثرة أعدائه وقوتهم وغلبتهم وأنه كان وحده جاهراً بمعاداتهم وسب آبائهم وشتم آهتهم وتسيفيه أحلامهم والطعن في دينهم وهذا من الأمور الخارقة للعادة والمستهزئون كانوا من أعظم سادات قريش وعظماء العرب وكان أهل مكة أهل الحرم أعز الناس وأشرفهم يعظهم جميع الأمم أما العرب فكانوا يدينون لهم وأما غيرهم من الأمم فكانوا يعظموهم به لا سيما من حين ما جرى لأهل الفيل ما جرى كما كانت الأمم تعظمبني إسرائيل لما ظهر فيهم من الآيات ما ظهر وهؤلاء بنو إسرائيل ابن خليل الله وهؤلاء بنو إسحاق ابن خليل

الله وكلاهما ممن وعد الله إبراهيم في التوراة فيهم بما وعده من إنعام الله عليه النعمة التي لم ينعم الله بها على غيرهم فكان أهل مكة معظمين لأنهم جيران البيت ولأنهم أشرف بنى إسماعيل فإن الله أصطفى كنانة من ولد إسماعيل وأصطفى قريشا من كنانة وأصطفى هاشم من قريش وأصطفى محمدا من بنى هاشم وكان قد عاده أشراف هؤلاء كما عادى المسيح أشراف بنى إسرائيل وبدل هؤلاء وهؤلاء نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار وكفى الله رسوله المسيح من عاده منهم ولم ينفعهم نسبهم ولا فضل مدينتهم وكذلك كفى الله محمدا من عاده وانتقم منهم ولم ينفعهم أنسابهم ولا فضل مدينتهم فإن الله إنما يثبت بالإيمان والتقوى لا بالبلد والنسب وقال تعالى {وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ} 66 **الأنعام** 66-67 وقد سمي أهل العلم بعض من كفاه الله إياه من المستهزئين وكانوا معروفين مشهورين عند الصحابة بالرياسة والعظمة في الدنيا ذكره لهم ليعرف هذا الأمر العظيم الذي أكرم الله نبيه به ففي الصحيحين عن أبي هريرة قال قال أبو جهل هل يعمر محمد وجهه بين أظهركم قيل نعم قال واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقى بيديه فقيل له مالك قال إن بيني وبينه لخندقا من نار وهو لا وأجنحة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوا ¹
 *فإن القرآن هو شرف لمن آمن به من قومه وغيرهم وليس شرفا لجميع قومه بل من كذب به منهم كان أحق بالذم كما قال تعالى {وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ} **الأنعام** 66

القاعد المستمع من غير إنكار بمنزلة الفاعل

*قال تعالى {وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ }68{ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقَوْنَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنَّ ذِكْرَى لَعْنَهُمْ يَتَّقَوْنَ }69{ الأنعام 68-69 و قال تعالى {وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكَفِّرُ بِهَا وَيُسْتَهْزِئُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِنْهُمْ } النساء 140 فجعل القاعد المستمع من غير إنكار بمنزلة الفاعل ولهذه يقال المستمع شريك المغتاب وفي الأثر من شهد المعصية وكرهها كان كمن غاب عنها ومن غاب عنها ورضيها كان كمن شهدتها فإذا شهدتها حاجة أو لا كراه أنكرها بقلبه لقوله النبي صلى الله عليه وسلم من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فلبسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان فلو كان الرجل مارا فسمع القرآن من غير أن يستمع إليه لم يؤجر على ذلك وإنما يؤجر على الاستماع الذي يقصد كما قال تعالى {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرَحَّمُونَ } الأعراف 204 وقال لموسى { فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى } طه 13¹

*وقد قال النبي من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يشرب عليها الخمر وقد رفع إلى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قوله قوم يشربون الخمر فأمر بضربيهم فقيل له أن فيهم صائمًا فقال ابدوا به ثم قال أما سمعت قوله تعالى {وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكَفِّرُ بِهَا وَيُسْتَهْزِئُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِنْهُمْ } النساء 140 فاستدل عمر بآلية لأن الله تعالى جعل حاضر المنكر مثل فاعله بل إذا كان من دعا إلى دعوة العرس لا تجاب دعوته إذا اشتملت على منكر حتى يدعه مع أن إجابة الدعوة حق فكيف بشهود المنكر من غير حق يقتضي ذلك¹

ما خالف الشرع والدين فإنه يكون من النفس والشيطان

* قال صلى الله عليه وسلم إن الله تجاوز لأمتى ما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم به أو تعمل به و هو نوعان خبر و إنشاء فالخبر إما عن ماض و إما عن مستقبل فالماضي يذكره به و المستقبل يحدثه بأن يفعل هو أمورا أو أن أمورا ستكون بقدر الله أو فعل غيره بهذه الأمانى و الموعيد الكاذبة و الإنشاء امر و نهي و إباحة والشيطان تارة يحدث و سواس الشر و تارة ينسى الخير و كان ذلك بما يشغله به من حديث النفس قال تعالى في النسيان { وَإِمَّا يُنسِينَكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدُ بَعْدَ الذِّكْرِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ } الأنعام 68 و قال فتى موسى { فَإِنِّي نَسِيْتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ } الكهف 63 و قال تعالى { فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ } يوسف 42 و ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا أذن المؤذن أدبر الشيطان و له ضراط حتى لا يسمع التأذين فإذا قضي التأذين أقبل فإذا ثوب بالصلاه أدبر فإذا قضي التثواب أقبل حتى يخطر بين المرء و نفسه فيقول أذكر كذا أذكر كذا لما لم يذكر حتى يظل الرجل لم يدر كم صلى فالشيطان ذكره بأمور ماضية حدث بها نفسه مما كانت في نفسه من أفعاله و من غير أفعاله فبتلك الأمور نسي المصلي كم صلى و لم يدر كم صلى فإن النسيان أزال ما في النفس من الذكر و شغلها بأمر آخر حتى نسي الأول و أما إخباره بما يكون في المستقبل من الموعيد و الأمانى فك قوله { وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِّنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلَوْمُوا أَنفُسَكُمْ } إبراهيم 22 و في هذه الآية أمره و وعده و قال تعالى { وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ حَسِرَ حُسْرًا مُّبِينًا } 119 { يَعِدُهُمْ وَيُمْنِيْهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا

غُرُوراً {120} أَوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا
مَحِيصاً {121} النساء 119-121¹

*كان الصحابة إذا تكلموا في مسألة باجتهدهم قال أحدهم أقول فيها برأيي فإن يكن صواباً فمن الله وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان والله ورسوله بريئان منه كما قال أبو بكر رضي الله عنه في الكللة وكما قال ابن مسعود في المفوضة إذا مات عنها زوجها وكلاهما أصاب فيما قاله برأيه لكن قال الحق فإن القول إذا كان صواباً فهو مما جاء به الرسول عن الله فهو من الله وإن كان خطأ فالله لم يبعث الرسول بخطأ فهو من نفسه ومن الشيطان لا من الله ورسوله والمقصود بالإضافة إليه بالإضافة إليه من جهة إلاهيته من جهة الأمر والشرع والنهي وأنه يحبه ويرضاه ويثيب فاعله عليه وأما من جهة الخلق فكل الأشياء منه والناس لم يسألوا الصحابة عما من الله خلقاً وتقديراً فقد علموا أن كل ما وقع فمنه والعرب كانت في جاهليتها تقر بالقضاء والقدر قال ابن قتيبة وغيره ما زالت العرب في جاهليتها وإسلامها مقر بالقدر وقد قال عنترة يا عبد أين من المنية مهرب إن كان ربِّي في السماء قضاهَا وإنما كان سؤال الناس عما من الله من جهة أمره ودينه وشرعه الذي يرضاه ويحبه ويثيب أهله وقد علم الصحابة أن ما خالف الشرع والدين فإنه يكون من النفس والشيطان وإن كان بقضاء الله وقدره وإن كان يعفى عن صاحبه كما يعفى عن النسيان والخطأ ونسيان الخير يكون من الشيطان كما قال تعالى { وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدُ بَعْدَ الذِّكْرِ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ } الأنعام 68 وقال فتى موسى صلى الله عليه وسلم { وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ } الكهف 63 وقال { فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ } يوسف 42 ولما نام النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في الوادي عن الصلاة قال هذا واد حضرنا فيه الشيطان وقال إن الشيطان أتى بلا لفحة يجعل يهديه كما يهدي الصبي حتى نام فإنه كان وكل بلا لفحة يكلا لهم الصبح مع قوله ليس في النوم تفريط وقال إن الله قبض أرواحنا

وقال له بلال أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك وقال من نام عن صلاة فليصلها إذا ذكرها لا كفارة لها إلا ذلك ومع قوله تعالى عن المؤمنين {رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذنَا إِن نَسِيَّنَا أَوْ أَخْطَأَنَا} البقرة 286 قال تعالى قد فعلت وكذلك الخطأ في الإجتهاد من النفس والشيطان وإن كان مغفورة لصاحبه وكذلك الإحتلام في المنام من الشيطان وفي الصحيحين عنه أنه قال الرؤيا ثلاثة رؤيا من الله ورؤيا من الشيطان ورؤيا مما يحدث به المرء نفسه في اليقظة فيراها في المنام فالنائم يرى في منامه ما يكون من الشيطان وهو كما قال صلى الله عليه وسلم رفع القلم عن النائم حتى يستيقظ وعن المجنون حتى يفيق وعن الصبي حتى يتحلم وأعذرهم النائم ولهذا لم يكن لشئ من أقواله التي تسمع منه في المنام حكم باتفاق العلماء فلو طلق أو اعتق أو تبرع أو غير ذلك في منامه كان لعوا بخلاف الصبي المميز فإن أقواله قد تعتبر إما بإذن الولي وإما بغير إذنه في مواضع بالنص وفي مواضع بالإجماع¹

الخائضون في آيات الله بالباطل

*أن الله سبحانه وتعالى لا يأمر باستماع كل قول بإجماع المسلمين بل من القول ما يحرم استماعه ومنه ما يكره كما قال النبي ص من استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون صب في أذنيه الأنك يوم القيمة وقد قال تعالى {وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} 68 {وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ} 69 ^{فقد} أمر سبحانه بالإعراض عن كلام الخائضين في آياته ونهى عن القعود معهم¹

*قال الإمام مالك بن انس والله قد فطر العباد عربهم وعجمهم على أنهم اذا دعوا الله توجهت قلوبهم الى العلو ولا يقصدونه

تحت أرجلهم ولهذا قال بعض العارفين ما قال عارف قط يا الله الا وجد في قلبه قبل أن يتحرك لسانه معنى يطلب العلو لا يلتفت يمنة ولا يسرة وذكر من بعد كلام طويل الحديث كل من مولود يولد على الفطرة وأهل الحلول والتعطيل في هذا الباب شبهاً يعارضون بها كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وما أجمع سلف الأمة وأئمتها وما فطر الله عليه عباده وما دلت عليه الدلائل العقلية الصحيحة فان هذه الأدلة كلها متقة على أن الله فوق مخلوقاته عال عليها قد فطر الله على ذلك العجائز والصبيان والاعراب في الكتاب كما فطرهم على الاقرار بالخالق تعالى وقد قال في الحديث الصحيح كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جماء هل تحسون فيها من جدعاء ثم يقول أبو هريرة اقرؤوا ان شئتم {فِطْرَةُ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخُلُقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيْمُ } الروم 30 وهذا معنى قول عمر بن عبد العزيز عليك بدين الاعراب والصبيان في الكتاب وعليك بما فطرهم الله عليه فان الله فطر عباده على الحق والرسل بعثوا بتكميل الفطرة وتقريرها لا بتحويل الفطرة وتغييرها واما اداء الرسل كالجهمية الفرعونية ونحوهم في يريدون أن يغيروا فطرة الله ويوردون على الناس شبهاً بكلمات مشتبهات لا يفهم كثير من الناس مقصودهم بها ولا يحسن ان يجيبهم وأصل ضلالتهم تكلمهم بكلمات مجملة لا أصل لها في كتابه ولا سنة رسوله ولا قالها أحد من ائمة المسلمين كلفظ التحيز والجسم والجهة ونحو ذلك فمن كان عارفا بحل شبهاهم بينها ومن لم يكن عارفا بذلك فليعرض عن كلامهم ولا يقبل الا ما جاء به الكتاب والسنة كما قال {وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ } الأنعام 68 ومن يتكلم في الله

واسمائه وصفاته بما يخالف الكتاب والسنة فهو من الخائضين
فى آيات الله بالباطل¹

الهجر الشرعى نوعان

*الهجر الشرعى نوعان أحدهما بمعنى الترک للمنكرات و الثاني بمعنى العقوبة عليها فالاول هو المذكور في قوله تعالى {وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِنَكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} الأنعام 68 وقوله تعالى {وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكَفَّرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مُّتَّلِّهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا} النساء 140 فهذا يراد به أنه لا يشهد المنكرات لغير حاجة مثل قوم يشربون الخمر يجلس عندهم وقوم دعوا إلى وليمة فيها خمر وزمر لا يجيب دعوتهم وأمثال ذلك بخلاف من حضر عندهم للانكار عليهم او حضر بغير اختياره ولهذا يقال حاضر المنكر كفاعله وفي الحديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يشرب عليها الخمر وهذا الهجر من جنس هجر الانسان نفسه عن فعل المنكرات كما قال المهاجر من هجر ما نهى الله عنه النوع الثاني الهجر على وجه التأديب وهو هجر من يظهر المنكرات يهجر حتى يتوب منها كما هجر النبي صلى الله عليه وسلم وال المسلمين الثلاثة الذين خلفوا حتى أنزل الله توبتهم حين ظهر منهم ترك الجهاد المتعين عليهم بغير عذر ولم يهجر من أظهر الخير وان كان منافقا فهنا الهجر هو بمنزلة التعزير¹

1

1 مجموع الفتاوى ج: 28 ص: 211-213

*فان الهجرة نوع من أنواع التعزير والعقوبة نوع من أنواع الهجرة التي هي ترك السيئات فان النبي صلى الله عليه وسلم قال المهاجر من هجر السيئات وقال من هجر ما نهى الله عنه فهذا هجرة التقوى وفي هجرة التعزير والجهاد هجرة الثلاثة الذين خلفوا وأمر المسلمين بهجرهم حتى تيب عليهم فالهجرة تارة تكون من نوع التقوى إذا كانت هجرا للسيئات كما قال تعالى {وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} {68} وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقَوْنَ مِنْ جِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرَى لَعْلَهُمْ يَتَّقَوْنَ} {69} الأنعام 68 - 69 فيبين سبحانه ان المتقين خلاف الظالمين وان المأمورين بهجران مجالس الخوض فى آيات الله هم المتقون وتارة تكون من نوع الجهاد والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واقامة الحدود وهو عقوبة من اعتدى وكان ظالما وعقوبة الظالم وتعزيره مشروط بالقدرة فلهذا اختلف حكم الشرع فى نوعى الهجرتين بين القادر والعاجز وبين قلة نوع الظالم المبتدع وكثرته وقوته وضعفه كما يختلف الحكم بذلك فى سائر أنواع الظلم من الكفر والفسق والعصيان فإن كلما حرمه الله فهو ظلم اما فى حق الله فقط واما فى حق عباده واما فيما فيهما وما امر به من هجر الترك والانتهاء وهجر العقوبة والتعزير إنما هو إذا لم يكن فيه مصلحة دينية راجحة على فعله والا فإذا كان فى السيئة حسنة راجحة لم تكن سيئة وإذا كان فى العقوبة مفسدة راجحة على الجريمة لم تكن حسنة بل تكون سيئة وان كانت مكافئة لم تكن حسنة ولا سيئة فالهجران قد يكون مقصوده ترك سيئة البدعة التي هي ظلم وذنب وأثم وفساد وقد يكون مقصوده فعل حسنة الجهاد البدعة والنهى عن المنكر وعقوبة الظالمين لينزحوا ويرتدعوا وليقوى الإيمان والعمل الصالح عند اهله فان عقوبة الظالم تمنع الظالم النفوس عن ظلمه وتحضها على فعل ضد ظلمه من الإيمان والحسنة ونحو ذلك فإذا لم يكن فى

هجرانه انزجار أحد ولا انتهاء احد بل بطلان كثير من الحسنات المأمور بها لم تكن هجرة مأمورة بها كما ذكره أحمد عن أهل خراسان اذ ذاك انهم لم يكونوا يقوون بالجهمية فاذا عجزوا عن اظهار العداوة لهم سقط الأمر بفعل هذه الحسنة وكان مداراتهم فيه دفع الضرر عن المؤمن الضعيف ولعله ان يكون فيه تأليف الفاجر القوى وكذلك لما كثر القدر في أهل البصرة فلو ترك روایة الحديث عنهم لاندرس العلم والسنن والآثار المحفوظة فيهم فاذا تعذر اقامة الواجبات من العلم والجهاد وغير ذلك إلا من فيه بدعة مضرتها دون مضره ترك ذلك الواجب كان تحصيل مصلحة الواجب مع مفسدة مرجوحة معه خيرا من العكس ولهذا كان الكلام في هذه المسائل فيه تفصيل وكثير من أجوبة الإمام أحمد وغيره من الأئمة خرج على سؤال سائل قد علم المسؤول حاله أو خرج خطاباً لمعين قد علم حاله فيكون منزلة قضايا الأعيان الصادرة عن الرسول إنما يثبت حكمها في نظيرها فان أقواماً جعلوا ذلك عاماً فاستعملوا من الهجر والأنكار ما لم يؤمروا به فلا يجب ولا يستحب وربما تركوا به واجبات أو مستحبات و فعلوا به محرمات وآخرون أعرضوا عن ذلك بالكلية فلم يهجروا ما أمروا بهجره من السبيّات البدعية بل تركوها ترك المعرض لا ترك المنتهى الكاره أو وقعوا فيها وقد يتركونها ترك المنتهى الكاره ولا ينهون عنها غيرهم ولا يعاقبون بالهجرة ونحوها من يستحق العقوبة عليها فيكونون قد ضيعوا من النهي عن المنكر ما أمروا به إيجاباً أو إستحباباً فهم بين فعل المنكر أو ترك النهي عنه وذلك فعل مانهوا عنه وترك ما أمروا به فهذا هذا ودين الله وسط بين الغلى فيه والجافى عنه

والله سبحانه أعلم ¹

الخلوة والعزلة والانفراد المشروع

*فاما الخلوة والعزلة والانفراد المشروع فهو ما كان مأمورة به امر ايجاب او ستحبب فألاول كاعتزال الامور

المحرمة ومحانبتها كما قال تعالى {وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ
 فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ}
 {الأنعام} 68 منه قوله تعالى عن الخليل {فَلَمَّا اعْتَزَلُهُمْ وَمَا
 يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهُبَّنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلُّاً جَعَلْنَا نَبِيًّا
 } مريم 49 قوله عن أهل الكهف {وَإِذَا اعْتَزَلُتُمُوهُمْ وَمَا
 يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهُ فَأُولُو إِلَى الْكَهْفِ} الكهف 16 فان أولئك لم يكونوا
 في مكان فيه جمعة ولا جماعة ولا من يأمر بشرع نبي فلهذا أتوا
 إلى الكهف وقد قال موسى {وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَرُونَ}
 {الدخان} 21 واما اعتزال الناس في فضول المباحثات وما
 لا ينفع وذلك بالزهد فيه فهو مستحب وقد قال طووس نعم
 صومعة الرجل بيته يكتف فيه بصره وسمعه و اذا اراد الانسان
 تحقيق علم او عمل فتخلى في بعض الاماكن مع محافظته على
 الجمعة والجماعة فهذا حق كما في الصحيحين ان النبي سئل
 اى الناس افضل قال رجل اخذ بعنان فرسه في سبيل الله كلما
 سمع هيعة طار اليها يتبع الموت مظانه ورجل معتزل في شعب
 من الشعاب يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويدع الناس الامن خير
 وقوله يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة دليل على ان له مالا
 يزكيه وهو ساكن مع ناس يؤذن بينهم وتقام الصلاة فيهم فقد قال
 صلوات الله عليه ما من ثلاثة في قربة ولا بد لا تقام فيهم
 الصلاة جماعة وقد استحوذ عليهم الشيطان وقال عليكم
 بالجماعة فانما يأخذ الذئب القاصية من الغنم¹

"إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعْنَتْ فَاسْتَعْنْ بِاللَّهِ"

* وتوحيد الله وإخلاص الدين له في عبادته واستعانته في القرآن
 كثير جدا بل هو قلب الإيمان وأول الإسلام وأخره كما قال النبي
 صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا
 إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وقال إنما لأعلم كلمة لا
 يقولها عند الموت أحد إلا وجد روحه لها روحه وقال من
 كان آخر كلامه لا إله إلا الله وجبت له الجنة وهو قلب الدين

والإيمان وسائر الأعمال كالجوارج له وقول النبي إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل أمرى ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إمرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه فبين بهذا أن النية عمل القلب وهي أصل العمل وإخلاص الدين لله وعبادة الله وحده ومتابعة الرسول فيما جاء به هو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وهو دين الإسلام العام الذى بعث الله به جميع الرسل كما قال تعالى {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنَّ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} النحل 36 وقال النبي لمعاذ بن جبل يا معاذ أتدرى ما حق الله على عباده قلت الله ورسوله أعلم قال حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً أتدرى ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك أن لا يعذبهم وقال لابن عباس إذا سألت فاسئل الله وإذا استعنت فاستعن بالله وقال تعالى {وَنَذَرَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعْبًا وَلَهُوَا وَغَرَّهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونَ اللَّهِ وَلَيْ وَلَا شَفِيعٌ} الأنعام 70 فالولي الذي يتولى أمرك كله والشفيع الذى يكون شافعاً فيه أى عوناً فليس للعبد دون الله من ولى يستقل ولا ظهير معين¹

صلاح القلب في العدل وفساده في الظلم

*العدل هو الاعتدال والاعتدال هو صلاح القلب كما ان الظلم فساده ولهذا جميع الذنوب يكون الرجل فيها ظالما لنفسه والظلم خلاف العدل فلم يعدل على نفسه بل ظلمها فصلاح القلب في العدل وفساده في الظلم وإذا ظلم العبد نفسه فهو الظالم وهو المظلوم كذلك إذا عدل فهو العادل والمدعول عليه فمنه العمل وعليه تعود ثمرة العمل من خير وشر قال تعالى { لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ} البقرة 286 والعمل له اثر في القلب من نفع وضر وصلاح قبل اثره في الخارج فصلاحها عدل لها وفسادها ظلم لها قال تعالى {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا

الجاثية 15 و قال تعالى {إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا} الإسراء 7 قال بعض السلف ان للحسنة لنورا في القلب وقوه في البدن وضياء في الوجه وسعة في الرزق ومحبة في قلوب الخلق وان للسيئة لظلمة في

القلب وسودادا في الوجه ووهنا في البدن ونقصا في الرزق وبعضا في قلوب الخلق و قال تعالى {كُلُّ امْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ} الطور 21 و قال تعالى {كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةً} المدثر 38 وقال {وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبَشِّلْ نَفْسُ بِمَا كَسَبَتْ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَيْ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذْ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أَبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا} الأنعام 70 و تبسيل اى ترتنهن وتحبس وتؤسر كما ان الجسد إذا صح من مرضه قيل قد اعتدل مزاجه والمرض انما هو باخراج المزاج مع أن الاعتدال المحض السالم من الأخلاط لا سبيل اليه لكن الأمثل فالامثل فهكذا صحة القلب وصلاحه في العدل ومرضه من الزيف والظلم والانحراف والعدل المحض في كل شيء متعدز علماء و عملا ولكن الأمثل فالامثل ولهذا يقال هذا أمثل ويقال للطريقة السلفية الطريقة المثلى و قال تعالى {وَلَنْ تَسْتَطِعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ} النساء 129¹

الله الشفاعة جميعا

* فالشفاعة المنفية في القرآن كقوله تعالى {يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُواهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُونَا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلُ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ} الأعراف 53 وأمثال ذلك واحتاج بكثير من الخوارج والمعزلة على منع الشفاعة لأهل الكبار إذ منعوا أن يشفع لمن يستحق العذاب أو أن يخرج من النار من يدخلها ولم ينفوا الشفاعة لأهل الثواب في زيادة الثواب ومذهب سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة إثبات الشفاعة لأهل الكبار والقول بأنه يخرج من النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان

وأيضا فالآحاديث المستفيضة عن النبي في الشفاعة فيها استشفاع
أهل الموقف ليقضي بينهم وفيهم المؤمن والكافر وهذا فيه وع
شفاعة للكفار وأيضا ففي الصحيح عن العباس بن عبد المطلب
أنه قال يا رسول الله هل نفعت أبا طالب بشيء فإنه يحوطك
ويغضب لك قال نعم هو في ضحضاح من نار ولو لا أنا لكان
في الدرك الأسفل من النار وعن عبد الله بن الحارث قال
سعت العباس يقول قلت يا رسول الله إن أبا طالب كان يحوطك
وينصرك فهل نفعه ذلك قال نعم وجده في غمرات من نار
فآخر جته إلى ضحضاح وعن أبي سعيد الخدري رضي الله
عنه أن رسول الله ذكر عنده عمه أبو طالب فقال لعله تتفعه
شفاعتي يوم القيمة فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعيه
يغلى منه دماغه فهذا نص صحيح صريح لشفاعته في
بعض الكفار أن يخفف عنه العذاب بل في أن يجعل أهون أهل
النار عذابا كما في الصحيح أيضا عن ابن عباس أن رسول الله
قال أهون أهل النار عذابا أبو طالب وهو منتعل بنعليين يغلى
منهما دماغه وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال إن أدنى أهل النار عذابا منتعل بنعليين من
نار يغلى دماغه من حرارة نعليه وعن النعمان بن بشير قال
سمعت رسول الله يقول إن أهون أهل النار عذابا يوم القيمة
لرجل يوضع في أخمض قدميه جمرتان يغلى منها دماغه
وعنه قال قال رسول الله إن أهون أهل النار عذابا من له نعلان
وشرakan من نار يغلى منها دماغه كما يغلى المرجل ما يرى أن
أحدا أشد منه عذابا وإنه لأهونهم عذابا وهذا السؤال الثاني
يضعف جواب من تأول نفي الشفاعة على الشفاعة للكفار وإن
الظالمين هم الكافرون فيقال الشفاعة المنافية هي الشفاعة
المعروفة عند الناس عند الإطلاق وهي أن يشفع الشفيع إلى
غيره ابتداء فيقبل شفاعته فأما إذا أذن له في أن يشفع فشفع لم
يكن مستقلًا بالشفاعة بل يكون مطينا له أى تابعا له في الشفاعة
وتكون شفاعته مقبولة ويكون الأمر كله للأمر المسؤول وقد

ثبت بنص القرآن في غير آيه أن أحدا لا يشفع عنده إلا بإذنه كما قال تعالى {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ} البقرة 255 وقال {يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذْنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا} طه 109 وقال {وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرْتَضَى} الأنبياء 28 وأمثال ذلك والذى بيبرى أن هذه هي الشفاعة المنافية أنه قال {وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْسِرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيُّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَقَوَّنُ} الأనعام 51 وقال تعالى {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سَيَّرَةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} السجدة 4 فأخبر أنه ليس لهم من دون الله ولى ولا شفيع وأما نفي الشفاعة بدون إذنه فإن الشفاعة إذا كانت بإذنه لم تكن من دونه كما أن الولاية التي بإذنه ليست من دونه كما قال تعالى {إِنَّمَا وَلِيْكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقْيِمُونَ الصَّلَاةَ وَبِيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ} 55 {وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ} 56 المائدة 55-56 وأيضا فقد قال {أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوْلُو كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ} الزمر 43 {أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوْلُو كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ} 43 {قُلْ اللَّهُ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} 44 الزمر 43-44 فذم الذين اتخذوا من دون الله شففاء وأخبر أن الله الشفاعة جميعا فعلم أن الشفاعة منافية عن غيره إذ لا يشفع أحد إلا بإذنه وتلك فهوى له وقد قال {وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هُوَ لَاءُ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَتَبِّعُنَّ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} يونس 18 يوضح ذلك أنه نفي يومئذ الخلة بقوله {مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِي يَوْمٌ لَا يَبْيَعُ فِيهِ وَلَا خُلَّةً وَلَا شَفَاعَةً وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ} البقرة 254 ومحظوظ أنه إنما نفى الخلة المعروفة ونفعها المعروف كما ينفع الصديق الصديق في الدنيا كما قال {وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ} 17 ثم ما أدرى

مَا يَوْمُ الدِّينِ {18} يَوْمٌ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ شَيْئاً وَالْأَمْرُ يَوْمَنِ
 اللَّهِ {19} الْانْفِطَارِ 17-19 وَقَالَ {إِنِّي ذَرَ يَوْمَ التَّلَاقِ} {15}
 يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ اللَّهُ
 الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ {16} غَافِر١٦ لَمْ يَنْفِ أَنْ يَكُونَ فِي الْآخِرَةِ
 خَلَةٌ نَافِعَةٌ بِإِذْنِهِ فَإِنَّهُ قَدْ قَالَ {هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةُ أَنْ تَأْتِيهِمْ
 بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} {66} الْأَخْلَاءِ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ
 إِلَّا الْمُتَّقِينَ {67} يَا عِبَادِ لَا خُوفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ
 تَحْزَنُونَ {68} الزَّخْرَفِ 66-68 الآيات وقد قال النبى يقول
 الله تعالى حق محبتي للمتحابين في ويقول الله تعالى
 أين المتحابون بجلالى اليوم أظلمهم في ظلى يوم لا ظل إلا ظلى
 فتعين أن الأمر كله إلى تحقيق التوحيد وأنه لا ينفع أحد ولا
 يضر إلا بإذن الله وأنه لا يجوز أن يعبد أحد غير الله ولا يستعان
 به من دون الله وأنه يوم القيمة يظهر لجميع الخلق أن الأمر كله
 لله ويتبرأ كل مدع من دعوه الباطلة فلا يبقى من يدعى لنفسه
 معه شركا في ربوبيته أو الهيته ولا من يدعى ذلك لغيره بخلاف
 الدنيا فإنه وإن لم يكن رب ولا الله إلا هو فقد اتخذ غيره ربها والها
 وادعى مدعون وفي الدنيا يشفع الشافع عند غيره وينتفع بشفاعته
 وإن لم يكن أذن له في الشفاعة ويكون خليله فيعينه ويفتدى نفسه
 من الشر فقد ينتفع بالفوس والأموال في الدنيا والآفوس ينتفع بها
 تارة بالإستقلال وتارة بالإعانة وهي الشفاعة والأموال بالفداء
 فنفي الله هذه الأقسام الثلاثة قال تعالى {لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ
 شَيْئاً وَلَا يُقْبِلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ} البقرة 48 وقال
 {لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خَلَهُ وَلَا شَفَاعَةٌ} البقرة 254 كما قال {لَا
 يَجْزِي وَالدُّ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٌ عَنْ وَالدِّهِ شَيْئاً}
 لقمان 33 فهذا هذا والله أعلم وعاد ما نفاه الله من الشفاعة
 إلى تحقيق أصلى الإيمان وهي الإيمان بالله وبالاليوم الآخر
 التوحيد والمعاد كما قرن بينهما في مواضع كثيرة ك قوله
 {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ} البقرة 8 وقوله
 {الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ

{ البقرة 156 } قوله { مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٌ وَاحِدَةٌ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ } لقمان 28 قوله { وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } البقرة 28 وأمثال ذلك¹

* وأن كل من دعى من دون الله لا يملك الشفاعة فإن المالك للشيء هو الذي يتصرف فيه بمشيئته وقدرته والرب تعالى لا يشفع أحد عنده إلا بإذنه فلا يملك أحد من المخلوقين الشفاعة بحال ولا يقال في هذا إلا بإذنه إنما يقال ذلك في الفعل فيقال من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه وأما في الملك فلا يمكن أن يكون غيره مالكا لها فلا يملك مخلوق الشفاعة بحال ولا يتصور أن يكوننبي فمن دونه مالكا لها بل هذا ممتنع كما يمتنع أن يكون خالقاً ورباً ولهذا لما نفي الشفاعة من دونه نفاه نفيا مطلقاً بغير استثناء وإنما يقع الاستثناء إذا لم يقيدهم بأنهم من دونه كما قال تعالى { وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٰ وَلَا شَفِيعٌ لِعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ } الأنعام 51 وكما قال تعالى { وَذَكِرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٰ وَلَا شَفِيعٌ } الأنعام 70 وكما قال تعالى { مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٰ وَلَا شَفِيعٌ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ } السجدة 4 فلما قال من دونه نفي الشفاعة مطلقاً وإذا ذكر بإذنه لم يقل من دونه كقوله { مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عَنْهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ } البقرة 255 قوله { إِمَّا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ } يومن 3 فمن تدبر القرآن تبين له أنه كما قال تعالى { إِنَّ اللَّهَ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَّسِبِّهَا مَتَّانِي تَقْسِعُ مِنْهُ جُلُودُ الْذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلَيْنَ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدُى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلَ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ } الزمر 23¹

الشرك نوعان

* أن الشرك نوعان شرك في ربوبيته بأن يجعل غيره معه تدبيره إما كما قال سبحانه { قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا

مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ } سبأ 22 فَبَيْنَ أَنَّهُمْ لَا يَمْلِكُونْ
 مِنْ قَالْ نَرْةً اسْتِقْلَالًا وَلَا يَشْرُكُونَهُ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ وَلَا يَعْيَنُونَهُ
 عَلَى مُلْكِهِ وَمِنْ لَمْ يَكُنْ مَالِكًا وَلَا شَرِيكًا وَلَا عَوْنَا فَقَدْ انْقَطَعَتْ
 عَلَاقَتُهُ وَشَرِيكُهُ فِي الْأَلْوَهِيَّةِ بِأَنَّ يَدْعُو غَيْرَهُ دُعَاءً عِبَادَةً أَوْ
 دُعَاءً مَسْأَلَةً كَمَا قَالَ تَعَالَى { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } 5
 الْفَاتِحَةُ فَكَمَا أَنَّ إِثْبَاتَ الْمُخْلُوقَاتِ أَسْبَابٌ لَا تَقْدِحُ فِي تَوْحِيدِ
 الرَّبُوبِيَّةِ وَلَا تَمْنَعُ أَنَّ اللَّهَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَوْجِبُ أَنَّ يَدْعُونَ
 الْمُخْلُوقَ دُعَاءً عِبَادَةً أَوْ دُعَاءً اسْتِغْاثَةً كَذَلِكَ إِثْبَاتُ بَعْضِ الْأَفْعَالِ
 الْمُحْرَمَةِ مِنْ شَرِيكٍ أَوْ غَيْرِهِ أَسْبَابًا لَا يَقْدِحُ فِي تَوْحِيدِ الإِلَهِيَّةِ وَلَا
 يَمْنَعُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يَسْتَحِقُ الدِّينَ الْخَالِصَ وَلَا يَوْجِبُ أَنْ
 تَسْتَعْمِلَ الْكَلْمَاتُ وَالْأَفْعَالُ التِّي فِيهَا شَرِيكٌ إِذْ كَانَ اللَّهُ يَسْخُطُ ذَلِكَ
 وَيَعَاقِبُ الْعَبْدَ عَلَيْهِ وَتَكُونُ مَضْرَةً ذَلِكَ عَلَى الْعَبْدِ أَكْثَرَ مِنْ مَنْفَعَتِهِ
 إِذْ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ الْخَيْرَ كُلَّهُ فِي أَنَّا لَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ وَلَا نَسْتَعِينُ إِلَّا إِيَّاهُ
 وَعَامَةُ آيَاتِ الْقُرْآنِ تَتَبَيَّنُ هَذَا الْأَصْلُ الْأَصِيلُ حَتَّى إِنَّهُ سَبَاحَانَهُ
 قَطْعُ أَثْرِ الشَّفَاعَةِ بِدُونِ إِذْنِهِ كَقُولَهُ سَبَاحَانَهُ { وَدَرَ الذِّينَ اتَّخَذُوا
 دِينَهُمْ لَعِبَا وَلَهُوَا وَغَرَّهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِ أَنَّ تُبَيَّسَ نَفْسُ بِمَا
 كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَيُّ وَلَا شَفِيعٌ } الأَنْعَامُ 170¹

*فَإِنَّ الْمُشْرِكِينَ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْهُمْ يَقُولُ إِنَّ الْعَالَمَ لِهِ خَالقَانِ وَلَا إِنَّ
 اللَّهَ مَعَهُ إِلَهٌ يَسَاوِيهِ فِي صَفَاتِهِ هَذَا لَمْ يَقُلْهُ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بِلْ
 كَانُوا يَقْرُونَ بِأَنَّ خَالِقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاحِدٌ كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ
 عَنْهُمْ بِقَوْلِهِ { قُلْ لَمَنْ أَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } 84
 سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ } 85 { قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّمَاءِ
 وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ } 86 { سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَقَوَّنَ } 87 { قُلْ
 مَنْ بِيَدِهِ مَلْكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُحِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ
 تَعْلَمُونَ } 88 { سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنِّي سُحْرُونَ } 89 المؤمنون 84-89
 وَكَانُوا يَتَخَذُونَ الْهَتَّمَمَ وَسَائِطَ تَقْرِيبِهِمْ إِلَى اللَّهِ
 زَلْفَى وَتَشْفَعَ لَهُمْ كَمَا قَالَ تَعَالَى { وَدَرَ الذِّينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبَا
 وَلَهُوَا وَغَرَّهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِ أَنَّ تُبَيَّسَ نَفْسُ بِمَا كَسَبَتْ
 لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَيُّ وَلَا شَفِيعٌ } الأَنْعَامُ 170¹

* ولا قال احد فقط من الادميين ان كوكبا من الكواكب او ان الشمس والقمر ابدع السموات كلها ولا يقول هذا عاقل بل عباد الشمس والقمر والكواكب يعبدونها كما يعبد عباد الاصنام للاصنام وكما يعبد عباد الانبياء والصالحين لهم ولتماثيلهم وكما يعبدون اخرون الملائكة واخرون يعبدون الجن لما يرجون بعبادتها من جلب منفعة او دفع مضره لا لاعتقادهم انها خلقت العالم بل قد يجعلونها شفاء ووسائل بينهم وبين رب العالمين كما قال تعالى {وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هُوَ لَاءُ شُفَاعَوْنَا عِنْدَ اللَّهِ فَلَمَّا أَتَتْنَاهُمُ اللَّهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ} يومنس 18 وقال تعالى {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أُولَئِيَّةً مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقْرِبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى} الزمر 3 وقال تعالى {وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشِرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ} الأنعام 51 وقال تعالى {أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ} الأنعام 70 وقال تعالى {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ} السجدة 4 والشفاعة التي اخبرت بها الرسل هي ان يأذن الله للشفيع فيشفع فيكون الامر كله الله كما قال تعالى {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ} البقرة 255 وقال {وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرْتَضَى} الأنبياء 28 وهذا بخلاف ما اتخذه المشركون من الشفاء ¹

الشفاعة نو عان

* وقال تعالى {وَدَرَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعْبًا وَلَهْوًا وَغَرَثَهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذْ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أَبْسَلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ} الأنعام 70 وقال تعالى {فَلِمَنْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيَلًا} 56 {أُولَئِكَ

الَّذِينَ يَدْعُونَ بِيَتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةُ أَيْهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ
 رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا {57}
 الآسِرَاءُ 56-57 قال طائفة من السلف كان أقوام يدعون
 الملائكة والأنبياء فقال الله تعالى هؤلاء الذين تدعونهم هم عبادى
 كما أنتم عبادى يرجون رحمتى كما ترجون رحمتى ويحافظون
 عذابى كما تخافون عذابى ويتقربون الى كما تتقربون الى فهى
 سبحانه عن دعاء الملائكة والأنبياء مع اخباره لنا أن الملائكة
 يدعون لنا ويستغفرون ومع هذا فليس لنا أن نطلب ذلك منهم
 وكذلك الأنبياء والصالحون وان كانوا أحياء فى قبورهم وان قدر
 انهم يدعون للأحياء وان وردت به آثار فليس لأحد أن يطلب
 منهم ذلك ولم يفعل ذلك أحد من السلف لأن ذلك ذريعة الى
 الشرك بهم وعبادتهم من دون الله تعالى بخلاف الطلب من أحدهم
 فى حياته فإنه لا يفضى الى الشرك ولأن ما تفعله الملائكة
 ويفعله الأنبياء والصالحون بعد الموت هو بالامر الكوني فلا
 يؤثر فيه سؤال السائلين بخلاف سؤال أحدهم فى حياته فإنه
 يشرع اجابة السائل وبعد الموت انقطع التكليف عنهم وقال
 تعالى { مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيهِ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ
 يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِينَ بِمَا
 كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرِسُونَ } 79 { وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ
 تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّنَ أَرْبَابًا أَيْمَارُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ
 مُسْلِمُونَ } 80 { آل عمران 79-80 فيبين سبحانه أن من اتخذ
 الملائكة والنبيين أربابا فهو كافر فالشفاعة نوعان أحدهما
 الشفاعة التي نفها الله تعالى كالتي أثبته المشركون ومن
 ضاهاهم من جهال هذه الأمة وضلالهم وهى شرك والثانى
 أن يشفع الشفيع بإذن الله وهذه التي أثبته الله تعالى لعباده
 الصالحين ولهذا كان سيد الشفعاء إذا طلب منه الخلق الشفاعة
 يوم القيمة يأتي ويسجد قال فأحمد ربى بمحمد يفتحها على لا
 أحسنها الآن فيقال أى محمد ارفع رأسك وقل يسمع وسل تعطه

واشفع تشفع فإذا أذن له في الشفاعة شفع لمن أراد الله أن يشفع
فيه¹

إثبات الشفاعة لأهل الكبائر

* وقال تعالى { وَدَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعْبًا وَغَرَّهُمُ
الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَنَكَرْ بِهِ أَنْ تُبَسِّلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونَ
اللهِ وَلَيْ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ
أَبْسَلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا
يَكْفُرُونَ } الأنعام 70 فالشفاعة المنافية في القرآن كقوله تعالى
{ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلٍ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا
بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ تُرْدُ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا
نَعْمَلُ } الأعراف 53 وأمثال ذلك واحتج بكثير من الخوارج
والمعزلة على منع الشفاعة لأهل الكبائر إذ منعوا أن يشفع لمن
يستحق العذاب أو أن يخرج من النار من يدخلها ولم ينفوا
الشفاعة لأهل الثواب في زيادة الثواب ومذهب سلف الأمة
 وأنتمها وسائل أهل السنة والجماعة إثبات الشفاعة لأهل الكبائر
والقول بأنه يخرج من النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان
وأيضا فالآحاديث المستفيضة عن النبي في الشفاعة فيها استشهاد
أهل الموقف ليقضي بينهم وفيهم المؤمن والكافر وهذا فيه وع
شفاعة للكفار وأيضا في الصحيح عن العباس بن عبد المطلب
أنه قال يا رسول الله هل نفعت أبا طالب بشيء فإنه يحوطك
ويغضب لك قال نعم هو في ضحاص من نار ولو لا أنا لكان
في الدرك الأسفل من النار وعن عبد الله بن الحارث قال
سعت العباس يقول قلت يا رسول الله إن أبا طالب كان يحوطك
وينصرك فهل نفعه ذلك قال نعم وجده في غمرات من نار
فأخرجه إلى ضحاص وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه
عن رسول الله ذكر عنده عمته أبو طالب فقال لعله تتفعه
شفاعتي يوم القيمة فيجعل في ضحاص من النار يبلغ كعيبيه
يغلى منه دماغه فهذا نص صحيح صريح لشفاعته في

بعض الكفار أن يخفف عنه العذاب بل في أن يجعل أهون أهل النار عذابا كما في الصحيح أيضا عن ابن عباس أن رسول الله قال أهون أهل النار عذابا أبو طالب وهو متنعل بنعلين يغلى منهما دماغه وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن أدنى أهل النار عذابا متنعل بنعلين من نار يغلى دماغه من حرارة نعليه وعن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله يقول إن أهون أهل النار عذابا يوم القيمة لرجل يوضع في أح曩 قدميه جمرتان يغلى منهما دماغه وعنده قال قال رسول الله إن أهون أهل النار عذابا من له نعلان وشرakan من نار يغلى منها دماغه كما يغلى المرجل ما يرى أن أحدا أشد منه عذابا وإنه لأهونهم عذابا وهذا السؤال الثاني يضعف جواب من تأول نفي الشفاعة على الشفاعة للكفار وإن الظالمين هم الكافرون فيقال الشفاعة المنافية هي الشفاعة المعروفة عند الناس عند الإطلاق وهي أن يشفع الشفيع إلى غيره ابتداء فيقبل شفاعته فاما إذا أذن له في أن يشفع فشفع لم يكن مستقلًا بالشفاعة بل يكون مطينا له أى تابعا له في الشفاعة وتكون شفاعته مقبولة ويكون الأمر كله للأمر المسؤول وقد ثبت بنص القرآن في غير آيه أن أحدا لا يشفع عنده إلا بإذنه كما قال تعالى {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفُعُ عَنْهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ} البقرة 255 وقال {يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذْنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا} طه 109 وقال {وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى} الأنبياء 28 وأمثال ذلك والذى يبين أن هذه هي الشفاعة المنافية أنه قال {وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْسِرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلَيُ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} الأنعام 51 وقال تعالى {الَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلَيٌ وَلَا شَفِيعٌ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ} السجدة 4 فأخبر أنه ليس لهم من دون الله ولى ولا شفيع وأما نفي الشفاعة بدون إذنه فإن الشفاعة إذا كانت بإذنه لم تكن من دونه كما أن الولاية التي بإذنه ليست من دونه

كما قال تعالى {إِنَّمَا وَلِيْكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ
 يُقْيِمُونَ الصَّلَاةَ وَبَيْتُوْنَ الرَّزْكَاهَ وَهُمْ رَاكِعُوْنَ} 55 {وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ
 وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُوْنَ} 56 {المائدة 55
 56- وأيضا فقد قال {أَمْ اتَّخَدُوْا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوْلَوْ
 كَانُوا لَا يَمْلِكُوْنَ شَيْئًا وَلَا يَعْقُلُوْنَ} الزمر 43 {أَمْ اتَّخَدُوْا مِنْ دُونِ
 اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوْلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُوْنَ شَيْئًا وَلَا يَعْقُلُوْنَ} 43 {قُلْ اللَّهُ
 الشَّفَاعَهُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُوْنَ} 44 {
 الزمر 44-43 فذم الذين اتخذوا من دون الله شفاء وأخبر أن
 الله الشفاعة جميعا فعلم أن الشفاعة منافية عن غيره إذ لا يشفع
 أحد إلا بإذنه وتلك فهي له وقد قال {وَيَعْبُدُوْنَ مِنْ دُونِ اللَّهِ
 مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُوْنَ هُوَلَاءُ شُفَعَاءُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ
 أَنْتُبُوْنَ اللَّهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ
 وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُوْنَ} يونس 18 يوضح ذلك أنه نفي يومئذ
 الخلة بقوله {مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا يَبْيَعُ فِيهِ وَلَا خُلَهُ وَلَا
 شَفَاعَهُ وَالْكَافِرُوْنَ هُمُ الظَّالِمُوْنَ} البقرة 254 ومعلوم أنه إنما
 نفى الخلة المعروفة ونفعها المعروف كما ينفع الصديق الصديق
 في الدنيا كما قال {وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ} 17 {ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ
 مَا يَوْمُ الدِّينِ} 18 {يَوْمٌ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ
 لَهُ} 19 {الأنفطار 17-19 وقال {لِيَنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ} 15 {
 يَوْمٌ هُمْ بَارِزُوْنَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لَهُ
 الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ} 16 {غافر 16} لم ينف أن يكون في الآخرة
 خلة نافعة بإذنه فإنه قد قال {هُنْ يَنْتَظِرُوْنَ إِلَّا السَّاعَهُ أَنْ تَأْتِيْهُمْ
 بَعْدَهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُوْنَ} 66 {الْأَخْلَاءِ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوُّ
 إِلَّا الْمُتَّقِيْنَ} 67 {يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ
 تَحْزُنُوْنَ} 68 {الزخرف 66-68} الآيات وقد قال النبي يقول
 الله تعالى حق محبتي للمتحابين في ويقول الله تعالى
 أين المتحابون بجلالى اليوم أظلمهم في ظلى يوم لا ظل إلا ظلى
 فتعين أن الأمر كله عائد إلى تحقيق التوحيد وأنه لا ينفع أحد ولا
 يضر إلا بإذن الله وأنه لا يجوز أن يعبد أحد غير الله ولا يستعان

به من دون الله وأنه يوم القيمة يظهر لجميع الخلق أن الأمر كله لله ويثير كل مدع من دعوه الباطلة فلا يبقى من يدعى لنفسه معه شركا في ربوبيته أو الهيته ولا من يدعى ذلك لغيره بخلاف الدنيا فإنه وإن لم يكن رب ولا الله إلا هو فقد اتخذ غيره ربا والها وادعى مدعون وفي الدنيا يشفع الشافع عند غيره وينتفع بشفاعته وإن لم يكن أذن له في الشفاعة ويكون خليله فيعينه ويفتنى نفسه من الشر فقد ينتفع بالفوس والأموال في الدنيا والنفوس ينتفع بها تارة بالإستقلال وتارة بالإعانة وهي الشفاعة والأموال بالفداء فنفي الله هذه الأقسام الثلاثة قال تعالى {لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةً وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ} البقرة 48 وقال {لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ} البقرة 254 كما قال {لَا يَجْزِي وَالدُّ عنَ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٌ عَنَ وَالدِّهِ شَيْئًا لقمان 33 فهذا هذا والله أعلم وعاد ما نفاه الله من الشفاعة إلى تحقيق أصلى الإيمان وهي الإيمان بالله وبال يوم الآخر التوحيد والمعاد كما قرن بينهما في مواضع كثيرة قوله {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ} البقرة 8 وقوله {الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ} البقرة 156 وقوله {مَا خَلَقْتُمْ وَلَا بَعْثَكُمُ إِلَّا كَنْفُسٌ وَاحِدَةٌ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} لقمان 28 وقوله {وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَيْكُمْ ثُمَّ يُمْتَكِّمُ ثُمَّ يُحِبِّكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} البقرة 28 وأمثال ذلك¹

الدعاء

* الدعاء قصد المدعو و التوجه إليه إما على وجه المسألة و إما على وجه العبادة المحضة لأن دعاء الشيء هو طلبه و إرادته سواء طلب لذاته أو للأمر منه و من ذلك قوله تعالى {وَقَالَ رَبُّكُمْ اذْعُونِي أَسْتَحِبْ لَكُمْ} غافر 60 فإنه فسر بالمسألة وبالعبادة و قوله تعالى {قُلْ أَنْدُعُ مَنْ دُونَ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرْدُ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ} الأنعام 71

الحيرة من جنس الجهل والضلال

* ان الله قد نم الحيرة في القرآن في قوله {قُلْ أَنْدَعُو مِنْ دُونِ
اللهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنَرَدُ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ
كَالَّذِي اسْتَهْوَثُهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ
إِلَى الْهُدَى إِنَّا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأَمْرَنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ
الْعَالَمِينَ {71} وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ
تُحْشَرُونَ {72} الأنعام 72-71 فالحيرة من جنس الجهل
والضلال¹

* ومن المعلوم أن الله لا يحب الجهل ولا الشك ولا الحيرة ولا
الضلال وإنما يحب الدين والعلم واليقين وقد نم الحيرة
بقوله تعالى {قُلْ أَنْدَعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا
وَنَرَدُ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَثُهُ الشَّيَاطِينُ فِي
الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى إِنَّا قُلْ إِنَّ هُدَى
اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأَمْرَنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ {71} وَأَنْ أَقِيمُوا
الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ {72} الأنعام 71-72
وقد أمرنا الله تعالى ان نقول {اهدنا الصراط المستقيم}{6}
صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا
الضَّالِّينَ } 7 الفاتحة وفي صحيح مسلم وغيره عن عائشة رضى
الله عنها ان النبي كان اذا قام من الليل يصلى يقول اللهم رب
جبريل وميكانيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب
والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدنى لما
اخالف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط
مستقيم فهو يسأل ربه ان يهديه لما اختلف فيه من الحق
وقد قال الله تعالى له { وَقُلْ رَبِّ زِنْدِي عِلْمًا } طه 114¹

* وهذا حال المنافقين المرتدین فإن الضلال والحريرة مما ذمه الله
في القرآن قال الله تعالى في القرآن {قُلْ أَنْدَعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا
لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنَرَدُ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي
اسْتَهْوَثُهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى
الْهُدَى إِنَّا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأَمْرَنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ

} الأنعام 71 وهكذا يريد هؤلاء (يقصد بعض الملحدين مثل ابن عربي) الضالون المتحيرون أن يفعلوا بالمؤمنين ي يريدون أن يدعوا من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم وهي المخلوقات والأوثان والأصنام وكل ما عبد من دون الله ويريدون أن يردوها المؤمنين على أعقابهم يردونهم عن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت ويصيروا حائرین ضالین كالذی استهوتہ الشیاطین فی الارض حیران له أصحاب يدعونه الى الهدی ائتنا وقال تعالى {وَنُقْلِبُ أَفْنَادَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةً وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} الأنعام 10 و قوله يعمهون أى يحارون وقال تعالى {وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ} التوبۃ 45 وقال تعالى {اهدنا الصراط المستقيم} صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضاللين } الفاتحة 6-7 فأمر أن نسئلہ هداية الصراط المستقيم صراط الذين أنعم عليهم المغايرین للمغضوب عليهم وللضاللين و هؤلاء يذمون الصراط المستقيم ويمدحون طريق أهل الصلال والخير مخالفة لكتب الله ورسله ولما فطر الله عليه عباده من العقول والأبابا¹

* قال عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون الإمام نظير مالک في كلامه المشهور الذي رد فيه على الجهمية ومن خالها ومن أول كلامه قال اعرف رحمك الله غناك عن تكلف صفة ما لم يصف الرب من نفسه بعجزك عن معرفة قدر ما وصف منها اذا لم تعرف قدر ما وصف فما تكلف علم ما لم يصف هل تستدل بذلك على شيء من طاعته أو تزدجر به عن شيء من معصيته فاما الذي جحد ما وصف الرب من نفسه تعمقا وتتكلفا { استهواه الشیاطین فی الارض حیران} الأنعام 71 فصار يستدل بزعمه على جحد ما وصف الرب وسمى من نفسه بأن قال لابد أن كان له كذا من أن يكون له كذا فعمى عن البین بالخفى فجحد ما سمي الرب من نفسه بصمت الرب عما لم يسم منها فلم ينزل يملی له الشیطان حتى جحد قول الله تعالى {وجوه يومئذ

نَاصِرَةٌ {22} إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ {23} الْقِيَامَةُ 23-22 فَقَالَ لَا يَرَاهُ أَحَدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِجْدٌ وَاللَّهُ أَفْضَلُ كَرَامَةُ اللَّهِ الَّتِي أَكْرَمَ بِهَا أَوْلِيَاءُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِهِ وَنَصْرَتِهِ إِيَّاهُمْ {فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيلِكٍ مُقْتَدِرٍ} الْقَمَرُ 55 وَقَدْ قُضِيَ أَنَّهُمْ لَا يَمْوتُونَ فَهُمْ بِالنَّظَرِ إِلَيْهِ يَنْصُرُونَ وَهَذَا كَلَمُ ابْنِ الْمَاجِشُونَ الْإِمَامِ فَتَدَبَّرُهُ وَانْظُرْ كَيْفَ أَثْبَتَ الصَّفَاتَ وَنَفَى عِلْمَ الْكِيفِيَّةِ مُوافِقًا لِغَيْرِهِ مِنَ الْأَئْمَةِ وَكَيْفَ أَنْكَرَ عَلَى مَنْ نَفَى الصَّفَاتَ بِأَنَّهُ يَلْزِمُهُمْ مِنْ أَثْبَاتِهَا كَذَا وَكَذَا كَمَا تَوَلَّهُ الْجَهَمَيْةُ أَنَّهُ يَلْزِمُ أَنْ يَكُونَ جَسْمًا أَوْ عَرْضًا فَيَكُونُ مَحْدَثًا¹

دِينُ اللَّهِ هُوَ اسْلَامُ الْوِجْهِ اللَّهِ وَالْاْحْسَانُ

*والاسلام يجمع معنيين احدهما الاستسلام والانقياد فلا يكون متكبرا والثاني الاخلاص والاسلام يستعمل لازما معدى بحرف اللام مثل ما ذكر في هذه الآيات **فَلَمَنْ أَنْدَعُوكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَتَرُدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَلَذِي اسْتَهْوَنُهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانٍ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى إِنَّنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأَمْرَنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ {71} وَإِنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَأَنْقُوْهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ {72}** الانعام 71-72¹

*أن دين الله الذي أنزل به كتبه وبعث به رسالته ما تقدم من إرادة الله وحده بالعمل الصالح وهذا هو الإسلام العام الذي لا يقبل الله من أحد غيره قال تعالى {وَمَنْ يَتَبَّعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُفْلِي مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} آل عمران 85 وقال تعالى {شَهَدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأَوْلُو الْعِلْمُ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} 18 {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ} 19 آل عمران 18-19 والاسلام يجمع معنيين أحدهما الاستسلام والانقياد فلا يكون متكبرا والثاني الاخلاص من قوله تعالى {وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ} الزمر 29 فلا يكون مشركا وهو أن يسلم العبد لله رب العالمين كما قال تعالى {وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مُلْهَةِ

إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفَهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَا فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي
 الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ {130} إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلَمْ قَالَ أَسْلَمْتُ
 لِرَبِّ الْعَالَمِينَ {131} وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ
 اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوْثِنَ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ {132} الْبَقْرَةُ
 132-130 وَقَالَ تَعَالَى { قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ
 دِينًا قِيمًا مَلَّةً إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } 161 { قُلْ إِنَّ
 صَلَاتِي وَسُكُونِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِهِ رَبُّ الْعَالَمِينَ } 162 { لَا
 شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أَمْرَتُ وَأَنَا أَوْلُ الْمُسْلِمِينَ } 163 { الْأَعْتَامُ 161-
 163 وَالاسْلَام يَسْتَعْمِل لَا زَمَا مَعْدِي بِحِرْفِ الْلَّامِ مُثْلِ مَا ذُكِرَ فِي
 هَذِهِ الْآيَاتِ وَمُثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى { وَأَنْبَيْوَا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلَمُوا لَهُ مِنْ
 قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنَصَّرُونَ } الْزَمْرُ 54 وَمُثْلِ قَوْلِهِ
 تَعَالَى { قَالَتْ رَبِّي إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِهِ
 رَبِّ الْعَالَمِينَ } النَّمَلُ 44 وَمُثْلِ قَوْلِهِ { أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ
 وَلَهُ أَسْلَمْ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ
 يُرْجَعُونَ } الْأَعْمَارُ 83 وَمُثْلِ قَوْلِهِ { قُلْ أَنْدُعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا
 لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَتُرْدَ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَذَلِي
 اسْتَهْوَتُهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانٌ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى
 الْهُدَى إِنْتَنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأَمْرَنَا لِنُسْلِمْ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ
 } 71 وَأَنَّ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفُوْهُ } 72 الْأَنْعَامُ 71-72 وَيَسْتَعْمِل
 مَتَعْدِيَا مَقْرُونَا بِالْأَحْسَانِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى { وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا
 مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تُلْكَ أَمَانِيْهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
 صَادِقِينَ } 111 بَلِّي مَنْ أَسْلَمْ وَجْهُهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ
 رَبِّهِ وَلَا خُوفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزُنُونَ } 112 الْبَقْرَةُ 111-112
 وَقَوْلِهِ { وَمَنْ أَحْسَنَ دِينًا مِمْنَ أَسْلَمَ وَجْهَهُ اللَّهُ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ
 مَلَّةً إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا } النَّسَاءُ 125 فَقَدْ انْكَرَ
 أَنْ يَكُونَ دِينَ أَحْسَنَ مِنْ هَذَا الدِّينِ وَهُوَ اسْلَامُ الْوَجْهِ اللَّهِ مَعِ
 الْأَحْسَانِ وَأَخْبَرَ أَنَّ كُلَّ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ اللَّهُ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ
 عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خُوفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَخْزُنُونَ أَثْبَتَتْ هَذِهِ الْكَلْمَةُ
 الْجَامِعَةُ وَالْقَضِيَّةُ الْعَامَةُ رَدًا لِمَ زَعَمَ مِنْ زَعْمَهُ أَنْ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ

الا متهود او متنصر و هذان الوصفان و هما اسلام الوجه لله والاحسان هما الأصلان المتقدمان و هما كون العمل خالصا لله صوابا موافقا للسنة والشريعة وذلك ان اسلام الوجه لله هو متضمن للقصد و نيه الله ¹

الصلاه لها شأن انفرد به على سائر الاعمال

* إن الصلاة تعم الصلاة المفروضة والتطوع وقد يدخل فيها كل ذكر الله إما لفظاً وإما معنى قال ابن مسعود رضي الله عنه ما دمت تذكر الله فأنت في صلاة وإن كنت في السوق وقال معاذ بن جبل مدارسة العلم التسبيح¹

* قال تعالى {وَأَمْرُنَا لِسُلْطَمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ }{71} وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ }{72} الأنعام 72-71
جعل الله الاسلام مبينا على أركان خمسة ومن آكدها الصلاة وهي خمسة فروض وقرن معها الزكاة فمن آكده العادات الصلاة وتليها الزكاة ففي الصلاة عبادته وفي الزكاة الاحسان الى خلقه فكرر فرض الصلاة في القرآن في غير آيه ولم يذكرها إلا قرن معها الزكاة من ذلك قوله تعالى {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَةَ } البقرة 43 وقال {إِنَّ تَائِبُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ } التوبة 11 وقال {وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيمَةِ } البينة 5

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رواه مسلم من حديث عمر أن جبريل سأل النبي عن الاسلام فقال شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت وعنده قال أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا من دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله ولما بعث معاذًا إلى اليمن قال له إنك تقدم على

قوم أهل كتاب فليكن أول ما تدعوههم إليهم شهادة أن لا إله إلا الله وأنني رسول الله فان هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فان هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فتفرد على فقراهم فان هم أطاعوك لذلك فخذ منهم وتوّق كرائم أموالهم واتّق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب وجاء ذكر الصلاة في القرآن مجملًا في بينه الرسول وان بيانيه أيضًا من الوحي لأنه سبحانه أنزل عليه الكتاب والحكمة قال حسان بن عطيه كان جبريل ينزل على النبي بالسنة يعلمه إياها كما يعلمه القرآن^١

* فالصلاحة لها شأن انفردت به على سائر الأعمال وتبين ذلك من وجوه نذكر بعضها مما انتزعه الإمام أحمد وغيره منها أنها مقوونة بالتصديق بقوله {فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى} {31} ولكن كذب وَتَوَلَّى {32} القيامة 31 و قوله و {وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ} {الأنعام 92} و قوله تعالى {وَأَمْرُنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} {71} وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَأَتْقُوْهُ وَهُوَ الدِّيْنُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} {72} الأنعام 71-72^١

* عماد الدين الذي لا يقوم إلا به هو الصلوات الخمس المكتوبات ويجب على المسلمين من الاعتناء بها ما لا يجب من الاعتناء بغيرها كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يكتب إلى عماله إن أهم أمركم عندي الصلاة فمن حفظها وحافظ عليها حفظ دينه ومن ضيعها كان لما سواها من عمله أشد إضاعة وهي أول ما أوجبه الله من العبادات والصلوات الخمس تولي الله إيجابها بمخاطبة رسوله ليلة المراجعة وهي آخر ما وصى به النبي صلى الله عليه وسلم أمته وقت فراق الدنيا جعل يقول الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم وهي أول ما يحاسب عليه العبد من عمله وأخر ما يفقد من الدين فإذا ذهبت ذهب الدين كله وهي عمود الدين فمتى ذهبت سقط الدين قال النبي رأس

الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنته الجهاد في سبيل الله
وأمر الصلاة عظيم شأنها أن تذكر هنا فإنها قوام الدين وعماده
وتعظيمه تعالى لها في كتابه فوق جميع العبادات فإنه سبحانه
يخصها بالذكر تارة ويقرنها بالزكاة تارة وبالصبر تارة وبالنسك
تارة¹

بيان ما أمر الله به ورسوله من إقام الصلاة وإتمامها والطمأنينة

*قال تعالى {وَأَمِرْنَا لِسُلْطَنٍ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} {71} وَأَنْ أَقِيمُوا
الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} {72} الأنعام 71-72
في بيان ما أمر الله به ورسوله من إقام الصلاة وإتمامها
والطمأنينة فيها قال الله تعالى في غير موضع من كتابه
{وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَأَثُوْا الزَّكَّةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ} البقرة 43
وقال تعالى {حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا
لِلَّهِ فَانِتِينَ} البقرة 238 وسيأتي بيان الدلالة في هذه الآيات
وقد أخرج البخاري ومسلم في الصحيحين وأخرج أصحاب
السنن أبو داود والترمذى والنمسائى وإبن ماجه وأصحاب المسانيد
كمسند أحمد وغير ذلك من اصول الإسلام عن أبي هريرة
رضي الله عنه أن رسول الله دخل المسجد فدخل رجل ثم جاء
 وسلم على النبي فرد رسول الله عليه السلام وقال إرجع فصل
 فإنك لم تصل فرجع الرجل فصل كما كان يصلى ثم سلم عليه
 فقال رسول الله عليك السلام ثم قال إرجع فصل فإنك لم تصل
 حتى فعل ذلك ثلث مرات فقال الرجل والذى بعثك بالحق ما
 أحسن غير هذا فعلمته قال إذا قمت إلى الصلاة فكبر ثم اقرأ ما
 تيسر معك من القرآن ثم إركع حتى تطمئن راكعا ثم إرفع حتى
 تعتدل قائما ثم إسجد حتى تطمئن ساجدا ثم إجلس حتى تطمئن
 جالسا ثم إفعل ذلك في صلاتك كلها وفي رواية للبخاري إذا
 قمت إلى الصلاة فاسبغ الوضوء ثم إستقبل القبلة فكبر وإنما
 تيسر من القرآن ثم إركع حتى تطمئن راكعا ثم إرفع رأسك حتى

تعتدى قائما ثم إسجد حتى تطمئن ساجدا ثم إرفع حتى تستوى وتطمئن جالسا ثم إسجد حتى تطمئن ساجدا ثم إرفع حتى تستوى قائما ثم إفعل ذلك في صلاتك كلها وفي رواية له ثم إركع حتى تطمئن راكعا ثم إرفع حتى تستوى قائما وباقيه مثله وفي رواية وإذا فعلت هذا فقد تمت صلاتك وما انتقصت من هذا فإنما انتقصته من صلاتك وعن رفاعة بن رافع رضي الله عنه أن رجلا دخل المسجد فذكر الحديث وقال فيه فقال النبي صلى الله عليه وسلم إنه لاتتم صلاة لأحد من الناس حتى يتوضأ فيضع الوضوء مواضعه ثم يكبر ويحمد الله عز وجل ويثنى عليه ويقرأ بما شاء من القرآن ثم يقول الله أكبر ثم يركع حتى يطمئن راكعا ثم يقول الله أكبر ثم يرفع رأسه حتى يستوى قائما ثم يسجد حتى يطمئن ساجدا ثم يقول الله أكبر ثم يرفع رأسه حتى يستوى قاعدا ثم يقول الله أكبر ثم يسجد حتى تطمئن مفاصله ثم يرفع رأسه فيكبر فإذا فعل ذلك فقد تمت صلاته وفي رواية إنها لا تتم صلاة أحدكم حتى يسبغ الوضوء كما أمر الله عز وجل فيغسل وجهه ويديه إلى المرفقين ويمسح برأسه ورجليه إلى الكعبين ثم يكبر الله ويحمده ثم يقرأ من القرآن ما أذن له وتيسير وذكر نحو اللفظ الأول وقال ثم يكبر فيسجد فيمكن وجدهه وربما قال جبهته من الأرض حتى تطمئن مفاصله وتستتر خى ثم يكبر فيستوى قاعدا على مقعدهه ويقيم صلبه فوصف الصلاة هكذا أربع ركعات حتى فرغ ثم قال لا تتم صلاة لأحدكم حتى يفعل ذلك رواه أهل السنن أبو داود والنسائي وإبن ماجه والترمذى وقال حديث حسن والروايتان لفظ أبي داود وفي رواية ثلاثة له قال إذا قمت فتوجهت إلى القبلة فكبر ثم إقرأ بألم القرآن وبما شاء الله أن تقرأ فإذا ركعت فضع راحتك على ركبتيك وإمدد ظهرك وقال إذا سجدة فمكן لسجودك فإذا رفعت فإقعد على فخذك اليسرى وفي رواية أخرى قال إذا أنت قمت في صلاتك فكبر الله عز وجل ثم إقرأ ما تيسر عليك من القرآن وقال فيه فإذا جلست في وسط الصلاة فإطمئن

وإنترش فخذك اليسرى ثم تشهد ثم غذا قمت فمثل ذلك حتى
 تفرغ من صلاتك وفى رواية أخرى قال فتوضا كما أمر
 الله ثم تشهد فائم ثم كبر فإن كان معك قرآن فاقرأ به وإلا فاحمد
 الله عز وجل وكبره وهله وقال فيه وإن إنقصت منه شيئاً
 إنقصت من صلاتك فالنبي أمر ذلك المسيء فى صلاته بأن
 يعيد الصلاة وامر الله ورسوله إذا أطلق كان مقتضاه الوجوب
 وأمره إذا قام إلى الصلاة بالطمأنينة كما أمره بالركوع والسجود
 وأمره المطلق على الإيجاب وأيضاً قال له فإنك لم تصل
 فنفي أن يكون عمله الأول صلاة والعمل لا يكون منفياً إلا إذا
 إنتفى شيء من واجباته فلما إذا فعل كما أوجبه الله عز وجل فإنه
 لا يصح نفيه لإنقاء شيء من المستحبات التي ليست بواجبة
 وأما ما يقوله بعض الناس إن هذا نفي للكمال قوله لا صلاة
 لجار المسجد إلا في المسجد فيقال له نعم هو لنفي الكمال لكن
 لنفي كمال الواجبات أو لنفي كمال المستحبات فأما الأول فحق
 وأما الثاني فباطل لا يوجد مثل ذلك في كلام الله عز وجل ولا في
 كلام رسوله قط وليس بحق فإن الشيء إذا كملت واجباته فكيف
 يصح نفيه وأيضاً فلو جاز لنفي صلاة عامة الأولين
 والآخرين لأن كمال المستحبات من أندر الأمور وعلى هذا فما
 جاء من نفي الأفعال في الكتاب والسنة فإنما هو لإنقاء بعض
 واجباته قوله تعالى {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ} فيما
 شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَحْدُوْا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مَمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا
 تَسْلِيمًا {وقوله تعالى {وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ
 يَتَوَلَّ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ} النور 47
 وقوله تعالى {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ
 يَرْتَابُوا} الحجرات 15 الآية وقوله {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ
 آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَاءُوكَ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ
 يَسْتَأْذِنُوكَ} النور 62 الآية ونظائر ذلك كثيرة ومن ذلك
 قوله لا إيمان لمن لا أمان له ولا صلاة إلا بفاتحة
 الكتاب ولا صلاة إلا بوضوء¹

* أن الله سبحانه وتعالى أمر في كتابه بإقامة الصلاة وذم المصليين الساهرين عنها المضيعين لها فقال تعالى في غير موضع {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ} البقرة 43 وإنما تنتهي إتمامها بحسب الإمكان كما سيأتي في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال أقيموا الركوع والسجود فإن أركم من بعدي ظهرى وفي رواية أتموا الركوع والسجود فإن الله تعالى قال {فَإِذَا اطْمَانْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتًا} النساء 103 والموقوت قد فسره السلف بالمفروض وفسروه بماله وقت المفروض هو المقدر المحدد فإن التوفيق والتقدير والتحديد والفرض ألفاظ متقاربة وذلك وجوب أن الصلاة مقدرة محددة موقوتة وذلك في زمانها وأفعالها وكما أن زمانها محدود فأفعالها أولى أن تكون محدودة موقوتة وهو يتناول تقدير عددها بأن جعله خمساً وجعل بعضها أربعاً في الحضر وإثنين في السفر وبعضها ثلاثة وبعضها إثنين في الحضر والسفر وتقدير عملها أيضاً ولذا يجوز عند العذر الجمع المتضمن لنوع من التقديم والتأخير في الزمان كما يجوز أيضاً القصر من عددها ومن صفتها بحسب ما جاءت به الشريعة وذلك أيضاً مقدر عند العذر كما هو مقدر عند غير العذر وللهذا فليس للجامع بين الصالاتين أن يؤخر صلاة النهار إلى الليل أو صلاة الليل إلى النهار وصلاتي النهار الظهر والعصر وصلاتي الليل المغرب والعشاء وكذلك أصحاب الأعذار الذين ينقصون من عددها وصفتها وهو موقون محدود ولا بد أن تكون الأفعال محدودة الإبتداء والإنتهاء فالقيام محدود بالإنتصار بحيث لو خرج عن حد المنتصب إلى حد المنحنى الرا�� ب اختياره لم يكن قد أتى بحد القيام ومن المعلوم أن ذكر القيام الذي هو القراءة أفضل من ذكر الركوع والسجود ولكن نفس عمل الركوع والسجود أفضل من عمل القيام وللهذا كان عبادة بنفسه ولم يصح في شرعاً إلا الله بوجه من الوجوه وغير ذلك من الأدلة المذكورة في غير هذا الموضع وإذا كان كذلك فمن المعلوم أن هذه الأفعال مقدرة

محدودة بقدر التمكן منها فالساجد عليه أن يصل إلى الأرض وهو غاية التمكن ليس له غاية دون ذلك إلا لعذر وهو من حين نحائه أخذ في السجود سواء سجد من قيام أو من قعود فينبغي أن يكون إبتداء السجود مقدراً بذلك بحيث يسجد من قيام أو قعود لا يكون سجوده من إنحاء فإن ذلك يمنع كونه مقدراً محدوداً بحسب الإمكان ومتى وجوب ذلك وجوب الإعتدال في الركوع وبين السجدين وأيضاً في ذلك إتمام الركوع والسبعين وأيضاً فأفعال الصلاة إذا كانت مقدرة وجوب أن يكون لها قدر وذلك هو الطمأنينة فإن من نقر الغراب لم يكن ل فعله قدر أصلاً فإن قدر الشيء ومقداره فيه زيادة على أصل وجوده ولها يقال للشيء الدائم ليس له قدر فإن القدر لا يكون لأدنى حركة بل لحركة ذات إمتداد وأيضاً فإن الله عز وجل أمرنا بإقامتها والإقامة أن يجعل قائمة والشيء القائم هو المستقيم المعتدل فلا بد أن تكون أفعال الصلاة مستقرة معتدلة وذلك إنما يكون بثبوت أبعاضها وإستقرارها وهذا يتضمن الطمأنينة فإن من نقر الغراب لم يقم السجود ولا يتم سجوده إذا لم يثبت ولم يستقر وكذلك الراكع يبين ذلك ما جاء في الصحيحين عن قتادة عن أنس بن مالك رضي الله عنهما قال قال رسول الله سووا صفوفكم فإن تسوية الصف من تمام الصلاة وأخر جاه من حديث عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله أتموا الصفوف فإن أراكם من خلف ظهرى وفي لفظ أقيموا الصفوف وروى البخارى من حديث حميد عن أنس قال أقيمت الصلاة فأقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أقيموا صفوفكم وتراسوا فإني أراكם من وراء ظهرى وكان أحدهما يلصق منكبته بمنكب صاحبه وبذنه بذنه فإذا كان تقويم الصف وتعديله من تمامها وإقامتها بحيث لو خرجوا عن الإستواء والإعتدال بالكلية حتى يكون رأس هذا عند النصف الأسفل من هذا لم يكونوا مصطفين ولكانوا يؤمرنون بالإعادة وهم بذلك أولى من الذي صلى خلف

الصف وحده فأمره النبي أن يعيد صلاته فكيف بتوقيم أفعالها
 وتعديلها بحيث لا يقيم صلبه في الركوع والسجود ويدل على ذلك وهو دليل مستقل في المسألة ما اخرجاه في الصحيحين عن شعبة عن قتادة عن أنس رضي الله عنه عن النبي قال أقيموا الركوع والسجود فوالله إني لأراك من بعدي وفي رواية من بعد ظهرى إذا ركعتم وسجدتم وفي رواية للبخارى عن همام عن قنادة عن أنس رضي الله عنه أنه سمع النبي يقول أتموا الركوع والسجود فوالذى نفسى بيده انى لأراك من بعد ظهرى إذا ما ركعتم وإذا ما سجدتم ورواه مسلم من حديث هشام الدستوائى وإبن أبي عروبة عن قنادة عن أنس رضي الله عنه أن نبى الله قال أتموا الركوع والسجود ولفظ ابن أبي عروبة أقيموا الركوع والسجود فإنى أراكم وذكره فهذا يبين أن إقامة الركوع والسجود توجب إتمامها كما فى اللفظ الآخر وأيضا فأمره لهم بإقامة الركوع والسجود يتضمن السكون فيهما إذ من المعلوم أنهم كانوا يأتون بالإحناء في الجملة بل الأمر بالإقامة يقتضى أيضا الإعتدال فيهما وإتمام طرفيهما وفي هذا رد على من زعم أنه لا يجب الرفع فيهما وذلك أن هذا أمر للمأمومين خلفه ومن المعلوم أنه لم يكن يمكنهم الإنصراف قبله وأيضا قوله تعالى {حَافِظُوا عَلَى الصَّلَواتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُوْمُوا بِهِ قَاتِبِينَ} البقرة 238 أمر بالفتور في القيام لله والقنوت دوام الطاعة لله عز وجل سواء كان في حال الإنتصاب أو في حال السجود¹

حكم من ترك واجبا من واجبات الصلاة

*قال تعالى {وَأَمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ }{71} وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَأَنْقُوهُ وَهُوَ الذِّي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ }{72} الأنعام 71-72
 كان جمهور العلماء على أن من ترك واجبا من واجبات الصلاة عمدا فعليه إعادة الصلاة ما دام يمكن فعلها وهو إعادةتها في

الوقت هذا مذهب مالك والشافعي وأحمد لكن مالك وأحمد يقولان قد يجب فيها ما يسقط بالسهو ويكون سجود السهو عوضا عنه وسجود السهو واجب عندهما وأما الشافعي فيقول كل ما وجوب بطل الصلاة بتركه عمدا أو سهوا وسجود السهو عنده ليس بواجب فإن ما صحت الصلاة مع السهو عنه لم يكن واجبا ولا مبطلا والأكثرون يوجبون سجود السهو كمالك وأبي حنيفة وأحمد ويقولون قد أمر به النبي صلى الله عليه وسلم والأمر يقتضي الإيجاب ويقولون الزيادة في الصلاة لو فعلها عمدا بطلت الصلاة بالإتفاق مثل أن يزيد ركعة خامسة عمدا أو يسلم عمدا قبل إكمال الصلاة ثم إذا فعله سهوا سجد للسهو بالسنة والإجماع فهذا سجود لما تصح الصلاة مع سهوة دون عمده وكذلك ما نقصه منها فإن السجود يكون للزيادة تارة وللنقص أخرى كسجود النبي صلى الله عليه وسلم لما ترك التشهد الأول ولو فعل ذلك أحد عمدا بطلت صلاته عند مالك وأحمد وأما أبو حنيفة فيوجب في الصلاة ما لا تبطل بتركه لا عمدا ولا سهوا ويقول هو مسيء بتركه كالطمأنينة وقراءة الفاتحة وهذا مما نازعه فيه الأكثرون وقالوا من ترك الواجب عمدا فعليه الإعادة الممكنة لأنه لم يفعل ما أمر به وهو قادر على فعله فلا يسقط عنه وقد أخرجا في الصحيحين حديث المسيء في صلاته لما قال له النبي صلى الله عليه وسلم ارجع فصل فإنك لم تصل وأمره بالصلاة التي فيها طمأنينة فدل هذا الحديث الصحيح على أن من ترك الواجب لم يكن ما فعله صلاة بل يؤمر بالصلاحة والشارع صلى الله عليه وسلم لا ينفي الإسم إلا لانتقاء بعض واجباته فقوله فإنك لم تصل لأنك ترك بعض واجباتها ولم تكن صلاته تامة مقامة الإقامة المأمور بها في قوله تعالى {فَإِذَا اطْمَأْنَتُمْ فَأَقِمُوا الصَّلَاةَ} النساء 103 فقد أمر بإتمامها ولهذا لما أمر بإتمام الحج والعمره بقوله {وَأَتَمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ} البقرة 196 ألزم الشارع فيهما فعل جميع الواجبات فإذا ترك بعضها فلا بد من الجبران فعلم أنه إن لم يأت بالمأمور به تماما التمام الواجب

وإلا فعليه ما يمكن من إعادة أو جبران وكذلك أمر الذي رأه يصلي خلف الصف وحده أن يعيد وقال لا صلاة لفڈ خلف الصف وقد صحه أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وابن حزم وغيرهم من علماء الحديث فإن قيل ففي حديث المسيء الذي رواه أهل السنن من حديث رفاعة بن رافع أنه جعل ما تركه من ذلك يؤخذ بتركه فقط ويحسب له ما فعل ولا يكون كمن لم يصل قيل وكذلك نقول من فعلها وترك بعض واجباتها لم يكن بمنزلة من لم يأت بشيء منها بل يثاب على ما فعل ويعاقب على ما ترك وإنما يؤمر بالإعادة لدفع عقوبة ما ترك وترك الواجب سبب للعقاب فإذا كان يعاقب على ترك البعض لزمه أن يفعلها فإن كان له جبران أو أمكن فعله وحده وإنما فعله مع غيره فإنه لا يمكن فعله مفردا فإن قيل فإذا لم يكن فعله مفردا طاعة لم يثبت عليه أولاً قيل هو أولى فعله ولم يكن يعلم أنه لا يجوز أو كان ساهياً كالذي يصلي بلا وضوء أو يسهو عن القراءة والمسجد المفروض فيثاب على ما فعل ولا يعاقب بنسيائه وخطئه لكن يؤمر بالإعادة لأنه لم يفعل ما أمر به أولاً كالنائم إذا استيقظ في الوقت فإنه يؤمر بالصلاحة لأنها واجبة عليه في وقتها إذا أمكن وإلا صلاتها أي وقت استيقظ فإنه حينئذ يؤمر بها وأما إذا أمر بالإعادة فقد علم أنه لا يجوز فعل ذلك مفرداً فلا يؤمر به مفرداً فإن قيل فلو تعمد أن يفعلها مع ترك الواجبات التي يعلم وجوبها قيل هذا مستحق للعقاب فإنه عاص بهذا الفعل وهذا قد يكون إنما كإثم التارك وإن قدر أن هذا قد يثاب فإنه لا يثاب عليه ثواب من فعله مع غيره كما أمر به بل أكثر ما يقال إن له عليه ثواباً بحسبه لكن الذي يعرف أنه إذا لم يكن يعرف أن هذا واجب أو منهي عنه فإنه يثاب على ما فعله قال الله تعالى {فَمَنْ يَعْمَلْ مِتْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ} {7} {وَمَنْ يَعْمَلْ مِتْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ} {8} الزلزلة-8 والقرآن وذكر الله ودعاؤه خير وإنما فالمسلم لا يصلى إلى غير قبلة أو بغير وضوء أو ركوع أو سجود ومن فعل ذلك كان مستحقاً للذم والعقاب ومع هذا فقد

يمكن إذا فعل ذلك مع اعترافه بأنه مذنب لا على طريق الإستهانة والإستهزاء والإستخفاف بل على طريق الكسل أن يثاب على ما فعله كمن ترك واجبات الحج المجبورة بدم لكن لا يكون ثوابه كما إذا فعل ذلك مع غيره على الوجه المأمور به¹

الشارع لم ينقل الأسماء ولم يغيرها ولكن استعملها مقيدة لا مطلقة

*قال تعالى {وَأَمْرَنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ }{71} وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ}{72} الأنعام 71-72

وبسبب الكلام في مسألة الإيمان تنازع الناس هل في اللغة أسماء شرعية نقلها الشارع عن مسمها في اللغة أو أنها باقية في الشرع على ما كانت عليه في اللغة لكن الشارع زاد في أحكامها لا في معنى الأسماء وهكذا قالوا في إسم الصلاة و الزكاة و الصيام و الحج إنها باقية في كلام الشارع على معناها اللغوي لكن زاد في أحكامها ومقصودهم ان الإيمان هو مجرد التصديق وذلك يحصل بالقلب واللسان وذهب طائفة ثالثة الى أن الشارع تصرف فيها تصرف أهل العرف فهى بالنسبة الى اللغة مجاز وبالنسبة الى عرف الشارع حقيقة وتحقيق أن الشارع لم ينقلها ولم يغيرها ولكن استعملها مقيدة لا مطلقة كما يستعمل نظائرها ولفظ الإيمان أمر به مقيدا بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وكذلك لفظ الإسلام بالإسلام لله رب العالمين وقد بين الرسول تلك الخصائص والاسم دل عليها فلا يقال أنها منقوله ولا أنه زيد في الحكم دون الاسم بل الاسم إنما استعمل على وجه يختص بمراد الشارع لم يستعمل مطلقا وهو إنما قال {أَقِيمُوا الصَّلَاةَ} بعد أن عرفهم

الصلاه المأمور بها فكان التعريف منصرفاً إلى الصلاه التي يعرفونها لم يرد لفظ الصلاه وهم لا يعرفون معناه ولهذا كل من قال في لفظ الصلاه أنه عام للمعنى اللغوي أو أنه مجمل لترددہ بين المعنى اللغوي والشرعی ونحو ذلك فأقوالهم ضعيفة فان هذا اللفظ انما ورد خبراً أو أمراً فالخبر قوله { أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَا } ٩ { عَبْدًا إِذَا صَلَّى } ١٠ العلق-٩ وسورة اقرأ من أول ما نزل من القرآن وكان بعض الكفار أما أبو جهل أو غيره قد نهى النبي عن الصلاه وقال لئن رأيته يصلى لأطأن عنقه فلما رأه ساجدا رأى من الهول ما أوجب نكوصه على عقبيه فإذا قيل { أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَا } ٩ { عَبْدًا إِذَا صَلَّى } ١٠ العلق-٩ فقد علمت تلك الصلاه الواقعه بلا إجمالي ولا عموم ثم أنه لما فرضت الصلوات الخمس ليلة المراجج أقام النبي لهم الصلوات بمواعيدها صبيحة ذلك اليوم وكان جبرائيل يوم النبي صلى الله عليه وسلم وال المسلمين يأتون بالنبي فإذا قيل لهم { أَقِيمُوا الصَّلَاةَ } عرفوا أنها تلك الصلاه وقيل أنه قبل ذلك كانت له صلاتان طرف النهار فكانت أيضاً معروفة فلم يخاطبوا بإسم من هذه الأسماء الا وسماه معلوم عندهم فلا اجمال في ذلك ولا يتناول كل ما يسمى حجا ودعاءاً وصوماً فإن هذا إنما يكون اذا كان اللفظ مطلقاً وذلك لم يرد^١

الله سبحانه في كل ما يخلقه حكمة يحبها ويرضاها

* والله تعالى يفعل ما يشاء و يحكم ما يريد و ما شاء كان و ما لم يشأ لم يكن لكن المدح في هذا الكلام معناه أنه مطلق المشيئة لا معوق له إذا أراد شيئاً كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يقولن أحدكم اللهم إغفر لي إن شئت اللهم إرحمني إن شئت و لكن ليزعم المسألة فإن الله لا مكره له فبین صلي الله عليه و سلم أنه لا يفعل إلا بمشيئته ليس له مكره حتى يقال له إن فعل إن شئت و لا يفعل إن لم يشا فهؤ سبحانه إذا أراد شيئاً كان قادر عليه لا يمنعه منه مانع لا يعني بذلك أنه يفعل لمجرد مشيئته ليس

معها حكمة بل يفعل عندهم ما و جود فعله و عدمه بالنسبة إليه سواء من كل و جه فإن هذا ليس بمدح بل المعقول من هذا أنه صفة ذم فمن فعل لمجرد إرادته الفعل من غير حكمة لفعله و لا تضمن غاية مجردة كان إن لا يفعل خير له و قد ذم الله سبحانه في كتابه من نسبه إلى هذا فقال تعالى و {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا} ذلك ظنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ } ص 27 و قال تعالى {أَفَخَسِبُتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبْثًا وَأَنَّكُمُ الَّذِينَ لَا تُرْجَعُونَ } 115 فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ } 116 المؤمنون 115-116 قال المفسرون العبث أن يعمل عملاً لا لحكمة و هو جنس من اللعب و قال { وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ } 16 لَوْ أَرَدْنَا أَن نَتَخَذَ لَهُواً لَا تَخْدُنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ } 17 الانبياء 16-17 و قال {أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى } القيامة 36 قال المفسرون و أهل اللغة السدي المهمل الذي لا يؤمر و لا ينهى كالذى يترك الإبل سدى مهملة و قال تعالى {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَبِيَوْمٍ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ } الأنعام 73 و قال تعالى {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيهَا فَاصْفَحْ الصَّفَحَ الْجَمِيلَ } 85 إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَالقُ الْعَلِيمُ } 86 الحجر 85-86 وقد بين سبحانه الفرق بين ما أمر به و ما نهى عنه و بين من يحمده و يكرمه من أوليائه و من يذمه و يعاقبه من أعدائه و أنهم مختلفون لا يجوز التسوية بينهما و جعل خلاف ذلك من المنكر الذي لا مساغ له فقال تعالى {أَفَجَعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ } 35 مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ } 36 القلم 35-36 و قال {أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَارِ } ص 28 و قال تعالى {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَ حُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاء مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاء مَا يَحْكُمُونَ } الجاثية 21 فبين أن هذا الحكم سيء في نفسه ليس الحكم به مساوايا للحكم بالتفاضل ثم

قال {وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} الجاثية 22 فأخبر أنه خلق الخلق ليجزى كل نفس بما كسبت وأنه لا يظلم أحدا فينقص من حسناته شيئا بل كما قال {وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّهُ أَحَدًا} الكهف 49 وقد نزه نفسه في غير موضع من القرآن أن يظلم أحدا من خلقه فلا يؤتني أجره أو يحمل عليه ذنب غيره فقال تعالى {وَمَن يَعْمَلْ مِن الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا} طه 112 وقال تعالى {لَا تَحْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ} 28 ما يُبَدِّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَامٍ للْعَبَدِ} 29 ق 28-29 وقال تعالى {ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقَرِيْنَ نَفْصُهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ} 100 وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم فما أَغْنَثْتَ عَنْهُمُ الْهَنْثُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ شَيْبٍ} 101 هود 100-101 وفي الحديث الصحيح الإلهي يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محurma فلا تظالموا¹

* أن الله سبحانه حكيم رحيم وقد أخبر أنه لم يخلق المخلوقات إلا بحكمته كما قال في قوله تعالى {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا} ذلك ظن الذين كفروا ص 27 وقال تعالى {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لَّا يُؤْلِمُ الْأَلْبَابَ} 190 الذين يذكرون الله قياما وقعوداً وعلى جنوبهم ويَنْقَرُّونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبُّنَا مَا خَلَقَتْ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقَنَا عَذَابَ النَّارِ} 191 آل عمران 190-191 وقال تعالى {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَا يَعِيشُ} 16 لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَخَذَ لَهُوَا لَا تَخْذِنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ} 17 الانبياء 16-17 وقال وهذا يبين أن معنى قوله في سائر الآيات بالحق هو لهذا المعنى الذي يتضمن حكمته كما قال {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ} الأنعام 73 و قوله {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيهِ فَاصْفَحِ الصَّفَحَ الْجَمِيلَ} الحجر 85

والمراد هنا أنه سبحانه بين أنه إنما خلق المخلوقات لحكمته وهذا معنى قوله بالحق و قد نم من ظن أنه خلق ذلك باطلا و عبنا فقال {أَفَحَسِبُتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَّاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ} المؤمنون 115 و قال {أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُنْزَرَكَ سُدًّا} القيامة 36 و قال {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاحْتِلَافِ اللَّيلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لَّا يُؤْلِي الْأَلْبَابَ} 190 {الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قَيْمَاماً وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَكَبَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقَنَا عَذَابَ النَّارِ} 191

عمران 190-191 فلابد من جراء العباد على أعمالهم فلهذا قيل {فَاصْفَحْ الصَّفَحَ الْجَمِيلَ} الحجر 85 و الله سبحانه في كل ما يخلقه حكمة يحبها ويرضاها و هو سبحانه أحسن كل شيء خلقه و أتقن كل ما صنع فما وقع من الشر الموجود في المخلوقات فقد وجد لأجل تلك الحكمة المطلوبة المحبوبة المرضية فهو من الله حسن جميل و هو سبحانه محمود عليه و له الحمد على كل حال و إن كان شرا بالنسبة إلى بعض الأشخاص¹

الأمر الكوني

قال تعالى {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ} الأنعام 73 فيقال الأمر الكوني يكون موجودا قبل وجود المكون لا يسمعه العبد وليس امثاله مقدورا له بل رب هو الذي يخلق ما كونه بمشيئته وقدرته والله تعالى ليس له شريك في الخلق والتكونين والعبد وإن كان فاعلا بمشيئته وقدرته والله خالق كل ذلك فتكوين الله للعبد ليس هو أمرا العبد موجود في الخارج يمكنه الامثال وكذلك ما خلقه من أحواله وأعماله خلقه بمشيئته وقدرته و {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} يس 82 فكل ما كان من المكونات فهو داخل في هذا الامر وأكل آدم من الشجرة وغير ذلك من الحوادث داخل تحت هذا كدخول آدم فنفس أكل آدم هو الداخل تحت هذا الأمر كما دخل آدم فقول القائل انه قال لأدم في الباطن

كل مثل قوله انه قال للكافر اكفر وللفاسق افسق والله لا يأمر بالفحشاء ولا يحب الفساد ولا يرضي لعباده الكفر ولا يوجد منه خطاب باطن ولا ظاهر للكفار والفساق والعصاة بفعل الكفر والفسوق والعصيان وان كان ذلك واقعاً بمشيئته وقدرته وخلقه وأمره الكوني فالامر الكوني ليس هو أمراً للعبد أن يفعل ذلك الأمر بل هو أمر تكوين لذلك الفعل في العبد أو أمر تكوين لكون العبد على ذلك الحال فهو سبحانه الذي خلق الإنسان هلوعاً {إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هُلُوْعًا} ¹⁹ {إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا} ²⁰ {وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنْوِعًا} ²¹ المعراج 19-21 وهو الذي جعل المسلمين مسلمين كما قال الخليل {رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمَنْ ذُرَّتْنَا أَمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ} البقرة 128 فهو سبحانه جعل العباد على الأحوال التي خلقهم عليها وأمره لهم بذلك أمر تكوين بمعنى أنه قال لهم كونوا كذلك فيكونون كذلك كما قال للجماد كن فيكون فامر التكوين لا فرق فيه بين الجمامد والحيوان وهو لا يفتقر الى علم المأمور ولا إرادته ولا قدرته لكن العبد قد يعلم ما جرى به القدر في أحواله كما يعلم ما جرى به القدر في أحوال غيره وليس في ذلك علم منه بأن الله أمره في الباطن بخلاف ما أمره في الظاهر بل أمره بالطاعة باطناً وظاهراً ونهاه عن المعصية باطناً وظاهراً وقدر ما يكون فيه من طاعة ومعصية باطناً وظاهراً وخلق العبد وجميع أعماله باطناً وظاهراً وكون ذلك بقوله كن باطناً وظاهراً وليس في القدر حجة لابن آدم ولا عذر بل القدر يؤمن به ولا يحتاج به والمحتج بالقدر فاسد العقل والدين متناقض فإن القدر ان كان حجة وعدراً لزم أن لا يلام أحد ولا يعاقب ولا يقتضي منه وحينئذ فهذا المحتج بالقدر يلزم منه اذا ظلم في نفسه وماليه وعرضه وحرمته أن لا ينتصر من الظالم ولا يغضب عليه ولا يذمه وهذا أمر ممتنع في الطبيعة لا يمكن أحد أن يفعله فهو ممتنع طبعاً محروم شرعاً ولو كان القدر حجة وعدراً لم يكن ابني ملوماً ولا معاقباً ولا فرعون وقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم من الكفار ولا كان جهاد الكفار

جائزا ولا اقامة الحدود جائزا ولا قطع السارق ولا جلد الزانى
 ولا رجمه ولا قتل القاتل ولا عقوبة معنده بوجه من الوجوه
 ولما كان الإحتجاج بالقدر باطلًا فى فطر الخلق وعقولهم لم
 تذهب اليه أمة من الأمم ولا هو مذهب أحد من العقلاة الذين
 يطربون قولهم فإنه لا يستقيم عليه مصلحة أحد لا في دنياه ولا
 آخرته ولا يمكن اثنان أن يتعاشرَا ساعة واحدة إن لم يكن أحدهما
 ملتزمًا مع الآخر نوعا من الشرع فالشرع نور الله في أرضه
 وعلمه بين عباده لكن الشرائع تتعدد فتارة تكون منزلة من عند
 الله كما جاءت به الرسل وتارة لا تكون كذلك ثم المنزلة تارة
 تبدل وتغير كما غير أهل الكتاب شرائعهم وتارة لا تغير ولا
 تبدل وتارة يدخل النسخ في بعضها وتارة لا يدخل وأما القدر
 فإنه لا يحتاج به أحد إلا عند اتباع هواه فإذا فعل فعلًا محظوظاً
 بمجرد هواه وذوقه ووجده من غير أن يكون له علم بحسن الفعل
 ومصلحته استند إلى القدر كما قال المشركون { لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا
 أَشْرَكَنَا وَلَاَ أَبَاوْنَا وَلَاَ حَرَّمَنَا مِنْ شَيْءٍ } 148 الأنعام قال
 الله تعالى { كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَأْفُوا بَأْسَنَا قُلْ هُلْ
 عَنْكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَبْتَغُونَ إِلَّا الطَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا
 تَخْرُصُونَ } 148 فلن فليله الحجة البالغة فلو شاء لهذاكم
 أجمعين { 149 } الأنعام 148-149 وبين أنه ليس عندهم علم
 بما كانوا عليه من الدين وإنما يتبعون الطعن¹

لله كلمات كثيرة

*قال تعالى { وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ
 كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ } الأنعام 73 قالوا فالكلام القديم هو الحروف
 والأصوات ومنهم من قال الحروف دون الأصوات فهي قديمة
 أزلية بأعيانها لا نقول بوجود شيء بعد شيء وأنه ما زال يقول يا
 آدم يا نوح يا موسى من الأزل إلى الأبد ولا يزال يقول ذلك وقال
 هؤلاء باقتران الحروف بعضها ببعض في الأزل وأن الياء والسين
 موجودتان معا في الأزل والترتيب بينهما إنما هو ترتيب في ذاتهما

أو في ظهورهما لا في وجودهما وهذا قول طائفة من أهل الكلام والحديث والفقه حكاه الأشعري في المقالات عن طائفة قالته وقد وافقهم عليه طائفة من الفقهاء من أصحاب مالك وأحمد والشافعى وغيرهم فأنكر الجمهور هذا القول وقالوا هذا مخالف لصرح المعقول والمنقول فإن الله تعالى يقول {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} يس 82 وإذا ظرف لما يستقبل من الزمان وأن تخلص الفعل المضارع للاستقبال والمؤقت بظرف معين لا يكون قدima أزليا¹

*فإنه على قول الجمهور الذين يجعلون الله كلمات كثيرة إما كلمات لا نهاية لها ولم تزل وإما كلمات لها ابتداء وإذا كان له كلمات كثيرة فال المسيح ليس هو الكلمات التي لا نهاية لها وليس هو كلمات كثيرة بل إنما خلق بكلمة من كلمات الله كما في الكتب الإلهية القرآن والتوراة إنه يخلق الأشياء بكلماته قال تعالى {مَا كَانَ اللَّهُ أَنْ يَتَخَذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} مرريم 35 وقد أخبر الله في القرآن بخلقه للأشياء بكلماته في غير موضع بقوله {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالَمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ} الأنعام 73 وفي التوراة ليكن يوم الأحد ليكن كذا ليكن كذا¹

ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن

*فالرب تعالى إذا لم يحدث شيئاً إلا بقدرته ومشيئته فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} يس 82 فلا بد أن يريد الفعل قبل أن يفعله ولا بد أن يكون الفعل قبل المفعول وإن كانت الإرادة والفعل موجودين عند وجود المفعول كما يقول أهل السنة إن القدرة لا بد أن تكون مع الفعل¹

*فهذا يقتضي أنه إذا أراد شيئاً فائلاً أمره أن يقول له كن فيكون وقوله إذا أراده فاقتضى هذا أنه لم يخلق شيئاً إلا وقد قال له كن¹

{ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ }

*قال تعالى {قُل لَا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبُ إِلَّا اللَّهُ} النمل 65 وهو سبحانه قال {قُل لَا يَعْلَمُ مَن} النمل 65 ولم يقل ما فإنه لما اجتمع ما يعقل وما لا يعقل غالب ما يعقل وعبر عنه بـ من تكون أبلغ فانهم مع كونهم من أهل العلم والمعرفة لا يعلم أحد منهم الغيب إلا الله وهذا هو الغيب المطلق عن جميع المخلوقين الذي قال فيه {عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا} الجن 26 والغيب المقيد ما عمله بعض المخلوقات من الملائكة أو الجن أو الانس وشهادوه فانما هو غيب عن غاب عنه ليس هو غيباً عن شهدوه والناس كلهم قد يغيب عن هذا ما يشهده هذا فيكون غيباً مقيداً أي غيباً عن غاب عنه من المخلوقين لا عما شهد له ليس غيباً مطلقاً غاب عن المخلوقين قاطبة وقوله {عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ} الأنعام 73 أي عالم ما غاب عن العباد مطلقاً ومعيناً وما شهدوه فهو سبحانه يعلم ذلك كله¹

لطائف لغوية

1- قال تعالى {قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسُكُمْ شِيَعًا وَيُدِينِكُمْ بِأَنْ بَعْضِ } الأنعام 65 قادر متذر عن العجز والضعف¹

2- أن لفظ مع في لغة العرب إنما تدل على المصاحبة والموافقة والإقتران ولا تدل على أن الأول مختلط بالثاني في عامه موارد الإستعمال كقوله تعالى {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ } الفتح 29 لم يرد أن ذواتهم مختلطة بذاته وقوله { وَإِمَّا

يُنْسِينَكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذَّكْرِ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ
{الأنعام 68}

- 3- قوله {وَمَا عَلَى الدِّينِ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرِي لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} الأنعام 69 اللام لام التعليل (لامات كي)¹
- 4- قال تعالى {وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا بِيَنْهُمْ لَعِبًا وَلَهُوَ وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَرْ بِهِ أَنْ تُبَسَّلَ نَفْسُ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونَ اللَّهِ وَلَيْ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذْ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أَبْسَلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ} الأنعام 70 الدين هو التعاہد والتعاقد وإذا كان كذلك فالأمور التي يحتاجون إليها يحتاجون أن يوجبوها على أنفسهم والأمور التي تضرهم يحتاجون أن يحرموها على نفوسهم وذلك دينهم وذلك لا يكون إلا باتفاقهم على ذلك وهو التعاہد والتعاقد ولهذا جاء في الحديث لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له فهذا هو من الدين المشترك بين جميع بنى آدم من التزام واجبات ومحرمات وهو الوفاء والعهد وهذا قد يكون باطلًا فاسدا إذا كان فيه مضره لهم راجحة على منفعته وقد يكون دين حق إذا كانت منفعة خاصة أو راجحة كما قال تعالى {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} 1 {لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ} 2 {وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ} 3 {وَلَا أَنَا عَابِدُ مَا عَبَدْتُمْ} 4 {وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ} 5 {لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِي دِينِ} 6 الكافرون 1-6 وقال تعالى {مَا كَانَ لِي أَخْذُ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ} يوسف 76 وقال تعالى {قَاتَلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحِرِّمُونَ مَا حَرَمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ} التوبه 29 الدين الحق هو طاعة الله وعبادته¹
- 5- قال تعالى {وَذَكَرْ بِهِ أَنْ تُبَسَّلَ نَفْسُ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونَ اللَّهِ وَلَيْ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذْ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أَبْسَلُوا بِمَا كَسَبُوا} الأنعام 70 أن الكسب هو الفعل الذي يعود على فاعله بنفع أو ضر كما قال تعالى {لَهَا مَا كَسَبَتْ

وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ } البقرة 286 فبين سبحانه أن كسب النفس لها أو عليها و الناس يقولون فلان كسب مالا أو حمدا أو شرفا كما أنه ينتفع بذلك¹

6- قال تعالى {وَذَكَرْ بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أَبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا } الأنعام 70 و تبسيل أى ترتهن وتحبس وتؤسر¹

7- العدل هو الاعتدال والاعتدال هو صلاح القلب كما ان الظلم فساده ولهذا جميع الذنوب يكون الرجل فيها ظالما لنفسه والظلم خلاف العدل فلم يعدل على نفسه بل ظلمها فصلاح القلب في العدل وفساده في الظلم واذا ظلم العبد نفسه فهو الظالم وهو المظلوم كذلك إذا عدل فهو العادل والمدعول عليه فمنه العمل وعليه تعود ثمرة العمل من خير وشر قال تعالى { لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ } البقرة 286 وقال {وَذَكَرْ بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أَبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا } الأنعام 70 و تبسيل أى ترتهن وتحبس وتؤسر كما ان الجسد إذا صح من مرضه قيل قد اعتدل مزاجه والمرض انما هو باخراج المزاج مع أن الاعتدال المحض السالم من الأخلاط لا سبيل اليه لكن الأمثل فالامثل والعدل المحض في كل شيء متذر علماء و عملا ولكن الأمثل فالامثل ولهذا يقال هذا أمثل ويقال للطريقة السلفية الطريقة المثلى وقال تعالى {وَلَن تَسْتَطِعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ } النساء 129¹

8- الدعاء قصد المدعو و التوجيه إليه إما على وجه المسألة و إما على وجه العبادة المحضة لأن دعاء الشيء هو طلبه و إرادته سواء طلب لذاته أو للأمر منه و من ذلك قوله تعالى {وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ } غافر 60 فإنه فسر بالمسألة و

بالعبادة و قوله تعالى {قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا
يَضُرُّنَا وَنُرْدُ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ} الأنعام 71¹

9- قال تعالى {قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا
وَنُرْدُ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي
الْأَرْضِ حَيْرَانٌ} الأنعام 71 فالحيرة من جنس الجهل والضلالة¹

10- والاسلام يجمع معنيين احدهما الاستسلام والانقياد فلا يكون
متكبراً والثاني الاخلاص والاسلام يستعمل لازماً معدى بحرف
اللام مثل ما ذكر في هذه الآيات {قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا
يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرْدُ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي
اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانٌ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى
الْهُدَى اِنْتَنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأَمْرَنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ
الْعَالَمِينَ} 71 {وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ
تُحْشَرُونَ} 72 {الأنعام 71-72¹

11- قال تعالى {قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا
وَنُرْدُ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي
الْأَرْضِ حَيْرَانٌ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى اِنْتَنَا قُلْ إِنَّ هُدَى
اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأَمْرَنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} الأنعام 71 ان أصناف
العالمين يراد به جميع أصناف الخلق كما في قوله تعالى
{الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} الفاتحة²

12- قال تعالى {قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأَمْرَنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ
الْعَالَمِينَ} الأنعام 71 عامة الأسماء يتتوعد مسمها بالاطلاق
والتفييد وكذلك لفظ الهدى اذا أطلق تناول العلم الذي بعث
الله به رسوله والعمل به جميعاً فيدخل فيه كل ما أمر الله به كما
في قوله {إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} الفاتحة 6 والمراد طلب
العلم بالحق والعمل به جميعاً وكذلك قوله {هُدَى لِلْمُتَّقِينَ}

} البقرة 2 والمراد به أنهم يعلمون ما فيه ويعملون به ولهذا
 صاروا مفلحين وكذلك قول أهل الجنة {الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي هَدَانَا
 لِهَذَا} الأعراف 43 وإنما هداهم بأن لهم العلم النافع والعمل
 الصالح ثم قد يقرن الهدى اما بالاجتباء كما في قوله {
 وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} الأنعام 87 وكما في
 قوله {شَاكِرًا لِأَنْعُمَهُ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ} النحل 121 {اللّٰهُ
 يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ} الشورى 13 وكذلك
 قوله تعالى {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ}
 } التوبة 33 والهدى هنا هو الایمان ودين الحق هو الاسلام
 واذا أطلق الهدى كان كالایمان المطلق يدخل فيه هذا وهذا¹

13- إن الصلاة تعم الصلاة المفروضة والتطوع وقد يدخل فيها
 كل ذكر الله إما لفظا وإما معنى قال ابن مسعود رضي الله عنه ما
 دمت تذكر الله فأنت في صلاة وإن كنت في السوق وقال معاذ بن
 جبل مدارسة العلم التسبيح¹

14 - {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ
 فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالَمُ الْغَيْبِ
 وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَيْرُ} الأنعام 73 حكيم منزه عن السفة¹

الانعام 90-74

{ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبَيْهِ آزَرَ أَتَتَّخُذُ أَصْنَامًا آلَهَةً إِنِّي
 أَرَاكُ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ } 74 وَكَذَلِكَ نَرَى إِبْرَاهِيمَ
 مَلْكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَيَكُونَ مِنَ الْمُوْقَنِينَ } 75
فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَ قَالَ
لَا أُحِبُّ الْأَفْلَيْنَ } 76 فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازْغَا قَالَ هَذَا رَبِّي
فَلَمَّا أَفَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَا كُونَنَّ مِنَ الْقَوْمَ
الضَّالِّيْنَ } 77 فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازْغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي
هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمَ إِنِّي بَرِيءٌ مَّمَّا
تُشْرِكُونَ } 78 إِنِّي وَجْهُتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ } 79 وَحَاجَهُ قَوْمُهُ
قَالَ أَتُحَاجِجُنِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِي وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ
بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسَعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عَلَمًا أَفَلَا
تَذَكَّرُونَ } 80 وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنْكُمْ
أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنَ
أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُوْنَ } 81 الَّذِيْنَ آمَنُوا وَلَمْ
يُلْبِسُوْا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أَوْلَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُوْنَ } 82
وَتَلَائِكَ حَجَثًا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّنْ
نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيْمٌ } 83 وَوَهْبَنَا لَهُ إِسْحَاقَ
وَيَعْقُوبَ كُلَّا هَدَيْنَا وَنُوحاً هَدَيْنَا مِنْ قَبْلٍ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ
دَاؤُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ
وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِيْنَ } 84 وَزَكْرِيَاً وَيَحْيَى وَعِيسَى
وَإِلْيَاسَ كُلُّ مِنَ الصَّالِحِيْنَ } 85 وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ
وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلُّا فَضَلَّنَا عَلَى الْعَالَمِيْنَ } 86 وَمِنْ
آبَائِهِمْ وَذَرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْرَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى

صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ {87} ذَلِكَ هُدًى اللَّهُ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبَطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ {88}

أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرُوا بِهَا هُوَ لِاءٌ فَقَدْ وَكَلَّنَا بِهَا قَوْمًا نَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ {89}

أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فِيهِمَا هُمْ اقْتَدُهُ قَلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ {90}

إِبْرَاهِيمَ دَعَا إِلَى الْفَطْرَةِ

* قال تعالى {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخُذُ أَصْنَامًا إِلَهًا إِنِّي أَرَأَكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} {74} وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلْكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَيَكُونُ مِنَ الْمُوْفَنِينَ {75} فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ الْلَّيلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْأَفْلِينَ {76} فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازَ غَآ قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَنَّ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لِأَكُونَ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ {77} فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازَ غَآ قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمَ إِنِّي بَرِيءٌ مَّمَّا تُشْرِكُونَ {78} إِنِّي وَجَهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ {79} الأَنْعَامُ 74-79 الأَفْوَلُ هو المغيب والاحتجاب ليس هو الإمكان ولا الحركة وإبراهيم الخليل لم يحتج بذلك على حدوث الكواكب ولا على إثبات الصانع وإنما احتج بالأفول على بطلان عبادتها فإن قومه كانوا مشركين يعبدون الكواكب ويدعونها من دون الله لم يكونوا يقولون إنها هي التي خلقت السموات والأرض فإن هذا لا ي قوله عاقل ولهذا قال {يَا قَوْمَ إِنِّي بَرِيءٌ مَّمَّا تُشْرِكُونَ} الأَنْعَامُ 78 وقال {قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْنُمْ تَعْبُدُونَ} {75} أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ {76} فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبُّ الْعَالَمِينَ {77} الشِّعْرَاءُ 75-77 وقد بسط الكلام على هذا في غير هذا الموضع ¹

* لما ابتدعت الجهمية القول بنفي الصفات في آخر الدولة الأموية ويقال إن أول من ابتدع ذلك هو الجعد بن درهم معلم

مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية وكان هذا الجعد من حران وكان فيها أئمة الصابئة وال فلاسفة والفارابي كان قد أخذ الفلسفة عن متى ثم دخل إلى حران فأخذ ما أخذه منها عن أولئك الصابئة الذين كانوا بحران وكانوا يعبدون الهياكل العلوية وبينون هيكل العلة الأولى هيكل العقل الأول هيكل النفس الكلية هيكل زحل هيكل المشتري هيكل المريخ هيكل الشمس هيكل الزهرة هيكل عطارد هيكل القمر ويتقربون بما هو معروف عندهم من أنواع العبادات والقرابين والبخورات وغير ذلك وهؤلاء هم أعداء إبراهيم الخليل الذي دعاهم إلى عبادة الله وحده وكان مولده عند أكثر الناس إما بالعراق أو بحران كما في التوراة ولهذا ناظرهم في عبادة الكواكب والأصنام وحکی الله عنه أنه لما رأى كوكبا

{قَالَ هَذَا رَبِّي } الانعام 76 إلى قوله { لَا أُحِبُّ الْأَفْلَىنَ }

الانعام 76 إلى قوله { فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازْغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ }78 { إِنِّي وَجَهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ }79 { الأنعام - 78 الآيات وقد ظن طائفه من الجهمية والمعزلة وغيرهم أن مراده بقوله هذا ربى أن هذا خالق العالم وأنه استدل بالأفول وهو الحركة والانتقال على عدم ربوبيته وزعموا أن هذه الحجة هي الدالة على حدوث الأجسام وحدوث العالم

وهذا غلط من وجوه أحدها أن هذا القول لم يقله أحد من العقلاة لا قوم إبراهيم ولا غيرهم ولا توهم أحدهم أن كوكبا أو القمر أو الشمس خلق هذا العالم وإنما كان قوم إبراهيم مشركين يعبدون هذه الكواكب زاعمين أن في ذلك جلب منفعة أو دفع مضره على طريقة الكلدانيين والكشديين وغيرهم من المشركين أهل الهند وغيرهم وعلى طريقة هؤلاء صنف الكتاب الذي صنفه أبو عبدالله بن الخطيب الرazi في السحر والطلسمات ودعوة الكواكب وهذا دين المشركين من الهند والخطأ والنبط والكلدانيين والكشديين وغير هؤلاء ولهذا

قال الخليل **{يَا قَوْمٌ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ}** الأنعام 78 و {
 قال أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ} 75 {أَنْتُمْ وَآباؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ} 76
 فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبُّ الْعَالَمِينَ} 77 } الشعراة 75 - 77 وأمثال ذلك
 وأيضاً فالأفول في لغة العرب هو المغيب والإحتجاج ليس هو الحركة والانتقال وأيضاً فلو كان احتجاجه بالحركة والإنتقال لم ينتظر إلى أن يغيب بل كان نفس الحركة التي يشاهدها من حين تطلع إلى أن تغيب هي الأفول وأيضاً فحركتها بعد المغيب والإحتجاج غير مشهودة ولا معلومة وأيضاً فلو كان قوله هذا ربي أي هذا رب العالمين ل كانت قصة إبراهيم عليه السلام حجة عليهم لأنه حينئذ لم تكن الحركة عنده مانعة من كونه رب العالمين وإنما المانع هو الأفول ولما حرف هؤلاء لفظ الأفول سلك ابن سينا هذا المسلك في إشاراته فجعل الأفول هو الإمكان وجعل كل ممكناً آفلاً وأن الأفول هو في حظيرة الإمكان وهذا يستلزم أن يكون ما سوى الله آفلاً ومعلوم أن هذا من أعظم الإفتراء على اللغة والقرآن ومن أعظم القرمطة ولو كان كل ممكناً آفلاً لم يصح قوله **{فَلَمَّا**
جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكِبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ
الْأَفْلَيْنَ} } الأنعام 76 فإن قوله **{فَلَمَّا أَفَلَ}** } الأنعام 76 يقتضي حدوث الأفول له وعلى قول هؤلاء المفتررين على اللغة والقرآن الأفول لازم له لم يزل ولا يزال آفلاً ولو كان مراد إبراهيم بالأفول الإمكان والإمكان حاصل في الشمس والقمر والكوكب في كل وقت لم يكن به حاجة إلى أن ينتظر أفالها وأيضاً فجعل القديم الأزلي الواجب بغيره أولاً وأبداً ممكناً قول انفرد به ابن سينا ومن تابعه وهو قول مخالف لجمهور العقلاة من سلفهم وخلفهم¹

* وأولئك زعموا ان قول إبراهيم **{لَا أُحِبُّ الْأَفْلَيْنَ}** } الأنعام 76
 المراد به المتحركين لأن الحركة حادة والحدث لا يقوم إلا بحدث فهي سمة الحدوث فاستدل بالحدث على حدوث المتحرك والمعنى لا أحب المحدثين الذين تقوم بهم الحوادث

قال هؤلاء(الرازي) بل الاول الذي هو الحركة دليل على ان المتحرك ممكн وان كان قديما ازليا قالوا و الاول هوى في حظيرة الامكان و قوله لا احب الاولين اي الممكنتين وان كان الممكن قديما وكان قدماء المتكلمين يمثلون الدليل العقلى بقولهم كل متغير محدث والعالم متغير فهو محدث فجاء الرازي في محصله فجعل يمثل ذلك بقوله كل متغير ممكн والعالم متغير فهو ممكن وابراهيم صلى الله عليه وسلم لم يرد هذا ولا هذا كما قد بسط في غير هذا الموضوع وبين ان كل واحد من الاستدلال بالحركة على الحدوث او الامكان دليل باطل كما يقول ذلك اكثر العقلاء من اتباع الانبياء واهل الكلام واساطين الفلسفة ولكن كان قومه يعبدون الكواكب مع اعتراضهم بوجود رب العالمين و كانوا مشركين يتخذون احدهم له كوكبا يعبده ويطلب حوانجه منه كما تقدم الاشارة اليه ولهذا قال الخليل عليه السلام { أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ } 75 { أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ } 76 { فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبُّ الْعَالَمِينَ } 77 الشعراe 75-77 وقال تعالى ايضا { قَدْ كَانَتْ لِكُمْ أَسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءٌ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ ثُوَّمَنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَا سْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلَكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ } الممتحنة 4 فأمر سبحانه بالتأسي بابراهيم والذين معه في قولهم لقومهم { إِنَّا بُرَاءٌ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ } الممتحنة 4 وكذلك ذكر الله عنه في سورة الصافات انه قال لقومه { فَمَا ظَنَّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ } الصافات 87 وقال لهم { أَتَعْبُدُونَ مَا تَشْتَهِنُونَ } 95 { وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ } 96 الصافات 95-96 فالقوم لم يكونوا جاحدين لرب العالمين ولا كان قوله { هَذَا رَبِّي } الانعام 76 هذا الذي هو خلق السموات والارض على اي وجه قاله سواء قاله الزاما لقومه او تقديرها او غير ذلك ولا قال احد فقط من الادميين ان كوكبا من الكواكب او ان الشمس والقمر ابدعت

السموات كلها ولا يقول هذا عاقل بل عباد الشمس والقمر والكواكب يعبدونها كما يعبد عباد الاصنام للاصنام وكما يعبد عباد الانبياء والصالحين لهم ولتماثيلهم وكما يعبدون اخرون الملائكة واخرون يعبدون الجن لما يرجون بعبادتها من جلب منفعة او دفع مضره لا لاعتقادهم انها خلقت العالم بل قد يجعلونها شفاء ووسائل بينهم وبين رب العالمين كما قال تعالى {وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هُؤُلَاءِ شُفَاعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَتَبِّعُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ} يومنس 18 وقال تعالى {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أُولَئِيَّةَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرَّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى} الزمر 3 ولا يقول هذا عاقل بل عباد الشمس والقمر والكواكب يعبدونها كما يعبد عباد الاصنام وكما يعبد عباد الانبياء والصالحين لهم ولتماثيلهم وكما يعبدون اخرون الملائكة واخرون يعبدون الجن لما يرجون بعبادتها من جلب منفعة او دفع مضره لا لاعتقادهم انها خلقت العالم بل قد يجعلونها شفاء ووسائل بينهم وبين رب العالمين كما قال تعالى {وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هُؤُلَاءِ شُفَاعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَتَبِّعُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ} يومنس 18 وقال تعالى {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أُولَئِيَّةَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرَّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى} الزمر 3 وقال تعالى {وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيُّ وَلَا شَفِيعٌ} الأنعام 51 الأنعام وقال تعالى {أَنْ تُبْسِلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيُّ وَلَا شَفِيعٌ} الأنعام 70 وقال تعالى {الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ} السجدة 4 والشفاعة التي اخبرت بها الرسل هي ان ياذن الله للشفيع فيشفع فيكون الامر كله كما قال تعالى {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ} البقرة 255 وقال {وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرْتَضَى} الأنبياء 28 وهذا بخلاف ما اتخذ المشركون من

الشفاء واما الفلسفه القائلون بقدم العالم فالشفاعة عندهم ان يفيض على المستشفع من الشفيع ما يقصده من غير قصد الشفيع ولا سؤال منه كما ينعكس شعاع الشمس من المرأة على الحائط وقد ذكر ذلك ابن سينا ومن تلقى عنه كصاحب الكتب المضنوون بها على غير اهلها ومن اخذ عنه وهذا الشرك اعظم من شرك مشركي العرب والنصارى ونحوهم فان اولئك كانوا يقولون صانع العلم فاعل مختار وان الشافع يسأله ويدعوه لكن يثبتون شفاعة بغير اذنه وشفاعة لما ليس له شفاعة ويعبدون الشافع ويسألونه من دون الله ويصوروه على تمثاله صورة يعبدونها وكانت الشياطين تدخل في تلك الاصنام وتكلمهم وتتراء أي للسدنة احيانا كما يوجد نظير ذلك في هذا الزمان مواضع كثيرة¹

* إن إبراهيم ناظر المشركين بعبادة من لا يوصف بصفات الكمال فقال لأبيه { يا أبَتِ لَمْ تَعْبُدْ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبَصِّرُ وَلَا يُعْنِي عَنْكَ شَيْئاً } مريم 42 و قال لأبيه و قومه { مَا تَعْبُدُونَ } 70 قالوا نَعْبُدُ أَصْنَاماً فَنَظَرَ لَهَا عَاكِفِينَ 71 قَالَ هُنَّ يَسْمَعُونَكُمْ إِذَا تَدْعُونَ 72 أَوْ يَنْقَعُونَكُمْ أَوْ يَضْرُونَ 73 قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ 74 قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ 75 أَنَّمَا وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ 76 فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبُّ الْعَالَمِينَ 77 الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينَ 78 وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي 79 وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي 80 وَالَّذِي يُمِيشِنِي ثُمَّ يُحِبِّنِي 81 الشعراة 70-81 إلى آخر الكلام و قال { إِنِّي وَجَهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ } الأنعام 79 وقال { إِنِّي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ } 26 إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدُنَاينَ 27 وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِيهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ 28 الزخرف 26-28 فـ إبراهيم دعا إلى الفطرة و هو عبادة الله و حده لا شريك له و هو الإسلام العام و الإقرار بصفات الكمال لله و الرد على من عبد من سلبها فلما عابهم بعبادة من لا علم له و لا يسمع و لا يبصر قال { رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي

الأرض ولا في السماء {38} الحمد لله الذي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبِيرِ
 إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسْمِيعُ الدُّعَاءِ {39} إبراهيم 38-39
 و لما عابهم بعبادة من لا يغنى شيئاً فلا ينفع ولا يضر قال {
 الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ {78} وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِيْنِ {79}
 وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِيْنِ {80} وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِيْنِ {81}
 وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطَايَتِي يَوْمَ الدِّينِ {82} الشعراة 78-
 82 فإن الإنسان يحتاج إلى جلب المنفعة لقلبه و جسمه و دفع
 المضرة عن ذلك و هو أمر الدين و الدنيا فمنفعة الدين الهدى
 و مضرته الذنوب و دفع المضرة المغفرة و لهذا جمع بين
 التوحيد و الإستغفار في مواضع متعددة و منفعة الجسد
 الطعام و الشراب و مضرته المرض و دفع المضرة الشفاء
 و أخبر أن ربه يحيي و يميت و أنه فطر السموات و الأرض و
 إحياءه فوق كماله بأنه حي و أنه فطر السموات و الأرض
 يقتضي إمساكها و قيامها الذي هو فوق كماله بأنه قائم بنفسه
 حيث قال عن النجوم { لا أَحِبُّ الْأَفْلَيْنِ } الأనعام 76 فإن الأفول
 هو الذي يغيب تارة و يظهر تارة فليس هو قائماً على عده في
 كل وقت و الذين يعبدون ما سوى الله من الكواكب و نحوها و
 يتذلونها أو ثناها يكونون في وقت البزوغ طالبين سائلين و في
 وقت الأفول لا يحصل مقصودهم و لا مرادهم فلا يجتلبون منفعة
 و لا يدفعون مضره و لا ينتفعون إذ ذاك بعبادة فيبين ما في الآلهة
 التي تعبد من دون الله من النقص و بين ما لربه فاطر السموات و
 الأرض من الكمال بأنه الخالق الفاطر العليم السميع البصير
 الهدى الرازق المحيي المميت و سمي ربه بالأسماء الحسنى
 الدالة على نعموت كماله فقال { يَئُلُّونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلَّمُهُمُ الْكِتَابَ
 وَالْحِكْمَةَ وَبِرْكَيْهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } البقرة 129 و قال {
 فَمَنْ تَبْغِيْنِي فَإِنَّهُ مَنِي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } إبراهيم 36
 و قال { سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيْاً } مريم 47 فوصف
 ربـ بالحكمة و الرحمة المناسب لمعنى الخلة كما قال { إِنَّهُ كَانَ
 بِي حَفِيْاً } مريم 47¹

حقيقة الحنيفة

* وقد قررنا في مواضع من القواعد الكبار أنه لا يجوز أن يكون غير الله محبوباً مراداً لذاته كما لا يجوز أن يكون غير الله موجوداً بذاته بل لا رب إلا الله ولا إله غيره والإله هو المعبود الذي يستحق أن يحب لذاته ويعظم لذاته كمال المحبة والتعظيم وكل مولود يولد على الفطرة فإنه سبحانه فطر القلوب على أنه ليس في محبوباتها ومراداتها ما تطمئن إليه إلا الله وحده وإن كل ما أحبه المحبوب من مطعموم وملبوس ومنظور وملموس يجد من نفسه وإن قلبه يطلب شيئاً سواه ويحب أمراً غيره يتلأله ويصمد إليه ويطمئن إليه ويرى ما يشبهه من هذه الأجناس ولهذا قال الله تعالى في كتابه الرعد ألا بذكر الله تطمئن القلوب وفي الصحيح عن عياض بن حمار عن النبي صلى الله عليه وسلم عن الله قال إني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين وحرمت عليهم ما احللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً كما في الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمحسنانه كما نتتتج البهيمة بهيمة جماء هل تحسون فيها من جدعاء ثم يقول أبو هريرة أقرعوا إن شئتم الروم {فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخُلُقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيْمُ} الروم 30 وأيضاً فكل ما فطرت القلوب على محبتة من نعوت الكمال فالله هو المستحق له على الكمال وكل ما في غيره من محبوب فهو منه سبحانه وتعالى فهو المستحق لأن يحب على الحقيقة والكمال وإنكار محبة العبد لربه هو في الحقيقة إنكار لكونه إليها معبوداً كما أن إنكار محبتة لعبد يسأل زمان إنكار مشيئته وهو يستلزم إنكار كونه رباً خالقاً فصار إنكارها مستلزمـاً لإـنـكار كونه رب العالمين ولكونه إله العالمين وهذا هو قول أهل التعطيل والجحود ولهذا اتفقت الأمتان قبلنا على ما عندـهمـ من مأثورـ وـ حـكمـ عنـ مـوسـىـ وـ عـيسـىـ أـنـ أـعـظـمـ الـوصـاياـ أـنـ تحـبـ اللهـ

بكل قلبك و عقلك و قصدك وهذا هو حقيقة الحنيفية ملة إبراهيم التي هي اصل شريعة التوراة والإنجيل والقرآن وإنكار ذلك هو مأخذ من مقال الصابئين أعداء إبراهيم الخليل ومن وافقهم على ذلك من متفلسف أو متكلم أو متفقه أخذه عن هؤلاء وظهر ذلك في الفرامطة الباطنية من الإسماعيلية ولهذا قال الخليل إمام الحنفاء قال { قَالَ لَا أُحِبُّ الْأَفْلَيْنَ } الأنعام ٧٦^١

* الحب أصل كل عمل والتصديق بالمحبة هو أصل الإيمان وإذا كان الحب أصل كل عمل من حق وباطل وهو أصل الأعمال الدينية وغيرها وأصل الأعمال الدينية حب الله ورسوله كما ان اصل الأقوال الدينية تصديق الله ورسوله فالتصديق بالمحبة هو أصل الإيمان وهو قول وعمل كما قد بين في غير هذا الموضع وعلومنا أن قوة المحبة لكل محبوب يتقاوت الناس فيها تفاوتاً عظيماً ويتقاوت حال الشخص الواحد في محبة الشيء الواحد بحيث يقوى الحب تارة ويضعف تارة بل قد يتبدل أقوى الحب بأقوى البعض وبالعكس قال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوّي وَعَدُوّكُمْ أُولَئِكَ نَلْقَوْنَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءُوكُمْ مِّنَ الْحَقِّ} المتحنة ١ إلى قوله {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أَسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبْدَا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ} المتحنة ٤ وإبراهيم هو إمام الحنفاء الذين يحبهم الله ويحبونه وهو خليل الله وقال تعالى {أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ} ٧٥ {أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ} ٧٦ {فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبُّ الْعَالَمِينَ} ٧٧ الشعراء ٧٥-٧٧ وقال بعد ذلك {إِنِّي وَجَهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} الأنعام ٧٩ وقد قال تعالى {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحْبَ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُ حُبًّا لَهُ} البقرة ١٦٥ ولا ريب أن محبة المؤمنين لربهم أعظم المحبات وكذلك محبة الله لهم هي

محبة عظيمة جداً كما في صحيح البخاري عن أبي هريرة عن النبي قال يقول الله تعالى من عادي لي ولها بارزني بالمحاربة وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنواول حتى أحبه فإذا أحبته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن سألني لأعطيته ولئن استعاذني لأعيذه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددت عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت واكره مساعته ولا بد له منه وقد تأول الجهمية ومن اتبعهم من أهل الكلام محبة الله لعبده على أنها الإحسان إليه فتكون من الأفعال وطائفة أخرى من الصفاتية قالوا هي إرادة الإحسان وربما قال كلا من القولين بعض المنتسبين إلى السنة من أصحاب الإمام أحمد وغيرهم وسلف الأمة وأئمة السنة على إقرار المحبة على ما هي عليه وكذلك محبة العبد لربه يفسرها كثير من هؤلاء بأنها إرادة العبادة له وإرادة التقرب إليه لا يثبتون أن العبد يحب الله وسلف الأمة وأئمة السنة ومشايخ المعرفة وعامة أهل الإيمان متقوون على خلاف قول هؤلاء المعطلة لأصل الدين بل هم متقوون على أنه لا يكون شيء من أنواع المحبة أعظم من محبة العبد لربه كما قال تعالى {وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُ حُبًا لِّلَّهِ} البقرة 165 وقال تعالى {فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّوْهُ} {المائدة 54}¹

أصل العبادة هي المحبة

* أصل العبادة المحبة والشرك فيها أصل الشرك ومما يبين ذلك أن أصل العبادة هي المحبة وأن الشرك فيها أصل الشرك كما ذكره الله في قصة إمام الحنفاء إبراهيم الخليل حيث قال {فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أَحِبُّ الْأَفْلَيْنَ} الأنعام 76 وقال في القمر {لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَا كُوَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّيْنَ} الأنعام 77 فلما أفلت الشمس

قال { يَا قَوْمٍ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ } 78 { إِنِّي وَجَهْتُ وَجْهِي
 لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَتَّىٰ فَوَمَا أَنَا مِنْ
 الْمُشْرِكِينَ } 79 { الأنعام-78-79 } ولهذا تبرأ إبراهيم من
 المشركين ومن أشركوا بالله { قال أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ } 75
 أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ } 76 { فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبُّ
 الْعَالَمِينَ } 77 { الشعراء-75-77 } وقال تعالى { قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ
 حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءٌ مِنْكُمْ وَمِمَّا
 تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَعْضَاءُ
 أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ } المتحنة-4 ومما يوضح ذلك أنه
 قال تعالى { وَقَاتَلُوْهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونُ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ
 انْتَهُوا فَلَا عُدُوانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ } البقرة-193 وقال تعالى
 { وَقَاتَلُوْهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونُ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنْ انْتَهُوا فَإِنَّ
 اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } الأنفال-39 فأمر بالجهاد حتى لا تكون
 فتنـة و حتى يكون الدين كله لله فجعل المقصود عدم كون الفتنة
 وجود الدين كله لله و ناقض بينهما فكون الفتنة ينافي كون
 الدين لله و كون الدين كله ينافي كون الفتنة و الفتنة قد فسرت
 بالشرك فما حصلت به فتنـة القلوب فيه شرك وهو ينافي كون
 الدين كله لله الفتنة جنس تحته أنواع من الشبهات والشهوات
 و الفتنة جنس تحته أنواع من الشبهات والشهوات وفتنة الذين
 يتخذون من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله من أعظم الفتن
 ومنه فتنـة أصحاب العجل كما قال تعالى { قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ
 مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ } طه-85 قال موسى { إِنْ هِيَ إِلَّا
 فِتْنَاتٌ تُضِلُّ بِهَا مَنْ شَاءَ وَتَهْدِي مَنْ شَاءَ } الأعراف-155
 وقال تعالى { وَأَشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ } البقرة-93
 قيل لسفيان بن عيينة إن أهل الأهواء يحبون ما ابتدعوه من
 أهوائهم حبا شديدا فقال أنسىت قوله تعالى { وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ
 مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنَدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحْبَ اللَّهِ } البقرة-93 أو كلاما
 هذا معناه وكل ما أحب لغير الله فقد يحصل به من الفتنة ما يمنع
 أن يكون الدين لله وعشق الصور من أعظم الفتن وقد قال

تعالى { أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ } الأنفال 28 ولهذا قال سبحانه وتعالى { قُلْ إِنَّ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْرَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَاتُكُمْ وَأَمْوَالُ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةً تَحْسُونَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنَ تَرْضُونَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجَهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا } التوبه 1²⁴

*ذلك أنه علم بالاضطرار أن الرسل كانوا يجعلون ما عبده المشركون غير الله و يجعلون عابده عابدا لغير الله مشركا بالله عادلا به جاعلا له ندا فأنهم دعوا الخلق إلى عبادة الله وحده لا شريك له وهذا هو دين الله الذي أنزل به كتبه وأرسل به رسالته وهو الاسلام العام الذي لا يقبل الله من الاولين والآخرين غيره ولا يغفر لمن تركه بعد بлаг الرسالة كما قال { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ } النساء 48 وهو الفارق بين أهل الجنة وأهل النار والسعداء والأشقياء كما قال النبي من كان آخر كلامه لا إله إلا الله وجبت له الجنة وقال من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله وجبت له الجنة وقال إنى لأعلم كلمة لا يقولها عبد عند الموت إلا وجد روحه لها رحمة وهى رأس الدين قال صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله فإذا قالوها عصموا من دمائهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله وفضائل هذه الكلمة وحقائقها وموقعها من الدين فوق ما يصفه الواصفون ويعرفه العارفون وهي حقيقة الأمر كله كما قال تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ } الأنبياء 25 فأخبر سبحانه أنه يوحى إلى كل رسول بنفي الالوهية عما سواه وإثباتها له وحده وقال تعالى أيضا عن امام الخلق خليل الرحمن أنه لما رأى كوكبا { قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أَحِبُّ الْأَفْلَئِنِ } 76 { فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازَ غَاصِيَّا هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَا كُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ } 77 { فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازَ غَاصِيَّا هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ } 78 { الانعام - 76

78 فهذا الخليل الذى جعله الله امام الائمة الذين يهتدون بأمره من الانبياء والمرسلين بعده وسائر المؤمنين قال { يَا قَوْمٌ إِنِّي
 بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ } 78 { إِنِّي وَجَهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ
 السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ } 79
 الأنعام 79-78¹

المخلوق ليس باله فى نفسه لكن عابده جعله لها

* اذا آمن بالرب واعتقد ربوبيته وأخبر بها كان قد اتخذ الله ربها ولم يبغ ربها سوى الله ولم يتخذ ربها سواه كما قال تعالى { قُلْ أَغَيْرَ
 اللَّهِ أَبْغِي رَبّاً وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ } الأنعام 164 وقال تعالى
 { أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخَذُ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ } الأنعام 14
 وقال { وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّنَ أَرْبَابًا أَيَّامُرُكُمْ
 بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ } آل عمران 80 وهو أيضا في نفسه
 هو الاله الحق لا اله غيره فإذا عابده الانسان فقد وحده من لم
 يجعل معه لها آخر ولا اتخاذ لها غيره قال تعالى { فَلَا تَدْعُ مَعَ
 اللَّهِ إِلَهًا أَخَرَ فَتَكُونُ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ } الشعراء 213 وقال تعالى
 { لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا أَخَرَ فَتَقْعُدْ مَذْمُومًا مَخْدُولًا } الإسراء 22
 وقال ابراهيم لأبيه آزر { أَتَتَّخِذُ أَصْنَاماً إِلَهًا إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ
 فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ } الأنعام 74 فالمخلوق ليس باله فى نفسه لكن
 عابده اتخاذ لها وجعله لها وسماه لها وذلك كله باطل لا ينفع
 صاحبه بل يضره كما أن الجاهل اذا اتخاذ اماما ومفتيها وقاضيا
 كان ذلك باطلا فانه لا يصلح أن يوم ولا يفتى ولا يقضى وغير
 الله لا يصلح ان يتخذ لها يعبد ويدعى فانه لا يخلق ولا يرزق
 وهو سبحانه لا مانع لما اعطى ولا معطى لما منع ولا ينفع ذا
 الجد منه الجد ومن دعا من لا يسمع دعاءه أو يسمع خولا
 يستجيب له فدعاؤه باطل وضلال كل من سوى الله اما أنه لا
 يسمع دعاء الداعي أو يسمع ولكن لا يستجيب له فإن غير الله لا
 يستقبل بفعل شيء البتة وقد قال تعالى { قُلْ اذْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ
 مِّنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ

وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ {22} وَلَا تَنْفَعُ
 الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذْنَ لَهُ {23} } سبأ 22-23 فغير الله لا
 مالك لشئ ولا شريك في شيء ولا هو معاون للرب في شيء
 بل قد يكون له شفاعة ان كان من الملائكة والانبياء والصالحين
 ولكن لا تتفق الشفاعة عنده الا لمن اذن له فلا بد أن يأذن للشافع
 أن يشفع وان يأذن للمشفوع له أن يشفع له ومن دونه لا يملكون
 الشفاعة البتة فلا يصلح من سواه لأن يكون لها معبودا كما لا
 يصلح أن يكون خالقا رازقا لا الله الا هو وحده لا شريك له له
 الملك وله الحمد وهو على كل شيء قادر ¹

الذين يجمعون بين السحر وعبادة الكواكب من أعظم أنواع الشرك

* فإن من الناس من يسجد للشمس وغيرها من الكواكب ويدعو
 لها بأنواع الأدعية والتعزيمات ويلبس لها من اللباس والخواتم ما
 يظن مناسبته لها ويتحرجي الأوقات والأمكنة والأخرة المناسبة
 لها في زعمه وهذا من أعظم أسباب الشرك الذي ضل به كثير
 من الأولين والآخرين حتى شاع ذلك في كثير من ينتسب إلى
 الإسلام وصنف فيه بعض المشهورين كتابا سماه السر المكتوم
 في السحر ومخاطبة النجوم على مذهب المشركين من الهند
 والصابئين والمشركين من العرب وغيرهم مثل طمطم الهندي
 وملوكشا البابلي وابن وحشية وأبي معشر البلخي وثابت بن قرة
 وأمثالهم من دخل في الشرك وأمن بالجحث والطاغوت وهم
 منتبتون إلى أهل الإسلام كما قال تعالى {إِنَّمَا تَرَى إِلَى الَّذِينَ
 أَوْتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْرِ وَالْطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ
 لِلَّذِينَ كَفَرُوا هُؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَيِّلًا} {51} أُولَئِكَ
 الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا} {52} النساء 51-52
 وقد قال غير واحد من السلف الجب السحر والطاغوت
 الأوثان وبعضهم قال الشيطان وكلاهما حق وهؤلاء يجمعون
 بين الجب الذي هو السحر و الشرك الذي هو عبادة الطاغوت

كما يجمعون بين السحر وعبادة الكواكب وهذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام بل ودين جميع الرسل أنه شرك حرم بل هذا من أعظم أنواع الشرك الذي بعثت الرسل بالنهاي عنه ومخاطبة إبراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه لقومه كانت في نحو هذا الشرك وكذلك قوله تعالى {وَكَذَلِكَ نُرِي} إِبْرَاهِيمَ مَلْكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَيَكُونَ مِنَ الْمُوقَنِينَ {75} فَلَمَّا جَاءَ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكِبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْأَفْلَيْنَ {76} فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازَ غَامِدًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَا كُوْنَنَ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ {77} فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازَ غَامِدًا قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمَ إِنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ {78} إِنِّي وَجَهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ {79} وَحَاجَةُ قَوْمِهِ قَالَ أَتُحَاجِّوْنِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسَعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عَلِمًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ {80} وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنْكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ {81} الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظَلَمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ {82} وَتِلْكَ حُجَّنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِنْ نَشَاءِ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ {83} الاعنام 75-83 فإن إبراهيم عليه السلام سلك هذه السبيل لأن قومه كانوا يتذدون الكوكب أرباباً يدعونها ويسألونها ولم يكونوا هم ولا أحد من العقلاة يعتقد أن كواكب من الكواكب خلق السموات والأرض وإنما كانوا يدعونها من دون الله على مذهب هؤلاء المشركين ولهذا قال الخليل عليه السلام {أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ} 75 {أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ} 76 {فَإِنَّهُمْ عُدُوٌّ لِي إِلَّا رَبُّ الْعَالَمِينَ} 77 الشعراة 75-77 وقال الخليل أيضاً {إِنِّي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ} 26 إلا الذي فطرني فإنه سيهدين 27 الزخرف 27-26 والخليل صلوات الله عليه أنكر شركهم بعبادة الكواكب العلوية وشركهم بعبادة الأوثان التي هي تماثيل وطلاسم لتلك

الكواكب أو هي تماثيل لمن مات من الأنبياء والصالحين وغيرهم وكسر الأصنام كما قال تعالى عنه {فَجَعَلُهُمْ جُذَادًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَنْهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ} 58 الانبياء والمقصود هنا أن الشرك بعبادة الكواكب وقع كثيراً وكذلك الشرك بالمقبورين من دعائهم والتضرع إليهم والرغبة إليهم ونحو ذلك¹

كان ابراهيم موقفنا

* كان ابراهيم موقفنا ليس عنده شك يقترح في يقينه ولهذا لما قال له ربه {أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لَيَطْمَئِنَ قُلْبِي} البقرة 260 وقال تعالى {وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلْكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَيَكُونَ مِنَ الْمُوْقِنِينَ} الأنعام 75¹

الاخلاص ينفي اسباب دخول النار

* إخلاص الدين الله هو الدين الذي لا يقبل الله سواه فهو الذي بعث به الأولين والآخرين من الرسل وانزل به جميع الكتب واتفق عليه أئمة أهل الإيمان وهذا هو خلاصة الدعوة النبوية وهو قطب القرآن الذي تدور عليه رحاه وهذا حقيقة قول لا إله إلا الله وبذلك بعث جميع الرسل وجميع الرسل افتتحوا دعوتهم بهذا الأصل صالح هود وشعيب هود عليهم السلام وغيرهم كل يقول اعبدوا الله ما لكم من إله غيره لا سيما أفضلا الرسل اللذين اتخذوا الله كلاما خليلا إبراهيم ومحمدًا عليهما السلام فإن هذا الأصل بينه الله بهما وأيديهما فيه ونشره بهما بهذه الكلمة هي الإخلاص لله وهي البراءة من كل معبد إلا من الخالق الذي فطرنا و قال تعالى {فَلَمَّا أَفْلَتْ قَالَ يَا قَوْمَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا شَرْكُونَ} 78 {إِنِّي وَجَهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} 79 إلى قوله {لَا تَخَافُونَ أَنْكُمْ

**أَشْرَكُتُمْ بِاللّٰهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلٰيْكُمْ سُلْطٰنًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ
بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ {81} الأنعام 181-77**

*والشيء قد يحب من وجه دون وجه وليس شيء يحب لذاته من كل وجه إلا الله وحده ولا تصلح الإلهية إلا له و{أَلْوَ كَانَ فِيهِما
الْهٰئِهُ إِلٰا اللّٰهُ لَفَسَدَنَا } الأنبياء 22 والإلهية المذكورة في كتاب الله هي العبادة والتائه ومن لوازم ذلك أن يكون هو الرب الخالق وأما ما يظنه طوائف من أهل الكلام أن الأولوية هي نفس الربوبية وأن ما ذكر في القرآن من نفي إله آخر والأمثال المضروبة البينة فالمقصود به نفي رب يشركه في خلق العالم كما هو عادتهم في كتب الكلام فهذا قصور وتقسيم منهم في فهم القرآن وما فيه من الحجج والأمثال أتوا فيه من جهة أن مبلغ علمهم هو ما سلقوه من الطريقة الكلامية فاعتقدوا أن المقصودين واحد وليس كذلك بل القرآن ينفي أن يعبد غير الله أو أن يتخدن إليها فيحبه ويخضع له محبة الإله وخصوصه كما بينت ذلك عامة آيات القرآن مثل قوله تعالى {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللّٰهِ أَنْدَادًا } البقرة 165 ولهذا قال الخليل **{ لَا أَحِبُّ الْأَفْلَيْنَ }** 76 ومن المعلوم أن كل حي فيه إرادة وعمل بحسبه وكل متحرك فأصل حركته المحبة والإرادة ولا صلاح للموجودات إلا أن يكون كمال محبتها وحركتها لله تعالى كما لا وجود لها إلا أن يبدعها الله ¹

*قال تعالى {أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَوَاهُ أَفَنَّتْ تَكُونُ عَلٰيْهِ
وَكِيلًا } 43 {أَمْ تَحْسِبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقُلُونَ إِنْ هُمْ إِلٰا
كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا } 44 الفرقان 43-44 فمن جعل ما يألهه هو ما يهواه فقد اتخاذ الله هوه اي جعل معهوده هو ما يهواه وهذا حال المشركين الذين يعبد أحدهم ما يستحسنونه فهم يتخذون اندادا من دون الله يحبونهم كحب الله ولهذا قال الخليل **{ لَا أَحِبُّ الْأَفْلَيْنَ }** 76 فإن قومه لم يكونوا منكرين للصانع ولكن كان أحدهم يعبد ما يستحسنونه ويظنه نافعا كالشمس والقمر

والكواكب والخليل بين ان الأفل يغيب عن عابده وتحجبه عنه
 الواجب فلا يرى عابده ولا يسمع كلامه ولا يعلم حاله ولا ينفعه
 ولا يضره بسبب ولا غيره فاي وجه لعبادة من يألف وكلما حقق
 العبد الاخلاص في قول لا اله الا الله خرج من قلبه تاله ما يهواه
 وتصرف عنه المعا�ى والذنوب كما قال تعالى { كذاك
 لِتُصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ }
 يوسف 24 فعل صرفسوء الفحشاء عنه بأنه من عباد الله
 المخلصين وهو لاءهم الذين قال فيهم { إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ أَكَعْلَيْهِمْ سُلْطَانٌ } الحجر 42 وقال الشيطان { قَالَ فَيُعَزِّزُكَ لَاْغُوَيْنَهُمْ أَجْمَعِينَ } 82
 المخلصين { 83 } ص 82-83 وقد ثبت في الصحيح عن النبي انه
 قال من قال لا اله الا الله مخلصا من قلبه حرمه الله على النار
 فإن الاخلاص ينفي اسباب دخول النار فمن دخل النار من
 القائلين لا اله الا الله لم يحقق اخلاصها المحرم له على النار بل
 كان في قلبه نوع من الشرك الذي اوقعه فيما ادخله النار والشرك
 في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل ولهذا كان العبد مأمورا في
 كل صلاة ان يقول { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } الفاتحة 5
 والشيطان يأمر بالشرك والنفس تطيعه في ذلك فلا تزال النفس
 تلتفت إلى غير الله أما خوفا منه وأاما رجاء له فلا يزال العبد
 مفتقرًا إلى تخلص توحده من شوائب الشرك وفي الحديث الذي
 رواه ابن أبي عاصم وغيره عن النبي انه قال يقول الشيطان
 اهلكت الناس بالذنوب واهلكوني بلا الله الا الله والاستغفار فلما
 رأيت ذلك بثنت فيهم الأهواء فهم يذنبون ولا يستغفرون لأنهم
 يحسبون انهم يحسنون صنعا¹

*قال الخليل { لا أَجُبُ الْأَفْلَيْنَ } الأنعام 76 فإن الكواكب في
 حال أقولها قد إنقطع أثرها عنا بالكلية فلم تبق شبهة يستند إليها
 المتعلق بها والرب الذي يدعى ويسأل ويرجى ويتوكل عليه لا
 بد أن يكون قيوما يقيم العبد في جميع الأوقات والأحوال كما قال
 { وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ } الفرقان 58 وقال { اللَّهُ لَا

إِلَهٌ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ } البقرة 255 فهذا وغيره من أنواع
النظر والإعتبار يوجب أن العبد لا يرجو إلا الله ولا يتوكلا
عليه¹

*فليس في الكائنات ما يسكن العبد اليه ويطمئن به ويتنعم
بالتوجه اليه الا الله سبحانه ومن عبد غير الله وإن أحبه وحصل
له به مودة في الحياة الدنيا ونوع من اللذة فهو مفسدة لصاحبه
أعظم من مفسدة التذاذ أكل الطعام المسموم {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَهَةٌ
إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ } الأنبياء 22
فإن قوامهما بأن تأله الآله الحق فلو كان فيهما آلة غير الله لم
يكن إليها حقاً إذ الله لا سمى له ولا مثل له فكانت تفسد لانتفاء ما
به صلاحها هذا من جهة الإلهية وأما من جهة الربوبية
فشيء آخر كما نقرره في موضعه واعلم أن فقر العبد إلى
الله أن يعبد الله لا يشرك به شيئاً ليس له نظير فيقاد به لكن يشبه
من بعض الوجوه حاجة الجسد إلى الطعام والشراب وبينهما
فروق كثيرة فإن حقيقة العبد قلبه وروحه وهي لا صلاح لها
إلا بالله الذي لا إله إلا هو فلا تطمئن في الدنيا إلا بذكره
وهي كادحة اليه كدحا فملاقيته ولابد لها من لفائه ولا صلاح لها
إلا بلقاءه ولو حصل للعبد لذات أو سرور بغير الله فلا يدوم
ذلك بل ينتقل من نوع إلى نوع ومن شخص إلى شخص ويتنعم
بهذا في وقت وفي بعض الأحوال وتارة أخرى يكون ذلك الذي
يتنعم به والتذ غير منعم له ولا ملذ له بل قد يؤديه اتصاله به
وجوده عنده ويضره ذلك وأما الله فلا بد له منه في كل حال
وكل وقت وأينما كان فهو معه ولهذا قال أماما إبراهيم
الخليل صلى الله عليه وسلم { لَا أَحِبُّ الْأَفْلَيْنَ } الأنعام 76
وكان أعظم آية في القرآن الكريم {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ
الْقَيُّومُ } البقرة 255¹

*فإن الحى لابد له من اراده فلا يمكن حيا أن لا تكون له إرادة فإن الإرادة التي يحبها الله ورسوله ويأمر بها أمر إيجاب أو أمر إستحباب لا يدعها إلا كافر أو فاسق أو عاص إن كانت واجبة وإن كانت مستحبة كان تاركها تاركا لما هو خير له والله تعالى وصف الأنبياء والصديقين بهذه الإرادة فقال تعالى {ولَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْعَدَاءِ وَالْعَنْسِيٌّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ} {الأنعام 52} وقال تعالى {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ} {الذاريات 56} ولا عبادة إلا بإرادة الله ولما أمر به وقال تعالى {وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} {البينة 5} وإخلاص الدين له هو إرادته وحده بالعبادة وقال تعالى {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحْبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحِبِّكُمُ اللَّهُ} {آل عمران 31} وكل محب فهو مرید وقال الخليل عليه السلام **{لا أَحُبُّ الْأَفْلَئِ}**

{الأنعام 76} ثم قال {إِنِّي وَجَهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ} {الأنعام 79} ومثل هذا كثير في القرآن يأمر الله بإرادته وإرادة ما يأمر به وينهى عن إرادة غيره وأراده ما نهى عنه وقد قال النبي إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل إمرىء ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه فهما إرادتان إرادة يحبها الله ويرضاها وارادة لا يحبها الله ولا يرضها بل أما نهى عنها وإنما لم يأمر بها ولا ينهى عنها¹

تعليق النجاۃ والفلاح في الآخرة بالتوحید

*التوحید الذي جاءت به الرسل ونزلت به الكتب وبه بعث الله الأولين والآخرين من الرسل قال تعالى {وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ اللَّهَ يُعْبُدُونَ} {الزخرف 45} وقال تعالى {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّ عَلَيْهِ الضَّلَالُ} {النحل 36} وقال تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ

رَسُولٌ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونَ } الْأَنْبِيَاءُ 25

وقد أخبر الله تعالى عن كل من الرسل مثل نوح و هود و صالح و شعيب وغيرهم أنهم قالوا لقومهم آ عبدوا الله مالكم من إله غيره وهذا أول دعوة الرسل وأخرها قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح المشهور أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنني رسول الله فإذا قالوها فقد عصموها مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح أيضاً من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة وقال من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة والقرآن كله مملوء من تحقيق هذا التوحيد والدعوة إليه وتعليق النجاة والخلاص واقتضاء السعادة في الآخرة به ومعلوم أن الناس مت互相لون في تحقيقه وحقيقة إخلاص الدين كله الله والفناء في هذا التوحيد مقررون بالبقاء وهو أن تثبت إلهية الحق في قلبك وتنتفي إلهية ما سواه فتجمع بين النفي والإثبات فتقول لا إله إلا الله فالنفي هو الفناء والإثبات هو البقاء وحقيقة أن تقني بعبادته عما سواه ومحبته عن محبة ما سواه وبخشتيه عن خشية ما سواه وبطاعتني عن طاعة ما سواه وبمواطنه عن موالاته ما سواه وبسؤاله عن سؤال ما سواه وبالاستعاذه به عن الاستعاذه بما سواه وبالتوكل عليه عن التوكيل على ما سواه وبالتفويض إليه عن التقويض إلى ما سواه وبالإنابة إليه عن الإنابة إلى ما سواه وبالتحاكم إليه عن التحاكم إلى ما سواه وبالخاصم إليه عن التخاصم إلى ما سواه وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول إذا قام يصلي من الليل وقد روي أنه كان يقوله بعد التكبير اللهم لك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت الحق وقولك الحق ووعدك الحق ولقاوك حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد حق اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت فاغفر لي إنه لا يغفر الذنب إلا أنت

وقال تعالى {قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَخْدُ لَيْلًا فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
 وَهُوَ يُطْعَمُ وَلَا يُطْعَمُ} الأنعام 14 وقال {أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغَى حَكْمًا
 وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا} الأنعام 114 وقال {
 أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيْهَا الْجَاهِلُونَ} 64 {وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ
 وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَيْلَنْ أَشْرَكْتَ لَيْخَبْطَنْ عَمْلَكَ وَلَتَكُونَنْ مِنَ
 الْخَاسِرِينَ} 65 {بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ} 66 الزمر
 64-66 وقال تعالى {قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ
 مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مَلَةً إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} 161
 {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} 162
 {لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أَمْرُتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ} 163 {قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ
 أَبْغِي رَبًا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكُسِبْ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا
 عَلَيْهَا} 164 الأنعام 161-164 وهذا التوحيد كثير في
 القرآن وهو أول الدين وأخره وباطن الدين وظاهره وذروة سلام
 هذا التوحيد لأولى العزم من الرسل ثم للخليلين محمد وإبراهيم
 صلى الله عليهما وسلم تسليماً فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه
 وسلم من غير وجه أنه قال إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم
 خليلاً وأفضل الرسل بعد محمد صلى الله عليه وسلم إبراهيم
 فإنه قد ثبت في الصحيح عنه أنه قال عن خير البرية إنه إبراهيم
 وهو الإمام الذي جعله الله إماماً وجعله أمّة والأمة القدوة الذي
 يقتدى به فإنه حق هذا التوحيد وهو الحنيفة ملته قال تعالى
 {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا
 لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بِرَاءٌ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا
 بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَعْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قُولُ
 إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَا سْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلَكُ لَكَ مِنْ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا
 عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْبَنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ} 4 {رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً
 لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} 5 {لَقَدْ كَانَ
 لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ} 6
 الممتحنة 4-6 وقال تعالى {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ
 إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ} 26 {إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدُنَا} 27

وَجَعَلُهَا كَلِمَةً بَاقِيَّةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ {28} الزخرف 26-28

وقال عن إبراهيم أنه قال {إِنِّي وَجَهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} {79}

وَحَاجَهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتَحَاجُونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِي وَلَا أَخَافُ مَا شَرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسَعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عَلِمًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ {80} وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنْكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنْزَلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ {81} الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُلْسِنُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمُ الْمُهْتَدُونَ {82} وَتَلَكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّنْ نَشَاءَ إِنْ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلَيْمٌ {83} الأنعام 78-83

وقال {74} قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ {75} أَنْتُمْ وَآباؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ {76} فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبُّ الْعَالَمِينَ {77} الشعرا

والخليل هو الذي تخللت محبة خليله قلبه فلم يكن فيه مسلك لغيره كما قيل قد تخللت مسلك الروحى منى وبذا سمى الخليل خليلا وقد قيل إنه مأخوذ من الخليل وهو الفقير مشتق من الخلة بالفتح كما قيل وإن أتاه خليل يوم مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم والصواب أنه من الأول وهو مستلزم للثاني فإن كمال حبه الله هو محبة عبودية وافتقار ليست كمحبة

الرب لعبداته فإنها محبة استغناه وإحسانه ولهذا قال تعالى {وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلُّ وَكَبِرَهُ تَكْبِيرًا} الإسراء 111 فالرب لا يوالى عبده من ذل كما يوالى المخلوق لغيره بل يوالى إحسانا إليه والولي من الولاية والولاية ضد العداوة وأصل الولاية الحب وأصل العداوة البغض وإذا قيل هو مأخوذ من الولي وهو القرب فهذا جزء معناه فإن الولي يقرب إلى وليه والعدو يبعد عن عدوه ولما كانت الخلة تستلزم كمال المحبة واستيعاب القلب لم يصلح للنبي صلى الله عليه وسلم أن يخالل مخلوقا بل قال لو كنت متخدنا من أهل الأرض خليلا لا تخذت أبا بكر خليلا ولكن صاحبكم

¹ خليل الله

الرد على الذين ينكرون صفات الله تعالى الاختيارية

* ومن عجائب الأمور أن كثيرا من الجهمية نفاة الصفات والأفعال ومن اتبعهم على نفي الأفعال يستدلون على ذلك بقصة الخليل صلى الله عليه وسلم كما ذكر ذلك بشرا المرسي وكثير من المعتزلة ومن أخذ ذلك عنهم أو من أخذ ذلك عنهم كأبي الوفاء بن عقيل وأبي حامد والرازي وغيرهم وذكروا في كتبهم أن هذه الطريقة هي طريقة إبراهيم الخليل عليه صلوات الله وسلامه وهو قوله { لا أَحِبُّ الْأَفْلَيْنَ } **الأنعام 76** قالوا فاستدل بالأفول الذي هو الحركة والانتقال على حدوث ما قام به ذلك كالكوكب والقمر والشمس وظن هؤلاء أن قول إبراهيم عليه السلام { هَذَا رَأَيْتِ } **الأنعام 76** أراد به هذا خالق السماوات والأرض القديم الأزلي وأنه استدل على حدوثه بالحركة وهذا خطأ من وجوه أحدها أن قول الخليل هذا ربي سواء قاله على سبيل التقدير لتقرير قوته أو على سبيل الإستدلال والترقي أو غير ذلك ليس المراد به هذا رب العالمين القديم الأزلي الواجب الوجود بنفسه ولا كان قومه يقولون إن الكواكب أو القمر أو الشمس رب العالمين الأزلي الواجب الوجود بنفسه ولا قال هذا أحد من أهل المقالات المعروفة التي ذكرها الناس لا من مقالات أهل التعطيل والشرك الذين يبعدون الشمس والقمر والكواكب ولا من مقالات غيرهم بل قوم إبراهيم صلى الله عليه وسلم كانوا يتذذنها أرباباً يدعونها ويتقربون إليها بالبناء عليها والدعوة لها والسجود والقرابين وغير ذلك وهو دين المشركين الذين صنف الراري كتابه على طريقتهم وسماه السر المكتوم في دعوة الكواكب والنجوم والسحر والطلاسم والعزائم وهذا دين المشركين من الصابئين كالكش丹يين والكنعانيين واليونانيين وأرسطو وأمثاله من أهل هذا الدين وكلامه معروف في السحر الطبيعي والسحر الروحاني والكتب المعروفة بذخيرة الإسكندر بن فيليبس الذي يؤرخون به وكان قبل المسيح بنحو ثلاثة عشر سنة وكانت

اليونان مشركين يعبدون الأوثان كما كان قوم إبراهيم مشركين
يعبدون الأوثان ولهذا قال الخليل {إِنَّمَا تَعْبُدُونَ} {26}
إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِيْنِ} {27} الزخرف 26-27 وقال {
أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ} {75} أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ} {76} فَإِنَّهُمْ
عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبُّ الْعَالَمِينَ} {77} الشعراة 75-77 وأمثال ذلك مما
يبين تبرؤه مما يعبدونه غير الله وهو لاء القوم عامتهم من نفاة
صفات الله وأفعاله القائمة به كما هو مذهب الفلسفه المشائين فإنهم
يقولون إنه ليس له صفة ثبوتيه بل صفاته إما سلبية وإما إضافية
وهو مذهب القرامطة الباطنية القائلين بدعوة الكواكب والشمس
والقمر والسجود لها كما كان على ذلك من كان عليه من بنى عبيد
ملوك القاهره وأمثالهم فالشرك الذي نهى عنه الخليل وعادى
أهله عليه كان أصحابه هم أئمه هؤلاء النفاة للصفات والأفعال
وأول من أظهر هذا النفي في الإسلام الجعد بن درهم معلم مروان
بن محمد قال الإمام أحمد وكان يقال إنه من أهل حران وعنده أخذ
الجهنم بن صفوان مذهب نفاة الصفات وكان بحران أئمه هؤلاء
الصابئة الفلسفه بقايا أهل هذا الدين أهل الشرك ونفي الصفات
والأفعال ولهم مصنفات في دعوة الكواكب كما صنفه ثابت بن قرة
وأمثاله من الصابئة الفلسفه أهل حران وكما صنفه أبو معشر
البلخي وأمثاله وكان لهم بها هيكل العلة الأولى وهيكل العقل الفعال
وهيكل النفس الكلية وهيكل زحل وهيكل المشترى وهيكل المريخ
وهيكل الشمس وهيكل الزهرة وهيكل عطارد وهيكل القمر وقد
بسط هذا في غير هذا الموضوع الوجه الثاني أنه لو كان المراد
بقوله هذا ربى أنه رب العالمين لكان قصة الخليل حجة
على نقىض مطلوبهم لأن الكوكب والقمر والشمس ما زال متحركا
من حين بزوغه إلى عند أفاله وغروبها وهو جسم متحرك متغير
صغير فلو كان مراده هذا للزم أن يقال إن إبراهيم لم يجعل الحركة
والانتقال مانعة من كون المتحرك المنقل رب العالمين بل ولا
كونه صغيرا بقدر الكوكب والشمس والقمر وهذا مع كونه لا يظنه
عاقل من هو دون إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه فإن جوزوه

عليه كان حجة عليهم لا لهم الوجه الثالث أن الأفول هو المغيب والإحتجاج ليس هو مجرد الحركة والانتقال ولا يقول أحد لا من أهل اللغة ولا من أهل التفسير إن الشمس والقمر في حال مسيرةهما في السماء إنهم آفلان ولا يقول للكواكب لمرئية في السماء في حال ظهورها وجريانها إنها آفلة ولا يقول عاقل لكل من مشى وسافر وسار وطار إنه آفل الوجه الرابع أن هذا القول الذي قالوه لم يقله أحد من علماء السلف أهل التفسير ولا من أهل اللغة بل هو من التفسيرات المبتدعة في الإسلام كما ذكر ذلك عثمان بن سعيد الدارمي وغيره من علماء السنة وبينوا أن هذا من التفسير المبتدع وبسبب هذا الإبتداع أخذوا ابن سينا وأمثاله لفظ الأفول بمعنى الإمكاني كما قال في إشاراته قال قوم إن هذا الشيء المحسوس موجود لذاته واجب لنفسه لكن إذا تذكرت ما قيل في شرط واجب الوجود لم تجد هذا المحسوس واجبا وتلويت قوله تعالى { لا أَحِبُّ الْأَفْلَيْنَ } الأنعام 76 فإن الهوى في حظيرة الإمكان أفول ما فهذا قوله ومن المعلوم بالضرورة من لغة العرب أنهم لا يسمون كل مخلوق موجود آفلا ولا كل موجود بغيره آفلا ولا كل موجود يجب وجوده بغيره لا بنفسه آفلا ولا ما كان من هذه المعاني التي يعنيها هؤلاء بلفظ الإمكاني بل هذا أعظم افتراض على القرآن واللغة من تسمية كل متحرك آفلا ولو كان الخليل أراد بقوله { لا أَحِبُّ الْأَفْلَيْنَ } الأنعام 76 هذا المعنى لم ينتظر مغيب الكوكب والشمس والقمر ففساد قول هؤلاء المتفاسفة في الإستدلال بالآية أظهر من فساد قول أولئك وأعجب من هذا قول من قال في تفسيره إن هذا قول المحققين واستعارته لفظ الهوى والحظيرة لا يوجب تبديل اللغة المعروفة في معنى الأفول فإن وضع هو لنفسه وضع آخر فليس له أن يتلو عليه كتاب الله تعالى فيبدله أو يحرقه وقد ابتدعت القراءة الباطنية تفسيرا آخر كما ذكره أبو حامد في بعض مصنفاته كمشكاة الأنوار وغيرها أن الكواكب والشمس والقمر هي النفس والعقل الفعال والعقل الأول ونحو ذلك وشبهتهم في ذلك أن إبراهيم صلي الله

عليه وسلم أجل من أن يقول لمثل هذه الكواكب إنه رب العالمين بخلاف ما ادعوه من النفس ومن العقل الفعال الذي يزعمون أنه رب كل ما تحت فلك القمر والعقل الأول الذي يزعمون أنه مبدع العالم كله وقول هؤلاء وإن كان معلوم الفساد بالضرورة من دين الإسلام فابتداع أولئك طرق مثل هؤلاء على هذا الإلحاد ومن المعلوم بالإضطرار من لغة العرب أن هذه المعاني ليست هي المفهوم من لفظ الكوكب والقمر والشمس وأيضاً فلو قدر أن ذلك يسمى كوكباً وقمراً وشمساً بنوع من التجوز فهذا غايته أن يسوغ للإنسان أن يستعمل اللفظ في ذلك لكنه لا يمكنه أن يدعي أن أهل اللغة التي نزل بها القرآن كانوا يريدون هذا بهذا القرآن نزل بلغة الذين خاطبهم الرسول صلى الله عليه وسلم فليس لأحد أن يستعمل ألفاظه في معانٍ بنوع من التشبيه والإستعارة ثم يحمل كلام من تقدمه على هذا الوضع الذي أحده هو وأيضاً فإنه قال تعالى **{فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكِبًا}** **{الأنعام 76}** ذكره منكراً لأن الكواكب كثيرة ثم قال **{فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ}** **{الأنعام 77}** **{فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ}** **{الأنعام 78}** بصيغة التعريف لكي يبين أن المراد القمر المعروف والشمس المعروفة وهذا صريح بأن الكواكب متعددة وأن المراد واحد منها وأن الشمس والقمر هما هذاه المعرفان وأيضاً فإنه قال **{لَا أَحِبُّ الْأَفْلَى}** **{الأنعام 76}** والأفول هو المغيب والإحتجاب فإن أريد بذلك المغيب عن الأ بصار الظاهرة فما يدعونه من العقل والنفس لا يزال محتاجاً عن الأ بصار لا يرى بحال بل وكذلك واجب الوجود عندهم لا يرى بالأ بصار بحال بل تمنع رؤيته بالأ بصار عندهم وإن أراد المغيب عن بصائر القلوب فهذا أمر نسبي إضافي فيمكن أن تكون تارة حاضرة في القلب وتارة غائبة عنه كما يمكن مثل ذلك في واجب الوجود فالأفول أمر يعود إلى حال العارف بها لا يكتسبها صفة نقص ولا كمال ولا فرق في ذلك بينها وبين غيرها وأيضاً فالعقل عندهم عشرة والنفوس تسعة بعدد الأفلاك فلو ذكر القمر والشمس فقط لكان شبهتهم أقوى حيث يقولون نور

القمر مستفاد من نور الشمس كما أن النفس متولدة عن العقل مع ما في ذلك لو ذكروه من الفساد أما مع ذكر كوكب من الكواكب فقولهم هذا من أظهر الأقوال لفaramطة الباطنية فسادا لما في ذلك من عدم الشبه والمناسبة التي تسوغ في اللغة إرادة مثل هذا¹

* قال الرازى الحجة الثالثة قصة الخليل عليه الصلاة والسلام { لا أَحِبُّ الْأَفْلَيْنَ } الأنعام 76 والأفول عبارة عن التغير وهذا يدل على ان المتغير لا يكون لها أصلا والجواب من وجوه أحدها أنا لا نسلم أن الأفول هو التغير ولم يذكر على ذلك حجة بل لم يذكر الا مجرد الدعوى الثاني أن هذا خلاف اجماع أهل اللغة والتفسير بل هو خلاف ما علم بالاضطرار من الدين والنقل المتواتر للغة والتفسير فان الأفول هو المغيب يقال أفلت الشمس تألف وتتألف أفالا اذا غابت ولم يقل أحد قط أنه هو التغير ولا أن الشمس اذا تغير لونها يقال أنها أفلت ولا اذا كانت متحركة في السماء يقال أنها أفلت ولا أن الريح اذا هبت يقال أنها أفلت ولا أن الماء اذا جرى يقال أنه أفل ولا أن الشجر اذا تحرك يقال أنه أفل ولا أن الآدميين اذا تكلموا او مشوا وعملوا أعمالهم يقال أنهم أفلوا بل ولا قال أحد قط ان من مرض او اصفر وجهه او احمر يقال أنه أفل فهذا القول من أعظم الأقوال افتراء على الله وعلى خليل الله وعلى كلام الله عز وجل وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم المبلغ عن الله وعلى أمته محمد جميعا وعلى جميع أهل اللغة وعلى جميع من يعرف معانى القرآن الثالث

ان قصة الخليل عليه السلام حجة عليكم فانه لما رأى كوكباً وتحرك الى الغروب فقد تحرك ولم يجعله آفلا ولما رأى القمر بازغا راه متحركاً ولم يجعله آفلا فلما رأى الشمس بازحة علم أنها متحركة ولم يجعلها آفلة ولما تحركت الى ان غابت والقمر الى ان غاب لم يجعله آفلا الرابع قوله ان الأفول عبارة عن التغير ان أراد بالتغيير الاستحالة فالشمس والقمر والكواكب لم تستحل بالمغيب وان أراد به التحرك فهو لا يزال

دل على أنه يألف تارة متحركا وقوله **{ فَلَمَّا أَفْلَ }** **{ الأنعام 76}**
 ولا يألف أخرى فان **{ لَمَّا }** **{ الأنعام 76}**
 بزمان هذا الفعل والمعنى أنه حين أفل **{ قَالَ لَا أُحِبُّ الْأَفْلَيْنَ }**
 وقوله **{ فَلَمَّا أَفْلَ }** **{ الأنعام 76}** فانما قال ذلك حين أفلوه
{ الأنعام 76} دل على حدوث الأفول وتتجده والحركة لازمة له
 فليس الأفول هو الحركة ولفظ التغيير والتحرك مجمل ان أريد به
 التحرك أو حلول الحوادث فليس هو معنى التغيير في اللغة وليس
 الأفول هو التحرك ولا التحرك هو التغيير بل الأفول أخص من
 التحرك والتغيير أخص من التحرك وبين التغيير والأفول
 عموم وخصوص فقد يكون الشيء متغيرا غير أفل وقد يكون
 آفلا غير متغير وقد يكون متحركا غير متغير ومحركا غير أفل
 وان كان التغيير أخص من التحرك على أحد الاصطلاحين فان
 لفظ الحركة قد يراد بها الحركة المكانية وهذه لا تستلزم التغيير
 وقد يراد به أعم من ذلك كالحركة في الكيف والكم مثل حركة
 النبات بالنمو وحركة نفس الإنسان بالمحبة والرضا والغضب
 والذكر فهذه الحركة قد يعبر عنها بالتغيير وقد يراد بالتغيير
 في بعض المواقع الاستحالة ففي الجملة الاحتجاج بلفظ
 التغيير ان كان سمعيا فالأفول ليس هو التغيير وان كان عقليا فان
 أريد بالتغيير الذي يمتنع على الرب محل النزاع لم يحتاج به وان
 أريد به موقع الاجماع فلا منازعة فيه وأفسد من هذا قول
 من يقول الأفول هو الامكان كما قاله ابن سينا ان الهوى في
 حضيرة الامكان أقول بوجه ما فانه يلزم على هذا أن يكون كل
 ما سوى الله آفلا ولا يزال آفلا فان كل ما سواه ممكنا ولا يزال
 ممكنا ويكون الأفول وصفا لازما لكل ما سوى الله كما أن كونه
 ممكنا وفقير إلى الله وصف لازم له وحينئذ فتكون الشمس والقمر
 والكواكب لم تزل ولا تزال آفلة وجميع ما في السموات والأرض
 لا يزال آفلا فكيف يصح قوله مع ذلك فلما آفل قال لا أحب
 الأفلين وعلى كلام هؤلاء المحرفين لكلام الله تعالى وكلام
 خليله ابراهيم صلى الله عليه وسلم عن مواضعه هو أفل

قبل أن يبزغ ومن حين بزغ والى أن غاب وكذلك جميع ما
يرى وما لا يرى في العالم أهل القرآن بين أنه لما رأها بازغة
قال {هَذَا رَبِّي} {الأنعام} 76 فلما أفلت بعد ذلك قال {قَالَ
لَا أُحِبُّ الْأَفْلَئِنَ} {الأنعام} 76 والله أعلم¹

*قال تعالى {لَا أُحِبُّ الْأَفْلَئِنَ} {الأنعام} 76 الأول هو التغيب
والاحتجاب باتفاق أهل اللغة والتفسير وهو من الأمور الظاهرة
في اللغة وسواء أريد بالأفول ذهاب ضوء القمر والكواكب
بطلوع الشمس أو أريد به سقوطه من جانب المغرب فإنه اذا
طلعت الشمس يقال انها غابت الكواكب واحتجبت وان كانت
موجودة في السماء ولكن طمس ضوء الشمس نورها وهذا
ما ينحل به الاشكال الوارد على الآية في طلوع الشمس بعد
افول القمر وابراهيم عليه السلام لم يقل {لَا أُحِبُّ الْأَفْلَئِنَ}
{الأنعام} 76 لما رأى الكوكب يتحرك والقمر والشمس بل انما
قال ذلك حين غاب واحتجب وان ابراهيم لم يكن قوله {هَذَا
رَبِّي} {الأنعام} 76 أنه رب العالمين ولا أعتقد أحد من بنى آدم
ان كوكبا من الكواكب خلق السموات والارض وكذلك الشمس
والقمر ولا كان المشركون قوم ابراهيم يعتقدون ذلك بل كانوا
مشركين بالله يعبدون الكواكب ويدعونها وبينون لها الهياكل
ويعبدون فيها أصنامهم وهو دين الكلدانيين والكش丹يين
والصابئين المشركين لا الصابئين الحنفاء وهم الذين صنف
صاحب السر المكتوم في السحر ومخاطبة النجوم كتابه
على دينهم وهذا دين كان كثير من أهل الأرض عليه بالشام
والجزيرة والعراق وغير ذلك وكانوا قبل ظهور دين المسيح
عليه السلام وكان جامع دمشق وجامع حران وغيرهما موضع
بعض هياكلهم هذا هيكل المشترى وهذا هيكل الزهرة وكانوا
يصلون إلى القطب الشمالي وبدمشق محاريب قديمة إلى الشمال
والفلاسفة اليونانيون كانوا من جنس هؤلاء المشركين يعبدون
الكواكب والاصنام ويصنعون السحر وكذلك أهل مصر وغيرهم
وجمهور المشركين كانوا مقررين برب العالمين والمنكر له قليل

مثل فرعون ونحوه وقوم ابراهيم كانوا مقربين بالصانع ولها
 قال لهم ابراهيم الخليل { أَفَرَأَيْمَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ } 75 { أَنْتُمْ
 وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ } 76 { فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبُّ
 الْعَالَمِينَ } 77 { الشعراء 75-77 فعادي كل ما يعبدونه الا رب
 العالمين وقال تعالى { قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أَسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ
 وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ
 اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنُكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا
 بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ لِأَيِّهِ لَا سْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلَكُ لَكَ مِنْ
 اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوْكِنَنَا وَإِلَيْكَ أَنْبَنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ }
 { الممتحنة 4 وقال الخليل عليه السلام { أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِنُونَ }
 { 95 } وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ } 96 { الصافات 95-96 وقال
 تعالى في سورة الانعام { فَلَمَّا أَفْلَتْ قَالَ يَا قَوْمَ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا
 تُشْرِكُونَ } 78 { إِنِّي وَجَهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ
 حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ } 79 { وَحَاجَهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتَحَاجُونِي فِي
 اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا
 وَسَعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفْلَأْ تَنْذِكُونَ } 80 { وَكَيْفَ أَخَافُ مَا
 أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنْكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنْزِلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا
 فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } 81 { الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ
 يُلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِطُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهَنَّدُونَ } 82 { الانعام
 78-82 قال الله تعالى { وَتَلَكَ حُجَّتُنَا أَنْبَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ
 نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِنْ نَشَاءٍ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ } 83 { الانعام 183¹
 * قالوا حلول الحوادث به أقول والخليل قد قال { لا أَحْبُ
 الْأَفْلَيْنَ } **الأنعام 76** و الأفل هو المتحرك الذي تقوم به
 الحوادث فيكون الخليل قد نفي المحبة عن تقويم به
 الحوادث فلا يكون لها اذا قال المنازع أنا أريد بكونه تغير أنه
 تكلم بمشيئته وقدرته وأنه يحب منا الطاعة ويفرج بتوبة التائب
 ويأتي يوم القيمة قيل فهب انك سميت هذا تغيرا فلم قلت أن هذا
 ممتنع فهذا محل النزاع كما قال الرازى فالمقدم هو الثانى فقد
 ثبت فى الأحاديث الصحيحة أن الله يوصف بالغيرة وهى

مشتقة من التغیر فقال صلی الله علیه وسلم فی
الحادیث الصحیح لا أحد أغیر من الله أن یزّنی عبده أو ترّنی
أمته و قال أيضا لا أحد أحب اليه المدح من الله من أجل
ذلك مدح نفسه ولا أحد أحب اليه العذر من الله من أجل ذلك بعث
الرسل وأنزل الكتب ولا أحد أغیر من الله من أجل ذلك حرم
الفواحش ما ظهر منها وما بطن وقال أتعجبون من غیرة
سعد لأنّا أغیر منه والله أغیر مني والجواب أن قصّة
الخليل حجة عليهم لا لهم وهم المخالفون لابراهیم ولنبینا
ولغيرهما من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وذلك أن الله تعالى
قال { فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ
لَا أَحِبُّ الْأَفْلَيْنَ } 76 فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازْغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا
أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَا كُوْنَنَ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ } 77 فَلَمَّا
رَأَى الشَّمْسَ بَازْغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمَ
إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ } 78 إِنِّي وَجَهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنِ الْمُشْرِكِينَ } 79 الأنعام

76 - 79 فقد أخبر الله في كتابه أنه من حين بزغ الكوكب والقمر
والشمس والى حين افولها لم يقل الخليل لا أحب البازغين ولا
المتحولين ولا أحب من تقوم به الحركات ولا
الحوادث ولا قال شيئا مما يقوله النفاة حين أفل الكوكب والشمس
والقمر و الأول باتفاق اهل اللغة والتفسير هو الغيب
والاحتاجـ بل هذا معلوم بالاضطرار من لغة العرب التي نزل
بها القرآن وهو المراد باتفاق العلماء فلم يقل ابراهيم **لَا**
أَحِبُّ الْأَفْلَيْنَ } الأنعام 76 الا حين أفل وغاب عن الانصار فلم
يبق مرئيا ولا مشهودا فحينئذ قال **{ لَا أَحِبُّ الْأَفْلَيْنَ } الأنعام 76**
وهذا يقتضى أن كونه متحركا منتقلأ تقوم به الحوادث بل كونه
جسما متحيزا تقوم به الحوادث لم يكن دليلا عند ابراهيم على
نفي محبته فان كان ابراهيم انما استدل بالأول على انه
ليس رب العالمين كما زعموا لزم من ذلك أن يكون ما يقوم به
الأول من كونه متحركا منتقلأ تحله الحوادث بل ومن كونه

جسماً متحيزاً لم يكن دليلاً عند إبراهيم على أنه ليس برب العالمين وحينذاك فيلزم أن تكون لا على تعبيين مطلوبهم وهكذا أهل البدع لا يكادون يحتجون بحجة سمعية ولا عقلية إلا وهي عند التأمل حجة عليهم لا لهم ولكن إبراهيم عليه السلام لم يقصد بقوله {هَذَا رَبِّي} **الأنعام 76** أنه رب العالمين ولا كان أحد من قومه يقولون أنه رب العالمين من تجويف ذلك عليهم بل كانوا مشركين مقررين بالصانع وكانوا يتخدون الكواكب والشمس والقمر أرباباً يدعونها من دون الله وبينون لها الهياكل وقد صنفت في مثل مذهبهم كتب مثل كتاب السر المكتوم في السحر ومخاطبة النجوم وغيرها من الكتب ولهذا قال الخليل {قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ} **75** {أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ} **76** {فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبُّ الْعَالَمِينَ} **77** الشعراة 75-77 وقال تعالى {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ اذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءٌ مِنْكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبْدَأَ حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ} **المتحنة 4** ولهذا قال الخليل في تمام الكلام {إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا شَرْكُونَ} **78** {إِنِّي وَجَهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} **79** **الأنعام 78-79** بين أنه إنما يعبد وحده فله يوجه وجهه إذا توجه قصده إليه يتبع قصده وجهه فالوجه توجه حيث توجه القلب فصار قلبه وقصده ووجهه متوجهاً إلى الله تعالى ولهذا قال وما أنا من المشركين لم يذكر أنه أقر بوجود الصانع فان هذا كان معلوماً عند قومه لم يكونوا ينazuونه في وجود فاطر السموات والأرض وإنما كان النزاع في عبادة غير الله واتخاذه رباً فكانوا يعبدون الكواكب السماوية ويستخدمون لها أصناماً أرضية وهذا النوع الثاني من الشرك فان الشرك في قوم كان أصله من عبادة الصالحين أهل القبور ثم صوروا تماثيلهم فكان شركهم بأهل الأرض اذ كان الشيطان إنما يضل الناس بحسب الامكان فكان ترتيبه أولاً الشرك بالصالحين أيسراً عليه ثم قوم إبراهيم انتقلوا إلى

الشرك بالسماويات بالكواكب وصنعوا لها الأصنام بحسب ما رأوه من طبائعها يصنعون لكل كوكب طعاماً وختاماً وبخوراً وأموالاً لتناسبه وهذا كان قد اشتهر على عهد إبراهيم أمم الحنفاء وللهذا قال الخليل { مَاذَا تَعْبُدُونَ } 85 { أَئِفْكًا أَلِهَةً دُوَنَ اللَّهِ تُرِيدُونَ } 86 { فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ } 87 الصافات 85-87 وقال لهم { قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَحْثُونَ } 95 { وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ } 96 قصة إبراهيم قد ذكرت في غير موضع من القرآن مع قوله إنما فيها نهيهم عن الشرك خلاف قصة موسى مع فرعون فإنها ظاهرة في أن فرعون كان مظهراً للإنكار للخالق وجوده وقد ذكر الله عن إبراهيم أنه حاج الذي حاجه في ربه في قوله { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحِبِّي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحِبُّي وَأَمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأَتَ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } البقرة 258 فهذا قد يقال أنه كان جادحاً للصانع ومع هذا فالقصة ليست صريحة في ذلك بل يدعو الإنسان إلى عبادة نفسه وإن كان لا يصرح بإنكار الخالق مثل إنكار فرعون بكل حال فقصة إبراهيم إلى أن تكون حجة عليهم أقرب منها إلى أن تكون حجة لهم وهذا بين والله الحمد بل ما ذكره الله عن إبراهيم يدل على أنه كان يثبت ما ينفونه عن الله فأن إبراهيم قال { إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ } إبراهيم 39 والمراد به أنه يستجيب الدعاء كما يقول المصلى سمع الله لمن حمده وإنما يسمع الدعاء ويستجيبه بعد وجوده لا قبل وجوده كما قال تعالى { قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ التَّيْ تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتُكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ } المجادلة 1 فهي تجادل وتشتكى حال سمع الله تحاورهما وهذا يدل على أن سمعه كرؤيته المذكورة في قوله { وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ } التوبة 105 وقال { ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ }

{يونس 14} بهذه رؤية مستقلة ونظر مستقل وقد تقدم أن المدعوم لا يرى ولا يسمع منفصلًا عن الرأى السامع باتفاق العقلاء فإذا وجدت الأقوال والأعمال سمعها ورأها ورؤيتها وسمع أمر وجودى لابد له من موصوف يتصرف به فإذا كان هو الذى رأها وسمعاً امتنع أن يكون غيره هو المتصرف بهذا السمع وهذه الرؤية وأن تكون قائمة بغيره فتعين قيام هذا السمع وهذه الرؤية به بعد أن خلت الأفعال والأقوال وهذا مطعن لا حيلة فيه وقد بسط الكلام على هذه المسألة وما قال فيها عامة الطوائف في غير هذا الموضوع وحكيت ألفاظ الناس بحيث يتيقن الانسان أن النافي ليس معه حجة لا سمعية ولا عقلية وأن الأدلة العقلية الصريحة موافقة لمذهب السلف وأهل الحديث وعلى ذلك يدل الكتاب والسنة مع الكتب المتقدمة التوراة والانجيل والزبور فقد اتفق عليها نصوص الأنبياء وأقوال السلف وأئمة العلماء ودللت عليها صرائح المعقولات فالمخالف فيها كالمخالف في أمثالها من ليس معه حجة لا سمعية ولا عقلية بل هو شبيه بالذين قالوا {وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَاحِ السَّعْيِ} الملك 10 قال الله تعالى {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ أَذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ} الحج 46 ولكن هذه المسألة ومسألة الزيارة وغيرهما حدث المتأخرین فيها شبه وأنا وغيرى كنا على مذهب الآباء في ذلك نقول في الأصلين بقول أهل البدع فلما تبين لنا ما جاء به الرسول دار الأمر بين أن نتبع ما أنزل الله أو نتبع ما وجدنا عليه آباءنا فكان الواجب هو اتباع الرسول وأن لا نكون ممن قيل فيه {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَتَبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بِلْ نَتَّبِعُ مَا أَفْيَنَا عَلَيْهِ آبَاءُنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ} البقرة 170 {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَتَبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بِلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدَنَا عَلَيْهِ آبَاءُنَا} لقمان 21 وقد قال تعالى {قَالَ أَوْلَوْ جِئْنُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ

آباءُكُمْ الزخرف 24 وقال تعالى {وَوَصَّيْنَا الْأَنْسَانَ بِوَالدِّيْهِ حَمَلْتُهُ أُمُّهُ وَهُنَا عَلَىٰ وَهُنِّ وَصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالدِّيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ} 14 وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطْعِهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَإِنْبِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} 15 لقمان 14-15 فالواجب اتباع الكتاب المنزلي والنبي المرسل وسيط من أناب إلى الله فاتبعنا الكتاب والسنة كالمهاجرين والأنصار دون ما خالف ذلك من دين الآباء وغير الآباء والله يهدينا وسائل أخواننا إلى الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك ريفقا والله سبحانه أنه نزل القرآن وهدى به الخلق وأخرجهم به من الظلمات إلى النور وام القرآن هي فاتحة الكتاب قال النبي في الحديث الصحيح يقول الله قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل فإذا قال العبد {الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} 2 الفاتحة قال الله انتى على عبدي فإذا قال {مَالِكَ يَوْمَ الدِّينِ} 4 الفاتحة قال الله مجدني عبدي فإذا قال {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} 5 الفاتحة قال الله هذه بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل فإذا قال {ا هَدِنَا الصَّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} 6 صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضاللين 7 الفاتحة قال هؤلاء لعبدي ولعبدي ما سأله بهذه السورة فيها الله الحمد فله الحمد في الدنيا والآخرة وفيها للعبد السؤال وفيها العبادة لله وحده وللعبد الاستعانة فحق رب حمده وعبادته وحده وهذا حمد رب وتوحيده يدور عليهم جميع الدين ومسألة الصفات الاختيارية هي من تمام حمده فمن لم يقر بها لم يمكنه الاقرار بأن الله محمود البتة ولا أنه رب العالمين فان الحمد ضد الذم والحمد هو الاخبار بمحاسن المحمود مع المحبة له والذم هو الاخبار بمساوی المذموم مع البغض له وجماع المساوى فعل الشر كما أن جماع المحسن فعل الخير فإذا

كان يفعل الخير بمشيئته وقدرته استحق الحمد فمن لم يكن له فعل اختيارى يقوم به بل ولا يقدر على ذلك لا يكون خالقا ولا ربا للعالمين^١

اخلاص الدين الله هو الدين الذى لا يقبل الله سواه

*ففى صحيح مسلم عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ذاق طعم الايمان من رضى بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا وفي الصحيحين عن النبى انه قال ثلات من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ومن كان يحب المرء لا يحبه الا الله ومن كان يكره أن يرجع فى الكفر بعد اذ أنقذه الله منه كما يكره ان يلقى فى النار وهذا مما يبين من الكلام على المحبة فنقول محبة الله بل محبة الله ورسوله من اعظم واجبات الايمان وأكبر اصوله وأجل قواعده بل هي اصل كل عمل من اعمال الايمان والدين وكما ان التصديق به اصل كل قول من أقوال الايمان والدين فان كل حركة فى الوجود انما تصدر عن محبة إما عن محبة محمودة أو عن محبة مذمومة كما قد بسطنا ذلك فى قاعدة المحبة من القواعد الكبار فجميع الاعمال الایمانية الدينية لاتصدر الا عن المحبة المحمودة وأصل المحبة المحمودة هي محبة الله سبحانه وتعالى إذ العمل الصادر عن محبة مذمومة عند الله لا يكون عملا صالحا بل جميع الاعمال الایمانية الدينية لا تصدر إلا عن محبة الله فإن الله تعالى لا يقبل من العمل الا ما اريد به وجهه كما ثبت فى الصحيح عن النبى انه قال يقول الله تعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملا فأشرك فيه غيرى فانا منه برئ وهو كله للذى أشرك وثبت فى الصحيح فى حديث الثلاثة الذين هم اول من تسعر بهم النار القارئ المرأى والمجاهد المرأى والمتصدق المرأى بل اخلاص الدين الله هو الدين الذى لا يقبل الله سواه وهو الذى بعث به الأولين والآخرين من الرسل وأنزل به جميع الكتب واتفق عليه أئمة اهل الايمان وهذا هو خلاصة

الدعوة النبوية وهو قطب القرآن الذي تدور عليه رحاه
وقال تعالى فيما قصه من قصة آدم وابليس انه قال { فَبِعْرَتَكَ لَأَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ } 82 { إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ } 83 { ص 82-83 }
وقال تعالى { إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِيْنَ } الحجر 42 وقال { إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ } 99 { إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَُّونَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ } 100 { النحل 99-100 } فيبين ان سلطان الشيطان واغواهه انما هو لغير المخلصين ولهذا قال في قصة يوسف { كَذَلِكَ لَنَصْرَفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفُحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ } يوسف 24

وابداع الشيطان هم اصحاب النار كما قال تعالى { الْأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِنْ تَبْعَدَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ } ص 85 وقد قال سبحانه { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ } النساء 48 وهذه الآية في حق من لم يتبع ولها خصص الشرك وقيد ما سواه بالمشيئة فأخبر انه لا يغفر الشرك لمن لم يتبع منه ومادونه يغفره لمن يشاء واما قوله { قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا } الزمر 53 فتلك في حق التائبين ولها عم واطلق وسياق الآية يبيّن ذلك مع سبب نزولها وقد اخبر سبحانه ان الاولين والآخرين انما امرروا بذلك في غير موضع كالسورة التي قرأها النبي على ابى لما امره الله تعالى ان يقرأ عليه قراءة ابلاغ واسماع بخصوصه فقال { وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءُهُمُ الْبَيِّنَاتُ } 4 { وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ } 5 { البينة 4-5 الآية } وهذا حقيقة قول لا اله إلا الله وبذلك بعث جميع الرسل قال الله تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ } الأنبياء 25 وقال { وَإِنَّمَا مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ أَلَّهَ يُعْنِدُونَ } الزخرف 45 وقال تعالى { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ }

{النحل 36} وجميع الرسل افتتحوا دعوتهم بهذا الاصل كما
 قال نوح عليه السلام {اعبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ}
 {الأعراف 59} وكذلك هود وصالح وشعيب عليهم السلام
 وغيرهم كل يقول {اعبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} {
 لاسيمما افضل الرسل الذين اتخذ الله كلاهما خليلا ابراهيم ومحمدما
 عليهما السلام فان هذا الاصل بينه الله بهما وأيدهما فيه ونشره
 بهما ابا ابراهيم هو الامام الذى قال الله فيه {إِنِّي جَاءْتُكُمْ مِّنْ أَنَا
 إِمَاماً} {البقرة 124} وفي ذريته جعل النبوة والكتاب والرسل
 فأهل هذه النبوة والرسالة هم من الله الذين بارك الله عليهم قال
 سبحانه {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنِّي بَرَأَءُ مِمَّا
 تَعْبُدُونَ} {26} {إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدِنَا} {27} {وَجَعَلَهَا كَلِمَةً
 بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لِعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} {28} {الزخرف 26-28} فهذه
 الكلمة هي كلمة الاخلاص لله وهي البراءة من كل معبد الامن
 الخالق الذى فطرنا كما قال صاحب پس {وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي
 فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} {22} {أَتَخَذَ مِنْ دُونِهِ الْهَمَّةَ إِنْ يُرْدَنْ
 الرَّحْمَنَ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلَا يُنْفِدُونَ} {23} {إِنِّي
 إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} {24} {إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونَ} {25} پس
 25-22 وقال تعالى فى قصته بعد ان ذكر ما يبين ضلال من
 اتخاذ بعض الكواكب ربا يعبده من دون الله قال {فَلَمَّا رَأَى
 الشَّمْسَ بَازَ غَمَّ قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمَ إِنِّي
 بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ} {78} {إِنِّي وَجَهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ
 السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} {79} {وَحَاجَهُ
 قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ
 إِلَّا أَنْ يَسَّأَءَ رَبِّي شَيْئاً وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا
 تَتَذَكَّرُونَ} {80} وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم
 بِإِلَهٖ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ
 كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} {81} {الأنعام 78-81} وقال ابراهيم الخليل عليه
 السلام {أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ} {75} {أَنْتُمْ وَآباؤُكُمْ
 الْأَقْدَمُونَ} {76} {فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبُّ الْعَالَمِينَ} {77} {الَّذِي خَلَقَنِي

فَهُوَ يَهْدِينَ {78} وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ {79} وَإِذَا مَرِضْتُ
 فَهُوَ يَشْفِينَ {80} وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْبِبِنِي {81} وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ
 يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ {82} الشُّعُرَاءُ 75-82 وَقَالَ تَعَالَى
 {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أَسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ
 إِنَّا بُرَاءٌ مِّنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْتَنَا
 وَبَيْتُكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبُغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ } المُتَّحَنَّةَ 4
¹

*ولن يستغني القلب عن جميع المخلوقات الا بأن يكون الله هو مولاه الذي لا يعبد إلا إياه ولا يستعين إلا به ولا يتوكلا عليه ولا يفرح إلا بما يحبه ويرضاه ولا يكره إلا ما يبغضه الرب ويكرهه ولا يوالى إلا من والاه الله ولا يعادى إلا من عاداه الله ولا يحب إلا الله ولا يبغض شيئاً إلا الله ولا يعطي إلا الله ولا يمنع إلا الله فكلما قوى اخلاص دينه الله كملت عبوديته واستغناوه عن المخلوقات وبكمال عبوديته الله يبرئه من الكبر والشرك

والشرك غالب على النصارى والكبر غالب على اليهود قال تعالى في النصارى {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ
 اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا
 هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ } التوبه 31 وقال في اليهود {أَفَكُلَّمَا
 جَاءُكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوِي أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرُتُمْ فَقَرِيقًا كَذَبْتُمْ وَفَرِيقًا
 تَقْتُلُونَ } البقرة 87 وقال تعالى {سَاصِرْفُ عَنِ آيَاتِي الَّذِينَ
 يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا
 وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّسُدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ
 يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا } الأعراف 146 ولما كان الكبر مستلزمًا للشرك
 والشرك ضد الإسلام وهو الذنب الذي لا يغفره الله {إِنَّ اللَّهَ لَا
 يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكُ بِاللَّهِ
 فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا } النساء 48 وقال {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ
 بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدِ ضَلَّ
 بَعِيدًا } النساء 116 كان الانبياء جميعهم مبعوثين بدين الإسلام
 فهو الدين الذي لا يقبل الله غيره لا من الاولين ولا من الآخرين

قال في حق ابراهيم {وَمَن يرْغُبُ عَن مِّلَةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَا فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمَن الصَّالِحِينَ} 130

العالَمينَ {131} البقرة 130-131 الى قوله {فَلَا تَمُوْثِنَ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} البقرة 132 وقال {وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُفْلِي مِنْهُ} {آل عمران 85} وقال تعالى {أَفَغَيْرَ دِينَ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طُوعًا وَكُرْهًا} {آل عمران 83} ذكر اسلام الكائنات طوعاً وكرهاً لأن المخلوقات جميعها متعبدة له التعبد العام سواء اقر المفتر بذلك او انكره وهم مدینون مدبرون فهم مسلمون له طوعاً وكرهاً ليس لاحد من المخلوقات خروج عما شاءه وقدره ولا حول ولا قوة الا به وهو رب العالمين ومليكهم يصرفهم كيف يشاء وهو خالقهم كلهم وبارئهم ومصورهم وكل من سواه فهو مرربوب مصنوع ومفطور فقير محتاج معبد مقهور وهو الواحد القهار الخالق الباري المصوّر وهو ان كان قد خلق ما خلقه بأسباب فهو خالق السبب والمقدّر له وهو مفتقر اليه كافتقار هذا وليس في المخلوقات سبب مستقل بفعل ولا دفع ضرر بل كل ما هو سبب فهو محتاج الى سبب اخر يعاونه والى ما يدفع عنه الضد الذي يعارضه ويمانعه وهو سبحانه وحده الغنى عن كل ما سواه ليس له شريك يعاونه ولا ضد يناؤه ويعارضه قال تعالى وقال تعالى {قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّ أَرَادَنِي اللَّهُ بِضُرٍّ هُنَّ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةِ هُنَّ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ} الزمر 38 وقال تعالى {وَإِن يَمْسِكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسِكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} الأنعام 17 وقال تعالى عن الخليل {يَا قَوْمَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ} 78 {إِنِّي وَجَهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} 79 {وَحَاجَهُ قَوْمُهُ قَالَ أَنْحَاجُونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِي وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَسْأَءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ

شَيْءٌ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ {80} وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا
تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنْزَلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ
الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ {81} الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ
يُلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهَدَّدونَ {82}

الانعام-82 وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضى الله

عنه ان هذه الاية لما نزلت شق ذلك على اصحاب النبي
وقلوا يا رسول الله اينا لم يلبس ايمانا بظلم فقال انما هو الشرك
الم تسمعوا الى قول العبد الصالح {إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}
لقمان 13 وابراهيم الخليل امام الحنفاء المخلصين حيث بعث

وقد طبق الارض دين المشركين قال الله تعالى {وَإِذْ أَبْتَلَى
إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمَنْ
ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ } البقرة 124 فبين ان عهده
بالامامة لا يتناول الظالم فلم يأمر الله سبحانه ان يكون الظالم
اما ما واعظم الظلم الشرك وقال تعالى {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أَمَّةً قَائِمًا
لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } النحل 120 و الامة هو
علم الخير الذي يؤتى به كما ان القدوة الذي يقتدى به
والله تعالى جعل في ذريته النبوة والكتاب وانما بعث الانبياء بعده
بملته والله تعالى جعل في ذريته النبوة والكتاب وانما بعث
الانبياء بعده بملته قال تعالى {ثُمَّ أُوحِيَنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ
إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } النحل 123 وقال تعالى
{إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا
وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ } آل عمران 68 وقال تعالى {مَا كَانَ
إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ
الْمُشْرِكِينَ } آل عمران 67 وقال تعالى {وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ
نَصَارَى تَهْتُدُوا أَقْلُنْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
} 135 { قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزَلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزَلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ
وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى
وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ
مُسْلِمُونَ } البقرة 135-136 وقد ثبت في الصحيح عن

النبي ان ابراهيم خير البرية فهو افضل الانبياء بعد النبي
وهو خليل الله تعالى وقد ثبت في الصحيح عن النبي من غير
وجه انه قال ان الله اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا
وقال لو كنت متخدنا من اهل الارض خليلا لاتخذت ابا بكر
خليلا ولكن صاحبكم خليل الله يعني نفسه وقال لا يبقين في
المسجد خوخة الا سدت الا خوخة ابا بكر وقال ان من
كان قبلكم يتخذون القبور مساجد الا فلا تتخذوا القبور مساجد
فاني انهاكم عن ذلك وكل هذا في الصحيح وفيه انه قال ذلك
قبل موته ب ايام وذلك من تمام رسالته فإن في ذلك تحقيقاً تاماً
مخالفة الله التي اصلها محبة الله تعالى للعبد ومحبة العبد لله خلافاً
للحجمية وفي ذلك تحقيقاً لتوحيد الله ان لا يعبدوا الا اياه ورد
على اشباه المشركين وفيه رد على الرافضة الذين يبغضون
الصديق حقه وهم اعظم المنتسبين الى القبلة اشراكا بالبشر و
الخلة هي كمال المحبة المستلزمة من العبد كمال العبودية لله
ومن الرب سبحانه كمال الربوبية لعباده الذين يحبهم ويحبونه
ولفظ العبودية يتضمن كمال الذل وكمال الحب فأنهم يقولون قلب
متيم اذا كان متبعداً للمحبوبي والمتميّز المتبعد وتيم الله عبده وهذا
على الكمال حصل لا ابراهيم ومحمد ولهذا لم يكن له ان اهل
الارض خليل اذ الخلة لا تحتمل الشركة فانه كما قيل في المعنى

قد تخللت مسلك الروح مني وبذا سمي الخليل خليلا
بخلاف اصل الحب فانه قد قال في الحديث الصحيح في الحسن
واسامة اللهم انى احبهما فأحبهما واحب من يحبهما وسأله
عمرو بن العاص اي الناس احب اليك قال عائشة قال فمن
الرجال قال ابوها وقال علي رضي الله عنه لاعطين
الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله وامثال ذلك
كثير وقد اخبر تعالى انه يحب المتقين ويحب المحسنين
ويحب المقطفين ويحب التوابين ويحب المتطهرين ويحب الذين
يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص وقال {فسوفَ
يأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ} المائدة 54 فقد اخبر بمحبته

لعباده المؤمنين ومحبة المؤمنين له حتى قال والذين آمنوا اشد حبا لله واما الخلة فخاصة وقول بعض الناس ان محدثا حبيب الله وابراهيم خليل الله وظنه ان المحبة فوق الخلة قول ضعيف فان محدثا ايضا خليل الله كما ثبت ذلك في الاحاديث الصحيحة المستفيضة وما يروى ان العباس يحشر بين حبيب وخليل وامثال ذلك فاحاديث موضوعة لا تصلح ان يعتمد عليها¹

"من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع الله فقد استكملا الإيمان"

*أن ما يحصل للإنسان من الحسنات التي يعملاها كلها أمور وجودية أنعم الله بها عليه وحصلت بمشيئة الله ورحمته وحكمته وقدرته وخلقه ليس في الحسنات أمر عدمي غير مضاف إلى الله بل كلها أمر وجودي وكل موجود وحدث فالله هو الذي يحدّثه وذلك أن الحسنات إما فعل مأمور به أو ترك منهي عنه والترك أمر وجودي فترك الإنسان لما نهى عنه ومعرفته بأنه ذنب قبيح وبأنه سبب للعذاب وبغضه وكراهته له ومنع نفسه منه إذا هويته واشتبه طلبه كل هذه أمور وجودية كما أن معرفته بأن الحسنات كالعدل والصدق حسنة وفعله لها أمور وجودية ولهذا إنما يثاب الإنسان على فعل الحسنات إذا فعلها محبًا لها بنية وقصد فعلها ابتغاء وجه ربه وطاعة الله ولرسوله ويثاب على ترك السيئات إذا تركها بالكراهة لها والامتناع منها قال تعالى {وَلَكُنَّ اللَّهُ حَبِّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ} الحجرات 7 وقال تعالى {وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسُ عَنِ الْهَوَى} {40} فإن الجنة هي المأوى {41} النازعات 40-41 وقال تعالى {إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ} العنکبوت 45 وفي الصحيحين عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان من كان الله ورسوله أحب

إِلَيْهِ مَا سُوَاهُمَا وَ مَنْ كَانَ يُحِبُّ الْمَرءَ لَا يُحِبُّ إِلَّا اللَّهُ وَ مَنْ كَانَ
 يَكْرَهُ أَنْ يَرْجِعَ فِي الْكُفَّرِ بَعْدَ إِذَا أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى
 فِي النَّارِ وَ فِي السُّنْنِ عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ أَوْتَقَ عَرِيَ الْإِيمَانَ الْحُبُّ فِي اللَّهِ وَ الْبُغْضُ فِي
 اللَّهِ وَ فِيهَا عَنِ أَبِي أَمَامَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ
 مِنْ أَحَبِّ اللَّهِ وَ أَبْغَضِ اللَّهِ وَ أَعْطَى اللَّهِ وَ مِنْعَ اللَّهِ فَقَدْ اسْتَكْمَلَ
 الْإِيمَانَ وَ فِي الصَّحِيفَةِ عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ قَالَ مِنْ رَأْيِكُمْ مَنْكُمْ فَلَيَغْيِرُهُ بِيَدِهِ
 فَإِنْ لَمْ يُسْتَطِعْ فَبِلْسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يُسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَ ذَلِكَ أَصْعَفُ الْإِيمَانَ
 وَ فِي الصَّحِيفَةِ مِنْ حَدِيثِ أَبْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِمَا ذَكَرَ
 الْخُلُوفَ قَالَ مِنْ جَاهِدِهِمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَ مِنْ جَاهِدِهِمْ بِلْسَانِهِ
 فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَ مِنْ جَاهِدِهِمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ لِمَنْ لَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنْ
 الْإِيمَانِ حَبَّةً خَرْدَلٍ وَ قَدْ قَالَ تَعَالَى {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ
 حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَ الَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَ مِمَّا
 تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَ بَدَا بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَ الْبُغْضَاءُ
 أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَ حَدَّهُ إِلَّا قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَا سْتَغْفِرَنَّ لَكَ
 وَ مَا أَمْلَكَ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوْكِنَنَا وَ إِلَيْكَ أَنْبَنَا وَ إِلَيْكَ
 الْمَصِيرُ} الْمُتَّحَدَةُ 4 وَ قَالَ عَلَى لِسَانِ الْخَلِيلِ {إِنَّمَا يَرَاءُ
 مِمَّا تَعْبُدُونَ} 26 وَ {إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدُهُدَيْنِ} 27 الزَّخْرَفُ
 27-26 وَ {قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ} 75 {أَنْتُمْ وَ آبَاؤُكُمْ
 الْأَقْدَمُونَ} 76 {فَإِنَّهُمْ عَدُوُّ لِي إِلَّا رَبُّ
 الْعَالَمِينَ} 77 الْشِّعْرَاءُ 77-75 وَ قَالَ {فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي
 بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ} 78 {إِنِّي وَ جَهْتُ وَ جَهْيَ لِلَّذِي فَطَرَ
 السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ وَ مَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} 79
 } الْأَنْعَامُ 78-79 وَ هَذَا الْبُغْضُ وَ الْعَدَاوَةُ وَ الْبِرَاءَةُ مَا يَعْدُ مِنْ
 دُونِ اللَّهِ وَ مِنْ عَابِدِيهِ هِيَ أَمْوَالُ مَوْجُودَةٍ فِي الْقَلْبِ وَ عَلَى الْلِسَانِ
 وَ الْجَوَارِحِ كَمَا أَنْ حُبُّ اللَّهِ وَ مَوْالَاتُهُ وَ مَوَالَاتُهُ أَمْوَالُ
 مَوْجُودَةٍ فِي الْقَلْبِ وَ عَلَى الْلِسَانِ وَ الْجَوَارِحِ وَ هِيَ تَحْقِيقُ قَوْلِ
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَ هُوَ إِثْبَاتٌ تَأْلِيهِ الْقَلْبُ اللَّهُ حَبَا خَالِصَا وَ ذَلِـا

صادقاً و منع تأليهه لغير الله وبغض ذلك وكراهته فلا يعبد الا الله ويحب أن يعبده ويبغض عبادة غيره و يحب التوكل عليه وخشيته و دعاءه و يبغض التوكل على غيره و خشيته و دعاءه فهذه كلها أمور موجودة في القلب وهي الحسنات التي يثبب الله عليها وأما مجرد عدم السيئات من غير أن يعرف أنها سيئة ولا يكرها بل لا يفعلها لكونها لم تخطر بباله أو تخطر كما تخطر الجمادات التي لا يحبها و لا يبغضها فهذا لا يثاب على عدم ما يفعله من السيئات ولكن لا يعاقب أيضاً على فعلها فكانه لم يفعلها فهذا تكون السيئات في حقه بمنزلتها في حق الطفل والجنون والبهيمة لا ثواب و لا عقاب ولكن إذا قامت عليه الحجة بعلمه تحريمها فان لم يعتقد تحريمهما و يكرها و لا عوقب على ترك الایمان بتحريمهما¹

إقامة الوجه ضد ازاغته وامالته وهو الصراط المستقيم

*وأما قول بعض الفقهاء ان الوجه مشتق من المواجهة فلا دليل عليه بل قد عارضه من قال هو مشتق من الوجاهة وكلاهما ضعيف وإنما المواجهة مشتق من الوجه كما أن المشافهة مشتق من اللغة والمناظرة بمعنى المقابلة مشتقة من النظر والمعاينة من العين وأما اشتقاء الوجه الذي هو المتوجه من الوجه الذي هو التوجه فهذا اشبه لأن توجهه هو فعله المختص به الذي لا يفتقر فيه إلى غيره بخلاف المواجهة فإنها تستدعي اثنين والانسان هو حارت همام وهمه هو توجهه وإنما يتوجه بهذا العضو إلى أي شيء أراده وتوجهه إليه ومن هذا الباب قوله تعالى {بَلِّي مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرٌ عِنْ رَبِّهِ} البقرة 112 وقوله تعالى {وَمَنْ أَحْسَنَ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ اللَّهُ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا} النساء 125 وقول الخليل ونبيينا والمؤمنين في الصلاة {وَجَهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} الأنعام 79 وقوله تعالى {قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهُكُمْ عِنْدَ كُلِّ

مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لِهِ الدِّينَ كَمَا بَدَأْكُمْ تَعُودُونَ
 {الأعراف 29} قال الزجاج في قوله {وَجَهْتُ وَجْهِي}
 {الأنعام 79} أى جعلت قصدي بعبادتي وتوحيدى الله رب
 العالمين وكذلك قوله {وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ} {الأعراف 29} فان
 الوجه التي هي المقاصد والنيات التي هي عمل القلب وهي
 أصل الدين تارة تقام وتارة تزاع كما قال النبي ^{ما من قلب}
 من قلوب العباد الا وهو بين اصبعين من أصابع الرحمن ان شاء
 أن يقيمه أقامه وان شاء أن يزيغه أزاغه فإقامة الوجه ضد
 ازاغته وامالته وهو الصراط المستقيم فإذا قوم قصده وسدده
 ولم ينحرف يمينا ولا شماليا كان قصده الله رب العالمين كما قال
 لا شرقية ولا غربية يقول كثير من أهل العلم أن الوجه في مثل
 قوله {وَجَهْتُ وَجْهِي} {الأنعام 79} هو الوجه الظاهر¹

* وتبين أن الله وذكر توجيه الوجه له في قوله {إِنِّي وَجَهْتُ
 وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ}
 {الأنعام 79} لأن الوجه إنما يتوجه إلى حيث توجه القلب
 والقلب هو الملك فإذا توجه الوجه نحو جهة كان القلب متوجها
 إليها ولا يمكن الوجه أن يتوجه بدون القلب فكان إسلام الوجه
 وإقامته وتوجيهه مستلزم لاسلام القلب وإقامته وتوجيهه وذلك
 يستلزم اسلام كله الله وتوجيه كله الله وإقامة كله الله وبسط الكلام
 على ما يناسب ذلك¹

* وليس للقلوب سرور ولا لذة تامة الا في محبة الله والتقرب إليه
 بما يحبه ولا تمكن محبته إلا بالاعراض عن كل محبوب سواء
 وهذا حقيقة لا إله إلا الله وهي ملة ابراهيم الخليل عليه السلام
 وسائر الأنبياء والمرسلين صلاة الله وسلمانه عليهم أجمعين وكان
 النبي يقول لأصحابه قولوا أصبحنا على فطرة الاسلام وكلمة
 الاخلاص ودين نبينا محمد وملة أبيينا ابراهيم حنيفا مسلما وما
 كان من المشركين والحنيف للسلف فيه ثلاثة عبارات قال محمد بن كعب مستقيما وقال عطاء مخلسا وقال

آخرون متبعاً فهو مستقيم القلب إلى الله دون ما سواه قال الله تعالى {فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّمُشْرِكِينَ} فصلت 6 وقال تعالى {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا} الأحقاف 13 قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه فلم يلتقطوا عنه يمنه ولا يسره فلم يلتقطوا بقلوبهم إلى ما سواه لا بالحب ولا بالخوف ولا بالرجاء ولا بالسؤال ولا بالتوكيل عليه بل لا يحبون إلا الله ولا يحبون معه أنداداً ولا يحبون إلا آياته لا لطلب منفعة ولا لدفع مضره ولا يخافون غيره كائناً من كان ولا يسألون غيره ولا يتشرفون بقلوبهم إلى غيره¹

الباطن هو الأصل والظاهر هو الكمال والشعار

*قال تعالى {وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تُنْكِنَ أَمَانِيْهِمْ فُلْنَ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} 111 بل منْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرٌ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} 112 البقرة 111-112 قوله {وَمَنْ أَحْسَنَ دِينًا مَّمَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا} النساء 125 فقد انكر أن يكون دين أحسن من هذا الدين وهو اسلام الوجه لله مع الاحسان وأخبر ان كل من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون أثبتت هذه الكلمة الجامعة والقضية العامة ردًا لم زعم من زعمه أن لا يدخل الجنة إلا متهدود أو متنصر وهذا الوصفان وهما اسلام الوجه لله والاحسان هما الأصلان المتقدمان وهما كون العمل خالصاً لله صواباً موافقاً للسنة والشريعة وذلك ان اسلام الوجه لله هو متضمن للقصد ونبيه لله كما قال بعضهم استغفر الله ذنبنا لست محسنيه رب العباد اليه الوجه والعمل وقد استعمل هنا أربعة ألفاظ إسلام الوجه واقامة الوجه كقوله تعالى {وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ} الأعراف 29 قوله {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلَّذِينَ حَنِيفُونَ} فطرة الله التي فطر الناس عليها } الروم 30 وتوجيهه الوجه

كقول الخليل {إِنِّي وَجَهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} الأنعام 79 وكذلك كان النبي يقول في دعاء الاستفتاح في صلاته وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين وفي الصحيحين عن البراء بن عازب عن النبي صلى الله عليه وسلم مما يقول اذا أوى الى فراشه اللهم اسلمت نفسي اليك ووجهت وجهي اليك فالوجه يتناول المتوجه اليه ويتناول المتوجه نحوه كما يقال أى وجه تريد أى وجهة وناحية تقصد وذلك أنهما متلازمان فحيث توجه الإنسان توجه وجهه وجهه مستلزم لتوجهه وهذا في باطنها وظاهره جميماً فهذه أربعة أمور والباطن هو الأصل والظاهر هو الكمال والشعار فإذا توجه قبله إلى شئ تبعه وجهه الظاهر فإذا كان العبد قصده ومراده وتوجهه إلى الله فهذا اصلاح ارادته وقصده فإذا كان مع ذلك محسناً فقد اجتمع أن يكون عمله صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً وهو قول عمر رضي الله عنه اللهم اجعل عملي كلـه صالحاً واجعله لوجهك خالصاً ولا تجعل لأحد فيه شيئاً والعمل الصالح هو الإحسان وهو فعل الحسنات وهو ما أمر الله به والذي أمر الله به هو الذي شرعه الله وهو المواقف لسنة الله وسنة رسوله فقد أخبر الله تعالى انه من أخلص قصده الله وكان محسناً في عمله فانه مستحق للثواب سالم من العقاب ولهذا كان أئمة السلف يجمعون هذين الأصلين كقول الفضيل ابن عياض في قوله تعالى {لَيَلِوْكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً} هود 7 قال أخلصه وأصوبه فقيل يا أبا على ما أخلصه وأصوبه فقال ان العمل اذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل وإذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً والخالص أن يكون الله والصواب أن يكون على السنة وقد روى ابن شاهين واللالكائى عن سعيد بن جبير قال لا يقبل قول وعمل الا بنية ولا يقبل قول وعمل ونية الا بموافقة السنة ورويا عن الحسن البصري مثله ولفظه لا يصلح مكان يقبل وهذا فيه رد على المرجئة الذين يجعلون

مجرد القول كافيا فأخبر أنه لابد من قول وعمل اذ الايمان قول وعمل لا بد من هذين كما قد بسطناه في غير هذا الموضع وبينا أن مجرد تصديق القلب واللسان مع البغض والاستكبار لا يكون ايمانا باتفاق المؤمنين حتى يقترن بالتصديق عمل وأصل العمل عمل القلب وهو الحب والتعظيم المنفي للبغض والاستكبار ثم قالوا ولا يقبل قول وعمل الا بنية وهذا ظاهر فان القول والعمل اذا لم يكن خالصا لله تعالى لم يقبله الله تعالى ثم قالوا ولا يقبل قول وعمل ونية الا بموافقة السنة وهي الشريعة وهي ما أمر الله به ورسوله لأن القول والعمل والنية الذي لا يكون مسنونا مشروعا قد أمر الله به يكون بدعة ليس مما يحبه الله فلا يقبله الله ولا يصلح مثل أعمال المشركين وأهل الكتاب ولفظ السنة في كلام السلف يتناول السنة في العبادات وفي الإعتقادات وان كان كثيرا من صنف في السنة يقصدون الكلام في الاعتقادات وهذا كقول ابن مسعود وأبي بن كعب وأبي بن كعب وأبي الدرداء رضي الله عنهم اقتصاد في سنة خير من اجتهاد من اجتهاد في بدعة وأمثال ذلك والحمد لله رب العالمين وصلواته على محمد وآلـهـ الطـاهـرـينـ وأـصـحـابـةـ أـجـمـعـينـ¹

امام الحنفاء

* عم الارض دين الصائبية وال MSRKIN لما كانت النماردة
والفراعنة ملوك الارض شرقاً وغرباً فبعث الله تعالى امام
الحنفاء واساس الملة الخالصة والكلمة الباقيه ابراهيم خليل
الرحمن فدعا الخلق من الشرك الى الاخلاص ونهاهم عن عبادة
الکواكب والاصنام وقال {إِنِّي وَجَهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} {الأنعام: 79}
وقال لقومه {أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ} {75} أَنْتُمْ وَآباؤُكُمْ
الْأَقْدَمُونَ {76} فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبُّ الْعَالَمِينَ {77} الَّذِي خَلَقَنِي
فَهُوَ يَهْدِنِي {78} وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِيَنِي {79} وَإِذَا مَرَضْتُ
فَهُوَ يَشْفِيَنِي {80} وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْبِيَنِي {81} وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ

يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ {82} {الشُّعْرَاءُ 75-82} وقال ابراهيم عليه السلام ومن معه لقومهم {إِنَّا بُرَاءٌ مِّنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَذَاؤُ وَالْبَغْضَاءُ أَبْدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ } المتنـة¹

* إن أهل الملل متفقون على أن الرسول جميعهم نهوا عن عبادة الأصنام وكفروا من يفعل ذلك وأن المؤمن لا يكون مؤمنا حتى يتبرأ من عبادة الأصنام وكل معبد سوى الله وقال الخليل وهو إمام الحنفاء الذي جعل الله في ذريته النبوة والكتاب واتفق أهل الملل على تعظيمه لقوله {إِنِّي وَجَهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ } الأنعام 79
والحنيف المستقيم إلى ربه دون ما سواه¹

* أن المشركين لم يكونوا يثبتون مع الله إليها آخر مساويا له في الصفات والأفعال بل ولا كانوا يقولون إن الكواكب والشمس والقمر خلقت العالم ولا أن الأصنام تخلق شيئاً من العالم ومن ظن أن قوم إبراهيم الخليل كانوا يعتقدون أن النجم أو الشمس أو القمر رب العالمين أو أن الخليل عليه السلام لما قال هذا ربي أراد به رب العالمين فقد غلط غلطاً بينا بل قوم إبراهيم كانوا مقررين بالصانع وكانوا يشرون بعبادته كأمثالهم من المشركين فأخبر تعالى عن الخليل أنه عدو لكل ما يعبدونه إلا لرب العالمين كما قال تعالى {إِنِّي وَجَهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ } الأنعام 79 ولم يقل من المعطلين فإن قومه كانوا يشرون ولم يكونوا معطلين كفرعون اللعين فلم يكونوا جاحدين للصانع بل عدلوا به وجعلوا له أندادا في العبادة والمحبة والدعاء¹

اللَّهُ تَبارَكَ وَتَعَالَى حَقٌّ لَا يُشَرِّكُهُ فِيهِ أَحَدٌ

* ومن تحقيق التوحيد أن يعلم أن الله تعالى أثبتت له حقاً لا يشركه فيه مخلوق كالعبادة والتوكيل والخوف والخشية والتقوى

وتوحيد الله وإخلاص الدين له في عبادته واستعانته في القرآن
 كثير جداً بل هو قلب الإيمان وأول الإسلام وأخره كما قال النبي
 صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا
 إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وقال إنما لأعلم كلمة لا
 يقولها عند الموت أحد إلا وجد روحه لها رواحاً وقال من
 كان آخر كلامه لا إله إلا الله وجبت له الجنة وهو قلب الدين
 والإيمان وسائل الأعمال كالجوارج له وقول النبي إنما
 الأعمال بالنيات وإنما لكل أمرى ما نوى فمن كانت هجرته إلى
 الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا
 يصيبها أو إمرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه فبين بهذا
 أن النية عمل القلب وهي أصل العمل وإخلاص الدين الله وعبادة
 الله وحده ومتابعة الرسول فيما جاء به هو شهادة أن لا إله إلا الله
 وأن محمداً عبده ورسوله ولهذا أنكرنا على الشيخ يحيى
 الصرصري ما يقوله في قصائد ملحوناته في مدح الرسول من الاستغاثة
 به مثل قوله بك أستغيث وأستعين وأستجد ونحو ذلك وكذلك ما
 يفعله كثير من الناس من استجاد الصالحين والمتشبهين بهم
 والإستغاثة بهم أحياه وأمواتاً فإنى أنكرت ذلك في مجالس عامة
 وخاصة وبينت للناس التوحيد ونفع الله بذلك ما شاء الله من
 الخاصة وال العامة وهو دين الإسلام العام الذي بعث الله به
 جميع الرسل كما قال تعالى {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ
 اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} النحل 36 وقال {وَمَا أَرْسَلْنَا
 مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونَ}
 الأنبياء 25 وقال النبي لمعاذ بن جبل يا معاذ أتدري ما
 حق الله على عباده قلت الله ورسوله أعلم قال حقه عليهم أن
 يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا
 ذلك أن لا يعنهم وقال لابن عباس إذا سألت فاسئل الله
 وإذا استعن فالله ¹

* والله تبارك وتعالى حق لا يشركه فيه أحد لا الأنبياء ولا غيرهم
 وللأنبياء حق وللمؤمنين حق ولبعضهم على بعض حق فقه

تبارك وتعالى أن يعبدوه لا يشركوا به كما تقدم في حديث معاذ ومن عبادته تعالى أن يخلصوا له الدين ويتوكلوا عليه ويرغبوا إليه ولا يجعلوا الله ندا لا في محنته ولا خسيته ولا دعائه ولا الإستعانة به كما في الصحيحين أنه قال من مات وهو يدعو ندا من دون الله دخل النار وسئل أى الذنب أعظم قال أن تجعل الله ندا وهو خلقك وقيل له ما شاء الله وسئل ف قال أجعلتني الله ندا بل ما شاء الله وحده وقال تعالى {فَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ أَنَدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} البقرة 22 ولهذا لما كان المشركون يخوفون ابراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه قال تعالى {وَحَاجَةُ قَوْمٍ} قال أتحاجوني في الله وقد هدان ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء رب شئنا وسع رب كل شيء علم أفلأ تذكرون {80} وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأي الفريقيين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون {81} الذين آمنوا ولم يلسو إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون {82} الأنعام 80-82

وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال لما نزلت هذه الآية {الذين آمنوا ولم يلسو إيمانهم بظلم} الأنعام 82 شق ذلك على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا أينا لم يظلم نفسه فقال لهم النبي انما ذاك الشرك كما قال العبد الصالح {يا بني لا شرك لله إن الشرك لظلم عظيم} لقمان 13¹

من كان في قلبه رياضة لمخلوق ففيه من عبوديته بحسب ذلك

* والعبد اذا انعم الله عليه بالتوحيد فشهد ان لا اله الا الله مخلصا من قلبه والاله هو المعبد الذى يستحق غاية الحب والعبودية بالأجلال والاكرام والخوف والرجاء يفنى القلب بحب الله تعالى عن حب ما سواه ودعائه والتوكيل عليه وسؤاله عما سواه

وبطاعته عن طاعة ما سواه حلاه الله بالأمن والسرور والجبور
والرحمة للخلق والجهاد في سبيل الله فهو يجاهد ويرحم له
الصبر والرحمة قال الله تعالى { وَتَوَاصُوا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصُوا
بِالْمَرْحَمَةِ } البَلْدَةُ 17 وكلما قوى التوحيد في قلب العبد قوى
إيمانه وطمأننته وتكلمه ويقينه والخوف الذي يحصل في
قلوب الناس هو الشرك الذي في قلوبهم قال الله تعالى
{ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ } آل
عمران 151 وكما قال الله جل جلاله في قصة الخليل
عليه السلام { أَتَحَاجُونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا
شَرِّكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا
تَذَكَّرُونَ } 80 { وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنْكُمْ أَشْرَكْتُمْ
بِاللَّهِ مَا لَمْ يَتَّرَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَإِيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِن
كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } 81 { الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أَوْ لِئَكَ لَهُمْ
الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ } 82 الأنعام 80-82 وفي الحديث

الصحيح تتعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد الخميلة تعس وانتكس اذا شيك فلا انتقال من كان في قلبه رياضة لمخلوق ففيه من عبوديته بحسب ذلك فلما خوفوا خليله بما يعبدونه ويشركون به الشرك الأكبر كالعبادة قال الخليل {وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنْكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} الأنعام 81 يقول ان تطيعوا غير الله وتعبدون غيره وتتكلمون في دينه مالم ينزل به سلطانا فأى الفريقين أحق بالأمن ان كنتم تعلمون أى تشركون بالله ولا تخافونه وتخوفونى انا بغير الله فمن ذا الذى يستحق الامن الى قوله {أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ} الأنعام 82 أى هؤلاء الموحدون المخلصون ولهذا قال الأمام احمد لبعض الناس لو صحت لم تخف أحدا¹

*المشركون يخشون ألهتم ويرجونها ولهذا لما قالوا لهود عليه السلام {إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكُ بَعْضُ الْهَمَّةِ} بسُوءٍ قَالَ إِنِّي أَشْهُدُ اللَّهَ

وَاسْهَدُوا أَنَّى بَرِيءُ مِمَّا تُشْرِكُونَ {54} مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي
 جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْتَظِرُونَ {55} إِنَّمَا تَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا
 مِنْ دَآبَةٍ إِلَّا هُوَ أَخْدُ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ {56}

هود 54-55 ولما حاجوا إبراهيم عليه السلام قال لهم {
 أَثْحَاجُونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءُ
 رَبِّي شَيْئًا وَسَعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عَلَمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ {80} وَكَيْفَ
 أَخَافُ مَا أَشْرَكُتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ
 عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ {81}
 الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُلِسِّنُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ
 مُهْتَدُونَ {82} الاتعام 80-82¹

* فإن هؤلاء المشركين الشرك الأكبر والأصغر يخوفون المخلصين بشفعائهم فيقال لهم نحن لا نخاف هؤلاء الشفعاء الذين لكم فإنهم خلق من خلق الله لا يضرن إلا بعد مشيئة الله {وَإِنْ
 يَمْسِسْكُ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرْدِكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَأْدَ
 لِفَضْلِهِ يُصَابُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ
 } يونس 107 فمن مسه الله بضر فلا كاشف له إلا هو ومن أصحابه برحة فلا راد لفضله وكيف نخاف هؤلاء المخلوقين الذين جعلتموه شفعاء وأنتم لا تخافون الله وأنتم قد أحذتم في دينه من الشرك مالم ينزل به وحيا من السماء فأي الفريقين أحق بالأمن من كان لا يخاف إلا الله ولم يبتدع في دينه شركا أم من ابتدع في دينه شركا بغير إذنه بل من آمن ولم يخلط إيمانه بشرك فهو لاء هم الذين لهم الأمن وهم مهتدون وهذه الحجة المستقيمة التي يرفع الله بها وبأمثالها أهل العلم درجات¹

* ذكر الله عن إمامنا إبراهيم خليل الله أنه قال لمناظريه من المشركين الظالمين { وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكُتُمْ وَلَا تَخَافُونَ
 أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ
 بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ {81} الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُلِسِّنُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ
 أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ {82} الاتعام 81-82 وفي

الصحيح من حديث عبد الله بن مسعود أن النبي فسر الظلم بالشرك وقال ألم تسمعوا إلى قول العبد الصالح إن الشرك لظلم عظيم فأنكر أن نخاف ما أشركوه بالله من جميع المخلوقات العلويات والسفليات وعدم خوفهم من إشراكهم بالله شريكا لم ينزل الله به سلطانا وبين أن القسم الذي لم يشرك هو الآمن المهتدى وهذه آية عظيمة تنفع المؤمن الحنيف في مواضع فإن الإشراك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل دع جليله وهو شرك في العبادة والتاله وشرك في الطاعة والانقياد وشرك في الإيمان والقبول فالغالبية من النصارى والرافضة وضلال الصوفية والفقراء والعامية يشركون بدعاء غير الله تارة وبنوع من عبادته أخرى وبهما جمیعا تارة ومن أشرك هذا الشرك أشرك في الطاعة^١

إن الإشراك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل

* ذكر الله عن إمامنا ابراهيم خليل الله أنه قال لمناظريه من المشركين الظالمين {وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالآمِنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ }81 {الذِّينَ آمَنُوا وَلَمْ يُلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ }82 {الأنعام 82-81 وفي

الصحيح من حديث عبد الله بن مسعود أن النبي فسر الظلم بالشرك وقال ألم تسمعوا إلى قول العبد الصالح { إن الشرك لظلم عظيم } لقمان 13 فأنكر أن نخاف ما أشركوه بالله من جميع المخلوقات العلويات والسفليات وعدم خوفهم من إشراكهم بالله شريكا لم ينزل الله به سلطانا وبين أن القسم الذي لم يشرك هو الآمن المهتدى وهذه آية عظيمة تنفع المؤمن الحنيف في مواضع فإن الإشراك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل دع جليله وهو شرك في العبادة والتاله وشرك في الطاعة والانقياد وشرك في الإيمان والقبول فالغالبية من النصارى والرافضة وضلال الصوفية والفقراء والعامية يشركون بدعاء غير الله تارة

وبنوع من عبادته أخرى وبهما جمِيعاً تارة ومن أشرك هذا الشرك أشرك في الطاعة وكثير من المتفقهة وأجناد الملوك وأتباع القضاة وال العامة المتّبعة لهؤلاء يشرون شرك الطاعة وقد قال النبي صلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعُذَى بْنَ حَاتَمَ لَمَا قَرَأَ {إِتَّخَدُوا أَحْبَارَ هُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أَمْرُوا إِلَّا يَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانُهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} التوبة 31 فقل يارسول الله ما عبدهم فقال ما عبدهم ولكن أحلا لهم الحرام فأطاعوه وحرموا عليهم الحال فأطاعوه فتجد أحد المنحرفين يجعل الواجب ما أوجبه متبوءه والحرام ما حرمه والحلال ما حلله والدين ما شرعه إما دينا وإما دنيا وإما دنيا ودينا ثم يخوف من إمتنع من هذا الشرك وهو لا يخاف أنه أشرك به شيئاً في طاعته بغير سلطان من الله وبهذا يخرج من أوجب الله طاعته من رسول وأمير وعالم ووالد وشيخ وغير ذلك وأما الشرك الثالث فكثير من أتباع المتكلمة والمقلِّفة بل وبعض المتفقهة والمتصوفة بل وبعض أتباع الملوك والقضاة يقبل قول متبوءه فيما يخبر به من الإعتقادات الخبرية ومن تصحيح بعض المقالات وإفساد بعضها ومدح بعضها وبعض القائلين ونم بعض بلا سلطان من الله ويخاف ما أشركه في الإيمان والقبول ولا يخاف إشراكه بالله شخصاً في الإيمان به وقبول قوله بغير سلطان من الله وبهذا يخرج من شرع الله تصديقة من المرسلين والعلماء المبلغين والشهداء الصادقين وغير ذلك فباب الطاعة والتصديق ينقسم إلى مشروع في حق البشر وغير مشروع وأما العبادة والإستعانة والتاله فلا حق فيها للبشر بحال فإنه كما قال القائل ما وضعت يدي في قصة أحد إلا ذلت له ولا ريب أن من نصرك ورزقك كان له سلطان عليك فالمؤمن يريد أن لا يكون عليه سلطان إلا الله ولرسوله ولمن أطاع الله ورسوله وقبول مال الناس فيه سلطان لهم عليه فإذا قصد دفع هذا السلطان وهذا القهر عن نفسه كان حسناً محموداً يصح له دينه بذلك وإن قصد الترفع عليهم

والترأس والمراءة بالحال الأولى كان مذموما وقد يقصد بترك الأخذ غنى نفسه عنهم ويترك أموالهم لهم فهذه أربع مقاصد صالحة غنى نفسه وعزتها حتى لا تفتقر إلى الخلق ولا تذل لهم سلامه ما لهم ودينهم عليهم حتى لا تنقص عليهم أموالهم فلا يذهبها عنهم ولا يوقعهم بأخذها منهم فيما يكره لهم من الاستيلاء عليه ففي ذلك نفعه له أن لا يذل ولا يفتقر إليهم ومنفعة لهم أن يبقى لهم ما لهم ودينهم وقد يكون في ذلك منفعة بتأليف قلوبهم بإبقاء أموالهم لهم حتى يقبلوا منه ويتآلفون بالعطاء لهم فكذلك في إبقاء أموالهم لهم وقد يكون في ذلك أيضا حفظ دينهم فإنهم إذا قبل منهم المال قد يطعمونهم أيضا في أنواع من المعاصي ويتركون أنواعا من الطاعات فلا يقبلون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفي ذلك منافع ومقاصد آخر صالحة وأما إذا كان الأخذ يفضي إلى طمع فيه حتى يستعان به في معصية أو يمنع من طاعة فتلك مفاسد أخرى وهي كثيرة ترجع إلى ذله وفقره لهم فإنهم لا يتمكنون من منعه من طاعة إلا إذا كان ذليلا أو فقيرا إليهم ولا يتمكنون هم من إستعماله في المعصية إلا مع ذله أو فقره فإن العطاء يحتاج إلى جزاء و مقابلة فإذا لم تحصل مكافأة دنيوية من مال أو نفع لم يبق إلا ما ينتظر من المنفعة الصادرة منه إليهم وللد وجوده مكرورة مذمومة منها الرد مراءة بالتشبه بمن يرد غنى وعزه ورحمة للناس في دينهم ودنياهם ومنها التكبر عليهم والإستعلاء حتى يستعبدون ويستعلى عليهم بذلك فهذا مذموم أيضا ومنها البخل عليهم فإنه إذا أخذ منهم احتاج أن ينفعهم ويقضى حوائجهم فقد يترك الأخذ بخلا عليهم بالمنافع ومنها الكسل عن الإحسان إليهم وهذه أربع مقاصد فاسدة في الرد للعطاء الكبر والرياء والبخل والكسل فالحاصل أنه قد يترك قبول المال لجلب المنفعة لنفسه أو لدفع المضرة عنها أو لجلب المنفعة للناس أو دفع المضرة عنهم فإن في ترك أخذه غنى نفسه وعزها وهو منفعة لها وسلامة دينه ودنياه مما يتربى على القبول من أنواع المفاسد وفيه نفع الناس بإبقاء أموالهم ودينهم لهم

ودفع الضرر المتولد عليهم إذا بذلوا بذلا قد يضرهم وقد يتركه لمضرة الناس أو لترك منفعتهم فهذا مذموم كما تقدم وقد يكون في الترك أيضاً مضرة نفسه أو ترك منفعتها إما بأن يكون محتاجاً إليه فيضره تركه أو يكون في أخذه وصرفه منفعة له في الدين والدنيا فيتركها من غير معارض مقاوم فلهذا فصلنا هذه المسألة فإنها مسألة عظيمة وبإرائها مسألة القبول أيضاً وفيها التفصيل لكن الأغلب أن ترك الأخذ كان أجود من القبول ولهذا يعظم الناس هذا الجنس أكثر وإذا صح الأخذ كان أفضل أعني الأخذ والصرف إلى الناس¹

*جهال العوام المبتدعين المضاهين للمشركين والنصارى فإنهم يجعلون من قال الحق في المخلوق سباباً له شاتماً وهم يسبون الله ويشتمونه ويؤذونه ولا يخافون من سب الخالق وشتمه وأشرك به ما يخافونه من قول الحق في حق المخلوق كما قال الخليل لهم { وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } 81 { الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُلْسِنُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ } 82 { الانعام 82-81 الأنعام وكما قال تعالى عن المشركين { وَإِذَا رَأَكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُرُوا أَهْدَا الَّذِي يَذْكُرُ الْهَتَّكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ } الأنبياء 36 فلا يغضبون من ذكر الرحمن بالباطل كما يغضبون من ذكر الهتّهم بالحق وقال تعالى { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَعْلُوْ فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلْمَاتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَاثَةٌ اتَّهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا } 171 { لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ } 172 النساء 171-172 وقد ذكر أهل التفسير أن النصارى نصارى نجران لما قدموا على النبي قالوا يا محمد لم تذكر صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال وأى شيء أقول

له هو عبد الله قالوا بل هو الله فقال إنه ليس بumar عليه أن يكون
 عبد الله فقالوا بلى فأنزل الله هذه الآية وفي الصحيحين عن
 النبي قال ما أحد اصبر على أذى يسمعه من الله يجعلون له
 ولدا وشريكا وهو يعافيهم ويرزقهم وفي الصحيحين أيضا أنه
 قال يقول الله شتمني ابن آدم وما ينبغي له ذلك وكذبني ابن آدم
 وما ينبغي له ذلك فاما شتمه ايهاي قوله إنني إتخذت ولدا وأنا
 الأحد الصمد الذي لم ألد ولم يكن لي كفوا أحد وأما
 تكذيبه ايهاي قوله لن يعيدي كما بدأني وليس أول الخلق بأهون
 على من إعادةه وكان معاذ بن جبل يقول عن النصارى لا
 ترحموهم فقد سبوا الله مسبة ما سبه ايهاي أحد من البشر
 فهو لاء ينتقصون الخالق ويأنفون أن يذكر المخلوق بما يستحقه
 ويجعلون ذلك تتقىسا له وإنما هو إعطاؤه حقه وخفض له عن
 درجة الإلهية التي لا يستحقها إلا الله وهذه حال من أشبهم من
 بعض الوجوه ومنها ظنه أن كل ما كان قربة جاز التوسل إليه
 بكل وسيلة¹

أصل العدل

*قال تعالى {أَمَرَ رَبِّيْ بِالْقُسْطِ وَأَقِيمُواْ وُجُوهُكُمْ عِنْدَ كُلِّ
 مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لِهِ الدِّيَنَ} الأعراف 29 أمر مع القسط
 بالتوحيد الذي هو عبادة الله وحده لا شريك له وهذا أصل الدين
 وضده هو الذنب الذي لا يغفر قال تعالى {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ
 يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} النساء 48 وهو الدين
 الذي أمر الله به جميع الرسل وأرسلهم به إلى جميع الأمم قال
 تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ
 إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونَ} الأنبياء 25 وقال تعالى {وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ
 قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونَ الرَّحْمَنِ اللَّهَ يُعِنِّدُونَ}
 الزخرف 45 وقال تعالى {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً
 أَنِ اعْنُدُواْ اللَّهَ وَاجْتَبَبُوا الطَّاغُوتَ} النحل 36 وقال تعالى
 {شَرَعْ لَكُمْ مِنَ الدِّيَنِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا

وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا
 فِيهِ } الشورى 13 وقال تعالى { يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنِ
 الطَّيَّبَاتِ وَأَعْمِلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ } 51 وَإِنَّ هَذِهِ
 أَمْكُنْكُمْ أَمَّةٌ وَاحِدَةٌ وَإِنَّا رَبُّكُمْ فَلَتَقُولُونَ } 52 المؤمنون 51-52 ولهذا
 ترجم البخارى فى صحيحه باب ما جاء فى أن دين الأنبياء
 واحد وذكر الحديث الصحيح فى ذلك وهو الإسلام العام الذى
 اتفق عليه جميع النبيين قال نوح عليه السلام { وَأَمِرْتُ أَنْ
 أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ } يوئس 72 وقال تعالى فى قصة إبراهيم
 { إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ } 131 وَوَصَّى
 بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنَيْهِ وَيَعْقُوبَ بِيَا بَنَيَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا
 تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ } 132 البقرة 131-132 { وَقَالَ مُوسَى
 يَا قَوْمَ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ } يوئس 84
 وقال تعالى { قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ أَمَنَا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِإِنَّا
 مُسْلِمُونَ } آل عمران 52 وقال في قصة بلقيس { رَبِّ إِنِّي
 ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } النمل 44
 وقال { إِنَّا أَنْزَلْنَا التُّورَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ
 أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْجَارُ } المائدة 44 وهذا
 التوحيد الذى هو اصل الدين هو اعظم العدل وضده وهو الشرك
 اعظم الظلم كما اخر جاه فى الصالحين عن عبدالله بن مسعود
 قال لما أنزلت هذه الآية { الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلِسُو اِيمَانَهُمْ
 بِظُلْمٍ } الأنعام 82 شق ذلك على أصحاب النبي وقالوا أينا لم
 يظلم نفسه فقال ألم تسمعوا إلى قول العبد الصالح إن الشرك
 لظلم عظيم وفي الصالحين عن ابن مسعود قال قلت يا
 رسول الله أى الذنب أعظم قال إن يجعل الله ندا وهو خلقك
 قلت ثم أى قال ثم أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك قلت
 ثم أى قال أن تزاني بحليلة جارك فأنزل الله تصديق ذلك
 { وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ
 اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَرْزُقُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يُلْقَ أثَاماً } الفرقان 68
 الآية وقد جاء عن غير واحد من السلف وروى مرفوعا

الظلم ثلاثة دواوين فديوان لا يغفر الله منه شيئاً وديوان لا يترك
 الله منه شيئاً وديوان لا يعبأ الله به شيئاً فأما الديوان الذي لا يغفر
 الله منه شيئاً فهو الشرك فإن الله لا يغفر أن يشرك به وأما
 الديوان الذي لا يترك الله منه شيئاً فهو ظلم العباد بعضهم بعضاً
 فإن الله لا بد أن ينصف المظلوم من الظالم وأما الديوان الذي لا
 يعبأ الله به شيئاً فهو ظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه أى
 مغفرة هذا الضرب ممكناً بدون رضى الخلق فإن شاء عذب
 وهذا الظالم لنفسه وإن شاء غفر له^١

الامن هو لمن لم يخلط ايمانه بشرك

*أن الضر لا يكشفه إلا الله كما قال تعالى {وَإِن يَمْسِكَ اللَّهُ
 بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ} وَإِن يُرْدِكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَ لِفَضْلِهِ
 {يونس ١٠٧} الذنوب سبب للضر والاستغفار يزيل اسبابه كما
 قال تعالى {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبُهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبُهُمْ
 وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ} الأنفال ٣٣ فاخبر انه سبحانه لا يعذب مستغفراً
 وفي الحديث من اكثر الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً
 ومن كل ضيق مخرجاً ورزقه من حيث لا يحتسب وقال
 تعالى {وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبْتُ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عن
 كَثِيرٍ} الشورى ٣٠

فقوله {إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ} الأنبياء ٨٧ اعتراف بالذنب
 وهو استغفار فان هذا الاعتراف متضمن طلب المغفرة وقوله
 {لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سَ} الأنبياء ٨٧ تحقيق لتوحيد الالهية فإن الخير
 لا موجب له إلا مشيئة الله فما شاء كان وما لم يشاً لم يكن
 والمعوق له من العبد هو ذنبه وما كان خارجاً عن قدرة العبد
 فهو من الله وإن كانت أفعال العباد بقدر الله تعالى لكن الله جعل
 فعل المأمور وترك المحظور سبباً للنجاة والسعادة فشهادة
 التوحيد تفتح باب الخير والاستغفار من الذنوب يغلق بباب الشر
 ولهذا ينبغي للعبد أن لا يعلق رجاءه إلا بالله ولا يخاف من الله أن
 يظلمه فإن الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون بل

يخاف أن يجزيه بذنبه وهذا معنى ما روي عن علي رضي الله عنه أنه قال لا يرجون عبد إلا ربها ولا يخافن إلا ذنبه وفي الحديث المرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه دخل على مريض فقال كيف تجدى فقال أرجو الله وأخاف ذنبي فقال ما اجتمعا في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وآمنه مما يخاف فالرجاء ينبغي أن يتعلق بالله ولا يتعلق بمخلوق ولا بقوة العبد ولا عمله فإن تعليق الرجاء بغير الله إشراك وإن كان الله قد جعل لها أسبابا فالسبب لا يستقل بنفسه بل لا بد له من معاون ولا بد أن يمنع المعارض المعوق له لا يحصل ويبقى إلا بمشيئة الله تعالى ولهذا قيل الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد وهو الأسباب أن تكون أسبابا نقص في العقل والإعراض عن الأسباب بالكلية قبح في الشرع ولهذا قال الله تعالى {فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ} {7} وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغُبْ {8} الشرح 7-8 فأمر بأن تكون الرغبة إليه وحده وقال {وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} {المائدة 23} فالقلب لا يتوكلا إلا على من يرجوه فمن رجا قوته أو عمله أو علمه أو حاله أو صديقه أو قرابته أو شيخه أو ملكه أو ماله غير ناظر إلى الله كان فيه نوع توكل على ذلك السبب وما رجا أحد مخلوقا أو توكل عليه إلا خاب ظنه فيه فإنه مشرك {وَمَنْ يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَكَانَمَا خَرَّ من السَّمَاء فَتَخْطُفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهُوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ} {الحج 31} وكذلك المشرك يخاف المخلوقين ويرجوهم فيحصل له رعب كما قال تعالى {سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا} {آل عمران 151} والخاص من الشرك يحصل له الأمان قال تعالى {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ} {الأنعام 82} وقد فسر النبي صلى الله عليه وسلم الظلم هنا بالشرك ففي الصحيح عن ابن مسعود أن هذه الآية لما نزلت شق ذلك على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا أينا لم يظلم نفسه فقال النبي صلى الله عليه وسلم إنما هذا الشرك ألم

تسمعوا إلى قول العبد الصالح {إِنَّ الشَّرُكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} لقمان 13 وقال تعالى {وَمَنِ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنَدَادًا يُجْبِونَهُمْ كَحْبَ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُ حُبًّا لِّهُ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ} 165 {إِذْ تَبَرَّا الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ} 166 وقال الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّا مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّوْا مِنَا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ} 167 البقرة 165-167 وقال تعالى {قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلُكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا} 56 {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا} 57 الإسراء 56-57 ولهذا يذكر الله الأسباب ويأمر بأن لا يعتمد عليها ولا يرجي إلا الله قال تعالى لما أنزل الملائكة {وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشَرَى لَكُمْ وَلَتَطْمَئِنَ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ} آل عمران 126 وقال {إِنْ يَنْصُرُكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبٌ لَّكُمْ وَإِنْ يَخْذُلُكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} آل عمران 160

1

*قال أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كل من عمل سوءا فهو جاهل وسبب ذلك أن العلم الحقيقي الراسخ في القلب يمتنع أن يصدر معه ما يخالفه من قول أو فعل فمتهى صدر خلافه فلا بد من غفلة القلب عنه أو ضعف القلب عن مقاومة ما يعارضه وتلك أحوال تناقض حقيقة العلم فيصير جهلا بهذا الاعتبار ومن هنا تعرف دخول الأعمال في مسمى الإيمان حقيقة لا مجازا وإن لم يكن كل من ترك شيئا من الأعمال كافرا أو خارجا عن أصل مسمى الإيمان وكذلك اسم العقل ونحو ذلك من الأسماء ولهذا يسمى الله تعالى أصحاب هذه الأحوال موتى وعميا وصمما وبكما وضالين وجاهلين ويفهم بأنهم لا يعقلون ولا يسمعون

ويصف المؤمنين بأولي الألباب والنهى وأنهم مهتدون وأن لهم نورا وأنهم يسمعون ويعقلون¹

الظلم ثلاثة أنواع

* قال محمد بن نصر حدثنا محمد بن يحيى حدثنا الحجاج بن المنهاج عن حماد بن سلمة عن على بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس أن عمر بن الخطاب كان اذ دخل بيته نشر المصحف فقرأ فيه فدخل ذات يوم فقرأ فأتى على هذه الآية {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ} الأنعام 82 إلى آخر الآية فانتعل وأخذ رداءه ثم أتى إلى أبي بن كعب فقال يا أبو المندر أتيت قبل على هذه الآية {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ} الأنعام 82 وقد نرى أنا نظلم وتفعل فقال يا أمير المؤمنين إن هذا ليس بذلك يقول الله {إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} لقمان 13 إنما ذلك الشرك قال محمد بن نصر وكذلك الفسق فسقان فسق ينقل عن الملة وفسق لا ينقل عن الملة فيسمى الكافر فاسقا والفاسق من المسلمين فاسقا ذكر الله إبليس فقال {فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ} الكهف 50 وكان ذلك الفسق منه كفرا وقال الله تعالى {وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَا أَهْمُ النَّارُ} السجدة 20 يزيد الكفار دل على ذلك قوله {كُلُّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أَعْيَدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَبِّرُونَ} السجدة 20 وسمى الفاسق من المسلمين فاسقا ولم يخرجه من الإسلام قال الله تعالى {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شَهَادَاءٍ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلَدًا وَلَا تُقْبِلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} النور 4 وقال تعالى {فَمَنْ قَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثٌ وَلَا فُسُوقٌ وَلَا جِدَالٌ فِي الْحَجَّ} البقرة 197 فقللت العلماء في تفسير الفسوق هنا هي المعاصي قالوا فلما كان الظلم ظلمين والفسق فسقين كذلك الكفر كفران أحدهما ينقل عن الملة والأخر لا ينقل عن الملة وكذلك الشرك شركان شرك في التوحيد ينقل عن الملة وشرك في العمل لا ينقل عن

الملة وهو الرياء قال تعالى { فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا } الكهف 110 يريد بذلك المرأة بالاعمال الصالحة وقال النبي الطيرة شرك¹

* وأنبأنا وكيع عن سفيان عن معاذ عن ابن طاووس عن أبيه قال قلت لابن عباس { وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَهُوَ كافر } قال هو به كفر وليس كمن كفر بالله المائدة 44 واليوم الآخر وملائكته وكتبه ورسله حدثنا محمد بن يحيى حدثنا عبد الرزاق عن سفيان عن رجل عن طاووس عن ابن عباس قال كفر لا ينقض عن الملة حدثنا إسحاق أنبأنا وكيع عن سفيان عن ابن جريج عن سفيان عن سعيد المكي عن طاووس قال ليس بكفر ينقض عن الملة حدثنا إسحاق أنبأنا وكيع عن سفيان عن ابن جريج عن عطاء قال كفر دون كفر وظلم دون ظلم وفسق دون فسق قال محمد بن نصر قالوا وقد صدق عطاء قد يسمى الكافر ظالماً ويسمى العاصي من المسلمين ظالماً فظالم ينقض عن ملة الإسلام وظلم لا ينقض قال الله تعالى { الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ } الأنعام 82 وقال { إِنَّ الشَّرْكَ أَلْظَلُّمُ عَظِيمٌ } لقمان 13 وذكر حديث ابن مسعود المتყق عليه قال لما نزلت { الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ } الأنعام 82 شق ذلك أصحاب النبي وقالوا أينما لم يظلم نفسه قال رسول الله ليس بذلك ألم تسمعوا إلى قول العبد الصالح { إِنَّ الشَّرْكَ أَلْظَلُّمُ عَظِيمٌ } لقمان 13 إنما هو الشرك¹

* فالظلم ثلاثة أنواع فالظلم الذي هو شرك لا شفاعة فيه وظلم الناس بعضهم بعضاً لابد فيه من اعطاء المظلوم حقه لا يسقط حق المظلوم لا بشفاعة ولا غيرها ولكن قد يعطى المظلوم من الظلم كما قد يغفر لظالم نفسه بالشفاعة فالظلم المطلق ما له من شفاعة وأما الموحد فلم يكن ظالماً مطلقاً بل هو موحد مع ظلمه لنفسه وهذا إنما نفعه في الحقيقة أخلاصه لله فبه صار من أهل الشفاعة وأما الظلم المقيد فقد يختص بظلم

الانسان نفسه وظلم الناس بعضهم بعضا كقول آدم عليه السلام
 وحواء { رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا } الأعراف 23 وقول موسى
 { رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي } القصص 16 قوله تعالى
 { وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفِرُوا
 لِذُنُوبِهِمْ } آل عمران 135 لكن قول آدم وموسى إخبار عن واقع
 لا عموم فيه وذلك قد عرف والله الحمد أنه ليس كفرا واما قوله
 { وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ } آل عمران 135
 فهو نكرة في سياق الشرط يعم كل ما فيه ظلم الانسان نفسه وهو
 اذا اشرك ثم تاب تاب الله عليه وقد تقدم ان ظلم الانسان لنفسه
 يدخل فيه كل ذنب كبير او صغير مع الاطلاق وقال تعالى { إِنَّمَا
 أُورَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ
 } فاطر 32 فهذا ظلم لنفسه مقررون بغيره فلا يدخل فيه الشرك
 الأكبر وفي الصحيحين عن ابن مسعود أنه لما أنزلت هذه
 الآية { الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُلْسِنُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ } الأنعام 82 شق
 ذلك على أصحاب النبي وقالوا أينما لم يظلم نفسه فقال النبي
 انما هو الشرك ألم تسمعوا الى قول العبد الصالح { إِنَّ الشُّرُكَ
 لَظُلْمٌ عَظِيمٌ } لقمان 13 والذين شق ذلك عليهم ظنوا أن الظلم
 المشروط هو ظلم العبد نفسه وأنه لا يكون الأمن والاہتداء الا
 لمن يظلم نفسه فشق ذلك عليهم فيبين النبي لهم ما دلهم
 على أن الشرك ظلم في كتاب الله تعالى وحينئذ فلا يحصل الأمن
 والاہتداء الا لمن لم يلبس ايمانه بهذا الظلم ومن لم يلبس ايمانه
 به كان من أهل الأمن والاہتداء كما كان من أهل الاصطفاء في
 قوله { إِنَّمَا أُورَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا } فاطر 32 الى
 قوله { جَنَّاتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا } 33 وهذا لا ينفي أن
 يؤخذ أحدهم بظلم نفسه اذا لم يتتب كما قال تعالى { فَمَنْ يَعْمَلْ
 مِنْ قَالَ ذَرَّةً خَيْرًا يَرَهُ } 7 وَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ قَالَ ذَرَّةً شَرًّا يَرَهُ } 8
 الزلزلة 7-8 وقال تعالى { مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَى بِهِ }
 النساء 123 وقد سأله أبو بكر النبي صلى الله عليه وسلم
 عن ذلك فقال يا رسول الله وأينما لم يعمل سوءا فقال يا أبا بكر

الست تتصب ألسنت تحزن ألسنت تصيب الألواء فذلك ما تجزون به فبين أن المؤمن الذى اذا تاب دخل الجنة قد يجزى بسيئاته فى الدنيا بالمسائب التى تصيبه كما فى الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال مثل المؤمن كمثل الخامدة من الزرع تقيئها الرياح تقومها تارة وتتمليها أخرى ومثل المنافق كمثل شجرة الأرض لا تزال ثابتة على أصلها حتى يكون انجعافها مرة واحدة وفي الصحيحين عنه أنه قال ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا هم ولا حزن ولا غم ولا أذى حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها من خطاياه وفي حديث سعد بن أبي وقاص قلت يا رسول الله أى الناس أشد بلاء قال الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على حسب دينه فان كان فى دينه صلابة زيد فى بلائه وان كان فى دينه رقة خف عنده ولا يزال البلاء بالمؤمن حتى يمشى على الأرض وليس عليه خطيئة رواه أحمد والترمذى وغيرهما وقال المرض حطة يحط الخطايا عن صاحبه كما تحط الشجرة اليابسة ورقها والأحاديث فى هذا الباب كثيرة فمن سلم من أجناس الظلم الثلاثة كان له الأمان التام والاهتداء التام ومن لم يسلم من ظلمه نفسه كان له الأمان والاهتداء مطفقاً بمعنى أنه لابد أن يدخل الجنة كما وعد بذلك في الآية الأخرى وقد هداه إلى الصراط المستقيم الذي تكون عاقبته فيه إلى الجنة ويحصل له من نقص الأمان والاهتداء بحسب ما نقص من ايمانه بظلمه نفسه وليس مراد النبي صلى الله عليه وسلم بقوله إنما هو الشرك ان من لم يشرك الشرك الأكبر يكون له الأمان التام والاهتداء التام فان أحاديثه الكثيرة مع نصوص القرآن تبين أن أهل الكبار معرضون للخوف لم يحصل لهم الامان التام ولا الاهتداء التام الذى يكونون به مهتدين إلى الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين من غير عذاب يحصل لهم بل معهم أصل الاهتداء إلى هذا الصراط ومعهم أصل نعمة الله عليهم ولا بد لهم من

دخول الجنة وقول النبي ﷺ صلى الله عليه وسلم إنما هو الشرك ان أراد به الشرك الأكبر فمقصوده ان من لم يكن من أهله فهو آمن مما وعده المشركون من عذاب الدنيا والآخرة وهو مهند الى ذلك وان كان مراده جنس الشرك فيقال ظلم العبد نفسه كبخاله لحب المال ببعض الواجب هو شرك أصغر وحبه ما يبغضه الله حتى يكون يقدم هواه على محبة الله شرك أصغر ونحو ذلك فهذا صاحبه قد فاته من الأمان والاهتداء بحسبه ولهذا كان السلف يدخلون الذنوب في هذا الظلم بهذا الاعتبار¹

الصحابة كانوا إذا عرض لأحدهم شبهة في آية أو حديث سأله عن ذلك

*أن الصحابة كانوا إذا عرض لأحدهم شبهة في آية أو حديث سأله عن ذلك كما سأله عمر فقال ألم تكن تحدثنا أنا نأتي البيت ونطوف به وسأله أيضا عمر ما بالنا نقصر الصلاة وقد أمنا ولما نزل قوله ﴿وَلَمْ يُلِبِّسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ الأنعام 82 شق عليهم وقالوا أئنا لم يظلم نفسه حتى بين لهم ولما نزل قوله ﴿وَإِنْ تُبُدُّوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ البقرة 284 شق عليهم حتى بين لهم الحكمة في ذلك و لما قال النبي ﷺ عليه و سلم من نوqش الحساب عذب قالت عائشة ألم يقل الله ﴿فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ الانشقاق 8 قال إنما ذلك العرض قالوا و الدليل على ما قلناه إجماع السلف فإنهم فسروا جميع القرآن و قال مجاهد عرضت المصحف على ابن عباس من فاتحته إلى خاتمه أقفه عند كل آية و أسأله عنها وتلقوا ذلك عن النبي ﷺ كما قال أبو عبد الرحمن السلمي حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن عثمان بن عفان و عبدالله بن مسعود و غيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عليه و سلم عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم و العمل قالوا فتعلمنا القرآن و العلم و العمل جميعا¹

ذكر أقوال الكفار وحجتهم وجوابها بأحسن الحجج وأكملها

* ما في القرآن من ذكر أقوال الكفار وحجتهم وجوابها فهذا كثير جداً فإنه يجادلهم تارة في التوحيد وتارة في النبوات وتارة في المعاد وتارة في الشرائع بأحسن الحجج وأكملها كما أخبر الله تبارك وتعالى عن أولي العزم من الرسل بمجادلة الكفار فقال تعالى عن الخليل {وَحَاجَةُ قَوْمِهِ قَالَ أَتُحَاجُونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِي وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسَعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ} 80 {وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَإِنِّي أَفِيقُ أَحَقَّ بِالْأَمْنِ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} 81 {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ} 82 {وَنَّا كُلُّ حُجَّةٍ أَتَيْنَاهَا إِلَرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ} 83 سورة الأنعام الآيات 80-83¹

{ما يُجادلُ في آيات الله إلا الذين كفروا}

* والسلطان هو الوحي المنزلي من عند الله كما ذكر ذلك في غير موضع كقوله {أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ} الروم 35 وقوله {مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ} الأعراف 71 وقال ابن عباس كل سلطان في القرآن فهو الحجة ذكره البخاري في صحيحه¹

* و كما قال تعالى {وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَإِنِّي أَفِيقُ أَحَقَّ بِالْأَمْنِ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} الأنعام 81 وإذا كان كذلك ففي هذا بيان أنه لا يجوز لأحد أن يعارض كتاب الله بغير كتاب فمن عارض كتاب الله وجادل فيه بما يسميه معقولات وبراهين وأقيسة أو ما يسميه مكاففات ومواجيد وأذواق من غير أن يأتي على ما يقوله بكتاب منزل فقد جادل في آيات الله بغير سلطان هذه حال الكفار

الذين قال فيهم {مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرِرُكَ تَقْبِلُهُمْ فِي الْبِلَادِ} غافر 4 فهذه حال من يجادل في آيات الله مطلقاً ومن المعلوم أن الذي يجادل في جميع آيات الله لا يجادل بسلطان¹

تعليق دخول الجنة بالإيمان

* الإسلام المطلق المجرد فليس في كتاب الله تعليق دخول الجنة به كما في كتاب الله تعليق دخول الجنة بالإيمان المطلق المجرد كقوله {سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّنْ رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٌ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَعْدَتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ذَلِكَ فَضْلُّ اللهِ يُؤْتَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} الحديد 21 وقال {وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ} يونس 2 وقد وصف الخليل ومن اتباه بالإيمان كقوله {فَامَّنَ لَهُ لُوطٌ} العنكبوت 26 ووصفه بذلك فقال {فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} 81 {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلِسُوْا إِيمَانُهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ} 82 {وَتِلْكَ حُجَّتَنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ} 83 الأنعام 81-83 ووصفه بأعلى طبقات الإيمان وهو أفضل البرية بعد محمد والخليل إنما دعا بالرزق للمؤمنين خاصة فقال {وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} البقرة 126¹

{يَرْفَعُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ}

{}

* قال الخليل عليه السلام في مناظرته للمشركين لما حاجوه وخوفه عليهم {وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} الأنعام 81 قال تعالى {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلِسُوْا إِيمَانُهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ} الأنعام 82 وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال لما نزلت هذه

الآية {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ} الأنعام 82 شق ذلك على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا يارسول الله اينا لم يظلم نفسه فقال النبي صلى الله عليه وسلم إنما هو الشرك الم تسمعوا قول العبد الصالح {إِنَّ الشَّرَكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} لقمان 13 قال تعالى {وَتَلَكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّنْ نَشَاء} الأنعام 83 قال زيد بن اسلم وغيره بالعلم¹

* قوله تعالى {يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ} المجادلة 11 خص سبحانه رفعه بالأقدار والدرجات الذين أوتوا العلم والإيمان وهم الذين يستشهد بهم في قوله تعالى {شَهَدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُوتُوا الْعِلْمَ قَاتِلًا بِالْقِسْطِ} آل عمران 18 وأخبر أنهم هم الذين يرون ما أنزل إلى الرسول هو الحق بقوله تعالى {وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ} سباء 6 فدل على أن تعلم الحجة والقيام بها يرفع درجات من يرفعها كما قال تعالى {وَتَلَكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّنْ نَشَاء} الأنعام 83 قال تعالى {نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّنْ نَشَاء} يوسف 76 قال زيد بن أسلم بالعلم فرفع الدرجات والأقدار على قدر معاملة القلوب بالعلم والإيمان فكم من يختم القرآن في اليوم مرة أو مرتين وآخر لا ينام الليل وآخر لا يفطر وغيرهم أقل عبادة منهم وأرفع قدرا في قلوب الأمة فهذا كرز بن وبرة وكهمس وإبن طارق يختمن القرآن في الشهر تسعين مرة وحال ابن المسيب وابن سيرين والحسن وغيرهم في القلوب أرفع وكذلك ترى كثيرا من لبس الصوف ويهرج الشهوات ويكتشف وغيره من لا يداينيه في ذلك من أهل العلم والإيمان أعظم في القلوب وأعلى عند النفوس وما ذاك إلا لقوة المعاملة الباطنة وصفائها وخلوصها من شهوات النفوس وأكدار البشرية وطهارتها من القلوب التي تكرر معاملة أولئك وإنما نالوا ذلك بقوه يقينهم بما جاء به الرسول وكمال تصديقه في قلوبهم ووده ومحبته وأن يكون الدين كله الله فإن أرفع درجات القلوب فرحها التام بما جاء

به الرسول وإبتهاجها وسرورها كما قال تعالى {وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزَلَ إِلَيْكَ} الرعد 36 وقال تعالى {قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلَيَفْرَحُوا} يونس 58 الآية ففضل الله ورحمته القرآن والإيمان من فرح به فقد فرح بأعظم مفروج به ومن فرح بغيره فقد ظلم نفسه ووضع الفرح في غير موضعه فإذا استقر في القلب وتمكن فيه العلم بكفايته لعبدة ورحمته له وحلمه عنده وبره به وإحسانه إليه على الدوام أوجب له الفرح والسرور أعظم من فرح كل محب بكل محبوب سواه فلا يزال مترقيا في درجات العلو والإرتفاع بحسب رقيه في هذه المعارف هذا في باب معرفة الأسماء والصفات وأما في باب فهم القرآن فهو دائم التفكير في معانيه والتدبر لألفاظه واستغاثاته بمعانى القرآن وحكمه عن غيره من كلام الناس وإذا سمع شيئاً من كلام الناس وعلومهم عرضه على القرآن فإن شهد له بالتركيبة قبله وإن رده وإن لم يشهد له بقبول ولا رد وقفه ورحمته عاكفة على مراد ربه من كلامه ولا يجعل همته فيما حجب به أكثر الناس من العلوم عن حقائق القرآن إما بالوسوسة في خروج حروفه وترقيقها وتخييمها وإمالتها والنطق بالمد الطويل والقصير والمتوسط وغير ذلك فإن هذا حائل للقلوب قاطع لها عن فهم مراد رب من كلامه وكذلك شغل النطق بـ أذنرتهم وضم الميم من عليهم ووصلها بالواو وكسر الهاء أو ضمها ونحو ذلك وكذلك مراعاة النغم وتحسين الصوت وكذلك تتبع وجوه الإعراب واستخراج التأويلات المستكررة التي هي بالألغاز والأحاجي أشبه منها بالبيان وكذلك صرف الذهن إلى حكاية أقوال الناس ونتائج أفكارهم وكذلك تأويل القرآن على قول من قلد دينه أو مذهبة فهو يتسعف بكل طريق حتى يجعل القرآن تبعاً لمذهبة وتنقية لقول إمامه كل محظيون بما لديهم عن فهم مراد الله من كلامه في كثير من ذلك أو أكثره وكذلك يظن من لم يقدر القرآن حق قدره أنه غير كاف في معرفة التوحيد والأسماء والصفات وما يجب الله وينزه عنه بل الكافي

فِي ذَلِكَ عُقُولُ الْحَيَارِيِّ وَالْمَتَهُوكِينَ الَّذِينَ كُلُّ مِنْهُمْ قَدْ خَالَفُ
صَرِيحَ الْقُرْآنِ مُخَالَفَةً ظَاهِرَةً وَهُؤُلَاءِ أَغْلَظُ النَّاسَ حِجَابًا عَنْ فَهْمِ
^١
كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَاللَّهُ سَبَّحَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ

ذَكْرُ اللَّهِ أَنَّهُ يَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ يَشَاءُ

*قال تعالى {وَتَلَاقَ حُجَّتَنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ
مَّنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ} الأنعام٢٣ وقال تعالى {كَذَلِكَ
كُذَنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذُ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمُلْكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ
نَرْفَعَ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَشَاءٍ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ} يوسف٧٦ ذكر
الله أنه يرفع درجات من يشاء في قصة مناظرة إبراهيم وفي
قصة احتيال يوسف ولها قال السلف بالعلم فان سياق الآيات
يدل عليه فقصة إبراهيم في العلم بالحجارة و المناظرة لدفع ضرر
الخصم عن الدين و قصة يوسف في العلم بالسياسة و التدبير
لتحصل منفعة المطلوب فال الأول علم بما يدفع المضار في الدين و
الثاني علم بما يجلب المنافع أو يقال الأول هو العلم الذي يدفع
المضار عن الدين و يجعل منفعته و الثاني علم بما يدفع المضار
عن الدنيا و يجعل منفعتها أو يقال قصة إبراهيم في علم الأقوال
النافعه عند الحاجة إليها و قصة يوسف في علم الأفعال النافعه
عند الحاجة إليها فالحاجة جلب المنفعة و دفع المضار قد تكون
إلى القول و قد تكون ولها كان المقصرون عن علم الحج و
الدلائل و علم السياسة والامارات مقهورين مع هذين الصنفين
تارة بالاحتياج إليهم إذا هجم عدو يفسد الدين بالجدل او الدنيا
بالظلم و تارة بالاحتياج إليهم اذا هجم على أنفسهم من أنفسهم
ذلك و تارة بالاحتياج إليهم لتخلص بعضهم من شر بعض في
الدين و الدنيا و تارة يعيشون في ظلمهم في مكان ليس فيه مبتدع
يستطيل عليهم ولا وال يظلمهم و ما ذاك إلا لوجود علماء الحج
الدامغة لأهل البدع و السياسة الدافعة للظلم و لهذا قيل صنفان
إذا صلحوا صلح الناس العلماء و الأمراء و كما أن المنفعة فيهما
فالمضرة منها فان البدع و الظلم لا تكون إلا فيهما أهل الرياسة

العلمية و أهل الرياسة القدريّة و لهذا قال طائفة من السلف كالثورى و ابن عيّنة و غيرهما ما معناه أن من نجا من فتنة البدع و فتنة السلطان فقد نجا من الشر كلّه و قد بسطت القول في هذا في الصراط المستقيم عند قوله ﴿فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعُتمْ بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ وَخُسْنَتْ كَالَّذِي خَاصُوا أُولَئِكَ حَبَطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ التوبه 69¹

*إذا أريد بالخطأ الاتّم فليس المجتهد بمخطيء بل كلّ مجتهد مصيب مطيع لله فاعل ما أمره الله به وإذا أريد به عدم العلم بالحق في نفس الأمر فال慈悲 واحد ولهم أجران كما في المجتهدين في جهة الكعبة إذا صلوا إلى أربع جهات فالذى أصاب الكعبة واحد ولهم أجران لاجتهاده و عمله كان أكمل من غيره والمؤمن القوي أحّب إلى الله من المؤمن الضعيف ومن زاده الله علما و عملا زاده أجرا بما زاده من العلم والعمل قال تعالى ﴿وَتَلَكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاء﴾ الأنعام 83 قال مالك عن زيد بن أسلم بالعلم وكذلك قال في قصة يوسف ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذُ أَخَاهُ فِي دِيْنِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِنْ نَشَاءَ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ﴾ يوسف 76

المكذبون للرسل دائمًا حجتهم داحضة متناقضة

* فالمكذبون للرسل دائمًا حجتهم داحضة متناقضة فهم في قول مختلف يؤفّك عنده من أفك قال الله تعالى ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثِيلٍ إِلَّا جُنَاحُكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ الفرقان 33 و قال تعالى ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًّا وَنَصِيرًا﴾ الفرقان 31 و قال تعالى ﴿وَتَلَكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِنْ نَشَاءَ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ الأنعام 83 فحجة المشركين في شركهم بالله و جعلهم له و لدا و في دفع أمره و نهيّه بالقدر داحضة¹

الأنبياء دعوا إلى عبادة الله وحده لا شريك له

*فالأنبياء دعوا إلى عبادة الله وحده لا شريك له قال تعالى لما ذكرهم { ذلك هدى الله يهدى به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحيط عنهم ما كانوا يعملون } 88 { أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فإن يكفر بها هو لاء فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين } 89 { أولئك الذين هدى الله فبهداهم أقذدهم ^١ 90 } الانعام 88-90

تعليق الحكم بالشرط لا يدل على تحقيق الشرط

* قال تعالى { وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلَّا هَدَيْنَا وَنُوحاً هَدَيْنَا مِنْ قَبْلٍ وَمِنْ دُرِّيَّتِهِ دَأْوِودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ } 84 { وَزَكَرِيَا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلَّا مِنَ الصَّالِحِينَ } 85 { وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلَّا فَضَلَّنَا عَلَى الْعَالَمِينَ } 86 { وَمِنْ آبائِهِمْ وَدُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ } 87 { ذلك هدى الله يهدى به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحيط عنهم ما كانوا يعملون } 88 { أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فإن يكفر بها هو لاء فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين } 89 { أولئك الذين هدى الله فبهداهم أقذدهم قل لا أسللكم عليه أجرأ إن هو إلا نكرى للعالمين } 90 { الانعام 84-90 }

فإن تعليق الحكم بالشرط لا يدل على تحقيق الشرط بل قد يعلق بشرط ممتنع لبيان حكمه فأخبر أنهم لو أشركوا لحيط عنهم ما كانوا يعملون مع انتفاء الشرك عنهم بل مع امتناعه لأنهم قد ماتوا لأن الأنبياء معصومون من الشرك به^١

ابراهيم أبو الأنبياء

*وابراهيم هو خير البرية وهو أبو أكثرهم إذ ليس هو أب نوح ولوطن لكن لوط من أتباعه وأيوب من ذريته بدليل قوله في سورة الانعام { وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلَّا هَدَيْنَا وَنُوحاً هَدَيْنَا مِنْ

قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَأْوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ
وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ } الأَنْعَامُ 84

* قال تعالى {وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلَّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا
مِنْ قَبْلٍ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَأْوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى
وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ } الأَنْعَامُ 84 انه ذكر هبة
اسحاق وهبة يعقوب لابراهيم¹

الأنبياء أفضل الخلق وهم أصحاب الدرجات العلى

* الذي عليه جمهور سلف الأمة وأئمتها وكثير من النظار أن الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس والله أعلم حيث يجعل رسالته فالنبي يختص بصفات ميزه الله بها على غيره وفي عقله ودينه واستعد بها لأن يخصه الله بفضله ورحمته كما قال تعالى { وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرِيبَيْنِ عَظِيمٍ } 31 أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسْمَنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ } 32 الزخرف 31-32 وقال تعالى {مَا يَوْدُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْصُصُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ } البقرة 105 وقال تعالى لما ذكر الأنبياء بقوله {وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَأْوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ } 84

{ وَزَكَرِيَاً وَيَحْيَى وَعِيسَى وَالْيَسَرَ كُلُّ مِنَ الصَّالِحِينَ } 85
وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلُّا فَضَلَّنَا عَلَى الْعَالَمِينَ } 86 { وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } 87 الأَنْعَامُ 84-87 فأخبر أنه اجتباهم وهذاهم والأنبياء أفضل الخلق باتفاق المسلمين وبعدهم الصديقون والشهداء والصالحون فلولا وجوب كونهم من المقربين الذين هم فوق أصحاب اليمين لكن الصديقون أفضل منهم أو من بعضهم والله تعالى قد جعل خلقه ثلاثة أصناف فقال تعالى في تقسيمهم في الآخرة { وَكُنْتُمْ أَرْوَاجًا ثَلَاثَةً } 7 فاصحاب

الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ } 8 } وَأَصْحَابُ الْمَشَامَةِ مَا أَصْحَابُ
 الْمَشَامَةِ } 9 } وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ } 10 } أُولَئِكَ الْمُقْرَبُونَ } 11 }
 فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ } 12 } الواقعة 7 - 12 وقال في تقسيمهم عند
 الموت } فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ } 88 } فَرْوَحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ
 نَعِيمٍ } 89 } وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ } 90 } فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ
 أَصْحَابِ الْيَمِينِ } 91 } وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ } 92 }
 فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ } 93 } وَتَصْلِيلَةُ حَمِيمٍ } 94 } الواقعة 88 - 94
 وكذلك ذكر في سورة الإنسان والمطففين هذه الأصناف الثلاثة
 والأنبياء أفضل الخلق وهم أصحاب الدرجات العلى في الآخرة
 فيمتنع أن يكون النبي من الفجار بل ولا يكون من عموم أصحاب
 اليمين بل من أفضل السابقين المقربين فإنهم أفضل من عموم
 الصديقين والشهداء والصالحين وإن كان النبي أيضاً يوصف بأنه
 صديق وصالح وقد يكون شهيداً لكن ذلك أمر يختص بهم لا
 يشركمه فيه من ليس ببني كما قال عن الخليل { وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي
 الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ } العنكبوت 27 وقال يوسف
 { تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَالْحَقِّي بِالصَّالِحِينَ } يوسف 101 فهذا مما
 يوجب تنزيه الأنبياء أن يكونوا من الفجار والفساق وعلى هذا
 إجماع سلف الأمة وجماهيرها وأما من جوز أن يكون غير
 النبي أفضل منه فهو من أقوال بعض ملاحدة المتأخرین من غاله
 الشيعة والصوفية والمتفلسفة ونحوهم وما يحكى عن الفضليه
 من الخوارج أنهم جوزوا الكفر على النبي فهذا بطريق اللازم
 لهم لأن كل معصية عندهم كفر وقد جوزوا المعاصي على النبي
 وهذا يقتضى فساد قولهم بأن كل معصية كفر^١

الله خالق أفعال العباد

*ففي القرآن من ذكر تفصيل أفعال العباد التي بقلوبهم
 وجوارحهم وأنه هو تبارك وتعالى يحدث من ذلك ما يطول
 وصفه كقوله تعالى { فَرِيقًا هَذِي وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالُ }
 الأعراف 30 وقوله تعالى { فَهَذِي اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا احْتَلَفُوا

فيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ { البقرة 213 } قوله { وَلَكُنَ اللَّهُ حَبِّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَرَزَّيْتَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعُصْبَيَانَ أَوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ } الحجرات 7 ومعلوم أنه لم يرد بذلك الهدایة المشتركة بين المؤمن والكافر مثل إرسال الرسل والتمكين من الفعل وإزاحة العلل بل أراد ما يختص به المؤمن كما دل عليه القرآن في مثل قوله تعالى { وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } الأنعام 87 قوله { وَأَتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ } 117 وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } 118 الصافات 117-118 ومنه قولنا في الصلاة { 5 } أهدينا الصراط المستقيم { 6 } صراطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرَ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّلَيْنَ } 7 الفاتحة 6-7 فإن الهدایة المشتركة حاصلة لا تحتاج أن تسأل وإنما تسأل الهدایة التي خص بها المهدتين ومن تأول ذلك بمعنى زيادة الهدی والتثبیت وقال كان ذلك جزءاً كان متناقضاً فإنه يقال هذا المطلوب إن لم يكن حاصلاً باختیار العبد لم يثبت عليه فإنه إنما يثاب على ما فعله باختیاره وإن كان باختیاره فقد ثبت أن الله يحدث الفعل الذي يختاره العبد وهذا مذهب أهل السنة وكذلك ما أخبر الله في القرآن من إضلal وهدی ونحو ذلك فإنهم قد يتأولون ذلك بأنه جزء من ما تقدم وعامة تأویلاتهم مما يعلم بالاضطرار أن الله ورسوله لم يردها بكلامه مع أن هذا الاجزاء مما يثاب الفاعل عليه وإن جوزوا أن الله يثيب العبد على ما ينعم به على العبد من فعله الاختیاري جاز أن ينعم عليه ابتداء باختیاره الطاعة وإن لم يجز عندهم التواب والعقاب على ما يجعل العبد فاعلا له بطل أن يريد هدى أو ضلاله يثاب عليها أو يعاقب عليها وامتنع أن يكون ما أخبر أنه فعله من جعل الأغلال في أعناقهم وجعله من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً ونحو ذلك هو مما يعاقبون عليه وقد قال تعالى { إِنَّ تَحْرِصُ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ } النحل 37 فأخبر أنه من أضل الله لا يهدي وفي الجملة ففي القرآن من

الآيات المبينة أن الله خالق أفعال العباد وأنه هو الذي يقلب قلوب العباد فيهدي من يشاء ويضل من يشاء وأنه هو المنعم بالهدي على من أنعم عليه ما يتذرع استقصاؤه في هذه الموضع وكذلك فيه ما يبين عموم خلقه لكل شيء قوله { اللَّهُ خَالِقٌ كُلَّ شَيْءٍ } الرعد 16 وغير ذلك وفيه ما يبين أنه فعال لما يريد وفيه ما يبين أنه لو شاء لهدى الناس جميا وأمثال ذلك مما يطول وصفه ¹

* إن كل ما في الوجود فهو مخلوق له خلقه بمشيئته وقدرته و ما شاء كان و مالم يشاً لم يكن و هو الذي يعطى و يمنع و يخوض و يرفع و يعز و يذل و يغنى و يفقر و يضل و يهدى و يسعد و يشقى و يولى الملك من يشاء و ينزعه من يشاء و يشرح صدر من يشاء للإسلام و يجعل صدر من يشاء ضيقا لأنما يصعد في السماء و هو يقلب القلوب ما من قلب من قلوب العباد إلا و هو بين إصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أن يقيمه أقامه و إن شاء أن يزيجه أزاغه و هو الذي حب إلى المؤمنين الإيمان و زينه في قلوبهم و كره إليهم الكفر و الفسق و العصيان أولئك هم الراشدون وهو الذي جعل المسلم مسلما والمصلحي مصلحيا قال الخليل { رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ } البقرة 128 و قال { رَبِّ اجْعُلْنِي مُؤْكِمَ الصَّلَاةَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي } إبراهيم 40 و قال تعالى { وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهُدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا } السجدة 24 و قال عن آل فرعون { وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً بَدَعْنَاهُنَّ إِلَيَّ النَّارِ } القصص 41 و قال تعالى { إِنَّ الْإِنْسَانَ حَلْقَ هُلُوِّا } 19 { إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوْعًا } 20 { وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنْوِعًا } 21 المعارج 19-21 و قال { وَاصْنَعْ الْفُلَكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا } هود 37 و قال { وَيَصْنُعُ الْفُلَكَ } هود 38 والفالك مصنوعة لبني آدم و قد أخبر الله تبارك و تعالى أنه خلقها بقوله { وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مَثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ } يس 42 و قال { وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقْلَامِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا

وأشعارها أثاثاً ومتاعاً إلى حين } النحل 80 الآيات و هذه كلها مصنوعة لبني آدم وقال تعالى {أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِثُونَ } 95 وَاللَّهُ خَلَقُكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ } 96} الصافات 95-96 فما بمعنى الذي و من جعلها مصدرية فقد غلط لكن إذا خلق المنحوت كما خلق المصنوع و الملبوس و المبني دل على أنه خالق كل صانع و صنته و قال تعالى {مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلَلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِداً } الكهف 17 و قال {فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَ يَسْرَخْ صَدْرَهُ لِإِسْلَامٍ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضْلِلَ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيْقًا حَرَجًا } الأنعام 125 و هو سبحانه خالق كل شيء و ربه و مليكه و له فيما خلقه حكمة بالغة و نعمة سابعة و رحمة عامة و خاصة و هو لا يسأل عما بفعل و هم يسألون لا مجرد قدرته و قهره بل لكمال علمه و قدرته و رحمته و حكمته فإنه سبحانه و تعالى أحكم الحاكمين و أرحم الراحمين و هو أرحم بعباده من الوالدة بولدها و قد أحسن كل شيء خلقه و قال تعالى {وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسِبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ ثَمُرٌ مَرَ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ } النمل 88 و قد خلق الأشياء بأسباب كما قال تعالى {وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا } البقرة 164 و قال {فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الْثَمَرَاتِ } الأعراف 57 و قال تعالى {يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبْلَ السَّلَامِ } المائدة 16¹

إن الله لم يجعل شيئاً يحيط جميع الحسنات إلا الكفر

*قال النبي صلى الله عليه وسلم غيرة الله ان يأتي المؤمن ما حرم عليه واعظم الذنوب ان تجعل الله ندا و هو خلقه وتجعل معه لها

آخر والشرك منه جليل ومنه دقيق فالمقصدون قاموا بواجب التوحيد والسابقون المقربون قاموا بمستحبه مع واجبه ولا شيء أحب إلى الله من التوحيد ولا شيء ابغض إليه من الشرك ولهذا كان الشرك غير مغفور بل هو أعظم الظلم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم مثل المؤمن مثل الخامنة من الزرع تفيئها الرياح تارة تميلها وتعدلها أخرى ومثل المنافق كمثل شجرة الارز لا تزال ثابتة على أصلها حتى يكون انجعافها مرة واحدة¹

* وإن الله لم يجعل شيئاً يحيط جميع الحسنات إلا الكفر كما أنه لم يجعل شيئاً يحيط جميع السيئات إلا التوبة و المعتزلة مع الخارج يجعلون الكبار محبطة لجميع الحسنات حتى الإيمان قال الله تعالى {وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنِ دِينِهِ فَيَمْتُ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبَطْتُ أَعْمَالَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا حَالِدُونَ} البقرة 217 فلعله يحيط بالموت على الكفر وقد ثبت أن هذا ليس بكافر والمعلم بشرط عدمه وقال تعالى {وَمَنْ يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبَطَ عَمَلَهُ} المائدة 5

وقال تعالى لما ذكر الأنبياء {وَمِنْ أَبْنَاهُمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَأَجْنَبَيَّا هُمْ وَهَدَيَّا هُمْ إِلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ} 87 ذلك هدى الله يهدى به من يشاء من عباده ولو أشركوا الحبطة عنهم ما كانوا يعملون 88 الأنعام 87-88 وقال {لَئِنْ أَشْرَكْتَ أَيْحَبْطَنَ عَمَلَكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} الزمر 65 مطابق قوله تعالى {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ} النساء 48 فإن الإشراك إذا لم يغفر وأنه موجب للخلود في النار لزم من ذلك حبوط حسنات صاحبه ولما ذكر سائر الذنوب غير الكفر لم يعلق بها حبوط جميع الأعمال وقوله {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ} محمد 28 لأن ذلك كفر وقوله تعالى {لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرٍ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالَكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ} الحجرات 2 لأن ذلك قد يتضمن فيقتضي الحبوط وصاحبه لا يدرى كراهيته أن يحيط أو خشيته أن يحيط فنهما هم عن ذلك لأنه

يفضي إلى الكفر المقتضى للحبوط ولا ريب أن المعصية قد تكون سبباً للكفر كما قال بعض السلف المعاصر بريد الكفر فينهى عنها خشية أن تفضي إلى الكفر المحبط كما قال تعالى {فَلْيَحْذِرُ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ} النور 63 وهي الكفر {أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} النور 63 وإيليس خالف أمر الله فصار كافراً وغيره أصابه عذاب أليم وقد احتجت الخوارج والمعزلة بقوله تعالى {إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ} المائدة 27 قالوا فصاحب الكبيرة ليس من المتقين فلا يتقبل الله منه عملاً فلا يكون له حسنة وأعظم الحسنات الإيمان فلا يكون معه إيمان فيستحق الخلود في النار وقد أجابتهم المرجئة بأن المراد بالمتقين من يتقوى الكفر فقالوا لهم إسم المتقين في القرآن يتناول المستحقين للثواب كقوله تعالى {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ} 54 في مقعد صدق عند مليك مقدر {55} القمر 54-55 وأيضاً فابننا آدم حين قربانا لم يكن المقرب المردود قربانه حينئذ كافراً وإنما كفر بعد ذلك إذ لو كان كافراً لم يتقوى الكفر لما يخافون من هذه الآية ولو أريد بها من يتقوى الكفر لا أصل له في خطاب الشارع فلا يجوز حمله عليه والجواب الصحيح أن المراد من يتقوى الله في ذلك العمل كما قال الفضيل بن عياض في قوله تعالى {لِيَلْبُوْكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً} هود 7 قال أخلصه وأصوبه قيل يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه قال إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً والخاص أن يكون لله والصواب أن يكون على السنة فمن عمل لغير الله كأهل الرياء لم يقبل منه ذلك كما في الحديث الصحيح يقول الله عز وجل أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري فأنا بريء منه وهو كله للذي أشركه وقال في الحديث الصحيح لا يقبل الله صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلوط وقال لا يقبل الله صلاة حائض

إلا بخمار وقال في الحديث الصحيح من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد أي فهو مردود غير مقبول فمن إتقى الكفر وعمل عملاً ليس عليه أمر النبي صلى الله عليه وسلم لم يقبل منه وإن صلي بغير وضوء لم يقبل منه لأنه ليس متقياً في ذلك العمل وإن كان متقياً للشرك وقد قال تعالى {وَالَّذِينَ يُؤْثِرُونَ مَا آتُوا وَقُلُوبُهُمْ وَجْهًا أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ} المؤمنون 60 وفي حديث عائشة عن النبي أنها قالت يا رسول الله أهو الرجل يزني ويسرق ويشرب الخمر ويختلف أن يعذب قال لا يا ابنة الصديق ولكنه الرجل يصلى ويصوم ويتصدق ويختلف أن لا يقبل منه وخوف من خاف من السلف أن لا يتقبل منه لخوفه أن لا يكون أتي بالعمل على وجهه المأمور وهذا أظهر الوجه في إستثناء من إستثنى منهم في الإيمان وفي أعمال الإيمان كقول أحدهم أنا مؤمن إن شاء الله وصليت إن شاء الله لخوف أن لا يكون أتي بالواجب على الوجه المأمور به لا على جهة الشك فيما بقلبه من التصديق لا يجوز أن يراد بالآية إن الله لا يقبل العمل إلا من يتقى الذنوب كلها لأن الكافر والفاشق حين يريد أن يتوب ليس متقياً فإن كان قبول العمل مشروطاً بكون الفاعل حين فعله لا ذنب له إمتنع قبول التوبة بخلاف ما إذا إشترط التقوى في العمل فإن التائب حين يتوب يأتي بالتوبة الواجبة وهو حين شروعه في التوبة منتقل من الشر إلى الخير لم يخلص من الذنب بل هو متقد في حال تخلصه منه وأيضاً فلو أتي الإنسان بأعمال البر وهو مصر على كبيرة ثم تاب لوجب أن تسقط سيئاته بالتوبة وتقبل منه تلك الحسنات وهو حين أتي بها كان فاسقاً وأيضاً فالكافر إذا أسلم وعليه للناس مظالم من قتل وغصب وقدف وكذلك الذي إذا أسلم قبل إسلامه مع بقاء مظالم العباد عليه فلو كان العمل لا يقبل إلا من لا كبيرة عليه لم يصح إسلام الذي حتى يتوب من الفواحش والمظالم بل يكون مع إسلامه مخلداً وقد كان الناس مسلمين على عهد رسول الله ولهم ذنوب معروفة وعليهم تبعات فيقبل إسلامهم ويتبون

إلى الله سبحانه من التبعات كما ثبت في الصحيح أن المغيرة بن شعبة لما أسلم وكان قد رافق قوماً في الجاهلية فغدر بهم وأخذ أموالهم وجاء فأسلم فلما جاء عروة بن مسعود عام الحديبية والمغيرة قائم على رأس النبي صلى الله عليه وسلم بالسيف دفعه المغيرة بالسيف فقال من هذا فقالوا ابن أخيك المغيرة فقال يا غدر ألسنت أسعى في غدرتك فقال النبي صلى الله عليه وسلم أما الإسلام فأقبله وأما المال فلست منه في شيء وقد قال تعالى {وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاءِ وَالْعَشَيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدُهُمْ فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ} الأنعام 52 وقالوا لنوح {أَنَّوْمَنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذُلُونَ} 111 قال وما علمي بما كانوا يعْمَلُونَ 112 إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ 113 قال له لا يصح إسلامك حتى لا يكون عليك ذنب وكذلك سائر الشعراء 111-113 ولا نعرف من المسلمين جاءه ذمي يسلم فقال له لا يصح إسلامك حتى لا يكون عليك ذنب وكذلك سائر أعمال البر من الصلاة والزكاة¹

* وما قد يفضي إلى حبوط العمل يجب تركه غاية الوجوب والعمل يحيط بالكفر قاله سبحانه {وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنِ دِينِهِ فَيُمْتَثِّلْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبَطْ أَعْمَالُهُمْ} البقرة 217 وقال تعالى {وَمَنْ يَكُفِرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبَطْ عَمَلُهُ} المائدة 5 وقال {وَلَوْ أَشْرَكُوا الْحِبْطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} الأنعام 88 وقال {لَئِنْ أَشْرَكْتَ لِيْحَبَطَنَ عَمَلُكَ} الزمر 65 وقال {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطْ أَعْمَالُهُمْ} محمد 9 وقال {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطْ أَعْمَالُهُمْ} محمد 28 كما ان الكفر اذا قارنه عمل لم يقبل لقوله تعالى {إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ} المائدة 27 وقوله {الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَصْلَلَ أَعْمَالُهُمْ} محمد 1 وقوله {وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ} التوبة 54 وهذا ظاهر ولا تحبط الاعمال بغير الكفر لأن من مات على الإيمان فإنه لابد من أن يدخل الجنة ويخرج من النار

ان دخلها ولو حبط عمله كله لم يدخل الجنة قط ولأن الاعمال
انما يحيطها ما ينافيها ولا ينافي الاعمال مطلقا الا الكفر وهذا
المعروف من اصول اهل السنة نعم قد يبطل بعض الاعمال
بوجود ما يفسده كما قال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا
صَدَقَاتِكُم بِالْمَنْ وَالْأَدَى} البقرة 264 ولهذا لم يحيط الله الاعمال
في كتابه الا بالكفر¹

الرد على الذين يقولون إن الكبيرة تحبط الحسنات حتى الإيمان

*فالذنوب إنما تقع إذا كانت النفس غير ممثلة لما أمرت به ومع
إمثل المأمور لا تفعل المحظور فإنهما ضدان قال تعالى {
كَذَلِكَ لِنَصْرَفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ
} يوسف 24 الآية وقال {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ
} الحجر 42 فعبد الله مخلصون لا يغويهم الشيطان و الغي
خلف الرشد وهو إتباع الهوى فمن مالت نفسه الى محرم فليأت
بعادة الله كما أمر الله مخلصا له الدين فإن ذلك يصرف عنه
السوء الفحشاء خشية ومحبة والعبادة له وحده وهذا يمنع من
السيئات فإذا كان تائبا فإن كان ناقصا فوقيعه السيئات من
صاحبها كان ماحيا لها بعد الوقوع فهو كالترنيق الذي يدفع آثر
السم ويرفعه بعض حصوله وكالغذاء من الطعام والشراب
وكالإستمتاع من بالحلال الذي يمنع النفس عن طلب الحرام فإذا
حصل له طلب إزالته وكالعلم الذي يمنع من الشك ويرفعه بعد
وقوعه وكالطلب الذي يحفظ الصحة ويدفع المرض وكذلك كما
في القلب من الإيمان يحفظ بأشباهه مما يقوم به وإذا حصل
منه مرض من الشبهات والشهوات وأزيل بهذه ولا يحصل
المرض إلا لنقص أسباب الصحة كذلك القلب لا يمرض إلا
لنقص إيمانه وكذلك الإيمان والكفر متضادان فكل ضدين
فأحدهما يمنع الآخر تارة ويرفعه أخرى كالسواد والبياض حصل
موقعه ويرفعه إذا كان حاصلا كذلك الحسنات والسيئات

والأحباط والمعزلة إن الكبيرة تحبط الحسنات حتى الإيمان وإن من مات عليها لم يكن الجبائى وابنه بالموازنة لكن قالوا من رجحت سيناته خلد في النار والموازنة بلا تخليل قول الأحباط ما أجمع عليه وهو حبوط الحسنات كلها بالكفر كما قال {وَمَن يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنِ دِينِهِ فَيَمْتُ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبَطْتُ أَعْمَالَهُمْ} البقرة 217 الآية قوله {وَمَن يَكْفُرُ بِإِيمَانِ فَقَدْ حَبَطَ عَمَلَهُ} المائدة 5

وقال {وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِبْطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} الأنعام 88 وقال {لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيْحَبَطَ عَمَلُكَ} الزمر 65 الآية وما إدعته المعزلة مخالف لأقوال السلف فإنه سبحانه ذكر حد الزانى وغيره ولم يجعلهم كفارا حابطى الأعمال ولا أمر بقتلهم كما أمر بقتل المرتدين والمنافقون لم يكونوا يظهرون كفرهم والنبي أمر بالصلة على الغال وعلى قاتل نفسه ولو كانوا كفارا ومنافقين لم تجز الصلاة عليهم فعلم أنهم لم يحيط إيمانهم كله وقال عن شرب الخمر لا تلعة فإنه يحب الله ورسوله وكذلك الحب من أعظم شعب الإيمان فعل أن إدمانه لا يذهب الشعب كلها وثبت من وجوه كثيرة يخرج من النار من فى قلبه مثال ذرة من إيمان ولو حبط لم يكن فى قلوبهم شيء منه وقال تعالى {ثُمَّ أُرْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ} فاطر 32 الآية فجعل من المصطفين فإذا كانت السيئات لا تحبط جميع الحسنات فهل تحبط بقدرها وهل يحيط بعض الحسنات بذنب دون الكفر فيه قوله قولان للمنتسبين إلى السنة منهم من ينكره ومنهم من يثبته كما دلت عليه النصوص مثل قوله {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمُنْ وَالْأَذَى} البقرة 264 الآية دل على أن هذه السيدة تبطل الصدقة ضرب مثله بالمرأى وقالت عائشة أبلغى زيدا أن جهاده بطل الحديث وأما قوله {أَنْ تَبْطَلَ أَعْمَالَكُمْ} الحجرات 2 وحديث صلاة العصر ففي ذلك نزاع فقال تعالى {وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ} محمد 33 قال الحسن بالمعاصى والكبائر وعن

عطاء بالشرك والنفاق وعن ابن السائب بالرياء والسمعة وعن مقاتل بالمن وذلك أن قوماً منوا بإسلامهم مما ذكر عن الحسن يدل على أن المعاishi والكبائر تحبط الأعمال فإن قيل لم يرد إلا إبطالها بالكفر قيل ذلك منهى عنه في نفسه ووجب للخلود الدائم فالنهي عنه لا يعبر عنه بهذا بل يذكره على وجه التغليظ قوله {مَنْ يَرْتَدِّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ} المائدة 54 ونحوها والله سبحانه في هذه وفي آية المن سماها إبطالاً ولم يسمه إبطاطاً ولهذا ذكر بعدها الكفر بقوله {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ} محمد 34 الآية فإن قيل المراد إذا دخلتم فيها فأتموها وبها احتاج من قال يلزم التطوع بالشروع فيه قيل لو قدر أن الآية تدل على أنه منهى عن إبطال بعض العمل فإبطاله كله أولى بدخوله فيها كيف وذلك قبل فراغه لا يسمى صلاة ولا صوماً ثم يقال الإبطال يوجد قبل الفراغ أو بعده وما ذكروه أمر بالإتمام والإبطال هو إبطال الثواب ولا نسلم أن من لم يتم العبادة يبطل جميع ثوابه بل يقال إنه يثاب على من فعل من ذلك وفي الصحيح حديث المفلس الذي يأتي بحسنات أمثال الجبال¹

الردة عن الإسلام

*وأما الردة عن الإسلام بأن يصير الرجل كافراً مشركاً أو كتابياً فإنه إذا مات على ذلك حبط عمله باتفاق العلماء كما نطق بذلك القرآن في غير موضع قوله {وَمَنْ يَرْتَدِّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمْتُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبَطْتُ أَعْمَالَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} البقرة 21 وقوله {وَمَنْ يَكُفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبَطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} المائدة 5 وقوله {وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَلَيْهِمْ كَانُوا يَعْمَلُونَ} الأنعام 88 وقوله {لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيْحَبَطَنَ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} الزمر 65 ولكن تنازعوا فيما إذا إرتد ثم عاد إلى الإسلام هل تحبط الأعمال التي عملها قبل الردة

أم لا تحبط إلا إذا مات مرتدًا على قولين مشهورين هما قوله
فى مذهب الإمام أحمد والجبوت مذهب أبي حنيفة والوقف
مذهب الشافعى وتنازع الناس أيضاً فى المرتد هل يقال
كان له إيمان صحيح يحبط بالردة أم يقال بل بالردة تبيناً أن
إيمانه كان فاسداً وأن الإيمان الصحيح لا يزول أبداً على قولين
لطوائف الناس وعلى ذلك يبنى قول المستنى أنا مؤمن إن شاء
الله هل يعود الإستثناء إلى كمال الإيمان أو يعود إلى الموافاة في
المآل والله أعلم¹

* اتفق الأئمة على أن من كان مؤمناً ثم ارتد فإنه لا يحكم بأن
إيمانه الأول كان فاسداً بمنزلة من أفسد الصلاة والصيام والحج
قبل الاكتمال وإنما يقال كما قال الله تعالى { وَمَن يَكُفُّرُ بِالْإِيمَانِ
فَقَدْ حَبَطَ عَمَلُهُ } المائدة 5 وقال { لَئِنْ أَشْرَكْتَ لِيْحَبَطَنَ عَمَلُكَ
} الزمر 65 وقال { وَلَوْ أَشْرَكُوكُ الْحَبْطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ
} الأنعام 88 ولو كان فاسداً في نفسه لوجب الحكم بفساد انكحته
المتقدمة وتحريم ذبائحه وبطلان إرثه المتقدم وبطلان عباداته
جميعها حتى لو كان قد حج عن غيره كان حجه باطلًا ولو صلى
مدة بقوم ثم ارتد كان عليهم أن يعيدوا صلاتهم خلفه ولو شهد أو
حكم ثم ارتد لوجب أن تفسد شهادته وحكمه ونحو ذلك
وكذلك أيضاً الكافر إذا تاب من كفره لو كان محبوباً لله ولانيا له
في حال كفره لوجب أن يقضى بعدم احكام ذلك الكفر وهذا كله
خلاف ما ثبت بالكتاب والسنة والاجماع والكلام في هذه
المسألة نظير الكلام في الارزاق والأجال وهي أيضاً مبنية
على قاعدة الصفات الفعلية وهي قاعدة كبيرة¹

* وأما الكافر المرتد فالمشهور أنه يلزمـه قضاء ما تركـه قبل
الردة من صلاة و زكـاة و صوم و لا يلزمـه قضاء ما تركـه في
زمن الردة و هذا هو المنصوص عنه في مواضع مفرقاً بين ما
تركـه قبل الردة و بعدها و حـكي ابن شـافـعـا رـوايـةـ أنه لا يلزمـه
شيءـ من ذلكـ بنـاءـ علىـ أنـ الرـدةـ تحـبـطـ العـملـ لـقولـهـ تعالىـ {

لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيْخَبِطَنَّ عَمَلَكَ } الزمر 65 و قوله { وَمَنْ يَكْفُرُ
بِالإِيمَانْ فَقَدْ حَبَطَ عَمَلَهُ } المائدة 5 و قوله { وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِبَطَ
عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } الأنعام 88 و قوله تعالى { إِنَّ الَّذِينَ
أَرْتَدُوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى } محمد 25 إلى
قوله تعالى { ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ
فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ } محمد 28 و لأن الكفر الطارئ يهدم ما كان
قبله من الصالحات كما إن الإيمان الطارئ يهدم ما كان قبله من
السيئات والقضاء إنما يراد به جبر ما حصل به من الخلل في
العمل فإذا حبط الجميع فلا معنى لجبره مع ظاهر قوله تعالى
{ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُعَفَّرُ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ
مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ } الأنفال 38 و عنه رواية أخرى أنه يلزم
قضاء الجميع أما قبل الردة فلوجبه عليه وأما ما بعد الردة
فلأنه التزم حكم الإسلام فلا يقبل منه الرجوع عنه كالمسلم إذا
تركها عامداً و لهذا يضمن ما اتلفه في حال الردة من دية أو مال
على المنصوص و لهذا لا يقر على دينه بغير جزية و لا فرق
إذا لم يقر على الاعتقاد لم يقر على موجبه و هو الترك فيكون
مطالباً بالفعل في الدنيا و لأن الدليل يقتضي وجوبها على كل
حال وإنما عفي للكافر الأصلي عن القضاء لأن مدة الترك
تطول غالباً و قد كان على دين يعتقد صحته و لم يعتقد بطلانه و
هو مع ذلك مقر عليه يجوز إن يهادن و يؤمن و أن يسترق و
يعقد له الجزية إن كان من أهل ذلك بخلاف المرتد و وجه
المشهور أن ما تركه قبل الردة قد وجب في ذمته و استقر فلا
يسقط بعد ذلك بفعله لو كان مباحاً فكيف يسقط بالمحرم و لأنه
ترك صلاة يخاطب ب فعلها ابتداء فخوطب بقضائها كالنائم و
الناسى و أولى و لأن تخل المسقط بين زمن الوجوب و القضاء
لا يسقط الواجب كما لو ترك الصلاة ثم حصل جنون أو حيض
ثم حصل العقل و الطهارة فإنه يجب القضاء و أما حبوط
عمله بالردة فقد منع ذلك بعض أصحابنا و قالوا الآيات فيمن
مات على الردة بدليل قوله تعالى { وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنِ دِينِهِ

فَيَمْتُ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبْطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا
وَالآخرة} البقرة 217 و الإطلاق في الآيات البوافي لا يمنع ذلك لأن كل عقوبة مرتبة على كفر فإنها مشروطة بالموت عليه فان قيل التقييد في هذه الآية بالموت على الكفر إنما كان لأنه مرتب علي شيئاً و هو حبوط العمل و الخلود في النار و الخلود إنما يستحقه الكافر و تلك الآيات إنما ذكر فيها الحبوط فقط فعلم إن مجرد الردة كافية فلنا قوله { وَمَن يَكُفُرُ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبَطَ عَمَلَهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ } المائدة 5 و قوله تعالى { لَئِنْ أَشْرَكْتَ لِيَحْبَطَنَ عَمَلَكَ وَلَتَكُونَنَ مِنَ الْخَاسِرِينَ } الزمر 65 لا يكون إلا لمن مات مرتداً لأن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم و أهليهم يوم القيمة وهذا ليس لمن مات على عمل صالح لأنه إذا عاد إلى الإسلام فقد غفر له الإرتداد الماضي لأن التائب من الذنب كمن لا ذنب له و إذا زال الذنب زالت عقوباته و موجباته و حبوط العمل من موجباته يبين هذا أنه لو كان فعل في حال الردة ما تقتضيه الردة من شتم او سب أو شرك لم يقم عليه إذا اسلم و لأن الكافر الحربي لو تقرب إلى الله بأشياء ثم ختم له بالإسلام لكان محسوبة له بدليل ما روى حكيم ابن حزام قال قلت يا رسول الله أرأيت أموراً كنت أتحنث بها في الجاهلية من صلاة و عتاقة و صلة هل فيها من اجر فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم أسلمت على ما سلف لك من خير متყق عليه فإذا كان الكفر المقارن للعمل لا يحيط إلا بشرط الموت عليه فإنه لا يحيط الكفر الطارئ إلا بشرط الموت أخرى و أولى لأن بقاء الشيء أولى من ابتدائه و حدوثه و الدفع أسهل من الرفع و لهذا قالوا الردة و الإحرام و العدة تمنع ابتداء النكاح دون دوامه كيف و تلك الأعمال حين عملت عملت الله سبحانه و قد غفر الله ما كان بعدها من الكفر بالتوبه منه و من أصحابنا من قال يحيط العمل مطلقاً لكن قال الإحباط هو إحباط الثواب لا إبطال العمل في نفسه بدليل أنه لا ينقض ما قبل الردة من الأمور المشروطة بالإسلام كالحكم و الولاية و الإرث و الإمامة و الذبح

فلا تبطل صلاة من صلى خلفهم و لا يحرم ما نسبه قبل الردة ولا يلزم من بطلان ثوابه مما فعله سقوط الواجب الذي لم يفعله فان الردة تناسب التشديد لا التخفيف ثم نقول فعل المكتوبة له فائدتان إحداهما أنه يقتضي الثواب و الثانية أنه يمنع العقاب الواجب بتقدير الترك فإذا ارتد ذهبت فائدة واحدة و هي الثواب و بقيت الأخرى و هي منع العذاب على الترك بحيث لا يعذب من فعل و يحيط عمله على نفس ما فعله من الخير و إنما يعذب على الكفر المحبط كما يعذب من لم يفعل و هذا الحال يتعمّن جبره و إلا عوقب على الترك و هذا معنى ما يجيء في كثير من الأعمال الواجبة أنها غير مقبولة أي لا ثواب فيها و إن أبرأت الذمة بحيث لو لا الفعل لكان مكلفا و لو لا السبب المانع من القبول لكان فيها ثواب و لهذا قلنا إذا أتى قبل الردة ما يوجب الحد من زنى أو سرقة و غيرهما فانه يقام عليه الحد بعد الإسلام الثاني نص عليه بخلاف من أقيم عليه الحد قبل الردة فانه لا يقام عليه الحد ثانية فلو فرضنا إن لا فائدة أصلا فيما فعله قبل الردة فإنما ذلك فيما يفعله دون ما يوجب عليه و لم يفعله فانه الآن قادر على فعله على وجه يبرئه فيجب عليه كما يجب عليه قضاء الحقوق التي كانت واجبة قبل الردة و يثاب على قضائها و إن كان قد بطلت فائدة ما قضاه قبل الردة و أما ما قبل الإسلام فإنه لم يخاطب به ابتداء و إنما يخاطب أولا بالإسلام فلا يجب قضاؤه كالكافر الأصلي فان الموجب للسقوط في أحدهما موجود في الآخر و قد ارتد جماعة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم و أبي بكر و مكث منهم طائفة على الردة برهة من الدهر و لم ينقل أن أحدا منهم أمر بالقضاء و لأن الترك هنا كان في ضمن الاعتقاد فلما غفر له الاعتقاد غفر له ما في صمنه و لأن إيجاب القضاء هنا قد يكون فيه تغافل عن الإسلام لا سيما إذا كثرت أعوام الردة و كانت الأموال كثيرة فإنه قد يعجز عن القضاء فيصر على الكفر فرارا من القضاء فأما ما فعله قبل الردة فلا يجب عليه قضاؤه بحال لأن الذمة برئت منه حتى الحج في إحدى الروايتين

و عنه إيجاب قضاء الحج فمن أصحابنا من علل ذلك بأن العمل الماضي حبط بالردة فيجب عليه ما يجب على الكافر الأصلي فعلى هذا يجب إعادة ما صلى إذا أسلم و وقته باق و هذه طريقة ابن شacula و أبي الخطاب و غيرهما و قال القاضي و الأمدي و أكثر أصحابه مثل الشريف أبي جعفر يجب إعادة الحج مع القول بأن العمل لم يحيط لأن هذا إسلام جديد و الإسلام مبني على خمس فلا بد فيه من جميع المباني بخلاف ما تكرر وجوبه من الصلاة و الزكاة و الصوم و لأن الإحتساب له بذلك الحج لا يمنع أن يجب عليه حج ثان بالإسلام كالكافر العربي لو حج ثم أسلم لزمه حج ثان مع أن ذلك الحج محسوب له و كذلك العبد و الصبي لو حجا قبل الوجوب كتب لهما ثوابه ثم يلزمهما بالوجوب حج ثان و إذا أسلم لزمه قضاء ما تركه بعد الإسلام و إن لم يعلم وجوبه^١

لم يثن الله على أحد في القرآن بنسبه

*لم يثن الله على أحد في القرآن بنسبه أصلا لا على ولدنبي ولا على أبينبي وإنما أثني على الناس بإيمانهم وأعمالهم وإذا ذكر صنفا وأثني عليهم فلما فيهم من الإيمان والعمل لا لمجرد النسب ولما ذكر الأنبياء ذكرهم في الأنعام وهم ثمانية عشر قال {وَمِنْ أَبَائِهِمْ وَدُرْيَاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} الأنعام ٨٧ فبهذا حصلت الفضيلة باجتنبائه سبحانه وتعالى و هدايته إياهم إلى صراط مستقيم لا بنفس القرابة وقد يوجب النسب حقوقا ويوجب لأجله حقوقا و يعلق فيه أحکاما من الإيجاب والتحريم والإباحة لكن الثواب والعقاب والوعيد على الأفعال لا على الأنساب ولما قال تعالى {إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ} آل عمران ٣٣ وقال {أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا أَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا} النساء ٥٤ كان هذا مدحا لهذا المعدن الشريف لما فيهم من

الإيمان والعمل الصالح ومن لم يتصف بذلك منهم لم يدخل في المدح كما في قوله تعالى {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعْلًا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسْقُونَ} الحديد 26 وقال تعالى {وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمَنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ} الصافات 113¹

الإحسان يجمع كمال الإخلاص لله ويجمع الإتيان بالفعل الحسن الذي يحبه الله

* قال تعالى {وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلَّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلٍ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاؤُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} الأنعام 84 والإحسان ضد الإساءة وهو فعل الحسن سواء كان لازما لصاحبها أو متعديا إلى الغير¹

* وأما الإحسان فقوله أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك قد قيل أن الإحسان هو الإخلاص والتحقيق أن الإحسان يتناول الإخلاص وغيره والإحسان يجمع كمال الإخلاص لله ويجمع الإتيان بالفعل الحسن الذي يحبه الله قال تعالى {بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرٌ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خُوفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} البقرة 112 وقال تعالى {وَمَنْ أَحْسَنْ دِينًا مَمْنُ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا} النساء 125 فذكر إحسان الدين أولا ثم ذكر الإحسان ثانيا¹

الصالح هو الذي استوت سريرته وعلانيته

* قال تعالى {وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاؤُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} 84 {وَزَكَرِيَا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلُّ مِنَ الصَّالِحِينَ} 85 {الأنعام 84-85} وكذلك لفظ الصالح و الشهيد و الصديق يذكر

مفردا فيتناول النبئين قال تعالى في حق الخليل { وَاتَّيْنَاهُ أَجْرَهُ
 في الدُّنْيَا وَإِنَّهُ في الْآخِرَةِ لِمَنِ الصَّالِحِينَ } العنکبوت 27 وقال
 { وَاتَّيْنَاهُ في الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ في الْآخِرَةِ لِمَنِ الصَّالِحِينَ }
 النحل 122 وقال الخليل { رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقْتِي
 بِالصَّالِحِينَ } الشعراء 83 وقال يوسف { تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَالْحَقْنِي
 بِالصَّالِحِينَ } يوسف 101 وقال سليمان { وَأَذْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ
 فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ } النمل 19 وقال النبي صلى الله عليه
 وسلم في الحديث الصحيح المتفق على صحته لما كانوا
 يقولون في آخر صلاتهم السلام على الله قبل عباده السلام على
 فلان فقال لنا رسول الله ذات يوم إن الله هو السلام فإذا
 قعد أحدكم في الصلاة فليقل التحيات لله والصلوات والطيبات
 السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى
 عباد الله الصالحين فإذا قالها أصابت كل عبد صالح الله في السماء
 والأرض الحديث وقد يذكر الصالح مع غيره كقوله
 تعالى { فَأَوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ
 وَالصَّدِيقِينَ وَالشَّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسْنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا } النساء 69
 قال الزجاج وغيره الصالح القائم بحقوق الله وحقوق عباده ولفظ
 الصالح خلاف الفاسد فإذا أطلق فهو الذي أصلاح جميع أمره
 فلم يكن فيه شيء من الفساد فاستوت سريرته وعلانيته وأقواله
 وأعماله على ما يرضي ربه وهذا يتناول النبئين ومن دونهم¹

الاسلام دين جميع المرسلين

*في توحد الملة وتعدد الشرائع وتنوعها وتوحد الدين الملى دون
 الشرعى وما فى ذلك من اقرار ونسخ وجريان ذلك فى اهل
 الشريعة الواحدة بنوع من الاعتبار قال الله تعالى { وَإِذْ ابْتَلَى
 إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا
 } البقرة 124 فهذا نص فى انه امام الناس كلهم وقال { إِنَّ
 إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً } النحل 120 وهو القدوة الذى يؤتى به وهو معلم
 الخير وقال تعالى فى آل عمران { شَهَدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمُ فَإِنَّمَا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ
 الْحَكِيمُ {18} إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْتُوا
 الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعْدًا بَيْنَهُمْ {19} آل عمران 18-19
 فأخبر ان الدين عند الله الاسلام وان الذين اختلفوا من اهل الكتاب وصاروا على ملل شتى ما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم وفيه بيان ان الدين واحد لا اختلاف فيه وقال تعالى {فُلْ أَنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مُّلَهَّ إِبْرَاهِيمَ
 حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ {161} قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي
 وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ {162} الأنعام 161-162 هذا
 بعد ان ذكر الانبياء فقال **{أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فِيهِمَا هُمْ افْتَدَهُ}**
{الأنعام 90} وهذا في القرآن مذكور في مواضع كثيرة

وكذلك في الأحاديث الصحيحة مثل ما ترجم عليه البخاري فقال
 باب ما جاء في أن دين الانبياء واحد وذكر الحديث المتفق
 عليه عن أبي هريرة عن النبي قال انا معاشر الانبياء اخوة
 لعات ومثل صفتة في التوراة لن أقبضه حتى أقيم به الملة
 العوجاء فافتتح به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلبا ولها وحد
 الصراط والسبيل في مثل قوله تعالى {إِهْدِنَا الصِّرَاطَ
 الْمُسْتَقِيمَ {6} صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ
 وَلَا الضَّالِّينَ {7} الفاتحة 6-7 الاسلام دين جميع المرسلين¹

*والأنبياء صلوات الله عليهم وسلم أجمعين قد امرنا أن نؤمن
 بما أتوه وأن نقتدى بهم وبهداهم قال تعالى {قُولُواً أَمَّا بِاللَّهِ وَمَا
 أَنْزَلَ إِلَيْنَا وَمَا أَنْزَلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
 وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا
 نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ { البقرة 136 } و قال تعالى
{أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فِيهِمَا هُمْ افْتَدَهُ} {الأنعام 90} محمد خاتم
 النبيين لا نبى بعده وقد نسخ بشر عه ما نسخه من شرع غيره فلم
 يبق طريق إلى الله إلا باتباع محمد صلى الله عليه وسلم فما أمر
 به من العبادات أمر إيجاب أو إستحباب فهو مشروع و كذلك
 ما رغب فيه وذكر ثوابه وفضله ولا يجوز أن يقال أن هذا

مستحب أو مشروع إلا بدليل شرعى ولا يجوز أن يثبت شريعة
بحديث ضعيف لكن إذا ثبت أن العمل مستحب بدليل شرعى
وروى له فضائل بأسانيد ضعيفة جاز أن تروى إذا لم يعلم أنها
كذب وذلك أن مقدار الثواب غير معلومة فإذا روى فى مقدار
الثواب حديث لا يعرف أنه كذب لم يجز أن يكذب به وهذا هو
الذى كان الإمام أحمد بن حنبل وغيره يرخصون فيه وفي
روايات أحاديث الفضائل وأما أن يثبتوا أن هذا عمل مستحب
مشروع بحديث ضعيف فحاشا الله كما أنهم إذا عرفوا أن الحديث
كذب فإنهم لم يكونوا يستحلون روايته إلا أن يبينوا أنه كذب لقول
النبي فى الحديث الصحيح من روى عنى حديثا يرى أنه كذب
 فهو أحد الكاذبين وما فعله النبي على وجه التعبيد فهو عبادة
يشرع التأسى به فيه فإذا خصص زمان أو مكان بعبادة كان
تخصيصه بتلك العبادة سنة كتخصيصه العشر الاواخر
بالإعتكاف فيها وكتخصيصه مقام إبراهيم بالصلاه فيه فالتأسى
به أن يفعل مثل ما فعل على الوجه الذى فعل لأنه فعل¹

{أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فِيهِمْ افْتَدَهُ}

*قال تعالى {يُرِيدُ اللَّهُ لِيَبْيَنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَّ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ
وَيَتُوَبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} النساء 26 أن الله سبحانه وتعالى
يريد أن يبين لنا ويهدينا سنن الذين من قبلنا قال فيهم {أُولَئِكَ
الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فِيهِمْ افْتَدَهُ} الأنعام 90 وهم الذين امرنا ان
نسأله الهدایة لسبيلهم في قوله {اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} 6
صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ} 7 الفاتحة 7 فهو يحب لنا
ويأمرنا ان نتبع صراط هؤلاء وهو سبيل من أناب إليه¹

*قال تعالى {وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا
مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ} النور 34 وهو ما ذكره من أحوال
الامم الماضية التي يعتبر بها ويقاس عليها أحوال الامم المستقبلة
كما قال {أَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لَّاُولَى الْأَلْبَابِ}
يوسف 111 فمن كان من أهل الإيمان قيس بهم وعلم أن الله

يسعده في الدنيا والآخرة ومن كان من أهل الكفر فليس بهم علم
 أن الله يشقىء في الدنيا والآخرة كما قال في حق هؤلاء {أَكُفَّارُكُمْ
 خَيْرٌ مِّنْ أَوْلَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ} القمر 43 وقد قال {فَدَّ
 خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنُنُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
 الْمُكَدَّبِينَ} آل عمران 137 وقال في حق المؤمنين {وَعَدَ اللَّهُ
 الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيُسْتَخْلِفَهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا
 اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} النور 55 وقال {وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ
 مُعَاضِبًا فَظَنَّ أَنَّ لَنْ تَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا
 أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ} 87 فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَتَجَيَّنَاهُ
 مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ ننْجِي الْمُؤْمِنِينَ} 88 الأنبياء 87-88 وقال في
 قصة أیوب {فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٌّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ
 وَمِنْهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ} الأنبياء 84
 {رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَى لِأُولَئِي الْأَلْبَابِ} ص 43 وقال {أُولَئِكَ
 الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فِيهِمَا هُمْ اقْتَدُهُ} الأنعام 90¹

{إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ}

* فإن القرآن هو شرف لم من آمن به من قومه وغيرهم وليس
 شرفا لجميع قومه بل من كذب به منهم كان أحقر بالذم كما قال
 تعالى {وَكَذَبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ} الأنعام
 66 بخلاف كونه تذكرة وذكرى فإنه تذكرة لهم ولغيرهم كما
 قال تعالى {أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فِيهِمَا هُمْ اقْتَدُهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ
 أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ} الأنعام 90 فعم العالمين

¹ جميعهم

تعليم القرآن والعلم بغير أجرة فهو أفضل الأعمال

* الرسول صلى الله عليه وسلم بعثه الله تعالى هدى ورحمة
 للعالمين فإنه كما أرسله بالعلم والهدى والبراهين العقلية و
 السمعية فإنه أرسله بالإحسان إلى الناس و الرحمة لهم بلا عوض

و بالصبر على أذاهم و إحتماله فبعثه بالعلم و الكرم و الحلم عليم
 هاد كريم محسن حليم صفوح قال تعالى { وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى
 صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } 52 صِرَاطٌ اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي
 الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ } 53 الشورى 52-53 و قال
 تعالى { إِنَّ رَبَّهُمْ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى
 النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ } إبراهيم 1 و قال
 تعالى { وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَذَرِّي مَا
 الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَا نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءَ مِنْ
 عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } الشورى 52 و نظائره
 كثيرة و قال { قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ } الفرقان 57 و
 قال { قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرٍ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ
 عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ } سبا 47 و قال **{ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا }**
{ الأنعام 90} فهو يعلم و يهدي و يصلح القلوب و يدلها على
 صلاحها في الدنيا والآخرة بلا عوض و هذا نعت الرسل
 كلهم كل يقول { وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ } الشعراء 109 و لهذا
 قال صاحب بيس { يَا قَوْمَ اتَّبَعُوا الْمُرْسَلِينَ } 20 اتَّبَعُوا مَنْ لَا
 يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهَتَّدُونَ } 21 بيس 21 و هذه سبيل من اتباعه
 كما قال { قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَذْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ
 اتَّبَعَنِي } يوسف 108

*قال تعالى { أَوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمْ افْتَدَهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ
 عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ } الأنعام 90 أما تعليم القرآن
 والعلم بغير أجرة فهو أفضل الأعمال وأحبها إلى الله وهذا مما
 يعلم بالإضطرار من دين الإسلام ليس هذا مما يخفى على أحد
 ومن نشأ بديار الإسلام والصحابة والتبعون وتابعوا التابعين
 وغيرهم من العلماء المشهورين عند الأمة بالقرآن والحديث
 والفقه إنما كانوا يعلمون بغير أجرة ولم يكن فيهم من يعلم بأجرة
 أصلاً فإن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً
 ولا درهما وإنما ورثوا العلم فمن أخذه فقد أخذ بحظ وافر
 والأنبياء صلوات الله عليهم إنما كانوا يعلمون العلم بغير أجرة

كما قال نوح عليه السلام {وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنَّ أَجْرِيَ
إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ} الشعراة 109 وكذلك قال خاتم الرسل {قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ
وَشَعِيبَ وَلَوْطَ وَغَيْرَهُمْ وَكَذَلِكَ قَالَ خَاتَمُ الرَّسُولِ} {قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ
عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ} ص 86 وقال {قُلْ مَا
أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا
} الفرقان 57 وتعليم القرآن والحديث والفقه وغير ذلك بغير
أجرة لم يتنازع العلماء في أنه عمل صالح فضلاً عن أن يكون
جائزاً بل هو من فروض الكفاية فإن تعليم العلم الذي بينه فرض
على الكفاية كما قال النبي في الحديث الصحيح ¹ بلغوا عنى
ولو آية وقال لبيـلـ الشـاهـدـ الغـائبـ

لطائف لغوية

1- قال تعالى {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ اتَّخِذْ أَصْنَامًا آلَهَةً إِنِّي
أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} الانعام 74 عامة الأسماء يتتوـعـ
مسماها بالاطلاق والتقييد ولفظ الضلال اذا أطلق تناولـ
من ضل عن الهدى سواء كان عمداً او جهلاً ولزـمـ ان يكونـ
معدباً كقوله {إِنَّهُمْ أَفْوَأُوا أَبْاءَهُمْ ضَالِّيـنـ} 69 فـهـمـ عـلـىـ آثـارـهـمـ
يـهـرـعـونـ 70 وـلـقـدـ ضـلـلـهـمـ أـكـثـرـ الـأـوـلـيـنـ 71 الصافات 69
71- قوله {وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَا أَطْعَنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءِنَا فَأَضْلَلُونَا
السـبـيـلـاـ} 67 {رَبَّنَا آتـهـمـ ضـيـعـيـنـ مـنـ الـعـذـابـ وـالـعـنـهـمـ لـعـنـاـ
كـبـيرـاـ} 68 الأحزاب 67-68 وقوله {فَمَنِ اتَّبَعَ هُدًـاـيـ فـلـاـ
يـضـلـلـ وـلـاـ يـسـقـىـ} طه 123 ثم يقرن بالغـيـ والغـضـبـ كما فيـ
قوله {مـاـ ضـلـلـ صـاحـبـكـمـ وـمـاـ غـوـىـ} النـجـمـ 2 وـفـيـ قولـهـ {غـيـرـ
المـغـضـوبـ عـلـيـهـمـ وـلـاـ الضـالـلـيـنـ} الفـاتـحةـ 7 وـقـوـلـهـ {إـنـ الـمـجـرـمـيـنـ
فيـ ضـلـالـ وـسـعـرـ} القـمرـ 47

2- قال تعالى {فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا
أَفَلَ قَالَ لَا أَحْبُّ الْأَفْلَيْنَ} 76 فـلـمـاـ رـأـىـ الـقـمـرـ باـزـغـاـ قـالـ هـذـاـ
رـبـيـ فـلـمـاـ أـفـلـ قـالـ لـئـنـ لـمـ يـهـدـنـيـ رـبـيـ لـاـكـوـنـ مـنـ الـقـوـمـ
الـضـالـلـيـنـ} 77 فـلـمـاـ رـأـىـ الشـمـسـ باـزـغـةـ قـالـ هـذـاـ أـكـبـرـ

فَلَمَّا أَفْلَتْ قَالَ يَا قَوْمَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ {78} الأنعام 76-
78 الأول هو المغيب والاحتجاب ليس هو الإمكان ولا
الحركة¹

3- قال الله تعالى {فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ} الأنعام 76 أي يستولى
عليه فغطاه و ستره¹

4- و إضمار الاستفهام إذا دل عليه الكلام لا يقتضى جواز
إضماره في الخبر المخصوص من غير دلالة فان هذا يناقض
المقصود و يستلزم أن كل من اراد أن ينفي ما أخبر الله به يقدر
أن ينفيه بأن يقدر في خبره استفهاما و يجعله استفهام إنكار و
هذا من جهة العربية نظير ما زعمه بعضهم في قول إبراهيم
عليه السلام **{هَذَا رَبِّي}** الأنعام 78 أهذا ربى قال ابن
الأنباري هذا القول شاذ لأن حرف الاستفهام لا يضم إذا كان
فارقًا بين الأخبار والاستخبار و هؤلاء استشهدوا بقوله
أفان مت فهم الخالدون و هذا لا حجة فيه لأنه قد تقدم
الاستفهام في أول الجملة في الجملة الشرطية و ما جعلنا لبشر
من قبلك الخلد فلم يحتاج إلى ذكره ثانية بل ذكره يفسد الكلام و
مثله قوله أفان مات او قتل {أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى
أَعْقَابِكُمْ} آل عمران 144 و قوله {أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ
بِمَا لَا تَهُوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ} البقرة 87 و قوله {أَوْ كُلَّمَا
عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذُوا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ} البقرة 100 و هذا من فصيح
الكلام و بلغه¹

5- قال تعالى {فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازْ غَآ قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ
لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَا كُوْنَنَ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ} الأنعام 77 عامه
الأسماء يتتنوع مسماتها بالاطلاق والتقييد وكذلك لفظ الهدى
اذا أطلق تناول العلم الذي بعث الله به رسوله والعمل به جميعا
فيدخل فيه كل ما أمر الله به كما في قوله {اَهَدَنَا الصِّرَاطَ
الْمُسْتَقِيمَ} الفاتحة 6 والمراد طلب العلم بالحق والعمل به جميعا
وكذلك قوله {هُدًى لِلْمُتَّقِينَ} البقرة 2 والمراد به أنهم يعلمون

ما فيه ويعملون به ولهذا صاروا مفلحين وكذلك قول أهل الجنة
{الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي هَدَا لَهُنَا} {الأعراف} 43 وانما هداهم بأن
 ألههم العلم النافع والعمل الصالح ثم قد يقرن الهدى اما
 بالاجتباء كما في قوله **{وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ**
مُسْتَقِيمٍ} {الأنعام} 87 وكما في قوله **{شَاكِرًا لَا نَعْمَمِ اجْتَبَاهُ**
وَهَدَاهُ} {النحل} 121 **{اللّٰهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ**
 من يُنَيبُ {الشورى} 13 وكذلك قوله تعالى **{هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ**
رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينَ الْحَقِّ} {التوبه} 33 والهدى هنا هو الإيمان
 ودين الحق هو الإسلام اذا أطلق الهدى كان كالإيمان المطلق
 يدخل فيه هذا وهذا لفظ الضلال اذا أطلق تناول من
 ضل عن الهدى سواء كان عمداً أو جهلاً ولزム أن يكون معذباً
 قوله **{إِنَّهُمْ أَفْوَأُوا أَبَاءُهُمْ ضَالِّينَ}** {69} فهم على آثارهم
يُهْرَعُونَ {70} **وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ** {71} **الصفات** 69
 71- قوله **{وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَا أَطْعَنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءِنَا فَأَضَلُّونَا**
السَّيِّلَا} {67} **رَبَّنَا آتَهُمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا**
كَبِيرًا {68} **الاحزاب** 67-68 وقوله **{فَمَنْ اتَّبَعَ هُدًى أَيْ فَلَا**
يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى} {طه} 123 ثم يقرن بالغنى والغضب كما في
 قوله **{مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى}** {النجم} 2 وفي قوله **{غَيْرُ**
الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} {الفاتحة} 7 وقوله **{إِنَّ الْمُجْرِمِينَ**
 في ضلال وسُعْرٍ {المر} 47¹

6- قال تعالى **{إِنِّي وَجَهْتُ وَجْهِي لِلّٰهِيَّ فَطَرَ السَّمَاوَاتِ**
وَالْأَرْضَ حَبِيبًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} {الأنعام} 79 والحنيف
 المستقيم إلى ربه دون ما سواه¹

7- قال تعالى **{وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ**
 بِاللّٰهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ

كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ {الانعام} 81 والسلطان هو الحجة المنزلة من عند الله

8- قال تعالى {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُلِسِّنُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْدُونَ} الأَنْعَامُ 82 عامة الأسماء يتتوّع مسامها بالاطلاق والتقييد وكذلك لفظ الهدى اذا أطلق تناول العلم الذي بعث الله به رسوله والعمل به جميماً فيدخل فيه كل ما أمر الله به كما في قوله {اَهَدَنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} الفاتحة 6 والمراد طلب العلم بالحق والعمل به جميماً وكذلك قوله {هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ} البقرة 2 والمراد به أنهم يعلمون ما فيه ويتعلّمون به ولهذا صاروا مفلاحين وكذلك قول أهل الجنة {الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا} الأعراف 43 وإنما هداهم بأن لهم العلم النافع والعمل الصالح ثم قد يقرن الهدى اما بالاجتباء كما في قوله {وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} الأَنْعَامُ 87 وكما في قوله {شَاكِرًا لَأَنْعُمَهُ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ} النحل 121 {اللّٰهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ} الشورى 13 وكذلك قوله تعالى {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ} التوبه 33 والهدى هنا هو الإيمان ودين الحق هو الإسلام واذا أطلق الهدى كان كالإيمان المطلق يدخل فيه هذا وهذا¹

9- الحجة هي ما يحتاج به الخصم وإن كان باطلاً فليس من شرط لفظ الحجة أن تكون حقاً بل إذا كانت حقاً سميت بينة وبرهاناً ودليلًا وقال في الحق {وَتَلَكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ} الأَنْعَامُ 83 وقد قال صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق على صحته إنكم تختصرون إلى ولعل بعضكم أن يكون الحن بحجه من بعض فأقضى له بنحو مما أسمع فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذ فإنما أقطع له قطعاً من النار¹

10- أن الله سمي نفسه وصفاته بأسماء وسمى بعض عباده وصفات عباده بأسماء هي في حقهم نظير تلك الأسماء في حقه سبحانه وتعالى فسمى نفسه عليماً كقوله {وَتَلَكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ

عَلِيهِمْ {الأنعام 83} وسمى بعض عباده عليما ك قوله {فَلَوْلَا
تَوَجَّلَ إِنَّا نُبَشِّرُكُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ} الحجر 53 مع العلم بأنه ليس
العليم كالعليم¹

11- قال تعالى {وَتِلْكَ حُجَّتْنَا أَتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ
دَرَجَاتٍ مَّنْ نَشَاءَ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ} الأنعام 83 عليم منزه
عن الجهل¹

12- قال تعالى {ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ
أَشْرَكُوا لَحِيطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} الأنعام 88 فما أنزله
يسمي هدي الله وروح الله وحي الله ونور الله ونحو ذلك¹

13- قال تعالى {وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلَّا هَدَيْنَا وَنُوحاً
هَدَيْنَا مِنْ قَبْلٍ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَأْوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُوبَ وَيُوسُفَ
وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} 84 {وَزَكَرِيَاً وَيَحْيَى
وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلُّ مِنَ الصَّالِحِينَ} 85 {وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ
وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلَّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ} 86 {وَمِنْ آبَائِهِمْ
وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَأَخْتَيَّرَنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ
مُسْتَقِيمٍ} 87 {ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ
أَشْرَكُوا لَحِيطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} 88 {أُولَئِكَ الَّذِينَ أَتَيْنَاهُمْ
الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرُ بَهَا هُوَ لَا إِقْدَادُ وَكَلَّا بَهَا قَوْمًا
لَيُسُوِّا بَهَا بِكَافِرِينَ} 89 {أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فِيهِمْ اهْتِدَاهُمْ قُلْ
لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ} 90 الأنعام

90-84

فإن تعليق الحكم بالشرط لا يدل على تحقيق الشرط بل قد يعلق
بشرط ممتنع لبيان حكمه فأخبر أنهم لو أشركوا لحيط عنهم ما
كانوا يعملون مع انتفاء الشرك عنهم بل مع امتناعه لأنهم قد
ماتوا لأن الأنبياء معصومون من الشرك به¹

14- عامة الأسماء يتتنوع مسماؤها بالاطلاق والتقييد وكذلك لفظ
الهدي اذا أطلق تناول العلم الذي بعث الله به رسوله والعمل
به جميعاً فيدخل فيه كل ما أمر الله به كما في قوله {اهدنا

الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ } الفاتحة6 والمراد طلب العلم بالحق والعمل به جمِيعاً وكذلك قوله {هُدًى لِّلْمُنْتَقِيْنَ } البقرة2 والمراد به أنهم يعلمون ما فيه ويعملون به ولهذا صاروا مفلحين وكذلك قول أهل الجنة {الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا } الأعراف43 وإنما هداهم بأنَّ أَهْمَمِ الْعِلْمِ النَّافِعِ وَالصَّالِحِ ثُمَّ قَدْ يَقْرَنُ الْهُدَى إِمَامًا بِالْإِجْتِبَاءِ كَمَا فِي قَوْلِهِ { وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ } الأنعام87 وكما في قوله {شَاكِرًا لِأَنْعُمَهُ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ } النحل121 { اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ } الشورى13 وكذلك قوله تعالى {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ } التوبه33 والهُدَى هنا هو الإيمان ودين الحق هو الإسلام وأذا أطلق الهُدَى كان كالإيمان المطلق يدخل فيه هذا وهذا¹

15- قال تعالى {أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَيَهُدُّهُمْ أَفْتَدَهُ } الأنعام90 هاء السكت كالهاء من كتابيه وحسابيه واقتده وماليه وسلطانيه¹

الأنعام 91-117

{وَمَا قَدَرُوا اللَّهُ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ
مِّنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا
وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسًا ثِبَدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا
وَعْلَمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلَّ الَّذِي ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي
خُوضُهُمْ يَلْعَبُونَ} 91 {وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُسَدِّدٌ
الَّذِي بَيْنَ يَدِيهِ وَلَتَشْدِرَ أُمَّ الْقَرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ
يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ
يُحَافِظُونَ} 92 {وَمَنْ أَظْلَمُ مَمَنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ
قَالَ أُوْحَىٰ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأَنْزَلْ مُثْلَهُ
مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ
وَالْمَلَائِكَةَ بَاسْطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرُجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ ثُجْرُونَ
عَذَابَ الْهُوَنِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ عِنْ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ
عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ} 93 {وَلَقَدْ جَنَثُمُونَا فِرَادِيَ كَمَا
خَأْقَنَاهُمْ أَوَّلَ مَرَّةً وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَلَنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا
نَرَى مَعْكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيْكُمْ شُرَكَاءَ لَقَدْ
تَقْطَعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَرْعُمُونَ} 94 {إِنَّ اللَّهَ
فَالْقُلُوبُ وَالنُّوَرُ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ
مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَإِنَّى تُؤْفَكُونَ} 95 {فَالْقُلُوبُ الْإِصْبَاحُ
وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ
الْغَرِيزُ الْعَلِيمُ} 96 {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النَّجُومَ لِتَهْتَدُوا
بِهَا فِي ظُلْمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَلَنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ
يَعْلَمُونَ} 97 {وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةً فَمُسْتَقْرٌ
وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَلَنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ} 98 {وَهُوَ الَّذِي
أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نِبَاتٍ كُلَّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا

مِنْهُ خَضْرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا
قُنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ
مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظَرُوا إِلَى شَمْرَهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ
إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لِآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ {99} وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ
الْجَنَّ وَخَلْقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَيْنَ وَبَيْنَاتٍ بَعْيَرْ عَلَمْ سُبْحَانَهُ
وَتَعَالَى عَمَّا يَصْفُونَ {100} بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى
يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ
بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ {101} ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ
كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكَيْلٌ {102} لَا
تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ الْطِيفُ
الْخَبِيرُ {103} قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ
فَلَنْفَسُهُ وَمَنْ عَمِيَ فَعُلِيهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بَحَفِظٍ {104}
وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلَنْبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ
يَعْلَمُونَ {105} اتَّبَعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
وَأَعْرَضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ {106} وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا
وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَافِظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بَوْكِيلٌ {107}
وَلَا تَسْبُبُوا الَّذِينَ يَذْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُبُوا اللَّهَ عَذْوًا
بَغْيَرْ عَلَمْ كَذَلِكَ زَيَّنَاهُ لِكُلِّ أَمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ
فَيَنْبَئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ {108} وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهَدَ
أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لِيُؤْمِنُنَّ بِهَا قَلَّ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ
الَّهِ وَمَا يُشَعِّرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ {109} وَنَقْلَبُ
أَفْدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةً وَنَدَرُهُمْ فِي
طَغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ {110} وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ
وَكَلَمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قَبْلًا مَا كَانُوا
لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ {111}
وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسَانِ وَالْجَنِّ يُوْحِي

بَعْضُهُمْ إِلَيْيَ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلُ عُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا
فَعَلَوْهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ {112} وَلَنْ تَصْغِي إِلَيْهِ أَفْئَدَةُ
الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَلَيَرْضَوْهُ وَلَيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ
مُفْتَرُونَ {113} أَفْغَيَ اللَّهُ أَبْتَغَى حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ
إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفْصَلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ
مُنْزَلٌ مِّنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونُنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ {114}
وَتَمَتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبْدِلٌ لِكَلْمَاتِهِ وَهُوَ
السَّمِيعُ الْعَلِيمُ {115} وَإِنْ تُطْعِمُ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ
يُضْلُوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَبَعُونَ إِلَّا الظُّنُنُ وَإِنْ هُمْ إِلَّا
يَخْرُصُونَ {116} إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضْلِلُ عَنْ سَبِيلِهِ
وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ {117}

أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَنْزِلْ كِتَابًا أَهْدَى مِنَ التُّورَاةِ وَالْقُرْآنِ

*محمد صلى الله عليه وسلم وموسى عليه السلام هما اللذان جاءا بكتاب فيه الحلال والحرام كما قال تعالى {قُلْ فَأَتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَتْبَعُهُ} القصص 49 وقال تعالى {وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابٌ مُوسَى إِمَاماً وَرَحْمَةً} هود 17 وقال تعالى {أُولَئِكَ الَّذِينَ هَذِي اللَّهُ فِيهِمَا هُمْ أَقْدِهُ} قل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ {90} وَمَا قَدَرُوا اللَّهُ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسًا ثَبُودُنَّهَا وَنُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ نَمَّ دَرَرَهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ {91} وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقٌ الَّذِي بَيْنَ يَدِيهِ وَلَنْذِرَ أَمَّ الْقَرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ {92} الأنعام 90-92 وقالت الجن لما سمعت القرآن {إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أَنْزَلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقاً

لَمَا بَيْنَ يَدِيهِ يَهُدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ } الأحقاف 30
 قوله {فُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرُتُمْ بِهِ وَشَهَدَ شَاهِدٌ مِنْ
 بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ } الأحقاف 10 و قول النجاشي إن هذا
 و الذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة و قيل في
 موسى {وَكَلَمُ اللَّهِ مُوسَى تَكْلِيمًا } النساء 164 صاحب الكتاب و
 الكلام وقال ورقة بن نوفل ان هذا والذى جاء به موسى
 ليخرجان من مشكاة واحدة وكذلك قال النجاشى فالقرآن
 والتوراة هما كتابان جاءا من عند الله لم يأت من عنده كتاب
 أهدى منهما كل منهما أصل مستقل والذى فيهما دين واحد وكل
 منها يتضمن اثبات صفات الله تعالى والأمر بعبادته وحده لا
 شريك له فيه التوحيد قوله عملا كما فى سورة الاخلاص
 قل يا أيها الكافرون و قل هو الله احد وأما الزبور
 فان داود لم يأت بغير شريعة التوراة وانما فى الزبور ثناء على
 الله ودعاء وأمر ونهى بيده وطاعته وعبادته مطفقا واما
 المسيح فانه قال {وَلَا حِلَّ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ } آل
 عمران 50 فاحل لهم بعض المحرمات وهو فى الاكثر متبع
 لشريعة التوراة ولهذا لم يكن بد لمن اتبع المسيح من ان يقرأ
 التوراة ويتبع ما فيها اذ كان الانجيل تبعا لها وأما القرآن فانه
 مستقل بنفسه لم يحوج أصحابه الى كتاب آخر بل استمل على
 جميع ما فى الكتب من المحسن وعلى زيادات كثيرة لا توجد فى
 الكتب فلهذا كان مصدقا لما بين يديه من الكتاب

ومهمينا عليه يقرر ما فيها من الحق ويبطل ما حرف منها وينسخ
 ما نسخه الله فيقرر الدين الحق وهو جمهور ما فيها ويبطل الدين
 المبدل الذى لم يكن فيها والقليل الذى نسخ فيها فان المنسوخ قليل
 جدا بالنسبة الى المحكم المقرر¹

*قال تعالى { وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرُهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ
 بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ فُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا
 وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبَدُّلُنَّهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمُتُمْ مَا

لَمْ تَعْلَمُوا أَنَّهُمْ وَلَا آباؤُكُمْ قُلِّ اللَّهُ أَمْ دَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ
 يَلْعَبُونَ {٩١} وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقٌ الَّذِي بَيْنَ يَدِيهِ
 وَلَتُنذِرَ أَمَّ الْفُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ
 وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ {٩٢} **الأنعام ٩١-٩٢** فهذا وما
 أشباهه مما فيه إقتران التوراة بالقرآن وتخسيصها بالذكر يبين ما
 ذكروه من أن التوراة هي الأصل والإنجيل تبع لها في كثير من
 الأحكام وإن كان مغايراً لبعضها فلهذا يذكر الإنجيل مع
 التوراة والقرآن في مثل قوله {أَنَّزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً
 لِمَا بَيْنَ يَدِيهِ وَأَنَّزَلَتِ الْتُورَةَ وَالْإِنْجِيلَ {٣} مِنْ قَبْلِ هُدَى النَّاسِ
 وَأَنَّزَلَ الْفُرْقَانَ {٤} آل عمران ٤-٣ وقال { وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي
 التُورَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ} التوبة ١١١ فيذكر الثلاثة تارة ويدرك
 القرآن مع التوراة وحدها تارة لسر وهو أن الإنجيل من
 وجه أصل ومن وجه تبع بخلاف القرآن مع التوراة فإنه أصل
 من كل وجه بل هو مهممن على ما بين يديه من الكتاب وإن كان
 موافقاً للتوراة في أصول الدين وكتبه من الشرائع والله أعلم ^١

* فالتوراة أعظم من الإنجيل وقد بين الله أنه لم ينزل كتاباً أهدى
 من التوراة والقرآن وأيضاً فإن الله تعالى إنما يخص بالذكر من
 الكتب المتقدمة التوراة دون غيرها فهي التي يقرنها بالقرآن
 قوله تعالى {وَمَا قَدَرُوا اللَّهُ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنَّزَلَ اللَّهُ عَلَى
 بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنَّزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا
 وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبَدِّلُونَهَا وَتَخْفُونَ كَثِيرًا وَعَلِمْتُمْ مَا
 لَمْ تَعْلَمُوا أَنَّهُمْ وَلَا آباؤُكُمْ قُلِّ اللَّهُ أَمْ دَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ
الأنعام ٩١ وقد وصف التوراة بأن فيها نوراً وهدى للناس ^١

* ومعلوم أن موسى أخبر بما أخبر به قبل أن يبعث محمد وقبل
 أن يبعث المسيح ومعلوم أيضاً لكل من كان عالماً بحال
 محمد أنه نشأ بين قوم أميين لا يقراءون كتاباً ولا يعلمون علوم
 الانبياء وأنه لم يكن عندهم من يعلم ما في التوراة والإنجيل ونبوة
 الأنبياء وقد أخبر محمد من توحيد الله وصفاته وأسمائه

وملائكته وعرشه وكرسيه وأنبيائه ورسله وأخبارهم وأخبار مكذبهم بنظرير ما يوجد في كتب الأنبياء من التوراة وغيرهما فمن تدبر التوراة والقرآن علم أنهما جمیعاً يخرجان من مشكاة واحدة كما ذكر ذلك النجاشي وكما قال ورقة بن نوفل هذا هو الناموس الذي كان يأتي موسى ولهذا قرن الله تعالى بين التوراة والقرآن في مثل هذا قال تعالى {وَمَا قَدَرُوا اللَّهُ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرًا مِّنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ مِنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ} الأنعام 91 إلى قوله {وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقٌ لِّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ} 92 الأنعام 92 فهذه الطريقة كل من علم ما جاء به موسى والنبيون قبله وبعده وما جاء به محمد علم علماً يقيناً أنهم كلهم مخبرون عن الله صادقون في الأخبار وأنه يمتنع والعياذ بالله خلاف الصدق من خطأ وكذب¹

الاقتصر على الاسم المفرد لا أصل له

* وشهادة ان الله رب كل شيء وملائكة وحاليه وانه هو الله لا اله الا هو وهذا هو الشهود الصحيح المستقيم وذلك واجب في علم القلب وشهادته وذكره ومعرفته في حال القلب وعبادته وقصده وارادته ومحبته وموالاته وطاعته وذلك تحقيق شهادة ان لا اله الا الله فانه ينفي عن قلبه الوهية ما سوى الحق ويثبت في قلبه الوهية الحق فيكون نافياً لألوهية كل شيء من المخلوقات مثبناً لألوهية رب العالمين رب الأرض والسموات وذلك يتضمن اجتماع القلب على الله وعلى مفارقة ما سواه فيكون مفرقاً في علمه وقصده في شهادته وارادته في معرفته ومحبته بين الخالق والمخلوق بحيث يكون عالماً بالله تعالى ذاكراً له عارفاً به وهو مع ذلك عالم بمبرياته لخلفه وانفراطه عنهم وتوحده دونهم ويكون محباً لله عظماً له عابداً له راجياً له خائفاً منه مواليها فيه معادياً فيه مستعيناً به متوكلاً عليه ممتنعاً عن عبادة غيره والتوكيل عليه والاستعانة به والخوف منه والرجاء له والموالاة فيه والمعاداة

فيه والطاعة لأمره وامثال ذلك مما هو من خصائص الهيبة الله سبحانه وتعالى واقراره بألوهية الله تعالى دون ما سواه يتضمن اقراره بربوبيته وهو انه رب كل شيء وملكية وخالقة ومبدرة فحينئذ يكون موحداً الله ويبيّن ذلك ان افضل الذكر لا اله الا الله كما رواه الترمذى وابن ابي الدنيا وغيرهما مرفوعا الى النبي انه قال افضل الذكر لا اله الا الله وافضل الدعاء الحمد لله وفي الموطاً وغيره عن طلحة بن عبد الله بن كثير ان النبي قال افضل ما قلت أنا والنبيون من قبلني لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قادر ومن زعم أن هذا ذكر العامة وأن ذكر الخاصة هو الاسم المفرد وذكر خاصة الخاصة هو الاسم المضمر فهم ضالون غالطون واحتجاج بعضهم على ذلك بقوله { قُلَّ اللَّهُ تَمَّ دَرْهُمٌ فِي حُوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ } الأنعام 91 من أبين غلط هؤلاء فإن الاسم هو مذكور في الأمر بجواب الاستفهام وهو قوله { قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُنَّهُ قَرَاطِيسَ ثُبُودُنَّهَا وَثُخْفُونَ كَثِيرًا وَعَلِمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آباؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ } الأنعام 91 أي الله الذي أنزل الكتاب الذي جاء به موسى فالاسم مبتدأ وخبره قد دل عليه الاستفهام كما في نظائر ذلك تقول من جاره فيقول زيد وأما الاسم المفرد مظهراً أو مضمراً فليس بكلام تام ولا جملة مفيدة ولا يتعلق به إيمان ولا كفر ولا أمر ولا نهي ولم يذكر ذلك أحد من سلف الأمة ولا شرع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يعطي القلب بنفسه معرفة مفيدة ولا حالاً نافعاً وإنما يعطيه تصوراً مطلقاً لا يحكم عليه ببنيه ولا إثبات فإن لم يقتنع به من معرفة القلب وحاله ما يفيد نفسه وإلا لم يكن فيه فائدة والشريعة إنما تشريع من الأذكار ما يفيد نفسه لا ما تكون الفائدة حاصلة بغيره وقد وقع بعض من واظب على هذا الذكر في فنون من الإلحاد وأنواع من الاتحاد كما قد بسط في غير هذا الوضع وما يذكر عن بعض الشيوخ من أنه قال أخاف أن أموت بين النفي والإثبات حال لا يقتدى

فيها بصاحبها فإن في ذلك من الغلط ما لا خفاء به إذ لو مات العبد في هذه الحال لم يمت إلا على ما قصده ونواه إذ الأعمال بالنيات وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بتلقين الميت لا إله إلا الله وقال من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة ولو كان ما ذكره محذوراً لم يلقن الميت كلمة يخاف أن يموت في أثنائها موتاً غير محمود بل كان يلقن ما اختاره من ذكر الاسم المفرد والذكر بالاسم المضمر المفرد أبعد عن السنة وأدخل في البدعة وأقرب إلى إضلal الشيطان فإن من قال يا هو يا هو أو هو هو ونحو ذلك لم يكن الضمير عائداً إلا إلى ما يصوره قلبه والقلب قد يهتدي وقد يضل وقد صنف صاحب الفصوص كتاباً سماه كتاب الهو وزعم بعضهم أن قوله {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ} آل عمران 7 معناه وما يعلم تأويل هذا الاسم الذي هو الهو وقيل هذا وإن كان مما اتفق المسلمين بل العلاء على أنه من أبين الباطل فقد يظن ذلك من يظنه من هؤلاء حتى قلت مرة لبعض من قال شيئاً من ذلك لو كان هذا كما قالته لكتبت وما يعلم تأويل هو منفصلة ثم كثيراً ما يذكر بعض الشيوخ أنه يحتاج على قول القائل الله بقوله {قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ} الأنعام 91 ويظن أن الله أمر نبيه بأن يقول الاسم المفرد وهذا غلط باتفاق أهل العلم فإن قوله {قُلِ اللَّهُ} الأنعام 91 معناه الله الذي أنزل الكتاب الذي جاء به موسى وهو جواب لقوله {وَمَا قَدَرُوا اللَّهُ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّنْ شَيْءٍ فُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبَدِّلُهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعَلِمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنَّمِ وَلَا آباؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ} الأنعام 91 أي الله الذي أنزل الكتاب الذي جاء به موسى رد بذلك قول من قال ما أنزل الله على بشر من شيء فقال {مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى} الأنعام 91 ثم قال {قُلِ اللَّهُ} الأنعام 91 أنزله {ثُمَّ ذَرْهُمْ} الأنعام 91 هؤلاء المكذيبين {فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ} الأنعام 91 وما يبين ما تقدم ما ذكره سيبويه وغيره من أئمة النحو أن العرب يحكون

بالقول ما كان كلاما لا يحكون به ما كان قوله فالقول لا يحكي به إلا كلام تام أو جملة اسمية أو فعلية ولهذا يكسرون إن إذا جاءت بعد القول فالقول لا يحكي به اسم و الله تعالى لا يأمر أحدا بذكر اسم مفرد ولا شرع لل المسلمين اسماء مفردا مجردا والاسم المجرد لا يفيد الإيمان باتفاق أهل الإسلام ولا يؤمر به في شيء من العبادات ولا في شيء من المخاطبات ونظير من اقتصر على الاسم المفرد ما يذكر أن بعض الأعراب من بمؤذن يقول أشهد أن محمدا رسول الله بالنصب فقال ماذا يقول هذا هذا الاسم فأين الخبر عنه الذي يتم به الكلام وما في القرآن من قوله {وَادْكُرْ أَسْمَ رَبِّكَ وَتَبَّئِنْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً} المزمول 8 و قوله {سَبَّحَ أَسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} الأعلى 1 و قوله {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَرَكَى} 14 و ذكر اسم رَبِّهِ فَصَلَّى} 15 الأعلى 14-15 و قوله {فَسَبَّحَ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ} الواقعة 96 و نحو ذلك لا يقتضي ذكره مفردا بل في السنن أنه لما نزل قوله {فَسَبَّحَ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ} {الواقعة 74 قال أجعلوه في ركوعكم ولما نزل قوله {سَبَّحَ أَسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} الأعلى 1 قال أجعلوه في سجودكم فشرع لهم أن يقولوا في الركوع سبحان رب العظيم وفي السجود سبحان رب الأعلى وفي الصحيح أنه كان يقول في رکوعه سبحان رب العظيم وفي سجوده سبحان رب الأعلى وهذا هو معنى قوله أجعلوها في رکوعكم و سجودكم باتفاق المسلمين فتسبيح اسم ربها الأعلى وذكر اسم ربها و نحو ذلك هو بالكلام التام المفيد كما في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال أفضل الكلام بعد القرآن أربع و هن من القرآن سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله و الله أكبر وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال كلمتان خفيتان على اللسان ثقلتان في الميزان حبيتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من قال في يومه مائة مرة لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قادر

كتب الله له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل قال مثل ما قال أو زاد عليه ومن قال في يومه مائة مرة سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم حطت عنه خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر وفي الموطن وغيرها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبل لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قادر وفي سنن ابن ماجه وغيرها عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله ومثل هذه الأحاديث كثيرة في أنواع ما يقال من الذكر والدعاء وكذلك ما في القرآن من قوله تعالى {وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكُرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ} الأنعام 121 وقوله {فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ} المائدة 4 إنما هو قوله بسم الله وهذا جملة تامة إما اسمية على أظهر قولي النهاة أو فعلية والتقدير ذبحي باسم الله أو اذبح باسم الله وكذلك قول القارئ بسم الله الرحمن الرحيم فتقديره قراءتي بسم الله أو اقرأ بسم الله ومن الناس من يضرم في مثل هذا ابتدائي بسم الله أو ابتدأت بسم الله والأول أحسن لأن الفعل كله مفعول بسم الله ليس مجرد ابتدائه كما أظهر المضرم في قوله {اقْرَا بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} العلق 1 وفي قوله {بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِا هَا وَمُرْسَاهَا} هود 41 وفي قول النبي صلى الله عليه وسلم من كان ذبح قبل الصلاة فليذبح مكانها أخرى ومن لم يكن ذبح فليذبح بسم الله ومن هذا الباب قول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح لرببه عمر بن أبي سلمة سـمـ الله وكل بيـمـينـكـ وكلـ ماـ يـلـيكـ فـالـمـرـادـ أـنـ يـقـولـ بـسـمـ اللهـ لـيـسـ المراد أن يذكر الاسم مجردا وكذلك قوله في الحديث الصحيح لعدي بن حاتم إذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله فكل وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم إذا دخل الرجل منزله فذكر اسم الله عند دخوله وعند خروجه وعند طعامه قال الشيطان لا مبيت لكم ولا عشاء وأمثال ذلك كثير وكذلك ما شرع

للمسلمين في صلاتهم وأذانهم وحجتهم وأعيادهم من ذكر الله تعالى إنما هو بالجملة التامة كقول المؤذن الله أكبر الله أكبر أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن محمدا رسول الله وقول المصلي الله أكبر سبحان رب العظيم سبحان رب الأعلى سمع الله لمن حمده ربنا ولكل الحمد التحيات الله وقول الملبي لبيك اللهم لبيك وأمثال ذلك فجميع ما شرّعه الله من الذكر إنما هو كلام تام لا اسم مفرد ولا مظاهر ولا مضمون وهذا هو الذي يسمى في اللغة كلمة قوله كلمتان خفيقتان على اللسان تقليلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وقوله أفضل كلمة قالها الشاعر كلمة لبيك ألا كل شيء ما خلا الله باطل ومنه قوله تعالى { كَبِرْتُ كَلْمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ } الكهف ٥ الآية وقوله { وَتَمَتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا } الأنعام ١١٥ وأمثال ذلك مما استعمل فيه لفظ الكلمة في الكتاب والسنة بل وسائر كلام العرب فإنما يراد به الجملة التامة كما كانوا يستعملون الحرف في الاسم فيقولون هذا حرف غريب أي لفظ الاسم غريب وقسم سيبويه الكلام إلى اسم و فعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم و فعل وكل من هذه الأقسام يسمى حرفا لكن خاصة الثالث أنه حرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل وسمى حروف الهجاء باسم الحرف وهي أسماء ولفظ الحرف يتناول هذه الأسماء وغيرها كما قال النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن فأعربه فله بكل حرف عشر حسناً أما إنني لا أقول {الم} البقرة ١ حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف وقد سأله الخليل أصحابه عن النطق بحرف الزاي من زيد فقالوا زاي فقال جئتم بالاسم وإنما الحرف ز ثم إن النهاية اصطلاحوا على أن هذا المسمى في اللغة بالحرف يسمى كلمة وأن لفظ الحرف يخص لما جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل كحروف الجر ونحوها وأما لفاظ حروف الهجاء فيعبر تارة بالحرف عن نفس الحرف من اللفظ وتارة باسم ذلك الحرف ولما غلب هذا الاصطلاح صار يتوهم من اعتاده أنه هكذا في لغة

العرب ومنهم من يجعل لفظ الكلمة في اللغة لفظاً مشتركاً بين
الاسم مثلاً وبين الجملة ولا يعرف في صریح اللغة من لفظ
الكلمة إلا الجملة التامة والمقصود هنا أن المشرع في ذكر الله
سبحانه هو ذكره بجملة تامة وهو المسمى بالكلام والواحد منه
بالكلمة وهو الذي ينفع القلوب ويحصل به الثواب والأجر
والقرب إلى الله ومعرفته ومحبته وخشيته وغير ذلك من
المطالب العالية والمقاصد السامية وأما الاقتصار على الاسم
المفرد مظهاً أو مضمراً فلا أصل له فضلاً عن أن يكون من
ذكر الخاصة والعارفين بل هو وسيلة إلى أنواع من البدع
والضلالات وذرية إلى تصورات أحوال فاسدة من أحوال أهل
الإلحاد وأهل الاتحاد كما قد بسط الكلام عليه في غير هذا
الموضع^١

* أن الشرع لم يستحب من الذكر إلا ما كان كلاماً تماماً مفيداً
مثلاً لا إله إلا الله ومثل الله أكبر ومثل سبحان الله
والحمد لله ومثل لا حول ولا قوة إلا بالله ومثل تبارك إسم
ربك تبارك الذي بيده الملك سبح الله ما في السموات
والأرض تبارك الذي نزل الفرقان فأما الإسم
المفرد مظهاً مثل الله أو مضمراً مثل هو
هو فهذا ليس بمشروع في كتاب ولا سنة ولا هو مأثور أيضاً
عن أحد من سلف الأمة ولا عن أعيان الأمة المقتدى بهم وإنما
لهج به قوم من ضلال المتأخرین وربما يتبعوا فيه حال شيخ
مغلوب فيه مثلاً يروى عن الشبلی أنه كان يقول الله الله
فقيل له لم تقول لا إله إلا الله فقال أخاف أن أموت بين النفي
والإثبات وهذه من زلات الشبلی التي تغفر له لصدق إيمانه وقوته
ووجهه وغلبة الحال عليه فإنه كان ربما يجن ويذهب به إلى
المارستان ويحلق لحيته وله أشياء من هذا النمط التي لا يجوز
الإقتداء بها فيها وإن كان معذوراً أو ماجوراً فإن العبد لو أراد أن
يقول لا إله إلا الله ومات قبل كمالها لم يضره ذلك شيئاً
إذ الأعمال بالنيات بل يكتب بل يكتب له ما نواه وربما غلا

بعضهم في ذلك حتى يجعلوا ذكر الإسم المفرد للخاصة وذكر الكلمة التامة للعامة وربما قال بعضهم لا إله إلا الله للمؤمنين والله للعارفين وهو للمحققين وربما اقتصر أحدهم في خلوته أو في جماعته على الله الله الله أو على هو أو ياهو أو لا هو إلا هو وربما ذكر بعض المصنفين في الطريق تعظيم ذلك وإستدل عليه تارة بوجد وتارة برأى وتارة بنقل مكتوب كما يروى بعضهم أن النبي صلى الله عليه وسلم لقن على بن أبي طالب أن يقول الله الله الله فقالها النبي ثلاثا ثم أمر عليا فقالها ثلاثة وهذا حديث موضوع باتفاق أهل العلم بالحديث وإنما كان تلقين النبي للذكر المأثور عنه ورأس الذكر لا إله إلا الله وهي الكلمة التي عرضها على عمه أبي طالب حين الموت وقال يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله وقال أني لأعلم كلمة لا يقولها عبد عند الموت إلا وجد روحه لها روحه وقال من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة وقال من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة وقال أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فإذا فعلوا ذلك عصموا من دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله والأحاديث كثيرة في هذا المعنى وقد كتبت فيما تقدم من القواعد بعض ما يتعلق بهاتين الكلمتين العظيمتين الجامعتين الفارقتين شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسلیما فأما ذكر الإسم المفرد فلم يشرع بحال وليس في الأدلة الشرعية ما يدل على استحبابه وأما ما يتوهمه طائفة من غالطى المتعبدین في قوله تعالى **{ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ }** { الأنعام 91 } ويتوهمون أن المراد قول هذا الإسم فخطأ واضح ولو تدبروا ما قبل هذا تبين مراد الآية فإنه سبحانه قال **{ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مَّنْ شَيْءَ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُنَّهُ قَرَاطِيسَ تُبَدِّلُنَّهَا }**

**وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آباؤُكُمْ قُلِ
اللَّهُ أَكْبَرُ** ٩١ أى قل الله أنزل الكتاب الذى جاء به موسى فهذا
كلام تام وجملة إسمية مرکبة من مبتدأ وخبر حذف الخبر منها
دلالة السؤال على الجواب وهذا قياس مطرد فى مثل هذا فى
كلام العرب كقوله {وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ
أَلِيقُولَنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ} الزمر ٣٨ الآية وقوله {أَمَّنْ خَلَقَ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَانْبَثَتْ بِهِ حَدَائِقَ
ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْثِيُوا شَجَرَهَا أَلَّهُ مَعَ اللَّهِ} النمل ٦٠
وكذلك ما بعدها وقوله {قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ
الْعَرْشِ الْعَظِيمِ} سَيَقُولُونَ اللَّهُ {٨٦} المؤمنون ٨٦-٨٧ على
قراءة أبي عمرو وتقول فى الكلام من جاء فتقول زيد ومن
أكرمت فتقول زيدا وبمن مررت فتقول بزيد فيذكرون الإسم
الذى هو جواب من ويحفون المتصل به لأنه قد ذكر فى السؤال
مرة فيكرهون تكريره من غير فائدة بيان لما فى ذلك من
التطويل والتكرير واغرب من هذا ما قاله لي مرة شخص من
هؤلاء الغالطين فى قوله {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلُهُ إِلَّا اللَّهُ} آل
عمران ٧ قال المعنى وما يعلم تأويل هو أى إسم هو
الذى يقال فيه هو هو وصنف ابن عربى كتابا فى الهو
فقلت له وأنا إذ ذاك صغير جدا لو كان كما تقول لكتبت فى
المصحف مفصولة تأويل هو ولم تكتب موصولة وهذا
الكلام الذى قاله هذا معلوم الفساد بالإضطرار وإنما كثير من
غالطى المتصوفة لهم مثل هذه التأويلات الباطلة فى الكتاب
والسنة وقد يكون المعنى الذى يعنونه صحيحا لكن لا يدل
عليه الكلام وليس هو مراد المتكلم وقد لا يكون صحيحا فيقع
الغلط تارة فى الحكم و تارة فى الدليل كقوله بعضهم
{أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى} ٧ العلق ٧ أى أن رأى ربه يستغنى والمعنى
أنه ليطغى أن رأى نفسه يستغنى ويكقول بعضهم فإن لم تكن
تراه يعني فإن فنيت عنك رأيت ربك وليس هذا معنى الحديث
فإنه لو أريد هذا لقليل فإن لم تكن تره وقد قيل تراه ثم كيف

يصنع بجواب الشرط وهو قوله فإنه يراك ثم أنه على قوله الباطل تكون كان تامة فالتقدير فإن لم تكن أى لم تقع ولم تحصل وهذا تقدير محال فإن العبد كائن موجود ليس بمعدوم ولو أريد فناؤه عن هواه أو فناء شهوده للأغيار لم يعبر بنفي كونه فإن هذا محال ومتى كان المعنى صحيحاً والدلالة ليست مراده فقد يسمى ذلك إشارة وقد أودع الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي حائق التفسير من هذا قطعة وليس المقصود الآن الكلام في هذا فإنه باب آخر وإنما الغرض بيان حكم ذكر الإسم وحده من غير كلام تام وقد ظهر بالأدلة الشرعية أنه غير مستحب وكذلك بالأدلة العقلية الذوقية فإن الإسم وحده لا يعطى إيماناً ولا كفراً ولا هدى ولا ضلالاً ولا علماً ولا جهلاً وقد يذكر الذاكر إسم نبى من الأنبياء أو فرعون من الفراعنة أو صنم من الأصنام ولا يتعلق بمجرد إسمه حكم إلا أن يقرن به ما يدل على نفي أو إثبات أو حب أو بغض وقد يذكر الموجود والمعدوم ولهذا اتفق أهل العلم بلغة العرب وسائر اللغات على أن الإسم وحده لا يحسن السكوت عليه ولا هو جملة تامة ولا كلاماً مفيداً ولهذا سمع بعض العرب مؤذنا يقول أشهد أن محمداً رسول الله قال فعل ماذا فإنه لما نصب الإسم صار صفة والصفة من تمام الإسم الموصوف فطلب بصحة طبعه الخبر المفید ولكن المؤذن قصد الخبر ولحن ولو كرر الإنسان إسم الله ألف ألف مرة لم يصر بذلك مؤمناً ولم يستحق ثواب الله ولا جنته فإن الكفار من جميع الأمم يذكرون الإسم مفرداً سواء أفروا به وبوحدانيته أم لا حتى أنه لما أمرنا بذكر إسمه قوله {فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ} المائدة 4 وقوله {وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ} الأنعام 121 وقوله {سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} الأعلى 1 وقوله {فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ} الواقعة 74 ونحو ذلك كان ذكر إسمه بكلام تام مثل أن يقول بسم الله أو يقول سبحان ربى الأعلى وسبحان ربى العظيم ونحو ذلك ولم يشرع ذكر الإسم مجرد قط ولا يحصل بذلك إمتثال أمر ولا حل

صَدِيقٌ وَلَا ذَبِحَةٌ وَلَا غَيْرُ ذَلِكَ فَإِنْ قِيلَ فَالذَّاكِرُ أَوُ السَّامِعُ
لِلإِسْمِ الْمُجَرَّدِ قَدْ يَحْصُلُ لَهُ وَجْدٌ مُحْبَةٌ وَتَعْظِيمٌ لِلَّهِ وَنَحْنُ ذَلِكَ
فَلَتَ نَعْمَلْ وَيَثْبَطْ عَلَى ذَلِكَ الْوَجْدِ الْمُشْرُوعِ وَالْحَالُ الْإِيمَانِيُّ لَا لَأَنْ
مُجَرَّدُ الْإِسْمِ مُسْتَحْبٌ وَإِذَا سَمِعَ ذَلِكَ حَرْكَ سَاكِنَ الْقَلْبِ وَقَدْ
يَتَحَرَّكُ السَّاكِنُ بِسَمَاعِ ذَكْرِ مُحْرَمٍ أَوْ مُكَرَّوْهُ حَتَّىٰ قَدْ يَسْمَعُ الْمُسْلِمُ
مِنْ يُشْرِكُ بِاللَّهِ أَوْ يُسْبِهِ فَيُثُورُ فِي قَلْبِهِ حَالٌ وَجْدٌ وَمُحْبَةٌ لِلَّهِ بِقُوَّةٍ
نَفْرَتِهِ وَبِغُضْبِهِ لِمَا سَمِعَهُ وَقَدْ قَالَ الصَّاحِبَةُ لِلنَّبِيِّ أَنَّ أَحَدَنَا لِيَجِدَ
فِي نَفْسِهِ مَا لَا نَعْمَلْ يَحْتَرِقُ حَتَّىٰ يَصِيرَ حَمْمَةً أَوْ يَخْرُجَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى
الْأَرْضِ أَحَبَ إِلَيْهِ مَنْ أَنْ يَتَكَلَّمُ بِهِ قَالَ أَوْ قَدْ وَجَدْتُمُوهُ قَالُوا نَعْمَ
قَالَ ذَلِكَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ وَفِي رَوَايَةٍ قَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَدَ
كِيدَهُ إِلَى الْوَسُوْسَةِ فَالشَّيْطَانُ لَمَّا قُذِفَ فِي قُلُوبِهِمْ وَسُوْسَةٌ
مَذْمُومَةٌ تَحْرَكَ الْإِيمَانَ الَّذِي فِي قُلُوبِهِمْ بِالْكُرَاهَةِ لِذَلِكَ
وَالْإِسْتَعْظَامُ لَهُ فَكَانَ ذَلِكَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ وَلَا يَقْتَضِيُ ذَلِكَ أَنَّ
يَكُونَ السَّبِبُ الَّذِي هُوَ الْوَسُوْسَةُ مَأْمُورًا بِهِ وَالْعَبْدُ أَيْضًا قَدْ
يَدْعُوهُ دَاعِ إِلَى الْكُفَّارِ أَوِ الْمُعْصِيَةِ فَيَسْتَعْصِمُ وَيَمْتَعُ وَيَوْرَثُهُ ذَلِكَ
إِيمَانًا وَتَقوَىٰ وَلَيْسَ السَّبِبُ مَأْمُورًا بِهِ وَقَدْ قَالَ تَعَالَىٰ {الَّذِينَ قَالُوا
لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَأَخْشُوْهُمْ فَزَادُهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا
حَسْبُنَا اللَّهُ وَنَعْمَ الْوَكِيلُ} 173 {فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ
} 174 {آلُ عَمَرَانَ 173-174 الآية فَهَذَا إِيمَانُ الزَّائِدِ وَالتَّوْكِيلِ
كَانَ سَبِبُ تَخْوِيفِهِمْ بِالْعَدُوِّ وَلَيْسَ ذَلِكَ مُشْرُوعًا بَلْ الْعَبْدُ يَفْعَلُ ذَنْبًا
فِيَوْرَثُهُ ذَلِكَ تَوْبَةٌ يَحْبِهُ اللَّهُ بِهَا وَلَا يَكُونُ الذَّنْبُ مَأْمُورًا بِهِ وَهَذَا
بَابٌ وَاسِعٌ جَدًا فَفَرَقَ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ نَفْسُ السَّبِبِ مَوْجِبًا لِلْخَيْرِ
وَمَقْتَضِيًّا وَبَيْنَ أَنْ لَا يَكُونَ وَإِنَّمَا نَشَأَ الْخَيْرُ مِنَ الْمَحْلِ فَالْمَأْمُورُ
بِهِ مِنَ الْكَلْمَاتِ الطَّيِّبَاتِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ هِيَ مَوْجِبَةُ الْخَيْرِ
وَالرَّحْمَةِ وَالثَّوَابِ وَإِذَا إِقْتَرَنَ بِهَا قَوْةُ إِيمَانِ الْعَبْدِ وَمَا يَجْدُهُ مِنْ
حَلاوةِ الإِيمَانِ وَتَذْوُقَهُ مِنْ طَعْمِهِ تَضَاعُفُ الْخَيْرِ وَالرَّحْمَةِ
وَالْبَرَكَةِ وَمَا لَيْسَ مَأْمُورًا بِهِ أَمَا مِنْ فَعْلِ الْعَبْدِ مُحْرَمٌ وَمُكَرَّوْهُ
وَمُبَاحِهِ وَأَمَا مِنْ فَعْلِ غَيْرِهِ مَعِهِ مِنَ الْإِنْسَانِ وَالْجَنِّ وَإِمَامًا مِنَ
الْحَوَادِثِ السَّمَائِيَّةِ الَّتِي يَصِيبُهُ بِهَا الرَّبُّ إِذَا صَادَفَ مِنْهُ إِيمَانًا

ويقينا فحركت ذلك الإيمان واليقين وإزداد العبد بذلك إيمانا لم يكن ذلك مما يوجب أن تحب تلك الأسباب أو تحمد أو يؤمر بها إذا لم يكن كذلك فإنها ليست مقتضية لذلك الخير وإنما مقتضاها تحريك الساكن وطال ما جرت إلى شر وضرر ويشبه هذا الباب ذكر الحب المطلق والسوق المطلق والوجل المطلق وما يتضمن ذلك من نظم ونثر فإن هذا من المجمل أيضا يشترك فيه المؤمن والكافر والبر والفاجر فلذلك لم يشرعها الله ورسوله ولم يأمر بها فإن الله إنما يأمر بالخير والعمل الصالح والبر وذلك ليس من هذا الباب فإن شعر المحبين مشترك بين محب الإيمان ومحب الأوثان ومحب النساء ومحب المردان ومحب الأوطان ومحب الأخذان فثبت بما ذكرناه أن ذكر الإسم المجرد ليس مستحبا فضلا عن أن يكون هو ذكر الخاصة وأبعد من ذلك ذكر الإسم المضمر وهو هو فإن هذا بنفسه لا يدل على معين وإنما هو بحسب ما يفسر من مذكور أو معلوم فيبقى معناه بحسب قصد المتكلم ونيته ولهذا قد يذكر به من يعتقد أن الحق الوجود المطلق وقد يقول لا هو إلا هو ويسرى قلبه في وحدة الوجود ومذهب فرعون والإسماعيلية وزنادقة هؤلاء المتصوفة المتأخرین بحيث يكون قوله هو قوله وجوده وقد يعني بقوله لا هو إلا هو أى أنه هو الوجود وأنه ما ثم خلق أصلا وان الرب والعبد والحق والخلق شيء واحد كما بينته من مذهب الإتحادية في غير هذا الموضع ومن أسباب هذه الإعتقادات والأحوال الفاسدة الخروج عن الشرعة والمنهج الذي بعث به الرسول إلينا صلى الله عليه وسلم فإن البدع هي مباديء الكفر ومظان الكفر كما أن السنن المشروعة هي مظاهر الإيمان ومقوية للإيمان فإنه يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية كما أخبر الله عن زيادته في مثل قوله {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشُوْهُمْ فَزَادُهُمْ إِيمَانًا} {ال عمران 173} قوله أيكم زادته هذه إيمانا قوله {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ

لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ } الفتح 4 وغير ذلك فإن قيل إذا
 لم يكن هذا الذكر مشروعاً فهل هو مكروه قلت أما في حق
 المغلوب فلا يوصف بكرامة فإنه قد يعرض للقلب أحوال يتعرّض
 عليه فيها نطق اللسان مع إمتلاء القلب بأحوال الإيمان وربما
 تيسّر عليه ذكر الإسم المجرد دون الكلمة التامة وهؤلاء يأتون
 على ما في قلوبهم من أحوال الإيمان وما قدروا عليه من نطق
 اللسان فإن الناس في الذكر أربع طبقات أحدها الذكر
 بالقلب واللسان وهو المأمور به الثاني الذكر بالقلب
 فقط فإن كان مع عجز اللسان فحسن وإن كان مع قدرته فترك
 للأفضل الثالث الذكر باللسان فقط وهو كون لسانه
 رطباً بذكر الله وفيه حكاية التي لم تجد الملائكة فيه خيراً إلا
 حركه لسانه بذكر الله ويقول الله تعالى أنا مع عبدي ما ذكرني
 وتحركت بي شفتيه الرابع عدم الأمرين وهو حال
 الخاسرين وأما مع تيسّر الكلمة التامة فالاقتصار على مجرد
 الإسم مكرراً بدعة والأصل في البدع الكراهة وما نقل عن
 أبي يزيد و النورى و الشبلى وغيرهم من ذكر
 الإسم المجرد فمحموم على أنهم مغلوبون فإن أحوالهم تشهد
 بذلك مع أن المشائخ الذين هم أصح من هؤلاء وأكمل لهم يذكروا
 إلا الكلمة التامة وعند التنازع يجب الرد إلى الله والرسول وليس
 فعل غير الرسول حجة على الإطلاق والله أعلم¹

اسلوب القرآن في مجادلته

*إذا جادل القرآن يسأل ويستفهم عن المقدمات البينة البرهانية
 التي لا يمكن أحد ان يجدهما لتقرير المخاطب بالحق
 ولا عترافه بانكار الباطل كما في مثل قوله {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ
 شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ} الطور 35 وقوله {أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ
 بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ} ق 15 {أَوْ لَيْسَ الَّذِي خَلَقَ
 السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ
 الْعَلِيُّ} يس 81 وقوله {أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتَرَكَ سُدًّا

{36} أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِّنْ مَنِيْ يُمْنَى }37} ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَاقَ
 فَسَوَى }38} فَجَعَلَ مِنْهُ الْزَّوْجَيْنَ الذِّكْرَ وَالْأُنْثَى }39} أَلَيْسَ ذَلِكَ
 بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْبِيَ الْمَوْتَى }40} الْقِيَامَةُ 36-40 وَقُولُهُ {
 أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنَوْنَ }58} أَنَّتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ }59}
 الْوَاقِعَةُ 59-58 وَقُولُهُ {وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةً مِّنْ رَبِّهِ أَوْلَمْ تَأْتِهِمْ
 بَيْنَهُ مَا فِي الصُّحْفِ الْأَوَّلِيِّ } طه 133 وَقُولُهُ {أَوْلَمْ يَكُفِّهُمْ أَنَّا
 أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ } العنكبوت 51 وَقُولُهُ {أَوْلَمْ
 يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمُهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ } الشَّعْرَاءُ 197 وَقُولُهُ {
 أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ }8} وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ }9} وَهَدِينَاهُ
 النَّجْدَيْنِ }10} الْبَلْدُ 8-10 إِلَى أَمْثَالِ ذَلِكَ مَا يَخَاطِبُهُمْ بِاسْتِقْبَامِ
 الْقَرِيرِ الْمُتَضَمِنِ اقْرَارَهُمْ وَاعْتِرَافَهُمْ بِالْمُقَدَّمَاتِ الْبَرْهَانِيَّةِ الَّتِي
 تَدْلِي عَلَى الْمُطَلُّوبِ فَهُوَ مِنْ أَحْسَنِ جَدْلِ الْبَرْهَانِ فَإِنَّ الْجَدْلَ إِنَّمَا
 يَشْتَرِطُ فِيهِ أَنْ يَسْلُمَ الْخَصْمُ الْمُقَدَّمَاتِ وَإِنَّمَا لَمْ تَكُنْ بَيْنَهُ مَعْرُوفَةُ
 فَإِذَا كَانَتْ بَيْنَهُ مَعْرُوفَةً كَانَتْ بَرْهَانِيَّةً وَالْقُرْآنُ لَا يَحْتَاجُ فِي
 مَجَادِلِهِ بِمَقْدِمَةٍ لِمَجْرِدِ تَسْلِيمِ الْخَصْمِ بِهَا كَمَا هِيَ الطَّرِيقَةُ الْجَدْلِيَّةُ
 عِنْدَ أَهْلِ الْمَنْطَقِ وَغَيْرِهِمْ بِلِ الْقَضَايَا وَالْمُقَدَّمَاتِ الَّتِي تَسْلِمُهَا
 النَّاسُ وَهِيَ بَرْهَانِيَّةٌ وَإِنْ كَانَ بَعْضُهُمْ يَسْلِمُهَا وَبَعْضُهُمْ يَنْازِعُ فِيهَا
 ذَكْرُ الدَّلِيلِ عَلَى صَحَّتِهَا كَقُولُهُ {وَمَا قَدَرُوا اللَّهُ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُواْ
 مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ
 مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبَدُّلُونَهَا وَتُخْفُونَ
 كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي
 خُوضِّهِمْ يَلْعَبُونَ } الْأَنْعَامُ 91

فَإِنَّ الْخَطَابَ لِمَا كَانَ مَعَ مَنْ يَقُرُّ بِنَبْوَةِ مُوسَى مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ
 وَمَعَ مَنْ يَنْكِرُهَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ذَكَرَ ذَلِكَ بِقُولِهِ { قُلْ مَنْ أَنْزَلَ
 الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى } الْأَنْعَامُ 91 وَقَدْ بَيْنَ الْبَرَاهِينِ الدَّالِلَةِ
 عَلَى صَدْقِ مُوسَى فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ وَعَلَى قِرَاءَةِ مِنْ قِرَاءَةِ
 يَبْدُونَهَا كَابِنَ كَثِيرٍ وَابِي عَمْرٍو جَعَلُوا الْخَطَابَ مَعَ الْمُشْرِكِينَ
 وَجَعَلُوا قُولُهُ { وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا } الْأَنْعَامُ 91 احْتِجاجًا
 عَلَى الْمُشْرِكِينَ بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ فَالْحَجَةُ عَلَى أَوْلَئِكَ نَبْوَةُ مُوسَى

وعلى هؤلاء نبوة محمد ولكل منها من البراهين ما قد بعضه
في غير موضع وعلى قراءة الأكثرين بالتأء هو خطاب لأهل
الكتاب وقوله **{عَلِمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا}** {الأنعام 91} بيان لما
جاءت به الأنبياء مما انكروه فعلمهم الأنبياء ما لم يقبلوه ولم
يعلموه فاستدل بما عرفوه من أخبار الأنبياء وما لم يعرفوه
وقد قص سبحانه قصة موسى وأظهر براهين موسى وأياته التي
هي من أظهر البراهين والأدلة حتى اعترف بها السحرة الذين
جمعهم فرعون وناهيك بذلك فلما أظهر الله حق موسى وأتي
بالآيات التي علم بالاضطرار أنها من الله وابتلت عصاة الحال
التي أتى بها السحرة بعد أن جاءوا بسحر عظيم وسحروا أعين
الناس واستر هبوا الناس ثم لما ظهر الحق وانقلبوا صاغرين قالوا
{أَمَّا بَرَبُّ هَارُونَ وَمُوسَى} { طه 70 } قال لهم فرعون **{**
أَمْنَتْمُ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرٌ كُمُ الَّذِي عَلِمْتُمُ السُّحْرَ فَلَا قَطْعَنَّ
أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَا صَلَبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَا تَعْلَمُنَّ
أَيْنَا أَشْدُ عَذَابًا وَأَبْقَى {71} قالوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ
الْبَيِّنَاتِ {72} طه 71-72 من الدلائل البينات اليقينية القطعية
وعلى الذي فطرنا وهو خالقنا وربنا الذي لابد لنا منه لـ نؤثرك
على هذه الدلائل اليقينية وعلى خالق البرية **{فَاقْضِ مَا أَنْتَ**
قاضٍ **{إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا}** {72} إنما برّبنا ليغفر لنا
خطاياانا وـ ما أكـرـ هـنـتا عـلـيهـ من السـحـرـ وـ اللهـ خـيرـ
وـ أـبـقـى {73} طه 72-73 وقد ذكر الله هذه القصة في عدة
مواضع من القرآن يبين في كل موضع منها من الاعتبار
والاستدلال نوعاً غير النوع الآخر كما يسمى الله ورسوله وكتابه
بأسماء متعددة كل اسم يدل على معنى لم يدل عليه الاسم الآخر
وليس في هذا تكرار بل فيه تنوع الآيات مثل أسماء النبي إذا قيل
محمد وأحمد والحاشر والعاقب والمدقى ونبي الرحمة ونبي
التوبة ونبي الملائكة في كل اسم دلالة على معنى ليس في الاسم
الآخر وإن كانت الذات واحدة فالصفات متعددة وكذلك القرآن
إذا قيل فيه قرآن وفرقان وبيان وهدى وبصائر وشفاء ونور

ورحمة وروح فكل اسم يدل على معنى ليس هو المعنى الآخر وكذلك أسماء الرب تعالى إذا قيل الملك الفدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق الباريء المصور فكل اسم يدل على معنى ليس هو المعنى الذي في الاسم الآخر فالذات واحدة والصفات متعددة فهذا في الأسماء المفردة وكذلك في الجمل التامة يعبر عن القصة بجمل تدل على معانٍ فيها ثم يعبر عنها بجمل أخرى تدل على معانٍ آخر وان كانت القصة المذكورة ذاتها واحدة فصفاتها متعددة ففي كل جملة من الجمل معنى ليس في الجمل الآخر وليس في القرآن تكرار أصلاً وأما ما ذكره بعض الناس من انه كرر القصص مع إمكان الاكتفاء بالواحدة وكان الحكم فيه ان وفود العرب كانت ترد على رسول الله فيقرئهم المسلمون شيئاً من القرآن فيكون ذلك كافياً وكان يبعث إلى القبائل المتفرقة بالسور المختلفة فلو لم تكن الآيات والقصص مثنية متكررة لوقعت قصة موسى إلى قوم وقصة عيسى إلى قوم وقصة نوح إلى قوم فأراد الله أن يشهد هذه القصص في أطراف الأرض وأن يلقيها إلى كل سمع فهذا كلام من لم يقدر القرآن قدره وأبو الفرج اقتصر على هذا الجواب في قوله مثاني لما قيل لم ثنيت وبسط هذا له موضع آخر فان الثنائية هي التنويع والتجنسيς وهي استيفاء الأقسام ولها يقول من يقول من السلف الأقسام والأمثال^١

{وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ}

*والله سبحانه بعث الرسل وأنزل الكتب بان يكون هو المعبود وحده لا شريك له وانما يعبد بما أمر به على ألسن رسله وأصل عبادته معرفته بما وصف به نفسه في كتابه وما وصفه به رسليه ولهذا كان مذهب السلف أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه وما وصفه به رسليه من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل والذين ينكرون بعض ذلك ما قدروا الله حق قدره وما عرفوه حق معرفته ولا وصفوه حق صفتة ولا عبدوه

حق عبادته والله سبحانه قد ذكر هذه الكلمة {وَمَا قَدْرُوا اللَّهُ
حَقَّ قَدْرِهِ} الأنعام 91 في ثلات مواضع ليثبت عظمته في نفسه
وما يستحقه من الصفات وليثبت وحدانيته وأنه لا يستحق العبادة
الا هو وليثبت ما أنزله على رسالته فقال في الزمر {وَمَا قَدْرُوا اللَّهُ
الْأَكْبَرُ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} الزمر 67 الآية
وقال في الحج {ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ} 73 {مَا قَدْرُوا اللَّهُ
حَقَّ قَدْرِهِ} 74 الحج 74 وقال في الانعام {وَمَا قَدْرُوا اللَّهُ
حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّنْ شَيْءٍ} الأنعام 91
وفي المواقع الثلاثة ذم الذين ما قدروه حق قدره من الكفار فدل
ذلك على أنه يجب على المؤمن أن يقدر الله حق قدره كما يجب
عليه أن يتقيه حق تقاته وأن يجاهد فيه حق جهاده قال تعالى
{وَجَاهَدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ} الحج 78 وقال {أَنَفَّوا اللَّهُ حَقَّ
تُقَاتِهِ} آل عمران 102 والمصدر هنا مضار إلى المفعول
والفاعل مراد أي حق جهاده الذي أمركم به وحق تقاته الذي
أمركم بها واقدروه قدره الذي بينه لكم وأمركم به فصدقوا
الرسول فيما أخبر وأطیعوه فيما أوجب وأمر وأما ما يخرج عن
طاقة البشر فذلك لا ينتم أحد على تركه قالت عائشة فاقدرروا قدر
الجارية الحديثة السن الحريرية على اللهو ودللت الآية على
أن له قدرًا عظيمًا لا سيما قوله {وَمَا قَدْرُوا اللَّهُ حَقَّ قَدْرِهِ
وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَاتٌ بِيَمِينِهِ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} الزمر 67 وفي تفسير ابن أبي
طلحة عن ابن عباس قال من آمن بأن الله على كل شيء قادر فقد
قدر الله حق قدره وقد ثبت في الصحيحين من حديث ابن مسعود
أن النبي قرأ هذه الآية لما ذكر له بعض اليهود أن الله
يحمل السموات على أصبع والارضين على أصبع والجبال على
أصبع والشجر والثرى على أصبع وسائر الخلق على أصبع
فضحك رسول الله تعجبًا وتصديقاً لقول الخبر وقرأ هذه
الآية وعن ابن عباس قال مر يهودي بالنبي صلى الله عليه
 وسلم فقال يا أبا القاسم ما تقول اذا وضع الله السماء على ذه

والارض على ذه والجبال والماء على ذه وسائل الخلق على ذه
فأنزل الله تعالى {وَمَا قَدْرُوا اللَّهُ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً
قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيمِينِهِ} الزمر 67 رواه
الإمام أحمد والترمذى من حديث أبي الصحى عن ابن عباس
وقال غريب حسن صحيح وهذا يقتضى أن عظمته أعظم مما
وصف ذلك الحبر فان الذى فى الآية أبلغ كما فى الصحيحين عن
أبى هريرة عن النبى قال يقبض الله الأرض يوم القيمة
ويطوى السماء بيمنه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض وفي
الصحيحين عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يطوى الله السموات يوم القيمة يوم يأخذهن بيده اليمنى
ثم يقول أين الملوك أين الجبارون أين المتكبرون ورواه مسلم
أبسط من هذا وذكر فيه أنه يأخذ الأرض بيده الأخرى وقد
روى ابن أبى حاتم حدثنا أبى ثنا عمرو بن رافع ثنا يعقوب بن
عبدالله عن جعفر عن سعيد بن جبير قال تكلمت اليهود فى صفة
الرب تبارك وتعالى فقالوا ما لم يعلموا ولم يروا فأنزل الله على
نبيه {وَمَا قَدْرُوا اللَّهُ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشَرِّكُونَ}
الزمر 67 فجعل صفتة التى وصفوه بها شركا وقال حدثنا
أبى ثنا ابو نعيم ثنا الحكم يعنى أبا معاذ عن الحسن قال عمدت
اليهود فنظروا فى خلق السموات والأرض والملائكة فلما فرغوا
أخذوا يقدرونها فأنزل الله تعالى علىنبيه {وَمَا قَدْرُوا اللَّهُ حَقَّ
قَدْرِهِ} الزمر 67 وهذا يدل على أنه أعظم مما وصفوه وأنهم لم
يقدروه حق قدره وقوله {عَمَّا يُشَرِّكُونَ} الزمر 67 فكل
من جعل مخلوقا مثلا للخالق فى شيء من الأشياء فأحبه مثل ما
يحب الخالق أو وصفة بمثل ما يوصف به الخالق فهو مشرك
سوى بين الله وبين المخلوق فى شيء من الأشياء فعل بربه
والرب تعالى لا كفؤ له ولا سمى له ولا مثيل له ومن
جعله مثل المعدوم والممتنع فهو شر من هؤلاء فإنه معطل ممثل
والمعطل شر من المشرك والله ثنى قصة فرعون فى

القرآن في غير موضع لاحتياج الناس إلى الاعتبار بها فانه حصل له من الملك ودعوى الربوبية والالهية والعلو ما لم يحصل مثله لأحد من المعطلين وكانت عاقبته إلى ما ذكر الله تعالى وليس لله صفة يماثله فيها غيره فلهذا لم يجز أن يستعمل في حقه قياس التمثيل ولا قياس الشمول الذي تستوي أفراده فان ذلك شرك اذ سوى فيه بالخلق بل قياس الأولى فانه سبحانه {وله المثل الأعلى} الروم 27 فهو أحق من غيره بصفات الكمال وأحق من غيره بالتزييه عن صفات النقص وقد بسطت هذه الأمور في غير هذا الموضوع¹

* وفي السنن عن عوف بن مالك الأشجعى قال قمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فقام فقرأ سورة البقرة لا يمر بآية رحمة إلا وقف فسأل و لا يمر بآية عذاب إلا وقف وتعوذ قال ثم رکع بقدر قيامه يقول في رکوعه سبحان ذي الجبروت والملکوت والکبریاء والعظمة ثم يسجد بقدر قيامه ثم قال في سجوده مثل ذلك ثم قام فقرأ بال عمران ثم قرأ سورة رواه أبو داود و النساءى و الترمذى فى الشمائى فقال في هذا الحديث سبحان ذي الجبروت والملکوت والکبریاء والعظمة و هذه الأربعه نوزع الرب فيها كما قال أين الملوك أين الجبارون أين المتكبرون و قال عز وجل العظمة إزارى و الكبریاء ردائى فمن نازعني و احداً منها عذبته ونفأه

الصفات ما قدروا الله حق قدره فإنه عندهم لا يمسك شيئاً و لا يقبضه و لا يطويه بل كل ذلك ممتنع عليه و لا يقدر على شيء من ذلك و هم أيضاً في الحقيقة يقولون ما أنزل الله على بشر من شيء لوجهين أحدهما أن الإنزال إنما يكون من علو و الله تعالى عندهم ليس في العلو فلم ينزل منه شيء و قد قال تعالى {وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِّنْ رَّبِّكَ}

{بِالْحَقِّ} الأنعام 114 {تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ} الأحقاف 2 إلى غير ذلك و قولهم أنه خلقه في مخلوق و نزل منه باطل لأنه قال {أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِّنْ رَّبِّكَ} الأنعام 114 ولم

يجيء هذا في غير القرآن والحادي ذكر أنه أنزله مطلقاً و لم يقل منه و هو منزل من الجبال و المطر أنزل من السماء و المراد أنه أنزله من السحاب و هو المزن كما ذكر ذلك في قوله {أَنَّتُمْ أَنَزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُرْزُنْ} الواقعة 69 و الثاني أنه لو كان من مخلوق لكان صفة له و كلاماً له فإن الصفة إذا قامت بمحل عاد حكمها على ذلك المحل و لأن الله لا يتصرف بالمخالقات و لو إتصف بذلك لا تصرف بأنه مصوت إذا خلق الأصوات و متحرك إذا خلق الحركات في غيره إلى غير ذلك إلى أن قال فقد تبين أن الجهمية ما قدروا الله حق قدره وأنهم دخلون في هذه الآية و أنهم لم يثبتوا قدرته لا على فعل و لا على الكلام بمشيئته و لا على نزوله و على إنزاله منه شيئاً فهم من أبعد الناس عن التصديق بقدرة الله و أنه إلى كل شيء قادر و إذا لم يكن قديراً لم يكن قوياً و يلزمهم أنه لم يخلق شيئاً فيلزمهم الدخول في قوله ضعف الطالب و المطلوب ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوى عزيز فهم ينفون حقيقة قدرته في الأزل و حقيقة قولهم أنه صار قادراً بعد أن لم يكن و القدرة التي يثبتونها لحقيقة لها وهذا أصل مهم من تصوره عرف حقيقه الأقوال الباطلة و ما يلزمها من اللوازم و عرف الحق الذي دل عليه صحيح المنقول و صريح المعقول لاسيما في هذه الأصول التي هي أصول كل الأصول والضاللون فيها لما ضبعوا الأصول حرموا الوصول و قد تبين أنه كلما تحققت الحقائق و أعطى النظر و الإستدلال حقه من التمام كان مادلاً عليه القرآن هو الحق و هو الموافق للمعقول الصريح الذي لم يشتبه بغيره مما يسمى معقولاً و هو مشتبه مختلط كما قال مجاهد في قوله تعالى {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شَيْءًا} الأنعام 159 قال هم أهل البدع و الشبهات فهم في أمور مبتدةعة في الشرع مشتبهة في العقل و الصواب هو ما كان موافقاً للشرع مبيناً في العقل فإن الله سبحانه أخبر أن القرآن منزل منه و أنه تنزيل منه و أنه كلامه و أنه قوله و أنه كفر من قال أنه قول البشر و أخبر أنه قول

رسول كريم من الملائكة و رسول كريم من البشر و الرسول يتضمن المرسل فبين أن كلا من الرسولين بلغه لم يحدث هو منه شيئاً وأخبر أنه جعله قرآن عربياً^١

أن العالم العلوى والسفلى بالنسبة إلى الخالق سبحانه وتعالى في غاية الصغر

* أعلم أن الأرض قد اتفقوا على أنها كرية الشكل وهي في الماء المحيط بأكثراها إذ اليابس السادس وزاده بقليل والماء أيضاً مقبب من كل جانب للأرض والماء الذي فوقها بينه وبين السماء كما بيننا وبينها مما يلى رؤوسنا وليس تحت وجه الأرض إلا وسطها ونهاية التحت المركز فلا يكون لنا جهة بينة إلا جهتان العلو والسفل وإنما تختلف الجهات باختلاف الإنسان فعلو الأرض وجهها من كل جانب وأسفلها ما تحت وجهها ونهاية المركز هو الذي يسمى محطة الأثقال فمن وجه الأرض والماء من كل جهة إلى المركز يكون هبوطاً ومنه إلى وجهها صعوداً وإذا كانت سماء الدنيا فوق الأرض محيطة بها فالثانية كرية وكذلك الباقي والكرسي فوق الأفلاك كلها والعرش فوق الكرسي ونسبة الأفلاك وما فيها بالنسبة إلى الكرسي كحلقة في قلة والجملة بالنسبة إلى العرش كحلقة في فلة والأفلاك مستديرة بالكتاب والسنة والإجماع فان لفظ الفلك يدل على الاستدارة ومنه قوله تعالى { وَكُلُّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ }^٢يس 40 قال ابن عباس في فلكة المغزل ومنه قولهم تفالك ثدى الجارية اذا استدار وأهل الهيئة والحساب متقوون على ذلك وأما العرش فإنه مقبب لما روی في السنن لأبي داود عن جبير بن مطعم قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أعرابي فقال يا رسول الله جهدت الانفس وجاع العيال وذكر الحديث الى أن قال رسول الله ان الله على عرشه وان

عرشه على سمواته وأرضه كهذا وقال بأصبعه مثل القبة
 ولم يثبت أنه فلك مستدير مطلقا بل ثبت أنه فوق الأفلاك وان له
 قوائم كما جاء في الصحيحين عن أبي سعيد قال جاء رجل من
 اليهود إلى رسول الله قد لطم وجهه فقال يا محمد أن رجلا
 من أصحابك لطم وجهي فقال النبي ادعوه فدعوه فقال لم
 لطمت وجهه فقال يا رسول الله انى مررت بالسوق وهو يقول
 والذى اصطفى موسى على البشر فقلت يا خبيث وعلى محمد
 فأخذتني غضبة فلطمته فقال النبي لا تخروا بين الأنبياء
 فإن الناس يصعقون يوم القيمة فأكون أول من يفيق فإذا أنا
 بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدرى أفق قبلى أم
 جوزى بصعقة الطور وفي علوه قوله اذا
 سألتكم الله فاسأله الفردوس فإنه وسط الجنة وأعلاها وفوقه
 عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة فقد تبين بهذه
 الأحاديث أنه أعلى المخلوقات وسقفها وأنه مقرب وان له قوائم
 وعلى كل تقدير فهو فوق سوا كان محيطا بالأفلاك أو غير ذلك
 فيجب أن يعلم أن العالم العلوى والسفلى بالنسبة إلى الخالق
 سبحانه وتعالى في غاية الصغر لقوله تعالى {وَمَا قَدَرُوا اللَّهُ
 حَقَّ قَدْرِهِ} ^{الأنعام 91}

الإيمان الذي يهبه الله لعبدة سماه نورا

* قال تعالى { وَمَا قَدَرُوا اللَّهُ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى
 بَشَرٍ مِّنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا
 وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُنَّهُ قَرَاطِيسَ تُبَدِّلُنَّهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعَلِمْتُمْ مَا
 لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا أَبْأُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ
 يُلْعَبُونَ } ^{الأنعام 91} وأما قول القائل هل تكون صفة الإيمان نورا
 يوقعه الله في قلب العبد ويعرف العبد عند وقوعيه في قلبه الحق
 من الباطل فيقال له قد قال الله تعالى {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ
 وَالْأَرْضِ مَثُلُّ نُورِهِ كَمِشْكَأٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ } ^{النور 35} قال أبي
 بن كعب وغيره مثل نوره في قلب المؤمن إلى قوله { وَمَنْ }

لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ } الْنُور 40 وقال تعالى
 {أَوْ مَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ
 كَمَنْ مَثْلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ } الْأَنْعَام 122 فالإيمان الذي يهبه الله
 لعبد سماه نوراً وسمى الوحي النازل من السماء الذي به يحصل
 الإيمان { نُورًا نَهَدِي بِهِ مَنْ نَشَاءَ مِنْ عِبَادِنَا } الشورى 52
 وقال تعالى {فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا
 النُّورَ الَّذِي أَنْزَلَ مَعَهُ } الْأَعْرَاف 157 وأمثال ذلك ولا ريب أن
 المؤمن يفرق بين الحق والباطل بل يفرق بين أعظم الحق لكن لا
 يمكن أن يقال بأن كل من له إيمان يفرق بمجرد ما أعطيه من
 الإيمان بين كل حق وكل باطل¹

الناس في النبوة على درجات

* فإن الناس في النبوة على درجات منهم من يحتاج إلى أن يعلم جنس النبوة فيصدق بجنس الرسل من البشر لا يكذب بالجنس كما كذب بذلك من كذب من قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم ولهذا يقول تعالى {كَذَّبُتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ } الشعرااء 123 لأن تكذيبهم لم يكن لشخص واحد بل كانوا مكذبين لجنس الرسل وهو لاء يخاطبهم الله في سور المكية كقوله تعالى {وَمَا قَدَرُوا اللَّهُ حَقَّ
 قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ
 الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ } الْأَنْعَام 91 فاحتاج
 بإنزال كتاب موسى لما توالت في خبره من الآيات الباهرات الدالة على صدقه والإنجيل تبع للتوراة في الكتاب للتوراه ثم قال
{وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقٌ لِذِي بَيْنَ يَدِيهِ } الْأَنْعَام 92
 لما قام من الآيات الدالة على نزوله ولهذا يذكر سبحانه في سور المكية من تثبت أمر الرسل وآياتهم وبراهينهم وحسن عاقبتهم ومن ضلال مخالفتهم وجهلهم وغيهم وخذلانهم وسوء عاقبتهم ما فيه عبرة ومن الناس من يقر بالرسل في الجملة لكن لا يؤمن بما يجب من حقيقة إرسالهم كالملاحدة وأهل البدع الذين يعظمون الأنبياء مع اعتقادهم في الباطن ما يناقض بعض ما جاءوا به

لشبهات انعقدت في قلوبهم ظنواها علوماً عقلية وهي مناقضة لما أخبرت به الرسل فيحتاجون إلى أن يوفقاً بينهما و هو لاء يسبهون الذين قال الله فيهم (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَكَّمُوا إِلَيْهِ الطَّاغُوتَ وَقَدْ أَمْرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيَرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضْلِلُهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا)⁶⁰ { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصْدُونَ عَنْكَ صُدُودًا }⁶¹ { فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمْتُ أَبْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا }⁶² { أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغاً }⁶³ النساء - 60- 63²

* ولما أراد سبحانه تقرير جنس ما جاء به محمد قال { وَمَا قَدَرُوا اللَّهُ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُهُنَّ قَرَاطِيسَ تُبَدِّلُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعَلِمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا أَبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خُوضِبِهِمْ يَلْعَبُونَ }⁹¹ { وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقٌ الَّذِي بَيْنَ يَدِيهِ وَلِتُنذِرَ أَمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ }⁹² { الانعام - 91- 92 } فهو سبحانه يثبت وجود جنس الانبياء ابتداء كما في السور المكية حيث يثبت وجود هذا الجنس وسعادة من اتبעה وشقاء من خالفه ثم نبوة عين هذا النبي تكون ظاهرة لأن الذي جاء به أكمل مما جاء به جميع الانبياء فمن أفر بجنس الانبياء كان إقراره بنبوة محمد في غاية الظهور أبين مما أقر أن في الدنيا نحاة وأطباء وفقهاء فإذا رأى نحو سيبويه وطبع أبقراط وفقه الأئمة الاربعة ونحوهم كان إقراره بذلك من أبين الامور ولهذا كان من نازع من اهل الكتاب في نبوة محمد إما أن

يكون لجهله بما جاء به وهو الغالب على عامتهم أو لعناده وهو حال طلاب الرياسة بالدين منهم والعرب عرفوا ما جاء به محمد فلما أقروا بجنس الانبياء لم يبق عندهم في محمد شك وجميع ما يذكره الله تعالى في القرآن من قصص الانبياء يدل على نبوة محمد بطريق الاولى إذ كانوا من جنس واحد ونبوته أكمل فينبغى معرفة هذا فإنه أصل عظيم ولها جميع مشركي العرب آمنوا به فلم يحتاج أحد منهم أن تؤخذ منه جزية فإنهم لما عرفوا نبوته وأنه لا بد من متابعته أو متابعة اليهود والنصارى عرفوا أن متابعته أولى ومن كان من أهل الكتاب بعضهم آمن به وبعضهم لم يؤمن جهلاً وعناداً وهؤلاء كان عندهم كتاب ظنوا استغناه به فلم يستقرئوا أخبار محمد وما جاء به خالين من الهوى بخلاف من لم يكن له كتاب فإنه نظر في الأمرين نظر خال من الهوى فعرف فضل ما جاء به محمد على ما جاء به غيره ولها لا تقاد توجد أمة لا كتاب لها يعرض عليها دين المسلمين والمسيحيين واليهود والنصارى إلا رجحت دين المسلمين كما يجري لأنواع الأمم التي لا كتاب لها فأهل الكتاب مقررون بالجنس منازعون في العين والمتفلسة من اليونان والهند منازعون في وجود كمال الجنس وإن أقروا بعض صفات الانبياء فإنما أقروا منها بما لا يختص بالانبياء بل هو مشترك بينهم وبين غيرهم فلم يؤمن هؤلاء بالانبياء البتة هذا هو الذي يجب القطع به ولها يذكرون معهم ذكر الجنس الخارج عن أتباعهم فيقال قالت الانبياء وال فلاسفة واتفقت الانبياء وال فلاسفة كما يقال المسلمون والمسيحيون واليهود والنصارى **وقال أيضا**
رضي الله عنه³

أصل الإسلام هو الإيمان بالوحدةانية والرسالة

³النبوتات ج: 1 ص: 27

* الإختلاف في تنزيله بين المؤمنين والكافرين فإن المؤمنين يؤمنون بما أنزل والكافرون كفروا بالكتاب وبما أرسَلَ الله به رسْلَهُ {الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلًا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} غافر 70 فالمؤمنون بجنس الكتاب والرسل من المسلمين واليهود والنصارى والصابئين يؤمنون بذلك والكافرون بجنس الكتاب والرسل من المشركين والمجوس والصابئين يكفرون بذلك وذلك أن الله أرسل الرسل إلى الناس لتبلغهم كلام الله الذي أنزله إليهم فمن آمن بالرسل آمن بما بلغوه عن الله ومن كذب بالرسل كذب بذلك فإيمان بكلام الله داخل في الإيمان برسالة الله إلى عباده والكفر بذلك هو الكفر بهذا فتدبر هذا الأصل فإنه فرقان هذا الاشتباہ ولهذا كان من يکفر بالرسل تارة يکفر بأن الله له كلام وأنزله على بشر كما أنه قد يکفر برب العالمين مثل فرعون وقومه قال الله تعالى {أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَاباً أَوْ حَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرَ النَّاسَ} يوں 2 الآية وقال {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقّاً قَدْرَهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ} الأنعام 91 إلى آخر الكلام⁴

*فهذا أصل عظيم على المسلم أن يعرفه فإنه أصل الإسلام الذي يتميز به أهل الإيمان من أهل الكفر وهو الإيمان بالوحدةانية والرسالة شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وقد وقع كثير من الناس في الإخلال بحقيقة هذين الأصلين أو أحدهما مع ظنه أنه في غاية التحقيق والتوحيد والعلم والمعرفة فاقرار المشرك بأن الله رب كل شيء وملكه وخالقه لا ينجيه من عذاب الله ان لم يقترن به اقراره بأنه لا اله الا الله فلا يستحق العبادة أحد الا هو وأن محمدا رسول الله فيجب تصديقه فيما أخبر وطاعته فيما أمر فإنه سبحانه أخبر عن المشركين كما تقدم

بأنهم أثبتوا وسائل بينهم وبين الله يدعونهم ويتحذونهم شفاعة
بدون اذن الله قال تعالى {وَلَقَدْ جِئْنَاكُمْ فَرَادِيَ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ
مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورَكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمْ
الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيهِمْ شُرَكَاءَ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ
تَزْعُمُونَ} الأنعام 94⁵

رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه

الجهاد في سبيل الله

*قال تعالى {وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ
وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ
وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ} الانعام 92 وعماد الدين الذي لا
يقوم إلا به هو الصلوات الخمس المكتوبات ويجب على المسلمين
من الاعتناء بها ما لا يجب من الاعتناء بغيرها كان عمر بن
الخطاب رضي الله عنه يكتب إلى عماله إن أهم أمركم عندي
الصلاحة فمن حفظها وحافظ عليها حفظ دينه ومن ضيعها كان لها
سواءا من عمله أشد إصابة وهي أول ما أوجبه الله من العبادات
والصلوات الخمس تولى الله إيجابها بمخاطبة رسوله ليلة
المعراج وهي آخر ما وصى به النبي صلى الله عليه وسلم أمته
وقت فراق الدنيا جعل يقول الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم
وهي أول ما يحاسب عليه العبد من عمله وأخر ما يفقد من الدين
إذا ذهب ذهب الدين كله وهي عمود الدين فمتى ذهب سقط
الدين قال النبي رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة
سنامه الجهاد في سبيل الله وأمر الصلاة عظيم شأنها أن تذكر
ه هنا فإنها قوام الدين وعماده وتعظيمه تعالى لها في كتابه فوق

⁵⁵⁵ مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 105

جميع العبادات فإنها سبحانه يخصها بالذكر تارة ويقرنها بالزكاة
تارة وبالصبر تارة وبالنسك تارة⁶

* فالصلاحة لها شأن انفردت به على سائر الأعمال و تبين ذلك من
وجوه نذكر بعضها مما انتزعه الإمام أحمد وغيره منها أنها
مقوونة بالتصديق بقوله {فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى} {31} ولكن
كَذَبَ وَتَوَلَّى} {32} القيامة 31 و قوله و {وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ
بِالآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ} الأنعام 92 و
قوله تعالى {وَأَمْرَنَا لِتُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} {71} وَأَنْ أَقِيمُوا
الصَّلَاةَ وَاتَّقُوْهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} {72} الأنعام 71-72⁷

من الإيمان بالله والإيمان بما وصف به نفسه من غير تحريف ولا تعطيل

* فاعتقد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة
والجماعة وهو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد
الموت والإيمان بالقدر خيره وشره ومن الإيمان بالله والإيمان
بما وصف به نفسه في كتابه وبما وصفه به رسوله محمد صلى
الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا
تمثيل بل يؤمنون بأن الله سبحانه ليس كمثله شيء وهو
السميع البصير فلا ينفعون عنه ما وصف به نفسه ولا
يحرفون الكلم عن موضعه ولا يلحدون في أسماء الله وأياته ولا
يكيفون ولا يمثّلون صفاته بصفات خلقه لأنه سبحانه لا سمى له
ولا كفو له ولا ند له ولا يقاس بخلقه سبحانه وتعالى فإنه سبحانه
أعلم بنفسه وبغيره وأصدق قيلاً وأحسن حديثاً من خلقه ثم
رسله صادقون مصدوقون بخلاف الذين يقولون عليه مالا
يعلمون ولهذا قال سبحانه ربك رب العزة {سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ}

⁶ مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 430

⁷ شرح العمدة ج: 4 ص: 91

عَمَّا يَصِفُونَ {180} وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ {181} وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ {182} الصافات 180-182 فسبح نفسه بما وصفه به المخالفون للرسل وسلم على المرسلين لسلامة ما قالوه من النقص والعيب وهو سبحانه قد جمع فيما وصف وسمى به نفسه بين النفي والإثبات فلا عدول لأهل السنة والجماعة بما جاء به المرسلون فإنه الصراط المستقيم صراط الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وقد دخل في هذه الجملة ما وصف به نفسه في سورة الإخلاص التي تعدل ثلث القرآن وقوله سبحانه **{وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ}** **{الأنعام 92}**⁸

إذا ذكر حكمة للفعل لم يلزم أن لا تكون له حكمة أخرى

* قال تعالى **{وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدَّقٌ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْفَرَّارِ وَمَنْ حَوْلُهَا}** {الانعام 92} ومعلوم أن فيه حكما أخرى مثل تبشير من آمن به والأمر والنهي وإنذار غير هؤلاء من العرب وفي ذلك حكم أخرى ومثل ذلك كثير في كلام الله عز وجل وغير كلام الله إذا ذكر حكمة للفعل لم يلزم أن لا تكون له حكمة أخرى لكن لا بد لتفصيص تلك الحكمة بالذكر في ذلك الموضع من مناسبته وهذا كالمناسبة في قوله **{إِنْذِرْ قَوْمًا مَا أَنْذَرْ أَبْأُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ}** يس 6 فإن هؤلاء كانوا أول المنذرين وأحقهم بالإإنذار فكان في تخصيصهم بالذكر فائدة لا أنه خصم لانتقاء إنذار من سواهم⁹

{وَمَنْ قَالَ سَأَنْزَلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ }

⁸مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 130-131 و العقيدة الواسطية ج: 1 ص: 18

⁹الجواب الصحيح ج: 1 ص: 434

*ذكر الله انزل الكتابين الذين لم ينزل من عند الله كتابا اهدى منها التوراة والقرآن كما جمع بينهما في قوله ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ أَوَلَمْ يَكُفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلٍ قَالُوا سِحْرٌ أَنْ تَظَاهِرَ وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ﴾ القصص 48 وكذلك الجن لما استعملت القرآن

{قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى } الأحقاف 30 الآية وقال تعالى {فُلَّا أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرُتُمْ بِهِ وَشَهَدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَأَمَّنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } الأحقاف 10 ولهذا قال النجاشي لما سمع القرآن ان هذا والذى جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة ثم ذكر تعالى حال الكذاب والمتتبىء فقال {وَمَنْ أَظْلَمُ مِنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوْحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأَنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ } الأنعام 93 فجمع فى هذا بين من أضاف ما يفترىه إلى الله وبين من يزعم أنه يوحى إليه ولا يعين من أوحاه فان الذى يدعى الوحي لا يخرج عن هذين القسمين ويدخل فى القسم الثانى من يرى عينيه فى المنام ملا تريا ومن يقول القى فى قلبي والهمت ونحو ذلك إذا كان كاذبا ويدخل فى القسم الأول من يقول قال الله لى أو أمرنى الله أو وافقنى أو قال لى ونحو ذلك بخيالات أو الهامات يجدها فى نفسه ولا يعلم أنها من عند الله بل قد يعلم انها من الشياطين مثل مسلمة الكذاب ونحوه ثم قال تعالى { وَمَنْ قَالَ سَأَنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ }

{الأنعام 93} فهذه حال من زعم ان البشر يمكنهم أن يأتوا بمثل كلام الله او ان هذا الكلام كلام البشر بفضيلة وقوه من صاحبه فإذا اجتهد المرء أمكن أن يأتي بمثله وهذا يعم من قال انه يمكن معارضه القرآن كابن أبي سرح فى حال ردته وطائفة متقرقين من الناس ويعلم المتقلصه الصابئة المنافقين والكافرين ومن يزعم أن رسالت الأنبياء كلام فاض عليهم قد يفيض على غيرهم مثله فيكون قد أنزل مثل ما أنزل الله فى دعوى الرسل لأن القائل

سانزل مثل ما أنزل الله قد يقوله غير معتقد أن الله أنزل شيئاً وقد يقوله معتقداً أن الله أنزل شيئاً¹⁰

*فتقرير النبوات من القرآن أعظم من أن يشرح في هذا المقام إذ ذلك هو عماد الدين وأصل الدعوة النبوية وينبع كل خير وجماع كل هدي وأما حال المخبر عنه فإن النبي والرسول يخبر عن الله تعالى بأنه أرسله ولا أعظم فريدة ممن يكذب على الله جل وعز كما قال تعالى {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوَحِّدْ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأَنْزَلَ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ} الانعام 93 ذكر هذا بعد قوله {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُنَّهُ قَرَاطِيسَ تُبَدِّلُنَّهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعَلِمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آباؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ نَعَمْ دَرْهُمٌ فِي حَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ} 91 وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقٌ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَتُنَذَّرَ أُمَّ الْقُرْبَى وَمَنْ حَوَّلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ} 92 {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوَحِّدْ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأَنْزَلَ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ} 93 الانعام 92-91 فنقض سبحانه دعوى الجاحد النافي للنبوة بقوله {قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى} الانعام 91 وذلك الكتاب ظهر فيه من الآيات والبيانات وأتبعه كل الأنبياء والمؤمنين وحصل فيه ما لم يحصل في غيره فكانت البراهين والدلائل على صدقه أكثر وأظهر من أن تذكر بخلاف الإنجيل وغيره وأيضاً فإنه أصل وإنجيل تبع له إلا فيما أحله المسيح ولهذا كانت قصة موسى هي أعظم قصص الأنبياء المذكورين في القرآن وهي أكبر من غيرها وتبسيط أكثر من غيرها قال عبد الله بن مسعود كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عامة نهاره يحدثنا عنبني إسرائيل ولما قرر الصدق بين حال الكاذبين بأنهم ثلاثة أصناف إذ

¹⁰ مجموع الفتاوى ج: 12 ص: 26 و الجواب الصحيح ج: 2 ص: 281

لا يخلو الكذاب من أن يضيق الكذب إلى الله تعالى ويقول إنه أنزله أو يحذف فاعله ولا يضيقه إلى أحد أن يقول إنه هو الذي وضعه معارضًا فقال تعالى {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوَحِّدْ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأَنْزَلَ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ } الانعام 93 وأما المخبر عنه فإنه الله تعالى ولا ريب أنه يعلم من أمور الرب سبحانه بما نصبه من الأدلة المعاينة الحسية التي يعقل بها نفسها وبالأمثال المضروبة وهي الأقىسة العقلية ما يمتنع معه خفاء كذب الكاذب بل يمتنع معه خفاء صدق الصادق فالدلائل مثلًا قد علم بوجوه متعددة ضرورية إنه ليس هو الله وإنه كافر مفتر وإذا كانت دعواه معلوماً كذبها ضرورة لم يكن ما يأتي به من الشبهات مصدقاً لها إذ العصمة الضرورية لا تقدر فيها الطرق النظرية فإن الضروريات أصل النظريات فلو قدرت بها فيها لزم إبطال الأصل بالفرع فيبطلان جميعاً فإنه يظهر أيضًا من عجزه ما ينفي دعواه وكذلك من أباح الفواحش والمظالم والشرك والكذب مدعياً للنبوة يعلم بالاضطرار كذبه للعلم الضروري بأن الله سبحانه لا يأمر بهذا سواء قيل أن الفعل يعلم به حسن الأفعال وقبحها أو لا يعلم به فليس كلما أمكن في العقل وقوعه وكان الله قادرًا عليه يشك في وقوعه بل نحن نعلم بالضرورة أن البحار لم تقلب دما وإن الجبال لم تنقلب يوماً فتثبت ذلك من المعادن وإن لم يسند ذلك إلى دليل معين وإن كنا عالمين بأن الله تعالى قادر على قلب ذلك لكن العلم بالواقع وعدمه شيء والعلم بإمكان ذلك من قدرة الله سبحانه شيء وكل ذي فطرة سليمة يعلم بالاضطرار أن الله تعالى لا يأمر عباده بالكذب والظلم والشرك والفواحش وأمثال ذلك مما قد يأتي به كثير من الكاذبين بل يعلم بفطنته السليمة ما يناسب حال الربوبية¹¹

¹¹ العقيدة الأصفهانية ج: 1 ص: 195

* فأحسن الحديث وأصدقه كتاب الله خبره أصدق الخبر وبيانه أوضح البيان وأمره حكم الأمر { فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ } الجاثية 6 وكل من اتبع كلاماً أو حديثاً مما يقال أنه يلهمه صاحبه ويوحى إليه أو أنه ينشئه ويحدثه مما يعارض به القرآن فهو من أعظم الظالمين ظلماً ولهذا لما ذكر الله سبحانه قول الذين ما قدروا الله حق قدره حيث أنكروا الإنزال على البشر ذكر المتشبهين به المدعين لمماثلته من الأقسام الثلاثة فإن المماثل له إما أن يقول أن الله أوحى إلي أو يقول أوحى إلي وألقى إلي وقيل لي ولا يسمى القائل أو يضيف ذلك إلى نفسه ويذكر أنه هو المنشيء له ووجه الحصر أنه إما أن يحذف الفاعل أو يذكره وإذا ذكره فاما أن يجعله من قول الله أو من قول نفسه فإنه إذا جعله من كلام الشياطين لم يقبل منه وما جعله من كلام الملائكة فهو داخل فيما يضيفه إلى الله وفيما حذف فاعله فقال تعالى {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أَوْحَى إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأَنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ

{ الأنعام 93} وتذير كيف جعل الأولين في حيز الذي جعله وحيها من الله ولم يسم الموحى فإنها من جنس واحد في إدعاء جنس الإناء وجعل الآخر في حيز الذي ادعى أن يأتي بمثله ولهذا قال { مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا } **{ الأنعام 93}** ثم قال { وَمَنْ قَالَ سَأَنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ } **{ الأنعام 93}** فالمفترى للذنب والسائل أوحى إلى ولم يوح إليه شيء من جملة الاسم الأول وقد قرن به الاسم الآخر فهو لاء الثلاثة المدعون لشبه النبوة وقد تقدم قبلهم المكذب للنبوة فهذا يعم جميع أصول الكفر التي هي تكذيب الرسل أو مضاهاتهم كمسilمة الكذاب وأمثاله وهذه هي أصول البدع التي نردتها نحن في هذا المقام لأن المخالف

للسنة يرد بعض ما جاء به الرسول أو يعارض قول الرسول بما يجعله نظيرا له من رأى أو كشف أو نحو ذلك¹²

من ادعى النبوة وهو كاذب فهو من أكفر الكفار

* كانت سنة الله وعادته نصر المؤمنين بالأنباء الصادقين على الكافرين والمنافقين كما أن سنته تأييدهم بالآيات البينات ومن ادعى النبوة وهو كاذب فهو من أكفر الكفار وأظلم الظالمين قال تعالى {وَمَنْ أَظْلَمُ مِنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوَحِّدْ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأَنْزَلَ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ} الأنعام 93

ومن كان كذلك كان الله يمقته ويبغضه ويعاقبه ولا يدوم أمره بل هو كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح عن أبي هريرة قال إن الله يملأ للظالم فإذا أخذه لم يفلته ثم قرأ {وَكَذِلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخْذَ الْقَرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ} هود 102 وقال أيضا في الحديث الصحيح عن أبي موسى أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع تفيها الرياح تقومها تارة وتتمليها أخرى ومثل المنافق مثل شجرة الأرز لا تزال ثابتة على أصلها حتى يكون انجعافها مرة واحدة فالكافر وإن أعطي دولة فلا بد من زوالها بالكلية وبقاء ذمه ولسان السوء له في العالم وهو يظهر سريعا ويزول سريعا كدولة الأسود العنси ومسيلمة الكاذب والحارث الدمشقي وبابا الرومي ونحوهم وأما الأنبياء فإنهم يتلون كثيرا ليمحصوا بالبلاء فإن الله إنما يمكن العبد إذا ابتلاه ويطهر أمرهم شيئا فشيئا كالزرع قال تعالى {مُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءَ عَلَى الْكُفَّارِ رُحْمَاءَ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يُبَتَّعُونَ فَصُلْلَاءَ مِنَ اللَّهِ وَرَضُوا إِنَّ سِيَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثْرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التُّورَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرْزُرَعٌ أَخْرَجَ شَطْلَةً فَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ

اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا

{الفتح 29 ولهذا كان أول ما يتبعهم ضففاء الناس فاعتبار هذه الأمور وسنة الله في أوليائه وأنبيائه الصادقين وفي أعداء الله والمتتبئين الكاذبين مما يوجب الفرق بين النوعين وبين دلائل النبي الصادق ودلائل المتتبيء الكاذب وقد ذكر ابتلاء النبي والمؤمنين ثم كون العاقبة لهم في غير موضع¹³

*قال محمد بن اسحاق في رواية ابن بکير عنه قال ابو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر وعبد الله بن ابی بکر بن حزم ان رسول الله حين دخل مكة وفرق جيوشه امرهم ان لا يقتلوا احدا الا من قاتلهم الا نفرا قد سماهم رسول الله وقال اقتلهم وان وجذتهم تحت استار الكعبة عبد الله بن خطل وعبد الله بن سعد ابن ابی سرح وانما امر بابن ابی سرح لانه كان قد اسلم فكان يكتب لرسول الله الوحي فرجع مشركا ولحق بمكة فكان يقول لهم اني لا صرفه كيف شئت انه ليامرني ان اكتب له الشيء فاقول له او كذا او كذا فيقول نعم وذلك ان رسول الله كان يقول عليم حكيم فيقول او اكتب عزيز حكيم فيقول له رسول الله نعم كلاهما سواء قال ابن اسحاق حدثي شرحبيل بن سعد ان فيه نزلت {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوَحِّدْ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأَنْزِلُ مِثْلًا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ} الأنعام 93 فلما دخل رسول الله مكة فر الى عثمان بن عفان وكان اخاه من الرضاعة فغيبه عنده حتى اطمأن اهل مكة فاتى رسول الله فاستامن له فصمت رسول الله طويلا وهو واقف عليه ثم قال نعم فانصرف به فلما ولى قال رسول الله ما صمت الا رجاء ان يقوم اليه بعضكم فيقتله فقال رجل من الانصار يا رسول الله الا اومات الى فاقتله فقال رسول الله ان النبي لا يقتل بالاشارة وقال ابن

¹³الجواب الصحيح ج: 6 ص: 423-424

اسحاق في رواية ابراهيم بن سعد عنه حدثي بعض علمائنا ان ابن ابي سرح رجع الى قريش فقال والله لو اشاء لقلت كما يقول محمد وجئت بمثل ما يأتي به انه ليقول الشيء واصرفة الى شيء فيقول اصبت فيه انزل الله تعالى {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوَحِّدْ إِلَيْهِ شَيْءٌ} الأنعام 93 فلذلك امر رسول الله بقتله وذكر الواقدي عن اشياخه قالوا وكان عبد الله بن سعد بن ابي سرح يكتب لرسول الله فربما ا ملي عليه رسول الله سماع عليم فيكتب عليم حكيم فيقرأه لرسول الله فيقول كذلك قال الله فافتتن وقال ما يدرى محمد ما يقول اني لاكتب له ما شئت هذا الذي كتبت يوحي الي كما يوحي الى محمد وخرج هاربا من المدينة الى مكة مررتا فاهرر رسول الله دمه يوم الفتح فلما كان يومئذ جاء ابن ابي سرح الى عثمان بن عفان وكان اخاه من الرضاعة فقال يا اخي اني والله اخترتكم فاحبسوني هنا وادهاب الى محمد فكلمه في فان محمدا ان راني ضرب الذي فيه عيناي ان جرمي اعظم الجرم وقد جئت تائبا فقال عثمان بل اذهب معي قال عبد الله والله لئن راني ليضر بن عني ولا ينظرني قد اهدر دمي واصحابه يطلبونني في كل موضع فقال عثمان انطلق معي فلا يقتلك ان شاء الله فلم يرع رسول الله الا بعثمان اخذها بيده عبد الله بن سعد ابن ابي سرح واقفين بين يديه فاقبل عثمان على رسول الله فقال يارسول الله امه كانت تحملني وتمشيه وترضعني وتقطمه وكانت تلطفي وتتركه فهبه لي فاعرض عنه رسول الله وجعل عثمان كلما اعرض عنه النبي بوجهه استقبله فيعيد عليه هذا الكلام وانما اعرض النبي اراده ان يقوم رجل فيضرب عنقه لانه لم يؤمنه فلما رأى ان لا يقوم احد وعثمان قد اكب على رسول الله يقبل راسه وهو يقول يارسول الله بايعه فداك ابي وامي فقال النبي نعم ثم التفت الى اصحابه فقال ما منكم ان يقوم رجل منكم الى هذا الكلب فيقتلها او قال الفاسق فقال عباد بن بشر الا او مات الي يارسول الله فوالذي بعثك بالحق اني لاتبع طرفك من كل ناحية

رجاء ان تشير الي فاضرب عنقه ويقال قال هذا ابو اليسير ويقال عمر بن الخطاب فقال رسول الله اني لاقلت بالاشارة وقائل يقول ان النبي قال يومئذ ان النبي لا تكون له خائنة الا عين فباعيه رسول الله فجعل يفر من رسول الله كلما راه فقال عثمان لرسول الله بابي وامي لو ترى ابن ام عبد الله يفر منك كلما راك فتبسم رسول الله فقال الم اباعيه وامنه قال بلى يا رسول الله ولكنه يتذكر عظيم جرمته في الاسلام فقال النبي الاسلام يجب ما كان قبله فرجع عثمان الى ابن ابي سرح فأخبره فكان يأتي فيسلم على النبي مع الناس فوجه الدلالة ان عبد الله بن سعد بن ابي سرح افترى على النبي انه كان يتمم له الوحي ويكتب له ما يريد فيوافقه عليه وانه يصرفه حيث شاء ويغير ما امره به من الوحي فيقرره على ذلك وزعم انه سينزل مثل ما انزل الله اذ كان قد اوحى اليه في زعمه كما اوحى الى رسول الله وهذا الطعن على رسول الله وعلى كتابه والافتراء عليه بما يوجب الريب في نبوته قدر زائد على مجرد الكفر به والردة في الدين وهو من انواع السب وكذلك لما افترى عليه كاتب اخر مثل هذه الفريدة قصمه الله وعاقبه عقوبة خارجه عن العادة ليتبين لكل احد افتراؤه اذ كان مثل هذا يوجب في القلوب المريضة ريبة باه يقول القائل كاتبه اعلم الناس بباطنه وبحقيقة امره وقد اخبر عنه بما اخبر فمن نصر الله لرسوله ان اظهر فيه اية بيین بها انه مفتر فروى البخاري في صحيحه عن عبد العزيز بن صهيب عن انس قال كان رجلا نصراانيا فاسلم وقرأ البقرة وال عمران وكان يكتب للنبي فعاد نصراانيا فكان يقول لا يدرى محمد الا ما كتبت له فامااته الله فدفنوه فاصبح وقد لفظته الارض فقالوا هذا فعل محمد واصحابه نبشا عن صاحبنا فالقوة فحفروا له واعمقوا في الارض ما استطاعوا فاصبح وقد لفظته الارض فعلموا انه ليس من الناس فالقوه ورواه مسلم من حديث سليمان بن المغيرة عن ثابت عن انس قال كان منا رجل من بنى النجار قد قرأ البقرة وال عمران وكان يكتب للنبي فالنطلق هاربا

حتى لحق باهل الكتاب قال فعرفوه قالوا هذا قد كان يكتب لمحمد
فأعجبوا به فما لبث ان قسم الله عنقه فيهم حفروا له فواروه
فاصبحت الارض قد نبضت على وجهها ثم عادوا فحفروا له
فواروه فاصبحت الارض قد نبضت على وجهها ثم عادوا
حفروا له فواروه فاصبحت الارض قد نبضت على وجهها فتركوه
منبوذا فهذا الملعون الذي افترى على النبي انه ما كان يدرى
الا ما كتب له قسمه الله وفضحه بان اخرجه من القبر بعد ان
دفن مرارا وهذا امر خارج عن العادة يدل كل احد على ان هذا
عقوبة لما قاله وانه كان كاذبا اذ كان عامة الموتى لا يصيّهم
مثل هذا وان هذا الجرم اعظم من مجرد الارتداد اذ كان عامة
المرتدين يموتون ولا يصيّهم مثل هذا وان الله منتقم لرسوله
من طعن عليه وسبه ومظهر لدينه وللذين الكاذب اذا لم يمكن
الناس ان يقيموا عليه الحد ونظير هذا ما حدثناه اعداد من
المسلمين العدول اهل الفقه والخبرة عما جربوه مرات متعددة في
حصر الحصون والمداين التي بالسواحل الشامية لما حصر
المسلمون فيها بني الاسفر في زماننا قالوا كنا نحن نحصر
الحسن او المدينة الشهر او اكثر من الشهر وهو ممتنع علينا
حتى نكاد ننیاس منه حتى اذا تعرض اهله لسب رسول الله
والواقعية في عرضه تعجلنا فتحة وتسير ولم يكدر يتاخر الا يوما
او يومين او نحو ذلك ثم يفتح المكان عنوة ويكون فيهم ملحمة
عظيمة قالوا حتى ان كنا لنتبادر بتعجيل الفتح اذا سمعناهم
يقعون فيه مع امتلاء القلوب غيظا عليهم بما قالوا فيه وهذا
حدثني بعض اصحابنا الثقات ان المسلمين من اهل المغرب
حالهم مع النصارى كذلك ومن سنة الله ان يعذب اعداءه تارة
بعد اذاب من عنده وتارة باليدي عباده المؤمنين فكذلك لما تمكّن
النبي من ابن ابي سرح اهدر دمه لما طعن في النبوة وافترى
عليه الكذب مع انه قد امن جميع اهل مكة الذين قاتلوه وحاربوه
اشد المحاربة ومع ان السنة في المرتد انه لا يقتل حتى يستتاب
اما وجوبا او استحبابا وسنذكر ان شاء الله ان جماعة ارتدوا

على عهد النبي ثم دعوا الى التوبة وعرضت عليهم حتى تابوا وقبلت توبتهم وفي ذلك دليل على ان جرم الطاعن على رسول الساب له اعظم من جرم المرتد ثم ان اباحة النبي دمه بعد مجيئه تائبا مسلما وقوله هلا قتلتموه ثم عفوه عنه بعد ذلك دليل على ان النبي كان له ان يقتله وان يعفو عنه ويعصم دمه وهو دليل على ان له ان يقتل من سبه وان تاب وعاد الى الاسلام يوضح ذلك اشياء منها انه قد روي عن عكرمة ان ابن ابي سرح رجع الى الاسلام قبل فتح مكة وكذلك ذكر آخرون ان ابن ابي سرح رجع الى الاسلام قبل فتح مكة اذ نزل النبي بها وقد تقدم عنه انه قال لعثمان قبل ان يقدم به على النبي ان جرمي اعظم الجرم وقد جئت تائبا وتوبة المرتد اسلامه ثم انه جاء الى النبي بعد الفتح وهدوء الناس وبعد ما تاب فاراد النبي من المسلمين ان يقتلوه حينئذ وتربيص زمانا ينتظر فيه قتيله ويظنه ان بعضهم سيقتله وهذا اوضح دليل على جواز قتيله بعد اسلامه وكذلك لما قال له عثمان انه يفر منك كلما راك قال الم اباعيده واومنه قال بلى ولكنه يتذكر عظيم جرميه في الاسلام فقال الاسلام يجب ما قبله فيبين النبي ان خوف القتل سقط بالبيعة والامان وان الامر زال بالاسلام فعلم ان الساب اذا اعاد الى الاسلام جب الاسلام اثم السب وبقي قتيله جائزا حتى يوجد اسقاط القتل من يملكه ان كان ممكنا وسيأتي ان شاء الله تعالى ذكر هذا في موضعه فان غرضنا هنا ان نبين ان مجرد الطعن على رسول الله والحقيقة فيه يوجب القتل في الحال التي لا يقتل فيه لمجرد الردة واما كان ذلك موجبا للقتل استوى فيه المسلم والذمي لأن كل ما يوجب القتل سوى الردة يستوي فيه المسلم والذمي وفي كتمان الصحابة لابن ابي سرح ولاحدى القينتين دليل على النبي لم يوجب قتلهم وانما اباحه مع جواز عفوه عنهم وفي ذلك دليل على انه كان مخيرا بين القتل والعفو وهذا يؤيد ان القتل كان لحق النبي واعلم ان افتراط ابن ابي سرح والكاتب الآخر النصراني على رسول الله بأنه كان يتعلم منها افتراط ظاهر

وكذلك قوله اني لا صرفه كيف شئت انه ليامرني ان اكتب له الشيء فاقول له او كذا او كذا فيقول نعم فريه ظاهرة فان النبي كان لا يكتبه الا ما انزله الله ولا يأمره ان يثبت قرانا الا ما اوحاه الله اليه ولا ينصرف له كيف شاء بل يتصرف كما يشاء الله وكذلك قوله اني لا كتب له ما شئت هذا الذي كتبت يوحى الي كما يوحى الى محمد وان محمد اذا كان يتعلم مني فاني سانزل مثل ما انزل الله فريه ظاهرة فان النبي لم يكن يكتبه ما شاء ولا كان يوحى اليه شيء وكذلك قول النصراني ما يدرى محمد الا ما كتبت له من هذا القبيل وعلى هذا الافتراء حاقد به العذاب واستوجب العقاب ثم اختلف اهل العلم هل كان النبي اقره على ان يكتب شيئا غير ما ابتداه النبي باكتابه وهل قال له شيئا على قولين احدهما ان النصراني وابن ابي سرح افترى على رسول الله ذلك كله وانه لم يصدر منه قول فيه اقرار على كتابة غير ما قاله اصلا وانما لما زين لها الشيطان الردة افترى عليه لينفرا عنه الناس ويكون قبول ذلك منهم متوجها لانهما فارقاه بعد خبره وذلك انه لم يخبر احد انه سمع النبي يقول له هذا الذي قلته او كتبته صواب وانما هو حال الردة اخبر انه قال له ذلك وهو اذ ذاك كافر عدو يفترى على الله ما هو اعظم من ذلك يبين ذلك ان الذي في الصحيح ان النصراني كان يقول ما يدرى محمد الا ما كتبت له نعم ربما كان هو يكتب غير ما يقوله النبي ويغيره ويزيده وينقصه فظن ان عمدة النبي على كتابته مع ما فيها من التبديل ولم يدر ان كتاب الله ايات بينات في صدور الذين اوتوا العلم وانه لا يغسله الماء وان الله حافظ له وان الله يقريءنبيه فلا ينسى الا ما شاء الله مما يريد رفعه ونسخ تلاوته وان جبريل كان يعارض النبي بالقرآن كل عام وان النبي اذا انزلت عليه الاية اقرها لعدد من المسلمين يتواتر نقل الاية بهم واكثر من ذكر هذه القصة من المفسرين ذكر انه كان ي ملي عليه سماعا عليما فيكتب هو عليما حكيمما اذا قال عليما حكيمما كتب غفورا رحيمما وأشبه ذلك ولم يذكر ان النبي قال له شيئا قالوا واذا

كان الرجل قد علم انه من اهل الفرية والكذب حتى اظهر الله
كذبه اية بینة والروايات الصحيحة المشهورة لم تتضمن الا انه
قال عن النبي ما قال او انه كتب ما شاء فقط علم ان النبي لم يقول
له شيئا قالوا وما روي في بعض الروايات ان النبي قال فهو
منقطع او معلم ولعل قائله قاله بناء على ان الكاتب هو الذي قال
ذلك ومثل هذا قد يلتبس الامر فيه حتى يشتبه ما قاله النبي وما
قيل انه قاله وعلى هذا القول فلا سؤال اصلا القول الثاني ان
النبي قال له شيئا فروى الامام احمد وغيره من حديث حماد بن
سلمة انا ثابت عن انس ان رجلا كان يكتب لرسول الله فاذا املأ
عليه سماعا عليما يقول كتبت سماعا بصيرا قال دعه واذا املأ
عليه عليما حكيمها كتب عليما حليما قال حماد نحو ذا قال
وكان قد قرا البقرة وال عمران وكان من قراء اهلا قد قرا قرانا
كثيرا فذهب فتصر و قال لقد كنت اكتب لمحمد ما شئت فيقول
دعه فمات فدفن فنبأته الارض مرتين او ثلاثة قال ابو طلحة فلقد
رأيته منبوا فوق الارض ورواه الامام احمد حدثنا يزيد بن
هارون حدثنا حميد عن انس ان رجلا كان يكتب لرسول الله وقد
قرأ البقرة وال عمران وكان الرجل اذا قرا البقرة وال عمران جد
فيينا يعني عظم فكان النبي ي ملي عليه غفورا رحيمها فيكتب عليما
حكيمها فيقول له النبي اكتب كذا وكذا اكتب كيف شئت ويملي
عليه عليما حكيمها فيكتب سماعا بصيرا فيقول اكتب كيف شئت
فارتد ذلك الرجل عن الاسلام فلحق بالمرشكين وقال انا اعلمكم
بمحمد ان كنت لاكتب ما شئت فمات ذلك الرجل فقال رسول الله
ان الارض لاتقبله قال انس فحدثني ابو طلحة انه اتى الارض
التي مات فيها ذلك الرجل فوجده منبوا قال ابو طلحة ما شان
هذا الرجل قالوا قدمناه مرارا فلم تقبله الارض فهذا اسناد صحيح
وقد قال من ذهب الى القول الاول علل البزار حديث ثابت عن
انس وقال رواه عنه ولم يتبع عليه رواه حميد عن انس قال
واظن حميدا انما سمعه من ثابت قالوا ثم ان انسا لم يذكر انه
سمع النبي او شهد له يقول ذلك ولعله حكي ما سمع وفي هذا

الكلام تكفل ظاهر والذي ذكرناه في حديث ابن اسحاق والواقدي وغيرهما يوافق ظاهر هذه الرواية وكذلك ذكر طائفة من اهل التفسير وقد جاءت اثار فيها بيان صفة الحال على هذا القول ففي حديث ابن اسحاق وذلك ان رسول الله كان يقول عليم حكيم فيقول او اكتب عزيز حكيم فيقول له رسول الله نعم كلاهما سواء وفي الرواية الاخرى وذلك ان رسول الله كان ي ملي عليه فيقول عزيز حكيم او حكيم عليم فكان يكتبها على احد الحرفين فيقول كل صواب ففي هذا بيان لان كلا الحرفين كان قد نزل وان النبي كان يقرأهما ويقول له اكتب كيف شئت من هذين الحرفين فكل صواب وقد جاء مصراحا عن النبي انه قال انزل القرآن على سبعة احرف كلها شاف كاف ان قلت عزيز حكيم او غفور رحيم فهو كذلك ما لم يختتم اية رحمه بعذاب او اية عذاب برحمة وفي حرف جماعة من الصحابة {إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} المائدة 118 والاحاديث في ذلك منتشرة تدل على ان من الحروف السبعة التي نزل عليها القرآن ان تختتم الاية الواحدة بعدة اسماء من اسماء الله على سبيل البديل يخير القارئ في القراءة بايها شاء وكان النبي يخيره ان يكتب ما شاء من تلك الحروف وربما قرأها النبي بحرف من الحروف فيقول او اكتب كذا وكذا لكثره ما سمع النبي يخير بين الحرفين فيقول له النبي نعم كلاهما سواء لان الاية نزلت بالحرفين وربما كتب هو احد الحرفين ثم قرأه على النبي فاقره عليه لانه قد نزل كذلك ايضا وختم الاية بمثل سماع عليم عليم حكيم و غفور رحيم او بمثل سماع بصير او عليم حكيم او عليم حليم كثير في القرآن وكان نزول الاية على عدة من هذه الحروف امرا معتادا ثم ان الله نسخ بعض تلك الحروف لما كان جبريل يعارض النبي بالقرآن في كل رمضان وكانت العرضة الاخيرة في حرف زيد بن ثابت الذي يقراء الناس به اليوم وهو الذي جمع عثمان والصحابه رضي الله عنهم اجمعين عليه الناس ولهذا ذكر ابن عباس هذه القصة في

الناسخ والمنسوخ وكذلك ذكرها الإمام أحمد في كتابه الناسخ والمنسوخ لتضمنها نسخ بعض الحروف وروي فيها وجه آخر رواه الإمام أحمد في الناسخ والمنسوخ حدثنا مسكين بن بكيير ثنا معان قال وسمعت أبا خلف يقول كان ابن أبي سرح كتب للنبي القرآن فكان ربما سال النبي عن خواتم الآيات تعلمون و تفعلون ونحو ذلك فيقول له النبي اكتب أي ذلك شئت قال فيوفقه الله للصواب من ذلك فاتى أهل مكة مرتدًا فقلوا يا ابن أبي سرح كيف كنت تكتب لابن أبي كبشة القرآن قال اكتبه كيف شئت قال فأنزل الله في ذلك **{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوَحِّدْ إِلَيْهِ شَيْءٌ}** **{الأنعام 93}** الآية كلها قال النبي يوم فتح مكه من أخذ ابن أبي سرح فليضرب عنقه حيثما وجد وان كان متعلقا باستار الكعبة ففي هذا الاثر انه كان يسأل النبي عن حرفين جائزين فيقول له اكتب اي ذلك شئت فيوفقه الله للصواب فيكتب احب الحرفين الى الله ان كان كلاهما منزلًا او يكتب ما انزل الله فقط ان لم يكن الاخر منزلا وكان هذا التخيير من النبي اما توسعه ان كان الله قد انزلهما او ثقته بحفظ الله وعلمه منه بأنه لا يكتب الا ما انزل وليس هذا يذكر في كتاب تولى الله حفظه وضمن انه لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وذكر بعضهم وجها ثالثا وهو انه ربما كان يسمع النبي يمله الآية حتى لم يبق منها الا كلمة او كلمتان فيستدل على بما قراء منها على باقيها كما يفعله الفطن الذي فيكتبه ثم يقرأه على النبي فيقول كذلك

انزلت كما اتفق مثل ذلك لعمر في قوله **{فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ}** المؤمنون 14 وقد روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس مثل هذا في هذه القصة وان كان هذا الاسند ليس بثقة قال عن ابن أبي سرح انه كان تكلم بالاسلام وكان يكتب لرسول الله في بعض الاحيان فإذا املي عليه عزيز حكيم كتب غفور رحيم فيقول رسول الله هذا وذاك سواء فلما نزلت **{وَلَقَدْ خَلَقْتَ إِلِّيْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ}** المؤمنون 12 املأها

عليه فلما انتهى الى قوله خلقا اخر عجب عبد الله بن سعد فقال تبارك الله احسن الخالقين فقال رسول الله كذا انزلت علي فاكتبها فشك حينئذ وقال لئن كان محمد صادقا لفدي اوهي الي كما اوحي اليه ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال فنزلت هذه الاية وما ضعفت به هذه الرواية ان المشهور ان الذي تكلم بهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومن الناس من قال قوله اخر قال الذي ثبت في رواية انس انه كان يعرض على النبي ما كتبه بعدهما كتبه فيلمي عليه سماعا عليما فيقول كتب سماعا بصيرا فيقول دعه او اكتب كيف شئت وكذلك في حديث الواقدي انه كان يقول كذلك الله ويقره قالوا وكان النبي به حاجة الى من يكتب لقلة الكتاب في الصحابة وعدم حضور الكتاب منهم في وقت الحاجة اليهم فان العرب كان الغالب عليهم الامية حتى ان كان الجو العظيم يطلب فيه كاتب فلا يوجد فكان احدهم اذا اراد كتابة وثيقة او كتاب وجد مشقة حتى يصل له كاتب فاذا اتفق للنبي من يكتب له انتهز الفرصة في كتابة فاذا زاد كاتب او نقص تركه لحرصه على كتابة ما يملئ ولا يأمره بتغيير ذلك خوفا من ضجره وان يقطع الكتابة قبل اتمامها ثقة منه بان تلك الكلمة او الكلمتين تستدرك فيما بعد بالالقاء الى من يتلقنها منه او بكتابتها تعويلا على المحفوظ عنده وفي قلبه كما قال الله تعالى {سَنُنْفِرُكُمْ فَلَا تَنْتَسِي} {6} إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى} {7} الأعلى 6-7 والاشبه والله اعلم هو الوجه الاول وان هذا كان فيما انزل القرآن فيه على حروف عدة فان القول المرضي عند علماء السلف الذي يدل عليه عامة الأحاديث وقراءات الصحابة ان المصحف الذي جمع عثمان الناس عليه هو احد الحروف السبعة وهو العرضة الاخيرة وان الحروف

الستة خارجة عن هذا المصحف فان الحروف السبعة كانت

مختلفة الكلم مع ان المعنى غير مختلف ولا متضاد¹⁴

* {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحِي إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأَنْزَلَ مِثْلًا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسْطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرُجُوهُ أَنْفُسُكُمُ الْيَوْمَ نُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُوَنِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْكُنُونَ } الأنعام 93 وقد روى مسلم في أوائل الصحيح من وجهين عن مسلم بن يسار أنه سمع أبا هريرة يقول قال رسول الله يكون في آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم من الأحاديث ما لم تسمعوا أنتم ولا آباءكم فاياكم وإياهم لا يضللونكم ولا يفتونكم وهذا كما يدخل فيه من يحدث عن غيره فالذي يقول إنه يحدث عن قلبه عن ربه أو أنه يأخذ عن الله بلا واسطة وأنه يأخذ من حيث يأخذ الملك الذي يوحى به إلى الرسول وأنه يحدث بمقتضى الأقىسة القطعية أولى فإن هذا يدعى ما هو عنده أعلى وإن كان له نصيب من قوله تعالى {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحِي إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأَنْزَلَ مِثْلًا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ } الأنعام 93 وقد سأله بعضهم مالكا عن بعض من كان بالعراق من هؤلاء المبطلين فقال كلمة أو كلاما فيه هؤلاء الدجاجلة قال ما سمعت جمع دجاجلة إلا من مالك وأصل الدجل التغطية والتمويه والتلبيس ومعلوم أن أتباع مسلمة¹⁵

*إِنْ كَانَ مَدْعُوِيَ النَّبُوَةِ كَاذِبًا {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحِي إِلَيْهِ شَيْءٌ } الأنعام 93 وهذا من شر الناس وأذنبهم وأظلمهم وأفجرهم وملكه شر من ملك الظالم الذي لم يدع نبوة لك بختنصر وسنجاريب¹⁶

¹⁴ الصارم المسلول ج: 2 ص: 223-249

¹⁵ بغية المرتاد ج: 1 ص: 484-485

¹⁶ الجواب الصحيح ج: 5 ص: 225

لا معصوم إلا الأنبياء

*فإذا كان الذين استخرجوا ذكره من كتب أهل الكتاب والذين سمعوا خبره من علماء أهل الكتاب إنما يذكرون نعته فيها بالمدح والثناء علم بذلك أن الأنبياء المتقدمين ذكروه بالمدح والثناء ولم يذكروه بذم ولا عيب وكل من ادعى النبوة ومدحه الأنبياء وأثروا عليه لم يكن إلا صادقا في دعوى النبوة إذ يمتنع أن الأنبياء يثبتون على من يكذب في دعوى النبوة **{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوْحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأَنْزِلُ مِثْلًا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ} الأنعام 93** وهذا مما يبين أنه لا بد أن يكون الأنبياء ذكروه وأخبروا به وأنهم لم يذكروه إلا بالثناء والمدح لا بالذم والعار وذلك مع دعوى النبوة لا يكون إلا إذا كان صادقا في دعوى النبوة فتبين أنهم بشروا بنبوته وهو المطلوب¹⁷

*فإنه لا معصوم إلا الأنبياء ولهذا لم يجب الإيمان بكل ما يقوله بشر إلا أن يكوننبيا فإن الإيمان واجب بكل ما يأتي به النبي وإذا كان الأمر كذلك فمطلوب بالتواتر أن محمدا ذكر أنه رسول إبراهيم وموسى وعيسى بل أخبر أنه سيد ولد آدم وأن آدم فمن دونه تحت لوائه يوم القيمة وأنه لما اسرى به وعرج إلى ربه علا على الأنبياء كلهم على إبراهيم وموسى وهرون ويحيى وعيسى وغيرهم وأخبر أنه لا نبي بعده وأن امته هم الآخرون في الخلق السابقون يوم القيمة وأن الكتاب الذي انزل إليه أحسن الحديث وأنه مهيمن على ما بين يديه من الكتب مع تصديقه لذلك وحينئذ فإن كان عالما بصدق نفسه فهونبي رسول ومن قال هذا القول وهو يعلم أنه كاذب فهو من أظلم الناس وأفاجرهم **{وَمَنْ**

¹⁷الجواب الصحيح ج: 5 ص: 191-192

**أَظْلَمُ مِنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحِي إِلَيْهِ
شَيْءٌ } الْأَنْعَام١٩٣¹⁸**

* وإذا ادعى شخص أن الله أرسله وهو لم يرسله بهذا الكتاب كله فهذا كذاب لا يحتاج بشيء من كلامه ولا يكون مثل هذا عدلا فضلا عن أن يكون حكيمًا بل هو من الذين افتروا على الله كذبا {وَمَنْ أَظْلَمُ مِنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحِي إِلَيْهِ شَيْءٌ } الْأَنْعَام١٩٣¹⁹

أساس الطريق إلى الله

* أن المشايخ العارفين اتفقوا على ان أساس الطريق الى الله هو الصدق والاخلاص كما جمع الله بينهما في قوله { وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ } 30 { حُنَفَاءُ اللَّهُ غَيْرُ مُشْرِكِينَ بِهِ } 31 { الحج 30-31 } ونصوص الكتاب والسنة وإجماع الأمة دال على ذلك في مواضع قوله تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ } التوبة 11 وقوله تعالى { فَمَنْ أَظْلَمُ مِنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَبَ بِالصَّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلِيَّسْ فِي جَهَنَّمَ مَثُوَّرِ الْكَافِرِينَ } 32 { وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدْقِ وَصَدَقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقِونَ } 33 { الزمر 32-33 } وقال تعالى لما بين الفرق بين النبي والكافر والساخر { وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ } 192 { نَزَّلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ } 193 { عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ } 194 { بِلِسَانٍ عَرَبِيًّا مُّبِينٍ } 195 { وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ } 196 { الشِّعْرَاءِ 192-196 } إلى قوله { هَلْ أَنْبَكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ } 221 { تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَاكِ أَثِيمٍ } 222 { يُلْقَوْنَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَادِبُونَ } 223 { الشِّعْرَاءِ 221-223 } وقال تعالى

¹⁸الجواب الصحيح ج: 6 ص: 50

¹⁹الجواب الصحيح ج: 3 ص: 504

{وَمَنْ أَظْلَمُ مِنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحِي إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأَنْزُلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ} {الأنعام 93} وَقَالَ تَعَالَى {إِيَّا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا فَوَّامِينَ بِالْقُسْطِ شُهَدَاءُ اللَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالَّدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَإِنَّ اللَّهَ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَبَعَّدُوا أَهْوَى النَّسَاءَ} ²⁰ {النساء 135}

* ولدائل صدق النبي الصادق وكذب المتبني الكذاب كثيرة جداً فإن من ادعى النبوة وكان صادقاً فهو من أفضل خلق الله وأكملهم في العلم والدين فإنه لا أحد أفضل من رسول الله وأنبيائه صلوات الله عليهم وسلمه وإن كان بعضهم أفضل من بعض كما قال تعالى { وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّنَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ رَبُورًا } ⁵⁵ سورة الإسراء الآية 55 وان كان المدعى للنبوة كاذباً فهو من أكفر خلق الله وشرهم كما قال تعالى {وَمَنْ أَظْلَمُ مِنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحِي إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأَنْزُلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذَا الطَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوْا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ ثُجَرُونَ عَذَابَ الْهُوْنِ بِمَا كُنْتُمْ تَتَوَلَّوْنَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنِ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ } ⁹³ سورة الأنعام الآية 93 فالكذب أصل للشر وأعظمه الكذب

على الله عز وجل والصدق أصل للخير وأعظمه الصدق على الله تبارك وتعالى وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة ولا يزال الرجل يصدق ويتحرج الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار

و لا يزال الرجل يكذب ويتحرج الكذب حتى يكتب عند الله كذابا
21

* فمن قال إن الله أمره بذلك و فعله ولم يكن الله أمره بذلك كان كاذب مفتريا ظالما {وَمَنْ أَطْلَمْ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوْحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ} الأنعام 93 وكان مع كونه ظالما مفتريا من أعظم المريدين علوا في الأرض و فسادا²²

القرآن قد بين النعيم والعقاب في البرزخ

* والملائكة تنزل إلى الأرض ثم تتصعد إلى السماء كما تواترت بذلك النصوص وقد أنزلها الله يوم بدر و يوم حنين و يوم الخندق لنصر رسوله و المؤمنين كما قال تعالى {إِذْ تَسْتَغْيِثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمْدُّكُمْ بِالْأَلْفِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ} الأنفال 96
23

* أن الذين أنكروا عذاب القبر والبرزخ مطلقا زعموا أنه لم يدل على ذلك القرآن وهو غلط بل القرآن قد بين في غير موضع بقاء النفس بعد فراق البدن وبين النعيم والعقاب في البرزخ وهو سبحانه تعالى في السورة الواحدة يذكر القيامة الكبرى وأن الناس يكونون أزواجا ثلاثة كما قال تعالى {إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ} 1 {لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَانِبَةً} 2 {خَافِضَةً رَافِعَةً} 3 {إِذَا رُجِّتِ الْأَرْضُ رَجَّاً} 4 {وَبُسِّتِ الْجِبالُ بَسَّاً} 5 {فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثِتاً} 6 {وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً} 7 الواقعـة 1-7 ثم إنه في آخرها القيامة الصغرى بالموت وأنهم ثلاثة أصناف بعد الموت فقال {فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ} 83 {وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ} 84 {وَنَحْنُ أَقْرَبُ

الجواب الصحيح ج: 1 ص: 127²¹

مجموع الفتاوى ج: 4 ص: 206²²

منهج السنة النبوية ج: 2 ص: 536²³

إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ {85} تُبْصِرُونَ {85} فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ
 غَيْرَ مَدِينِينَ {86} تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ {87} فَأَمَّا إِنْ كَانَ
 مِنَ الْمُفْرَّقِينَ {88} فَرَوْحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ {89} وَأَمَّا إِنْ كَانَ
 مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ {90} فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ {91}
 وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ {92} فَنُزِّلَ مِنْ حَمِيمٍ {93}
 وَتَصْلِيلَةٌ جَحِيمٍ {94} إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ {95} فَسَبَّحَ بِاسْمِ
 رَبِّكَ الْعَظِيمِ {96} الواقعة 96-83 فهذا فيه أن النفس تبلغ
 الحلقوم وأنهم لا يمكنهم رجعواها وبين حال المقربين وأصحاب
 اليمين والمكذبين حينئذ وفي سورة القيامة ذكر أيضا
 القيامتين فقال (لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ) {1} القيامة 1 ثم قال {
 وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ الْلَّوَامَةِ } {2} القيامة 2 وهي نفس الإنسان
 وقد قيل إن النفس تكون لوماً وغير لوماً وليس كذلك بل نفس
 كل إنسان لوماً فإنه ليس بشر إلا يلوم نفسه ويندم إما في الدنيا
 وأما في الآخرة فهذا إثبات النفس ثم ذكر معاد البدن فقال {
 أَيْحَسَبُ الْإِنْسَانُ أَنَّ نَجْمَعَ عِظَامَهُ } {3} بلى قادرین على أن
 تُسْوِيَ بَنَاهُ {4} بلى يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ {5} يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ
 الْقِيَامَةِ {6} القيامة 6 ووصف حال القيامة إلى قوله {
 نَطَّنَ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةً } {25} القيامة 25 ثم ذكر الموت
 فقال { كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِي } {26} القيامة 26 وهذا إثبات
 للنفس وأنها تبلغ التراقي كما قال هناك { بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ }
 الواقعة 83 والترافق متصلة بالحلقوم ثم قال { وَقِيلَ مَنْ
 رَاقِ } {27} القيامة 27 يرقى بها وقيل من صاعد يصعد بها إلى
 الله والالو اظهر لان هذا قبل الموت فإنه قال { وَظَنَّ أَنَّهُ
 الْفِرَاقُ } {28} القيامة 28 فدل على أنه يرقى بها فإن
 راقيا يرقى وأيضاً فصعدوا لا يفتقر إلى طلب من يرقى بها فإن
 الله ملائكة يفعلون ما يؤمرون والرقية أعظم الأدوية فإنها دواء
 روحي ولها قال النبي في صفة المتوكلين لا يسترقون والمراد
 أنه يخاف الموت ويرجو الحياة بالراقي ولها قال { وَظَنَّ أَنَّهُ
 الْفِرَاقُ } {28} القيامة 28 ثم قال { وَالْتَّفَتِ السَّاقُ }

بِالسَّاقِ {29} إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ {30} القيامة 30-29
فدل على نفس موجودة قائمة بنفسها تساق إلى ربها والعرض
القائم بغيره لا يساق ولا بدن الميت فهذا نص في إثبات نفس
تفارق البدن تساق إلى ربها كما نطق بذلك الأحاديث

المستفيضة في قبض روح المؤمن وروح الكافر ثم ذكر بعد
هذا صفة الكافر بقوله مع هذا الوعيد الذي قدّمه {فَلَا صَدَقَ
وَلَا صَلَّى} 31 القيامة وليس المراد أن كل نفس من هذه
النفوس كذلك وكذلك سورة ق هي في ذكر وعيد
القيامة ومع هذا قال فيها {وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ} ذلك ما
كُنْتَ مِنْهُ تَحْيِدُ} 19 ثم قال بعد ذلك {وَنُفْخَ فِي الصُّورِ
ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ} 20 فذكر القيامتين الصغرى والكبرى
وقوله {وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ} 19 أي جاءت بما
بعد الموت من ثواب وعقاب وهو الحق الذي أخبرت به الرسل
ليس مراده أنها جاءت بالحق الذي هو الموت فإن هذا مشهور لم
ينازع فيه ولم يقل أحد إن الموت باطل حتى يقال جاءت بالحق
وقوله {ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحْيِدُ} 19 فلإنسان وإن كره
الموت فهو يعلم أنه تلاقيه ملائكته وهذا قوله {وَاعْبُدْ رَبَّكَ
حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ} الحجر 99 واليقين ما بعد الموت كما قال
النبي أما عثمان بن مظعون فقد جاءه اليقين من ربه وإلا
فنفس الموت مجرد عما بعده أمر مشهور لم ينazuع فيه أحد حتى
يسمى يقيناً وذكر عذاب القيامة والبرزخ معاً في غير موضع
ذكره في قصة آل فرعون فقال وحاق بالفرعون سوء
العذاب {وَحَاقَ بِالْفَرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ} 45 النار يُعرَضُونَ
عليها غدوًا وعشياً ويوم تُقْوَى الساعاتُ أدخلوا آل فرعون أشدَّ
العذاب {غافر 45-46} وقال في قصة فوم نوح {مِمَّا
خَطَّيْنَاهُمْ أَغْرِقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا
نوح 25 مع إخبار نوح لهم بالقيامة في قوله {وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ
الْأَرْضِ نَبَاتًا} 17 ثم يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا} 18
نوح 18-17 وقد ذكرنا في غير موضع أن الرسل قبل محمد

أنذروا بالقيامة الكبرى تكذيباً لمن نفى ذلك من المتقىفة وقال عن المنافقين {سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنَ ثُمَّ يُرَدُونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ} التوبة 101 قال غير واحد من العلماء المرة الأولى في الدنيا والثانية في البرزخ ثم يردون إلى عذاب عظيم في الآخرة وقال تعالى في الأنعام {وَلَوْ تَرَى إِذ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوهَا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ ثُجُرَوْنَ عَذَابَ الْهُوْنِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنِ آيَاتِهِ تَسْتَكِبُرُونَ} 93 {وَلَقَدْ جِئْنُوكُمْ فَرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةً وَتَرَكْتُمْ مَا خَلَقْنَاكُمْ وَرَأَءَ ظُهُورُكُمْ} 94 {الأنعام 93-94} وهذه صفة حال الموت وقوله

{أَخْرِجُوهَا أَنفُسَكُمْ} الأنعام 93 دل على وجود النفس التي تخرج من البدن و قوله {الْيَوْمَ ثُجُرَوْنَ عَذَابَ الْهُوْنِ} {الأنعام 24} 93 دل على وقوع الجزاء عقب الموت²⁴

* وأما ما أخبرت به الرسل من الغيب فليس هو معقولاً مجرداً في النفس ولا هو موجود في الخارج لا يحس به بحال بل هو مما يحس به كما أخبرت بالملائكة والجن وغير ذلك وكل ذلك مما يجوز رؤيته والإحساس به وكذلك ما أخبرت به من الجنة والنار هو مما يحس به وكذلك رب تبارك وتعالى وتقديس وتعظم تجوز رؤيته بل يرى بالأبصار في الآخرة في عرصات القيامة وفي الجنة كما تواترت بذلك النصوص عن النبي صلى الله عليه وسلم واتفق عليه سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأنممة المسلمين ولهذا فرق الرسل بين هذا وذاك فإن هذا شهادة أي مشهود لنا محسوس الآن وذاك غيب أي غائب عنا الآن لا نشهد له وهذا فرق إضافي باعتبار حالنا في شهوده الآن وعدم شهوده فإذا متنا صار الغيب شهادة

²⁴ مجموع الفتاوى ج: 4 ص: 264-271

وشهدنا ما كانت الرسل أخبرت به وكان غيبا عنا وقال تعالى {وَمَنْ أَظْلَمُ مِنْ افْتَرَيَ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوَحِّ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأَنْزُلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُوَنِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْوِلُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ } الأنعام 93 وقال {وَلَقَدْ حَنْثُمُوا فِرَادِيَ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوْلَ مَرَةً وَتَرَكُمْ مَا حَوَلَنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَ كُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيْكُمْ شُرَكَاءَ لَقَدْ تَقْطَعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ } الأنعام 94²⁵

الفرق بين المحبة لله والمحبة مع الله

*محبة الله ورسوله وعباده المتقين تقتضى فعل محبوباته وترك مكروهاته والناس يتغاضلون في هذا تقاضلاً عظيماً فمن كان أعظم نصيباً من ذلك كان أعظم درجة عند الله وأما من أحب شخصاً لهواه مثل أن يحبه لدنياه يصيبها منه أو لحاجة يقوم له بها أو لمال يتأكله به أو بعصبية فيه ونحو ذلك من الأشياء فهذه ليست محبة الله بل هذه محبة لهوى النفس وهذه المحبة هي التي توقع أصحابها في الكفر والفسق والعصيان وما أكثر من يدعى حب مشائخ الله ولو كان يحبهم الله لاطاع الله الذي أحبهم لاجله فان المحبوب لأجل غيره تكون محبته تابعة لمحبة ذلك الغير وكيف يحب شخصاً الله من لا يكون محبـاً الله وكيف يكون محبـاً الله من يكون معرضاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وسبيل الله وما أكثر من يحب شيئاً أو ملوكاً وغيرهم فيتذذهم انداداً يحبـهم كحبـ الله والفرق بين المحبة لله والمحبة مع الله ظاهرة فأهل الشرك يتذذون انداداً يحبـونـهم كحبـ الله والذين امنوا اشد حباً الله واهل الايمان يحبـونـونـ وذلك ان اهل الايمان اصل حبـهم هو حبـ الله ومن احبـ الله احبـ من يحبـ الله ومن

²⁵ الصافية ج: 2 ص: 286

احبه الله احب الله فمحبوب المحبوب محبوب الله يحب الله فمن
احب الله احبه الله فيحب من احب الله واما اهل الشرك
فيتخذون اندادا وشفعاء يدعونهم من دون الله قال الله تعالى
{وَلَقَدْ جِئْنُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْنُمْ مَا حَوَلَنَاكُمْ
وَرَاءَ ظُهُورَكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْنَا أَنَّهُمْ فِي كُمْ
شُرَكَاءَ لَقَدْ تَقْطَعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَرْعُمُونَ} {الأنعام 94}
وقال الله تعالى {وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ
تُرْجَعُونَ} {22} **أَتَتَّخُذُ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا إِنِّي بِرِّبِّنَا**
تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونَ {23} **إِنِّي إِذَا لَفِي ضَلَالٍ**
مُبِينٍ {24} **إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونَ** {25} يس 22-25²⁶

ان الأمر يومئذ لله

*فان الأمر يومئذ الله هو {يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ
يَوْمَئِذِ اللَّهِ} الانفطار 19 وكما قال تعالى {وَلَقَدْ جِئْنُمُونَا فُرَادَى
كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْنُمْ مَا حَوَلَنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورَكُمْ وَمَا نَرَى
مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْنَا أَنَّهُمْ فِي كُمْ شُرَكَاءَ لَقَدْ تَقْطَعَ بَيْنَكُمْ
وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَرْعُمُونَ} {الأنعام 94}²⁷

*قوله تعالى {لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَهُمْ عَدًّا} {94} **وَكُلُّهُمْ آتَيْهِ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ فَرْدًا** {95} مريم 94-95 ذكر أنه يأتي منفردا²⁸

الشفاعة المنافية في القرآن

*ان الله سبحانه وتعالى نفى الشفاعة التي يثبتها أهل الشرك
ومن شابههم من أهل البعد من أهل الكتاب وال المسلمين الذين
يظنون أن للخلق عند الله من القدر أن يشفعوا عنده بغير إذنه كما

²⁶مجموع الفتاوى ج: 18 ص: 317

²⁷مجموع الفتاوى ج: 11 ص: 101

²⁸مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 44

يشفع الناس بعضهم عند بعض فيقبل المشفوع اليه شفاعة شافع لحاجته اليه رغبة وريبة وكما يعامل المخلوق بالمعاوضة فالمشركون كانوا يتخدون من دون الله شفعاء من الملائكة والأنبياء والصالحين ويصورون تماثيلهم فيستشعرون بها ويقولون هؤلاء خواص الله فحن نتوسل الى الله بدعائهم وعبادتهم ليشفعوا لنا كما يتتوسل الى الملوك بخواصهم لكونهم أقرب الى الملوك من غيرهم فيشفعون عند الملوك بغير إذن الملوك وقد يشفع أحدهم عند الملك فيما لا يختاره فيحتاج الى إجابة شفاعته رغبة وريبة فأنكر الله هذه الشفاعة فقال تعالى

{وَلَقَدْ حِنْثُمُوا فِرَادِيٍّ كَمَا حَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةً وَتَرَكْنُمْ مَا حَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيْكُمْ شُرَكَاءَ لَقَدْ تَقْطَعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَرْعُمُونَ } الأنعام 94

وقال تعالى { وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ فَلَمَّا آتَيْنَاهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ اللَّهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ } 18

يوس 18 فهذه الشفاعة التي أثبتتها المشركون للملائكة والأنبياء والصالحين حتى صوروا تماثيلهم وقالوا استشعنا بتماثيلهم استشعاع بهم وكذلك قصدوا قبورهم وقالوا نحن نستشع بهم بعد مماتهم ليشفعوا لنا الى الله وصوروا تماثيلهم فعبدوه كذلك وهذه الشفاعة أبطلها الله ورسوله وذم المشركين عليها وكفرهم بها قال الله تعالى عن قوم نوح { وَقَالُوا لَا تَذَرْنَ الْهَنْكُمْ وَلَا تَذَرْنَ وَدًا وَلَا سُوَا عًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعْوَقَ وَنَسْرًا } 23 وقد أضلوا كثيرًا { 24 } نوح 23-24 قال ابن عباس وغيره هؤلاء قوم صالحون كانوا في قوم نوح فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم فعبدوه وهذا مشهور في كتب التفسير والحديث وغيرها كالبخاري وغيره وهذه أبطلها النبي وحسم مادتها وسد ذريتها حتى لعن من اتخذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد يصلى فيها وإن كان المصلى فيها لا يستشع بهم ونهى عن الصلاة الى القبور وأرسل على بن أبي طالب

فأمره أن لا يدع قبراً مشرفاً إلا سواه ولا تمثلاً إلا طمسه ومحاه ولعن المصورين وعن أبي الهياج الأسدى قال لى على بن أبي طالب لأبعثك على ما بعثتى رسول الله ألا تدع تمثلاً إلا طمسه ولا قبراً مشرفاً إلا سويته وفي لفظ ولا صورة إلا طمسها أخرجه مسلم²⁹

* فالشفاعة المنافية في القرآن كقوله تعالى {يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلٍ قَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبَّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءٍ فَيَشْفَعُونَا لَنَا أَوْ نُرْدُ فَنَعْمَلْ عَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلْ} الأعراف 53 وأمثال ذلك واحتج بكثير من الخارج والمعترضة على منع الشفاعة لأهل الكبار إذ منعوا أن يشفع لمن يستحق العذاب أو أن يخرج من النار من يدخلها ولم ينفوا الشفاعة لأهل الثواب في زيادة الثواب ومذهب سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة إثبات الشفاعة لأهل الكبار والقول بأنه يخرج من النار من في قلبه متقال ذرة من إيمان وأيضاً فالآحاديث المستفيضة عن النبي في الشفاعة فيها استثناء أهل الموقف ليقضي بينهم وفيهم المؤمن والكافر وهذا فيه وع شفاعة للكفار وأيضاً في الصحيح عن العباس بن عبد المطلب أنه قال يا رسول الله هل نفعت أبا طالب بشيء فإنه يحوطك ويغضب لك قال نعم هو في ضحاض من نار ولو لا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار وعن عبد الله بن الحارث قال سمعت العباس يقول قلت يا رسول الله إن أبا طالب كان يحوطك وينصرك فهل نفعه ذلك قال نعم وجنته في غمرات من نار فأخر جته إلى ضحاض وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ذكر عنده عمه أبو طالب فقال لعله تنفعه شفاعتي يوم القيمة فيجعل في ضحاض من النار يبلغ كعيبيه

يغلى منه دماغه فهذا نص صحيح صريح لشفاعته فى بعض الكفار أن يخفف عنه العذاب بل فى أن يجعل أهون أهل النار عذابا كما فى الصحيح أيضا عن ابن عباس أن رسول الله قال أهون أهل النار عذابا أبو طالب وهو منتعل بنعلين يغلى منها دماغه وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن أدنى أهل النار عذابا منتعل بنعلين من نار يغلى دماغه من حرارة نعليه وعن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله يقول إن أهون أهل النار عذابا يوم القيمة لرجل يوضع فى أخمص قدميه جمرتان يغلى منها دماغه وعنه قال قال رسول الله إن أهون أهل النار عذابا من له نعلان وشراكان من نار يغلى منها دماغه كما يغلى المرجل ما يرى أن أحدا أشد منه عذابا وإنه لأهونهم عذابا وهذا السؤال الثانى يضعف جواب من تأول نفي الشفاعة على الشفاعة للكفار وإن الظالمين هم الكافرون فيقال الشفاعة المنفية هي الشفاعة المعروفة عند الناس عند الإطلاق وهى أن يشفع الشفيع إلى غيره ابتداء فيقبل شفاعته فاما إذا أذن له فى أن يشفع فشفع لم يكن مستقلا بالشفاعة بل يكون مطينا له أى تابعا له فى الشفاعة وتكون شفاعته مقبولة ويكون الأمر كله للأمر المسئول وقد ثبت بنص القرآن فى غير آيه أن أحدا لا يشفع عنده إلا بإذنه كما قال تعالى {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفُعُ عِنْهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ} البقرة 255 وقال {يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذْنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا} طه 109 وقال {وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرْتَضَى} الأنبياء 28 وأمثال ذلك والذى يبيين أن هذه هي الشفاعة المنفية أنه قال {وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْسِرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلَيْ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} الأنعام 51 وقال تعالى {الَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ} السجدة 4 فأخبر أنه ليس لهم من دون الله ولـ ولا شفيع وأما نفي الشفاعة بدون إذنه فإن الشفاعة إذا كانت

بإذنه لم تكن من دونه كما أن الولاية التي بإذنه ليست من دونه
 كما قال تعالى {إِنَّمَا وَلِيْكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالَّذِينَ
 يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ} 55 {وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ
 وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ} 56 {المائدة 55-56}
 وأيضا فقد قال {أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوْلَوْ
 كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ} الزمر 43 {أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ
 اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوْلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ} 43 {قُلْ اللَّهُ
 الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} 44
 الزمر 44-43 فدم الذين اتخذوا من دون الله شفعاء وأخبر أن
 الله الشفاعة جميعا فعلم أن الشفاعة منتفية عن غيره إذ لا يشفع
 أحد إلا بإذنه وتلك فهي له وقد قال {وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ
 مَا لَا يَضْرُرُهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هُوَ لَاءُ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ
 أَتَنْبَيْتُ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ
 وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} يومنس 18 يوضح ذلك أنه نفي يومئذ
 الخلة بقوله {مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا يَبْيَعُ فِيهِ وَلَا خُلَّهُ وَلَا
 شَفَاعَةُ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الطَّالِمُونَ} البقرة 254 ومعلوم أنه إنما
 نفى الخلة المعروفة ونفعها المعروف كما ينفع الصديق الصديق
 في الدنيا كما قال {وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ} 17 {ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ
 مَا يَوْمُ الدِّينِ} 18 {يَوْمٌ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ
 لِلَّهِ} 19 {الانفطار 17-19 وقال {لَيَنْذِرَ يَوْمَ النَّلَاقِ} 15
 يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ
 الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ} 16 {غافر 16} لم ينف أن يكون في الآخرة
 خلة نافعة بإذنه فإنه قد قال {هُنَّ يَنْظُرُونَ إِلَى السَّاعَةِ أَنْ تَأْتِيهِمْ
 بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} 66 {الْأَخْلَاءِ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ
 إِلَّا الْمُتَّقِينَ} 67 {يَا عِبَادَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ
 تَحْزَنُونَ} 68 {الزخرف 66-68} الآيات وقد قال النبي يقول
 الله تعالى حق محبتي للمتحابين في ويقول الله تعالى
 أين المتحابون بجلالى اليوم أظلمهم في ظلى يوم لا ظل إلا ظلى
 فتعين أن الأمر كله عائد إلى تحقيق التوحيد وأنه لا ينفع أحد ولا

يضر الا بإذن الله وأنه لا يجوز أن يعبد أحد غير الله ولا يستعان به من دون الله وأنه يوم القيمة يظهر لجميع الخلق أن الأمر كله لله ويتبرأ كل مدع من دعوه الباطلة فلا يبقى من يدعى لنفسه معه شركا في ربوبيته أو الهيته ولا من يدعى ذلك لغيره بخلاف الدنيا فإنه وإن لم يكن رب ولا الله إلا هو فقد اتخذ غيره ربها والها وادعى مدعون وفي الدنيا يشفع الشافع عند غيره وينتفع بشفاعته وإن لم يكن أذن له في الشفاعة ويكون خليله فيعينه ويفتدى نفسه من الشر فقد ينتفع بالنفوس والأموال في الدنيا والنفوس ينتفع بها تارة بالإستقلال وتارة بالإعانة وهي الشفاعة والأموال بالغداة فنفي الله هذه الأقسام الثلاثة قال تعالى {لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيئًا وَلَا يُفْلِي مِنْهَا شَفَاعَةً وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ} البقرة 48 وقال {لَا يَبْيَعُ فِيهِ وَلَا خُلَّةً وَلَا شَفَاعَةً} البقرة 254 كما قال {لَا يَجْزِي وَالِّدُ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٌ عَنْ وَالِّدِهِ شَيئًا إِنَّمَا يَنْهَا مَا نَهَا اللَّهُ عَنِ النَّاسِ} البقرة 33 فهذا هذا والله أعلم وعاد ما نفاه الله من الشفاعة إلى تحقيق أصلى الإيمان وهي الإيمان بالله وبالاليوم الآخر التوحيد والمعاد كما قرن بينهما في مواضع كثيرة كقوله {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ أَمَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ} البقرة 8 وقوله {الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ} البقرة 156 وقوله {مَا خَلَقْنَاهُمْ وَلَا بَعْثَنَاهُمُ إِلَّا كَفَنْسٌ وَاحِدَةٌ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} لقمان 28 وقوله {وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَنَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيَكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} البقرة 28 وأمثال ذلك³⁰

الشرك وسائر البدع مبناهما على الكذب

* والله سبحانه يقرن في كتابه بين الشرك والكذب كما يقرن بين الصدق والإخلاص ولهذا قال النبي صلي الله عليه وسلم في الحديث الصحيح عدلت شهادة الزور بالإشراك بالله مرتين ثم قرأ قول الله تعالى {فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ

³⁰ مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 116-120

الزُّورِ {30} حُنَفَاءُ اللَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ {31} الْحَجَّ 30-31
 وقال تعالى {وَلَقَدْ جِئْنَا فُرَادِيَ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةً وَتَرَكْنُمْ
 مَا خَوَلَنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شَفَعَاءِكُمُ الَّذِينَ زَعَمُتُمْ
 أَنَّهُمْ فِيهِمْ شُرَكَاءَ لَقَدْ تَقْطَعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَرْعُمُونَ
 } الأنعام 94 والشرك وسائر البدع مبناهما على الكذب والافتراء
 ولهذا فإن كل من كان عن التوحيد والسنة أبعد كان إلى الشرك
 والابتداع والافتراء أقرب كالرافضة الذين هم أكذب طوائف أهل
 الأهواء وأعظمهم شركا فلا يوجد في أهل الأهواء أكذب منهم
 ولا أبعد عن التوحيد حتى إنهم يخربون مساجد الله التي يذكر
 فيها اسمه فيعطليونها عن الجمادات والجماعات ويعمرون
 المشاهد التي أقيمت على القبور التي نهى الله رسوله عن
 اتخاذها والله سبحانه في كتابه إنما أمر بعمارة المساجد لا
 المشاهد³¹

الشرك أن يجعل لغيره شركا أو نصيبا في عبادتك وتوكلك واستعانتك

*توحيد الله وإخلاص الدين له في عبادته وإستعانته في القرآن
 كثير جدا بل هو قلب الإيمان وأول الإسلام وآخره كما قال النبي
 صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا
 إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وقال إنني لأعلم كلمة لا
 يقولها عند الموت أحد إلا وجد روحه لها روحها وقال من
 كان آخر كلامه لا إله إلا الله وجبت له الجنة وهو قلب الدين
 والإيمان وسائر الأعمال كالجوارج له وقول النبي إنما
 الأعمال بالنيات وإنما لكل أمرى ما نوى فمن كانت هجرته إلى
 الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا
 يصيبيها أو إمرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه فيبين بهذا
 أن النية عمل القلب وهي أصل العمل وإخلاص الدين الله وعبادة

اقضاء الصراط ج: 1 ص: 391³¹

الله وحده ومتابعة الرسول فيما جاء به هو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وهو دين الإسلام العام الذي بعث الله به جميع الرسل كما قال تعالى {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَبَبُوا الطَّاغُوتَ} النحل 36 وقال النبي لمعاذ بن جبل يا معاذ أتدري ما حق الله على عباده قلت الله ورسوله أعلم قال حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك أن لا يعذبهم وقال لابن عباس إذا سألت فاسئل الله وإذا استعن فاستعن بالله {أَتَتَّخِذُ مِنْ ذُونَهِ الْهَمَّةَ إِنْ يُرِدُنَ الرَّحْمَنَ بِضُرٍّ لَا تُعْنِ عَنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقَذُونَ} يس 23 فالعبادة والإستعانة وما يدخل في ذلك من الدعاء والإستغاثة والخشية والرجاء والإنابة والتوكيل والتوبة والإستغفار كل هذا الله وحده لا شريك له فالعبادة المتعلقة بألوهيته والإستعانة المتعلقة بربوبيته والله رب العالمين لا إله إلا هو ولا رب لنا غيره لا ملك ولا نبى ولا غيره بل أكبر الكبار الإشراك بالله وأن يجعل له نداً وهو خلقك والشرك أن يجعل لغيره شركاً أو نصيباً في عبادتك وتوكلك وإستعانتك كما قال من قال {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقْرَبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى} الزمر 3 وكما قال تعالى {وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شَفَعَاءَ كُمُّ الَّذِينَ رَأَيْنَاهُمْ أَنَّهُمْ فِي كُمْ شُرَكَاءَ لَقَدْ تَقْطَعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ} الأنعام 94

32

*فإن المشركين لم يكن أحد منهم يقول إن العالم له خالقان ولا إن الله معه إله يساويه في صفاته هذا لم يقله أحد من المشركين بل كانوا يقررون بأن خالق السموات والأرض واحد كما أخبر الله عنهم بقوله {قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} 84 سيقولون الله قلن أفلأ تذكرون {85} قلن من رب السماوات السبع

وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ {86} سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقَوْنَ {87} قُلْ مَنْ يَبْدِئُ مَلْكُوتَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ {88} سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَإِنَّى تُسْحَرُونَ {89}

المؤمنون 84-89 وكانوا يتخذون آلهتهم وسائل تقربهم إلى الله زلفي وتشفع لهم كما قال تعالى {وَلَقَدْ جِئْنُمُونَا فُرَادَى كَمَا حَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةً وَتَرَكْنُمْ مَا حَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورَكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيْكُمْ شُرَكَاءَ لَقَدْ تَقْطَعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَرْعُمُونَ } الأنعام 33

* أن الشرك نوعان شرك في ربوبيته بأن يجعل لغيره معه تدبيره إما كما قال سبحانه {قُلِ اذْعُوا الَّذِينَ رَأَيْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شَرِيكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ } سبا 22 وبين أنهم لا يملكون م فقال ذرة استقلالا ولا يشركونه في شيء من ذلك ولا يعيونه على ملكه ومن لم يكن مالكا ولا شريكا ولا عونا فقد انقطعت علاقته وشرك في الألوهية بأن يدعوه غيره دعاء عبادة أو دعاء مسألة كما قال تعالى {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } الفاتحة فكما أن إثبات المخلوقات أسباب لا تقدح في توحيد الربوبية ولا تمنع أن الله خالق كل شيء ولا توجب أن يدعى مخلوق دعاء عبادة أو دعاء استغاثة كذلك إثبات بعض الأفعال المحرمة من شرك أو غيره أسبابا لا يقدح في توحيد الإلهية ولا يمنع أن يكون الله هو الذي يستحق الدين الخالص ولا يوجب أن تستعمل الكلمات والأفعال التي فيها شرك إذ كان الله يسخط ذلك ويعاقب العبد عليه وتكون مضره ذلك على العبد أكثر من منفعته إذ قد جعل الله الخير كله في أنا لا نعبد إلا إياه ولا نستعين إلا إياه وعامة آيات القرآن تثبت هذا الأصل الأصيل حتى إنه سبحانه قطع أثر الشفاعة بدون إذنه كقوله سبحانه {وَلَقَدْ جِئْنُمُونَا فُرَادَى

كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَلَنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى
 مَعَكُمْ شُفَعَاءِكُمُ الَّذِينَ رَأَيْتُمْ أَنَّهُمْ فِيهِمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقْطَعَ بَيْنَنَا
 وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَرْعَمُونَ }^{الأنعام 94} وَسُورَةُ الْأَنْعَام
 سُورَةُ عَظِيمَةٍ مُشَتَّمَلَةٍ عَلَى أَصْوَلِ الإِيمَانِ وَالتَّوْحِيد³⁴

حياة القلوب ونورها وموتها وظلمتها

* أن الجسد إذا صاح من مرضه قيل قد اعتدل مزاجه والمرض إنما هو انحراف المزاج مع أن الاعتدال المحسن السالم من الأخلاط لا سبيل إليه ولكن الأمثل فالأمثل فهكذا صحة القلب وصلاحه في العدل ومرضه من الزيف والظلم والانحراف وأعظم القسط عبادة الله وحده لا شريك له ثم العدل على الناس في حقوقهم ثم العدل على النفس والظلم ثلاثة أنواع والظلم كله من أمراض القلوب والعدل صحتها وصلاحها قال أحمد بن حنبل لبعض الناس لو صحت لم تخف أحداً أي خوفك من المخلوق هو من مرض فيك كمرض الشرك والذنوب وأصل صلاح القلب هو حياته واستئثارته لذلك ذكر الله حياة القلوب ونورها وموتها وظلمتها في غير موضع قال تعالى {إِنَّ اللَّهَ فَالِّيْلُ الْحَبَّ وَالنَّوْيَ
 يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَانِي
 ثُوَفَكُونَ }^{الأنعام 95} ومن أنواعه أن يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن وفي الحديث الصحيح مثل البيت يذكر الله فيه والبيت الذي لا يذكر الله فيه كمثل الحي والميت وفي الصحيح أيضاً أجعلوا من صلاتكم في بيوتكم ولا تتخذوها قبوراً³⁵

القدرة التي تبهر العقول

* وهذا هو القدرة التي تبهر العقول وهو أن يقلب حقائق الموجودات فيحيل الاول ويفنيه ويلاشهه ويحدث شيئاً آخر كما

³⁴اقتضاء الصراط ج: 1 ص: 357

³⁵أمراض القلوب ج: 1 ص: 8

قال {إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبَّ وَالنَّوْيَ يُخْرُجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيَّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ} {الأنعم 95} ويخرج الشجرة الحية والسنبلة الحية من النواة والحبة الميتة ويخرج النواة الميتة والحبة الميتة من لشجرة والسنبلة الحية كما يخرج الانسان الحي من النطفة الميتة والنطفة الميتة من الانسان ³⁶
الحي

انكار بعض الناس ان يكون شيء من حركات الكواكب

وغيرها من الاسباب فهو أيضا قول بلا علم

* (هنا فيه نقص في البداية) قال تعالى {فَالِقُ الْإِصْبَاحَ وَجَعَلَ اللَّيلَ سَكَناً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَاناً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ} {الأنعم 96} وأما انكار بعض الناس ان يكون شيء من حركات الكواكب وغيرها من الاسباب فهو أيضا قول بلا علم وليس له فى ذلك دليل من الأدلة الشرعية ولا غيرها فان النصوص تدل على خلاف ذلك كما في الحديث الذى في السنن عن عائشة رضى الله عنها ان النبي نظر الى القمر فقال يا عائشة تعوذى بالله من شر هذا الغاسق اذا وقب وكما تقدم في حديث الكسوف حيث اخبر ان الله يخوف بهما عباده وقد تبين أن معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم لا يخسفان لموت احد ولا لحياته اي لا يكون الكسوف معللا بالموت فهو نفي العلة الفاعلة كما في الحديث الآخر الذى في صحيح مسلم عن ابن عباس عن رجال من الانصار انهم كانوا عند النبي اذ رمى بنجم فاستثار فقال ما كنتم تقولون لهذا في الجahلية فقالوا كنا نقول ولد الليلة عظيم او مات عظيم فقال انه لا يرمى بها لموت احد ولا لحياته ولكن الله اذا قضى بالأمر سب

³⁶النبوات ج: 1 ص: 63

حملة العرش وذكر الحديث في مسترق السمع فنفي النبي أن يكون الرمي بها لأجل انه قد ولد عظيم او مات عظيم بل لأجل الشياطين المسترقين السمع ففي كلام الحديثين من ان موت الناس وحياتهم لا يكون سببا لكسوف الشمس والقمر ولا الرمي بالنجم وإن كان موت بعض الناس قد يقتضي حدوث أمر في السموات كما ثبت في الصحاح ان العرش عرش الرحمن اهتز لموت

سعد ابن معاذ واما كون الكسوف او غيره قد يكون سببا لحدث في الأرض من عذاب يقتضي موتنا او غيره فهذا قد اثبته الحديث نفسه وما أخبر به النبي لا ينافي لكون الكسوف له وقت محدود يكون فيه حيث لا يكون كسوف الشمس الا في آخر الشهر ليلة السرار ولا يكون خسوف القمر الا في وسط الشهر وليلي الابدار ومن إدعى خلاف ذلك من المتفقهة او العامة فلعدم علمه بالحساب ولهذا يمكن المعرفة بما مضى من الكسوف وما يستقبل كما يمكن المعرفة بما مضى من الأهلة وما يستقبل إذ كل

ذلك بحساب كما قال تعالى {وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا} الأنعام 96 وقال تعالى {الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانِ} الرحمن 5 وقال تعالى {هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السَّنِينَ وَالْحِسَابَ} يونس 5 وقال {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ النَّاسِ وَالْحَجَّ} البقرة 189 ومن هنا صار بعض العامة اذا رأى المنجم قد اصاب في خبره عن الكسوف المستقبل يظن ان خبره عن الحوادث من هذا النوع فان هذا جهل اذا الخبر الأول بمنزلة اخباره بان الهلال يطلع اما ليلة الثلاثاء واما ليلة إحدى وثلاثين فان هذا امر اجرى الله به العادة لا يخرم ابدا وبمنزلة خبره ان الشمس تغرب آخر النهار وأمثال ذلك فمن عرف منزلة الشمس والقمر ومجاريهما علم بذلك وان كان ذلك علما قليل المنفعة³⁷

أَخْبَرْ سَبَّانَهُ بِخَلْقِهِ الْزَّمَانَ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ

* قال تعالى {فَالِّيْلُ الْإِصْبَاحُ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ} الأنعام 96 وقد أخبر سبّانه بخلق الزمان في غير موضع قوله {وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ} الأنعام 1 قوله {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلُّ فِي فَلَكٍ يَسْبِحُونَ} الأنبياء 33 قوله {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خَلْفَهُ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا} الفرقان 62 قوله {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لَّا يُؤْلِي الْأَلْبَابِ} آل عمران 190³⁸

* قوله تعالى {وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا} الأنعام 96 قوله {الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ} الرحمن 5 فقد قيل هو من الحساب وقيل بحسبان كحساب الرحى وهو دوران الفلك فان هذا مما لا خلاف فيه بل قد دل الكتاب والسنة وأجمع علماء الامة على مثل ما عليه اهل المعرفة من اهل الحساب من ان الافلاك مستديرة لا مسطحة³⁹

* الخسوف والكسوف لهما أوقات مقدرة كما لظهور الهلال وقت مقدر وذلك ما أجرى الله عادته بالليل والنهار والشتاء والصيف وسائر ما يتبع جريان الشمس والقمر وذلك من آيات الله تعالى كما قال تعالى {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلُّ فِي فَلَكٍ يَسْبِحُونَ} الأنبياء 33 وقال تعالى {هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلٍ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ} يونس 5 وقال تعالى {الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ} الرحمن 5 وقال تعالى {فَالِّيْلُ الْإِصْبَاحُ

³⁸الفتاوى الكبرى ج: 1 ص: 345

³⁹مجموع الفتاوى ج: 25 ص: 143

وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ
 الْعَلِيمِ {الأنعام 96} تعالى {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ قُلْ هِيَ
 مَوَاقِيتُ النَّاسِ وَالْحَجَّ} البقرة 189 و قال تعالى {إِنَّ عَدَّهُ
 الشُّهُورُ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ
 وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيْمُ} التوبه 36 وقال
 تعالى {وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ} 37
 وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقْرٍ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ {38} وَالْقَمَرُ
 قَدَّرَ نَاهَ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ {39} لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي
 لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلُّ فِي فَلَكِ
 يَسْبُحُونَ {40} يس 37-40 وكما أن العادة التي أجرها الله تعالى
 أن الهلال لا يستهل إلا ليلة ثلاثين من الشهر أو ليلة أحدى
 وثلاثين وان الشهر لا يكون الا ثلاثين أو تسعه وعشرين فمن
 ظن أن الشهر يكون أكثر من ذلك أو أقل فهو غالط فكذلك
 أجرى الله العادة أن الشمس لا تكسف الا وقت الاستسرا ر وأن
 القمر لا يخسف الا وقت الابدار ووقت إداره هي الليالي البيضاء
 التي يستحب صيام أيامها ليلة الثالث عشر والرابع عشر
 والخامس عشر فالقمر لا يخسف الا في هذه الليالي والهلال
 يستسر آخر الشهر اما ليلة واما ليلتين كما يستسر ليلة تسع
 وعشرين وثلاثين والشمس لا تكسف الا وقت استسرا ره
 وللشمس والقمر ليالي معتادة من عرفها عرف الكسوف
 والخسوف كما أن من علمكم مضى من الشهر يعلم أن الهلال
 يطلع في الليلة الفلانية أو التي قبلها لكن العلم بالعادة في
 الهلال علم عام يشتراك فيه جميع الناس وأما العلم بالعادة في
 الكسوف والخسوف فإنما يعرفه من يعرف حساب جريانهما
 وليس خبر الحاسب بذلك من باب علم الغيب ولا من باب ما
 يخبر به من الأحكام التي يكون كذبه فيها أعظم من صدقه فإن
 ذلك قول بلا علم ثابت وبناء على غير أصل صحيح وفي
 سنن أبي داود عن النبي انه قال من اقتبس شعبة من النجوم
 فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد وفي صحيح مسلم عن

النبي انه قال من أتى عرافا فسألة عن شيء فصدقه لم يقبل الله صلاته أربعين يوما والكهان أعلم بما يقولونه من المنجمين في الأحكام ومع هذا صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن اتيائهم ومسائلهم فكيف بالمنجم وقد بسطنا هذا في غير هذا الموضع عن هذا الجواب⁴⁰

الحكمة من اعتبار الشهر والعام الهلالى دون الشمسي

* قوله {هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السَّنِينَ وَالْحِسَابَ} يومنس 5 وقوله {وَجَعَلَ اللَّيلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا} الأنعام 96 وقوله {الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ} الرحمن 5 وقوله {وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ} يس 39 وقوله {يَسْأَلُونَكُمْ عَنِ الْأَهْلَةِ قُلْ هُنَّ مَوَاقِيتُ النَّاسِ وَالْحَجَّ} البقرة 189 دليل على تقوية ما فيها من التقوية من التقوية للسنين والحساب فقوله {لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السَّنِينَ وَالْحِسَابَ} يومنس 5 أن علق بقوله {وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ} يومنس 5 كان الحكم مختصا بالقمر وإن أعيد إلى أول الكلام تعلق بهما ويشهد للأول قوله في الأهلة فإنه موافق لذلك ولأن كون الشمس ضياء والقمر نورا لا يوجب علم عدد السنين والحساب بخلاف تقدير القمر منازل فإنه هو الذي يقتضي علم عدد السنين والحساب ولم يذكر إنتقال الشمس في البروج وبيؤيد ذلك قوله {إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ} التوبه 36 الآية فإنه نص على أن السنة هلالية وقوله {الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُوماتٌ} البقرة 197 يؤيد ذلك لكن يدل على الآخر قوله {وَجَعَلْنَا اللَّيلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ} فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة ليتبغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عددا السنين والحساب الإسراء 12 وهذا والله أعلم لمعنى تظاهر به حكمة ما في الكتاب وما جاءت به الشريعة من

⁴⁰مجموع الفتاوى ج: 24 ص: 255-256

اعتبار الشهر والعام الهلالي دون الشمسي ان كل ما حد من الشهر والعام ينقسم في إصطلاح الأمم إلى عددي وطبيعي فاما الشهر الهلالي فهو طبيعي وسننته عددية وأما الشهر الشمسي فعددي وسننته طبيعية فاما جعل شهernا هلاليا فحكمته ظاهرة لأنه طبيعي وإنما علق بالهلال دون الإجتماع لأنه أمر مضبوط بالحس لا يدخله خلل ولا يفتقر إلى حساب بخلاف الإجتماع فإنه أمر خفي يفتقر إلى حساب وبخلاف الشهر الشمسي لو ضبط وأما السنة الشمسية فإنها وإن كانت طبيعية فهي من جنس الإجتماع ليس أمراً ظاهراً للحس بل يفتقر إلى حساب سير الشمس في المنازل وإنما الذي يدركه الحس تقريب ذلك فإن انقضاء الشتاء ودخول الفصل الذي تسميه العرب الصيف ويسميه غيرها الربيع أمر ظاهر بخلاف محاذاة الشمس لجزء من أجزاء الفلك يسمى برج كذا أو محاذاتها لاحدى نقطى الرأس أو الذنب فإنه يفتقر إلى حساب ولما كانت البروج اثنى عشر فمتى تكرر الهلالي اثنى عشر فقد انتقل فيها كلها فصار ذلك سنة كاملة تعلقت به أحكام ديننا من المؤقتات شرعاً أو شرطاً إما بأصل الشرع كالصيام والحج وإما بسبب من العبد كالعدة ومدة الإيلاء وصوم الكفارة والنذر وإما بالشرط كالأجل في الدين والخيار والإيمان وغير ذلك⁴¹

{وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ }

*قال الله تعالى {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ} الأنعام 97 و قال تعالى {وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ} النحل 16 و قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه تعلموا من النجوم ما تعرفون به القبلة و الطريق في روایة عنه تعلموا من النجوم ما تهتدون في بركم و بحركم ثم امسكوا رواه حرب و عن علي رضي الله عنه قال ايها الناس

⁴¹مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 58-60

ايام و تعلم النجوم الا ما تهتدون بها في ظلمات البر و البحر
رواه أبو حفص و لذلك استحسن احمد معرفة منازل القمر و ان
يتعلم بها كم مضى من الليل و كم بقي و ذكر أنه تعلمها من اهل
مكة⁴²

{وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقْرٌ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا
الآياتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ} الانعام 98

الرد على أقوال الفلسفه

* لما صار كثير من أهل النظر كالرازي وأمثاله ليس عندهم إلا قول الجهمية والقدرية والفلسفه تجدهم في تفسير القرآن وفيسائر كتبهم يذكرون أقوالاً كثيرة متعددة كلها باطلة لا يذكرون الحق مثل تفسيره للهلال وقد قال تعالى {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ فَلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجَّ} البقرة 189 ذكر قول أهل الحساب فيه وجعله من أقوال الفلسفه وذكر قول الجهمية الذين يقولون إن القادر المختار يحدث فيه الضوء بلا سبب أصلاً ولا لحكمة وكذلك إذا تكلم في المطر يذكر قول أولئك الذين يجعلونه حاصلاً عن مجرد البخار المتتصاعد والمنعقد في الجو وقول من يقول إنه أحدهه الفاعل المختار بلا سبب ويذكر قول من يقول إنه نزل من الأفلاك وقد يرجح هذا القول في تفسيره ويجزم بفساده في موضع آخر وهذا القول لم يقله أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان ولا أئمة المسلمين بل سائر أهل العلم من المسلمين من السلف والخلف يقولون إن المطر نزل من السحاب ولفظ السماء في اللغة والقرآن اسم لكل ما علا فهو اسم جنس للعالى لا يتعين في شيء إلا بما يضاف إلى ذلك وقد قال { فَلَيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ } الحج 15 وقال { وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ

⁴² شرح العمدة ج: 4 ص: 552

ماءً } الأنعام 99 وقال { أَمِنْتُم مَّن فِي السَّمَاءِ } الملك 16 والمراد بالجميع العلو ثم يتعين هنا بالسقف ونحوه وهنا بالسحب وهناك بما فوق العالم كله قوله { أَنْزَلَ مِنِ السَّمَاءِ مَاءً }

{ الأنعام 99 أي من العلو مع قطع النظر عن جسم معين لكن قد صرخ في موضع آخر بنزوله من السحاب كما في قوله { أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ } 68 { أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُرْزَنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزَلُونَ } 69 الواقعه 68-69 والمزن السحاب قوله { أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُرْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤْلِفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ لَيَخْرُجُ مِنْ خَلَالِهِ } النور 43 والودق المطر وقال تعالى { اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاخَ فَتُثْبِرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كَسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خَلَالِهِ } الروم 48 فأخبر سبحانه أنه يبسط السحاب في السماء وهذا مما يبين أنه لم يرد بالسماء هنا الأفلاك فإن السحاب لا يبسط في الأفلاك بل الناس يشاهدون السحاب يبسط في الجو وقد يكون الرجل في موضع عالٍ على جبل أو على غيره والسحب يبسط أسفل منه وينزل منه المطر والشمس فوقه والرازي لا يثبت على قول واحد بل هو دائماً ينصر هنا قوله وهناك ما ينافضه لأسباب تقتضي ذلك وكثير من الناس يفهمون من القرآن ما لا يدل عليه وهو معنى فاسد ويجعلون ذلك يعارض العقل وقد بينا في مصنف مفرد درء تعارض العقل والنقل وذكرنا فيه عامة ما يذكرون من العقليات في معارضة الكتاب والسنة وبيننا أن التعارض لا يقع إلا إذا كان ما سمي معقولاً فاسداً وهذا هو الغالب على كلام أهل البدع أو أن يكون ما أضيف إلى الشرع ليس منه إما حديث موضوع وإما فهم فاسد من نص لا يدل عليه وإنما نقل إجماع باطل ومن هذا كثير من الناس ذم الأحكام النجومية ولا ريب أنها مذمومة بالشرع مع العقل وأن الخطأ فيها أضعاف الصواب وأن من اعتمد عليها في تصرفاته وأعرض عما أمر الله به ورسوله خسر الدنيا والآخرة لكن قد يردونها على طريقة الجهمية ونحوهم بأن يدعوا أنه لا أثر لشيء من

العلويات في السفليات أصلاً إما على طريقة الجهمية لكن تلك لا تنتفي العادات الإلقرائية وإن لم تثبت سبباً ومسبباً وحكمة وإنما بناء على نفي العادة في ذلك ثم قد ينزعون في استدارة الأفلاك ويدعون شكلاً آخر وقد بينما في جواب المسائل التي سئلت عنها في ذلك أن الأفلاك مستديرة عند علماء المسلمين من الصحابة والتابعين لهم بإحسان كما ثبت ذلك عنهم بالأسانيد المذكورة في موضعها بل قد نقل إجماع المسلمين على ذلك غير واحد من علماء المسلمين الذين هم من أخبر الناس بالمنقولات كأبي الحسين بن المنادى أحد أكابر الطبقية الثانية من أصحاب الإمام أحمد قوله نحو أربعين مصنف وأبي محمد بن حزم الأندلسي وأبي الفرج بن الجوزي وقد دل ذلك على الكتاب والسنة كما قد بسط في الإحاطة وغيرها وكذلك المطر معروف عند السلف والخلف بأن الله تعالى يخلقه من الهواء ومن البخار المتتصاعد لكن خلقه للمطر من هذا كخلق الإنسان من نطفة وخلقه للشجر والزرع من الحب والنوى فهذا معرفة بالمادة التي خلق منها ونفس المادة لا توجب ما خلق منها باتفاق العقلاء بل لا بد مما به يخلق تلك الصورة على ذلك الوجه وهذا هو الدليل على القادر المختار الحكيم الذي يخلق المطر على قدر معلوم وقت الحاجة إليه والبلد الجرز يسوق إليه الماء من حيث أمطر كما قال أو {أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرْزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُتَّسِّرُونَ} السجدة 27 فالأرض الجرز لا تمطر ما يكفيها كأرض مصر لو أمطرت المطر المعتمد لم يكفيها فإنها أرض إيليز وإن أمطرت كثيراً مثل مطر شهر خربت المساكن فكان من حكمة الباري ورحمته أن أمطر مطراً أرضاً بعيدة ثم ساق ذلك الماء إلى أرض مصر فهذه الآيات يستدل بها على علم الخالق وقدرته ومشيئته وحكمته وإثبات المادة التي خلق منها المطر والشجر والإنسان والحيوان مما يدل على حكمته ونحن لا نعرف شيئاً قط خلق إلا من مادة ولا أخبر الله في كتابه بمخلوق إلا من مادة

وكذلك كون كسوف الشمس وغيرها سبباً لبعض الحوادث هو مما دلت عليه النصوص الصحيحة في الصاحح من غير وجه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته ولكنهما آيتان من آيات الله عز وجل يخوف الله بهما عباده فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى الصلاة وقد ثبت عنه في الصاحح أنه صلى صلوات الكسوف برکوع زائد في كل ركعة وأنه طولها تطويلاً لم يطوله في شيء من صلوات الجماعات وأمر عند الكسوف بالصلاحة والذكر والدعاء والعتاقة والصدقة والإستغفار وقوله يخوف الله بهما عباده كقوله تعالى { وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا } الإسراء 59 ولهذا كانت الصلوات مشروعة عند الآيات عموماً مثل تناثر الكواكب والزلزلة وغير ذلك والتخويف إنما يكون بما هو سبب للشر المخوف كالزلزلة والريح العاصف وإنما وجوده كعدمه لا يحصل به تخويف فعلم أن الكسوف سبب للشر ثم قد يكون عنه شر ثم القول فيه كالقول فيسائر الأسباب هل هو سبب كما عليه جمهور الأمة أو هو مجرد اقتران عادة كما يقوله الجهمية وهو صلى الله عليه وسلم أخبر عند أسباب الشر بما يدفعها من العبادات التي تقوى ما انعقد سببه من الخير وتدفع أو تضعف ما انعقد سببه من الشر كما قال إن الدعاء والبلاء ليلتقيان فيعتذجان 43 بين السماء والأرض

الله سبحانه خلق الأسباب والمسببات

* ومن قال أن قدرة العبد وغيرها من الأسباب التي خلق الله تعالى بها المخلوقات ليست أسباباً أو أن وجودها كعدتها وليس هناك إلا مجرد اقتران عادي كاقتراح الدليل بالمدلول فقد جد ما في خلق الله وشرعه من الأسباب والحكم والعلل ولم يجعل في

⁴³ منهاج السنة النبوية ج: 5 ص: 440-446

العين قوة تمتاز بها عن الخد تبصر بها ولا في القلب قوة يمتاز بها عن الرجل يعقل بها ولا في النار قوة تمتاز بها عن التراب تحرق بها وهؤلاء ينكرن ما في الأجسام المطبوعة من الطبائع والغرائز قال بعض الفضلاء تكلم قوم من الناس في إبطال الأسباب والقوى والطبائع فأضحكوا العقلا على عقولهم ثم أن هؤلاء لا ينبغي للإنسان أن يقول أنه شبع بالخبز وروى بالماء بل يقول شبعت عنده ورويتك عندك فإن الله يخلق الشبع والري ونحو ذلك من الحوادث عند هذه المفترقات بها عادة لا بها وهذا خلاف الكتاب والسنة فإن الله تعالى يقول {وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَفْلَتْ سَحَابًا ثُقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلْدَ مَيْتٍ فَأَنْزَلَنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمُوْتَىٰ لَعْلَكُمْ تَذَكَّرُونَ} الأعراف 57 الآية وقال تعالى {وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ} البقرة 164 وقال تعالى {قَاتَلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ يَأْتِيُّكُمْ} التوبه 14 وقال {فَقُلْ هَلْ تَرَبَصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عَنْهُ أَوْ يَأْتِيَنَا} التوبه 52 وقال {وَنَزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَانْبَثَتْ بِهِ جَنَّاتٌ وَحَبَّ الْحَصِيدِ} ق 9 وقال تعالى {وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ} الأنعام 99 وقال تعالى {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا} فاطر 27 وقال تعالى {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ شَيْمُونٌ} 10 يُنبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالرَّيْثُونَ وَالثَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ} 11 النحل 10-11 وقال تعالى {إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا} البقرة 26 إلى قوله {يُضْلِلُ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا} البقرة 26 وقال {قَدْ جَاءُكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ} 15 يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام 16 المائدة 15-16 ومثل هذا في القرآن كثير وكذلك في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله لا يموتن أحد

منكم إلا آذنتموني به حتى أصلي عليه فإن الله جعل بصلاتي عليه بركه ورحمة وقال صلى الله عليه وسلم إن هذه القبور مملوءة على أهلها ظلمة وإن الله جاعل بصلاتي عليهم نوراً ومثل هذا كثير ونظير هؤلاء الذين أبطلوا الأسباب المقدرة في خلق الله من أبطل الأسباب المشروعة في أمر الله كالذين يظلون أن ما يحصل بالدعاء والأعمال الصالحة وغير ذلك من الخيرات إن كان مقدراً حصل بدون ذلك وإن لم يكن مقدراً لم يحصل بذلك وهؤلاء كالذين قالوا للنبي أفلأ ندع العمل ونتكل على الكتاب فقال لا اعملوا فكلا ميسراً لما خلق لهم وفي السنن أنه قيل يا رسول الله أرأيت أدوية نتداوى بها ورقى نسترقى وتقاة نقيها هل ترد من قدر الله شيئاً فقال هي من قدر الله ولهذا قال من قال من العلماء الإلتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد ومحو الأسباب أن تكون أسباباً تغيير في وجه العقل والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع والله سبحانه خلق الأسباب والمسببات وجعل هذا سبباً لهذا فإذا قال القائل إن كان هذا مقدراً حصل بدون السبب وإلا لم يحصل جوابه أنه مقدر بالسبب وليس مقدراً بدون السبب كما قال النبي إن الله خلق للجنة أهلاً خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم وخلق للنار أهلاً خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم وقال اعملوا فكلا ميسراً لما خلق لهم أما من كان من أهل السعادة فسيسيس لعمل أهل السعادة وأما من كان من أهل الشقاوة فسيسيس لعمل أهل الشقاوة وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله وهو الصادق المصدوق إن أحدهم يجمع خلقه في بطنه أمه أربعين يوماً نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل إليه الملك فيؤمر بأربع كلمات فيقال أكتب رزقه وعمله وأجله وشقي أو سعيد ثم ينفح فيه الروح قال فوالذي نفسي بيده إن أحدهم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بيته وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحدهم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون

بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها وبين أن هذا يدخل الجنة بالعمل الذي يعمله ويختم له به وهذا يدخل النار بالعمل الذي يجعله ويختم له به كما قال صلى الله عليه وسلم إنما الأعمال بالخواتيم وذلك لأن جميع الحسنات تحبط بالردة وجميع السيئات تغفر بالتوبة ونظير ذلك من صام ثم أفطر قبل الغروب أو صلى وأحدث عمداً قبل كمال الصلاة بطل عمله وبالجملة فالذي عليه سلف الأمة وأئمتها ما بعث الله به رسلاً وأنزل كتابه فيؤمنون بخلق الله وأمره بقدره وشرعه بحكمه الكوني وحكمه الديني وإرادته الكونية والدينية كما قال في الآية الأولى {فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَ يَسْرَحْ صَدْرَهُ لِلْأَسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضْلِلَهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيْقًا حَرَاجًا كَانَمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ } الأنعام 125 وقال نوح عليه السلام {وَلَا يَنْعَكِمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُعْوِيكُمْ } هود 34 وقال تعالى في الإرادة الدينية { يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ } البقرة 185 وقال { يُرِيدُ اللَّهُ لِبَيْنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَّ الدِّينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَنْهَا عَلَيْكُمْ حَكِيمٌ } النساء 26 وقال { مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلَيُتَمِّمَ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ } المائدة 6 وهم مع إقرارهم بأن الله خالق كل شيء وربه وملكيه وأنه خلق الأشياء بقدرته ومشيئته يقر ون بأنه لا إله إلا هو لا يستحق العبادة غيره ويطيعونه ويطيعون رسلاه ويحبونه ويرجونه ويخشونه ويتكلون عليه وينبئون اليه ويولون أولياءه ويعادون أعداءه ويقرؤن بمحبته لما أمر به ولعباده المؤمنين ورضاه بذلك وبغضه لما أنهى عنه وللكافرين وسخطه لذلك ومقته له ويقر ون بما إستفاض عن النبي صلى الله عليه وسلم من أن الله أشد فرحا بتوبه عبده التائب من رجل أضل راحلته بأرض دوية مهلكة عليها طعامه وشرابه فطلبها فلم يجدها فقال تحت شجرة فلما إستيقظ إذا بذاته عليها طعامه وشرابه قال الله أشد فرحا بت و به عبده من هذا براحته فه و إلههم الذي يعبدونه و

ربهم الذي يسألونه كما قال تعالى { الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ } 2 { الفاتحة } إلى قوله { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ
نَسْتَعِينُ } 5 { الفاتحة } فهو المعبد المستعان والعبادة تجمع كمال
الحب مع كمال الذل فهم يحبونه أعظم مما يحب كل محب
محبوبه ⁴⁴

{ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ }

*فاعتقاد الفرقة الناجية المنصورة الى قيام الساعة أهل السنة
والجماعة وهو الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد
الموت والايام بالقدر خيره وشره ومن الايمان بالله بالإيمان
بما وصف به نفسه في كتابه وبما وصفه به رسوله محمد صلى
الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكليف ولا
تمثيل بل يؤمنون بأن الله سبحانه ليس كمثله شيء وهو
السميع البصير فلا ينفعون عنه ما وصف به نفسه ولا
يحرفون الكلم عن مواضعه ولا يلحدون في أسماء الله وأياته ولا
يكيفون ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه لأنه سبحانه لا سمى له
ولا كفو له ولا ند له ولا يقاس بخلقه سبحانه وتعالى فإنه سبحانه
أعلم بنفسه وبغيره وأصدق قيلاً وأحسن حديثاً من خلقه ثم
رسله صادقون مصدوقون بخلاف الذين يقولون عليه مالا
يعلمون ولهذا قال سبحانه وتعالى { سُبْحَانَ رَبِّ الْعَزَّةِ
عَمَّا يَصِفُونَ } 180 { وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ } 181 { وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ
رَبِّ الْعَالَمِينَ } 182 { الصافات } 180-182 فسبح نفسه بما
وصفه به المخالفون للرسل وسلم على المرسلين لسلامة ما قالوه
من النقص والعيب وهو سبحانه قد جمع فيما وصف وسمى
به نفسه بين النفي والإثبات فلا عدول لأهل السنة والجماعة عما
جاء به المرسلون فإنه الصراط المستقيم صراط الذين انعم الله
عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وقد دخل في

⁴⁴ مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 137-141 و مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 80

هذه الجملة ما وصف به نفسه في سورة الإخلاص التي تعدل ثلث القرآن حيث يقول (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) {1} اللَّهُ الصَّمَدُ {2} لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَدْ {3} لَمْ يَكُنْ لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ {4} ⁴⁵ الاخلاص-1

* وأصل دين المسلمين أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه في كتبه وبما وصفته به رسالته من غير تحرير ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل بل يثبتون له تعالى ما أثبتته لنفسه وينفون عنه ما نفاه عن نفسه ويتبعون في ذلك أقوال رسله ويجتربون ما خالف أقوال الرسل كما قال تعالى {سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ} الأنعام 100 أي مما يصفه الكفار المخالفون للرسل

وقال تعالى {سُبْحَانَ رَبِّ الْعَزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ} 180
وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ {181} وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ {182}
الصفات 181-182 {وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ} 181 الصفات
181 لسلامة ما قالوه من النقص والعيب {وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ} 182 الصفات 182 فالرسل وصفوا الله بصفات
الكمال ونزعوه عن الناقص المناقضة للكمال ونزعوه عن أن يكون له مثل في شيء من صفات الكمال وأثبتوا له صفات
الكمال على وجه التفصيل ونفوا عنه التمثيل فأتوا بإثبات مفصل
ونفي مجمل فمن نفوا عنه ما أثبته لنفسه من الصفات كان
معطلاً ومن جعلها مثل صفات المخلوقين كان ممثلاً والمعطل
يعد عدماً والممثلاً يبعد صنماً وقد قال تعالى {لَيْسَ
كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} الشورى 11 وهو رد على الممتهلة {
وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} الشورى 11 وهو رد على المعطلة
⁴⁶

* فذكر نفسه بأنه الخالق ولم يصف قط شيئاً من المخلوقات بهذا لا ملكاً ولانبياً ووصف نفسه بأنه رب العالمين وبأنه مالك يوم

⁴⁵ مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 130-131 و العقيدة الواسطية ج: 1 ص: 7

⁴⁶ الجواب الصحيح ج: 4 ص: 405-406

الدين وأنه له الملك وله الحمد وأنه الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم وأنه على كل شيء قادر وبكل شيء عليم ونحو ذلك من خصائص الربوبية ولم يصف شيئاً من مخلوقاته لا ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً بشيء من الخصائص التي يختص بها التي وصف بها نفسه سبحانه وتعالى⁴⁷

تقرير أصول الدين من مسائل التوحيد والصفات

*ان أصول الدين إما أن تكون مسائل يجب إعتقادها قولًا أو قوله عملاً كمسائل التوحيد والصفات والقدر والنبوة والمعاد أو دلائل هذه المسائل أما القسم الأول فكل ما يحتاج الناس إلى معرفته واعتقاده والتصديق به من هذه المسائل فقد بينه الله ورسوله بياناً شافياً قاطعاً للعذر إذ هذا من أعظم ما بلغه الرسول الب良 المبين وبينه للناس وهو من أعظم ما أقام الله الحجة على عباده فيه بالرسل الذين بينوه وبلغوه وكتاب الله الذي نقل الصحابة ثم التابعون عن الرسول لفظه ومعانيه والحكمة التي هي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي نقلوها أيضاً عن الرسول مشتملة من ذلك على غاية المراد وتمام الواجب والمستحب والحمد لله الذي بعث إلينا رسولاً من أنفسنا يتلو علينا آياته ويزكياناً ويعلمنا الكتاب والحكمة الذي أكمل لنا الدين وأتم علينا النعمة ورضي لنا الإسلام ديناً الذي أنزل الكتاب تفصيلاً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين {مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرِى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} يوسف 111 وإنما يظن عدم اشتمال الكتاب والحكمة على بيان ذلك من كان ناقضاً في عقله وسمعه

⁴⁷الجواب الصحيح ج: 4 ص: 45

ومن له نصيب من قول أهل الكتاب الذين قالوا {إِلَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعَيرِ} الملك 10 وإن كان ذلك كثيرا في كثير من المتكلمة وجهات أهل الحديث والمتفقة والمتصوفة وأما القسم الثاني وهو دلائل هذه المسائل الأصولية فإنه وإن كان يظن طوائف من المتكلمين والمتكلفة أن الشرع إنما يدل بطريق الخبر الصادق فدلالة موقوفة على العلم بصدق الخبر و يجعلون ما بينى عليه صدق الخبر معقولات محضة فقد غلطوا في ذلك غلطا عظيما بل ضلوا ضلالا مبينا في ظنهم أن دلالة الكتاب والسنة إنما هي بطريق الخبر المجرد بل الأمر ما عليه سلف الأمة وأنتمها أهل العلم والإيمان من أن الله سبحانه وتعالى بين من الأدلة العقلية التي يحتاج إليها في العلم بذلك ما لا يقدر أحد من هؤلاء وقدره ونهاية ما يذكرون أنه جاء القرآن بخلاصته على أحسن وجه وذلك كالأمثال المضروبة التي يذكرها الله تعالى في كتابه التي قال فيها {وَلَقَدْ ضَرَبَنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنَ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ} الروم 58 فإن الأمثل المضروبة وهي الأقىسة العقلية سواء كانت قياس شمول أو قياس تمثيل ويدخل في ذلك ما يسمونه براهين وهو القياس الشمولي المؤلف من المقدمات اليقينية وإن كان لفظ البرهان في اللغة أعم من ذلك كما سمى الله آياتي موسى برهانين وما يوضح هذا أن العلم الإلهي لا يجوز أن يستدل فيه بقياس تمثيل يستوي في الأصل والفرع ولا بقياس شمولي تستوي أفراده فإن الله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء فلا يجوز أن يمثل بغيره ولا يجوز أن يدخل هو وبغيره تحت قضية كلية تستوي أفرادها ولهذا لما سأك طوائف من المتكلفة والمتكلمة مثل هذه الأقىسة في المطالب الإلهية لم يصلوا بها إلى يقين بل تناقضت أدلةهم وغلب عليهم بعد التناهي الحيرة والاضطراب لما يرون من فساد أدلةهم أو تكافئها ولكن يستعمل في ذلك قياس الأولى سواء كان تمثيلا أو شمولا كما قال تعالى {وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى} النحل 60 مثل أن نعلم أن كل كمال ثبت للإمكان أو المحدث فالواجب القديم أولى به

وكل كمال ثبت للمخلوق المربوب المعلول المدبر فإنما استفاده من خالقه وربه ومدبره فهو أحق به منه وأن كل نقص وعيوب جب نفيه عن شيء مامن أنواع المخلوقات والمحاثات والممكناة فإنه يجب نفيه عن الرب تبارك وتعالى بطريق الأولى وأنه أحق بالأمور الوجودية من كل موجود والأمور العدمية الممكن بها أحق ونحو ذلك ومثل هذه الطرق هي التي كان يستعملها السلف والأئمة في مثل هذه المطالب كما استعمل نحوها الإمام أحمد ومن قبله وبعده من أئمة أهل الإسلام وبمثل ذلك جاء القرآن في تقرير أصول الدين من مسائل التوحيد والصفات ونحو ذلك مثل ذلك ما استعمله سبحانه في تنزييهه وتقديسه عما أضافوه إليه من الولادة سواء سموها حسية أو عقلية كما تزعمه الفلاسفة الصابئون من تولد العقول العشرة والنفوس الفلكية التسعة التي هم مضطربون فيها هل هي جواهر أو أعراض وقد يجعلون العقول بمنزلة الذكور والنفوس بمنزلة الأناث ويجعلون ذلك آباءهم وأمهاتهم وأهالتهم وأربابهم القربيه وعلمهم بالنفوس أظهر لوجود الحركة الدورية الدالة على الحركة الإرادية الدالة على النفس المحركة وذلك شبيه بقول مشركي العرب وغيرهم الذين جعلوا له بنين وبنات قال تعالى {وَجَعَلُوا اللَّهَ شُرَكَاءِ الْجِنِّ وَخَلَقُهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَيْنَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ } الأنعام 100 وقال تعالى { إِنَّهُمْ مَنْ إِفْكُهُمْ لَيَقُولُونَ } 151 { وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ } 152 الصافات 151-152 وكانوا يقولون الملائكة بنات الله كما يزعم هؤلاء أن النفوس هي الملائكة وهي متولدة عن الله فقال تعالى { وَيَجْعَلُونَ اللَّهَ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَسْتَهْوِنُ } 57 { وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأنْتِي ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًا وَهُوَ كَظِيمٌ } 58 { يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيْمُسْكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدْسُهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءِ مَا يَحْكُمُونَ } 59 { لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ مَثُلُ السَّوْءِ وَلَهُ الْمُتَنَّلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } 60 { النحل 57-60 إلى قوله { وَيَجْعَلُونَ اللَّهَ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِيفُ الْسِّنْثُمُ

الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ {62} ^{النحل 62}
 وَقَالَ تَعَالَى {وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءاً أَنَّ
 الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ} {15} أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ
 بِالْبَيْنَيْنِ {16} وَإِذَا بُشِّرَ أَهْدُمُ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنَ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ
 مُسْوَدًا وَهُوَ كَظِيمٌ {17} أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحَلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ
 غَيْرُ مُبِينٌ {18} وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَّا
 أَشَهُدُوا خَلْقَهُمْ سَكُنْتُبُ شَهَادَتِهِمْ وَيُسْلَلُونَ {19} ^{الزخرف 15-19}
 وَقَالَ تَعَالَى {أَفَرَأَيْتُمُ الْأَلَّاتَ وَالْعُزَّى} {19} ^{النجم 19}
 إِلَى قَوْلِهِ {الْكُمُ الْذَّكْرُ وَلَهُ الْأَنْثَى} {21} ^{تِلْكَ إِذَا قِسْمَةً}
 ضِيزَى} {22} ^{النجم 21-22} أي جائزه وغير ذلك في القرآن
 بين سبحانه أن الرب الخالق أولى بأن ينزله عن الأمور الناقصة
 منكم فكيف يجعلون له ما تكرهون أن يكون لكم تستخفون من
 إضافته إليكم مع أنه واقع لا محالة ولا تنزعونه عن ذلك وتتفونه
 عنه وهو أحق بنفي المكروهات المنقصات منكم ⁴⁸

ثبوت صفات الكمال لله دون ما سواه

*فلا بد للعبد أن يثبت الله ما يجب اثباته له من صفات الكمال
 وينفي عنه ما يجب نفيه عنه مما يضاد هذه الحال ولا بد له في
 أحکامه من ان يثبت خلقه وأمره فيؤمن بخلقه المتضمن كمال
 قدرته وعموم مشيئته ويثبت امره المتضمن بيان ما يحبه
 ويرضاه من القول والعمل ويؤمن بشرعه وقدره إيمانا خاليا من
 الزلل وهذا يتضمن التوحيد في عبادته وحده لا شريك
 له وهو التوحيد في القصد والإرادة والعمل والأول يتضمن
 التوحيد في العلم والقول كما دل على ذلك سورة قل هو الله
 احد ودل على الآخر سورة قل يا أيها الكافرون وما
 سرتنا الإخلاص وبهما كان النبي يقرأ بعد الفاتحة في ركعتي
 الفجر وركعتي الطواف وغير ذلك فاما الأول وهو

⁴⁸الفتاوى الكبرى ج: 1 ص: 449

التوحيد في الصفات فالأصل في هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفته به رسالته نفيا وإثباتاً فثبتت الله ما اثبته لنفسه ويقى عنه ما نفاه عن نفسه وقد علم ان طريقة سلف الامة وأئمتها إثبات ما اثبته من الصفات من غير تكيف ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل وكذلك ينفون عنه ما نفاه عن نفسه مع اثبات ما اثبته من الصفات من غير الحاد لا في أسمائه ولا في آياته فإن الله تعالى ذم الذين يلحدون في أسمائه وأياته كما قال تعالى {وَلِلّٰهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا} وَدَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيْجَزُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ {الأعراف} 180 وقال تعالى {إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَاتِيَ آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} فصلت 40 فطريقتهم تتضمن إثبات الأسماء والصفات مع نفي مماثلة المخلوقات اثباتاً بلا تشبيه وتتنزيها بلا تعطيل كما قال تعالى {لَيْسَ كَمِثْلَهُ شَيْءٌ} وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ {الشوري} 11 ففى قوله {لَيْسَ كَمِثْلَهُ شَيْءٌ} الشوري 11 رد للتشبيه والتمثيل وقوله {وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} الشوري 11 رد للإلحاد والتعطيل والله سبحانه بعث رسالته باثبات مفصل ونفي مجمل فاثبتو الله الصفات على وجه التفصيل ونفوا عنه ما لا يصلح له من التشبيه والتمثيل كما قال تعالى {فَاعْبُدُهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ أَهُ سَمِيًّا} مريم 65 قال اهل اللغة هل تعلم له سميأً أي نظيرها يستحق مثل اسمه ويقال مسامييه وهذا معنى ما يروى عن ابن عباس {هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا} مريم 65 مثلاً أو شبهاً وقال تعالى {وَجَعَلُوا لِلّٰهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقُهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبَّانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ} 100 بديع

**السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ
كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** {101} الأنعام 100-101⁴⁹

* فقد تضمن العلو الذي ينبع عنه نفسه في كتابه أنه متعال عما لا يليق به من الشركاء والأولاد فليس كمثله شيء و هذا يتضمن ثبوت صفات الكمال له دون ما سواه و أنه لا يماثله غيره في شيء من صفات الكمال بل هو متعال عن أن يماثله شيء و يتضمن أنه عال على كل ما سواه قاهر له قادر عليه نافذة مشيئته فيه و أنه عال على الجميع فوق عرشه فهذه ثلاثة أمور في إسمه العلي و إثبات علوه على ما سواه وقدرته عليه و قهره يتضمن ربوبيته له و خلقه له و ذلك يستلزم ثبوت الكمال و علوه عن الأمثال يتضمن أنه لا مثل له في صفات الكمال و هذا و هذا يتضمن جميع ما يوصف به في الإثبات و النفي ففي الإثبات يوصف بصفات الكمال و في النفي ينزعه عن النقص المنافق للكمال و ينزعه عن أن يكون له مثل في صفات الكمال كما قد دلت على هذا و هذا سورة الإخلاص {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} {اللَّهُ الصَّمَدُ} {الإخلاص} 1-2 و تعالىه عن الشركاء يتضمن اختصاصه بالإلهية و أنه لا يستحق العبادة إلا هو وحده كما قال {قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَبَّيَعُوا إِلَى ذِي
الْعَرْشِ سَبِيلًا} الإسراء 42 أي و إن كانوا كما يقولون يشفعون عنده بغير إذنه و يقررونكم إليه بغير إذنه فهو رب و الإله دونهم و كانوا يتبعون إليه سبيلا بالعبادة له والتقرب إليه والأمر بتسبيحه يتضمن أيضا تنزيهه عن كل عيب و سوء و إثبات صفات الكمال له فإن التسبيح يتضمن التنزيه و التعظيم و التعظيم يستلزم إثبات المحمد التي يحمد عليها فيتتضمن ذلك تنزيهه و تحميده و تكبيره و توحيده⁵⁰

⁴⁹ مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 5-4

⁵⁰ مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 124-126

نَزَهَ اللَّهُ تَعَالَى نَفْسَهُ عَنِ الْوِلَادَةِ وَعَنِ اتِّخَادِ الْوَلَدِ

*أَنْ مَا نَزَهَ اللَّهُ نَفْسَهُ وَنَفَاهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ {لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ} {الإخلاص ٣} وَبِقَوْلِهِ {أَلَا إِنَّهُ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ} ١٥١ {وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَانُبُونَ} ١٥٢ {الصَّافَاتِ ١٥١-١٥٢} وَقَوْلِهِ {وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلْقَهُمْ وَرَأَقُوا لَهُ بَيْنَ وَبَيْنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ} ١٠٠ {بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} ١٠١ {الأنعام ١٠٠-١٠١} يَعْمَلُ جَمِيعَ الْأَنْوَاعِ الَّتِي تُذَكَّرُ فِي هَذَا الْبَابِ عَنْ بَعْضِ الْأَمْمِ كَمَا أَنْ نَفَاهُ مِنْ إِتْخَادِ الْوَلَدِ يَعْمَلُ أَيْضًا جَمِيعَ الْأَنْوَاعِ الْإِتْخَادَاتِ الْإِصْطَفَانِيَّةِ كَمَا قَالَ تَعَالَى {وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَنْبَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلَمْ يُعَدْكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّنْ خَلْقٍ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ} ١٨ الْمَائِدَةِ قالَ السَّدِيقُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلِيْ إِسْرَائِيلَ إِنَّ وَلَدَكَ بَكْرٌ مِّنَ الْوَلَدِ فَأَدْخِلُهُمُ النَّارَ فَيَكُونُونَ فِيهَا أَرْبَعينَ يَوْمًا حَتَّى تَطَهَّرُهُمْ وَتَأْكُلَ خَطَايَاهُمْ ثُمَّ يَنْادِي مِنَادٍ أَخْرَجُوا كُلَّ مُخْتَوْنَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقَدْ قَالَ تَعَالَى {مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ} ٩١ الْمُؤْمِنُونَ وَقَالَ {وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الدُّلُّ وَكَبُرُهُ تَكْبِيرًا} ١١١ الْإِسْرَاءُ وَقَالَ {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا} ١ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا} ٢ الْفُرْقَانُ ١-٢ وَقَالَ {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادُ مُكَرَّمُونَ} ٢٦ لَا يَسْقِفُونَهُ بِالْقُولِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ} ٢٧ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفُهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشِّيَّتِهِ

مُسْفِقُونَ {28} وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ
 كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ {29} الانبياء 26-29 و قال {
 وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّاهُ
 فَارْهُبُونَ {51} وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبَا
 أَفْغَيْرَ اللَّهِ تَشْفَعُونَ {52} النحل 51-52 إلى قوله {وَيَجْعَلُونَ لِمَا
 لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا } النحل 56 إلى قوله {وَيَجْعَلُونَ اللَّهَ الْبَنَاتِ
 سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهِيُونَ } النحل 57 وقال {وَلَا تَجْعَلْ مَعَ
 اللَّهِ إِلَهًا أَخْرَ فَتَلَقَّى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَذْهُورًا } 39 أَفَاصِفَاكُمْ رَبُّكُمْ
 بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَّا نَكْنُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا {40}
 وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَرِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا {41}
 قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ اللَّهُ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَأْتَتُمُوهُ إِلَيَّ ذِي الْعَرْشِ
 سَبِيلًا {42} الاسراء 39-42 وقال {فَاسْتَقْتَمْ الْرَّبَّكَ
 الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ {149} أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَّا وَهُمْ
 شَاهِدُونَ {150} أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ أَفْكَمْ لَيَقُولُونَ {151} وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ
 لَكَادِبُونَ {152} أَصْطَفَيْ الْبَنَاتَ عَلَى الْبَنِينَ {153} مَا لَكُمْ كَيْفَ
 تَحْكُمُونَ {154} أَفَلَا تَذَكَّرُونَ {155} أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ
 مُبِينٌ {156} فَأَتُوا بِكَتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ {157} وَجَعَلُوا بَيْتَهُ
 وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَباً وَلَقَدْ عَلِمْتَ الْجِنَّةَ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ {158}
 سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ {159} إِلَّا عِبَادُ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ {160}
 فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ {161} مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِغَافِتِينَ {162} إِلَّا مَنْ هُوَ
 صَالِ الْجَحِيمَ {163} الصافات 150-163 وقال {أَفَرَأَيْتُمْ
 الْلَّاتَ وَالْعَزَّى {19} وَمَنَّاةُ التَّالِثَةِ الْأُخْرَى {20} أَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ
 الْأُنْثَى {21} تَلْكَ إِذَا قُسْمَةُ ضِيَّ {22} إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٍ
 سَمَّيْنَاهَا أَنْتُمْ وَأَبَاوُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَنَعَّمُونَ إِلَّا
 الطَّنَّ وَمَا تَهُوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى {23}
 النجم 20-23 إلى قوله {إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ
 الْمَلَائِكَةَ شَسْمِيَّةَ الْأُنْثَى } النجم 27 و قال تعالى {وَجَعَلُوا
 لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا } الزخرف 15 قال بعض المفسرين
 { جُزْءًا } الزخرف 15 أي نصيباً وبعضاً و قال بعضهم جعلوا

لله نصيباً من الولد و عن قتادة و مقاتل عدلا و كلا القولين
 صحيح فإنهم يجعلون له ولدا و الولد يشبه أباه و لهذا قال
 {وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِرَحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًا}
 وَهُوَ كَظِيمٌ } الزخرف 17 أي البنات كما قال في الآية الأخرى
 {وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأنثى } النحل 58 فقد جعلوها للرحم مثلا
 و جعلوا له من عباده جزءاً فإن الولد جزء من الوالد كما تقدم قال
 صلى الله عليه وسلم إنما فاطمة بضعة مني و قوله
 {وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقُهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَيْنَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ
 عِلْمٍ } الأنعام 100 قال الكلبي نزلت في الزنادقة قالوا إن
 الله و إبليس شريكان فالله خالق النور و الناس و الدواب و الأنعام
 و إبليس خالق الظلمة و السباع و الحيات و العقارب و
 أما قوله {وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّ نَسَبًا } الصافات 158 فقيل
 هو قوله الملائكة بنات الله و سمي الملائكة جناء لاجتنانهم عن
 الأبرار و هو قول مجاهد و قتادة و قيل قالوا لحي من الملائكة
 يقال لهم الجن و منهم إبليس و هم بنات الله و قال الكلبي قالوا
 لعنهم الله بل تزوج من الجن فخرج بينهما الملائكة و
 قوله {وَخَرَقُوا لَهُ بَيْنَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ } الأنعام 100 قال
 بعض المفسرين كالتعليق و هم كفار العرب قالوا الملائكة و
 الأصنام بنات الله و اليهود قالوا عزير ابن الله و النصاري قالوا
 المسيح ابن الله فصل وأما الذين كانوا يقولون من العرب أن
 الملائكة بنات الله و ما نقل عنهم من أنه صاهر الجن فولدت له
 الملائكة فقد نفاه الله عنه بإمتناع الصاحبة و بإمتناع أن يكون منه
 جزء فإنه صمد و قوله { وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ } الأنعام 101 و
 هذا كما تقدم من أن الولادة لا تكون إلا من أصلين سواء في ذلك
 تولد الأعيان التي تسمى الجواهر و تولد الأعراض و الصفات
 بل و لا يكون تولد الأعيان إلا بإنفصال جزء من الوالد فإذا إمتنع
 أن يكون له صاحبة إمتنع أن يكون له ولد و قد علموا كلهم أن لا
 صاحبة له و لا من الملائكة و لا من الجن و لا من الإنس فلم يقل
 أحد منهم أن له صاحبة فلهذا احتج بذلك عليهم و ما حكى عن

بعض كفار العرب أنه صاهر الجن فهذا فيه نظر و ذلك إن كان قد قيل فهو مما يعلم إنتفاوه من وجوه كثيرة وكذلك ما قاله النصاري من أن المسيح ابن الله و ما قاله طائفة من اليهود أن العزيز ابن الله فإنه قد نفاه سبحانه بهذا و بهذا⁵¹

ذكر ثلاث أدلة على نفي ما زعمواه من خرق البنين والبنات له

* وكل من قال إن الله ولد لزمه أن يكون له صاحبة بأي وجه فسر الولادة وأن يكون له ولد حادثاً ولهذا قال تعالى {وَجَعَلُوا
إِلَهَ شُرَكَاءِ الْجِنَّ وَخَلَقُوهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ
وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ} 100 {بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ
لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ
عَلِيمٌ} 101 {ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ
وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكَيْلٌ} 102 {الانعام 100-102}
فاستفهم تعالى استفهام إنكار ليبين امتناع أن يكون له ولد إذ لم
تكن له صاحبة فإن الولد لا يكون إلا من أصلين وهذا مما ينبغي
أن يتقطن له فإن جعل ما يلزم الشيء الواحد متولدا عنه لا
يعرف لا سيما صفاته القائمة به الازمة له كعلمه وحياته لا سيما
الصفات القديمة الأزلية الازمة لذات رب العالمين الذي لم ينزل
ولا يزال موصوفاً بها فإن صفات العبد الازمة له كحياته
وقدرته ونحو ذلك ليست متولدة عنه عند جميع العقلاء ولا
يقول عاقل يعقل ما يقول إن لون السماء وقدرها متولد عنها ولا
إن قدر الشمس وضوئها القائم بها اللازم لها متولد عنها ولا

⁵¹ مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 268-272 و النبوات ج: 1 ص: 19 و
الصفدية ج: 1 ص: 215

يقول أحد إن حرارة النار وضوءها القائم بها متولد عنها وإنما يقال إن قيل فيما ليس بقائم بها بل قائم بغيرها أو فيما هو حادث بعد أن لم يكن كالشعاٰع القائم بالأرض والحيطان وهذا ليس بقائم بها بل قائم بغيرها هو حادث متولد عن أصل واحد فاما صفات المخلوق القائمة به الازمة له فلا يقول أحد من العقلاء إنها متولدة عنه والنصارى يزعمون أن كلمة الله التي يفسرونها بعلمه أو حكمته وروح القدس التي يفسرونها بحياته وقدرته هي صفة له قديمة أزلية لم يزل ولا يزال موصوفاً بها ويقولون مع ذلك إن الكلمة هي مولودة منه فيجعلون علمه القديم الأزلية متولداً عنه ولا يجعلون حياته القديمة الأزلية متولدة عنه وقد أصابوا في أنهم لم يجعلوا حياته متولدة عنه لكن ظهر بذلك بعض مناقضاتهم وضلالهم فإنه أنواع كثيرة فإنه إن كانت صفة الموصوف القديمة الازمة لذاته يقال إنها ابنه وولده ومتولد عنه وهو ذلك فتكون حياته أيضاً ابنه وولده ومتولداً عنه وإن لم يكن كذلك فلا يكون علمه ابنه ولا ولده ولا متولداً عنه وأبلغ من ذلك أن روح القدس المنفصلة عنه القائمة بالأنبياء والصديقين لا يقولون إنها ولده ولا إنها متولدة عنه بل يخسرون ذلك بالكلمة فلا ينقلون عن أحد من الأنبياء أنه سمي شيئاً من صفات الله ابنه ولا ولداً ولا قال إن علم الله أو كلامه أو حكمته ولده أو ابنه أو هو متولد عنه فعلم أن القوم في غاية التناقض في المعاني والألفاظ وأنهم مخالفون لكتب الإلهية كلها ولما فطر الله عليه عباده من المعقولات التي يسمونها نواميس عقلية ومخالفون لجميع لغات الآدميين وهذا مما يظهر به فساد تمثيلهم فإنهم قالوا تولدت الكلمة عنه كما تولد الكلمة والحكمة فيها عن العقل فيقال لهم لو قدر أن الأنبياء سموا ذلك متولداً بما يتولد فيها حادث بعد أن لم يكن وحدوثه يتسبب من فعلنا وقدرتنا ومشيرتنا فاما صفاتنا الازمة لنا التي لا اختيار لنا في اتصافنا بها ولم نزل متصفين بها فلا يقول عاقل إنها متولدة فيها وعنا وأنتم تجعلون صفة الله القديمة الازمة له التي لم يزل ولا يزال متصف

بها متولدة عنه فلو قدر أن ما ذكرتموه من التولد العقلي أمراً معروفاً في اللغة والعقل والشرع لم يكن لكم أن تجعلوا علم الله وحكمته التي فسرتم بها كلمته أبنا له ومولوداً منه لم يزل مولوداً منه لأن هذا باطل عقلاً وشرعاً ولغة أما العقل فإن صفة الموصوف اللازم لـه وإن كان مخلوقاً ليست متولدة عنه فكيف الصفة القديمة للموصوف القديم ولو جاز هذا جاز أن يجعل ما كان لازماً لغيره ولداً له ومولوداً منه فيجعل كيفيات الأشياء وكيمياتها متولدة عنها وأمثالها ويقال إن طول الجسم وعرضه وعمقه متولد عنه وإن حياة الحي متولدة عنه وإن القوى والطبيع التي جعلها الله في المخلوقات متولدة عنها وأما الشرع فإن هذا لو كان متولداً وهو في بعض اللغات يسمى ولداً لم يجز أن يحمل على ذلك كلام الأنبياء إلا أن يكون في لغتهم يسمى ولداً وكل من نظر في كتب الأنبياء من علماء النصارى وغيرهم لم يجد أحداً من الأنبياء يسمى علم الله وكلماته وحياته ولداً له ولا أبنا له ولا قال إن ذلك يتولد عنه فقولهم عن المسيح عمدوا الناس باسم الأب والابن وروح القدس أنه أراد بالابن كلمة الله القديمة الأزلية وأنها متولدة منه وأنه أراد بروح القدس حياة الله القديمة الأزلية كذب محض على المسيح عليه السلام لا يوجد قط في كلامه ولا كلام غيره من الأنبياء أنهم سموا علم الله وحكمته ولا شيئاً من صفاته القائمة به أبنا ولا سموا حياته روح القدس وأما اللغة فإن هذا التعبير الذي ذكروا وهو تسمية صفات الموصوف اللازم لـه ولداً وأبناً ومتولداً لا يعرف في لغاتبني آدم المعروفة وقد يتبنى الرجل ولد غيره فيتخذه ولداً ويجعله بمنزلة الولد وإن لم يكن متولداً عنه كما كانت تفعله أهل الجاهلية من العرب وغيرهم ولهذا نزه الله تعالى نفسه عن الولادة وعن اتخاذ الولد فقال تعالى {وَجَعَلُوا لِّهِ شُرَكَاءِ الْجِنَّ وَخَلَقُوهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ} 100 {بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ}

وَالْأَرْضَ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ
وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ⁵² {101} الانعام 100-101

* وأما انكار الباطل فقد نزه الله نفسه عن الوالد والولد وكفر من جعل له ولدا أو والدا أو شريكا فقال تعالى في السورة التي تعدل ثلث القرآن التي هي صفة الرحمن ولم يصح عن النبي في فضل سورة من القرآن ما صح في فضلها حتى أفرد الحفاظ مصنفات في فضلها كالدارقطني وأبي نعيم وأبي محمد الخلال وأخرج أصحاب الصحيح فيها أحاديث متعددة قال فيها (فَلَمْ يَكُنْ لَهُ أَحَدٌ) {1} اللَّهُ الصَّمَدُ {2} لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَدْ {3} وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ {4} الاخلاص 4-1 وعلى هذه السورة اعتماد الأئمة في التوحيد كالأمام أحمد والفضيل بن عياض وغيرهما من الأئمة قبلهم وبعدهم فنفي عن نفسه الأصول والفروع والنظراء وهي جماع ما ينسب إليه المخلوق من الآدميين والبهائم والملائكة والجن بل والنبات ونحو ذلك فإنه ما من شيء من المخلوقات إلا ولابد أن يكون له شيء يناسبه أما أصل وأما فرع وأما نظير أو اثنان من ذلك أو ثلاثة وهذا في الآدميين والجن والبهائم ظاهر وأما الملائكة فانهم وإن لم يتولدوا بالتناسل فلهم الامثال والإشباه ولهذا قال سبحانه {وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا رَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} {49} الذاريات 49-50 قال بعض السلف لعلمكم تتذكرون فتعلمون أن خالق الأزواج واحد ولهذا كان في هذه السورة الرد على من كفر من اليهود والنصارى والصابئين والمجوس والمشركين فإن قوله {لَمْ يَلِدْ} {3} الاخلاص 3 رد لقول من يقول إن له بنين وبنات من الملائكة أو البشر مثل من يقول الملائكة بنات الله أو يقول المسيح أو عزير ابن الله كما قال تعالى عنهم

{وَجَعْلُوا لِهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلْقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ
عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ } الأَنْعَام١٠٠^{٥٣}

{وَجَعْلُوا لِهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلْقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ
عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ } ١٠٠ {بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلْدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ
وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيهِمْ } ١٠١ {الأنعام ١٠١- ١٠٢ فإن قوله {
بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ } ١٠١ {الأنعام ١٠١ أى مبدعهما كما
ذكر مثل ذلك فى البقرة وليس المراد أنهما بدعة سماواته
وأرضه كما تحتمله العربية لولا السياق لأن المقصود نفي ما
زعموه من خرق البنين والبنات له ومن كونه اتخذ ولدا وهذا
ينتفى بضده كونه أبدع السموات ثم قال { أَنَّى يَكُونُ لَهُ
وَلَدُ } ١٠١ {الأنعام ١٠١ وذكر ثلات أدلة على نفي ذلك
أحدها كونه ليس له صاحبة فهذا نفي الولادة المعهودة وقوله {
وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ } ١٠١ {الأنعام ١٠١ نفي للولادة العقلية وهى
التولد لأن خلق كل شيء ينافي تولدها عنه وقوله { وَهُوَ بِكُلِّ
شَيْءٍ عَلِيهِمْ } ١٠١ {الأنعام ١٠١ يشبه والله أعلم أن يكون لما
ادعت النصارى أن المتخد به هو الكلمة التى يفسرونها بالعلم
والصادقة القائلون بالتولد والعلة لا يجعلونه عالما بكل شيء ذكر
أنه بكل شيء عليم لاثبات هذه الصفة له ردًا على الصادقة ونفيها
عن غيره ردًا على النصارى و إذا كان كذلك فقول من قال
بتولد العقول والنفوس التى يزعمون أنها الملائكة أظهر فى
كونهم يقولون أنه ولد الملائكة وأنهم بنوه وبناته فالعقلون بنوه
والفوس بناته من قول النصارى ودخل فى هذا من تفلسف
من المنتسبة إلى الإسلام حتى أى أعرف كبيرا لهم سئل عن
العقل والنفس فقال بمنزلة الذكر والأنثى فقد جعلهم كالأبن
والبنت وهم يجعلونهم متولدين عنه تولد المعلوم عن العلة فلا

يمكنه أن يفك ذاته عن معلوله ولا معلوله عنه كما لا يمكنه أن يفصل نفسه عن نفسه بمنزلة شعاع الشمس مع الشمس وأبلغ وهؤلاء يقولون إن هذه الأرواح التي ولدتها متصلة بالأفلاك الشمس والقمر والكواكب كاتصال الالاهوت بجسد المسيح فيعبدونها كما عبدت النصارى المسيح إلا أنهم أكفر من وجوه كثيرة وهم أحق بالشرك من النصارى فإنهم يعبدون ما يعلمون أنه منفصل عن الله وليس هو إيه ولا صفة من صفاته والنصارى يزعمون أنهم ما يعبدون الا ما اتحد بالله لا لما ولده من المعلولات ثم من عبد الملائكة والكواكب وأرواح البشر وأجسادهم اتخذ الأصنام على صورهم وطبائعهم فكان ذلك أعظم أسباب عبادة الأصنام ولهذا كان الخليل امام الحنفاء مخاطبا لهؤلاء الذين عبدوا الكواكب والشمس والقمر والذين عبدوا الأصنام مع إشراكهم واعترافهم بأصل الجميع وقد ذكر الله قصتهم في القرآن في غير موضع وأولئك هم الصابئون المشركون الذين ملتهم نمزود وعلماؤهم الفلاسفة من اليونانيين وغيرهم الذين كانوا بأرض الشام والجزيرة والعراق وغيرها وجزائر البحر قبل النصارى وكانوا بهذه البلاد في أيام بنى إسرائيل وهم الذين كانوا يقاتلون بنى إسرائيل فيغلبون تارة ويغلبون تارة وسنحاريب وبخت نصر ونحوهما هم ملوك الصابئة بعد الخليل والنمزود الذي كان في زمانه فتبين بذلك ما في القرآن من الرد لمقالات المتقديمين قبل هذه الأمة والكافر والمنافقين فيها من اثبات الولادة لله وان كان كثير من الناس لا يفهم دلالة القرآن على هذه المقالات لأن ذلك يحتاج إلى شيئاً إلى تصور مقالتهم بالمعنى لا بمجرد اللفظ والى تصور معنى القرآن والجمع بينهما فتجد المعنى الذي عنوه قد دل القرآن على ذكره وابطاله وأما اتحاد الولد فيفسر بعين الولادة وهو من

باب الأفعال لا من باب الصفات كما يقوله طائفة من النصارى في المسيح⁵⁴

*ومثال ذلك أنه سبحانه لما أخبر بالمعاد والعلم به تابع للعلم بإمكانه فإن الممتنع لا يجوز أن يكون بين سبحانه إمكانه أتم بيان ولم يسلك في ذلك ما يسلكه طوائف من أهل الكلام حيث يثبتون الإمكان الخارجي بمجرد الإمكان الذهني فيقولون هذا ممكن لأنه لو قدر وجوده لم يلزم من تقدير وجوده محال فإن الشأن في هذه المقدمة فمن أين يعلم أنه لا يلزم من تقدير وجوده محال والمحال هنا أعم من المحال لذاته أو لغيره والإمكان الذهني حقيقته عدم العلم بالامتناع وعدم العلم بالامتناع لا يستلزم العلم بالإمكان الخارجي بل يبقى الشيء في الذهن غير معلوم الامتناع ولا معلوم الإمكان الخارجي وهذا هو الإمكان الذهني فالمهلاك سبحانه وتعالى لم يكتف في بيان إمكان المعاد بهذا إذ يمكن أن يكون الشيء ممتنعا ولو لغيره وإن لم يعلم الذهن امتناعه بخلاف الإمكان الخارجي فإنه إذا علم بطل أن يكون ممتنعا والإنسان يعلم الإمكان الخارجي تارة بعلمه بوجود الشيء وتارة بعلمه بوجود نظيره وتارة بعلمه بوجود ما هو أبلغ منه فإن وجود الشيء دليل على أن ما هو دونه أولى بالإمكان منه ثم إنه إذا بين كون الشيء ممكنا فلا بد من بيان قدرة الرب عليه وإلا ف مجرد العلم بإمكانه لا يكفي في إمكان وقوعه إن لم تعلم قدرة الرب على ذلك فبين سبحانه هذا كله بمثل قوله ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعِي بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْبِي الْمُؤْمَنَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ الأحقاف³³ فإنه من المعلوم ببداية العقول أن خلق السموات والأرض أعظم من خلق أمثل

بني آدم والقدرة عليه أبلغ وأن هذا الأيسر أولى بالإمكان والقدرة من ذلك

وكذلك ما استعمله سبحانه في تزييه وتقديسه عما أضافوه إليه من الولادة سواء سموها حسية أو عقلية كما تزعمه النصارى من تولد الكلمة التي جعلوها جوهر الابن منه وكما تزعمه الفلاسفة الصابئون من تولد العقول العشرة والنفوس الفلكية التسعة التي هم مضطربون فيها هل هي جواهر أو أعراض وقد يجعلون العقول بمنزلة الذكور والنفوس بمنزلة الإناث ويجعلون ذلك آباءهم وأمهاتهم وألتهم وأربابهم القريبة وعلمهم بالنفوس أظهر لوجود الحركة الدورية الدالة على الحركة الإرادية الدالة على النفس المحركة لكن أكثرهم يجعلون النفس الفلكية عرضا لا جواهرا قائما بنفسه وذلك شبيه بقول مشركي العرب وغيرهم الذين جعلوا له بنين وبنت قال تعالى **{وَجَعَلُوا لِلّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقُهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ}**⁵⁵ الأنعام 100

بين القرآن أنهم أخطأوا طريق القياس في العلة والتولد

*فإن اسم الملائكة والملك يتضمن أنهم رسول الله كما قال تعالى **{جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا}** فاطر 1 فالملائكة رسول الله في تنفيذ أمره الكوني الذي يدبر به السموات والأرض وأمره الديني الذي تنزل به الملائكة فإنه قال **{اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ}** الحج 75 وملائكة الله لا يحصي عددهم إلا الله ومن المعلوم أن الملائكة لهم من العلوم والأحوال والإرادات والأعمال ما لا يحصيه إلا ذو الجلال ووصفهم في القرآن بالتسبيح والعبادة الله أكثر من أن يذكر هنا وفي الصحيحين عن

⁵⁵مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 301

جابر بن سمرة عن النبي قال ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها قال يتمنون الصفة الأولى ويترافقون في الصفة وفي الصحيحين عن قتادة عن أنس عن مالك بن صعصعة في حديث المراجعة عن النبي لما ذكر صعوده إلى السماء السابعة قال فرفع لي البيت المعمور فسألت جبريل فقال هذا البيت المعمور يصلى فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا لم يعودوا آخر ما عليهم وقال البخاري وقال همام عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة عن النبي أنه قال إذا أمن القارئ فأمنوا فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه وفي الرواية الأخرى في الصحيحين إذا قال أمين فإن الملائكة الملائكة في السماء تقول أمين وفي الصحيح أيضاً عن صالح عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رسول الله قال إذا قال الإمام سمع الله لمن حمده فقولوا اللهم ربنا ولک الحمد فإنه من وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه وفي الصحيح عن عروة عن عائشة زوج النبي أنها سمعت رسول الله يقول أن الملائكة تنزل في العنان وهو السحاب فتنظر الأمر قضى في السماء فتشترق الشياطين السمع فتسمعه فتوحيه إلى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي قال أن الله ملائكة سيارة فضلاء يتبعون مجالس الذكر فإذا وجدوا مجلساً فيه ذكر قدعوا معهم وحف بعضهم بعضاً بأجنحتهم حتى يملؤوا ما بينهم وبين السماء الدنيا فإذا تفرقوا عرجوا وصعدوا إلى السماء فيسألهم الله وهو أعلم من أين جئتم فيقولون جئنا من عند عباد لك في الأرض يسبحونك ويكتبونك ويهللونك ويحمدونك ويسألونك قال وما يسألوني قالوا يسألونك جنتك قال وهل رأوا جنتي قالوا لا أي رب قال فكيف لو رأوا جنتي قالوا ويستجيرونك قال ومم يستجيرونني قالوا من نارك قال وهل رأوا ناري قالوا يا رب لا قال فكيف لو رأوا ناري قالوا ويستغفرونك قال فيقول قد غرفت لهم وأعطيتهم ما سألهوا وأجرتهم مما استجاروا قال يقولون رب فيهم فلان عبد خطاء إنما من فجلس معهم قال فيقول وله قد

غرت هم القوم لا يشقى بهم جليسهم وفي الصحيحين عن عروة عن عائشة حدثه أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد قال لقد لقيت من قومك ما لقيت وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبنني إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظللتني فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال يا محمد فقال ذلك فيما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً وأمثال هذه الأحاديث الصحاح مما فيها ذكر الملائكة الذين في السموات وملائكة الهواء والجبال وغير ذلك كثيرة وكذلك الملائكة المتصرفون في أموربني آدم مثل قوله في الحديث المتفق عليه حديث الصادق المصدوق إذ يقول ثم يبعث إليه الملك فيؤمر بأربع كلمات فيقال اكتب رزقه وأجله وشقي أو سعيد ثم ينفح فيه الروح وفي الصحيح حديث البراء بن عازب قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لحسان اهganهم أو هاجهم وجبريل معك وفي الصحيح أيضاً أن النبي قال له أجب عنِّي اللهم أيده بروح القدس وفي الصحيح عن أنس قال كأني أنظر إلى غبار ساطع في سكة بنى غنم موكب جبريل وفي الصحيحين عن عائشة أن الحارت بن هشام قال يا رسول الله كيف يأتيك الوحي قال أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشدك على فيفضم عنِّي وقد وعيت ما قال وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعاني ما يقول وإنما جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم تارة في صورة أعرابي وتارة في صورة دحية الكلبي ومخاطبته وإقراره إياه كثيراً أعظم من أن يذكر هنا وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال قال النبي يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في

صلوة الفجر والعصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم
وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم وهم يصلون
وأتيناهم وهم يصلون وفي الصحيحين عن عائشة قالت
حشوت للنبي وسادة فيها تماثيل لأنها نمرة فقام وجعل
يتغير وجهه فقلت ما لنا يا رسول الله قال ما بال هذه الوسادة
قالت وسادة جعلتها لك لتضطبع عليها قال أما علمت أن
الملائكة لا تدخل بيتك فيه صورة إن من صنع الصور يعذب يوم
القيمة يقال أحيا ما خلقتم وفي الصحيحين عن ابن عباس قال
سمعت أبي طلحة يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول لا تدخل الملائكة بيتك فيه كلب ولا صورة تماثيل وكذلك في
الصحيحين عن عبد الله بن عمر قال وعد النبي جبريل فقال إنا لا
ندخل بيتك فيه كلب ولا صورة وفي الصحيحين عن أبي هريرة
عن النبي قال إن الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه
الذي صلى فيه اللهم اغفر له اللهم ارحمه ما لم يحدث وأمثال
هذه النصوص التي يذكر فيها من أصناف الملائكة وأوصافهم
وأفعالهم ما يمنع أن تكون على ما يذكرون من العقول والنفوس
أو أن يكون جبريل هو العقل الفعال وتكون ملائكة الآدميين هي
القوى الصالحة والشياطين هي القوى الفاسدة كما يزعم هؤلاء
وأيضاً فزعمهم أن العقول والنفوس التي جعلوها الملائكة
وزعموا أنها معلولة عن الله صادرة عن ذاته صدور المعلول
عن عنته هو قول بتولدها عن الله وأن الله ولد الملائكة وهذا مما
رده الله ونزع نفسه عنه وكذب قائله وبين كذبه بقوله { لَمْ يَلِدْ
وَلَمْ يُوْلَدْ } 3 { وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ } 4 { الْإِخْلَاصُ } 4-3 تعالى
{ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْحِنْ وَخَلَقُهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ
بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ } الأئمَّةُ 100 فأخبر أنهم
معبدون أي مذللون مصرفون مدینون مقهورون ليسوا كالمعلول
المتولد تولدا لازما لا يتصور أن يتغير عن ذلك وأخبر أنهم عباد
للله لا يشبهون به كما يشبه المعلول بالعلة والولد بالوالد كما
يزعمه هؤلاء الصابئون وقال تعالى { وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا }

سُبْحَانَهُ بِلَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَهُ فَإِنَّهُنَّ {116}
 بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ
 فَيَكُونُ {117} الْبَقْرَةُ 117-118 فَأَخْبَرَ أَنَّهُ يَقْتَضِي كُلَّ شَيْءٍ
 بِقَوْلِهِ كُنْ لَا بِتَوْلِدِ الْمَعْلُولِ عَنْهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى {وَجَعَلُوا اللَّهَ}
 شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقُوهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ
 وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ {100} بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّهُ يَكُونُ
 لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَّهُ صَاحِبٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ
 عَلِيمٌ {101} الْأَنْعَامُ 100-101 فَأَخْبَرَ أَنَّ التَّوْلِدَ لَا يَكُونُ إِلَّا

عَنْ أَصْلِينَ كَمَا تَكُونُ النَّتْيَاجَةُ عَنْ مَقْدِمَتِينَ وَكَذَلِكَ سَائِرُ
 الْمَعْلُولَاتِ الْمَعْلُومَةُ لَا يَحْدُثُ الْمَعْلُولُ إِلَّا بِاقْتِرَانِ مَا تَنْتَهِي بِهِ الْعَلَةُ
 فَأَمَّا الشَّيْءُ الْوَاحِدُ وَحْدَهُ فَلَا يَكُونُ عَلَةً وَلَا وَالْدَّاْقَطُ لَا يَكُونُ
 شَيْءًا فِي هَذَا الْعَالَمِ إِلَّا عَنْ أَصْلِينَ وَلَوْ أَنَّهُمَا الْفَاعِلُ وَالْقَابِلُ
 كَالنَّارِ وَالْحَطَبِ وَالشَّمْسِ وَالْأَرْضِ فَأَمَّا الْوَاحِدُ وَحْدَهُ فَلَا يَصْدِرُ
 عَنْهُ شَيْءًا وَلَا يَتَوْلِدُ فَبَيْنَ الْقُرْآنِ أَنَّهُمْ أَخْطَلُوا طَرِيقَ الْقِيَاسِ
 فِي الْعَلَةِ وَالتَّوْلِدِ حِيثُ جَعَلُوا الْعَالَمَ يَصْدِرُ عَنْهُ بِالْتَّعْلِيلِ وَالتَّوْلِدِ

وَكَذَلِكَ قَالَ {وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}
 الْذَّارِيَاتُ 49 خَلَفَ قَوْلَهُمْ إِنَّ الصَّادِرَ عَنْهُ وَاحِدٌ وَهَذَا وَفَاءٌ
 بِمَا ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ قَوْلِهِ {وَلَا يَأْتُونَكَ بِمِثْلٍ إِلَّا جِنْنَاكَ بِالْحَقِّ
 وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا} الْفَرْقَانُ 33 إِذْ قَدْ تَكَفَلَ بِذَلِكَ فِي حَقِّ كُلِّ مِنْ

خرج عن اتباع الرسول

فَقَالَ تَعَالَى (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ
 تَذَكِّرًا} الْفَرْقَانُ 1 فَذَكَرَ الْوَحْدَانِيَّةُ وَالرَّسَالَةُ إِلَى قَوْلِهِ {وَيَوْمَ
 يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدِيهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ
 سَبِيلًا} 27 {يَا وَيْلَتِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخَذْ فُلَانًا خَلِيلًا} 28 لَقَدْ أَضَلَّنِي
 عَنِ الدِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ
 خَدُولًا} 29 الْفَرْقَانُ 27-29 فَكُلُّ مِنْ خَرَجَ عَنْ اتِّبَاعِ الرَّسُولِ
 فَهُوَ ظَالِمٌ بِحَسْبِ ذَلِكَ وَالْمُبَتَدِعُ ظَالِمٌ بِقَدْرِ مَا خَالَفَ مِنْ سُنْتِهِ
 وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا} 30

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًّا
 وَنَصِيرًا {31} وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نَزَّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً
 وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِتَبَثَّ بِهِ فُؤَادُكَ وَرَتَنَاهُ تَرْتِيلًا {32} وَلَا يَأْتُونَكَ
 بِمِثْلِ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَقْسِيرًا {33} الفرقان 30-33
 وَهُؤُلَاءِ الصَّابِئَةِ قَدْ أَتَوْا بِمِثْلِهِ وَهُوَ قَوْلُهُمُ الْوَاحِدُ لَا يَصْدِرُ عَنْهُ
 وَيَتَوَلَّهُ عَنْهُ إِلَّا وَاحِدٌ وَالرَّبُّ وَاحِدٌ فَلَا يَصْدِرُ عَنْهُ إِلَّا وَاحِدٌ يَتَوَلَّهُ
 عَنْهُ فَأَتَى اللَّهُ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَقْسِيرًا وَبَيْنَ أَنَّ الْوَاحِدَ لَا يَصْدِرُ عَنْهُ
 شَيْءٍ وَلَا يَتَوَلَّهُ عَنْهُ شَيْءٍ أَصْلًا وَأَنَّهُ لَمْ يَتَوَلَّهُ عَنْهُ شَيْءٍ وَلَمْ
 يَصْدِرُ عَنْهُ شَيْءٍ وَلَكِنْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقًا وَأَنَّهُ خَلَقَ مِنْ كُلِّ
 شَيْءٍ زَوْجِينَ اثْتَيْنِ وَلِهَذَا قَالَ مَجَاهِدٌ وَذَكَرَهُ الْبَخَارِيُّ فِي
 صَحِيحِهِ فِي الشِّفْعَةِ وَالْوَتَرِ أَنَّ الشِّفْعَةَ هُوَ الْخَلْقُ فَكُلُّ مُخْلوقٍ لَهُ
 نَظِيرٌ وَالْوَتَرُ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا شَبِيهَ لَهُ فَقَالَ {أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ}
 وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً } الْأَنْعَامُ 101 وَذَلِكَ أَنَّ الْآثارَ الصَّادِرَةَ
 عَنِ الْعُلُلِ وَالْمُتَوَلِّدَاتِ فِي الْمُوْجُودَاتِ لَا بُدُّ فِيهَا مِنْ شَيْئَيْنِ
 أَحَدُهُمَا يَكُونُ كَالْأَبِ وَالْأَخْرُ يَكُونُ كَالْأُمِّ الْقَابِلَةِ وَقَدْ يَسْمُونَ ذَلِكَ
 الْفَاعِلَ وَالْقَابِلَ كَالشَّمْسِ مَعَ الْأَرْضِ وَالنَّارِ مَعَ الْحَطَبِ فَأَمَا
 صَدُورُ شَيْءٍ وَاحِدٌ عَنْ شَيْءٍ وَاحِدٍ فَهُذَا لَا وَجُودٌ لَهُ فِي الْوَجُودِ
 أَصْلًا وَأَمَّا تَشْبِيهُهُمْ ذَلِكَ بِالشَّعَاعِ مَعَ الشَّمْسِ وَبِالصَّوْتِ
 كَالْطَّنَيْنِ مَعَ الْحَرْكَةِ وَالنَّقْرِ فَهُوَ أَيْضًا حَجَةُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ
 عَلَيْهِمْ وَذَلِكَ أَنَّ الشَّعَاعَ إِنْ أَرِيدَ بِهِ نَفْسًا مَا يَقُومُ بِالشَّمْسِ فَذَلِكَ
 صَفَةٌ مِنْ صَفَاتِهَا وَصَفَاتِ الْخَالِقِ لَيْسَتْ مُخْلُوقَةً وَلَا هِيَ مِنْ
 الْعَالَمِ الَّذِي فِيهِ الْكَلَامُ وَإِنْ أَرِيدَ بِالشَّعَاعِ مَا يَنْعَكِسُ عَلَى
 الْأَرْضِ فَذَلِكَ لَا بُدُّ فِيهِ مِنْ شَيْئَيْنِ وَهُوَ الشَّمْسُ الَّتِي تَجْرِي
 مَجْرِيَ الْأَبِ الْفَاعِلِ وَالْأَرْضِ الَّتِي تَجْرِي مَجْرِيَ الْأُمِّ الْقَابِلَةِ
 وَهِيَ الصَّاحِبَةُ لِلشَّمْسِ وَكَذَلِكَ الصَّوْتُ لَا يَتَوَلَّ إِلَّا عَنِ
 جَسَمَيْنِ يَقْرَعُ أَحَدُهُمَا الْآخَرُ أَوْ يَقْلِعُ عَنْهُ فَيَتَوَلَّ الصَّوْتُ الْمُوْجُودُ
 فِي أَجْسَامِ الْعَالَمِ عَنِ أَصْلَيْنِ يَقْرَعُ أَحَدُهُمَا الْآخَرُ أَوْ يَقْلِعُ عَنْهُ
 فَمِمَّا احْتَجُوا بِهِ مِنْ الْقِيَاسِ فَالَّذِي جَاءَ اللَّهُ بِهِ هُوَ الْحَقُّ وَأَحْسَنُ
 تَقْسِيرًا وَأَحْسَنُ بَيَانًا وَإِيْضًا حَلْقَ وَكَشْفًا لَهُ وَأَيْضًا فَجَعَلُهَا

علة تامة لما تحتها ومؤكدة له ومحضة له حتى يجعلونها مبادئنا
 ويجعلونها لنا كالأباء والأمهات وربما جعلوا العقل هو الأب
 والنفس هي الأم وربما قال بعضهم الوالدان العقل والطبيعة كما
 قال صاحب الفصوص في قول نوح اغفر لي ولوالدي أي
 من كنت نتيجة عنهما وهما العقل والطبيعة وحتى يسمونها
 الأرباب والآلهة الصغرى ويعبدونها وهو كفر مخالف لما جاءت
 به الرسل وبهذا وصف بعض السلف الصابئة بأنهم يعبدون
 الملائكة وكذلك في الكتب المعرفة عن قدمائهم أنهم كانوا
 يسمونها الآلهة والأرباب الصغرى كما كانوا يعبدون الكواكب
 أيضا القرآن ينفي أن تكون أرباباً أو أن تكون آلهة ويكون
 لها غير ما للرسول الذي لا يفعل إلا بعد أمر مرسليه ولا يشفع إلا
 بعد أن يؤذن له في الشفاعة وقد رد الله ذلك على من زعمه من
 العرب والروم وغيرهم من الأمم فقال تعالى {وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ
 تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّنَ أَرْبَابًا أَيَّامُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ
 مُسْلِمُونَ} آل عمران 80 وقال تعالى {وَقَالُوا اتَّخَذُ الرَّحْمَنَ
 وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادُ مُكْرَمُونَ} 26 لا يُسْتَقْوِنَهُ بِالْقُولِ وَهُمْ
 بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ} 27 الأنبياء 26-27 وقال تعالى {قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ
 رَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي
 الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شُرُكٍ وَمَا لَهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ} 22 وَلَا
 تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْهُ إِلَّا لِمَنْ أَذْنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فَرَّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا
 مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ} سباء 22-23 وقد
 تقدم بعض الأحاديث في صعق الملائكة إذا قضى الله بالأمر
 الكوني أو بالوحى الديني

فنفيه سبحانه عن نفسه أن يلد شيئاً اقتضى أن لا يتولد عنه شيء
 ونفيه أن يتخذ ولدا يقتضي أنه لم يفعل ذلك بشيء من خلقه على
 سبيل التكريم وأن العباد لا يصلح أن يتخذ شيئاً منهم بمنزلة الولد
 وهذا يبطل دعوى من يدعى مثل ذلك في المسيح وغيره ومن
 يقول نحن أبناء الله ومن يقول الفلسفة هي التشبه بالإله فإن الولد
 يكون من جنس والده ويكون نظيراً له وإن كان فرعاً له ولهذا

كان هؤلاء القائلون بهذه المعاني من أعظم الخلق قولاً بالتشبيه والتمثيل وجعل الأنداد له والعدل والتسوية ولهذا كانت الفلاسفة الذين يقولون بتصور العقول والنفوس عنه على وجه التولد والتعليق يجعلونها له أنداداً ويتخذونها آلهة وأرباباً بل قد لا يعبدون إلا إياها ولا يدعون سواها ويجعلونها هي المبدعة لما سواها مما تحتها فالحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك (تبارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا) {الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدْرَهُ تَقْدِيرًا} الفرقان ١-٢ فإن هؤلاء {جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلْقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَيْنَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ} {الأنعام ٥٦} ^{٥٦}

* أن الولادة والتولد وكل ما يكون من هذه الألفاظ لا يكون إلا من أصلين و ما كان من المتولد عيناً قائمة بنفسها فلابد لها من مادة تخرج منها و ما كان عرضاً قائماً بغيره فلابد له من محل يقوم به فالأول نفاه بقوله أحد فإن الأحد هو الذي لا كفؤ له و لا نظير فيمتنع أن تكون له صاحبة و التولد إنما يكون بين شيئاً فليقل تعالى {أَنِّي يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} {الأنعام ١٠١} فنفي سبحانه الولد بإمتياز لازمه عليه فإن إنتقاء اللازم يدل على إنتقاء الملزم و بأنه خالق كل شيء و كل ما سواه مخلوق له ليس فيه شيء مولود له ^{٥٧}

^{٥٦} مجموع الفتاوى ج: 4 ص: 127-135

^{٥٧} مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 240-241

انفراده بالملك و علمه بكل شيء يستلزم أن يكون فاعلا بارادته

*قال تعالى {الله ما في السماوات وما في الأرض وإن ثبدواً ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسِبُكُم بِهِ اللهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} البقرة 284 فأخبر تعالى أن ما في السموات وما في الارض ملكه و حده لا يشاركه فيه مشارك و هذا يتضمن انفراده بالملك الحق و الملك العام لكل موجود و ذلك يتضمن توحيد ربوبيته و توحيد إلهيته فتضمن نفي الولد و الصاحبة و الشريك لأن ما في السموات وما في الارض إذا كان ملكه و خلقه لم يكن له فيهم ولد و لا صاحبة و لا شريك وقد استدل سبحانه بعين هذا الدليل في سورة الأنعام و سورة مريم فقال تعالى {بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ} الأنعام 101 وقال تعالى في سورة مريم {وَمَا يَبْغِي لِرَحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا} 92 {إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنَ عَبْدًا} 93 مريم 92-93 و يتضمن ذلك أن الرغبة و السؤال و الطلب و الافتقار لا يكون إلا إليه و حده إذ هو المالك لما في السموات والارض⁵⁸

*فليس في الوجود واحد يفعل وحده إلا الله وحده قال تعالى {وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقَنَا زَوْجَيْنَ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} الذاريات 49 قال مجاهد وغيره تذكرون فتعلمون ان خالق الارواح واحد قال تعالى {أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيهِ} {بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيهِ} الأنعام 101 فنفي التولد عنه لامتناع التولد من شيء واحد وأن التولد إنما يكون بين اثنين وهو سبحانه لا صاحبة له وأيضا فانه

⁵⁸ مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 130-131

خلق كل شئ و خلقه لكل شئ ينافق ان يتولد عنه شئ وهو بكل شئ عليم و علمه بكل شئ يستلزم ان يكون فاعلا بارادته فان الشعور فارق بين الفاعل بالارادة والفاعل بالطبع فيمتنع مع كونه عالما ان يكون كالامور الطبيعية التي يتولد عنها الاشياء بلا شعور كالحرار والبارد فلا يجوز إضافة الولد اليه بوجه سبحانه قال تعالى { وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءِ الْجِنِّ وَخَلْقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ }¹⁰⁰ { بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ }¹⁰¹ الانعام 100-101

والذين قالوا إن العقول والآنفوس صدرت عنه خرقوا له البنين وبنات بغير علم فان اولئك لم يكونوا يجعلون شيئاً من البنين والبنات مبدعة لكل ما سواه وهؤلاء يجعلون احد البنين وهو العقل أبدع كل ما سواه ويجعلون العقل كالذكر والنفس كالاثني وهذا مما صرحا به وكانت العرب تقر بأنه خلق السموات والارض وأحدثهما بعد أن لم تكونا ولم يكونوا يقولون إنها قديمة أزلية معه لم تزل معه وهذا مبسوط في موضع آخر⁵⁹

بيان بطلان دعوى النصارى

*أن خواص النصارى وعلماءهم مع تجويزهم أن يقال أن المسيح ابن الله يلزمهم أن تكون مريم صاحبة الله وامرأته كما قال ذلك من يغلو منهم ومنهم من يجعل مريم إليها مع الله كما جعل المسيح إليها فإن قالوا بذلك جعلوا الله صاحبة ولدا وجعلوا المسيح بن مريم وأمه الإلهين من دون الله كما فعل ذلك من فعله منهم فإنهم يعبدون مريم ويدعونها بما يدعون به الله سبحانه والمسيح ويجعلونها إليها كما يجعلون المسيح إليها فيفقولون يا والدة الإله اغفرى لنا وارحمينا ونحو ذلك فيطلبون منها ما

⁵⁹الرد على المنطقين ج: 1 ص: 218-219

يطلبونه من الله عز وجل و منهم من يقول عن مريم إنها صاحبة الله سبحانه وتعالى و بيان لزوم ذلك أن المسيح عندهم إنسان تام وإله تام ناسوت ولاهوت فناسوته من مريم ولاهوته الكلمة القديمة الأزلية وهي الخالق عندهم فالمسيح بين أصلين ناسوت ولاهوت فإذا كان الأب هو الله عندهم والكلمة المولودة عن الأب ابن الله فمعلوم أن اللاهوت لما التحم بالناسوت ليصير منها المسيح ازدوج به وقارنه وهذا معنى الزوجية فكما أنهم قالوا إن الولادة عقلية لا حسية فكذلك الازدواج والنكاح عقلي لا حسي فإن اللاهوت على قولهم ازدوج بناسوت مريم ونكحها نكاحا عقليا وخلق المسيح من هذا و هذا وهم يقولون في الأمانة إن المسيح تجسد من مريم ومن روح القدس فإن فسروا روح القدس بجبريل كما يقوله المسلمون فهو الحق وبطل قولهم لكنهم يقولون روح القدس هو الأقنوم الثالث كما يقولون في الكلمة وهو اللاهوت عندهم فهم قد ذكروا أنه تجسد من الناسوت واللاهوت فيلزموهم على هذا أن يكون المسيح هو الابن وهو روح القدس فيكون أقتنومين لا أقتنوما واحدا وقد تقدم تناقضهم في هذا والمقصود هنا أنهم إذا قالوا إن الرب أو بعض صفاته اتحد بما خلق من مريم فلا بد أن يحصل له اتصال بمريم قبل اتصاله بما خلق منها وذلك هو معنى النكاح والازدواج و عند جمهور النصارى أن مريم ولدت اللاهوت كما ولدت الناسوت وهي أم اللاهوت ويقولون في دعائهما يا والدة الإله واللاهوت الذي ولدته مريم هو عندهم رب العالمين واللاهوت اتحد بالناسوت عندهم من حين خلق الناسوت في بطن مريم لم يحدث بعد الولادة فإذا جاز أن يكون لرب العالمين عندهم أم ولدته بوجه من الوجوه فإمكان أن يكون له صاحبة وزوجة أولى وأخرى وليس في ذلك ما يحيله العقل والشرع إلا وهو لكونها أما لللاهوت أشد إحالة فإن جاز أن يكون اللاهوت أم والأم أصل فلأن يكون له صاحبة هي زوجة ونظير أقرب وأولى فإن من المعلوم أن ولد ذلك

الشيء وهو المتقرع المتولد عنه أنقض بالنسبة إليه من نظيره
فإذا قالوا إن رب العالمين ولدا اتحد بالناسوت هو نظيره
المساوي له في الجوهر وقالوا إن الناسوت أم هذا المسيح الذي
هو الله وهو ابن الله وقالوا إن الناسوت مريم ولد اللاهوت كما
ولد الناسوت ولم يكن هذا عيبا ينزعه الرب عنه فلأن يجعلوها أم
هذا الولد الذي حبلت به واتحد به اللاهوت وهو منها ولدت
اللاهوت صاحبة زوجة للأب أولى وأحرى وإلا فكيف تلد ابنه
الذي هو اللاهوت ولا تكون صاحبته وامرأته وهم يقولون
نحن سمينا علمه مولودا عنه لكونه تولد عنه تولد الكلمة عن
العقل وهذا الولد اتحد بالناسوت فسمينا المجموع ولدا وبهذا
يفرقون بين كون المسيح ابننا وغيره من الأنبياء يسمى ابننا
فإنهم يقولون هؤلاء أبناء بالوضع والمسيح ابن بالطبع أي أولئك
سموا أبناء بمشيئة الرب وقدرته لأنه اصطفاهم والكلمة التي
جعلوها متحدة بالمسيح هي عندهم متولدة عن الله تولدا قدימה
أزليا لا يتعلق بمشيئته وقدرته ولها مولود غير مصنوع
فإن القديم الأزلي مع كونه قائما بذاته لا يكون مصنوعا عند أحد
من العقلاه ولا القائلين بقدم العالم فإذا كانت الكلمة التحدث
بالمسيح المخلوق من مريم والتعمت به فإذا قيل مع ذلك أن القديم
مس المحدث أو لاصقه أو باشره كان أيسر من هذا كله
والمسيح ولد ولادة حادثة عندهم غير الولادة القديمة التي للكلمة
فيلزم أن تكون مريم قد صارت زوجة وامرأة بل نكحت نكاها
حادثا يناسب تلك الولادة المحدثة قال تعالى {إِنَّمَا يَكُونُ لَهُ
وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ
} الأنعام 101 ولهاذا كان الحلول أسهل من الاتحاد فمن قال
إنه حل في جسد المسيح وما شه وبالسره كما يحل الماء في اللبن
كان أهون من يقول إنه اتحد به والتعم به فإذا قيل إن مريم
امرأة القديم وصاحبته وزوجته كان ما في هذا من إثبات مباشرته
لها ومماسته لها واتصاله بها ومهما قدر من اتصال الزوج
بزوجته أهون مما قالوه من اتحاد القديم بالمحدث ومصيره إيه

إما جوهرا واحدا وإما شخصا واحدا وإما مشيئه واحدة ولهذا
 كان كل عاقل يعلم أن النكاح الحسي أسهل من الولادة الحسية
 فالذكر من الحيوان إذا نكح الأنثى فإنما مس الذكر للأنثى لم
 تصر الأنثى متولدة عنه فإذا جوزوا أن يكون للرب القديم الأزلي
 ما يتولد عنه ويتحد به وهو محدث مخلوق فلأن يكون له ما
 يمسه أولى وأحرى وإذا قالوا إن المسيح إنما كان ابن لأن الكلمة
 القديمة التي هي ابن اتحدت به قبل فقد يسمى الناسوت الذي اتحد
 به القديم ابننا عندكم باسم القديم وجعلتموه إليها خالقا فما المانع من
 جعل أم ذلك الناسوت الذي جعلتموه ابن الله صاحبة الله وزوجة
 باعتبار أن القديم الأزلي حصل منه ومنها ما هو ابن القديم
 الأزلي⁶⁰

* يوجد كثير من عوام النصارى يعتقدون أن المسيح ابن الله
 البنوة المعروفة في المخلوقات ويقولون إن مريم زوجة الله وهذا
 لازم لعامة النصارى وإن لم يقولوه فإن الذي يلد لا بد له من
 زوجة ولهذا قال تعالى {بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى
 يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ
 عَلِيمٌ} الأنعام 101 وجعل الرب والد المولود أنكر في العقول
 من إثبات صاحبة له سواء فسرت الولادة بالولادة المعروفة أو
 بالولادة العقلية التي يقولها علماء النصارى فإن من أثبت صاحبة
 له يمكنه تأويل ذلك كما تأولوا هم الولد ويقولون إن الأب ولدت
 منه الكلمة ومريم ولد منها الناسوت واتحد الناسوت باللاهوت
 فكما أن الأب أب باللاهوت لا بالناسوت ومريم أم للناسوت لا
 للاهوت فكذلك هي صاحبة للأب بالناسوت واللاهوت زوج
 مريم بلاهوته كما أنه أب للمسيح بلاهوته وإذا اتحد اللاهوت
 بناسوت المسيح مدة طويلة فلماذا يمتنع أن يجتمع اللاهوت
 بناسوت مريم مدة قصيرة وإذا جعل الناسوت الذي ولدته ابنًا

⁶⁰ الجواب الصحيح ج: 4 ص: 486-491

للاهوت فلاي شيء لا تجعل هي صاحبة وزوجة للاهوت فإن المسيح عندهم اسم لمجموع اللاهوت والناسوت وهو عندهم إلهٌ
 تام وإنسان تام فلاهوته من الله وناسوته من مريم فهو من أصلين
 لاهوت وناسوت فإذا كان أحد الأصلين أباً والآخر أمه فلماذا لا تكون أمه زوجة أبيه بهذا الاعتبار مع أن المصاحبة قبل البنوة
 وكيف يثبت الفرع الملزم بدون ثبوت الأصل اللازم وليس
 في ذلك من المحال على أصلهم إلا ما هو من جنس إثبات بنوة
 المسيح وأقل امتناعاً وإن كان المسيح عليه السلام قال هذا الكلام
 فقد علمنا أن المسيح عليه السلام وغيره من الأنبياء معصومون
 لا يقولون إلا الحق وإذا قالوا قولاً فلا بد له من معنى صحيح
 ويتمتع أن يريدوا بقولهم ما يمتنع بطلانه يسمع أو عقل فإذا كانت
 العقول ونصوص الكتب المتقدمة مع نصوص القرآن تناقض ما
 ابتدعته النصارى في المسيح علم أن المسيح لم يرد معنى باطلاً
 يخالف صريح المعقول وصحيح المنقول⁶¹

أن الله خالق كل شيء وخالق أفعال العباد

* وقال تعالى {ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكَبِيلٌ} الأنعام 102 ذكر نفسه بأنه الخالق ولم يصف قط شيئاً من المخلوقات بهذا لا ملكاً ولا نبياً⁶²

* قوله تعالى {ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ} الأنعام 102 فإنه بهذا يثبت أنه لا قديم إلا الله وأنه كل ما سواه كائن بعد أن لم يكن سواء سمي عقلاً أو نفساً أو جسماً أو غير ذلك⁶³

⁶¹الجواب الصحيح ج: 3 ص: 192-193

⁶²الجواب الصحيح ج: 4 ص: 45

⁶³مجموع الفتاوى ج: 6 ص: 336

* فما خلق شيئاً إلا لحكمة وهو سبحانه قد قال { أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ } السجدة 7 وقال { صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتَقْنَ كُلَّ شَيْءٍ } النمل 88 وليس في اسمائه الحسنى إلا اسم يمدح به ولهذا كانت كلها حسنى والحسنى بخلاف السوائى فكلها حسنة والحسن محبوب ممدوح

فالمعنى بالخلق ما يحبه ويرضاه وذلك أمر ممدوح ولكن قد يكون من لوازمه ذلك ما يريده لأنه من لوازمه ما يحبه ووسائله فإن وجود الملزم بدون اللازم ممتنع كما يمتنع وجود العلم والإرادة بلا حياة ويمتنع وجود المولود مع كونه مولوداً بلا ولادة وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح حديث الإستفباح والخير كله بيديك والشر ليس إليك وقد قيل في تفسيره لا يتقرب به إليك بناء على أنه الأعمال المنهي عنها وقد قيل لا يضاف إليك بناء على أنه المخلوق والشر المخلوق لا يضاف إلى الله مجرداً عن الخير قط وإنما يذكر على أحد وجوه ثلاثة إما مع إضافته إلى المخلوق قوله { من شَرّ مَا خَلَقَ } الفرقان 2 وإما مع حذف الفاعل كقوله تعالى { وَأَنَّا لَا نَذِرِي أَشَرَّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا } الجن 10 ومنه في الفاتحة صراطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ } الفاتحة 7 ذكر الإنعام مضافاً إليه وذكر الغضب محدوداً فاعله وذلك الضلال مضافاً إلى العبد وكذلك قوله { وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ } الشعراة 80 وإنما أن يدخل في العموم كقوله { خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ } الأنعام 102 ولهذا إذا ذكر باسمه الخاص

قرن بالخير كقوله في اسمائه الحسنى الضار النافع المعطى المانع الخافض الرافع المعز المذل فجمع بين الأسمين لما فيه من العموم والشمول الدال على وحدانيته وأنه وحده يفعل جميع هذه الأشياء ولهذا لا يدعى بأحد الإسمين كالضار والنافع والخافض والرافع بل يذكران جمیعاً ولهذا كان كل نعمة منه فضلاً وكل نعمة منه عدلاً وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يمين الله ملائى لا يغضيها نفقة سحاء الليل والنهار أرأيت

ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم يغض ما في يمينه والقسط بيده الأخرى يخفض ويرفع فالإحسان بيده اليمني والعدل بيده الأخرى وكلنا بيده يمين مباركة كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال المقطيون عند الله يوم القيمة عن منابر من نور على يمين الرحمن وكلنا بيده يمين الذي يعدلون في أهليهم وما ولوا ولبسط هذا موضع آخر والمقصود هنا أنه سبحانه إذا خلق ما يبغضه ويكره لحكمه يحبها ويرضاها فهو مرید لكل ما خلقه وإن كان بعض مخلوقاته إنما خلقه لغيره وهو يبغضه ولا يحبه وهذا الفرق بين المحبة والمشيئه هو مذهب السلف وأهل الحديث والفقهاء وأكثر متكلمي ⁶⁴ أهل السنة كالحنفية والكرامية

أن الإرادة نوعان إرادة أن يخلق وإرادة لما أمر به فأما المأمور به فهو مراد إرادة شرعية دينية متضمنة أنه يجب ما أمر به ويرضاها وهذا معنى قولنا يريده من عبده فهو يريده له كما يريده الأمر الناصح للمأمور المنصوح يقول هذا خير لك وأنفع لك وهو إذا فعله أحبه الله ورضيه والمخلوقات مرادة إرادة خلقية كونية وهذه الإرادة متضمنة لما وقع دون ما لم يقع وقد يكون الشيء مرادا له غير محظوظ بل أراده لافتائه إلى وجود ما هو محظوظ له أو لكونه شرطا في وجود ما هو محظوظ له وهذه الإرادة الخلقية هي المذكورة في قوله تعالى {فَمَنْ يُرِيدُ اللَّهَ أَنْ يَهْدِيَ يَسْرَحْ صَدْرَهُ لِإِسْلَامٍ وَمَنْ يُرِيدُ أَنْ يُضْلَلَ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيْقًا حَرَجًا} الأنعام 125 وفي قوله {وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغُويَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ} هود 34 وفي قول المسلمين ما شاء الله كان وما لم يشاً لم يكن وفي قوله {وَلَوْ شِئْنَا لَأَنْتُمْ كُلُّ نُفُسٍ هُدَاهَا} السجدة 13 وأمثال ذلك والإرادة الأمرية هي المذكورة في قوله {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ

الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بَكُمُ الْعُسْرَ } البقرة 185 وفي قوله { يُرِيدُ اللَّهُ لِبَيْنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَّ الدِّينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلَيْهِ حَكِيمٌ } 26 { وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الدِّينَ يَتَبَعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا } 27 { يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخْفِي عَنْكُمْ وَخُلُقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا } 28 { النساء 26-28 وفي قوله { مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكُنْ يُرِيدُ لِيُطْهَرَكُمْ وَلَيُتَمِّمَ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ } المائدة 6 وأمثال ذلك وإذا قيل الأمر هل يستلزم الإرادة أم يأمر بما لا يريد قيل هو لا يستلزم الإرادة الأولى وهي إرادة الخلق فليس كل ما أمر الله به أراد أن يخلقه وأن يجعل العبد المأمور فاعلا له والقدرة تتفى أن يريد ذلك لأنه عندهم لا يجعل أحدا فاعلا ولا يخلق فعل أحد وأما أهل السنة فعندهم هو الذي جعل الأبرار أبرارا والمسلمين مسلمين وعندهم من أمره وجعله فاعلا للمأمور صار فاعلا له وإن لم يجعله فاعلا له لم يصر فاعلا له فأهل الإيمان والطاعة أراد منهم إيمانهم وطاعتكم أمرا وخلقها فأمرهم بذلك وأعانتهم عليه وجعلهم فاعلين لذلك ولو لا إعانته لهم على طاعته لما أطاعوه وأهل الكفر والمعصية أمرهم ولم يجعلهم مطيعين فلم يرد أن يخلق طاعتهم لكنه أمرهم بها وأرادها منهم إرادة شرعية دينية لكونها منفعة لهم ومصلحة إذا فعلوها ولم يرد هو أن يخلقها لما في ذلك من الحكمة وإذا كان يحبها بتقدير وجودها فقد يكون ذلك مستلزمًا لأمر يكرهه أو لفوائد ما هو أحب إليه منه ودفعه أحب إليه من حصول ذلك المحبوب فيكون ترك هذا المحبوب لدفع المكروره أحب إليه من وجوده كما أن وجود المكرور المستلزم لوجود المحبوب يجعله مرادا لأجله إذا كان محبته له أعظم من محبته لعدم المكرور الذي هو الوسيلة وليس كل من نصحته بقولك عليك أن تعينه على الفعل الذي أمرته به فالأنبياء والصالحون دائمًا ينصحون الناس ويأمرونهم ويدلونهم على ما إذا فعلوه كان صلحا لهم ولم يعاونونهم على أفعالهم وقد يكونون قادرين لكن مقتضى حكمتهم أن لا يفعلوا ذلك لأسباب متعددة والرب تعالى

على كل شيء قادر لكن ما من شيء إلا وله ضد ينافيه وله لازم
 لا بد منه فيمتنع وجود الضدين معاً أو وجود الملزم بدون
 اللازم كل من الضدين مقدور لله والله قادر على أن يخلقه لكن
 بشرط عدم الآخر فاما وجود الضدين معاً فممتنع لذاته فلا يلزم
 من كونه قادراً على كل منهما وجود أحدهما مع الآخر
 والعباد قد لا يعلمون التنافي أو التلازم فلا يكونون عالمين
 بالامتناع فيظنوه ممكناً الوجود مع حصول المحبوب المطلوب
 للرب وفرق بين العلم بالإمكان وعدم العلم بالإمتناع وإنما عندهم
 عدم العلم بالإمتناع لا العلم بالإمكان وعدم لا فاعل له فأتوا من
 عدم علمهم وهو الجهل الذي هو أصل الكفر وهو سبحانه إذا
 اقتصت حكمته خلق شيء فلا بد من خلق لوازمه ونفي أضداده
 فإذا قال القائل لم لم يجعل معه الصد المنافي أو لم وجد اللازم
 كان لعدم علمه بالحقائق وهذا مثل أن يقول القائل هلا خلق
 زيداً قبل أبيه فيقال له يمتنع أن يكون ابنه ويخلق قبله أو
 يخلق حتى يخلق أبوه والناس تظير لهم الحكمة في كثير من
 تفاصيل الأمور التي يتذمرونها كما تظهر لهم الحكمة في ملوحة
 ماء العين وعدوبة ماء الفم ومرارة ماء الأذن وملوحة ماء البحر
 وذلك يدلهم على الحكمة فيما لم يعلموا حكمته فإن من رأى إنساناً
 بارعاً في النحو أو الطب أو الحساب أو الفقه وعلم أنه أعلم منه
 بذلك إذا أشكل عليه بعض كلامه فلم يفهمه سلم ذلك إليه
 فرب العالمين الذي بهرت العقول حكمته ورحمته الذي أحاط
 بكل شيء علماً وأحصى كل شيء عدداً وهو أرحم الراحمين
 وأحكم الحكمين وأرحم بعباده من الوالدة بولدها كيف لا يجب
 على العبد أن يسلم ما جعله من حكمته إلى ما علمه منها⁶⁵

*ففي القرآن من الآيات المبينة أن الله خالق أفعال العباد وأنه هو
الذي يقلب قلوب العباد فيهدي من يشاء ويضل من يشاء وأنه هو

⁶⁵ منهاج السنة النبوية ج: 5 ص: 413

المنع بالهدى على من أنعم عليه ما يتعدز استقصاؤه في هذه الموضع وكذلك فيه ما يبين عموم خلقه لكل شيء ك قوله {
الله خالقٌ كُلّ شَيْءٍ} الرعد 16 وغير ذلك وفيه ما يبين أنه فعال لما يريد وفيه ما يبين أنه لو شاء لهدى الناس جميعاً وأمثال ذلك مما يطول وصفه⁶⁶

الشر لم يضف إلى الله إلا على أحد و جوه ثلاثة

* كما ثبت في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري وغيره عن شداد بن أوس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال سيد الإستغفار أن يقول العبد لله أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتني و أنا عبدك و أنا على عهدي و وعدك ما استطعت أعود بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي و أبوء بذنبي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنب إلا أنت من قالها إذا أصبح موقفنا بها فمات من يومه دخل الجنة و من قالها إذا أمسى موقفنا بها فمات من ليلته دخل الجنة و في هذا الحديث قوله أبوء لك بنعمتك علي و أبوء بذنبي و من نعمه على عبده المؤمن ما ييسر له من الإيمان و الحسنات فإنها من فضله و إحسانه و رحمته و حكمته و سينات العبد من عدله و حكمته إذ كل نعمة منه فضل و كل نعمة منه عدل و هو لا يسأل عما يفعل لكمال حكمته و رحمته و عدله لا لمجرد قهره و قدرته كما يقوله جهم و أتباعه و قد بسط الكلام على هذا و بين حقيقة قوله و الخير بيديك و الشر ليس إليك و إن كان خالق كل شيء و بين أن الشر لم يضف إلى الله في الكتاب و السنة إلا على أحد و جوه ثلاثة إما بطريق العموم كقوله {الله خالقٌ كُلّ شَيْءٍ} الزمر 62 و أما بطريقة إضافته إلى السبب كقوله {مِنْ شَرٍّ مَا خَلَقَ} الفرق 2 وإما أن يحذف فاعله كقول الجن {وَأَنَّا لَا نَتَرِي أَشَرُّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي

⁶⁶ منهاج السنة النبوية ج: 3 ص: 264

الأرضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا } الجن 10 و قد جمع في الفاتحة الأصناف الثلاثة فقال {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } الفاتحة 2 و هذا عام و قال {صِرَاطُ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرَ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ} الفاتحة 7 فحذف فاعل الغضب و قال { وَلَا الضَّالِّينَ } الفاتحة 7 فأضاف الضلال الى المخلوق و من هذا قول الخليل {وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَسْفِينِ} الشعراء 80 و قول الخضر {فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيَّبَهَا } الكهف 79 {فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلُهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا } الكهف 81 { فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغا أَشَدَّهُمَا } الكهف 82 و قد بسط الكلام على حقائق هذه الأمور و بين أن الله لم يخلق شيئا إلا لحكمة قال تعالى {الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ } السجدة 7 و قال { صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتَقْنَ كُلَّ شَيْءٍ } النمل 88 فالمخلوق بإعتبار الحكمة التي خلق لأجلها خير و حكمة و إن كان فيه شر من جهة أخرى فذلك أمر عارض جزئي ليس شرًا محضا بل الشر الذي يقصد به الخير الأرجح هو خير من الفاعل الحكيم و إن كان شرًا لمن قام به و ظن الظان أن الحكمة المطلوبة التامة قد تحصل مع عدمه إنما يقوله لعدم علمه بحقائق الأمور و إرتباط بعضها ببعض فإن الخالق إذا خلق الشيء فلا بد من خلق لوازمه فإن وجود الملزم بدون وجود اللازم ممتنع و لا بد من ترك خلق أضداده التي تنافيه فإن إجتماع الضدين المتنافيين في وقت واحد ممتنع وهو سبحانه على كل شيء قادر لا يستثنى من هذا العموم شيء لكن مسمى الشيء ما تصور و جوده فلما الممتنع لذاته فليس شيئا باتفاق العقلاء⁶⁷

"الخير بيديك و الشر ليس اليك "

*أن الحسنة مضافة إليه لأنه أحسن بها من كل وجه كما تقدم فما من وجه من وجهها إلا و هو يقتضي الإضافة إليه وأما السيئة

67 مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 511-513

فهو إنما يخلقها بحكمة و هي باعتبار تلك الحكمة من احسانه فان
الرب لا يفعل سيئة قط بل فعله كله حسن و حسنات و فعله كله
خير ولهذا كان النبي صلى الله عليه و سلم يقول في دعاء
الاستفتاح و الخير بيديك و الشر ليس اليك فإنه لا يخلق
شرا محسنا بل كل ما يخلقه فيه حكمة هو باعتبارها خير و لكن
قد يكون فيه شر لبعض الناس و هو شر جزئي اضافي فاما شر
كلي أو شر مطلق فالرب منزه عنه و هذا هو الشر الذي ليس اليه
واما الشر الجزئي الاضافي فهو خير باعتبار حكمته و لهذا لا
يضاف الشر إليه مفردا قط بل اما أن يدخل في عموم المخلوقات
كقوله **{ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ }****الأنعام 101** **{ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ }**
{ الفرقان 2 واما أن يضاف الى السبب كقوله **{ مِنْ شَرِّ مَا**
خَلَقَ }**الفرقان 2** واما أن يحذف فاعله كقول الجن **{ وَأَنَا لَا**
نَذَرِي أَشَرًّا أَرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَشَدًا }
{ الجن 10 وهذا الموضع ضل فيه فريقان من الناس الخائضين
في القدر بالباطل فرقة كذبت بهذا و قالت انه لا يخلق أفعال
العباد و لا يشاء كل ما يكون لأن الذنوب قبيحة و هولا يفعل
القبيح و ارادتها قبيحة و هولا يريد القبيح و فرقة لما رأت أنه
خلق هذا كله و لم تؤمن أنه خلق هذا لحكمة بل قالت إذا كان
يخلق هذا فيجوز أن يخلق كل شر و لا يخلق شيئا لحكمة وما ثم
فعل تنزعه عنه بل كل ما كان ممكنا جاز أن يفعله و جوزوا أن
يأمر بكل كفر و معصية و ينهى عن كل ايمان و طاعة و صدق
و عدل و أن يعذب الأنبياء و ينعم الفراعنة و المشركين و غير
ذلك و لم يفرقوا بين مفعول و مفوعول و هذا منكر من القول و
زور كالاول قال تعالى **{ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ**
نَجْعَلُهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءٌ مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ
سَوَاءٌ مَا يَحْكُمُونَ }**الجاثية 21** و قال تعالى **{ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ**
كَالْمُجْرِمِينَ }**35** **{ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ }****36** **{ القلم 35-36** و
قال تعالى **{ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ**
فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُنَّقِّيْنَ كَالْفَجَّارِ }**ص 28** و نحو ذلك مما

يوجِبُ أَنْ يُفْرَقَ بَيْنَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ وَبَيْنَ الْمُحْسِنِ وَالْمُسِيءِ وَأَنْ مِنْ جُوزِ عَلَيْهِ التَّسْوِيَةِ بَيْنَهُمَا فَقَدْ أَتَى بِقُولِ الْمُنْكَرِ وَزُورِ يَنْكِرِ عَلَيْهِ وَلَيْسَ إِذَا خَلَقَ مَا يَتَأْذِي بِهِ بَعْضُ الْحَيَّانِ لَا يَكُونُ فِيهِ حِكْمَةٌ بَلْ فِيهِ مِنَ الْحِكْمَةِ وَالرَّحْمَةِ مَا يَخْفِي عَلَى بَعْضِهِمْ مَا لَا يَقْدِرُ قَدْرَهِ إِلَّا اللَّهُ وَلَيْسَ إِذَا وَقَعَ فِي الْمَخْلوقَاتِ مَا هُوَ شَرُّ جُزْئٍ بِالاضْفَافَ يَكُونُ شَرًا كُلِّيًّا عَامًا بَلِ الْأَمْرُ الْعَامَةُ الْكُلِّيَّةُ لَا تَكُونُ إِلَّا خَيْرًا وَمَصْلَحةً لِلْعَبَادِ كَالْمَطْرُ الْعَامُ وَكَارِسَالِ رَسُولِ عَامٍ وَهَذَا مَا يَقْتَضِي أَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يُؤْيِدَ اللَّهُ كَذَابًا عَلَيْهِ بِالْمَعْجَزَاتِ الَّتِي أَيَّدَ بِهَا أَنْبِيَاءَ الْصَادِقِينَ فَإِنْ هَذَا شَرُّ عَامٍ لِلنَّاسِ يَضْلِلُهُمْ وَيَفْسُدُ عَلَيْهِمْ دِيَنَهُمْ وَدِينَاهُمْ وَآخِرَتِهِمْ وَلَيْسَ هَذَا كَالْمَلْكُ الظَّالِمُ وَالْعُدُوُّ فَإِنَّ الْمَلْكَ الظَّالِمَ لَابْدَ أَنْ يَدْفَعَ اللَّهَ بِهِ مِنَ الشَّرِّ أَكْثَرَ مِنْ ظُلْمِهِ وَقَدْ قِيلَ سَوْنَ سَنَةً بِالْمَامِ ظَالِمٌ خَيْرٌ مِنْ لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ بِلَا إِمَامٍ وَإِذَا قَدْرَ كُثْرَةِ ظُلْمِهِ فَذَاكَ ضَرَرٌ فِي الدِّينِ كَالْمُصَائبِ تَكُونُ كَفَارَةً لِذُنُوبِهِمْ وَيَتَابُونَ عَلَيْهَا وَيَرْجِعُونَ فِيهَا إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَيَتُوبُونَ إِلَيْهِ وَكَذَلِكَ مَا يُسْلِطُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْعُدُوِّ وَأَمَا مَنْ يَكْذِبُ عَلَى اللَّهِ وَيَقُولُ أَيُّ يَدْعُى أَنَّهُ نَبِيٌّ فَلَوْ أَيَّدَ اللَّهُ تَأْيِيدَ الصَّادِقِ لِلَّزَمَ أَنْ يَسُوءِ بَيْنِهِ وَبَيْنِ الصَّادِقِ فَيُسْتُوِي الْهَدِيُّ وَالضَّلَالُ وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ وَطَرِيقُ الْجَنَّةِ وَطَرِيقُ النَّارِ وَيَرْتَفَعُ التَّمْيِيزُ بَيْنَ هَذَا وَهَذَا وَهَذَا مَا يَوْجِبُ الْفَسَادُ الْعَامُ لِلنَّاسِ فِي دِيَنِهِمْ وَدِينَاهُمْ وَآخِرَتِهِمْ وَلَهُذَا أَمْرُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَتَالِ مَنْ يَقْاتَلُ عَلَى الدِّينِ الْفَاسِدِ مِنْ أَهْلِ الْبَدْعِ كَالْخُوارِجِ وَأَمْرُ بِالصَّبَرِ عَلَى جُورِ الْأَئِمَّةِ وَنَهْيُ عَنْ قَتَالِهِمْ وَالْخُروِجِ عَلَيْهِمْ وَلَهُذَا قَدْ يَمْكُنَ اللَّهُ كَثِيرًا مِنَ الْمُلُوكِ الظَّالِمِينَ مَدَّةً وَأَمَّا الْمُتَبَّئِنُ الْكَذَابِونَ فَلَا يَطِيلُ تَمْكِينَهُمْ بَلْ لَابْدَ أَنْ يَهْلِكُهُمْ لَأَنَّ فَسَادَهُمْ عَامٌ فِي الدِّينِ وَالدِّينَا وَالْآخِرَةِ قَالَ تَعَالَى {وَلَوْ تَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ} {44} لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ {45} ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ {46} الْحَاقَةُ 44-46 وَقَالَ تَعَالَى {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَاءُ اللَّهُ يَخْتِمُ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيَحْقِقُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ

{الشوري 24} فأخبر أنه بتقدير الافتراط لابد أن يعاقب من
افتوى عليه⁶⁸

الاسم تتنوع دلالته بحسب قيوده

*وبين الأئمة أن من جعل شيئاً من المحدثات كأفعال العباد وغيرهما ليس مخلوقاً لله فهو مثل من أنكر خلق الله لغير ذلك من المحدثات كالسماء والأرض فان الله رب العالمين ومالك الملك وخلق كل شيء فليس شيء من العالمين خارجاً عن ربوبيته ولا شيء من الملك خارجاً عن ملكه ولا شيء من المحدثات خارجاً عن خلقه قال تعالى {اللَّهُ خَالقُ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلُ {62} لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} الزمر 62-63 وقال تعالى {بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلْدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} 101 ذكراً لكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وَكِيلُ {102} لَا تُذْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُذْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ الْطَّيِيفُ الْخَيْرُ {103} الأنعام 101-103 ولهذا كان أهل السنة والجماعة والحديث هم المتبعين لكتاب الله المعتقدين لوجب هذه النصوص حيث جعلوا كل محدث من الأعيان والصفات والأفعال المباشرة والمتعلدة وكل حركة طبيعية أو إرادية أو قسرية فان الله خالق كل ذلك جميعه وربه ومالكه ومليكه ووكيل عليه وانه سبحانه على كل شيء قادر وبكل شيء عليم فامنوا بعلمه المحيط وقدره الكاملة ومشيئته الشاملة وربوبيته التامة ولهذا قال ابن عباس الإيمان بالقدر نظام التوحيد فمن وحد الله وأمن بالقدر تم توحيده ومن وحد الله وكذب بالقدر نقض تكذيبه توحيده وأما صفة الله تعالى فهي داخلة في

⁶⁸ مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 265-270 و الحسنة والسيئة ج: 1 ص:

مسمى أسمائه الظاهرة والمضمرة فإذا قلت عبد الله ودعوت الله و إياك نعبد فهذا الاسم لا يخرج عنه شيء من صفاته من علمه ورحمته وكلامه وسائر صفاته ولهذا قال النبي من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت وقال من حلف بغير الله فقد أشرك وقد ثبت عنه الحلف بعزة الله والحلب بقوله لعمر الله فعلم أن ذلك ليس حالفاً بغير الله فأعطوا هذه الآيات المنصوصة حقها في اتباع عمومها الذي قد صرحت به في أن الله خالق كل شيء إذ قد علم أن الله ليس هو داخلاً في المخلوق وعلم أن صفاته ليست خارجة عن مسمى اسمه وأما المعتزلة الذين جمعوا التجهم والقدر فأخرجوا عنها ما يتناوله الاسم يقيناً من أفعال الملائكة والجن والانسان والبهائم طاعاتها وغير طاعاتها وذلك قسط كبير من ملك الله وآياته بل هي من محاسن ملكه وأعظم آياته ومخلوقاته وأدخلوا في ذلك كلامه لكونه يسمى شيئاً في مثل قوله {إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى } الأنعام ٩١ ولم ينظروا في أن ذلك مثل تسمية علمه شيئاً في قوله {وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ } البقرة ٢٥٥ {وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ } البقرة ٢٥٥ وتسمية نفسه شيئاً في قوله {قُلْ أَيُّ شَيْءٌ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بِيَنِي وَبَيْنَكُمْ } الأنعام ١٩ وأن قوله كل شيء يعم بحسب ما اتصل به من الكلام فان الاسم تتبع دلالته بحسب قيوده ففي قوله {وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } البقرة ٢٩ دخل في ذلك نفسه لأنها تصلح أن تعلم وفي قوله {وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } المائدة ١٢٠ دخل في ذلك ما يصلح أن يكون مقدوراً وذلك يتناول كل ما كانت ذاته ممكنة الوجود وقد يقال دخل في ذلك كل ما يسمى شيئاً بمعنى شيئاً فان الشيء في الأصل مصدر وهو بمعنى المتشيء فكل ما يصلح أن يشاء فهو عليه قادر وإن شئت قلت قادر على كل ما يصلح أن يقدر عليه والممتنع لذاته ليس شيئاً باتفاق العقلاء وفي قوله {اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ } الرعد ١٦ قد

علم أن الخالق ليس هو المخلوق وانه لا يتناوله الاسم وإنما دخل فيه كل شيء مخلوق وهي الحادثات جميعها هذا مع أن أهل السنة يقولون أن العبد له مشيئة وقدرة وإرادة وهو فاعل لفعله حقيقة وينهون عن إطلاق الجبر فان لفظ الجبر يشعر أن الله أجبر العبد على خلاف مراد العبد كما تجبر المرأة على النكاح وليس كذلك بل العبد مختار يفعل باختياره ومشيئته ورضاه ومحبته ليس مجبوراً عديم الإرادة والله خالق هذا كله فإن هذه الأمور من المحدثات الممكناة فالدلالة على أن الله خالقها كالدلالة على أنه خالق غيرها من المحدثات⁶⁹

لفظ العبادة يتضمن كمال الذل بكمال الحب

*ولفظ العبادة يتضمن كمال الذل بكمال الحب فلا بد أن يكون العابد محباً للإله المعبد كمال الحب ولا بد أن يكون ذليلاً له كمال الذل فمن أحب شيئاً ولم يذل له لم يبعده ومن خضع له ولم يحبه لم يبعده وكمال الحب والذل لا يصلح إلا لله وحده فهو الإله المستحق للعبادة التي لا يستحقها إلا هو وذلك يتضمن كمال الحب والذل والإجلال والإكرام والتوكيل والعبادة فاللغوس محتاجة إلى الله من حيث هو معبودها ومتنه مرادها وبغيتها ومن حيث هو ربها وخلقها فمن آمن بالله رب كل شيء وخلقه ولم يعبد إلا الله وحده بحيث يكون الله أحب إليه من كل ما سواه وأخشى عنده من كل ما سواه وأعظم عنده من كل ما سواه وأرجى عنده من كل ما سواه بل من سوى بين الله وبين بعض المخلوقات في الحب بحيث يحبه مثل ما يحب الله ويخشأه مثل ما يخشي الله ويرجوه مثل ما يرجو الله ويدعوه مثل ما يدعوه فهو مشرك الشرك الذي لا يغفره الله ولو كان مع ذلك عفيفاً في طعامه ونكاحة وكان حكيمًا شجاعاً⁷⁰

⁶⁹مجموع الفتاوى ج: 12 ص: 329-332

⁷⁰الجواب الصحيح ج: 6 ص: 31

اجماع السلف على ثبات الرؤية بالعين في الآخرة ونفيها في الدنيا

* قال السلف في قوله تعالى { لَأَنْذِرْكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ
الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَيْرُ } الأنعام 103 قالوا لا تحيط به
وقيل لابن عباس رضي الله عنه أليس الله تعالى يقول لا
تدركه الأ بصار قال ألسنت ترى السماء قال بلى قال أفكـلـها ترى
قال لا فذكر أن الله يرى ولا يدرك أي لا يحاط به ونحو ذلك ⁷¹

* قال تعالى { وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ } 22 { إِلَيْهَا نَاظِرَةٌ } 23
القيامة 22-23 وقال تعالى { لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةً }
يونس 26 وقد ثبت في صحيح مسلم عن صهيب عن النبي انه
قال إذا دخل أهل الجنة وأهل النار نادى مناد يا
أهل الجنة إن لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكم ما هو
الم ببيض وجوهنا ويثقل موازيننا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار
قال فيكشف الحجاب فينظرون إليه بما أعطاهم شيئاً أحـبـ إليـهم
من النظر إليه وهي الزيادة وقد استفاض عن النبي في
الصحاب أنه قال أنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة القدر
لا تضامون في رؤيته و ان الناس قالوا يا رسول الله هل
نرى ربنا يوم القيمة قال هل تضامون في رؤية الشمس صـحـوا
ليس دونها سحاب قالوا لا قال فهل تضارون في رؤية القمر
صحوا ليس دونه سحاب قالوا لا قال فانكم سترون ربكم كما
ترون الشمس والقمر فشبه الرؤية بالرؤبة ولم يشبه المرئى

⁷¹ منهاج السنة النبوية ج: 2 ص: 567-568

بالمرأى فان العباد لا يحيطون بالله علما ولا تدركه ابصارهم كما قال تعالى **{لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ** {**الأنعام** 103} وقد قال غير واحد من السلف والعلماء إن الادراك هو الاحاطة فالعباد يرون الله تعالى عيانا ولا يحيطون به فهذا وأمثاله مما أخبر الله به ورسوله⁷²

* وقد جاء حديث رواه ابن أبي حاتم في قوله **{لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ** {**الأنعام** 103} لمعناه شواهد تدل على هذا فينبغي أنا نعتبر الحديث فنطابق بين الكتاب والسنة فهذا هذا والله أعلم قال حدثنا أبو زرعة ثنا منجاب بن الحارث أبا بشر بن عمارة عن أبي روق عن عطية العوفى عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى **{لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ** {**الأنعام** 103} قال لو أن الجن والإنس والشياطين والملائكة منذ خلقوا إلى أن فنوا صدوا صفا واحدا ما أحاطوا بالله أبدا و هذا له شواهد مثل ما في الصحاح في تفسير قوله تعالى **{وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَاتٌ بِيمِينِهِ}** {**الزمر** 67} قال ابن عباس ما السموات السبع والأرضون السبع ومن فيهن في يد الرحمن إلا كخردلة في يد أحدهم و معلوم أن العرش لا يبلغ هذا فإن له حملة و له حول قال تعالى **{الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ}** {**غافر** 7} و هذا قد بسط في موضع آخر في مسألة الإحاطة و غيرها و الله أعلم⁷³

* النزاع في هذه المسألة بين طوائف الإمامية كما النزاع فيها بين غيرهم فالجهمية والمعزلة والخوارج وطائفة من غير الإمامية تتذكرها والإمامية لهم فيها قولان فجمهور قدمائهم يثبت الرواية

⁷² مجموع الفتاوى ج: 11 ص: 481

⁷³ مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 438-439 و مجموع الفتاوى ج: 5 ص:

وجمهور متأخريهم ينفونها وقد تقدم أن أكثر قدمائهم يقولون بالتجسيم قال الأشعري وكل المجسمة إلا نفرا قليلا يقول بإثبات الرؤية وقد يثبت الرؤية من لا يقول بالتجسيم قلت وأما الصحابة والتابعون وأئمة الإسلام المعروفون بالإمامية في الدين كمالك والثوري والأوزاعي واللبيث بن سعد والشافعى وأحمد وإسحاق وأبى حنيفة وأبى يوسف وأمثال هؤلاء وسائر أهل السنة والحديث والطوائف المنتسبين إلى السنة والجماعة كالكلابية والأشعرية والصالمية وغيرهم فهو لاء كلهم متفقون على إثبات الرؤية لله تعالى والأحاديث بها متواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم عند أهل العلم بحديثه وكذلك الآثار بها متواترة عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان وقد ذكر الإمام أحمد وغيره من الأئمة العالمين بأقوال السلف أن الصحابة والتابعين لهم بإحسان متفقون على أن الله يرى في الآخرة بالأبصار ومتتفقون على أنه لا يراه أحد في الدنيا بعينه ولم يتذارعوا في ذلك إلا في نبينا صلى الله عليه وسلم خاصة منهم من نفى رؤيته بالعين في الدنيا ومنهم من أثبتها وقد بسطت هذه الأقوال والأدلة من الجانبين في غير هذا الموضع والمقصود هنا نقل إجماع السلف على إثبات الرؤية بالعين في الآخرة ونفيها في الدنيا إلا الخلاف في النبي صلى الله عليه وسلم خاصة وأنه احتاجه واحتجاج النفاية أيضا بقوله تعالى **{لَا تُنْدِرُ كُهُ الْأَبْصَارُ}** {الأنعام 103} فالآلية حجة عليهم لا لهم لأن الإدراك إما أن يراد به مطلق الرؤية أو الرؤية المقيدة بالإحاطة والأول باطل لأنه ليس كل من رأى شيئا يقال إنه أدركه كما لا يقال أحاط به كما سئل ابن عباس رضي الله عنهما عن ذلك فقال ألسنت ترى السماء قال بلى قال أكلها ترى قال لا ومن رأى جوانب الجيش أو الجبل أو البستان أو المدينة لا يقال إنه أدركها وإنما يقال أدركها إذا أحاط بها رؤية ونحن في هذا المقام ليس علينا بيان ذلك وإنما ذكرنا هذا بيانا لسند المنع بل المستدل بالآلية عليه أن يبين أن الإدراك في لغة العرب مرادف للرؤية وأن كل من

103

فالأية حجة عليهم لا لهم لأن الإدراك إما أن يراد به مطلق الرؤية أو الرؤية المقيدة بالإحاطة والأول باطل لأنه ليس كل من رأى شيئا يقال إنه أدركه كما لا يقال أحاط به كما سئل ابن عباس رضي الله عنهما عن ذلك فقال ألسنت ترى السماء قال بلى قال أكلها ترى قال لا ومن رأى جوانب الجيش أو الجبل أو البستان أو المدينة لا يقال إنه أدركها وإنما يقال أدركها إذا أحاط بها رؤية ونحن في هذا المقام ليس علينا بيان ذلك وإنما ذكرنا هذا بيانا لسند المنع بل المستدل بالآلية عليه أن يبين أن الإدراك في لغة العرب مرادف للرؤية وأن كل من

رأى شيئاً يقال في لغتهم إنه أدركه وهذا لا سبيل إليه كيف وبين لفظ الرؤية ولفظ الإدراك عموم وخصوص أو اشتراكاً لفظي فقد تقع رؤية بلا إدراك وقد يقع إدراك بلا رؤية فإن الإدراك يستعمل في إدراك العلم وإدراك القدرة فقد يدرك الشيء بالقدرة وإن لم يشاهد كالأعمى الذي طلب رجلاً هارباً منه فأدركه ولم يره وقد قال تعالى {فَلَمَّا تَرَاءَى الْجِمَعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ} 61 {قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيِّدِنَا} 62 {الشعراء 61-62} فنفي موسى الإدراك مع إثبات الترائي فعلم أنه قد يكون رؤية بلا إدراك والإدراك هنا هو إدراك القدرة أي ملحوظون محاط بنا وإذا انتفى هذا الإدراك فقد تنتفى إحاطة البصر أيضاً ومما يبين ذلك أن الله تعالى ذكره هذه الآية يمدح بها نفسه سبحانه وتعالى وملعون أن كون الشيء لا يرى ليس صفة مدح لأن النفي الممحض لا يكون مدحاً إن لم يتضمن أمراً ثبوتياً ولأن المدعوم أيضاً لا يرى والمدعون لا يمدح فعلم أن مجرد نفي الرؤية لا مدح فيه وهذا أصل مستمر وهو أن العدم الممحض الذي لا يتضمن ثبوتاً لا مدح فيه ولا كمال فلا يمدح الراب نفسه به بل ولا يصف نفسه به وإنما يصفها بالنفي المتضمن معنى ثبوت قوله {لَا تَأْخُذْهُ سَنَةٌ وَلَا تَوْمٌ} البقرة 255 وقوله {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِأَذْنِهِ} البقرة 255 وقوله {وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا مَا شَاءَ} البقرة 255 وقوله {وَلَا يُؤْودُهُ حَفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ} البقرة 255 وقوله {لَا يَعْزِبُ عَنْهُ مِنْ قَالُ ذَرَّةً فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ} سباء 3 وقوله {وَمَا مَسَّنَا مِنْ لَعْوبٍ} ق 38 ونحو ذلك من القضايا السلبية التي يصف الراب تعالى بها نفسه وأنها تتضمن اتصافه بصفات الكمال الثبوطية مثل كمال حياته وقيوميته وملكه وقدرته وعلمه وهدايته وانفراده بالربوبية والإلهية ونحو ذلك وكل ما يوصف به العدم الممحض فلا يكون إلا عندما محضاً وملعون أن العدم الممحض يقال فيه إنه لا يرى فعلم أن نفي الرؤية عدم محض ولا يقال في العدم الممحض لا يدرك وإنما يقال هذا فيما لا يدرك

لعظمته لا لعدمه وإذا كان المنفي هو الإدراك فهو سبحانه وتعالى لا يحاط به رؤية كما لا يحاط به علما ولا يلزم من نفي إحاطة العلم والرؤية نفي العلم والرؤية بل يكون ذلك دليلا على أنه يرى و يحاط به كما يعلم ولا يحاط به فإن تخصيص الإحاطة بالنفي يقتضي أن مطلق الرؤية ليس بمنفي وهذا الجواب قول أكثر العلماء من السلف وغيرهم وقد روى معناه عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره وقد روى في ذلك حديث مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم ولا تحتاج الآية إلى تخصيص ولا خروج عن ظاهر الآية فلا تحتاج أن نقول لا نراه في الدنيا أو نقول لا تدركه الأ بصار بل المبصرون أو لا تدركه كلها بل بعضها و نحو ذلك من الأقوال التي فيها تكليف ثم نحن في هذا المقام يكفيانا أن نقول الآية تحتمل ذلك فلا يكون فيها دلالة على نفي الرؤية فبطل استدلال من استدل بها على الرؤية وإذا أردنا أن ثبتت دلالة الآية على الرؤية مع نفيها للإدراك الذي هو الإحاطة أقمنا الدلالة على أن الإدراك في اللغة ليس هو مرادها للرؤية بل هو أخص منها وأثبتنا ذلك باللغة وأقوال المفسرين من السلف وبأدلة أخرى سمعية وعقلية من الأشياء ما يرى ومنها ما لا يرى والفارق بينهما لا يجوز أن يكون أموراً عدمية لأن الرؤية أمر وجودي والمرئي لا يكون إلا موجوداً فليس عدمية لا تتعلق بالمعدوم ولا يكون الشرط فيه إلا أمراً وجودياً لا يكون عدمياً وكل ما لا يشترط فيه إلا الوجود دون العدم كان بالوجود الأكمل أولى منه بالأقصى فكل ما كان وجوده أكمل كان أحق بأن يرى وكل ما لم يمكن أن يرى فهو أضعف وجوداً مما يمكن أن يرى فال أجسام الغليظة أحق بالرؤية من الهواء والضياء أحق بالرؤية من الظلام لأن النور أولى بالوجود والظلمة أولى بالعدم والموجود الواجب الوجود أكمل الموجودات وجوداً وأبعد الأشياء عن العدم فهو أحق بأن يرى وإنما لم نره لعجز أبصارنا عن رؤيته لا لأجل امتناع رؤيته كما أن شعاع الشمس أحق بأن يرى من جميع الأشياء ولهذا مثل النبي صلى الله عليه وسلم

رؤية الله به فقال ترون ربكم كما ترون الشمس والقمر شبه
 الرؤية بالرؤبة وإن لم يكن المرئي مثل المرئي ومع هذا فإذا
 حدق البصر في الشعاع ضعف عن رؤيته لا لامتناع في ذات
 المرئي بل لعجز الرائي فإذا كان في الدار الآخرة أكمل الله تعالى
 الآدميين وقواهم حتى أطاقوا رؤيته ولهذا لما تجلى الله عز وجل
 للجبل خر موسى صعقا { فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا
 أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ } الأعراف 143 قيل أول المؤمنين بأنه لا يراك
 حي إلا مات ولا يابس إلا تدهده فهذا للعجز الموجود في
 المخلوق لا لامتناع في ذات المرئي بل كان المانع من ذاته لم
 يكن إلا لنقص وجوده حتى ينتهي الأمر إلى المعدوم الذي لا
 يتصور أن يرى خارج الرائي ولهذا كان البشر يعجزون عن
 رؤية الملك في صورته إلا من أيده الله كما أيد نبينا صلى الله
 عليه وسلم قال تعالى { وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنَّزَنَا
 مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ } الأنعام 8-9 قال غير واحد
 من السلف هم لا يطيقون أن يروا الملك في صورته فلو أنزلنا
 إليهم ملكا لجعلناه في صورة بشر وحينئذ كان يشتبه عليهم هل
 هو ملك أو بشر فما كانوا ينتفعون بإرسال الملك إليهم فأرسلنا
 إليهم بشرا من جنسهم يمكنهم رؤيته والتلقي عنه وكان هذا من
 تمام الإحسان إلى الخلق والرحمة ولهذا قال تعالى { وَمَا صَاحِبُكُمْ
 بِمَجْنُونٍ } التكوير 22⁷⁴

*فإن كل ما يمدح به الرب من النفي فلا بد أن يتضمن ثبوتا بل و
 كذلك كل ما يمدح به شيء من الموجودات من النفي فلابد أن
 يتضمن ثبوتا و إلا فالنفي الممحض معناه عدم محض و العدم
 الممحض ليس بشيء فضلا عن أن يكون صفة كمال وهذا

⁷⁴ منهاج السنة النبوية ج: 2 ص: 315-333

كما يذكره سبحانه مثل قوله {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ} الأنعام 103 الإدراك عند السلف والأكثرین هو الإحاطة و قال طائفة هو الرؤية و هو ضعيف لأن نفي الرؤية عند لا مدح فيه فإن العدم لا يرى و كل و صف يشترک فيه الوجود و العدم لا يستلزم امرا ثبوتیا فلا يكون فيه مدح إذ هو عدم محض بخلاف ما إذا قيل لا يحاط به فإنه يدل على عظمة الرب جل جلاله وإن العباد مع رؤيتهم له لا يحيطون به رؤية كما انهم مع معرفته لا يحيطون به علمًا و كما أنهم مع مدحه و الثناء عليه لا يحيطون ثناء عليه بل هو كما أثني على نفسه المقدسة و لهذا قال أفضل الخلق وأعلمهم لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ⁷⁵ وهذه الأمور مبسوطة في موضع آخر

الرد على الذين ينكرون الرؤية

*قال ابن فورك في كتابه الذي كتبه إلى أبي إسحاق الإسفايني يحكي ما جرى له قال و جرى في كلام السلطان أليس تقول إنه يرى لا في جهة فقلت نعم يرى لا في جهة كما أنه لم يزل يرى نفسه لا في جهة ولا من جهة و يراه غيره على ما يرى و رأى نفسه و الجهة ليست بشرط في الرؤية و قلت أيضا المرئيات المعقولة فيما بيننا هكذا نراها في جهة و محل و القضاء بمجرد المعهود لا يمكن دون السير و البحث لأننا كما لا نرى إلا في جهة و محل كذلك لم نر إلا متلونا ذا قدر و حجم يتحمل المساحة و الثقل و لا يخلو من حرارة و رطوبة أو بيوسة إذا لم يكن عرضا لا يقبل التثنية و التأليف و غير ذلك ومع هذا فلا عبرة بشيء من هذا قال ثم بلغني أن السلطان ذلك اليوم والليلة و الثاني يوم يكرر على نفسه في مجلسه كيف يعقل شيء لا في جهة و ما شغل القلب في أول الأمر و تربى عليه فإن

قلعه صعب و الله المعين غير أنه فرحت الكرامية بما كان منه
فى ذلك فلما رجعت إلى البيت فإذا أنا برقة فيها مكتوب
الأستاذ أدام الله سلامته على مذهبه أن الباري ليس في جهة
فكيف يرى لا في جهة فكتبت خبر الرؤية صحيح و هي
واجبة كما بشرهم النبي صلى الله عليه وسلم وفيه دلالة على أن
الله يرى لا في جهة لأنه صلى الله عليه وسلم قال لا تضامون
في رؤيته و معناه لا تضمكم جهة واحدة في رؤيته فإنه لا في
جهة و كلاما طويلا من كل وجه ملأت ظهر الرقة وبطونها
منه فلما ردت إليه أنفذها إلى حاكم البلد و هو أبو محمد
الناصحي و إستقناه فيما قلته فجمع قوما من الحنفية والكرامية
فكتب هو أعزك الله بأن من قال بأن الله لا يرى في جهة مبتدع
ضال و كتب أبو حامد المعتزلي مثله و كتب إنسان بسطامي
مؤدب في دار صاحب الجيش مثله فردوه عليه فأنفذ غلي ما في
ذلك المحضر الذي فيه خطوطهم و كتب إلى رقة وقال فيها
إنهم كتبوا هكذا فما تقول في هذه الفتوى فقلت إن هؤلاء القوم
يجب أن يسألوا عن مسائل الفقه التي يقال فيها بتقييد العامي
للعالم فأما معرفة الأصول و الفتوى فيها فليس من شأنهم و هم
يقولون إننا لا نحسن ذلك قلت قول هؤلاء إن الله يرى
من غير معاينة و مواجهة قول إنفردوا به دون سائر طوائف
الأمة و جمهور العقلاء على أن فساد هذا معلوم بالضرورة
و الأخبار المتواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم ترد عليهم
قوله في الأحاديث الصحيحة إنكم سترون ربكم كما ترون
الشمس و القمر لا تضارون في رؤيته و قوله لما سأله الناس
هل نرى ربنا يوم القيمة قال هل ترون الشمس صحوها ليس
دونها سحاب قالوا نعم و هل ترون القمر صحوها ليس دونه
سحاب قالوا نعم قال فإنكم ترون ربكم كما ترون الشمس
و القمر فشبه الرؤية بالرؤبة ولم يشبه المرئي بالمرئي فإن
الكاف حرف التشبيه دخل على الرؤبة و في لفظ للبخاري
يرونه عيانا و معلوم أنا نرى الشمس و القمر عيانا مواجهة

فيجب أن نراه كذلك و أما رؤية ما لا نعain و لا نواجهه فهذه غير متصورة في العقل فضلا عن أن تكون كروية الشمس والقمر ولها صار حذاقهم إلى إنكار الرؤية و قالوا قولنا هو قول المعتزلة في الباطن فإنهم فسروا الرؤية بزيادة إكتشاف و نحو ذلك مما لا تنازع فيه المعتزلة و أما قوله إن الخبر يدل على أنهم يرونـه لا في جهة و قوله لا تضامون معناه لا تضمكم جهة واحدة في رؤيته فإنه لا في جهة فهذا تفسير للحديث بما لا يدل عليه ولا قاله أحد من أئمة العلم بل هو تفسير منكر عقلا و شرعا و لغة فإن قوله لا تضامون يروى بالتفصيف أي لا يلحقكم ضيم في رؤيته كما يلحق الناس عند رؤية الشيء الحسن كالهلال فإنه قد يلحقهم ضيم في طلب رؤيته حين يرى و هو سبحانه يتجلـى تجليا ظاهرا فيرونـه كما ترى الشمس و القمر بلا ضيم يلحقـمـ في رؤيته و هذه الرواية المشهورة و قيل لا تضامون بالتشديد أي لا ينضم بعضكم إلى بعض كما يتضام الناس عند رؤية الشيء الخفي كالهلال و كذلك تضارون و تضارونـ فـإـماـ أنـ يـرـوـيـ بالـتـشـدـيدـ وـ يـقـالـ لاـ تـضـامـونـ أيـ لاـ تـضـمـكـ جـهـةـ وـاحـدـةـ فـهـذـاـ باـطـلـ لأنـ التـضـامـ إـنـضـامـ بـعـضـهـمـ إـلـىـ بـعـضـ فـهـوـ تـفـاعـلـ كـالـتـمـاسـ وـ التـرـادـ وـ نـحـوـ ذـلـكـ وـ قـدـ يـرـوـيـ لاـ تـضـامـونـ بـالـضـمـ وـ التـشـدـيدـ أيـ لاـ يـضـامـ بـعـضـكـ بـعـضاـ وـ بـكـلـ حـالـ فـهـوـ مـنـ التـضـامـ الذـىـ هـوـ مـضـامـةـ بـعـضـهـمـ بـعـضـاـ لـيـسـ فـىـ هوـ أـنـ شـيـئـاـ آخـرـ لـاـ يـضـمـكـ فـإـنـ هـذـاـ معـنىـ لـاـ يـقـالـ فـيـهـ لـاـ تـضـامـونـ فـإـنـهـ لـمـ يـقـلـ لـاـ يـضـمـكـ شـيـءـ ثـمـ يـقـالـ الـرـاءـونـ كـلـهـمـ فـىـ جـهـةـ وـ اـحـدـةـ عـلـىـ الـأـرـضـ وـ إـنـ قـدـرـ أـنـ المـرـئـىـ لـيـسـ فـىـ جـهـةـ فـكـيـفـ يـجـوزـ أـنـ يـقـالـ لـاـ تـضـمـكـ جـهـةـ وـ اـحـدـةـ وـ هـمـ كـلـهـمـ عـلـىـ الـأـرـضـ أـرـضـ الـقـيـامـةـ أـوـ فـىـ الـجـنـةـ وـ كـلـ ذـلـكـ جـهـةـ وـ وجـودـهـمـ نـفـسـهـمـ لـاـ فـيـ جـهـةـ وـ مـكـانـ مـمـتـنـعـ حـسـاـ وـ عـقـلاـ وـ أـمـاـ قـوـلـهـ هوـ يـرـىـ لـاـ فـيـ جـهـةـ فـكـذـلـكـ يـرـاهـ غـيـرـهـ فـهـذـاـ تمـثـيلـ باـطـلـ فـانـ إـلـيـسـانـ يـمـكـنـ أـنـ يـرـىـ بـدـنـهـ وـ لـاـ يـمـكـنـ أـنـ يـرـىـ غـيـرـهـ إـلـاـ أـنـ يـكـونـ بـجـهـةـ مـنـهـ وـ هـوـ أـنـ يـكـونـ أـمـامـهـ سـوـاءـ كـانـ عـالـيـاـ أوـ سـافـلاـ

وقد تحرق له العادة فيرى من خلفه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم إني لأراك من بعدي وفى رواية من بعد ظهري وفى لفظ للبخاري إنى لأراك من ورائي وفى لفظ فى الصحيحين إنى والله لأبصر من ورائي كما أبصر من بين يدي لكن هم بجهة منه وهم خلفه فكيف تقاس رؤية الرأى لغيره على رؤيته لنفسه ثم تشبيه رؤيته هو برؤيتنا نحن تشبيه باطل فإن بصره يحيط بما رأه بخلاف أبصارنا و هؤلاء القوم أثبتوا ما لا يمكن رؤيته وأحبوا نصر مذهب أهل السنة والجماعة والحديث فجمعوا بين أمررين متناقضين فإن ما لا يكون داخل العالم ولا خارجه ولا يشار إليه يمتنع أن يرى بالعين لو كان وجوده في الخارج ممكنا فكيف وهو ممتنع وإنما يقدر في الأذهان من غير أن يكون له وجود فى الأعيان فهو من باب الوهم والخيال الباطل و لهذا فسروا الإدراك بالرؤية فى قوله **{لَا تُدْرِكُ الْأَبْصَارُ} الأنعام103** كما فسرتها المعتزلة لكن عند المعتزلة هذا خرج مخرج المدح فلا يرى بحال و هؤلاء قالوا لا يرى فى الدنيا دون الآخرة والأية تنفي الإدراك مطلقا دون الرؤية كما قال ابن كلاب وهذا أصح و حينئذ فتكون الآية دالة على إثبات الرؤية وهو أنه يرى ولا يدرك فيرى من غير إحاطة ولا حصر و بهذا يحصل المدح فإنه وصف لعظمته أنه لا تدركه أبصار العباد وإن رأته و هو يدرك أبصارهم قال ابن عباس و عكرمة بحضرته لمن عارض بهذه الآية ألسنت ترى السماء قال بلى قال أفكلاها ترى وكذلك قال {ولَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ} البقرة255 و هؤلاء يقولون علمه شيء واحد لا يمكن أن يحيط بشيء منه دون شيء فقالوا ولا يحيطون بشيء من معلومه وليس الأمر كذلك بل نفس العلم جنس يحيطون منه بما شاء و سائره لا يحيطون به و قال {يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا} طه110 و الراجح من القولين أن الضمير عائد إلى { مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ } البقرة255 و إذا لم يحيطوا بهذا علما و هو بعض

مخلوقات الرب فإن لا يحيطوا علما بالخالق أولى وأحرى قال تعالى { وَمَا يَعْلُمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ } المدثر 31 وقال { أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأً الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمٌ نُوحَ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَنَّهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُوا أَيْدِيهِمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ } إبراهيم 9 الآية فإذا قيل **{ الْأَنْذِرُكُمُ الْأَبْصَارُ }** { الأنعام 103} أى لا تحيط به دل على أنه يوصف بنفي الإحاطة به مع إثبات الرؤية وهذا ممتنع على قول هؤلاء فإن هذا إنما يكون بزعمهم فيما ينقسم فيرى بعضه من بعض فتكون هناك رؤية بلا إدراك وإحاطة وعندهم لا يتصور أن يرى إلا رؤية واحدة متماثلة كما يقولونه في كلامه إنه شيء واحد لا يتبعض ولا يتعدد وفي الإيمان به أنه شيء واحد لا يقبل الزيادة والنقصان وأما الإدراك والإحاطة الزائد على مطلق الرؤية فليس إنقاوه لعظمة الرب عندهم بل لأن ذاته لا تقبل ذاك كما قالت المعتزلة إنها لا تقبل الرؤية وأيضاً فهم والمعزلة لا يريدون أن يجعلوا للأبصار إدراكاً غير الرؤية سواء ثبتت الرؤية أو نفيت فإن هذا يبطل قول المعتزلة بنفي الرؤية ويبطل قول هؤلاء بإثبات رؤية بلا معاينة ومواجهة فصل هذا مع أن ابن فورك هو من يثبت الصفات الخبرية كالوجه واليدين وكذلك المجيء والإتيان موافقة لأبي الحسن فإن هذا قوله وقول متقدمي أصحابه⁷⁶

النفي ليس فيه مدح ولا كمال إلا إذا تضمن إثباتاً

* أن الله سبحانه موصوف بالإثبات والنفي فالإثبات كإخباره بأنه بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير وأنه سميع بصير ونحو ذلك والنفي كقوله { لَا تَأْخُذْهُ سِنَةً وَلَا نَوْمً } البقرة 255 وينبغي أن يعلم أن النفي ليس فيه مدح ولا كمال إلا إذا تضمن إثباتاً وإلا ف مجرد النفي ليس فيه مدح ولا كمال لأن النفي الممحض عدم محض وعدم المحض ليس بشيء وما ليس

⁷⁶ مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 82-89

بشيء فهو كما قيل ليس بشيء فضلاً عن أن يكون مدحًا أو كمالاً
 ولأن النفي الممحض يوصف به المعدوم والممتنع والمعدوم
 والممتنع لا يوصف بمدح ولا كمال فلهذا كان عامة ما وصف
 الله به نفسه من النفي متضمناً لإثبات مدح قوله ﴿اللَّهُ لَا
 إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ البقرة 255
 إلى قوله ﴿وَلَا يَوْمُدُهُ حِفْظُهُمَا﴾ البقرة 255 ففي
 السنة والنوم يتضمن كمال الحياة والقيام فهو مبين لكمال أنه
 الحي القيوم وكذلك قوله ﴿وَلَا يَوْمُدُهُ حِفْظُهُمَا﴾ البقرة 255
 أى لا يكرره ولا يثقله وذلك مستلزم لكمال قدرته وتمامها بخلاف
 المخلوق القادر إذا كان يقدر على الشيء بنوع كلفة ومشقة فإن
 هذا نقص في قدرته وعيوب في قوته وكذلك قوله ﴿لَا
 ثُدُرُكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ الأنعام 103 إنما نفي الإدراك الذي هو
 الإحاطة كما قاله أكثر العلماء ولم ينف مجرد الرؤية لأن المعدوم
 لا يرى وليس في كونه لا يرى مدح إذ لو كان كذلك لكان
 المعدوم ممدوحًا وإنما المدح في كونه لا يحيط به وإن رؤى كما
 أنه لا يحيط به وإن علم فكما أنه إذا علم لا يحيط به علماً فكذلك
 إذا رؤى لا يحيط به رؤية فكان في نفي الإدراك من اثبات
 عظمته ما يكون مدحًا وصفةً كمال وكان ذلك دليلاً على اثبات
 الرؤية لا على نفيها لكنه دليل على اثبات الرؤية مع عدم
 الإحاطة وهذا هو الحق الذي اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها ⁷⁷
 * كل كمال ثبت للمخلوق فالخالق أحق به وكل نقص تنزع عنه
 مخلوق فالخالق أحق بتتربيته عنه لأن الموجود الواجب القديم
 أكمل من الموجود الممكن والمحدث ولأن كل كمال في المفعول
 المخلوق هو من الفاعل الخالق ومن المعلوم بضرورة العقل أن

⁷⁷ مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 35-37 و الصفدية ج: 2 ص: 65 و مجموع
 الفتاوى ج: 6 ص: 289

المعدوم لا يبدع موجوداً والناقص لا يبدع ما هو أكمل منه فإن النقص أمور عدمية ولها لا يوصف الرب من الأمور السلبية إلا بما يتضمن أموراً وجودية وإلا فالعدم الم虚空 لا كمال فيه كما قال تعالى **{لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَيْرُ}** {الأنعام: 103} فمعناه على قول الجمهور لا تحيط به ليس معناه لا تراه فإن نفي الرؤية يشاركه فيه المعدوم فليس هو صفة مধ بخلاف كونه لا يحيط به ولا يدرك فإن هذا يقتضي أنه من عظمته لا تدركه الأ بصار وذلك يقتضي كمالاً عظيماً تعجز معه الأ بصار عن الإحاطة فالآية دالة على إثبات رؤيته ونفي الإحاطة به نقيض ما تذهب الجهمية من أنها دالة على نفي رؤيته⁷⁸

العلم الحقيقي الراسخ في القلب يمتنع أن يصدر معه ما يخالفه من قول أو فعل

* قال تعالى **{قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِظٍ}** {104} وكذلك نصرف الآيات **وَلَيَقُولُواْ دَرَسْتَ وَلَنْبَيِّنَهُ لِقُومٍ يَعْلَمُونَ** {105} {الأنعام: 104-105} قال أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كل من عمل سوءاً فهو جاهل وسبب ذلك أن العلم الحقيقي الراسخ في القلب يمتنع أن يصدر معه ما يخالفه من قول أو فعل فمتى صدر خلافه فلا بد من غفلة القلب عنه أو ضعف القلب عن مقاومة ما يعارضه وتلك أحوال تناقض حقيقة العلم فيصير جهلاً بهذا الاعتبار ومن هنا تعرف دخول الأعمال في مسمى الإيمان حقيقة لا مجازاً وإن لم يكن كل من ترك شيئاً من الأعمال كافراً أو خارجاً عن أصل مسمى الإيمان وكذلك اسم العقل ونحو ذلك من الأسماء ولهذا يسمى الله تعالى أصحاب هذه الأحوال موتىً وعمياً وبكما وضالين وجاهلين ويصفهم بأنهم لا

⁷⁸ الصدفية ج: 1 ص: 91

يُعْقِلُونَ وَلَا يَسْمَعُونَ وَيَصِفُ الْمُؤْمِنِينَ بِأُولَئِكَ الْأَلْبَابِ وَالنَّهِيِّ
وَأَنَّهُمْ مُهَتَّدُونَ وَأَنَّ لَهُمْ نُورًا وَأَنَّهُمْ يَسْمَعُونَ وَيُعْقِلُونَ⁷⁹

{فَذَادَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلِيَّهَا
وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِظٍ} 104 {وَكَذَلِكَ تُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلَيَقُولُوا
دَرَسْتَ وَلَنْبِيَّنَّهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} 105 {الْأَنْعَامَ 104-105}

من كان من المؤمنين مستضعف فليعمل بآية الصبر والصفح وأما أهل القوة فانما يعملون بآية القتال

* وقال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس قوله تعالى {فَاصْدُعْ
بِمَا تُؤْمِنُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ} الحجر 94 {لَسْتَ عَلَيْهِمْ
بِمُصِيَّطِرِ} الغاشية 22 {فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ} المائدة 13
وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفُحُوا} التغابن 14 {فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى
يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ} البقرة 109 {قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا
يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ} الجاثية 14 {إِتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا
إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ} الانعام 106 ونحو هذا في
القرآن مما امر الله به المؤمنين بالعفو والصفح عن المشركين
فإنه نسخ ذلك كله قوله تعالى {فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ
وَجَدُّتُمُوهُمْ} التوبة 5 وقوله تعالى {قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ} التوبة 29 الى قوله {وَهُمْ صَاغِرُونَ}
التجوية 29 فنسخ هذا عفوه عن المشركين وكذلك روى
الامام احمد وغيره عن قتادة قال امر الله نبيه ان يعفوا عنهم
ويصفح حتى يأتي الله بامرها وقضائه ثم انزل الله عز وجل براءة
فاتي الله بامرها وقضائه فقال تعالى {قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحِرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا

⁷⁹اقتضاء الصراط ج: 1 ص: 78

يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ
يَدِهِمْ صَاغِرُونَ } التوبه 29 الاية قال فنسخت هذه الاية ما
كان قبلها وامر الله فيها بقتل اهل الكتاب حتى يسلموا او يقروا
بالجزية صغارا ونفمة لهم وكذلك ذكر موسى بن عقبة عن
الزهربي ان النبي لم يكن يقاتل من كف عن قتاله لقوله تعالى {
فَإِنِ اعْتَرَلُوكُمْ فَلَمْ يُعَاتِلُوكُمْ وَأَلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ
عَلَيْهِمْ سَبِيلًا } النساء 90 الى ان نزلت براءة وجملة ذلك انه
لما نزلت براءة امر ان يبتدي جميع الكفار بالقتال وتنبيهم
وكتابيهم سواء كفوا عنه او لم يكفوا وان ينبذ اليهم تلك العهود
المطلقة التي كانت بينه وبينهم وقيل له فيها { جَاهِدُ الْكُفَّارَ
وَالْمُنَافِقِينَ } التوبه 73 بعد ان كان قد قيل له { وَلَا تُطِعْ
الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ } الأحزاب 48 ولهذا قال زيد بن
اسلم نسخت هذه الاية ما كان قبلها فاما قبل براءة وقبل بدر فقد
كان مامورا بالصبر على اذاهم والعفو عنهم واما بعد بدر وقبل
براءة فقد كان يقاتل من يؤذيه ويمسك عن سالمه كما فعل بابن
الاشرف وغيره من كان يؤذنه فبدر كانت اساس عز الدين
وفتح مكة كانت كمال عز الدين فكانوا قبل بدر يسمعون الاذى
الظاهر ويؤمنون بالصبر عليه وبعد بدر يؤذون في السر من
جهة المنافقين وغيرهم فيؤمنون بالصبر عليه وفي تبوك امرروا
بالاغلاض للكفار والمنافقين فلم يتمكن بعدها كافر ولا منافق من
اذاهم في مجلس خاص ولا عام بل مات بغطيته لعلمه بانه يقتل
اذا تكلم وقد كان بعد بدر لليهود استطاله واذى للمسلمين الى ان
قتل كعب بن الاشرف قال محمد بن اسحاق في حديثه عن
محمد بن مسلمة قال فاصبحنا وقد خافت يهود لوعتنا بعد الله
فليس بها يهودي الا وهو يخاف على نفسه وروى بسانده
عن محيصة ان رسول الله قال من ظفرتم به من رجال يهود
فاقتلوه فوثب محيصة بن مسعود على ابن سليمية رجل من تجار
يهود كان يلبسهم ويبايعهم فقتلته وكان حويصة ابن مسعود اذ
ذاك لم يسلم وكان اسن من محيصة فلما قتله جعل حويصة

يضر به ويقول اي عدو الله قتله اما والله لرب شحم في بطنه من
 ماله فهو الله ان كان اسلام حويصة فقال محيصه قلت له والله لقد
 امرني بقتله من لو امرني بقتلك لضررت عنقك فقال لو امرك
 محمد بقتلي لقتلتني فقال محيصه نعم والله فقال حويصه والله ان
 دينا بلغ هذا منك لعجب وذكر غير ابن اسحاق ان اليهود
 حذرت وذلت وخافت من يوم قتل ابن الاشرف فلما اتى الله بامرها
 الذي وعده من ظهور الدين وعز المؤمنين امر رسوله بالبراءة
 الى المعااهدين وبقتل المشركين كافة وبقتل اهل الكتاب حتى
 يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون فكان ذلك عاقبة الصبر
 والتقوى الذين امر الله بهما في اول الامر وكان اذا ذاك لا يؤخذ
 من احد من اليهود الذين بالمدينة ولا غيرهم جزية وصارت تلك
 الايات في حق كل مؤمن مستضعف لا يمكنه نصر الله ورسوله
 بيده ولا بلسانه فينتصر بما يقدر عليه من القلب ونحوه وصارت
 اية الصغار على المعااهدين في حق كل مؤمن قوي يقدر على
 نصر الله ورسوله بيده او لسانه وبهذه الاية ونحوها كان
 المسلمين يعملون في اخر عمر رسول الله وعلى عهده خلفائه
 الراشدين وكذلك هو الى قيام الساعة لاتزال طائفة من هذه الامة
 قائمين على الحق ينصرون الله ورسوله النصر التام فمن كان من
 المؤمنين بارض هو فيها مستضعف او في وقت هو فيه
 مستضعف فليعمل بآية الصبر والصفح عن يؤذي الله ورسوله
 من الذين اتوا الكتاب والمشركين واما اهل القوة فانما يعملون
 بآية قتال ائمة الكفر الذين يطعنون في الدين وبآية قتال الذين
 اتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون⁸⁰

قدرة رب لا يفعل بها إلا مع وجود مشيئته

* قال تعالى {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكُمْ حَفِظًا
 وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ} الانعام 107 اتفق المسلمين وسائر أهل

⁸⁰ الصارم المسلول ج: 2 ص: 409-414

الملل على أن الله على كل شيء قادر كما نطق بذلك القرآن أي في مواضع كثيرة جداً وأن الشيء إسم لما يوجد في الأعيان ولما يتصور في الأذهان فما قدره الله وعلم أنه سيكون هو شيء في التقدير والعلم والكتاب وأن لم يكن شيئاً في الخارج ومنه قوله {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [سورة الرعد: 82] ولفظ الشيء في الآية يتناول هذا وهذا فهو على كل شيء ما وجد وكل ما تصوره الذهن موجوداً إن تصور أن يكون موجوداً قديراً لا يستثنى من ذلك شيء ولا يزيد عليه شيء كما قال تعالى {وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدْرٍ فَأَسْكَنَاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابِ بِهِ لَقَادِرُونَ} [سورة المؤمنون: 18] قال المفسرون لقادرون على أن نذهب به حتى تموتوا عطشاً وتلهك مواشيك وتخرب أراضيك ومعולם أنه لم يذهب به وهذا قوله {أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي شَرَبُونَ} [سورة الواقعة: 68] إلى قوله {وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَدِّبُونَ} [سورة الواقعة: 82] وهذا يدل على أنه قادر على مالا يفعله فإنه أخبر أنه لو شاء جعل الماء أحاجاً وهو لم يفعله مثل هذا {وَلَوْ شِئْنَا لَأَنْتُمْ كُلُّ نَفْسٍ هُدَاهَا} [سورة السجدة: 13] فإنه أخبر في غير موضع أنه لو شاء لفعل أشياء وهو لم يفعلها فلو لم يكن قادراً عليها لكان إذا شاءها لم يمكن فعلها⁸¹

* قدرة الرب لا يفعل بها إلا مع وجود مشيئته فإن ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وليس كل ما كان قادراً عليه فعله قال تعالى {بَلِّي قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ} [سورة القيامة: 4] وقال تعالى {قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِنْ فَوْقَكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتَ أَرْجُلَكُمْ أَوْ يَلْسِكُمْ شَيْعاً وَيُدِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ} [سورة الأنعام: 65] وقد ثبت في الصحيحين عن جابر رضي الله عنه أنه لما نزلت هذه الآية قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم قال النبي صلى الله عليه وسلم أَعُوذ بِوْجَهِكَ أَوْ مِنْ تَحْتَ

أرجلكم قال أعود بوجهك أو يلبسكم شيئاً وينيق بعضكم
 بأس بعض قال هاتان أهون وقال تعالى {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ
 لآمِنَ مَنِ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً} يوئيس 99 وقد قال تعالى
 {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَّ الْوَنْ مُخْتَلِفِينَ}
 هود 118 وقال {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ
 حَفِظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ} الانعام 107 وقال {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ
 مَا افْتَأَلُوا} البقرة 253 ومثل هذا متعدد في القرآن وإذا كان
 لو شاءه لفعله دل على أنه قادر عليه فإنه لا يمكن فعل غير
 المقدور وإذا كان كذلك علم أن الفعل لو وجد بمجرد كونه قادراً
 لوقع كل مقدور بل لا بد مع القدرة من الإرادة⁸²

السب قدر زائد على الكفر

*فإن السب ذنب منفرد عن الكفر الذي يطابق الاعتقاد فإن الكافر
 يتدين بكفره ويقول انه حق ويدعوا إليه وله عليه موافقون وليس
 من الكفار من يتدين بما يعتقد استخفافاً واستهزاء وسباً لله وإن
 كان في الحقيقة سباً كما انهم لا يقولون انهم ضلال جهال
 معذبون اعداء الله وإن كانوا كذلك وأما الساب فإنه مظهر
 للتنقص والاستخفاف والاستهانة بالله منتهك لحرمة انتهاكاً يعلم
 من نفسه انه منتهك مستخف مستهزء ويعلم من نفسه انه قد قال
 عظيماً وإن السموات والارض تكاد تتضرر من مقالته وتخر
 الجبال وإن ذلك اعظم من كل كفر وهو يعلم ان ذلك كذلك ولو
 قال بلسانه اني كنت لا اعتقد وجود الصانع ولا عظمته والان فقد
 رجعت عن ذلك علمنا انه كاذب فان فطر الخلائق كلها مجبرولة
 على الاعتراف بوجود الصانع وتعظيمه فلا شبهة تدعوه الى هذا
 السب ولا شهوة له في ذلك بل هو مجرد سخرية واستهزاء
 واستهانة وتمرد على رب العالمين تتبعه عن نفس شيطانية

⁸² منهاج السنة النبوية ج: 3 ص: 271

ممتلئة من الغضب او من سفيه لا وقار لله عنده كصدر قطع الطريق والزنى عن الغضب والشهوة واذا كان كذلك وجب ان يكون للسب عقوبة تخصه حدا من الحدود وحينئذ فلا تسقط تلك العقوبة باظهار التوبة كسائر الحدود وما يبين ان السب قدر زائد على الكفر قوله تعالى **{وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدُوا بِغَيْرِ عِلْمٍ}** {الأنعام 108} ومن المعلوم انهم كانوا مشركين مكذبين معادين لرسوله ثم نهى المسلمين ان يفعلوا ما يكون ذريعة الى سبهم الله فعلم ان سب الله اعظم عنده من ان يشرك به ويكتبه عليه ويعدني فلا بد له من عقوبة تخصه لما انتهكه من حرمة الله كسائر الحرمات التي تنتهكها بالفعل واولى ولا يجوز ان يعاقب على ذلك بدون القتل لأن ذلك اعظم الجرائم فلا يقابل الا بابلغ العقوبات وبدل على ذلك قوله سبحانه وتعالى **{إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذِنُونَ اللَّهَ وَرَسُولُهُ لَعَنْهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعْدَ اللَّهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا}** {الأحزاب 57} فانها تدل على قتل من يؤذى الله كما تدل على قتل من يؤذى رسوله والاذى المطلق انما هو باللسان وقد تقدم تقرير هذا وايضا فانا اسقط القتل عنه باظهار التوبة لا يرفع مفسدة السب لله سبحانه فانه لا يشاء شاء ان يفعل ذلك ثم اذا اخذ اظهار التوبة الا فعل كما فيسائر الجرائم الفعلية وايضا فانه لم ينتقل الى دين يزيد المقام عليه حتى يكون الانتقال عنه تركا له وانما فعل جريمة لا تستدام بل هي مثل الافعال الموجبة للعقوبات فتكون العقوبة على نفس تلك الجريمة الماضية ومثل هذا لا يستتاب وانما يستتاب من يعاقب على ذنب مستمر من كفر او ردة وايضا فإن استتابة مثل هذا توجب ان لا يقام حد على سب الله فانا نعلم ان ليس احد من الناس مصرا على السب لله الذي يرى انه سب فان ذلك لا يدعو اليه عقل ولا طبع وكل ما افضى الى تعطيل الحدود بالكلية كان باطلأ ولما كان استتابة الفساق بالافعال يفضي الى تعطيل الحدود لم يشرع مع ان احدهم قد لا يتوب من ذلك لما يدعوه اليه طبعه وكذلك المستتاب من سب

الرسول فلا يتوب لما يستحله من سبه فاستتابة الساب الله الذي يسارع الى اظهار التوبة منه كل احد اولى ان لا يشرع اذا تضمن تعطيل الحد واجب ان تمضمض الافواه بهتك حرمة اسم الله والاستهزاء به وهذا كلام فقيه لكن يعارضه ان ما كان بهذه المثابة لا يحتاج الى تحقيق اقامة الحد ويكفي تعريض قائله للقتل حتى يتوب ولمن ينصر الاول ان يقول تحقيق اقامة الحد على الساب الله ليس لمجرد زجر الطياع عما تهوى بل تعظيمها والله واجلا لذكره واعلاء لكلمته وضبطا للنفوس ان تتسرع الى الاستهانة بجنابه وتقييدا للالسن ان تتقوه بالانتقاد لحقه واياضا فان حد سب المخلوق وقدفه لا يسقط باظهار التوبة فحد سب الخالق اولى واياضا فحد الافعال الموجبة للعقوبة لا تسقط باظهار التوبة فكذلك حد الاقوال بل شأن الاقوال وتاثيرها اعظم وجماع الامر ان كل عقوبة وجبت جزاء ونكالا على فعل او قول ماض فانها لا تسقط اذا اظهرت التوبة بعد الرفع الى السلطان فسب الله اولى بذلك ولا ينتقض هذا بتوبة الكافر والمرتد لان العقوبة هنالك انما هي على الاعتقاد الحاضر في الحال المستصحب من الماضي فلا يصلح نقضا لوجهين احدهما ان عقوبة الساب الله ليست لذنب استصحبه واستدامه فانه بعد انقضاء السب لم يستصحبه ولم يستدمه وعقوبة الكافر والمرتد انما هي الكفر الذي هو مصر عليه مقيم على اعتقاده الثاني ان الكافر انما يعاقب على اعتقاد هو الان في قلبه وقوله وعمله دليل على ذلك الاعتقاد حتى لو فرض ان علمنا ان كلمة الكفر التي قالها خرجت من غير اعتقاد لموجبها لم نكفره بان يكون جاهلا بمعناها او مخطئا قد غلط وسبق لسانه اليها مع قصد خلافها ونحو ذلك والساب انما يعاقب على انتهائه لحرمة الله واستخفافه بحقه فيقتل وان علمنا انه لا يستحسن السب الله ولا يعتقد ديننا اذ ليس احد من البشر يدين بذلك ولا ينتقض هذا ايضا بترك الصلاة والزكاة ونحوهما فانهم انما يعاقبون على دوام الترك لهذه الفرائض فاذا فعلوها زال الترك وان شئت ان تقول

الكافر والمرتد وتاركوا الفرائض يعاقبون على عدم فعل الايمان والفرائض اعني على دوام هذا العدم فاذا وجد الايمان والفرائض امتنعت العقوبة لانقطاع العدم وهؤلاء يعاقبون على وجود الاقوال والافعال الكبيرة لا على دوام وجودها فاذا وجدت مرة لم يرتفع ذلك بالترك بعد ذلك وبالجملة فهذا القول له توجه وقوة وقد تقدم ان الردة نوعان مجردة ومغلظة وبسطنا هذا القول فيما تقدم في المسالة الثالثة ولا خلاف في قبول التوبه فيما بينه وبين الله سبحانه وسقوط الاثم بالتوبة النصوح⁸³

* وكذلك قول النبي لا تسبووا الدهر فان الله هو الدهر وقوله فيما يروي عن ربه عز وجل يؤذيني ابن ادم يسب الدهر وانا الدهر بيدي الامر اقلب الليل والنهر فإن من سب الدهر من الخلق لم يقصد سب الله سبحانه وانما يقصد ان يسب من فعل به ذلك الفعل مضيفا له الى الدهر فيقع السب على الله لانه هو الفاعل في الحقيقة وسواء قلنا انه الدهر اسم من اسماء الله تعالى كما قال نعيم بن حماد او قلنا إنه ليس باسم وانما قوله انا الدهر اي انا الذي افعل ما ينسبونه الى الدهر ويوقعون السب عليه كما قاله ابو عبيدة والاكثر من ولهمذا لا يكفر من سب الدهر ولا يقتل لكن يؤدب ويعزر لسوء منطقه والسب المذكور في قوله تعالى {ولَا سُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدُوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ } الانعام 108 قد قيل ان المسلمين كانوا اذا سبوا الله الكفار سب الكفار من يأمرهم بذلك والهمم الذين يعبدونه معرضين عن كونه ربهم والهمم فيقع سبهم على الله لانه الها وعبودنا فيكونوا سابين لموصوف وهو الله سبحانه ولهمذا قال سبحانه { عَدُوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ } الانعام 108 وهو شبيه بسب الدهر من بعض الوجوه وقيل كانوا يصرحون بسب الله عدوا وغلوا وفي الكفر قال قتادة كان المسلمين يسبون اصنام الكفار فيسب الكفار الله

⁸³ الصارم المسلول ج: 3 ص: 1025-1029

بغير علم فانزل الله {وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ
فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدُوا بِغَيْرِ عِلْمٍ} الأنعام 108 وقال ايضاً كان
 المسلمين يسبون اوثن الكفار فيردون ذلك عليهم فنهاهم الله تعالى ان يستسيروا لربهم قوماً جهلاً لا علم لهم بالله وذلك انه في
 اللجاجة ان يسب الجاهل من يعظمه مراغمة لعدوه اذا كان
 يعظمه ايضاً كما قال بعض الحمقى سبوا علياً كما سبوا
 عتيقكم كفراً بغير وایماناً بايماناً وكما يقول بعض الجهال
 مقابلة الفاسد بالفاسد وكما قد تحمل بعض جهال المسلمين الحمية
 على ان يسب عيسى اذا جاهره المحاربون بسب رسول الله وهذا
 من الموجبات للقتل ⁸⁴

الشرك والغلو يخرج أصحابه إلى أن يجعلوا البشر مثل الإله

* وأما ما تقوله غلاتهم (الرافضة) من إلهية علي أو نبوته وغلط جبريل بالرسالة فهو أعظم من أن يذكر هنا ولا ريب أن الشرك والغلو يخرج أصحابه إلى أن يجعلوا البشر مثل الإله بل أفضل من الإله في بعض الأمور كما ذكر الله عن المشركين حيث قال {وَجَعَلُوا اللَّهَ مِمَّا ذَرَّا مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا اللَّهُ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرْكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرْكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُّ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ اللَّهُ فَهُوَ يَصِلُّ إِلَى شُرْكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} الأنعام 136 وقال تعالى {وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدُوا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيَنْبَيِّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} الأنعام 108
 فهو لاء لما سبت آلتهم سبوا الله مقابلة يجعلوهم مماثلين لله وأعظم في قلوبهم كما تجد كثيراً من المشركين يحب ما اتخذه من دون الله أنداداً أكثر مما يحب الله تعالى وتجد أحدهم يحلف بالله ويكذب

ويحلف بما اتخذه ندا من إمامه أو شيخه أو غير ذلك ولا يستجيز
 أن يكذب وتسأله بالله والله فلا يعطى وتسأله بما يعظمه من إمامه
 أو شيخه أو غير ذلك فيعطي ويصلى الله في بيته ويدعوه فلا
 يكون عنده كبير خشوع فإذا أتى إلى قبر من يعظمه ورجا أن
 يدعوه أو يدعو به أو يدعو عنده فيحصل له من الخشوع
 والدموع ما لا يحصل في عبادة الله ودعائه في بيت الله أو في
 بيت الداعي العابد وتجد أحدهم يغضب إذا ذكر ما اتخذه ندا
 بعيّب أو نقص ويدرك الله بالعيوب والنقوص فلا يغضب له
 ومثل هذا كثير في المشركين شركاً محضاً وفي من فيه شعبة من
 الشرك في هذه الأمة والنصارى ينزعون البشر عن كثير مما
 يصفون به الرب فيقولون الله ولد وينزعون كثيراً من عظمائهم أن
 يكون له ولد ويقول كثير منهم إن الله ينام والباب عندهم لا ينام
 ومثل هذا كثير والرب تعالى إذا جعل من يحب الأنداد كحبه
 مشركين فمن أحب الند أكثر كان أعظم شركاً وكفراً كما قال
 تعالى {وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَنْهُمْ بِغَيْرِ
 عِلْمٍ } الأنعام 108 فلو لا تعظيمهم لآلهتهم على الله لما سبوا الله
 إذا سبت آلهتهم وقال تعالى {وَجَعَلُوا اللَّهَ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ
 وَالْأَنْعَامَ نَصِيبًا} فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان
 لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو ي يصل إلى شركائهم
 ساء ما يحكمون } الأنعام 136 وقال أبو سفيان يوم أحد أهل هل
 أهل هل فقال النبي صلى الله عليه وسلم ألا تجيرونه فقالوا وما
 نقول قال قولوا الله أعلى وأجل وقال أبو سفيان إن لنا العزى ولا
 عزى لكم قال ألا تجيرونه قالوا وما نقول قال قولوا الله مولانا ولا
 مولى لكم⁸⁵

⁸⁵ منهاج السنة النبوية ج: 2 ص: 396-398 و مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 634

الدعاء والدعوة دعاء عبادة ودعاة مسألة

*قال تعالى {وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدُواً بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَ لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيَنْبَغِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} الانعام 108 لفظ الدعاء والدعوة في القرآن يتناول معندين دعاء العبادة ودعاة المسألة قال الله تعالى {فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ} الشعراe 213 وقال تعالى {وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ} المؤمنون 117 وقال تعالى {وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} القصص 88 وقال {وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا} الجن 19 وقال {إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَّا نَأَنَا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا} النساء 117 ولفظ الصلاة في اللغة اصله الدعاء وسميت الصلاة دعاء لتضمنها معنى الدعاء وهو العبادة والمسألة وفي الصحيحين عن النبي انه قال ينزل ربنا كل ليلة الى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له فذكر او لا لفظ الدعاء ثم ذكر السؤال والاستغفار والمستغفر سائل كما ان السائل داع لكن ذكر السائل لدفع الشر بعد السائل الطالب للخير وذكرهما جمیعا بعد ذكر الداعي الذي يتناولهما وغيرهما فهو من باب عطف الخاص على العام وقال تعالى {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أَحِيبُ دُعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ} البقرة 186 وكل سائل راغب راهب فهو عابد للمسؤول وكل عابد له فهو ايضا راغب وراهب يرجو رحمته ويختلف عذابه فكل عابد سائل وكل سائل عابد واحد الاسمين يتناول الآخر عند تجرده عنه ولكن اذا جمع بينهما فانه يراد بالسائل الذي يطلب جلب المنفعة ودفع المضررة بصيغ السؤال والطلب ويراد بالعبد من يطلب ذلك بامتثال الامر وان لم يكن في ذلك صيغ سؤال والعبد الذي يريد وجه الله والنظر

الىه هو ايضا راج خائف راغب راهب ير غب فى حصول مراده
وير هب من فواته قال تعالى {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي
الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَا رَغَبًا وَرَهْبًا} الأنبياء 90 وقال تعالى
{تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ حَوْفًا وَطَمَعًا}
السجدة 16 ولا يتصور ان يخلو داع الله دعاء عبادة او دعاء
مسألة من الرغب والرهب من الخوف والطمع⁸⁶

* الدعاء قصد المدعو و التوجه إليه إما على وجه المسألة و إما
على وجه العبادة المحضة لأن دعاء الشيء هو طلبه و إرادته
سواء طلب لذاته أو للأمر منه و من ذلك قوله تعالى {وقال
رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَحِبْ لَكُمْ} غافر 60 فإنه فسر بالمسألة و
بالعبادة⁸⁷

الغفلة والشهوة أصل الشر

* ولا ريب أن ما ليس محبوبا لله من مسخوطاته وغيرها تزين
في نفوس كثير من الناس حتى يروها جميلة وحسنـة يجدون فيها
من الذات ما يؤيد ذلك وإن كانت الذات متضمنة للام أعظم
منها قال تعالى {وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ
عَدُوًا بِعَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ
فَيُبَيَّنُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} الأنعام 108 ذكر في الإيمان أنه حبيبه
إلى المؤمنين وزينه في قلوبهم حتى رأوه حسنا فإن الشيء إذا
حبب وزين لم يترك بحال قال تعالى {وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيْكُمْ رَسُولَ
اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنَّتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمْ
الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ
أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ} الحجرات 7 وهنا أخبر سبحانه انه هو
الذى حبب إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم وفي الشهوات قال

مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 238⁸⁶

شرح العمدة ج: 4 ص: 28⁸⁷

{زُيْنَ لِلنَّاسِ حُبُ الشَّهَوَاتِ} آل عمران 14 ولم يقل المزین بل ذكر العموم وقال تعالى {كَذَلِكَ زَيَّنَا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ} **الأنعام 108** وكما حذف المزین هناك قال {زُيْنَ لِلنَّاسِ حُبُ الشَّهَوَاتِ} آل عمران 14 فجعل المزین نفس الحب لها لم يجعل المزین هو المحبوب كما أخبر أنه زین لكل أمة عملها فإن المزین نفس الحب لها لم يجعل المزین هو المحبوب بل هو حب الشهوت فإن المزین إذا كان نفس الحب والعمل لم ينصرف القلب عن ذلك بخلاف ما لو كان المزین هو المحبوب فقد زین الشئ المحبوب ولكن الإنسان لا يحبه لما يقوم بقبله من العلم **حاله والبغض(الرجوع الى نفس المرجع والتاكيد من النقل وتكلمه الموضوع مهم جدا)**⁸⁸

*وأما السيئات فمنشؤها الجهل والظلم فإن أحدا لا يفعل سيئة قبيحة إلا لعدم علمه بكونها سيئة قبيحة أو لهواه وميل نفسه إليها ولا يترك حسنة واجبة إلا لعدم علمه بوجوبها أو لبغض نفسه لها وفي الحقيقة فالسيئات كلها ترجع إلى الجهل وإلا فلو كان عالماً علماً نافعاً بأن فعل هذا يضره ضرراً راجحاً لم يفعله فإن هذا خاصية العاقل ولهذا إذا كان من الحسنات ما يعلم أنه يضره ضرراً راجحاً كالسقوط من مكان عالٍ أو في نهر يغرقه أو المرور بجانب حائط مائل أو دخول نار متاججة أو رمي ماله في البحر ونحو ذلك لم يفعله لعلمه بأن هذا ضرر لا منفعة فيه ومن لم يعلم أن هذا يضره كالصبي والمجنون والساهي والغافل فقد يفعل ذلك ومن أقدم على ما يضره مع علمه من الضرر عليه فلاظنه أن منفعته راجحة فأما أن يجزم بضرر مرجوح أو يظن أن الخير راجح فلا بد من رجحان الخير إما في الظن وإما في المظنون كالذي يركب البحر ويسافر الأسفار البعيدة للربح

⁸⁸ الاستقامة ج: 1 ص: 367 - 369

فإنَّه لو جزم بأنَّه يغرق أو يخسر لما سافر لكنه يتراجح عنده
 السِّلامة والربح وإنْ كان مخطئاً في هذا الظن وكذلك الذنوب
 إذا جزم السارق بأنه يؤخذ ويقطع لم يسرق وكذلك الزاني إذا
 جزم بأنه يرجم لم يزن والشارب يختلف حاله فقد يقدم على جلد
 أربع وثمانين ويديم الشرب مع ذلك ولهذا كان الصحيح أن
 عقوبة الشارب غير محددة بل يجوز أن تنتهي إلى القتل إذا لم
 ينته إلا بذلك كما جاءت بذلك الأحاديث كما هو مذكور في غير
 هذا الموضع وكذلك العقوبات متى جزم طالب الذنب بأنه
 يحصل له به الضرر الراجح لم يفعله بل إما أن لا يكون جازماً
 بتحريمه أو يكون غير جازم بعقوبته بل يرجو العفو بحسنات أو
 توبة أو بعفو الله أو يغفل عن هذا كله ولا يستحضر تحريمه ولا
 وعياداً فيبقى غافلاً غير مستحضر للتحريم والغفلة من أضداد
 العلم فالغفلة والشهوة أصل الشر قال تعالى {وَلَا تُطِعْ مَنْ
 أَغْفَلَنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَأَنْبَغَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً} الكهف 28
 الهوى و حده لا يستقل بفعل السيئات إلا مع الجهل و إلا فصاحب
 الهوى إذا علم قطعاً أن ذلك يضره ضرراً راجحاً انصرفت نفسه
 عنه بالطبع فان الله تعالى جعل في النفس حباً لما ينفعها و بغضها
 لما يضرها فلا تفعل ما تجزم بأنه يضرها ضرراً راجحاً بل متى
 فعلته كان لضعف العقل ولهذا يوصف هذا بأنه عاقل و ذو
 نهى و ذو حجى ولهذا كان البلاء العظيم من الشيطان لامن
 مجرد النفس فانه الشيطان يزين لها السيئات و يأمرها بها و
 يذكر لها ما فيها من المحسنات التي هي منافع لامضمار كما ابليس
 بأدم و حواء فقال {يَا آدُمْ هَلْ أَذَلَّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخَلْدِ وَمُلْكٌ لَا
 يَبْلِي} 120 {فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَأَتْ لَهُمَا سُوَّا تَهُمَا} 121 {طه 120-121}
 {وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا
 مَلَكِيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِيْنِ} الأعراف 20 ولهذا قال تعالى
 {وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضُ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِيرٌ}
 {36} {وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ
 مُهْتَدُونَ} 37 {الزخرف 36-37} و قال تعالى {أَفَمَنْ زَيْنَ لَهُ

سُوءِ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا } فاطر 8 و قال تعالى { وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدُوًا بَغْيَرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيَنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ }

{ الأنعام 108 قوله { زَيَّنَا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ } الأنعام 108 هو بت وسيط تزيين الملائكة و الأنبياء و المؤمنين للخير و تزيين شياطين الجن و الانس للشر قال تعالى { وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قُتْلَ أَوْ لَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلَيُلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينُهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ } الأنعام 137 فأصل ما يوقع الناس في السيئات الجهل و عدم العلم بكونها تضرهم ضررا راجحا أو ظن أنها تنفعهم نفعا راجحا و لهذا قال الصحابة رضي الله عنهم كل من عصى الله فهو جاحد و فسروا بذلك قوله تعالى { إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ } النساء 17⁸⁹

الآيات لا تستلزم الهدى بل تستلزم إقامة الحجة

*وما ينبغي ان يعلم أن الله إذا أرسل نبيا و أتى بآية دالة على صدقه قامت بها الحجة و ظهرت بها المحجة فمن طالبهم بآية ثانية لم تجب إجابته إلى ذلك بل وقد لا ينبغي ذلك لأنه إذا جاء بآية ثانية طلوب بثالثة وإذا جاء بثالثة طلوب برابعة و طلب المتعنتين لا أمد له و معلوم أنه قامت عليه حجة في مسألة علم أو حق من حقوق العباد التي يتخاصمون فيها وقال أنا لا أقبل حتى تقوم عليه حجة ثانية و ثالثة كان ظالما متعديا ولم يجب إجابته إلى ذلك ولا يمكن الحكم الخصوم من ذلك بل إذا قامت البينة بحق المدعى حكم له بذلك ولو قال المطلوب أريد بينة ثانية و ثالثة و رابعة لم يجب إلى ذلك فحق الله الذي اوجبه على عباده

⁸⁹ مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 288-290 و الحسنة والسيئة ج: 1 ص: 62-61

من توحيده والإيمان به وبرسله أولى إذا أقام بينة أوجبت على
الخلق الإيمان برسله أن لا يجب إجابة الطالب إلى ثانية وثالثة ثم
قد يكون في تتابع الآيات حكمة فيتابع تعالى بين الآيات كما
أرسل محمدا صلی الله عليه وسلم بآيات متعددة لعموم دعوته
وشمولها فإن الأدلة كلما كثرت وتواترت على مدلول واحد كان
أوكد وأظهر وأيسر لمعرفة الحق فقد يعرف دلالة أحد الأدلة من
لا يعرف الآخر وقد يبلغ هذا ما لم يبلغ هذا وقد يرسل الأنبياء
بآيات متابعة وتقسي قلوب الكفار عن الإيمان لتتابع الآيات آية
بعد آية لينتشر ذلك ويظهر ويبلغ ذلك قوما آخرين فيكون ذلك
سببا لإيمانهم كما فعل بآيات موسى وآيات محمد كما ذكر في
التوراة أنه يقسى قلب فرعون لظهور عجائبه وآياته وكما صد
المكذبين عن الإيمان بمحمد حتى يمانعوه ويسعوا في معارضته
والقبح في آياته فيظهر بذلك عجزهم عن معارضة القرآن وغيره
من آياته فيكون ذلك من تمام ظهور آياته وبراهينه بخلاف ما ولو
اتبع ابتداء بدون ذلك فإنه قد كان يظن أنهم قادرؤن على
معارضته وكذلك أيضا يكون في ذلك على يقينه وصبره وجهاده
ويقين من آمن به وصبرهم وجهادهم ما ينالون به عظيم
الدرجات في الدنيا والآخرة وقد تقتضي الحكمة أن لا يرسل
بآيات التي توجب عذاب الاستئصال كما ذكره الله في كتابه من
أن الكفار كانوا يقترحون على الأنبياء آيات غير الآيات التي
جاوزوا بها فتارة يجيبهم الله إلى ذلك لما فيه من الحكمة والمصلحة
وتارة لا يجيبهم لما فيه في ذلك من المضررة والمفسدة عند
جمهور أهل الملل من المسلمين وغيرهم الذين يقولون إنه يفعل
للحكمة ومن لم يعلل أفعاله يرد ذلك إلى محض المشيئة ويقول
إقرن بالمراد والمفسدة عادة وسنة من الله وإن لم يفعل هذا لهذا
وقد كان الرسول صلی الله عليه وسلم ربما طلب تلك الآيات
رغبة منه في إيمانهم بها فيجاب بأن الآيات لا تستلزم الهدى بل
تستلزم إقامة الحجة وتوجب عذاب الاستئصال لمن كذب بها
والله تعالى قد يظهر الآيات الكثيرة مع طبعه على قلب الكافر كما

فعل بفرعون وأبي لهب وغيرهما لما في ذلك من الحكمة العظيمة كما دل على ذلك القرآن والتوراة وغيرهما وقد بين أنه لا يظهرها لانتفاء الحكمة فيها أو لوجود المفسدة قال تعالى {
 وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لِئَنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لِّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا
 الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشَرِّعُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ} 109
 وَنَقْلَبُ أَفْئَدَتِهِمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْلَ مَرَّةً وَنَدَرُهُمْ فِي
 طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} 110 { وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَمَهُمْ
 الْمَوْئِى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبْلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ
 اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ} 111 { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُواً
 شَيَاطِينَ الْإِنْسَانِ وَالْجِنِّ يُوَحِّي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقُولِ
 غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلَوْهُ فَدَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ} 112
 الانعام 109-112 قال تعالى {وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلَّا
 أَنْ كَذَبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثُمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا
 نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا} الإسراء 59 بين سبحانه أنما منعه
 أن يرسل بالآيات إلا تكذيب الأولين بها الذي استحقوا بها الهلاك
 فإذا كذب بها هؤلاء استحقوا ما استحقه أولئك من عذاب

الاستئصال وهذا المعنى مذكور في عامة كتب التفسير والحديث
 وغيرها من كتب المسلمين وهو معروف بالأسانيد الثابتة عن
 الصحابة والتابعين لهم بإحسان فقد ذكر المفسرون ما رواه أهل
 التفسير وال الحديث والمسند وغيرهم من حديث الأعمش عن جعفر
 بن إيواس عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس قال سأله أهل مكة
 النبي صلی الله عليه وسلم أن يجعل لهم الصفا ذهبا وأن ينحي
 عنهم الجبال حتى يزرعوا قال فقيل له إن شئت تستأنني بهم وإن
 شئت أن تؤتنيهم الذي سألوا فإن كفروا هلكوا كما أهلكت من قبلهم
 قال لا بل تستأنني بهم فأنزل الله هذه الآية {وَمَا مَنَعَنَا أَنْ
 نُرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثُمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً
 فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا} الإسراء 59 وروى ابن
 أبي حاتم وغيره عن مالك بن دينار قال سمعت الحسن البصري
 في قوله {وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ

59 { الإسراء قال رحمة لكم ايتها الأمة أنا لو أرسلنا بالآيات
فكذبتم بها اصابكم ما أصاب من قبلكم وفي الإنجيل أن اليهود
طلبو من المسيح آية من السماء فقال لهم المسيح الأمة الفاجرة
تطلب آية ولا تعطى إلا مثل آية نونان وقد كانت الآيات يأتي بها
محمد صلى الله عليه وسلم آية بعد آية فلا يؤمنون بها ٩٠

"من ثواب الحسنة الحسنة بعدها "

*فَإِنَّ الْجَزَاءَ أَبْدًا مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ قَالَ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ ارْحَمُوا مِنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمُكُمْ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَقَالَ مِنْ سَلْكَ طَرِيقًا يُلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَلًا لَهُ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ وَمَنْ يَسِرُّ عَلَى مَعْسِرٍ يُسِرِّ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ فِي عَوْنَ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنَ أَخِيهِ وَقَالَ مِنْ سَئْلَ عَنْ عِلْمٍ يَعْلَمُهُ فَكَتَمَهُ الْجَمْهُ اللَّهُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ بِلِجَامِ مِنْ نَارٍ وَقَدْ قَالَ تَعَالَى {وَلَيُعْفُوا وَلَيَصْنَفُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} النُّورُ 22 وَقَالَ {إِنْ تَبْدُوا حَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوا قَدِيرًا} النُّسَاءُ 149 وَأَمْثَالُ هَذَا كَثِيرٌ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنْنَةِ وَلِهَذَا أَيْضًا يُجزِي الرَّجُلُ فِي الدُّنْيَا عَلَى مَا فَعَلَهُ مِنْ خَيْرٍ الْهَدِيَّ بِمَا يَفْتَحُ عَلَيْهِ مِنْ هَدِيَّ أَخْرَى وَلِهَذَا قَيلَ مِنْ عَمَلِ بِمَا عُلِمَ أُورَثَهُ اللَّهُ عُلِمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ وَقَدْ قَالَ تَعَالَى {وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوَعِظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَشْبِيَّتًا} 66 وَإِذَا لَأَتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا} 67 وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا} 68 النساءُ 66-68 وَقَالَ {قَدْ جَاءَكُمْ مِنْ أَنَّهُ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ} 15 يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُّلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ

مُسْتَقِيمٍ {16} المائدة 15-16 وقال {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
 اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتُكُمْ كَفَلْيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلُ لَكُمْ نُورًا
 تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرُ لَكُمْ } الحديد 28 وقال {إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلُ
 لَكُمْ فُرْقَانًا } الأنفال 29 فسره بالنصر والنجاة قوله {يَوْمَ
 الْفُرْقَانِ } الأنفال 41 وقد قيل نور يفرق به بين الحق والباطل
 ومثله قوله {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلُ لَهُ مَخْرَجًا } 2 وَيَرْزُقُهُ مِنْ
 حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ } 3 الطلاق 3-2 وعد المتقين بالخارج من
 الصالق وبرزق المنافع ومن هذا الباب قوله {وَالَّذِينَ اهْنَدُوا
 زَادُهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ } محمد 17 وقوله {إِنَّهُمْ فَتَيْهُ آمَنُوا
 بِرَبِّهِمْ وَزَدْنَاهُمْ هُدًى } الكهف 13 ومنه قوله {إِنَا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا
 مُبِينًا } 1 ليغفر لك الله ما تقدّم من ذنبك وما تأخر وَيُتَمَّ نِعْمَتَهُ
 عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا } 2 وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا
 عَزِيزًا } 3 الفتح 1-3 وبمازاء ذلك أن الضلال والمعاصي
 تكون بسبب الذنوب المتقدمة كما قال الله {فَلَمَّا زَاغُوا أَرَأَعَ اللَّهُ
 قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ } الصف 5 وقال {وَقَوْلُهُمْ
 قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بَكْفَرُهُمْ } النساء 155 وقال {فَبِمَا
 نَفَضُّهُمْ مِنْ تَاقَهُمْ لَعَنَاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً } المائدة 13 وقال
 {وَأَفْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَنَّهُمْ أَيَّهُ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا فَلْنَ إِنَّمَا
 الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشَعِّرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ } 109
 وَنَقْلَبُ أَفْنَدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَدَرُهُمْ فِي
 طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ } 110 الانعام 109-110 وهذا باب واسع
 ولهذا قال من قال من السلف إن من ثواب الحسنة بعدها
 وأن من عقوبة السيئة بعدها 91

* فمن يتبع من الحق ما علمه يهديه الله ويرشهده حتى يتبيّن له
 الحق فمن عمل بما علم اورثه الله علم ما لم يعلم كما قال تعالى
 {وَالَّذِينَ اهْنَدُوا زَادُهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ } محمد 17 وكذلك

من اعرض عن اتباع الحق الذي يعلمه تبعا لهواه فان ذلك يورثه الجهل والضلال حتى يعمى قلبه عن الحق الواضح كما قال تعالى { وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لِئَنْ جَاءُوكُمْ آيَةً لَّيْوَمٌ نَّبَأْ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشَعِّرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ } 109 { وَنُقْلِبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْ مَرَّةً وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ } 110 { الأنعام 109-110 }

وهذا استفهام نفى وانكار اي وما يدريك انها اذا جاءت لا يؤمنون وانا نقلب افئتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة على قراءة من قرأ انها بالكسر تكون جزما بأنها اذا جاءت لا يؤمنون ونقلب افئتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة⁹²

* فلا ريب أن الله يفتح على قلوب أوليائه المتقين وعباده الصالحين بسبب طهارة قلوبهم مما يكرهه واتباعهم ما يحبه ما لا يفتح به على غيرهم وهذا كما قال على الا فهما يؤتى به الله عبدا في كتابه وفي الاثر من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وقد دل القرآن على ذلك في غير موضع قوله { وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوْعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَنْتِيَةً } 66 { وَإِذَا لَّا تَبَيَّنَ لَهُمْ مِّنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا } 67 { وَلَهُدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا } 68 { النساء 66-68 } فقد أخبر أنه من فعل ما يؤمن به يهديه الله صراطا مستقيما وأخبر أن اتباع ما يكرهه يصرف عن العلم والهدى قوله { وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لِئَنْ جَاءُوكُمْ آيَةً لَّيْوَمٌ نَّبَأْ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشَعِّرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ } 109 { وَنُقْلِبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْ مَرَّةً وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ } 110 { الأنعام 109-110 }

أى وما يشعركم أنها اذا جاءت لا يؤمنون بها ونقلب افئتهم أى يتربكون الایمان ونحن نقلب

⁹² مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 10 و أمراض القلوب ج: 1 ص: 39 و التحفة العراقية ج: 1 ص: 39

أفتدتهم لكونهم لم يؤمنوا أول مرة أى ما يدرىكم أنه لا يكون هذا وهذا حينئذ ومن فهم معنى الآية عرف خطأ من قال أن بمعنى لعل واستشكل قراءة الفتح بل يعلم حينئذ أنها أحسن من قراءة الكسر⁹³

* هذه تفسير آيات أشكالت حتى لا يوجد في طائفة من كتب التفسير إلا هو خطأ منها قوله { وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ } الأنعام 109 و الآية بعدها أشكلت قراءة الفتح على كثير بسبب أنهم ظنوا أن الآية بعدها جملة مبتدأة و ليس كذلك لكنها داخلة في خبر أن و المعنى إذا كنتم لا تشعرون أنها إذا جاءت لا يؤمنون و أنا أفعل بهم هذا لم يكن قسمهم صدقا بل قد يكون كذبا و هو ظاهر الكلام المعروف أنها أن المصدرية و لو كان و نقلب الخ كلاما مبتدأا لزم ان كل من جاءته آية قلب فواده و ليس كذلك بل قد يؤمن كثير منهم⁹⁴

ما يعقوب به الناس على الذنوب سلب الهدى و العلم النافع

* والمعصية الثانية قد تكون عقوبة الأولى فتكون من سيئات الجزاء مع أنها من سيئات العمل قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق على صحته عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر و البر يهدي إلى الجنة و لا يزال الرجل يصدق و يتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا و إياكم و الكذب فان الكذب يهدي إلى الفجور و الفجور يهدي إلى النار و لا يزال الرجل يكذب و يتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا وقد ذكر في غير موضع من القرآن ما يبين أن الحسنة الثانية قد

⁹³ مجموع الفتاوى ج: 13 ص: 245-246

⁹⁴ مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 495

تكون من ثواب الأولى و كذلك السيئة الثانية قد تكون من عقوبة
 الأولى 95

*ومما ذكر فيه العقوبة على عدم الإيمان قوله تعالى {وَنَقْلُبُ أَفْئَدِهِمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ } الأنعام 110 وهذا من تمام قوله { وَمَا يُشَرِّكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ } الأنعام 109 { وَنَقْلُبُ أَفْئَدِهِمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ } الأنعام 110 فذكر أن هذا التقليل إنما حصل لقلوبهم لما لم يؤمنوا به أول مرة وهذا عدم الإيمان لكن يقال إنما كان هذا بعد دعوة الرسول لهم وهم قد تركوا الإيمان وكذبوا الرسول وهذه أمور وجودية لكن الموجب للعقاب هو عدم الإيمان وما ذكر شرط في التعذيب بمنزلة إرسال الرسول فإنه قد يشتغل عن الإيمان بما جنسه مباح من أكل وشرب وبيع وسفر وغير ذلك وهذا الجنس لا يستحق عليه العقوبة إلا لأنه شغله عن الإيمان الواجب عليه ومن الناس من يقول ضد الإيمان هو تركه وهو أمر وجودي لا ضد له إلا ذلك 96

*والله سبحانه جعل مما يعاقب به الناس على الذنب سلب الهدى و العلم النافع قوله { وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعْنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ } البقرة 88 و قال { وَقَوْلُهُمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ } النساء 155 و قال { وَمَا يُشَرِّكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ } 109 { وَنَقْلُبُ أَفْئَدِهِمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ } 110 } الأنعام 109-110 و

95 مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 243

96 الحسنة والسيئة ج: 1 ص: 27 و الحسنة والسيئة ج: 1 ص: 96 و

مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 338

قال {فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا} البقرة 10 و قال
{فَلَمَّا رَأَوْهُمْ أَرَاعَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ} الصف 5⁹⁷

*قال تعالى {فَدَكَرْ إِن نَفَعَتِ الْذِكْرَى} 9 سيدكرا من يخشى 10 و يتجلبها الأشقاى 11 الذي يصلى النار الكبرى 12 الا على 12-9 فأخبر ان من يخشاه يتذكر والتذكر هنا مستلزم لعبادته قال الله تعالى {هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ} غافر 13 وقال {تَبَصِّرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ} ق 8 ولهذا قالوا فى قوله {سَيَذَكَّرُ مَن يَخْشَى} الأعلى 10 سيعظ بالقرآن من يخشى الله وفي قوله {وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ} غافر 13 انما يتعظ من يرجع الى الطاعة وهذا لأن التذكر التام يستلزم التأثر بما تذكره فان تذكر محبوها طلبها وان تذكر مرهوبا هرب منه ومنه قوله تعالى {وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} يس 10 وقال سبحانه {إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِكْرَ وَخَسِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ} يس 11 فنفي الانذار عن غير هؤلاء مع قوله {وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} يس 10 فأثبت لهم الانذار من وجهه ونفاه عنهم من وجهه فان الانذار هو الاعلام بالمخوف فالانذار مثل التعليم والتخويف فمن علمته فتعلم فقد تم تعليمه وآخر يقول علمته فلم يتمعنى وكذلك من خوفه فخاف لهذا هو الذى تم تخويفه واما من خوف مما خاف فلم يتم تخويفه وكذلك من هديته فاهادى تم هداه ومنه قوله تعالى {هُدًى لِلْمُتَّقِينَ} البقرة 2 ومن هديته فلم يهدى كما قال {وَأَمَّا ثُمُودٌ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحْبُوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى} فصلت 17 فلم يتم هداه كما نقول قطعه فانقطع وقطعته فما انقطع فالمؤثر التام يستلزم اثره فمتى لم يحصل اثره لم يكن تماما والفعل اذا صادف

مَحْلًا قَبْلًا تِمْ وَالْأَلْمِ يَتِمْ وَالْعِلْمُ بِالْمَحْبُوبِ يَورُثُ طَلْبَهُ وَالْعِلْمُ
 بِالْمَكْرُوهِ يَورُثُ تِرْكَهُ وَلَهُذَا يُسَمِّي هَذَا الْعِلْمَ الدَّاعِي وَيُقَالُ الدَّاعِي
 مَعَ الْقَدْرِ يَسْتَلِزُ مَوْجَدَ الْمَقْدُورِ وَهُوَ الْعِلْمُ بِالْمَطْلُوبِ الْمَسْتَلِزُ
 لِارَادَةِ الْمَعْلُومِ الْمَرَادُ وَهَذَا كَلِمَهُ اَنَّمَا يَحْصُلُ مَعَ صَحَّةِ الْفَطْرَةِ
 وَسَلَامَتْهَا وَأَمَّا مَعَ فَسَادِهَا فَقَدْ يَحْسُسُ الْإِنْسَانُ بِاللَّذِيذِ فَلَا يَجِدُ لَهُ لَذَّةَ
 بَلْ يَؤْلِمُهُ وَكَذَلِكَ يَلْتَذُ بِالْمَؤْلِمِ الْفَسَادِ الْفَطْرَةَ وَالْفَسَادُ يَتَنَاهُ
 الْقُوَّةُ الْعَلْمِيَّةُ وَالْقُوَّةُ الْعَلْمِيَّةُ جَمِيعًا كَالْمَرْءُ الَّذِي يَجِدُ الْعَسْلَ مِنْهُ
 فَإِنَّهُ فَسَدٌ نَفْسٌ إِحْسَاسٌ حَتَّىٰ كَانَ يَحْسُسُ بِهِ عَلَىٰ خَلَافِ مَا هُوَ
 عَلَيْهِ لِلْمَرَةِ الَّتِي مَازَجَتْهُ وَكَذَلِكَ مَنْ فَسَدَ بِأَطْنَهُ قَالَ تَعَالَى { وَمَا
 يُشَعِّرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ } 109 وَنَقَلَ أَفَيَدُهُمْ
 وَأَبْصَارُهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةً وَتَذَرُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ
 يَعْمَهُونَ } 110 { الْأَنْعَامُ 109 - 110 وَقَالَ تَعَالَى { فَلَمَّا زَاغُوا
 أَرَأَعَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ } الصَّفَّ 5 وَقَالَ { وَقَوْلُهُمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ
 طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بَكْفُرَهُمْ } النَّسَاءُ 155 وَقَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى
 { وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعْنَهُمُ اللَّهُ بِكُفُرِهِمْ } الْبَقْرَةُ 88 وَ
 الْغُلْفُ جَمْعُ أَغْلَفٍ وَهُوَ ذُو الْغُلَافِ الَّذِي فِي غُلَافِ مُثْلِ الْأَلْفَافِ
 كَأَنَّهُمْ جَعَلُوا الْمَانَعَ خَلْقَةً أَيْ خَلَقْتَ الْقُلُوبَ وَعَلَيْهَا أَغْطِيَةٌ فَقَالَ اللَّهُ
 تَعَالَى { بَلْ لَعْنَهُمُ اللَّهُ بِكُفُرِهِمْ } الْبَقْرَةُ 88 وَ{ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا
 بَكْفُرَهُمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا } النَّسَاءُ 155 وَقَالَ تَعَالَى
 { وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمْعُ إِلَيْنَا حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدَكُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ
 أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالُوا إِنَّا أَنفَأْنَا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا
 أَهْوَاءِهِمْ } مُحَمَّدٌ 16 وَكَذَلِكَ قَالُوا { قَالُوا يَا شَعِيبُ مَا نَفَقْهُ
 كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ } هُودٌ 91 قَالَ { وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا
 لَأَسْمَعَهُمْ } الْأَنْفَالُ 23 أَيْ لِأَفْهَمَهُمْ مَا سَمِعُوهُ ثُمَّ قَالَ وَلَوْ أَفْهَمَهُمْ
 مَعَ هَذِهِ الْحَالِ التِّي هُمْ عَلَيْهَا { لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ
 } الْأَنْفَالُ 23 فَقَدْ فَسَدَتْ فَطْرَتِهِمْ فَلَمْ يَفْهَمُوا وَلَوْ فَهَمُوا لَمْ
 يَعْمَلُوا فَنَفَى عَنْهُمْ صَحَّةَ الْقُوَّةِ الْعَلْمِيَّةِ وَصَحَّةَ الْقُوَّةِ الْعَلْمِيَّةِ وَقَالَ
 { أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامَ بَلْ
 هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا } الْفَرْقَانُ 44 وَقَالَ { وَلَقَدْ ذَرَنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا

مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسَ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَعْقِهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبَصِّرُونَ
 بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامُ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ
 هُمُ الْغَافِلُونَ } الأعراف 179 وقال { وَمَثُلُ الدِّينِ كَفَرُوا كَمَثَلِ
 الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بُكْمُ عُمْيٌ فَهُمْ لَا
 يَعْقِلُونَ } البقرة 171 وقال عن المنافقين { صُمُّ بُكْمُ عُمْيٌ فَهُمْ لَا
 يَرْجِعُونَ } البقرة 18 وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ لِمَا لَمْ يَنْتَفِعُوا بِالسمعِ
 وَالبَصَرِ وَالنَّطْقِ جَعَلُوا صَمًا بِكَمَا عَمَلُوا أَوْ لَمْ أَعْرِضُوا عَنِ
 السَّمْعِ وَالبَصَرِ وَالنَّطْقِ صَارُوا كَالصِّمِّ الْعَمِيِّ الْبَكْمِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ
 بَلْ نَفْسُ قُلُوبِهِمْ عَمِيتُ وَصَمَتْ وَبَكَمَتْ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى {
 فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ }
 الحج 46 والقلب هو الملك والأعضاء جنوده واذا صلح
 صلح سائر الجسد واذا فسد فسد سائر الجسد فيبقى يسمع بالاذن
 الصوت كما تسمع البهائم والمعنى لا يفقهه وان فقه بعض الفقه
 لم يفقه فقها تماما فان الفقه التام يستلزم تأثيره في القلب محبة
 المحبوب وبغض المكرور فمتى لم يحصل هذا لم يكن التصور
 التام حاصلا 98

* ومن كان تركه للامر بذنب منه أو ضرورته إلى المحظوظ
 بذنب منه لم يكن ذلك مانعا من ذمه وعقابه ومن هذا قوله سبحانه
 { وَنُقَلِّبُ أَفْيَادَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي
 طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ } الأنعام 110 99

* إنما يبتلى به من الذنوب وإن كان خلقا لله فهو عقوبة له
 على عدم فعل ما خلقة الله له و فطره عليه فإنه خلقه لعبادته
 وحده ودل عليه الفطرة فلما لم يفعل ما خلق له ما فطر عليه
 عوقب على ذلك بأن زين له الشيطان ما يفعله من الشرك و

⁹⁸ مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 24-27

⁹⁹ رسالات في التوبة ج: 1 ص: 246

المعاصي قال تعالى {إِذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَرَأْكُمْ
 جَزَاءً مَوْفُورًا } الإسراء 63 إلى قوله {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ
 سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا } الإسراء 65 وقال تعالى { إِنَّهُ
 لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ } 99 إنما
 سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ } 100
 النحل 99 الآية و قال تعالى { إِنَّ الَّذِينَ آتَوْا إِذَا مَسَّهُمْ
 طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ } 201 وَإِخْوَانُهُمْ
 يَمْدُونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْسِرُونَ } 202 الأعراف 201-202
 فتبين أن الإخلاص يمنع من تسلط الشيطان كما قال تعالى {
 كَذَلِكَ لِنَصْرَفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ
 } يوسف 24 فكان إلهامه لفجوره عقوبة له و عدم فعل
 الحسنات ليس أمراً موجوداً حتى يقال إن الله خلقه و من تدبر
 القرآن تبين له أن عامة ما يذكر الله في خلق الكفر و المعاصي
 يجعله جزاءً لذلك العمل كقوله تعالى {فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ
 يُشَرِّحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدُ أَنْ يُضْلِلَهُ يَجْعَلُ صَدْرَهُ ضَيْقًا
 حَرَجًا كَائِنًا يَصْنَعُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ
 لَا يُؤْمِنُونَ } الأنعام 125 الآية و قال تعالى { فَلَمَّا زَاغُوا
 أَرَاعَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ } الصاف 5 وقال { وَأَمَّا مَنْ بَخْلَ
 وَاسْتَغْنَى } 8 وَكَذَبَ بِالْحُسْنَى } 9 فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى } 10 الليل
 8-10 و هذا و أمثله يذكر فيه أعمالاً عاقبهم بها على فعل
 محظوظ و ترك مأمور و لا بد لهم من حركة و إرادة فلما لم
 يتحركوا بالحسنات حرکوا بالسيئات عدلاً من الله كما قيل نفسك
 إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل وهذا الوجه إذا حق
 يقطع مادة كلام طائفتي القدرية المكذبة و المجرة الذين يقولون
 خلقها لذلك و التعذيب لهم ظلم يقال لهم إنما أوقعهم فيها و طبع
 على قلوبهم عقوبة لهم فما ظلمهم ولكن ظلموا أنفسهم يقال
 ظلمته إذا نقصته حقه قال تعالى { كُلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أَكْلَهَا وَلَمْ
 تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا } الكهف 33 وكثير منهم يسلمون أن الله خلق
 من الأفعال ما يكون جزاء على عمل متقدم و يقولون خلق

طاعة المطيع لكن ما خلق شيئاً من الذنوب إبتداء بل جزاء
 فيقولون أول ما يفعل العبد لم يحدثه الله و ما ذكرنا بوجب أن
 يكون الله خالق كل شيء لكن أولها عقوبة على عدم فعله لما خلق
 له و العدم لا يضاف إلى الله فما أحدثه فأوله عقوبة على هذا
 العدم و سائرها قد يكون عقوبة على ما وجد و قد يكون عقوبة
 على إستمراره على العدم فما دام لا يخلص الله لا يزال مشركاً و
 الشيطان مسلط عليه ثم تخصيصه سبحانه لمن هداه بأن يستعمله
 إبتداء فيما خلق له تخصيص بفضله و هذا منه لا يوجب الظلم و
 لا يمنع العدل و لهذا يقول تعالى {وَاللَّهُ يَخْتَصُ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ}
 {البقرة} 105 و كذلك الفضل هو أعلم به كما خص بعض الأبدان
 بقوى لا توجد في غيرها و بسبب عدم القوة قد تحصل له
 أمراض و جودية و غير ذلك من حكمته و تحقيق هذا يدفع
 شبكات هذا الباب و مما ذكر فيه العقوبة على عدم الإيمان
 قوله تعالى {وَنَكَلُبُ أَفْنَادَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْلَ
 مَرَّةٍ} {الأنعام} 110 هذا من تمام قوله {وَمَا يُشَعِّرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا
 جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ} {الأنعام} 109 فذكر أن هذا التقليل يكون لمن
 لم يؤمنوا به أول مرة و هذا عدم الإيمان لكن يقال هذا بعد دعاء
 الرسول صلى الله عليه وسلم لهم و قد كذبوا و تركوا الإيمان و
 هذه أمور و جودية لكن الموجب هو عدم الإيمان و ما ذكر شرط
 في التعذيب كإرسال الرسول فإنه قد يستغل عن الإيمان بما
 جنسه مباح لا يستحق به العقوبة إلا لأنه شغله عن الإيمان و من
 الناس من يقول ضد الإيمان هو تركه و هو أمر و جودي لا ضد
 له إلا ذلك ¹⁰⁰

العلم يهتف بالعمل فإن أجبه وإن ارتحل

* وقال تعالى { وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ } 109 { وَنَقْلَبُ أَفْئَدَتِهِمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ } 110 { الأَنْعَامَ 109-110 } فيبين سبحانه أن مجيء الآيات لا يوجب الإيمان بقوله تعالى { وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ } 109 { وَنَقْلَبُ أَفْئَدَتِهِمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ } 110 { الأَنْعَامَ 109-110 } أي فتكون هذه الأمور الثلاثة أن لا يؤمنوا وأن نقلب أفئدتهم وأبصارهم وأن نذرهم في طغيانهم يعمهم أي وما يدركم أن الآيات إذا جاءت تحصل هذه الأمور الثلاثة وبهذا المعنى تبين أن قراءة الفتح أحسن وإن من قال أن المفتوحة بمعنى لعل فظن أن قوله { وَنَقْلَبُ أَفْئَدَتِهِمْ } الأَنْعَامَ 110 كلام مبتدأ لم يفهم معنى الآية وإذا جعل ونقلب أفئدتهم داخلا في خبر أن تبين معنى الآية فإن كثيرا من الناس يؤمنون ولا تقلب قلوبهم لكن قد يحصل تقليب أفئدتهم وأبصارهم وقد لا يحصل أي مما يدركم إنهم لا يؤمنون والمراد وما يشعرونكم إنها إذا جاءت لا يؤمنون بل نقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة والمعنى وما يدركم أن الأمر بخلاف ما تظنونه من إيمانهم عند مجي الآيات ونذرهم في طغيانهم يعمهم فيعاقبون على ترك الإيمان أول مرة بعد وجوبه عليهم إما لكونهم عرفوا الحق وما أقرروا به أو تمكنا من معرفته فلم يبطلوا معرفته ومثل هذا كثير والمقصود هنا أن ترك ما يجب من العمل بالعلم الذي هو مقتضى التصديق والعلم قد يفضي إلى سلب التصديق والعلم كما قيل العلم يهتف بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل وكما قيل كنا نستعين على حفظ العلم بالعمل به بما في القلب من التصديق بما جاء به الرسول إذا لم يتبعه موجبه ومقتضاه من العمل قد يزول إذ وجود العلة يقتضي وجود المعلوم وعدم المعلوم يقتضي عدم العلة فكما أن العلم والتصديق سبب للإرادة والعمل فعدم الإرادة والعمل سبب لعدم

العلم والتصديق ثم إن كانت العلة تامة فعدم المعلول دليل يقتضي
 عدمها وإن كانت سببا قد يتخلل معلولها كان له بخلافه أماره على
 عدم المعلول قد يتخلل مدلولها وأيضا فالتصديق الجازم في
 القلب يتبعه موجبه بحسب الإمكان كإرادة الجازمة في القلب
 فكما أن الإرادة الجازمة في القلب إذا اقترنـت بها القدرة حصل
 بها المراد أو المقدور من المراد لا محالة كانت القدرة حاصلة
 ولم يقع الفعل كان الحالـل هي لا إرادة جازمة وهذا هو الذي
 عـفي عنه فـكذلك التـصـديـقـ الجـازـمـ إذا حـصـلـ فيـ القـلـبـ تـبعـهـ
 عملـ منـ عـلـمـ القـلـبـ لـاـ مـحـالـةـ لـاـ يـتـصـوـرـ أـنـ يـنـفـكـ عـنـهـ بـلـ يـتـبعـهـ
 المـمـكـنـ منـ عـلـمـ الـجـوـارـحـ فـمـتـىـ لـمـ يـتـبعـهـ شـيـءـ مـنـ عـلـمـ القـلـبـ
 عـلـمـ أـنـهـ لـيـسـ بـتـصـدـيقـ جـازـمـ فـلـاـ يـكـوـنـ إـيمـانـاـ لـكـنـ التـصـدـيقـ جـازـمـ
 قـدـ لـاـ يـتـبعـهـ عـلـمـ القـلـبـ بـتـمـامـهـ لـعـارـضـ مـنـ الـأـهـوـاءـ كـالـكـبـرـ
 وـالـحـسـدـ وـنـحـوـ ذـلـكـ مـنـ أـهـوـاءـ النـفـسـ لـكـنـ الـأـصـلـ أـنـ التـصـدـيقـ
 يـتـبعـهـ الـحـبـ وـإـذـ تـخـلـفـ الـحـبـ كـانـ لـصـعـبـ التـصـدـيقـ الـمـوـجـبـ لـهـ
 وـلـهـذـاـ قـالـ الصـحـابـةـ كـلـ مـنـ يـعـصـيـ اللهـ فـهـوـ جـاهـلـ وـقـالـ اـبـنـ
 مـسـعـودـ كـفـىـ بـخـشـيـةـ اللهـ عـلـمـاـ وـكـفـىـ بـالـاغـتـارـ جـهـلاـ وـلـهـذـاـ كـانـ
 التـكـلـمـ بـالـكـفـرـ مـنـ غـيرـ إـكـرـاهـ كـفـراـ فـيـ نـفـسـ الـأـمـرـ عـنـ الـجـمـاعـةـ
 وـأـئـمـةـ الـفـقـهـاءـ حـتـىـ الـمـرـجـةـ خـلـافـاـ لـلـجـهـمـيـةـ وـمـنـ اـتـبـعـهـمـ وـمـنـ هـذـاـ
 الـبـابـ سـبـ الرـسـوـلـ عـلـيـهـ أـفـضـلـ الـصـلـاـةـ وـالـسـلـامـ وـبـغـضـهـ وـسـبـ
 الـقـرـآنـ وـبـغـضـهـ وـكـذـلـكـ سـبـ لـهـ سـبـانـهـ وـبـغـضـهـ وـنـحـوـ ذـلـكـ مـاـ
 لـيـسـ مـنـ بـابـ التـصـدـيقـ وـالـحـبـ وـالـتـعـظـيمـ وـالـمـوـالـةـ بـلـ مـنـ بـابـ
 التـكـذـيبـ وـالـبـغـضـ وـالـمـعـادـةـ وـالـاسـتـخـافـ¹⁰¹

*فـإـنـ اللهـ عـاقـبـ المـعـرـضـ عـنـ اـتـبـاعـ ماـ بـعـثـ بـهـ رـسـلـهـ بـالـحـجـابـ
 الـذـيـ فـيـ قـلـوبـهـ¹⁰²

¹⁰¹ العقيدة الأصفهانية ج: 1 ص: 179-181

¹⁰² الاستقامة ج: 2 ص: 46

*فإن العمل بموجب العلم يثبته ويقرره ومخالفته تضعفه بل قد تذهبه قال الله تعالى {وَنُقْلِبُ أَفْدَاهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} الأنعام 110¹⁰³

طريقان مبتدعان وطريق شرعي

*والناس لهم في طلب العلم والدين طريقان مبتدعان وطريق شرعي فالطريق الشرعي هو النظر فيما جاء به الرسول والإستدلال بأدلته والعمل بموجبها فلا بد من علم بما جاء به وعمل به لا يكفي أحدهما وهذا الطريق متضمن للأدلة العقلية والبراهين اليقينية فإن الرسول بين بالبراهين العقلية ما يتوقف السمع عليه والرسول بينوا للناس العقليات التي يحتاجون إليها كما ضرب الله في القرآن من كل مثل وهذا هو الصراط المستقيم الذي أمر الله عباده أن يسألوه هدايته وأما الطريقان المبتدعان فأحدهما طريق أهل الكلام البدعي والرأي البدعي فإن هذا فيه باطل كثير وكثير من أهله يفرطون فيما أمر الله به ورسوله من الأعمال فيبقى هؤلاء في فساد علم وفساد عمل وهؤلاء منحرفون إلى اليهودية الباطلة والثاني طريق أهل الرياضة والتصوف والعبادة البدعية وهؤلاء منحرفون إلى النصرانية الباطلة فإن هؤلاء يقولون إذا صفت الإنسان نفسه على الوجه الذي يذكرونه فاضت عليه العلوم بلا تعلم وكثير من هؤلاء تكون عبادته مبتدعة بل مخالفة لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فيبقون في فساد من جهة العمل وفساد من نقص العلم حيث لم يعرفوا ما جاء به الرسول وكثير ما يقع من هؤلاء وهؤلاء وتقدح كل طائفة في الأخرى وينتحل كل منهم اتباع الرسول والرسول ليس ما جاء به موافقاً لما قال هؤلاء ولا هؤلاء {مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنِ الْمُشْرِكِينَ} آل عمران 67 وما كان رسول الله

صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه على طريقة أهل البدع من أهل الكلام والرأي ولا على طريقة أهل البدع من أهل العبادة والتتصوف بل كان على ما بعثه الله من الكتاب والحكمة وكثير من أهل النظر يزعمون أنه بمجرد النظر يحصل العلم بلا عبادة ولا دين ولا تزكية للنفس وكثير من أهل الإرادة يزعمون أن طريق الرياضة بمجرده تحصل المعرفة بلا تعلم ولا نظر ولا تدبر للقرآن والحديث وكلا الفريقين غالط بل ل TZKIEE النفس والعمل بالعلم وتقوى الله تأثير عظيم في حصول العلم لكن مجرد العمل لا يفيد ذلك إلا بنظر وتدبر وفهم لما بعث الله به الرسول ولو تعبد الإنسان ما عسى أن يتبعه لم يعرف ما خص الله به

محمدا صلى الله عليه وسلم إن لم يعرف ذلك من جهته وكذلك لو نظر واستدل ماذا عسى أن ينظر لم يحصل له المطلوب إلا بالتعلم من جهته ولا يحصل التعلم المطابق النافع إلا مع العمل به وإلا فقد قال الله تعالى { فَلَمَّا زَاغُوا أَرَأَعَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ } الصف 5 وقال { وَمَا يُشَعِّرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ } 109 { وَنُقْلِبُ أَفْنَادِهِمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ } 110 الأنعام 109-110

وقال { فِيمَا نَقْضَيْهِمْ مِّنَّا أَفَاقُهُمْ وَكُفَّرُهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَنَقْتَلُهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلَهُمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفُّرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا } النساء 155¹⁰⁴

وصف الله أهل الباطل بأنهم يعمهون

¹⁰⁴ منهاج السنة النبوية ج: 5 ص: 428-430

* وهذا حال المنافقين المرتدين فإن الضلال والحيرة مما ذمه الله في القرآن قال الله تعالى في القرآن {قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنَرُدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ أَذْهَانَنَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانٌ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَيِ الْهُدَىٰ إِنَّنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأَمْرَنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ } الأنعام 71 وهكذا يريد هؤلاء الضالون المتحيرون أن يفعلوا بالمؤمنين يريدون أن يدعوا من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم وهي المخلوقات والأوثان والأصنام وكل ما عبد من دون الله ويريدون أن يردوا المؤمنين على أعقابهم يريدونهم عن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت ويصيروا حائرین ضاللين كالذى استهوته الشياطين فى الأرض حيران له أصحاب يدعونه الى الهدى ائتنا وقال تعالى {وَنَقَبْلُ أَفْئَدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ } الأنعام 110 قوله يعمهون أى يحارون وقال تعالى {وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ } التوبة 45 وقال تعالى {اَهَدَنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } 6 صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضاللين 7 الفاتحة 6-7 فأمر أن نسأل الله هداية الصراط المستقيم صراط الذين انعم عليهم المغايرين للمغضوب عليهم وللضاللين و هو لاء يذمون الصراط المستقيم ويمدون طريق أهل الضلال والحيرة مخالفة لكتاب الله ورسله ولما فطر الله عليه عباده من العقول والأباب

105

{وَنَقَبْلُ أَفْئَدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ } الأنعام 110 وأعلم أن المذهب إذا كان باطلًا في نفسه لم يمكن الناقد له أن ينقله على وجه يتصور تصوراً حقيقياً فإن هذا لا يكون إلا للحق فاما القول الباطل فإذا بين فبيانه يظهر

فساده حتى يقال كيف اشتبه هذا على أحد ويتعجب من اعتقادهم اياه ولا ينبغي للإنسان أن يعجب بما من شيء يتخيّل من أنواع الباطل الا وقد ذهب إليه فريق من الناس ولهاذا وصف الله أهل الباطل بأنهم أموات وأنهم صُمُّ بُكْمٌ عُمَىٰ وأنهم لا يفهون وأنهم لا يعقلون وأنهم في قول مختلف يؤفّك عنه من أفك وأنهم في ربيهم يتربدون وأنهم يعمهون¹⁰⁶

*فإن الجماعة الذين يقلدون مذهبًا تلقاه بعضهم عن بعض يجوز اتفاقهم على جد الضروريات كما يجوز الاتفاق على الكذب مع الموافقة والاتفاق ولهاذا يوجد في أهل المذاهب الباطلة كالنصارى والرافضة والفلسفه من يصر على القول الذى يعلم فساده بالضرورة وإنما الممتنع ما يمتنع على أهل التواتر وهو اتفاق الجماعة العظيمة على الكذب من غير موافطة ولا اتفاق فيمتنع عليهم جد ما يعلم ثبوته بالاضطرار واثبات ما يعلم نفيه بالاضطرار لأن هذا اتفاق على الكذب وأهل التواتر لا يتصور منهم الكذب فأما إذا لقنا قولًا بشبهة وحجج واعتقدوا صحته جاز أن يصرروا على اعتقاده وإن كان مخالفًا لضرورة العقل وإن كانوا جماعة عظيمة ولهاذا يطبع الله على قلوب الكفار فلا يعرفون الحق قال الله تعالى {وَنَقْلُبُ أَفْئَدَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} الأنعام 110 وقال تعالى {فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ} الصاف 5 وقال تعالى {كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَارٍ} غافر 35 وإنما تؤخذ الضروريات من القلوب السليمة والعقول المستقيمة التي لم تمرض بما تقلّدته من العقائد وتعودته من المقاصد¹⁰⁷

ليس من الأعضاء أشد إرتباطا بالقلب من العينين

¹⁰⁶ مجموع الفتاوى ج: 2 ص: 145

¹⁰⁷ مجموع الفتاوى ج: 5 ص: 274

* و ليس من الأعضاء أشد إرتياطا بالقلب من العينين و لهذا جمع بينهما في قوله {وَنُقَابُ أَفْئَدَتِهِمْ وَأَبْصَارُهُمْ} الأنعام 110
 {تَنَقَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ} النور 37 {وَإِذْ رَاغَتِ الْأَبْصَارُ
 وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ} الأحزاب 10 {قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ
 وَاحْفَةٌ} 8 {أَبْصَارُهَا حَاسِعَةٌ} 9 النازعات 9-8 و لأن كليهما له
 النظر فنظر القلب الظاهر بالعينين والباطن به وحده ¹⁰⁸

الدعاء و التعليم و الإرشاد له فاعل و له قابل

* الله خالق كل شيء و ما شاء كان و مالم يشأ لم يكن و في
 إستعاذه النبي صلى الله عليه و سلم أعود بكلمات الله التامة
 التي لا يجاوزها بر ولا فاجر من شر ما ذرأ وبرا وأعود
 بكلمات الله التامة من غضبه و عقابه و شر عباده فكلماته
 التامة هي التي كون بها الأشياء كما قال تعالى {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا
 أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} يس 82 لا يجاوزها بر ولا
 فاجر و لا يخرج أحد عن القدر المقدور و لا يتجاوز ما خط له
 في اللوح المسطور و هذا المعنى قد دل عليه القرآن في غير
 موضع قوله {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسَنِ}
 الأعراف 179 الآية و قوله {مَا كَانُوا بِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يُشَاءَ اللَّهُ}
 الأنعام 111 {أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ
 ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} الحج 70 و قوله في
 السحر {وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ} البقرة 102
 {فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يُسْرِحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدِ أَنْ يُضِلَّهُ
 يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيْقًا حَرَجًا} الأنعام 125 و نحو ذلك ¹⁰⁹

* قال تعالى {وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ}
 يوئس 101 فالآيات أفقية و أرضية و قرآنية و هي أدلة العلم و

¹⁰⁸ مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 225

¹⁰⁹ مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 58

الإنذار يقتضى الخوف فالأيات لمن إذا عرف الحق عمل به فهذا تنفعه الحكمة و الإنذار لمن يعرف الحق و له هو يصده فينذر بالعذاب الذي يدعوه إلى مخالفة هواه و هو خوف العذاب و هذا هو الذي يحتاج إلى الموعظة الحسنة و آخر لا يقبل الحق فيحتاج إلى الجدل فيجادل بالتي هي أحسن و قد قال تعالى {وَلَوْ أَنَّا نَرَلَنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَسَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ فُلَّا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ} الأنعام 111 و قال {إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَنْ يَخْشَاهَا} النازعات 45 فالمراد أن الكافر ما دام وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ} يس 11 كافرا لا يقبل الحق سواء إنذر أم لم ينذر و لا يؤمن ما دام كذلك لأن على قلبه و سمعه و بصره مواعظ تصد عن الفهم و القبول و هكذا حال من غالب عليه هواه و هو سبحانه لم يقل أنهم لا يؤمنون و قيل ذلك لمن سبقت عليه الشفاعة أو حقت عليه الكلمة كقوله {إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلْمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ} 96 {وَلَوْ جَاءُهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ} الأليم 96 يonus 96-97 فبين أن هؤلاء لا يؤمنون إلا حين لا ينفعهم إيمانهم وقت رؤية العذاب الأليم كإيمان فرعون المذكور قبلها و موسى قد دعا عليه فقال {رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَأَشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الأليم} 88 قال قد أحيبت دعوتكما {89} يonus 88-89 و أما إذا أطلق سبحانه الكفار فهو مثل قوله {وَلَوْ أَنَّا نَرَلَنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَسَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ فُلَّا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ} الأنعام 111 الآية فبين أنهم قد يؤمنوا إذا شاء و آية البقرة مطلقة عامة {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} البقرة 6 فإنه ذكر في أول السورة أربع آيات في صفة المؤمنين و آيتين في صفة الكافرين و بعض عشرة آية في المنافقين وبين حال الكافر المصر على كفره أن الإنذار لا ينفعه للحجب التي على قلبه و سمعه و بصره و ليس قال إن الله لا يهدى أحدا من هؤلاء فيسمع و يقبل و لكن هو حين يكون

كافرا لا تتناوله الآية و هذا كما يقال في الكافر الحربي لا يجوز أن تعقد له الذمة ولا يكون قط من أهل دار الإسلام ما دام حربيا فالكفار ما داموا كفارا هم بهذه المثابة لهم موانع تمنعهم من الإيمان كما أن للمنافقين موانع تمنعهم ما داموا كذلك و إن أذروا و هذا قوله {وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلُ الَّذِي يَتْعَقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءَ وَنِدَاءَ صُمُّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ} البقرة 171 فهذا مثل كل كافر ما دام كافرا وذلك لا يمنع أن يكونوا قد يسمعون إذا زال الغطاء الذي على قلوبهم و سمعهم و ابصارهم فإنهم لا يسمعون لذلك المعنى المشتق منه وهو الكفر بما داموا هذه حالهم فهم كذلك و لكن تغير الحال ممكن كما قال {إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ} الأنعام 111 و كما هو الواقع و مثل هذا يفيد أن الإنسان لا يعتقد أنه بدعايه و إنذاره و بيانه يحصل الهدى ولو كان أكمل الناس و أن الداعي و إن كان صالحا ناصحا مخلصا فقد لا يستجيب المدعو لأن نقص في الدعاء لكن لفساد في المدعو و هذا لأن حصول المطلوب متوقف على فعل الفاعل و قبول القابل كالسيف القاطع يؤثر بشرط قبول المحل فيه لا يقطع الحجارة و الحديد و نحو ذلك و النفح يؤثر إذ كان هناك قابل لا يؤثر في الرماد و الدعاء و التعليم و الإرشاد و كل ما كان من هذا الجنس له فاعل و هو المتكلم بالعلم و الهدى و النذارة و له قابل و هو المستمع فإذا كان المستمع قابلا حصل الإنذار التام و التعليم التام و الهدى التام و إن لم يكن قابلا قيل علمته فلم يتعلم و هديته فلم يهتد و خاطبته فلم يصح و نحو ذلك فقوله في القرآن {هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ} البقرة 2 هو من هذا إنما يهتدى من يقبل الإهداء و هم المتقوون لا كل أحد و ليس المراد أنهم كانوا متقيين قبل اهتدائهم بل قد يكونوا كفارا لكن إنما يهتدى به من كان متقيا فمن إنقى الله إهتدى بالقرآن و العلم و الإنذار إنما يكون بما أمر به القرآن و هكذا قوله {لَيُنذَرَ مَنْ كَانَ حَيَاً} يس 70 الإنذار التام فإن الحي يقبله و لهذا قال {وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ} يس 70 فهم لم يقبلوا الإنذار و مثله قوله {إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ

من يخشاها } النازعات 45 و عكسه قوله { وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا
 الفاسقين } البقرة 26 أي كل من ضل به فهو فاسق فهو ذم لمن
 يضل به فإنه فاسق ليس أنه كان فاسقا قبل ذلك و لهذا تأولها
 سعد بن أبي و قاص في الخوارج و سماهم فاسقين لأنهم
 ضلوا بالقرآن فمن ضل بالقرآن فهو فاسق¹¹⁰

للشيطان وسواس في قلوب الناس

* وهذا سلف الأمة والتابعين لهم بأحسان وائمة المسلمين فأنهم يقولون ان الشياطين توسوس في نفوسبني ادم كالعقائد الفاسدة والامر باتباع الهوى وان الملائكة بالعكس انما تقدف في القلوب الصدق والعدل قال ابن مسعود ان للملك لمة وللشيطان لمة فلمة الملك ايعاد بالخير وتصديق بالحق ولمة الشيطان ايعاد بالشر وتکذیب بالحق وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما منكم من احد الا وقد وكل به قرينه من الملائكة ومن الجن قالوا واياك يا رسول الله قال واياي الا ان الله اعانني عليه فأسلم وفي لفظ فلا يأمرني الا بخیر قال تعالى { قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ
 النَّاسِ } 1 مَلِكُ النَّاسِ } 2 إِلَهُ النَّاسِ } 3 مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ
 الْخَنَّاسِ } 4 الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ } 5 مِنْ الْجِنَّةِ وَ
 النَّاسِ } 6 النَّاسِ-1-6 والقول الصحيح الذي عليه اکثر السلف
 ان المعنى من شر الموسوس من الجنة ومن الناس من شياطين
 الانس والجن وقال { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُواً شَيَاطِينَ
 الْإِنْسَانِ وَالْجِنِّ يُوَحِّي بَعْضُهُمُ إِلَيْهِ بَعْضٌ رُّخْرُفَ الْقَوْلِ عُرُورًا
 } الأنعام 112 و قال النبي صلى الله عليه وسلم لابي ذر يا ابا ذر
 تعوذ بالله من شياطين الانس والجن قال يا رسول الله او للانس

¹¹⁰ مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 585-587

شياطين قال نعم شر من شياطين الجن قال تعالى {وَإِذَا لَقُواْ
 الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ أَمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَيْ شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا
 نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ } البقرة 14 وهم شياطينهم من الانس كما قال ذلك
 عامة السلف وكما يدل عليه سياق القرآن فان شياطين الجن لم
 يكونوا يحتاجون الى ان يخلوا بهم و لا هم يقولون لهم انا معكم
 انما نحن مستهزئون ¹¹¹

* قوله { مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ } 4 الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي
 صُدُورِ النَّاسِ 5 { مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ } 6 الناس 4-6 فيها أقوال
 و لم يذكر ابن الجوزي إلا قولين ولم يذكر الثالث وهو الصحيح
 و هو أن قوله من الجنة و الناس لبيان الوسواس أي الذي
 يوسوس من الجنة و من الناس في صدور الناس فإن الله تعالى قد
 أخبر أنه جعل { لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوَحِّي
 بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ رُّخْرُفَ الْقَوْلَ غُرُورًا } الأنعام 12 و
 إيحاؤهم هو و سوتهم وليس من شرط الموسوس أن يكون
 مستترا عن البصر بل قد يشاهد قال تعالى { فَوَسْوَسَ لَهُمَا
 الشَّيْطَانُ لِيُبَدِّيَ لَهُمَا مَا وُرِيَ عَنْهُمَا مِنْ سُوءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا
 نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكِينَ أَوْ تَكُونَا مِنَ
 الْخَالِدِينَ } 20 وَقَاسِمُهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ
 النَّاصِحِينَ } 21 الأعراف 20-21 و هذا كلام من يعرف قائله
 ليس شيئا يلقي في القلب لا يدرى من هو و إبليس قد أمر
 بالسجود للأدم فأبي و إستكبر فلم يكن من لا يعرفه أدم و هو و
 نسله يرون بني آدم من حيث لا يرونهم و أما آدم فقد رأه ¹¹²

¹¹¹ الرد على المنطقين ج: 1 ص: 506

¹¹² مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 509

الأصول الثلاثة توحيد الله والإيمان برسله وبالاليوم الآخر أمور متلازمة

*في القرآن في مواضع يبين أن الرسول أمروا بعبادة الله وحده لا شريك له ونهوا عن عبادة شيء من المخلوقات سواه وأن أهل السعادة هم أهل التوحيد وان المشركين هم اهل الشقاوة ويبيّن أن الذين لم يؤمنوا بالرسل مشركون فعلم أن التوحيد والإيمان بالرسل متلازمان وكذلك الإيمان باليوم الآخر فالثلاثة متلازمة ولهذا يجمع بينهما في مثل قوله { وَلَا تَتَبَعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدُلُونَ } الأنعام 150 واخبر في غير موضع أن الرسالة عمّت جميع بنى آدم بهذه الأصول الثلاثة توحيد الله والإيمان برسله وباليوم الآخر أمور متلازمة ولهذا قال سبحانه { وَكَذَّلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ إِنَّسٍ وَالْجِنِّ يُوَحِّي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقُولُ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ } 112 { وَلَتَصْنَعَ إِلَيْهِ أَفْئَدُهُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَلَيَرْضُوْهُ وَلَيَقْرِفُواْ مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ } 113 { الأنعام 112-113 } فأخبر أن جميع الأنبياء لهم أعداء وهم شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض القول المزخرف وهو المزين المحسن يغرون به والغرور التلبّيس والتمويه وهذا شأن كل كلام وكل عمل يخالف ما جاءت به الرسل من أمر المتكلمة وغيرهم من الأولين والآخرين ثم قال { وَلَتَصْنَعَ إِلَيْهِ أَفْئَدُهُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ } الأنعام 113 فعلم أن مخالفة الرسل وترك الإيمان بالآخرة متلازمان فمن لم يؤمن بالآخرة أصفع إلى زخرف أعدائهم فخالف الرسل كما هو موجود في أصناف الكفار والمنافقين في هذه الأمة وغيرها ولهذا قال تعالى { وَلَقَدْ جِنَّا هُمْ بِكِتَابٍ فَصَلَّنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ } الأعراف 52

إلى قوله {هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبُّنَا بِالْحَقِّ} الأعراف 53¹¹³

الكتاب هو الحكم بين الناس شرعاً ودينا

* للشيطان وسواس في قلوب الناس كما قال تعالى {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَذُولًا شَيَاطِينَ الْإِنْسَانَ وَالْجِنَّ يُوْحِي بِعَضْهُمُ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلَوْهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ} 112 {وَلَنَتَصْنَعَ إِلَيْهِ أَفْئَدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَلَيَرْضُوْهُ وَلَيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُعْتَرِفُونَ} 113 {أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغَيَ حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونُنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ} 114 {وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلٌ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} 115 {وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضْلُوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّسِعُونَ إِلَّا الضَّلَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ} 116 الأنعام 112-116 أخبر سبحانه وتعالى أن ما جاءت به الرسل والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين لابد له من عدو شياطين الانس والجن يوسمون القول المزخرف

ونهى ان يطلب حكما من غير الله بقوله تعالى {أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغَيَ حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا} الأنعام 114 والكتاب هو الحكم بين الناس شرعاً وديناً وينصر القائم نصراً وقد قال الله تعالى {إِنَّ وَلِيَّ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّ الصَّالِحِينَ} الأعراف 196 وقال تعالى {ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا} الجاثية 18 إلى قوله {وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ} الجاثية 19¹¹⁴

¹¹³ مجموع الفتاوى ج: 18 ص: 56

¹¹⁴ مجموع الفتاوى ج: 28 ص: 36

* فمن أصول الإسلام أن تميز ما بعث الله به محمدا من الكتاب والحكمة ولا تخلطه بغيره ولا تلبس الحق بالباطل كفعل أهل الكتاب فإن الله سبحانه أكمل لنا الدين وأتم علينا النعمة ورضي لنا الإسلام دينا وقد قال صلى الله عليه وسلم تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه خط لنا رسول الله خططا وخط خطوطا عن يمينه وشماله ثم قال هذا سبيل الله وهذه السبيل على كل سبيل منها شيطان يدعوك إليه ثم قرأ قوله تعالى {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَنْتَبِعُوا السُّبُّلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ} الأنعام 153 وجماع ذلك بحفظ أصلين أحدهما تحقيق ما جاء به الرسول فلا يخلط بما ليس منه من المنقولات الضعيفة والتفسيرات الباطلة بل يعطى حقه من معرفة نقله ودلاته والثانى أن لا يعارض ذلك بالشبهات لا رأيا ولا رواية قال الله تعالى فيما يأمر به بني إسرائيل وهو لنا {وَأَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرَ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِبَاهِي فَاتَّقُونَ} 41 {وَلَا تَنْتَبِعُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْثُرُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} 42 البقرة 41-42 فلا يكتن الحق الذي جاء به الرسول ولا يلبس بغيره من البطل ولا يعارض بغيره قال الله تعالى {أَتَتَّبِعُوا مَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَنْتَبِعُوا مِنْ دُونِهِ أُولَئِاءِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ} الأعراف 3 وقال تعالى {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحِي إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأَنْزَلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ} الأنعام 93 وهو لاء الأقسام الثلاثة هم أعداء الرسل فإن أحدهم إذا أتى بما يخالفه إما ان يقول إن الله أنزله علي فيكون قد افترى على الله أو يقول أوحى إليه ولم يسم من أوحاه أو يقول أنا انشأته وأنا أنزل مثل ما أنزل الله فأما ان يضيفه إلى الله أو إلى نفسه أو لا يضيفه إلى أحد وهذه الأقسام هم من شياطين الإنس والجن الذين {يُوْحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلَ غُرُورًا} الأنعام 112 قال الله تعالى {وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ

مَهْجُوراً {30} وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُواً مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى
بِرَبِّكَ هَادِيًّا وَنَصِيرًا {31} الفرقان 30-31 وَالله أعلم والحمد لله¹¹⁵

وعد الله الذي وعده رسله من كلماته التي لم يبدل لها

* قال تعالى {وَتَمَتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبْدِلَ لِكَلِمَاتِهِ
وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } الأనعام 115 ذكر هذا بعد قوله {
وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُواً شَيَاطِينَ الْإِنْسَانِ وَالْجِنِّ يُوْحِي بِعَضُّهُمْ
إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلْنَا فَدَرْهُمْ
وَمَا يَفْتَرُونَ } 112 { وَلِتَصْغِي إِلَيْهِ أَفْئَدُهُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ
وَلَيَرْضُوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُفْتَرُونَ } 113 { أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغَى
حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنَزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ
يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونُنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ } 114
الأنعام 114-112 ثم قال {وَتَمَتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا
لَا مُبْدِلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } الأنىعام 115 و قال
تعالى {وَأَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبْدِلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ
تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا } الكهف 27 فأخبر في هاتين الآيتين
أنه لا يبدل لكلمات الله و أخبر في الأولى أنها تمت صدقا و عدلا
و قد توادر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يستعيد و يأمر
بالاستعادة بكلمات الله التامات و في بعض الأحاديث التي لا
يجاورهن بر ولا فاجر وقال تعالى { أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ
لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } 62 { الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا
يَتَّقُونَ } 63 { لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا يَنْبَدِيلُ
لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } 64 { يُونس 64-62 و قال
تعالى { وَلَقَدْ كُذَبْتُ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِبُوا }

¹¹⁵ مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 155-156

وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلٌ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَّبِيًّا
 الْمُرْسَلِينَ } الأَنْعَام 34 فأخبر في هذه الآية أيضاً أنه لا مبدل
 لكلمات الله عقب قوله { فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِبُوا وَأُوذُوا حَتَّى
 أَتَاهُمْ نَصْرُنَا } الأَنْعَام 34 وذلك بيان أن وعد الله الذي
 وعده رسلاه من كلماته التي لا مبدل لها لما قال في أولياته
 { لَهُمُ الْبَشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلٌ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ }
 يوئس 64 فإنه ذكر أنه لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وأن لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة فوعدهم بنفي
 المخافة والحزن وبالبشرى في الدارين وقال بعد ذلك { لَا
 تَبْدِيلٌ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ } يوئس 64 فكان في هذا تحقيق كلام الله الذي
 هو وعده كما قال { فَلَا تَحْسِبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفًا وَعِدَّهُ رُسُلُهُ }
 إبراهيم 47 وقال { وَعِدَّ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعِدَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ
 النَّاسَ لَا يَعْلَمُونَ } الروم 6 وقال المؤمنون { رَبَّنَا وَآتَنَا مَا
 وَعَدْنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ }
 آل عمران 194 فاحلاف ميعاده تبديل لكلماته وهو سبحانه
 لا مبدل لكلماته وبين ذلك قوله تعالى { لَا تَخْتَصِمُوا
 لَدَيْهِ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ } 28 { مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلُ لَدَيْهِ وَمَا أَنَا
 بِظَلَامٍ لِلْعَيْدِ } 29 { ق 28-29 فأخبر سبحانه أنه قدم إليهم
 بالوعيد وقال { مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلُ لَدَيْهِ } ق 29 وهذا يقتضي
 أنه صادق في وعيده أيضاً وإن وعيده لا يبدل وهذا مما
 احتج به القائلون بأن فساق الملة لا يخرجون من النار وقد تكلمنا
 عليهم في غير هذا الموضع لكن هذه الآية تضعف جواب من
 يقول إن اخلاف الوعيد جائز فإن قوله { مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلُ لَدَيْهِ }
 { ق 29 } بعد قوله { وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ }
 ق 28 دليل على أن وعيده لا يبدل كما لا يبدل وعده
 لكن التحقيق الجمع بين نصوص الوعيد والوعيد وتفسير بعضها
 ببعض من غير تبديل شيء منها كما يجمع بين نصوص الأمر والنهي من غير تبديل شيء منها وقد قال تعالى { سَيَقُولُ

**الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمٍ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَبَعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ
يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ } الفتح 15 وَالله أعلم¹¹⁶**

حكم الحلف على فعل مأمور إذا علقه بالمشيئة

* { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًا شَيَاطِينَ الْإِنْسَانِ وَالْجِنِّ يُوَحِّي
بِعَضُهُمُ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلْوَهُ
فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ } الانعام 112 قد ثبت بالكتاب والسنة وإجماع
العلماء أنه لو حلف ليقضيه حقه في غد إن شاء الله تعالى فخرج
الغد ولم يقضه مع قدرته على القضاء من غير عذر وطالبه
المستحق له لم يحث ولو كانت المشيئة بمعنى الأمر لحث لأنه
مأمور بذلك وكذلك سائر الحلف على فعل مأمور إذا علقه
بالمشيئة وأيضا فإنه قد قال تعالى { وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ
فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا } يونس 99 مع أنه قد أمرهم بالإيمان
فعلم أنه قد أمرهم بالإيمان ولم يشاء وكذلك قوله { وَمَنْ يُرِدْ أَنْ
يُضِلَّهُ يَجْعَلُ صَدْرَهُ ضَيْقًا حَرَجًا } الأنعام 125 دليل على أنه أراد
ضلالة وهو لم يأمره بالضلالة¹¹⁷

* وجمهور أهل السنة يقولون إن العبد فاعل لفعله حقيقة لا مجازا
وإنما نازع في ذلك طائفة من متكلمة أهل الإثبات كالأشعرى
ومن اتبعه والقرآن مملوء بما يدل على أن أفعال العباد حادثة
بمشيئة الله وقدرته وخلقه فيجب الإيمان بكل ما في القرآن ولا
يجوز أن نؤمن ببعض الكتاب ونكفر ببعض¹¹⁸

¹¹⁶ مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 496-498

¹¹⁷ منهاج السنة النبوية ج: 3 ص: 156

¹¹⁸ منهاج السنة النبوية ج: 3 ص: 258

القرآن العربي العظيم كلام الله العزيز العليم

*أن القرآن العظيم كلام الله العزيز العليم ليس شيء منه كلاماً لغيره لا جبريل ولا محمد ولا غيرهما قال الله تعالى { فإذا قرأت القرآن فاستعد بالله من الشيطان الرجيم } 98 { إنَّه لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ } 99 { إِنَّمَا سُلْطَانَهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَُّونَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ } 100 { وَإِذَا بَدَّلَنَا آيَةً مَكَانَ آيَةً وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ فَلَوْا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٌ بِلَّا أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } 101 { فَلَنْزَلَهُ رُوحُ الْقُدْسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِتُبَيَّنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدَى وَبُشِّرَى لِلْمُسْلِمِينَ } 102 { وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعْلَمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمٌ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مَّيْبِنٌ } 103 { النحل 98-103 } فأمره أن يقول { نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدْسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ } النحل 102 فان الضمير في قوله { قُلْ نَزَّلَهُ } النحل 102 عائد على ما في قوله { بما يُنَزِّلُ } النحل 101 والمراد به القرآن كما يدل عليه سياق الكلام وقوله والله أعلم { وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ } 101 { النحل 101 فيه إخبار الله بأنه انزله لكن ليس في هذه اللحظة بيان ان روح القدس نزل به ولا انه منزل منه ولفظ الانزال في القرآن قد يرد مقيداً بالانزال منه كنزول القرآن وقد يرد مقيداً بالانزال من السماء ويراد به العلو فيتناول نزول المطر من السحاب ونزول الملائكة من عند الله وغير ذلك وقد يرد مطلقاً فلا يختص بنوع من الانزال بل ربما يتناول الانزال من رؤوس الجبال ك قوله { وَأَنَزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ } الحديد 25 (الرجوع الى مصادر علمية التي اثبتت ان الحديد ايضاً ينزل من السماء بواسطة النيازك وذكره في هامش) والانزال من ظهور الحيوان كانزال الفحل الماء وغير ذلك فقوله { نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدْسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ } 102 { النحل 102 } بيان لنزول جبريل به من الله فإن روح القدس هنا هو جبريل بدليل قوله { قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ }

فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ } الْبَقْرَةِ 97 وَهُوَ الرُّوحُ الْأَمِينُ كَمَا فِي قَوْلِهِ {وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلٌ رَبِّ الْعَالَمِينَ } 192 نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ } 193 عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ } 194 بِلِسَانِ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ } 195 الشِّعْرَاءِ 192-195 وَفِي قَوْلِهِ {الْأَمِينُ } الشِّعْرَاءِ 193

دلالة على أنه مؤمن على ما أرسل به لا يزيد فيه ولا ينقص منه فان الرسول الخائن قد يغير الرسالة كما قال في صفتة في الآية الأخرى {إِنَّهُ لَقُولُ رَسُولٍ كَرِيمٍ } 19 ذي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ } 20 مُطَاعَ ثُمَّ أَمِينٍ } 21 التكوير 19-21 وفي قوله {مُنْزَلٌ مِّنْ رَبِّكَ } الأنعام 114 دلالة على أمور منها بطidan قول من يقول إنه كلام مخلوق خلقه في جسم من الأجسام المخلوقة كما هو قول الجهمية الذين يقولون بخلق القرآن من المعزلة والنجارية والضرارية وغيرهم فان السلف كانوا يسمون كل من نفي الصفات وقال ان القرآن مخلوق وان الله لا يرى في الآخرة جهميا فان جهما أول من ظهرت عنه بدعة نفي الأسماء والصفات وبالغ في نفي ذلك فله في هذه البدعة مزية المبالغة في النفي والابتداء بكثرة اظهار ذلك والدعوة إليه وان كان الجعد بن درهم قد سبقه إلى بعض ذلك فان الجعد بن درهم أول من أحدث ذلك في الإس فضحى به خالد بن عبد الله القسري بواسط يوم النحر وقال يا أيها الناس ضحوا قبل الله ضحاياكم فانى مضح بالجعد بن درهم انه زعم ان الله لم يتخد إبراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما تعالى الله عما يقول الجعد بن درهم علوا كبيرا ثم نزل فذهب ولكن المعزلة وان وافقوا جهما في بعض ذلك فهم يخالفونه في مسائل غير ذلك كمسائل القدر والإيمان وبعض مسائل الصفات أيضا ولا يبالغون في النفي مبالغته وجهم يقول ان الله تعالى لا يتكلم او يقول انه يتكلم بطريق المجاز وأما المعزلة فيقولون انه يتكلم حقيقة لكن قولهم في المعنى هو قول جهم وجهم ينفي الأسماء أيضا كما نفتها الباطنية ومن وافقهم من الفلاسفة وأما جمهور المعزلة فلا ينفون الأسماء و

المقصود ان قوله {مَنْزَلٌ مِّنْ رَبِّكَ} {الأنعام 114} فيه بيان انه منزل من الله لا من مخلوق من المخلوقات ولهذا قال السلف منه بدأ اي هو الذى تكلم به لم يبدأ من غيره كما قالت الخلقيه و منها ان قوله {مَنْزَلٌ مِّنْ رَبِّكَ} {الأنعام 114} فيه بطلان قول من يجعله فاض على نفس النبي من العقل الفعال او غيره كما يقول ذلك طوائف من الفلاسفة والصائبة وهذا القول اعظم كفرا وضلالا من الذى قبله و منها أن هذه الآية أيضا تبطل قول من يقول أن القرآن العربي ليس منزلا من الله بل مخلوق أما في جبريل أو محمد أو جسم آخر غيرهما كما يقول ذلك الكلابية والأشعرية الذين يقولون أن القرآن العربي ليس هو كلام الله وإنما كلامه المعنى القائم بذاته والقرآن العربي خلق ليدل على ذلك المعنى ثم اما ان يكون خلق في بعض الأجسام الهواء أو غيره أو الهمه جبريل فعبر عنه بالقرآن العربي أو الهمه محمد فعبر عنه بالقرآن العربي أو يكون اخذه جبريل من اللوح المحفوظ أو غيره فهذه الأقوال التي تقدمت هي تفريع على هذا القول فان هذا القرآن العربي لا بد له من متكلم تكلم به أولا قبل أن يصل إلينا وهذا القول يوافق قول المعتزلة ونحوهم في اثبات خلق القرآن العربي وكذلك التوراة العبرية ويفارقه من وجهين أحدهما أن أولئك يقولون ان المخلوق كلام الله و هؤلاء يقولون أنه ليس كلام الله لكن يسمى كلام الله مجازا وهذا قول أئمتهم وجمهورهم وقالت طائفة من متأخرتهم بل لفظ الكلام يقال على هذا وهذا بالاشتراك اللغطي لكن هذا ينقض أصلهم في ابطال قيام الكلام بغير المتتكلم به وهم مع هذا لا يقولون ان المخلوق كلام الله حقيقة كما تقوله المعتزلة مع قولهم انه كلامه حقيقة بل يجعلون القرآن العربي كلاما لغير الله وهو كلام حقيقة وهذا شر من قول المعتزلة وهذا حقيقة قول الجهمية ومن هذا الوجه فقول المعتزلة أقرب وقول الآخرين هو قول الجهمية المحضة لكن المعتزلة في المعنى موافقون لهؤلاء وانما ينزع عنهم في اللفظ الثاني ان هؤلاء يقولون الله كلام هو

معنى قديم قائم بذاته والخلفية يقولون لا يقوم بذاته كلام ومن هذا الوجه فالكلابية خير من الخلفية في الظاهر لكن جمهور الناس يقولون أن أصحاب هذا القول عند التحقيق لم يثبتوا له كلاماً حقيقة غير المخلوق فائهم يقولون انه معنى واحد هو الأمر والنهاي والخبر فان عبر عنه بالعربية كان قرآناً وان عبر عنه بالعربية كان توراة وان عبر عنه بالسريانية كان انجيلاً و منهم من قال هو خمس معانٍ وجمهور العقلاة يقولون ان فساد هذا معلوم بالضرورة بعد التصور التام والعقلاء الكثيرون لا يتتفقون على الكذب وجحد بالضرورات من غير تواطؤ واتفاق كما في الأخبار المتوترة وأما مع التواطؤ فقد يتتفقون على الكذب عمداً وقد يتتفقون على جحد الضرورات وان لم يعلم كل منهم انه جاحد للضرورة ولو لم يفهم حقيقة القول الذي يعتقد لحسن ظنه فيمن يقلد قوله ولمحبته لنصر ذلك القول كما اتفقت النصارى والرافضة وغيرهم من الطوائف على مقالات يعلم فسادها بالضرورة وقال جمهور العقلاة نحن إذا عربنا التوراة والإنجيل لم يكن معنى ذلك معنى القرآن بل معانٍ هذا ليست معانٍ هذا ومعانٍ هذا ليست معانٍ هذا وكذلك معنٍ {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} الإخلاص¹ ليس هو معنى {تَبَّأْتِ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ} المسد¹ ولا معنى آية الكرسي هو معنى آية الدين وقالوا إذا جوزتم أن تكون الحقائق المتنوعة شيئاً واحداً فجوزوا أن يكون العلم والقدرة والكلام والسمع والبصر صفة واحدة فاعترف أئمة هذا القول بأن هذا الالزام ليس لهم عنه جواب عقلي ثم منهم من قال الناس في الصفات إما مثبت لها وقاتل بالتعذيب وإما ناف لها وأما ثباتها واتحادها فخلاف الاجماع وهذه طريقة القاضي أبي بكر وأبي المعالي وغيرهما ومنهم من اعترف بأنه ليس له عنه جواب كأبي الحسن الأمدى وغيره والمقصود هنا أن هذه الآية تبين بطلان هذا القول كما تبين بطلان غيره فان قوله {قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْفُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ} النحل 102 يقتضى نزول القرآن من ربه والقرآن اسم للقرآن العربي لفظه ومعناه

بدليل قوله {فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ} النحل 98 وإنما يقرأ القرآن العربي لا يقرأ معانيه المجردة وأيضا فضمير المفعول في قوله نزله عائد على ما في قوله {وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ} النحل 101 فالذي أنزله الله هو الذي نزله روح القدس فإذا كان روح القدس نزل بالقرآن العربي لزم أن يكون نزله من الله فلا يكون شيء منه نزله من عين من الأعيان المخلوقة ولا نزله من نفسه وأيضا فانه قال عقيب هذه الآية {وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعْلَمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الدِّيْنِ يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمٌ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ} النحل 103 وهم كانوا يقولون إنما يعلمه هذا القرآن العربي بشر لم يكونوا يقولون إنما يعلمه بشر معانيه فقط بدليل قوله {لِسَانُ الدِّيْنِ يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمٌ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ} النحل 103 فإنه تعالى أبطل قول الكفار بأن لسان الذي أحدثوا إليه بأن اضافوا إليه هذا القرآن فجعلوه هو الذي يعلم محمدا القرآن لسان أعمى والقرآن لسان عربي مبين وعبر عن هذا المعنى بلفظ {يُلْحِدُونَ} النحل 103 لما تضمن من معنى ميلهم عن الحق وميلهم إلى هذا الذي أضافوا إليه هذا القرآن فان لفظ الالحاد يقتضى ميلا عن شيء إلى شيء بباطل فلو كان الكفار قالوا يعلمه معانيه فقط لم يكن هذا ردًا لقولهم فان الانسان قد يتعلم من الأعمى شيئا بلغة ذلك الأعمى ويعبر عنه هو بعبارته وقد اشتهر في التفسير ان بعض الكفار كانوا يقولون هو تعلم من شخص كان بمكة أعمى قيل انه كان مولى لابن الحضرمي وإذا كان الكفار جعلوا الذي يعلمه ما نزل به روح القدس بشرا والله أبطل ذلك بأن لسان ذلك أعمى وهذا لسان عربي مبين علم ان روح القدس نزل باللسان العربي المبين وان محمدا لم يؤلف نظم القرآن بل سمعه من روح القدس وإذا كان روح القدس نزل به من الله علم انه سمعه منه ولم يؤلفه هو وهذا بيان من الله ان القرآن الذي هو اللسان العربي المبين سمعه روح القدس من الله ونزل به منه ونظير هذه الآية قوله تعالى {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسَانِ وَالْجِنِّ يُوَحِّي بَعْضُهُمْ

إِلَى بَعْضِ زُحْرُفَ الْقُوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَدَرُّهُمْ
وَمَا يَفْتَرُونَ } الأَنْعَام١١٢ وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ { وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ
الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّنْ رَبِّكَ
بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونُنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ } الأَنْعَام١١٤ ^{١١٩}

الرد على الذين يقولون ان جبريل اخذ القرآن من الكتاب لم يسمعه من الله

القرآن كلام الله تعالى وليس كلام جبريل ولا كلام محمد وهذا متفق عليه بين الصحابة والتابعين لهم باحسان وأئمة المسلمين وأصحابهم الذين يفتى بقولهم في الإسلام كأبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وغيرهم وجبريل سمعه من الله وسمعه محمد من جبريل كما قال تعالى {فَنَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ} النحل102 وروح القدس هو جبريل ^{١٢٠}

*والكتاب اسم للقرآن العربي بالضرورة والاتفاق فان الكلابية أو بعضهم يفرق بين الكلام وكتاب الله فيقول كلامه هو المعنى القائم بالذات وهو غير مخلوق وكتابه هو المنظوم المؤلف العربي وهو مخلوق والقرآن يراد به هذا تارة وهذا تارة والله تعالى قد سمي نفس مجموع اللفظ والمعنى قرآنا وكتابا وكلاما فقال تعالى {الرَّتِّلُكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ} الحجر1 وقال {طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ} النمل1 وقال {وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرَا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ} الأحقاف29 الى قوله تعالى {قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أَنْزَلْنَا مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ} الأحقاف30 فيبين ان الذى سمعوه هو القرآن وهو

^{١١٩}مجموع الفتاوى ج: 12 ص: 117-127

^{١٢٠}مجموع الفتاوى ج: 12 ص: 554

الكتاب وقال {بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّحِيدٌ}21 في لُوح مَحْفُوظٍ22 البروج 21-22 وقال {إِنَّهُ لِقُرْآنٌ كَرِيمٌ}77 في كتاب مَكْنُونٍ78 الواقعة 77-78 وقال {يَتْلُو صُحْفًا مُّطَهَّرَةً}2 فيها كُتُبٌ قِيمَةً3 البينة 2-3 وقال {وَالطُور}1 وكتاب مَسْطُورٍ2 في رَقٍ مَنْشُورٍ3 الطور 1-3 وقال {وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمْسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ}4 الأنعام 7 ولكن لفظ الكتاب قد يراد به المكتوب فيكون هو الكلام وقد يراد به ما يكتب فيه كما قال تعالى {إِنَّهُ لِقُرْآنٌ كَرِيمٌ}77 في كتاب مَكْنُونٍ78 الواقعة 77-78 وقال {وَنُخْرُجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتابًا يُلْقَاهُ مَنْشُورًا}5 الإسراء 13 و المقصود هنا ان قوله {وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتابَ مُفَصَّلًا}6 الأنعام 114 يتناول نزول القرآن العربي على كل قول وقد اخبر ان {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ}7 الأنعام 114 اخبار مستشهد بهم لا مكذب لهم وقال انهم يعلمون ذلك ولم يقل انهم يظلونه او يقولونه والعلم لا يكون إلا حقا مطابقا للمعلوم بخلاف القول والظن الذي ينقسم الى حق وباطل فعلم ان القرآن العربي منزل من الله لا من الهواء ولا من اللوح ولا من جسم آخر ولا من جبريل ولا من محمد ولا غيرهما و اذا كان أهل الكتاب يعلمون بذلك فمن لم يقر بذلك من هذه الأمة كان أهل الكتاب المقربون بذلك خيرا منه من هذا الوجه وهذا لا ينافي ما جاء عن ابن عباس وغيره من السلف في تفسير قوله {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ}8 القراءة انه انزله إلى بيت العزة في السماء الدنيا ثم انزله بعد ذلك منجما مفرقا بحسب الحوادث ولا ينافي انه مكتوب في اللوح المحفوظ قبل نزوله كما قال تعالى {بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّحِيدٌ}21 في لُوح مَحْفُوظٍ22 البروج 21-22 وقال تعالى {إِنَّهُ لِقُرْآنٌ كَرِيمٌ}77 في كتاب مَكْنُونٍ78 لا يمسه إلا المُطَهَّرُونَ9 الواقعة 77-79 وقال تعالى {كَلَّا إِنَّهَا تَذَكِّرَةٌ}11 فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ12 في صُحْفٍ مُّكَرَّمَةٍ13 مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ14 بِأَيْدِي سَفَرَةٍ15 كِرامٍ

بَرَرَةٌ {16} عِبْس١١-١٦ وَقَالَ تَعَالَى {وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ
لَدَيْنَا لَعَلَّیٌ حَكِيمٌ} الزَّخْرَف٤ فَانْ كُونَهُ مَكْتُوبًا فِي الْلَوْحِ
الْمَحْفُوظِ وَفِي صَحْفِ مَطْهَرَةِ بِأَيْدِيِّ الْمَلَائِكَةِ لَا يَنْافِي أَنْ يَكُونَ
جَبَرِيلُ نَزَلَ بِهِ مِنَ اللَّهِ سَوَاءَ كَتَبَهُ اللَّهُ قَبْلَ أَنْ يُرَسِّلَ بِهِ جَبَرِيلُ أَوْ
بَعْدَ ذَلِكَ وَإِذَا كَانَ قَدْ اَنْزَلَهُ مَكْتُوبًا إِلَى بَيْتِ الْعَزَّةِ جَمْلَةً وَاحِدَةً فِي
لَيْلَةِ الْقَدْرِ فَقَدْ كَتَبَهُ كُلُّهُ قَبْلَ أَنْ يَنْزَلَهُ وَاللَّهُ تَعَالَى يَعْلَمُ مَا كَانَ
وَمَا يَكُونُ وَمَا لَا يَكُونُ أَنْ لَوْ كَانَ كَيْفَ كَانَ يَكُونُ وَهُوَ سَبَحَانُهُ
قَدْ قَدِرَ مَقَادِيرُ الْخَلَائِقِ وَكَتَبَ أَعْمَالَ الْعِبَادِ قَبْلَ أَنْ يَعْمَلُوهَا كَمَا
ثَبَّتَ ذَلِكَ فِي صَرِيحِ الْكِتَابِ وَالسُّنْنَةِ وَآثَارِ السَّلْفِ ثُمَّ أَنْ يَأْمُرَ
الْمَلَائِكَةَ بِكَتَابَتِهَا بَعْدَ مَا يَعْمَلُونَهَا فِيَقْبَلُ بَيْنَ الْكِتَابِ الْمُتَقْدِمَةِ عَلَى
الْوُجُودِ وَالْكِتَابِ الْمُتَأْخِرَةِ عَنْهُ فَلَا يَكُونُ بَيْنَهُمَا تَفَاقُوتُ هَذَا قَالَ
إِبْرَاهِيمُ عَبْس٢ وَغَيْرُهُ مِنَ السَّلْفِ وَهُوَ حَقٌّ فَإِذَا كَانَ مَا يَخْلُقُهُ بِائِنَّا عَنْهُ
قَدْ كَتَبَهُ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُ فَكَيْفَ يَسْتَبِعُهُ أَنْ يَكْتُبَ كَلَامَهُ الَّذِي يُرَسِّلُ بِهِ
مَلَائِكَتَهُ قَبْلَ أَنْ يُرَسِّلُهُمُ بِهِ وَمَنْ قَالَ أَنْ جَبَرِيلَ أَخْذَ الْقُرْآنَ مِنْ
الْكِتَابِ لَمْ يَسْمَعْهُ مِنَ اللَّهِ كَانَ هَذَا بَاطِلًا مِنْ وَجْهِهِ مَنْ هُوَ أَنْ يَقُولَ
إِنَّ اللَّهَ سَبَحَانُهُ وَتَعَالَى قَدْ كَتَبَ التُّورَةَ لِمُوسَى بِيَدِهِ فَبَنُوا إِسْرَائِيلَ
أَخْذُوا كَلَامَ اللَّهِ مِنَ الْكِتَابِ الَّذِي كَتَبَهُ هُوَ سَبَحَانُهُ وَتَعَالَى فِيهِ فَانَّ
كَانَ مُحَمَّدًا أَخْذَهُ عَنْ جَبَرِيلٍ وَجَبَرِيلٍ عَنِ الْكِتَابِ كَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ
أَعْلَمُ مِنْ مُحَمَّدٍ بَدْرَجَةٍ وَكَذَلِكَ مَنْ قَالَ أَنَّهُ الْقَى إِلَى جَبَرِيلِ
الْمَعْانِي وَانْ جَبَرِيلَ عَبَرَ عَنْهَا بِالْكَلَامِ الْعَرَبِيِّ فَقُولُهُ يَسْتَلِزُمُ أَنَّ
يَكُونَ جَبَرِيلَ الْهَمَّهُ الْهَمَّا وَهَذَا الْالْهَامُ يَكُونُ لِأَحَادِ الْمُؤْمِنِينَ كَمَا
قَالَ تَعَالَى {وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَيْهِ الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِيِّ
} الْمَائِدَة١١١ وَقَالَ {وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أُمَّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ
} الْقَصْص٧ وَقَدْ أَوْحَى إِلَى سَائِرِ النَّبِيِّينَ فَيَكُونُ هَذَا الْوَحْيُ الَّذِي
يَكُونُ لِأَحَادِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُؤْمِنِينَ أَعْلَى مِنْ أَخْذِ مُحَمَّدٍ الْقُرْآنَ عَنِ
جَبَرِيلٍ لَأَنَّ جَبَرِيلَ الَّذِي عَلِمَهُ لِمُحَمَّدٍ هُوَ بِمَنْزِلَةِ الْوَاحِدِ مِنْ
هُؤُلَاءِ وَلِهُذَا زَعَمَ ابْنُ عَرَبِيٍّ أَنَّ خَاتَمَ الْأَوْلَيَاءِ أَفْضَلُ مِنْ خَاتَمِ
الْأَنْبِيَاءِ وَقَالَ لَأَنَّهُ يَأْخُذُ مِنَ الْمَعْدَنِ الَّذِي يَأْخُذُ مِنْهُ الْمَلَكُ الَّذِي
يَوْحِي بِهِ إِلَى الرَّسُولِ فَجَعَلَ أَخْذَهُ وَأَخْذَ الْمَلَكَ الَّذِي جَاءَ إِلَى

الرسول من معدن واحد وادعى ان اخذه عن الله أعلى من اخذ
الرسول للقرآن ومعلوم ان هذا من اعظم الكفر وان هذا القول من
جنسه وايضا فالله تعالى يقول {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا
إِلَيْ نُوحٍ وَالنَّبِيِّنَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ
وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ} النساء 163 إلى قوله {وَكَلَّمَ
اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا} النساء 164 ففضل موسى بالتكليم على غيره
من اوحى اليهم وهذا يدل على امور على ان الله يكلم عبده
تكليم زائدا عن الوحي الذي هو قسم التكليم الخاص فان لفظ
التكليم والوحى كل منهما ينقسم إلى عام وخاص فالتكليم هو
المقسم في قوله وما كان ليبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من
وراء حجاب أو يرسل رسولا والتوكليم المطلق هو قسم
الوحى الخاص ليس هو قسما منه وكذلك لفظ الوحي قد يكون
عاما فيدخل فيه التكليم الخاص كما في قوله لموسى فاستمع
لما يوحى وقد يكون قسم التكليم الخاص كما في سورة
الشورى وهذا يبطل قول من يقول الكلام معنى واحد قائم بالذات
فانه حنيذ لا فرق بين التكليم الذي خص به موسى والوحى العام
الذى يكون للأحاد العباد ومثل هذا قوله في الآية الأخرى
{وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ
يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوَحِّيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَيْ حَكِيمٌ} الشورى 51
فانه فرق بين الاحياء وبين التكليم من وراء الحجاب وبين ارسال
رسول يوحى بإذنه ما يشاء فدل على ان التكليم من وراء حجاب
كما كلام موسى أمر غير الاحياء وأيضا قوله {تَنْزِيلُ
الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ} الجاثية 2 وقوله {تَنْزِيلُ
الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ} غافر 2 وقوله {تَنْزِيلٌ مِّنَ
الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} فصلات 2 وأمثال ذلك يدل على انه منزل من
الله لا من غيره وكذلك قوله {بَلْغُ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ}

{ المائدة 67 } فانه يدل على اثبات أن ما أنزل اليه من ربه وانه
مبلغ مأمور بتبلیغ ذلك¹²¹

كل مبتدع دينا خالف به سنة الرسول لا يتبع الا دينا بدلًا

* ودين الأنبياء كلهم الاسلام كما أخبر الله بذلك في غير موضع وهو الإسلام الله وحده وذلك انما يكون بطاعته فيما أمر به في ذلك الوقت فطاعة كلنبي هي من دين الاسلام اذ ذاك واستقبال بيت المقدس كان من دين الاسلام قبل النسخ ثم لما أمر باستقبال الكعبة صار استقبالها من دين الاسلام ولم يبق استقبال الصخرة من دين الاسلام ولهذا خرج اليهود والنصارى عن دين الاسلام فانهم تركوا طاعة الله وتصديق رسوله واعتاضوا عن ذلك بمبدل أو منسخ وهكذا كل مبتدع دينا خالف به سنة الرسول لا يتبع الا دينا بدلًا او منسخا فكل من خالف ما جاء به الرسول اما أن يكون ذلك قد كان مشروعا لنبى ثم نسخ على لسان محمد واما أن لا يكون شرع قط فهذا كالاديان التي شرعاها الشياطين على السنة أولئائهم قال تعالى {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءٌ شَرَّ عَوْلَاهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذِنْ بِهِ اللَّهُ} الشورى 21 وقال {وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُؤْخُونَ إِلَى أَوْلِيَاءِهِمْ لِيُجَاهِدُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ} الأنعام 121 وقال {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسَانِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَيْهِ بَعْضٌ رُّخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ} الأنعام 112 ولهذا كان الصحابة اذا قال أحدهم برأيه شيئا يقول ان كان صوابا فمن الله وان كان خطأ فمن الشيطان والله رسوله بريئان منه كما قال ذلك ابن مسعود وروى عن أبي بكر وعمر فالاقسام ثلاثة

121 مجموع الفتاوى ج: 12 ص: 125-129 و مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 225-223

فانه اما ان يكون هذا القول موافقا لقول الرسول او لا يكون و اما
 أن يكون موافقا لشرع غيره واما أن لا يكون فهذا الثالث المبدل
 كأدیان المشرکین والمجوس وما كان شرعا لغيره وهو لا يوافق
 شرعا فقد نسخ كالسبت وتحريم كل ذى ظفر وشحم الثرب
 والكليتين فان اتخاذ السبت عيدها وتحريم هذه الطيبات قد كان
 شرعا لموسى ثم نسخ بل قد قال المسيح {وَلَا حَلَّ لَكُمْ بَعْضَ
 الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ} آل عمران 50 فقد نسخ الله على لسان المسيح
 بعض ما كان حراما في شرع موسى وأما محمد فقال
 الله فيه {الَّذِي يَحِدُّونَهُ مَكْتُوبًا عَنْهُمْ فِي التُّورَةِ وَالْإِنْجِيلِ
 يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَبَنِهَا هُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ
 عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَبَيْضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ
 فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أَنْزَلْنَا مَعَهُ
 أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} الأعراف 157 والشرك كله من المبدل لم
 يشرع الله الشرك قط كما قال {وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ
 رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ اللَّهَ يُعْبُدُونَ} الزخرف 45
 وقال تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا
 إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونَ} الأنبياء 25¹²²

الوحي وحيان

* و الوحي وحيان وحي من الرحمن ووحى من الشيطان
 قال تعالى { وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوْحُونَ إِلَى أُولَئِنَّمْ لِيُجَادِلُوكُمْ }
 الأنعام 121 وقال تعالى { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا
 شَيَاطِينَ الْإِنْسَنِ وَالْجِنِّ يُوْحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقُوْلِ }

¹²² مجموع الفتاوى ج: 19 ص: 181-183

غُرُوراً { الأنعام 112} وَقَالَ تَعَالَى { هَلْ أَنْبَيْكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ
الشَّيَاطِينُ } الشِّعْرَاءِ 221¹²³

أن الحق إذا جد أقام الله تعالى له مما يحق به الحق

* وكان من سنة الله تبارك وتعالى مواترة الرسل وتعيم الخلق بهم بحيث يبعث في كل أمة رسولاً ليقيم هداه وحجته وكان دينه الذي ارتضاه الله لنفسه هو دين الإسلام الذي بعث الله به الأولين والآخرين من الرسل ولا يقبل من أحد ديناً غيره لا من الأولين ولا من الآخرين وهو دين الأنبياء وأتباعهم كما أخبر الله تعالى بذلك عن نوح ومن بعده إلى الحواريين فهذا دين الأولين والآخرين من الأنبياء وأتباعهم هو دين الإسلام وهو عبادة الله وحده لا شريك له وعبادته تعالى في كل زمان ومكان بطاعة رسله عليهم السلام فلما كان محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ولم يكن بعده رسول ولا من يجدد الدين لم يزل الله سبحانه وتعالى يقيم لتجديد الدين من الأسباب ما يكون مقتضياً لظهوره كما وعد به في الكتاب فيظهر به محاسن الإيمان ومحامده ويعرف به مساوى الكفر ومفاسده ومن أعظم أسباب ظهور الإيمان والدين وبيان حقيقة أنباء المرسلين ظهور المعارضين لهم من أهل الإفك المبين كما قال تعالى {
وَكَذَّلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُواً شَيَاطِينَ الْإِنْسَانِ وَالْجِنِّ يُوَحِّي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ رُّخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلْوَهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ } 112 {
وَلَئِنْصَغَى إِلَيْهِ أَفْنَدَهُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَلَيَرْضَوْهُ وَلَيَقْرِفُوا مَا هُمْ مُفْتَرُونَ } 113 {
أَفَغَيَرَ اللَّهُ أَبْتَغَى حَكْمًا وَهُوَ الدِّيْنُ أَنَّزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ

يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِّنْ رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ {114}
 وَتَمَتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلٌ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ {115} الأنعام الآيات 112-115 وذلك أن الحق
 إذا جد وعرض بالشبهات أقام الله تعالى له مما يحق به الحق
 ويبطل به الباطل من الآيات البينات بما يظهره من أدلة الحق
 وبراهينه الواضحة وفساد ما عارضه من الحجج الداحضة
 فالقرآن لما كذب به المشركون واجهدوه على ابطاله بكل طريق
 مع أنه تحداهم بالإتيان بمثله ثم بالإتيان بعشر سور ثم بالإتيان
 بسورة واحدة كان ذلك مما دل ذوي الألباب على عجزهم عن
 المعارضة مع شدة الاجتهاد وقوة الأسباب ولو اتباعه من غير
 معارضة وإصرار على التسطيل لم يظهر عجزهم عن معارضته
 التي بها يتم الدليل¹²⁴

* فإن الكفار بالأنبياء من عاداتهم أن يقول كل طائفة فيه قولًا
 يناقض قول الطائفة الأخرى وكذلك قولهم في الكتاب الذي أنزل
 عليه وأقوالهم كلها أقوال مختلفة باطلة فبين سبحانه أن الكفار
 ضربوا له أمثلاً كلها باطلة ومثلوه بالمسحور فقالوا سحر وشعر
 وكهانة ونحو ذلك ضلوا فيها عن الحق فلا يستطيعون مع
 الضلال سبيلاً إلى الحق وقد أخبر تعالى أن هذه سنة الكفار في
 الأنبياء قبله وقال تعالى { وَكَذَّلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ
 الْإِنْسَانِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمُ إِلَيْهِ بَعْضٌ زُخْرُفَ الْقَوْلِ عُرُورًا
 وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ } الأنعام 112 ¹²⁵

إذا ذكر حكمة للفعل لم يلزم أن لا تكون له حكمة أخرى

¹²⁴ الجواب الصحيح ج: 1 ص: 85

¹²⁵ الجواب الصحيح ج: 1 ص: 161

قال تعالى { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًا شَيَاطِينَ الْإِنْسَانِ وَالْجِنِّ يُوَحِّي بَعْضُهُمُ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقُولِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلَوْهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ }¹¹² { وَلَنَصْغِي إِلَيْهِ أَفْنَدَهُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَلَيَرْضُوهُ وَلَيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُفْتَرِفُونَ }¹¹³

الأنعام 112-115 وفي ذلك حكم أخرى ومثل ذلك كثير في كلام الله عز وجل وغير كلام الله إذا ذكر حكمة للفعل لم يلزم أن تكون له حكمة أخرى لكن لا بد لتفصيص تلك الحكمة بالذكر في ذلك الموضع من مناسبته وهذا كالمناسبة في قوله { لَتَنذِرَ قَوْمًا مَا أَنذَرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ }¹²⁶ يس 6 فإن هؤلاء كانوا أول المنذرين وأحقهم بالإذار فكان في تخصيصهم بالذكر فائدة لا أنه خصهم لانتقاء إنذار من سواهم¹²⁶

سمع كلام أهل البدع لمن يضره ذلك باب تجتمع فيه الشبهات والشهوات

*ذكر أحوال الكفار والفجار وغير ذلك مما فيه ترغيب في معصية الله وصد عن سبيل الله ومن هذا الباب سمع كلام أهل البدع والنظر في كتبهم لمن يضره ذلك ويدعوه إلى سبيلهم وإلى معصية الله فهذا الباب تجتمع فيه الشبهات والشهوات والله تعالى ذم هؤلاء في مثل قوله { يُوَحِّي بَعْضُهُمُ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقُولِ غُرُورًا }¹¹² الأنعام 112 وفي مثل قوله { وَالشُّعَرَاءَ يَتَنَعَّمُونَ }¹¹³ الشعراء 224 ومثل قوله { وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَسْتَرِي لَهُ الْحَدِيثَ لِيُضْلِلَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَخَدَّهَا هُرُوا }¹²⁶ لقمان 6 وقوله { مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ }¹²⁶ المؤمنون 67 ومثل قوله { وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَخَذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَخَذُوهُ سَبِيلًا }¹⁴⁶ الأعراف 146 ومثل قوله { وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ

فِي الْأَرْضِ يُضْلِلُوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ {الأنعام 116} الآية ومثل هذا كثيرٌ فِي القرآن فأهل المعااصي كثيرون فِي العالم بل هم أكثر كما قال تعالى **{وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضْلِلُوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ}** {الأنعام 116} الآية وفي النقوس من الشبهات المذمومة والشهوات قولاً و عملاً ما لا يعلمه إلا الله وأهلهما يدعون الناس إليها ويقهرون من يعصيهم ويزينونها لمن يطاعهم فهم أعداء الرسل وأندادهم فرسل الله يدعون الناس إلى طاعة الله ويأمرونهم بها بالرغبة والرعب ويجهدون عليها وينهونهم عن معاصي الله ويحذرونهم منها بالرغبة والرعب ويجهدون من يفعلها وهؤلاء يدعون الناس إلى معصية الله ويأمرونهم بها بالرغبة والرعب قولاً وفعلاً ويجهدون على ذلك قال تعالى **{الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْتِلُونَ أَيْدِيهِمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}** {التوبه 67} ثم قال **{وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أُولَئِيَاءِ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقْيِمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيِّرْ حُمُّمُ اللَّهِ}** {التوبه 71} وقال تعالى **{الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ}** {النساء 127}

الفرق بين اولياء الرحمن واولياء الشيطان

* واولياء الله المتقون هم الذين فعلوا المأمور وتركوا المحظور وصبروا على المقدور فأحببهم واحببوه ورضي عنهم ورضوا عنه واعداوه اولياء الشياطين وان كانوا تحت قدرته فهو يبغضهم

¹²⁷ مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 336 - 338

ويغضب عليهم ويلعنهم ويعاديهם ومجامع الفرق بين اولياء الرحمن واولياء الشيطان وجمع الفرق بينهما اعتبارهم بموافقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه هو الذى فرق الله تعالى به بين اوليائه السعداء واعدائه الاشقياء وبين اوليائه أهل الجنة واعدائه أهل النار وبين اوليائه أهل الهدى والرشاد وبين اعدائه أهل الغى والضلال والفساد واعدائه حزب الشيطان واوليائه الذين كتب في قلوبهم الامان وابدهم بروح منه قال تعالى {لَا تَحِدُّ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُؤَدُّونَ مَنْ حَادَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ } المجادلة 22 الآية وقال تعالى {إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَتَبَّأْلُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلُقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّاعِبَ فَاضْرِبُوهُمْ فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوهُمْ كُلَّ بَنَانٍ } الأنفال 12 وقال في اعدائه {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَذَّوْا شَيَاطِينَ الْأَنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمُ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا } الأئمَّةِ 112¹²⁸

كل متمرد عند العرب شيطان وفي اشتقاءه قوله

* وكذلك الوسواس في النفس يكون من الشيطان تارة ومن النفس تارة قال تعالى {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْأَنْسَانَ وَنَعَلَمُ مَا تُوَسُّسُ بِهِ نَفْسُهُ } ق 16 وقال {فَوَسُوسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ } طه 120 وقال {فَوَسُوسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبَدِّيَ لَهُمَا مَا وُرِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَاتِهِمَا } الأعراف 20 والوسوسة من جنس الووشة بالشين المعجمة ومنه وسوسة الحلى وهو الكلام الخفي والصوت الخفي وقد قال تعالى { قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ } 1 { مَلِكِ النَّاسِ } 2 { إِلَهِ النَّاسِ } 3 { مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ } 4 { الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي

صُدُورِ النَّاسِ {5} مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ {6} } الناس 1-6 وقد قيل
 إن المعنى من الذي يو سوس في صدور الناس من الجن ومن
 الناس وأنه جعل الناس أولاً تتناول الجن وناسا فسماهم ناسا
 كما سماهم رجالا قاله الفراء وقيل المعنى من شر الموسوس
 في صدور الناس من الجن ومن شر الناس مطلقا قاله الزجاج
 ومن المفسرين كأبي الفرج بن الجوزي من لم يذكر غيرهما
 وكلاهما ضعيف وال الصحيح أن المراد القول الثالث وهو أن
 الإستعاذه من شر الموسوس من الجن ومن الناس في صدور
 الناس فأمر بالإستعاذه من شر شياطين الإنس والجن كما قال
 تعالى {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لَكُلَّ نَبِيٍّ عَدُواً شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ
 يُوحِي بَعْضُهُمُ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا
 فَعَلَوْهُ فَدَرْهُمٌ وَمَا يَقْتُرُونَ } الأنعام 112 وفي حديث أبي ذر
 الطويل الذي رواه أبو حاتم بن حبان في صحيحه بطوله قال يا
 أبا ذر تعوذ بالله من شياطين الإنس والجن فقال يا رسول الله أو
 للإنس شياطين قال نعم شر من شياطين الجن وقد قال تعالى
 {وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا
 مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ } البقرة 14 والمنقول عن عامة
 المفسرين أن المراد شياطين الإنس وما علمت أحدا قال إنه
 شياطين الجن فعن ابن مسعود وابن عباس والحسن والسدي أنهم
 رؤوسهم في الكفر وعن أبي العالية ومجاهد إخوانهم من
 المشركين وعن الضحاك وابن السائب كهنتهم والأية تتناول
 هذا كله وغيره ولفظها يدل على أن المراد شياطين الإنس لأنه
 قال {وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ
 قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ } البقرة 14 ومعلوم أن شيطان الجن معهم لما لقوا
 الذين آمنوا لا يحتاج أن يخلوا به وشيطان الجن هو الذي أمرهم
 بالنفاق ولم يكن ظاهرا حتى يخلوا معهم ويقول إنما معكم لا سيما
 إذا كانوا يظنون أنهم على حق كما قال تعالى {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ
 آمَنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ لَا إِنَّهُمْ هُمْ
 السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ } البقرة 13 ولو علموا أن الذي يأمرهم

بذلك شيطان لم يرضوه وقد قال الخليل بن أحمد كل متمرد عند العرب شيطان وفي استيقافه قوله أصحهما أنه من شيطان يشطن إذا بعد عن الخير والنون أصلية قال أمية بن أبي الصلت في صفة سليمان عليه السلام أيما شاطن عصاه عakah ثم يلقى في السجن والأغلال عakah أو ثقه وقال النابغة نأت بسعاد عنك نوى شطون فبانت والفؤاد بها رهين ولهذا قرنت به اللعنة فإن اللعنة هي البعد من الخير والشيطان بعيد من الخير فيكون وزنه فيعالاً وفي الحال نظير فعال وهو من صفات المبالغة مثل القيام والقوام فالقيام فيعال والقوام فعال ومثل العياذ والعواذ وفي قراءة عمر الحي القيام فالشيطان المتصف بصفة ثابتة قوية في كثرة البعد عن الخير بخلاف من بعد عنه مرة وقرب منه أخرى فإنه لا يكون شيطاناً وما يدل على ذلك قولهم تشيطن يتسيطن شيطنة ولو كان من شاط يشيط لقول تشيط يتسيط والذي قال هو من شاط يشيط إذا احترق والتهب جعل النون زائدة وقال وزنه فعلان كما قال الشاعر وقد يشيط على أرماحنا البطل وهذا يصح في الإشتراق الأكبر الذي يعتبر فيه الإتفاق في جنس الحروف كما يروى عن أبي جعفر أنه قال العامة مشتق من العمى ما رضى الله أن يشبههم بالأنعم حتى قال {بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا} الفرقان 44 وهذا كما يقال السرية مأخوذة من السر وهو النكاح ولو جرت على القياس لقول سريرة فإنها على وزن فعيلة ولكن العرب تعاقب بين الحرف المضاعف والمعتل كما يقولون تقضي البازى وتقضى قال الشاعر تقضى البازى إذا البازى كسر ومنه قوله تعالى {فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهُ} البقرة 259 وهذه الهاء تحتمل أن تكون أصلية فجزمت بـلم ويكون من سماته وتحتمل أن تكون هاء السكت كالهاء من كتابيه وحسابيه واقتده وما ليه وسلطانيه وأكثر القراء يثبتون الهاء وصلاً ووقفاً ومحزنة والكسائي يحذفانها من الوصل هنا ومن اقتده فعلى قراءتهما يجب أن تكون هاء السكت فإن الأصلية لا تمحى فتكون لفظة لم

يتسن كما تقول لم يتغن وتكون مأخوذه من قولهم تسن يتسنى
وعلى الإحتمال الآخر تكون من تسنه يتسنه والمعنى واحد قال
ابن قتيبة أى لم يتغير بمر السنين عليه قال واللفظ مأخوذ من
السنن يقال سانهت النخلة إذا حملت عاما وحالت عاما فذكر ابن
قتيبة لغة من جعل الهاء أصلية وفيها لغتان يقال عاملته مسانهه
ومساناهة ومن الشواهد لما ذكره ابن قتيبة قول الشاعر فليست
بسنهاء ولا رجبية ولكن عرايا في السنين الجواب يمدح
النخلة والمقصود مدح صاحبها بالجود فقال إنه يعريها لمن يأكل
ثمرها لا يرجبها لتخلية ثمرها ولا هي بسنهاء والمفسرون
من أهل اللغة يقولون في الآية معناه لم يتغير وأما لغة من قال إن
أصله سنة فهي مشهورة ولهذا يقال في جمعها سنوات
ويشابهه في الإشتراق الأكبر الماء الآسن وهو المتغير المتن
ويشابهه في الإشتراق الأصغر الحما المسنون فإنه من سن يقال
سنت الحجر على الحجر إذا حكته والذي يسيل بينهما سنن ولا
يكون إلا منتنا وهذا أصح من قول من يقال المسنون المصبوب
على سنة الوجه أو المصبوب المفرغ أي أبدع صورة الإنسان
فإن هذا أنما كان بعد أن خلق من الحما المسنون ونفس الحما لم
يكن على صورة الإنسان ولا صورة وجه ولكن المراد المتن
فقوله { لم يتسن } البقرة 259 بخلاف قوله { ماء غير آسن
} محمد 15 فإنه من قولهم آسن يأسن فهذا من جنس الإشتراق
الأكبر لاشتراكهما في السين والنون والنون الأخرى والهمزة
والهاء متقاربتان فإنهما حرف حلق وهذا باب واسع والمقصود
أن اللفظين إذا اشتركا في أكثر الحروف وتفاوتا في بعضها قيل
أحدهما مشتق من الآخر وهو الإشتراق الأكبر والأوسط أن
يشتركا في الحروف لا في ترتيبها كقول الكوفيين الإسم مشتق
من السمة والإشتراق الأصغر الخاص الإشتراك في الحروف
وترتبها وهو المشهور كقولك علم يعلم فهو عالم

وعلى هذا فالشيطان مشتق من شطن وعلى الإشتقاء الأكبر هو من باب شاطئ يشيط لأنهما اشتراكا في الشين والطاء والنون والياء متقارب بـ¹²⁹

*فدعوى المدعي ان السحر هي قوى نفسانية من أبطال الباطل فإن السحر كثير منه يكون بالشياطين وكتب السحر مملوءة من الأقسام والعزائم على الجن بساداتهم الذين يعظمونهم ولذلك كانت الإنس تستعين بالجن كما قال الله تعالى {وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنْسَانِ يَعْوِذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَرَادُوهُمْ رَهْقًا} الجن 6 كانوا إذا نزل الرجل منهم بواط يقول أعود بعظيم هذا الوادي من سفهائه فأنزل الله هذه الآية وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعوذ للحسن والحسين فيقول أعيذكم بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة ففرق بين الشيطان وبين الهوام وبين أعين الإنس كما يدل ذلك على وجود الضرر في هذه الجهات الثلاث الإنس والجن والهوام وقد قال تعالى {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ إِنْسَانٍ وَالْجِنِّ يُوَحِّي بَعْضُهُمُ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ عُرُورًا وَلُؤْ شَاءِ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَدَرْهُمْ وَمَا يَقْتَرُونَ} الأنعام 112¹³⁰

مخالفة الرسل وترك الإيمان بالأخرة متلازمان

*أن التوحيد والإيمان بالرسل متلازمان وكذلك الإيمان باليوم الآخر هو والإيمان بالرسل متلازمان فالثلاثة متلازمة ولهذا يجمع بينها في مثل قوله {وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ} الأنعام 150

¹²⁹ منهاج السنة النبوية ج: 5 ص: 188-193

¹³⁰ الصفدية ج: 1 ص: 169

ولهذا أخبر ان الذين لا يؤمنون بالآخرة مشركون فقال تعالى
 {وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَرْتُ قُلُوبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ } الزمر 45 وأخبر عن جميع الأشقياء ان الرسل انذرتهم
 باليوم الآخر كما قال تعالى {كُلَّمَا أُقِيَّ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلُوهُمْ حَزَنَتْهَا
 أَلْمٌ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ } 8 قالوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ
 اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ } 9 وقالوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ
 أَوْ نَعْفَلُ مَا كَنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ } 10 فَاعْتَرَفُوا بِذَنِبِهِمْ فَسُحْقًا
 لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ } 11 الماك 8-11 فأخبر ان الرسل انذرتهم
 وانهم كذبوا بالرسالة وقال تعالى {وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ
 زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فُتَحْتُ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ حَزَنَتْهَا أَلْمٌ يَأْتِكُمْ
 رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَتْلُوُنَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا
 قَالُوا بَلَى } الزمر 71 فأخبر عن اهل النار انهم قد جاءتهم
 الرسالة وانذروا باليوم الآخر وقال تعالى {وَيَوْمَ يُحْشِرُهُمْ
 جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدْ اسْتَكْثَرْتُمْ مِّنَ الْإِنْسَنَ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِّنَ
 الْإِنْسَنِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعْ بِعَضُنَا بِعَضًّا وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ
 النَّارُ مَتْوَأْكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلَيْهِ
 } 128 وَكَذَلِكَ نُولَّي بِعْضَ الظَّالِمِينَ بِعَضًا بِمَا كَانُوا
 يَكْسِبُونَ } 129 يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسَنِ أَلْمٌ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ
 يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهَدْنَا عَلَى
 أَنفُسِنَا وَعَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهُدُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا
 كَافِرِينَ } 130 الأنعام 128-130 فأخبر عن جميع الجن والانس
 ان الرسل بلغتهم رسالة الله وهى آياته وأنهم انذروهم اليوم الآخر
 وكذلك قال {قُلْ هَلْ نُنَبِّهُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا } 103 الَّذِينَ
 ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } 104 الكهف 103-104 الى قوله
 {أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ } 105 الكهف 105
 فأخبر انهم كفروا بآياته وهى رسالته وبلغائه وهو اليوم الآخر
 وقد اخبر ايضا فى غير موضع بأن الرسالة عمت بنى آدم وان
 الرسل جاءوا مبشرين ومنذرين كما قال تعالى {إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ
 بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مَنْ مِنْ أَمَّةٍ إِلَّا خَلَّ فِيهَا نَذِيرٌ } فاطر 24

وقال تعالى {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّنَ مِنْ بَعْدِهِ} النساء 163 الى قوله {وَكَانَ اللَّهُ عَرِيزًا حَكِيمًا} النساء 165 وقال تعالى {وَمَا نُرِسِّلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} 48 والذين كَذَبُوا بِآيَاتِنَا يَمْسُهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُدُونَ} 49 الانعام 48-49 فأخبر ان من آمن بالرسل واصلح من الاولين والآخرين فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقال تعالى {قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَامَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} البقرة 38 ومثل ذلك قوله {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرٌ هُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} البقرة 62 فذكر ان المؤمنين بالله وبال يوم الآخر من هؤلاء هم اهل النجاة والسعادة وذكر في تلك الآية الايمان بالرسل وفي هذه الايمان وبال يوم الآخر لأنهما متلازمان وكذلك الايمان بالرسل كلهم متلازم فمن آمن بوحدة منهم فقد آمن بهم كلهم ومن كفر بوحدة منهم فقد كفر بهم كلهم كما قال تعالى {إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ} النساء 150 الى قوله {أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًا} النساء 151 الآية والتي بعدها فأخبر ان المؤمنين بجميع الرسل هم اهل السعادة وان المفترقين بينهم بالإيمان ببعضهم دون بعض هم الكافرون حقا وقال تعالى {وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَرْمَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنْقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يُلْقَاهُ مَنْ شُورًا} 13 اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم على حسيبا {مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضْلُلُ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةً وَزُرَ آخرى وما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً} 15 الإسراء 13-15 فهذه الأصول الثلاثة توحيد الله والإيمان برسله وبال يوم الآخر هي امور متلازمة والحاصل ان توحيد الله والإيمان برسله وال يوم الآخر هي امور متلازمة مع العمل الصالح فأهل هذا الإيمان والعمل الصالح هم اهل السعادة من الاولين والآخرين

والخارجون عن هذا الایمان مشركون اشقياء فكل من كذب الرسل فلن يكون الا مشركا وكل مشرك مكذب للرسل وكل مشرك وكافر بالرسل فهو كافر باليوم الآخر وكل من كفر بالاليوم الآخر فهو كافر بالرسل وهو مشرك ولهذا قال سبحانه وتعالى

{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُواً شَيَاطِينَ النَّاسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمُ إِلَيْهِ بَعْضَ رُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلَهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يُفْتَرُونَ {112} وَلِتَصْنَعِي إِلَيْهِ أَفْئَدَهُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضُوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ {113} الأَنْعَام 112-113

فأخبر ان جميع الأنبياء لهم اعداء وهم شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض القول المزخرف وهو المزين المحسن يغرون به والغرور هو التلبيس والتمويه وهذا شأن كل كلام وكل عمل يخالف ما جاءت به الرسل من امر المتفلسه والمتكلمه وغيرهم من الأولين والآخرين ثم قال

{وَلِتَصْنَعِي إِلَيْهِ أَفْئَدَهُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضُوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ {113} الأَنْعَام 113

فأخبر ان كلام اعداء الرسل تصنعي اليه افئده الذين لا يؤمنوا بالآخرة فعلم ان مخالفة الرسل وترك الایمان بالآخرة متلازمان فمن لم يؤمن بالآخرة اصفعى الى زخرف اعدائهم فخالف الرسل كما هو موجود في اصناف الكفار والمنافقين في هذه الأمة وقال تعالى

{وَلَقَدْ جُنَاحُهُمْ بِكِتَابٍ فَصَلَنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدِّيَ وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ {52} هَلْ يَنْظَرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلٍ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُونَا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلُ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ {53} الأَعْرَاف 52-53

فأخبر ان الذين تركوا اتباع الكتاب وهو الرساله يقولون اذا جاء تأويله وهو ما اخبر به جاءت رسل ربنا بالحق وهذا كقوله **{وَمَنْ أَعْرَضَ عَنِ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى {124}}** قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا **{125}** قال كذلك انتك آياتنا فنسييتها وكذلك اليوم تنسى **{126}** وكذلك نجزي من اسرف ولم

يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُ وَأَبْقَى {127} طه 124 -
127 اخبر ان الذين تركوا اتباع آياته يصيّبهم ما ذكرنا فقد تبين
ان اصل السعادة واصل النجاة من العذاب هو توحيد الله بعبادته
وحده لا شريك له والایمان برسله واليوم الآخر والعمل الصالح

131

الذين عندهم ما ينافق بعض ما أخبرت به الرسل هم ثلاثة أصناف

* ومن الناس من يقر بالرسل في الجملة لكن لا يؤمن بما يجب
من حقيقة رسالهم كالملاحة وأهل البدع الذين يعظمون الأنبياء
مع اعتقادهم في الباطن ما ينافق بعض ما جاءوا به لشبهات
انعقدت في قلوبهم ظنواها علوماً عقلية وهي مناقضة لما أخبرت
به الرسل فيحتاجون إلى أن يوفقاً بينهما وهو لاء يشبهون الذين
قال الله فيهم {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَرْزَعُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ
وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَكَّمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا
أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًاً بَعِيدًاً} {60} وإذا
قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المُنَافِقِينَ
يَصُدُّونَ عَنِّكَ صُدُودًا {61} فكيف إذا أصابتهم مُصيبةٌ بما قدَّمتُ
أَنْدِيَّبِهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللهِ أَنْ أَرَدْنَا إِلَّا احْسَانًا وَتَوْفِيقًا {62}
أوْلَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ
لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا {63} سورة النساء الآيات 60-63
وقد اخبر الله أنه جعل للأنبياء من يعاديه من الإنس والجن فقال
تعالى {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسَانِ وَالْجِنِّ يُوحِي
بِعَضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ

فَدَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ {112} وَلِتَصْنَعِ الْأَيْهَةَ أَفْنَدَهُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
 بِالآخِرَةِ وَلَيَرْضُوْهُ وَلَيَقْرَرْفُوا مَا هُمْ مُقْتَرْفُونَ {113} أَفْعَيْرَ اللَّهَ
 أَبْتَغِيْ حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمْ
 الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِّنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونُنَّ مِنِ
 الْمُمْتَرِينَ {114} وَتَمَتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلٌ لِكَلِمَاتِهِ
 وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ {115} وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ
 يُضْلِلُوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَبَعُونَ إِلَّا الظَّنُّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا
 يَخْرُصُونَ {116} لِأَنَّعَامَ 112 116 وَقَالَ تَعَالَى {وَكَذَلِكَ
 جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًّا وَنَصِيرًا
 } الفرقان 31 وهو لاء الدين عندهم ما ينافق بعض ما أخبرت به الرسل هم ثلاثة اصناف أهل الخيال من الملاحدة المتفاسفة والباطنية الذين يقولون إن الرسل أخبروا من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر بما يخالف الحق في نفس الأمر ليختلوا إلى

الجمهور ما ينتفعون به ويعدون هذا من فضائل الرسل وقد بسط الرد على هؤلاء في غير موضع وأهل التحريف والتأويل الذين يؤولون كلامهم على ما يخالف مرادهم ويزعمون أنهم أرادوا ذلك المعنى مع انه ليس في كلامهم ما يدل على إرادة ذلك المعنى بل كلامهم يدل على إرادة خلافه وأهل التجھیل الذين يقولون ذلك الكلام ليس له معنى يعلمه الرسل ولا غيره وإنما يعلمه الله وحده وهذا القول يقال بكل منها طوائف معظمین للرسل وقد تبين فسادهما في غير هذا الموضع وأما من قال إن الرسل وغيرهم يعلمون المعنى الذي بينه الله لهم بكلامه ولكن استئثر الله بعلم امر آخر لا يعلمونه كما استئثر بعلم غيب الساعة فهذا قول السلف والأئمة وبسط هذا له موضع آخر¹³²

أَخْبَرَ اللَّهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِّنَ الْقُرْآنِ نَزَلَ مِنْهُ

¹³²الجواب الصحيح ج: 6 ص: 519

* وهو أن الله أخبر أن القرآن منزَل من الله كما قال {وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِّنْ رَّبِّكَ بِالْحَقِّ} الأنعام 114
 وقال {قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَّبِّكَ بِالْحَقِّ} النحل 102
 وقال {تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ} الزمر 1 الضمير يتناول **اللفظ** والمعنى جميماً لا سيما ما في قوله {تَنْزِيلُ الْكِتَابِ} الزمر 1 فان الكتاب عند من يقول ان كلام الله هو المعنى دون الحروف اسم للنظم العربي والكلام عنده اسم للمعنى والقرآن مشترك بينهما فلفظ الكتاب يتناول **اللفظ العربي** باتفاق الناس فإذا أخبر أن {تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ} الزمر 1 علم أن النظم العربي منزَل من الله وذلك يدل على ما قال السلف أنه منه بدأ أي هو الذي تكلم به¹³³

* وقد أخبر تعالى بأنه تنزل منه فقال {وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِّنْ رَّبِّكَ بِالْحَقِّ} الأنعام 114 وقال {حَمْ} 1 {تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} 2 فصلت 1-2 {تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ} 1 الزمر 1 فجبريل رسول الله من الملائكة جاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والله يصطفى من الملائكة رسلًا ومن الناس وكلاهما مبلغ له كما قال تعالى {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلَغْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَّبِّكَ} المائدة 67 وقال {إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفِهِ رَصَدًا} 27 ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاطوا بما لديهم وأحصى كل شيء عدداً 28 الجن 27-28 وهو مع هذا كلام الله ليس لجبريل ولا لمحمد فيه إلا التبليغ والأداء كما أن المعلمين له في هذا الزمان والتاليين له في الصلاة أو خارج الصلاة ليس لهم فيه إلا ذلك لم يحدثوا شيئاً من حروفه ولا معانيه¹³⁴

¹³³ مجموع الفتاوى ج: 6 ص: 544

¹³⁴ الفتاوى الكبرى ج: 1 ص: 289

* وكذلك قد أخبر في غير موضع من القرآن أن القرآن نزل منه وأنه نزل به جبريل منه ردا على هذا المبتدع المفترى وأمثاله ومن يقول أنه لم ينزل منه قال تعالى {أَفَغَيْرُ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفْصَلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِّنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ} الأنعام 114 وقال تعالى {قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدْسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ} النحل 102 روح القدس هو جبريل كما قال في الآية الأخرى {نَزَّلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ} 193 {عَلَى قَلْبِكَ} 194 الشعراة 193-194 وقال {قُلْ مَنْ كَانَ عَدُواً لِجَبْرِيلٍ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ} البقرة 97 وقال هنا {نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدْسِ مِنْ رَبِّكَ} النحل 102 فيبين ان جبريل نزله من الله لا من هواء ولا من لوح ولا غير ذلك وكذلك سائر آيات القرآن كقوله {تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ} الزمر 1 وقوله {ح} 1 {تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ} 2 غافر 1-2 وقوله {ح} 1 {تَنْزِيلُ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} 2 فصلت 1-2 وقوله {الم} 1 {تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَبِّ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ} 2 السجدة 1-2 وقوله {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلَّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ} المائدة 67 فقد بين في غير موضع أنه نزل من الله فمن قال انه نزل من بعض المخلوقات كاللوح والهواء فهو مفترى على الله مكذب لكتاب الله متبع لغير سبيل المؤمنين ألا ترى ان الله فرق بين ما نزل منه وما نزله من بعض المخلوقات كالنطر بأن قال {وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً} البقرة 22 ذكر المطر في غير موضع وأخبر أنه نزله من السماء والقرآن أخبر أنه نزل منه وأخبر بتنزيل مطلق في مثل قوله {وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ} الحديد 25 لأن الحديد ينزل

من رؤوس الجبال لا ينزل من السماء وكذلك الحيوان فان الذكر
ينزل الماء فى الاناث فلم يقل فيه من السماء¹³⁵

أهل الكتاب يعلمون أن الله إنما أرسل إلى الناس بشرا

مثلاهم

* والكتاب الذى أنزل مفصلا هو القرآن العربى باتفاق الناس وقد أخبر أن الذين أتاهم الكتاب يعلمون أنه منزلى من الله بالحق والعلم لا يكون إلا حقا فقال {يَعْلَمُونَ} الأنعام 114 ولم يقل يقولون فان العلم لا يكون إلا حقا بخلاف القول وذكر علمهم ذكر مستشهد به¹³⁶

* قال تعالى {أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِّنْ رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونُنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ} الأنعام 114 أن أهل الكتاب يعلمون أن الله إنما أرسل إلى الناس بشرا مثلاهم لم يرسل إليهم ملكا ولهذا كان النبي في خطابه لأهل الكتاب يقول لهم والله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أني رسول الله وكذلك من أسلم منهم كعبد الله بن سلام كان يقول لغيره من أهل الكتاب والله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسول الله وهذا أمر معروف في الأحاديث الصحاح المخرجة في الصحيحين وغيرهما¹³⁷*

وعلماء بنى إسرائيل يعلمون ذكر إرسال محمد ونزوول الوحي عليه كما قال تعالى {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمَّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التُّورَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ

مجمع الفتاوى ج: 12 ص: 519-520 و الفتوى الكبرى ج: 1 ص:
300-299

مجمع الفتاوى ج: 12 ص: 39¹³⁶

الجواب الصحيح ج: 2 ص: 365¹³⁷

وَيَنْهَا هُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَابَ¹³⁷
 وَيَضْعِفُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالُ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ
 وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أَنْزَلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ
 الْمُفْلِحُونَ { الأعراف 157} ويعلمون المعاني التي فيه أنها موافقة
 لأقوال الرسل قبله في الخبر والأمر فإنه أخبر عن توحيد الله
 وصفاته وعرشه وملائكته وخلق السماوات والأرض وغير ذلك
 بمثل ما أخبرت به الرسل قبله وأمر بتوحيد الله وعبادته وحده لا
 شريك له وبالعدل والصدق والصلوة والزكاة ونهى عن الشرك
 عن الشرك والظلم والفواحش كما أمرت ونهت الرسل قبله
 والسور المكية نزلت بالأصول الكلية المشتركة التي اتفقت عليها
 الرسل التي لا بد منها وهي الإسلام العام الذي لا يقبل الله من
 أحد من الأولين والآخرين دينا غيره وأما السور المدنية ففيها
 هذا وفيها ما يختص به محمد من الشريعة والمنهج فإن دين
 الأنبياء واحد كما ثبت في الصحيح عن النبي أنه قال إننا معاشر
 الأنبياء ديننا واحد ¹³⁸

*أمر الله رسوله بسؤال أهل الكتاب بما تواثر عندهم كقوله
 {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوهُ أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ
 كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } النحل 43 فان من الكفار من أنكر أن يكون الله
 رسول بشر فأخبر الله ان الذين أرسلهم قبل محمد كانوا بشرا
 وامر بسؤال أهل الكتاب عن ذلك لمن لا يعلم وكذلك سؤالهم
 عن التوحيد وغيره مما جاءت به الأنبياء وكفر به الكافرون فال
 تعالى {وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا
 بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ } الرعد 43 وقال تعالى {إِنْ
 كُنْتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَئُونَ الْكِتَابَ مِنْ
 قَبْلِكَ } يونس 94 وقال تعالى {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ
 وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهَدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَأَمَّنَ

¹³⁸الجواب الصحيح ج: 5 ص: 340

وَاسْتَكْبِرُتُمْ } الأَحْقَاف 10 وكذلك شهادة أهل الكتاب بتصديق ما أخبر به من أنباء الغيب التي لا يعلمها إلا نبى أو من أخباره نبى وقد علموا أن مهدا لم يتعلم من أهل الكتاب شيئاً وهذا غير شهادة أهل الكتاب له نفسه بما يجدونه من نعنه في كتبهم كقوله تعالى {أَوَلَمْ يَكُنْ لَّهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ } الشعراة 197 وقوله تعالى { وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِّنْ رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونُنَّ مِنِ الْمُمْتَرِينَ } الأنعام 14
وأمثال ذلك¹³⁹

*شهادة من عنده علم الكتاب الأول فإن هؤلاء شهادتهم بر هان ورحمة كما قال { وَشَهَدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ } الأَحْقَاف 10 وقال { فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلْ } الذِّينَ يَقْرَئُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ } يونس 94 الآية وقال { وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِّنْ رَّبِّكَ بِالْحَقِّ } الأنعام 140

*قال تعالى { أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغَى حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِّنْ رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونُنَّ مِنِ الْمُمْتَرِينَ } الأنعام 14 و هذا كله في السور المكية والمقصود الجنس فإذا شهد جنس هؤلاء مع العلم بصدقهم حصل المطلوب لا يقف العلم على شهادة كل واحد واحد فان هذا متذر ومن انكر أو قال لا أعلم لم يضر إنكاره وإن قال بل أعلم عدم ما شهدوا به علم افتراؤه في الجنس وعلم في الشخص اذ كان لم يحط علمًا بجميع نسخ الكتب المتقدمة وما في النبوات كلها فلا سبيل لأحد من أهل الكتاب أن يعلم انتقاء ذكر محمد في كل نسخة نسخة بكل كتاب من كتب الأنبياء إذ العلم بذلك متذر ثم

¹³⁹مجموع الفتاوى ج: 19 ص: 12

¹⁴⁰مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 68

هذه النسخ الموجود فيها ذكره في مواضع كثيرة قد ذكر قطعة منها في غير هذا الموضع وما ينبغي أن يعلم أن أعظم ما كان عليه المشركون قبل محمد وفي مبعثه هو دعوى الشريك لله والولد والقرآن مملوء من تنزيه الله عن هذين وتنزيهه عن المثل والولد يجمع كل التنزيه¹⁴¹

القرآن كلام الله ليس بخلق

* (من) لإبتداء الغاية كما قال {وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ} الجاثية 13 وقال {وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْ اللَّهِ} النحل 53 وما أضيف إلى الله أو قيل هو منه فعلى وجهين إن كان عينا قائما بنفسها فهو مملوك له ومن لإبتداء الغاية كما قال تعالى {فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا} مريم 17 وقال في المسيح {وَرُوحٌ مِنْهُ} النساء 171 وما كان صفة لا يقوم بنفسه كالعلم والكلام فهو صفة له كما يقال كلام الله وعلم الله وكما قال تعالى {فَلَنْ تَرَكَنَّ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ} النحل 102 وقال {وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ} الأنعام 114¹⁴²

* والله سبحانه إذا ذكر نزول القرآن قيده بأن نزوله منه كقوله {تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ} الزمر 1 {وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ} الأنعام 114 {فَلَنْ تَرَكَنَّ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ} النحل 102 و هذا مما يستدل به الإمام أحمد وغيره من أئمة السنة على أن القرآن كلام الله ليس بخلق خلقه في محل غيره فإنه كان يكون منزلا من ذلك المحل لا من الله و قال إنه نزل بعلم الله و إنه من علم الله و علم الله غير مخلق

¹⁴¹النبوات ج: 1 ص: 19

¹⁴²مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 285 و مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 97

و قال أَحْمَد كلام الله من الله ليس شيئاً منه ولهذا قال السلف القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ و إليه يعود فقالوا منه بدأ لم يبدأ من غيره كما تقوله الجهمية يقولون بدأ من المُحَلِّ الذي خلق فيه ¹⁴³

*مقالة السلف وأئمة السنة كالإمام أَحْمَد رحمه الله ان القرآن كلام الله غير مخلوق منه بدأ واليه يعود أى هو المتكلم به لم يبدأ من بعض المخلوقات كما قالت الجهمية بل هو منه نزل ¹⁴⁴

*قال الإمام أَحْمَد كلام الله من الله ليس بائنا عنه و قالوا القرآن كلام الله غير مخلوق منه بدأ قال أَحْمَد منه بدأ المتكلم به لم يبدأ من مخلوق كما قال من قال إنه مخلوق قال تعالى {
وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ
} الأنعام 114 و لهذا لا يقول أحد إنه خلق نزوله واستواءه و مجبيه و كذلك تكليمه لموسى و نداوه له ناداه و كلمه بمشيئته و قدرته و التكليم فعل قام بذاته و ليس وهو الخلق كما أن الإنسان إذا تكلم فقد فعل كلاما و أحدث كلاما و لكن في نفسه لا مبادنا له و لهذا كان الكلام صفة فعل و هو صفة ذات أيضا على مذهب السلف وأئمة و من قال إنه مخلوق يقول إنه صفة فعل و يجعل الفعل بائنا عنه و الكلام بائنا عنه و من قال صفة ذات يقول إنه يتكلم بلا مشيئته و قدرته و مذهب السلف أنه يتكلم بمشيئته و قدرته و كلامه قائم به فهو صفة ذات و صفة فعل و لكن الفعل هنا ليس هو الخلق بل كما قال الإمام أَحْمَد الجعل جعلان جعل هو خلق و جعل ليس بخلق وهذا كله يستلزم قيام الأفعال بذاته و أنها تنقسم إلى قسمين أفعال متعددة كالخلق و

¹⁴³ مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 469 و مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 95

¹⁴⁴ مجموع الفتاوى ج: 12 ص: 164

أفعال لازمة كالتكلم و النزول و السلف يثبتون النوعين هذا و
غيره ¹⁴⁵

* والمداد يكتب به الحروف والمداد كله مخلوق ليس منه شئ غير مخلوق والصوت الذى يقرأ به الناس القرآن هو صوت العباد لكن الكلام كلام الله تعالى قال تعالى {وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ} التوبية 6 وقال النبي صلى الله عليه وسلم زينوا القرآن بأصواتكم فالكلام كلام البارى والصوت صوت القارئ وهذا ليس هو الصوت الذى ينادى الله به عباده ويسمعه موسى وغيره كما دل على ذلك الكتاب والسنة وكلام الله غير مخلوق عند سلف الأمة وأئمتها وهو أيضا يتكلم بمشيئة وقدرته عندهم لم ينزل متكلما إذا شاء فهو قديم النوع وأما نفس النداء الذى نادى به موسى ونحو ذلك فحينئذ ناداه به كما قال تعالى {فَلَمَّا آتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى} طه 11 وكذلك نظائره فكان السلف يفرقون بين نوع الكلام وبين الكلمة المعينة قال تعالى {قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لِّكَلْمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلْمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِنْنًا بِمِثْلِهِ مَدَادًا} الكهف 109 وكلام الله وما يدخل فى كلامه من ندائء وغير ذلك ليس بمخلوق بائن منه بل هو منه والقرآن سمعه جبرائيل من الله ونزل به إلى محمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى {قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدْسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ} النحل 102 وقال تعالى {وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ} الأنعام 114 وقال تعالى {تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ} الزمر 1 ونحو ذلك ¹⁴⁶

¹⁴⁵ مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 390

¹⁴⁶ مجموع الفتاوى ج: 12 ص: 577

النَّزُولُ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ

* النَّزُولُ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ نَّزُولٌ مُّقِيدٌ بِأَنَّهُ مِنْهُ وَنَّزُولٌ مُّقِيدٌ بِأَنَّهُ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَنَّزُولٌ غَيْرُ مُّقِيدٌ لَا بِهِذَا وَلَا بِهِذَا فَالْأُولُ لَمْ يَرِدْ إِلَّا فِي الْقُرْآنِ كَمَا قَالَ تَعَالَى { وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِّنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ } الْأَنْعَامُ 114 وَقَالَ تَعَالَى { قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدْسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ } الْنَّحْلُ 102 وَقَالَ تَعَالَى { تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ } الزَّمْرُ 1 وَفِيهَا قُولَانٌ أَحَدُهُمَا لَا حَذْفٌ فِي الْكَلَامِ بَلْ قَوْلَهُ { تَنْزِيلُ الْكِتَابِ } الزَّمْرُ 1 مُبْدِأ وَخَبْرُهُ { مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ } الزَّمْرُ 1 وَالثَّانِي أَنَّهُ خَبْرٌ مُبْدِأ مَحْذُوفٌ أَيْ هَذَا تَنْزِيلُ الْكِتَابِ وَعَلَى كُلِّ الْقَوْلَيْنِ فَقَدْ ثَبَّتَ أَنَّهُ مَنْزَلٌ مِنْهُ وَكَذَّلَ قَوْلَهُ { حَمٌ } 1 تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ 2 الْجَاثِيَّةُ 2-1 وَكَذَّلَ { حَمٌ } 1 تَنْزِيلٌ مِنْ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ 2 فَصْلُتُ 1-2 { حَمٌ } 1 تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيِّ 2 غَافِرُ 1-2 وَالتَّنْزِيلُ بِمَعْنَى الْمَنْزَلِ تَسْمِيَّةُ الْمَفْعُولِ بِاسْمِ الْمَصْدِرِ وَهُوَ كَثِيرٌ وَلِهَذَا قَالَ السَّلْفُ الْقَرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ مِنْهُ بَدَأَ قَالَ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ وَالْيَهُ يَعُودُ أَيْ هُوَ الْمُتَكَلِّمُ بِهِ وَقَالَ كَلَامُ اللَّهِ مِنَ اللَّهِ لَيْسَ بِبَيْانٍ مِنْهُ أَيْ لَمْ يَخْلُقْهُ فِي غَيْرِهِ فَيَكُونَ مُبْدِأً مَنْزَلًا مِنْ ذَلِكَ الْمَخْلُوقِ بَلْ هُوَ مَنْزَلٌ مِنَ اللَّهِ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ وَمِنَ اللَّهِ بَدَأَ لَا مِنْ مَخْلُوقٍ فَهُوَ الَّذِي تَكَلَّمُ بِهِ لِخَلْقِهِ وَأَمَّا النَّزُولُ الْمُقِيدُ بِالسَّمَاوَاتِ فَقَوْلُهُ { وَأَنَزَلْنَا مِنَ السَّمَاوَاتِ مَاءً } الْقَمَانُ 10 وَالسَّمَاءُ اسْمُ جَنْسٍ لِكُلِّ مَاعِلٍ فَإِذَا قَيَدَ بِشَيْءٍ مَعِينٍ تَقِيدَ بِهِ فَقَوْلُهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنَ السَّمَاوَاتِ مَطْلُقٌ أَيْ فِي الْعُلوِّ ثُمَّ قَدْ بَيْنَهُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ بَقَوْلُهُ { أَنَّنَّمَا أَنْزَلْنَا مِنْهُ مِنَ الْمُنْزَنِ } الْوَاقِعَةُ 69 وَقَوْلُهُ { فَتَرَى الْوَادْقَ يَخْرُجُ مِنْ خَلَالِهِ } الْرُّومُ 48 أَيْ أَنَّهُ مَنْزَلٌ مِنَ السَّحَابِ وَمَمَا يَشْبَهُ نَزُولَ الْقُرْآنِ قَوْلُهُ { يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ } الْنَّحْلُ 2 فَنَزُولُ الْمَلَائِكَةِ هُوَ نَزُولُهُمْ بِالْوَحْيِ مِنْ أَمْرِهِ الَّذِي

هو كلامه وكذلك قوله {تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ} {القدر 4} يناسب قوله {فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ} {4} أمراً مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ {5} {الدخان 4-5} فهذا شبيه بقوله {قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدْسِ} {النحل 102} وأما المطلق ففي مواضع منها ما ذكره من انزال السكينة بقوله {ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ} {التوبه 26} قوله {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ} {الفتح 4} إلى غير ذلك ومن ذلك انزال الميزان ذكره مع الكتاب في مواضعين وجمهور المفسرين على أن المراد به العدل وعن مجاهد رحمة الله هو ما يوزن به ولا منافاة بين القولين وكذلك العدل وما يعرف به العدل منزل في القلوب¹⁴⁷

* قال تعالى {وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ} {التوبه 6} وهو منزل من الله كما قال تعالى {أَفَغَيْرُ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِّنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونُنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ} {الأنعام 14} فأخبر سبحانه أنهم يعلمون ذلك والعلم لا يكون إلا حقاً وقال تعالى {تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ} {الزمر 1} {حم 1} {تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ} {غافر 2} {2} {Ham 1} {تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} {2} {فصلت 1-2} وقال تعالى {وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِي لِأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّاسَ أَجْمَعِينَ} {السجدة 13} وقال تعالى {وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَاماً وَأَجَلٌ مُسَمٌّ طه 129} ونحو ذلك وقال تعالى {قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدْسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ} {النحل 102} فأخبر سبحانه أنه منزل من الله ولم يخبر عن شيء أنه منزل من الله إلا كلامه بخلاف نزول الملائكة

والمطر وال الحديد وغير ذلك ولهذا كان القول المشهور عن السلف أن القرآن كلام الله غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود فإن من قال أنه مخلوق يقول أنه خلق في بعض المخلوقات القائمة بنفسها فمن ذلك المخلوق نزل وبدأ لم ينزل من الله فاأخبار الله تعالى أنه نزل من الله ينافق أن يكون قد نزل من غير الله ولهذا فسر الإمام أحمد قوله منه بدأ أي هو المتكلم به وقال أحمد كلام الله من الله ليس ببائن عنه وأيضاً فلو كان مخلوقاً في غيره لم يكن كلامه بل كان يكون كلاماً لذلك المخلوق فيه وكذلك سائر ما وصف به نفسه من الارادة والمحبة والمشيئة والرضى والغضب والمقت وغير ذلك من الأمور لو كان مخلوقاً في غيره لم يكن رب تعالى متصفًا به بل كان يكون صفة لذلك المحل فان المعنى إذا قام بمحل كان صفة لذلك المحل ولم يكن صفة لغيره فيمتنع أن يكون المخلوق أو الخالق موصوفاً بصفة موجوة قائمة بغيره لأن ذلك فطري فيما وصف به نفسه من الأفعال اللازمية يمتنع أن يوصف الموصوف بأمر لم يقم به وهذا مبسوط في موضع آخر¹⁴⁸

كلما تحققت الحقائق كان ما دل عليه القرآن هو الحق

*ونفاة الصفات يقولون ما أنزل الله على بشر من شيء لوجهين أحدهما أن الإنزال إنما يكون من علو و الله تعالى عندهم ليس في العلو فلم ينزل منه شيء وقد قال تعالى **{وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّنْ رَّبِّكَ بِالْحَقِّ}** الأنعام 114 {تثريلاً} الكتاب من الله العزيز الحكيم {الأحقاف} 2 إلى غير ذلك وقولهم أنه خلقه في مخلوق و نزل منه باطل لأنه قال **{أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّنْ رَّبِّكَ}** الأنعام 114 ولم يجيء هذا في غير القرآن و

¹⁴⁸ مجموع الفتاوى ج: 12 ص: 296

الحديد ذكر أنه أنزله مطلقاً و لم يقل منه و هو منزلاً من الجبال
 و المطر أنزل من السماء و المراد أنه أنزله من السحاب و هو
 المزن كما ذكر ذلك في قوله {أَنَّمَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْمُنْزَنِ}
 {الواقعة 69} و الثاني أنه لو كان من مخلوق لكان صفة
 له و كلاماً له فإن الصفة إذا قامت بمحل عاد حكمها على ذلك
 المحل و لأن الله لا يتصرف بالمخلوقات و لو إتصف بذلك
 لا يتصرف بأنه صوت إذا خلق الأصوات و متحرك إذا خلق الحر-
 كات في غيره إلى غير ذلك إلى أن قال فقد تبين أن الجهمية ما
 قدروا الله حق قدره وأنهم داخلون في هذه الآية و أنهم لم يثبتوا
 قدرته لا على فعل و لا على الكلام بمشيئته و لا على نزوله و
 على إنزاله منه شيئاً فهم من أبعد الناس عن التصديق بقدرة الله و
 أنه إلى كل شيء قادر و إذا لم يكن قديراً لم يكن قوياً و يلزمهم
 أنه لم يخلق شيئاً فيلزمهم الدخول في قوله {ضَعْفَ الطَّالِبِ
 وَالْمَطْلُوبِ} {73} مَا قَدَرُوا اللَّهُ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ
 عَزِيزٌ} {74} الحج 73-74 فهم ينفون حقيقة قدرته في الأزل و
 حقيقة قولهم أنه صار قادراً بعد أن لم يكن و القدرة التي يثبتونها
 لا حقيقة لها وهذا أصل مهم من تصوره عرف حقيقه الأقوال
 الباطلة و ما يلزمها من اللوازيم و عرف الحق الذي دل عليه
 صحيح المنقول و صريح المعقول لاسيما في هذه الأصول التي
 هي أصول كل الأصول والضاللون فيها لما ضيعوا الأصول
 حرموا الوصول و قد تبين أنه كلما تحقق الحقائق و أعطى
 النظر و الإستدلال حقه من التمام كان مادلاً عليه القرآن هو
 الحق و هو الموافق للمعقول الصريح الذي لم يشتبه بغيره مما
 يسمى معقولاً و هو مشتبه مختلط كما قال مجاهد في قوله تعالى
 {إِنَّ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً} الأنعام 159 قال هم أهل
 البدع و الشبهات فهم في أمور مبتدعة في الشرع مشتبهة في
 العقل و الصواب هو ما كان موافقاً للشرع مبيناً في العقل
 فإن الله سبحانه أخبر أن القرآن منزلاً منه و أنه تنزيل منه و أنه
 كلامه و أنه قوله و أنه كفر من قال أنه قول البشر و أخبر أنه قول

رسول كريم من الملائكة و رسول كريم من البشر و الرسول يتضمن المرسل فيبين أن كلا من الرسولين بلغه لم يحدث هو منه شيئاً وأخبر أنه جعله قرآناً عربياً¹⁴⁹

علو الله تعالى عن سائر مخلوقاته

* أما علو الله تعالى عن سائر مخلوقاته وأنه كامل الأسماء الحسنى والصفات العلي فالذى يدل عليه منها الكتاب قوله تعالى {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} {5} طه 5 قوله {مُنْزَلٌ مِّنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ} الأنعام 114 والذى يدل عليه من السنة قصة مراجعة الرسول الى ربه ونزول الملائكة من عند الله وصعودها اليه وقوله في الملائكة الذين يتعاقبون في الليل والنهار فيخرج الذين باتوا فيكم الى ربهم فيسألهم وهو أعلم بهم وفي حديث الخوارج الا تأمنونى وأنا أمين من فى السماء وفي حديث الرقيقة ربنا الله الذى في السماء تقدس اسمك وفي حديث الأحوال والعرش فوق ذلك والله فوق عرشه وهو يعلم ما أنتم عليه وفي حديث قبض الروح حتى يخرج بها إلى السماء التي فيها الله وفي سنن أبي داود عن جبير بن مطعم قال أتى رسول الله أعرابي فقال يا رسول الله جهدت الانفس وجاع العيال وهلك المال فادع الله لنا فانا نستشفع بك على الله ونستشفع بالله عليك فسبح رسول الله حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه وقال ويحك أتدرى ما الله ان الله لا يستشفع به على أحد من خلقه شأن الله أعظم من ذلك ان الله على عرشه وان عرشه على سمواته

¹⁴⁹ مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 28-26

وأرضه كهذا وقال بأصابعه مثل القبة وفي الصحيح عن
جابر بن عبد الله ان رسول الله لما خطب خطبة عظيمة يوم
عرفات في أعظم جمع حضره رسول الله جعل يقول
الا هل بلغت فيقولون نعم فيرفع أصبعه إلى السماء وينكبها
إليهم ويقول اللهم اشهد غير مرة وحديث الجارية لما سأله
أين الله قالت في السماء فأمر بعتقها وعلل ذلك بآيمانها وأمثاله
كثيرة وأما الذي يدل عليه من الاجماع ففي الصحيح
عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال كانت زينب تفتخر على
أزواج النبي تقول زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق
سبع سمواته وروى عبدالله بن أحمد وغيره بأسانيد صحاح عن
ابن المبارك أنه قيل له بمعرفة ربنا قال بأنه فوق سمواته على
عرشه بائن من خلقه ولا نقول كما قالت الجهمية أنه هاهنا في
الأرض وباسناد صحيح عن سليمان بن حرب الامام سمعت
حمد بن زيد وذكر الجهمية فقال إنما يحاولون أن يقولوا ليس في
السماء شيء وروى ابن أبي حاتم عن سعيد بن عامر الضبعى
امام أهل البصرة علما وديننا أنه ذكر عنده الجهمية فقال لهم أشر
قولا من اليهود والنصارى وقد اجتمع أهل الأديان مع المسلمين
على أن الله تعالى على العرش وقالوا لهم ليس على العرش شيء
وقال محمد بن اسحاق بن خزيمة امام الأنمة من لم يقل ان الله
فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه وجب أن يستتاب فان
تاب والا ضربت عنقه ثم ألقى على مذبلة لئلا يتاذى به اهل
القبلة ولا أهل الذمة وروى الامام أحمد قال أنا شريح بن
النعمان قال سمعت عبدالله بن نافع الصائغ قال سمعت مالك بن
أنس يقول الله في السماء وعلمه في كل مكان لا يخلو من علمه
مكان وحكى الأوزاعي أحد الأنمة الأربع في عصر تابعى
التابعين الذين هم مالك امام اهل الحجاز والأوزاعي امام اهل
الشام والليث امام اهل البصرة والثورى امام اهل العراق حكى
شهرة القول في زمن التابعين بالایمان بأن الله تعالى فوق العرش
وبصفاته السمعية وإنما قاله بعد ظهور جهنم المنكر لكون الله فوق

عرشه النافى لصفاته ليعرف الناس أن مذهب السلف خلافه وروى الحال بأسانيد كلهم أئمة عن سفيان بن عيينة قال سئل ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن قوله تعالى {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} {5} طه 5 كيف استوى قال الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول ومن الله الرسالة ومن الرسول البلاع وعليها التصديق وهذا مروى عن مالك بن أنس تلميذ ربيعة بن أبي عبد الرحمن أو نحوه وقال الشافعى خلافة أبي بكر حق قضاه الله تعالى فى سمائه وجمع عليه قلوب عباده ولو يجمع ما قاله الشافعى فى هذا الباب لكان فيه كفاية ومن أصحاب الشافعى عبدالعزيز بن يحيى الكنانى المكى له كتاب الرد على الجهمية وقرر فيه مسئلة العلو وأن الله تعالى فوق عرشه والأئمة فى الحديث والفقه والسنن والتتصوف المائتون إلى الشافعى ما من أحد منهم إلا له كلام فيما يتعلق بهذا الباب ما هو معروف يطول ذكره وفي كتاب الفقه الأكبر المشهور عن أبي حنيفة يروونه بأسانيد عن أبي مطیع الحكم بن عبد الله قال سألت أبي حنيفة عن الفقه الأكبر فقال لا تكفرن أحداً بذنب إلى أن قال عمن قال لا أعرف ربى في السماء أم في الأرض فقد كفر لأن الله يقول {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} {5} طه 5 وعرشه فوق سبع سموات قلت فان قال أنه على العرش ولكن لا أدرى العرش في السماء أم في الأرض قال هو كافر وأنه يدعى من أعلى لا من أسفل وسئل على بن المدينى عن قوله {مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَأَيْهُمْ} {المجادلة} 7 قال أقرأ ما قبله {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} {المجادلة} 7 الآية وروى عن ابن عيسى الترمذى قال هو على العرش كما وصف في كتابه وعلمه وقدره وسلطانه في كل مكان وأبو يوسف لما بلغه عن المرسي انه

ينكر الصفات الخيرية وان الله فوق عرشه أراد ضربه فهرب
ضرب رفيقه ضربا بشعا وعن اصحاب ابى حنيفة فى هذا
الباب ما لا يحصى¹⁵⁰

{لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدْ مَذْمُومًا مَّذْدُولاً }

*قد قال تعالى {قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ إِلَهًا الْجَاهِلُونَ } الزمر 64 وقال تعالى {قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَنَّهُ أَنَّهُ وَلَيْا فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعَمُ وَلَا يُطْعَمُ } الأنعام 14 وقال {أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنَّزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا } الأنعام 114 فلو لم يكن هناك غيره لم يكن المشركون أمروه بعبادة غير الله ولا اتخاذ غير الله ولها ولا حكما فلم يكونوا يستحقون الإنكار فلما أنكر عليهم ذلك دل على ثبوت غير يمكن عبادته واتخاذه ولها وحكمها وأنه من فعل ذلك فهو مشرك بالله كما قال تعالى {فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ } الشعراء 213 وقال {لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدْ مَذْمُومًا مَّذْدُولاً } الإسراء 22 وأمثال ذلك¹⁵¹

ان الله يبعث لهذه الامة في راس كل مائة سنة من يجدد لها دينها

*قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فظوي للغرباء في قوله صلى الله عليه وسلم ثم يعود غريبا كما بدأ يحتمل شيئا أحدهما انه في أمكنة وازمنة يعود غريبا بينهم ثم يظهر كما كان

¹⁵⁰ مجموع الفتاوى ج: 5 ص: 136-140

فِي اُول الامر غريبا ثم ظهر ولهذا قال سيعود غريبا كما بدأ
وهو لما بدأ كان غريبا لا يعرف ثم ظهر وعرف فكذلك يعود
حتى يعرف ثم يظهر ويعرف فيقال من يعرفه في اثناء الامر كما
كان من يعرفه اولا ويحتمل انه في اخر الدنيا لا يبقى مسلما
الا قليل وهذا انما يكون بعد الدجال وياجوج وماجوح عند قرب
الساعة وحينئذ يبعث الله ريحانا تقبض روح كل مؤمن ومؤمنة ثم
تقوم القيمة واما قبل ذلك فقد قال صلى الله عليه وسلم لا
تزال طائفة من امتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم
ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة وهذا الحديث في الصحيحين
ومثله من عدة اوجه فقد اخبر الصادق المصدوق انه لا تزال
طائفة ممتنعة من امته على الحق اعزاء لا يضرهم المخالف ولا
خلاف الخاذل فاما بقاء الاسلام غريبا ذليلا في الارض كلها قبل
الساعة فلا يكون هذا قوله ثم يعود غريبا كما بدأ اعظم

ما تكون غربته اذا ارتد الداخلون فيه عنه وقد قال تعالى { من
يَرْتَدَ مِنْكُمْ عَنِ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُجْبِهُمْ وَيُحْبُّونَهُ أَذْلَّةً عَلَى
الْمُؤْمِنِينَ أَعْزَّةً عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ
لَوْمَةً لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلَيْهِ }

{ المائدة 54 فهو لا يقيمونه اذا ارتد عنه اولئك وكذلك بدأ
غريبا ولم يزل يقوى حتى انتشر فهكذا يتغرب في كثير من
الامكنة والازمنة ثم يظهر حتى يقيمه الله عز وجل كما كان عمر
بن عبدالعزيز لما ولى قد تغرب كثير من الاسلام على كثير من
الناس حتى كان منهم من لا يعرف تحريم الخمر فاظهر الله به
في الاسلام ما كان غريبا وفي السنن ان الله يبعث لهذه
الامة في راس كل مائة سنة من يجدد لها دينها والتجديد انما
يكون بعد الدروس وذاك هو غربة الاسلام وهذا الحديث يفيد

المسلم انه لا يغتنم بقلة من يعرف حقيقة الاسلام ولا يضيق
صدره بذلك ولا يكون في شك من دين الاسلام كما كان الامر
حين بدأ قال تعالى {فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ
يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ } يونس 94 الى غير ذلك من الآيات

والبراهين الدالة على صحة الاسلام وكذلك اذا تغرب يحتاج صاحبه من الادلة والبراهين الى نظير ما احتاج اليه في اول الامر وقد قال له {أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِّنْ رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ} 114 وَتَمَتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلٌ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} 115 وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضْلِلُوكَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَبَعُونَ إِلَّا الظَّنُّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ} 116 {الأنعام 114-116} وقال تعالى {أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَاذَانِاعَامٍ بَلْ هُمْ أَصْلُ سَبِيلًا} الفرقان 44 وقد تكون الغربة في بعض شرائعه وقد يكون ذلك في بعض الامكانة ففي كثير من الامكانة يخفى عليهم من شرائعه ما يصير به غريبا بينهم لا يعرفه منهم الا الواحد بعد الواحد ومع هذا فطوبى لمن تمسك بتلك الشريعة كما امر الله ورسوله فان اظهاره والامر به والانكار على من خالفه هو بحسب القوة والاعوان وقد قال النبي من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقابله ليس وراء ذلك من الایمان حبة خرد ¹⁵²

أسماء القرآن

* أسماء القرآن القرآن الفرقان الكتاب الهدى النور الشفاء البيان الموعظة الرحمة بصائر البلاغ الكريم المجيد العزيز المبارك التنزيل المنزل الصراط المستقيم حبل الله الذكر الذكرى تذكرة المتشابه المثاني {مُتَشَابِهًا مَّثَانِي} الزمر 23 محكم

¹⁵² مجموع الفتاوى ج: 18 ص: 297-299

الله يأمر الأنبياء مع علمه أنهم يطيعونه

* كثير من المفسرين يقول في قوله { وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونُنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ } الأنعام 114 وفي قوله { وَلَا تُطِعُ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ } الأحزاب 48 و نحو ذلك إن الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره أي غيره قد يكون ممترياً و مطيناً لأولئك فنهي و هو لا يكون ممترياً و لا مطيناً لهم و لكن بتقدير أن يكون الأمر كذلك فهو أيضاً مخاطب بهذا و هو منهى عن هذا فالله سبحانه قد نهى عما حرم من الشرك و القول عليه بلا علم و الظلم و الفواحش و بنهى الله له عن ذلك و طاعته لله في هذا استحق عظيم الثواب ولو لا النهي و الطاعة لما استحق ذلك و لا يجب أن يكون المأمور منهى من يشك في طاعته و يجوز عليه أن يعصي رب أو يعصيه مطلقاً و لا يطيعه بل الله أمر الملائكة مع علمه أنهم يطيعونه و يأمر الأنبياء مع علمه أنهم يطيعونه و كذلك المؤمنون كل ما أطاعوه فيه قد أمرهم به مع علمه أنهم يطيعونه و لا يقال لا يحتاج إلى الأمر بل بالأمر صار مطيناً مستحفاً لعظيم الثواب ولكن النهي يقتضي قدرته على المنهي عنه و أنه لو شاء لفعله ليثاب على ذلك إذا تركه و قد يقتضي قيام السبب الداعي إلى فعله فينهى

عنه فإنه بالنهي و إعانة الله له على الإمتثال يمتنع مما نهى عنه
إذا قام السبب الداعي له إليه ¹⁵⁴

الرب سبحانه على صراط مستقيم

*أن الله سبحانه وتعالى يقول الصدق و يعمل بالعدل كما قال
{وَتَمَتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا} {الأنعام 115} وقال هود {
إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} هود 56 فأخبر أن الله على صراط
مستقيم و هو العدل الذي لا عوج فيه وقال {هَلْ يَسْتَوِي هُوَ
وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} النحل 76 و هو
مثل ضربه الله لنفسه و لما يشرك به من الأوثان كما ذكر ذلك
في قوله {فَلَمَنْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي
إِلَى الْحَقِّ} يونس 35 الآية وقال {أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا
يَخْلُقُ} النحل 17 الآيات إلى قوله {وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبَعْثُونَ
إِنَّ رَبَّهُمْ أَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} النحل 21 فأخبر أنه خالق منعم عالم و ما يدعون من دونه لا
تخلق شيئاً و لا تنعم بشيء و لا تعلم شيئاً و أخبر أنها ميتة فهل
يستوى هذا وهذا فكيف يعبدونها من دون الله مع هذا الفرق الذي
لا فرق أعظم منه و لهذا كان هذا أعظم الظلم و الافاك و من
هذا الباب قوله تعالى {قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ
أَصْطَفَيَ اللَّهُ خَيْرًا مِمَّا يُشْرِكُونَ} النمل 59 فقوله تعالى {ضَرَبَ
اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنْ رِزْقًا
حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوِونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ
لَا يَعْلَمُونَ} 75 {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ
عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كُلُّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوْجِهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ
يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ
مُسْتَقِيمٍ} النحل 76 كلاهما مثل بين الله فيه أنه لا يستوي

هو و ما يشركون به كما ذكر نظير ذلك في غير موضع و إن كان هذا الفرق معلوما بالضرورة لكل أحد لكن المشركون مع اعترافهم بأن آلهتهم مخلوقة مملوكة له يسرون بينه و بينها في المحبة و الدعاء و العبادة و نحوذلك و المقصود هنا أن ¹⁵⁵
الرب سبحانه على صراط مستقيم

دلائل نبوة محمد قطعية يقينية

*قال تعالى { أَفَغَيْرُ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِّنْ رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونُنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ } 114 { وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلٌ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } 115 { الأنعام 114-115
ان موسى وال المسيح عليهما السلام بشرًا بمحمد صلى الله عليه وسلم و الكتب السماوية السابقة التوراة والإنجيل بشرط بـ محمد صلى الله عليه وسلم و دلائل نبوة محمد قطعية يقينية لا يمكن القبح فيها بطن فإن الظن لا يدفع اليقين لا سيما مع الآثار الكثيرة المخبرة بأن مهديا كان مكتوبا باسمه الصرير فيما هو منقول عن الأنبياء كما في صحيح البخاري أنه قيل لعبد الله بن عمرو أخبرنا بعض صفة رسول الله في التوراة فقال إنه لموصوف في التوراة ببعض صفاته في القرآن يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للأمينين أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكلا لست بفظ ولا غليظ ولا صخاب بالأسواق ولا تجزي بالسيئة السيئة ولكن تجزي بالسيئة الحسنة وتعفو وتغفر ولن أقبضه حتى أقيم به الملة الموجأ فأفتح به أعينا عميا وآذانا صما ¹⁵⁶
وقلوبًا غلوا بأن يقولوا لا إله إلا الله

¹⁵⁵ مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 177-179

¹⁵⁶ الحواب الصحيح ج: 5 ص: 150

*فالنبي المعصوم قصده البر والعدل عالما بكل ما يخبر به من الغيوب جازما بصدق نفسه جزما لا يحتمل النفيض عالما بأن ما يأمر به عدل لا يجوز لمن أمره أن يعصيه بوجه من الوجوه فهذا هو النبي المعصوم الذي لا يخبر إلا بحق ولا يأمر إلا بعدل

{وَتَمَتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبْدِلٌ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} {الأنعام} 115 فإنه لا معصوم إلا الأنبياء ولهذا لم يجب الإيمان بكل ما يقوله بشر إلا أن يكون نبيا فإن الإيمان واجب بكل ما يأتي به النبي قال تعالى {قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا وَمَا أَنْزَلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَتَحْنُنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} البقرة 136¹⁵⁷

*قال الله تعالى **{وَتَمَتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا}** {الأنعام} 115 ف والله تعالى بعث الرسل بالعلم والعدل فكل من كان أتم علما وعدلا كان أقرب إلى ما جاءت به الرسل¹⁵⁸

{سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ }

* ومن تدبر الكتاب والسنة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتبر ذلك بما يجده في نفسه وفي الافق علم تحقيق قول الله تعالى {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ} فصلت 53 فإن الله تعالى يرث عباده اياته في

الجواب الصحيح ج: 6 ص: 48¹⁵⁷

منهج السنة النبوية ج: 6 ص: 56¹⁵⁸

الافاق وفي أنفسهم حتى يتبيّن لهم ان القرآن حق فخبره صدق وأمره عدل **{وَتَمَتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلٌ لِكَلِمَاتِهِ**
وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } الأనعام 115¹⁵⁹

* وإن الله صادق حكيم لا يخبر إلا بصدق ولا يأمر إلا بعدل
{وَتَمَتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا} } الأنانعام 115¹⁶⁰

* وهو سبحانه الصادق العدل كما قال تعالى **{وَتَمَتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلٌ لِكَلِمَاتِهِ** } الأنانعام 115 فإن الكلام إما إنشاء وإما إخبار فالإخبار صدق لا كذب والإنشاء أمر التكوين وأمر التشريع عدل لا ظلم¹⁶¹

* كلمة الله اسم جنس لكل ما تكلم الله به وقال النبي من قاتله لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله ولهذا جمعها في قوله تعالى **{وَتَمَتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلٌ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** } الأنانعام 115 فالمراد بذلك أن ما قاله الله فهو حق ثابت لا يبطل¹⁶²

بالصدق والعدل تصلح جميع الاحوال وهمما قرینان

* وبالصدق في كل الأخبار والعدل في الانشاء من الأقوال والأعمال تصلح جميع الاحوال وهمما قرینان كما قال تعالى **{وَتَمَتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا}** } الأنانعام 115 وقال النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر الظلمة من صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه ولا يرد على الحوض ومن لم

¹⁵⁹ منهاج السنة النبوية ج: 4 ص: 543

¹⁶⁰ مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 75

¹⁶¹ مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 245

¹⁶² الجواب الصحيح ج: 3 ص: 254

يصدقهم بکذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فهو مني وأنا منه وسيرد على الحوض وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال عليكم بالصدق فان الصدق يهدي الى البر وان البر يهدي الى الجنة ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا واياكم والكذب فان الكذب يهدي الى الفجور وان الفجور يهدي الى النار ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا¹⁶³

*فالصادقون يدوم أمرهم والذابون ينقطع أمرهم هذا أمر جرت به العادة وسنة الله التي لن تجد لها تبديلًا وأما المخبر عنه وبه كالنبي يخبر عن الله تعالى بأنه أخبر بكذا أو أنه أمر بكذا فلا بد أن يكون خبره صدقا وأمره عدلا قال تعالى {وَتَمَتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلٌ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } الأنعام 115 والأمور التي يخبر بها ويأمر بها تارة تتبه العقول على الأمثال والأدلة العقلية التي يعلم بها صحتها فيكون ما علمته العقول بدلاته وإرشاده من الحق الذي أخبر به والخبر الذي أمر به شاهد بأنه هاد ومرشد معلم للخير ليس بمضل ولا مغوا ولا معلم للشر¹⁶⁴

كلمات الله تعالى نوعان

* كلمات الله تعالى نوعان كلمات كونية وكلمات دينية فكلماته الكونية هي التي استعاد بها النبي صلى الله عليه وسلم في قوله أعود بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر وقال سبحانه {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ }يس 82 وقال تعالى {وَتَمَتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا } الأنعام 115 والكون كله يدخل تحت هذه الكلمات و

¹⁶³ مجموع الفتاوى ج: 28 ص: 66-67

¹⁶⁴ العقيدة الأصفهانية ج: 1 ص: 188

النوع الثاني الكلمات الدينية وهي القرآن وشرع الله الذى بعث به رسوله وهى أمره ونهاه وخبره وحظ العبد منها العلم بها والعمل والأمر بما أمر الله به¹⁶⁵

* الإرادة والاذن والكتاب والحكم والقضاء والتحريم وغيرها كالأمر والبعث والأرسال ينقسم فى كتاب الله إلى نوعين أحدهما ما يتعلق بالأمور الدينية التى يحبها الله تعالى ويرضاها ويثيب أصحابها ويدخلهم الجنة وينصرهم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة وينصر بها العباد من أوليائه المتقين وحزبه المفلحين وعباده الصالحين و الثانية مايتعلق بالحوادث الكونية التى قدرها الله وقضتها مما يشترك فيها المؤمن والكافر والبر والفاجر وأهل الجنة وأهل النار وأولياء الله وأعداؤه وأهل طاعته الذين يحبهم ويحبونه و يصلى عليهم هو وملائكته وأهل معصيته الذين يبغضهم ويمقتهم ويلعنهم الله ويلعنهم الألعنون فمن نظر إليها من هذا الوجه شهد الحقيقة الكونية الوجودية فرأى الأشياء كلها مخلوقة لله مدبرة بمشيئته مقهورة بحكمته فما شاء الله كان وإن لم يشا الناس وما لم يشا لم يكن وإن شاء الناس لا معقب لحكمه ولا راد لأمره ورأى أنه سبحانه رب كل شيء ومليكه له الخلق والأمر وكل ما سواه مربوبا له مدبر مقهور لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا بل هو عبد فقير إلى الله تعالى من جميع الجهات والله غنى عنه كما أنه الغني عن جميع المخلوقات وهذا الشهود في نفسه حق لكن طائفة قصرت عنه وهم القدرة الم蛟وية و طائفة وقفت عنده وهم القدرة المشركية أما الأولون فهم الذين زعموا أن في المخلوقات مالا تتعلق به قدرة الله و مشيئته و خلقه كأفعال العباد

¹⁶⁵ مجموع الفتاوى ج: 11 ص: 322

و غلاتهم أنكروا علمه القديم و كتابه السابق و هؤلاء هم أول من حدث من القدرة في هذه الأمة فرد عليهم الصحابة و سلف الأمة و تبرؤا منهم وأما الطائفة الثانية فهم شر منهم و هم طوائف من أهل السلوك و الإرادة و التأله و التصوف و الفقر و نحوهم يشهدون هذه الحقيقة و رأوا أن الله خالق المخلوقات كلها فهو خالق أفعال العباد و مرید جميع الكائنات و لم يميزوا بعد ذلك بين إيمان و كفر و لا عرفان و لا نكر و لاحق و لا باطل و لا مهتدى و لا ضال و لا راشد و لا غوي و لا نبی و لا متتبئ و لا ولی الله و لا عدو و لا مرضي الله و لا مسخوط و لا محبوب لله و لا ممقوت و لا بين العدل و الظلم و لا بين البر و العقوق و لا بين أعمال أهل الجنة و أعمال أهل النار و لا بين الأبرار و الفجار حيث شهدوا ما تجتمع فيه الكائنات من القضاة السابق و المشيئة النافذة و القدرة الشاملة و الخلق العام فشهدوا المشترك بين المخلوقات و عموا عن الفارق بينهما و صاروا من يخاطب بقوله تعالى { أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ } 35 { مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ } 36 القلم 35-36 و بقوله تعالى { أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفَجَارِ } ص 28 و بقوله تعالى { أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءٌ مَحِيَّا هُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءٌ مَا يَحْكُمُونَ } الجاثية 21 { وَتَمَتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَرَرُوا } الأعراف 137 و منه قول النبي صلى الله عليه وسلم أَعُوذ بكلمات الله التامات التي لا يتجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق و ذرأ و برأ و من شر ما ينزل من السماء و ما يخرج فيها و من شر ما ذرأ في الأرض و ما يخرج منها و من شر فتن الليل و النهار و من شر كل طارق إلا طارقا يطرق بخير يارحمـن فالكلمات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر ليست هي أمره و نهيـه الشر عيـنـين فإنـ الفجـار عصـوا أمرـه و نـهيـه بلـ هيـ التي بها يكونـ الكـائنـات و أماـ الكلـماتـ الـدينـيةـ المتـضـمنـةـ لأـمرـهـ و

{ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ } 35 { مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ } 36 القلم 35-36 و بقوله تعالى { أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفَجَارِ } ص 28 و بقوله تعالى { أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءٌ مَحِيَّا هُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءٌ مَا يَحْكُمُونَ } الجاثية 21 { وَتَمَتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَرَرُوا } الأعراف 137 و منه قول النبي صلى الله عليه وسلم أَعُوذ بكلمات الله التامات التي لا يتجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق و ذرأ و برأ و من شر ما ينزل من السماء و ما يخرج فيها و من شر ما ذرأ في الأرض و ما يخرج منها و من شر فتن الليل و النهار و من شر كل طارق إلا طارقا يطرق بخير يارحمـن فالكلماتـ التيـ لاـ يـجاـوزـهـنـ برـ ولاـ فـاجـرـ ليستـ هيـ أمرـهـ وـ نـهيـهـ الشرـ عـيـنـينـ فإنـ الفـجـارـ عـصـواـ أمرـهـ وـ نـهيـهـ بلـ هيـ التيـ بهاـ يـكونـ الكـائـنـاتـ وـ أماـ الكلـماتـ الـدينـيةـ المتـضـمنـةـ لأـمرـهـ وـ

نهيه الشريعين فمثل الكتب الإلهية التوراة والأنجيل والزبور و القرآن وقال تعالى {وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا} التوبة 40 وقال صلى الله عليه وسلم و استحللتكم فروجهن بكلمة الله و أما قوله تعالى {وَتَمَتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا} الأنعام 115 فإنه يعم النوعين ¹⁶⁶

أهل السنة والجماعة لا ينفون عن الله ما وصف به نفسه

*فاعتقد الفرقة الناجية المنصورة الى قيام الساعة أهل السنة والجماعة وهو الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والايمان بالقدر خيره وشره ومن الايمان بالله بالإيمان بما وصف به نفسه في كتابه وبما وصفه به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من غير تحرير ولا تعطيل ومن غير تكليف ولا تمثيل بل يؤمنون بأن الله سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه ولا يحرفون الكلم عن مواضعه ولا يلحدون في أسماء الله وآياته ولا يكيفون ولا يمثرون صفاته بصفات خلقه لأنه سبحانه لا سمي له ولا كفو له ولا ند له ولا يقاس بخلقه سبحانه وتعالى فانه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره وأصدق قيلاً وأحسن حديثاً من خلقه ثم رسله صادقون مصدوقون بخلاف الذين يقولون عليه مالاً يعلمون ولهذا قال سبحانه وتعالى {سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعَزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ} 180 {وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ} 181 {وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} 182 {الصافات} 180-182 فسبح نفسه عما وصفه به المخالفون للرسل وسلم على المرسلين لسلامة ما قالوه من النقص والعيب وهو سبحانه قد جمع فيما وصف وسمى

¹⁶⁶ مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 58-60

بـه نفسه بين النفي والإثبات فلا عدول لأهل السنة والجماعة عما جاء به المرسلون فإنه الصراط المستقيم صراط الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وقد دخل في هذه الجملة ما وصف به نفسه في سورة الإخلاص التي تعدل ثلث القرآن قوله سبحانه **{وَتَمَتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا}**
 167 **{الأنعام 115}**

*فـان الله تعالى سـمى نفسه بأسماء ووصف نفسه بـصفات سـمى نفسه حـيا علىـما حـكـيـما قـدـيرـا سـمـيـعا بـصـيرـا غـفـورـا رـحـيمـا إلىـسـائـر أـسـمائـه الحـسـنـى قال الله تعالى **{وَتَمَتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلٌ لِكَلِمَاتِهِ}** الأنعام 115 وأـمـاـلـذـكـرـ فالـقولـ فـي بـعـضـ هـذـهـ الصـفـاتـ كـالـقـولـ فـىـ بـعـضـ وـمـذـهـبـ سـلـفـ الـأـمـةـ وـأـمـمـهـ اـنـ يـوـصـفـ اللهـ بـمـاـ وـصـفـ بـهـ نـفـسـهـ وـبـمـاـ وـصـفـ بـهـ رـسـوـلـهـ مـنـ غـيرـ تـحـريـفـ وـلـاـ تـعـطـيلـ وـلـاـ تـكـيـيفـ وـلـاـ تـمـثـيلـ فـلاـ يـجـوزـ نـفـيـ صـفـاتـ اللهـ تـعـالـىـ التـىـ وـصـفـ بـهـ نـفـسـهـ وـلـاـ يـجـوزـ تـمـثـيلـهـ بـصـفـاتـ الـمـخـلـوقـينـ بـلـ هـوـ سـبـانـهـ **{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}** الشورى 11 ليس كـمـثـلـهـ شـيـءـ لـاـ فـىـ ذـاتـهـ وـلـاـ فـىـ صـفـاتـهـ وـلـاـ فـىـ أـفـعـالـهـ وـقـالـ نـعـيمـ بـنـ حـمـادـ الـخـرـاعـىـ مـنـ شـبـهـ اللهـ بـخـلـقـهـ فـقـدـ كـفـرـ وـمـنـ جـحدـ مـاـ وـصـفـ اللهـ بـهـ نـفـسـهـ فـقـدـ كـفـرـ وـلـيـسـ مـاـ وـصـفـ اللهـ بـهـ نـفـسـهـ وـرـسـوـلـهـ تـشـبـيهـاـ وـمـذـهـبـ السـلـفـ بـيـنـ مـذـهـبـيـنـ وـهـدـىـ بـيـنـ ضـلـالـتـيـنـ اـثـبـاتـ الصـفـاتـ وـنـفـيـ مـمـاثـلـةـ الـمـخـلـوقـاتـ فـقـولـهـ تـعـالـىـ **{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}** الشورى 11 رد علىـ أـهـلـ التـشـبـيهـ وـالـتـمـثـيلـ وـقـولـهـ **{وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}** الشورى 11 رد علىـ أـهـلـ النـفـيـ وـالـتـعـطـيلـ فـالـمـمـثـلـ اـعـشـىـ وـالـمـعـطـلـ أـعـمـىـ المـمـثـلـ يـعـدـ صـنـمـاـ وـالـمـعـطـلـ يـعـدـ عـدـمـاـ وـقـدـ اـتـقـقـ جـمـيعـ اـهـلـ الـإـثـبـاتـ عـلـىـ اـنـ اللهـ حـىـ حـقـيقـةـ عـلـيـمـ حـقـيقـةـ قـدـيرـ

حقيقة سمع حقيقة بصير حقيقة مريد حقيقة متكلم حقيقة حتى المعتزلة النفاة للصفات قالوا ان الله متكلم حقيقة كما قالوا معسائر المسلمين ان الله عليم حقيقة قادر حقيقة بل ذهب طائفة منهم كأبى العباس الناشى الى أن هذه الاسماء حقيقة الله مجاز للخلق واما جمهور المعتزلة مع المتكلمة الصفاتية من الاشعرية الكلابية والكرامية والسامية واتباع الانمة الاربعة من الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية وأهل الحديث والصوفية فانهم يقولون ان هذه الاسماء حقيقة للخالق سبحانه وتعالى وان كانت تطلق على خلقه حقيقة أيضا ويقولون ان له علم حقيقة وقدرة حقيقة وسمعا حقيقة وبصرا حقيقة¹⁶⁸

* فان الله وصف نفسه بالأقوال الازمة والمعتذدة فى مثل قوله {إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ} ص71 قوله {وَكَلَمُ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا} النساء 164 قوله {وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا} الأنعام 115 ونحو ذلك مما وصف به نفسه فى كتابه وما صح عن رسوله فان القول فى جميع ذلك من جنس واحد ومذهب سلف الأمة وأنتما أنتم يصفونه بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله فى النفي والاثبات والله سبحانه وتعالى قد نفى عن نفسه مماثلة المخلوقين فقال الله تعالى (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ)1 {اللَّهُ الصَّمَدُ}2 {لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوَلَّْ}3 {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ}4 {فَبَيْنَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ كَفَوْا لَهُ وَقَالَ تَعَالَى {هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا}5 مريم 65 فأنكر أن يكون له سمى وقال تعالى {فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا} البقرة 22 وقال تعالى {فَلَا تَنْضِرُبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ}6 النحل 74 وقال تعالى {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} الشورى 11 فيما أخبر به عن نفسه من تنزييهه عن الكفر

والسمى والمثل والنذر وضرب الأمثال له بيان أن لا مثيل له في
صفاته ولا أفعاله¹⁶⁹

لفظ الكلمة في الكتاب والسنة إنما يراد به الجملة التامة

* كلمة الله اسم جنس لكل ما تكلم الله به وقال النبي من قاتل تكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله ولهذا جمعها في قوله تعالى {وَتَمَتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلٌ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} الأنعام 115 فالمراد بذلك أن ما قاله الله فهو حق ثابت لا يبطل¹⁷⁰

* و ما ذكره سيبويه وغيره من أئمة النحو ان العرب يحكون بالقول ما كان كلاما لا يحكون به ما كان قولًا فالقول لا يحكي به الا كلام تام او جملة اسمية او فعلية ولهذا يكسرن ان جاءت بعد القول فالقول لا يحكي به اسم والله تعالى لا يأمر احدا بذكر اسم مفرد ولا شرع للمسلمين اسما مفردا مجردا والاسم المجرد لا يفيد الايمان باتفاق اهل الاسلام ولا يؤمر به في شيء من العبادات ولا في شيء من المخاطبات ونظير من اقتصر على الاسم المفرد ما يذكر ان بعض الأعراب من بمؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله بالنسب فقال ماذا يقول هذا هذا الاسم فاين الخبر عنه الذي يتم به الكلام وما في القرآن من قوله {وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَّلَّ إِلَيْهِ تَبَّلِّا} المزمول 8 و قوله {سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} الاعلى 1 و قوله {قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى} 14 وذكر اسم رببه فصلی 15 الاعلى 14-15 و قوله {فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ} الواقعة 74 و نحو ذلك لا يقتضي ذكره

¹⁶⁹ مجموع الفتاوى ج: 5 ص: 324

¹⁷⁰ الجواب الصحيح ج: 3 ص: 254

مفردا بل في السنن انه لما نزل قوله {فَسَبَّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ} الواقعه 74 قال اجعلوها في رکوعكم ولما نزل قوله {سَبَّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} {الْأَعْلَى} 1 قال اجعلوها في سجودكم فشرع لهم ان يقولوا في الرکوع سبحان رب العظيم وفي السجود سبحان رب الاعلى وفي الصحيح انه كان يقول في رکوعه سبحان رب العظيم وفي سجوده سبحان رب الاعلى وهذا هو معنى قوله اجعلوها في رکوعكم وسجودكم باتفاق المسلمين فتسبيح اسم ربه الاعلى وذكر اسم ربه ونحو ذلك هو بالكلام التام المفيد كما في الصحيح عنه انه قال افضل الكلام بعد القرآن اربع وهن من القرآن سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وفي الصحيح عنه انه قال كلمتان خفيقان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من قال في يومه مائة مره لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير كتب الله له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى ولم يأت احد بأفضل مما جاء به الا رجل قال مثل ما قال او زاد عليه ومن قال في يومه مائة مره سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم حطت عنه خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر وفي الموطا وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال افضل ما قلتهانا والنبيون من قبل لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وفي سنن ابن ماجة وغيره عنه انه قال افضل الذكر لا اله الا الله وافضل الدعاء الحمد لله ومثل هذه الأحاديث كثيرة في انواع ما يقال من الذكر والدعاء وكذلك ما في القرآن من قوله تعالى {وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكُرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ} {الأنعام} 121 قوله {فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ} وَانْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ} {المائدة} 4 انما هو قوله بسم الله وهذا جملة تامة اما اسمية على اظهر قولى النها او فعلية والتقدير ذبحى باسم الله او اذبح باسم الله وكذلك قول القارئ بسم الله

الرحمن الرحيم فتقديره قراءتى بسم الله او اقرأ بسم الله
 ومن الناس من يضرر فى مثل هذا ابتدائى بسم الله او ابتدأت بسم
 الله والأول احسن لأن الفعل كله مفعول بـ {بِسْمِ اللَّهِ لِيُسْمِرُ
 ابتدائه كما اظهر المضمر فى قوله {اَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ
 } العلق 1 وفي قوله {بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا } هود 41
 وفي قول النبي من كان ذبح قبل الصلاة فليذبح مكانها اخرى
 ومن لم يكن ذبح فليذبح بـ {بِسْمِ اللَّهِ} ومن هذا الباب قول النبي فى
 الحديث الصحيح لربيبة عمر بن ابى سلمة سـ {بِسْمِ اللَّهِ وَكُلْ بِيمِينِكَ
 وَكُلْ مَا يَلِيكَ} فالمراد ان يقول بـ {بِسْمِ اللَّهِ لِيُسْمِرُ
 الاسم مـ {جَرَدًا} وكذلك قوله فى الحديث الصحيح لـ {عُدَى بْنَ حَاتَمَ
 اَذَا اَرْسَلَتْ كَلِبَكَ الْمَعْلُومَ وَذَكَرْتَ اَسْمَ اللَّهِ فَكُلْ} وكذلك قوله
 اـ {ذَلِكَ} اذا دخل الرجل منزله فذكر اسم الله عند دخوله وعند خروجه
 وعند طعامه قال الشيطان لا مـ {بَيْتٌ لَكُمْ وَلَا عَشَاءٌ} وامثال ذلك
 كثير وكذلك ما شرع للمسلمين فى صلاتهم وادانهم وحـ {جَهَنَّمَ}
 واعيادهم من ذكر الله تعالى انما هو بالحملة التامة كـ {قَوْلُ الْمَؤْذِنِ
 اللَّهُ اَكْبَرُ اللَّهُ اَكْبَرُ اَشْهَدُ اَنَّ لَا إِلَهَ اِلَّا اللَّهُ اَشْهَدُ اَنَّ
 مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَقُولُ الْمُصْلِيِّ اللَّهُ اَكْبَرُ سَبَّحَنَ رَبِّي
 الْاَعْلَى سَمِعَ اللَّهُ لَمَنْ حَمَدَهُ رَبِّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ التَّحْمِيَّاتُ لَهُ وَقُولُ
 الْمُلْبِرِ لَبِّيْكَ اللَّهُمَّ لَبِّيْكَ وَامْثَالُ ذَلِكَ فَجَمِيعُ مَا شَرَعَهُ اللَّهُ مِنَ الذَّكْرِ
 اـ {ذَلِكَ} انما هو كلام تام لا اسم مفرد لا مـ {ظَهَرَ} ولا مـ {ضَمَرَ} وهذا هو الذى
 يـ {سَمِّيَ} فى اللغة كلمة قوله كـ {لَمْتَ خَفِيقَتَنَ} على اللسان ثقيـ {لَاتَانَ}
 فى المـ {يَزَانَ} حـ {بِيَتَانَ} الى الرحمن سـ {بَحَانَ} ربـ {الْعَظِيمَ} وقوله
 افضل كلمة قالها الشاعر كلمة لـ {بَيْدَ الْاَكْلِ} كـ {لَيْلَةُ الْمَحْمَدِ} خـ {لَا اللَّهُ باطِلُ}
 ومنه قوله تعالى {كَبَرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ} الكـ {هَفْ 5
 الآية} وقوله {وَتَمَتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا} الأنعام 115
 وامثال ذلك مما استعمل فيه لـ {فِي} الكلمة فى الكتاب والـ {سَنَة} بل
 وسائل كلام العرب فـ {اَنَّمَا يَرَادُ بِهِ} الجملة التامة كما كانوا
 يستعملون الحـ {رْفَ} فى الاسم فيـ {قُولُونَ} هذا حـ {رْفَ} غـ {رِيبَ} اـ {يَ لَفْظَ}
 الاسم غـ {رِيبَ} وـ {قَسْمُ سَبِيْوِيَّةِ} الكلام الى اسم وـ {فَعْلُ وَحْرَفُ جَاءَ}

لمعنى ليس باسم و فعل وكل من هذه الأقسام يسمى حرفا لكن خاصة الثالث انه حرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل وسمى حروف الهجاء باسم الحرف وهي اسماء ولفظ الحرف يتناول هذه الأسماء وغيرها كما قال النبي من قرأ القرآن فأعربه فله بكل حرف عشر حسنت اما انى لا اقول الم حرف ولكن الف حرف ولا م حرف وميم حرف وقد سأل الخليل اصحابه عن النطق بحرف الزاي من زيد فقالوا زاي فقال جئتم بالاسم وانما الحرف ز ثم ان النهاة اصطاحوا على ان هذا المسمى في اللغة بالحرف يسمى كلمة وان لفظ الحرف يخص لما جاء المعنى ليس باسم ولا فعل كحروف الجر ونحوها واما الفاظ حروف الهجاء فيعبر تارة بالحرف عن نفس الحرف من اللفظ وتارة باسم ذلك الحرف ولما غلب هذا الاصطلاح صار يتوهم من اعتقاده انه هكذا في لغة العرب ومنهم من يجعل لفظ الكلمة في اللغة لفظا مشتركا بين الاسم مثلا وبين الجملة ولا يعرف في صريح اللغة من لفظ الكلمة الا الجملة التامة والمقصود هنا ان المشروع في ذكر الله سبحانه هو ذكره بجملة تامة وهو المسمى بالكلام والواحد منه بالكلمة وهو الذي ينفع القلوب ويحصل به الثواب والأجر والقرب الى الله ومعرفته ومحبته وخشيته وغير ذلك من المطالب العالية والمقاصد السامية واما الاقتصار على الاسم المفرد مظهرا او مضمرا فلا اصل له فضلا عن ان يكون من ذكر الخاصة والعارفين بل هو وسيلة الى انواع من البدع والضلالات وذرية الى تصورات احوال فاسدة من احوال اهل الالحاد واهل الاتحاد كما قد بسط الكلام عليه في غير هذا الموضوع¹⁷¹

¹⁷¹ مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 228-233

المضاف إلى الله نوعان

* والمضاف إلى الله نوعان فإن المضاف إما أن يكون صفة لا تقوم بنفسها كالعلم والقدرة والكلام والحياة وإما أن يكون عينا قائمة بنفسها فالأول إضافة صفة كقوله **{وَتَمَتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا}** {الأنعام 115} فالمضاف في الأول صفة الله قائمة به ليست مخلوقة له بائنة عنه والمضاف في الثاني مملوك لله مخلوق له بائن عنه لكنه مفضل مشرف لما خصه الله به من الصفات التي اقتضت إضافته إلى الله تبارك وتعالى كما خص ناقة صالح من بين النوق وكما خص بيته بمكة من البيوت وكما خص عباده الصالحين من بين الخلق¹⁷²

جماع الشر الجهل والظلم

* قال تعالى {وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضْلُلُوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظُّنُنَ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ} {116} إنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضْلِلُ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} {117} {الأنعام 116-117} فإن اتباع الظن جهل واتباع هوى النفس بغير هدى من الله ظلم وجماع الشر الجهل والظلم قال الله تعالى {وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً} {الأحزاب 72} ¹⁷³

وأضل الضلال اتباع الظن والهوى كما قال الله تعالى في حق من ذمهم {إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظُّنُنَ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءُهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى} {النجم 23} وقال في حق نبيه (وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَى) {1} مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى {2} {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى} {3} إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى} {4} {النجم 4-1} فنزهه عن

¹⁷² الجواب الصحيح ج: 2 ص: 157

¹⁷³ مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 348

الضلal والغواية اللذين هما الجهل والظلم فالضلal هو الذي لا يعلم الحق والغاوي الذي يتبع هواه وأخبر أنه ما ينطق عن هوى النفس بل هو وحي أوحاه الله إليه فوصفه بالعلم ونزعه عن ¹⁷⁴ الهوى

* والمحبة المحمودة هي المحبة النافعة وهي التي تجلب ل أصحابها ما ينفعه وهو السعادة والضارة هي التي تجلب ل أصحابها ما يضره وهو الشقاء ومعلوم أن الحي العالم لا يختار أن يحب ما يضره لكن يكون ذلك عن جهل وظلم فإن النفس قد تهوي ما يضرها ولا ينفعها وذلك ظلم منها لها وقد تكون جاهلة بحالها به بأن تهوي الشيء وتحبه بلا علم منها بما في محبته من المنفعة والمضررة وتتبع هواها وهذا حال من اتبع هواه بغير علم وقد يكون عن اعتقاد فاسد وهو حال من اتبع الظن وما تهوي نفسه وكل ذلك من أمور الجاهلية ¹⁷⁵

* قال أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كل من عمل سوءا فهو جاهل وسبب ذلك أن العلم الحقيقي الراسخ في القلب يمتنع أن يصدر معه ما يخالفه من قول أو فعل فمتي صدر خلافه فلا بد من غفلة القلب عنه أو ضعف القلب عن مقاومة ما يعارضه وتلك أحوال تناقض حقيقة العلم فيصير جهلا بهذا الاعتبار ومن هنا تعرف دخول الأعمال في مسمى الإيمان حقيقة لا مجازا وإن لم يكن كل من ترك شيئا من الأعمال كافرا أو خارجا عن أصل مسمى الإيمان وكذلك اسم العقل ونحو ذلك من الأسماء ولهذا يسمى الله تعالى أصحاب هذه الأحوال موتى وعميا وصمما وبكما وضالين وجاهلين ويصفهم بأنهم لا يعقلون ولا يسمعون ويصف المؤمنين بأولي الألباب والنهى وأنهم مهتدون وأن لهم نورا وأنهم يسمعون ويعقلون قال تعالى {إِنَّ

¹⁷⁴ مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 384

¹⁷⁵ قاعدة في المحبة ج: 1 ص: 16

**رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ
بِالْمُهْتَدِينَ} الْأَنْعَامُ ١١٧**

لطائف لغوية

1- لما مر بعض العرب بمؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله
بالنصب قال فعل ماذا فادا قيل ما هذا قيل طعام فهذا خبر
مبتدأ محفوظ باتفاق الناس تقديره هذا طعام كقوله تعالى { قُلْ
مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ
} الْأَنْعَامُ ٩١ الى قوله { قُلْ اللَّهُ } الْأَنْعَامُ ٩١¹⁷⁷

2- قال تعالى {وَمَا قَدَرُوا اللَّهُ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ
بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا
وَهُدًى لِلنَّاسِ} الْأَنْعَامُ ٩١ وذكر كتاب موسى بهذه الإضافة لا
بلفظ التوراة في غير موضع¹⁷⁸

3- قال تعالى {وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدَّقٌ الَّذِي بَيْنَ يَدِيهِ
وَلَتُنَذِّرَ أُمُّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا} الْأَنْعَامُ ٩٢ وقد سمي الله مكة قرية
بل سماها أم القرى بل وما هو أكبر من مكة كما في قوله
{وَكَائِنٌ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتَكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكَنَاهُمْ
فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ} محمد ١٣ وسمى مصر القديمة قرية بقوله
{وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا} يوسف ٨٢
ومثله في القرآن كثير والله أعلم¹⁷⁹

¹⁷⁶ اقتضاء الصراط ج: ١ ص: ٧٨

¹⁷⁷ الرد على المنطقيين ج: ١ ص: ٣٣

¹⁷⁸ الجواب الصحيح ج: ٥ ص: ٢٤٤

¹⁷⁹ مجموع الفتاوى ج: ٢٤ ص: ٢١٠

4- أسماء القرآن القرآن الفرقان الكتاب الهدى النور الشفاء
البيان الموعظة الرحمة بسائر البلاغ الكريم المجيد العزيز
المبارك التنزيل المنزل الصراط المستقيم حبل الله الذكر الذكرى
تذكرة { مُصَدِّقُ الذِّي بَيْنَ يَدَيْهِ } الأنعام 92¹⁸⁰

5- قال تعالى { وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الذِّي بَيْنَ يَدَيْهِ
وَلِتُتَذَرَّ أُمُّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا } الانعام 92 لفظ القرية والمدينة
والنهر والميزاب وأمثال هذه الأمور التي فيها الحال والمحال
كلاهما داخل في الاسم ثم قد يعود الحكم على الحال وهو السكان
وتارة على المحل وهو المكان وكذلك في النهر يقال حفرت النهر
وهو المحل وجرى النهر وهو الماء ووضع الميزاب وهو
المحل وجرى الميزاب وهو الماء وكذلك القرية قال تعالى
{ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمَنَةً مُطْمَئِنَةً } النحل 112 قوله
{ وَكَمْ مِنْ قَرْيَةً أَهْلَكَنَا هَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَّنَاتًا أَوْ هُمْ قَاتِلُونَ } 4 فَمَا
كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءُهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ } 5
الأعراف 4-5 وقال في آية أخرى { أَفَمَنْ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ
يُأْتِيهِمْ بَأْسُنَا بَيَّنَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ } الأعراف 97 فجعل القرى هم
السكان وقال { وَكَلَّيْنِ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي
أَخْرَجْنَكَ أَهْلَكَنَاهُمْ فَلَا نَاصِرٌ لَهُمْ } محمد 13 وهم السكان وكذلك
قوله تعالى { وَتَلَكَ الْقُرَى أَهْلَكَنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ
مَوْعِدًا } الكهف 59 وقال تعالى { أَوْ كَالَّذِي مَرَ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ
خَاوِيَّةٌ عَلَى عُرُوشِهَا } البقرة 259 فهذا المكان لا السكان لكن
لابد أن يلحظ أنه كان مسكونا فلا يسمى قرية إلا إذا كان قد عمر
للسكنى مأخذ من القرى وهو الجمع ومنه قولهم قربت الماء في
الحوض اذا جمعته فيه ونظير ذلك لفظ الانسان يتناول
الجسد والروح ثم الاحكام تتناول هذا تارة وهذا تارة لتلازمهما

فكذلك القرية اذا عذب أهلها خربت و اذا خربت كان عذابا لأهلها
فما يصيب أحدهما من الشر ينال الآخر كما ينال البدن والروح
ما يصيب أحدهما فقوله {وَاسْأَلِ الْقَرِيَّةَ} يوسف 82 مثل
قوله { قَرِيَّةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَةً } النحل 112 فاللفظ هنا يراد
به السكان من غير اضمار ولا حذف 181

6- قال تعالى {وَلَقَدْ جِنِّنُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةً وَتَرَكْنُمْ
مَا حَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءِكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ
أَنَّهُمْ فِيهِمْ شُرَكَاءَ لَقَدْ تَقْطَعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَرْعَمُونَ }
الأنعام 94 عامة الأسماء يتوزع مسمها بالاطلاق والتقييد
ولفظ الضلال اذا أطلق تناول من ضل عن الهدى سواء
كان عمدا او جهلا ولزム ان يكون معذبا ك قوله {إِنَّهُمْ أَلْفَوْا
آبَاءَهُمْ ضَالِّيْنَ} 69 {فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ} 70 {وَلَقَدْ ضَلَّ
فَلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِيْنَ} 71 الصافات 69-71 قوله {وَقَالُوا
رَبَّنَا إِنَّا أَطْعَنَا سَادِتَنَا وَكَبَرَاءِنَا فَأَضْلَلُونَا السَّبِيلَا} 67 {رَبَّنَا أَتَهُمْ
ضَعِيفُيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَيْرًا} 68 الأحزاب 67-68
وقوله {فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَىِي فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى} طه 123 ثم
يقرن بالغى والغضب كما فى قوله {مَا ضَلَّ صَاحِبِكُمْ وَمَا
غَوَى} النجم 2 وفي قوله {غَيْرَ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّيْنَ }
الفاتحة 7 قوله {إِنَّ الْمُجْرِمِيْنَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُّرٍ} القمر 47
182

7- وقد جاء في الكتاب والسنة الفاظ من نحو لقاء الله
قوله {وَلَقَدْ جِنِّنُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةً } الأنعام 94
183

¹⁸¹ مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 163

¹⁸² مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 167

¹⁸³ مجموع الفتاوى ج: 6 ص: 466

8- قال تعالى {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ} الفلق 1 قال تعالى {فَالْقُلُّ الْحَبُّ وَالنَّوْى} الأنعام 95 و قال تعالى {فَالْقُلُّ الْإِصْبَاحٌ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا} الأنعام 96 و الفلق فعل بمعنى مفعول كالقبض بمعنى المقبض فكل ما فلقه الرب فهو فلق قال الحسن الفلق كل ما إنفلق عن شيء كالصبح و الحب و النوى قال الزجاج و إذا تأملت الخلق بان لك أن أكثره عن إنفلاق كالأرض بالنبات و السحاب بالمطر¹⁸⁴

9- سمي الله نفسه باسماء وسمى صفاته بأسماء وكانت تلك الأسماء مختصة به اذا اضيفت اليه لا يشركه فيها غيره وسمى بعض مخلوقاته بأسماء مختصة بهم مضافة اليهم توافق تلك الأسماء اذا قطعت عن الاضافة والتخصيص ولم يلزم من اتفاق الاسمين وتماثل مسماهما واتحاده عند الاطلاق والتجريد عن الاضافة والتخصيص اتفاقيهما ولا تماثل المسمى عند الاضافة والتخصيص فضلا عن ان يتحد مسماهما عند الاضافة والتخصيص فقد سمي الله نفسه حيا فقال {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُ الْقَيُومُ} البقرة 255 وسمى بعض عباده حيا فقال {يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ} الأنعام 95 وليس هذا الحي مثل هذا الحي لأن قوله الحي إسم الله مختص به وقوله {يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ} الروم 19 اسم للحي المخلوق مختص به وإنما يتطرق اذا اطلاقا وجبرا عن التخصيص ولكن ليس للمطلق مسمى موجود في الخارج ولكن العقل يفهم من المطلق قدرًا مشتركا بين المسميين وعند الاختصاص يقيد ذلك بما يتميز به الخالق عن المخلوق والمخلوق عن الخالق ولا بد من هذا في جميع أسماء الله وصفاته يفهم منها ما دل عليه الاسم بالمواطأة والإتفاق وما دل عليه بالإضافة والاختصاص

¹⁸⁴ مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 504

المانعة من مشاركة المخلوق للخالق في شيء من خصائصه
سبحانه تعالى¹⁸⁵

10- قال تعالى { فَالِّيْلُ الْأَصْبَاحُ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَعْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ } الأنعام 96 علیم منزه عن الجهل¹⁸⁶

11- لفظ السماء في اللغة والقرآن اسم لكل ما علا فهو اسم جنس للعالی لا يتعين في شيء إلا بما يضاف إلى ذلك وقد قال { فَلَمَدْدُدْ بِسَبَبِ إِلَى السَّمَاءِ } الحج 15 وقال { وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً } الأنعام 99 وقال { أَمْنِتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ } الملك 16 والمراد بالجميع العلو ثم يتبعه هنا بالسقف ونحوه وهنا بالسحب وهناك بما فوق العالم كله قوله { أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً } الأنعام 99 أي من العلو مع قطع النظر عن جسم معين لكن قد صرخ في موضع آخر بنزوله من السحاب كما في قوله { أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشَرَّبُونَ } 68 { أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُرْزَنْ أَمْ نَحْنُ أَنْزَلْنَاكُمْ } 69 الواقعة 68-69 والمزن السحاب وقوله { أَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خَلَالِهِ } النور 43 والودق المطر وقال تعالى { اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّياحَ فَتُثْبِرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خَلَالِهِ } الروم 48 فأخبر سبحانه أنه يبسط السحاب في السماء وهذا مما يبين أنه لم يرد بالسماء هنا الأفلاك فإن السحاب لا يبسط في الأفلاك بل الناس يشاهدون السحاب يبسط في الجو وقد

¹⁸⁵ مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 10

¹⁸⁶ الجواب الصحيح ج: 4 ص: 407

يكون الرجل في موضع عالٍ إما على جبل أو على غيره
والسحب يبسط أسفل منه وينزل منه المطر والشمس فوقه¹⁸⁷

12- ان الوصف هو الاظهار والبيان للبصر أو السمع كما يقول
الفقهاء ثوب يصف البشرة او لا يصف البشرة وقال تعالى {
سَيِّجْرِيهِمْ وَصَفْهُمْ} الأنعام 139 وقال **{سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ}** الأنعام 100 وقال لا تتعنت المرأة المرأة لزوجها
حتى كأنه ينظر اليها والنعت الوصف ومثل هذا كثير و
الصفة مصدر وصفت الشيء أصفه وصفاً وصفة مثل وعد
وعداً وعدة وزناً وزنة وهم يطلقون اسم المصدر على
المفعول كما يسمون المخلوق خلقاً ويقولون درهم ضرب الامير
فإذا وصف الموصوف بأنه وسع كل شيء رحمة وعلماً سمي
المعنى الذي وصف به بهذا الكلام صفة فيقال للرحمة والعلم
والقدرة صفة بهذا الاعتبار هذا حقيقة الامر¹⁸⁸

13- أن الصحبة فيها عموم وخصوص فيقال صحبة ساعة ويوماً
وجماعة وشهرًا وسنة وصحبة عمره كله وقد قال تعالى {
وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ} النساء 36 قيل هو الرفيق في السفر وقيل
الزوجة وكلاهما نقل صحبته وتكثر وقد سمي الله الزوجة
صاحبة في قوله **{أَتَيْ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبٌ}**
{الأنعام 101}¹⁸⁹

14- فالواصف ان لم يكن قوله مطابقاً كان كاذباً ولهذا انما يجيء
الوصف في القرآن مستعملاً في الكذب بأنه وصف يقوم
بالواصف من غير أن يقوم بالموصوف شيء كقوله سبحانه
{سَيِّجْرِيهِمْ وَصَفْهُمْ} الأنعام 139 **{وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ**

¹⁸⁷ منهاج السنة النبوية ج: 5 ص: 440-446

¹⁸⁸ مجموع الفتاوى ج: 6 ص: 340

¹⁸⁹ منهاج السنة النبوية ج: 8 ص: 390

السِّنَنُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَقْرُوْا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَقْرُوْنَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ {النَّحْل} 116 {وَيَجْعَلُونَ اللَّهَ مَا يَكْرُهُونَ وَتَصِيفُ السِّنَنُكُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى {النَّحْل} 62}

{ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِيفُونَ } الأنعام 100 وقد جاء

مستعملاً في الصدق فيما أخر جاه في الصحيحين عن عائشة أن رجلاً كان يكثر قراءة **قل هو الله أحد** فقال النبي صلى الله عليه وسلم أخبروه أن الله يحبه¹⁹⁰ سلوه لم يفعل ذلك فقال لأنها صفة الرحمن فأنا أحبها فقال النبي

15- المضاف إلى الله سبحانه في الكتاب والسنّة كانت اضافة اسم إلى اسم او نسبة فعل إلى اسم او خبر باسم عن اسم واما الخبر الذي هو جملة اسمية فمثل قوله **وقال تعالى { وهو بكل شيء عليم }** الأنعام 101 **{ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }** البقرة 284 وذلك لأن الكلام الذي توصف به الذوات اما جملة او مفرد فالجملة اما اسمية كقوله **{ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ }** البقرة 282 او فعلية كقوله **{ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوْهُ }** المزمل 20 اما المفرد فلا بد فيه من اضافة الصفة لفظاً او معنى كقوله **{ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ }** البقرة 255 قوله **{ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ فُرَّةً }** فصلت 15 او اضافة الموصوف كقوله **{ ذُو القوّة }** الذاريات 58

16- قال تعالى **{ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ }** الأنعام 101 عالم منه عن الجهل¹⁹²

¹⁹⁰ مجموع الفتاوى ج: 6 ص: 319

¹⁹¹ مجموع الفتاوى ج: 6 ص: 144

¹⁹² الجواب الصحيح ج: 4 ص: 407

17- قال تعالى { ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكَلِيلٌ } الأنعام 102 عامة الأسماء يتتوعد مسماها بالاطلاق والتقييد ومن هذا الباب لفظ العبادة

فإذا أمر بعبادة الله مطلقا دخل في عبادته كل ما أمر الله به فالتوكل عليه مما أمر به والاستعانة به مما أمر به فيدخل ذلك في مثل قوله {وَمَا حَلَقْتُ الْحَنَّ وَالْأَنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ } الذاريات 56 وفي قوله {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا شُرِكُوا بِهِ شَيْئاً } النساء 36

وقوله {رِبَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي حَلَقْتُمْ } البقرة 21

وقوله {إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدُ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّين } الزمر 2

{فِي اللَّهِ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي } الزمر 14 وقوله {أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ } الزمر 64 ثم قد يقرن بها اسم آخر كما في قوله {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ }

{الفاتحة 5 وقوله {فَاعْبُدُهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ } هود 123 وقول نوح 193 { اعْبُدُوا اللَّهَ وَانْقُوْهُ وَأَطِيعُونَ } نوح 3

18- قال تعالى { اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ } الأنعام 106 عامة الأسماء يتتوعد مسماها بالاطلاق والتقييد وكذلك لفظ اتباع ما أنزل الله يتناول جميع الطاعات كقوله {اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلْتِ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أُولَيَاءِ } الأعراف 3 وقوله {فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَيْ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى } طه 123 وقوله {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ } الأنعام 153 وقد يقرن به غيره كقوله {وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارِكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَانْقُوْهُ لَعَلَّكُمْ تُرَحَّمُونَ } الأنعام 155 وقوله {اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ } وقوله {وَاتَّبِعْ مَا

يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ
194 {يونس 109}

19- قال تعالى { وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا
اللَّهَ عَدُوًا بَغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ
مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبَّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } الأنعام 108 و الدعاء قصد
المدعو و التوجه إليه إما على وجه المسألة و إما على وجه العبادة
العبادة المحسنة لأن دعاء الشيء هو طلبه و إرادته سواء طلب
لذاته أو للأمر منه و من ذلك قوله تعالى { وَقَالَ رَبُّكُمْ اذْعُونِي
أَسْتَجِبْ لَكُمْ } غافر 60 فإنه فسر بالمسألة و بالعبادة 195

20- هذه تفسير آيات أشكلت حتى لا يوجد في طائفه من كتب
التفسير إلا هو خطأ منها قوله { وَمَا يُشَعِّرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا
جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ } الأنعام 109 و الآية بعدها أشكلت قراءة
الفتح على كثير بسبب أنهم ظنوا أن الآية بعدها جملة مبدأة و
ليس كذلك لكنها داخلة في خبر أن و المعنى إذا كنتم لا تشعرون
أنها إذا جاءت لا يؤمنون و أنا أفعل بهم هذا لم يكن قسمهم صدقا
بل قد يكون كذبا و هو ظاهر الكلام المعروف أنها أن
المصدرية ولو كان و نقلب الخ كلاما مبتدعا لزم ان كل من
جاءته آية قلب فؤاده و ليس كذلك بل قد يؤمن كثير منهم 196

21- قال تعالى { وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ
لِّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشَعِّرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا
يُؤْمِنُونَ } الأنعام 109 قال أهل اللغة وهذا لفظ الجوهرى اليمين

¹⁹⁴ مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 169

¹⁹⁵ شرح العمدة ج: 4 ص: 28

¹⁹⁶ مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 495

القسم والجمع أيمان وأيمان فقال سمي بذلك لأنهم كانوا إذا تحالفوا
يمسك كل إمرىء منهم على يمين صاحبه¹⁹⁷

22- قال تعالى {وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ
بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشَعِّرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ
} الأنعام 109 وهذه اللام الأولى تسمى اللام الموطئة للقسم
واللام الثانية تسمى لام جواب القسم والكلام إذا اجتمع فيه شرط
وقسم وقدم القسم سد جواب القسم مسد جواب الشرط والقسم
¹⁹⁸

23- قال تعالى {وَنُفَقَّلُ أَفْئَدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ
أَوْلَ مَرَّةٍ وَنَدَرُهُمْ فِي طُعْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ } الأنعام 110 و قوله
يعمهون أي يحارون¹⁹⁹

24- حرف من لإبتداء الغاية وما يستعمل فيه حرف
ابتداء الغاية فيقال هو من الله على نوعين فإنه أما أن يكون من
الصفات التي لا تقوم بنفسها ولا بمخلوق فهذا يكون صفة له وما
كان عينا قائمة بنفسها أو بمخلوق فهي مخلوقة فال الأول كقوله
{وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِي } السجدة 13 و قوله {يَعْلَمُونَ أَنَّهُ
مُنْزَلٌ مِّنْ رَّبِّكَ } الأنعام 114 كما قال السلف القرآن كلام الله
غير مخلوق منه بدا وإليه يعود والنوع الثاني كقوله
{وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ
} الجاثية 13 و قوله {وَمَا يُكُمْ مِنْ نُعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ النَّحْلُ } النحل 53 و
{مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنْ اللَّهِ } النساء 79²⁰⁰

¹⁹⁷ مجموع الفتاوى ج: 35 ص: 342

¹⁹⁸ الجواب الصحيح ج: 2 ص: 121

¹⁹⁹ مجموع الفتاوى ج: 2 ص: 202

²⁰⁰ مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 97

25- أسماء القرآن القرآن الفرقان الكتاب الهدى النور الشفاء
البيان الموعظة الرحمة بصائر البلاغ الكرييم المجيد العزيز
المبارك التنزيل المنزل الصراط المستقيم حبل الله الذكر الذكرى
تذكرة المتشابه المثاني { مُتَشَابِهَا مَتَّأْنِي } الزمر 23 محكم
المفصل { وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا } الأنعام 114
²⁰¹

26- كلمة الله اسم جنس لكل ما تكلم الله به وقال النبي من
قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله ولهذا جمعها
في قوله تعالى { وَتَمَتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلٌ
لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } الأنعام 115 فالمراد بذلك أن ما قاله
الله فهو حق ثابت لا يبطل ²⁰²

27- قال تعالى { وَتَمَتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلٌ لِكَلِمَاتِهِ
وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } الأنعام 115 سميه منزه عن الصم عليم
منزه عن الجهل ²⁰³

28- قال تعالى { وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضْلُوكَ عَنْ
سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَبَعُونَ إِلَّا الظُّنُنَ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ } الأنعام 116
وإنما يتبعون الظن والخرص وهو الحذر هذا صواب ²⁰⁴

29- قال تعالى { إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ
أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ } الأنعام 117 عامة الأسماء يتتنوع مسمها
بالاطلاق والتقييد ولفظ الضلال اذا اطلق تناول من ضل
عن الهدى سواء كان عمداً او جهلاً وللزم أن يكون معذباً كقوله
{ إِنَّهُمْ أَفْوَأُوا آبَاءُهُمْ ضَالِّيin } 69 { فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ } 70

²⁰¹ مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 2

²⁰² الجواب الصحيح ج: 3 ص: 254

²⁰³ الجواب الصحيح ج: 4 ص: 407

²⁰⁴ مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 581

وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ {71} الصَّافَات٢٩-٦١ وقوله
 {وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطْعَنَا سَادَتْنَا وَكُبَرَاءْنَا فَأَضْلَلُونَا السَّبِيلَا} {67}
 رَبَّنَا آتَهُمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا
 كَبِيرًا} {68} الأحزاب٦٨-٦٧ و قوله {فَمَنْ اتَّبَعَ هُدًى يَلَّا
 يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى} {طه١٢٣} ثم يقرن بالغى والغضب كما فى
 قوله {مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى} {النَّجْم٢} وفي قوله {غَيْرُ
 الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالُّلُ} {الفاتحة٧} وفي قوله {إِنَّ الْمُجْرِمِينَ
 فِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ} {المر٤٧} ^{٢٠٥}

30- قال تعالى {إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ
 أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} الانعام١١٧ عامة الأسماء يتتوّع مسمها
 بالاطلاق والتقييد وكذلك لفظ الهدى اذا أطلق تناول العلم
 الذى بعث الله به رسوله والعمل به جمیعاً فيدخل فيه كل ما أمر
 الله به كما فى قوله {إِهْدَنَا الصَّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} الفاتحة٦
 والمراد طلب العلم بالحق والعمل به جمیعاً وكذلك قوله {هُدًى
 لِلْمُتَّقِينَ} البقرة٢ والمراد به أنهم يعلمون ما فيه ويعملون به
 ولهذا صاروا مفلحين وكذلك قول أهل الجنة {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
 هَدَانَا لِهَذَا} {الأعراف٤٣} وانما هداهم بأن ألهمهم العلم النافع
 والعمل الصالح ثم قد يقرن الهدى اما بالاجتباء كما فى قوله
 {وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} {الأنعام٨٧} وكما فى
 قوله {شَاكِرِاً لَأَنَّعِمَهُ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ} {النحل١٢١} {الله
 يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ} {الشورى١٣} وكذلك
 قوله تعالى {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ} {التوبٰة٣٣}
 والهدى هنا هو الايمان ودين الحق هو الاسلام
 واذا أطلق الهدى كان كالايمان المطلق يدخل فيه هذا وهذا ^{٢٠٦}

^{٢٠٥}مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 167

^{٢٠٦}مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 166

الانعام 118-135

{فَكُلُوا مِمَّا ذَكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ} 118 وَمَا لَكُمُ الْأَمْرُ تَأْكُلُوا مِمَّا ذَكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطَرَرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنْ كَثِيرًا لِيُضْلُّوْنَ بِأَهْوَائِهِمْ بَعْيَرْ عِلْمَ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ 119 وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ 120 وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفَسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوَحِّونَ إِلَى أَوْلَيَّ أَهْمَمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنَّ أَطْعَثُمُوهُمْ إِنْكُمْ لَمُشْرِكُونَ 121 أَوْ مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلَ أَحْيَيْنَا وَجَعَلَنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيْنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ 122 وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ 123 وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَفَّارٌ عَنِ الدِّينِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ 124 فَمَنْ يُرِدُ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدُ أَنْ يُضْلِلَهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَائِنًا يَصَدُّ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ 125 وَهَذَا صَرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلَنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذْكُرُونَ 126 لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عَنِ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ 127 وَيَوْمَ يُحْشِرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدْ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسَ وَقَالَ أَوْلَيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسَ رَبَّنَا اسْتَمْتَعْ بِعَضْنَا بِيَغْضِ

وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثُواكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا
إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ{128} وَكَذَلِكَ نَوْلَى
بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ{129} يَا مَغْشَرَ
الْجَنِّ وَالإِنْسَانِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي
وَيَنْذِرُونَكُمْ لِقاءَ يَوْمَكُمْ هَذَا قَالُوا شَهَدْنَا عَلَى أَنفُسِنَا
وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهَدُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا
كَافِرِينَ{130} ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقَرَى بِظُلْمٍ
وَأَهْلَهَا غَافِلُونَ{131} وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ
بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ{132} وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنَّ
يَشَاءُ يُدْهِبُكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأْتُمْ مِنْ
ذَرِيرَةٍ قَوْمَ أَخْرَيْنَ{133} إِنَّ مَا تُوعِدُونَ لَاتِ وَمَا أَنْتُمْ
بِمُعْجَزِيَنَ{134} قَلْنِ يَا قَوْمَ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي
عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا
يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ{135}

الاسم يظهر به المسمى ويعلو

*فالاسم يظهر به المسمى ويعلو فيقال للمسمى سمة اي اظهره
 واعله اي اعل ذكره بالاسم الذي يذكر به لكن يذكر تارة بما
 يحمد به ويذكر تارة بما يذم به كما قال تعالى {وَاجْعَلْ لِي لِسانَ
 صَدْقٍ فِي الْآخَرِينَ} الشعرااء 84 وقال في النوع المذموم
 {وَأَتَبْعَنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ}
 القصص 42 وقال تعالى {أَنْتُلُوا عَلَيْكَ مِنْ تَبِأً مُوسَى وَفِرْعَوْنَ
 بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} القصص 3 فكلاهما ظهر ذكره لكن هذا
 امام في الخير وهذا امام في الشر وما ليس له اسم فانه لا يذكر
 ولا يظهر ولا يعلو ذكره بل هو كالشيء الخفي الذي لا يعرف
 ولهذا يقال الاسم دليل على المسمى وعلم على المسمى ونحو

ذلك ولهذا كان أهل الاسلام والسنّة الذين يذكرون أسماء الله يعرفونه ويعبدونه ويحبونه وينكرونه ويظهرون ذكره والملاحدة الذين ينكرون أسماءه وتعرض قلوبهم عن معرفته وعبادته ومحبته وذكره حتى ينسوا ذكره { نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيْهُمْ } التوبة 67 { وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَانْسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ } الحشر 19 { وَإِذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُلْوِ وَالْأَصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ } الأعراف 205 والاسم يتناول اللفظ والمعنى المتصور في القلب وقد يراد به مجرد اللفظ وقد يراد به مجرد المعنى فانه من الكلام والكلام اسم لفظ والمعنى وقد يراد به أحدهما ولهذا كان من ذكر الله بقلبه أو لسانه فقد ذكره لكن ذكره بهما أتم والله تعالى قد أمر بتسبيح اسمه وامر بالتسبيح باسمه كما أمر بدعائه بأسمائه الحسنى فيدعى بأسمائه الحسنى ويسبح اسمه وتسبيح اسمه هو تسبيح له اذ المقصود بالاسم المسمى كما أن دعاء هو دعاء المسمى قال تعالى { قُلْ اذْدُعُوا اللَّهَ أَوْ اذْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَذْدُعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى } الإسراء 110 والله تعالى يأمر بذكره تارة وبذكر اسمه تارة كما يأمر بتسبيحه تارة وتسبيح اسمه تارة فقال { اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا } الأحزاب 41 { وَإِذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ } الأعراف 205 وهذا كثير وقال { وَإِذْكُرْ اسْمَ رَبَّكَ وَتَبَّلَّ إِلَيْهِ تَبَّلِلاً } المزمل 8 كما قال { فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ } الأنعام 118 { وَلَا تَأْكُلُوا مَمَّا لَمْ يُذْكُرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ } الأنعام 121 { فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَإِذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ } المائدة 4 لكن هنا يقال باسم الله فيذكر نفس الاسم الذي هو ألف سين ميم واما في قوله { وَإِذْكُرْ اسْمَ رَبَّكَ } المزمل 8 فيقال سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله وهذا أيضا مما يبين فساد قول من جعل الاسم هو المسمى قوله في الذبيحة { فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ } الأنعام 118 قوله { اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ } العلق 1 وقوله { بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا } هود 41 قوله { اقْرَأْ

بِاسْمِ رَبِّكَ } الْعَلْق١ هو قراءة بسم الله في أول السور وقد
 بسط الكلام على هذا في غير هذا الموضع وبين ان هذه الآية تدل
 على أن القارئ مأمور ان يقرأ بسم الله وانها ليست كسائر
 القرآن بل هي تابعة لغيرها وهنا يقول {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ
 الرَّحِيمِ } النمل 30 كما كتب سليمان وكما جاءت به السنة
 المتواترة واجمع المسلمين بالله الرحمن الرحيم في قوله
 {وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ } الإِنْسَان٢٥ فانه يقول سبحان الله والحمد
 لله ولا اله الا الله ونحو ذلك وهنا قال {اَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ
 } الْعَلْق١ لم يقل اقرأ اسم ربك وقوله {وَادْكُرْ اسْمَ
 رَبِّكَ } الإِنْسَان٢٥ يقتضي أن يذكره بلسانه وأما قوله
 {وَادْكُرْ رَبَّكَ } آل عمران 41 فقد يتناول ذكر القلب وقوله
 {اَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ } الْعَلْق١ هو كقول الأكل باسم الله والذابح باسم
 الله كما قال النبي ومن لم يكن ذبح فليذبح باسم الله وأما
 التسبيح فقد قال {وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا } الأحزاب 42 وقال
 {سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى } الأعلى 1 وقال {فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ
 الْعَظِيمِ } الواقعة 74 وفي الدعاء {قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا
 الرَّحْمَنَ أَيَاً مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى } الإسراء 110
 قوله {أَيَاً مَا تَدْعُوا } الإسراء 110 يقتضي تعدد المدعو
 لقوله ايا ما وقوله {فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى } الإسراء 110
 يقتضي ان المدعو واحد له الاسماء الحسنة وقوله {ادْعُوا اللَّهَ
 أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ } الإسراء 110 ولم يقل ادعوا باسم الله او
 باسم الرحمن يتضمن ان المدعو هو الرب الواحد بذلك الاسم
 فقد جعل الاسم تارة مدعوا وتارة مدعوا به في قوله {وَلِلَّهِ
 الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا } الأعراف 180 فهو مدعو به
 باعتبار ان المدعو هو المسمى وانما يدعى باسمه وجعل الاسم
 مدعوا باعتبار ان المقصود به هو المسمى وان كان في اللفظ هو
 المدعو المنادى كما قال {قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ
 } الإسراء 110 أي ادعوا هذا الاسم أو هذا الاسم والمراد اذا
 دعوته هو المسمى اي الاسمين دعوت ومرادك هو المسمى { }

فَلَأَلْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى} الإِسْرَاءِ 110 فمن تدبر هذه المعاني
اللطيفة تبين له بعض حكم القرآن واسراره فـ {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ
الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ} الفرقان 1 فانه كتاب مبارك تنزيل من حكيم
حميد لا تنقضى عجائبه ولا يشبع منه العلماء من ابتغى الهدى
في غيره اضل الله ومن تركه من جبار قصمه الله وهو حبل الله
المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو قرآن عجب
يهدى الى الرشد انزله الله هدى ورحمة وشفاء وبيانا وبصائر
وتذكرة فالحمد لله رب العالمين حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه
كما يحب ربنا ويرضى وكما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله
آخره والله الحمد والمنة وصلى الله على محمد وآلها وصحبه وسلم

207

اسماء الله عز وجل مباركة

* ومعلوم ان نفس اسمائه عز وجل مباركة وبركتها من جهة
دلالتها على المسمى وللهذا فرقت الشريعة بين ما يذكر باسم
الله عليه وما لا يذكر باسم الله عليه في مثل قوله {فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ
اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ} الأنعام 118 وقوله {وَمَا لَكُمْ أَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ
اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ} الأنعام 119 وقوله {وَإِذْكُرُوا أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ
} المائدة 4 وقول النبي لعدي بن حاتم وان خالط كلبك كلاب
آخر فلا تأكل فانك انما سميتك على كلبك ولم تسم على غيره

208

مجموع الفتاوى ج: 6 ص: 210-212²⁰⁷

مجموع الفتاوى ج: 6 ص: 193-194²⁰⁸

بين الله للمسلمين جميع ما يتقونه

*فإن الله انزل الكتاب والميزان وأرى الناس آياته في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبيّن لهم إن القرآن حق وأما العمليات وما يسميه ناس الفروع والشرع والفقه فهذا قد بينه الرسول أحسن بيان فما شاء مما أمر الله به أو نهى عنه أو حلله أو حرمه إلا بين ذلك وقد قال تعالى {تَاللَّهُ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَّةٍ مِّنْ قَبْلِكَ فَرَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} {63} وما أنزلنا عليك الكتاب إلا للتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون {64} النحل 63- 64 فقد بين سبحانه أنه ما أنزل عليه الكتاب إلا ليبيان لهم الذي اختلفوا فيه كما بين أنه أنزل جنس الكتاب مع النبيين ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وقال تعالى {وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّ عَلِيهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} الشورى 10 وقال تعالى {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقَوْنَ} التوبة 115 فقد بين للمسلمين جميع ما يتقونه كما قال {وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ} الأنعام 119²⁰⁹

*والشارع لا يفصل بين الحلال والحرام إلا بفصل مبين لا اشتباه فيه كما قال تعالى {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقَوْنَ} التوبة 115 والمحرمات مما يتقون فلا بد أن يبيان لهم المحرمات بيانا فاصلا بينها وبين الحلال وقد قال تعالى {وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ} الأنعام 119²¹⁰

²⁰⁹مجموع الفتاوى ج: 19 ص: 174

الأصل في جميع الأعيان الموجودة أن تكون حلاً مطلقاً

فاعلم أن الأصل في جميع الأعيان الموجودة على اختلاف أصنافها وتبين أوصافها أن تكون حلاً مطلقاً للأدميين وأن تكون ظاهرة لا يحرم عليهم ملابستها وبماشتها ومماستها وهذه الكلمة جامعة ومقالة عامة وقضية فاضلة عظيمة المنفعة واسعة البركة يفرز إليها حملة الشريعة فيما لا يحصى من الأعمال وحوادث الناس وقد دل عليها أدلة عشرة مما حضرني ذكره من الشريعة وهي كتاب الله وسنة رسوله واتباع سبيل المؤمنين المنظومة في قوله تعالى {أطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ أَمْرٌ مِنْكُمْ} النساء 59 وقوله {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا} المائدة 55 ثم مسالك القياس والاعتبار ومناهج الرأي والاستبصار الصنف الأول الكتاب وهو عدة آيات الآية الأولى قوله تعالى {هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً} البقرة 29 والخطاب لجميع الناس لافتتاح الكلام بقوله {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ} البقرة 21 ووجه الدلالة أنه أخبر أنه خلق جميع ما في الأرض للناس مضافاً إليهم باللام واللام حرف الإضافة وهي توجب اختصاص المضاف بالمضاف إليه واستحقاقه إياه من الوجه الذي يصلح له وهذا المعنى يعم موارد استعمالها كقولهم المال لزيد والسرج للدابة وما أشبه ذلك فيجب إذا أن يكون الناس مملكون ممكنين لجميع ما في الأرض فضلاً من الله ونعمته وخاص من ذلك بعض الأشياء وهي الخبائث لما فيها من الإفساد لهم في معاشهم أو معادهم فيبقى الباقى مباحاً بموجب الآية الآية الثانية قوله تعالى {وَمَا لَكُمْ إِلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرْرَتُمْ إِلَيْهِ} الأنعام 119 دلت الآية من وجهين أحدهما أنه وبخهم وعنفهم على ترك الأكل بما ذكر اسم الله عليه قبل أن يحله باسمه الخاص فلو لم تكن الأشياء مطلقة مباحة لم يلحقهم ذم ولا

توبیخ إذ لو كان حکمها مجهولاً أو كانت محظورة لم يكن ذلك
الوجه الثاني أنه قال **{ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ }**
{ الأنعام 119 والنفسيل التبیین فیین أنه بین المحرمات فما لم
ییین تحريمہ ليس بمحرم وما ليس بمحرم فهو حلال إذ ليس إلا
حلال أو حرام الآية الثالثة قوله تعالى **{ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي**
السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ } الجاثیة 13 وإذا كان ما
في الأرض مسخرا لنا جاز استمتاعنا به كما تقدم الآية
الرابعة قوله تعالى **{ قُلْ لَا أَجُدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَى**
طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا } الأنعام 145
الآية لما لم يجد تحريمہ ليس بمحرم وما لم يحرم فهو حل ومثل
هذه الآية قوله **{ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ }**
{ البقرة 173} الآية لأن حرف إنما يوجب حصر الأول في
الثاني فيجب انحصر المحرمات فيما ذكر وقد دل الكتاب على
هذا الأصل المحیط في مواضع آخر الصنف الثاني السنة
والذی حضرني منها حديثان الحديث الأول في الصحيحين
عن سعد بن أبي وقاص قال قال رسول الله إن أعظم المسلمين
جرما من يسأل عن شيء لم يحرم فحرم من أجل مسأله دل ذلك
على أن الأشياء لا تحرم إلا بتحريم خاص لقوله لم يحرم دل أن
التحريم قد يكون لأجل المسألة فیین بذلك أنها بدون ذلك ليست
محرمة وهو المقصود الثاني روى أبو داود في سننه عن
سلمان الفارسي قال سئل رسول الله عن شيء من السمن والجبين
والفراء فقال الحلال ما أحل الله في كتابه والحرام ما حرم الله في
كتابه وما سكت عنه فهو مما عفا عنه فمنه دليلان أحدهما أنه
أقتى بالإطلاق فيه الثاني قوله وما سكت عنه فهو مما عفا
عنه نص في أن ما سكت عنه فلا إثم عليه فيه وتسمیته هذا عفوا
كانه والله أعلم لأن التحلیل هو الإذن في التناول بخطاب خاص
والتحريم المنع من التناول كذلك والسكوت عنه لم يؤذن بخطاب
يخصه ولم يمنع منه فيرجع إلى الأصل وهو أن لا عقاب إلا بعد
الإرسال وإذا لم يكن فيه عقاب لم يكن محرما وفي السنة دلائل

كثيرة على هذا الأصل الصنف الثالث اتباع سبيل المؤمنين وشهادة شهداء الله في أرضه الذين هم عدول الأمراء بالمعروف الناهين عن المنكر المعصومين من اجتماعهم على ضلاله المفروض اتباعهم وذلك أنني لست أعلم خلاف أحد من العلماء السالفين في أن ما لم يجيء دليلاً بتحريمها فهو مطلق غير محجور وقد نص على ذلك كثير من تكلم في أصول الفقه وفروعه وأحسب بعضهم ذكر في ذلك الإجماع يقيناً أو ظناً كالآتي فإن قيل كيف يكون في ذلك إجماع وقد علمت اختلاف الناس في الأعيان قبل مجيء الرسل وإنزال الكتب هل الأصل فيها الحظر أو الإباحة أو لا يدرى ما الحكم فيها أو أنه لا حكم لها أصلاً واستصحاب الحال دليل متبع وأنه قد ذهب بعض من صنف في أصول الفقه من أصحابنا وغيرهم على أن حكم الأعيان الثابت لها قبل الشرع مستصحب بعد الشرع وأن من قال بأن الأصل في الأعيان الحظر استصحب هذا الحكم حتى يقوم دليل الحل فأقول هذا قول متأخر لم يؤثر أصله عن أحد من السابقين ومن له قدم وذلك أنه قد ثبت أنها بعد مجيء الرسل على الإطلاق وقد زال حكم ذلك الأصل بالأدلة السمعية التي ذكرتها ولست أنكر أن بعض من لم يحط علمًا بمدارك الأحكام ولم يؤت تمييزاً في مظان الاشتباه ربما سحب ذيل ما قبل الشرع على ما بعده إلا أن هذا غلط قبيح لو نبه له لتنبه مثل الغلط في الحساب لا يهتك حريم الإجماع ولا يتلهم سنن الاتباع ولقد اختلف الناس في تلك المسألة هل هي جائزة أم ممتنعة لأن الأرض لم تخل من النبي مرسلاً إذ كان آدم نبياً مكلماً حسب اختلافهم في جواز خلو الأقطار عن حكم مشروع وإن كان الصواب عندنا جوازه ومنهم من فرضها في مين ولد بجزيرة إلى غير ذلك من الكلام الذي يبين لك أن لا عمل بها وأنها نظر محض ليس فيه عمل كالكلام في مبدأ اللغات وشبه ذلك على أن الحق الذي لا راد له أن قبل الشرع لا تحليل ولا تحريم فإذا لا يستصحب ويستدام فيبقى الآن كذلك والمقصود خلوها عن المأثم والعقوبات

وأما مسلك الاعتبار بالأسباب والنظائر واجتهاد الرأي في الأصول الجوامع فمن وجوه كثيرة ننبه على بعضها أحداً أن الله سبحانه خلق هذه الأشياء وجعل فيها للإنسان متاعاً ومنفعة ومنها ما قد يضطر إليه وهو سبحانه جود ماجد كريم رحيم غني صمد والعلم بذلك يدل على العلم بأنه لا يعاقبه ولا يعذبه على مجرد استمتاعه بهذه الأشياء وهو المطلوب وثانيها أنها منفعة خالية عن مضره فكانت مباحة كسائر ما نص على تحليله وهذا الوصف قد دل على تعلق الحكم به النص وهو قوله ﴿يُحِلُّ لَهُمُ الطَّيَّابَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ الأعراف 157 فكل ما نفع فهو طيب وكل ما ضر فهو خبيث والمناسبة الواضحة لكل ذي لب أن الفرع يناسب التحليل والضرر يناسب التحرير والدوران فإن التحرير يدور مع المضار وجوداً في الميئنة والدم ولحم الخنزير وذوات الأنبياء والمخالب والخمر وغيرها مما يضر بأنفس الناس وعدهما في الأنعمان والألبان وغيرها وثالثها أن هذه الأشياء إما أن يكون لها حكم أولاً يكون والأول صواب والثاني باطل بالاتفاق وإذا كان لها حكم فالوجوب والكرامة والاستحباب معلومة البطلان بالكلية لم يبق إلا الحل والحرمة باطلة لانتفاء دليلها نصاً واستنبطاً لم يبق إلا الحل وهو المطلوب²¹¹

انتفاء دليل التحرير دليل على عدم التحرير

* ان العقود والشروط من باب الأفعال العادية والأصل فيها عدم التحرير فيستصحب عدم التحرير فيها حتى يدل دليل على التحرير كما ان الأعيان الأصل فيها عدم التحرير و قوله تعالى {

²¹¹ مجموع الفتاوى ج: 21 ص: 536-541

وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ { الأنعام ١١٩} عام في الأعيان والأفعال وإذا لم تكن حراما لم تكن فاسدة لأن الفساد إنما ينشأ من التحرير و إذا لم تكن فاسدة كانت صحيحة و ايضاً فليس في الشرع ما يدل على تحريم جنس العقود والشروط إلا ما ثبت حله بعينه و سنين إن شاء الله معنى حديث عائشة و ان انتقاء دليل التحرير دليل على عدم التحرير فثبت بالاستصحاب العقلى و انتقاء الدليل الشرعي عدم التحرير فيكون فعلها إما حلالا و إما عفوا كالأعيان التي لم تحرم و غالباً ما يستدل به على أن الأصل في الأعيان عدم التحرير من النصوص العامة والأقوية الصحيحة والاستصحاب العقلى و انتقاء الحكم لانتقاء دليله فإنه يستدل ايضاً به على عدم تحريم العقود والشروط فيها سواء سمي ذلك حلالا أو عفوا على الاختلاف المعروف بين أصحابنا و غيرهم فإن ما ذكره الله تعالى في القرآن من ذم الكفار على التحرير بغير شرع منه ما سببه تحريم الأعيان و منه ما سببه تحريم الأفعال كما كانوا يحرمون على المحرم لبس ثيابه و الطواف فيها إذا لم يكن أحمسيا و يأمرونه بالتعري إلا أن يغيره أحمسى ثوبه و يحرمون عليه الدخول تحت سقف كما كان الانصار يحرمون إتيان الرجل أمراته في فرجها إذا كانت مجيبة و يحرمون الطواف بالصفا و المروة و كانوا مع ذلك قد ينقضون العهود التي عقدوها بلا شرع فأمرهم الله سبحانه في سورة النحل و غيرها بالوفاء بها إلا ما اشتمل على محرم فعلم أن العهود يجب الوفاء بها إذا لم تكن محرمة و إن لم يثبت حلها بشرع خاص كالعقود التي عقدوها في الجاهلية و أمروا بالوفاء بها و قد نبهنا على هذه القاعدة فيما تقدم و ذكرنا أنه لا يشرع إلا ما شرعه الله و لا يحرم إلا ما حرمته الله لأن الله ذم المشركين الذين شرعوا من الدين ما لم يأذن به الله و حرموا ما لم يحرمه الله فإذا حرمنا العقود والشروط التي تجري بين الناس في معاملاتهم العادلة بغير دليل شرعي كنا محرمين ما لم يحرمه الله بخلاف العقود التي تتضمن شرع دين لم يأذن به الله فأن الله قد حرم أن

يشرع من الدين ما لم يأذن به فلا يشرع عبادة إلا بشرع الله و لا يحرم عادة إلا بتحريم الله و العقود في المعاملات هي من العادات يفعلها المسلم و الكافر و إن كان فيها قربة من و جهة آخر فليست من العبادات التي يفتقر فيها إلى شرع كالعتق و الصدقة فان قيل العقود تغير ما كان مشروعا لأن ملك البضع أو المال إذا كان ثابتا على حال فعقد عقدا أزاله عن تلك الحال فقد غير ما كان مشروعا بخلاف الأعيان التي لم تحرم فانه لا تغير في إياحتها فيقال لا فرق بينهما و ذلك ان الأعيان إما ان تكون ملكا لشخص أو لا تكون فان كانت ملكا فانتقلها بالبيع أو غيره لا يغيرها و هو من باب العقود و إن لم تكن ملكا فملكتها بالاستيلاء و نحوه هو فعل من الأفعال مغير لحكمها بمنزلة العقود و ايضا فانها قبل الزكاة محرمة فالزكاة الواردة عليها بمنزلة العقد الوارد على المال فكما أن أفعالنا في الأعيان من الأخذ و الذكاة الأصل فيها الحل و ان غير حكم العين فذلك أفعالنا في الأموال بالعقود و نحوها الأصل فيها الحل و ان غيرت حكم الملك له و سبب ذلك ان الأحكام الثابتة بأفعالنا كالملك الثابت بالبيع و ملك البضع الثابت بالنكاح نحن احدثنا أسباب تلك الأحكام و الشارع أثبت الحكم لثبوت سببه مما لم يثبته ابتداء كما أثبت إيجاب الواجبات و تحريم المحرمات المبدأة فاذا كنا نحن المثبتين لذلك الحكم و لم يحرم الشارع علينا رفعه لم يحرم علينا رفعه فمن اشتري عينا فالشارع أحلها له و حرمتها على غيره لاثباته سبب ذلك و هو الملك الثابت بالبيع و ما لم يحرم الشارع عليه رفع ذلك فله أن يرفع ما أثبته على أي و جهة أحب ما لم يحرمه الشارع عليه كمن أعطى رجلا مالا فالأسأل ان لا يحرم عليه التصرف فيه و ان كان مزيلا للملك الذي أثبته المعطي ما لم يمنع منه مانع و هذه نكتة المسألة التي يتبيّن بها مأخذها و هو أن الأحكام الجزئية من حل هذا المال لزید و حرمتها على عمرو لم يشرعها الشارع شرعا جزئيا وإنما شرعا شرعا كليا مثل قوله { وَأَحَلَ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَمَ الرِّبَا } البقرة 275

قوله {وَأَحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذِلْكُمْ أَن تَبْتَغُوا بِإِمْوَالِكُم} النساء 24
 قوله {فَانكِحُوهُ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَتْنٌ وَثَلَاثٌ وَرُبَاعٌ} النساء 3
 وهذا الحكم الكلي ثابت سواء و جد هذا البيع المعين أو لم يوجد فإذا و جد بيع معين أثبت ملكا معينا فهذا المعين سببه فعل العبد فإذا رفعه العبد فانما رفع ما أثبته هو بفعله لا ما أثبته الله من الحكم الكلي إذ ما أثبته الله من الحكم الجزئي إنما هو تابع لفعل العبد سببه فقط لأن الشارع أثبته ابتداء و انما توهم بعض الناس أن رفع الحقوق بالعقود و الفسخ مثل نسخ الأحكام و ليس كذلك فان الحكم المطلق لا يزيله إلا الذي أثبته و هو الشارع و أما هذا المعين فانما ثبت لأن العبد أدخله في المطلق فادخاله في المطلق اليه فكذلك إخراجه إذ الشارع لم يحكم عليه في المعين بحكم أبدا مثل أن يقول هذا التوب بعه أو لا تبعه أو هبه او لا تهبه و إنما حكم على المطلق الذي إذا أدخل فيه المعين حكم على المعين فتدبر هذا و فرق بين تغيير الحكم المعين الخاص الذي أثبته العبد بادخاله في المطلق و بين تغيير الحكم العام الذي أثبته الشارع عند وجود سببه من العبد و إذا ظهر ان العقود لا يحرم منها الا ما حرم الشارع فانما وجب الوفاء بها لايجب الشارع الوفاء بها مطلقا إلا ما خصه الدليل على أن الوفاء بها من الواجبات التي اتفقت عليها الملل بل والعقلاء جميعهم وقد أدخلها في الواجبات العقلية من قال بالوجوب العقلي ففعلها ابتداء لا يحرم إلا بتحريم الشارع و الوفاء بها وجب لايجب الشارع إذا ولایجب العقل ايضا²¹²

قيد الأمور بالقدرة والاستطاعة و الوسع والطاقة

²¹² مجموع الفتاوى ج: 29 ص: 150-154

*قد أمر الله رسوله بأفعال واجبة ومستحبة وإن كان الواجب مستحبًا وزيادة ونهي عن أفعال محرمة أو مكرورة والدين هو طاعته وطاعة رسوله وهو الدين والتقوى والبر والعمل الصالح والشريعة والمناهج وإن كان بين هذه الأسماء فروق وكذلك حمد أفعالا هي الحسنات ووعد عليها ونرم أفعالا هي السيئات وأوعد عليها وقيد الأمور بالقدرة والاستطاعة والوسع والطاقة فقال تعالى {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا أَسْتَطَعْتُمْ} التغابن 16 وقال تعالى {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ} البقرة 286 وقال تعالى {وَمَنْ قُدْرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلَيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا} الطلاق 7 وكل من الآيتين وإن كانت عامه فسبب الأولى المحاسبة على ما في النفوس وهو من جنس أعمال القلوب وبسبب الثانية الاعطاء الواجب وقال {لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ} التوبة 91 وقد ذكر في الصيام والاحرام والطهارة والصلوة والجهاد من هذا أنواعا وقال في المنهيات {وَقَدْ فَصَلَ لَكُمْ مَا حَرَمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرْرُتُمْ إِلَيْهِ} الأنعام 119²¹³

²¹³مجموع الفتاوى ج: 20 ص: 49

مسائل فقهية

1- حكم التسمية على الذبيحة

* و التسمية على الذبيحة مشروعة لكن قيل هي مستحبة قول الشافعى وقيل واجبة مع العدم وتسقط مع السهو كقول أبي حنيفة ومالك وأحمد فى المشهور عنه وقيل تجب مطلقاً فلا تؤكل الذبيحة بدونها سواء تركها عمداً أو سهوا كالرواية الأخرى عن أحمد إختارها أبو الخطاب وغيره وهو قول غير واحد من السلف وهذا أظهر الأقوال فإن الكتاب والسنة قد علق الحل بذكر إسم الله فى غير موضع قوله { فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ } المائدة 4 و قوله { فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ } الأنعام 118 إلى قوله { وَمَا لَكُمْ أَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ } الأنعام 119 إلى قوله { وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكُرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ } الأنعام 121 وفي الصحيحين أنه قال ما أنهر الدم وذكر إسم الله عليه فكلوا وفي الصحيح أنه قال لعدي إذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت إسم الله فقتل فكل وإن خالط كلبك كلاب آخر فلا تأكل فإنك إنما سميت على كلبك ولم تسم على غيره وثبت في الصحيح أن الجن سأله الرزق لهم ولدوا بهم فقال لكم كل عظم ذكر إسم الله عليه أوفر ما يكون لحمها وكل برة علفاً لدوا بهم قال النبي فلا تستنجوا بهما فإنهم زاد إخوانكم من الجن فهو لم يبح للجن المؤمنين إلا ما ذكر إسم الله عليه فكيف بالأنس ولكن إذا وجد الإنسان لحما قد ذبحه غيره جاز له أن يأكل منه ويدرك إسم الله عليه لحمل أمر الناس على الصحة والسلامة كما ثبت في الصحيح أن قوماً قالوا يا رسول الله إن ناساً حدثى عهد بالإسلام يأتون باللحم ولا ندرى أنذكروا إسم الله عليه أم لم يذكروا فقال سموا أنتم وكلوا²¹⁴

* قال الخلال في باب التوقي لأكل ما ذبحت النصارى وأهل الكتاب لأعيادهم وذبائح أهل الكتاب لكتائسهم كل من روى عن أبي عبد الله روى الكراهة فيه وهي متفرقة في هذه الأبواب وما قاله حنبل في هاتين المسألتين ذكر عن أبي عبد الله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وما أهل لغير الله به فإنما الجواب من أبي عبد الله فيما أهل لغير الله به وأما التسمية وتركها فقد روى عنه جميع أصحابه أنه لا بأس بأكل مالم يسموا عليه إلا في وقت ما يذبحون لأعيادهم وكتائسهم فإنه في معنى قوله تعالى { وَمَا أَهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ } النحل 115 وعند أبي عبد الله أن تفسير **{وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكُرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ}**

{الأنعام 121} إنماعني به الميتة وقد أخر جته في موضوعه ومقصود الخلال أن نهي أحمد لم يكن لأجل ترك التسمية فقط فإن ذلك عنده لا يحرم وإنما كان لأنهم ذبحوه لغير الله سواء كانوا يسمون غير الله أو لا يسمون الله ولا غيره ولكن قصدهم الذبح لغير الله لكن قال ابن أبي موسى ويحتجب أكل كل ما ذبحه اليهود والنصارى لكتائسهم وأعيادهم ولا يؤكل ما ذبح للزهرة والرواية الثانية أن ذلك مكروره غير حرام وهذا الذي ذكره القاضي وغيره وأخذوا ذلك فيما أظنه مما نقله عبد الله بن أحمد قال سألت أبي عمن ذبح للزهرة قال لا يعجبني قلت أحرام أكله قال لا أقول حراما ولكن لا يعجبني وذلك أنه أثبت الكراهة دون التحرير ويمكن أن يقال إنما توقف عن تسميته حرما لأن ما اختلف في تحريمه وتعارضت فيه كالجمع بين الآختين ونحوه هل يسمى حراما على روایتین کالروایتین عنده في أن ما اختلف في وجوبه هل يسمى فرضا على روایتین ومن أصحابنا من أطلق الكراهة ولم يفسر هل أراد التحرير أو التنزيه قال أبو الحسن الأعمي ما ذبح لغير الله مثل الكنائس والزهرة والشمس والقمر فقال أحمد هو مما أهل به لغير الله أكرهه كل ما ذبح لغير الله والكنائس وما ذبحوا في أعيادهم أكرهه فلما ما ذبح أهل الكتاب على معنى الذكرة فلا بأس به وكذلك مذهب مالك

يكره ما ذبحه النصارى لكتائسهم أو ذبحوا على اسم المسيح أو الصليب أو أسماء من مضى من أحبارهم وربانهم وفي المدونة وكره مالك أكل ما ذبحه أهل الكتاب لكتائسهم أو لأعيادهم من غير تحريم وتأول قول الله أو فسقاً أهل لغير الله به قال ابن القاسم وكذلك ما ذبحوا وسموا عليه اسم المسيح وهو بمنزلة ما ذبحوا لكتائسهم ولا أرى أن يؤكل ونقلت الرخصة في ذبائح الأعياد ونحوها عن طائفة من الصحابة رضي الله عنهم وهذا فيما لم يسموا عليه غير الله فإن سموا غير الله في عيدهم أو غير عيدهم حرم في أشهر الروايتين وهو مذهب الجمهور وهو مذهب الفقهاء الثلاثة فيما نقله غير واحد وهو قول علي بن أبي طالب وغيره من الصحابة منهم أبو الدرداء وأبو أمامة والعرباض بن سارية وعبادة بن الصامت وهو قول أكثر فقهاء الشام وغيرهم والثانية لا يحرم وإن سموا غير الله وهو قول عطاء ومجاهد ومكحول والأوزاعي واللبيث ووجه الاختلاف أن هذا قد دخل في عموم قوله عز وجل { وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلٌّ لَّهُمْ } المائدة 5 وفي عموم قوله تعالى { وَمَا أَهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ } المائدة 3 لأن هذه الآية تعم كل ما نطق به لغير الله يقال أهلهت بهذا إذا تكلمت به وإن كان أصله الكلام الرفيع فإن الحكم لا يختلف برفع الصوت وخفضه وإنما لما كانت عادتهم رفع الصوت في الأصل خرج الكلام على ذلك فيكون المعنى وما تكلم به لغير الله وما نطق به لغير الله ومعلوم أن ما حرم أن يجعل غير الله مسمى كذلك منوياً إذ هذا مثل النيات في العبادات فإن اللفظ بها وإن كان أبلغ لكن الأصلقصد إلا ترى أن المتقارب بالهدايا والضحايا سواء قال أذبحه الله أو سكت فإن العبرة بالنية وتسميته الله على الذبيحة غير ذبها الله فإنه يسمى على ما يقصد به اللحم وأما القربان فيذبح لله سبحانه ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في قربانه اللهم منك ولك بعد قوله باسم الله والله أكبر لقوله تعالى { قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ }

{الأنعام} 162 والكافرون يصنعون **بـالـهـتـهـم** كذلك فتارة يسمون **الـهـتـهـم** على النباء وتارة يذبحونها قربانا إليهم وتارة يجمعون بينهما وكل ذلك والله أعلم يدخل فيما أهل لغير الله به فإن من سمي غير الله فقد أهل به لغير الله فقوله باسم كذا استعانة به وقوله لهذا عبادة له ولهذا جمع الله بينهما في قوله {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} الفاتحة 5 وأيضا فإنه سبحانه حرم ما ذبح على النصب وهي كل ما ينصلب ليعبد من دون الله وأما احتجاج أحمد على هذه المسألة بقوله تعالى **{وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكُرِ الْسُّمْ اللَّهِ عَلَيْهِ}** {الأنعام} 121 فحيث اشترطت التسمية في ذبيحة المسلم هل تشترط في ذبيحة الكتابي على روایتين وإن كان الحال هنا قد ذكر عدم الاشتراط فاحتجاجه بهذه الآية يخرج على إحدى الروایتين فلما تعارض العموم الحاضر وهو قوله تعالى {وَمَا أَهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ} {المائدة} 3 والعموم المبيح وهو قوله {وَطَعَامُ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ} {المائدة} 5 اختلاف العلماء في ذلك والأشبه بالكتاب والسنة ما دل عليه أكثر كلام أحمد من الحظر وإن كان من متاخرى أصحابنا من لا يذكر هذه الروایة بحال وذلك لأن عموم قوله تعالى {وَمَا أَهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ} {المائدة} 3 و {وَمَا دُبِّحَ عَلَى النُّصُبِ} {المائدة} 3 عموم محفوظ لم تخص منه صورة بخلاف طعام الذين أوتوا الكتاب فإنه يشترط له الذكرة المبيحة فلو ذكر الكتابي في غير المحل المشروع لم تبح ذكاته ولأن غاية الكتابي أن تكون ذكاته كالمسلم والمسلم لو ذبح لغير الله أو ذبح باسم غير الله لم يبح وإن كان يكفر بذلك فكذلك الذي لأن قوله تعالى {وَطَعَامُ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ} {المائدة} 5 سواء وهم وإن كانوا يستحلون هذا ونحن لا نستحله فليس كل ما استحلوه يحل لنا ولأنه قد تعارض دليلان حاضر ومبيح فالحاضر أولى أن يقدم ولأن الذبح لغير الله أو باسم غيره قد علمنا يقينا أنه ليس من دين الأنبياء عليهم السلام فهو من الشرك الذي أحدثوه فالمعنى الذي لأجله حلت ذبائحهم منتف في هذا والله تعالى أعلم

فإن قيل أما إذا سموا عليه غير الله بأن يقولوا باسم المسيح ونحوه فتحريمها ظاهر أما إذا لم يسموا أحدا ولكن قد صدوا الذبح للمسيح أو للكوكب ونحوهما فما وجه تحريمها قيل قد تقدمت الإشارة إلى ذلك وهو أن الله سبحانه قد حرم ما ذبح على النصب وذلك يقتضي تحريمها وإن كان ذابحه كتابيا لأنه لو كان التحرير لكونه وثنيا لم يكن فرق بين ذبحه على النصب وغيرها وأنه لما أباح لنا طعام أهل الكتاب دل على أن طعام المشركين حرام فتخصيص ما ذبح على الوثن يقتضي فائدة جديدة وفي رواية له وإن زيد بن عمرو بن نفيلي كان يعيّب على قريش ذبائحهم ويقول الشاة خلقها الله وأنزل لها من السماء الماء وأنبت لها من الأرض الكلأ ثم أنتم تذبحونها على غير اسم الله إنكارا لذلك وإعظاما له وأيضاً فإن قوله تعالى { وَمَا أَهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ } المائدة 3 ظاهره أنه ما ذبح لغير الله مثل أن يقال هذا ذبيحة لهذا وإذا كان هذا هو المقصود فسواء لفظ به أو لم يلفظ وتحريم هذا أظهر من تحريم ما ذبحه النصراني للحم وقال فيه باسم المسيح ونحوه كما أن ما ذبحناه نحن متقربين به إلى الله سبحانه كان أزركي وأعظم مما ذبحناه للحم وقلنا عليه باسم الله فإن عبادة الله سبحانه بالصلاه له والنسك له أعظم من الاستعانة باسمه في فواتح الأمور فكذلك الشرك بالصلاه لغيره والنسك لغيره أعظم شركا من الاستعانة باسم هذا الغير في فواتح الأمور فإذا حرم ما قيل فيه باسم المسيح والزهرة فلأن يحرم ما قيل فيه لأجل المسيح والزهرة أو قصد به ذلك أولى وهذا يبين لك ضعف قول من حرم ما ذبح باسم غير الله ولم يحرم ما ذبح لغير الله كما قاله طائفه من أصحابنا وغيرهم بل لو قيل بالعكس لكان أوجهه فإن العبادة لغير الله أعظم كفرا من الاستعانة بغير الله وعلى هذا فلو ذبح لغير الله متقربا به إليه لحرم وإن قال فيه باسم الله كما يفعله طائفه من منافقي هذه الأمة الذين يتقربون إلى الأولياء والكواكب بالذبح والبخور ونحو ذلك وإن كان هؤلاء مرتدين لا تباح ذبيحتهم بحال لكن يجتمع في الذبيحة مانعان ومن هذا الباب ما قد

يفعله الجاهلون بمكة شرفها الله وغيرها من الذبح للجن ولهذا روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن ذبائح الجن ويدل على المسألة ما قدمناه من أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الذبح في مواضع الأصنام ومواضع أعياد الكفار ويدل على ذلك أيضاً ما رواه أبو داود في سننه حديثاً هارون بن عبد الله حديثاً حماد بن مساعدة عن عوف عن أبي ريحانة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معاقرة الأعراب قال أبو داود غذر وقه على ابن عباس وروى أبو بكر بن أبي شيبة في تفسيره حديثاً وكيع عن أصحابه عن عوف الأعرابي عن أبي ريحانة قال سئل ابن عباس عن معاقرة الأعراب فقال إني أخاف أن تكون مما أهل لغير الله به وروى أبو إسحاق إبراهيم دحيم في تفسيره حديثاً أبي حديثاً سعيد بن منصور عن ربعي عن عبد الله بن الجارود قال سمعت الجارود قال كان من بني رباح رجل يقال له ابن وثيل شاعراً نافر أبا الفرزدق غالباً الشاعر بما ظهر الكوفة على أن يعقر هذا مائة من إبله وهذا مائة من إبله إذا وردت الماء فلما وردت الإبل الماء قاماً إليها بأسيافهم فجعلوا ينسفان عرقيبيها فخرج الناس على الحمر والبغال يريدون اللحم وعلى رضي الله عنه بالكوفة فخرج على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم البيضاء وهو ينادي يا أيها الناس لا تأكلوا من لحومها فإنها أهل بها لغير الله فهؤلاء الصحابة قد فسروا ما قصد بذبحه غير الله داخلاً فيما أهل به لغير الله فعلم أن الآية لم يقتصر بها على التلفظ باسم غير الله بل ما قصد به التقرب إلى غير الله فهو كذلك وكذلك تفاسير التابعين على أن ما ذبح على النصب هو ما ذبح لغير الله وروينا في تفسير مجاهد المشهور عنه الصحيح من رواية ابن أبي نجيح في قوله تعالى {وَمَا ذُبْحَ عَلَى النُّصُبِ} المائدة 3 قال كانت حجارة حول الكعبة يذبح لها أهل الجاهلية ويدلونها إذا شاءوا بحجارة أعجب إليهم منها وروى ابن أبي شيبة حديثاً محمد بن فضيل عن أشعث عن الحسن في

قوله تعالى {وَمَا ذِبْحَ عَلَى النُّصُبِ} {المائدة 3} قال هو بمنزلة ما ذبح لغير الله وفي تفسير قادة المشهور عنه وأما ما ذبح على النصب فالنصلب حجارة كان أهل الجاهلية يعبدونها ويذبحون لها فنهى الله عن ذلك وفي تفسير علي بن أبي طلحة عن ابن عباس النصب أصنام كانوا يذبحون ويهلكون عليها فإن قيل فقد نقل إسماعيل بن سعيد قال سألت أحمد عما يقرب لآلهتهم يذبحه رجل مسلم قال لا بأس به قيل إنما قال أحمد ذلك لأن المسلمين إذا ذبحه سمي الله عليه ولم يقصد ذبحه لغير الله ولا يسمى غيره بل يقصد منه غير ما قصده صاحب الشاة فتصير نية صاحب الشاة لا أثر لها والذبح هو المؤثر في الذبح بدليل أن المسلمين لو وكل كتابياً في ذبيحة فسمى عليها غير الله لم تتح ولهذا لما كان الذبح عبادة في نفسه كره علي رضي الله عنه وغير واحد من أهل العلم منهم أحمد في إحدى الروايتين عنه أن يوكل المسلم في ذبح نسيكته كتابياً لأن نفس الذبح عبادة بذنية مثل الصلاة ولهذا تختص بمكان وزمان ونحو ذلك بخلاف تفرقة اللحم فإن عبادة مالية ولهذا اختلف العلماء في وجوب تخصيص أهل الحرم بلحوم الهدايا المذبوحة في الحرم وإن كان الصحيح تخصيصهم بها وهذا بخلاف الصدقة فإنها عبادة مالية محضة فلهذا قد لا يؤثر فيها نية الوكيل على أن هذه المسألة منصوصة عن أحمد محتملة²¹⁵

2-الأصل في جميع الأعيان الموجودة أن تكون حلالاً مطلقاً

*فاعلم أن الأصل في جميع الأعيان الموجودة على اختلاف أصنافها وتبين أوصافها أن تكون حلالاً مطلقاً للأدميين وأن تكون ظاهرة لا يحرم عليهم ملابستها ومبادرتها وممساتها قوله تعالى {وَمَا لَكُمْ أَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ}

²¹⁵اقضاء الصراط ج: 1 ص: 253-262

لَكُم مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرْتُمْ إِلَيْهِ {الأنعام} 119 دلت على وجهين أحدهما إنه وبخهم وعنهما على ترك الأكل مما ذكر اسم الله عليه قبل أن يحله باسمه الخاص فلو لم تكن الأشياء مطلقة مباحة لم يلحقهم ذم ولا توبيخ إذ لو كان حكمها مجهولاً أو كانت محظورة لم يكن ذلك الوجه الثاني إنه قال **{وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ}** {الأنعام} 119 والتفصيل التبين فبين أنه بين المحرمات فما لم يبين تحريمها ليس بمحرم وما ليس بمحرم فهو حلال إذ ليس إلا حلال أو حرام الآية²¹⁶

* فلا بد أن يكون بين الحلال والحرام فرق مبين قال الله تعالى {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ} التوبة 115 وقال تعالى {وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ} {الأنعام} 119²¹⁷

3-الأصل في الأعيان الطهارة

* أن الأصل في الأعيان الطهارة فلا يجوز تنجيس شيء ولا تحريم إلا بدليل كما قال تعالى **{وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرْتُمْ إِلَيْهِ}** {الأنعام} 119 وقال تعالى {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ} التوبة 115 وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح إن من أعظم المسلمين جرما من سأله عن شيء لم يحرم فحرم من أجل مسألته وفي السنن عن سلمان الفارسي مرفوعاً ومنهم من يجعله موقوفاً أنه قال الحلال ما أحل الله في كتابه والحرام ما حرم الله في كتابه وما سكت عنه فهو عفا عنه²¹⁸

²¹⁶الفتاوى الكبرى ج: 2 ص: 117

²¹⁷الفتاوى الكبرى ج: 2 ص: 102

²¹⁸مجموع الفتاوى ج: 21 ص: 617 و الفتوى الكبرى ج: 1 ص: 45

4-أكل الميّة للمضطّر واجب عليه

*قال تعالى { وَقَدْ فَصَلَ لَكُم مَا حَرَمَ عَلَيْكُم إِلَّا مَا اضْطُرْرْتُمْ إِلَيْهِ }
{ الأنعام 119 أن أكل الميّة للمضطّر واجب عليه في ظاهر
 مذهب الأئمة وغيرهم كما قال مسروق من اضطر إلى الميّة فلم
 يأكل حتى مات دخل النار ²¹⁹

ان الله لما حرم الميّة والدم ولحم الخنزير وغيرها لم يبح ذلك إلا
 لمن اضطر إليها غير باغ ولا عاد وفي آية أخرى { فَمَنِ اضْطُرَ
 فِي مَحْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِأَثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } المائدة 3
²²⁰

**5-من يتداوى بالخمر ولحم الخنزير وغير ذلك من المحرمات هل يباح للضرورة أم لا وهل هذه الآية {وَقَدْ فَصَلَ لَكُم مَا حَرَمَ عَلَيْكُم إِلَّا مَا اضْطُرْرْتُمْ إِلَيْهِ }
{ الأنعام 119 في إباحة ما ذكر أم لا ؟**

*لا يجوز التداوى بذلك بل قد ثبت في الصحيح عن النبي أنه سئل عن الخمر يتداوى بها فقال إنها داء وليس بدواء وفي السنن عنه أنه نهى عن الدواء بالخبث وقال ان الله لم يجعل شفاء أمتى فيما حرم عليها وليس ذلك بضرورة فإنه لا يتيقن الشفاء بها كما يتيقن الشبع باللحم المحرم ولأن الشفاء لا يتعين له طريق بل يحصل بأنواع من الأدوية وبغير ذلك بخلاف المخصصة فإنها لا تزول إلا بالأكل ²²¹

²¹⁹ مجموع الفتاوى ج: 24 ص: 269 و مجموع الفتاوى ج: 21 ص:
563

²²⁰ مجموع الفتاوى ج: 24 ص: 276

{ وَمَنْ أَضَلُّ مِنَ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ }

*أعلم الناس من كان رأيه واستصلاحه واستحسانه وقياسه موافقا للنصوص كما قال مجاهد أفضل العبادة الرأي الحسن وهو اتباع السنة ولهذا قال تعالى {وَيَرَى الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْغَرِيزِ الْحَمِيدِ} سبا 6 ولهذا كان السلف يسمون أهل الآراء المخالفة للسنة والشريعة في مسائل الاعتقاد الخبرية ومسائل الأحكام العملية أهل الأهواء لأن الرأي المخالف للسنة جهل لا علم فصاحبه ومن اتبع هواه بغير علم لهذا يذكر الله في القرآن من يتبع هواه بغير علم ويذم من يتبع هواه بغير هدي من الله كما قال تعالى { وَمَنْ أَضَلُّ مِنَ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ }

القصص 50 وقال تعالى {وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيَضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ } الأنعام 119 وكل من اتبع هواه اتباهه بغير علم إذ لا علم بذلك إلا بهدي الله الذي بعث الله به رسالته كما قال تعالى { فَإِمَّا يَأْتِنَّكُمْ مِّنِي هُدًى فَمَنْ اتَّبَعَ هُدًى إِنَّ فَلَأَ يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى } 123 ومن أعرض عن ذكره فإن له معيشة ضنكًا ونحشره يوم القيمة أعمى 124 طه 123-124 ولهذا ندم الله الهوى في مواضع من كتابه واتباع الهوى يكون في الحب والبغض كقوله تعالى {يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَنَزَّعْ الْهَوَى فَيُضِلُّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ } ص 26 فهنا يكون اتباع الهوى هو ما يخالف الحق في الحكم قال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَامِينَ بِالْقِسْطِ شَهَادَةً لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَبَعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلُوْوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا } النساء 135 فهنا يكون اتباع الهوى فيما يخالف القسط من الشهادة وغيرها

والحق هو العدل واتباع الهوى في خلاف ذلك هو من الظلم وقد نهى رسول الله عن اتباع أهواء الخلق وقال تعالى {وَلَنْ تُرْضِيَ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَشْبَعَ مِلْتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدًى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الذِّي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ} البقرة 120 فنهاه عن اتباع أهواء الذين أوتوا الكتاب بعد ما جاءه من العلم وكذلك قال تعالى في الآية الأخرى {وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمْنَ الظَّالِمِينَ} البقرة 145 وقال تعالى {وَإِنْ أَحْكَمْ بَيْتَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنَّ تَوْلُوا فَاعْلَمُ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصَبِّبَهُمْ بِعَضَ دُنُوبِهِمْ} المائدة 49 وقال تعالى {قُلْ هَلْ مُ شَهَادَكُمْ الَّذِينَ يَشْهُدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَمَ هَذَا فَإِنْ شَهَدُوا فَلَا تَشْهُدْ مَعَهُمْ وَلَا تَشْبَعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ} الأنعام 150 فقد نهاه عن اتباع أهواء المشركين واتباع أهواء أهل الكتاب وحذر أن يفتنه عما أنزل الله إليه من الحق وذلك يتضمن النهي عن اتباع أهواء أحد في خلاف شريعته وسنته وكذا أهل الأهواء من هذه الأمة وقد بين ذلك في قوله تعالى {ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَشْبَعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} 18 وإنهم لن يغلو عنك من الله شيئاً وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولـي المتقين 19 الجاثية 18-19 فقد أمره في هذه الآية باتباع الشريعة التي جعله عليها ونهاه عن اتباع ما يخالفها وهي أهواء الذين لا يعلمون ولهذا كان كل من خرج عن الشريعة والسنـة من أهل الأهواء كما سماهم السلف وقال تعالى {وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقَّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ} المؤمنون 71 وقال تعالى {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوْا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلَّوْا مِنْ قَبْلُ وَأَضْلَلُوْا كَثِيرًا وَضَلَّوْا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ} المائدة 77 وقال تعالى {وَمَا لَكُمْ أَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَلَ لَكُمْ مَا حَرَمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِزْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ

كَثِيرًا لَّيُضْلِلُونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ {الأنعام 119} وقال تعالى
 {قَالُوا لَوْلَا أُوتَيْ مِثْلَ مَا أُوتَيْ مُوسَى أَوْلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتَيْ
 مُوسَى مِنْ قَبْلٍ } القصص 48 إلى قوله { فَأَتَوْا بِكِتَابٍ مِنْ
 عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَبْعَهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } 49 فإن لمْ
 يَسْتَحِيُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَبَعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضْلَلَ مِمَّنْ اتَّبَعَ
 هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
 الظَّالِمِينَ } 50 القصص 49-50 وقال تعالى { وَمِنْهُمْ مَنْ
 يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدَكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا
 قَالَ أَنَّهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ } 16
 وَالَّذِينَ اهْنَدُوا رَازِدَهُمْ هُدًى وَأَتَاهُمْ نَقْوَاهُمْ } 17 محمد 16-17
 ذكر الذين أوتوا العلم وهم الذين يعلمون أن ما أنزل إليه من رب
 الحق ويفقهون ما جاء به وذكر المطبوع على قلوبهم فلا يفقهون
 إلا قليلا الذين اتبعوا أهواهم يسألونهم ماذا قال الرسول آنفا وهذه
 حال من لم يفقه الكتاب والسنّة بل يستشكل ذلك فلا يفقهه أو قرأه
 متعارضاً متناقضاً وهي صفة المنافقين ثم ذكر صفة
 المؤمنين فقال تعالى { وَالَّذِينَ اهْنَدُوا رَازِدَهُمْ هُدًى وَأَتَاهُمْ نَقْوَاهُمْ }
 محمد 17 زيادة الهدي وهو ضد الطبع على قلوب أولئك وأتاهم
 نقاوم وهو ضد اتباع أولئك الأهواء فصاحب التقوى ضد
 صاحب الأهواء كما قال تعالى { وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى
 النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى } 40 فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ
 الْمَأْوَى } 41 النازعات 40-41 وقال تعالى { إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ
 كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيمَةَ الْجَاهِلِيَّةَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى
 رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كُلَّمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ
 بِهَا وَأَهْلُهَا } الفتح 26
 222

²²² قاعدة في المحبة ج: 1 ص: 19-22

اتباع الأهواء في الديانات أعظم من اتباع الأهواء في الشهوات

* والمحبة المحمودة هي المحبة النافعة وهي التي تجلب لصاحبها ما ينفعه وهو السعادة والضارة هي التي تجلب لصاحبها ما يضره وهو الشقاء وملووم أن الحي العالم لا يختار أن يحب ما يضره لكن يكون ذلك عن جهل وظلم فإن النفس قد تهوي ما يضرها ولا ينفعها وذلك ظلم منها لها وقد تكون جاهلة بحالها به بأن تهوي الشيء وتحبه بلا علم منها بما في محبته من المنفعة والمضررة وتتبع هواها وهذا حال من اتبع هواه بغير علم وقد يكون عن اعتقاد فاسد وهو حال من اتبع الظن وما تهوي نفسه وكل ذلك من أمور الجاهلية²²³

* فان من الناس من يكون حبه وبغضه وارادته وكراهته بحسب محبة نفسه وبغضها لا بحسب محبة الله ورسوله وبغض الله ورسوله وهذا من نوع الهوى فان اتباعه الانسان فقد اتبع هواه {وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاءً بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ} القصص 50 فان أصل الهوى محبة النفس ويتبع ذلك بغضها ونفس الهوى وهو الحب والبغض الذي في النفس لا يلام عليه فان ذلك قد لا يملك وإنما يلام على اتباعه كما قال تعالى {إِنَّا دَأْوُدْ أَنَا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَنَاهُ إِنَّمَا يَنْهَاكَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ} ص 26 وقال تعالى {وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاءً بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ} القصص 50 وقال النبي ثلث مناجيات خشية الله في السر والعلانية والقصد في الفقر والغنى وكلمة الحق في الغضب والرضا وثلاث مهلكات شح مطاع وهو متبع واعجاب المرء بنفسه والحب والبغض يتبعه ذوق عند وجود المحبوب والمبغض ووجد وارادة وغير ذلك فمن اتبع ذلك بغير أمر الله ورسوله فهو من اتبع

²²³ قاعدة في المحبة ج: 1 ص: 16

هواه بغير هدى من الله بل قد يصعد به الأمر الى أن يتخذ الهه
 هواه واتباع الأهواء فى الديانات أعظم من اتباع الاهواء فى
 الشهوات فان الأول حال الذين كفروا من أهل الكتاب والمسرّكين
 كما قال تعالى {فَإِنْ لَمْ يَسْتَحِبُّوْ لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءِهِمْ
 وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
 الظَّالِمِينَ} القصص 50 وقال تعالى {صَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ
 أَنفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكْتُ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءِ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ
 فَإِنَّمَا فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَحِيقَتُكُمْ أَنفُسُكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ
 يَعْقِلُونَ} الروم 28 الآية الى ان قال {بَلْ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا
 أَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ} الروم 29 وقال تعالى {وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا
 حَرَمَ عَلَيْكُمُ إِلَّا مَا اضْطُرَرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لِّيُضْلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ
 بِغَيْرِ عِلْمٍ} الأنعام 119 الآية وقال تعالى {فَلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ
 لَا تَغْلُوْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَنَاهُوا أَهْوَاءِ قَوْمٍ قَدْ ضَلَّوْ مِنْ
 قَبْلِ وَأَضَلَّوْ كَثِيرًا وَضَلَّوْ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ} المائدة 77 وقال
 تعالى {وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَبَعَ مِلَّتُهُمْ قُلْ
 إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءِهِمْ بَعْدَ الذِّي جَاءَكَ مِنْ
 الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ} البقرة 120 وقال تعالى
 في الآية الأخرى {وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنْ
 الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمْنَ الظَّالِمِينَ} البقرة 145 وقال {وَإِنَّ احْكُمْ بِيَنِّهِمْ
 بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَنَاهُ أَهْوَاءِهِمْ} المائدة 49 ولهذا كان من
 خرج عن موجب الكتاب والسنة من العلماء والعباد يجعل من
 أهل الاهواء كما كان السلف سموتهم أهل الاهواء وذلك ان كل
 من لم يتبع العلم فقد اتبع هواه والعلم بالدين لا يكون الا بهدى الله
 الذى بعث به رسوله ولهذا قال تعالى فى موضع {وَإِنَّ كَثِيرًا
 لِّيُضْلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ} الأنعام 119 وقال فى موضع آخر
 {وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ} القصص 50
 فالواجب على العبد أن ينظر فى نفس حبه وبغضه ومقدار حبه
 وبغضه هل هو موافق لأمر الله ورسوله وهو هدى الله الذى
 أنزله على رسوله بحيث يكون مأمورا بذلك الحب والبغض لا

يكون متقدما فيه بين يدي الله ورسوله فانه قد قال { لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدِيَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ } الحجرات¹ ومن أحب أو أبغض قبل أن يأمره الله ورسوله فيه نوع من التقدم بين يدي الله ورسوله ومجرد الحب والبغض هوى لكن المحرم اتباع حبه وبغضه بغير هدى من الله ولهذا قال { وَلَا تَتَّبَعُ الْهَوَى فَيُضِلُّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ } ص 26 فأخبر أن من اتبع هواه أضل له ذلك عن سبيل الله وهو هداه الذى بعث به رسوله وهو السبيل اليه ²²⁴

*فليس لأحد أن يعمل في الدين إلا ما شرعه الله ورسوله دون ما يشتهيه ويهواه قال الله تعالى { وَمَنْ أَضَلَّ مِنْنَ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَعْيَرْ هُدَى مِنْ اللَّهِ } القصص⁵⁰ وقال تعالى { وَإِنَّ كَثِيرًا لَّذِلِّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بَعْيَرْ عِلْمٍ } الأنعام¹¹⁹ ²²⁵

كل حب وذوق ووجد لا تشهد له هذه الشريعة فهو من أهواء

أن الشخص إما أن يبين له أن ما بعث الله به رسوله حق ويعدل عن ذلك إلى اتباع هواه أو يحسب أن ما هو عليه من ترك ذلك هو الحق فهذا متبوع للظن والأول متبوع لهواه اجتماع الأمرين قال تعالى في صفة الأولين { فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ } الأنعام³³ وقال تعالى في صفة الآخرين { قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا } 103 { الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا } 104 { الكهف 103-104 فال الأول حال المغضوب عليهم الذين يعرفون الحق

²²⁴مجموع الفتاوى ج: 28 ص: 132-138 و الاستقامة ج: 2 ص: 224

وَلَا يَتَبَعُونَهُ كَمَا هُوَ مُوْجُودٌ فِي الْيَهُودِ وَالثَّانِي حَالُ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ بِغَيْرِ عِلْمٍ قَالَ تَعَالَى { وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ } ²²⁶ الأَنْعَام١١٩

* قال تعالى { قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ } ¹⁴⁸ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ¹⁴⁹ الأَنْعَام١٤٨ - ١٤٩ مطالبة بالعلم وذم من يتبع الظن وما عنده علم وكذلك قوله { نَبُوْوْنِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } ¹⁴³ الأَنْعَام١٤٣ قوله { وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ } ²²⁷ الأَنْعَام١١٩ وأمثال ذلك ذم لمن عمل بغير علم وعمل بالظن

فإن إتباع الإنسان لما يهوه هو أخذ القول والفعل الذي يحبه ورد القول والفعل الذي يبغضه بلا هدى من الله قال تعالى { وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ } ²²⁸ الأَنْعَام١١٩ فمن أتبع أهواه الناس بعد العلم الذي بعث الله به رسوله وبعد هدى الله الذي بينه عباده فهو بهذه المثابة ولهذا كان السلف يسمون أهل البدع والتفرق المخالفين لكتاب والسنة أهل الأهواه حيث قبلوا ما أحبوه وردوا ما أبغضوه بأهواههم بغير هدى من الله

* ولهذا كان من خرج عن موجب الكتاب والسنة من المنسبين إلى العلماء والعباد يجعل من أهل الأهواه كما كان السلف يسمونهم أهل الأهواه وذلك ان كل من لم يتبع العلم فقد اتبع هواه والعلم بالدين لا يكون الا بهدي الله الذي بعث به رسوله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال الله تعالى في موضع { وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ } ²²⁹ الأَنْعَام١١٩ وقال في موضع اخر

²²⁶ مجموع الفتاوى ج: 4 ص: 200

²²⁷ مجموع الفتاوى ج: 13 ص: 111

²²⁸ مجموع الفتاوى ج: 4 ص: 189

{ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ } القصص 50
 فالواجب على العبد أن ينظر في نفس حبه وبغضه ومقدار حبه
 وبغضه هل هو موافق لأمر الله ورسوله وهو هدى الله الذي
 انزله على رسوله صلى الله عليه وسلم بحيث يكون مأموراً بذلك
 الحب والبغض لا يكون متقدماً فيه بين يدي الله ورسوله²²⁹

*وقال أبو الحسين النوري من رأيته يدعى مع الله حالة تخرجه
 عن حد العلم الشرعي فلا تقربن منه وقال أبو عثمان
 النيسابوري الصحبة مع الله بحسن الأدب ودوام الهيبة والمراقبة
 والصحبة مع الرسول ص باتباع سنته ولزوم ظاهر العلم
 والصحبة مع أولياء الله بالاحترام والخدمة والصحبة مع الأهل
 بحسن الخلق والصحبة مع الإخوان بدوام البشر ما لم يكن إثما
 والصحبة مع الجهالة بالدعاء لهم والرحمة عليهم وذلك لأنه
 لما كان أصل الطريق هو الإرادة والقصد والعمل في ذلك فيه من
 الحب والوجد ما لا ينضبط فكثير ما يعمل السالك بمقتضى ما
 يجده في قلبه من المحبة وما يدركه ويذوقه من طعم العبادة وهذا
 إذا لم يكن موافقاً لأمر الله ورسوله وإلا كان صاحبه في ضلال
 من جنس ضلال المشركين وأهل الكتاب الذين اتبعوا أهواهم
 بغير هدى من الله قال الله تعالى {وَمَا لَكُمْ أَلَا تَأْكُلُونَ مِمَّا ذُكِرَ
 أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْأَمْرُ مَا اضطُرْرُتُمْ إِلَيْهِ
 وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضْلِلُونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِلِينَ }
 الأنعام 119 فالشريعة التي جعله عليها تتضمن ما أمر به
 وكل حب وذوق ووجد لا تشهد له هذه الشريعة فهو من أهواه
 الذين لا يعلمون فإن العلم بما يحبه الله إنما هو ما أنزله الله إلى
 عباده من هداه ولهذا قال في إحدى الآيات { وَإِنَّ كَثِيرًا
 لَّيُضْلِلُونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِلِينَ }
 الأنعام 119 وقال في الآية الأخرى { وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ

اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ } الْقُصُصُ 50 فكل من اتبع ذوقاً أو و جداً بغير هدى من الله سواء كان ذلك عن حب أو بغض فليس لأحد أن يتبع ما يحبه فيأمر به ويتخذه ديناً وينهى عما يبغضه ويذمه ويتخذ ذلك ديناً إلا بهدى من الله وهو شريعة الله التي جعل عليها رسوله ومن اتبع ما يهواه حباً وبغضاً بغير الشريعة فقد اتبع هواه بغير هدى من الله²³⁰

صلاح بنى آدم الإيمان والعمل الصالح ولا يخرجهم عن ذلك إلا شيئاً

*أن العمل إما بمعرفة الحق وإتباعه في العلم والعمل جميعاً صلاح القول والعمل العلم والإرادة والعلم أصل العمل وأصل الإرادة والمحبة وغير ذلك وهو مستلزم له مالم يحصل معارض مانع فالعلم بالحق يوجب إتباعه إلا لمعارض راجح مثل إتباع الهوى بالإستكبار ونحوه كحال الذين قال الله فيهم {سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا} الأعراف 146 وقال {وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنُهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًا} النمل 14 وقال {فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكُنَ الظَّالِمُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحُدُونَ} الأنعام 33 ولهذا قال {يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهُوَى فَيُضِلُّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} ص 26 ونحو ذلك فإن أصل الفطرة التي فطر الناس عليها إذا سلمت من الفساد فإذا رأت الحق إتبنته وأحبته إذ الحق نوعان حق موجود فالواجب معرفته والصدق في الاخبار عنه وضد ذلك

²³⁰ الاستقامة ج: 1 ص: 252-253

الجهل والكذب وحق مقصود وهو النافع للإنسان فالواجب إرادته والعمل به ضد ذلك إرادة الباطل وإتباعه ومن المعلوم أن الله خلق في النفوس محبة العلم دون الجهل ومحبة الصدق دون الكذب ومحبة النافع دون الضار وحيث دخل ضد ذلك فلمعارض من هوى وكبر وحسد ونحو ذلك كما أنه في صالح الجسد خلق الله فيه محبة الطعام والشراب الملائم له دون الضار فإذا إشتهى ما يضره أن كره ما ينفعه فلمرض في الجسد وكذلك أيضاً إذا إندفع عن النفس المعارض من الهوى وال الكبر والحسد وغير ذلك أحاب القلب ما ينفعه من العلم النافع والعمل الصالح كما أن الجسد إذا إندفع عنه المرض أحاب ما ينفعه من الطعام والشراب فكل واحد من وجود المقتضي وعدم الدافع سبب للأخر وذلك سبب لصلاح حال الإنسان وضدهما سبب لضد ذلك فإذا ضعف العلم غلبه الهوى الإنسان وإن وجد العلم والهوى وهما المقتضي والدافع فالحكم للغالب وإذا كان كذلك فصلاح بني آدم الإيمان والعمل الصالح ولا يخرجهم عن ذلك إلا شيئاً أحدهما الجهل المضاد للعلم فيكونون ضلالاً والثاني إتباع الهوى والشهوة اللذين في النفس فيكونون غواة مغضوبوا عليهم ولهذا قال {وَالنَّجْمٌ إِذَا هَوَى} {1} مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى} {2} النجم 1-2 وقال عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها واعضوا عليها بالنواخذة فوصفهم بالرشد الذي هو خلاف الغي وبالهوى الذي هو خلاف الضلال وبهما يصلح العلم والعمل جميعاً ويصير الإنسان عالماً عادلاً لا جاهلاً ولا ظالماً وهم في الصلاح على ضربين تارة يكون العبد إذا عرف الحق وتبيّن له إتبّعه وعمل به فهذا هو الذي يدعى الحكمة وهو الذي يتذكر وهو الذي يحدث له القرآن ذكرها والثانية أن يكون له من الهوى والمعارض ما يحتاج معه إلى الخوف الذي ينهى النفس عن الهوى فهذا يدعى بالموعظة الحسنة وهذا هو القسم الثاني المذكور في قوله {أَوْ يَخْشَى طه 44 وفي قوله {لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} طه 113 وقد قال في

السورة في قصة فرعون { اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى } 17
 فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَن تَزَكَّى } 18 { وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى } 19
 الناز عات 17-19 فجمع بين التزكي والهدى والخشية كما جمع
 بين العلم والخشية في قوله { إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهُ مِنْ عِبَادِ الْعُلَمَاءِ
 فاطر 28 وفي قوله { وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ
 لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ } الأعراف 154 وفي قوله { وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا
 يُوَعَّظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَنْهِيَّاً } 66 { وَإِذَا لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ
 لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا } 67 { وَلَهُدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا } 68
 النساء 66-68 وذلك لما ذكرنا من أن كل واحد من العلم بالحق
 الذى يتضمنه التذكر والذكر الذى يحدثه القرآن ومن الخشية
 المانعة من إتباع الهوى سبب لصلاح حال الإنسان وهو مستلزم
 للأخر إذا قوى على ضده فإذا قوى العلم والتذكر دفع الهوى وإذا
 إندفع الهوى بالخشية أبصر القلب وعلم وهاتان هما الطريقة
 العلمية والعملية كل منهما إذا صحت تستلزم ما تحتاج إليه من
 الأخرى وصلاح العبد ما يحتاج إليه ويجب عليه منهما جميعا
 ولهذا كان فساده بإنتقاء كل منهما فإذا إنتفى العلم الحق كان ضالا
 غير مهتد وإذا إنتفى إتباعه كان غاويا مغضوبا عليه ولهذا
 قال { صِرَاطُ الدِّينِ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ عَيْرَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا
 الضَّالِّينَ } الفاتحة 7 وقال { وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَى } 1 { مَا ضَلَّ
 صَاحِبُكُمْ وَمَا عَوَى } 2 { وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى } 3 { إِنْ هُوَ إِلَّا
 وَحْيٌ يُوحَى } 4 { النجم 1-4 وقال في ضد ذلك { إِنْ يَتَنَعَّمُونَ إِلَّا
 الظُّنُّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ } 5 { النجم 23 وقال { وَمَنْ أَضَلُّ مِنْ
 اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنْ اللَّهِ } 6 { الفصل 50 وقال { وَإِنَّ كَثِيرًا
 لَيُضْلِلُنَّ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ } الأنعام 119

وجود العلم بخبر من الأخبار هو الضابط في حصول التواتر

*فالأسباب العارضة لغلط الحس والباطن أو الظاهر والعقل بمنزلة المرض العارض لحركة البدن والنفس والأصل هو الصحة في الإدراك وفي الحركة فإن الله خلق عباده على الفطرة وهذه الأمور يعلم الغلط فيها بأسبابها الخاصة كالمرة الصفراء العارضة للطعم وكالحول في العين ونحو ذلك وإنما فمن حاسب نفسه على ما يجزم به وجد أكثر الناس الذين يجزمون بما لا يجزم به إنما جزمه لنوع من الهوى كما قال تعالى **{وَإِنْ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ}** {الأنعام 119} وقال **{وَمَنْ أَصْلَى مِنْ أَنَّهُ أَتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ}** {القصص 50} ولهذا تجد اليهود يصمدون ويصررون على باطلهم لما في نفوسهم من الكبر والحسد والقسوة وغير ذلك من الأهواء وأما النصارى فأعظم ضلالاً منهم وإن كانوا في العادة والأخلاق أقل منهم شرًا فليسوا جازمين بغالب ضلالهم بل عند الاعتبار تجد من ترك الهوى من الطائفتين ونظر نوع نظر تبين له الإسلام حقه والمقصود هنا أن معرفة الإنسان بكونه يعلم أو لا يعلم مرجعه إلى وجود نفسه عالمة ولهذا لا نحتاج على منكر العلم إلا بوجودنا نفوسنا عالمة كما احتجوا على منكري الأخبار المتواترة بأننا نجد نفوسنا عالمة بذلك وجازمة به كعلمنا وجزمنا بما أحسنناه وجعل المحققون وجود العلم بخبر من الأخبار هو الضابط في حصول التواتر إذ لم يحده بعده ولا صفة بل متى حصل العلم كان هو المعتبر والإنسان يجد نفسه عالمة وهذا حق **فإنه لا يجوز أن يستدل الإنسان على كونه عالماً بدليل فإن علمه بمقدمات ذلك الدليل يحتاج إلى أن يجد نفسه عالمة بها فلو احتاج علمه بكونه عالماً إلى دليل أفضى إلى الدور أو التسلسل ولهذا لا يحس الإنسان بوجود العلم عند وجود سببه إن كان بديهيًا أو إن كان نظريًا إذا علم المقدمتين وبهذا استدل على منكري إفادته**

النظر العلم وإن كان في هذه المسألة تفصيل ليس هذا موضعه فالغرض أن من نظر في دليل يفيد العلم وجد نفسه عالمة عند علمه بذلك الدليل كما يجد نفسه سامعة رأية عند الاستماع للصوت والترائي للشمس أو الهلال أو غير ذلك والعلم يحصل في النفس كما تحصل سائر الإدراكات والحركات بما يجعله الله من الأسباب وعامة ذلك بملائكة الله تعالى فإن الله سبحانه ينزل بها على قلوب عباده من العلم والقوة وغير ذلك ما يشاء ولهذا قال النبي لحسان اللهم أいで بروح القدس وقال تعالى {كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْنَا} المجادلة 22 وقال صلى الله عليه وسلم من طلب القضاء واستعن عليه وكل إليه ومن لم يطلب القضاء ولم يستعن عليه أنس الله عليه ملكا يسده و قال عبدالله بن مسعود كنا نتحدث أن السكينة تتطق على لسان عمر وقال ابن مسعود أيضا أن للملك لمة وللشيطان لمة فلمة الملك إيعاد بالخير وتصديق بالحق ولمة الشيطان إيعاد بالشر وتذيب بالحق وهذا الكلام الذي قاله ابن مسعود هو محفوظ عنه وربما رفعه بعضهم إلى النبي وهو كلام جامع لأصول ما يكون من العبد من علم وعمل من شعور وإرادة وذلك أن العبد له قوة الشعور والإحساس والإدراك وقوة الإرادة والحركة وإداهما أصل الثانية مستلزمة لها والثانية مستلزمة للأولى ومكملا لها فهو بالأولى يصدق بالحق ويذكي بالباطل وبالثانية يحب النافع الملائم له ويبغض الضار المنافي له والله سبحانه خلق عباده على الفطرة التي فيها معرفة الحق والتصديق به ومعرفة الباطل والتذكي به ومعرفة النافع الملائم والمحبة له ومعرفة الضار المنافي والبغض له بالفطرة فما كان حقا موجودا صدقت به الفطرة وما كان حقا نافعا عرفته الفطرة فأحبته واطمانت إليه وذلك هو المعروف وما كان باطلا معدوما كذبت به الفطرة فأبغضته الفطرة فانكرته قال تعالى {يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهِيَّهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ} الأعراف 157 والإنسان كما سماه النبي حيث قال أصدق الأسماء حارث وهمام فهو دائمًا يهم

ويعمل لكنه لا يergus نفعه أو دفع مضرته ولكن قد يكون ذلك الرجاء مبينا على اعتقاد باطل إما في نفس المقصود فلا يكون نافعا ولا ضارا وإما في الوسيلة فلا تكون طريقة إليه وهذا جهل وقد يعلم أن هذا الشيء يضره وي فعله ويعلم أنه ينفعه ويتركه لأن ذلك العلم عارضه ما في نفسه من طلب لذة أخرى أو دفع ألم آخر جاهلا ظالما حيث قدم هذا على ذاك ولهذا قال أبو العالية سألت أصحاب محمد فمبدأ العلم الحق والإرادة الصالحة من لمة الملك ومبدأ الاعتقاد الباطل والإرادة الفاسدة من لمة الشيطان قال الله تعالى {الشَّيْطَانُ يَعْدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعْدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلَيْمٌ} البقرة 268 وقال تعالى {إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أُولَيَاءَهُ} آل عمران 175 أي يخوكم أولياءه وقال تعالى {وَإِذْ رَزَّيْنَا لَهُمُ الشَّيْطَانَ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ} الأنفال 48 والشيطان وسواس خناس إذا ذكر العبد ربها خنس فإذا غفل عن ذكره وسوس فلهذا كان ترك ذكر الله سببا ومبدأ لنزول الاعتقاد الباطل والإرادة الفاسدة في القلب ومن ذكر الله تعالى تلاوة كتابه وفهمه ومذكرة العلم كما قال معاذ بن جبل ومذكرته تسبيح

232

لا يحل لأحد أن يتكلم في الدين بلا علم

* ومن أصر على فعل شيء من البدع وتحسينها فإنه ينبغي أن يعزز تعزيزه وآمثاله عن مثل ذلك ومن نسب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الباطل خطأ فإنه يعرف فإن لم ينته عوقب ولا يحل لأحد أن يتكلم في الدين بلا علم ولا يعين من تكلم

في الدين بلا علم أو أدخل في الدين ما ليس منه وأما قول القائل كل يعمل في دينه الذي يشتهي فهي كلمة عظيمة يجب أن يستتب منها وإلا عوقب بل الإصرار على مثل هذه الكلمة يوجب القتل فليس لأحد أن يعمل في الدين إلا ما شرعه الله ورسوله دون ما يشتهيه ويهاوه قال الله تعالى {وَمَنْ أَضَلَّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هُوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ} القصص 50 وقال تعالى {وَإِنَّ كَثِيرًا لِّيُضْلِلُونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ} الأنعام 119
 {وَلَا تَتَّبِعُ الْهَوَى فَيُضْلِلُكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} ص 26 وقال {وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلٍ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ} المائدة 77 وقال تعالى {أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هُوَاهُ أَفَإِنَّتِ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا} {43} أَمْ تَحْسُبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامَ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا} 44 الفرقان 43-44 وقال تعالى {فَلَا وَرَبَّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} النساء 65 وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال والذى نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به قال تعالى {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَكَّمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكُفُّرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضْلِلُهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا} 60 {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ نَعَلُوا إِلَى مَا أُنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْدُودَ} 61 النساء 60-61 وقال تعالى {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءٌ شَرَّعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذِنْ بِهِ اللَّهُ} الشورى 21 وقال تعالى {المص} 1 {كَتَابٌ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مَّنْهُ لِتَنذَرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ} 2 {اتَّبِعُوا مَا أُنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِّنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أُولَئِيَّاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ} 3 الأعراف 3-1
 وقال تعالى {وَلَوْ أَتَبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ} المؤمنون 71 وأمثال هذا في القرآن كثير

فتبيّن أن على العبد أن يتبع الحق الذي بعث الله به رسوله ولا يجعل دينه تبعاً لهواه و الله أعلم²³³

النفس خائنة لها في السر أهواء و أفعال باطنة

*النفس خائنة لها في السر أهواء و أفعال باطنة تخفي على الناس قال تعالى {يَعْلُمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ} غافر 19 وقال تعالى {وَدَرُّوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَةَ} الأنعام 120 وقال تعالى {قُلْ إِنَّمَا حَرَمَ رَبُّ الْفَوَاحِشِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ} الأعراف 33²³⁴

* ومن هذا الباب ما يفعله قوم من المتزهدة من كشف سوءاتهم في سمعاتهم و حماماتهم او غير ذلك ويقولون هذا طريقنا وهذا في طريقنا فهذا مثل قولهم {وَإِذَا فَعَلُوا فَاحْشَهُ قَلُّوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمْرَنَا بِهَا} الأعراف 28 وبلغ من ذلك تعبد طوائف من المتزهدة والمتعبدة بمعاشرة الاحداث المردان والنساء الاجانب والنظر اليهم والخلوة بهم والمحبة والهوى فيهم وبما قد يكون وقد لا يكون وراء ذلك من الفاحشة الكبرى وهذا ابتدأه المشركون من الصابئة وغير الصابئة الذين هم اولىء الشياطين الذين هم مشركون كما ذكر ابن سينا في إشاراته وزعم انه مما يعين على السلوك والتلاؤه العشق العفيف واستماع الاصوات الملحنة كما ذكر ايضا الشرك بعبادة الصور ويدرك هو وطائفته عبادة الكواكب وهذا في النصارى ايضا منه جانب قوي وهم ايضا قد ابتدعوا شركا لم ينزل الله به سلطانا كما قال تعالى اتخذوا احبارهم ورہبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما امرؤا الا ليعبدوا لها واحدا لا الله الا هو سبحانه

²³³الفتاوى الكبرى ج: 1 ص: 4

²³⁴مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 447

عما يشركون سورة التوبة 31 ولهذا كثر هذا في طوائف
 الزهاد والعباد من هذه الامة من المبتدعة الخارجين عن الشريعة
 ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم من هذا الوجه وان كانوا من
 وجه اخر داخلين فيها فهذا شأن الطرائق المبتدعة كلها
 يجتمع فيها الحق والباطل ومن المعلوم ان هذا الذي يفعلونه من
 الفواحش الظاهرة او الباطنة وقد قال تعالى {وَدَرُوا
**ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَةً إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيْجَرُونَ بِمَا كَانُوا
 يَعْتَرِفُونَ} الأنعام 120 وقد قال في الصحيحين عن ابن عباس
 ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال العينان تزنيان
 وزناهما النظر الاذنان وزناهما السمع واللسان يزني
 وزناه النطق والقلب يتمنى ذلك ويشهي والفرج يصدق ذلك
 ويكتبه فما كان من السمع والبصر واللسان في هذا الباب فهو من
 زنا والزنا من الفواحش والله لا يأمر بالفحشاء فالله تعالى لا
 يأمر ان يعبده ويقترب اليه بالعشرة للمردان الصباح والنظر
 اليهم والاصقاء الى كلامهم ونحو ذلك {أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا
 تَعْلَمُونَ} الأعراف 28 بل قد حرم الفواحش ما ظهر منها وما
 بطن وان اتي هذه الفواحش معقدا تحريمها فهو من المسلمين
 الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ابي ذر من
 مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة وان زنا وان سرق فإن
 المسلم الذي يأتي بفاحشة اما ان يتوب الى الله ويستغفر له فيدخل
 في قوله {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ
 فَاسْتَغْفِرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا
 فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ} 135 {أُولَئِكَ جَرَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِّنْ رَبِّهِمْ
 وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ
 الْعَالَمِينَ} 136 {ال عمران 135-136 والمسلم اذا اتي
 الفاحشة لا يكفر وان كان كمال الایمان الواجب قد زال عنه كما
 في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يزني
 الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق
 وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا ينتهب**

نهبة ذات شرف يرفع الناس اليه فيها ابصارهم وهو مؤمن
 فأصل اليمان معه وهو قد يعود الى المعصية ولكن يكون مؤمنا
 اذا فارق الدنيا كما في الصحيح عن عمر ان رجلا كان يدعى
 حمارا وكان يشرب الخمر وكان كلما اتي به الى النبي صلى الله
 عليه وسلم امر بجلده فقال رجل لعنه الله ما اكثر ما يؤتى به الى
 النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا
 تلعنه فإنه يحب الله ورسوله فشهاد له بأنه يحب الله ورسوله ونهى
 عن لعنته كما تقدم في الحديث الآخر الصحيح وان زنا وان سرق
 وذلك ان معه اصل الاعتقاد ان الله حرم ذلك ومعه خطيئة عقاب
 الله ورجاء رحمة الله وايمانه بأن الله يغفر الذنب ويأخذ به فيغفر
 الله له به كما في الصحيح عن ابي هريرة عن النبي صلى الله
 عليه وسلم وقال اذنب عبد ذنبا فقال أي رب اني اذنت ذنبا
 فاغفر لي فقال ربه علم عبدي ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ به قد
 غفرت لعبدي ثم اذنب ذنبا اخر فقال أي رب اذنت ذنبا فاغفره
 لي فقال ربه علم عبدي ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت
 لعبدي ثم اذنب ذنبا آخر فقال أي رب قد اذنت ذنبا فاغفره لي
 فقال علم عبدي ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت لعبدي
 فليفعل ما شاء وكذلك في الصاح من غير وجه حديث الذي
 لم يعمل خيرا قط وقال لأهله اذا انا مت فاحرقوني ثم اسحقوني
 ثم ذروني في يوم ريح الحديث فقال الله له ما حملك على ما
 فعلت قال خشيتك يا رب فغفر الله له بتلك الخشية²³⁵

الأدلة الصحيحة لا تتناقض

* وأحق الناس بالحق من علق الأحكام بالمعاني التي علقها بها
 الشارع وهذا موضع تفاوت فيه الناس وتنازعوا هل يستفاد ذلك

²³⁵ الاستقامة ج: 2 ص: 178

من خطاب الشارع أو من المعاني القياسية فقوم زعموا أن أكثر أحكام أفعال العباد لا يتناولها خطاب الشارع بل تحتاج إلى القياس وقوم زعموا أن جميع أحكامها ثابتة بالنص وأسرفوا في تعلقهم بالظاهر حتى أنكروا فحوى الخطاب وتتبّعه كقوله تعالى { فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفْ } الإسراء 23 وقالوا إن هذا لا يدل إلا على النهي عن التأفيض لا يفهم منه النهي عن الضرب والشتم وانكروا تفريح المناط وادعوا في الألفاظ من الظهور ما لا تدل عليه وقوم يقدمون القياس تارة لكون دلالة النص غير تامة أو لكونه خبر الواحد وأقوام يعارضون بين النص والقياس ويقدمون النص ويتناقضون ونحن قد بینا في غير هذا الموضوع أن الأدلة الصحيحة لا تتناقض فلا تتناقض الأدلة الصحيحة العقلية والشرعية ولا تتناقض دلالة القياس إذا كانت صحيحة ودلالة الخطاب إذا كانت صحيحة فإن القياس الصحيح حقيقة التسوية بين المتماثلين وهذا هو العدل الذي أنزل الله به الكتب وأرسل به الرسل والرسول لا يأمر بخلاف العدل ولا يحكم في شيئين متماثلين بحكمين مختلفين ولا يحرم الشيء ويحل نظيره وقد تأملنا عامة المواضع التي قيل إن القياس فيها عارض النص وإن حكم النص فيها على خلاف القياس فوجدنا ما خصه الشارع بحكم عن نظائره فإنما خصه به لاختصاصه بوصف أوجب اختصاصه بالحكم كما خص العرايا بجواز بيعها بمثلها خرصة لتعذر الكيل مع الحاجة إلى البيع وال الحاجة توجب الانتقال إلى البدل عند تعذر الأصل فالخرص عند الحاجة قام مقام الكيل كما يقوم التراب مقام الماء والميّة مقام المذكى عند الحاجة وكذلك قول من قال القرض أو الإجراء أو القراض أو المسافة أو المزارعة ونحو ذلك على خلاف القياس إن أراد به أن هذه الأفعال اختصت بصفات أوجبت أن يكون حكمها مخالفًا لحكم ما ليس مثلاً لها فقد صدق وهذا هو مقتضى القياس وإن أراد أن الفعلين المتماثلين حكم فيما بحكمين مختلفين فهذا خطأ ينزعه عنه من هو دون الأنبياء صلوات الله عليهم ولكن هذه الأقيسة

المعارضة هي الفاسدة كقياس الذين قالوا { إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَمَ الرِّبَا } البقرة 275 وقياس الذين قالوا أتكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتل الله يعنون الميتة وقال تعالى { وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوَحُّونَ إِلَى أَوْلِيَاءِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنَّ أَطْعَثُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ } الأنعام 121 ولعل من رزقه الله فهما وآتاه من لدنه علما يجد عامة الأحكام التي تعلم بقياس شرعى صحيح يدل عليها الخطاب الشرعى كما أن غاية ما يدل عليه الخطاب الشرعى هو موافق للعدل الذى هو مطلوب القياس الصحيح وإذا كان الأمر كذلك فالكلام في أعيان أحوال الرجل السالك يحتاج إلى نظر خاص واستهداء من الله و الله قد أمر العبد أن يقول في كل صلاة { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ }6 صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضاللين }7 الفاتحة 7-6 فعل العبد أن يجتهد في تحقيق هذا الدعاء ليصير من الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا

236

وجماع شبه هؤلاء الكفار أنهم قاسوا الرسول على من فرق الله بينه وبينه وكفروا بفضل الله الذى اختص به رسle فأتوا من جهة القياس الفاسد ولا بد فى القياس من قدر مشترك بين المشبه والمشبه به مثل جنس الوحي والتنزيل فان الشياطين ينزلون على أوليائهم ويوحون إليهم كقوله سبحانه { هَلْ أَنْبِئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ }221 { تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّالِ أَثْيَمْ }222 { يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَادِبُونَ }223 الشعراء 221-223

237

²³⁶الفتاوى الكبرى ج: 2 ص: 516-517

²³⁷مجموع الفتاوى ج: 12 ص: 18

القياس الذي يتبع

*أن النصوص شاملة لعامة أحكام الأفعال وكان الإمام أحمد يقول أنه ما من مسألة يسأل عنها إلا وقد تكلم الصحابة فيها أو في نظيرها والصحابة كانوا يتحجون في عامة مسائلهم بالنصوص كما هو مشهور عنهم وكانوا يجتهدون رأيهم ويتكلمون بالرأي ويتحجون بالقياس الصحيح أيضاً والقياس الصحيح نوعان أحدهما أن يعلم أنه لا فارق بين الفرع والأصل إلا فرق غير مؤثر في الشرع كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصحيح أنه سئل عن فارة وقعت في سمن فقال ألقوها وما حولها وكلوا سمنكم وقد أجمع المسلمين على أن هذا الحكم ليس مختصاً بتلك الفارة وذلك السمن فلهذا قال جماهير العلماء إن أي نجاسة وقعت في دهن من الأدهان كالفارة التي تقع في الزيت وكذلك الذي يقع في السمن فحكمها حكم تلك الفارة التي وقعت في السمن ومن قال من أهل الظاهر إن هذا الحكم لا يكون إلا في فارة وقعت في سمن فقد أخطأ فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يخص الحكم بتلك الصورة لكن لما استفتي عنها أفتى فيها والاستفتاء إذا وقع عن قضية معينة أو عن نوع فأجاب المفتى عن ذلك خصه لكونه سئل عنه لا ختصاصه بالحكم ومثل هذا أنه سئل عن رجل أحرم بالعمرة وعليه جبة مضمخة بخلوق فقال انزع عنك الجبة واغسل عنك الخلوق واصنع في عمرتك ما كنت تصنع في حبك فأجابه عن الجبة ولو كان عليه قميص أو نحوه كان الحكم كذلك بالإجماع والنوع الثاني من القياس أن ينص على حكم لمعنى من المعاني ويكون ذلك المعنى موجوداً في غيره فإذا قام دليل من الأدلة على أن الحكم متعلق بالمعنى المشترك بين الأصل والفرع سوى بينهما وكان هذا قياساً صحيحاً فهذا النوعان كان الصحابة والتابعون لهم بإحسان يستعملونهما وهم من باب فهم مراد الشارع فإن الاستدلال بكلام الشارع بتوقف على أن يعرف

ثبوت اللفظ عنه وعلى أن يعرف مراده باللفظ وإذا عرفنا مراده فإن علمنا أنه حكم للمعنى المشترك لا لمعنى يخص الأصل أثبتنا الحكم حيث وجد المعنى المشترك وإن علمنا أنه قصد تخصيص الحكم بمورد النص منعنا القياس كما أنه علمنا ان الحج خص به الكعبة وان الصيام الفرض خص به شهر رمضان وان الاستقبال خص به جهة الكعبة وأن المفروض من الصلوات خص به الخمس ونحو ذلك فإنه يمتنع هنا أن نقيس على المنصوص غيره وإذا عين الشارع مكاناً أو زماناً للعبادة كتعيين الكعبة وشهر رمضان أو عين بعض الأقوال والأفعال كتعيين القراءة في الصلاة والركوع والسجود بل وتعيين التكبير وأم القرآن فإلحاق غير المنصوص به يشبه حال أهل اليمن الذين أسقطوا تعين الأشهر الحرم وقالوا المقصود أربعة أشهر من السنة فقال تعالى {إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضْلِلُ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَيُّحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لَّيُوَاطُّوْهُ عَدَّةً مَا حَرَمَ اللَّهُ} التوبة 3 وقياس الحال بالنص على الحرام بالنص من جنس قياس الذين قالوا {إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَمَ الرِّبَا} البقرة 275 وكذلك قياس المشركين الذين قاسوا الميتة بالمذكى وقالوا أتأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتل الله قال تعالى {وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوْحُونُ إِلَى أُولَئِكَهُمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطْعَثْمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ} الأنعام 121 فهذه الأقىسة الفاسدة وكل قياس دل النص على فساده فهو فاسد وكل من الحق منصوصاً بمنصوص يخالف حكمه فقياسه فاسد وكل من سوى بين شيئين أو فرق بين شيئين بغير الأوصاف المعتبرة في حكم الله ورسوله فقياسه فاسد لكن من القياس ما يعلم صحته ومنه ما يعلم فساده ومنه ما لم يتبيّن أمره فمن أبطل القياس مطلقاً قوله باطل ومن استدل بالقياس المخالف للشرع فقوله باطل ومن استدل بقياس لم يقم الدليل صحته فقد استدل بما لا يعلم صحته بمنزلة من استدل برواية رجل مجهول لا يعلم عدالته فالحجج الأثرية والنظرية تنقسم إلى ما يعلم صحته وإلى ما يعلم فساده وإلى ما هو موقوف حتى يقوم

الدليل على أحدهما ولفظ النص يراد به تارة الفاظ الكتاب والسنة سواء كان اللفظ دلالة قطعية أو ظاهرة وهذا هو المراد من قول من قال النصوص تتناول أحكام أفعال المكلفين ويراد بالنص ما دلالته قطعية لا تحتمل النقيض قوله { تُلَكَ عَشَرَةً كَامِلَةً }

{ البقرة 196 } **اللهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانُ**

{ الشورى 17 } فالكتاب هو النص والميزان هو العدل والقياس الصحيح من باب العدل فإنه تسوية بين المتماثلين وتفريق بين المختلفين ودلالة القياس الصحيح توافق دلالة النص فكل قياس خالف دلالة النص فهو قياس فاسد ولا يوجد نص يخالف قياسا صحيحا كما لا يوجد معقول صريح يخالف المنقول الصحيح ومن كان متبحرا في الأدلة الشرعية أمكنه أن يستدل على غالب الأحكام بالمنصوص وبالقياسة ²³⁸

* الجمهور الذين يثبتون القياس قالوا قد ثبت عن الصحابة أنهم قالوا بالرأي واجتهد الرأي وقادوا كما ثبت عنهم ذم ما ذموه من القياس قالوا وكلا القولين صحيح فالمذموم القياس المعارض للنص كقياس الذين قالوا إنما البيع مثل الربا وقياس إبليس الذي عارض به أمر الله له بالسجود لأدم وقياس المشركين الذين قالوا أتكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتله الله قال الله تعالى { وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوْحُونُ إِلَى أُولَئِكُمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْنُمُوهُمْ هُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ } الأنعام 121 وكذلك القياس الذي لا يكون الفرع فيه مشاركا للأصل في مناط الحكم فالقياس يخدم إما لغوات شرطه وهو عدم المساواة في مناط الحكم وإما لوجود مانع وهو النص الذي يجب تقديمها عليه وإن كانوا متلازمين في نفس الأمر فلا يفوت الشرط إلا والمانع موجود ولا يوجد المانع إلا والشرط مفقود فاما القياس الذي يستوي فيه الأصل والفرع في مناط الحكم ولم يعارضه ما هو أرجح منه فهذا هو القياس الذي يتبع

²³⁸الفتاوى الكبرى ج: 1 ص: 491-494

ولا ريب أن القياس فيه فاسد وكثير من الفقهاء قاسوا أقيسة فاسدة بعضها باطل بالنص وبعضها مما أنفق السلف على بطلانه لكن بطلان كثير من القياس لا يقتضي بطلان جميعه كما أن وجود الكذب في كثير من الحديث لا يوجب كذب جميعه ومدار القياس على أن الصورتين يستويان في وجوب الحكم ومقتضاه فمتي كان كذلك كان القياس صحيحاً لا شك ولكن قد يظن القياس ما ليس مناط الحكم مناطاً فيغلط لهذا كان عمة القياس عند القياسيين على بيان تأثير المشترك الذي يسمونه جواب سؤال المطالبة وهو أن يقال لا نسلم أن علة الحكم في الأصل هو الوصف المشترك بين الأصل والفرع حتى يلحق هذا الفرع به فإن القياس لا تثبت صحته حتى تكون الصورتان مشتركتين في المشترك المستلزم للحكم إما في العلة نفسها وإما في دليل العلة تارة بإبداء الجامع وتارة بإلغاء الفارق فإذا عرف أنه ليس بين الصورتين فرق يؤثر علم استواهما في الحكم وإن لم يعلم عين الجامع وهم يثبتون قياس الطرد وهو إثبات مثل حكم الأصل في الفرع لاشتراكهما في مناط الحكم وقياس العكس وهو نفي حكم الأصل عن الفرع لافتراقهما في مناط الحكم فهذا يفرق بينهما لأن العلة المثبتة للحكم في الأصل منافية في الفرع وذاك يجمع بينهما لوجود العلة المثبتة في الفرع وهذه الأمور مبوطة في غير هذا الموضع²³⁹

*فإن الاستدلال بكلام الشارع يتوقف على أن يعرف ثبوت اللفظ عنه وعلى أن يعرف مراده باللفظ وإذا عرفنا مراده فان علمنا انه حكم للمعنى المشترك لا لمعنى يخص الأصل أثبتنا الحكم حيث وجد المعنى المشترك وان علمنا انه قصد تخصيص الحكم بمورد النص منعنا القياس كما أنها علمنا ان الحج خص به الكعبة وان الصيام الفرض خص به شهر رمضان وان الاستقبال خص

²³⁹ منهاج السنة النبوية ج: 3 ص: 413-415

به جهة الكعبة وان المفروض من الصلوات خص به الخمس ونحو ذلك فانه يمتنع هنا أن نقيس على المنصوص غيره وإذا عين الشارع مكاناً أو زماناً للعبادة كتعيين الكعبة وشهر رمضان أو عين بعض الأقوال والأفعال كتعيين القراءة في الصلاة والركوع والسجود بل وتعيين التكبير وأم القرآن فالحاج غير المنصوص به يشبه حال أهل اليمن الذين أسقطوا تعين الأشهر الحرم وقالوا المقصود أربعة أشهر من السنة فقال تعالى {إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لَيُوَاطِّئُوا عِدَّةً مَا حَرَمَ اللَّهُ فَيُهِلُّونَ مَا حَرَمَ اللَّهُ رُزِّيْنَ لَهُمْ سُوءٌ أَعْمَالِهِمْ} التوبة 37 وقياس الحال بالنص على الحرام بالنصف من جنس قياس الذين قالوا {إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَمَ الرِّبَا} البقرة 275 وكذلك قياس المشركين الذين قاسوا الميتة بالمذكى وقالوا أتكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتل الله قال تعالى {وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوَحِّونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ} الأنعام 121 وهذه الأقىسة الفاسدة وكل قياس دل النصف على فساده فهو فاسد وكل من الحق منصوصاً بمنصوص يخالف حكمه فقياسه فاسد وكل من سوى بين شيئين أو فرق بين شيئين بغير الأوصاف المعتبرة في حكم الله ورسوله فقياسه فاسد لكن من القياس ما يعلم صحته ومنه ما يعلم فساده ومنه ما لم يتبيّن أمره فمن أبطل القياس مطلقاً فقوله باطل ومن استدل بالقياس المخالف للشرع فقوله باطل ومن استدل بقياس لم يقم الدليل على صحته فقد استدل بما لا يعلم صحته بمنزلة من استدل برواية رجل مجهول لا يعلم عدالته

240

الاسم المجرد لا يفيد الایمان

* و ما ذكره سيبويه وغيره من ائمة النحو ان العرب يحكون بالقول ما كان كلاما لا يحكون به ما كان قوله فالقول لا يحكي به الا كلام تام او جملة اسمية او فعلية ولهذا يكسرون ان جاءت بعد القول فالقول لا يحكي به اسم والله تعالى لا يأمر احدا بذكر اسم مفرد ولا شرع لل المسلمين اسماء مفردا مجردا والاسم المجرد لا يفيد الایمان باتفاق اهل الاسلام ولا يؤمر به في شيء من العبادات ولا في شيء من المخاطبات ونظير من اقتصر على الاسم المفرد ما يذكر ان بعض الاعراب من مؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله بالنصب فقال ماذا يقول هذا هذا الاسم فابن الخبر عنه الذي يتم به الكلام وما في القرآن من قوله {وَأَذْكُرْ أَسْمَ رَبِّكَ وَتَبَّلِّ إِلَيْهِ تَبَّلِّا} المزمول 8 و قوله {سَبِّحْ أَسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} الأعلى 1 و قوله {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَّكَّى} 14 وذكر اسم رببه فصلی 15 الا على 14-15 و قوله {فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ} الواقعه 74 و نحو ذلك لا يقتضي ذكره مفردا بل في السنن انه لما نزل قوله {فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ} الواقعه 74 قال اجعلوها في رکوعكم ولما نزل قوله {سَبِّحْ أَسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} الأعلى 1 قال اجعلوها في سجودكم فشرع لهم ان يقولوا في الرکوع سبحان رب العظيم وفي السجود سبحان ربى الاعلى وفي الصحيح انه كان يقول في رکوعه سبحان ربى العظيم وفي سجوده سبحان ربى الاعلى وهذا هو معنى قوله اجعلوها في رکوعكم وسجودكم باتفاق المسلمين فتسبيح اسم ربها الاعلى وذكر اسم ربه و نحو ذلك هو بالكلام التام المفيد كما في الصحيح عنه انه قال افضل الكلام بعد القرآن اربع و هن من القرآن سبحان الله والحمد لله ولا الله الا الله والله اكبر وفي الصحيح عنه انه قال كلمتان خفيقتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وفي الصالحين عنه

صلى الله عليه وسلم انه قال من قال فى يومه مائة مره لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير كتب الله له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يسمى ولم يأت احد بأفضل مما جاء به الا رجل قال مثل ما قال او زاد عليه ومن قال فى يومه مائة مره سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم

حطت عنه خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر وفي الموطأ وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال افضل ما قلتهانا والنبيون من قبلى لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وفي سنن ابن ماجة وغيره عنه انه قال افضل الذكر لا اله الا الله وافضل الدعاء الحمد لله ومثل هذه الأحاديث كثيرة في انواع ما يقال من الذكر والدعاء وكذلك ما في القرآن من قوله تعالى **{وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكُرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ} الأنعام 121** قوله **{فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ}** المائدة 4 انما هو قوله بسم الله وهذا جملة تامة اما اسمية على اظهر قولى النها او فعلية والتقدير ذبحى باسم الله او اذبح باسم الله وكذلك قول القارئ باسم الله الرحمن الرحيم فتقديره قراعتى باسم الله او اقرأ باسم الله ومن الناس من يضرم في مثل هذا ابتدائي باسم الله او ابتدأت باسم الله والأول احسن لأن الفعل كله مفعول بسم الله ليس مجرد ابتدائه كما اظهر المضمر في قوله **{اَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} العلق 1** وفي قوله **{بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمَرْسَاهَا}** هود 41 وفي قول النبي من كان ذبح قبل الصلاة فليذبح مكانها اخرى ومن لم يكن ذبح فليذبح باسم الله ومن هذا الباب قول النبي في الحديث الصحيح لربيبة عمر بن ابي سلمة سم الله وكل بيمنيك وكل مما يليك فالمراد ان يقول باسم الله ليس المراد ان يذكر الاسم مجردا وكذلك قوله في الحديث الصحيح لعدى بن حاتم اذا ارسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله فكل وكذلك قوله اذا دخل الرجل منزله فذكر اسم الله عند دخوله وعند خروجه وعند طعامه قال الشيطان لا مبيت لكم ولا عشاء وامثال ذلك

كثير وكذلك ما شرع لل المسلمين في صلاتهم وادانهم وحدهم
واعيادهم من ذكر الله تعالى انما هو بالحملة التامة كقول المؤذن
الله اكبر الله اكبر اشهد ان لا اله الا الله اشهد ان محمدا رسول الله
وقول المصلى الله اكبر سبحان رب العظيم سبحان رب الاعلى
سمع الله لمن حمده ربنا وللحمد التحيات الله وقول الملبي لبيك
اللهم لبيك وامثال ذلك فجميع ما شرعه الله من الذكر انما هو
كلام تام لا اسم مفرد لا مظاهر ولا مضمر وهذا هو الذي يسمى
في اللغة كلمة قوله كلمتان خفيتان على اللسان ثقيلتان في
الميزان حبيتان إلى الرحمن سبحان الله العظيم قوله
افضل كلمة قالها الشاعر كلمة لبيك إلا كل شيء ما خلا الله باطل
ومنه قوله تعالى {كَبَرَتْ كَلِمَةٌ تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ} الكهف 5
الآية وقوله {وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا} الأنعام 115
وامثال ذلك مما استعمل فيه لفظ الكلمة في الكتاب والسنة بل
وسائل كلام العرب فانما يراد به الجملة التامة كما كانوا
يستعملون الحرف في الاسم فيقولون هذا حرف غريب اي لفظ
الاسم غريب وقسم سيبوية الكلام إلى اسم و فعل وحرف جاء
لمعنى ليس باسم وفعل وكل من هذه الأقسام يسمى حرفا لكن
خاصية الثالث انه حرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل وسمى
حروف الهجاء باسم الحرف وهي اسماء ولفظ الحرف يتناول
هذه الاسماء وغيرها كما قال النبي من قرأ القرآن فأعربه فله
بكل حرف عشر حسنت اما انى لا اقول الم حرف ولكن
الف حرف ولام حرف وميم حرف وقد سأله الخليل اصحابه
عن النطق بحرف الزاي من زيد فقالوا زاي فقال جئتم بالاسم
وانما الحرف ز ثم ان النحو اصطاحوا على ان هذا
السمى في اللغة بالحرف يسمى كلمة وان لفظ الحرف يخص
لما جاء المعنى ليس باسم ولا فعل كحرروف الجر ونحوها واما
الفاظ حروف الهجاء فيعبر تارة بالحرف عن نفس الحرف من
اللفظ وتارة باسم ذلك الحرف ولما غالب هذا الاصطلاح صار
يتوهם من اعتاده انه هكذا في لغة العرب ومنهم من يجعل لفظ

الكلمة في اللغة لفظا مشتركا بين الاسم مثلا وبين الجملة ولا يعرف في صريح اللغة من لفظ الكلمة الا الجملة التامة والمقصود هنا ان المشروع في ذكر الله سبحانه هو ذكره بجملة تامة وهو المسمى بالكلام والواحد منه بالكلمة وهو الذي ينفع القلوب ويحصل به الثواب والأجر والقرب إلى الله ومعرفته ومحبته وخشيته وغير ذلك من المطالب العالية والمقاصد السامية وأما الاقتصار على الاسم المفرد مظهرا او مضمرا فلا اصل له (كما يقول بعض المتصوفة وغيرهم قول (الله) فقط على اعتبار انه ذكر) فضلا عن ان يكون من ذكر الخاصة والعارفين بل هو وسيلة الى انواع من البدع والضلالات وذرية الى تصورات احوال فاسدة من احوال اهل الاتحاد واهل الاتحاد كما قد بسط الكلام عليه في غير هذا الموضوع²⁴¹

الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان

* وقد بين سبحانه وتعالى في كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ان الله أولياء من الناس وللشيطان أولياء ففرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان وإذا عرف أن الناس فيهم أولياء الرحمن وأولياء الشيطان فيجب أن يفرق بين هؤلاء وهؤلاء كما فرق الله ورسوله بينهما فأولياء الله هم المؤمنون المتقوون كما قال تعالى { إِنَّ أَوْلَيَاءَ اللَّهِ لَا يَخْوُفُ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ }⁶² { الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ }⁶³ 63-62 يونس وفي الحديث الصحيح الذي رواه البخاري وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي قال يقول الله من عادى لي ولها فقد بارزني بالمحاربة أو فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلى عبدي بمثل أداء ما

²⁴¹ مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 233 و الفتوى الكبرى ج: 2 ص: 411

افتصرت عليه ولا يزال عبدي يتقرّب إلى بالنواقل حتى أحبه
أحبيته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده
التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبها يسمع وبها يبصر وبي
ي بطش وبها يمشي ولئن سألني لاعطينه ولئن استعذ بي لأعذنه
وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددت عن قبض نفس عبدي
المؤمن يكره الموت وأكره مساعته ولا بد له منه وهذا أصح
حديث يروي في الأولياء فيبين النبي أنه من عادى ولها الله فقد
بارز الله بالمحاربة وفي حديث آخر وإنني لأنّي لأوليائي كما
يثار الليث الحرب أي آخذ ثارهم ومن عادهم كما يأخذ الليث
الحرب ثاره وهذا لأن أولياء الله هم الذين أمنوا به ووالوه فأحبوا
ما يحب وأبغضوا ما يبغض ورضوا بما يرضى وسخطوا بما
يسخط وأمرروا بما أمر ونهى عما نهى وأعطوا لمن يحب أن
يعطى ومنعوا من يحب أن يمنع كما في الترمذى وغيره عن
النبي أنه قال أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله
وفي حديث آخر رواه أبو داود قال ومن أحب الله وأبغض الله
وأعطى الله ومنع الله فقد استكمل الإيمان و الولائية ضد
العداوة وأصل الولائية المحبة والقرب وأصل العداوة البغض
والبعد وقد قيل أن الولى سمي ولها من مواليه للطاعات اي
متابعاته لها والأول اصح والولى القريب فيقال هذا يلى هذا اي
يقرب منه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الحقوا الفرائض
بأهلها فما ابقيت الفرائض فلأولى رجل ذكر اي لأقرب رجل
إلى الميت واكده بلفظ الذكر ليبين انه حكم يختص بالذكر
ولا يشترك فيها الذكور والإناث كما قال في الزكاة فابن لبون
ذكر فإذا كان ولى الله هو الموافق المتبع له فيما يحبه
ويرضاه ويبغضه ويُسخطه ويأمر به وينهى عنه كان المعادي
لوليه معاديا له كما قال تعالى { لَا تَتَّخِذُوا عَدُوّي وَعَدُوّكُمْ }

أَوْلِيَاءُ تُقْنَوْنَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ } الْمَتَحْنَةُ¹ فَمَنْ عَادَى أَوْلِيَاءَ اللَّهِ فَقَدْ
عَادَهُ وَمَنْ عَادَهُ فَقَدْ حَارَبَهُ فَلَهُذَا قَالَ وَمَنْ عَادَى لَيْ وَلِيَا فَقَدْ
بَارَزَنِي بِالْمُحَارَبَةِ

* وأولياء الله المتقوون هم الذين فعلوا المأمور وتركوا المحظور
وصبروا على المقدور فأحبهم واحبوه ورضي عنهم ورضوا
عنه واعداوه أولياء الشياطين وان كانوا تحت قدرته فهو يبغضهم
ويغضب عليهم ويلعنهم ويعاديهم ومجامع الفرق بين
أولياء الرحمن وأولياء الشيطان وجمع الفرق بينهما اعتبارهم
بموافقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه هو الذي فرق الله
تعالى به بين أوليائه السعداء واعدائه الاشقياء وبين أوليائه أهل
الجنة واعدائه أهل النار وبين أوليائه أهل الهدى والرشاد وبين
اعدائه أهل الغى والضلال والفساد واعدائه حزب الشيطان
وأوليائه الذين كتب في قلوبهم الإيمان وايدهم بروح منه قال
تعالى {لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادِونَ مَنْ
حَادَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ } المجادلة 22 الآية وقال تعالى {إِذْ يُؤْحِي
رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَتَبَّوَّأُ الَّذِينَ آمَنُوا سَاقِيَ فِي قُلُوبِ
الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّاغِبِ فَاضْرِبُوهُ أَفْوَقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوهُ أَمْنِهُمْ كُلَّ
بَنَانٍ } الأنفال 12 وقال في اعدائه { وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوَحِّنُ
إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ } الأنعام 121

* اخبر الله سبحانه وتعالى ان الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون
بهدى الله الذي بعث به رسلاه

* وهؤلاء (صوفية الملاحدة الفلسفه) تؤتيمهم أرواح تخاطبهم
وتتمثل لهم وهي جن وشياطين فيظنونها ملائكة كالآرواح التي

²⁴²مجموع الفتاوى ج: 11 ص: 159

²⁴³مجموع الفتاوى ج: 11 ص: 272

²⁴⁴الاستقامة ج: 2 ص: 171

تختلط من يعبد الكواكب والأصنام وكان من أول ما ظهر من هؤلاء في الإسلام المختار ابن أبي عبيد الذي أخبر به النبي في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم في صحيحه عن النبي أنه قال سيكون في ثقيف كذاب ومبير وكان الكذاب المختار بن أبي عبيد والمبير الحاج بن يوسف فقيل لابن عمر وابن عباس ان المختار يزعم انه ينزل إليه فقالا صدق قال الله تعالى {هل أنبئكم على من تنزل الشياطين} 221 {تنزل على كل أفاك أثيم} 222 {الشعراء} 222-221 وقال الآخر وقيل له ان المختار يزعم انه يوحى إليه فقال الله تعالى {وإن الشياطين ليُوحُون إلى أولئكهم ليجادلوكم} الانعام 121

الرسالة روح العالم ونوره وحياته

قاعدة نافعة في وجوب الاعتصام بالرسالة وبيان ان السعادة والهدى في متابعة الرسول وأن الضلال والشقاء في مخالفته وأن كل خير في الوجود إما عام وإما خاص فمنشأه من جهة الرسول وأن كل شر في العالم مختص بالعبد فسببه مخالفة الرسول أو الجهل بما جاء به وأن سعادة العباد في معاشهم ومعادهم باتباع الرسالة والرسالة ضرورية للعباد لابد لهم منها و حاجتهم إليها فوق حاجتهم إلى كل شيء والرسالة روح العالم ونوره وحياته فأى صلاح للعالم إذا عدم الروح والحياة والنور والدنيا مظلمة ملعونة إلا ما طلعت عليه شمس الرسالة وكذلك العبد ما لم تشرق في قلبه شمس الرسالة ويناله من حياتها وروحها فهو في ظلمة وهو من الأممات قال الله تعالى {أَوْ مَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيِنَا وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُماتِ لَئِنْ

مجموع الفتاوى ج: 11 ص: 238-239²⁴⁵

بِخَارِجٍ مِّنْهَا } الْأَنْعَامٌ 122 فهذا وصف المؤمن كان ميتاً في ظلمة الجهل فأحياه الله بروح الرسالة ونور الإيمان وجعل له نوراً يمشي به في الناس وأما الكافر فميت القلب في الظلمات وسمى الله تعالى رسالته روحها والروح اذا عدم فقد فقدت الحياة قال الله تعالى {وَكَذَلِكَ أُوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا إِلِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا أَنْهَدِي بِهِ مَنْ نَشَاءَ مِنْ عِبَادِنَا } الشورى 52 ذكر هنا الأصلين وهم الروح والنور فالروح الحياة والنور النور وكذلك يضرب الله الأمثال للوحي الذي انزله حياة للقلوب ونوراً لها بالماء الذي ينزله من السماء حياة للأرض وبالنار التي يحصل بها النور وهذا كما في قوله تعالى {أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِ هَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًّا وَمَمَا يُوْقَدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حَلْيَةً أَوْ مَتَاعً زَبَدًا مَثْلَهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَدْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ } الرعد 17 فشبه العلم بالماء المنزَل من السماء لأن به حياة القلوب كما ان

بالماء حياة الأبدان وشبه القلوب بالأودية لأنها محل العلم كما ان الأودية محل الماء فقلب يسع علمًا كثيراً وواد يسع ماءً كثيراً وقلب يسع علمًا قليلاً وواد يسع ماءً قليلاً وأخبر تعالى أنه يعلو على السبيل من الزبد بسبب مخالطته للماء وأنه يذهب جفاءً أى يرمى به ويختفي والذى ينفع الناس يمكث في الأرض ويستقر وكذلك القلوب تغالطها الشهوات والشبهات فإذا ترابى فيها الحق ثارت فيها تلك الشهوات والشبهات ثم تذهب جفاءً ويستقر فيها الإيمان والقرآن الذي ينفع صاحبه والناس وقال {وَمَمَا يُوْقَدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حَلْيَةً أَوْ مَتَاعً زَبَدًا مَثْلَهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ } الرعد 17 فهذا المثل الآخر وهو النارى فال الأول للحياة والثانى للضياء ونظير هذين المثالين المثالان المذكوران في سورة البقرة في قوله تعالى {مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا } البقرة 17 الى قوله {أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ

ظلماً وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ } البقرة 19 الى آخر الآية واما الكافر ففي
ظلمات الكفر والشرك غير حي وإن كانت حياته حياة بهيمية فهو
عادم الحياة الروحانية العلوية التي سببها سبب الإيمان وبها
يحصل للعبد السعادة والفرح في الدنيا والآخرة فان الله سبحانه
جعل الرسل وسائل بينه وبين عباده في تعريفهم ما ينفعهم وما
يضرهم وتمكيل ما يصلحهم في معاشهم ومعادهم وبعثوا جميعا
بالدعوة إلى الله وتعريف الطريق الموصل إليه وبيان حالهم بعد
الوصول إليه فالأصل الأول يتضمن إثبات الصفات والتوحيد
والقدر وذكر أيام الله في أوليائه واعدائه وهي القصص التي
قصها على عباده والأمثال التي ضربها لهم والأصل الثاني
يتضمن تفصيل الشرائع والأمر والنهي والاباحة وبيان ما يحبه
الله وما يكرهه والأصل الثالث يتضمن الإيمان باليوم الآخر
والجنة والنار والثواب والعذاب وعلى هذه الأصول الثلاثة
مدار الخلق والأمر والسعادة والفرح موقفة عليها ولا سبيل إلى
معرفتها إلا من جهة الرسل فان العقل لا يهدى إلى تفاصيلها
ومعرفة حائقها وإن كان قد يدرك وجهاً ضرورة إليها من حيث
الجملة كالمريض الذي يدرك وجه الحاجة إلى الطلب ومن يداويه
ولا يهدى إلى تفاصيل المرض وتنزيل الدواء عليه
وتحاجة العبد إلى الرسالة أعظم بكثير من حاجة المريض إلى
الطب فان آخر ما يقدر بعدم الطبيب موت الأبدان وأما اذا لم
يحصل للعبد نور الرسالة وحياتها مات قلبه موتاً لا ترجى الحياة
معه أبداً أو شقي شقاوة لا سعادة معها أبداً فلا فلاح إلا باتباع
الرسول فان الله خص بالفرح اتباع المؤمنين وأنصاره كما قال
تعالى { فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَأَتَبَعُوا النُّورَ الَّذِي
أَنْزَلَ مَعَهُ أُولَئِنَّكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } الأعراف 157 أي لا مفلح إلا
هم كما قال تعالى { وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ
بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِنَّكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } آل
عمران 104 فخص هؤلاء بالفرح كما خص المتقين الذين
يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة وينفقون مما رزقهم ويؤمنون

بما انزل الى رسوله وما انزل من قبله ويوقفون بالآخرة وبالهوى
والفلاح فعلم بذلك ان الهوى والفالح دائرة حول ربع الرسالة
وجوداً وعدها وهذا مما اتفقت عليه الكتب المنزلة من السماء
وبعث به جميع الرسل ولها قص الله علينا أخبار الأمم المكذبة
للرسل وما صارت اليه عاقبتهم وأبقى آثارهم وديارهم عبرة لمن
بعدهم وموعظة وكذلك مسخ من مسخ قرده وخنازير لمخالفتهم
لأنبيائهم وكذلك من خسف به وأرسل عليه الحجارة من السماء
وأغرقه في اليم وأرسل عليه الصيحة وأخذه بأنواع العقوبات
وإنما ذلك بسبب مخالفتهم للرسل واعتراضهم عما جاءوا به
واتخاذهم أولياء من دونه وهذه سنته سبحانه في مين خالف
رسله وأعرض عما جاؤوا به واتبع غير سبيلهم ولها أبقى الله
سبحانه آثار المكذبين لنتعتبر بها ونتعظ لئلا نفعل كما فعلوا
فيصيّننا ما أصابهم كما قال تعالى {إِنَّا مُنْزَلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ
الْقَرْيَةِ رِجْزاً مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُدُونَ} 34 {وَلَقَدْ تَرَكُنا مِنْهَا
آيَةً بَيْنَتِهِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} 35 العنكبوت 34-35 وقال تعالى {
ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرَيْنَ} 136 {وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُونَ عَلَيْهِمْ مُّصْبِحِينَ} 137
وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} 138 الصافات 136-138 أي تمرون
عليهم نهاراً بالصبح وبالليل ثم قال {أَفَلَا تَعْقِلُونَ} الصافات
138 وقال تعالى في مدائن قوم لوط {وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حَجَارَةً
مِّنْ سَجْلٍ} 74 {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ} 75 {وَإِنَّهَا لِسَيِّلٍ
مُّقِيمٍ} 76 الحجر 74-76 يعني مدائنهم بطريق مقيم يراها المار
بها وقال تعالى {أَفَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ
عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} 109 يوسف 109 وهذا كثير في الكتاب العزيز
يخبر الله سبحانه عن إهلاك المخالفين للرسل ونجاة اتباع
المرسلين ولها يذكر سبحانه في سورة الشعراء قصة موسى
وابراهيم ونوح وعاد وثمود ولوط وشعيب ويذكر لكلنبي
إهلاكه لمكذبيهم والنهاية لهم ولأتباعهم ثم يختتم القصة بقوله {إِنَّ
فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثُرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ} 190 {وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ
الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ} 191 الشعراء 190-191 فختتم القصة بasmayn

من اسمائه تقتضيها تلك الصفة وهو العزيز الرحيم فانتقم من
أعدائه بعزته وانجى رسلاه واتباعهم برحمته²⁴⁶

كفل الله لمن آمن به أن يجعل له نوراً يمشي به في الناس

*قال تعالى { أوَ مَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيِيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ
فِي النَّاسِ كَمَنْ مَيْتَهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زَيْنَ
لِكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } الأنعام 122 النور هو مادة كل خير
وصلاح كل شيء وهو ينشأ عن امثال أمر الله واجتناب نهيه
وعن الصبر على ذلك فإنه ضياء فان حفظ الحدود بتقوى الله
 يجعل الله لصاحبها نورا كما قال تعالى { اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ
يُؤْتُكُمْ كَفَلْيْنِ مِنْ رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَلُ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرُ لَكُمْ
} الحديد 28 ضد النور الظلمة²⁴⁷

*وقال أبو الدرداء لا تهلك أمة حتى يتبعوا أهواءهم ويتركوا ما
جاءتهم به أنبياؤهم من البيانات والهدى وقال تعالى { قُلْ هَذِهِ
سَبِيلِي أَذْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي } يوسف 108
فمن اتبעהه يدعوه إلى الله على بصيرة وال بصيرة هي بينة وقال
**{ أوَ مَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيِيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي
النَّاسِ } الأنعام 122 الآية فالنور الذي يمشي به في الناس هو
البينة وال بصيرة وقال { اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ } النور 35
الأية قال أبي بن كعب وغيره هو مثل نور المؤمن وهو نوره
الذي في قلبه عده المؤمن الناشي عن العلم النافع والعمل الصالح
وذلك بينة من ربه وقال { أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ
عَلَى نُورٍ مِّنْ رَّبِّهِ } الزمر 22 فهذا النور الذي هو عليه وشرح**

²⁴⁶ مجموع الفتاوى ج: 19 ص: 94-98

²⁴⁷ مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 282

الصدر للإسلام هو البينة من ربه وهو الهدى المذكور في قوله {أَوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ} البقرة 5 واستعمل في هذا حرف الاستعلا لأن القلب لا يستقر ولا يثبت إلا إذا كان عالماً موقناً بالحق فيكون العلم والإيمان صبغة له ينصب بها كما قال {صِبْغَةُ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنْ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً} البقرة 138²⁴⁸

* ومحمد صلى الله عليه وسلم أكمل الخلق علمًا بالله وبأمره وأكمل الخلق اهتداء في نفسه وأهدى لغيره وأبعد الخلق عن الجهل والضلالة قال تعالى {وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحُكِّمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ} البقرة 213 إلى قوله {فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} البقرة 213 فإنه قد هدى المؤمنين به وقال تعالى {اَنْقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتُكُمْ كَفَلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلُ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} الحديد 28 فقد كفل الله لمن آمن به أن يجعل له نوراً يمشي به في الناس {أَوَ مَنْ كَانَ مَنْتَأَ فَلَاحِيَنَا وَجَعَلَنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا} الأنعام 122 وقال تعالى {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنَّ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} الشورى 52²⁴⁹

* في حديث الكرب الذي رواه أحمدر بن حديث ابن مسعود اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك ناصيتي بيديك أسلاك بكل إسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو إستأثرت به في علم الغيب عندك أن يجعل القرآن رببع

²⁴⁸ مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 68

²⁴⁹ مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 338 و مجموع الفتاوى ج: 11 ص: 386

قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي وغمى إلا أذهب
الله همه وغمه وأبدل به فرجاً الربيع هو المطر المنبت
لربيع ومنه قوله في دعاء الاستسقاء اللهم أescنا غيثاً مغيثاً
ربيع مربعاً وهو المطر الوسمى الذي يسم الأرض بالنبات
ومنه قوله القرآن ربىع للمؤمن فسأل الله أن يجعله ماء
يحيى به قلبه كما يحيى الأرض بالربيع ونوراً والحياة والنور
جماع الكمال كما قال {أَوْ مَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيِنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ
نُورًا يَمْثِلُ بِهِ فِي النَّاسِ} الأنعام 122 وفي خطبة أَحمد بن
حنبل يحيون بكتاب الله الموتى ويتصرون بنور الله أهل العمى
لأنه بالحياة يخرج عن الموت وبالنور يخرج عن ظلمة الجهل
فيصير حياً عالماً ناطقاً وهو كمال الصفات في المخلوق بالحياة
يخرج عن الموت وبالنور يخرج عن ظلمة الجهل فيصير حياً
عالماً ناطقاً وهو كمال الصفات في المخلوق وكذلك قد قيل في
الخالق حتى النصارى فسروا الأب والأبن وروح القدس
بالموجود الحى العالم والغزالى رد صفات الله إلى الحى العالم
وهو موافق في المعنى لقول الفلاسفة عاقل ومعقول وعقل لأن
العلم يتبع الكلام الخبرى ويستلزم الإرادة والكلام الطلبى لأن كل
حى عالم فله إرادة وكلام ويستلزم السمع والبصر لكن هذا ليس
بجيد لأنه يقال فالحى نفسه مستلزم لجميع الصفات وهو أصلها
ولهذا كان أعظم آية في القرآن {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ}
البقرة 255 وهو الإسم الأعظم لأنه ما من حى إلا وهو
شاعر مريد فإنتلزم جميع الصفات فلو إكتفى في الصفات
بالتلازم لإكتفى بالحى وهذا ينفع في الدلاله والوجود لكن لا
يصح أن يجعل معنى العالم هو معنى المريد فإن الملزم ليس
هو عين اللازم وإلا فالذات المقدسة مستلزمة لجميع الصفات فإن
قيل فلم جمع في المطلوب لنا بين ما يوجب الحياة والنور فقط
دون الإقتصار على الحياة أو الإزيد ياد من القدرة وغيرها
قيل لأن الأحياء الأدميين فيهم من يهدى إلى الحق وفيهم من لا
يهدى فالهداية كمال الحياة وأما القدرة فشرط في التكليف لا في

السعادة فلا يضر فقدها نور الصدر يمنع أن يريد سواه ثم قوله ربيع قلبي ونور صدري لأنه والله أعلم الحياة لا يتعدى محله بل إذا نزل الربيع بأرض أحياها أما النور فإنه ينتشر ضوؤه عن محله فلما كان الصدر حاويا للقلب جعل الربيع في القلب والنور في الصدر لانتشاره كما فسرته المشكاة في قوله مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة وهو

القلب
250

* وأصل صلاح القلب هو حياته واستثارته قال تعالى {أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَاحْيِنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَئِلَةً فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا} الأنعام 122 لذلک ذكر الله حياة القلوب ونورها وموتها وظلمتها في غير موضع قوله {لَيَنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحْقِقُ الْقُولُ عَلَى الْكَافِرِينَ} يس 70 وقوله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِبُو اللَّهَ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحِبِّكُمْ} الأنفال 24 ثم قال {وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} الأنفال 24 وقال تعالى {يُخْرُجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرُجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ} يونس 31 ومن انواعه انه يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن وفي الحديث الصحيح مثل البيت الذي يذكر الله فيه والبيت الذي لا يذكر الله فيه مثل الحي والميت وفي الصحيح ايضا اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم ولا تتخذوها قبورا وقد قال تعالى {وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِإِيمَانِنَا صُمْ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ} الأنعام 39 وذكر سبحانه آية النور آية الظلمة فقال {الَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَئُنُّ نُورٍ كَمَشْكَاهَ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةِ الرُّجَاجَةِ كَانَهَا كَوْكَبٌ دُرَّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةِ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْثَهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ} النور 35 فهذا مثل نور الإيمان في قلوب المؤمنين ثم قال {وَالَّذِينَ

كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسِبُهُ الظَّمآنُ مَاءَ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ
 يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوْفَاهُ حِسَابٌ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ {39}
 أَوْ كَظُلْمَاتٍ فِي بَحْرٍ لَجِيٍّ يَعْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ
 سَحَابٌ ظُلْمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكُنْ يَرَاهَا
 وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهَ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ {40} النور 39-40
 فال الأول مثل الاعتقادات الفاسدة والأعمال التابعة لها يحسبها
 أصحابها شيئاً ينفعه فإذا جاءها لم يجدها شيئاً ينفعه فوفاه الله
 حسابه على تلك الاعمال و الثاني مثل للجهل البسيط
 وعدم الایمان والعلم فان أصحابها فى ظلمات بعضها فوق بعض
 لا ينصر شيئاً فان البصر إنما هو بنور الایمان والعلم قال
 تعالى {إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا
 فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ } الأعراف 201 ²⁵¹

*أن الله سبحانه لما كان هو الأول الذى خلق الكائنات والآخر
 الذى إليه تشير الحادثات فهو الأصل الجامع فالعلم به أصل كل
 علم وجامعه وذكره أصل كل كلام وجامعه والعمل له أصل كل
 عمل وجامعه وليس للخلق صلاح إلا فى معرفة ربهم وعبادته
 وإذا حصل لهم ذلك فما سواه إما فضل نافع واما فضول غير
 نافعة واما أمر مضر ثم من العلم به تتشعب أنواع العلوم ومن
 عبادته وقصده تتشعب وجوه المقاصد الصالحة والقلب بعبادته
 والإستعانة به معتصم مستمسك قد لجأ إلى ركن وثيق واعتضم
 بالدليل الهادى والبرهان الوثيق فلا يزال إما فى زيادة العلم
 والإيمان وإما فى السلامة عن الجهل والكفر وبهذا جاءت
 النصوص الإلهية فى أنه بالإيمان يخرج الناس من الظلمات الى
 النور وضرب مثل المؤمن وهو المقر بربه علما و عملا بالحى
 وال بصير والسميع والنور والظل وضرب مثل الكافر بالميته
 والأعمى والأصم والظلمة والحرور و قالوا فى الوسواس الخناس

هو الذى اذا ذكر الله خنس واذا غفل عن ذكر الله وسوس فتبين
 بذلك أن ذكر الله أصل لدفع الوسواس الذى هو مبدأ كل كفر
 وجهل وفسق وظلم وقال الله تعالى {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ
 سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ} الحجر 42 وقال {إِنَّهُ لَيْسَ
 لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} النحل 99
 وقال {وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} آل
 عمران 101 ونحو ذلك من النصوص ²⁵²

* وأما قول القائل هل تكون صفة الإيمان نوراً يوقعه الله في
 قلب العبد ويعرف العبد عند وقوفه في قلبه الحق من الباطل
 فيقال له قد قال الله تعالى {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} مثل
 نوره كمشكاة فيها مصباح } النور 35 قال أبي بن كعب وغيره
 مثل نوره في قلب المؤمن إلى قوله {وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهَ لَهُ
 نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ} النور 40 وقال تعالى {أَوَ مَنْ كَانَ
 مَيْتًا فَأَحْيَنَاهُ وَجَعَلَنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي
 الظُّلُمَاتِ} الأنعام 122 فالإيمان الذي يهبه الله لعبد سماه
 نوراً وسمى الوحي النازل من السماء الذي به يحصل الإيمان
 {نُورًا نَهَدِي بِهِ مَنْ نَشَاءَ مِنْ عِبَادِنَا} الشورى 52 وقال تعالى
 {فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوا وَنَصَرُوا وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ
 } الأعراف 157 وأمثال ذلك ولا ريب أن المؤمن يفرق بين
 الحق والباطل بل يفرق بين أعظم الحق لكن لا يمكن أن يقال بأن
 كل من له إيمان يفرق بمجرد ما أعطيه من الإيمان بين كل حق
 وكل باطل ²⁵³

²⁵² مجموع الفتاوى ج: 2 ص: 16-17

²⁵³ مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 649

للّه على عبده المطيع المؤمن نعمة دينية خصه بها دون الكافر

* ومن الفرقان أنه فرق بين أهل الحق المهتدين المؤمنين المصلحين أهل الحسنات وبين أهل الباطل الكفار الضالين المفسدين أهل السيئات فهو سبحانه بين الفرق بين اشخاص أهل الطاعة لله والرسول والمعصية لله والرسول كما بين الفرق بين ما أمر به وبين ما نهى عنه²⁵⁴

* و يجب أن يعلم العبد أن عمله من الحسنات هو بفضل الله و رحمته و من نعمته كما قال أهل الجنة {الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهَتَدِي لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ} الأعراف 43 وقال تعالى { وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفَّارَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْبَانَ أَوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ} الحجرات 7 و قال تعالى {أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِإِسْلَامٍ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّنْ رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ} فلو بعهم من ذكر الله الزمر 22 وقال {أَوْ مَنْ كَانَ مِنْتَأْ فَأَحْيَنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا} الأنعام 122 و قال تعالى {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا إِيمَانُ وَلَكِنَ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءَ مِنْ عِبَادِنَا} الشورى 52 و كذلك إضافة السيئات إلى نفسه هو الذي ينبغي أن يفعله مع علمه بأن الله خالق كل موجود من الأعيان و الصفات و الحركات و السمات كما قال آدم {رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} الأعراف 23 و قال موسى {رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي} القصص 16 و قال

²⁵⁴ مجموع الفتاوى ج: 13 ص: 14

الخليل {وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّين} {الشعراء 82}

255

* وما قالته القدرية فهو بناء على أصلهم الفاسد وهو أن إقدار الله المؤمن والكافر والبر والفاجر سواء فلا يقولون إن الله خص المؤمن المطيع بإعانته حصل بها الإيمان بل يقولون إن إعانته للمطيع والعاصي سواء ولكن هذا بنفسه رجح الطاعة وهذا بنفسه رجح المعصية كالوالد الذي أعطى كل واحد من ابنيه سيفاً فهذا جاهد به في سبيل الله وهذا قطع به الطريق أو أعطاهم مالاً فهذا أنفقه في سبيل الله وهذا أنفقه في سبيل الشيطان وهذا القول فاسد باتفاق أهل السنة والجماعة المثبتين للقدر فإنهم متلقون على أن الله على عبده المطيع المؤمن نعمة دينية خصه بها دون الكافر وأنه أعاذه على الطاعة إعانته لم يعن بها الكافر كما قال تعالى { وَلَكُنَّ اللَّهَ حَبِّ الْيَكُونُ الْإِيمَانَ وَزَرَيْنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَهُ الْيَكُونُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ } الحجرات 7 فيبين أنه حبب إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم فالقدرية تقول هذا التحبيب والتزيين عام في كل الخلق أو هو بمعنى البيان وإظهار دلائل الحق والآية تقتضي أن هذا خاص بالمؤمنين ولهاذا قال { أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ } الحجرات 7 والكافر ليسوا راشدين

وقال تعالى {فَمَن يُرِدُ اللَّهُ أَن يَهُدِيهِ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ وَمَن يُرِدُ أَن يُضْلِلَهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيْقًا حَرَجًا كَانَمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ } الأنعام 125 وقال {أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَثَلَهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا} كذلك زَرِّيْنَ لِلْكَافِرِيْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } الأنعام 122

256

مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 442²⁵⁵²⁵⁵

منهاج السنة النبوية ج: 3 ص: 43-44²⁵⁶

"من عمل بما علم أو رثه الله علم ما لم يعلم"

* أن أول التوبة العلم بأن فعله سيء ليتوب منه أو أنه ترك حسناً مأموراً به أو أمر إيجاب أو أمر استحباب ليتوب ويفعله فما دام يرى فعله حسناً وهو سيء في نفس الأمر فإنه لا يتوب ولكن التوبة ممكنة وواقعه بأن يهديه الله ويرشده حتى يتبين له الحق كما هدى سبحانه وتعالى من هدى من الكفار والمنافقين وطوائف أهل البدع والضلال وهذا يكون بأن يتبع من الحق ما علمه فمن عمل بما علم أو رثه الله علم ما لم يعلم وكذلك من أعرض عن اتباع الحق الذي يعلمه تبعاً لهواه فإن ذلك يورثه الجهل والضلال حتى يعمى قلبه عن الحق الواضح ولهذا قال من قال من السلف كسعيد بن جبير إن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها وإن من عقوبة السيئة السيئة بعدها وقد ثبت في الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة ولا يزال الرجل يصدق ويتحرج الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار ولا يزال الرجل يكذب ويتحرج الكذب حتى يكتب عند الله كذباً فأخبر النبي أن الصدق يستلزم البر وأن الكذب يستلزم الفجور {أَوْ مَنْ كَانَ مِنْ مُّنْتَهَا فَأَحْبَبْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَتَّلَهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زَرِّيْنَ لِكَافِرِيْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} الأنعام 122²⁵⁷

* و العمل له أثر في القلب من نفع وضر وصلاح قبل أثره في الخارج فصلاحها عدل لها وفسادها ظلم لها قال بعض السلف إن للحسنة لنوراً في القلب وقوة في البدن وضياء في الوجه وسعة في الرزق ومحبة في قلوب الخلق وإن للسيئة لظلمة في القلب وسوداً في الوجه وهذا في البدن ونقصاً في الرزق وبغضاً في

²⁵⁷ أمراض القلوب ج: 1 ص: 39

قلوب الخلق وأصل صلاح القلب هو حياته واستئاته لذا ذكر الله حياة القلوب ونورها وموتها وظلمتها في غير موضع قوله ياسين لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين وفي الحديث الصحيح مثل البيت يذكر الله فيه والبيت الذي لا يذكر الله فيه كمثل الحي والميت وفي الصحيح أيضاً أجعلوا من صلاتكم في بيوتكم ولا تتخذها قبوراً {أَوْ مَنْ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَيْتًا فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا} كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون {الأنعام 122} وفي الدعاء المأثور أجعل القرآن ربنا ونور صدورنا والرابع هو المطر الذي ينزل من السماء فينبت به النبات قال النبي صلى الله عليه وسلم إن مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا أو يلم والفصل الذي ينزل فيه أول المطر تسميه العرب الربيع لنزول المطر الذي ينبت الربيع فيه وغيرهم يسمى الربيع الفصل الذي يلي الشتاء فإن منه تخرج الأزهار التي تخلق منها الثمار وتتبت الأوراق على الأشجار و القلب الحي المنور فإنه لما فيه من النور يسمع وبصري ويعقل والقلب الميت فإنه لا يسمع ولا يبصر²⁵⁸

الآيات والبراهين الدالة على نبوة محمد كثيرة متنوعة

* والآيات والبراهين الدالة على نبوة محمد كثيرة متنوعة وهي أكثر وأعظم من آيات غيره من الأنبياء ويسميها من يسميها من الناظر معجزات وتسمى دلائل النبوة وأعلام النبوة وهذه الألفاظ إذا سميت بها آيات الأنبياء كانت أدلة على المقصود من لفظ المعجزات ولهذا لم يكن لفظ المعجزات موجوداً في الكتاب والسنة وإنما فيه لفظ الآية والبينة والبرهان وأما لفظ الآيات فكثير في القرآن كقوله تعالى {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ فَرْزِيَةٍ أَكَابِرَ}

²⁵⁸أمراض القلوب ج: 1 ص: 8-9

مُجَرِّمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ
 {123} وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن نُؤْمِنَ حَتَّى تُؤْتَنِي مِثْلًا مَا أُوتِيَ
 رُسُلُ اللَّهِ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سِيِّصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا
 صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ {124}
 259 الأنعام-123-124

كل عطاء من الله فضل وكل عقوبة منه عدل

* قال تعالى {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجَرِّمِيهَا لِيَمْكُرُوا
 فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ } الأنعام 123 وهو لا
 يمنع من ذلك ما يستحقه العبد اصلا ولا يمنع الثواب الا اذا منع
 سببه وهو العمل الصالح فاما مع وجود السبب وهو العمل
 الصالح فإنه من يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما
 ولا هضما {وَمَن يَعْمَلْ مِن الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ
 ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا} طه 112 وهو سبحانه المعطي المانع لا
 مانع لما اعطى ولا معطي لما منع لكن من على الانسان بالايمان
 والعمل الصالح ثم لم يمنعه موجب ذلك اصلا بل يعطيه من
 الثواب والقرب مala عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على
 قلب بشر وحيث منعه ذلك فلا يبقى سببه وهو العمل الصالح
 ولا ريب انه يهدي من يشاء ويضل من يشاء لكن ذلك كله حكمة
 منه وعدل فمنعه للأسباب التي هي الاعمال الصالحة من حكمته
 وعدله واما المسببات بعد وجود اسبابها فلا يمنعها بحال الا اذا لم
 تكن اسبابا صالحة اما لفساد في العمل واما السبب يعارض
 موجبه ومقتضاه فيكون لعدم المقتضى او لوجود المانع واذا كان
 منعه وعقوبته من عدم الايمان والعمل الصالح ابتداء حكمة منه

وعدل فله الحمد في الحالين وهو المحمود على كل حال كل
عطاء منه فضل وكل عقوبة منه عدل²⁶⁰

{ الله أعلم حيث يجعل رسالته }

*وقال تعالى {وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ
مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّه أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ} الأنعام 124 فدل
على أنه أعلم بال محل الذي يناسب الرسالة ولو كان الناس
مستويين والتخصيص بلا سبب لم يكن لهذا العلم معلوم يختص به
محل الرسالة²⁶¹

*وفي الصحيح عن عائشة قالت أول ما بدأ به رسول الله
صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا
يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حب إلىه الخلاء فكان
يخلو بغار حراء فيتحدث فيه وهو التعبد الليلي ذوات العدد وقد
قال تعالى {الله أعلم حيث يجعل رسالته} الأنعام 124 فلا
ريب أن ما يجعله الله في النفوس وغيرها يجعله بعد إعدادها
لذلك وتسويتها لما يلقى فيها فهذا ونحوه حق يقول به السلف
وجمهور المسلمين وإنما ينكر ذلك من ينكر الحكم والأسباب من
أهل الكلام والنبي صلى الله عليه وسلم بدأ أولاً بالرؤيا
الصادقة فإنه رؤيا الانبياء وهي معصوم كما قال ابن عباس
وعبيد بن عمير وغيرهما رؤيا الانبياء وهي قوله أ Ibrahim
عليه السلام {إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ} الصافات 102 ثم
إن النبي صلى الله عليه وسلم نقل من درجة إلى درجة ثم بعد
هذا جاءه الملك فخاطبه بالكلام فأحياناً يأتيه في الباطن فيكلمه

²⁶⁰ الاستقامة ج: 2 ص: 50

²⁶¹ منهاج السنة النبوية ج: 1 ص: 1

وأحياناً يتمثل له في صورة رجل فيكلمه ثم عرج به إلى ربه ليلة
الاسراء²⁶²

*أن الجهمية ثبتت نبوة لا تستلزم فضل أصحابها ولا كماله ولا اختصاصه قط بشيء من صفات الكمال بل يجوز أن يجعل من هو من أجهل الناس نبياً ثم الجهمية الممحضة عندهم يخلق الله كلما في غيره فينزل به الملك وأما الكلابية فعندهم النبوة تعلق المعنى القائم بالذات بالنبي بمعنى أنت عبدي ورسولي فيقولون في النبوة من جنس ما قالوه في أحكام أفعال العباد إنه ليس للحكم معنى إلا تعلق المعنى القائم بالذات به والمعنى القائم بالذات المتعلق به لا يثبتون في الإيمان والتقوى والأعمال الصالحة خاصة تميزت به عن السينات حتى أمر بها لأجلها وكذلك في النبوة والمعترضة ومن وافقهم يثبتون الله شريعة بالقياس على عبادة فيوجبون عليه من جنس ما يجب عليهم ويحرمون عليه من جنس ما يحرم عليهم ولا يجعلون أمره ونهيه وحبه وبغضه ورضاه وسخطه لهتأثير في الأعمال بل صفاتها ثابتة بدون الخطاب والخطاب مجرد كاشف بمنزلة الذي يخبر عن الشمس والقمر والكواكب بما هي متصفه به والله سبحانه قد أخبر أنه يصطفى من الملائكة رسولاً ومن الناس والإصطفاء افتعال من التصفية كما أن الإختيار افتعال من الخيرة فيختار من يكون مصطفى وقد قال {الله أعلم حيث يجعل رسالته} الأئماع 124 فهو أعلم بمن يجعله رسولاً ممن لم يجعله رسولاً ولو كان كل الناس يصلح للرسالة لامتنع هذا وهو عالم بتعيين الرسول وأنه أحق من غيره بالرسالة كما دل القرآن على ذلك وقد قالت خديجة رضي الله عنها لما فجأ الوحي النبي صلى الله عليه وسلم وخاف من ذلك فقالت له كلا والله لا يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحمة وتصدق الحديث وتحمل الكل وتكتسب المدعوم وتقربي الضيف

²⁶²الرد على المنطقيين ج: 1 ص: 486

وتعين على نواب الحق وكانت أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها أعقل وأعلم من الجهمية حيث رأت أن من جعله الله على هذه الأخلاق الشريفة المتضمنة لعدله وإحسانه لا يخزيه الله فإن حكمة رب تأبى ذلك و هو لاء عندهم هذا لا يعلم بل قد يخزى من يكون كذلك وقد ينبع شر الناس كأبي جهل وغيره ولهذا أنكر المازري وغيره على خديجة كما أنكروا على هرقل استدلاله بما استدل به في حديث أبي سفيان المشهور لما سأله عن صفات النبي صلى الله عليه وسلم والله سبحانه إذا اتخذ رسولا فضلاته أخرى لم تكون موجودة فيه قبل إرساله كما كان يظهر لكل من رأى موسى وعيسى ومحمد من أحوالهم وصفاتهم بعد النبوة وتلك الصفات غير الوحي الذي ينزل عليهم فلا يقال إن النبوة مجرد صفة إضافية لأحكام الأفعال كما تقوله الجهمية

263

الحكمة الحاصلة من الشرائع ثلاثة أنواع

*وهناك من قال إن الأفعال لم تشتمل على صفات هي أحكام ولا على صفات هي علل للأحكام بل القادر أمر بأحد المتماثلين دون الآخر لمحض الإرادة لا لحكمة ولا لرعاية مصلحة في الخلق والأمر ويقولون أنه يجوز أن يأمر الله بالشرك بالله وينهى عن عبادته وحده ويجوز أن يأمر بالظلم والفواحش وينهى عن البر والتقوى والأحكام التي توصف بها الأحكام مجرد نسبة و إضافة فقط وليس المعروف في نفسه معروفا عندهم و لا المنكر في نفسه منكرا عندهم بل إذا قال يأمرهم بالمعروف و ينهاهم عن المنكر و يحل لهم الطيبات و يحرم

263 منهاج السنة النبوية ج: 5 ص: 437

عليهم الخبائث فحقيقة ذلك عندهم أنه يأمرهم بما يأمرهم و ينهىهم عما ينهاهم و يحل لهم ما يحل لهم و يحرم عليهم ما يحرم عليهم بل الأمر و النهي و التحليل و التحريم ليس في نفس الأمر عندهم لا معروف و لا منكر و لا طيب و لا خبيث الا أن يعبر عن ذلك بما يلائم الطابع و ذلك لا يقتضي عندهم كون الرب يحب المعروف و يبغض المنكر فهذا القول و لوازمه هو أيضا قول ضعيف مخالف لكتاب و السنة و لإجماع السلف و الفقهاء مع مخالفته أيضاً للمعقول الصريح فإن الله نزع نفسه عن الفحشاء فقال {إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ} الأعراف 28 كما نزع نفسه عن التسوية بين الخير و الشر فقال تعالى {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءٌ مَّحْيَا هُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءٌ مَا يَحْكُمُونَ} الجاثية 21 و قال {أَفَجَعَلْنَا الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ} 35 {مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ} 36 القلم 35-36 و قال {أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَارِ} ص 28 و على قول النفا لا فرق في التسوية بين هؤلاء و هؤلاء و بين تفضيل بعضهم على بعض ليس تزييه عن أحدهما بأولى من تزييه عن الآخر و هذا خلاف المنصوص و المعقول و قد قال الله تعالى {اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ} الأنعام 124 و عندهم تعلق الإرسال بالرسول كتعليق الخطاب بالأفعال لا يستلزم ثبوت صفة لا قبل التعلق و لا بعده و الفقهاء و جمهور المسلمين يقولون الله حرم المحرمات فحرمت و أوجب الواجبات فوجبت فمعنا شيئاً إيجاب و تحريم و ذلك كلام الله و خطابه و الثاني و وجوب و حرمة و ذلك صفة للفعل و الله تعالى عليم حكيم علم بما تتضمنه الأحكام من المصالحة فأمر و نهى لعلمه بما في الأمر و النهي و المأمور و المحظور من مصالحة العباد و مفاسدهم و هو أثبت حكم الفعل و أما صفتة فقد تكون ثابتة بدون الخطاب و قد ثبتت بالخطاب و الحكمة الحاصلة من الشرائع ثلاثة أنواع أحدتها أن يكون الفعل مشتملاً على مصلحة أو مفسدة و لو لم يرد الشرع

بذلك كما يعلم أن العدل مشتمل على مصلحة العالم و الظلم
يشتمل على فسادهم فهذا النوع هو حسن و قبيح وقد يعلم بالعقل
و الشرع قبح ذلك لا أنه أثبت للفعل صفة لم تكن لكن لا يلزم من
حصول هذا القبح أن يكون فاعله معاقبا في الآخرة إذا لم يرد
شرع بذلك و هذا مما غلط فيه غلاة القائلين بالتحسين والتقييم
فإنهم قالوا إن العباد يعاقبون على أفعالهم القبيحة ولو لم يبعث
إليهم رسولا و هذا خلاف النص قال تعالى { وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ
حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا } الإسراء 15 و قال تعالى { رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ
وَمُنذِرِينَ لَلَّا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ }

{ النساء 165 و قال تعالى { وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ
فِي أَمْمَهَا رَسُولًا يَتَلَوَّ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا
ظَالِمُونَ } القصص 59 و قال تعالى { كُلُّمَا أَلْقَيْ فِيهَا فَوْجٌ سَالَّهُمْ
خَرَّنَتْهَا أَلْمٌ يَأْتُكُمْ نَذِيرٌ } 8 فَالْلَّوَا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبُنَا وَقُلْنَا مَا
نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٌ } 9 وَقَالُوا لَوْ كُنَّا
نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ } 10 الملك 10-8 وفي
الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما أحد أحب
إليه العذر من الله و من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين و
منذرين و النصوص الدالة على أن الله لا يعذب إلا بعد الرسالة
كثيرة ترد على من قال من أهل التحسين والتقييم أن الخلق
يعذبون في الأرض بدون رسول أرسل إليهم النوع الثاني
أن الشارع إذا أمر بشيء صار حسنا و إذا نهى عن شيء صار
قبيحا و إكتسب الفعل صفة الحسن و القبح بخطاب الشارع و
النوع الثالث أن يأمر الشارع بشيء ليتحقق العبد هل يطاعه أم
يعصيه و لا يكون المراد فعل المأمور به كما أمر إبراهيم بذبح
ابنه { فَلَمَّا أَسْلَمَ وَتَلَهُ لِلْجَبَّينِ } الصافات 103 حصل المقصود ففداء
بالذبح و كذلك حديث أبرص و أقرع و أعمى لما بعث الله إليهم
من سالمهم الصدقة فلما أجاب الأعمى قال الملك أمسك عليك مالك
فإنما إبنتيتم فرضي عنك و سخط على صاحبيك فالحكمة
منشؤها من نفس الأمر لا من نفس المأمور به و هذا النوع و

الذى قبله لم يفهمه المعتزلة و زعمت أن الحسن و القبح لا يكون إلا لما هو متصف بذلك بدون أمر الشارع و الأشعرية إدعوا أن جميع الشريعة من قسم الإمتحان و أن الأفعال ليست لها صفة لا قبل الشرع و لا بالشعر و أما الحكماء و الجمهور فأنثروا الأقسام الثلاثة و هو الصواب²⁶⁴

من يفضله الله تعالى فإنه يفضله بالأسباب التي يستحق بها التفضيل بالجزاء

* وقد قال النبي ﷺ لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه وهذا كثير فليس كل ما فضل به الفاضل يكون مقدورا لمن دونه فكذلك من حقائق الإيمان ما لا يقدر عليه كثير من الناس بل ولا أكثرهم فهو لا يدخلون الجنة وان لم يكونوا من تحققوا بحقائق الإيمان التي فضل الله بها غيرهم ولا تركوا واجبا عليهم وان كان واجبا على غيرهم ولهذا كان من الإيمان ما هو من المواهب والفضل من الله فإنه من جنس العلم والاسلام الظاهر من جنس العمل وقد قال تعالى {وَالَّذِينَ اهْتَدُوا زَادُهُمْ هُدًى وَأَنَّاهُمْ تَقْوَاهُمْ} محمد 17 وقال {وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدُوا هُدًى} مريم 76 وقال {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَرْبُدُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ} الفتح 4 ومثل هذه السكينة قد لا تكون مقدورة ولكن الله يجعل ذلك في قلبه فضلا منه وجاء على عمل سابق كما قال {وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوَعِّظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا} 66 {وَإِذَا لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا} 67 {وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا} 68 النساء 66- كما قال {اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتُكُمْ كُفُّلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ

²⁶⁴مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 434-436

وَيَجْعَلَ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
 }^{الحاديـ 28} وكما قال { أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ
 وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ }^{المجادلةـ 22} ولهذا قيل من عمل بما علم
 أورثه الله علم ما لم يعلم وهذا الجنس غير مقدور للعباد وان كان
 ما يقدرون عليه من الأعمال الظاهرة والباطنة هو أيضا بفضل
 الله وإعانته وقداره لهم لكن الأمور قسمان منه ما جنسه مقدور
 لهم لاعانة الله لهم كالقيام والقعود ومنه ما جنسه غير مقدور لهم
 اذا قيل ان الله يعطى من اطاعه قوة في قلبه وبدنه يكون بها قادرا
 على ما لا يقدر عليه غيره فهذا أيضا حق وهو من جنس هذا
 المعنى قال تعالى { إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَتَبَّوَا^{الذين آمَنُوا} }^{الأنفالـ 12} وقد قال { إِذَا لَقِيْتُمْ فَلَهُ فَاتَّبِعُوهُ }^{الأنفالـ 45}
 فأمرهم بالثبات وهذا الثبات يوحى إلى الملائكة
 أنهم يفعلونه بالمؤمنين والمقصود أنه قد يكون من الإيمان ما
 يؤمر به بعض الناس ويذم على تركه ولا يذم عليه بعض الناس
 من لا يقدر عليه ويفضل الله ذاك بهذا الإيمان وان لم يكن
 المفضول ترك واجبا فيقال وكذلك في الأعمال الظاهرة يؤمر
 القادر على الفعل بما لا يؤمر به العاجز عنه ويؤمر بعض الناس
 بما لا يؤمر به غيره لكن الأعمال الظاهرة قد يعطي الإنسان مثل
 أجر العامل اذا كان يؤمن بها ويريدها جهده ولكن بدنه عاجز كما
 قال النبي في الحديث الصحيح إن بالمدينة لرجالا ما سرتم
 مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم قالوا وهم بالمدينة قال
 وهم بالمدينة حبسهم العذر وكما قال تعالى { لَا يَسْتَوِي
 الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولَئِي الضرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ<sup>اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَلَّ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى
 الْقَاعِدِينَ ذَرَجَةً }^{النساءـ 95} فإشتنتي أولى الضرر وفي
 الصحيحين عن النبي أنه قال من دعا الى هدى كان له من
 الأجر مثل أجور من اتبעהه من غير أن ينقص من أجورهم شيئا
 ومن دعا الى ضلاله كان عليه من الوزر مثل أوزار من اتبעהه
 من غير أن ينقص من أوزارهم شيئا وفي حديث أبي ك بشة</sup>

الأنمارى هما فى الأجر سواء وهمما فى الوزر سواء رواه الترمذى وصححه ولفظه إنما الدنيا لأربعة رجل آتاه الله علما وما لا فهو يتقى فى ذلك المال ربه ويصل فيه رحمه ويعلم الله فيه حقا فهذا بأفضل المنازل وعبد رزقه الله علما ولم يرزقه مالا فهو صادق النية يقول لو ان لى مالا لعملت بعمل فلان فهو بنيته فأجرهما سواء وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علما يخبط فى ماله بغير علم لا يتقى فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ولا يعلم الله فيه حقا فهذا بأختى المنازل وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علما فهو يقول لو أن لى مالا لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته فوزرهما سواء ولفظ ابن ماجه مثل هذه الأمة كمثل أربعة نفر رجل آتاه الله مالا وعلما فهو يعمل بعلمه فى ماله ينفقه فى حقه ورجل آتاه الله علما ولم يؤته مالا فهو يقول لو كان لى مثل هذا عملت فيه مثل الذى يعمل قال رسول الله فهما فى الأجر سواء ورجل آتاه الله مالا ولم يؤته علما فهو يخبط فى ماله ينفقه فى غير حقه ورجل لم يؤته علما ولا مالا وهو يقول لو كان لى مثل مال هذا عملت مثل الذى يعمل فهما فى الوزر سواء كالشخصين إذا تماثلا فى ايمان القلوب معرفة وتصديقا وحبها وقوة وحالا ومقاما فقد يتماثلان وإن كان لأحدهما من أعمال البدن ما يعجز عنه بدن الآخر كما جاء فى الآثر أن المؤمن قوته فى قلبه وضعفه فى جسمه والمنافق قوته فى جسمه وضعفه فى قلبه ولهذا قال النبي فى الحديث الصحيح ليس الشديد ذو الصرعة إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب وقد قال رأيت كأنى أنزع على قليب فأخذها ابن أبي قحافة فنزع ذنوبيا أو ذنوبين وفي نزعه ضعف والله يغفر له فأخذها ابن الخطاب فاستحاللت فى يده غربا فلم أر عقرييا يفرى فريه حتى صدر الناس بعطن ذكر أن أبا بكر أضعف وسواء أراد قصر مدته أو أراد ضعفه عن مثل قوة عمر فلا ريب أن أبا بكر أقوى ايمانا من عمر وعمر أقوى عملا منه كما قال ابن مسعود ما زلنا أعزه منذ أسلم عمر وقوه الايمان أقوى وأكمل من قوه العمل وصاحب

الإيمان يكتب له اجر عمل غيره وما فعله عمر في سيرته مكتوب مثله لأبي بكر فانه هو الذى استخلفه وفي المسند من وجهين عن النبي صلى الله عليه وسلم أن النبي وزن بالامة فرجح ثم وزن أبو بكر بالأمة فرجح ثم وزن عمر بالأمة فرجح وكان في حياة النبي وبعد موته يحصل لعمر بسبب أبي بكر من الإيمان والعلم ما لم يكن عنده فهو قد دعاه إلى فعله من خير واعانه عليه بجهده والمعين على الفعل اذا كان يريد اراده جازمة كان كفاعله كما ثبت في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من جهز غازيا فقد غزا ومن خلفه في أهله بخير فقد غزا وقال من دل على خير فله مثل أجر فاعله وقال من فطر صائما فله مثل أجره وقد روى الترمذى من عزى مصابا فله مثل أجره وهذا وغيره مما يبين أن الشخصين قد يتمثلان في الأعمال الظاهرة بل يتقابلان ويكون المفضول فيها أفضل عند الله من الآخر لأنه أفضل في الإيمان الذي في القلب وأما إذا تفاضلا في إيمان القلوب فلا يكون المفضول فيها أفضل عند الله أبنته وإن كان المفضول لم يهبه الله من الإيمان ما وهبها للفاضل ولا أعطى قلبه من الأسباب التي بها ينال ذلك الإيمان الفاضل ما أعطى المفضول ولهذا فضل الله بعض النبيين على بعض وان كان الفاضل أقل عملا من المفضول كما فضل الله نبينا ومدة نبوته بضع وعشرون سنة على نوح وقد لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما وفضل أممأة محمد وقد عملوا من صلاة العصر إلى المغرب على من عمل من أول النهار إلى صلاة الظهر وعلى من عمل من صلاة الظهر إلى العصر فأعطى الله أممأة محمد أجراين وأعطي كلام من أولئك أجرا أجرا لأن الإيمان الذي في قلوبهم كان أكمل وأفضل وكان أولئك أكثر عملا وهؤلاء أعظم أجرا وهو فضله يؤتى به من يشاء بالأسباب التي تفضل بها عليهم وخصهم بها وهكذا سائر من يفضله الله تعالى فانه يفضلهم بالأسباب التي يستحق بها التفضيل بالجزاء كما يخص أحد

الشخصين بقوة ينال بها العلم وبقوة ينال بها اليقين والصبر والتوكل والاخلاص وغير ذلك مما يفضله الله به وانما فضلته في الجزاء بما فضل به من الايمان كما قال تعالى { وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَأَكْفَرُوا أَخْرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ }⁷² { وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا مَنْ تَبَعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلَيْهِ } آل عمران 73-72 وقال في الآية الأخرى { اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رَسَالَتَهُ } الأنعام 124 وقال { اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ } الحج 75 وقال { فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ } البقرة 284 وقد بين في مواضع أسباب المغفرة وأسباب العذاب وكذلك يرزق من يشاء بغير حساب وقد عرف أنه قد يخص من يشاء بأسباب الرزق²⁶⁵

وجوب التصديق بصفات الله تعالى ليس موقوفا على أن يقوم عليها دليل عقلي

*أن وجوب تصديق كل مسلم بما أخبر الله به ورسوله من صفاته ليس موقوفا على أن يقوم عليه دليل عقلي على تلك الصفة بعينها فإنه مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام أن الرسول صلى الله عليه وسلم إذا أخبرنا بشيء من صفات الله تعالى وجب علينا التصديق به وإن لم نعلم ثبوته بقولنا ومن لم يقر بما جاء به الرسول حتى يعلمه بعقله فقد أشبهه الذين قال الله عنهم قالوا لن نؤمن حتى نؤتي مثل أوتي رسول الله الله أعلم حيث يجعل رسالته ومن سلك هذا السبيل فهو في الحقيقة ليس مؤمنا بالرسول ولا متلقيا عنه الأخبار بشأن الربوبية ولا فرق عنده بين أن يخبر

²⁶⁵ مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 339-344

الرسول بشيء من ذلك أ ولم يخبر به فإن ما أخبر به لا يقد به بل يتأنله أو يفوضه وما لم يخبر به إن علمه بعقله آمن به وإن فرق عند من سلك هذا السبيل بين وجود الرسول وإخباره وبين عدم الرسول وعدم إخباره وكان ما يذكره من القرآن والحديث والإجماع في هذا الباب عديم الأثر عنده وهذا قد صرخ به أئمة هذا الطريق ثم الطريق النبوية فمنهم من يحيل على القياس و منهم من يحيل على الكشف وكل من الطريقيتين فيها من الاضطراب والاختلاف مالا ينضبط وليس واحدة منها تحصل المقصود بدون الطريق النبوية والطريق النبوية تحصل الأيمان النافع في الآخرة بدون ذلك ثم إن حصل قياس أو كشف يوافق ما أخبر به الرسول كان حسنا مع أن القرآن قد نبه على الطرق الاعتبارية التي بها يستدل على مثل ما في القرآن كما قال تعالى سريرهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبيّن لهم أنه الحق ²⁶⁶

*إنه إذا لم يكن متبعا للأمر الذي جاء به الرسول كان يعمل بإرادة نفسه فيكون متبعا لهواه بغير هدى من الله وهذا عيش النفس وهو من الكبر فإنه شعبة من قول الذين قالوا {لن نؤمن ²⁶⁷
حتى نُؤتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ} الأنعام 124

جاءت الإرادة في كتاب الله على نوعين

* وقد جاءت الإرادة في كتاب الله على نوعين أحدهما الإرادة الدينية الشرعية كما قال تعالى {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ} البقرة 185 {يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنُنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ} النساء 26 إلى قوله تعالى {وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنَّ

²⁶⁶ العقيدة الأصفهانية ج: 1 ص: 27-28

²⁶⁷ منهاج السنة النبوية ج: 5 ص: 332

يَئُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا {27} يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخْفِفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا {28} النساء 27-28 وقال تعالى { مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلَيُتَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } المائدة 6 وقوله { إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا } الأحزاب 33 فإن الإرادة هنا بمعنى المحبة والرضى وهى الإرادة الدينية وإليه الإشارة بقوله { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ } الذاريات 56 والثانى الإرادة الكونية كما قال تعالى { فَمَنْ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِيدُ أَنْ يُضْلِلَهُ يَجْعَلُ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَانَمَا يَصْنَعُ فِي السَّمَاءِ } الأنعام 125 وقال تعالى { وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا افْتَنَّلَوْا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَعْنِي مَا يُرِيدُ } البقرة 253 وقال نوح { وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ } هود 34 وقال { إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } يس 82 و كما قال { وَلَا يَرَأُونَ مُخْتَلِفِينَ } 118 إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلَذِلِكَ خَلَقَهُمْ } 119 هود 118-119 و كما قال { يَتَبَّثُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقُولِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضْلِلُ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعُلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ } إِبْرَاهِيم 27 ومثل قول المسلمين ما شاء الله كان وما لم يشاً لم يكن فجميع الكائنات داخلة في هذه الإرادة والإشاعة لا يخرج عنها خير ولا شر ولا عرف ولا نكر وهذه الإرادة والإشاعة تتناول ما لا يتناوله الأمر الشرعي وأما الإرادة الدينية فهى مطابقة للأمر الشرعى لا يختلفان وهذا التقسيم الوارد فى إسم الإرادة يرد مثله فى إسم فى الاذن والأمر والكلمات والتحريم والحكم والقضاء والكتاب والبعث كما قد بيناه فى غير هذا الموضع وبمعرفته تندفع شبهات عظيمة وبهذا الجمع والتفريق تزول الشبهة فى مسألة الأمر الشرعى هل هو مستلزم

لإرادة الكونية أم لا فان التحقيق أنه غير مستلزم للإرادة الكونية
القدرية وإن كان مستلزمًا للإرادة الدينية الشرعية²⁶⁸

* الله حكمة باللغة في أقضيته و أقداره و إن لم يعلمه العباد فإن الله
علم علما و علمه لعباده أو لم يشاء منهم و علم علما لم يعلمه
ل العباد { وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا مَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا } البقرة 255 وهو
سبحانه أراد من العباد ما هم فاعلوه إرادة تكوين كما اتفق
المسلمون على أنه ما شاء الله كان و ما لم يشاً لم يكن و كما قال
{فَمَنْ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَ يَسْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِيدُ أَنْ يُضْلِلَ
يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَاجًا } الأنعام 125 ولكن لم يرد
المعاصي من أصحابها إرادة أمر و شرع و محبة و رضى و
دين بل ذلك كما قال تعالى {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ
الْعُسْرَ} البقرة 185²⁶⁹

* وقد ذكر الله في كتابه الفرق بين الإرادة و الأمر و
القضاء و الاذن و التحرير و البعث و
الإرسـال و الكلام و الجعل بين الكوني الذي خلقه
و قدره و قضاه و ان كان لم يأمر به ولا يحبه ولا يثبت أصحابه
ولا يجعلهم من أوليائه المتقين وبين الدينـي الذي امر به و شرعـه
و اثـاب عليه و اـكرـمـهـمـ و جـعـلـهـمـ من أولـيـائـهـ المـتقـينـ و حـزـبـهـ المـفـلـحـينـ
و جـنـدهـ الغـالـبـينـ وهذا من أعـظمـ الفـروـقـ التـىـ يـفـرـقـ بـهـ بـيـنـ اـولـيـاءـ
اللهـ و اـعـدـائـهـ فـمـنـ اـسـتـعـمـلـهـ الرـبـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ فـيـمـاـ يـحـبـهـ
وـيـرـضـاهـ وـمـاتـ عـلـىـ ذـلـكـ كـانـ مـنـ اـولـيـائـهـ وـمـنـ كـانـ عـمـلـهـ فـيـمـاـ
يـبـغـضـهـ الرـبـ وـيـكـرـهـ وـمـاتـ عـلـىـ ذـلـكـ كـانـ مـنـ اـعـدـائـهـ فـ

²⁶⁸ مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 440 و مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 582
و مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 24-25 و مجموع الفتاوى ج: 2 ص: 412
و الزهد والورع والعبادة ج: 1 ص: 23

²⁶⁹ مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 201

الارادة الكونية هي مشيئته لما خلقه وجميع المخلوقات داخلة في مشيئته وارادته الكونية والارادة الدينية هي المتضمنة لمحبته ورضاه المتناولة لما امر به وجعله شرعاً وديننا وهذه مختصة ²⁷⁰
باليaman والعمل الصالح

* ان الله إذا أمر العبد بشيء فقد أراده منه إرادة شرعية دينية وان لم يرده منه إرادة قدرية كونية فاثبات إرادته في الأمر مطلقاً ²⁷¹ ونفيها عن الأمر مطلقاً خطأ وإنما الصواب التفصيل

و جهنم و من و افقه من المعتزلة إشتركوا في أن مشيئه الله ومحبته و رضاه بمعنى واحد ثم قالت المعتزلة وهو لا يحب الكفر والفسق والعصيان فلا يشاؤه فقالوا إنه يكون بلا مشيئه و قالت الجهمية بل هو يشاء ذلك فهو يحبه ويرضاه و أبو الحسن وأكثر أصحابه وافقوا هؤلاء ذكر أبو المعالي الجوني أن أبا الحسن أول من خالف السلف في هذه المسألة ولم يفرق بين المشيئه والمحبة والرضا وأما سلف الأمة وأئمتها وأكابر أهل الفقه و الحديث و التصوف و كثير من طوائف الناظار كالكلابية و الكرامية و غيرهم فيفرقون بين هذا و هذا و يقولون أن الله يحب الإيمان و العمل الصالح و يرضى به كما لا يأمر ولا يرضى بالكفر والفسق والعصيان ولا يحبه كما لا يأمر به و إن كان قد شاءه و لهذا كان حملة الشريعة من الخلف والسلف متتفقين على أنه لو حلف ليفعلن واجباً أو مستحبنا كقضاء دين يضيق و قته أو عبادة يضيق وقتها و قال إن شاء الله ثم لم يفعله لم يحث و هذا يبطل قول القدرية ولو قال إن كان الله يحب ذلك و يرضاه فإنه يحث كما لو قال إن كان يندب إلى ذلك و يرغبه فيه أو يأمر به أمر إيجاب أو إستحباب وهذا يرد على الجهمية و من

²⁷⁰ مجموع الفتاوى ج: 11 ص: 266 و منهاج السنة النبوية ج: 3 ص: 157 و أمراض القلوب ج: 1 ص: 46 و التحفة العراقية ج: 1 ص: 46

²⁷¹ مجموع الفتاوى ج: 11 ص: 355

إتبعهم كأبى الحسن الأشعري و من و افقه من المتأخرین و بسط
هذه الأمور له موضع آخر و المقصود هنا جواب هذه
المسألة فإن هذه الإشكالات المذکورة إنما ترد على قول جهم
و من و افقه من المتأخرین من أصحاب أبى الحسن الأشعري
و غيرهم و طائفة من متأخری أصحاب مالک و الشافعی و أحمد
و أما أئمۃ أصحاب مالک و الشافعی وأحمد و عامة أصحاب أبى
حنفیة فانهم لا يقولون بقول هؤلاء بل يقولون بما اتفق عليه
السلف من انه سبحانه ما شاء كان وما لم يشاً لم يكن ويثبتون
الفرق بين مشیئته وبين محبته و رضاه فيقولون ان الكفر
والفسق والعصيان وان وقع بمسئیئته فهو لا يحبه ولا يرضاه بل

بسخطه و يبغضه ويقولون اراده الله في كتابه نو عان
نوع بمعنى المشیئة لما خلق قوله {فَمَنْ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَ
يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِيدُ أَنْ يُضْلِلَهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً
حرجاً كأنما يصعد في السماء} الأنعام 125 و نوع بمعنى
محبته و رضاه لما امر به وإن لم يخلقه قوله {يُرِيدُ اللَّهُ إِكْمُ
الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ إِكْمُ الْعُسْرَ} البقرة 185 وبهذا يفضل التزاع في
مسألة الامر هل هو مستلزم للارادة ام لا فان القدرة تزعم
انه مستلزم للمشیئة فيكون قد شاء المأمور به ولم يكن والجهمية
قالوا انه غير مستلزم لشيء من الإرادة لا لحبه له ولا رضاه به
الا اذا وقع فانه ما شاء كان وما لم يشاً لم يكن وكذلك عندهم ما
احبه و رضيه كان وما يحبه لم يرضيه لم يكن و تأولوا قوله {وَلَا
يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ} الزمر 7 على ان المراد من لم يقع منه
الكفر او لا يرضاه دينا كما يقولون لم يشاً من لم يقع منه او لا
يشاء دينا اذا كانوا موافقين للجهمية والقدرة في انه لا فرق بين
المحبة والمشیئة وقد قال الله تعالى {إِنْ تَكُفُّرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ
عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ} الزمر 7
فأخبر انه اذا وقع الكفر من عباده لم يرضه لعباده كما قال {
إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ} النساء 108 وقال {وَاللَّهُ لَا
يُحِبُّ الْفَسَادَ} البقرة 205 مع قوله {وَمَنْ يُرِيدُ أَنْ يُضْلِلَهُ يَجْعَلْ

صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا الْأَنْعَامٌ 125 وَ فَصْلُ الْخُطَابِ إِنَّ الْأَمْرَ لَيْسَ مِسْتَازِمًا لِمُشِيَّةٍ أَنْ يَخْلُقَ الرَّبُّ الْأَمْرَ الْفَعْلَ الْمَامُورَ بِهِ وَ لَا إِرَادَةَ أَنْ يَفْعُلَهُ بِلٍ قَدْ يَأْمُرُ بِمَا لَا يَخْلُقُهُ وَ ذَلِكَ مِتَسْلُومٌ لِمُحَبِّهِ الرَّبِّ وَ رَضَاهُ مِنَ الْعَبْدِ أَنْ يَفْعُلَهُ بِمَعْنَى أَنَّهُ إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ احْبَهُ وَ رَضِيَّهُ وَ هُوَ يَرِيدُ مِنْهُ إِرَادَةَ الْأَمْرِ مِنَ الْمَامُورِ بِمَا أَمْرَهُ بِهِ لِمُصْلِحَتِهِ وَ إِنَّمَا لَمْ يَرِيدْ أَنْ يَخْلُقَهُ وَ إِنْ يَعِينَهُ عَلَيْهِ لَمَّا لَهُ فِي تَرْكِ ذَلِكَ مِنَ الْحُكْمَةِ فَإِنَّ لَهُ حُكْمَهُ بِالْغَةِ فِيمَا خَلَقَهُ وَ فِيمَا لَمْ يَخْلُقْهُ وَ فَرْقُ بَيْنِ إِنَّ يَرِيدَ أَنْ يَخْلُقَهُ وَ يَفْعُلَهُ غَيْرَهُ فَاعْلَامًا يَحْسَنُ إِلَيْهِ وَ يَتَقْضِي عَلَيْهِ بِالْإِعْانَةِ لَهُ عَلَى مُصْلِحَتِهِ وَ بَيْنَ إِنْ يَأْمُرَ غَيْرَهُ بِمَا يَصْلَحُهُ وَ بَيْنَ لَهُ مَا بِنَفْعَةِ إِذَا فَعَلَهُ وَ إِنْ كَانَ لَا يَرِيدُ هُوَ نَفْسُهُ إِنْ يَعِينَهُ لَمَّا فِي تَرْكِ اعْانَتِهِ مِنَ الْحُكْمَةِ لِكَوْنِ الْإِعْانَةِ قَدْ مِتَسْرُمٌ مَا يَنْاقِضُ حُكْمَتَهُ وَ الْمَنْهَى عَنِ الْذِي خَلَقَهُ هُوَ يَبْغُضُهُ وَ يَمْقُتُهُ كَمَا يَمْقُتُ مَا خَلَقَهُ مِنَ الْأَعْيَانِ الْخَبِيثَةِ كَالشَّيَاطِينِ وَ الْخَبَائِثِ وَ لَكِنَّهُ خَلَقَهَا لِحُكْمِهِ يَحْبُبُهَا وَ يَرِضُّهَا وَ نَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ الْعَبْدَ يَرِيدُ أَنْ يَفْعُلَ مَا لَا يَحْبِبُهُ لِأَفْضَلَهُ إِلَى مَا يَحْبِبُهُ كَمَا يَشْرُبُ الْمَرِيضُ الدَّوَاءَ الْكَرِيمَ لِأَفْضَلِهِ إِلَى مَا يَحْبِبُهُ مِنَ الْعَافِيَةِ وَ يَفْعُلُ مَا يَكْرَهُهُ مِنَ الْأَعْمَالِ لِأَفْضَلِهِ إِلَى مَطْلُوبِهِ الْمَحْبُوبِ لَهُ وَ لَا مُنَافَاةَ بَيْنَ كَوْنِ الشَّيْءِ بِغَيْضِهِ إِلَيْهِ مَعْ كَوْنِهِ مَخْلوقًا لِهِ لِحُكْمِهِ يَحْبُبُهَا وَ كَذَلِكَ لَا مُنَافَاةَ بَيْنَ إِنْ يَحْبِبُهُ إِذَا كَانَ وَ لَا يَفْعُلُهُ لَآنَ فَعْلَهُ قَدْ يَسْتَلِزِمُ تَفْوِيتَ مَا هُوَ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْهُ أَوْ
وَجْدَ مَا هُوَ أَبْغَضُ إِلَيْهِ مِنْ عَدْمِهِ²⁷²

* فَالْخُبْرُ يَتَضَمَّنُ الْعِلْمَ بِالْمَخْبُرِ بِهِ وَ الْأَمْرَ يَتَضَمَّنُ طَلْبًا وَ إِرَادَةً لِلْمَامُورِ بِهِ وَ إِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ إِرَادَةً فَعْلَ الْأَمْرِ وَ اللَّهُ تَعَالَى أَمْرَ الْعَبَادِ بِمَا أَمْرَهُمْ بِهِ وَ لَكِنْ أَعْنَى أَهْلَ الطَّاعَةِ فَصَارَ مَرِيدًا لِأَنَّ يَخْلُقَ أَفْعَالَهُمْ وَ لَمْ يَعْنِ أَهْلَ الْمَعْصِيَةِ فَلَمْ يَرِدْ أَنْ يَخْلُقَ أَفْعَالَهُمْ فَهَذِهِ إِلَرَادَةُ الْخَلْقِيَّةِ الْقَدْرِيَّةِ لَا تَسْتَلِزِمُ الْأَمْرَ وَ إِمَّا إِلَرَادَةٌ بِمَعْنَى

²⁷² مَجْمُوعُ الْفَتاوَىِ ج: 8 ص: 474-478

أنه يجب فعل ما أمر به و يرضاه إذا فعل و يريد من المأمور أن يفعله من حيث هو مأمور فهذه لابد منها في الأمر و لهذا أثبت الله هذه الإرادة في الأمر دون الأولى و لكن في الناس من غلط فنفي الإرادة مطلقاً و كلا الفريقين لم يميز بين الإرادة الخلقية والإرادة الأمريكية و القرآن فرق بين الإرادتين فقال في الأولى {فَمَنْ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يُشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِيدُ أَنْ يُضْلِلَهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا} الأنعام 125 و لهذا قال

ال المسلمين ما شاء الله كان و ما لم يشأ لم يكن و قال في الثانية {يُرِيدُ اللَّهُ إِكْمَلُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ إِكْمَلُ الْعُسْرَ} البقرة 185 و هذا مبسط في موضع آخر و المقصود هنا أنه لابد في الأمر من طلب واستدعاء و إقتضاء سواء قيل إن هناك إرادة شرعية و أنه لا إرادة للرب متعلقة بأفعال العباد سوها كما تقوله المعتزلة و نحوهم من القدرية أو قيل لا إرادة للرب إلا الإرادة الخلقية القدриة التي يقال فيها ما شاء الله كان و ما لم يشأ لم يكن و أن إرادته عين نفس محبته و رضاه و أن إرادته و محبته و رضاه متعلقة بكل ما يوجد من إيمان و كفر و لا تتعلق بما لا يوجد سواء كان إيماناً أو كفراً و أنه ليس للعبد قدرة لها أثر في وجود مقدوره و ليس في المخلوقات قوى وأسباب يخلق بها و لا الله حكمة يخلق و يامر لأجلها كما يقول هذا و ما يشبهه جهم بن صفوان رأس لجبرية هو و من و افقه على ذلك أو بعضه من طوائف أهل الكلام و بعض متأخري الفقهاء و غيرهم المثبتين للقدر على هذه الطريقة لا على طريقة السلف و الأئمة كأبي الحسن و غيره فإن هؤلاء ناقضوا القدريه المعتزلة مناقضة الجائم إلى إنكار حقيقة الأمر و النهي و الوعيد و إن كان من يقول ببعض ذلك يتناقض وقد يثبت أحدهم من ذلك مما لا حقيقة له في المعنى وأما السلف و أئمة الفقهاء و جمهور المسلمين فيثبتون الخلق والأمر والإرادة الخلقية القدريه الشاملة لكل حادث و الإرادة الأمريكية الشرعية المتناولة لكل ما يحبه الله و يرضاه لعباده و هو ما أمرت به الرسل و هو ما ينفع

العبد و يصلحهم و يكون له العاقبة الحميدة النافعة في المعاد الدافعة للفساد وهذه الإرادة الأمريكية الشرعية متعلقة بالهيبة المتضمنة لربوبيته كما أن تلك الإرادة الخلقية القدريّة متعلقة بربوبيته ولها كان من نظر على هذه فقط و راعي هذه الخلقية الكونية القدريّة دون تلك يكون له بداية بلا نهاية فيكون من الأخرين أعمالاً يحصل لهم بعض مطالبهم في الدنيا لاستعانتهم بالله إذ شهدوا ربوبيته و لا خلاق لهم في الآخرة إذ لم يعبدوا الله مخلصين له الدين و قد وقع في هذا طوائف من أهل التصوف و الكلام و من نظر إلى الحقيقة الشرعية الأمريكية دون ذلك فإنه قد يكون له عاقبة حميدة و قد يراعي الأمر لكنه يكون عاجز مخدولاً حيث لم يشهد ربوبية الله و فقره إليه ليكون متوكلاً عليه بريباً من الحول و القوة إلا به فهذا قد يقصد أن يعبده و لا يقصد حقيقة الاستعانة به و هي حال القدريّة من المعتزلة و نحوهم الذين يقررون أن الله ليس خالقاً لفعال العباد و لا مریداً للكائنات و لهذا قال أبو سليمان الداراني إنما يعجب بفعله القدري لأنه لا يرى أنه هو الخالق لفعله فأماماً أهل السنة الذين يقررون أن الله خالق أفعالهم و أن الله المنة عليهم في ذلك فكيف يعجبون بها أو كما قال و الأول قد يقصد أن يستعينه و يسأله و يتوكل عليه و يبرأ من الحول و القوة إلا به و لكن لا يقصد أن يعبده بفعل ما أمر به و ترك ما نهى عنه على السنن رسلاه و لا يشهد أن الله يحب أن يعبد و يطاع و أنه يفرح بتوبة التائبين و يحب المتقين و يغضب على الكفار و المنافقين بل ينسلخ من الدين أو بعضه لا سيما في نهاية أمره و هذه الحال إن طردها صاحبها كان شرعاً من حال المعتزلة القدريّة بل إن طردها طرد حقيقياً آخر جته من الدين خروج الشيرة من العجين و هي حال المشركين و أما من هداه الله فإنه يحقق قوله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ الفاتحة 5 و يعلم أن كل عمل لا يراد به و جه الله و لا يوافق أمره فهو مردود على صاحبه و كل قاصد لم يعنه الله فهو مصدود من مآربه فإنه يشهد أن لا إله إلا الله فيعبد الله مخلساً له الدين

مستعينا بالله على ذلك مؤمنا بخلقه و أمره بقدره و شرعا
فيستعين الله على طاعته و يشكراه عليه و يعلم أنها منة من الله
عليه و يستعيد بالله من شر نفسه و سيئات عمله و يعلم أن ما
أصابه من سيئة فمن نفسه مع علمه بأن كل شيء بقضاء الله و
قدره و أن الله الحجة البالغة على خلقه و أن له في خلقه و أمره
حكمة بالغة و رحمة سابعة و هذه الأمور أصول عظيمة لبسطها

²⁷³

موضع آخر

*قد أحاط ربنا سبحانه وتعالى بكل شيء علما وقدرة وحكم
ووسع كل شيء رحمة وعلما فما من ذرة في السموات والأرض
ولا معنى من المعاني إلا وهو شاهد الله تعالى بتمام العلم
والرحمة وكمال القدرة والحكمة وما خلق الخلق باطلًا ولا فعل
 شيئاً عبثاً بل هو الحكيم في أفعاله وأقواله سبحانه وتعالى ثم من
حكمته ما أطلع خلقه بعضهم ومنه ما استأثر سبحانه بعلمه
وإرادته قسمان إرادة أمر وتشريع وإرادة قضاء وتقدير فالقسم
الأول إنما يتعلق بالطاعات دون المعاشي سواء وقعت أو لم
تتحقق كما في قوله {يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيْكُمْ سُنَّ الدِّيَنِ مِنْ
فَلَكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلَيْمٌ حَكِيمٌ} النساء: 26 وقوله {يُرِيدُ
اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ} البقرة: 185 وأما القسم الثاني
وهو إرادة التقدير فهي شاملة لجميع الكائنات محيطة بجميع
الحوادث وقد أراد من العالم ما هم فاعلوه بهذا المعنى لا بالمعنى
الأول كما في قوله تعالى {فَمَنْ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيْهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ
لِإِسْلَامٍ وَمَنْ يُرِيدُ أَنْ يُضْلَلَ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيْقًا حَرَجًا
} الأنعام: 125 وفي قوله {وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ
أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيْكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ
} هود: 34 وفي قول المسلمين ما شاء الله كان وما لم يشاً لم يكن
ونظائره كثيرة وهذه الإرادة تتناول ما حدث من الطاعات

والمعاصي دون ما لم يحدث كما أن الأولى تتناول الطاعات حدثت أو لم تحدث والسعيد من أراد منه تشريعاً ما أراد به تقديره والعبد الشقي من أراد به تقدير ما أراد به تشريعاً والحكم يجري على وفق هاتين الإرادتين فمن نظر إلى الأعمال بهاتين العينين كان بصيراً ومن نظر إلى القدر دون الشرع أو الشرع دون القدر كان أغوراً مثل قريش الذين قالوا {لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكَنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمَنَا مِنْ شَيْءٍ} الأنعام 148 قال الله تعالى {كَذَّلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بِأَسْنَانَ قُلْ هُنَّ عَنِّدَكُمْ مَنْ عِلْمٌ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنُّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ} الأنعام 148 فإن هؤلاء اعتقدوا أن كل ما شاء الله وجوده وكونه وهي الإرادة القدريّة فقد أمر به ورضيه دون الإرادة الشرعية ثم رأوا أن شركهم بغير شرع مما قد شاء الله وجوده قالوا فيكون قد رضيه وأمر به قال الله هكذا كذب الذين من قبلهم بالشرع من الأمر والنهي حتى ذاقوا بأسنانا {قُلْ هُنَّ عَنِّدَكُمْ مَنْ عِلْمٌ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا} الأنعام 148 بأن الله شرع الشرك وتحريم ما حرمته إن تتبعون في هذا إلا الظن وهو توهمكم أن كل ما قدره فقد شرعه {وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ} الأنعام 148 أي تكذبون وتقررون بإبطال شريعته {قُلْ فِلَلِهِ الْحَجَّةُ الْبَالِغَةُ} الأنعام 149 على خلقه حين أرسل الرسل إليهم فدعوهم إلى توحيده وشرعيته ومع هذا فلو شاء هدى الخلق أجمعين إلى متابعة شريعته لكنه يمن على من يشاء فيهديه فضلاً منه وإحساناً ويحرم من يشاء لأن المتنصل له أن يتفضل وله أن لا يتفضل فترك تفضله على من حرمه عدل منه وقسط وله في ذلك حكمة بالغة وهو يعاقب الخلق على مخالفة أمره وإرادته الشرعية وإن كان ذلك بإرادته القدريّة فإن القدر كما جرى بالمعصية جرى أيضاً بعقابها كما أنه سبحانه قد يقدر على العبد أمراًضاً تعقبه آلاماً فالمرض بقدره والألم بقدره فإذا قال العبد قد تقدمت الإرادة بالذنب فلا أعقاب كان بمنزلة قول المريض قد تقدمت الإرادة بالمرض فلا أتألم أو قد تقدمت الإرادة بأكل الحار فلا

يحم مزاجي أو قد تقدمت بالضرب فلا يتالم المضروب وهذا مع أنه جهل فإنه لا ينفع صاحبه بل اعتلاله بالقدر ذنب ثان يعاقب عليه أيضا وإنما اعتل بالقدر إيليس حيث قال {بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَرْزَيْنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ} الحجر 39 وأما آدم فقال {رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} الأعراف 23 فمن أراد الله سعادته ألهمه أن يقول كما قال آدم عليه السلام أو نحوه ومن أراد شقاوته اعتل بعلة إيليس أو نحوها فيكون كالمستجير من الرمضاء بالنار ومثله مثل رجل طار إلى داره شرارة نار فقال له العقلاه أطفئها لئلا تحرق المنزل فأخذ يقول من أين كانت هذه ريح أقتها وأنا لا ذنب لي في هذه النار فما زال يتعلل حتى انتشرت النار وما فيها هذه حال من شرع يحيل الذنوب على المقادير ولا يردها بالاستغفار والمعاذير بل حاله أسوأ من زلات الذنب وكان الله بخلاف الشررة فإنه لافعل له فيها والله سبحانه يوفقنا وإياكم وسائل إخواننا لما يحبه ويرضاه ولا تثال طاعته إلا بمعونة وتنترك معصيته إلا بعصمته والله أعلم 274

* فقد ثبت بالكتاب والسنّة وإجماع العلماء أنه لو حلف ليقضينه حقه في غد إن شاء الله تعالى فخرج الغد ولم يقضه مع قدرته على القضاء من غير عذر وطالبه المستحق له لم يحيث ولو كانت المشيئة بمعنى الأمر لحيث لأنه مأمور بذلك وكذلك سائر الحلف على فعل مأمور إذا علقه بالمشيئة وأيضا فإنه قد قال تعالى {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً} يونس 99 مع أنه قد أمرهم بالإيمان فعلم أنه قد أمرهم بالإيمان ولم يشاء وكذلك قوله {وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضْلِلَهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً}

²⁷⁴الفتاوى الكبرى ج: 2 ص: 33-30

حرجاً { الأنعام 125} دليل على أنه أراد ضلاله وهو لم يأمره بالضلال 275

*تنازع الناس في الأمر والإرادة هل يأمر بما لا يريد أو لا يأمر إلا بما يريد فإن الإرادة لفظ فيه إجمال يراد بالإرادة الكونية الشاملة لجميع الحوادث كقول المسلمين ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وقوله تعالى {فَمَنْ يُرِدُ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَ يَسْرَحْ صَدْرَهُ لِإِلْسَلَامِ وَمَنْ يُرِدُ أَنْ يُضْلِلَهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيْقًا حَرَجًا كَائِنًا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ } {الأنعام 125} وقول نوح عليه السلام {وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ } هود 34 ولا ريب أن الله يأمر العباد بما لا يريد بهذا التفسير والمعنى كما قال تعالى {وَلَوْ شِئْنَا لَأَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا } السجدة 13 فدل على أنه لم يؤت كل نفس هداها مع أنه قد أمر كل نفس بهدتها وكما اتفق العلماء على أن من حلف بالله ليقضين دين غريمه غدا إن شاء الله أوليردن وديعته أو غصبه أو ليصلين الظهر أو العصر إن شاء الله أو ليصوم من رمضان إن شاء الله ونحو ذلك مما أمره الله به فإنه إذا لم يفعل المخلوق عليه لا يحيث مع أن الله أمره به لقوله إن شاء الله فعل ما لم يشأ مع أمره به وأما الإرادة الدينية فهي بمعنى المحبة والرضى وهي ملازمة للأمر كقوله تعالى {يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنُنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَنْهَا عَلَيْكُمْ } النساء 26 ومنه قول المسلمين هذا يفعل شيئا لا يريد الله إذا كان يفعل بعض الفواحش أى أنه لا يحبه ولا يرضاه بل ينهى عنه ويكرهه وكذلك لفظ الجبر فيه إجمال يراد به إكراه الفاعل على الفعل بدون رضاه كما رضاه كما يقال أن الأب يجبر المرأة على النكاح والله تعالى أجل وأعظم من أن يكون مجبرا بهذا التفسير فإنه يخلق للعبد الرضاة والإختيار بما يفعله وليس ذلك جبرا بهذا الإعتبار ويراد

بالجبر خلق ما في النفوس من الإعتقادات والإرادات كقول محمد بن كعب القرظي الجبار الذي جبر العباد على ما أراد وكما في الدعاء المأثور عن علي رضي الله عنه جبار القلوب على فطرتها شقيها وسعیدها والجبر ثابت بهذا التقسير فلما كان لفظ الجبر مجملًا نهى الأئمة الإعلام عن إطلاق إثباته أو 276 فيه

ومن قال أن قدرة العبد وغيرها من الأسباب التي خلق الله تعالى بها المخلوقات ليست أسباباً أو أن وجودها كعدمها وليس هناك إلا مجرد إقتران عادي كإقتران الدليل بالمدلول فقد جد ما في خلق الله وشرعه من الأسباب والحكم والعلل ولم يجعل في العين قوة تمتاز بها عن الخد تبصر بها ولا في القلب قوة يمتاز بها عن الرجل يعقل بها ولا في النار قوة تمتاز بها عن التراب تحرق بها وهؤلاء ينكرن ما في الأجسام المطبوعة من الطبائع والغرائز
قال بعض الفضلاء تكلم قوم من الناس في إبطال الأسباب والقوى والطبع فأضحكوا العقلاً على عقولهم ثم أن هؤلاء لا ينبغي للإنسان أن يقول أنه شبع بالخبز وروى بالماء بل يقول شبعت عنده ورويت عنده فإن الله يخلق الشبع والري ونحو ذلك من الحوادث عند هذه المقتربات بها عادة لا بها وهذا خلاف الكتاب والسنة فإن الله تعالى يقول {وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّياحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَفْلَتْ سَحَابًا تِقْلَالًا سُقْنَاهُ لِبَدَ مَيْتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرُجُ الْمُوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} الأعراف 57 الآية وقال تعالى {وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ} البقرة 164 وقال تعالى {فَاتَّلُو هُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيهِمْ} التوبة 14 وقال {فَلْمَنْ هُنْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَّنِ}

وَنَحْنُ نَرَبُّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبُكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عَنْهِ أَوْ بِأَيْدِينَا {التوبه 52} وقال {وَنَزَّلْنَا مِنِ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنْزَلْنَا بِهِ جَنَاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ} {ق 9} وقال تعالى {وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنِ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلَّ شَيْءٍ} {الأنعام 99} وقال تعالى {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنِ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْلِفًا لَّوْا نَهَا} {فاطر 27} وقال تعالى {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنِ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُمْ مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ شَرِيمُون} {10} يُنِيبُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعُ وَالرَّيْثُونَ وَالنَّخْيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ النَّمَراتِ} {11} {النحل 10-26} وقال تعالى {إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا} {البقرة 11} إلى قوله {يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا} {البقرة 26} وقال قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين {قَدْ جَاءَكُمْ مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ} {15} {يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُّلَ السَّلَامِ} {المائدة 16-15} ومثل هذا في القرآن كثير وكذلك في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم كقوله لا يموتن أحد منكم إلا آذنته بي به حتى أصلى عليه فإن الله جعل بصلاتي عليه بركه ورحمة وقال صلى الله عليه وسلم إن هذه القبور مملوءة على أهلها ظلمة وإن الله جاعل بصلاتي عليهم نوراً ومثل هذا كثير ونظير هؤلاء الذين أبطلوا الأسباب المقدرة في خلق الله من أبطل الأسباب المشروعة في أمر الله كالذين يظنون أن ما يحصل بالدعاء والأعمال الصالحة وغير ذلك من الخيرات إن كان مقدراً حصل بدون ذلك وإن لم يكن مقدراً لم يحصل بذلك وهم هؤلاء كالذين قالوا للنبي أفلأ ندع العمل ونتكل على الكتاب فقال لا اعملوا فكل ميسر لما خلق له وفي السنن أنه قيل يارسول الله أرأيت أدوية نتداوي بها ورقى نسترقى وتقاة نتفقها هل ترد من قدر الله شيئاً فقال هي من قدر الله ولهاذا قال من قال من العلماء الإنفاقات إلى الأسباب شرك في التوحيد وهو الأسباب أن تكون أسباباً تغيير في وجه العقل والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع والله سبحانه خلق الأسباب والمسبيات وجعل هذا سبباً لهذا فإذا

قال القائل إن كان هذا مقدراً حصل بدون السبب وإن لم يحصل
 جوابه أنه مقدر بالسبب وليس مقدراً بدون السبب كما قال النبي
 إن الله خلق للجنة أهلاً خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم وخلق
 للنار أهلاً خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم وقال اعملوا
 فكل ميسر لما خلق له أما من كان من أهل السعادة فسيسر لعمل
 أهل السعادة وأما من كان من أهل الشقاوة فسيسر لعمل أهل
 الشقاوة وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه
 قال حدثنا رسول الله وهو الصادق المصدوق إن أحدهم يجمع
 خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم يكون علة مثل ذلك ثم
 يكون مضغة مثل ذالك ثم يرسل إليه الملك فيؤمر بأربع كلمات
 فيقال أكتب رزقه وعمله وأجله وشققي أو سعيد ثم ينفح فيه الروح
 قال فوالذي نفسي بيده إن أحدهم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما
 يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل
 النار فيدخلها وإن أحدهم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون
 بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة
 فيدخلها فيبين أن هذا يدخل الجنة بالعمل الذي ي عمله ويختتم له به
 وهذا يدخل النار بالعمل الذي ي عمله ويختتم له به كما قال صلى
 الله عليه وسلم إنما الأعمال بالخواتيم و ذلك لأن جميع
 الحسنات تحبط بالردة و جميع السيئات تغفر بالتوبة و نظير ذلك
 من صام ثم أفتر قبل الغروب أو صلى و أحدث عمداً قبل كمال
 الصلاة بطل عمله و بالجملة فالذي عليه سلف الأمة وأتمتها
 ما بعث الله به رسلاً وأنزل كتابه فيؤمنون بخلق الله و أمره بقدره
 و شرعه بحكمه الكوني و حكمه الديني و إرادته الكونية و الدينية
 كما قال في الآية الأولى {فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَ أَنْ يَسْرَحْ صَدْرَهُ
 لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدُ أَنْ يُضْلِلَهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيْقًا حَرَجاً كَائِنًا
 يَصَدَّدُ فِي السَّمَاءِ} الأنعام 125 وقال نوح عليه السلام {وَلَا
 يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ
 يُغُويَكُمْ} هود 34 وقال تعالى في الإرادة الدينية {يُرِيدُ اللَّهُ
 بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ} البقرة 185 وقال {يُرِيدُ اللَّهُ

لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيْكُمْ سُنَّ الدِّيَنَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيُبَوِّبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيْمٌ حَكِيمٌ } النساء 26 و قال { مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ } المائدة 6 وهم مع إقرارهم بأن الله خالق كل شيء و ربه ومليكه وأنه خلق الأشياء بقدره و مشيئته يقررون بأنه لا إله إلا هو لا يستحق العبادة غيره و يطيعونه و يطيعون رسالته و يحبونه و يرجونه و يخشونه و يتکلون عليه و ين比ون اليه و يوالون أولياءه و يعادون أعداءه ويقررون بمحبته لما أمر به و لعباده المؤمنين و رضاه بذلك و بغضه لما أنهى عنه و للكافرين و سخطه لذلك و مقته له و يقررون بما إستفاض عن النبي صلى الله عليه وسلم من أن الله أشد فرحا بتوبة عبده التائب من رجل أضل راحلته بأرض دوية مهلكة عليها طعامه و شرابه فطلبها فلم يجدوها فقال تحت شجرة فلما إستيقظ إذا بذاته عليها طعامه و شرابه فالله أشد فرحا بتوا به عبده من هذا براحتة فهو إلههم الذي يعبدونه و ربهم الذي يسألونه كما قال تعالى { الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } الفاتحة 2 إلى قوله { إِبَّاكَ نَعْبُدُ وَإِبَّاكَ نَسْتَعِينُ } الفاتحة 5 فهو المعبود المستعان والعبادة تجمع كمال الحب مع كمال الذل فهم يحبونه أعظم مما يحب كل محب محبوبه ²⁷⁷

هل أراد الله تعالى المعصية من خلقه أم لا؟

* لفظ الإرادة مجمل له معنيان فيقصد به المشيئة لما خلقه ويقصد به المحبة والرضا لما أمر به فإن كان مقصود السائل أنه أحب المعاصي ورضي بها وأمر بها فلم يردها بهذا المعنى فإن الله لا يحب الفساد ولا يرضى لعباده الكفر ولا يأمر بالفحشاء بل

قال لمانهى عنه {كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا} الإسراء 38 وإن أراد أنها من جملة ما شاءه وخلقه فالله خالق كل شيء وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ولا يكون في الوجود إلا ما شاء وقد ذكر الله في موضع أنه يريدها وفي موضع أنه لا يريدها المراد بالأول أنه شاءها خلقا وبالثاني أنه لا يحبها ولا يرضاهما أمرا كما قال تعالى {فَمَنْ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَ يَسْرَخْ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِيدُ أَنْ يُضْلِلَهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيْقَاً حَرَجاً} الأنعام 125 وقال نوح {وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ} هود 34 وقال في الثاني {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ} البقرة 185 وقال تعالى {يُرِيدُ اللَّهُ لِبَيْنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَّ الدِّينِ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} 26 وقال الله يريده أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً {يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخْفِفَ عَنْكُمْ وَخُلُقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا} النساء 26-28 وقال {مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَاجٍ وَلِكُنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُنَمِّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} المائدة 6 وقال {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا} الأحزاب 33²⁷⁸

قد أحاط ربنا سبحانه وتعالى بكل شيء علما وقدرة وحكما ووسع كل شيء رحمة وعلما بما من ذرة في السموات والأرض ولا معنى من المعاني إلا وهو شاهد لله تعالى بتمام العلم والرحمة وكمال القدرة والحكمة وما خلق الخلق باطلًا ولا فعل شيئاً عبثاً بل هو الحكيم في أفعاله وأقواله سبحانه وتعالى ثم من حكمته ما أطلع بعض خلقه عليه ومنه ما إستأثر سبحانه بعلمه إرادته قسمان إرادة أمر و تشريع وإرادة قضاء و تقدير

²⁷⁸ مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 160

فالقسم الأول إنما يتعلق بالطاعات دون المعاشي سواء وقعت أو لم تقع كما في قوله {يُرِيدُ اللَّهُ لِبِيَنَ لَكُمْ وَيَهْدِيْكُمْ سُنَّ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ} النساء 26 و قوله {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ} البقرة 185 وأما القسم الثاني وهو إرادة التقدير فهي شاملة لجميع الكائنات محيطة بجميع الحالات وقد أراد من العالم ما هم فاعلوه بهذا المعنى لا بالمعنى الأول كما في قوله تعالى {فَمَنْ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِإِسْلَامٍ وَمَنْ يُرِيدُ أَنْ يُضْلِلَهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا} الأنعام 125 وفي قوله {وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصُبِّي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ} هود 34 وفي قول المسلمين ما شاء الله كان وما لم يشاً لم يكن نظائره كثيرة وهذه الإرادة تتناول ما حدث من الطاعات والمعاishi دون ما لم يحدث كما أن الأولى تتناول الطاعات حدثت أو لم تحدث و السعيد من أراد منه تقدير ما أراد به تشريعا والعبد الشقي من أراد به تقديرها ما لم يرد به تشريعا و الحكم يجري على وفق هاتين الإرادتين فمن نظر إلى الأعمال بهاتين العينين كان بصيرا و من نظر إلى القدر دون الشرع أو الشرع دون القدر كان أعمور مثل قريش الذين قالوا {لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَأْنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ}

} الأنعام 148 قال الله تعالى {كَذَّالِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بِأَسْنَانَ قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مَنْ عِلْمٌ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنُّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ} الأنعام 148 فإن هؤلاء اعتقدوا أن كل ما شاء الله وجوده وكونه وهي الإرادة القدرة فقد أمر به ورضيه دون الإرادة الشرعية ثم رأوا أن شركهم بغير شرع مما قد شاء الله وجوده قالوا فيكون قد رضيه وأمر به قال الله {كَذَّالِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} الأنعام 148 بالشرع اتفى من الأمر و النهي {حَتَّىٰ ذَاقُوا بِأَسْنَانَ قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مَنْ عِلْمٌ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنُّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ} الأنعام 148 {قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مَنْ عِلْمٌ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا} الأنعام 148 بأن الله شرع الشرك و تحريم ما حرمتوا }

إِن تَتَّبِعُونَ } الْأَنْعَامُ 148 فِي هَذَا { إِلَّا الظَّنُّ } الْأَنْعَامُ 148 وَ
هُوَ تَوْهِمُكُمْ أَنْ كُلَّ مَا قَدِرْتُهُ فَقَدْ شَرَعْتُهُ { وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ }
الْأَنْعَامُ 148 أَيْ تَكْذِبُونَ وَتَقْتَرُونَ بِإِبطَالِ شَرِيعَتِهِ { فَلِلَّهِ
الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ } الْأَنْعَامُ 149 عَلَى خَلْقِهِ حِينَ أَرْسَلَ الرَّسُولَ إِلَيْهِمْ
فَدُعُوهُمْ إِلَى تَوْحِيدِهِ وَشَرِيعَتِهِ وَمَعَ هَذَا فَلَوْ شَاءَ هُدًى الْخَلْقِ
أَجْمَعِينَ إِلَى مَتَابِعَةِ شَرِيعَتِهِ لَكُنْهُ يَمْنَى عَلَى مَنْ يَشَاءُ فِيهِ دِيَهِ فَضْلًا
مِنْهُ وَإِحْسَانًا وَيَحْرُمُ مَنْ يَشَاءُ لَأَنَّ الْمُتَفَضِّلَ لَهُ أَنْ يَتَقْضِلَ لَهُ أَنْ
لَا يَتَقْضِلَ فَتَرَكَ تَقْضِيلَهُ عَلَى مَنْ حَرَمَهُ عُدُلُّ مِنْهُ وَقَسْطٌ وَلَهُ فِي
ذَلِكَ حِكْمَةٌ بِالْغَةٍ وَهُوَ يَعَاقِبُ الْخَلْقَ عَلَى مُخَالَفَةِ أَمْرِهِ وَإِرْدَاتِهِ
الشَّرِيعَةِ وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ بِإِرْدَاتِهِ الْقَدْرِيَّةِ فَإِنَّ الْقَدْرَ كَمَا جَرِي
بِالْمَعْصِيَةِ جَرِي أَيْضًا بِعِقَابِهَا كَمَا أَنَّهُ سَبَاحَانَهُ قَدْ يَقْدِرُ عَلَى الْعَبْدِ
أَمْ رَاضِيَا تَعْقِبَهُ آلَامًا فَالْمَرْضُ بِقَدْرِهِ وَالْأَلْمُ بِقَدْرِهِ فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ قَدْ
تَقْدَمَتِ الْإِرَادَةُ بِالذَّنْبِ فَلَا أَعَاقِبُ كَانَ بِمَنْزِلَةِ قَوْلِ الْمَرْيَضِ قَدْ
تَقْدَمَتِ الْإِرَادَةُ بِالْمَرْضِ فَلَا أَتَأْلَمُ وَقَدْ تَقْدَمَتِ الْإِرَادَةُ بِأَكْلِ الْحَارِ
فَلَا يَحْمِي مَرْاجِيُّ أَوْ قَدْ تَقْدَمَتِ بِالضَّرْبِ فَلَا يَتَأْلَمُ الْمَضْرُوبُ وَهَذَا
مَعَ أَنَّهُ جَهَلَ فَإِنَّهُ لَا يَنْفَعُ صَاحِبَهُ بِلِ إِعْتَلَالِهِ بِالْقَدْرِ ذَنْبُ بَانِ
يَعَاقِبُ عَلَيْهِ أَيْضًا وَإِنَّمَا اِعْتَلَ بِالْقَدْرِ إِبْلِيسُ حِيثُ قَالَ { إِنَّمَا
أَغْوَيْتَنِي لِأَرْزَيَنِ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ } الْحِجْرَ 39 وَأَمَّا آدَمُ فَقَالَ
{ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَّكُونَنَا مِنِ
الْخَاسِرِينَ } الْأَعْرَافُ 23 فَمَنْ أَرَادَ اللَّهُ سَعَادَتَهُ أَهْمَهُ أَنْ يَقُولَ
كَمَا قَالَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوْ نَحْوُهُ وَمَنْ أَرَادَ شَقَاوَتَهُ إِعْتَلَ بِعَلَةٍ
إِبْلِيسُ أَوْ نَحْوُهَا فَيَكُونُ كَالْمُسْتَجِيرِ مِنَ الرَّمْضَاءِ بِالنَّارِ مِثْلَهُ مُثْلِهِ
رَجُلٌ طَارَ إِلَى دَارِهِ شَرَارَةُ نَارٍ فَقَالَ لِهِ الْعُقَلَاءُ أَطْفَئُهَا لِئَلَّا تُحرِقُ
الْمَنْزِلَ فَأَخْذَ يَقُولُ مِنْ أَيْنَ كَانَتْ هَذِهِ رِيحُ الْقَتْهَا وَأَنَا لَا ذَنْبٌ لِي
فِي هَذِهِ النَّارِ فَمَا زَالَ يَتَعَلَّلُ بِهَذِهِ الْعَلَلِ حَتَّى اسْتَعْرَتْ وَانْتَشَرَتْ
وَاحْرَقَتِ الدَّارَ وَمَا فِيهَا هَذِهِ حَالٌ مِنْ شَرِعٍ يُحِيلُ الذَّنَوبَ عَلَى
الْمَقَادِيرِ وَلَا يَرْدِهَا بِالْإِسْتَغْفَارِ وَالْمَعَاذِيرِ بِلِ حَالَهُ أَسْوَأُ مِنْ ذَلِكَ
بِالذَّنْبِ الَّذِي فَعَلَهُ بِخَلْفِ الشَّرَارَةِ فَإِنَّهُ لَا فَعْلٌ لَهُ فِيهَا وَاللَّهُ
سَبَاحَانَهُ يَوْفَقُنَا وَإِيَّاكُمْ وَسَائِرُ إِخْوَانَا لَمَا يَحْبِبَهُ وَيَرْضَاهُ فَإِنَّهَا لَا

الهدي أربعة أقسام

* وجلب المنفعة ودفع المضرة أما أن يكون في الدين أو في الدنيا فصارت أربعة أقسام الهدية والمغفرة وهما جلب المنفعة ودفع المضرة في الدين والطعام والكسوة وهما جلب المنفعة ودفع المضرة في الدنيا وإن شئت قلت الهدية والمغفرة يتعلقان بالقلب الذي هو ملك البدن وهو الأصل في الأعمال الإرادية والطعام والكسوة يتعلقان بالبدن الطعام لجلب منفعته واللباس لدفع مضرته وفتح الأمر بالهدية فإنها وإن كانت الهدية النافعة هي المتعلقة بالدين فكل اعمال الناس تابعة لهدى الله إياهم كما قال سبحانه { سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى } 1 { الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى } 2 { وَالَّذِي قَدَرَ فَهَدَى } 3 { الْأَعْلَى } 3-4 وقال موسى { رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْفَهُ ثُمَّ هَذِي } 5-6 وقال تعالى { وَهَدَنَا إِلَيْنَا النَّجْدَيْنِ } 7-8 وقال { إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كُفُورًا } 9 الإنسان 3 ولهذا قيل الهدى أربعة أقسام احدها الهدية إلى مصالح الدنيا وهذا مشترك بين الحيوان الناطق والأعمى وبين المؤمن والكافر و الثاني الهدى بمعنى دعاء الخلق إلى ما ينفعهم وأمرهم بذلك وهو نصب الأدلة وإرسال الرسل وإنزال الكتب بهذا أيضا يشترك فيه جميع المكلفين سواء آمنوا أو كفروا كما قال تعالى { وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحْبُوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى } 10 فصلت 17 وقال تعالى { إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ } 11 الرعد 7 وقال تعالى { وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } 12

{ الشورى 52 } فهذا مع قوله { إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ }
{ القصص 56 } يبين أن الهدى الذى أثبته هو البيان والدعاء
والأمر والنهى والتعليم وما يتبع ذلك ليس هو الهدى الذى نفاه
وهو القسم الثالث الذى لا يقدر عليه إلا الله { الكافر 1 } والقسم الثالث
الهوى الذى هو جعل الهوى فى القلوب وهو الذى يسميه بعضهم
بالإلهام والإرشاد وببعضهم يقول هو خلق القدرة على الإيمان
كالتوفيق عندهم ونحو ذلك وهو بناء على أن الإستطاعة لا تكون
إلا مع الفعل فمن قال ذلك من أهل الإثبات جعل التوفيق والهوى
ونحو ذلك خلق القدرة على الطاعة { الروم 26 } وأما من قال أنها
إستطاعتان إحداها قبل الفعل وهي الإستطاعة المشروطة
في التكليف كما قال تعالى { وَلَهُ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ
اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا } آل عمران 97 وقال النبي لعمران بن حصين
صل قائما فإن لم تستطع فقاعدا فإن لم تستطع فعلى جنب
وهذه الإستطاعة يقترن بها الفعل تارة والترك أخرى وهي
الإستطاعة التي لم تعرف القدرة غيرها كما أن أولئك المخالفين
لهم من أهل الإثبات لم يعرفوا إلا المقارنة وأما الذي عليه
المحققون من أئمة الفقه والحديث والكلام وغيرهم فاثبات
النوعين جميعاً كما قد بسطناه في غير هذا الموضوع فإن الأدلة
الشرعية والعقلية تثبت النوعين جميعاً والثانية المقارنة للفعل
وهي الموجبة له وهي المنافية عنم لم يفعل في مثل قوله { مَا
كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ } هود 20
وفي قوله { لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً } الكهف 101 وهذا الهوى الذى يكثر ذكره
في القرآن في مثل قوله { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْقِطِيمَ } الفاتحة 6
وقوله { فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَ يُشْرِخْ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدُ أَنْ
يُضْلِلَ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيْقًا حَرَاجًا } الأنعام 125 وفي قوله { مَنْ
يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا } الكهف 17
وأمثال ذلك وهذا هو الذى تنكر القدرة أن يكون الله هو
الفاعل له ويزعمون أن العبد هو الذى يهدى نفسه وهذا الحديث
وأمثاله حجة عليهم حيث قال يا عبادى كلكم ضال إلا من

هديته فإنتهونى أهدكم فأمر العباد بأن يسألوه الهدية كما امرهم بذلك فى أم الكتاب فى قوله {اَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} الفاتحة⁶ وعند القدرة إن الله لا يقدر من الهدى إلا على ما فعله من إرسال الرسل ونصب الأدلة وإزاحة العلة ولا مزية عندهم للمؤمن على الكافر في هداية الله تعالى ولا نعمة له على المؤمن أعظم من نعمته على الكافر في باب الهدى وقد بين الإختصاص في هذه بعد عموم الدعوة في قوله {وَاللَّهُ يَدْعُونَ إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنِ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} {يونس 25} فقد جمع الحديث تزييه عن الظلم الذي يجوزه عليه بعض المثبتة وبيان أنه هو الذى يهدى عباده ردا على القدرة فأخبر هناك بعدله الذى يذكره بعض المثبتة وأخبر هنا بإحسانه وقدره الذى تتكره القدرة وإن كان كل منهما قصده تعظيمها لا يعرف ما إشتمل عليه قوله والقسم الرابع الهدى في الآخرة كما قال تعالى {إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ} تجري من تحتها الأنهر يحلون فيها من أسوار من ذهب ولوًؤا ولبسهم فيها حرير^{23} {وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ} {الحج 24-23} وقال {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيْهُمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ} {يونس 9} فقوله {يَهْدِيْهُمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ} {يونس 9} كقوله {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَأَتَبْعَثْنَاهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ بِإِيمَانِ الْحَقِّ} لهم ذرية لهم وما أنتا لهم من عملهم من شيء^{21} {الطور 21} على أحد القولين في الآية وهذا الهدى ثواب الإهتداء في الدنيا كما أن ضلال الآخرة جراء ضلال الدنيا وكما أن قصد الشر في الدنيا جزاوه الهدى إلى طريق النار كما قال تعالى {اْحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَرَوَاجُهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْدُونَ} {الصفات 22} من دون الله فاهموا إلى صراط الجحيم^{23} {الجحيم 23-22} وقال {وَمَنْ كَانَ في هذه أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا} {الإسراء 72} وقال {فَإِمَّا يَأْتِيْنَكُمْ مِّنِي هُدًى فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَىَ فَلَا يَضُلُّ وَلَا يَسْقُى} {النور 123} ومن أعرض عن ذكري فإنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضنكًا

وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى {124} قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى
وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا {125} قَالَ كَذَلِكَ أَتَنْكَ آتَيْنَا فَنَسِيَّتَهَا وَكَذَلِكَ
الْيَوْمَ نَثْسَى {126} طه 123-126 وقال {وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ
الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلَ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ غَمْيَاً وَبُكْمَاً وَصُمْمَاً } الإِسْرَاءُ 97 الآية
فأخبر أن الضالين في الدنيا يحشرون يوم القيمة عميا وبكما
وصما فإن الجزاء أبدا من جنس العمل كما قال الراحموان
يرحمهم الرحمن إرحموا من في الأرض يرحكم من في السماء
وقال من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى
الجنة ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ومن
ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما
كان العبد في عون أخيه وقال من سئل عن علم يعلمه
فكتمه الجمه الله يوم القيمة بلجام من نار 280

أن الله خص المؤمنين بنعمة دون الكافرين بأن هداهم للايمان

*جمهور أهل السنة يقولون إن العبد فاعل لفعله حقيقة لا مجازا وإنما نازع في ذلك طائفه من متكلمه أهل الإثبات كالأشعرى ومن اتبعه القرآن مملوء بما يدل على أن أفعال العباد حادثة بمشيئة الله وقدرته وخلقه فيجب الإيمان بكل ما في القرآن ولا يجوز أن نؤمن ببعض الكتاب ونکفر ببعض 281

²⁸⁰الفتاوى الكبيرى ج: 1 ص: 424 و مجموع الفتاوى ج: 18 ص: 176-171

منهاج السنة النبوية ج: 3 ص: 258²⁸¹

*أن أفعال العباد حادثة كائنة بعد أن لم تكن فحكمها حكمسائر الحوادث وهي ممكنة من الممكناط فحكمها حكم سائر الممكناط
فما من دليل يستدل به على أن بعض الحوادث والممكناط
مخلوقة الله إلا وهو يدل على أن أفعال العباد مخلوقة الله فإنه قد
علم أن المحدث لا بد له من محدث وهذه المقدمة ضرورية عند
جماهير العقلاط وكذلك الممكن لا بد له من مرجح تام فإذا كان
 فعل العبد حادثاً بعد أن لم يكن فلا بد له من محدث وإذا قيل
المحدث هو العبد فيكون العبد صار محدثاً له بعد أن لم يكن هو
أيضاً أمر حادث فلا بد له من محدث إذ لو كان العبد لم يزل
محذثاً له لزム دوام ذلك الفعل الحادث وإذا كان إحداثه له حادثاً
فلا بد له من محدث وإذا قيل المحدث بإرادة العبد قيل فرارته
أيضاً حادثة فلا بد لها من محدث وإن قيل حدثت بإرادة من العبد
قيل تلك الإرادة أيضاً لا بد لها من محدث فأي محدث فرضته في
العبد إن كان حادثاً فالقول فيه كالقول في الحادث الأول وإن
جعلته قديماً أزلياً كان هذا ممتنعاً لأن ما يقوم بالعبد لا يكون
قديماً أزلياً وإن قلت هو وصف للعبد وهي قدرته المخلوقة فيه
متلاً لم ينفعك هذا لوجوه أحدها أن يقال فإذا كانت هذه القدرة
المخلوقة فيه موجودة قبل حدوث الفعل وحين حدوثه فلا بد من
سبب آخر حادث ينضم إليها وإلا لزم ترجيح أحد المثلين على
الآخر بلا مرجح وحدوث الحوادث بلا سبب حادث وإلا فإذا كان
حال العبد قبل أن يفعل وحاله حين الفعل سواء لا مزية لأحد
الحالين على الآخر وكان تخصيص هذه الحال بكونه فاعلاً فيها
دون الأخرى ترجيحاً لأحد المتماثلين بدون مرجح وهذا إذا
قيل فعله يمكن أن يكون وأن لا يكون والممكن لا يترجح وجوده
على عدمه إلا بمرجح تام والمرجح إذا كان من العبد فالقول فيه
كالقول في الفعل فلا بد أن يكون المرجح التام من الله تعالى وأن
يستلزم وجوده وجود الفعل وإلا لم يكن تماماً ولأجل هذا اتفق
أهل السنة المثبتون للقدر على أن الله خص المؤمنين بنعمة دون
الكافرين بأن هداهم للإيمان ولو كانت نعمته على المؤمنين مثل

نعمته على الكافرين لم يكن المؤمن مؤمنا كما قال تعالى {
 ولَكُنَّ اللَّهَ حَبِّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَرَزَّيَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ
 وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أَوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ} الحجرات 7 وقال
 تعالى {يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ
 يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَذَا كُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} الحجرات 17
 وقال تعالى {فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ
 بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} البقرة 213 وقال
 تعالى {أَوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ}
 المجادلة 22 وقال تعالى {فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِي يُسْرَحْ صَدْرَهُ
 لِلإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدُ أَنْ يُضْلِلَ يُسْرَحْ صَدْرَهُ ضَيْقًا حَرَجًا كَائِنًا
 يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ} الأنعام 125 ²⁸²

*قال الله تعالى { وَمَنْ يَتَّقَنَ اللَّهَ يَجْعَلَ لَهُ مَخْرَجًا } 2 { وَيَرْزُقُهُ مِنْ
 حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بِالْعُ
 ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قُدْرًا } 3 الطلاق 2-3 وقد فسروا الآية
 بالخرج من ضيق الشبهات بالشاهد الصحيح والعلم الصرير
 والذوق كما قالوا يعلمه من غير تعليم بشر ويفطنه من غير
 تجربة ذكره أبو طالب المكي كما قالوا في قوله { إِنْ تَنْقُوا اللَّهَ
 يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا } الأنفال 29 أنه نور يفرق به بين الحق
 والباطل كما قالوا بصرًا والآية تعم المخرج من الضيق الظاهر
 والضيق الباطن قال تعالى {فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِي يُسْرَحْ صَدْرَهُ
 لِلإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدُ أَنْ يُضْلِلَ يُسْرَحْ صَدْرَهُ ضَيْقًا حَرَجًا كَائِنًا
 يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ} الأنعام 125 وتعتم ذوق الأجساد وذوق
 القلوب من العلم والإيمان كما قيل مثل ذلك في قوله { وَمِمَّا
 رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ } البقرة 3 وكما قال { وَأَنْزَلْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
 الْبَرْقَةَ } 22 وهو القرآن والإيمان ²⁸³

²⁸² منهاج السنة النبوية ج: 3 ص: 116 - 120

²⁸³ مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 56

{ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ }

* الله خالق كل شيء و ما شاء كان و مالم يشأ لم يكن و في إستعادة النبي صلى الله عليه وسلم أعود بكلمات الله التامة التي لا يجاوزها برو لا فاجر من شر ما ذرأ و برأ و أعود بكلمات الله التامة من غضبه و عقابه و شر عباده فكلماته التامة هي التي كون بها الأشياء كما قال تعالى {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ }يس 82 لا يجاوزها برو لا فاجر و لا يخرج أحد عن القدر المقدور و لا يتتجاوز ما خط له في اللوح المسطور و هذا المعنى قد دل عليه القرآن في غير موضع قوله {وَلَقَدْ ذَرَانَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ }الأعراف 179 الآية و قوله { مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ }الأنعام 111 {أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ }الحج 70 و قوله في السحر { وَمَا هُمْ بِضَارَّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ }البقرة 102 {فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَ يَسْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدُ أَنْ يُضْلِلَ يَجْعَلُ صَدْرَهُ ضَيْقًا حَرَجًا }الأنعام 125 و نحو ذلك²⁸⁴

* إن كل ما في الوجود فهو مخلوق له خلقه بمشيئة و قدرته و ما شاء كان و مالم يشأ لم يكن و هو الذي يعطي و يمنع و يخفض و يرفع و يعز و يذل و يغني و يفقر و يضل و يهدى و يسعد و يشقى و يولي الملك من يشاء و ينزعه من يشاء و يشرح صدر من يشاء للإسلام و يجعل صدر من يشاء ضيقاً كأنما يصعد في السماء و هو يقلب القلوب ما من قلب من قلوب العباد إلا و هو بين إصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أن يقيمه أقامه و إن شاء

أَن يُزِيغَهُ أَزاغَهُ وَهُوَ الَّذِي حَبَبَ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِهِمْ وَكَرِهَ إِلَيْهِمُ الْكُفَّارُ وَالْفَسُوقُ وَالْعَصِيَانُ أَوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ الْمُسْلِمَ مُسْلِمًا وَالْمُصْلِي مُصْلِيًّا قَالَ الْخَلِيلُ {رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمَنْ دُرِّيَّتَنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ} البقرة 128 وَقَالَ {رَبِّ اجْعُلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمَنْ دُرِّيَّتِي} إِبْرَاهِيمَ 40 وَقَالَ تَعَالَى {وَاجْعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهُدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا} السَّجْدَةُ 24 وَقَالَ عَنْ آلِ فَرْعَوْنَ {وَاجْعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ} الْقُصْصَ 41 وَقَالَ تَعَالَى {إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هُلُوقًا} 19 {إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا} 20 {وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنْوِعًا} 21 الْمَعَارِجُ 19-21 وَقَالَ {وَاصْنَعْ لِلنَّاسِ مَا يَعْيَنُونَ وَوَحْيَنَا} 37 وَقَالَ {وَيَصْنَعْ لِلنَّاسِ} هود 38 وَالْفَلَكُ مُصْنَوْعَةٌ لِبْنَي آدَمَ وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ تَبارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ خَلَقَهَا بِقَوْلِهِ {وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مَثْلِهِ مَا يَرْكُبُونَ} يس 42 وَقَالَ {وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُونَهَا يَوْمَ طَعْنَكُمْ وَيَوْمَ إِقْامَتُكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينِ} النَّحْلُ 80 الْآيَاتُ وَهَذِهِ كُلُّهَا مُصْنَوْعَةٌ لِبْنَي آدَمَ وَقَالَ تَعَالَى {أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِثُونَ} 95 {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} 96 الاصفات 95-96 فَمَا بِمَعْنِي الَّذِي وَمَنْ جَعَلُوهَا مُصْدِرِيَّةً فَقَدْ غَلَطَ لِكُنْ إِذَا خَلَقَ الْمَنْحُوتَ كَمَا خَلَقَ الْمُصْنَوْعَ وَالْمَلْبُوسَ وَالْمَبْنَى دَلَّ عَلَى أَنَّهُ خَالِقُ كُلِّ صَانِعٍ وَصَنْعَتِهِ وَقَالَ تَعَالَى {مَنْ يَهْدِي اللَّهُ فَهُوَ الْمُهَدِّدُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْسِدًا} الْكَهْفُ 17 وَقَالَ {فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدُ أَنْ يُضْلِلَ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا} الْأَنْعَامُ 125 وَهُوَ سَبَحَانُهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَرَبُّهُ وَمَلِيكُهُ وَلَهُ فِيمَا خَلَقَهُ حِكْمَةٌ بِالْغَةِ وَنِعْمَةٌ سَابِغَةٌ وَرِحْمَةٌ عَامَّةٌ وَخَاصَّةٌ وَهُوَ لَا يَسْأَلُ عَمَّا بَفْعَلَ وَهُمْ يَسْأَلُونَ لَا لِمَجْرِدِ قَدْرَتِهِ وَقَهْرِهِ بِلِ كَمَالِ عِلْمِهِ وَقَدْرَتِهِ وَرِحْمَتِهِ وَحِكْمَتِهِ فَإِنَّهُ سَبَحَانُهُ وَتَعَالَى أَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ وَأَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَهُوَ أَرْحَمُ بَعْبَادِهِ مِنَ الْوَالِدَةِ بُولَدَهَا وَقَدْ أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَقَالَ تَعَالَى {وَتَرَى

الْجِبَالَ تَحْسِبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَنْقَنَ
كُلَّ شَيْءٍ } النَّمَل 88 وقد خلق الأشياء بأسباب كما قال تعالى
{وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا
{الْبَقْرَةُ 164 و قال {فَانْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ
الثِّمَرَاتِ } الْأَعْرَافُ 57 وقال تعالى {يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مِنْ اتَّبَعَ
رِضْوَانَهُ سُبُّلَ السَّلَامِ } المائدة 16²⁸⁵

* فالبشر ليس إلى الله بوجه من الوجوه فإنه وإن كان الله خالق
أفعال العباد فخلقهم للطاعات نعمة ورحمة وخلقهم للسيئات له فيه
حكمة ورحمة وهو مع هذا عدل منه فما ظلم الناس شيئاً ولكن
الناس ظلموا أنفسهم وظلمتهم لأنفسهم نوعان عدم عملهم
بالحسنات وهذا ليس مضافاً إليه وعملهم للسيئات خلقه عقوبة لهم
على ترك الحسنات التي خلقهم لها وأمرهم بها فكل نعمة منه
فضل وكل نعمة منه عدل ومن تدبر القرآن تبين له أن عامة
ما يذكره الله في خلق الكفر والمعاصي يجعله جزاء لذلك العمل
كت قوله تعالى {فَمَنْ يُرِدُ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ
وَمَنْ يُرِدُ أَنْ يُضْلِلَهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيْقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي
السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ } الأنعام 125²⁸⁶

* إنما يبتلى به من الذنوب وإن كان خلقاً لله فهو عقوبة له
على عدم فعل ما خلقة الله له وفطره عليه فإنه خلقه لعبادته
وحده ودل عليه الفطرة فلما لم يفعل ما خلق له ما فطر عليه
عقوبة على ذلك بأن زين له الشيطان ما يفعله من الشرك و
المعاصي قال تعالى {إِذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ
جَزَاءً مَوْفُورًا } الإسراء 63 إلى قوله {إِنَّ عَبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ

²⁸⁵ مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 78

²⁸⁶ الحسنة والسيئة ج: 1 ص: 94 و مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 35

سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا {الإسراء 65} و قال تعالى {إِنَّمَا لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} 99 إنما سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ} 100 النحل 99-100 الآية و قال تعالى {إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ} 201 وَإِخْوَانُهُمْ يَمْدُونُهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ} 202 الأعراف 201-202 فتبين أن الإخلاص يمنع من تسلط الشيطان كما قال تعالى {كَذَلِكَ لِتُصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءِ إِنَّمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ} يوسف 24 فكان إلهامه لفجوره عقوبة له و عدم فعل الحسنات ليس أمراً موجوداً حتى يقال إن الله خلقه و من تدبر القرآن تبين له أن عامة ما يذكر الله في خلق الكفر و المعاصي يجعله جزاءً لذلك العمل كقوله تعالى {فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيْهُ يَسْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدُ أَنْ يُضْلِلَهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيْقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ} الأنعام 125 الآية و قال تعالى {فَلَمَّا زَاغُوا أَرَاعَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ} الصاف 5 و قال {وَأَمَّا مَنْ بَخَلَ وَاسْتَغْنَى} 8 وَكَذَبَ بِالْحُسْنَى} 9 فَسَيِّسَرُهُ لِلْعُسْرَى} 10 الليل 10-8 و هذا و أمثاله يذكر فيه أعمالاً عاقبهم بها على فعل محظور و ترك مأمور و لا بد لهم من حركة و إرادة فلما لم يتحركوا بالحسنات حرکوا بالسيئات عدلاً من الله كما قيل نفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل وهذا الوجه إذا حق يقطع مادة كلام طائفتي القدرية المكذبة و المجبرة الذين يقولون خلقها لذلك و التعذيب لهم ظلم يقال لهم إنما أوقعهم فيها و طبع على قلوبهم عقوبة لهم فما ظلمهم ولكن ظلموا أنفسهم يقال ظلمته إذا نقصته حقه قال تعالى {كَلَّا لِلْجَنَّتَيْنِ أَنْتَ أَكُلُّهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا} الكهف 33 وكثير منهم يسلمون أن الله خلق من الأعمال ما يكون جزاء على عمل متقدم و يقولون خلق طاعة المطيع لكن ما خلق شيئاً من الذنوب إبتداء بل جراء فيقولون أول ما يفعل العبد لم يحدثه الله و ما ذكرنا يوجب أن

يكون الله خالق كل شيء لكن أولها عقوبة على عدم فعله لما خلق له و العدم لا يضاف الى الله فما أحدهه فأوله عقوبة على هذا العدم و سائرها قد يكون عقوبة على ما و جد و قد يكون عقوبة على إستمراره على العدم فما دام لا يخلص الله لا يزال مشركا و الشيطان مسلط عليه ثم تخصيصه سبحانه لمن هداه بأن إستعمله ابتداء فيما خلق له تخصيص بفضله و هذا منه لا يوجب الظلم ولا يمنع العدل ولهذا يقول تعالى {وَاللَّهُ يَخْتَصُ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ} البقرة 105 و كذلك الفضل هو أعلم به كما خص بعض الأبدان بقوى لا توجد في غيرها و بسبب عدم القوة قد تحصل له أمراض و جودية و غير ذلك من حكمته و تحقيق هذا يدفع شبكات هذا الباب و مما ذكر فيه العقوبة على عدم الإيمان قوله تعالى {وَنُقَلِّبُ أَفْئَدَتُهُمْ وَأَيْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْ أَمَرَةٍ} الأنعام 110 هذا من تمام قوله {وَمَا يُشَعِّرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ} الأنعام 109 فذكر أن هذا التقليل يكون لمن لم يؤمنوا به أول مرة و هذا عدم الإيمان لكن يقال هذا بعد دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم لهم وقد كذبوا و تركوا الإيمان وهذه أمور وجودية لكن الموجب هو عدم الإيمان و ما ذكر شرط في التعذيب كإرسال الرسول فإنه قد يستغل عن الإيمان بما جنسه مباح لا يستحق به العقوبة إلا لأنه شغله عن الإيمان ومن الناس من يقول ضد الإيمان هو تركه وهو أمر و جودي لا ضد له إلا ذلك²⁸⁷

"إِنَّ لِلْحَسَنَةِ نُورًا فِي الْقَلْبِ وَإِنَّ لِلْسَّيِّئَةِ أَظْلَمَةً فِي الْقَلْبِ "

²⁸⁷ مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 222-224

* ان الظاهر لابد له من باطن يتحققه ويصدقه ويواافقه فمن قام بظاهر الدين من غير تصديق بالباطن فهو منافق ومن ادعى باطننا يخالف ظاهرا فهو كافر منافق بل باطن الدين يتحقق ظاهره ويصدقه ويواافقه وظاهره يواافق باطنه ويصدقه ويتحققه فكما ان الانسان لابد له من روح وبدن وهما متفقان فلا بد لدين الانسان من ظاهر وباطن يتلقان فالباطن للباطن من الانسان والظاهر للظاهر منه القرآن مملوء من ذكر أحكام الباطن والظاهر والباطن أصل الظاهر كما قال أبو هريرة القلب ملك والأعضاء جنوده فإذا طابت جنوده وإذا خبث الملك خبثت جنوده وقد قال النبي **ألا وان في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد وإذا فسست فسد لها سائر الجسد ألا وهي القلب** وفي المسند عن النبي انه قال **الاسلام علانية والايمان في القلب** وقد قال تعالى {أُولئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْنَا} المجادلة 22 وقال تعالى {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَرْدَدُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ} الفتح 4 وقال تعالى {فَمَنْ يُرِدُ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدُ أَنْ يُضْلِلَ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيْقًا حَرَجًا كَائِنًا يَصَدُّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ} الأنعام 125 وقال تعالى {اللَّهُ نَرَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّتَانِي تَفَسَّرُ مِنْهُ جُلُودُ الْأَذْيَنَ يَخْسُونَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلَيْنُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ} الزمر 23 وقال تعالى {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذِكْرَ اللَّهُ وَجِلْتُ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيتُ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادُهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} الأنفال 2 وقال تعالى {الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطَمِّنُ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطَمِّنُ الْقُلُوبُ} الرعد 28 وأمثال هذا كثير في القرآن وقال في حق الكفار {أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدُ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ} المائدة 41 وقال {خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً} البقرة 7 وأمثال ذلك فسائل الله العظيم أن يصلح بواطتنا وظواهرنا ويوقفنا لما يحبه ويرضاه من جميع أمورنا

بمنه وكرمه والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد
وآلـه وصحبه وسلم تسليماً كثيراً²⁸⁸

* وأصل الزكاة الزيادة في الخير ومنه يقال زكا الزرع وزكا
المال اذا نما ولن ينمو الخير الا بترك الشر والزرع لا يزكو
حتى يزال عنه الدغل فكذلك النفس والأعمال لا تزكى حتى يزال
عنها ما ينافضها ولا يكون الرجل متزكيا الا مع ترك الشر فإنه
يذنس النفس ويدسيها قال الزجاج دساهما جعلها ذليلة حقيرة
خسيسة وقال الفراء دساهما لأن البخل يخفي نفسه ومنزله وماليه
قال ابن قتيبة أي أخفاها بالفجور والمعصية فالفاجر دس نفسه أي
قمعها وخباها وصانع المعروف شهر نفسه ورفعها وكانت أجود
العرب تنزل الربي لتشهر أنفسها واللثام تنزل الأطراف واللوديان
فالبلر والتقوى يبسط النفس ويشرح الصدر بحيث يجد الإنسان في
نفسه اتساعاً وبساطاً عما كان عليه قبل ذلك فإنه لما اتسع بالبر
والتفوى والاحسان بسطه الله وشرح صدره والفجور والبخل
يُقْعِدُ النَّفْسَ وَيُضْعِدُهَا وَيَهْبِئُهَا بِحِيثِ يَجِدُ الْبَخِيلَ فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ
ضيق وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم ذلك في الحديث
الصحيح فقال مثل البخيل والمتصدق كمثل رجلين عليهما جبتان
من حديد قد اضطرت أيديهما إلى تراقيهما فجعل المتصدق كلما
هم بصدقة اتسعت وانبسطت عنه حتى تغشى أنامله وتعفو أثره
وجعل البخيل كلما هم بصدقة قلصت وأخذت كل حلقة بمكانها
وأنا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بإصبعه في جيده
فلو رأيتها يوسعها فلا تتسع آخر جاه وإخفاء المنزل واظهاره تبعاً
لذلك قال تعالى {يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيْمَسِكُهُ
عَلَى هُونٍ أَمْ يَدْسُسُهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} النحل 59
فهكذا النفس البخلية الفاجرة قد دسها أصحابها في بدنه بعضها في

بعض ولها وقت الموت تنزع من بدنها كما ينزع السفود من الصوف المبتل والنفس البرة النقية التي قد زكاه صاحبها فارتقت واتسعت ومجدت ونبلت فوقت الموت تخرج من البدن تسيل كال قطرة من في السقاء وكالشعرة من العجين قال ابن عباس ان للحسنة لنورا في القلب وضياء في الوجه وقوة في البدن وسعة في الرزق ومحبة في قلوب الخلق وان للسيئة لظلمة في القلب وسوادا في الوجه وهو نار في البدن وضيقا في الرزق وبغضة في قلوب الخلق قال تعالى {وَالْبَلْدُ الطَّيْبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ إِذْنَ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبَثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكَدًا} الأعراف 58 الآية وهذا مثل البخيل والمنافق قال {فَمَنْ يُرِدُ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِإِسْلَامٍ وَمَنْ يُرِدُ أَنْ يُضْلِلَ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَاجًا} الأنعام 125 الآية وقال {اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ} البقرة 257 الآية ²⁸⁹

من الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه وبما وصفه به رسوله

*فاعتقد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة وهو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والإيمان بالقدر خيره وشره ومن الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه وبما وصفه به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكيف ولا تمثيل بل يؤمنون بأن الله سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فلا ينفعون عنه ما وصف به نفسه ولا

²⁸⁹ الزهد والورع والعبادة ج: 1 ص: 63 و مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 630-629

يحرفون الكلم عن موضعه ولا يلحدون في أسماء الله وآياته ولا يكيفون ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه لأنه سبحانه لا سمي له ولا كفو له ولا ند له ولا يقاس بخلقه سبحانه وتعالى فانه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره وأصدق قيلاً وأحسن حديثاً من خلقه ثم رسله صادقون مصدوقون بخلاف الذين يقولون عليه مالاً يعلمون ولها قال سبحانه وتعالى {سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ} 180 {وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ} 181 {وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} 182 {الصفات} 180-182 فسبح نفسه عما وصفه به المخالفون للرسل وسلم على المرسلين لسلامة ما قالوه من النقص والعيوب وهو سبحانه قد جمع فيما وصف وسمى به نفسه بين النفي والإثبات فلا عدول لأهل السنة والجماعة عما جاء به المرسلون فإنه الصراط المستقيم صراط الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وقد دخل في هذه الجملة ما وصف به نفسه في سورة الإخلاص التي تعدل ثلث القرآن وقوله سبحانه {فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدُ أَنْ يُضْلِلُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيْقًا حَرَجًا كَائِنًا يَصَعَّدُ فِي السَّمَاءِ} الأنعام 125²⁹⁰

* وأن الله سمي نفسه وصفاته بأسماء وسمى بعض عباده وصفات عباده بأسماء هي في حقهم نظير تلك الأسماء في حقه سبحانه وتعالى فسمى نفسه عليما ك قوله {إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلَيْهِ} الأنعام 128 وسمى بعض عباده عليما ك قوله {قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلَيْهِ} الحجر 53 مع العلم بأنه ليس العليم كالعليم²⁹¹

²⁹⁰ مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 130-131 و العقيدة الواسطية ج: 1 ص:

10

²⁹¹ الجواب الصحيح ج: 4 ص: 422

{وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمٌ قَدْ فَصَّلَنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ
يَذَّكَّرُونَ} 126 {لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ} 127 {الْأَنْعَامَ 126-127}

استمتاع الانس بالجن والجن بالانس

* فان الجن مأمورون ومنهيون كالانس وقد بعث الله الرسل من الانس اليهم والى الانس وأمر الجميع بطاعة الرسل كما قال تعالى {يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسَ أَلْمَ يَاتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهَدْنَا عَلَى أَنفُسِنَا وَغَرَّنَاهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهَدُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ} {الأنعام 130} وهذا بعد قوله {وَيَوْمَ يُحْسِرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدْ اسْتَكْرِرْتُمْ مِّنَ الْإِنْسَ وَقَالَ أُولَئِكُو هُمْ مِّنَ الْإِنْسَ رَبَّنَا اسْتَمْتَعْ بَعْضُنَا بَعْضً وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَوْا كُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ} {الأنعام 128}

قال غير واحد من السلف أى كثير من أغويتهم من الانس وأضللتهم قال البعوى قال بعضهم استمتاع الانس بالجن ما كانوا يلقون لهم من الأراجيف والسحر والكهانة وتزيينهم لهم الأمور التي يهؤنها ويسهل سبيلها عليهم واستمتاع الجن بالانس طاعة الانس لهم فيما يزينون لهم من الضلاله والمعاصى قال محمد بن كعب هو طاعة بعضهم لبعض وموافقة بعضهم ببعضا وذكر ابن أبي حاتم عن الحسن البصري قال ما كان استمتاع بعضهم ببعض الا أن الجن أمرت وعملت الانس وعن محمد بن كعب قال هو الصحابة فى الدنيا وقال ابن السائب استمتاع الانس بالجن استعادتهم بهم واستمتاع الجن بالانس ان قالوا قد أسرنا الانس مع الجن حتى عاذوا بنا فيزدادون شرفا فى أنفسهم وعظموا فى نفوسهم وهذا كقوله {وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهْقًا} الجن 6 قلت الاستمتاع

بالشيء هو أن يتمتع به فينال به ما يطلبه ويريده ويهاوه
ويدخل في ذلك استمتاع الرجال بالنساء بعضهم بعض كما قال
﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَأَنْوَهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ النساء 24
ومن ذلك الفواحش كاستمتاع الذكور بالذكور والإناث بالإناث
ويدخل في هذا الاستمتاع بالاستخدام وأئمة الرياسة كما يتمتع
الملوك والساسة بجنودهم وماليكيهم ويدخل في ذلك الاستمتاع
بالمواول كاللباس ومنه قوله ﴿وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدْرُهُ
وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدْرُهُ مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ﴾ البقرة 236 وكان من
السلف من يتمتع المرأة بخادم فهي تستمتع بخدمته ومنهم من يتمتع
بكسوة أو نفقة ولهذا قال الفقهاء أعلى المتعة خادم وأدنها كسوة
تجزى فيها الصلاة وفي الجملة استمتاع الانس بالجن
والجن بالانس يشبه استمتاع الانس بالانس قال تعالى ﴿الْأَخْلَاءِ
يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ الزخرف 67 وقال
تعالى ﴿وَتَقْطَعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ البقرة 166 قال مجاهد هى
المودات التي كانت لغير الله وقال الخليل ﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذُتُمْ مِنْ
دُونِ اللَّهِ أُوْثَانًا مَوَدَّةً بَيْنُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُفُّ
بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾ العنكبوت 25 وقال
تعالى ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ الجاثية 23 فالمشرك يعبد
ما يهاوه واتباع الهوى هو استمتاع من صاحبه بما يهاوه وقد وقع
في الانس والجن هذا كله وتارة يخدم هؤلاء لهؤلاء في
أغراضهم وهؤلاء لهؤلاء في أغراضهم فالجن تأتيه بما يريد من
صورة او مال او قتل عدوه والانس تطيع الجن فتارة تسجد له
وتارة تسجد لما يأمره بالسجود له وتارة تتمكنه من نفسه فيفعل به
الفاحشة وكذلك الجنيات منهن من يريد من الانس الذي يخدمه
ما يريد نساء الانس من الرجال وهذا كثير في رجال الجن
ونسائهم فكثير من رجالهم ينال من نساء الانس ما يناله الانسى
وقد يفعل ذلك بالذكران وصرع الجن للإنس هو لأسباب
ثلاثة تارة يكون الجن يحب المتصروع فيصرعه ليتمتع به وهذا
الصرع يكون أرقى من غيره وأسهل وتارة يكون الانسى آذاهم

اذا بال عليهم او صب عليهم ماء حارا او يكون قتل بعضهم او غير ذلك من انواع الاذى وهذا اشد الصراع وكثيرا ما يقتلون المتصروع وتارة يكون بطريق العبث به كما يعبث سفهاء الانس بابناء السبيل ومن استمتاع الانس بالجن استخدامهم فى الاخبار بالأمور الغائبة كما يخبر الكهان فان فى الانس من له غرض فى هذا لما يحصل به من الرياسة والمال وغير ذلك فان كان القوم كفارا كما كانت العرب لم تبال بأن يقال أنه كاهن كما كان بعض العرب كهانا وقدم النبي المدينة وفيها كهان وكان المنافقون يطلبون التحاكم الى الكهان وكان أبو أبرق الاسلامي أحد الكهان قبل أن يسلم وان كان القوم مسلمين لم يظهر أنه كاهن بل يجعل ذلك من باب الكرامات وهو من جنس الكهان فإنه لا يخدم الانسى بهذه الاخبار الا لما يستمتع به من الانسى بان يطيعه الانسى فى بعض ما يريده اما فى شرك واما فى فاحشة واما فى أكل حرام واما فى قتل نفس بغير حق فالشياطين لهم غرض فيما نهى الله عنه من الكفر والفسوق والعصيان ولهم لذة فى الشر والفتنة يحبون ذلك وان لم يكن فيه منفعة لهم وهم يأمرن السارق أن يسرق ويذهبون الى أهل المال فيقولون فلان سرق متاعكم ولهذا يقال القوة الملكية والبهيمة والسبعينية والشيطانية فان الملكية فيها العلم النافع والعمل الصالح والبهيمة فيها الشهوات كالأكل والشرب والسبعينية فيها الغضب وهو دفع المؤذى وأما الشيطانية فشر محض ليس فيها جلب منفعة ولا دفع مضره والفلاسفة ونحوهم من لا يعرف الجن والشياطين لا يعرفون هذه وانما يعرفون الشهوة والغضب والشهوة والغضب خلافا لمصلحة ومنفعة لكن المذموم هو العداون فيما وأما الشيطان فيأمر بالشر الذى لا منفعة فيه ويحب ذلك كما فعل ابليس بأدم لما وسوس له وكما امتنع من السجود له فالحسد يأمر به الشيطان والحسد لا ينتفع بزوال النعمة عن المحسود لكن يبغض ذلك وقد يكون بغضا لفوات غرضه وقد لا يكون ومن استمتاع الانس بالجن

استخدامهم فى احضار بعض ما يطلبوه من مال وطعام وثياب ونفقة فقد يأتون ببعض ذلك وقد يدللونه على كنز وغيره واستمتاع الجن بالانس استعمالهم فيما يريده الشيطان من كفر وفسق وعصية ومن استمتاع الانس بالجن استخدامهم فيما يطلبه الانس من شرك وقتل وفواحش فتارة يتمثل الجنى فى صورة الانسى فإذا استغاث به بعض أتباعه أتاه فظن أنه الشيخ نفسه وتارة يكون التابع قد نادى شيخه وهتف به يا سيدى فلان فينقل الجنى ذلك الكلام الى الشيخ بمثل صوت الانسى حتى يظن الشيخ أنه صوت الانسى بعينه ثم ان الشيخ يقول نعم ويشير اشارة يدفع بها ذلك المكروره فيأتى الجنى بمثل ذلك الصوت والفعل فيظن ذلك الشخص أنه شيخه نفسه وهو الذى أجابه وهو الذى فعل ذلك حتى أن تابع الشيخ قد يكون يده فى اناه يأكل فيضع الجنى يده فى صورة يد الشيخ ويأخذ من الطعام فيظنه ذلك التابع أنه شيخه حاضر معه والجنى يمثل للشيخ نفسه مثل ذلك الاناء فيضع يده فيه حتى يظن الشيخ أن يده فى ذلك الاناء فإذا حضر المرید ذكر له الشيخ أن يدى كانت فى الاناء فيصدقه ويكون بينهما مسافة شهر والشيخ موضعه ويده لم تطل ولكن الجنى مثل للشيخ ومثل للمرید حتى ظن كل منهما أن أحدهما عند الآخر وانما كان عنده ما مثله الجنى وخيله وإذا سئل الشيخ المخدوم عن أمر غائب اما سرقة واما شخص مات وطلب منه أن يخبر بحاله أو علة فى النساء أو غير ذلك فان الجنى قد يمثل ذلك فيريه صورة المسروق فيقول الشيخ ذهب لكم كذا وكذا ثم ان كان صاحب المال معظمها وأراد أن يدله على سرقته مثل له الشيخ الذى أخذه أو المكان الذى فيه المال فيذهبون اليه فيجدونه كما قال والاكثر منهم أنهم يظهرون صورة المال ولا يكون عليه لأن الذى سرق المال معه ايضا جنى يخدمه والجن يخاف بعضهم من بعض كما أن الانس يخاف بعضهم بعضا فإذا دل الجنى عليه جاء اليه اولياء السارق فآذوه وأحيانا لا يدل لكون السارق وأعوانه يخدمونه ويرشونه كما يصيب من يعرف

اللصوص من الانس تارة يعرف السارق ولا يعرف به اما لرغبة ينالها منه واما لرهبة وخوف منه واذا كان المال المسروق لكبير يخافه ويرجوه عرف سارقه فهذا وأمثاله من استمتاع بعضهم ببعض والجن مكلفون كتكليف الانس ومحمد صلى الله عليه وسلم مرسل الى التقلين الجن والانس وكفار الجن يدخلون النار بالنصوص واجماع المسلمين الى التقلين الجن والانس وكفار الجن يدخلون النار بالنصوص واجماع المسلمين وأما مؤمنوهم ففيهم قوله تعالى {وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مَّا عَمِلُوا} 19 الاية 19 وقد ثابون أيضاً ويدخلون الجنة وقد روى أنهم يكونون في ربضها يراهم الانس من حيث لا يرون الانس عكس الحال في الدنيا وهو حديث رواه الطبراني في معجمه الصغير يحتاج إلى النظر في اسناده وقد احتج ابن أبي ليلى وأبو يوسف على ذلك بقوله تعالى {وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مَّا عَمِلُوا} 19 الاية 19 وقد ذكر الجن والانس الأبرار والفحار في الأحقاف والانعام واحتج الاوزاعي وغيره بقوله تعالى {لَمْ يَطْمَثُهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ} 74 الرحمن وقد قال تعالى في الأحقاف {أَوْلَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَمْمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ} 18 و{لِكُلِّ دَرَجَاتٍ مَّا عَمِلُوا} 19 الاية 18-19 وقد تقدم قبل هذا ذكر أهل الجنة وقوله {أَوْلَئِكَ الَّذِينَ نَنَقْبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوِزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ} 16 الاية 16 ثم قال {وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيهِمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} 19 الاية 19 قال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم درجات اهل الجنة تذهب على درجات أهل النار تذهب سفلاء وقد قال تعالى عن قول الجن {وَأَنَا مِنَ الصَّالِحُونَ وَمِنَ دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قَدَّا} الجن 11 وقالوا {وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمُونَ وَمِنَ الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَداً} 14 و{أَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا} الجن 15 وفيهم الكفار والفساق والعصاة وفيهم من فيه عبادة ودين بنوع من قلة العلم كما في الانس وكل نوع

من الجن يميل إلى نظيره من الناس فاليهود مع اليهود والنصارى مع النصارى والمسلمون مع المسلمين والفساق مع الفساق وأهل الجهل والبدع مع أهل الجهل والبدع واستخدام الانس لهم مثل استخدام الانس للانس بشيء منهم من يستخدمهم في المحرمات من الفواحش والظلم والشرك والقول على الله بلا علم وقد يظنون ذلك من كرامات الصالحين وإنما هو من أفعال الشياطين ومنهم من يستخدمهم في أمور مباحة أما احضار ماله أو دلالة على مكان فيه مال ليس له مالك معصوم أو دفع من يؤذيه ونحو ذلك فهذا كاستعانة الانس بعضهم ببعض في ذلك و النوع الثالث أن يستعملهم في طاعة الله ورسوله كما يستعمل الانس في مثل ذلك فيأمرهم بما أمر الله به ورسوله وينهاهم عما نهاهم الله عنه ورسوله كما يأمر الانس وينهاهم وهذه حال نبينا وحال من اتبعه واقتدى به من أمته وهم أفضل الخلق فإنهم يأمرون الانس والجن بما أمرهم الله به ورسوله وينهون الانس والجن عما نهاهم الله عنه ورسوله اذ كان نبينا محمد مبعوثاً بذلك إلى التقلين الانس والجن وقد قال الله له {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ أَنْبَعْنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} يوسف 108 وقال {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحِبِّبُكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} آل عمران 31 وعمر رضى الله عنه لما نادى يا سارية الجبل قال ان الله جنودا يبلغون صوتى وجند الله هم من الملائكة ومن صالحى الجن فجند الله بلغوا صوت عمر إلى سارية وهو أنهم نادوه بمثل صوت عمر والا نفس صوت عمر لا يصل نفسه في هذه المسافة البعيدة وهذا كالرجل يدعوه آخر وهو بعيد عنه فيقول يا فلان فيعلن على ذلك فيقول الواسطة بينهما يا فلان وقد يقول لمن هو بعيد عنه يا فلان احبس الماء تعال علينا وهو لا يسمع صوته فيناديه الواسطة بمثل ذلك يا فلان احبس الماء أرسل الماء أما بمثل صوت الأول ان كان لا يقبل الا صوته والا فلا يضر بأى صوت كان اذا عرف ان صاحبه قد

ناداه وهذه حكاية كان عمر مرة قد أرسل جيشا فجاء شخص وأخبر أهل المدينة بانتصار الجيش وشاع الخبر فقال عمر من أين لكم هذا قالوا شخص صفتة كيت وكيت فأخبرنا فقال عمر ذاك أبو الهيثم بريد الجن وسيجيء بريد الانسان بعد ذلك بأيام وقد يأمر الملك بعض الناس بأمر ويستكتمه اياه فيخرج فيرى الناس يتحدثون به فإن الجن تسمعه وتخبر به الناس والذين يستخدمون الجن في المباحثات يشبه استخدام سليمان لكن أعطى ملكا لا ينبغي لأحد بعده وسخرت له الانس والجن وهذا لم يحصل لغيره والنبي لما قلت عليه العفريت ليقطع عليه صلاته قال فأخذته فذعته حتى سال لعابه على يدي وأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد ثم ذكرت دعوة أخرى سليمان فأرسلته فلم يستخدم الجن أصلا لكن دعاهم إلى اليمان بالله وقرأ عليهم القرآن وبلغهم الرسالة وبأيعهم كما فعل بالانس والذى أوتيه أعظم مما أوتيه سليمان فإنه استعمل الجن والانس في عبادة الله وحده وسعادتهم في الدنيا والآخرة لا لغرض يرجع اليه الا ابتغاء وجه الله وطلب مرضاته واختار أن يكون عبدا رسولا على أن يكوننبيا ملكا فداود سليمان ويوسف أنبياء ملوك وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد رسول عبيد فهو أفضل كفضل السابقين المقربين على الأبرار

أصحاب اليمين ²⁹²

* فدعوى المدعي ان السحر هي قوى نفسانية من أبطل الباطل فإن السحر كثير منه يكون بالشياطين وكتب كتب السحر مملوقة من الأقسام والعزائم على الجن بساداتهم الذين يعظمونهم ولذلك كانت الإنس تستعين بالجن كما قال الله تعالى {وَإِنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنْسَانِ يَعْوِذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهْقًا} الجن 6 كانوا إذا نزل الرجل منهم بواد يقول أعود بعظيم هذا الوادي من

سفهائه فأنزل الله هذه الآية وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعود الحسن والحسين فيقول أعينكم بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة ففرق بين الشيطان وبين الهوام وبين أعين الإنسان كما يدل ذلك على وجود الضرر في هذه الجهات الثلاث الإنسان والجن والهوام وقد أخبر الله في كتابه عن خطابه

للجن وأمره لهم ونهيهم لهم قوله {وَيَوْمٍ يُحْشِرُهُمْ جَمِيعاً يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدْ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسَنِ وَقَالَ أُولَئِكُوْهُمْ مِنَ الْإِنْسَنِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعْ بِعَضُنَا بِعَضُنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجْلَتْ لَنَا قَالَ النَّارُ مَنْوَأْكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ } 128 { وَكَذَلِكَ نُولَّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } 129 { يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسَنِ أَلَمْ يَاتُكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يُقْصِدُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقاءَ يَوْمَكُمْ هَذَا قَالُوا شَهَدْنَا عَلَى أَنفُسِنَا وَغَرَّنَاهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهَدُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ } 130 { الأَنْعَامُ 128- 130

293

التوحيد والإيمان بالرسل متلازمان

*قال تعالى {هَتَّى إِذَا ادَارَكُوا فِيهَا جَمِيعاً قَالَتْ أَخْرَاهُمْ لَا وَلَا هُمْ رَبَّنَا هُوَلَاءِ أَضْلَلُنَا فَاتَّهُمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلِكُنْ لَا تَعْلَمُونَ } الأعراف 38 كذلك قال {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَثَارَا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } غافر 82 إلى قوله {وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ } غافر 85 فأخبر هنا بمثل ما أخبر به في الأعراف أن هؤلاء المعرضين بما جاءت به الرسل لما رأوا بآيات الله وحدوا الله وتركوا الشرك فلم

²⁹³ الصافية ج: 1 ص: 170

ينفعهم ذلك وكذلك اخبر عن فرعون وهو كافر بالتوحيد وبالرسالة انه لما ادركه الغرق قال { قال آمنتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا ذَيْ أَمَّنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ } يوئيس 90 قال الله { أَلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ } يوئيس 91 وقال تعالى { وَإِذَا أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتُهُمْ } وأشهدُهم على أنفسهم ألسنت بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيمة إنما كنا عن هذا غافلين { 172 } أو تقولوا إنما أشركت آباءنا من قبل وكنما ذرية من بعدهم أفتلهلنا بما فعل المبطلون { 173 } الأعراف 172-173 وقال تعالى { أَلَمْ يَاتِكُمْ بِنَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمُ نُوحَ وَعَادٍ وَثَمُودٍ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمُ إِلَّا اللَّهُ جَاءَنَّهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُوا أَيْدِيهِمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ { 9 } قال تعالى رسلهم أفي الله شك فاطر السماوات والأرض يدعوكم ليغفر لكم من ذنبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى قالوا إنتم إلا بشر مثلكم ثريدون أن تصدونا عاما كان يعبد آباءنا فأتونا بسلطان مبين { 10 } إبراهيم 9 وهذا في القرآن في مواضع أخرى يبين فيها أن الرسل كلهم امرموا بالتوحيد بعبادة الله وحده لا شريك له ونهوا عن عبادة شيء من المخلوقات سواه أو اتخاذه الهلا ويخبر ان اهل السعادة هم أهل التوحيد وأن المشركين هم أهل الشقاوة وذكر هذا عن عامة الرسل ويبين أن الذين لم يؤمنوا بالرسل مشركون فعلم أن التوحيد والإيمان بالرسل متلازمان وكذلك الإيمان باليوم الآخر هو والإيمان بالرسل متلازمان فالثلاثة متلازمة ولها يجمع بينها في مثل قوله { وَلَا تَنْتَهُ أَهْوَاءُ الدِّينِ كَذِبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ } الأنعام 150 ولها أخبر ان الذين لا يؤمنون بالآخرة مشركون فقال تعالى { وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَرَتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ } الزمر 45 وأخبر عن جميع الأشقياء ان الرسل انذرتهم باليوم الآخر كما قال تعالى { كُلُّمَا أُلْقِيَ فِيهَا قَوْرُجٌ سَالَهُمْ حَزَنَتْهَا أَلَمْ يَاتِكُمْ نَذِيرٌ } 8 قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما

نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٌ {9} وَقَالُوا لَوْ كُنَّا
 نَسْمَعُ أَوْ نَعْقُلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ {10} فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ
 فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ {11} الْمَلَكُ 8- 111 فأخبر ان الرسل
 انذرتهم وانهم كذبوا بالرسالة وقال تعالى {وَسَيِّقَ الَّذِينَ كَفَرُوا
 إِلَى جَهَنَّمْ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فَتَحْتَ أَبْوَابِهَا وَقَالَ لَهُمْ حَزَنُهَا
 أَلْمَ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقاءَ
 يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى } الزمر 71 فأخبر عن اهل النار انهم قد
 جاءتهم الرسالة وانذروا بالاليوم الآخر وقال تعالى {وَيَوْمَ
 يُخْشِرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ فَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسَنِ وَقَالَ
 أَوْلِيَاُهُمْ مِنَ الْإِنْسَنِ رَبَّنَا اسْتَمْنَعَ بَعْضُنَا بَعْضًا وَبَلَغْنَا أَجْلَنَا الَّذِي
 أَجْلَتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَتْوَكِّلُ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ
 حَكِيمٌ عَلَيْهِ {128} وَكَذَلِكَ نُولَّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا
 يَكْسِبُونَ {129} يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسَنِ أَلْمَ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ
 يُقْصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى
 أَنفُسِنَا وَغَرَّنَا حَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهَدُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ أَتَهُمْ كَانُوا
 كَافِرِينَ {130} الأنعام 128-130 فأخبر عن جميع الجن والانسان
 ان الرسل بلغتهم رسالة الله وهى آياته وأنهم انذروهم اليوم الآخر

294

كما تكونون يول عليكم

*أن مصير الأمر الى الملوك و نوابهم من الولاة و القضاة و
 الأمراء ليس لنقص فيهم فقط بل لنقص في الراعي و الرعية
 جمیعاً فإنه كما تكونون يول عليكم وقد قال الله تعالى
 {وَكَذَلِكَ نُولَّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا } الأنعام 129²⁹⁵

مجموع الفتاوى ج: 9 ص: 31-28²⁹⁴

مجموع الفتاوى ج: 35 ص: 20²⁹⁵

* ومن أعن ظالماً بلي به والله تعالى يقول {وَكَذَلِكَ نُولِي بَعْضَ
الظَّالِمِينَ بَعْضًاٍ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} الأنعام 129
²⁹⁶

{وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً}

* وهذا أصل لا بد من بيانه فإن الكتاب والسنة قد دل على أن الله لا يعذب أحدا إلا بعد إبلاغ الرسالة فمن لم تبلغه جملة لم يعذبه رأساً ومن بلغته جملة دون بعض التفصيل لم يعذبه إلا على إنكار ما قامت عليه الحجة الرسالية وذلك مثل قوله تعالى {لَنَّا لَيْكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ} النساء 165 وقوله {يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسَ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِيَ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقاءَ يَوْمَكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنفُسِنَا وَغَرَّنَاهُمُ الْحَيَاةُ الْدُّنْيَا وَشَهُدُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ} 130 {ذَلِكَ أَن لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقَرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلَهَا غَافِلُونَ} 131 {الأنعام 130-297 131

* كان الصواب في قول من يقول إن الله لا يعذب في الآخرة إلا من عصاه بترك المأمور أو فعل المحظور والمعتزلة في هذا وافقوا الجماعة بخلاف الجهمية ومن اتبعهم من الأشعرية وغيرهم فإنهم قالوا بل يعذب من لا ذنب له أو نحو ذلك ثم هؤلاء يحتاجون على المعتزلة في نفس الإيجاب والتحريم العقلي بقوله تعالى {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً} الإسراء 15 وهو حجة عليهم أيضاً في نفي العذاب مطلقاً إلا بعد إرسال الرسل وهم يجوزون التعذيب قبل إرسال الرسل فأولئك يقولون يعذب من لم يبعث إليه رسولاً لأنه فعل القبائح العقلية وهؤلاء

²⁹⁶مجموع الفتاوى ج: 28 ص: 465

²⁹⁷مجموع الفتاوى ج: 12 ص: 493 و الجواب الصحيح ج: 2 ص: 291 و الحسنة والسيئة ج: 1 ص: 161

يقولون بل يعذب من لم يفعل قبيحاً قط كالأطفال وهذا مخالف للكتاب والسنّة والعقل أيضاً قال تعالى {وَمَا كُنَّا مُعذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا} الإسراء 15 وقال تعالى عن النار {كُلُّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَالَّهُمْ حَرَّنَّهَا أَلْمٌ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ} 8 قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال {كَبِيرٌ} 9 الملك 8 فقد أخبر سبحانه وتعالى بصيغة العموم أنه كلما ألقى فيها فوج سالم الخزنة هل جاءهم نذير فيعرفون بأنهم قد جاءهم نذير فلم يبق فوج يدخل النار إلا وقد جاءهم نذير فمن لم يأته نذير لم يدخل النار وقال تعالى {وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمْ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فُتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ حَرَّنَّهَا أَلْمٌ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتٍ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بلى ولكن حقّت كلامه العذاب على الكافرين } الزمر 71 فهذا إخبار منه بأن كل فوج يلقى في النار وقد جاءهم نذير وقال تعالى لإبليس {لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ} ص 85 فقد أقسم سبحانه أنه يملؤها من إبليس وأتباعه وإنما أتباعه من أطاعه فمن لم يعمل ذنباً لم يطعه فلا يكون من تملأ به النار وإذا ملئت بأتباعه لم يكن لغيرهم فيها موضع وقد ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة وأنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يزال يلقى في النار وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه وفي رواية في وضع قدمه عليها فتقول قط قط وينزو بعضها إلى بعض أي تقول حسيبي حسيبي وأما الجنة فيبقى فيها فضل فينشيء الله لها خلقاً فيسكنهم فضول الجنة هكذا روي في الصحاح من غير وجه وقع في بعض طرق البخاري غلط قال فيه وأما النار فيبقى فيها فضل والبخاري رواه فيسائر الموارد على الصواب ليبين غلط هذا الرواية كما جرت عادته بمثل ذلك إذا وقع من بعض الرواية غلط في لفظ ذكر الفاظ سائر الرواية التي يعلم بها الصواب وما علمت وقع فيه غلط إلا وقد بين فيه الصواب بخلاف مسلم فإنه وقع في صحيحه عدة أحاديث غلط

أنكرها جماعة من الحفاظ على مسلم والبخاري قد أنكر عليه بعض الناس تخرير أحاديث لكن الصواب فيها مع البخاري والذي أنكر على الشيوخين أحاديث فليلة جدا وأما سائر متونهما فما انقق علماء المحدثين على صحتها وتصديقها وتلقيها بالقبول لا يستردون في ذلك وقد قال تعالى {يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ

وَالإِنْسَانِ لَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقاءَ يَوْمَكُمْ هَذَا قَالُوا شَهَدْنَا عَلَى أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهَدُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ {130} ذَلِكَ أَنَّ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ

مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَآهَلُهَا غَافِلُونَ {131} الأنعام 130-131 فقط

خاطب الجن والإنس واعترف المخاطبون بأنهم جاءتهم رسائل يقصون عليهم آياته وينذرونهم لقاء يوم القيمة ثم قال {ذَلِكَ

أَنَّ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَآهَلُهَا غَافِلُونَ } الأنعام 131

أي هذا بهذا السبب فعلم أنه لا يعذب من كان غافلاً ما لم يأته

نذير فكيف الطفل الذي لا عقل له ودل أيضاً على أن ذلك

ظلم تنزه سبحانه عنه وإلا فلو كان الظلم هو الممتنع لم يتصور

أن يهلكهم بظلم بل كييفما أهلكهم فإنه ليس بظلم عند الجهة

الجبرية وقد قال تعالى {وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى

يَبْعَثَ فِي أُمَّهَا رَسُولًا يَئُلُّو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا

وَآهَلُهَا ظَالِمُونَ } القصص 59 وقال تعالى {وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيَهْلِكَ

الْقُرَى بِظُلْمٍ وَآهَلُهَا مُصْلِحُونَ } هود 117 وقال تعالى {وَمَنْ

يَعْمَلُ مِنِ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا

{ طه 112 قال المفسرون الظلم أن يحمل عليه سيئات غيره

والهضم أن ينقص من حسناته فجعل سبحانه عقوبته بذنب غيره

ظلمًا ونزع نفسه عنه ومثل هذا كثير قوله { لَهَا مَا كَسَبَتْ

وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ } البقرة 286 قوله { وَلَا تَنْزِرُ وَازْرَةً وَزَرْ

أُخْرَى } الأنعام 164 وكذلك قوله { لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ

قدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ } 28 { مَا يُبَدِّلُ الْقُولُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَامٍ

لِلْعَيْدِ } 29 { ق 28-29 وبين سبحانه أنه قدم بالوعيد وأنه ليس

بظلم للعبيد كما قال في الآية الأخرى { ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى }

نَفْسُهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ {100} وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا
أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمُ الْهَنْثُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ
لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ شَيْبٍ {101} هود 100 - 101

101 فهو سبحانه نزه نفسه عن ظلمهم وبين أنهم هم الذين ظلموا أنفسهم بشرکهم فمن لم يكن ظالما لنفسه تكون عقوبته ظلما تنزه الله عنه وقال في الآية الأخرى **{إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ}** {74} لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ {75} وما ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ {76} الزخرف 74 - 76

وهذا الظلم الذي نزه نفسه عنه إن كان هو الممتنع الذي لا يمكن فعله فأي فائدة في هذا وهل أحد يخاف أن يفعل به ذلك وأي تنزيه في هذا وإذا قيل هو لا يفعل إلا ما يقدر عليه قيل هذا معلوم لكل أحد وكل أحد لا يفعل إلا ما يقدر عليه فأي مدح في هذا مما يتميز به الرب سبحانه عن العالمين فعلم أن من الأمور الممكنة ما هو ظلم تنزه الله سبحانه عنه مع قدرته عليه وبذلك يحمد ويثنى عليه فإن الحمد والثناء يقع بالأمور الاختيارية من فعل وترك كعامة ما في القرآن من الحمد والشكر أخص من ذلك يكون على النعم والمدح أعم من ذلك وكذلك التسبيح فإنه تنزيه وتعظيم فإذا سمع بحمده جمع له بين هذا وهذا كما قد

بسطنا الكلام على حقيقة التسبيح والتحميد ومعنى التسبيح بحمده في غير هذا الموضوع وقد قال سبحانه وتعالى **{وَقَالُوا أَنَّهُ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادُ مُكَرَّمُونَ}** {الأنبياء} 26 فالإخراذ فعل من الأفعال وقد نزه سبحانه نفسه عنه فعلم أن من الأفعال ما نزه سبحانه نفسه عنه والجبرية عندهم لا ينزعه عن فعل من الأفعال وفي حديث البطاقة الذي رواه الترمذى وصححه وغيره ورواه الحاكم في صحيحه قال فيه فينشر له تسعة وتسعون سجل كل سجل منها مد البصر ثم يقال لا ظلم عليك إن لك عندنا بطاقة فتووضع البطاقة في كفة السجلات في كفة فتقلىت البطاقة وطاشت السجلات فقوله لا ظلم عليك دليل على أنه إن لم يجاز بتلك الحسنات وتوزن حسناته مع سيئاته كان ذلك ظلما يقدس الله

عنه فإنه القائم بالقسط وقد قال تعالى {وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا} الكهف 49 فهل يقال هذا النفي أنه لا يفعل مع أحد مالا يمكن ولا يقدر عليه أو لا يظلمهم شيئاً من حسناتهم بل يحصيها كلها ويثبّتهم عليها فدل على أن العبد يثاب على حسناته ولا ينقص شائعاً منها ولا يعاقب إلا على سيئاته وأن عقوبته بغير ذنب ونقص حسناته ظلم ينزعه رب تبارك وتعالى عنه 298

المؤمنون بالرسل المتبعون لهم هم المحتدون

*أن أصل العلم الإلهي ومبدأه ودليله الأول عند الذين آمنوا هو الإيمان بالله ورسوله وعند الرسول هو وحى الله إليه كما قال خاتم الأنبياء أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله إلا الله وان محمدا رسول الله فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها وقال الله تعالى له {قُلْ إِنْ ضَلَّتْ فَإِنَّمَا أَضَلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنْ اهْتَدَيْتُ فَإِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ} سبا 50 وتقرير الحجة في القرآن بالرسل كثير قوله {يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسَنِ إِنَّمَا يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقاءَ يَوْمَكُمْ هَذَا قَالُوا شَهَدْنَا عَلَى أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهُدُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ} الأنعام 130
299

*فإن الخلق لا يعلمون ما يحبه الله ويرضاه وما أمر به وما نهى عنه وما أعده لأوليائه من كرامته وما وعده به أعداءه من عذابه

منهاج السنة التبوية ج: 5 ص: 99-110 و الجواب الصحيح ج: 2 ص: 234 و مجموع الفتاوى ج: 19 ص: 215²⁹⁸

مجموع الفتاوى ج: 2 ص: 4²⁹⁹

ولا يعرفون ما يستحقه الله تعالى من أسمائه الحسنى وصفاته العليا التى تعجز العقول عن معرفتها وأمثال ذلك الا بالرسل الذين أرسلهم الله الى عباده فالمؤمنون بالرسل المتبعون لهم هم المهادون الذين يقربهم لديه زلفى ويرفع درجاتهم ويكرمهم فى الدنيا والآخرة وأما المخالفون للرسل فإنهم ملعونون وهم عن ربهم ضالون محظوظون³⁰⁰

*في الإكتفاء بالرسالة والإستغناء بالنبي عن إتباع ما سواه إتباعاً عاماً وأقام الله الحجة على خلقه برسله فقال تعالى {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّنَ مِنْ بَعْدِهِ} النساء 163 الى قوله {لَنَّا لَيْكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ} النساء 165 فدللت هذه الآية على أنه لا حجة لهم بعد الرسل بحال وأنه قد يكون لهم حجة قبل الرسل ف الأول يبطل قول من أحوج الخلق إلى غير الرسل حاجة عامة كالأنثمة و الثاني يبطل قول من أقام الحجة عليهم قبل الرسل من المتكلفة والمتكلمة

وقال تعالى {إِيَّا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ} النساء 59 فأمر بطاعة أولي الأمر من العلماء والأمراء إذا لم يتنازعوا وهو يقتضى أن إتفاقهم حجة وأمرهم بالرد عند التنازع إلى الله والرسول فأبطل الرد إلى امام مقلد أو قياس عقلى فاضل وقال تعالى {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِّرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحُكُّمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ} البقرة 213 فيبين أنه بالكتاب يحكم بين أهل الأرض فيما اختلفوا فيه وقال تعالى {أَوَلَمْ يَكُفُّهُمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْكِتَابَ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ} العنكبوت 51 فزجر من لم يكتف بالكتاب المنزل

وقال تعالى {يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلْمَ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي} {الأنعام 130} الآيات وقال تعالى {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبَعَثَ رَسُولاً} {الإسراء 15} وقال تعالى {وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمْ زُمَراً حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتُحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَرَّنُهَا أَلْمَ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِّرُونَكُمْ لِقاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلْمَةُ الْعَدَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ} {الزمر 71} الآيات وقال تعالى {كُلُّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فُوْجٌ سَالُهُمْ خَرَّنُهَا أَلْمَ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ} {8} قالوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ} {الملك 8-9} فدللت هذه الآيات على أن من أتاها الرسول خالقه فقد وجب عليه العذاب وإن لم يأته إمام ولا قياس وأنه لا يعذب أحد حتى يأتيه الرسول وإن أتاها إمام أو قياس وقال تعالى {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِّنَ النَّبِيِّنَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسْنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا} {النساء 69} {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلُهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} {13} {وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودُهُ يُدْخِلُهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ} {14} {النساء 13-14} الآية وقد ذكر سبحانه هذا المعنى في غير موضع فيبين أن طاعة الله ورسوله موجبة للسعادة وان معصية الله موجبة للشقاوة وهذا يبين أن مع طاعة الله ورسوله لا يحتاج إلى طاعة إمام أو قياس ومع معصية الله ورسوله لا ينفع طاعة إمام أو قياس ودليل هذا الأصل كثير في الكتاب والسنة وهو أصل الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمدا رسول الله وهو متافق عليه بين الذين أوتوا العلم والآيمان قوله لا اعتقادا وإن خالقه بعضهم عملا وحالا فليس عالم من المسلمين يشك في أن الواجب علىخلق طاعة الله ورسوله وان ما سواه إنما تجب طاعته حيث أوجبها الله ورسوله وفي الحقيقة فالواجب في الأصل إنما هو طاعة الله لكن لا سبيل إلى العلم بتأموريه وبخبره كله إلا من جهة الرسل والمبلغ عنه اما مبلغ امره وكلماته فتجب طاعته وتصديقه

في جميع ما أمر وأخبر وأما ماسوى ذلك فإنما يطاع في حال دون حال كالأمراء الذين تجب طاعتهم في محل ولايتهم ما لم يأمروا بمعصية الله والعلماء الذين تجب طاعتهم على المستقى والمأمور فيما أوجبوه عليه مبلغين عن الله أو مجتهدين اجتهادا تجب طاعتهم فيه على المقلد ويدخل في ذلك مشائخ الدين ورؤساء الدنيا حيث أمر بطاعتهم كتابة أئمة الصلاة فيها وأتباع أئمة الحج فيه وأتابع أمراء الغزو فيه وأتابع الحكام في احکامهم وأتابع المشايخ المحتدين في هديهم ونحو ذلك والمقصود بهذا الأصل أن من نصب إماما فلوجب طاعته مطلقا اعتقادا أو حالا فقد ضل في ذلك كائنة الضلال الرافضة الإمامية حيث جعلوا في كل وقت إماما معصوما تجب طاعته فإنه لا معصوم بعد الرسول ولا تجب طاعة أحد بعده في كل شيء والذين عينوهم من أهل البيت منهم من كان خليفة راشدا تجب طاعته كطاعة الخلفاء قبله وهو علي ومنهم أئمة في العلم والدين يجب لهم ما يجب لنظرائهم من أئمة العلم والدين كعلى بن الحسين وأبي جعفر الباقر وجعفر ابن محمد الصادق و منهم دون ذلك وكذلك من دعا إلى اتباع امام من أئمة العلم في كل طريق من غير تخصيص ولا استثناء وأفرده عن نظرائه كالشيخ عدي والشيخ أحمد والشيخ عبد القادر والشيخ حيوة ونحوهم وكذلك من دعا إلى اتباع امام من أئمة العلم في كل ما قاله وأمر به ونهى عنه مطلقا كالأئمة الأربع وكذلك من أمر بطاعة الملوك والأمراء والقضاة والولاة في كل ما يأمرون وينهون عنه من غير تخصيص ولا استثناء لكن هؤلاء لا يدعون العصمة لمتبوعهم الاعالية اتباع المشايخ كالشيخ عدي وسعد المديني بن حمويه ونحوهما فإنهم يدعون فيهم نحو ما تدعيه الغالية في أئمة بنى هاشم من العصمة ثم من الترجيح على النبوة ثم من دعوى الالهية وأما كثير من أتباع أئمة العلم ومشايخ الدين فالهم وهو اهم بضاهي حال من يوجب اتباع متبوعه لكنه لا يقول ذلك بلسانه ولا يعتقده علما فحاله يخالف اعتقاده بمنزلة

العصاة أهل الشهوات و هؤلاء أصلح من يرى وجوب ذلك
ويعتقد ذلك اتباع الملوك والرؤساء هم كما أخبر الله عنهم
بقوله { إِنَّا أَطْعَنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءِنَا فَأَضْلَلُنَا السَّبِيلَا } الأحزاب 67
فهم مطίعون حالاً و عملاً و انقياداً وأكثرهم من غير عقيدة دينية
و فيهم من يقرن بذلك عقيدة دينية ولكن طاعة الرسول إنما تمكن
مع العلم بما جاء به والقدرة على العمل به فإذا ضعف العلم
والقدرة صار الوقت وقت فترة في ذلك الأمر فكان وقت دعوة
ونبوة في غيره فتدبر هذا الأصل فإنه نافع جداً والله أعلم
وكذا من نصب القياس أو العقل أو الذوق مطلقاً من أهل الفلسفة
والكلام والتصوف أو قدمه بين يدي الرسول من نصب شخصاً
والرأي والفلسفة والتصوف فإنه بمنزلة من نصب شخصاً
فالاتباع المطلق دائرة مع الرسول وجوداً وعدماً³⁰¹

* كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول لأبي موسى يا أبي
موسى ذكرنا رينا فيقرأ وهم يستمعون وهذا هو السماع الذي كان
النبي يشهده مع أصحابه ويستدعيه منهم كما في الصحيح عن
عبد الله بن مسعود قال قال النبي إقرأ على القرآن قلت أقرأ
عليك وعليك أنزل فقال إن أحب أن اسمعه من غيري فقرأت
عليه سورة النساء حتى وصلت إلى هذه الآية { فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا
مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هُؤُلَاءِ شَهِيداً } النساء 41
قال حسبك فنظرت فإذا عيناه تذرفان وهذا هو الذي كان النبي
يسمعه هو وأصحابه كما قال تعالى { لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ
إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنفُسِهِمْ يَأْتِلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُرَزِّكُهُمْ وَيُعَلِّمُهُمْ
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ } آل عمران 164 و الحكمة هي السنة
وقال تعالى { إِنَّمَا أَمْرُتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا
وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأَمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ } 91

القرآنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ
 الْمُنْذِرِينَ {92} النمل 91-92 وكذلك غيره من الرسل قال تعالى
 {يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى
 وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْرَنُونَ } الأعراف 35 وبذلك
 يُحتج عليهم يوم القيمة كما قال تعالى {يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ
 وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقاءَ
 يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهَدْنَا عَلَى أَنفُسِنَا وَغَرَّنَّهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهَدُوا
 عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ } الأنعام 130 وقال
 تعالى {وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتحَتْ
 أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ حَرَنَّتْهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَنْذِلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ
 رِبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ
 الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ } الزمر 71 وقد أخبر أن المعتصم بهذا
 السماع مهتد مفلاح والمعرض عنه ضال شقي قال تعالى { قَالَ
 اهْبِطُ مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِّنِي هُدًى فَمَنْ
 اتَّبَعَ هُدَائِي فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى } 123 { وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي
 فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنِكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى } 124 { قَالَ رَبُّ
 لَمْ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتَ بَصِيرًا } 125 { قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتِنَا
 فَنَسِيَّهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنسِيَ } 126 { طه 123-126 وقال تعالى
 {وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضُ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ }
 302 الزخرف 36

* فإن الله تبارك وتعالى جعل محمدا صلي الله عليه وسلم خاتم
 النبيين وأكمل له ولأمته الدين وبعثه على حين فترة من الرسل
 وظهور الكفر وانطمام السبل فأحيا به ما درس من معالم
 الإيمان وقمع به أهل الشرك من عباد الأوثان والنيران والصلبان
 وأذل به كفار أهل الكتاب أهل الشك والأرتياخ وأقام به منار
 دينه الذي ارتضاه وشاد به ذكر من اجتباه من عباده واصطفاه

وأظهر به ما كان مخفيا عند أهل الكتاب وأبان به ما عدلوا فيه عن منهج الصواب وحقق به صدق التوراة والزبور والإنجيل وأماط به عنها ما ليس بحقها من باطل التحريف والتبدل وكان من سنة الله تبارك وتعالى مواترة الرسل وتعيم الخلق بهم بحيث يبعث في كل أمة رسولا لقيم هداه وحجته وقال تعالى { يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ إِنَّمَا يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهَدْنَا عَلَى أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهَدُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ } 130 يُكَفِّرُونَ رَبُّكُمْ مُهْلِكُ الْقَرَى بِظُلْمٍ وَآهُلُهَا غَافِلُونَ } 131 } سورة الأنعام الآيات 130-131 ³⁰³

القرآن خطاب للثقلين

*قال تعالى { وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ } البينة 5 قوله { وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا } التوبية 31 وهذا إختيار الزجاج وغيره وهذا هو المعروف عن مجاهد بالإسناد الثابت قال ابن أبي حاتم ثنا أبو سعيد الأشج { إِلَّا لِيَعْبُدُونَ } الذاريات 56 لامرهم وأنهاهم كذلك روي عن الربيع بن أنس قال ما خلقتهم إلا للعبادة و يدل على هذا مثل قوله { أَيْحَسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُنْزَكَ سُدًى } القيامة 36 يعني لا يؤمن ولا ينهي قوله { قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاكُمْ } الفرقان 77 أي لو لا عبادتكم و قوله { مَا يَعْلَمُ اللَّهُ بَعْدَ أَبْكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ } النساء 147 و قوله { يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ إِنَّمَا يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهَدْنَا عَلَى أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهَدُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ } 130 } ذلك أن لم يُكَفِّرُونَ رَبُّكُمْ مُهْلِكُ الْقَرَى بِظُلْمٍ وَآهُلُهَا

³⁰³الجواب الصحيح ج: 1 ص: 80

غَافِلُونَ {131} الأَنْعَامٍ 130-131 و قوله {أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌ مُّبِينٌ {60} وَأَن اَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ {61} يس 60-61 الآيات وما بعدها و قالت الجن لما سمعوا القرآن {يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزَلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ {30} يَا قَوْمَنَا أَحِبُّوَا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ {31} الأحقاف 31-30 الآية و ما بعدها وقد قال في القرآن في غير موضع {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوْا رَبَّكُمْ } البقرة 21 {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ } النساء 1 فقد أمرهم بما خلقهم له وأرسل الرسل إلى الإنس والجن و محمد أرسل إلى التقلين وقرأ القرآن على الجن و قد روى أنه لما قرأ عليهم سورة الرحمن و جعل يقرأ {فَبَأَيِّ آلاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ } الرحمن 13 يقولون ولا بشيء من الانكربنا نكذب فلما الحمد فهذا هو المعنى الذي قصد بالأيات قطعاً و هو الذي تفهمه جماهير المسلمين و يحتاجون بالأيات عليه و يعترفون بأن الله خلقهم ليعبدوه لا ليضيعوا حقه و في الصحيحين عن معاذ بن جبل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له ياماً عاذ أتدرى ما حق الله على عبادة قال الله و رسوله أعلم قال فإن حق الله على عبادة أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً أتدرى ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك قلت الله و رسوله أعلم قال فإن حقهم عليه أن لا يعبدتهم و في المسند عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله و حده لا شريك له و جعل رزقى تحت ظل رمحى جعل الذل و الصغار على من خالفة أمرى و من تشبه بقوم فهو منهم³⁰⁴

* قوله {كَمَا أَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْكُمْ} البقرة 151 يتناول كل من خوطب بالقرآن و كذلك قوله {إِنَّهُ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَوِيفٌ رَّحِيمٌ} التوبة 128 فالرسول من أنفس من خوطب بهذا الكلام إذ هي كاف الخطاب و لما خوطب به أولاً قريش ثم العرب ثم سائر الأمم صار يخص و يعم بحسب ذلك و فيه ما يخص قريشا قوله {إِلَيَّافِ قَرِيشٍ} [1] {إِلَيَّافِهِمْ رَحْلَةُ الشَّتَاءِ وَالصَّيْفِ} [2] قريش 1-2 و قوله {وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ} الزخرف 44 و فيه ما يعم العرب و يخصهم كقوله {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأَمَمِينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ} الجمعة 2 والأميون يتناول العرب قاطبة دون أهل الكتاب ثم قال {وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ} الجمعة 3 فهذا يتناول كل من دخل في الإسلام بعد دخول العرب فيه إلى يوم القيمة كما قال ذلك مقاتل بن حيان و عبد الرحمن بن زيد و غيرهما فإن قوله {وَآخَرِينَ مِنْهُمْ} الجمعة 3 أي في الدين دون النسب إذ لو كانوا في النسب لكانوا من الأميين و هذا كقوله تعالى {وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ} الأنفال 75 وقد ثبت في الصحيح أن هذه الآية لما نزلت سئل النبي صلى الله عليه وسلم عنهم فقال لو كان الإيمان معلقاً بالثريا لتناوله رجال من أبناء فارس فهذا يدل على دخول هؤلاء لا يمنع دخول غيرهم من الأمم وإذا كانوا هم منهم فقد دخلوا في قوله {إِنَّهُ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ} آل عمران 164 فالمنة على جميع المؤمنين عربهم و عجمهم سابقهم و لاحقهم و الرسول منهم لأنه إنسى مؤمن و هو من العرب أخص لكونه عربياً جاء بلسانهم و هو من قريش أخص والخصوص يوجب قيام الحجة لا يوجب الفضل إلا بالإيمان و التقوى لقوله {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْقَاصَكُمْ} الحجرات 13 و لهذا كان الانصار أفضل من الطلاقاء من قريش و هم ليسوا من ربيعة و لا مصر بل من قحطان و أكثر الناس على أنهم من ولد هود ليسوا من ولد

إبراهيم و قيل إنهم من ولد إسماعيل لحديث أسلم لما قال إرموا فإن أبيكم كان راميأ وأسلم من خزاعة و خزاعة من ولد إبراهيم و في هذا كلام ليس هذا موضعه إذ المقصود أن الأنصار أبعد نسبا من كل ربيعة و مصر مع كثرة هذه القبائل و مع هذا هم أفضل من جمهور قريش إلا من السابقين الأولين من المهاجرين و فيهم قرشي و غير قرشي و مجموع السابقين ألف و أربعينائة غير مهاجري الحبشة فقوله {لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ} التوبة 128 يخص قريشا و العرب ثم يعم سائر البشر لأن القرآن خطاب لهم و الرسول من أنفسهم و المعنى ليس بملك لا يطيقون الأخذ منه و لا جنى ثم يعم الجن لأن الرسول أرسل إلى الإنس و الجن و القرآن خطاب للثقلين و الرسول منهم جميعا كما قال {يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ} الأنعام 130 فجعل الرسل التي أرسلها من النوعين مع أنهم من الإنس فإن الإنس و الجن مشتركون مع كونهم أحيا ناطقين مأمورين فإنهما يأكلون و يشربون و ينكحون و ينسرون و يغتذون و يتمون بالأكل و الشرب و هذه الأمور مشتركة بينهم و هم يتميزون بها عن الملائكة فإن الملائكة لا تأكل و لا تشرب و لا تنتح و لا تنسل فصار الرسول من نفس الثقلين بإعتبار القدر المشترك بينهم الذي تميزوا به عن الملائكة حتى كان الرسول مبعوثا إلى الثقلين دون ³⁰⁵ الملائكة

أن محمدا أرسل إلى الثقلين الإنس والجن وقد أخبر الله في القرآن أن الجن استمعوا القرآن وأنهم آمنوا به كما قال تعالى {وَإِذْ صَرَقْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِنُوا } الأحقاف 29 إلى قوله { أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ } الأحقاف 32 ثم أمره أن يخبر الناس بذلك فقال تعالى { قُلْ

أوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا
 {الجن 1} الخ فأمره أن يقول ذلك ليعلم الإنسان بأحوال الجن وأنه مبعوث إلى الإنسان والجن لما في ذلك من هدى الإنسان والجن ما يجب عليهم من الإيمان بالله ورسله واليوم الآخر وما يحب من طاعة رسله ومن تحريم الشرك بالجن وغيرهم³⁰⁶

* ومعلوم أن النبي اذا دعا الجن إلى الإيمان به فلا بد أن يأتي باية خارجة عن مقدور الجن فلا بد أن تكون آيات الأنبياء خارجة عن مقدور الإنس والجن³⁰⁷

هل في الجن رسل أم ليس فيهم إلا نذر؟

* وهل في الجن رسل أم ليس فيهم إلا نذر على قولين فقيل فيهم رسل لقوله تعالى {يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ} {الأنعام 130} وقيل الرسل من الإنس والجن فيهم النذر وهذا أشهر فإنه أخبر عنهم بإتباع دين محمد وأنهم {ولَوَا إِلَى قَوْمِهِمْ مُذْنِرِينَ} {29} فَلَوْلَا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أَنْزَلْنَا مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ} {30} الأحقاف 29 قالوا وقوله {أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ} {الأنعام 130} قوله {يَخْرُجُ مِنْهُمَا الْلُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ} {الرحمن 22} وإنما يخرج من المالح وقوله {وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا} {نوح 16} والقمر في واحدة وأما التكليف بالأمر والنهي والتحليل والتحرير فدلائله كثيرة مثل ما في مسلم عن عبدالله بن مسعود عن النبي أتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن فانطلقو فارانا آثارهم وأثار

³⁰⁶ مجموع الفتاوى ج: 19 ص: 49

³⁰⁷ عقيدة الفرقة الناجية ج: 1 ص: 8

نير انهم وسائله الزاد فقالوا لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع
فى أيديكم أوفر ما يكون وكل برة علف لدواكم فقال النبي لا
 تستنعوا بالعظم والروث وذلك لئلا يفسد عليهم طعامهم
 وعلفهم وهذا يبين أنما أباح لهم من ذلك ما ذكر اسم الله عليه دون
 مالم يذكر اسم الله عليه وقال تعالى {وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ
 أَعْمَالَهُمْ} الأنفال 48 إلى قوله {إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ
 الْعِقَابِ} الأنفال 48 فأخبر عن الشيطان أنه يخاف الله والعقوبة
 إنما تكون على ترك مأمور أو فعل محظور وليس هو هنا
 التصديق وأيضاً فإبليس الذي هو أبو الجن لم تكن معصيته
 تكذيباً فإن الله أمره بالسجود وقد علم أن الله أمره ولم يكن بينه
 وبين الله رسول يكذبه ولما امتنع عن السجود لأدم عاقبه الله
 العقوبة البليغة ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم إذا سجد
 ابن آدم اعتزل الشيطان بيكي الحديث وقد قال تعالى في قصة
 سليمان {وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوْهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ} سبا 12
 إلى قوله {عَذَابِ السَّعِيرِ} سبا 12 وقد جعل في ذلك ما أمرهم
 به من طاعة سليمان وقد قال تعالى عن إبليس إنه عصى ولم يقل
 كذب وقد قال تعالى عن الجن {قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا
 أَنْزَلْنَا مِنْ بَعْدِ مُوسَى} 30 الإحقاف 30 إلى قوله {وَمَنْ لَا
 يُحِبُّ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ} 32 الإحقاف 32
 فأمرروا بإجابة داعي الله الذي هو الرسول والإجابة والإستجابة
 هي طاعة الأمر والنهى وهي العبادة التي خلق لها الثقلان كما
 قال تعالى {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ}
 الذاريات 56 ومن قال إن العبادة هي المعرفة
 الفطرية الموجودة فيها وأن ذلك هو الإيمان وهو داخل في
 التقليين فقط فإن ذلك لو كان كذلك لم يكن في التقليين كافر والله
 أخبر بکفر إبليس وغيره من الجن والإنس وقد قال تعالى
 {لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ} ص 85 وأخبر
 أنه يملؤها منه ومن أتباعه وهذا يبين أنه لا يدخلها إلا من تبعه
 فعلم أن من يدخلها من الكفار والفساق من أتباع إبليس ومعلوم أن

الكفار ليسوا بمؤمنين ولا عارفين الله معرفة يكونون بها مؤمنين ولكن اللام لبيان الجملة الشرعية المتعلقة بالإرادة الشرعية كما في قوله تعالى {يُرِيدُ اللَّهُ كُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ كُمُ الْعُسْرَ} البقرة 185 قوله {يُرِيدُ اللَّهُ لِبَيْنَ لَكُمْ} النساء 26 وقد تكون لبيان العاقبة الكونية كما في قوله تعالى {فَمَن يُرِيدُ اللَّهُ أَن يَهْدِيهِ يُشَرِّحُ صَدْرَهُ لِإِسْلَامٍ وَمَن يُرِيدُ أَن يُضْلِلَهُ يَجْعَلُ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا} الأنعام 125 وهذا كقوله تعالى {وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَافِينَ} 118 {إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلَذِلِكَ خَلَقُهُمْ} 119 هود 118-119 أي خلق قوماً للخلاف وقوله للرحمة وقال {وَلَقَدْ ذَرَانَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ} الأعراف 179 فاللام في قوله تعالى {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ} الذاريات 56 وإن كانت هي اللام في هذه الآية فإن مدلولها لام إرادة الفاعل ومقصوده ولها تنقسم في كتاب الله إلى إرادة دينية وإرادة كونية كما تنقسم في كتاب الله تعالى الكلمات والأمر والحكم والقضاء والتحريم والإذن وغير ذلك وأيضاً فقوله تعالى {يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مُّنْكَمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيَنذِرُونَكُمْ لِقاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهَدْنَا عَلَى أَنفُسِنَا وَغَرَّنَا حَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهَدُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ} الأنعام 130 فبين أن التقليدين جميعاً تلت عليهم الرسل آيات الله ولهاذا قرأ رسول الله سورة على الصحابة قال للجن كانوا الحديث دعاهم إلى طاعة الله لما فيه من الأمر والنهي لا إلى مجرد حديث لا طاعة معه فإن مثل هذا التصديق كان مع إبليس فلم يغرن عنه من الله شيئاً والدلائل الدالة على هذا الأصل وما في الحديث والآثار من كون الجن يحجون ويصلون ويجهدون وأنهم يعاقبون على الذنب كثيراً جداً وقد قال تعالى فيما أخبر عنهم {وَأَنَّا مِنَ الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَادًا} الجن 11 قالوا مذاهب شتى مسلمين ويهود ونصارى وشيعة وسنة فأخبر أن منهم الصالحون فيكون إما مطيناً في ذلك فيكون مؤمناً وإما عاصياً في ذلك فيكون كافراً ولا ينقسم مؤمن إلى

صالح وإلى غير صالح فإن غير الصالح لا يعتقد صلاحه لترك الطاعات فالصالح هو القائم بما وجب عليه ودون الصالح لابد أن يكون عاصياً في بعض ما أمر به وهو قسم غير الكافر فإن الكافر لا يوصف بمثل ذلك وهذا يبين أن فيهم من يترك بعض الواجبات والله أعلم ³⁰⁸

الجنة والنار درجات

* وقال حسان فشر كما لخير كما الفداء فالخير ما كان خيراً من غيره والشر ما كان شراً من غيره والخير والشر درجات ولهاذا قال تعالى لما ذكر أهل الجنة وأهل النار قال **{وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مَّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِعَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ} الأنعام 132** وكذلك ذكر تعالى في الأنعام والأحقاف بعد ذكر الطائفتين ولهاذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم درجات الجنة تذهب على ودرجات النار تذهب سفولاً فدرجات الجنة كلها فيها النعيم وبعضها خير من بعض ودرجات النار كلها فيها العذاب وبعضها شر من بعض ³⁰⁹

﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ﴾

* قال تعالى **{وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِن يَشَاءُ يُدْهِبُكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةٍ قَوْمٌ آخَرِينَ} الأنعام 133** قول الجمهور إن الله عليم حكيم رحيم قائم بالقسط وإنه سبحانه كتب على نفسه الرحمة وهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها كما

³⁰⁸ مجموع الفتاوى ج: 4 ص: 234-237

³⁰⁹ رسالة في معنى كون الرب عادلا ج: 1 ص: 133

نطقت بذلك نصوص الكتاب والسنة وكما يشهد به الاعتبار حسا وعقلاً وذلك واقع منه بحكمته ورحمته وبحكم أنه كتب على نفسه الرحمة وحرم على نفسه الظلم لا بأن الخلق يوجبون عليه ويحرمون ولا بأنه يشبه المخلوق فيما يجب ويحرم بل كل نعمة منه فضل وكل نعمة منه عدل وليس لمخلوق عليه حق إلا ما أحقه هو على نفسه المقدسة قوله {كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ} الأنعام 54 وقوله {وَكَانَ حَقًا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ} الروم 47 وذلك بحكم وعده وصدقه في خبره وهذا متفق عليه بين المسلمين وبحكم كتابه على نفسه وحكمته ورحمته وهذا فيه تفصيل ونزاع مذكور في غير هذا الموضوع³¹⁰

ال الخليفة هو الذي خلف غيره

* قال تعالى {وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ لُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَاءُ يُذْهِبُكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأْتُمُ مِنْ ذُرِّيَّةٍ قَوْمٌ آخَرِينَ} الأنعام 133 الخليفة هو الذي خلف غيره وإن كان لم يستخلفه ذلك الغير كما يقوله الجمهور لم يتحتاج في هذا الإسم إلى الإستخلاف والإستعمال الموجود في الكتاب والسنة يدل على أن هذا الإسم يتناول كل من خلف غيره سواء استخلفه أو لم يستخلفه قوله تعالى و منه قوله تعالى {وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا} يونس 13 إلى قوله تعالى {ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ} يونس 14 و قوله تعالى {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيُبَلُّوْكُمْ فِي مَا آتَكُمْ} الأنعام 165 و منه قوله تعالى {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لِيُسْتَخْلَفُوكُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتُخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ دِينُهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ} النور 55 الآية وقال

³¹⁰ منهاج السنة النبوية ج: 6 ص: 397

{وَلَوْ نَشَاء لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ} الزخرف 60
 وقوله {وَانْكُرُوا أَذْ جَعَلْنَاهُ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمٍ نُوحَ} الأعراف 69 وفي القصة الأخرى {وَانْكُرُوا أَذْ جَعَلْنَاهُ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ} الأعراف 74 {وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلَقْنِي فِي قَوْمِي} الأعراف 142 فهذا استخلافٌ وقال تعالى {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا} الفرقان 62 وقال {إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ} يومنس 6 أي هذا يخالف هذا وهذا يخالف هذا فهما يتعاقبان وقال موسى {عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ} الأعراف 129³¹¹

* وال الخليفة هو من كان خلفاً عن غيره فعيلاة بمعنى فاعلة كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا سافر يقول اللهم أنت الصاحب في السفر وال الخليفة في الأهل وقال صلى الله عليه وسلم من جهز غازياً فقد غزاً ومن خلفه في أهله بخير فقد غزاً وقال أو كلما خرجنا في الغزو خلف أحدهم وله نبيب كنبيب التيس يمنح أحداهنـ اللبنة من اللبن لئن أطفرني الله بأحد منهم لأجعلـه نكالاً وفى القرآن {سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَغْرَابِ} الفتح 11 وقوله {فَرَحِ المُخَلَّفُونَ بِمَقْعِدِهِمْ خَلَفَ رَسُولُ اللَّهِ} التوبة 81 والمراد بال الخليفة أنه خلف من كان قبله من الخلق والخلف فيه مناسبة كما كان أبو بكر الصديق الخليفة رسول الله صلـى الله عليه وسلم لأنـه خلفه على أمته بعد موته و كما كان النبي صلـى الله عليه وسلم إذا سافر لـحج أو عمرة أو غزوـة يستختلف علىـ المدينة من يكون خليفة له مدة معينة فيـستختلف تـارة ابن أم مكتوم و تـارة غيره واستختلف علىـ بن أبي طالب فيـ غزوـة تـبوك و تـسمـى الأمـكـنةـ التيـ يـستـخـلـفـ فيهاـ الإمامـ مـخـالـيفـ مثلـ مـخـالـيفـ الـيمـنـ وـ مـخـالـيفـ أـرضـ

³¹¹ منهاج السنة النبوية ج: 5 ص: 525

**"لَا تهلك أمة حتى يتبعوا أهواءهم ويتركوا ما جاءتهم
بِهِ أَنْبِيَاوْهُمْ"**

*وقال أبو الدرداء لا تهلك أمة حتى يتبعوا أهواءهم ويتركوا ما جاءتهم به أنبياؤهم من البيانات والهدى وقال تعالى {قُلْ هَذِهِ
سَبِيلِي أَدْعُوكُلِّ إِلَيَّ اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي} يوسف 108
فمن اتبعه يدعو إلى الله على بصيرة وال بصيرة هي بينة وقال
{أَوَ مَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيِيَنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي
النَّاسِ} الأنعام 122 الآية فالنور الذي يمشي به في الناس هو
البينة وال بصيرة وقال {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} النور 35
الآية قال أبي بن كعب وغيره هو مثل نور المؤمن وهو نوره
الذي في قلبه عبده المؤمن الناشي عن العلم النافع والعمل الصالح
وذلك بينة من ربه وقال {أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدَرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ
عَلَى نُورٍ مِّنْ رَبِّهِ} الزمر 22 فهذا النور الذي هو عليه وشرح
الصدر للإسلام هو البينة من ربه وهو الهدى المذكور في قوله
{أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّنْ رَبِّهِمْ} البقرة 5 واستعمل في هذا حرف
الإستعلاء لأن القلب لا يستقر ولا يثبت إلا إذا كان عالماً موقناً
بالحق فيكون العلم والإيمان صبغة له ينصح به كما قال
{صِبْغَةُ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنْ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً} البقرة 138 ويصير مكانة
له كما قال {قُلْ يَا قَوْمُ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانِتُكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ
تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ} الأنعام 135 والمكانة قد يراد به ما يستقر الشيء عليه وإن لم يكن محاطاً به كالسقف

مثلاً قد يراد به ما يحيط به فالمهتدون لما كانوا على هدى من ربهم ونور وبينة وبصيرة صار مكانة لهم استقرروا عليهما وقد تحيط بهم بخلاف الذين قال فيهم {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ أَطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ} ^{الحج 11} فإن هذا ليس ثابتاً مستقراً مطمئناً بل هو كالواقف على حرف الوادي وهو جانبه فقد يطمئن إذا أصابه خير وقد ينقلب على وجهه ساقطاً في الوادي ³¹³

لطائف لغوية

1- قال تعالى {وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضْلِلُونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْنَدِينَ} ^{الانعام 119} عامة الأسماء يتتوّع مسمها بالاطلاق والتقييد ولفظ الضلال اذا أطلق تناول من ضل عن الهدى سواء كان عمداً أو جهلاً ولزم أن يكون معذباً كقوله {إِنَّهُمْ أَفَغَاوُا أَبْأَءَهُمْ ضَالِّينَ} ⁶⁹ {فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ} ⁷⁰ {وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ} ⁷¹ الصافات ⁶⁹⁻⁷¹ وقوله {وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطْعَنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءِنَا فَأَضْلَلُونَا السَّبِيلَا} ⁶⁷ {رَبَّنَا آتَيْهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا} ⁶⁸ الأحزاب ⁶⁷⁻⁶⁸ وقوله {فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَيْ فَلَا يَضْلِلُ وَلَا يَشْفُقُ} ¹²³ طه ثم يقرن بالغنى والغضب كما في قوله {مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى} ² النجم وفي قوله {غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} ⁷ الفاتحة وقوله {إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ} ³¹⁴ القمر ⁴⁷

2- قال تعالى {وَدَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ} ¹²⁰ عامة الأسماء يتتوّع

³¹³ مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 63-64

³¹⁴ مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 167

مسماها بالاطلاق والتقييد وكذلك لفظ الاثم اذا أطلق دخل فيه كل ذنب وقد يقرن بالعدوان كما في قوله تعالى { وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدُوانِ } المائدة 2³¹⁵

3- قال تعالى { وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ } الانعام 120 أن الكسب هو الفعل الذي يعود على فاعله بنفع أو ضر كما قال تعالى { لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ } البقرة 286 وبين سبحانه أن كسب النفس لها أو عليها و الناس يقولون فلان كسب مالا أو حمدا أو شرفا كما أنه ينتفع بذلك³¹⁶

4- والوحى وحيان وحى من الرحمن ووحى من الشيطان قال تعالى { وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوْحُونَ إِلَى أُولَئِكَهُمْ لِيُجَادِلُوكُمْ } الأنعام 121 وقال تعالى { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُواً شَيَاطِينَ الْإِنْسَانِ وَالْجِنِّ يُوْحِي بَعْضُهُمُ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقُوْلُ غُرُورًا } الأنعام 112 وقال تعالى { هَلْ أَنْبَيْكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ } الشعراء 221³¹⁷

5- قال تعالى { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجَرِّمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ } الأنعام 123 لفظ القرية والمدينة والنهر والميزاب وأمثال هذه الأمور التي فيها الحال والمحال كلاهما داخل في الاسم ثم قد يعود الحكم على الحال وهو السكان وتارة على المحل وهو المكان وكذلك في النهر يقال حفرت النهر وهو المحل وجرى النهر وهو الماء ووضعت الميزاب وهو المحل وجرى الميزاب وهو الماء وكذلك القرية قال تعالى { وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَةً }

³¹⁵ مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 165

³¹⁶ مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 387

³¹⁷ مجموع الفتاوى ج: 13 ص: 75

{النحل 112} قوله {وَكُم مِّنْ قَرْيَةٍ أَهْلُكُنَا هَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَّنَأْ
 أَوْ هُمْ قَاتِلُونَ {4} فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا
 كُنَّا ظَالِمِينَ {5} الأعراف 4-5 وقال في آية أخرى {أَفَمِنْ
 أَهْلُ الْقُرْيَةِ أَنْ يَأْتِيهِمْ بَأْسُنَا بَيَّنَأْ وَهُمْ نَائِمُونَ } الأعراف 97
 فجعل القرى هم السكان وقال {وَكَانُوا مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُ قُوَّةً
 مِنْ قَرْيَةِ الَّتِي أَخْرَجْنَا أَهْلُكُنَا هُمْ فَلَا نَاصِرٌ لَهُمْ } محمد 13
 وهم السكان وكذلك قوله تعالى {وَتِلْكَ الْقُرْيَةُ أَهْلُكُنَا هُمْ أَمَّا
 ظَلَمُوا وَجَعَلُنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا } الكهف 59 وقال تعالى {أَوْ كَالَّذِي
 مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَّةٌ عَلَى عُرُوشِهَا } البقرة 259 فهذا
 المكان لا السكان لكن لابد أن يلحظ أنه كان مسكونا فلا يسمى
 قرية الا اذا كان قد عمر للسكنى مأخوذه من القرى وهو الجمع
 ومنه قولهم قريت الماء فى الحوض اذا جمعته فيه ونظير ذلك
 لفظ الانسان يتناول الجسد والروح ثم الاحكام تتناول هذا
 تارة وهذا تارة لتلازمهما فكذلك القرية اذا عذب أهلها خربت
 واذا خربت كان عذابا لأهلها فما يصيب اصحابها من الشر ينال
 الآخر كما ينال البدن والروح ما يصيب اصحابها فقوله {وَاسْأَلِ
 الْقَرْيَةَ } يوسف 82 مثل قوله { قَرْيَةٌ كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَةً }
 {النحل 112} فاللفظ هنا يراد به السكان من غير اضمار ولا
 حذف

318

6- قال تعالى {فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَسْرِحُ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ وَمَنْ
 يُرِدُ أَنْ يُضْلِلَهُ يَجْعَلُ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا } الأనعام 125 عاممة
 الأسماء يتتنوع مسماؤها بالاطلاق والتقييد وكذلك لفظ الهدى
 اذا أطلق تناول العلم الذي بعث الله به رسوله والعمل به جميعا
 فيدخل فيه كل ما أمر الله به كما في قوله {اَهَدِنَا الصِّرَاطَ
 الْمُسْتَقِيمَ } الفاتحة 6 والمراد طلب العلم بالحق والعمل به جميعا

وكذلك قوله {هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ} البقرة 2 والمراد به أنهم يعلمون ما فيه ويعملون به ولهذا صاروا مفلحين وكذلك قول أهل الجنة {الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا} الأعراف 43 وانما هداهم بأن ألهـمـمـ الـعـلـمـ النـافـعـ وـالـعـلـمـ الصـالـحـ ثـمـ قدـ يـقـرـنـ الـهـدـىـ اـمـاـ بالـاجـبـاءـ كـمـاـ فـىـ قـوـلـهـ {وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلـىـ صـرـاطـ مـسـتـقـيمـ} الأنعام 87 وكـمـاـ فـىـ قـوـلـهـ {شـاكـرـاـ لـأـنـعـمـهـ اـجـبـاءـ وـهـدـاهـ} النحل 121 {اللّٰهُ يَجْتَبِي إِلـيـهـ مـنـ يـشـاءـ وـيـهـدـيـ إـلـيـهـ مـنـ يـنـبـيـبـ} الشورى 13 وكذلك قوله تعالى {هـوـ الـذـيـ أـرـسـلـ رـسـوـلـهـ بـالـهـدـىـ وـبـيـنـ الـحـقـ} التوبـةـ 33 والـهـدـىـ هـنـاـ هوـ الـإـيمـانـ وـدـيـنـ الـحـقـ هـوـ الـاسـلـامـ وـاـذـاـ أـطـلـقـ الـهـدـىـ كـاـنـ كـاـلـاـيـمـانـ الـمـطـلـقـ يـدـخـلـ فـيـهـ هـذـاـ وـهـذـاـ

ولفظ الضلال اذا أطلق تناول من ضل عن الـهـدـىـ سواء كان عمداً او جهلاً ولزـمـ انـ يـكـونـ معـذـباـ كـوـلـهـ {إِنَّهـمـ أـفـوـاـ آـبـاءـهـمـ ضـالـلـينـ} 69 {فـهـمـ عـلـىـ آـثـارـهـمـ يـهـرـعـونـ} 70 {وـلـقـدـ ضـلـلـ قـبـلـهـمـ أـكـثـرـ الـأـوـلـيـنـ} 71 الصافات 69-71 وـقـوـلـهـ {وـقـالـوـاـ رـبـنـاـ إـنـاـ أـطـعـنـاـ سـادـتـنـاـ وـكـبـرـاءـنـاـ فـأـضـلـلـوـنـاـ السـبـيلـ} 67 {رـبـنـاـ آـتـهـمـ ضـعـفـيـنـ مـنـ الـعـذـابـ وـالـعـنـهـمـ لـعـنـاـ كـبـيرـاـ} 68 الأحزاب 67-68 وـقـوـلـهـ {فـمـنـ اـتـّـبـعـ هـدـايـيـ فـلـاـ يـضـلـلـ وـلـاـ يـشـقـىـ} طـهـ 123 ثم يـقـرـنـ بـالـغـىـ وـالـغـضـبـ كـمـاـ فـىـ قـوـلـهـ {مـاـ ضـلـلـ صـاحـبـكـمـ وـمـاـ غـوـىـ} النـجـمـ 2 وـفـىـ قـوـلـهـ {غـيـرـ الـمـغـضـوبـ عـلـيـهـمـ وـلـاـ الـضـالـلـينـ} الفاتحة 7 وـقـوـلـهـ {إـنـ الـمـجـرـمـيـنـ فـيـ ضـلـالـ وـسـعـرـ} القمر 47

319

7- قال تعالى {إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ} الأنعام 128 حـكـيمـ منـزـهـ عن السـفـهـ عـلـيـهـ منـزـهـ عنـ الجـهـلـ

320

مـجمـوعـ الفتـاوـىـ جـ: 7 صـ: 166-167³¹⁹

الـجـوابـ الصـحـيـحـ جـ: 4 صـ: 407³²⁰

8- قال تعالى {وَكَذَلِكَ نُولِي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًاٰ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} ³²¹ الأنعام 129 أن الكسب هو الفعل الذي يعود على فاعله بنفع أو ضر كما قال تعالى {لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْسَبَتْ} البقرة 286 فيبين سبحانه أن كسب النفس لها أو عليها و الناس يقولون فلان كسب مالا أو حمدا أو شرفـا كما أنه ينتفع بذلك ³²¹

9- لفظ القصص يتناول ما قصه الأنبياء من آيات الله غير أخبار الأمم كقوله تعالى {أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقاءَ يَوْمَكُمْ هَذَا قَالُوا شَهُدْنَا عَلَى أَنفُسِنَا} ³²² الأنعام 130 وقال في موضع آخر {أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَتَلَوَّنَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ} ³²² الزمر 71

10- قال تعالى {ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْفَرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلَهَا غَافِلُونَ} ³²³ الأنعام 131 لفظ القرية والمدينة والنهر والميزاب وأمثال هذه الأمور التي فيها الحال وال محل كلها داـخل في الاسم ثم قد يعود الحكم على الحال وهو السكان وتارة على المحل وهو المكان وكذلك في النهر يقال حفرت النهر وهو المحل وجـرى الميزاب وهو الماء ووضعـت المـيزاب وهو المحل قـرية مـثلاً قـرية كـانت آمـنة مـطمئـنة } ³²⁴ النحل 112 قوله {وَكَمْ مِنْ قـرـية أـهـلـكـناـها فـجـاءـهـا بـأـسـنـاـ بيـاتـاً أـو هـمْ قـائـلـونـ} ³²⁵ فـمـا كـانـ دـعـواـهـمـ إـذ جـاءـهـمـ بـأـسـنـاـ إـلـا أـن قـالـلـواـ إـنـا كـنـاـ ظـالـمـينـ } ³²⁵ الأعراف 4-5 وقال في آية أخرى {أَفَمِنْ أَهْلُ الْفَرَى أَن يَأْتِيهِمْ بَأْسُنَا بَيَاتًاً وَهُمْ نَائِمُونَ} ³²⁶ الأعراف 97 فـجـعـلـ القرـىـ هـمـ السـكـانـ وـقـالـ {وَكـأـيـنـ مـنـ قـرـيـةـ هـيـ أـشـدـ قـوـةـ مـنـ قـرـيـتـكـ الـتـيـ أـخـرـ جـنـكـ أـهـلـكـاهـمـ فـلـأـنـاصـرـ لـهـمـ} ³²⁷ محمد 13 وـهـمـ السـكـانـ وـكـذـلـكـ قوله تعالى {وَتـلـكـ الـقـرـىـ أـهـلـكـاهـمـ لـمـا ظـلـمـواـ وـجـعـلـنـاـ لـمـهـلـكـهـمـ}

³²¹ مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 387

³²² مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 45

مَوْعِدًا } الكهف 59 وقال تعالى {أَوْ كَالذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَلَوِيَّةٌ عَلَى عُرُوشِهَا } البقرة 259 فهذا المكان لا السكان لكن لابد أن يلحظ أنه كان مسكونا فلا يسمى قرية الا اذا كان قد عمر للسكنى مأخذ من القرى وهو الجمع ومنه قولهم قريت الماء في الحوض اذا جمعته فيه ونظير ذلك لفظ الانسان يتناول الجسد والروح ثم الاحكام تتناول هذا تارة وهذا تارة لتلازمهما فكذلك القرية اذا عذب أهلها خربت واذا خربت كان عذابا لأهلها فما يصيب أحدهما من الشر ينال الآخر كما ينال البدن والروح ما يصيب أحدهما فقوله {وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ} يوسف 82 مثل قوله {قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَةً } النحل 112 فاللفظ هنا يراد به السكان من غير اضمار ولا حذف³²³

11- قال تعالى {وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِن يَشَاءُ يُذْهِبُكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرَّيَّةٍ قَوْمٌ آخَرِينَ } الأنعام 133

³²⁴ غني منزه عن الفقر

12- قال تعالى {وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِن يَشَاءُ يُذْهِبُكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرَّيَّةٍ قَوْمٌ آخَرِينَ } الأنعام 133

ورحمته اسم جامع لكل خير ودار الرحمة الخالصة هي الجنة
³²⁵

³²³ مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 163

³²⁴³²⁴ الجواب الصحيح ج: 4 ص: 407

³²⁵ مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 65

13- قال تعالى {إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ} الأنعام 134 وأما لفظ المعجز فإنما يدل على أنه أعجز غيره 326

14- والله تعالى له الخلق والأمر فلفظ الإرسال والبعث والإرادة والأمر والأذن والكتاب والتحريم والقضاء والكلام ينقسم إلى خلقي وأمري وكوني وديني وأما الإرادة فقال تعالى في الكونية {قُلْ يَا قَوْمَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ} الأنعام 135 327

الجواب الصحيح ج: 5 ص: 418³²⁶

الجواب الصحيح ج: 1 ص: 150³²⁷

الانعام 136-153

{وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامَ نَصِيبًا فَقَالُوا
هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا
يَصْلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصْلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا
يَحْكُمُونَ} 136} وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لَكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ
أُولَادَهُمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيُلْبِسُوهُ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ
شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرُوهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ} 137} وَقَالُوا هَذِهِ
أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حَجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءَ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ
حُرْمَةٌ ظَهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتَرَاءٌ
عَلَيْهِ سَيْجِزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ} 138} وَقَالُوا مَا فِي
بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لَذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا
وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءٌ سَيْجِزِيهِمْ وَصَفْهُمْ إِنَّهُ
حَكِيمٌ عَلَيْهِمْ} 139} قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أُولَادَهُمْ سَفَهًا
بَغْيَرِ عِلْمٍ وَحَرَمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتَرَاءٌ عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلَّوْا
وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ} 140} وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ
مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَافِيًّا أَكْلُهُ
وَالرِّزْيُونَ وَالرُّمَانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُّوْا مِنْ ثَمَرَهُ
إِذَا أَثْمَرَ وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ
الْمُسْرِفِينَ} 141} وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُّوْا مِمَّا
رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَبَعُوا خُطُوطَ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَذُولٌ
مُبِينٌ} 142} ثَمَانِيَّةً أَرْوَاجٍ مِنَ الضَّآنِ اثْتَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ
اثْتَيْنِ قِلْ الْذَّكَرِيْنِ حَرَمَ أَمِ الْأَنْثَيْنِ أَمَّا اسْتَمْلَتْ عَلَيْهِ
أَرْحَامُ الْأَنْثَيْنِ نَبُوْونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} 143} وَمِنَ
الْإِبلِ اثْتَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْتَيْنِ قِلْ الْذَّكَرِيْنِ حَرَمَ أَمِ الْأَنْثَيْنِ
أَمَّا اسْتَمْلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأَنْثَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ

وَصَّاكمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا
لِيُضْلِلَ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الظَّالِمِينَ {144} قُلْ لَا أَجُدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى
طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوهًا أَوْ لَحْمًا
خَنْزِيرًا فَإِنَّهُ رُجْسٌ أَوْ فَسْقًا أَهْلَ لَعْنَةِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطَرَّ
غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ {145} وَعَلَى
الَّذِينَ هَادُوا حَرَمَنَا كُلَّ ذِي ظِفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَمَنَا
عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلْتُ ظَهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَائِيَا أَوْ مَا
أَخْتَلَطَ بِعَظَمٍ ذَلِكَ جَزِيَّاهُمْ بِبَيْغِيهِمْ وَإِنَا لَصَادِقُونَ {146}
فَإِنْ كَذَبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسْعَةٍ وَلَا يُرِدُّ بَأْسُهُ عَنِ
الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ {147} سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ
مَا أَشْرَكْنَا وَلَا أَبَاوْنَا وَلَا حَرَمَنَا مِنْ شَئِنَّهُ كَذَلِكَ كَذَبَ
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بِأَسْنَانِ قَلْنَهُ عَنْهُمْ مَنْ عَلِمَ
فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَبَعُونَ إِلَّا الظُّنُنُ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا
تَخْرُصُونَ {148} قُلْ فَلَلَهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهُدَأْكُمْ
أَجْمَعِينَ {149} قُلْ هَلْ مَشْهَدَأَكُمُ الَّذِينَ يَشْهُدُونَ أَنَّ اللَّهَ
حَرَمَ هَذَا فَإِنْ شَهَدُوا فَلَا تَشْهَدُ مَعَهُمْ وَلَا تَتَبَعَ أَهْوَاءِ
الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ
يَعْدِلُونَ {150} قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمُ الْأَ
شُرُكُوْا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدِينِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ
مَنْ إِمْلَاقٌ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرِبُوا الْفَوَاحِشَ مَا
ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفَسَ الَّتِي حَرَمَ اللَّهُ إِلَّا
بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكمُ بِهِ لَعْلَكُمْ تَعْقِلُونَ {151} وَلَا تَقْرِبُوا
مَالَ الْيَتَمِ إِلَّا بِالْتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشْدَهُ وَأَوْفُوا
الْكِيلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقُسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قَلَّتْ
فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكمُ

بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ {152} وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمٌ
فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ
وَصَاحِبُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّفَوَّنَ {153}

أصل دروس دين الله وشرائعه وظهور الكفر والمعاصي التشبه بالكافرين

*روى مسلم من حديث سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت عمرو بن لحي بن قمعة ابن خنف أخابني كعب وهو يجر قصبه في النار وللبخاري من حديث أبي صالح عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمرو بن لحي بن قمعة بن خنف أبو خزاعة هذا من العلم المشهور أن عمرو بن لحي هو أول من نصب الأنصاب حول البيت ويقال إنه جلبها من البلقاء من أرض الشام متشبها بأهل البلقاء وهو أول من سبب السائبة ووصل الوصيلة وحمى الحامي فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه رأه يجر قصبه في النار وهي الأمعاء ومنه سمي القصاب بذلك لأنها تشبه القصب ومعلوم أن العرب قبله كانوا على ملة أبيهم إبراهيم على شريعة التوحيد والحنيفية السمحنة دين أبيهم إبراهيم فتشبهوا بعمرو بن لحي وكان عظيم أهل مكة يومئذ لأن خزاعة كانوا ولاة البيت قبل قريش وكان سائر العرب متشبيهين بأهل مكة لأن فيها بيت الله وإليها الحج ما زالوا معظمين من زمن إبراهيم عليه السلام فتشبه عمرو ومن رأه في الشام واستحسن بعقله ما كانوا عليه ورأى أن في تحريم ما حرمه من البحيرة والسائبة والوصيلة والحامى تعظيمًا لله وديننا فكان ما فعله أصل الشرك في العرب أهل دين إبراهيم وأصل تحريم الحلال وإنما فعله متشبها فيه بغيره من أهل الأرض فلم يزل الأمر يتزايد ويتفاقم حتى غلب على أفضل الأرض الشرك بالله عز وجل وتغير دينه الحنيف إلى أن بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم فأحيا ملة إبراهيم عليه السلام واقام التوحيد وحل

ما كانوا يحرمونه وفي سورة الأنعام من عند قوله تعالى
 {وَجَعَلُوا لِلّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامَ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلّهِ
 بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللّهِ وَمَا
 كَانَ اللّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} 136 { وَكَذَلِكَ
 زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُسْرِكِينَ قَتْلًا أَوْ لَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُو هُمْ
 وَلِيُلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِيَنَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللّهُ مَا فَعَلُوهُ فَدَرْهُمْ وَمَا
 يَفْتَرُونَ } 137 { وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مِنْ
 نَّشَاءِ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرْمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللّهِ
 عَلَيْهَا افْتِرَاءَ عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ } 138 { وَقَالُوا مَا
 فِي بُطُونِهِنَّ هَذِهِ الْأَنْعَامُ خَالِصَةٌ لَذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ
 يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءَ سَيَجْزِيهِمْ وَصَفْهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ } 139 {
 قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْ لَادِهِمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَمُوا مَا رَزَقَهُمْ
 اللّهُ افْتِرَاءَ عَلَى اللّهِ قَدْ ضَلَّوْا وَمَا كَانُوا

مُهْتَدِينَ } 140 { الأنعام 136-140 إلى آخر السورة خطاب
 مع هؤلاء الضرب ولهذا يقول تعالى في اثنائهما {سَيَقُولُ الَّذِينَ
 أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللّهُ مَا أَشْرَكَنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمَنَا مِنْ شَيْءٍ }
الأنعام 148 ومعلوم أن مبدأ هذا التحريم ترك الأمور
 المباحة تدinya وأصل هذا التدين هو من التشبه بالكافر وإن لم
 يقصد المتدين التشبه بهم فقد تبين لك أن من أصل دروس
 دين الله وشرائعه وظهور الكفر والمعاصي التشبه بالكافرين كما
 أن من أصل كل خير المحافظة على سنن الأنبياء وشرائعهم
 ولهذا عظم وقع البدع في الدين وإن لم يكن فيها تشبه بالكافر
 فكيف إذا جمعت الوصفين ولهذا جاء في الحديث ما ابتدع قوم
 بدعة إلا نزع عنهم من السنة مثلها³²⁸

328 اقتضاء الصراط: 1 ص: 115-116

كل من احتاج بالقدر فإنه متناقض

*كثير من الرجال غلطوا فإنهم قد يشهدون ما يقدر على أحدهم من المعاشي والذنوب أو ما يقدر على الناس من ذلك بل من الكفر ويشهدون أن هذا جار بمشيئة الله وقضائه وقدره داخل في حكم ربوبيته ومقتضي مشيئته فيظنون الاستسلام لذلك وموافقته والرضا به ونحو ذلك دينا وطريقا وعبادة فيضاهاون المشركين الذين قالوا {لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكَنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمَنَا مِنْ شَيْءٍ} الأنعام 148 وقالوا {أَنْطَعْمُ مَنْ لَوْ يَشَاءَ اللَّهُ أَطْعَمْهُ} يس 47 {وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدَنَا هُمْ} الزخرف 20 ولو هدوا لعلموا أن القدر أمرنا أن نرضى به ونصبر على موجبه في المصائب التي تصيبنا كالفقر والمرض والخوف قال تعالى {مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ فَقْبَلَهُ} التغابن 11 قال بعض السلف هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم وقال تعالى {مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّنْ قَبْلِ أَنْ تَبَرَّأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} 22 لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكتم {23} الحديد 22-23 وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال احتاج آدم وموسى فقال موسى أنت آدم الذي خلقك الله بيده ونفح فيك من روحه وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء فلماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة فقال آدم أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه فهل وجدت ذلك مكتوبا علي قبل أن أخلق قال نعم قال فحج آدم موسى وأدم عليه السلام لم يحتاج على موسى بالقدر ظنا أن المذنب يحتاج بالقدر فإن هذا لا يقوله مسلم ولا عاقل ولو كان هذا عذرا لكان عذرا لإبليس وقوم نوح وقوم هود وكل كافر ولا موسى لام آدم أيضا لأجل الذنب فإن آدم قد تاب إلى ربه فاجتباه وهدى ولكن لامه لأجل المصيبة التي لحقتهم بالخطيئة ولهذا قال فلماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة إجابه آدم أن هذا كان مكتوبا قبل

أَنْ أَخْلُقْ فَكَانِ الْعَمَلُ وَالْمَصِيَّبَةُ الْمُتَرْتِبَةُ عَلَيْهِ مَقْدِرًا وَمَا قَدِرَ مِنَ
 الْمَصَائِبِ يَجِبُ الْإِسْتِسْلَامُ لَهُ فَإِنَّهُ مِنْ تَمَامِ الرِّضَا بِاللهِ رَبِّا وَأَمَا
 الْذُنُوبُ فَلَيْسَ لِلْعَبْدِ أَنْ يَذْنُبْ وَإِذَا أَذْنَبَ فَعَلَيْهِ أَنْ يَسْتَغْفِرُ وَيَتُوبَ
 فَيَتُوبُ مِنَ الْمَعَابِ وَيَصْبِرُ عَلَى الْمَصَائِبِ قَالَ تَعَالَى {فَاصْبِرْ}١
 إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ } غافر 55 وَقَالَ تَعَالَى {
 وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَنْتَقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً } آل عمران 120
 وَقَالَ { وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَنْتَقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ } آل
 عمران 186 وَقَالَ يُوسُفَ { إِنَّهُ مَنْ يَتَّقَ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ
 أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ } يُوسُفَ 90 وَكَذَلِكَ ذُنُوبُ الْعَبَادِ يَجِبُ عَلَى الْعَبْدِ
 فِيهَا أَنْ يَأْمُرَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا عَنِ الْمَنْكَرِ بِحَسْبِ قَدْرَتِهِ يَجَاهِدُ
 فِي سَبِيلِ اللهِ الْكَفَارَ وَالْمَنَافِقِينَ وَيَوْمَ الْيَقْظَةِ أُولَيَاءُ اللهِ وَيَعَادِي أَعْدَاءَ
 اللهِ وَيَحْبُّ فِي اللهِ وَيَبْغُضُ فِي اللهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
 آمَنُوا لَا تَنْخِذُوا عَدُوّي وَعَدُوّكُمْ أُولَيَاءُ ثُلُقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَةِ }
 { الْمَتَّحَنَةَ } إِلَى قَوْلِهِ { قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أَسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ
 وَالَّذِينَ مَعَهُ اذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ
 اللهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبُغْضَاءُ أَبْدَا حَتَّى تُؤْمِنُوا
 بِاللهِ وَحْدَهُ } الْمَتَّحَنَةَ 4 وَقَالَ تَعَالَى { لَا تَحْدُقُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ
 وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُونَ مَنْ حَادَ اللهَ وَرَسُولَهُ } الْمَجَادِلَةَ 22 إِلَى قَوْلِهِ
 { أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْأَيْمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ } الْمَجَادِلَةَ 22
 وَقَالَ تَعَالَى { أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ } الْفَلَمْ 35 وَقَالَ { أَمْ
 نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ
 نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَارِ } ص 28 وَقَالَ تَعَالَى { أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ
 اجْتَرَ حُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلْهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
 سَوَاءٌ مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءٌ مَا يَحْكُمُونَ } الْجَاثِيَةُ 21 وَقَالَ
 تَعَالَى { وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ } 19 { وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا
 النُّورُ } 20 { وَلَا الظُّلُلُ وَلَا الْحَرُورُ } 21 { وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا
 الْأَمْوَاتُ } 22 { فَاطِرُ 19-22 وَقَالَ تَعَالَى { ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا
 رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَماً لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانَ
 مَثَلًا } الْزَّمْرُ 29 وَقَالَ تَعَالَى { ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا

يَقْرُرُ عَلَى شَيْءٍ } النَّحْل 75 إِلَى قَوْلِهِ { بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } 75 وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كُلُّ عَلَى مَوْلَاهُ } النَّحْل 76 إِلَى قَوْلِهِ { وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } 76 النَّحْل 76 وَقَالَ تَعَالَى { لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ } الْحَشْر 20 وَنَظَائِرُ ذَلِكَ مَا يَفْرُقُ اللَّهُ فِيهِ بَيْنَ أَهْلِ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَأَهْلِ الطَّاعَةِ وَأَهْلِ الْمُعْصِيَةِ وَأَهْلِ الْبَرِّ وَأَهْلِ الْفَجُورِ وَأَهْلِ الْهَدَى وَالْضَّلَالِ وَأَهْلِ الْغَيِّ وَالرَّشَادِ وَأَهْلِ الصَّدْقِ وَالْكَذْبِ فَمَنْ شَهَدَ الْحَقِيقَةَ الْكُوْنِيَّةَ دُونَ الدِّينِيَّةِ سُوِّيَ بَيْنَ هَذِهِ الْأَجْنَاسِ الْمُخْتَلِفَةِ الَّتِي فَرَقَ اللَّهُ بَيْنَهَا غَايَةُ التَّفَرِيقِ حَتَّى يَؤُولَ بِهِ الْأَمْرُ إِلَى أَنْ يَسْوِيَ اللَّهُ بِالْأَصْنَامِ كَمَا قَالَ تَعَالَى عَنْهُمْ { تَالَّهُ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ } 97 إِذْ نُسَوِّيْكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِيْنَ } 98 الشَّعْرَاءُ 97-98 بَلْ قَدْ أَلَّ الْأَمْرَ بِهُؤُلَاءِ إِلَى أَنْ سُوِّوا اللَّهُ بِكُلِّ مُوجُودٍ جَعَلُوا مَا يَسْتَحْقَهُ مِنَ الْعِبَادَةِ وَالطَّاعَةِ حَقًا لِكُلِّ مُوجُودٍ إِذْ جَعَلُوهُ هُوَ وَجُودَ الْمَخْلُوقَاتِ وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْكُفْرِ وَالْإِلْهَادِ بِرَبِّ الْعِبَادِ وَهُؤُلَاءِ يَصِلُّ بِهِمُ الْكُفْرَ إِلَى أَنَّهُمْ لَا يَشْهُدُونَ أَنَّهُمْ عَبَادُ لَا بِمَعْنَى أَنَّهُمْ مَعْبُودُونَ وَلَا بِمَعْنَى أَنَّهُمْ عَابِدُونَ إِذْ يَشْهُدُونَ أَنْفُسَهُمْ هِيَ الْحَقُّ كَمَا صَرَحَ بِذَلِكَ طَوَاعِيْتَهُمْ كَابِنُ عَرَبِيِّ صَاحِبِ الْفَصُوصِ وَأَمْثَالِهِ مِنَ الْمَلَحِدِينَ الْمَفْتَرِينَ كَابِنُ سَبْعِينِ وَأَمْثَالِهِ وَيَشْهُدُونَ أَنَّهُمْ هُمُ الْعَابِدُونَ وَالْمَعْبُودُونَ وَهَذَا لَيْسَ بِشَهْوَدٍ لِحَقِيقَةِ لَا كُوْنِيَّةِ وَلَا دِينِيَّةِ بَلْ هُوَ ضَلَالٌ وَعُمَى عَنْ شَهْوَدِ الْحَقِيقَةِ الْكُوْنِيَّةِ حِيثُ جَعَلُوا وَجُودَ الْخَالِقِ هُوَ وَجُودَ الْمَخْلُوقِ وَجَعَلُوا كُلَّ وَصْفٍ مَذْمُومٍ وَمَمْدُوحٍ نَعْتَا لِلْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ إِذْ وَجُودُ هُذَا هُوَ وَجُودُ هُذَا عِنْهُمْ وَأَمَّا الْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ عَوَامُهُمْ وَخَوَاصُهُمُ الَّذِينَ هُمُ أَهْلُ الْكِتَابِ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ أَهْلِيْنَ مِنَ النَّاسِ قَيْلَ مِنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ أَهْلُ الْقُرْآنِ هُمْ أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَتِهِ فَهُؤُلَاءِ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيْكُهُ وَخَالِقُهُ وَأَنَّ الْخَالِقَ سَبَحَانَهُ مَبَايِنَ لِلْمَخْلُوقِ لَيْسَ هُوَ حَالًا فِيهِ وَلَا مَتَحْداً بِهِ وَلَا وَجُودَهُ وَجُودَهُ وَالنَّصَارَى كَفَرُهُمُ اللَّهُ بِأَنَّ قَالُوا

بالحلول والاتحاد بال المسيح خاصة فكيف من جعل ذلك عاما في كل مخلوق ويعلمون مع ذلك أن الله أمر بطاعته وطاعة رسوله ونهى عن معصيته ومعصية رسوله وأنه لا يحب الفساد ولا يرضي لعباده الكفر وأن على الخلق أن يعبدوه فيطيعوا أمره ويستعينوا به على ذلك كما قال {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} الفاتحة 5 ومن عبادته وطاعته الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحسب الإمكان والجهاد في سبيله لأهل الكفر والنفاق فيجتهدون في إقامة دينه مستعينين به دافعين مزيلين بذلك ما قدر من السيئات دافعين بذلك ما قد يخاف من ذلك كما يزيل الإنسان الجوع الحاضر بالأكل ويدفع به الجوع المستقبل وكذلك إذا آن أو ان البرد دفعه باللباس وكذلك كل مطلوب يدفع به مكروه كما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله أرأيت أدوية نتداوي بها ورقى نسترقى بها وتقاة نتقى بها هل ترد من قدر الله شيئاً فقال هي من قدر الله وفي الحديث إن الدعاء والبلاء ليلتقيان فيعتلجان بين السماء والأرض فهذا حال المؤمنين ب الله ورسوله العابدين وكل ذلك من العبادة وهؤلاء الذين يشهدون الحقيقة الكونية وهي ربوبيته تعالى لكل شيء ويجعلون ذلك مانعا من اتباع أمره الديني الشرعي على مراتب في الضلال فغلاتهم يجعلون ذلك مطلقا عاما فيتحجون بالقدر في كل ما يخالفون فيه الشريعة وقول هؤلاء شر من قول اليهود والنصارى وهو من جنس قول المشركين الذين قالوا {لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا أَبَاوْنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ} الأنعام 148 {وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ} الزخرف 20 وهؤلاء من أعظم أهل الأرض تناقضا بل كل من احتج بالقدر فإنه متناقض فإنه لا يمكن أن يقر كل أمريكي على ما فعل فلا بد إذا ظلمه ظالم أو ظلم الناس ظالم وسعى في الأرض بالفساد وأخذ يسفك دماء الناس ويستحل الفروج ويهلك الحرج والنسل ونحو ذلك من أنواع الضرر التي لا قوام للناس بها أن يدفع هذا القدر وأن يعاقب الظالم بما يكتف عداون أمثاله فيقال له إن كان القدر حجة

فدع كل أحد يفعل ما يشاء بك وبغيرك وإن لم يكن حجة بطل أصل قولك حجة وأصحاب هذا القول الذين يتحجون بالحقيقة الكونية لا يطربون هذا القول ولا يلتزمونه وإنما هم بحسب أرائهم وأهوائهم كما قال فيهم بعض العلماء أنت عند الطاعة قدرى وعند المعصية جبri أي مذهب وافق هواك تمذهبت به ومنهم صنف يدعون التحقيق والمعرفة فيزعمون أن الأمر والنهي لازم لمن شهد لنفسه فعلاً وأثبتت له صنعاً أما من شهد أن فعله مخلوقة أو أنه مجبور على ذلك وأن الله هو المتصرف فيه كما تحرك سائر المتحرّكات فإنه يرتفع عنه الأمر والنهي والوعد والوعيد وقد يقولون من شهد الإرادة سقط عنه التكليف ويزعم أحدهم أن الخضر سقط عنه التكليف لشهوده الإرادة فهولاء لا يفرقون بين العامة والخاصة الذين شهدوا الحقيقة الكونية فشهدوا أن الله خالق أفعال العباد وأنه يدبر جميع الكائنات وقد يفرقون بين من يعلم ذلك علماً وبين من يراه شهوداً فلا يسقطون التكليف عنمن يؤمن بذلك ويعلمه فقط ولكن عنمن يشهده فلا يرى لنفسه فعلاً أصلاً وهولاء لا يجعلون الجبر وإثبات القدر مانعاً من التكليف على هذا الوجه وقد وقع في هذا طوائف من المنتسبين إلى التحقيق والمعرفة والتوكيد وسبب ذلك أنه ضاق نطاقهم عن كون العبد يؤجر بما يقدر عليه خلافه كما ضاق نطاق المعتزلة ونحوهم من القدرة عن ذلك ثم المعتزلة اتبنت الأمر والنهي الشرعيين دون القضاء والقدر الذي هو إرادة الله العامة وخلفه لأفعال العباد وهولاء أثبتووا القضاء والقدر ونفوا الأمر والنهي في حق من شهد القدر إذ لم يمكنهم نفي ذلك مطلقاً وقول هؤلاء شر من قول المعتزلة ولهذا لم يكن في السلف من هؤلاء أحد وهولاء يجعلون الأمر والنهي للمحظيين الذين لم يشهدوا هذه الحقيقة الكونية ولهذا يجعلون من وصل إلى شهود هذه الحقيقة يسقط عنه الأمر والنهي وصار من الخاصة وربما تأولوا على ذلك قوله تعالى {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ} الحجر 99 وجعلوا اليقين هو معرفة هذه الحقيقة وقول هؤلاء

كفر صريح وإن وقع فيه طوائف لم يعلموا أنه كفر فإنه قد علم بالاضطرار من دين الإسلام أن الأمر والنهي لازم لكل عبد ما دام عقله حاضراً إلى أن يموت لا يسقط عنه الأمر والنهي لا شهوده القدر ولا بغير ذلك فمن لم يعرف ذلك عرفه وبين له فإن أصر على اعتقاد سقوط الأمر والنهي فإنه يقتل وقد كثرت مثل هذه المقالات في المستأجرين وأما المستقدمون من هذه الأمة فلم تكن هذه المقالات معروفة فيهم وهذه المقالات هي محاولة ورسوله ومعاداة له وصد عن سبيله ومشاقة له وتذكيت لرسله ومضادة له في حكمه وإن كان من يقول هذه المقالات قد يجهل ذلك ويعتقد أن هذا الذي هو عليه هو طريق الرسول وطريق أولياء الله المحققين فهو في ذلك بمنزلة من يعتقد أن الصلاة لا تجب عليه لاستغنائه عنها بما حصل له من الأحوال القلبية أو أن الخمر حلال له لكونه من الخواص الذين لا يضرهم شرب الخمر أو أن الفاحشة حلال له لأنه صار كالبحر لا تدركه الذنوب ونحو ذلك ولا ريب أن المشركين الذين كذبوا الرسل يتزبدون بين البدعة المخالفة لشرع الله وبين الاحتجاج بالقدر على مخالفة أمر الله فهو لاء الأصناف فيهم شبه من المشركين إما أن يبتدعوا وإما أن يحتجو بالقدر وإما أن يجمعوا بين الأمرين كما قال تعالى عن المشركين {وَإِذَا فَعَلُوا فَاحشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءُنَا وَاللهُ أَمْرَنَا بِهَا فَقَنْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَنْقُلُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ } الأعراف 28 وكما قال تعالى عنهم {سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمَنَا مِنْ شَيْءٍ } الأنعام 148 وقد ذكر عن المشركين ما ابتدعواه من الدين الذي فيه تحليل الحرام والعبادة التي لم يشر إليها الله بمثل قوله تعالى {وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرَثٌ حَجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءَ بِرَغْبَهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءُ عَلَيْهِ سِيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ } الأنعام 138 إلى آخر السورة وكذلك في سورة الأعراف في قوله {إِنَّا بَنَيْ آدَمَ لَا يَفْتَنُنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبْوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ } الأعراف 27 إلى قوله

{وَإِذَا فَعَلُواْ فَاحشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللهُ أَمْرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ } الأعراف 28 إلى قوله {قُلْ أَمْرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُواْ وُجُوهُكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ } الأعراف 29 إلى قوله {وَكُلُواْ وَاشْرِبُواْ وَلَا تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ } 31 قُلْ مَنْ حَرَمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيَّبَاتِ مِنِ الرِّزْقِ } 32 الأعراف 32-31 إلى قوله {قُلْ إِنَّمَا حَرَمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمُ وَالْغَنِيَّ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ تُشْرِكُواْ بِاللهِ مَا لَمْ يُنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا وَإِنْ تَقُولُواْ عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ } الأعراف 33 وهؤلاء قد يسمون ما أحدثوه من البدع حقيقة كما يسمون ما يشهدون من القدر حقيقة وطريق الحقيقة عندهم هو السلوك الذي لا يتقييد صاحبه بأمر الشارع ونهيه ولكن بما يراه ويذوقه ويجهه ونحو ذلك وهؤلاء لا يحتاجون بالقدر مطلقاً بل عمدتهم اتباع آرائهم وأهوائهم وجعلهم لما يرونها ويهوونها حقيقة وأمرهم باتباعها دون اتباع أمر الله ورسوله نظير بدع أهل الكلام من الجهمية وغيرهم الذين يجعلون ما ابتدعواه من الأقوال المخالفة للكتاب والسنة حقائق عقلية يجب اعتقادها دون ما دلت عليه السمعيات ثم الكتاب والسنة إما أن يحرفوه عن موضعه وإما أن يعرضوا عنه بالكلية فلا يتذمرون ولا يعقلون بل يقولون نفرض معناه إلى الله مع اعتقادهم نقىض مدلوله وإذا حق على هؤلاء ما يزعمونه من العقليات المخالفة للكتاب والسنة وجدت جهليات واعتقادات فاسدة وكذلك أولئك إذا حق عليهم ما يزعمونه من حقائق أولياء الله المخالفة للكتاب والسنة وجدت من الأهواء التي يتبعها أعداء الله لا أولياؤه وأصل ضلال من ضل هو بتقديم قياسه على النص المنزلي من عند الله واختيار الهوى على اتباع أمر الله فإن الذوق والوجد ونحو ذلك هو بحسب ما يحبه العبد فكل محب له ذوق ووجد بحسب محبته فأهل الإيمان لهم من الذوق والوجد مثل ما بينه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله في الحديث الصحيح ثلاثة من كن فيه وجد حلاوة الإيمان من كان الله ورسوله أحب

إِلَيْهِ مَا سُوَاهُمَا وَمَنْ كَانَ يُحِبُّ الْمَرءَ لَا يُحِبُّ إِلَّا اللَّهُ وَمَنْ كَانَ يَكْرِهُ أَنْ يَرْجِعَ فِي الْكُفَّارِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرِهُ أَنْ يَلْقَى فِي النَّارِ وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيفَةِ ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانَ مِنْ رَضِيَّ بِاللَّهِ رَبِّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدِ نَبِيًّا وَأَمَّا أَهْلُ الْكُفَّارِ وَالْبَدْعَ وَالشَّهْوَاتِ فَكُلُّ بَحْسِبِهِ قَيْلٌ لِسَفِيَانَ بْنَ عَيْنَيْهِ مَا بَالَ أَهْلُ الْأَهْوَاءِ لَهُمْ مَحْبَةٌ شَدِيدَةٌ لِأَهْوَائِهِمْ فَقَالَ أَنْسٌ يَسِيَّتْ قَوْلَهُ تَعَالَى {وَأَشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ} الْبَقْرَةُ 93 أَوْ نَحْوُ هَذَا مِنَ الْكَلَامِ فَعِبَادُ الْاَصْنَامِ يَحْبُّونَ الْهَتَّمَ كَمَا قَالَ تَعَالَى {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُ حُبًّا لِلَّهِ} الْبَقْرَةُ 165 وَقَالَ {فَإِنْ لَمْ يَسْتَحِيُوا لَكَ فَاعْلَمُ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِنْ مَنْ اتَّبَعَ هُوَ أَهْوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ} الْقُصْصَ 50 وَقَالَ {إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنُّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءُهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى} الْنَّجْمُ 23 وَلِهَذَا يَمِيلُ هُؤُلَاءِ إِلَى سَمَاعِ الشِّعْرِ وَالْأَصْوَاتِ الَّتِي تَهْيِجُ الْمَحْبَةَ الْمَطْلَقَةَ الَّتِي لَا تَخْتَصُ بِأَهْلِ الْإِيمَانِ بَلْ يَشْتَرِكُ فِيهَا مَحْبُ الرَّحْمَنِ وَمَحْبُ الْأُوْثَانِ وَمَحْبُ الصَّلَبَانِ وَمَحْبُ الْأُوْطَانِ وَمَحْبُ الْأَخْوَانِ وَمَحْبُ الْمَرْدَانِ وَمَحْبُ النِّسَوانِ وَهُؤُلَاءِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ أَذْوَاقَهُمْ وَمُواجِدِهِمْ مِنْ غَيْرِ اعْتِبَارِ لَذُلُكَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَمَا كَانَ عَلَيْهِ سُلْفُ الْأُمَّةِ فَالْمُخَالَفُ لِمَا بَعَثَ بِهِ رَسُولُهُ مِنْ عِبَادَتِهِ وَطَاعَتِهِ رَسُولُهُ لَا يَكُونُ مُتَّبِعاً لِدِينِ شَرِّعَهُ اللَّهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى {إِنَّمَا جَعَلْنَاكُمْ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعُوهَا وَلَا تَتَّبِعُ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} 18 {إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنِوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا} 19 الْجَاثِيَةُ 18-19 إِلَى قَوْلِهِ {وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ} الْجَاثِيَةُ 19 بَلْ يَكُونُ مُتَّبِعاً لِهُوَاهُ بِغَيْرِ هُدَى مِنَ اللَّهِ قَالَ تَعَالَى {أَمْ لَهُمْ شَرَكَاءُ شَرَّعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذِنْ بِهِ اللَّهُ} الشُّورَى 21 وَهُمْ فِي ذَلِكَ تَارِيَةٍ يَكُونُونَ عَلَى بَدْعَةٍ يَسْمُونَهَا حَقْيَةٌ يَقْدِمُونَهَا عَلَى مَا شَرَعَهُ اللَّهُ وَتَارِيَةٍ يَحْتَجُونَ بِالْقَدْرِ الْكُوْنِيِّ عَلَى الشَّرِيعَةِ كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ عَنِ الْمُشْرِكِينَ كَمَا تَقْدِمُ وَمَنْ هُؤُلَاءِ طَائِفَةٌ هُمْ أَعْلَاهُمْ قَدْرًا وَهُمْ مُسْتَمْسِكُونَ بِالْدِينِ فِي أَدَاءِ الْفَرَائِضِ الْمَشْهُورَةِ وَاجْتَنَابُ

المحرمات المشهورة لكن يغلطون في ترك ما أمروا به من الأسباب التي هي عبادة ظانين أن العارف إذا شهد القدر أعرض عن ذلك مثل من يجعل التوكل منهم أو الدعاء ونحو ذلك من مقامات العامة دون الخاصة بناء على أن من شهد القدر علم أن ما قدر سيكون فلا حاجة إلى ذلك وهذا غلط عظيم فإن الله قدر الأشياء بأسبابها كما قدر السعادة والشقاوة بأسبابها كما قال النبي صلى الله عليه وسلم إن الله خلق للجنة أهلاً خلقها لهم وهم في أصلاب آبائهم وبعمل أهل الجنة يعملون وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم لما أخبرهم بأن الله كتب المقادير فقالوا يا رسول الله أفلأ ندع العمل ونتكل على الكتاب فقال لا اعلموا فكل ميسر لما خلق له أما من كان من أهل السعادة فسييسر لعمل أهل السعادة وأما من كان من أهل الشقاوة فسييسر لعمل أهل الشقاوة فما أمر الله به عباده من الأسباب فهو عبادة والتوكيل مقررون بالعبادة كما في قوله تعالى {فَاعْبُدُهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ} هود 123 وفي قوله {قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَئَابٌ} الرعد 30 وقول شعيب عليه السلام {عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أَنِيبٌ} هود 88 و منهم طائفة قد تترك المستحبات من الأعمال دون الواجبات فتنقص بقدر ذلك ومنهم طائفة يغترون بما يحصل لهم من خرق عادة مثل مكافحة أو استجابة دعوة مخالفة للعادة العامة ونحو ذلك فيشتغل أحدهم بما أمر به من العبادة والشكر ونحو ذلك فهذه الأمور ونحوها كثيراً ما ت تعرض لأهل السلوك والتوجه وإنما ينجو العبد منها بملازمة أمر الله الذي بعث به رسوله في كل وقت كما قال الزهربي كان من مضى من سلفنا يقولون الاعتصام بالسنة نجاة وذلك أن السنة كما قال مالك رحمة الله مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق العبادة والطاعة والاستقامة ولزوم الصراط المستقيم ونحو ذلك من الأسماء مقصودها واحد ولها أصلان أحدهما ألا يعبد إلا الله و الثاني أن يعبد بما أمر وشرع لا بغير ذلك من البدع قال تعالى {فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً

صَالِحًا وَلَا يُشْرِكُ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا } الْكَهْفٌ 110 وَقَالَ تَعَالَى
 { بَلِّي مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرٌ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ
 عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَخْرُنُونَ } الْبَقْرَةُ 112 وَقَالَ تَعَالَى { وَمَنْ أَحْسَنَ
 دِينًا مِّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا
 وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا } النَّسَاءُ 125 فَالْعَمَلُ الصَّالِحُ هُوَ الْإِحْسَانُ
 وَهُوَ فَعْلُ الْحَسَنَاتِ وَالْحَسَنَاتُ هِيَ مَا أَحْبَبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَهُوَ مَا
 أَمْرَ إِيجَابٌ أَوْ اسْتِحْبَابٌ فَمَا كَانَ مِنَ الْبَدْعِ فِي الدِّينِ تِلْيُسْتَ
 مَشْرُوعَةٌ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّهَا وَلَا رَسُولُهُ فَلَا تَكُونُ مِنَ الْحَسَنَاتِ وَلَا
 مِنَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ كَمَا أَنَّ مِنْ يَعْمَلُ مَا لَا يَجُوزُ كَالْفَوَاحِشِ وَالظُّلْمِ
 لَيْسَ مِنَ الْحَسَنَاتِ وَلَا مِنَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ وَأَمَّا قَوْلُهُ { وَلَا
 يُشْرِكُ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا } الْكَهْفُ 110 وَقَوْلُهُ { أَسْلَمَ وَجْهَهُ
 لِلَّهِ } الْبَقْرَةُ 112 فَهُوَ إِخْلَاصُ الدِّينِ وَحْدَهُ وَكَانَ عُمَرُ بْنُ
 الْخَطَّابِ يَقُولُ لِلَّهِمَ اجْعِلْ عَمَلِي كُلَّهُ صَالِحًا وَاجْعِلْهُ لِوْجَهِكَ
 خَالِصًا وَلَا تَجْعَلْ لَأَحَدٍ فِيهِ شَيْئًا وَقَالَ الْفَضِيلُ بْنُ عِيَاضَ فِي قَوْلِهِ
 { لِيَبْلُوْكُمْ أَيْكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا } هُودٌ 7 قَالَ أَخْلَصُهُ وَأَصْوَبُهُ قَالَوا
 يَا أَبَا عَلِيٍّ مَا أَخْلَصْتُهُ وَأَصْوَبْتُهُ قَالَ إِنَّ الْعَمَلَ إِذَا كَانَ خَالِصًا وَلَمْ
 يَكُنْ صَوَابًا لَمْ يَقْبَلْ وَإِذَا كَانَ صَوَابًا وَلَمْ يَكُنْ خَالِصًا لَمْ يَقْبَلْ حَتَّى
 يَكُونَ خَالِصًا صَوَابًا وَالْخَالِصُ أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ وَالصَّوَابُ أَنْ يَكُونَ
 عَلَى السَّنَةِ ³²⁹

الشرك والغلو يخرج أصحابه إلى أن يجعلوا البشر مثل الإله

* وأما ما تقوله غلاتهم من إلاهية على أو نبوته وغلط جبريل بالرسالة فهو أعظم من أن يذكر هنا ولا ريب أن الشرك والغلو يخرج أصحابه إلى أن يجعلوا البشر مثل الإله بل أفضل من الإله

³²⁹الفتاوى الكبرى ج: 2 ص: 367-375

في بعض الأمور كما ذكر الله عن المشركين حيث قال {وَجَعَلُوا اللَّهَ مِمَّا دَرَا مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ اللَّهُ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} الأنعام 136

وقال تعالى {وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدُوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَا لِكُلِّ أَمَةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُبَيِّنُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} الأنعام 108

فهؤلاء لما سبت آلهتهم سبوا الله مقابلة فجعلوه مماثلين لله وأعظم في قلوبهم كما تجد كثيرا من المشركين يحب ما اتخذه من دون الله أندادا أكثر مما يحب الله تعالى وتجد أحدهم يحلف بالله ويكتبه

ويحلف بما اتخذه ندا من إمامه أو شيخه أو غير ذلك ولا يستجيب أن يكتبه وتسأله بالله والله فلا يعطي وتسأله بما يعظمه من إمامه أو شيخه أو غير ذلك فيعطي ويصل إلى الله في بيته ويدعوه فلا يكون عنده كبير خشوع فإذا أتى إلى قبر من يعظمه ورجا أن يدعوه أو يدعو به أو يدعو عنده فيحصل له من الخشوع والدموع ما لا يحصل في عبادة الله ودعائه في بيت الله أو في بيت الداعي العابد وتجد أحدهم يغضب إذا ذكر ما اتخذه ندا بعيوب أو نقص ويدرك الله بالعيوب والتقوص فلا يغضب له ومثل هذا كثير في المشركين شركا محضا وفي من فيه شعبة من الشرك في هذه الأمة والنصارى ينزعون البشر عن كثير مما يصفون به الرب فيقولون الله ولد وينزعون كثيرا من عظمائهم أن يكون له ولد ويقول كثير منهم إن الله ينام والباب عندهم لا ينام

330
ومثل هذا كثير

* والرب تعالى إذا جعل من يحب الأنداد كحبه مشركين فمن أحب الند أكثر كان أعظم شركا وكفرا كما قال تعالى {وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدُوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ

{ الأَنْعَام 108 } فلولا تعظيمهم لآلهتهم على الله لما سبوا الله إذا سبوا آلهتهم و قال تعالى { وَجَعَلُوا لِهِ مِمَّا نَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامَ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ } **الأنعام 136** و قال أبو سفيان يوم أحد أعل هبل
 أعل هبل فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تجيئوه فقالوا وما نقول قال قولوا الله أعلى وأجل و قال أبو سفيان إن لنا العزى ولا عزى لكم قال لا تجيئوه قالوا وما نقول قال قولوا الله مولانا ولا مولى لكم ³³¹

الأصل في العبادات التوفيق والأصل في العادات العفو

* أن تصرفات العباد من الأقوال والأفعال نوعان عبادات يصلح بها دينهم و عادات يحتاجون إليها في دنياهם فباستقراء أصول الشريعة نعلم أن العبادات التي أوجبها الله أو أحبها لا يثبت الأمر بها إلا بالشرع و أما العادات فهي ما اعتقد الناس في دنياهم مما يحتاجون إليه و الأصل فيه عدم الحظر فلا يحظر منه إلا ما حظره الله سبحانه و تعالى و ذلك لأن الأمر و النهي بما شرع الله و العبادة لابد أن تكون مأمورة بها فما لم يثبت أنه مأمور به كيف يحكم عليه بأنه عبادة و ما لم يثبت من العبادات أنه منها عنه كيف يحكم على أنه محظوظ و لهذا كان أحمد و غيره من فقهاء أهل الحديث يقولون إن الأصل في العبادات التوفيق فلا يشرع منها إلا ما شرعه الله تعالى و إلا دخلنا في معنى قوله { أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءٌ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذِنْ بِهِ اللَّهُ } **الشورى 21** و العادات الأصل فيها العفو فلا يحظر منها إلا ما

³³¹ منهاج السنة النبوية ج: 5 ص: 397-398

حرمه و إلا دخلنا في معنى قوله {قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَاماً وَحَلَالاً} يونس 59 و لهذا ذم الله المشركين الذين شرعوا من الدين ما لم يأذن به الله و حرموا ما لم يحرمه في سورة الأنعام من قوله تعالى {وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيباً فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرْ عِمْهُمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} 136

و كذلك زين لكتير مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أُولَادَهُمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلَيُلْبِسُوهُ عَلَيْهِمْ دِينِهِمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلَوْهُ فَدَرْهُمْ وَمَا يَقْتُلُونَ} 137

و قالوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءَ بِرْ عِمْهُمْ وَأَنْعَامٌ حُرْمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتَرَاءٌ عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَقْتُلُونَ} 138

الأنعام 136-138 فذكر ما ابتدعوه من العبادات و من التحريمات و في صحيح مسلم عن عياض بن حمار رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى إنى خلقت عبادى حنفاء فاجتالتهم الشياطين و حرمت عليهم ما أحللت لهم و أمرتهم أن يشركوا بي ما لم 332
أنزل به سلطاناً وهذه قاعدة عظيمة نافعة

* واما العبادات فان اصل الدين انه لا حرام الا ما حرمه الله ولا دين الا ما شرعه الله فان الله سبحانه في سورة الانعام والاعراف عاب على المشركين انهم حرموا ما لم يحرمه الله وانهم شرعوا من الدين مالم يأذن به الله كما قال ابن عباس اذا اردت ان تعرف جهل العرب فاقرأ ما قوله {وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ} الأنعام 136 الآية وذلك ان الله ذم المشركين على ما ابتدعوه من تحريم الحرت والانعام وما ابتدعوه من الشرك وذمهم على احتجاجهم على بدعهم بالقدر قال تعالى {سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا} الأنعام 148

³³² مجموع الفتاوى ج: 29 ص: 18-16

الآلية وفي الصحيح عن عياض بن حمار عن النبي انه قال يقول الله تعالى انى خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين وحرمت عليهم ما احللت لهم وأمرتهم ان يشركوا بي ما لم انزل به سلطانا وذكر في سورة الاعراف ما حرموه وما شرعوه وقال تعالى {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيُّ الْفَوَاحِشَ} {الاعراف 33} الآية وقال {قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقُسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لِهِ الدِّينَ كَمَا بَدَأْكُمْ تَعُودُونَ} {الاعراف 29} الآية فبين لهم ما أمرهم به وما حرمهم هو وقال ذما لهم {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءٌ شَرَّعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذِنْ بِهِ اللَّهُ} {الشورى 21} الآية وهذا مبسط في غير هذا الموضع والمقصود انه ليس ل احد ان يحرم الا ما جاءت الشريعة بتحريمها والا فالاصل عدم التحريم سواء في ذلك الاعيان والافعال وليس له ان يشرع دينا واجبا او مستحبا ما لم يقم دليلا شرعا على وجوبه واستجابه

333

جميع بنى آدم العقلاء لا بد لهم من أمور يأمرون بها وأمور ينهون عنها

*قاعدة جامعة كل واحد من الدين الجامع بين الواجبات وسائر العبادات ومن التحريمات كما قال تعالى { وَلَا يُحِرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ} التوبة 29 كما قال تعالى {وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَدَنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمَنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ} {النحل 35} وكما أخبر عما ذمه من حال المشركين في دينهم وتحريمهم حيث قال { وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأً مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا

**فَقَالُوا هَذَا اللَّهُ بِرَّ عِمِّهِمْ وَهَذَا لِشُرِّكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرِّكَائِهِمْ فَلَا
يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ اللَّهُ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرِّكَائِهِمْ سَاءَ مَا
يَحْكُمُونَ { الأنعام 136} إلى آخر الكلام فإنه ذكر فيه ما كانوا عليه**

من العادات الباطلة من أنواع الشرك ومن الإباحة الباطلة في
قتل الأولاد ومن التحريريات الباطلة من السائبة والبحيرة
والوصيلة والحمى ونحو ذلك فذم المشركين في عبادتهم
وتحريمهما وإياحتهم وذم النصارى فيما تركوه من دين الحق
والتحريم كما ذمهم على الدين الباطل في قوله {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ
وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ } التوبة 31
وأصناف ذلك فكل واحد من العادات وسائل المأمور به من
الواجبات والمستحبات ومن المكر وهاز المنهى عنها نهى حظر
أو نهى تزييه ينقسم إلى ثلاثة أقسام عقلي وملبي وشرعى والمراد
بالعقلى ما اتفق عليه اهل العقل من بنى آدم سواء كان لهم صلة
كتاب أو لم يكن والمراد بالملبي ما اتفق عليه أهل الملل والكتب
المنزلة ومن اتبعهم والمراد بالشرعى ما اختص به أهل الشريعة
القرآنية وهم أمة محمد وأخص من ذلك ما اختص به أهل مذهب
أو أهل طريقة من الفقهاء والصوفية ونحو ذلك لكن هذا
التخصيص والامتياز لا توجيه شريعة الرسول مطلقا وإنما قد
توجيهه ما قد توجب بتخصيص بعض العلماء والعباد والأمراء
في استفتاء أو طاعة كما يجب على أهل كل غزارة طاعة أميرهم
وأهل كل قرية استفتاء عالمهم الذي لا يجدون غيره ونحو ذلك
وما من أهل شريعة غير المسلمين إلا وفي شرعاهم هذه الأقسام
الثلاثة فان مأموراتهم ومنهاياتهم تنقسم إلى ما يتافق عليه العقلاء
وما يتافق عليه الأنبياء وأما السياسات الملكية التي لا تتمسك بصلة
وكتاب فلا بد فيها من القسم الأول والثالث فان القدر المشترك بين
الآدميين لا بد من الأمر به في كل سياسة وإمامية وكذلك لا بد
لكل ملك من خصيصة يتميز بها ولو لم تكن الا رعاية من يواليه
ودفع من يعاديه فلا بد لهم من الأمر بما يحفظ الولي ويدفع العدو
كما في مملكة جنكيز خان ملك الترك ونحوه من الملوك ثم قد

يكون لهم ملة صحيحة توحيدية وقد يكون لهم ملة كفرية وقد لا يكون لهم ملة بحال ثم قد يكون مما يوجبونه وقد يكون مما يستحبونه ووجه القسمة أن جميع بنى آدم العقلاء لا بد لهم من أمرور يأمرؤن بها وأمور ينهون عنها فان مصلحتهم لا تتم بدون ذلك ولا يمكن أن يعيشوا في الدنيا بل ولا يعيش الواحد منهم لو انفرد بدون أمرور يفعلونها تجلب لهم المنفعة وامرور ينفعونها تدفع عنهم المضررة بل سائر الحيوان لا بد فيه من قوته الاجتلاف والاجتناب ومبدأهما الشهوة والنفرة والحب والبغض فالقسم المطلوب هو المأمور به والقسم المرهوب هو المنهى عنه فأما ان تكون تلك الأمور متفقاً عليها بين العقلاء بحيث لا يلتقي الى الشواذ منهم الذين خرجوا عند الجمهور عن العقل وإما أن لا تكون كذلك وما ليس كذلك فاما أن يكون متفقاً عليه بين الأنبياء والمرسلين وإما أن يختص به أهل شريعة الإسلام³³⁴

الفرق بين الحب في الله والحب مع الله

* وقد زين الشيطان لكثير من الناس سوء عملهم واستزلهم عن إخلاص الدين لربهم إلى أنواع من الشرك فيقصدون بالسفر والزيارة رضى غير الله والرغبة إلى غيره ويشدون الرحال إما إلى قبر نبي أو صاحب أو صالح أو ما يظنون أنه نبي أو صاحب أو صالح داعين له راغبين إليه ومنهم من يظن أن المقصود من الحج هو هذا فلا يستشعر إلا قصد المخلوق المقبور ومنهم من يرى أن ذلك أدنى له من حج البيت ومن شيوخهم من يقصد حج البيت فإذا وصل إلى المدينة رجع مكتفياً بزيارة القبر وظن أن هذا أبلغ ومن جهالهم من يتوهם أن زيارة القبور واجبة وأكثرهم يسأل الميت المقبور كما يسأل الحي

³³⁴ مجموع الفتاوى ج: 20 ص: 65-73

الذي لا يموت فيقول يا سيدني فلان اغفر لي وارحمني وتب على او يقول اقض عني الدين وانصرني على فلان وأنا في حبك وجوارك وقد ينذرون أولادهم للمقابر ويسيبون له السوائب من البقر والغنم وغيرها كما كان المشركون يسيبون السوائب لطواقيتهم قال تعالى {ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون } المائدة 103 وقال تعالى {وجعلوا الله ماما ذرا من الحرث والأنعام تصيبا فقلوا هذا الله يزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان الله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون } الأنعام 136 ومن السدنة من يضل الجهال فيقول أنا أذكر حاجتك لصاحب الضريح وهو يذكرها للنبي يذكرها الله ومنهم من يعلق على القبر المكتوب أو غير المكتوب من الستور والثياب ويضع عنده من مصوغ الذهب والفضة مما قد أجمع المسلمين على أنه من دين المشركين وليس من دين الإسلام والمسجد الجامع معطل خراب صورة ومعنى وما أكثر من يعتقد من هؤلاء أن صلاته عند القبر المضاد إلى بعض المعظمين مع أنه كذب في نفس الأمر أعظم من صلاته في المساجد الخالية من القبور والخالصة لله فيزدحمن للصلوة في مواضع الإشراك المبدعة التي نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن اتخاذها مساجد وإن كانت على قبور الأنبياء ³³⁵

*قال الله تعالى {وَمِن النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّهُمْ كُحْبَ اللَّهِ} البقرة 165 فمن أحب مخلوقاً مثل ما يحب الله فهو مشرك ويجب الفرق بين الحب في الله والحب مع الله فهؤلاء الذين اتخذوا القبور أو ثاناً تجدهم يستهزئون بما هو من توحيد الله

³³⁵اقتضاء الصراط ج: 1 ص: 458

و عبادته و يعظمون ما اتخذه من دون الله شفعاء و يحلف أحدهم
 اليدين العموس كانبا ولا يجترئ أن يحلف بشيخه كانبا
 وكثير من طوائف متعددة ترى أحدهم يرى أن استغاثته بالشيخ
 إما عند قبره أو غير قبره أنفع له من أن يدعوه الله في المسجد
 عند السحر ويستهزء بمن يعدل عن طريقته إلى التوحيد وكثير
 منهم يخربون المساجد ويعمرون المشاهد فهل هذا إلا من
 استخفافهم بالله وبآياته ورسوله وتعظيمهم للشرك وإذا كان
 لهذا وقف كان وقف الشرك أعظم عندهم مضاهاات لمشركي
 العرب الذين ذكرهم الله في قوله { وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَ أَمْ
 الْحَرْثَ وَالْأَنْعَامَ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزُعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا
 كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُّ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُّ إِلَى
 شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ } الأنعام 136 الآية فيفضلون ما يجعل
 لغير الله على ما يجعل الله ويقولون الله غني وألهتنا فقيرة ³³⁶

إذا ذكر حكمة للفعل لم يلزم أن لا تكون له حكمة أخرى

* قال تعالى { وَكَذَلِكَ زَيَّ لَكَثِيرٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلُ أَوْ لَادَهْمُ
 شُرَكَاؤُهُمْ لِبِرْدُو هُمْ وَلَيَلِبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ
 فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ } الأنعام 137 وإن كانت هذه لام العاقبة
 فليست العاقبة منحصرة في ذلك فقط وفي ذلك حكم أخرى ومثل
 ذلك كثير في كلام الله عز وجل وغير كلام الله إذا ذكر حكمة
 للفعل لم يلزم أن لا تكون له حكمة أخرى لكن لا بد لتصصيص
 تلك الحكمة بالذكر في ذلك الموضع من مناسبته وهذا كالمناسبة
 في قوله { لِتُتَذَرَّ قَوْمًا مَا أَنْذَرَ آبَاؤُهُمْ غَافِلُونَ } يس 6 فإن

هؤلاء كانوا أول المنذرين وأحقهم بالإنذار فكان في تخصيصهم
بالذكر فائدة لا أنه خصم لانتقاء إنذار من سواهم³³⁷

السيئات منشؤها الجهل والظلم

* وأما السيئات فمنشؤها الجهل والظلم فإن أحدا لا يفعل سيئة قبيحة إلا لعدم علمه بكونها سيئة قبيحة أو لهواه وميل نفسه إليها ولا يترك حسنة واجبة إلا لعدم علمه بوجوبها أو لبغض نفسه لها وفي الحقيقة فالسيئات كلها ترجع إلى الجهل وإلا فلو كان عالماً علماً نافعاً بأن فعل هذا يضره ضرراً راجحاً لم يفعله فإن هذا خاصية العاقل ولهذا إذا كان من الحسنات ما يعلم أنه يضره ضرراً راجحاً كالسقوط من مكان عالٍ أو في نهر يغرقه أو المرور بجانب حائط مائل أو دخول نار متاجحة أو رمي ماله في البحر ونحو ذلك لم يفعله لعلمه بأن هذا ضرر لا منفعة فيه ومن لم يعلم أن هذا يضره كالصبي والمجنون والساهي والغافل فقد يفعل ذلك ومن أقدم على ما يضره مع علمه من الضرر عليه فلظنه أن منفعته راجحة فأما أن يجزم بضرر مرجوح أو يظن أن الخير راجح فلا بد من رجحان الخير إما في الظن وإنما في المظنون كالمذى يركب البحر ويتسافر الأسفار البعيدة للربح فإنه لو جزم بأنه يغرق أو يخسر لما سافر لكنه يتراجع عنده السلامة والربح وإن كان مخطئاً في هذا الظن وكذلك الذنب إذا جزم السارق بأنه يؤخذ ويقطع لم يسرق وكذلك الزاني إذا جزم بأنه يرجم لم يزن والشارب يختلف حاله فقد يخدم على جلد أربع وثمانين ويديم الشرم مع ذلك ولهذا كان الصحيح أن عقوبة الشارب غير محددة بل يجوز أن تنتهي إلى القتل إذا لم ينته إلا بذلك كما جاءت بذلك الأحاديث كما هو مذكور في غير هذا

³³⁷الجواب الصحيح ج: 1 ص: 436

الموضع وكذلك العقوبات متى جزم طالب الذنب بأنه يحصل له بهضره الراجح لم يفعله بل إما أن لا يكون جازما بتحريميه أو يكون غير جازم بعقوبته بل يرجو العفو بحسناته أو توبته أو بعفو الله أو يغفل عن هذا كله ولا يستحضر تحريمه ولا وعيدها فيبقى غافلا غير مستحضر للتحريم والغفلة من أضداد العلم فالغفلة والشهوة أصل الشر قال تعالى {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاءِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلَنَا قَلْبُهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا} الكهف 28 والهوي وحده لا يستقل ب فعل السيئات إلا مع الجهل وإلا فصاحب الهوى إذا علم قطعاً أن ذلك يضره ضرراً راجحاً انصرفت نفسه عنه بالطبع فان الله تعالى جعل في النفس حباً لما ينفعها وبغضاً لما يضرها فلا تفعل ما تجزم بأنه يضرها ضرراً راجحاً بل متى فعلته كان لضعف العقل ولها يوصف هذا بأنه عاقل وذو نهى وذو حجى ولهاذا كان البلاء العظيم من الشيطان لا من مجرد النفس فإن الشيطان يزيّن لها السيئات ويأمرها بها ويدرك لها ما فيها من المحسنات التي هي منافع لا مضار كما فعل إبليس بأدم وحواء لهذا قال تعالى {وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُسْرِكِينَ قَتْلُ أَوْ لَادْهُمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرِدُو هُمْ وَلَيَأْسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَدَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ} الأنعام 137 فأصل ما يوقع الناس في السيئات الجهل وعدم العلم بكونها تضرهم ضرراً راجحاً أو ظن أنها تنفعهم نفعاً راجحاً ولهاذا قال الصحابة رضي الله عنهم كل من عصى الله فهو جاهم وقال مجاهد أيضاً من عمل سوءاً خطأ أو إثماً عمداً فهو جاهم حتى ينزع منه وراهن ابن أبي حاتم ثم قال روى عن قتادة وعمرو ابن مرة والثوري ونحو ذلك خطأ أو عمداً وروى عن مجاهد والضحاك قالاً ليس من جهالته أن لا يعلم حلالاً ولا حراماً ولكن من جهالته حين دخل فيه وقال عكرمة الدنيا كلها جهالة وعن الحسن البصري أنه سئل عنها

قال هم قوم لم يعلموا ما لهم مما عليهم قيل له أرأيت لو كانوا قد
علموا قال فليخرجوا منها فإنها جهالة³³⁸

من اتَّخَذَ إِلَهَهُ هُوَاهُ قَدْ زَيْنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ

* فإن من اتَّخَذَ إِلَهَهُ هُوَاهُ صار يعبد من يهواء وقد زين له سوء عمله فرآه حسنا قال تعالى {أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أُولَئِكَ إِنَّا أَعْنَدْنَا جَهَنَّمَ لِكَافِرِيْنَ نُزُلاً} 102 {قُلْ هُلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا} 103 {الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيْهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا} 104 {الْكَهْفَ} 102-104 وقال تعالى {وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ} {غافر} 37 وقال تعالى {وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِتَنَ نَكَصَ عَلَى عَقِيْبِيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ} 48 {إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِيْنُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} 49 {الْأَنْفَال} 48-49 وقال تعالى {وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيُلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِيْنَهُمْ} {الأنعام} 137³³⁹

انَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى مَا لَا يَفْعَلُهُ

الحسنة والسيئة ج: 1 ص: 62-63³³⁸

قاعدة في المحبة ج: 1 ص: 104³³⁹

* قال تعالى { وَكَذَلِكَ زَيْنَ لَكِثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قُتْلُ أُولَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لَيْرُدُوْهُمْ وَلَيَأْسُوا عَلَيْهِمْ دِيَنَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرُهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ } الأنعام 137 اتفق المسلمين وسائر أهل الملل على أن الله على كل شيء قادر كما نطق بذلك القرآن أي في مواضع كثيرة جدا وأن الشيء إسم لما يوجد في الأعيان ولما يتصور في الأذهان فما قدره الله وعلم أنه سيكون هو شيء في التقدير والعلم والكتاب وأن لم يكن شيئاً في الخارج ومنه قوله {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ }يس 82 و لفظ الشيء في الآية يتناول هذا وهذا فهو على كل شيء ما و جد وكل ماتصوره الذهن موجوداً إن تصور أن يكون موجوداً قديراً لا يستثنى من ذلك شيء ولا يزداد عليه شيء كما قال تعالى {بَلِّي قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نَسُوَيَ بَنَاهُ } القيامة 4 و قال {وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدْرٍ فَأَسْكَنَاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابِهِ لَقَادِرُونَ } المؤمنون 18 قال المفسرون لقادرون على أن نذهب به حتى تموتوا عطشاً و تهلك مواشيكم و تخرب أراضيكم و معلوم أنه لم يذهب به و هذا قوله { أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَسْرِيْبُونَ } الواقعة 68 إلى قوله و { وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تَكْدِبُونَ } الواقعة 82 و هذا يدل على أنه قادر على ما لا يفعله فإنه أخبر أنه لو شاء جعل الماء أحاجاً وهو لم يفعله و مثل هذا و { وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا } السجدة 13 { وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَّنَ مَنِ فِي الْأَرْضِ } يونس 99 { وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا افْتَلَوْا } البقرة 253 فإنه أخبر في غير موضع أنه لو شاء لفعل أشياء و هو لم يفعلها فلو لم يكن قادراً عليها لكان إذا شاءها لم يمكن فعلها³⁴⁰

نَفْسُ اسْمَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَبَارَكَةً وَبِرْكَتَهَا مِنْ جِهَةِ دَلَالَتِهَا عَلَى الْمَسْمَى

³⁴⁰ مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 10

*ومعلوم ان نفس اسمائه عز وجل مباركة وبركتها من جهة دلالتها على المسمى ولهذا فرقت الشريعة بين ما يذكر اسم الله عليه وما لا يذكر اسم الله عليه في مثل قوله {فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ} الأنعام118 وقوله {وَمَا لَكُمْ أَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ} الأنعام119 وقوله {وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ} المائدة4 وقول النبي لعدي بن حاتم وان خالط كلبك كلاب أخرى فلا تأكل فانك انما سميت على كلبك ولم تسم على غيره

341

*قال تعالى { وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءَ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرْمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا اقْتِرَاءَ عَلَيْهِ} الأنعام138 والاسم يتناول اللفظ والمعنى المتصور في القلب وقد يراد به مجرد اللفظ وقد يراد به مجرد المعنى فإنه من الكلام والكلام اسم لفظ والمعنى وقد يراد به أحدهما ولهذا كان من ذكر الله بقلبه أو لسانه فقد ذكره لكن ذكره بهما أتم والله تعالى قد أمر بتسبيح اسمه وامر بالتسبيح باسمه كما أمر بدعائه بأسمائه الحسنى فيدعى بأسمائه الحسنى ويسبح اسمه وتسبح اسمه هو تسبيح له اذ المقصود بالاسم المسمى كما أن دعاء هو دعاء المسمى قال تعالى {قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى} الإسراء110 والله تعالى يأمر بذلك تارة وبنذكر اسمه تارة كما يأمر بتسبيحه تارة وتسبح اسمه تارة فقال { اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا} الأحزاب41 {وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ} الأعراف205 وهذا كثير وقال {وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَّئِنْ إِلَيْهِ تَبَيِّنًا} المزمول8 كما قال {فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ} الأنعام118 {وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ} الأنعام121 {فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكَ

عَلَيْكُمْ وَأَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ } المائدة 4 لكن هنا يقال بسم الله
 فيذكر نفس الاسم الذى هو ألف سين ميم واما فى قوله
 {وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ } المزمل 8 فيقال سبحان الله والحمد لله ولا
 الله الا الله وهذا أيضا مما يبين فساد قول من جعل الاسم هو
 المسمى قوله فى الذبيحة {فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ }
 {الأنعام 118} قوله {أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ } العلق 1
 قوله {إِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا } هود 41 قوله {أَقْرَأْ
 بِاسْمِ رَبِّكَ } العلق 1 هو قراءة بسم الله فى أول سور وقد
 بسط الكلام على هذا فى غير هذا الموضوع وبين ان هذه الآية تدل
 على أن القارئ مأموم ان يقرأ بسم الله وانها ليست كسائر
 القرآن بل هي تابعة لغيرها وهنا يقول {إِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ
 الرَّحِيمِ } النمل 30 كما كتب سليمان وكما جاءت به السنة
 المتواترة واجمع المسلمون بالله الرحمن الرحيم فى قوله
 {وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ } الإنسان 25 فإنه يقول سبحان الله والحمد
 لله ولا الله الا الله ونحو ذلك وهنا قال {أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ }
 العلق 1 لم يقل اقرأ اسم ربك وقوله {وَأَذْكُرْ اسْمَ
 رَبِّكَ } الإنسان 25 يقتضى أن يذكره بلسانه وأما قوله
 {وَأَذْكُرْ رَبِّكَ } آل عمران 41 فقد يتناول ذكر القلب وقوله
 {أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ } العلق 1 هو كقول الأكل باسم الله والذابح باسم
 الله كما قال النبي ³⁴² ومن لم يكن ذبح فليذبح بسم الله

الدين ما شرعه الله ورسوله

* وأصل الدين أنه لا و اجب إلا ما أوجبه الله و رسوله و لا
 حرام إلا ما حرم الله و رسوله و لا مكروه إلا ما كرهه الله و
 رسوله و لا حلال إلا ما أحله الله و رسوله و لا مستحب إلا ما

أحبه الله و رسوله فالحلال ما حلله الله و رسوله و الحرام ما حرمته الله و رسوله و الدين ما شرعه الله و رسوله و لهذا انكر الله على المشركين و غيرهم ما حللوه أو حرموه أو شرعاوه من الدين بغير اذن من الله ³⁴³

* ولا ريب ان المشركين الذين كذبوا الرسل يتزبدون بين البدعة المخالفة لشرع الله وبين الاحتجاج بالقدر على مخالفة امر الله فهو لاء الأصناف فيهم شبه من المشركين اما ان يبتدعوا واما ان يحتاجوا بالقدر واما ان يجمعوا بين الأمررين كما قال تعالى عن المشركين {وَإِذَا فَعَلُوا فَاحْشَهُ قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءُنَا وَاللَّهُ أَمْرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} الأعراف 28 وكما قال تعالى عنهم {وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَا آباؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ} النحل 35 وقد ذكر عن المشركين ما ابتدعوه من الدين الذي فيه تحليل الحرام والعبادة التي لم يشرعها الله بمثل قوله تعالى {وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِرْثٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءَ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرْمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتَرَاءٌ عَلَيْهِ} الأنعام 138 الى آخر السورة وكذلك في سورة الأعراف في قوله {يَا بَنِي آدَمَ لَا يَقْتِنُنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبْوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ} الأعراف 27 الى قوله {وَإِذَا فَعَلُوا فَاحْشَهُ قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءُنَا وَاللَّهُ أَمْرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ} الأعراف 28 الى قوله {قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقُسْطِ وَأَقْيمُوا وُجُوهُكُمْ عَنِّدَ كُلِّ مَسْجِدٍ} الأعراف 29 الى قوله {وَكُلُوا وَاشْرِبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} 31 {قُلْ مَنْ حَرَمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ} 32 {الْأَعْرَافِ 31-32} الى قوله {قُلْ

إِنَّمَا حَرَمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمُ وَالْبَغْيُ
بِغْيَرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا
عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ } الْأَعْرَافِ 33 وَهُؤُلَاءِ قَدْ يَسْمُونَ مَا
اَحْدَثُوهُ مِنَ الْبَدْعِ حَقْيَةً كَمَا يَسْمُونَ مَا يَشْهُدُونَ مِنَ الْقَدْرِ
حَقْيَةً وَطَرِيقُ الْحَقْيَةِ عِنْهُمْ هُوَ السُّلُوكُ الَّذِي لَا يَتَقيَّدُ صَاحِبَهُ
بِأَمْرِ الشَّارِعِ وَنَهِيهُ وَلَكُنْ بِمَا يَرَاهُ وَيَذْوَقُهُ وَيَجِدُهُ وَنَحْوُ ذَلِكَ
وَهُؤُلَاءِ لَا يَحْتَجُونَ بِالْقَدْرِ مُطْلَقاً بِلَ اتِّبَاعِ آرَائِهِمْ
وَاهْوَانِهِمْ وَجَعْلِهِمْ لَمَّا يَرَوْنَهُ وَيَهْوَونَهُ حَقْيَةً وَامْرِهِمْ بِاتِّبَاعِهَا دُونَ
اتِّبَاعِ اَمْرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ نَظِيرٌ بَعْدِ الْكَلَامِ مِنَ الْجَهَمِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ
الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَا ابْتَدَعُوهُ مِنَ الْاَقْوَالِ الْمُخَالِفَةِ لِكِتَابِ وَالسُّنْنَةِ
حَقَّاَقَ عَقْلِيَّةَ يَجِبُ اِعْتِقَادُهَا دُونَ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ السَّمْعِيَّاتِ ثُمَّ
الْكِتَابُ وَالسُّنْنَةُ اَمَا اَنْ يَحْرُفُوهُ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَامَا اَنْ يَعْرِضُوهُ عَنْهُ
بِالْكُلِّيَّةِ فَلَا يَتَدَبَّرُونَهُ وَلَا يَعْقُلُونَهُ بَلْ يَقُولُونَ نَفْوَضُ مَعْنَاهُ إِلَى اللَّهِ
مَعَ اِعْتِقَادِهِمْ نَقِيَّضُ مَدْلُولِهِ وَإِذَا حَقَّ عَلَى هُؤُلَاءِ مَا يَزَعُّمُونَهُ مِنْ
الْعُقْلِيَّاتِ الْمُخَالِفَةِ لِكِتَابِ وَالسُّنْنَةِ وَجَدَتْ جَهَلِيَّاتِ وَاعْتِقَادَاتِ فَاسِدَةَ
وَكَذَّالِكَ اَوْلَئِكَ اِذَا حَقَّ عَلَيْهِمْ مَا يَزَعُّمُونَهُ مِنْ حَقَّاَقَ اَوْلَيَاءَ اللَّهِ
الْمُخَالِفَةِ لِكِتَابِ وَالسُّنْنَةِ وَجَدَتْ مِنَ الْاَهْوَاءِ الَّتِي يَتَبعُهَا اَعْدَاءَ اللَّهِ
لَا اَوْلَيَاؤُهُ وَاصْلَ ضَلَالَ مِنْ ضَلَالٍ هُوَ بِتَقْدِيمِ قِيَاسِهِ عَلَى النَّصِّ
الْمَنْزِلِ مِنْ عَنِ الدِّينِ وَاخْتِيَارِ الْهُوَى عَلَى اِتِّبَاعِ اَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ الذُّوقَ
وَالْوَجْدَ وَنَحْوُ ذَلِكَ هُوَ بِحَسْبِ مَا يَحْبِبُهُ الْعَبْدُ فَكُلْ مَحْبُّ لَهُ ذُوقَ
وَوَجْدَ بِحَسْبِ مَحْبَبِهِ فَأَهْلُ الْاِيمَانِ لَهُمْ مِنَ الذُّوقِ وَالْوَجْدِ مِثْلُ مَا
بَيْنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيفِ
ثَلَاثَ مِنْ كُنْ فِيهِ وَجَدَ حَلاوةَ الْاِيمَانِ مِنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ اَحَبَّ
إِلَيْهِ مَا سَوَاهُمَا وَمِنْ كَانَ يُحِبُّ الْمَرءُ لَا يُحِبُّهُ الاَللَّهُ وَمِنْ كَانَ
يُكَرِّهُ اَنْ يَرْجِعَ فِي الْكُفَرِ بَعْدِ اِذَا اَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ كَمَا يُكَرِّهُ اَنْ يَلْقَى
فِي النَّارِ وَقَالَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيفِ ذَاقَ طَعْمَ الْاِيمَانِ مِنْ
رَضِيَّ بِاللَّهِ رَبِّا وَبِالاسْلَامِ دِينَا وَبِمُحَمَّدِ نَبِيَا وَأَمَّا اَهْلُ الْكُفَرِ
وَالْبَدْعِ وَالشَّهْوَاتِ فَكُلْ بِحَسْبِهِ قَيْلَ لِسْفِيَانَ بْنَ عَيْنَةَ مَا بَالْ اَهْلِ
الْاَهْوَاءِ لَهُمْ مَحْبَبَةٌ شَدِيدَةٌ لَا هَوَانَهُمْ فَقَالَ اَنْسَىٰتُ قَوْلِهِ تَعَالَى

{وَأَشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ } البقرة 93 أو نحو هذا من الكلام فعبد الاصنام يحبون ألهتهم كما قال تعالى {وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحْبَ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُ حُبًّا لِّلَّهِ} البقرة 165 وقال {فَإِنْ لَمْ يَسْتَحِيُّوْ لَكَ فَاعْلُمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءِهِمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِنَ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدَىٰ مِنْ اللَّهِ } القصص 50 وقال {إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنُّ وَمَا تَهْوِي الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءُهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَىٰ } النجم 23 ولهذا يميل هؤلاء الى سماع الشعر والأصوات التي تهيج المحبة المطلقة التي لا تختص بأهل الایمان بل يشتراك فيها محب الرحمن ومحب الاوثان ومحب الصليبان ومحب الاوطان ومحب الاخوان ومحب المردان ومحب النساء وهؤلاء الذين يتبعون أذواقهم ومواجيدهم من غير اعتبار لذلك بالكتاب والسنّة وما كان عليه سلف الأمة فالمخالف لما بعث به رسوله من عبادته وطاعته وطاعة رسوله لا يكون متبعاً لدين شرعه الله كما قال تعالى { ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ } 18 إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنِوْ عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا } 19 الجاثية 18-19 الى قوله { وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ } 19 الجاثية 19 بل يكون متبعاً لهواه بغير هدى من الله قال تعالى { أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءٌ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذِنْ بِهِ اللَّهُ } الشورى 21 وهم في ذلك تارة يكونون على بدعة يسمونها حقيقة يقدمونها على ما شرعه الله وتارة يحتاجون بالقدر الكوني على الشريعة كما أخبر الله به عن المشركين كما تقدم ومن هؤلاء طائفة هم اعلام قدوا وهم مستمسكون بالدين في اداء الفرائض المشهورة واجتناب المحرمات المشهورة لكن يغلطون في ترك ما امرنا به من الاسباب التي هي عبادة ظانين ان العارف اذا شهد القدر اعرض عن ذلك مثل من يجعل التوكل منهم او الدعاء ونحو ذلك من مقامات العامة دون الخاصة بناء على ان من شهد القدر علم ان ما قدر سيكون فلا حاجة الى ذلك وهذا غلط عظيم فان الله قدر الاشياء بأسبابها كما قدر السعادة والشقاوة بأسبابها كما قال النبي صلى

الله عليه وسلم ان الله خلق للجنة اهلا خلقها لهم وهم في اصلاح آبائهم وبعمل اهل الجنة يعملون وكما قال النبي لما أخبرهم بان الله كتب المقادير فقالوا يا رسول الله افلا ندع العمل ونتكل على الكتاب فقال لا اعملوا فكل ميسرا لاما خلق له اما من كان من اهل السعادة فسيisser لعمل اهل السعادة واما من كان من اهل الشقاوة فسيisser لعمل اهل الشقاوة

فما امر الله به عباده من الأسباب فهو عبادة والتوكيل مقرن بالعبادة كما في قوله تعالى { فَاعْبُدُهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ } هود 123 وفي قوله { قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكُّلُ وَإِلَيْهِ مَتَابٌ } الرعد 30 وقول شعيب عليه السلام { عَلَيْهِ تَوَكُّلُ وَإِلَيْهِ أُنِيبٌ } هود 88 ومنهم طائفة قد تترك المستحبات من الاعمال دون الواجبات فتنقص بقدر ذلك ومنهم طائفة يغترون بما يحصل لهم من خرق عادة مثل مكافحة او استجابة دعوة مخالفة للعادة العامة ونحو ذلك فيشتغل احدهم بما امر به من العبادة والشكر ونحو ذلك فهذه الأمور ونحوها كثيرة ما تعرض لاهل السلوك والتوجه وانما ينجو العبد منها بملازمة امر الله الذي بعث به رسوله في كل وقت كما قال الزهري كان من مضى من سلفنا يقولون الاعتصام بالسنة نجاة وذلك ان السنة كما قال مالك رحمه الله مثل سفينه نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق 344

* قال تعالى { يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَنْبِغِي حُطُوطَ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ } البقرة 168
خاطب الناس بأكل ما في الأرض حلالاً طيباً وأن لا يتبعوا خطوات الشيطان في خلاف ذلك فإنه إنما يأمر بالسوء والفحشاء وأن يقولوا على الله مالا يعلمون فيقولوا هذا حرام وهذا حلال أو

غير ذلك مما يقولونه على الله في الأمور الخبرية والعملية بلا علم كما قال تعالى {وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصْفُ أَسْتَكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَتَقْرُوْا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ} النحل 116 ثم إن هؤلاء الذين يقولون على الله بغير علم إذا قيل لهم {إِنَّمَا تَتَّبِعُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَقَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَفْيَانَا عَلَيْهِ آبَاءُنَا} البقرة 170 فليس عندهم علم بل عندهم اتباع سلفهم وهو الذي اعتادوه وتربووا عليه ثم خاطب المؤمنين خصوصا فقال {إِنَّمَا يَأْتِيَهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُّاً مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ إِيمَانًا تَعْدُونَ} 172 {إِنَّمَا حَرَمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ} 173 {البقرة 172-173} فأمرهم بأكل الطيبات مما رزقهم لأنهم هم المقصودون بالرزق ولم يشترط الحل هنا لأنه إنما حرم ما ذكر فيما سواه حلال لهم والناس إنما أمرهم بأكل ما في الأرض حلا طيبا وهو إنما أحل للمؤمنين والكافر لم يحل لهم شيئا فالحل مشروط بالإيمان ومن لم يستعن برزقه على عبادته لم يحل له شيئا وإن كان أيضا لم يحرمه فلا يقال إن الله أحله لهم ولا حرم وإنما حرم على الذين هادوا ما ذكره في **سورة الأنعام** ولوهذا أنكر في **سورة الأنعام** وغيرها على من حرم ما لم يحرمه قوله {فَلْنَذْكَرَيْنَ حَرَمَ أَمِ الْأَنْتَيْنِ} الأنعام 143 ثم قال {وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمَنَا كُلَّ ذِي ظُفْرِ} الأنعام 146 ثم قال تعالى {فَلْتَعَلُوْا أَتْلُ مَا حَرَمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ} الأنعام 151 الآيات وقال في سورة النحل {وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمَنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلٍ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} النحل 118 الآية وأخبر أنه حرم ذلك ببعيهم فقال {فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمَنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أَحْلَتْ لَهُمْ} النساء 160 وقال {ذَلِكَ جَزِيْنَاهُم بِبَعْدِهِمْ} الأنعام 146 وهذا كله يدل على أصح قولى العلماء وهو أن هذا التحرير باق عليهم بعد مبعث محمد لا يزول إلا بمتابعته لأنه تحرير عقوبة على ظلمهم وبعيمهم وهذا لم يزل بل زاد وتغلوظ فكانوا أحق بالعقوبة وأيضا فان الله تعالى أخبر بهذا التحرير بعد مبعث محمد ليبين أنه لم يحرم

إلا هذا فلو كان ذلك التحرير قد زال لم يستثنه وأيضاً
 فإن التحرير لا يزول الا بتحليل منه وهو انما أحل أكل الطيبات
 للمؤمنين بقوله {لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
 جُنَاحٌ فِيمَا طَعَمُوا} المائدة 93 الآية وقوله {أَحَلْتُ لَكُمْ بَهِيمَةَ
 الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُنْهَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحْلِي الصَّيْدِ} المائدة 1 وقوله
 {يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَ لَهُمْ قُلْ أَحَلَ لَكُمُ الطَّيَّبَاتُ} المائدة 4 إلى قوله
 {وَطَعَامُ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ}
 المائدة 5 وهذا خطاب للمؤمنين ولهذا قال {وَطَعَامُ الَّذِينَ
 أَوْتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ} المائدة 5 ثم قال {وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ}
 المائدة 5 فلو كان ما أحل لنا حلاً لهم لم يحتاج إلى هذا وقوله
 {وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ} المائدة 5 لا يدخل فيه ما حرم عليهم كما
 أن قوله {وَطَعَامُ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ} المائدة 5 لا
 يدخل فيه ما حرم علينا مما يستحلونه هم كصيد الحرم وما أهل
 به لغير الله وهل يدخل في طعامهم الذي أحل لنا ما حرم
 عليهم ولم يحرم علينا مثل ما إذا ذكروا الأبل هذا فيه نزاع
 معروف فالمشهور من مذهب مالك هو أحد القولين في مذهب
 أحمد تحريره ومذهب أبي حنيفة والشافعى والقول الآخر في
 مذهب أحمد حله وهل العلة أنهم لم يقصدوا نكاته أو العلة أنه
 ليس من طعامهم فيه نزاع وإذا ذبحوا لل المسلم فهل هو كما
 إذا ذبحوا لأنفسهم فيه نزاع وفي جواز ذبحهم النسك إذا كانوا
 من يحل ذبحهم قولان هما روایتان عن أحمد فالمنع مذهب مالك
 والجواز مذهب أبي حنيفة والشافعى فإذا كان الذاجح يهودياً صار
 في الذبح علitan وليس هذا موضع هذه المسائل³⁴⁵

يجيء الوصف في القرآن مستعملاً في الكذب

³⁴⁵ مجموع الفتاوى ج: 19 ص: 263-266

*فالواصف ان لم يكن قوله مطابقاً كان كاذباً ولهذا انما يجيء الوصف في القرآن مستعملاً في الكذب بأنه وصف يقوم بالواصف من غير أن يقوم بالموصوف شيء كقوله سبحانه **{سَيَجْزِيهِمْ وَصُفْهُمْ} {الأنعام 139}** {وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَسْتِنْكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَتُقْرِنُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَقْرِنُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ} {النحل 116} {وَيَجْعَلُونَ اللَّهَ مَا يُكْرِهُونَ وَتَصِفُ أَسْتِنْكُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى} {النحل 62} {سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ} {الصافات 180} وقد جاء مستعملاً في الصدق فيما أخر جاه في الصحيحين عن عائشة أن رجلاً كان يكثر قراءة **قل هو الله أحد** فقال النبي سلوه لم يفعل ذلك فقال لأنها صفة الرحمن فأنا أحبها فقال النبي **صلى الله عليه وسلم** أخبروه أن الله يحبه فمن وصف موصوفاً بأمر ليس هو متصفًا به كان كاذباً³⁴⁶

"كل من عمل سوءاً فهو جاهل"

* قال تعالى **{قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ أَفْرِاءٌ عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلَّوْا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ} {الأنعام 140}** قال أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كل من عمل سوءاً فهو جاهل وسبب ذلك أن العلم الحقيقي الراسخ في القلب يتمتع أن يصدر معه ما يخالفه من قول أو فعل فمتى صدر خلافه فلا بد من غفلة القلب عنه أو ضعف القلب عن مقاومة ما يعارضه وتلك أحوال تناقض حقيقة العلم فيصير جهلاً بهذا الاعتبار ومن هنا تعرف دخول الأعمال في مسمى الإيمان حقيقة لا مجازاً وإن لم يكن كل من ترك شيئاً من الأعمال كافراً أو خارجاً عن أصل مسمى الإيمان وكذلك اسم العقل ونحو ذلك

³⁴⁶ مجموع الفتاوى ج: 6 ص: 319

من الأسماء ولهذا يسمى الله تعالى أصحاب هذه الأحوال
موتي وعميا وصما وبكما وضالين وجاهلين ويصفهم بأنهم لا
يعقلون ولا يسمعون ويصف المؤمنين بأولي الألباب والنهاي
وأنهم مهتدون وأن لهم نورا وأنهم يسمعون ويعقلون³⁴⁷

بذل المال لا يجوز إلا لمنفعة في الدين أو الدنيا

وقال تعالى { وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوفَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوفَاتٍ
وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًَا وَغَيْرَ
مُتَشَابِهٍ كُلُّهُ مِنْ ثَمَرٍ إِذَا أَثْمَرَ وَأَثْوَرَ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا
إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ } الأنعام 141 فالاسراف مجاوزة الحد
تعدى الحد ومجاوزةقصد³⁴⁸

* أن بذل المال لا يجوز إلا لمنفعة في الدين أو الدنيا وهذا أصل
متافق عليه بين العلماء ومن خرج عن ذلك كان سفيها وحجر
عليه عند جمهور العلماء الذين يحرجون على السفيه وكان مبذرا
لماله وقد نهى الله في كتابه عن تبذير المال { وَلَا تُبَذِّرْ تَبَذِّرَا
} الإسراء 26 وهو اتفاقه في غير مصلحة وكان مضيقا لماله
وقد نهى النبي عن اضاعة المال في الحديث المتყق عليه عن
المغيرة بن شعبة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان ينهى
عن قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال³⁴⁹

* فإذا كان الجمال متضمنا لعدم ما هو أحب إليه أو لوجوده ما هو
أبغض له لزم من ذلك فوات ما في الجمال المحبوب فإذا كان في

اقتضاء الصراط ج: 1 ص: 78³⁴⁷

جمال الثياب بطر وفخر وخيلاء وسرف فهو سبحانه لا يحب كل مختال فخور وقال تعالى {وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَفْتَرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً} الفرقان 67 بل هو يبغض البطر الفخور المختال والمسرف وقال {وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ} غافر 43 فلهذا قال صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله يوم القيمة إلى من جر أزاره خيلاء و بطرا فإنه ببغضه فلا ينظر إليه و إن كان فيه جمال فإن ذلك غرق في جانب ما يبغضه الله من الخيلاء و البطر و كذلك الحرير فيه من السرف و الفخر و الخيلاء ما يبغضه الله و ينافي التقوى التي هي محبوب الله كما ثبت في الصحيحين عنه أنه نزع فروج الحرير و قال لا ينبغي هذا

350 للمتقين

{وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُسْرِفِينَ قُتْلَ أَوْ لَادْهُمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُو هُمْ وَلَيُلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلَوْهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ} 137 {وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حَرْثٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءَ بِزِعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرْمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءَ عَلَيْهِ سَيْجَرِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ} 138 {وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِهِنَّ هَذِهِ الْأَنْعَامُ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمَحْرَمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيْجَرِيهِمْ وَصَفْهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلَيْمٌ} 139 {قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْ لَادْهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءَ عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ} 140 {وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالزَّيْنُونَ وَالرُّمَانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُّوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَتَمْرَ وَأَتَوْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} 141 {وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشاً كُلُّوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ

350 الاستقامة ج: 1 ص:

وَلَا تَتَّبِعُوا حُطُوطَ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ
مُّبِينٌ {142} الْأَنْعَامَ 137-142

المؤمن يبتلى بوساؤس الشيطان وبوساؤس الكفر

*قال تعالى {وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوفَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوفَاتٍ
وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكْلُهُ وَالزَّيَّتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًـا وَغَيْرَ
مُتَشَابِهٖ كُلُّوٖ مِنْ ثَمَرٍ إِذَا اتَّمَرَ وَأَثْوَأْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرُ فُرْوًا
إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ {141} وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُّوٖ
مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ وَلَا تَتَّبِعُوا حُطُوطَ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ
مُّبِينٌ {142} الْأَنْعَامَ 142-141 وكثيرا ما تعرض للمؤمن شعبة
من شعب النفاق ثم يتوب الله عليه وقد يرد على قلبه بعض ما
يوجب النفاق ويدفعه الله عنه والمؤمن يبتلى بوساؤس الشيطان
وبوساؤس الكفر التي يضيق بها صدره كما قالت الصحابة يا
رسول الله إن أحدهنا ليجد في نفسه ما لئن يخر من السماء إلى
الأرض أحب إليه من أن يتكلم به فقال ذاك صريح الإيمان
وفي رواية ما يتعاظم ان يتكلم به قال الحمد لله الذي رد
كيده إلى الوسوسة أى حصول هذا الوسواس مع هذه الكراهة
العظيمة له ودفعه عن القلب هو من صريح الإيمان كالمجاهد
الذى جاءه العدو فدافعه حتى غلبه فهذا أعظم الجهاد و
الصريح الخالص كالبن الصريح وإنما صار صريحا لما
كرهوا تلك الوسواس الشيطانية ودفعوها فخلص الإيمان فصار
صريحا ولابد لعامة الخلق من هذه الوسواس فمن الناس من
يجيبها فصير كافرا أو منافقا ومنهم من قد غمر قلبه الشهوات
والذنوب فلا يحس بها الا اذا طلب الدين فإذا ما يصير مؤمنا
واما ان يصير منافقا ولها يعرض للناس من الوسواس فى
الصلة ما لا يعرض لهم اذا لم يصلوا لأن الشيطان يكثر تعرضه
للعبد إذا أراد الانابة إلى ربه والتقرب إليه والاتصال به فلهذا
يعرض للمصلين ما لا يعرض لغيرهم ويعرض لخاصة أهل

العلم والدين أكثر مما يعرض للعامة ولهذا يوجد عند طلاب العلم والعبادة من الوساوس والشبهات ما ليس عند غيرهم لأنه لم يسلك شرع الله ومنهاجه بل هو مقبل على هواه في غفلة عن ذكر ربه وهذا مطلوب الشيطان بخلاف المتوجهين إلى ربهم بالعلم والعبادة فانه عدوهم يطلب صدهم عن الله قال تعالى {إِنَّ
الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌ فَاتَّخُذُوهُ عَدُوًّا} فاطر 6 ولهذا أمر قارئ القرآن أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم فان قراءة القرآن على الوجه المأمور به تورث القلب الایمان العظيم وتزريده يقينا وطمأنينة وشفاء وقال تعالى {وَنَنْزَلُ مِنَ الْقُرْآنَ مَا هُوَ شَفَاءٌ
وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا} الإسراء 82 وقال تعالى {هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ} آل عمران 138 وقال تعالى {هُدًى لِلْمُتَّقِينَ} البقرة 2 وقال تعالى {فَمَّا أَذْنَانِ آمَنُوا فَرَادَتْهُمْ إِيمَانًا} التوبة 124 وهذا مما يجده كل مؤمن من نفسه فالشيطان يريد بوساوشه أن يشغل القلب عن الانتفاع بالقرآن فأمر الله القارئ اذا قرأ القرآن أن يستعيذ منه قال تعالى {فَإِذَا قَرأتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ} 98
إِنَّهُ لَنَسَ لِهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} 99
إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَُّونَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ} 100 النحل 98-100 فان المستعيذ بالله مستجير به لاجيء إليه مستغيث به من الشيطان فالعائد بغيره مستجير به فإذا عاذ العبد بربه كان مستجيرا به متوكلا عليه فيعيذه الله من الشيطان ويغيره منه ولذلك قال الله تعالى {ادْفُعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي يَبْيَنُكَ وَبَيْنَهُ عَدَوَةٌ كَانَهُ وَلِيٌ حَمِيمٌ} 34
يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍ عَظِيمٌ} 35
يَنْزَغُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ} 36 فصلت 34-36 وفي الصحيحين عن النبي أنه قال انى لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد أعود بالله من الشيطان الرجيم فأمر سبحانه بالاستعاذه عند طلب العبد الخير لئلا يعوقه الشيطان عنه وعندما يعرض عليه من الشر ليدفعه

عنه عند إرادة العبد للحسنات وعندما يأمره الشيطان بالسيئات
 ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يزال الشيطان يأتى
 أحدهم فيقول من خلق كذا من خلق كذا حتى يقول من خلق الله
 فمن وجد ذلك فليستعد بالله ولينته فامر بالاستعاذه عندما يطلب
 الشيطان أن يوقعه فى شر أو يمنعه من خير كما يفعل العدو مع
 عدوه وكلما كان الإنسان أعظم رغبة فى العلم والعبادة واقدر
 على ذلك من غيره بحيث تكون قوته على ذلك أقوى ورغبته
 وإرادته فى ذلك أتم كان ما يحصل له أن سلمه الله من الشيطان
 أعظم وكان ما يفتتن به إن تمكن منه الشيطان أعظم ولهذا قال
 الشعبي كل أمة علماؤها شرارها إلا المسلمين فإن علماءهم
 خيارهم وأهل السنة في الإسلام كأهل الإسلام في الملل وذلك
 ان كل أمة غير المسلمين فهم ضالون وإنما يتضلهم علماؤهم
 فعلماؤهم شرارهم والمسلمون على هدى وإنما يتبعين الهدى
 بعلمائهم فعلماؤهم خيارهم وكذلك أهل السنة أئتهم خيار الأمة
 وأئمة أهل البدع أضر على الأمة من أهل الذنب ولهذا أمر
 النبي صلى الله عليه وسلم بقتل الخوارج ونهى عن قتال الولاة
 الظلمة وأولئك لهم نهمة في العلم والعبادة فصار يعرض لهم من
 الوساوس التي تضلهم وهم يظلونها هدى فيطرونها ما لا
 يعرض لغيرهم ومن سلم من ذلك منهم كان من أئمة المتقين
 مصابيح الهدى وينابيع العلم كما قال ابن مسعود لأصحابه كونوا
 ينابيع العلم مصابيح الحكمة سرج الليل جدد القلوب احلاس
 البيوت خلقان الثياب تعرفون في أهل السماء وتخفون على أهل
 الأرض ³⁵¹

ذم لمن عمل بالظن

³⁵¹ مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 282-287

*قال تعالى { قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَشْبُعُونَ إِلَّا
 الطَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ }³⁵² {148} { قُلْ فَلَلَهُ الْحُجَّةُ الْبَالِغُهُ }³⁵²
 {149} الأَنْعَام 148- 149 مطالبة بالعلم ونم لم يتبغ العذن
 وما عنده علم وكذلك قوله { نَبَوْؤُنَّنِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ }³⁵²
 {143} الأَنْعَام 143 قوله { وَإِنَّ كَثِيرًا لِّيُضْلِلُونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ
 عِلْمٍ }³⁵² {119} الأَنْعَام 119 وأمثال ذلك نم من عمل بغیر علم وعمل
 بالذن

من ادعى النبوة وهو كاذب فهو من أکفر الكفار وأظلم الظالمين

*كانت سنة الله وعادته نصر المؤمنين بالأنباء الصادقين على
 الكافرين والمنافقين كما أن سنته تأييدهم بالآيات البينات ومن
 ادعى النبوة وهو كاذب فهو من أکفر الكفار وأظلم الظالمين قال
 تعالى { فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ
 عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ }³⁵² {الأَنْعَام 144} ومن كان
 كذلك كان الله يمقته ويبغضه ويعاقبه ولا يدوم أمره بل هو كما
 قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح عن أبي
 هريرة قال إن الله ي ملي للظلم فإذا أخذه لم يفلته ثم قرأ { وَكَذَلِكَ
 أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ طَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ }³⁵² هود 102
 وقال أيضا في الحديث الصحيح عن أبي موسى أنه قال قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المؤمن كمثل الخامدة من
 الزرع تفيفها الرياح تقومها تارة وتتمليها أخرى ومثل المنافق
 مثل شجرة الأرز لا تزال ثابتة على أصلها حتى يكون انجعافها
 مرة واحدة فالكافر الفاجر وإن أعطي دولة فلا بد من زوالها

بالكلية وبقاء ذمه ولسان السوء له في العالم وهو يظهر سريعاً ويزول سريعاً كدولة الأسود العنسي ومسيمة الكذاب والحارثي الدمشقي وبابا الرومي ونحوهم وأما الأنبياء فإنهم يبتلون كثيراً ليمحصوا بالبلاء فإن الله إنما يمكن العبد إذا ابتلاه ويظهر أمرهم شيئاً فشيئاً كالزرع قال تعالى {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحْمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثْرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التُّورَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَزْعَ أَخْرَاجَ شَطَأَهُ فَازَرَهُ فَأَسْتَغْنَطَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَاعَ لِيَعْيِظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا } الفتح 29 ولهذا كان أول ما يتبعهم ضعفاء الناس فاعتبار هذه الأمور وسنة الله في أوليائه وأنبيائه الصادقين وفي أعداء الله والمتتبين الكاذبين مما يوجب الفرق بين النوعين وبين دلائل النبي الصادق ودلائل المتتبيء الكاذب وقد ذكر ابتلاء النبي والمؤمنين ثم كون العاقبة لهم في غير موضع³⁵³

خلق الله الأشياء بأسباب

* إن كل ما في الوجود فهو مخلوق له خلقه بمشيئته و قدرته و ما شاء كان و مالم يشاً لم يكن و هو الذي يعطي و يمنع و يخفض ويرفع و يعز و يذل و يغنى و يفقر و يضل و يهدى و يسعد و يشقى و يولي الملك من يشاء و ينزعه من يشاء و يشرح صدر من يشاء للإسلام و يجعل صدر من يشاء ضيقاً كأنما يتصعد في السماء و هو يقلب القلوب ما من قلب من قلوب العباد إلا و هو بين إصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أن يقيمه أقامه و إن شاء أن يزيجه أزاغه و هو الذي حبب إلى المؤمنين

الإيمان و زينه في قلوبهم و كره إليهم الكفر و الفسق و العصيان أولئك هم الراشدون و هو الذي جعل المسلم مسلماً و المصلي مصلياً قال الخليل {رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ } البقرة 128 و قال {رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي } إبراهيم 40 و قال تعالى {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهُدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا } السجدة 24 و قال عن آل فرعون {وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ } القصص 41 و قال تعالى {إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هُلُوقًا } 19 {إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا } 20 {وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنْوِعًا } 21 المعارض 21-19 و قال {وَاصْنَعْ الْفُلَكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيَنَا } هود 37 و قال {وَيَصْنَعُ الْفُلَكَ } هود 38 و الفلك مصنوعة لبني آدم وقد أخبر الله تبارك و تعالى أنه خلقها بقوله {وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مَثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ } يس 42 و قال {وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بَيْوَتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بَيْوَتًا تَسْتَخْفُونَهَا يَوْمَ طَعْنَكُمْ وَيَوْمَ إِقْأَمَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينِ النحل 80 الآيات و هذه كلها مصنوعة لبني آدم و قال تعالى {أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِثُونَ } 95 {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ } 96 الصافات 95-96 فما بمعنى الذي و من جعلها مصدرية فقد غلط لكن إذا خلق المنحوت كما خلق المصنوع و الملبوس و المبني دل على أنه خالق كل صانع و صنعته و قال تعالى {مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهَدِّدُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا } الكهف 17 و قال {فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَ يَسْرَخُ صَدْرَةً لِإِسْلَامٍ وَمَنْ يُرِدُ أَنْ يُضْلِلَ يَجْعَلْ صَدْرَةً ضَيْقَانًا حَرَجًا } الأنعام 125 و هو سبحانه خالق كل شيء و ربه و مليكه و له فيما خلقه حكمة بالغة و نعمة سابعة و رحمة عامة و خاصة و هو لا يسأل عما بفعل و هم يسألون لا لمجرد قدرته و قهره بل لكمال علمه و قدرته و رحمته و حكمته فإنه سبحانه و تعالى أحکم الحاکمين و أرحم الراحمين و هو أرحم بعباده من الوالدة بولدها و قد أحسن كل شيء خلقه و قال تعالى {وَتَرَى الْجِبَالَ

تَحْسِبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ
 شَيْءٍ } النَّمَل 88 وَ قَدْ خَلَقَ الْأَشْيَاء بِأَسْبَابٍ كَمَا قَالَ تَعَالَى
 { وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا
 } الْبَقْرَةِ 164 وَ قَالَ { فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ
 الْثَّمَرَاتِ } الْأَعْرَافِ 57 وَ قَالَ تَعَالَى { يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مِنْ أَنْتَ
 رِضْوَانَهُ سُبُّلَ السَّلَامِ } الْمَائِدَةِ 16 قَالَ تَعَالَى { وَمِنَ الْإِبْلِ اثْنَيْنِ
 وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ فَلْنَذْكُرَيْنِ حَرَمَ أَمَّا الْأَنْتَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ
 أَرْحَامُ الْأَنْتَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ
 افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِتُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
 الظَّالِمِينَ } الْأَنْعَامِ 354 144

ما حرمه رسول الله إنما هو زيادة تحريم ليس نسخا للقرآن

* والتحريم المبتدأ لا يكون نسخا لاستصحاب حكم الفعل ولهذا لم يكن تحريم النبي صلى الله عليه وسلم لكل ذي ناب من السابع وكل ذي مخلب من الطير ناسخا لما دل عليه قوله تعالى { قُلْ لَا أَحْدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمٌ عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ حِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أَهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ } الْأَنْعَامِ 145 الآية من أن الله عز وجل لم يحرم قبل نزول الآية إلا هذه الأصناف الثلاثة فإن هذه الآية نفت تحريم ما سوى الثلاثة إلى حين نزول هذه الآية ولم يثبت تحليل ما سوى ذلك بل كان ما سوى ذلك عفوا لا تحليل فيه ولا تحريم كفعل الصبي والمجنون وكما في الحديث المعروف الحال ما حلله الله في كتابه والحرام ما حرم الله في كتابه وما سكت عنه فهو مما عفا

³⁵⁴ مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 78

عنه وهذا محفوظ عن سلمان الفارسي موقوفا عليه أو
مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم³⁵⁵

* ثم إنه بعد هذا حرم الله أشياء فلم يكن بين نفي تحريمها في
الزمن الأول وإثبات تحريمها في الزمن الثاني منافاة ولكن
يظهر الدين إذا أوجب شيئاً ثم نسخ إيجابه كما نسخ إيجاب الصدقة
بين يدي النجوى ففي مثل هذا يتمسك بالنص الناسخ دون المنسوخ
كما يتمسك بالإقرار بالوفاء الناسخ للإقرار بالدين³⁵⁶

* وأخذ أهل الحديث في الأطعمة بقول أهل الكوفة لصحة السنن
عن النبي بتحريم كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من
الطير وتحريم لحوم الحمر لأن النبي أنكر على من تمسك في
هذا الباب بعدم وجود نص التحريم في القرآن حيث قال لا
ألفين أحدكم متكتئا على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت
به أو نهيت عنه فيقول بينما وبينكم هذا القرآن فما وجدنا فيه من
حلال أحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه ألا وإنني أوتيت
الكتاب ومثله معه وإن ما حرم رسول الله كما حرم الله تعالى
وهذا المعنى محفوظ عن النبي من غير وجه وعلموا أن ما
حرمه رسول الله إنما هو زيادة تحريم ليس نسخاً للقرآن لأن
القرآن إنما دل على أن الله لم يحرم إلا الميتة والدم ولحم الخنزير
وعدم التحريم ليس تحيلا وإنما هو بقاء للأمر على ما كان وهذا
قد ذكره الله في سورة الأنعام التي هي مكية باتفاق العلماء ليس
كما ظنه أصحاب مالك والشافعى أنها من آخر القرآن نزولاً و
إنما سورة المائدة هي المتأخرة وقد قال الله فيها { أَحِلَّ لَكُمْ }

³⁵⁵الفتاوى الكبرى ج: 2 ص: 199 و مجموع الفتاوى ج: 35 ص: 215

الطيّبات } المائدة 5 فعلم أن عدم التحرير المذكور في سورة الأنعام ليس تحليلا وإنما هو عفو فتحرير رسول الله صلى الله عليه وسلم رافع للعفو ليس نسخاً للقرآن لكن لم يوافق أهل الحديث الكوفيين على جميع ما حرموه بل أحروا الخيل لصحة السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم بتحليلها يوم خيبر وبأنهم ذبحوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرساً وأكلوا لحمه وأحروا الضب لصحة السنن عن النبي بأنه قال لا أحربه وبأنه أكل على مائته وهو ينظر ولم يذكر على من أكله وغير ذلك مما جاءت فيه الرخصة فنقصوا عما حرمته أهل الكوفة من الأطعمة كما زادوا على أهل المدينة في الأشربة لأن النصوص الدالة على تحرير الأشربة المسكرة أكثر من النصوص الدالة على تحرير الأطعمة ولأهل المدينة سلف من الصحابة والتابعين في إستحلال ما أحروه أكثر من سلف أهل الكوفة في إستحلال المسكر والمفاسد الناشئة من المسكر أعظم من مفاسد خبائث الأطعمة ولهذا سميت الخمر أم الخبائث كما سماها عثمان بن عفان رضي الله عنه وغيره وأمر النبي بجلد شاربها و فعله هو وخلفاؤه وأجمع عليه العلماء دون المحرمات من الأطعمة فإنه لم يحد فيها أحد من أهل العلم إلا ما بلغنا عن الحسن البصري بل قد أمر صلى الله عليه وسلم بقتل شارب الخمر في الثالثة أو الرابعة وإن كان الجمهوّر على أنه منسوخ ونهي النبي فيما صح عنه عن تخليل الخمر وأمر بشق ظروفها وكسر دنانها وإن كان قد اختلفت الرواية عن أحمد هل هذا باق أو منسوخ ولما كان الله سبحانه وتعالى إنما حرم الخبائث لما فيها من الفساد إما في العقول أو الأخلاق أو غيرها ظهر على الذين استحلوا بعض المحرمات من الأطعمة أو الأشربة من النقص بقدر ما فيها من المفسدة ولو لا التأويل لاستحقوا العقوبة ثم إن الإمام أحمد وغيره من علماء الحديث زادوا في متابعة السنة على غيرهم بأن أمروا بما أمر الله به رسوله مما يزيل ضرر بعض المباحثات مثل لحوم الإبل فإنها

حلال بالكتاب والسنّة والإجماع ولكن فيها من القوّة الشيطانية ما أشار إليه النبى بقوله إنها جن خلقت من جن وقد قال فيما رواه أبو داود الغضب من الشيطان وإن الشيطان من النار وإنما تطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليتوطأ فأمر بالتوضؤ من الأمر العارض من الشيطان فأكل لحمها يورث قوّة شيطانية تزول بما أمر به النبى صلى الله عليه وسلم من الوضوء من لحمها كما صح ذلك عنه من غير وجه من حديث جابر بن سمرة والبراء بن عازب وأسید بن الحضير وذى الغرة وغيره فقال مرة توضؤا من لحوم الإبل ولا توضؤا من لحوم الغنم وصلوا في مرابض الغنم ولا تصلوا في معاطن الإبل فمن توضؤا من لحومها اندفع عنه ما يصيب المدمنين لأكلها من غير وضوء كالأعراب من الحقد وقسوة القلب التي أشار إليها النبى بقوله المخرج عنه في الصحيحين إن الغلطة وقسوة القلوب في الفدائيين أصحاب الإبل وإن السكينة في أهل الغنم وإختلف عن أحمد هل يتوضأ من سائر اللحوم المحرمة على روایتين بناء على أن الحكم مختص بها أو أن المحرم أولى بالتوضؤ منه من المباح الذي فيه نوع مضره وسائر المصنفين من أصحاب الشافعى وغيره وافقوا أحمد على هذا الأصل وعلموا أن من إعتقد أن هذا منسوخ بترك الوضوء مما مست النار فقد أبعد لأنه فرق في الحديث بين اللحمين ليتبين أن العلة هي الفارقة بينهما لا الجامع وكذلك قالوا بما إقتضاه الحديث من أنه يتوضأ منه نبياً ومطبوخاً ولأن هذا الحديث كان بعد النسخ ولهذا قال في لحم الغنم وإن شئت فلا تتوضأ ولأن النسخ لم يثبت إلا بالترك من لحم غنم لا عموم له وهذا معنى قول جابر كان آخر الأمرين منه ترك الوضوء مما مست النار فإنه رأه يتوضأ ثم رأه أكل لحم غنم ولم يتوضأ ولم ينقل عن النبى صيغة عامة في ذلك ولو نقلها لكان فيه نسخ للخاص بالعام الذي لم يثبت شموله لذلك الخاص عيناً وهو أصل لا يقول به أكثر المالكيه والشافعية والحنبلية هذا مع أن أحاديث

الوضوء مما مس النار لم يثبت أنها منسوخه بل قد قيل إنها متاخرة ولكن أحد الوجهين في مذهب أحمد أن الوضوء منها مستحب ليس بواجب والوجه الآخر لا يستحب فلما جاءت السنة بتجنب الخبائث الجسمانية والتطهر منها كذلك جاءت بتجنب الخبائث الروحانية والتطهر منها حتى قال إذا قام أحدكم من الليل فليس تنشق بمنخريه من الماء فان الشيطان يبيت على خيشومه وقال إذا قام أحدكم من نوم الليل فلا يغمض يده في الاناء حتى يغسلها ثلاثة فان أحدكم لا يدرى أين باتت يداه فعل الأمر بالغسل بمبيت الشيطان على خيشومه فعلم أن ذلك سبب للطهارة من غير النجاسة الظاهرة فلا يستبعد أن يكون هو السبب لغسل يد لقائم من نوم الليل وكذلك نهى عن الصلاة في أعطاء الإبل وقال إنها جن خلقت من جن كما ثبت عنه أنه قال الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام وقد روى عنه أن الحمام بيت الشيطان وثبت عنه أنه لما ارتحل عن المكان الذي ناموا فيه عن صلاة الفجر قال إنه مكان حضرنا فيه الشيطان فعل الأماكن بالأرواح الخبيثة كما يعلل بالأجسام الخبيثة وبهذا يقول أحمد وغيره من فقهاء الحديث ومذهب الظاهر عنه أن ما كان مأوى للشياطين كالمعاطن والحمامات حرمت الصلاة فيه وما عرض الشيطان فيه كالمكان الذي ناموا فيه عن الصلاة كرهت فيه الصلاة وفقهاء الذين لم ينهوا عن ذلك إما لأنهم لم يسمعوا هذه النصوص سمعاً تثبت به عندهم أو سمعوها ولم يعرفوا العلة فاستبعدوا ذلك عن القياس فتأولوه وأما من نقل عن الخلفاء الراشدين أو جمهور الصحابة خلاف هذه المسائل وأنهم لم يكونوا يتوضؤون من لحوم الإبل فقد غلط عليهم وإنما توهם ذلك لما نقل عنهم أنهم لم يكونوا يتوضؤون مما مس النار وإنما المراد أن أكل ما مس النار ليس هو

سبباً عندهم لوجوب الوضوء والذى أمر به النبي من الوضوء من لحوم الإبل ليس سببه مس النار كما يقال كان فلان لا يتوضأ من مس الذكر وإن كان يتوضأ منه إذا خرج منه مذى³⁵⁷

ما كان يحرمه أهل الجاهلية مما ذكره الله في القرآن هو من الدين المبدل

* ما كان يحرمه أهل الجاهلية مما ذكره الله في القرآن كالسائلة والوصيلة والحام وغير ذلك هو من الدين المبدل ولهذا لما ذكر الله ذلك عنهم في سورة الأنعام بين ان من حرم ذلك فقد كذب على الله وذكر تعالى ما حرمته على لسان محمد وعلى لسان موسى في الانعام فقال {قُلْ لَا أَحْدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ حِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أَهْلَ لِغْيَرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } 145 { وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمَنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنِمِ حَرَمَنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلْتُمْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَابِيَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظِيمٍ ذَلِكَ جَرِيَانُهُمْ بِبَعْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ } 146 الأنعام 145-146 وكذلك قال بعد هذا

{ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمَنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلٍ } النحل 118 فيبين ان ما حرم المشركون لم يحرمه على لسان موسى ولا لسان محمد وهذا اللذان جاءا بكتاب فيه الحلال والحرام كما قال تعالى { قُلْ فَاتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَنْتُعْهُ } القصص 49 وقال تعالى { وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابٌ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً } هود 17 ان هذا والذى جاء به موسى ليخرجان من مشكاة واحدة وكذلك قال النجاشى فالقرآن والتوراة هما

كتابان جاءا من عند الله لم يأت من عنده كتاب أهدى منها كل
 منها أصل مستقل والذى فيهما دين واحد وكل منها يتضمن
 اثبات صفات الله تعالى والأمر بعبادته وحده لا شريك له ففيه
 التوحيد قوله و عملا كما في سوري الاخلاص قل يا أيها
 الكافرون و قل هو الله احد وأما الزبور فان داود لم
 يأت بغير شريعة التوراة وانما في الزبور ثناء على الله ودعاء
 وأمر ونهى بيده وطاعته وعبادته مطلقاً وأما المسيح فانه
 قال {وَلَا حِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ} آل عمران 50 فاحل
 لهم بعض المحرمات وهو في الاكثر متبع لشريعة التوراة ولهذا
 لم يكن بد لمن اتبع المسيح من ان يقرأ التوراة ويتابع ما فيها اذ
 كان الانجيل تبعا لها وأما القرآن فانه مستقل بنفسه لم يحوج
 أصحابه إلى كتاب آخر بل اشتتمل على جميع ما في الكتب من
 المحسن وعلى زيادات كثيرة لا توجد في الكتب فلهذا كان
 مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه يقرر ما فيها من
 الحق ويبطل ما حرف منها وينسخ ما نسخه الله فيقرر الدين
 الحق وهو جمهور ما فيها ويبطل الدين المبدل الذي لم يكن فيها
 والقليل الذي نسخ فيها فان المنسوخ قليل جدا بالنسبة إلى المحكم
358
 المقرر

"هذا الدين يسر ولن يشد الدين احد الا غلبه فسدوا وقاربوا"

* ان الله سبحانه أمرنا بالمعروف وهو طاعته وطاعة رسوله
 وهو الصلاح والحسنات والخير والبر ونهى عن المنكر وهو
 معصيته ومعصية رسوله وهو الفساد والسيئات والشر والفجور

وقيد الايجاب بالاستطاعة والوسع واباح مما حرم ما يضطر
 المرء اليه غير باغ ولا عاد فقال تعالى { اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَعْقِيْلِهِ }
 {آل عمران 102} و قال { فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ }
 {التغابن 16} وثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
 قال ذروني ما تركتم فإما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم
 واختلفهم على انبائهم فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وإذا
 امرتم بأمر فأنتوا منه ما استطعتم فأوجب مما امر به ما يستطيع
 وكذلك فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال في حديث اخر انكم لن
 تحصوا او تستطعوا كل ما امرتم به ولكن وقال ان هذا الدين
 يسر ولن يشاد الدين احد الا غلبه فسدوا وقاربوا واستعينوا
 بالغدوة والروحنة وشيء من الدلجة والقصد تبلغوا وهذا
 العام المجمل فصله فقال في المحرمات { قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا
 أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا
 مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فِيْهِ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أَهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ
 اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } الأنعام 145
 فهذا في تحريم المطاعم قد رفع الاتهام عن اضطر غير باغ ولا
 عاد والباغي والعادي قد قيل انهما صفة للشخص مطلقا فالباغي
 كالباغي على امام المسلمين واهل العدل منهم كما قال تعالى
 { فَإِنْ بَغَتْ أَحَدًا هُمَا عَلَى الْأَخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبَغِي حَتَّى تَفِيءَ
 إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَفْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ
 يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ } الحجرات 9 والعادي كالصائل قاطع الطريق
 الذي يريد النفس او المال وقيل انهما صفة لغير المضطر
 فالباغي الذي يبغى المحرم مع قدرته على الحلال والعادي الذي
 يتجاوز قدر الحاجة كما قال { فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَحْمَصَةٍ غَيْرَ
 مُتَجَانِفٍ لِإِلَّمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } المائدة 359

³⁵⁹ الاستقامة ج: 2 ص: 316-317

*قال الله تعالى {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ} الحج 78
 و قال تعالى {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ كُمُ الْعُسْرَ}
 } البقرة 185 و قال تعالى {يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ
 } النساء 28 و في الصحيحين إنما بعثتم ميسرين يسروا
 و لا تعسروا ليعلم اليهود أن في ديننا سعة فكل ما لا يتم
 المعاش إلا به فتحريم حرج و هو منتف شرعا ومن استقرأ
 الشريعة في مواردتها ومصادرها وجدها مبنية على قوله تعالى
 {فَمَنِ اضطُرَّ غَيْرَ بَاغِ وَلَا عَادٍ فَلَا إِنْثُمْ عَلَيْهِ} البقرة 173 و قوله
 {فَمَنِ اضطُرَّ فِي مَحْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِنْثِمْ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}
 } المائدة 3 فكل ما احتاج الناس إليه في معاشهم ولم يكن سببه
 معصية هي ترك واجب أو فعل محرم لم يحرم عليهم لأنهم في
 معنى المضطر الذي ليس بباغ ولا عاد وإن كان سببه معصية
 كالمسافر سفر معصية اضطر فيه إلى الميادة و المنفق للمال في
 المعاشي حتى لزمته الديون فإنه يؤمر بالتوبة و يباح له ما يزيل
 ضرورته فتباح له الميادة و يقضى عنه دينه من الزكاة و إن لم
 يتبع فهو الظالم لنفسه المحتال و حاله كحال الذين قال الله فيهم
 {إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيَاتُهُمْ يَوْمَ سَبَّتِهِمْ شُرًّاً وَيَوْمَ لَا يَسْتَشْوِنَ لَا تَأْتِيهِمْ
 كَذَلِكَ نَذِلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُدُونَ} الأعراف 163 و قوله {فَيَظْلِمُ
 مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمَنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أَحْلَلْتُ لَهُمْ وَبَصَدَّهُمْ عَنْ
 سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا} النساء 160 الآية وهذه قاعدة عظيمة ربما نبه
 إن شاء الله عليها 360

مسائل فقهية

1-الأصل في جميع الأعيان الموجودة أن تكون حلاً مطلقاً للأدميين وأن تكون ظاهرة

* فاعلم أن الأصل في جميع الأعيان الموجودة على اختلاف أصنافها وتبين أوصافها أن تكون حلاً مطلقاً للأدميين وأن تكون ظاهرة لا يحرم عليهم ملابستها وبماشرتها ومماستها وهذه الكلمة جامعة ومقالة عامة وقضية فاضلة عظيمة المنفعة واسعة البركة يفرز إليها حملة الشريعة فيما لا يحصى من الأعمال وحوادث الناس وقد دل عليها أدلة عشرة مما حضرني ذكره من الشريعة وهي كتاب الله وسنة رسوله واتباع سبيل المؤمنين المنظومة في قوله تعالى {أطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ} النساء 59 وقوله {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا} المائدة 55 ثم مسالك القياس والاعتبار ومناهج الرأي والاستبصار الصنف الأول الكتاب وهو عدة آيات الآية الأولى قوله تعالى {هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ} البقرة 29 والخطاب لجميع الناس لافتتاح الكلام بقوله {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ} البقرة 21 ووجه الدلالة أنه أخبر أنه خلق جميع ما في الأرض للناس مضافاً إليهم باللام واللام حرف الإضافة وهي توجب اختصاص المضاف بالمضاف إليه واستحقاقه إياه من الوجه الذي يصلح له وهذا المعنى يعم موارد استعمالها كقولهم المال لزيد والسرج للدابة وما أشبه ذلك فيجب إذا أن يكون الناس مملكون ممكنين لجميع ما في الأرض فضلاً من الله ونعمته وخاص من ذلك بعض الأشياء وهي الخبائث لما فيها من الإفساد لهم في معاشهم أو معادهم فيبقى الباقي مباحاً بموجب الآية الآية الثانية قوله تعالى {وَمَا لَكُمْ إِلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَلَ لَكُمْ مَا حَرَمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرْتُمْ إِلَيْهِ} الأنعام 119 دلت الآية من وجهين أحدهما أنه وبخهم

وعنهم على ترك الأكل مما ذكر اسم الله عليه قبل أن يحله باسمه الخاص فلو لم تكن الأشياء مطلقة مباحة لم يلحقهم ذم ولا توبیخ إذ لو كان حکمها مجهولاً أو كانت محظورة لم يكن ذلك الوجه الثاني أنه قال { وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَمَ عَلَيْكُمْ } الأنعام 119 والنفصیل التبیین فیین أنه بین المحرمات فما لم بین تحريمہ ليس بمحرم وما ليس بمحرم فهو حلال إذ ليس إلا حلال أو حرام الآية الثالثة قوله تعالى { وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ } الجاثیة 13 وإذا كان ما في الأرض مسخرا لنا جاز استمتاعنا به كما تقدم الآية الرابعة قوله تعالى { قُلْ لَا أَجُدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا } الأنعام 145 الآية فما لم يجد تحريمہ ليس بمحرم وما لم يحرم فهو حل ومثل هذه الآية قوله { إِنَّمَا حَرَمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ } البقرة 173 الآية لأن حرف إنما يوجب حصر الأول في الثاني فيجب انحصر المحرمات فيما ذكر وقد دل الكتاب على هذا الأصل المحیط في مواضع آخر الصنف الثاني السنة والذي حضرني منها حديثان الحديث الأول في الصحيحين عن سعد بن أبي وقاص قال قال رسول الله إن أعظم المسلمين جرما من يسأل عن شيء لم يحرم فحرم من أجل مسأله دل ذلك على أن الأشياء لا تحرم إلا بتحريم خاص لقوله لم يحرم دل أن التحريم قد يكون لأجل المسألة فیین بذلك أنها بدون ذلك ليست حرمة وهو المقصود الثاني روى أبو داود في سننه عن سلمان الفارسي قال سئل رسول الله عن شيء من السمن والجبن والفراء فقال الحلال ما أحل الله في كتابه والحرام ما حرم الله في كتابه وما سكت عنه فهو مما عفا عنه فمنه دليلان أحدهما أنه أفتى بالإطلاق فيه الثاني قوله وما سكت عنه فهو مما عفا عنه نص في أن ما سكت عنه فلا إثم عليه فيه وتسمیته هذا عفوا كأنه والله أعلم لأن التحلیل هو الإذن في التناول بخطاب خاص والتحريم المنع من التناول كذلك والسكوت عنه لم يؤذن بخطاب

يخصه ولم يمنع منه فيرجع إلى الأصل وهو أن لا عقاب إلا بعد الإرسال وإذا لم يكن فيه عقاب لم يكن محراً ما وفي السنة دلائل كثيرة على هذا الأصل الصنف الثالث اتباع سبيل المؤمنين وشهادة شهداء الله في أرضه الذين هم عدول الأمراء بالمعروف الناهين عن المنكر المعصومين من اجتماعهم على ضلاله المفروض اتباعهم وذلك لأنني لست أعلم خلاف أحد من العلماء السالفين في أن ما لم يجيء دليلاً بتحريمه فهو مطلق غير محجور وقد نص على ذلك كثيراً من تكلم في أصول الفقه وفروعه وأحسب بعضهم ذكر في ذلك الإجماع يقيناً أو ظناً كالآتي فإن قيل كيف يكون في ذلك إجماع وقد علمت اختلاف الناس في الأعيان قبل مجيء الرسل وإنزال الكتب هل الأصل فيها الحظر أو الإباحة أو لا يدرى ما الحكم فيها أو أنه لا حكم لها أصلاً واستصحاب الحال دليل متبع وأنه قد ذهب بعض من صنف في أصول الفقه من أصحابنا وغيرهم على أن حكم الأعيان الثابت لها قبل الشرع مستصحب بعد الشرع وأن من قال بأن الأصل في الأعيان الحظر استصحب هذا الحكم حتى يقوم دليل الحل فأقول هذا قول متأخر لم يؤثر أصله عن أحد من السابقين ومن له قدم وذلك أنه قد ثبت أنها بعد مجيء الرسل على الإطلاق وقد زال حكم ذلك الأصل بالأدلة السمعية التي ذكرتها ولست أنكر أن بعض من لم يحط علمًا بمدارك الأحكام ولم يؤت تميزاً في مظان الاشتباه ربما سحب ذيل ما قبل الشرع على ما بعده إلا أن هذا غلط قبيح لو نبه له لتتبه مثل الغلط في الحساب لا يهتك حريم الإجماع ولا يتلهم سنن الاتباع ولقد اختلف الناس في تلك المسألة هل هي جائزه أم ممتنعة لأن الأرض لم تخل من النبي مرسل إذ كان آدم نبياً مكلماً حسب اختلافهم في جواز خلو الأقطار عن حكم مشروع وإن كان الصواب عندنا جوازه ومنهم من فرضها فيما ولد بجزيرة إلى غير ذلك من الكلام الذي يبين لك أن لا عمل بها وأنها نظر محض ليس فيه عمل كالكلام في مبدأ اللغات وشبه ذلك على أن الحق الذي لا راد له

أن قبل الشرع لا تحليل ولا تحريم فإذا لا يتصحب ويستدام فيبقى الآن كذلك والمقصود خلوها عن المأثم والعقوبات وأما مسلك الاعتبار بالأسباب والنظائر واجتهد الرأي في الأصول الجوامع فمن وجوه كثيرة ننبه على بعضها أحدها أن الله سبحانه خلق هذه الأشياء وجعل فيها للإنسان متاعاً ومنفعة ومنها ما قد يضطر إليه وهو سبحانه جود ماجد كريم رحيم غني صمد والعلم بذلك يدل على العلم بأنه لا يعاقبه ولا يعذبه على مجرد استمتاعه بهذه الأشياء وهو المطلوب وثانيها أنها منفعة خالية عن مضره فكانت مباحة كسائر ما نص على تحليله وهذا الوصف قد دل على تعلق الحكم به النص وهو قوله **﴿يُحِلُّ لَهُمُ الطَّيْبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَابَ﴾**¹⁵⁷ الأعراف فكل ما نفع فهو طيب وكل ما ضر فهو خبيث والمناسبة الواضحة لكل ذي لب أن النفع يناسب التحليل والضرر يناسب التحريم والدوران فإن التحريم يدور مع المضار وجوداً في الميته والدم ولحم الخنزير وذوات الأنبياء والمخالب والخمر وغيرها مما يضر بأنفس الناس وعدهما في الأئماع والألبان وغيرها وثالثها أن هذه الأشياء إما أن يكون لها حكم أولاً يكون

والأول صواب والثاني باطل بالاتفاق وإذا كان لها حكم فالوجوب والكراهة والاستحباب معلومة البطلان بالكلية لم يبق إلا الحل والحرمة باطلة لانتقاء دليلها نصاً واستنبطاً لم يبق إلا ³⁶¹ **الحل وهو المطلوب**

2-حكم عظم الميته وقرنها وظفرها

³⁶¹ مجموع الفتاوى ج: 21 ص: 535-541 و الفتوى الكبرى ج: 2 ص:

*أما عظم الميّة وقرنها وظفرها وما هو من جنس ذلك كالحافر ونحوه وشعرها وريشها ووبرها ففي هذين النوعين للعلماء ثلاثة أقوال أحدها نجاست الجميع كقول الشافعي في المشهور عنه وذلك روایة عن أَحْمَد والثاني أن العظام ونحوها نجسة والشعور ونحوها ظاهرة وهذا هو المشهور من مذهب مالك وأَحْمَد والثالث أن الجميع ظاهر كقول أَبِي حنيفة وهو قول في مذهب مالك وأَحْمَد وهذا القول هو الصواب وذلك لأن الأصل فيها الطهارة ولا دليل على النجاست وأيضاً فان هذه الأعيان هي من الطيبات ليست من الخبائث فتدخل في آية التحليل وذلك لأنها لم تدخل فيما حرمه الله من الخبائث لا لفظاً ولا معنى فان الله تعالى حرّم الميّة وهذه الأعيان لا تدخل فيما حرمه الله لا لفظاً ولا معنى أما اللّفظ فلان قوله تعالى **{حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ}** {المائدة} 3 لا يدخل فيها الشعور وما شبّهها وذلك لأن الميت ضد الحي والحياة نوعان حياة الحيوان وحياة النبات فحياة الحيوان خاصتها الحس والحركة الارادية وحياة النبات خاصتها النمو والاغتناء وقوله **{حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ}** {المائدة} 3 إنما هو بما فارقته الحياة الحيوانية دون النباتية فإن الشجر والزرع إذا بيس لم ينجس باتفاق المسلمين وقد قال تعالى **{وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا}** {النحل} 65 وقال **{إِذْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا}** {الحديد} 17 فموت الأرض لا يوجب نجاستها باتفاق المسلمين وإنما الميّة المحرمة ما فارقها الحس والحركة الارادية وإذا كان كذلك فالشعر حياته من جنس حياة النبات لا من جنس حياة الحيوان فإنه ينمو ويغتدى ويطول كالزرع وليس فيه حس ولا يتحرك بارادته فلا تحله الحياة الحيوانية حتى يموت بمفارقتها فلا وجه لتجيشه وأيضاً فلو كان الشعر جزءاً من الحيوان لما ابيح أخذه في حال الحياة فان النبي سُئل عن قوم يحبون أسنة الأبل وأليات الغنم فقال ما أبین من البهيمة وهي حية فهو ميت رواه أبو داود وغيره وهذا متافق عليه بين العلماء فلو كان حكم

الشعر حكم السنام والألية لما جاز قطعه في حال الحياة ولا كان طاهرا حلالا فلما اتفق العلماء على أن الشعر والصوف إذا جز من الحيوان كان طاهرا حلالا علم أنه ليس مثل اللحم وايضا فقد ثبت أن النبي أعطى شعره لما حلق رأسه للمسلمين وكان يستجي ويستجمر فمن سوى بين الشعر والبول والعذرة فقد أخطأ خطأ بینا وأما العظام ونحوها فإذا قيل إنها داخلة في الميّة لأنها تحس وتتألم قيل لمن قال ذلك أنت لم تأخذوا بهموم اللفظ فإن ما لا نفس له سائلة كالذباب والعقرب والخفسae لا ينجس عندكم وعند جمهور العلماء مع أنها ميّة موتا حيوانيا وقد ثبت في الصحيح أن النبي قال إذا وقع الذباب في إناء أحدهم فليغمسه ثم ليزيز عه فإن في أحد جناحيه داء وفي الآخر شفاء ومن نجس هذا قال في أحد القولين إنه لا ينجس المائعتات الواقع فيها لهذا الحديث وإذا كان كذلك علم أن علة نجاسة الميّة إنما هو إحتباس الدم فيها فما لا نفس له سائلة ليس فيه دم سائل فإذا مات لم يحتبس فيه الدم فلا ينجس فالعظم ونحوه أولى بعدم التنجيس من هذا فإن العظم ليس فيه دم سائل ولا كان متحركا بالارادة إلا على وجه التبع فإذا كان الحيوان الكامل الحساس المتحرك بالارادة لا ينجس لكونه ليس فيه دم سائل فكيف ينجس العظم الذي ليس فيه دم سائل وما يبين صحة قول الجمهور أن الله سبحانه إنما حرم علينا الدم المسفوح كما قال تعالى **{فَلَمَّا أُحْكِيَ إِلَيْيَ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا}** {الأنعام 145} فإذا عفي عن الدم غير المسفوح مع أنه من جنس الدم علم أنه سبحانه فرق بين الدم الذي يسيل وبين غيره ولهذا كان المسلمون يضعون اللحم في المرق وخطوط الدم في القدور بين ويأكلون ذلك على عهد رسول الله كما أخبرت بذلك عائشة ولو لا هذا لاستخرجوه الدم من العروق كما يفعل اليهود والله تعالى حرم ما مات حتف انفه أو بسبب غير جارح محدد فحرم المنخنقة والموهودة والمتردية والنطيحة وحرم النبي ما صيد بعرض المعارض وقال إنه وقيذ دون ما صيد بحده

والفرق بينهما إنما هو سفح الدم فدل على أن سبب التجيس هو احتقان الدم واحتباسه وإذا سفح بوجه خبيث بأن يذكر عليه غير اسم الله كان الخبث هنا من جهة أخرى فإن التحرير يكون تارة لوجود الدم وتارة لفساد التذكية كذلة المجوسي والمرتد والذكرة في غير محل المثل وإذا كان كذلك فالعظم والقرن والظفر والظلف وغير ذلك ليس فيه دم مسفوحة فلا وجه لتجيشه وهذا قول جمهور السلف قال الزهرى كان خيار هذه الأمة يمتشطون بأمشاط من عظام الفيل وقد روى في العاج حديث معروف لكن فيه نظر ليس هذا موضعه فانا لا نحتاج الى الاستدلال بذلك واياضا فقد ثبت في الصحيح عن النبي أنه قال في شاة ميمونة هلا أخذتم إهابها فانتفعتم به قالوا انها ميتة قال إنما حرم أكلها وليس في صحيح البخاري ذكر الدباغ ولم يذكره عامة أصحاب الزهرى عنه ولكن ذكره ابن عيينة ورواه مسلم في صحيحه وقد طعن الإمام أحمد في ذلك وأشار الى غلط ابن عيينة فيه وذكر أن الزهرى وغيره كانوا يبيحون الانتفاع بجلود الميتة بلا دباغ لاجل هذا الحديث وحينئذ فهذا النص يقتضي جواز الانتفاع بها بعد الدبغ بطريق الأولى لكن إذا قيل إن الله حرم بعد ذلك الانتفاع بالجلود حتى تدبغ أو قيل إنها لا تطهر بالدباغ لم يلزم تحرير العظام ونحوها لأن الجلد جزء من الميتة فيه الدم كما في سائر أجزائها والنبي جعل دباغه ذكاته لأن الدباغ ينسف رطوباته فدل على أن سبب التجيس هو الرطوبات والعظم ليس فيه رطوبة سائلة وما كان فيه منها فإنه يجف وبهيس وهو يبقى ويحفظ أكثر من الجلد فهو أولى بالطهارة من الجلد وعلماء تنازعوا في الدباغ هل يطهر فذهب مالك وأحمد في المشهور عنهم أنه لا يطهر ومذهب أبي حنيفة والشافعى والجمهور أنه يطهر وإلى هذا القول رجع أحمد كما ذكر ذلك عنه الترمذى عن أحمد بن الحسن الترمذى عنه وحديث ابن عكيم يدل على أن النبي نهاهم أن ينتفعوا من الميتة باهاب أو عصب بعد أن كان أذن لهم في ذلك لكن هذا قد يكون قبل الدباغ فيكون قد أرخص فان حديث

الزهري الصحيح يبين أنه كان قد رخص في جلود الميّة قبل الدباغ فيكون قد أرخص لهم في ذلك ثم لما نهى عن الانتفاع بها قبل الدباغ نهاهم عن ذلك ولهذا قال طائفة من أهل اللغة إن الاهاب اسم لما لم يدبغ ولهذا قرن معه العصب والعصب لا يدبغ

362

3- حكم لبن الميّة وأنفحتها

* وأما لبن الميّة وأنفحتها ففيه قولان مشهوران للعلماء أحدهما أن ذلك ظاهر كقول أبي حنيفة وغيره وهو إحدى الروايتين عن أحمد والثاني أنه نجس كقول مالك والشافعى والرواية الأخرى عن أحمد وعلى هذا النزاع انبني نزاعهم في جبن المجوس فان نباتات المجوس حرام عند جماهير السلف والخلف وقد قيل إن ذلك مجمع عليه بين الصحابة فاذا صنعوا جبنا والجبن يصنع بالأنفحة كان فيه هذان القولان والأظهر أن جبنتهم حلال وان أنفحة الميّة ولبنها ظاهر وذلك لأن الصحابة لما فتحوا بلاد العراق أكلوا جبن المجوس وكان هذا ظاهرا شائعا بينهم وما ينقل عن بعضهم من كراهة ذلك ففيه نظر فانه من نقل بعض الحجازيين وفيه نظر وأهل العراق كانوا أعلم بهذا فان المجوس كانوا ببلادهم ولم يكونوا بأرض الحجاز ويدل على ذلك ان سلمان الفارسي كان هو نائب عمر بن الخطاب على المدائن وكان يدعو الفرس الى الإسلام وقد ثبت عنه أنه سئل عن شيء من السمن والجبن والفراء فقال الحال ما احل الله في كتابه والحرام ما حرم الله في كتابه وما سكت عنه فهو مما عفى عنه وقد رواه أبو داود مرفوعا الى النبي ومعلوم أنه لم يكن السؤال عن جبن المسلمين وأهل الكتاب فان هذا امر بين وإنما كان السؤال عن جبن المجوس فدل ذلك على ان سلمان

³⁶² مجموع الفتاوى ج: 21 ص: 104-97 و الفتوى الكبرى ج: 1 ص: 50 و مؤلفات ابن تيمية ج: 2 ص: 11

كان يقتفي بحلها وإذا كان روى ذلك عن النبي انقطع النزاع بقول النبي وأيضا فاللين والأنفة لم يموت وإنما نجسهما من نجسهما لكونهما في وعاء نجس فيكون مائعا في وعاء نجس فالتنجيس مبني على مقدمتين على ان المائع لاقي وعاء نجسا وعلى أنه إذا كان كذلك صار نجسا فيقال أولا لا نسلم ان المائع ينجس بملاقة النجاسة وقد تقدم ان السنة دلت على طهارته لا على نجاسته ويقال ثانيا إن الملاقة في الباطن لا حكم لها كما قال تعالى {تُسْقِيكُمْ مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغاً لِلشَّارِبِينَ} النحل 66 ولهذا يجوز حمل الصبي الصغير في الصلاة مع ما في بطنه والله أعلم³⁶³

4 حكم طهارة جلود الميادة بالدجاج

* أما طهارة جلود الميادة بالدجاج ففيها قولان مشهوران للعلماء في الجملة أحدهما أنها تطهر بالدجاج وهو قول أكثر العلماء كأبي حنيفة والشافعي وأحمد في إحدى الروايتين والثاني لا تطهر وهو المشهور في مذهب مالك ولهذا يجوز استعمال المذبوغ في الماء دون المائعات لأن الماء لا ينجس بذلك وهو أشهر الروايتين عن أحمد أيضا اختارها أكثر أصحابه لكن الرواية الأولى هي آخر الروايتين عنه كما نقله الترمذى عن أحمد بن الحسن الترمذى عنه أنه كان يذهب إلى حديث ابن عكيم ثم ترك ذلك بأخره وحجة هذا القول شيئاً أحدهما أنه قالوا هي من الميادة ولم يصح في الدجاج شيء ولهذا لم يرو البخاري ذكر الدجاج في حديث ميمونة من قول النبي صلى الله عليه وسلم وطعن هؤلاء فيما رواه مسلم وغيره إذ كانوا أئمة لهم في الحديث اجتهد وقالوا روى ابن عبيدة الدجاج عن الزهرى والزهرى كان يجوز استعمال جلود الميادة بلا دجاج وذلك يبين أنه

³⁶³ الفتاوى الكبرى ج: 1 ص: 50 و مجموع الفتاوى ج: 21 ص:

ليس في روایته ذكر الدباغ وتكلموا في ابن وعلة والثاني أنهم
 قالوا أحاديث الدباغ منسوخة بحديث ابن عكيم وهو قوله صلى
 الله عليه وسلم فيما كتب إلى جهينة كنت رخصت في جلود
 الميّة فإذا أتاكم كتابي هذا فلا تنتفعوا من الميّة بإهاب ولا
 عصب فكلا هاتين الحجتين مأثورة عن الإمام أحمد نفسه في
 جوابه ومناظرته في الرواية الأولى المشهورة وقد احتاج
 القائلون بالدباغ بما في الصحيحين عن عبد الله بن عباس
 أن النبي صلى الله عليه وسلم من بشارة ميّة فقال هلا
 استمتعتم بإهابها قالوا يا رسول الله إنها ميّة قال إنما
 حرم من الميّة أكلها وفي رواية لمسلم لا أخذوا أهابها
 فدبغوه فانتفعوا به وعن سودة بنت زمعة زوج النبي صلى
 الله عليه وسلم قالت ماتت لنا شاة فدبغنا مسکها فما زلنا ننذر فيه
 حتى صار شنا وعن ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله
 عليه وسلم يقول إذا دبغ الإهاب فقد طهر قلت وفي رواية
 له عن عبد الرحمن بن وعلة إننا نكون بالمغرب ومعنا البربر
 والم Gors يؤتى بالكبش قد ذبحوه ونحن لا نأكل نباتهم ونؤتى
 بالسفاء يجعلون

فيه الدلوك فقال ابن عباس قد سألنا رسول الله صلى الله عليه
 وسلم عن ذلك فقال دباغه ظهوره وعن عائشة رضي الله
 عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر أن يستمتع بجلود الميّة
 إذا دبغت رواه الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه والنسيائي وفي
 رواية عن عائشة قالت سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
 جلود الميّة فقال دباغها ظهورها رواه الإمام أحمد
 والنسيائي وعن سلمة بن المحبق رضي الله عنه أن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم من ببيته بفنايه قربة معلقة فاستقى فقيل إنها
 ميّة فقال ذكرة الأديم دباغه رواه الإمام أحمد وأبو داود
 والنسيائي وأما حديث ابن عكيم فقد طعن بعض الناس فيه بكون
 حامله مجهولاً ونحو ذلك مما لا يسوغ رد الحديث به قال عبد الله
 بن عكيم أتنا كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن

يموت بشهر أو شهرين أن لا تنتفعوا من الميّة بإهاب ولا عصب رواه الإمام أحمد وقال ما أصلح إسناده وأبو داود وابن ماجه والنسائي والترمذى وقال حديث حسن وأجاب بعضهم عنه بأن الإهاب اسم للجلد قبل الدباغ كما نقل ذلك النضر بن شميل وغيره من أهل اللغة وأما بعد الدباغ فإنما هو أديم فيكون النهي عن استعمالها قبل الدباغ فقال المانعون هذا ضعيف فإن في بعض طرقه كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في أرض جهينة إنني كنت رخصت لكم في جلود الميّة فإذا جاءكم كتابي هذا فلا تنتفعوا من الميّة بإهاب ولا عصب رواه الطبراني في المعجم الأوسط من روایة فضالة بن مفضل بن فضالة المصري وقد ضعفه أبو حاتم الرازى لكن هو شديد في التزكية وإذا كان النهي بعد الرخصة فالرخصة إنما كانت في المدبوغ وتحقيق الجواب أن يقال حديث ابن عكيم ليس فيه نهي عن استعمال المدبوغ وأما الرخصة المتقدمة فقد قيل إنها كانت للمدبوغ وغيره ولها ذهب طائفة منهم الزهري وغيره إلى جواز استعمال جلود الميّة قبل الدباغ تمسكا بقوله المطلق في حديث ميمونة وقوله إنما حرم الميّة أكلها وإن هذا اللفظ يدل على التحرير ثم لم يتناول الجلد وقد رواه الإمام أحمد في المسند عن ابن عباس قال ماتت شاة لسودة بنت زمعة فقالت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ماتت فلانة تعنى الشاة فقال فلولا أخذتم مسکها فقالت آخذ مسک شاة قد ماتت فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما قال **{لا أحد في ما أُوحى إلى محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميّة أو دماً مسفوهاً أو لحم خنزير}** **{الأنعام 145}** وإنكم لا تطعمنه إن تدبغوه تنتفعوا به فأرسلت إليها فسلخت مسکها فدبغته فاتخذت منه قربة حتى تخرقت عندها فهذا الحديث يدل على أن التحرير لم يتناول الجلد وإنما ذكر الدباغ لإبقاء الجلد وحفظه لا لكونه شرطا في الحل وإذا كان كذلك فتكون الرخصة لجهينة في هذا والنحو عن هذا فإن الله تعالى ذكر تحريم الميّة في سورتين

مكثتين الأنعام والنحل ثم في سورتين مدنبيتين البقرة والمائدة والمائدة من آخر القرآن نزولا كما روي المائدة آخر القرآن نزولا فأحلوا حلالها وحرموا حرامها وقد ذكر الله فيها من التحرير ما لم يذكره في غيرها وحرم النبي صلى الله عليه وسلم أشياء مثل أكل كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير وإذا كان التحرير زاد بعد ذلك على ما في السورة المكية التي استند الرخصة المطلقة فيمكن أن يكون تحرير الانتفاع بالعصب والإهاب قبل الدباغ ثبت بالنصوص المتأخرة وأما بعد الدباغ فلم يحرم ذلك قط بل بين أن دباغه ظهره وذاته وهذا يبين أنه لا بياح بدون الدباغ وعلى هذا القول فلننالس فيما يظهره الدباغ أقوال قيل إنه يظهر كل شيء حتى الحمير كما هو قول أبي يوسف وداود وقيل يظهر كل شيء سوى الحمير كما هو قول أبي حنيفة وقيل يظهر كل شيء إلا الكلب والحمير كما هو قول الشافعي وهو أحد القولين في مذهب أحمد على القول بظهور الدباغ والقول الآخر في مذهبة وهو قول طوائف من فقهاء الحديث أنه إنما يظهر ما يباح بالذakaة فلا يظهر جلود السباع وأخذ التردد أن الدباغ هل هو كالحياة فيظهر ما كان ظاهرا في الحياة أو هو كالذakaة فيظهر ما ظهر بالذakaة والثاني أرجح ودليل ذلك نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن جلود السباع كما روي عن أسامة بن عمير الذهلي أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن جلود السباع ورواه أحمد وأبو داود والنسائي زاد الترمذى أن تفرش وعن خالد بن معدان قال وفدي المقدام بن معدي كرب على معاوية فقال أنشدك بالله هل تعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن جلود السباع والركوب عليها قال نعم رواه أبو داود والنسائي وهذا لفظه وعن أبي ريحانة نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ركوب النمور رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه وروى أبو داود والنسائي عن معاوية عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تصحب الملائكة رفقة فيها جلد

نمر رواه أبو داود وفي هذا القول جمع بين الأحاديث كلها و
الله أعلم ³⁶⁴

فإن تحريم الشيء مطلقاً يقتضي تحريم كل جزء منه كما أن
تحريم الخنزير والميتة والدم اقتضى ذلك ³⁶⁵

5-حكم ما ذبحة أهل الكتاب لكنائسهم أو لأعيادهم

* قال الخلال في باب التوقي لأكل ما ذبحت النصارى وأهل الكتاب لأعيادهم وذبائح أهل الكتاب لكنائسهم كل من روى عن أبي عبد الله روى الكراهة فيه وهي متفرقة في هذه الأبواب وما قاله حنبل في هاتين المسألتين ذكر عن أبي عبد الله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وما أهل لغير الله به فإنما الجواب من أبي عبد الله فيما أهل لغير الله به وأما التسمية وتركها فقد روى عنه جميع أصحابه أنه لا بأس بأكل مالم يسموا عليه إلا في وقت ما يذبحون لأعيادهم وكنائسهم فإنه في معنى قوله تعالى { وَمَا أَهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ } النحل 115 وعند أبي عبد الله أن تفسير { وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ } الأنعام 121 إنما عني به الميتة وقد أخرجته في موضعه ومقصود الخلال أن نهي أحمد لم يكن لأجل ترك التسمية فقط فإن ذلك عنده لا يحرم وإنما كان لأنهم ذبحوه لغير الله سواء كانوا يسمون غير الله أو لا يسمون الله ولا غيره ولكن قصدتهم الذبح لغير الله لكن قال ابن أبي موسى ويجبت أكل كل ما ذبحة اليهود والنصارى لكنائسهم وأعيادهم ولا يؤكل ما ذبح للزهرة والرواية الثانية أن ذلك مكره غير محرم وهذا الذي

³⁶⁴ الفتاوى الكبرى ج: 1 ص: 264-267 و الفتوى الكبرى ج: 1 ص: 50

³⁶⁵ مجموع الفتاوى ج: 21 ص: 85

ذكره القاضي وغيره وأخذوا ذلك فيما أظنه مما نقله عبد الله بن أحمد قال سألت أبي عن ذبح للزهرة قال لا يعجبني قلت أحرام أكله قال لا أقول حراما ولكن لا يعجبني وذلك أنه أثبت الكراهة دون التحريم ويمكن أن يقال إنما توقف عن تسميته محراً لأن ما اختلف في تحريمه وتعارضت فيه كالجمع بين الأختين ونحوه هل يسمى حراما على روایتين كالروایتين عنده في أن ما اختلف في وجوبه هل يسمى فرضا على روایتين ومن أصحابنا من أطلق الكراهة ولم يفسر هل أراد التحريم أو التزية قال أبو الحسن الأدمي ما ذبح لغير الله مثل الكنائس والزهرة والشمس والقمر فقال أحمد هو مما أهل به لغير الله أكرهه كل ما ذبح لغير الله والكنائس وما ذبحوا في أعيادهم أكرهه فلما ما ذبح أهل الكتاب على معنى الذكرة فلا بأس به وكذلك مذهب مالك يكره ما ذبحه النصارى لكنائسهم أو ذبحوا على اسم المسيح أو الصليب أو أسماء من مضى من أخبارهم وربانهم وفي المدونة وكره مالك أكل ما ذبحه أهل الكتاب لكنائسهم أو لأعيادهم من غير تحريم وتأنول قول الله تعالى {أَوْ فِسْقًا} **أَهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ** {الأنعام 145} قال ابن القاسم وكذلك ما ذبحوا وسموا عليه اسم المسيح وهو بمنزلة ما ذبحوا لكنائسهم ولا أرى أن يؤكل ونقلت الرخصة في ذبائح الأعياد ونحوها عن طائفة من الصحابة رضي الله عنهم وهذا فيما لم يسموا عليه غير الله فإن سموا غير الله في عيدهم أو غير عيدهم حرم في أشهر الروایتين وهو مذهب الجمهور وهو مذهب الفقهاء الثلاثة فيما نقله غير واحد وهو قول علي بن أبي طالب وغيره من الصحابة منهم أبو الدرداء وأبو أمامة والعرباض بن سارية وعبادة بن الصامت وهو قول أكثر فقهاء الشام وغيرهم والثانية لا يحرم وإن سموا غير الله وهو قول عطاء ومجاهد ومكحول والأوزاعي والليث ووجه الاختلاف أن هذا قد دخل في عموم قوله عز وجل {وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ} المائدة 5 وفي عموم قوله تعالى {وَمَا أَهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ}

{ المائدة 3 } لأن هذه الآية تعم كل ما نطق به لغير الله يقال أهللت
بِكُذا إِذَا تَكَلَّمْتَ بِهِ وَإِنْ كَانَ أَصْلَهُ الْكَلَامُ الرَّفِيعُ فَإِنَّ الْحُكْمَ لَا
يَخْتَلِفُ بِرَفْعِ الصَّوْتِ وَخَفْضِهِ وَإِنَّمَا لَمَّا كَانَتْ عَادِتْهُمْ رَفْعُ
الصَّوْتِ فِي الْأَصْلِ خَرْجُ الْكَلَامِ عَلَى ذَلِكَ فَيَكُونُ الْمَعْنَى وَمَا تَكَلَّمُ
بِهِ لَغَيْرِ اللَّهِ وَمَا نَطَقَ بِهِ لَغَيْرِ اللَّهِ وَمَعْلُومٌ أَنَّ مَا حَرَمَ أَنْ تَجْعَلَ
غَيْرُ اللَّهِ مَسْمَى فَكَذَلِكَ مَنْوِيَا إِذْ هَذَا مِثْلُ النِّيَاتِ فِي الْعِبَادَاتِ فَإِنَّ
الْفَظْبَهَا وَإِنْ كَانَ أَبْلَغَ لَكُنَّ الْأَصْلَ الْقَصْدَ إِلَّا تَرَى أَنَّ
الْمُتَقْرِبُ بِالْهَدَايَا وَالْضَّحَايَا سَوَاءٌ قَالَ أَذْبَحَهُ اللَّهُ أَوْ سَكَتَ فَإِنَّ
الْعَبْرَةَ بِالنِّيَةِ وَتَسْمِيَتِهِ اللَّهُ عَلَى الْذِبْحِ غَيْرَ ذَبْحِهِ اللَّهُ فَإِنَّهُ يُسَمِّي
عَلَى مَا يَقْصِدُ بِهِ الْلَّحْمَ وَأَمَّا الْقَرْبَانُ فَيُذْبِحُهُ اللَّهُ سَبَّانُهُ وَلِهَذَا قَالَ
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَرْبَانِهِ اللَّهُمَّ مِنْكَ وَلَكَ بَعْدَ قَوْلِهِ بِسَمِّ
اللَّهِ وَاللَّهُ أَكْبَرَ لَقَوْلِهِ تَعَالَى { قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ
وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } الْأَنْعَامُ 162 وَالْكَافِرُونَ يَصْنَعُونَ
بِالْهَتْهِمِ كَذَلِكَ فَتَارَةً يَسْمُونُ الْهَتْهِمَ عَلَى الذِّبَاحِ وَتَارَةً يَذْبَحُونَهَا
قَرْبَانًا إِلَيْهِمْ وَتَارَةً يَجْمِعُونَ بَيْنَهُمَا وَكُلُّ ذَلِكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ يَدْخُلُ فِيمَا
أَهْلَ لَغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَإِنْ مَنْ سَمَّى غَيْرَ اللَّهِ فَقَدْ أَهْلَ بِهِ لَغَيْرِ اللَّهِ فَقَوْلُهُ
بِاسْمِ كَذَا اسْتَعْنَةَ بِهِ وَقَوْلُهُ لَكَذَا عِبَادَةَ لَهُ وَلِهَذَا جَمْعُ اللَّهِ بَيْنَهُمَا فِي
قَوْلِهِ { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } الْفَاتِحَةُ 5 وَأَيْضًا فَإِنَّهُ
سَبَّانُهُ حَرَمَ مَا ذَبَحَ عَلَى النِّصْبِ وَهِيَ كُلُّ مَا يَنْصِبُ لِيَعْبُدُ مِنْ
دُونِ اللَّهِ وَأَمَّا احْتِجاجُ أَحْمَدَ عَلَى هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى
{ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكُرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ } الْأَنْعَامُ 121 فَحِيثُ
اشْتَرَطَتِ التَّسْمِيَةُ فِي ذِبْحِهِ الْمُسْلِمُ هَلْ تَشْتَرِطُ فِي ذِبْحِهِ الْكَتَابِيِّ
عَلَى رَوَايَتِينَ وَإِنْ كَانَ الْخَلَالُ هُنَا قَدْ ذُكِرَ عَدْمُ الْاِشْتَرَاطِ
فَاحْتِجاجُهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ يَخْرُجُ عَلَى إِحْدَى الرَّوَايَتَيْنِ فَلَمَّا تَعَارَضَ
الْعُوَمُ الْحَاضِرُ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى { وَمَا أَهْلَ لَغَيْرِ اللَّهِ بِهِ
} المائدةُ 3 وَالْعُوَمُ الْمُبَيِّحُ وَهُوَ قَوْلُهُ { وَطَعَامُ الَّذِينَ أَوْتُوا
الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ } المائدةُ 5 اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي ذَلِكَ وَالْأَشْبَهُ
بِالْكِتَابِ وَالسَّنَةِ مَا دَلَّ عَلَيْهِ أَكْثَرُ كَلَامِ أَحْمَدَ مِنَ الْحَظْرِ وَإِنْ كَانَ
مِنْ مُتأخِّرِي أَصْحَابِنَا مَنْ لَا يَذْكُرُ هَذِهِ الرَّوَايَةَ بِحَالٍ وَذَلِكَ لِأَنَّ

عموم قوله تعالى { وَمَا أَهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ } المائدة 3 و { وَمَا ذُبَحَ عَلَى النُّصُبِ } المائدة 3 عموم محفوظ لم تخص منه صورة بخلاف طعام الذين أوتوا الكتاب فإنه يشترط له الذكاة المبيحة فلو ذكر الكتبي في غير المحل المشروع لم تبح ذكاته ولأن غاية الكتبي أن تكون ذكاته كالمسلم والمسلم لو ذبح لغير الله أو ذبح باسم غير الله لم يبح وإن كان يكفر بذلك فكذلك الذي لأن قوله تعالى { وَطَعَامُ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ } المائدة 5 سواء وهم وإن كانوا يستحلون هذا ونحن لا نستحله فليس كل ما استحلوه يحل لنا ولأنه قد تعارض دليلان حاضر ومبيح فالحاضر أولى أن يقدم ولأن الذبح لغير الله أو باسم غيره قد علمنا يقينا أنه ليس من دين الأنبياء عليهم السلام فهو من الشرك الذي أحدثوه فالمعنى الذي لأجله حلت ذبائحهم منتف في هذا والله تعالى أعلم فإن قيل أما إذا سموا عليه غير الله بأن يقولوا باسم المسيح ونحوه فتحريم ظاهر أما إذا لم يسموا أحدا ولكن قصدوا الذبح للمسيح أو للكوكب ونحوهما فما وجه تحريمها قيل قد تقدمت الإشارة إلى ذلك وهو أن الله سبحانه قد حرم ما ذبح على النصب وذلك يقتضي تحريمها وإن كان ذابحه كتابيا لأنه لو كان التحرير لكونه وثنيا لم يكن فرق بين ذبشه على النصب وغيرها ولأنه لما أباح لنا طعام أهل الكتاب دل على أن طعام المشركين حرام فتخصيص ما ذبح على الوثن يقتضي فائدة 366 جديدة

6-حكم التداوى

* فإن الناس قد تنازعوا في التداوى هل هو مباح أو مستحب أو واجب والتحقيق أن منه ما هو محرم ومنه ما هو مكروه ومنه ما هو مباح ومنه ما هو مستحب وقد يكون منه ما هو واجب وهو ما يعلم أنه يحصل به بقاء النفس لا بغيره كما يجب

366 اقتضاء الصراط ج: 1 ص: 253-255

أكل الميّة عند الضرورة فإنه واجب عند الأئمّة الأربع
وجمهور العلماء وقد قال مسروق من اضطر إلى أكل الميّة فلم
يأكل حتى مات دخل النار فقد يحصل أحياناً للإنسان إذا استحر
المرض ما إن لم ي تعالج معه مات والعلاج المعتمد تحصل معه
الحياة كالتجذية للضعف وكاستخراج الدم أحياناً³⁶⁷

7- أكل الميّة للمضطرب واجب عليه

* ان الله لما حرم الميّة والدم ولحم الخنزير وغيرها لم يبح ذلك
الا لمن اضطر اليها غير باع ولا عاد وفي آية أخرى { فَمَنْ
اضطُرَّ فِي مَحْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِأَثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }³⁶⁸
المائدة 3

* أن أكل الميّة للمضطرب واجب عليه في ظاهر مذهب الأئمّة
وغيرهم كما قال مسروق من اضطر إلى الميّة فلم يأكل حتى
مات دخل النار³⁶⁹

* قال تعالى { إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهْلَ
بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ } فَمَنْ اضطُرَّ غَيْرَ بَاغَ وَلَا عَادَ فَلَا إِثْمٌ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ } البقرة 173 قوله { غَيْرَ بَاغٍ } البقرة 173
حال من { اضطُرَّ } البقرة 173 فيجب أن يكون حال
اضطراره وأكله الذي يأكل فيه غير باع ولا عاد فإنه قال { فَلَا
إِثْمٌ عَلَيْهِ } البقرة 173 ومعلوم أن الإثم إنما ينفي عن الأكل
الذي هو الفعل لا عن نفس الحاجة إليه فمعنى الآية فمن اضطر
فأكل غير باع ولا عاد وهذا يبين أن المقصود أنه لا يبغي في
أكله ولا يتعدى والله تعالى يقرن بين البغي والعدوان فالبغي ما
جنسه ظلم والعدوان مجاوزة القدر المباح كما قرن بين الإثم

³⁶⁷ مجموع الفتاوى ج: 18 ص: 12

³⁶⁸ مجموع الفتاوى ج: 24 ص: 276

³⁶⁹ مجموع الفتاوى ج: 24 ص: 269 و مجموع الفتاوى ج: 21 ص: 563

والعدوان في قوله { وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبَرِّ وَالثَّقَوْيِ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدُوانِ } المائدة 2 فالإثم جنس الشر والعدوان مجازة القدر المباح فالبعي من جنس الإثم قال تعالى { وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعْدًا بَيْنَهُمْ } آل عمران 19 وقال تعالى { فَمَنْ خَافَ مِنْ مُؤْصَدٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمٌ عَلَيْهِ } البقرة 182 فإذا كان مع العمد وأما الجنف فهو الجنف عليهم بعدم وبغير عمد لكن قال كثير من المفسرين الجنف الخطأ والإثم العمد لأنه لما خص الإثم بالذكر وهو العمد بقى الداخل في الجنف الخطأ ولفظ العدوان من باب تعدى الحدود كما قال تعالى { تَلَاقَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ } البقرة 229 ونحو ذلك ومما يشبه هذا قوله { رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرَنَا } آل عمران 147 والإسراف مجازة الحد المباح وأما الذنوب فما كان جنسه شر وإثم ³⁷⁰

* فالضرورة بسبب محظور لا تستباح بها المحرمات بخلاف الضرورة التي هي بسبب غير محظور ³⁷¹

7-الخبائث جميعاً تباح للمضطر

فإن الخبائث جميعاً تباح للمضطر فله أن يأكل عند الضرورة الميتة والدم ولحم الخنزير وله أن يشرب عند الضرورة ما يرويه كالمياه النجسة والأبوال التي ترويه وإنما منعه أكثر الفقهاء عن شرب الخمر قالوا لأنها تزيده عطشا وأما التوضؤ بما الولوغ فلا يجوز عند جماهير العلماء بل يعدل عنه إلى التيمم ويجب على المضطر أن يأكل ويشرب ما يقيمه به نفسه فمن إضطر إلى الميتة أو الماء النجس فلم يشرب ولم يأكل حتى مات دخل النار

³⁷⁰ مجموع الفتاوى ج: 24 ص: 112

³⁷¹ مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 347

ولو وجد غيره مضطراً إلى ما معه من الماء الطيب أو النجس
فعليه أن يسقيه إياه ويعدل إلى التيم سواء كان عليه جنابة أو
حدث صغير ومن إغتسل وتوضأ وهناك مضطر من أهل الملة
أو الذمة أو دوابهم المعصومة فلم يسقه كان آثماً عاصياً والله أعلم

372

8- لم يوجب ما لا يستطيع ولم يحرم ما يضطر إليه

* قد أمر الله رسوله بأفعال واجبة ومستحبة وإن كان الواجب
مستحبًا وزيادة ونهاية عن أفعال محرمة أو مكرورة والدين هو
طاعته وطاعة رسوله وهو الدين والتقوى والبر والعمل الصالح
والشريعة والمناهج وإن كان بين هذه الأسماء فروق وكذلك حمد
أفعالاً هي الحسنات ووعد عليها وذم أفعالاً هي السيئات وأ وعد
عليها وقيد الأمور بالقدرة والاستطاعة والوسع والطاقة فقال
تعالى {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا أُسْتَطِعْتُمْ} التغابن 16 وقال تعالى {لَا
يُكَافِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ}
البقرة 286 وقال تعالى {وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقٌ فَلْيَنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ
لَا يُكَافِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا} الطلاق 7 وكل من الآيتين وإن
كانت عامة فسبب الأولى المحاسبة على ما في النفوس وهو من
جنس أعمال القلوب وسبب الثانية الاعطاء الواجب وقال
{لَيْسَ عَلَى الْمُضْعَفِاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَحِدُونَ
مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ} التوبة 91 وقد
ذكر في الصيام والاحرام والطهارة والصلوة والجهاد من هذا
أنواعاً وقال في المنهيات {فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرُ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ
رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} الأنعام 145 373

مجموع الفتاوى ج: 21 ص: 80-79³⁷²

مجموع الفتاوى ج: 20 ص: 50³⁷³

*سائر العبادات من الصلاه والجهاد وغير ذلك كل ذلك واجب مع القدرة فاما مع العجز فان الله لا يكلف نفسها إلا وسعها ولهذا أمر الله المصلى ان يتظاهر بالماء فان عدمه او خاف الضرر باستعماله لشدة البرد او جراحته او غير ذلك تيم صعيدها طيبا فمسح بوجهه ويديه منه وقال النبي لعمران بن حصين صل قائما فان لم تستطع فقاعدما فان لم تستطع فعلى جنب فقد أوجب الله فعل الصلاة في الوقت على اي حال امكن كما قال تعالى { حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا إِلَيْهِ فَإِنِّي {238} فَإِنْ خَفْتُمْ فَرَجَالًا أَوْ رُكُبًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلِمْتُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ }239 البقرة 238-239 فأوجب الله الصلاة على الامن والخائف والصحيح والمريض والغنى والفقير والمقيم والمسافر وحفظها على المسافر والخائف والمريض كما جاء به الكتاب والسنة وكذلك أوجب فيها واجبات من الطهارة والستارة واستقبال القبلة وأسقط ما يعجز عنه العبد من ذلك فلو انكسرت سفينة قوم او سلبهم المحاربون ثيابهم صلوا عراة بحسب أحوالهم وقام إمامهم وسطهم لثلا يرى الباقيون عورته ولو اشتبهت عليهم القبلة اجتهدوا في الاستدلال عليها فلو عميت الدلائل صلوا كيما امكنهم كما قد رو أنهم فعلوا ذلك فهكذا الجهاد والولايات وسائر أمور الدين وذلك كله في قوله تعالى { فَإِنَّمَا اللَّهُ مَا أَسْتَطَعْتُمْ } التغابن 16 وفي قول النبي إذا امرتكم بأمر فأنتوا منه ما استطعتم كما ان الله تعالى لما حرم المطاعم الخبيثة قال { فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادَ فَلَا إِنْ شَاءَ عَلَيْهِ } البقرة 173 وقال تعالى { وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ } الحج 78 وقال تعالى { مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِّنْ حَرَجٍ } المائدة 6 فلم يوجب مالا يستطيع ولم يحرم ما يضطر إليه إذا كانت الضرورة بغير معصية من العبد

قال النبي صلى الله عليه وسلم إذا أمرتكم بأمر فأنتما منه ما
استطعتم ³⁷⁴

الأعمال هي سبب في التواب والعقاب

* الأفعال هي سبب في التوب والعقاب فلو قال قائل إن الله أخرج آدم من الجنة بلا ذنب وأنه قدر ذلك أو قال إنه غفر لآدم بلا توبة وإنه علم ذلك كان هذا كذبا وبهتانا بخلاف ما إذا قال {فَلَقِيَ آدُمْ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ} البقرة 37 {فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْأَتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ ط 12} فإنه يكون صادقا في ذلك والله سبحانه علم ما يكون من آدم قبل أن يكون وهو عالم به بعد أن كان وكذلك كل ما أخبر به من قصص الأنبياء فإنه علم أنه أهلك نوح وعاد وثمود وفرعون ولوط ومدين وغيرهم بذنبهم وأنه نجى الأنبياء ومن إتبعهم بإيمانهم وتقواهم كما قال {فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكْرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخْذَنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَيْسٍ بِمَا كَانُوا يَعْسُقُونَ} الأعراف 165 وقال {فَكَلَّا أَخْذَنَا بِذَنْبِهِ فَمَنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمَنْهُمْ مَنْ أَخْذَنَهُ الصَّيْحَةُ وَمَنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَنَ وَمَنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنَّ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} العنكبوت 40 الآية و قال {ذَلِكَ جَزِيَّنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ} الأنعام 146 ³⁷⁵

مجموع الفتاوى ج: 28 ص: 389 و السياسة الشرعية ج: 1 ص: 136 ³⁷⁴

الحسنات سبب للتحليل دينا وكونا والسيئات سبب للتحريم دينا وكونا

* أن الحسنات سبب للتحليل دينا وكونا والسيئات سبب للتحريم دينا وكونا فان التحرير قد يكون حمية وقد يكون عقوبة والاحلال قد يكون سعة وقد يكون عقوبة وفتنه قال تعالى {لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعَمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَمْ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ } المائدة 93 الآية وهي بينة في الاصلاح والتقوى والاحسان موجبة لرفع الحرج وان المؤمن العامل الصالحات المحسن لا حرج عليه ولا جناح فيما طعم فان فيه عونا له وقوة على الايمان والعمل الصالح والاحسان ومن سواهم على الحرج والجناح لأن النعم إنما خلقها الله ليستعان بها على الطاعة والآية مدنية وهي من آخر ما نزل من القرآن وقال تعالى عن إبراهيم { وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ التَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ } البقرة 126 واما الطرف الآخر فقال تعالى وقال { وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمَنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقْرِ وَالْغَنَمِ حَرَمَنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلتُ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَابِيَا أَوِ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ 376 ذَلِكَ جَزِيَّنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ } الأنعام 146

* الايجاب والتحريم قد يكون نعمة وقد يكون عقوبة وقد يكون محنـة فالاول كايجاب الايمان والمعرفـة وتحريم الكفر والمنكر وهو الذى أثبتـه القائلون بالحسن والقبـح العقليـين والعقوبة قوله {فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمَنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ } النساء 160 وقولـه { وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمَنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقْرِ وَالْغَنَمِ حَرَمَنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلتُ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَابِيَا أَوِ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزِيَّنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ } الأنعام 146 وقولـه { وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ

³⁷⁶ مجموع الفتاوى ج: 20 ص: 154

عَلَيْهِمْ } الأعراف 157 فسماها آصارا وأغلالا والآصار في
 الإيجاب والأغلال في التحرير وقوبه } وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا اصْرًا
 كَمَا حَمَلْتُهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ
 } البقرة 286 ويشهد له قوله { وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ
 حَرَجٍ } الحج 78 وقوله { مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ
 } المائدة 6 فان هذا النفي العام ينفي كل ما يسمى حرجاً والحرج
 الضيق فما أوجب الله ما يضيق ولا حرم ما يضيق وضده السعة
 والحرج مثل الغل وهو الذي لا يمكنه الخروج منه مع حاجته إلى
 الخروج وأما المحنـة فمثل قوله { إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِكُمْ بِنَهَرٍ
 } البقرة 249 الآية ثم ذلك قد يكون بانزال الخطاب وهذا لا
 يكون الا في زمن الأنبياء وقد انقطع وقد يكون باظهار الخطاب
 لمن لم يكن سمعه ثم سمعه وقد يكون باعتقاد نزول الخطاب أو
 معناه وإن كان اعتقاداً مخطئاً لأن الحكم الظاهر تابع لاعتقاد
 المكلف فالتکلیف الشرعی إما أن يكون باطناً وظاهراً مثل
 الذي تيقن أنه منزل من عند الله وإما أن يكون ظاهراً مثل الذي
 يعتقد أن حكم الله هو الإيجاب أو التحرير إما اجتهاداً وإما تقليداً
 وإما جهلاً مركباً بأن نسب سبب بدل على ذلك ظاهراً دون ما
 يعارضه تکلیف ظاهر إذ المجتهد المخطئ مصيبة في الظاهر
 لما أمر به وهو مطيع في ذلك هذا من جهة الشرع وقد يكون من
 جهة الكون بأن يخلق سبحانه ما يقتضي وجود التحرير الثابت
 بالخطاب والوجوب الثابت بالخطاب قوله { وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقُرْيَةِ
 الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةً الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّيْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ
 يَوْمَ سَبَّتِهِمْ شُرَّاً وَيَوْمَ لَا يَسْبِئُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذِلِكَ تَبْلُو هُمْ بِمَا كَانُوا
 يَفْسُدُونَ } الأعراف 163 فأخبر أنه بلاهم بفسقهم حيث أتى
 بالحيتان يوم التحرير ومنعها يوم الاباحة كما يؤتى المحرم
 المبتلى بالصيام يوم إحرامه ولا يؤتى به يوم حلته أو يؤتى بمن

يعامله ربا ولا يؤتى بمن يعامله ببوا ^{ومن ذلك مجيء الاباحة}
والاسقاط نعمة وهذا كثير كقوله {الآن خَفَّ اللَّهُ عَنْكُمْ} الأنفال 66
وقد تقدم نظائرها ³⁷⁷

* والحرمات لا تكون سبباً محضاً للإكرام والإحسان بل هي
سبب للعقوبات إذا لم يتقووا الله تبارك وتعالى كما قال تعالى
{فَبِطْلِمِ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمَنَا عَلَيْهِمْ طَبَبَاتٍ أَحْلَتْ لَهُمْ}
النساء 160 وقال تعالى { وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمَنَا كُلَّ ذِي
ظُفَرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمَنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلتْ
ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَائِيَا أَوِ مَا اخْتَلَطَ بِعَظِيمٍ ذَلِكَ جَزِئِنَا هُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا
لَصَادِقُونَ } الأنعام 146 وكذلك ما ذكره تعالى في قصة البقرة
من كثرة سؤالهم وتوقفهم عن امتنال أمره كان سبباً لزيادة
الايجاب ومنه قوله تعالى { لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءِ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ
تَسْؤُكُمْ } المائدة 101 وحديث النبي إن أعظم المسلمين في
المسلمين جرما من سأله عن شيء لم يحرم فحرم من أجل مسألته
ولما سأله عن الحج أفي كل عام قال لا ولو قلت نعم لوجب
ولو وجوب لم تطيقه ذروني ما تركتم فإما هلك من كان قبلكم
بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا نهايتم عن شيء
فاجتنبوه وإذا أمرتكم بأمر فاتوا منه ما استطعتم ³⁷⁸

التحليل والتحريم لا يتعلق بإستطابة العرب ولا باستخبايثم

* من قال من العلماء أنه حرم على جميع المسلمين ما تستحبه
العرب وأحل لهم ما تستطيبيه فجمهور العلماء على خلاف هذا

³⁷⁷ مجموع الفتاوى ج: 20 ص: 199

³⁷⁸ مجموع الفتاوى ج: 32 ص: 88

القول كمالك وأبى حنيفة وأحمد وقدماء أصحابه ولكن الخرقى
وطائفة منهم وافقوا الشافعى على هذا القول وأما أحمد نفسه
فعامة نصوصه موافقة لقول جمهور العلماء وما كان عليه
الصحابة والتابعون أن التحليل والترحيم لا يتعلق بإستطابة
العرب ولا بإستخباتهم بل كانوا يستطيبون أشياء حرمتها الله كالدم
والميته والمنخقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وأكيلة السبع
وما أهل به لغير الله وكانوا بل خيارهم يكرهون أشياء لم يحرمتها
الله حتى لحم الصب كان النبى يكرهه وقال لم يكن بأرض
قومي فأجدنى أعاشه وقال مع هذا أنه ليس بمحرم وأكل
على مائدته وهو ينظر وقال فيه لا أكله ولا أحربه وقال
جمهور العلماء الطيبات التى أحلها الله ما كان نافعا لآكلة فى دينه
والخبيث ما كان ضارا له فى دينه وأصل الدين العدل الذى
بعث الله الرسل بإقامته فما أورث الآكل بغيا وظلما حرمه كما
حرم كل ذى ناب من السباع لأنها باغية عادية والغاذى شبيه
بالمغذى فإذا تولد اللحم منها صار فى الإنسان خلق البغي
والعدوان وكذلك الدم يجمع قوى النفس من الشهوة والغضب فإذا
إغتذى منه زادت شهوته وغضبه على المعتدل ولهذا لم يحرم
منه الا المسفوح بخلاف القليل فإنه لا يضر ولحم الخنزير
يورث عامة الأخلاق الخبيثة إذ كان أعظم الحيوان فى أكل كل
شىء لا يعاف شيئا والله لم يحرم على أمة محمد شيئا من
الطيبات وإنما حرم ذلك على أهل الكتاب كما قال تعالى {فَإِنَّمَا مِنَ الظَّنِّ
مَنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أَحْلَتْ لَهُمْ} النساء 160
وقال تعالى {وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ
وَالْغَنَمِ حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ شُحْوَمَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَابِيَا
أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظِيمٍ ذَلِكَ جَزِئُنَا هُمْ بِنَجْيِنِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ
} الأنعام 146 وأما المسلمون فلم يحرم عليهم الا الخبائث كالدم
المسفوح فاما غير المسفوح كالذى يكون فى العروق فلم يحرمه
بل ذكرت عائشة أنهم كانوا يضعون اللحم فى القدر فيرون آثار
الدم فى القدر ولهذا عفى جمهور الفقهاء عن الدم اليسير فى

البدن والثياب إذا كان غير مسروح وإذا عفى عنه في الأكل ففي
اللباس والحمل أولى أن يعفى عنه ³⁷⁹

الاحتاج بالقدر حجة باطلة داحضة

* هذا مقام يكثر فيه خوض النفوس فإن كثيرا من الناس إذا أمر بما يجب عليه تعلل بالقدرة وقال حتى يقدر الله لي ذلك أو يقدرنى الله على ذلك أو حتى يقضى الله ذلك وكذلك إذا نهي عن فعل ما حرم الله قال الله قضى على بذلك أي حيلة لي في هذا ونحو هذا الكلام

والاحتاج بالقدر حجة باطلة داحضة باتفاق كل ذي عقل ودين من جميع العالمين والمحتج به لا يقبل من غيره مثل هذه الحجة إذا احتج بها في ظلم ظلمه إيه أو ترك ما يجب عليه من حقوقه بل يطلب منه ما له عليه ويعاقبه على عدوانه عليه وإنما هو من جنس شبه السوفياتية التي تعرض في العلوم فكما أنك تعلم فسادها بالضرورة وإن كانت تعرض كثيرا لكثيرا من الناس حتى قد يشك في وجود نفسه وغير ذلك من المعارف الضرورية وكذلك هذا يعرض في الأعمال حتى يظن أنها شبهة في إسقاط الصدق والعدل الواجب وغير ذلك وإباحة الكذب والظلم وغير ذلك ولكن تعلم القلوب بالضرورة أن هذه شبهة باطلة ولهذا لا يقبلها أحد من أحد عند التحقيق ولا يحتاج بها أحد إلا مع عدم علمه بالحجة بما فعله فإذا كان معه علم بأن ما فعله هو المصلحة وهو المأمور به وهو الذي ينبغي فعله لم يحتاج بالقدر وكذلك إذا كان معه علم بأن الذي لم يفعله ليس عليه أن يفعله أو ليس بمصلحة أو ليس هو مأمورا به لم يحتاج بالقدر بل إذا كان متبعا لهواه بغير علم احتاج بالقدر ولهذا لما قال المشركون { لَوْ شَاءَ

الله مَا أَسْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ { الأنعام 148 } قال الله تعالى { قُلْ هُلْ عِنْدُكُمْ مَنْ عِلْمٌ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ } { 148 } قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهُدَاكُمْ أَجْمَعِينَ } { 149 } { الأنعام 148-149 } فإن هؤلاء المشركين يعلمون بفطرتهم وقولهم أن هذه الحجة داحضة باطلة فإن أحدهم لو ظلم الآخر في ماله أو فجر بامرأته أو قتل ولده أو كان مصرًا على الظلم فنهاه الناس عن ذلك فقال لو شاء الله لم أفعل هذا لم يقبلوا منه هذه الحجة ولا هو يقبلها من غيره وإنما يتحج بها المحتاج دفعاً لللوم بلا وجه فقال الله لهم هل عندكم من علم فتخرجوه لنا بأن هذا الشرك والتحريم من أمر الله وأنه مصلحة ينبغي فعله إن تتبعون إلا الظن فإنه لا علم عندكم بذلك إن تظنون ذلك إلا ظنا وإن أنتم إلا تخرصون تحزنون وتقترون فعمدتكم في نفس الأمر ظنك وخرسكم ليس عمدتكم في نفس الأمر كون الله شاء ذلك وقدره فإن مجرد المشيئة والقدر لا يكون عمة لأحد في الفعل ولا حجة لأحد على أحد ولا عذرا لأحد إذ الناس كلهم مشتركون في القدر فلو كان هذا حجة وعمة لم يحصل فرق بين العادل والظالم والصادق والكافر والعالم والجهل والبر والفاجر ولم يكن فرق بين ما يصلح الناس من الأعمال وما يفسدهم وما ينفعهم وما يضرهم وهؤلاء المشركون المحتجون بالقدر على ترك ما أرسل الله به رسالته من توحيده والإيمان به لو احتج به بعضهم على بعض في إسقاط حقوقه ومخالفة أمره لم يقبله منه بل كان هؤلاء المشركون يذم بعضهم ببعضًا ويعادي بعضهم البعض ويقاتل بعضهم ببعضًا على فعل ما يرون أنه ترك حقهم أو ظلمًا فلما جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوهم إلى حق الله على عباده وطاعة أمره احتجوا بالقدر فصاروا يحتجون بالقدر على ترك حق ربهم ومخالفة أمره بما لا يقبلونه من ترك حقهم وخالف أمرهم وفي الصحيحين عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له يا معاذ أتدرى ما حق الله على عباده حقه

على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً أتدرى ما حق العباد
 على الله إذا فعلوا ذلك حقهم عليه أن لا يعذبهم فالاحتاج
 بالقدر حال أهل الجاهلية الذين لا علم عندهم بما يفعلون
 ويتركون إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون وهم إنما
 يحتجون به في ترك حق ربهم ومخالفة أمره لا في ترك ما
 يرونه حقاً لهم ولا في مخالفة أمرهم ولهذا تجد كثيراً من
 المحتجين به والمستدين إليه من النساك والصوفية والقراء
 وال العامة والجند والفقهاء وغيرهم يفرون إليه عند اتباع الظن وما
 تهوى الأنفس فلو كان معهم علم وهدى لم يحتجوا بالقدر أصلاً
 بل يعتمدون عليه لعدم الهدى والعلم وهذا أصل شريف من
 اعتنی به علم منشأ الضلال والغى لكثير من الناس ولهذا تجد
 المشايخ والصالحين المتبعين للأمر والنهي كثيراً ما يوصون
 أتباعهم باتباع العلم والشرع لأنه كثيراً ما يعرض لهم إرادات في
 أشياء ومحبة لها فيتبعون فيها أهواءهم ظانين أنها دين الله وليس
 معهم إلا الظن والذوق والوجد الذي يرجع إلى محبة النفس
 وإرادتها فيحتجون تارة بالقدر وتارة بالظن والخرص وهم
 متبعون أهواءهم في الحقيقة فإذا اتبعوا العلم وهو ماجاء به
 الشارع صلى الله عليه وسلم خرجوا عن الظن وما تهوى الأنفس
 واتبعوا ما ماجاءهم من ربهم وهو الهدى كما قال تعالى {
 فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِّنِي هُدًى فَمَنْ اتَّبَعَ هُدًىي فَلَا يَضُلُّ وَلَا يَسْقُى}
 طه 123 وقد ذكر الله تعالى هذا المعنى عن المشركين في
 سورة الأنعام والنحل والزخرف كما قال تعالى {وَقَالُوا لَوْ شاء
 الرَّحْمَنُ مَا عَبَدَنَا هُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ}
 الزخرف 20 وبين أنه لا علم لهم بذلك إن هم إلا يخرصون
 وقال في سورة الأنعام {فَلَئِلَهُ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ} الأنعام 149 أي
 بإرسال الرسل وإنزال الكتب كما قال تعالى {لَلَّا يَكُونُ لِلنَّاسِ
 عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا} النساء 165 ثم
 أثبت القدر بقوله {فَلَوْ شَاءَ لَهُدَاءُكُمْ أَجْمَعِينَ} الأنعام 149 فأثبتت
 الحجة الشرعية وبين المشيئة القدريّة وكلاهما حق وقال في

النحل {وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آباؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ} النحل 35

بين سبحانه أن هذا الكلام تكذيب للرسل فيما جاؤهم به ليس حجة لهم فإن هذا لو كان حجة لاحتج به على تكذيب كل صدق وفعل كل ظلم ففي فطرةبني آدم أنه ليس حجة صحيحة بل من احتاج به احتاج لعدم العلم واتباع الظن ك فعل الذين كذبوا الرسل بهذه المدافعة بل الحجة البالغة لله بإرسال الرسل وإنزال الكتب كما ثبت في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا أحد أحب إليه العذر من الله من أجل ذلك مدح نفسه ولا أحد غير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن في بين أنه سبحانه يحب أن يمدح وأن يعذر ويبغض الفواحش فيحب أن يمدح بالعدل والإحسان وأن لا يوصف بالظلم ومن المعلوم أنه من تقدم إلى أتباعه بأن افعلوا كذا ولا تفعلو كذا وبين لهم وأزاح عنهم ثم تعدوا حدوده وأفسدوا أمره كان له أن يعذبهم وينتقم منهم فإذا قالوا أليس الله قادر علينا هذا لو شاء الله ما فعلنا هذا قيل لهم أنتم لا حجة لكم ولا عندكم ما تعذرون به وبين أن ما فعلتموه كان حسنا أو كنتم معذورين فيه فهذا الكلام غير مقبول منكم وقد قامت الحجة عليكم بما تقدم من البيان والإعذار ولو أن ولی الأمر أعطى قوما مالا ليوصلوه إلى بلد آخر فسافروا به وتركوه في البرية ليس عنده أحد وباتوا في مكان بعيد منه وكان ولی الأمر قد أرسل جندا له يغزون بعض الأعداء فاجتازوا تلك الطريق فرأوا ذلك المال فظنوه لقطة ليس له أحد فأخذوه وذهبوا لكان يحسن منه أن يعاقب الأولين على تفريطهم وتضييعهم حفظ ما أمرهم بحفظه ولو قالوا له أنت لم تعلمنا أنك تبعث خلفنا جندا حتى نحرز المال منهم قال لهم هذا لا يجب على ولو فعلته لكان زيادة إعانة لكم لكن كان عليكم أن تحفظوا ذلك كما تحفظ الودائع والأمانات وكانت حجته عليهم قائمة ولم يكن إن عاقبهم ظالما وإن كان لم يعنهم بالإعلام بذلك

الجند لكن عمل المصلحة في إرسال الأولين والآخرين والله تعالى وله المثل الأعلى حكيم عدل في كل ما يفعله ولا يخرج شيء عن مشيئته وقدرته فإذا أمر الناس بحفظ الحدود وإقامة الفرائض لمصلحتهم كان ذلك من إحسانه إليهم وتعريفهم ما ينفعهم وإذا خلق أمورا أخرى فإذا فرطوا واعتدوا بسبب خلقه لأمور أخرى أوجبت الضرر الحاصل من تفريطهم وعدوانهم وكان له في خلق المخلوق الثاني حكمة ومصلحة أخرى كان عادلا حكيمًا في خلق هذا وخلق هذا والأمر بهذا وإن كان لم يمد الأولين بزيادة يحترسون بها من التفريط والعداون لا سيما مع علمه بأن تلك الزيادة لو خلقها للزم منها تقوية مصلحة أرجح منها فإن الضدين لا يجتمعان والمقصود هنا أنه لا يحتاج أحد بالقدر إلا حجة تعليل لعدم اتباع الحق الذي بينه العلم فإن الإنسان هي حساس متتحرك بالإرادة ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم أصدق الأسماء الحارت وهمام فالحارث الكاسب العامل والهمام الكثير لهم والهمم مبدأ الإرادة والقصد وكل إنسان حارت همام وهو المتتحرك بالإرادة وذلك لا يكون إلا بعد الحس والشعور فإن الإرادة مسبوقة بالشعور بالمراد فلا يتصور إرادة ولا حب ولا شوق ولا اختيار ولا طلب إلا بعد الشعور وما هو من جنسه كالحس والعلم والسمع والبصر والشم والذوق واللمس ونحو هذه الأمور فهذا الإدراك والشعور هو مقدمة الإرادة والحب والطلب والحي مفظور على حب ما يلائمه وينفعه وبغض ما يكرهه ويضره فإذا تصور شيء الملائم النافع أراده وأحبه وإذا تصور شيء الضار أبغضه ونفر عنه لكن ذلك التصور قد يكون علما وقد يكون ظنا وخرصا فإذا كان عالماً بأن مراده هو النافع وهو المصلحة وهو الذي يلائمه كان على الهدى والحق وإذا لم يكن معه علم بذلك كان متبعاً للظن وما تهوى نفسه فإذا جاءه العلم والبيان بأن هذا ليس مصلحة أخذ يتحجج بالقدر حجة لدد وتعريف عن الحق لا

حجـة اعـتمـاد عـلـى الـحـق وـالـعـلـم فـلا يـحـتـج أحـد فـي باـطـنـه أو ظـاهـرـه
بـالـقـدـر إـلـا لـعـدـم الـعـلـم بـأـن مـا هـو عـلـيـه هـو الـحـق³⁸⁰

*وليس في القدر حجة لابن آدم ولا عذر بل القدر يؤمن به ولا يحتاج به والمحتج بالقدر فاسد العقل والدين متناقض فإن القدر إن كان حجة وعدراً لزم أن لا يلام أحد ولا يعاقب ولا يقتص منه وحينئذ فهذا المحتج بالقدر يلزمـه إذا ظلمـ في نفسه ومـالـه وعـرضـه وحرمتـه أن لا ينتـصر من الظـالمـ ولا يغـضـبـ عليهـ ولا يـذـمـهـ وهذا أمر ممـتنـع فـي الطـبـيعـة لا يمكنـ أحدـ أن يـفـعـلـهـ فهوـ مـمـتنـعـ طـبـعاـ
محـرمـ شـرـعاـ ولوـ كانـ الـقـدـرـ حـجـةـ وـعـدـراـ لمـ يـكـنـ اـبـلـيـسـ مـلـوـماـ
وـلـاـ مـعـاقـبـاـ وـلـاـ فـرـعـونـ وـقـوـمـ نـوـحـ وـعـادـ وـثـمـودـ وـغـيـرـهـ مـنـ الـكـفـارـ
وـلـاـ كـانـ جـهـادـ الـكـفـارـ جـائـزاـ وـلـاـ اـقـامـةـ الـحـدـودـ جـائـزاـ وـلـاـ قـطـعـ
الـسـارـقـ وـلـاـ جـلـدـ الـزـانـىـ وـلـاـ رـجـمـهـ وـلـاـ قـتـلـ الـقـاتـلـ وـلـاـ عـقـوبـةـ مـعـتـدـ
بـوـجـهـ مـنـ الـوـجـوهـ وـلـمـ كـانـ الإـحـتـاجـ بـالـقـدـرـ بـاطـلـاـ فـيـ فـطـرـ
الـخـلـقـ وـعـقـولـهـ لـمـ تـذـهـبـ إـلـيـهـ أـمـةـ مـنـ الـأـمـمـ وـلـاـ هـوـ مـذـهـبـ أحـدـ مـنـ
الـعـقـلـاءـ الـذـينـ يـطـرـدـونـ قـوـلـهـمـ فـإـنـهـ لـاـ يـسـتـقـيمـ عـلـيـهـ مـصـلـحةـ أحـدـ لـاـ
فـيـ دـنـيـاهـ وـلـاـ آخـرـتـهـ وـلـاـ يـمـكـنـ اـثـنـانـ أـنـ يـتـعـاشـرـاـ سـاعـةـ وـاحـدةـ إـنـ لـمـ
يـكـنـ أحـدـهـماـ مـلـزـمـاـ مـعـ الـآخـرـ نـوـعـاـ مـنـ الشـرـعـ فـالـشـرـعـ نـورـ اللهـ
فـيـ أـرـضـهـ وـعـدـلـهـ بـيـنـ عـبـادـهـ لـكـنـ الشـرـائـعـ تـتـنـوـعـ فـتـارـةـ تـكـونـ
مـنـزـلـةـ مـنـ عـنـ اللهـ كـمـاـ جـاءـتـ بـهـ الرـسـلـ وـتـارـةـ لـاـ تـكـونـ كـذـلـكـ ثـمـ
الـمـنـزـلـةـ تـارـةـ تـبـدـلـ وـتـغـيـرـ كـمـاـ غـيرـ أـهـلـ الـكـتـابـ شـرـائـعـهـ وـتـارـةـ لـاـ
تـغـيـرـ وـلـاـ تـبـدـلـ وـتـارـةـ يـدـخـلـ النـسـخـ فـيـ بـعـضـهـاـ وـتـارـةـ لـاـ يـدـخـلـ
وـأـمـاـ الـقـدـرـ فـإـنـهـ لـاـ يـحـتـجـ بـهـ أحـدـ إـلـاـ عـنـ اـتـبـاعـ هـوـاهـ فـاـذـاـ فـعـلـ
مـحـرـمـاـ بـمـجـرـدـ هـوـاهـ وـذـوقـهـ وـوـجـدـهـ مـنـ غـيرـ أـنـ يـكـونـ لـهـ عـلـمـ
بـحـسـنـ الـفـعـلـ وـمـصـلـحـتـهـ اـسـتـنـدـ إـلـىـ الـقـدـرـ كـمـاـ قـالـ الـمـشـرـكـونـ {لـوـ
شـاءـ اللهـ مـاـ أـشـرـكـنـاـ وـلـاـ أـبـأـوـنـاـ وـلـاـ حـرـمـنـاـ مـنـ شـيـءـ}ـ الـأـنـعـامـ 148

³⁸⁰ منهاج السنة النبوية ج: 3 ص: 64-54 و الاستقامة ج: 2 ص: 30

قال الله تعالى رادا عليهم { كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ
ذَاقُوا بِأَسْنَانَ قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا
الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ } 148 { قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ
شَاءَ لَهُدَاكُمْ أَجْمَعِينَ } 149 { الأَنْعَامُ 148-149 } فيبين أنهم ليس

عندهم علم بما كانوا عليه من الدين وإنما يتبعون الظن
والقوم لم يكونوا من يسوغ لكل أحد الاحتجاج بالقدر فانه لو
خرب أحد الكعبة أو شتم ابراهيم الخليل أو طعن في دينهم لعادوه
وآذوه كيف وقد عادوا النبى صلى الله عليه وسلم على ما جاء به
من الدين وما فعله هو أيضا من المقدور فلو كان الاحتجاج
بالقدر حجة لكان النبى وأصحابه فان كل ما يحدث فى
الوجود فهو مقدر فالمحق والمبطل يشتراكان فى الاحتجاج بالقدر
إن كان الاحتجاج به صحيحا ولكن كانوا يتعمدون على ما
يعتقدونه من جنس دينهم وهم فى ذلك يتبعون الظن ليس لهم به
علم بل هم يخرصون ³⁸¹

* قسم من الناس يشهدون ربوبية الحق وافتقارهم اليه
ويستعينون به لكن على اهوائهم وادواقهم غير ناظرين الى حقيقة
امر ونهيه ورضاه وغضبه ومحبته وهذا حال كثير من المتفقرة
والمتتصوفة ولهاذا كثيرا ما يعملون على الاحوال التي يتصرفون
بها فى الوجود ولا يقصدون ما يرضى الرب ويحبه وكثيرا ما
يغلطون فيظنون ان معصيته هي مرضاته فيعودون الى تعطيل
الامر والنهي ويسمون هذا حقيقة ويظنون ان هذه الحقيقة القدرية
يجب الاسترسال معها دون مراعاة الحقيقة الامرية الدينية التي
هي تحوى مرضاه الرب ومحبته وامر ونهيه ظاهرا وباطنا
وهو لاء كثيرا ما يسلبون احوالهم وقد يعودون الى نوع من
المعاصي والفسق بل كثير منهم يرتد عن الاسلام لأن العاقبة
للنتقوى ومن لم يقف عند امر الله ونهيه فليس من المتقيين فهم

³⁸¹ مجموع الفتاوى ج: 2 ص: 324

يَقُولُونَ فِي بَعْضِ مَا وَقَعَ الْمُشْرِكُونَ فِيهِ تَارِةً بِدُعَةٍ يَظْنُونَهَا شَرِيعَةٍ وَتَارَةً فِي الْإِحْتِاجَاجِ بِالْقَدْرِ عَلَى الْأَمْرِ وَاللَّهُ تَعَالَى لَمَّا ذَكَرَ مَا ذَمَّ بِهِ الْمُشْرِكُينَ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ وَالْأَعْرَافِ ذَكَرَ مَا ابْتَدَعُوهُ مِنَ الدِّينِ وَجَعَلُوهُ شَرِيعَةً كَمَا قَالَ تَعَالَى {وَإِذَا فَعَلُوا فَاحْشَأْتَهُمْ قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءُنَا وَاللَّهُ أَمْرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَنْقُوْلُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} الْأَعْرَافُ 28 وَقَدْ ذَمَّهُمْ عَلَى أَنْ حَرَمُوا مَالَمْ يَحْرِمَهُ اللَّهُ وَانْ شَرَعُوا مَالَمْ يَشَرِّعَهُ اللَّهُ وَذَكَرَ احْتِجاجَهُمْ بِالْقَدْرِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى {سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمَنَا مِنْ شَيْءٍ} الْأَنْعَامُ 148 وَنَظِيرُهَا فِي النَّحْلِ وَيُسَ وَالْزَّخْرَفِ وَهُؤُلَاءِ يَكُونُ فِيهِمْ شَبَهٌ مِنْ هَذَا وَهَذَا ³⁸²

اصل ضلال من ضل هو بتقديم قياسه على النص المنزل من عند الله

*وَامَّا الْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ عَوَامُهُمْ وَخُواصُهُمُ الَّذِينَ هُمْ اهْلُ الْكِتَابِ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ اَنَّ اللَّهَ اَهْلِيْنَ مِنَ النَّاسِ قِيلَ مِنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ اَهْلُ الْقُرْآنِ هُمْ اَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَتَهُ فَهُؤُلَاءِ يَعْلَمُونَ اَنَّ اللَّهَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِكُهُ وَخَالِقُهُ وَانَّ الْخَالِقَ سَبَّحَهُ مِبَيْنِ الْمُخْلُوقِ لَيْسَ هُوَ حَالًا فِيهِ وَلَا مَتَحْداً بِهِ وَلَا وَجُودَهُ وَجُودُهُ وَالنَّصَارَىيُّ كَفَرُهُمْ بِأَنَّ قَالُوا بِالْحُلُولِ وَالْإِتْحَادِ بِالْمَسِيحِ خَاصَّةً فَكِيفُ مِنْ جَعْلِ ذَلِكَ عَامًا فِي كُلِّ مُخْلُوقٍ وَيَعْلَمُونَ مَعَ ذَلِكَ اَنَّ اللَّهَ اَمْرَ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةَ رَسُولِهِ وَنَهَى عَنِ مُعْصِيَتِهِ وَمُعْصِيَةِ رَسُولِهِ وَانَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ وَلَا يَرْضِي لِعَبَادَهُ الْكُفَرَ

³⁸² مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 33-34 و أمراض القلوب ج: 1 ص: 51 و التحفة العراقية ج: 1 ص: 51

وان على الخلق ان يعبدوه فيطبعوا امره ويستعينوا به على ذلك
كما قال {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} الفاتحة 5 ومن عبادته
وطاعته الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحسب الامكان
والجهاد في سبيله لاهل الكفر والنفاق فيجتهدون في اقامة دينه
مستعينين به دافعين مزيلين بذلك ما قدر من السيئات دافعين بذلك
ما قد يخاف من ذلك كما يزيل الانسان الجوع الحاضر بالأكل
ويدفع به الجوع المستقبل وكذلك اذا آن او ان البرد دفعه باللباس
وكذلك كل مطلوب يدفع به مكروره كما قالوا للنبي يا رسول
الله ارأيت ادوية نتداوی بها ورقى نسترقى بها وتقاة نتقى بها هل
ترد من قدر الله شيئاً فقال هي من قدر الله وفي الحديث ان
الدعاء والبلاء ليلتقيان فيعتلجان بين السماء والارض فهذا
حال المؤمنين بالله ورسوله العابدين الله وكل ذلك من العبادة
وهو لاء الذين يشهدون **الحقيقة الكونية** وهي ربوبيته تعالى
لكل شيء و يجعلون ذلك مانعاً من اتباع امره الدينى الشرعي
على مراتب في الضلال فغلاتهم يجعلون ذلك مطلاقاً عاماً
فيحتاجون بالقدر في كل ما يخالفون فيه الشيعة وقول هؤلاء شر
من قول اليهود والنصارى وهو من جنس قول المشركين الذين
قالوا {لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكَنَا وَلَاَ أَبَاوْنَا وَلَاَ حَرَّمَنَا مِنْ شَيْءٍ}
الأنعام 148 وقالوا {لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَا هُمْ}
{الزخرف 20} وهؤلاء من اعظم اهل الارض تناقضاً بل كل
من احتج بالقدر فانه متناقض فانه لا يمكن ان يقر كل ادمى على
ما فعل فلا بد اذا ظلمه ظالم او ظلم الناس ظالم وسعى في
الارض بالفساد واخذ يسفك دماء الناس ويستحل الفروج ويهالك
الحرث والنسل ونحو ذلك من انواع الضرر التي لا قوام للناس
بها ان يدفع هذا القدر وان يعاقب الظالم بما يکف عداون امثاله
يقال له ان كان القدر حجة فدع كل احد يفعل ما يشاء بك وبغيرك
وان لم يكن حجة بطل اصل قوله حجة واصحاب هذا القول
الذين يحتاجون بالحقيقة الكونية لا يطردون هذا القول ولا
يلتزمونه وانما هم بحسب آرائهم واهوائهم كما قال فيهم بعض

العلماء انت عند الطاعة قدرى وعند المعصية جبرى اى مذهب وافق هو اك تمذهبت به و منهم صنف يدعون التحقيق والمعرفة فيز عمون ان الامر والنهى لازم لمن شهد لنفسه فعلاً واثبت له صنعا اما من شهدا أن افعالة مخلوقة او انه مجبور على ذلك وان الله هو المتصرف فيه كما تحركسائر المتحرکات فانه يرتفع عنہ الأمر والنهى والوعد والوعيد وقد يقولون من شهد الارادة سقط عنہ التکلیف ويزعم احدهم ان الخضر سقط عنہ التکلیف لشهودة الارادة فهو لا يفرق بين العامة والخاصة الذين شهدوا الحقيقة الكونية فشهادا ان الله خالق افعال العباد وانه يدبر جميع الكائنات وقد يفرقون بين من يعلم ذلك علما وبين من يرا شهودا فلا يسقطون التکلیف عنمن يؤمن بذلك ويعلمه فقط ولكن عنمن يشهدة فلا يرى لنفسة فعلاً أصلأ وهؤلاء لا يجعلون الجبر وإثبات القدر مانعا من التکلیف على هذا الوجه وقد وقع في هذا طوائف من المنتسبين إلى التحقيق والمعرفة والتوحيد وسبب ذلك أنه ضاق نطاقهم عن كون العبد يؤمر بما يقدر عليه خلافة كما ضاق نطاق المعتزلة ونحوهم من القدرة عن ذلك ثم المعتزلة اثبتت الامر والنهى الشرعيين دون القضاء والقدر الذي هو إرادة الله العامة وخلقته لأفعال العباد وهؤلاء اثبتو القضاء والقدر ونفوا الأمر والنهى في حق من شهد القدر إذا لم يمكنهم نفي ذلك مطلقاً وقول هؤلاء شر من قوله المعتزلة ولهذا لم يكن في السلف من هؤلاء احد وهؤلاء يجعلون الامر والنهى للمحظيين الذين لم يشهدوا هذه الحقيقة الكونية ولهذا يجعلون من وصل إلى شهود هذه الحقيقة يسقط عنہ الامر والنهى وصار من الخاصة وربما تأولوا على ذلك قوله تعالى {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ} الحجر 99 وجعلوا اليقين هو معرفة هذه الحقيقة وقول هؤلاء كفر صريح وان وقع فيه طوائف لم يعلموا انه كفر فانه قد علم بالاضطرار من دين الاسلام ان الامر والنهى لازم لكل عبد ما دام عقله حاضرا الى ان يموت لا يسقط عنہ الامر والنهى لا

بشهوده القدر ولا بغير ذلك فمن لم يعرف ذلك عرفه وبين له فإن اصر على اعتقاد سقوط الأمر والنهي فانه يقتل وقد كثرت مثل هذه المقالات في المستأجرين وأما المستقدمون من هذه الأمة فلم تكن هذه المقالات معروفة فيهم وهذه المقالات هي محايدة لله ورسوله ومعاداة له وصد عن سبيله ومشافة له وتذميب لرسله ومضادة له في حكمه وإن كان من يقول هذه المقالات قد يجهل ذلك ويعتقد أن هذا الذي هو عليه هو طريق الرسول وطريق أولياء الله المحققين فهو في ذلك منزلة من يعتقد أن الصلاة لا تجب عليه لاستغنائه عنها بما حصل له من الأحوال القلبية أو ان الخمر حلال له لكونه من الخواص الذين لا يضرهم شرب الخمر او ان الفاحشة حلال له لأنه صار كالبحر لا تدركه الذنوب ونحو ذلك ولا ريب ان المشركين الذين كذبوا الرسل يتددون بين البدعة المخالفة لشرع الله وبين الاحتجاج بالقدر على مخالفة امر الله فهو لاء الأصناف فيهم شبه من المشركين اما ان يبتعدوا واما ان يتحجوا بالقدر واما ان يجمعوا بين الأمراء كما قال تعالى عن المشركين {وَإِذَا فَعَلُواْ فَاحشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءُنَا وَاللهُ أَمْرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} الأعراف 28 وكما قال تعالى عنهم {وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاءَ اللهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمَنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ} النحل 35 وقد ذكر عن المشركين ما ابتدعوه من الدين الذي فيه تحليل الحرام والعبادة التي لم يشر إليها الله بمثل قوله تعالى وَقَالُواْ هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعُمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءَ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرْمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللهِ عَلَيْهَا افْتَرَاءَ عَلَيْهِ } الأنعام 138 إلى آخر السورة وكذلك في سورة الأعراف في قوله {يَا بَنِي آدَمَ لَا يَقْتِنُنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبْوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ } الأعراف 27 إلى قوله {وَإِذَا فَعَلُواْ فَاحشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءُنَا وَاللهُ أَمْرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ } الأعراف 28 إلى قوله {قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُواْ وُجُوهُكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ

{ الأعراف 29 إلى قوله } وَكُلُوا وَأْشِرِبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُ الْمُسْرِفِينَ { 31 } قُلْ مَنْ حَرَمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنِ الرِّزْقِ { 32 } الأعراف 31-32 إلى قوله } قُلْ إِنَّمَا حَرَمَ رَبِّيِ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمُ وَالْبَغْيُ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ { الأعراف 33 } وهو لاء قد يسمون ما احدثوه من البدع حقيقة كما يسمون ما يشهدون من القدر حقيقة وطريق الحقيقة عندهم هو السلوك الذي لا يتقيد صاحبه بأمر الشارع ونهيه ولكن بما يراه ويذوقه ويجده ونحو ذلك

وهو لاء لا يحتاجون بالقدر مطلقا بل عمدتهم اتباع آرائهم واهوائهم وجعلهم لما يرون ويهوونه حقيقة وامرهم باتباعها دون اتباع امر الله ورسوله نظير بدع اهل الكلام من الجهمية وغيرهم الذين يجعلون ما ابتدعوه من الاقوال المخالفة للكتاب والسنة

حقائق عقلية يجب اعتمادها دون ما دلت عليه السمعيات ثم الكتاب والسنة اما ان يحرفوه عن مواضعه واما ان يعرضوا عنه بالكلية فلا يتذمرون ولا يعقلونه بل يقولون نفرض معناه الى الله مع اعتقادهم نقىض مدلوله واذا حق على هؤلاء ما يزعمونه من العقليات المخالفة للكتاب والسنة وجدت جهليات واعتقادات فاسدة وكذلك اولئك اذا حق عليهم ما يزعمونه من حقائق اولياء الله المخالفة للكتاب والسنة وجدت من الاهواء التي يتبعها اعداء الله لا اولياؤه واصل ضلال من ضل هو بتقديم قياسه على النص المنزلي من عند الله و اختياره الهوى على اتباع امر الله فإن الذوق واللوج ونحو ذلك هو بحسب ما يحبه العبد فكل محب له ذوق ووجد بحسب محبته فأهل الایمان لهم من الذوق واللوج مثل ما بينه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله في الحديث الصحيح ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الایمان من كان الله ورسوله احب اليه مما سواهما ومن كان يحب المرء لا يحبه الا الله ومن كان يكره ان يرجع في الكفر بعد اذا انقضه الله منه كما يكره ان يلقي في النار وقال في الحديث الصحيح ذاق طعم الایمان من

رضى بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا وأما أهل الكفر والبدع والشهوات فكل بحسبه قيل لسفيان بن عيينة ما بال أهل الأهواء لهم محبة شديدة لا هوايهم فقال أنسية قوله تعالى {وَأَشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلُ بِكُفْرِهِمْ} البقرة 93 أو نحو هذا من الكلام فعبد الاصنام يحبون الالهتهم كما قال تعالى {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحْبَ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُ حُبًّا لِّهِ} البقرة 165 وقال {فَإِنْ لَمْ يَسْتَحِيُّوا لَكَ فَاعْلُمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ} القصص 50 وقال {إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظُّنُنُ وَمَا تَهْوِي الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِّنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى} النجم 23 ولهذا يميل هؤلاء الى سماع الشعر والأصوات التي تهيج المحبة المطلقة التي لا تختص بأهل الایمان بل يشترك فيها محب الرحمن ومحب الاوثان ومحب الصليبان ومحب الاوطان ومحب الاخوان ومحب المردان ومحب النساء وهؤلاء الذين يتبعون أدواقهم ومواجدهم من غير اعتبار لذلك بالكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة فالمخالف لما بعث به رسوله من عبادته وطاعته وطاعة رسوله لا يكون متبعا لدين شرعه الله كما قال تعالى {ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} 18 {إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا} 19 {الجاثية 18-19 الى قوله {وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ} الجاثية 19} بل يكون متبعا لهواه بغير هدى من الله قال تعالى {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءَ شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْدِنَ بِهِ اللَّهُ} 21 وهم فى ذلك تارة يكونون على بدعة يسمونها حقيقة يقدمونها على ما شرعه الله وتارة يحتاجون بالقدر الكونى على الشريعة كما أخبر الله به عن المشركين كما تقدم ومن هؤلاء طائفة هم اعلام قدوا وهم مستمسكون بالدين فى اداء الفرائض المشهوره واجتناب المحرمات المشهوره لكن يغلطون فى ترك ما امرنا به من الاسباب التي هي عبادة ظانين ان العارف اذا شهد القدر اعرض عن ذلك مثل من يجعل التوكل منهم او الدعاء ونحو ذلك من مقامات العامة دون

الخاصة بناء على ان من شهد القدر علم ان ما قدر سيكون فلا
 حاجة الى ذلك وهذا غلط عظيم فان الله قدر الاشياء بأسبابها كما
 قدر السعادة والشقاوة بأسبابها كما قال النبي صلى الله عليه وسلم
 ان الله خلق للجنة اهلا خلقها لهم وهم في اصلاح آبائهم وبعمل
 اهل الجنة يعملون وكما قال النبي لما أخبرهم بان الله كتب
 المقادير فقالوا يا رسول الله افلا ندع العمل ونتكل على الكتاب
 فقال لا اعملوا فكل ميسرا لما خلق له اما من كان من اهل السعادة
 فسيسر لعمل اهل السعادة واما من كان من اهل الشقاوة فسيسر
 لعمل اهل الشقاوة فما امر الله به عباده من الأسباب فهو عبادة
 والتوكل مقرن بالعبادة كما في قوله تعالى { فَاعْبُدُهُ وَتَوَكَّلْ
 عَلَيْهِ } هود 123 وفي قوله { قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ
 تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ } الرعد 30 وقول شعيب عليه السلام {
 عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ } هود 88 ومنهم طائفة قد تترك
 المستحبات من الاعمال دون الواجبات فتنقص بقدر ذلك
 ومنهم طائفة يغترون بما يحصل لهم من خرق عادة مثل مكافحة
 او استجابة دعوة مخالفة للعادة العامة ونحو ذلك فيشتغل احدهم
 بما امر به من العبادة والشكر ونحو ذلك فهذه الأمور
 ونحوها كثيرا ما تعرض لأهل السلوك والتوجه وانما ينجو العبد
 منها بمخالفة امر الله الذي بعث به رسوله في كل وقت كما قال
 الزهري كان من مضى من سلفنا يقولون الاعتصام بالسنة نجاة
 وذلك ان السنة كما قال مالك رحمة الله مثل سفينه نوح من ركبها
 نجا ومن تخلف عنها غرق³⁸³

* والمحبة المحمودة هي المحبة النافعة وهي التي تجلب
 لصاحبها ما ينفعه وهو السعادة والضارة هي التي تجلب
 لصاحبها ما يضره وهو الشقاء ومعلوم أن الحي العالم لا

يختار أن يحب ما يضره لكن يكون ذلك عن جهل وظلم فإن النفس قد تهوي ما يضرها ولا ينفعها وذلك ظلم منها لها وقد تكون جاهلة بحالها به بأن تهوي الشيء وتحبه بلا علم منها بما في محبته من المنفعة والمضررة وتتبع هواها وهذا حال من اتبع هواه بغير علم وقد يكون عن اعتقاد فاسد وهو حال من اتبع الظن وما تهوي نفسه وكل ذلك من أمور الجاهلية ³⁸⁴

* أن كون الرب خالقا لفعل العبد ينافي كون فعله منقوسا إلى حسن و قبيح و هذه المقدمة إشتركوا فيها جدلا من غير أن تكون حقا في نفسها أو عليها حجة مستقيمة وهي إحدى المقدمتين التي يعتمدها الرازي في مسألة التحسين والتقييم فإنه يعتقد في محسوله و غيره على أن العبد مجبر على فعله و المجبور لا يكون فعله قبيحا فلا يكون شيء من أفعال العباد قبيحا و هذه الحجة بنفي ذلك أصلها حجة المشركين المكذبين للرسل الذين قالوا **{سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا أَبَاوْنَا وَلَا حَرَّمَنَا مِنْ شَيْءٍ}** الأنعام 148 فإنهم نفوا قبح الشرك و تحريم ما لم يحرمه الله من الطيبات بإثبات القدر لكن هؤلاء الذين يحتاجون بالجبر على نفي الأحكام إذا أقرروا بالشرع لم يكونوا مثل المشركين من كل و جهة و لهذا لم يكن المتكلمون المقربون بالشريعة كالبشركين و إن كان فيهم جزء من باطل المشركين ³⁸⁵

³⁸⁴ قاعدة في المحبة ج: 1 ص: 16

³⁸⁵ مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 246

الأفعال منقسمة إلى حسن وسوء مع كونه تعالى خالق الصنفين

*أنه قد كان أللهم الفجور والتقوى وهو خالق فعل العبد فلا بد أن يعلم ما خلقه قبل أن يخلقه كما قال {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ} الملك 14 لأن الفاعل المختار يريد ما يفعله والإرادة مستلزمة لتصور المراد وذلك هو العلم بالمراد المفهوم وإذا كان خلقه للشيء مستلزمًا لعلمه به فذلك أصل القدر السابق وما علمه الله سبحانه بقوله وبكتبه فلا نزاع فيه وهذا بين في جميع الأشياء في هذا وغيره فإنه سبحانه إذا أللهم الفجور والتقوى فالملهم أن لم يميز بين الفجور والتقوى ويعلم أن هذا الفعل الذي يريد أن يفعله هذا فجور و الذي يريد أن يفعله هذا تقى لم يصح منه إلهايم الفجور والتقوى فظاهر بهذا حسن ما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم من تصديق الآية لما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم من القدر السابق و قوله سبحانه {فَالْهَمَّهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا} كما يدل على القدر فيدل على الشرع فإنه لو قال {فَالْهَمَّها} فأفعالها كما يقول الناس خالق أفعال العباد لم يكن في ذلك تمييز بين الخير والشر والمحبوب والمكروه والمأمور به والمنهي عنه بل كان فيه حجة للمشركين من المباحثية والجبرية الذين يدفعون الأمر والنهي والحسن والقبح فإنه خلق أفعال العباد فلما قال {فَالْهَمَّها فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا} الشمس 8 كان الكلام تقييقاً بين الحسن المأمور به والقبح المنهي عنه وأن الأفعال منقسمة إلى حسن وسوء مع كونه تعالى خالق الصنفين وهذه طريقة القرآن في غير موضع يذكر المؤمن والكافر وأفعالهما الحسنة والسيئة ووعده ووعيده ويدرك أنه خالق الصنفين كقوله {يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} النحل 93 ونحو ذلك وهذا الأصل ضلت فيه الجبرية والقدرة فإن القدرة المجروسية قالوا إن الأفعال تنقسم إلى حسن وقبح لصفات قائمة بها و العبد هو المحدث لها بدون قدرة الله و بدون خلقه فقالت الجبرية بل

العبد مجبور على فعله والجبر حق يوجب وجود أفعاله عند وجود الأسباب التي يخلقها الله وإمتاع وجودها عند عدم شيء من الأسباب و إذا كان مجبوراً يمتنع أن يكون الفعل حسناً أو قبيحاً لمعنى يقوم به وهذه طريقة أبي عبدالله الرازى و نحوه من الجبرية النافذة لإنقسام الفعل فى نفسه إلى حسن و قبيح و الأولى طريقة أبي الحسين البصري و نحوه من القدرة القائلين بأن فعل العبد لم يحدث إلا هو و العلم بذلك ضروري أو نظري وأن الفعل ينقسم فى نفسه إلى حسن و قبيح و العلم بذلك ضروري و أبو الحسين إمام المتأخرین من المعتزلة و له من العقل والفضل ما ليس لأكثر نظرائه لكن هو قليل المعرفة بالسنن ومعانى القرآن و طريقة السلف وهو وأبو عبدالله الرازى في هذا الباب فى طرفي نقىض و مع كل منهما من الحق ما ليس مع الآخر فأبو الحسين يدعى أن العلم بأن العبد يحدث فعله ضروري و الرازى يدعى أن العلم بأن إفتقار الفعل المحدث الممكن إلى مرتجح يجب وجوده عنده و يمتنع عند عدمه ضروري كذلك بل كلاهما صادق فيما ذكره من العلم الضروري ثم يعتقد كل فريق أن هذا العلم الضروري يبطل ما ادعاه الآخر من الضرورة و ليس الأمر كذلك بل كلاهما صادق فيما ذكره من العلم الضروري ومصيبة في ذلك وإنما وقع غلطه في إنكاره ما مع الآخر من الحق فإنه لا منافاة بين كون العبد محدثاً لفعله و كون هذا الإحداث ممكناً الوجود بمشيئة الله تعالى و لهذا كان مذهب أهل السنة المحضة أن العبد فاعل لفعله حقيقة كما ادعاه أبو الحسين من الضرورة لا يقولون ليس بفاعل حقيقة أو ليس بفاعل كما يقوله المائلون إلى الجبر مثل طائفة أبي عبدالله الرازى يقولون مع ذلك إن الله هو الخالق لهذا الفاعل و لفعله و هو الذى جعله فاعلاً حقيقة و هو خالق أفعال العباد كما يقوله أهل الإثبات من الأشعرية طائفة الرازى و غيرهم لا كما يقوله القدرة مثل أبي الحسين و طائفته إن الله لم يخلق أفعال العباد و لهذا نص الأئمة كالإمام أحمد و من قبله من الأئمة

كالاًوزاعي و غيره على إنكار إطلاق القول بالجبر نفيا و إثباتا
 فلا يقال ان الله جبر العباد ولا يقال لم يجبرهم فإن
 لفظ الجبر فيه إشتراك و إجمال فإذا قيل جبرهم
 أشعر بأن الله يجبرهم على فعل الخير و الشر بغير اختيارهم و
 إذا قيل لم يجبرهم أشعر بأنهم يفعلون ما يشاؤون بغير
 اختياره و كلاما خطأ و قد بسطنا القول في هذا في غير هذا
 الموضع و المقصود هنا أن هذين الفريقين اعتقدوا تنافي
 القدر و الشرع كما اعتقد ذلك المjosوس و المشركون فقالوا إذا
 كان خالقا لل فعل إمتنع أن يكون الفعل في نفسه حسنا له ثواب أو
 قبيحا عليه عقاب ثم قالت القدرة لكن الفعل منقسم فليس خالقا
 لل فعل و قالت الجبرية لكنه خالق فليس الفعل منقسم ولكن
 الجبرية المقربون بالرسل يقررون بالإنقسام من جهة أمر الشارع و
 نهيه فقط و يقولون له أن يأمر بما شاء لا لمعنى فيه و ينهى عمما
 يشاء لا لأجل معنى فيه و يقولون في خلفه و في أمره جميعا
 يفعل ما يشاء و يحكم ما يريد و أما من غالب عليه رأي أو
 هوئ فإنه ينحل عن ربة الشارع إذا عاين الجبر و يقولون ما
 يقوله المشركون { لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمَنَا
 مِنْ شَيْءٍ } الأنعام 148 ومن أقر بالشرع والأمر والنهي والحسن
 والقبح دون القدر وخلق الأفعال كما عليه المعتزلة فهو من
 القدرة المjosوسية الذين شابهوا المjosوس و للمعتزلة من مشابهة
 المjosوس واليهود نصيب واخر ومن أقر بالقضاء والقدر وخلق
 الأفعال و عموم الربوبية وأنكر المعروف و المنكر والهدى
 والضلال والحسنات والسيئات ففيه شبه من المشركين و الصابئة

386

* قال تعالى { أَمْ نَجْعَلُ الذِّينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ
 فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ } ص 28 وقال تعالى

{أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ } القلم 35 وقال تعالى {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءٌ مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءٌ مَا يَحْكُمُونَ } الجاثية 21
 وقال تعالى {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبْتًا وَأَنَّكُمُ الْأَيْنَ لَا تُرْجَعُونَ } المؤمنون 15 وقال تعالى {أَيْخُسْبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُنْزَكَ سُدًى } القيامة 36 أى مهملًا لا يؤمر ولا ينهى ومن لم يفرق بين أولياء الله وأعدائه وبين ما أمر به وأوجبه من الإيمان والأعمال الصالحة وبين ما كرهه ونهى عنه وأبغضه من الكفر والفسق العصيان مع شمول قدرته ومشيئته وخلقه لكل شيء وإلا وقع في دين المشركين الذين قالوا {لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا أَبَاوْنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ } الأنعام 148 والقدر يؤمن به ولا يحتاج به بل العبد مأمور أن يرجع إلى القدر عند المصائب ويستغفر الله عند الذنوب والمعايب كما قال تعالى {فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِّ وَالْإِبْكَارِ } غافر 55
 ولهذا حج آدم موسى عليهما السلام لما لام موسى آدم لأجل المصيبة التي حصلت لهم بأكله من الشجرة فذكر له آدم أن هذا كان مكتوبا قبل أن أخلق فحج آدم موسى كما قال تعالى {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِسِيرٍ } الحديد 22 وقال تعالى {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبُهُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } التغابن 11 قال بعض السلف هو الرجل تصبحه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضي ويسلم فهذا وجہ احتجاج آدم بالقدر ومعاذ الله أن يحتاج آدم أو من هو دونه من المؤمنین على المعاصي بالقدر فإنه لو ساغ هذا لساغ أن يحتاج إلىليس ومن اتبعه من الجن والإنس بذلك ويحتاج به قوم نوح وعاد وثمود وسائر أهل الكفر والفسق والعصيان ولم يعاقب ربنا أحدا وهذا مما يعلم فساده بالاضطرار شرعا وعقلا فإن هذا القول لا يطرب أحد من العقلاء فإن طرده يوجب أن لا يلام أحد على شيء ولا يعاقب عليه وهذا المحتاج بالقدر لو جنى

عليه جان لطالبه فإن كان القدر حجة فهو حجة للجاني عليه والإفليس حجة لا لهذا ولا لهذا ولو كان الاحتجاج بالقدر مقبولاً لم يمكن للناس أن يعيشوا إذ كان لكل من اعتدى عليهم أن يحتاج بذلك فيقبلوا عذرها ولا يعاقبواه ولا يمكن اثنين من أهل هذا القول أن يعيشوا إذ لكل منهما أن يقتل الآخر ويفسد جميع أموره محتاجاً على ذلك بالقدر³⁸⁷

مطالبة بالعلم ونم لم يتبعد الظن وما عنده علم

* قال تعالى {مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتَّبَاعُ الظَّنِّ} النساء 157 هو نم لهم على اتباع الظن بلا علم وكذلك قوله {إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْنَاهَا أَنْتُمْ وَآباؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبَعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى} النجم 23 وكذلك قوله {وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبَعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا} النجم 28 وكذلك قوله تعالى {وَمَا يَتَّبَعُ الذِّينَ يَذْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبَعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّهُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ} يونس 66 وكذلك قوله {أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْنَ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ} 35 وما يتبع أكثراً هم إِلَّا ظنناً إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ} 36 يونس 35-36 فهذه عدة مواضع يذم الله فيها الذين لا يتبعون إلا الظن وكذلك قوله {فَلَمْ يَأْتِكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخَرِّجُوهُ لَنَا إِنْ يَتَّبَعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ} 148 {فَلَلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ} 149 الأنعام 148-149- مطالبة بالعلم ونم لم يتبعد الظن وما عنده علم³⁸⁸

³⁸⁷اقضاء الصراط ج: 1 ص: 462-463 و مجموع الفتاوى ج: 11 ص: 257

³⁸⁸مجموع الفتاوى ج: 13 ص: 110

عامة ما ذم الله به المشركين في القرآن من الدين المنهي عنه إنما هو الشرك والتحريم

* إن عامة ما ذم الله به المشركين في القرآن من الدين المنهي عنه إنما هو الشرك والتحريم وكذلك حكى عنهم في قوله {سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكَنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمَنَا} من شيء {الأنعام} 148 ومثل ذلك في النحل {وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمَنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ} النحل 35 وفي الزخرف {وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَا هُمْ} الزخرف 20 وقال {أَمْ لَهُمْ شَرَكَاءٌ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذِنْ بِهِ اللَّهُ} الشورى 21 وقال {قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَاماً وَحَلَالاً قُلْ إِنَّ اللَّهَ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفَرُّوْنَ} يونس 59 وقال {مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةً وَلَا سَابِيَةً وَلَا وَصِيلَةً وَلَا حَامِ} المائدة 103 وقال {قُلْ مِنْ حَرَمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيَّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ} الأعراف 32 وأما من ترك المأمور به فقد ذمهم الله كما ذمهم على ترك الإيمان به وبأسمائه وأياته وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والجنة والنار وترك الصلاة والزكاة والجهاد وغير ذلك من الاعمال والشرك قد تقدم أن أصله ترك المأمور به من عبادة الله واتباع رسleه وتحريم الحلال فيه ترك ما أمروا به من الاستعانة به على عبادته ولما كان أصل المنهي عنه الذي فعلوه الشرك والتحريم روی في الحديث بعثت بالحنيفية السمحـة فالحنيفية ضد الشرك والسماحة ضد الحجر والتضييق وفي صحيح مسلم عن عياض بن حمار عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرونه عن ربه انى خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وحرمت عليهم ما أحلالت لهم

وامرتهم ان يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا وظهر اثر هذين الذين في المنحرفة من العلماء والعباد والملوك وال العامة بتحريم ما أحله الله تعالى والتدين بنوع شرك لم يشرعه الله تعالى والأول يكثر في المتفقهة والمتورعة والثاني يكثر في المتصوفة والمتفقرة فتبيين بذلك أن ما ذمه الله تعالى وعاقب عليه من ترك الواجبات أكثر مما ذمه الله وعاقب عليه من فعل المحرمات³⁸⁹

المحتاجون على القدر بإسقاط الأمر والنهي يشبهون المشركين

* ان من آمن بالقدر وشهد ان الله رب كل شيء لم يكن عليه امر ولا نهي وهذا كفر بجميع كتب الله ورسله وما جاءوا به من الامر والنهي وهو من جنس قول المشركين الذين قالوا {لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا أَبَاوْنَا وَلَا حَرَّمَنَا مِنْ شَيْءٍ} الأنعام 148
قال الله

تعالى {كَذَّلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بِأَسْنَانٍ قُلْ هُنَّ عَنِّكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَبَعُونَ إِلَّا الظُّنُنُ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ} الأنعام 148 ونظير هذا في سورة النحل وفي سورة يس {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطِعُمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} يس 47 وكذلك في سورة الزخرف {وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ} الزخرف 20 و هو لاءهم القردية المشركية الذين يحتاجون بالقدر على دفع الامر والنهي هم شر من القردية الذين هم مجوس هذه الامة الذين روى فيهم أن مرضوا فلا تعودوهم وان ماتوا فلا تشهدوهم لأن هؤلاء يقررون بالأمر

³⁸⁹ ب مجموع الفتاوى ج: 20 ص: 114-115

والنھی والثواب والعقاب لكن أنکروا عموم الارادة والقدرة والخلق وربما أنکروا سابق العلم وأما القدرية المشرکية فانهم ينکرون الأمر والنھی والثواب والعقاب لكن وان لم ينکروا عموم الارادة والقدرة والخلق فانهم ينکرون الأمر والنھی والوعد والوعید ويکفرون بجميع الرسل والكتب فان الله انما ارسل الرسل مبشرین من اطاعهم بالثواب ومنذرین من عصاهم بالعقاب³⁹⁰

* قسم یسلبون العبد إختياره و قدرته و يجعلونه مجبورا على حركاته من جنس حركات الجمادات و يجعلون أفعاله الإختيارية والإضطرارية من نمط واحد حتى يقول أحدهم أن جميع ما أمر الله به و رسوله فإنما هو أمر بما لا يقدر عليه و لا يطيقه فيسلبونه القدرة مطلقاً إذ لا يثبتون له إلا قدرة واحدة مقارنة للفعل و لا يجعلون للعاصي قدرة أصلًا فهذه المقالات وأمثالها من مقالات الجبرية القدرية الذين أنکر قولهم كما أنکروا قول الأولين أئمة الھدی مثل عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي و سفيان بن سعيد الثوري و محمد بن الوليد الزبيدي و عبد الرحمن بن مھدی و أحمد بن محمد بن حنبل و غيرهم فإن ضموا إلى ذلك إقامة العذر للعصاة بالقدر و قالوا أنهم معذرون لذلك لا يستحقون اللوم و العذاب أو جعلوا عقوبهم ظلماً فھؤلاء كفار كما أن من أنکر علم الله القديم من غلاة القدرية فهو كافر و إن جعلوا ثبوت القدر موجباً لسقوط الأمر و النھی و الوعد و الوعید كفعل المباحثية فھؤلاء أکفر من اليهود و النصارى من جنس المشرکين الذين قالوا {لَوْ شاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكَنَا وَلَاَ أَبَاوْنَا وَلَاَ حَرَّمَنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هُنَّ عِنْدَكُمْ مَنْ عِلِّمَ فَتَخْرُجُوهُ لَنَا إِنْ تَشْعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ} 148

³⁹⁰مجموع الفتاوى ج: 11 ص: 429

فَلَوْ شَاءَ لَهُدَاكُمْ أَجْمَعِينَ {149} الْأَنْعَامَ 148-149 فإن هذا القول يستلزم طي بساط كل أمر و نهي و هذا مما يعلم بالإضطرار من العقل و الدين أنه يجب الفساد في أمر الدنيا و المعاد³⁹¹

و سلف الأمة و أنتمها متفقون أيضا على أن العباد مأمرون بما أمرهم الله به منهون عما نهاهم الله عنه و متفقون على الإيمان بوعده و وعيده الذي نطق به الكتاب و السنة و متفقون أنه لا حجة لأحد على الله في و اجب تركه و لا محرم فعله بل الله الحجة البالغة على عباده و من إحتاج بالقدر على ترك مأمور أو فعل محظور أو دفع ما جاءت به النصوص في الوعد و الوعيد فهو أعظم ضلالا و إفتراء على الله و مخالفة لدين الله من أولئك القدرية فإن أولئك متشبهون بالمجوس و قد جاءت الآثار فيهم أنهم مجوس هذه الأمة كما روى ذلك عن ابن عمر و غيره من السلف وقد رویت في ذلك أحاديث مرفوعة إلى النبي صلى الله عليه و سلم منها ما رواه أبو داود و الترمذى و لكن طائفة من أنتمة الحديث طعنوا في صحة الأحاديث المرفوعة في ذلك و هذا مبسط في موضعه والمقصود هنا أن القدرية النافية يشبهون المجوس في كونهم أثبتوا غير الله يحدث أشياء من الشر بدون مشيئة و قدرته و خلقه وأما المحتجون على القدر بإسقاط الأمر و النهي و الوعيد فهو لاء يشبهون المشركين الذين قال الله فيهم **{سَيَقُولُونَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكَنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمَنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بِأَسْنَانِ قُلْ هُنْ عَنْكُمْ مَنْ عِلْمٌ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَشْتَعِنَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ}** {الأنعام 148} و قال تعالى **{وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمَنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ**

الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهُنَّ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ } النَّحْل 35
 وَقَالَ تَعَالَى { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفَقُوا مَمَّا رَزَقْنَاهُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا
 لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطِعُمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمْهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ
 مُبِينٌ } يس 47 وَقَالَ تَعَالَى { وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا
 عَبَدْنَا هُنَّ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ } الزَّخْرَف 20
 فَهُؤُلَاءِ الْمُحْتَجُونَ بِالْقَدْرِ عَلَى سُقُوطِ الْأَمْرِ وَالنَّهِيِّ مِنْ جَنْسِ
 الْمُشْرِكِينَ الْمُكَذِّبِينَ لِرَسُولِهِ وَهُمْ أَسْوَأُ حَالًا مِنَ الْمُجْوَسِ وَهُؤُلَاءِ
 حِجْتِهِمْ دَاحِضَةٌ عَنْ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ
 وَمِنْ هُؤُلَاءِ مَنْ يَظْنُ أَنَّ آدَمَ إِحْتِيجَاجٌ عَلَى مُوسَى بِالْقَدْرِ عَلَى الذَّنْبِ
 وَأَنَّ ذَلِكَ جَائِرٌ لِخَاصَّةِ الْأُولَيَاءِ الْمُشَاهِدِينَ لِلْقَدْرِ وَهَذَا ضَلَالٌ
 عَظِيمٌ فَإِنَّ مُوسَى إِنَّمَا لَامَ آدَمَ عَلَى الْمُعْصِيَةِ الَّتِي لَحِقَتْ الْذُرْيَةَ
 بِسَبِيلِ أَكْلِهِ مِنَ الشَّجَرَةِ فَقَالَ لِمَا أَخْرَجَتْنَا وَنَفَسَكَ مِنَ الْحَنَةِ
 وَالْعَبْدُ مَأْمُورٌ عَنِ الْمُصَابِّ أَنْ يَرْجِعَ لِلْقَدْرِ فَإِنْ سَعَادَةُ الْعَبْدِ أَنْ
 يَفْعُلَ الْمَأْمُورُ وَيَتَرَكُ الْمُحَظَّوْرُ وَيَسْلِمُ لِلْمَقْدُورِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى
 { مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبُهُ وَاللَّهُ
 بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } التَّغَابِن 11 قَالَ إِنْ مَسْعُودٌ هُوَ الرَّجُلُ تَصَبِّيهِ
 الْمُصِيبَةَ فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ عَنْدِ اللَّهِ فَيَرْضِيُّ وَيَسْلِمُ فَالسَّعِيدُ
 يَسْتَغْفِرُ مِنَ الْمُعَانِبِ وَيَصْبِرُ عَلَى الْمُصَابِّ كَمَا قَالَ تَعَالَى
 { فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ } غَافِر 55 وَالشَّقِيقُ
 يَجزِعُ عَنِ الْمُصَابِّ وَيَحْتَجُ بِالْقَدْرِ عَلَى الْمُعَانِبِ وَإِلَّا فَأَدَمَ
 صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ تَابَ مِنَ الذَّنْبِ وَقَدْ إِجْتَبَاهُ رَبُّهُ وَهَدَاهُ وَ
 مُوسَى أَجَلَ قَدْرًا مِنْ أَنْ يَلْوُمَ أَحَدًا عَلَى ذَنْبٍ قَدْ تَابَ مِنْهُ وَغَفَرَ
 اللَّهُ لَهُ فَضْلًا عَنْ آدَمَ وَهُوَ أَيْضًا قَدْ تَابَ مِمَّا فَعَلَ حِيثُ قَالَ
 { رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ } الْقَصْصَ 16 وَقَالَ
 { إِنَّا هُدَنَا إِلَيْكَ } الْأَعْرَافَ 156 وَقَالَ { أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا
 وَارْحَمْنَا } الْأَعْرَافَ 155 وَمُوسَى وَآدَمَ أَعْلَمُ بِاللَّهِ مِنْ أَنْ
 يَظْنُ وَاحِدٌ مِنْهُمَا أَنَّ الْقَدْرَ عَذْرٌ لِمَنْ عَصَى اللَّهَ وَقَدْ عَلِمَ مَا حَلَّ
 بِإِبْلِيسِ وَغَيْرِ إِبْلِيسِ وَآدَمَ نَفْسَهُ قَدْ أَخْرَجَ مِنَ الْجَنَّةِ وَطَفَقَ هُوَ وَ
 إِمْرَأَتُهُ يَخْصَفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرْقِ الْجَنَّةِ وَقَدْ عَاقَبَ اللَّهُ قَوْمُ نُوحَ

و هود و صالح و غيرهم من الأمم وقد شرع الله عقوبة المعذين وأعد جهنم للكافرين فكيف يكون العذر للذنب وهو لاء لا يحتجون بالقدر إلا إذا كانوا متبعين لأهوائهم بغير علم ولا يطرون حجتهم فإن القدر لو كان عذرا للخلق للزم أن لا يلام أحد ولا يذم ولا يعاقب لا في الدنيا والآخرة ولا يقتضي من ظالم أصلا بل يمكن الناس أن يفعلوا ما يشتهون مطلقا ومعلوم أن هذا لا يتصور أن يقوم عليه مصلحة أحد لا في الدنيا ولا في الآخرة بل هو موجب الفساد العام وصاحب هذا لا يكون إلا ظالما متناقضا فإذا آذاه غيره أو ظلمه طلب معاقبته وجزاه ولم يعذرها بالقدر وإذا كان هو الظالم إحتاج لنفسه بالقدر فلا يحتاج أحد بالقدر إلا لإتباع هواه بغير علم ولا يكون إلا مبطلا لا حق معه كما إحتاج به المشركون فقال تعالى {فَلَمْ يَعْذِرْكُمْ مَنْ عَلِمْ فَتُخْرُجُوهُ لَنَا إِن تَشْبَعُونَ إِلَّا الظَّنُّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ

{**الأنعام** 148} وقال {كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهُنَّ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ} **النحل** 35 ولهذا كان هؤلاء المشركون المحتاجون بالقدر إذا عاداهم أحد قبلوه وقاتلوه وعاقبوه ولم يقبلوا حجته إذا قال لهم شاء الله ما عاديكم بل هم دائما يعيرون من ظلم وإعتدى و لا يقبلون إحتاجه بالقدر فصاروا يحتجون على الحق من ربهم أخذوا يدافعون ذلك بالقدر فصاروا يحتجون على دفع أمر الله و نهيه بما لا يجوزون أن يحتاج به عليهم فيدفع أمرهم و نهيهم بل و لا يجوز أحد من العقلاء أن يحتاج به عليه في دفع حقه فعارضوا ربهم و رسل ربهم بما لا يجوزون أن يعارض به أحد من الناس و لا رسل أحد من الناس فكان أمر المخلوق و نهيه و حقه أعظم على قولهم من أمر الله و نهيه و حقه على عباد الله و كان أمر الله و نهيه و حقه على عباده أخف حرمة عندهم من أمر المخلوق و نهيه و حقه على غيره فإن حق الله على عباده أن يعبدوه و لا يشركوا به شيئا كما ثبت في الصحيحين عن معاذ بن جبل قال كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم على حمار فقال يا معاذ أتدري ما حق الله على عباده

قلت الله و رسوله أعلم قال حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك قلت الله و رسوله أعلم قال حقهم عليه أن لا يعبدتهم فكان هؤلاء المشركون من أعظم الناس جهلاً و عداوة الله و رسوله فاحتاجوا على إسقاط حقه و أمره و نهيه بما لا يجوزون لاهم و لا أحد من العلاء أن يحتاج به على إسقاط حق مخلوق و لا أمره و لا نهيه

و هذا كما جعلوا الله شركاء و بنات و هم لا يرضي أحدهم أن يكون مملوكة شريكه و لا يرضي البنات لنفسه قال تعالى {وَيَجْعَلُونَ اللَّهَ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصْفُ الْسِّنَنُهُمُ الْكَذَبُ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى} لا جرم أنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ } النحل 62 و قال تعالى {وَإِذَا بُشِّرَ أَهْدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًا وَهُوَ كَظِيمٌ } الزخرف 17 و قال تعالى {ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكْتُ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءٍ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَإِنَّمَا فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتُكُمْ أَنفُسُكُمْ } الروم 28 أي كحيفة بعضكم ببعض و قوله تعالى {لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا } النور 12 و قوله {فَتُوَبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ } البقرة 54 و قوله { نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ } آل عمران 61 فالكمذبون للرسل دائمًا حجتهم داحضة متناقضة فيهم قول مختلف يؤفك عنه من أفك قال الله تعالى {وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِنْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا } الفرقان 33

و قال تعالى {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُواً مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًّا وَنَصِيرًا } الفرقان 31 و قال تعالى {وَتَلَكَ حُجَّنَا أَتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِنْ نَشَاءِ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ } الأنعام 83 فحجة المشركين في شركهم بالله و جعلهم له ولدا و في دفع أمره و نهيه بالقدر داحضة و قد بسط الكلام على هذه الأمور و ما يناسبها في غير هذا الموضع و بين أن قول الفلسفه القائلين بقدم العالم و أنه صادر عن موجب بالذات متولد عن العقول و النقوس الذين يعبدون الكواكب

العلوية و يصنعون لها التماشيل السفلية كأرسطو و أتباعه أعظم
كفرا و ضلالا من مشركي العرب الذين كانوا يقررون بأن الله
خلق السموات والأرض و ما بينهما في ستة أيام بمشيئته و
قدرته و لكن خرقو الله بنين و بنات بغير علم و أشركوا به ما لم
ينزل به سلطانا و كذلك المباحية الذين يسقطون الأمر و
النهي مطلقا و يحتجون بالقضاء و القدر أسواء حالا من اليهود
و النصارى و مشركي العرب فإن هؤلاء مع كفرهم يقررون بنوع
من الأمر و النهي و الوعيد و لكن كان لهم شركاء
شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله بخلاف المباحية المسقطة
للشرائع مطلقا فإنما يرضون بما تهواه أنفسهم و يغضبون لما
تهواه أنفسهم لا يرضون الله و لا يغضبون الله و لا يحبون الله و لا
يغضبون الله و لا يأمرون بما أمر الله به و لا ينهون عما نهى عنه
إلا إذا كان لهم في ذلك هو الذى فيفعلونه لأجل هو اهم لاعبادة لمو
لامهم ولهذا لا ينكرون ما وقع في الوجود من الكفر و
الفسوق و العصيان إلا إذا خالف أغراضهم فينكرون إنكارا
طبيعيا شيطانيا لا إنكارا شرعيا رحمنيا و لهذا تقرن بهم
الشياطين إخوانهم فيمدونهم في الغي ثم لا يقرون و قد تتمثل
لهم الشياطين و تخطبهم و تعينهم على بعض أهوائهم كما كانت
الشياطين تفعل بالمرشكين عباد الأصنام و هؤلاء يكثرون في
الطوائف الخارجين عما بعث الله به رسوله من الكتاب و السنة
الذين يسلكون طرقا في العبادات و الإعتقادات مبتدةعة في الدين
و لا يتحررون في عباداتهم و إعتقداتهم موافقة الرسول و
الإعتماد بالكتاب و السنة فتكثر فيهم الأهواء و الشبهات و
تغويهم الشياطين و تصير فيهم شبهة من المرشكين بحسب
بعدهم عن الرسول و كما يجب إنكار قول القدريه المضاهين
للمجوس فإنكار قول هؤلاء أولى و الرد عليهم أحلى
و هؤلاء لم يكونوا موجودين في عصر الصحابة و التابعين لهم
بإحسان فإن البدع إنما يظهر منها أولا فأولا الأخف فلأخف كما
حدث في آخر عصر الخلفاء الراشدين بدعة الخوارج و الشيعة

ثم في آخر عصر الصحابة بدعة المرجئة و القدرة ثم في آخر عصر التابعين بدعة الجهمية معطلة الصفات و أما هؤلاء المباحية المسقطون للأمر و النهي محتاجين على ذلك بالقدر فهم شر من جميع هذه الطوائف و إنما حدثوا بعد هؤلاء كلهم³⁹²

جمهور القدرة فهم يقررون بالعلم و الكتاب المتقدم لكن ينكرون أن الله خلق أفعال العباد و أراده الكائنات و تعارضهم القدرة المجردة الذين يقولون ليس للعبد قدرة و لا إرادة حقيقة و لا هو فاعل حقيقة و كل هؤلاء مبتدعة ضلال و شر من هؤلاء من يجعل خلق الأفعال و إرادة الله الكائنات مانعة من الأمر و النهي كالمسركين الذين قالوا {لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكَنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمَنَا مِنْ شَيْءٍ} الأنعام 148 فهو لاء أكفر من اليهود و النصارى و مضمون قولهم تعطيل جميع ما جاءت به الرسل كلهم من الأمر و النهي ثم قولهم متناقض معلوم الفساد بالضرورة لا يمكن أن يحيى معه بنو آدم لإستلزماته فساد العباد فإنه إذا لم يكن على العباد أمر و نهي كان لكل أحد أن يفعل ما يهواه كما قال تعالى {وَلَوْ أَتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ} المؤمنون 71 فإذا قيل أنه يمكن كل أحد مما يهواه من قتل النفوس و فعل الفواحش و أخذ الأموال و غير ذلك كان ذلك غاية الفساد و لهذا لا تعيش أمة من نبي آدم إلا بنوع من الشريعة التي فيها أمر و نهي ولو كانت بوضع بعض الملوك مع ما فيها من فساد من وجوه أخرى³⁹³

* فأما قدرية مشركية فهم الذين اعترفوا بالقضاء والقدر و زعموا أن ذلك يوافق الأمر و النهي و قالوا {لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكَنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمَنَا مِنْ شَيْءٍ} الأنعام 148 إلى آخر

³⁹² مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 452-458 و مجموع الفتاوى ج: 3 ص:

الكلام في سورة الأنعام و قالوا {لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ} من شيءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ من شيءٍ {النحل} 35 في سورة النحل وفي سورة الزخرف و {وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَا هُمْ} الزخرف 20 فهو لاء يقول أمرهم إلى تعطيل الشرائع والأمر والنهي مع الإعتراف بالربوبية العامة لكل مخلوق وأنه ما من دابة إلا ربها أخذ بناصيتها وهو الذي يبنتي به كثيراً إما اعتقاداً وإما حالاً طوائف من الصوفية والقراء حتى يخرج من يخرج منهم إلى الإباحة للحرمات وإسقاط الواجبات ورفع العقوبات وإن كان ذلك لا يستتب لهم وإنما يفعلونه عند موافقة أهوائهم ك فعل المشركين من العرب ثم إذا خولف هو أحد منهم قام في دفع ذلك متعدياً للحدود غير واقف عند حد كما كانت تفعل المشركون أيضاً إذ هذه الطريقة تتناقض عند تعارض إرادات البشر فهذا يريد أمراً والآخر يريد ضده وكل من الإرادتين مقدرة فلا بد من ترجيح أحدهما أو غيرهما أو كل منهما من وجهه والإلزام الفساد وقد يغلوا أصحاب هذا الطريق حتى يجعلوا عين الموجودات هي الله كما قد ذكر في غير هذا الموضوع ويتمسكون بموافقة الإرادة القدりة في السينات الواقعة منهم ومن غيرهم كقول الحريري أنا كافر برب يعصي وقول بعض أصحابه لما دعاهم مكاس فقيل له هو مكاس فقال إن كان قد عصى الأمر فقد أطاع الإرادة وقول ابن إسرائيل أصبحت منفعلاً لما يختاره مني ففعلي كله طاعات وقد يسمون هذا حقيقة باعتبار أنه حقيقة الربوبية و الحقيقة الموجدة الكائنة أو الحقيقة الخبرية و لما كان في هؤلاء شوب من النصارى و النصارى فيهم شوب من الشرك تابعوا المشركين في ما كانوا عليه من التمسك بالقدر المخالف للشرع هذا مع أنهم يعبدون غير الله الذي قدر الكائنات كما أن هؤلاء فيهم شوب من ذلك وإذا اتسع زنادقتهم الذين هم رؤساً لهم قالوا ما نعبد إلا الله إذ لا موجود غيره و قال رئيس لهم إنما كفر النصارى لأنهم خصصوا فيشرعون عبادة كل

موجود بهذا الإعتبار و يقررون ما كان عليه المشركون من عبادة الأوثان و الأحجار لكنهم يستقصرونهم حيث خصصوا العبادة ببعض المظاهر و الأعيان و معلوم أن هذا حاصل في جميع المشركين فإنهم متقنون في الآلهة التي يعبدونها و أن إشتركوا في الشرك هذا يعبد الشمس و هذا يعبد القمر وهذا يعبد الآلة و هذا يعبد العزى و هذا يعبد مناة الثالثة الأخرى فكل منهم يتخد إلهه هوه و يعبد ما يستحسن و كذلك في عبادة قبور البشر كل يعلق على تمثال من أحسن به الظن³⁹⁴

وأما قول القائل الزنا و غيره من المعاصي مكتوب علينا فهو كلام صحيح لكن هذا لا ينفعه الإحتجاج به فإن الله كتب أفعال العباد خيرها و شرها و كتب ما يصيرون إليه من الشقاوة و السعادة و جعل الأعمال سببا للثواب و العقاب و كتب ذلك كما كتب الأمراض و جعلها سببا للموت و كما كتب أكل السم و جعله سببا للمرض و الموت فمن أكل السم فإنه يمرض أو يموت و الله قدر و كتب هذا و هذا كذلك من فعل ما نهي عنه من الكفر و الفسق و العصيان فإنه يعمل ما كتب عليه و هو مستحق لما كتبه الله من الجزاء لمن عمل ذلك و حجة هؤلاء بالقدر على المعاصي من جنس حجة المشركين الذين قال الله عنهم {وقالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدَنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَا أَبَاوْنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} النحل 35 و قال تعالى {سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُنَا وَلَا أَبَاوْنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ} الأنعام 148 قال الله تعالى {كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بِأَسْنَانَ قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَنْتَهُونَ إِلَّا الظَّنُّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا

**تَخْرُصُونَ {148} فَلِلَّهِ الْحِجَةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَأْكُمْ
أَجْمَعِينَ {149} الْأَنْعَامُ 148-149**

*في الحديث الصحيح عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يجمع خلق أحدكم في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله إليه الملك فيؤمر بأربع كلمات فيكتب رزقه و عمله و أجله و شقي أو سعيد فكما أن الله كتب ما يعمله من خير و شر و هو يثبيه على الخير و يعاقبه على الشر فكذلك كتب ما يرزقه من حلال و حرام مع أنه يعاقبه على الرزق الحرام و لهذا كل ما في الوجود و اقع بمشيئة الله و قدره كما تقعسائر الأعمال لكن لا عذر لأحد بالقدر بل القدر يؤمن به و ليس لأحد أن يحتاج على الله بالقدر بل الله الحجة البالغة و من إحتاج بالقدر على ركوب المعاشي فحجته داحضة و من اعتذر به فعذره غير مقبول كالذين قالوا **{لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا}** {الأنعام 148} و الذين قالوا **{وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدَنَا هُمْ}** {الزخرف 20} كما قال تعالى **{أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنَبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ}** {56} أو **{أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُنَقِّيْنَ}** {57} {ال Zimmerman 56-57}

من اكتفى بالحقائق الكونية ولم يتبع الحقائق الدينية كان من أتباع إبليس المعين

*فإن اعترف العبد أن الله ربها و خالقه وأنه مفتقر اليه محتاج اليه عرف العبودية المتعلقة بربوبية الله وهذا العبد يسأل ربه فيتضارع

³⁹⁵ مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 268

³⁹⁶ مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 443-542

إليه ويتوكل عليه لكن قد يطيع أمره وقد يعصيه وقد يعبده مع ذلك وقد يعبد الشيطان والاصنام ومثل هذه العبودية لاتفرق بين اهل الجنة والنار ولا يصير بها الرجل مؤمنا كما قال تعالى {وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ} يوسف 106 فإن المشركين كانوا يقرون ان الله خالقهم ورازقهم وهم يعبدون غيره قال تعالى {وَلَئِن سَأَلْتُهُمْ مَنْ حَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} لقمان 25 وقال تعالى { قُلْ لَمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} 84 {سَيَقُولُونَ اللَّهُ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} 85 المؤمنون 84-85 الى قوله { قُلْ فَإِنَّى شُحَرُونَ} المؤمنون 89 وكثير من يتكلم في الحقيقة ويشهدها يشهد هذه الحقيقة وهي الحقيقة الكونية التي يشتراك فيها وفي شهودها ومعرفتها المؤمن والكافر والبر والفاجر والبليس معترف بهذه الحقيقة واهل النار قال البليس { رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبَعْثَلُونَ} الحجر 36 وقال { رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لِأَرِزَنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ} الحجر 39 وقال { فَعِزِّزْتَكَ لِأَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ} ص 82 وقال {أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ} الإسراء 62 وامثال هذا من الخطاب الذي يقر فيه بان الله ربه وخالقه وخلق غيره وكذلك اهل النار قالوا {قَالُوا رَبَّنَا عَلِيَّتْ عَلَيْنَا شِقْوَنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ} المؤمنون 106 وقال تعالى {وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقْفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبَّنَا} الأنعام 30 فمن وقف عند هذه الحقيقة وعند شهودها ولم يقم بما امر به من الحقيقة الدينية التي هي عبادته المتعلقة بالهيئة وطاعة امره وامر رسوله كان من جنس البليس واهل النار وان ظن مع ذلك انه خواص اولياء الله واهل المعرفة والتحقيق الذين يسقط عنهم الأمر والنهى الشرعيان كان من اشر اهل الكفر والالحاد ومن ظن ان الخضر وغيره سقط عنهم الامر لمشاهدة الارادة ونحو ذلك كان قوله هذا من شر اقوال الكافرين باليه ورسوله حتى يدخل فى النوع الثاني من معنى العبد وهو العبد العابد فيكون عابدا الله لا يعبد الا اياه فيطيع امره وأمر رسله ويوالى اولياء المؤمنين

المتقين ويعادى اعداءه وهذا العبادة متعلقة بالهيئة ولهذا كان عنوان التوحيد لا اله الا الله بخلاف من يقر بربوبيته ولا يعبده او يعبد معه لها آخر فالله الذى يأله القلب بكمال الحب والتعظيم والاجلال والاكرام والخوف والرجاء ونحو ذلك وهذه العبادة هي التى يحبها الله ويرضاها بها وصف المصطفين من عباده وبها بعث رسله وأما العبد بمعنى المعبد سواء اقر بذلك او انكره فذلك يشترك فيها المؤمن والكافر وبالفرق بين هذين النوعين يعرف الفرق بين الحقائق الدينية الدالة فى عبادة الله ودينه وامرہ الشرعى التي يحبها ويرضاها ويولى اهلها ويكرمهم بجنته وبين الحقائق الكونية التي يشترك فيها المؤمن والكافر والبر والفاجر التي من اكتفى بها ولم يتبع الحقائق الدينية كان من اتباع ابليس اللعين والكافرين برب العالمين ومن اكتفى بها فى بعض الامور دون بعض أو فى مقام او حال نقص من إيمانه وولايته لله بحسب ما نقص من الحقائق الدينية وهذا مقام عظيم فيه غلط الغالطون وكره فيه الاشتباہ على السالكين حتى زلت فيه من اكابر الشيوخ المدعين التحقيق والتوحيد والعرفان مالا يحصل لهم الا الله الذى يعلم السر والاعلان والى هذا اشار الشيخ عبد القادر رحمه الله فيما ذكر عنه فيبين ان كثيرا من الرجال إذا وصلوا إلى القضاء والقدر أمسكوا إلا أنا فإني انفتحت لى فيه روزنة فنازعت اقدار الحق بالحق للحق والرجل من يكون منازعا للقدر لا من يكون موافقا للقدر والذى ذكره الشيخ رحمه الله هو الذى امر الله به ورسوله لكن كثير من الرجال غلطوا فإنهم قد يشهدون ما يقدرون على احدهم من المعاصي والذنوب أو ما يقدر على الناس من ذلك بل من الكفر ويشهدون ان هذا جار بمشيئة الله وقضائه وقدرة داخل فى حكم ربوبيته ومقتضى مشيئته فيظلون الاستسلام لذلك وموافقته والرضا به ونحو ذلك دينا وطريقا وعبادة فيضاهون المشركين الذين قالوا {لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكَنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ} الأنعام 148 وقالوا {أَنْطَعْمُ مَنْ

لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمْهُ} يس 47 وقالوا { لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَا هُمْ } الزخرف 20 ولو هدوا لعلموا أن القدر أمرنا ان نرضي به ونصير على موجبه في المصائب التي تصيبنا كالغفران والمرض والخوف قال تعالى { مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ } التغابن 11 قال بعض السلف هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم وقال تعالى { مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ إِلَيْكُمْ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ } 22 لِكِيلًا تَأْسُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَقْرُبُوا بِمَا آتَكُمْ } 23 الحديد 22-23 وفي الصحيحين عن النبي أنه قال احتج آدم وموسى فقال انت آدم الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه واسجد لك ملائكته وعلمك اسماء كل شيء فلماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة فقال آدم أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه فهل وجدت ذلك مكتوبا على قبل ان أخلق قال نعم قال فحج آدم موسى وأدم عليه السلام لم يحتاج على موسى بالقدر ظنا أن المذنب يحتاج بالقدر قان هذا لا يقوله مسلم ولا عاقل ولو كان هذا عذرا لكان عذرا لا بليس وقوم هود وكل كافر ولا موسى لام آدم أيضا لأجل الذنب فان آدم قد تاب إلى ربه فاجتباه وهدى ولكن لامه لأجله المصيبة التي لحقتهم بالخطيئة ولهاذا قال فلماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة فأجابه آدم أن أن هذا كان مكتوبا قبل أن أخلق فكان العمل والمصيبة المترتبة عليه مقدار وما قدر من المصائب يجب لاستسلام له فإنه من تمام الرضا بالله ربها واما الذنوب فليس للعبد ان يذنب واذا اذنب فعليه ان يستغفر وفيتوب من المعايب ويصبر على المصائب قال تعالى { فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَإِنْ تَسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ } غافر 55 وقال تعالى { وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَقَوَّلُوا لَا يَصْرُكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا } آل عمران 120 وقال { وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَقَوَّلُوا فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ } آل عمران 186 وقال يوسف { إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ } يوسف 90 وكذلك ذنوب العباد يجب على العبد

فيها ان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بحسب قدرته ويواجه
فى سبيل الله الكفار والمنافقين ويوالي اولياء الله ويعادى اعداء
الله ويحب فى الله ويبغض فى الله³⁹⁷

*قد أحاط ربنا سبحانه و تعالى بكل شيء علماً و قدرة و حكماً و
وسع كل شيء رحمة و علماً فما من ذرة في السموات والأرض
و لا معنى من المعاني إلا و هو شاهد الله تعالى بتمام العلم و
الرحمة وكمال القدرة و الحكمة و ما خلق الخلق باطلًا و لا فعل
شيئاً عبثاً بل هو الحكيم في أفعاله و أقواله سبحانه و تعالى ثم من
حكمته ما أطلع بعض خلقه عليه و منه ما إسْتَأْثَرَ سبحانه بعلمه
إرادته قسمان إرادة أمر و تشريع و إرادة قضاء و تقدير
فالقسم الأول إنما يتعلق بالطاعات دون المعاشي سواء وقعت أو
لم تقع كما في قوله {يُرِيدُ اللَّهُ لِبَيْنَ لَكُمْ وَيَهْدِكُمْ سُنَّةَ الَّذِينَ
مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ} النساء: 26 و قوله {يُرِيدُ اللَّهُ إِلَيْكُمُ الْيُسْرَ
وَلَا يُرِيدُ إِلَيْكُمُ الْعُسْرَ} البقرة: 185 وأما القسم الثاني و هو
إرادة التقدير فهي شاملة لجميع الكائنات محيطة بجميع الحالات
و قد أراد من العالم ما هم فاعلوه بهذا المعنى لا بالمعنى الأول
كما في قوله تعالى {فَمَنْ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِإِسْلَامٍ
وَمَنْ يُرِيدُ أَنْ يُضْلِلَهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيْقًا حَرَجًا} الأنعام: 125 و في
قوله {وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ
يُرِيدُ أَنْ يُعَوِّيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ} هود: 34 و في قول المسلمين ما
شاء الله كان و ما لم يشاً لم يكن نظائره كثيرة وهذه الإرادة
تنتال ما حدث من الطاعات والمعاصي دون ما لم يحدث كما
أن الأولى تتناول الطاعات حدثت أو لم تحدث و السعيد من أراد
منه تقديرًا ما أراد به تشريعاً و العبد الشقي من أراد به تقديرًا ما
لم يرد به تشريعاً و الحكم يجري على وفق هاتين الإرادتين فمن
نظر إلى الأعمال بهاتين العينين كان بصيراً و من نظر إلى القدر

دون الشرع أو الشرع دون القدر كان أعزور مثل قريش الذين قالوا { لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمَنَا مِنْ شَيْءٍ } الأنعام 148 قال الله تعالى { كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بِأَسْنَانِ قُلْ هُنَّ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَنْتَهُونَ إِلَّا الظَّنُّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ } الأنعام 148 فإن هؤلاء إعتقدوا أن كل ما شاء الله و جوده و كونه و هي الإرادة القدريه فقد أمر به و رضيه دون الارادة الشرعية ثم رأوا أن شركهم بغير شرع مما قد شاء الله و جوده قالوا فيكون قد رضيه و أمر به قال الله { كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ } الأنعام 148 بالشرع من الأمر و النهي { حَتَّىٰ ذَاقُوا بِأَسْنَانِ قُلْ هُنَّ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَنْتَهُونَ إِلَّا الظَّنُّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ } الأنعام 148 { قُلْ هُنَّ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا }

{ الأنعام 148 } بأن الله شرع الشرك و تحريم ما حرمتوا { إن تنتهون } الأنعام 148 في هذا { إِلَّا الظَّنُّ } الأنعام 148 و هو توهمكم أن كل ما قدره فقد شرعه { وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ } الأنعام 148 أي تكذبون و تفتررون بإبطال شريعته { قَلِيلٌ } الأنعام 149 على خلقه حين أرسل الرسل إليهم دعوهم إلى توحيده و شريعته و مع هذا فلو شاء هدى الخلق أجمعين إلى متابعة شريعته لكنه يمن على من يشاء فيهديه فضلا منه و إحسانا و يحرم من يشاء لأن المتفضل له أن يتفضل له أن لا يتفضل فترك تفضله على من حرمته عدل منه و قسط و له في ذلك حكمة بالغة وهو يعاقب الخلق على مخالفه أمره و إراداته الشرعية و إن كان ذلك بإرادته القدريه فإن القدر كما جرى بالمعصية جرى أيضا بعقابها كما أنه سبحانه قد يقدر على العبد أمراضا تعقبه الاما فالمرض بقدره و الألم بقدره فإذا قال العبد قد تقدمت الإرادة بالذنب فلا أعقاب كان بمنزلة قول المريض قد تقدمت الإرادة بالمرض فلا أتألم و قد تقدمت الإرادة بأكل الحار فلا يحم مزاجي أو قد تقدمت بالضرر فلا يتآلم المضروب و هذا مع أنه جهل فإنه لا ينفع صاحبه بل اعتلاله

بالقدر ذنب بان يعاقب عليه أيضا و إنما إعتل بالقدر إبليس حيث قال {بِمَا أَغْوَيْتَنِي لِأَرْبَيْنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ} الحجر 39 و أما آدم فقال {رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} الأعراف 23 فمن أراد الله سعادته ألهمه أن يقول كما قال آدم عليه السلام أو نحوه و من أراد شقاوته إعتل بعلة إبليس أو نحوها فيكون كالمستجير من الرمضاء بالنار مثله مثل رجل طار إلى داره شرارة نار فقال له العقلاط أطفئها لثلا تحرق المنزل فأخذ يقول من أين كانت هذه ريح ألقتها و أنا لا ذنب لي في هذه النار فما زال يتعل بهذه العلل حتى استعرت و انتشرت و احرقت الدار و ما فيها هذه حال من شرع يحيل الذنوب على المقادير و لا يردها بالإستغفار و المعاذير بل حالةأسوء من ذلك بالذنب الذي فعله بخلاف الشرارة فإنه لا فعل له فيها و الله سبحانه يوقفنا و إياكم و سائر إخواننا لما يحبه و يرضاه فإنها لا تزال طاعته إلا بمعونته و لا تترك معصيته إلا بعصمته و الله أعلم ³⁹⁸

القدريّة الجبرية الجهمية حقيقة قولهم من جنس قول المشركين

إن الله سبحانه قد فرق بالقرآن وبالإيمان بين أمره الديني و خلقه الكوني فإن الله سبحانه خالق كل شيء و رب كل شيء و مليكه سواء في ذلك الذوات و صفاتها وأفعالها وما شاء الله كان وما لم يشاً لم يكن لا يخرج عن مشيئته شيء ولا يكون شيء إلا بمشيئته وقد كذب بعض ذلك القدريّة المجوسية من هذه الأمة وغيرها وهم الذين يزعمون أن الله لم يخلق أفعال عباده من

³⁹⁸ مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 197 و الفتوى الكبرى ج: 2 ص: 30-32

الملائكة والجن والإنس والبهائم ولا يقدر على أن يفعل بعباده من الخير أكثر مما فعله بهم بل ولا على أفعالهم فليس هو على كل شيء قدير أو أن ما كان من السيئات فهو واقع على خلاف مشيئته وإرادته وهم ضلال مبتدعة مخالفون لكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة ولما عرف بالعقل والذوق ثم انه قابلهم قوم شر منهم وهم القدريّة المشركيّة الذين رأوا الأفعال واقعة بمشيئته وقدرتها فقالوا **{سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا أَبَاوْنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ}** {الأنعام 148} ولو كره الله شيئاً لازالته وما في العالم إلا ما يحبه الله ويرضاه وما ثم عاص وأنا كافر برب يعصى وإن كان هذا قد عصى الامر فقد أطاع الإرادة وربما استدلوا بالجبر وجعلوا العبد مجبوراً والمجبور معذور والفعل لله فيه لا له فلا لوم عليه فهو لاءٌ كافرون بكتاب الله ورسله وبأمر الله ونهيه وثوابه وعقابه ووعده ووعيده ودينه وشرعه كفراً لا ريب فيه وهم أكفر من اليهود والنصارى بل أكفر من الصابئة والبراهمة الذين يقولون بالسياسات العقلية فإن هؤلاء كافرون بالدينات والشريائع الإلهية وبالآيات والسياسات العقلية وأما الأولون ففي تكفيرهم تفصيل ليس بهذا موضعه وهو لاءٌ أعداء الله وأعداء جميع رسله بل أعداء جميع عقلاً بنى آدم بل أعداء أنفسهم فإن هذا القول لا يمكن أحداً أن يطرد ولا يعمل به ساعة من زمان إذ لازمه أن لا يدفع ظلم ظالم ولا يعاقب معنت ولا يعاقب مسيء لا بمثل إساءاته ولا بأكثر منها وأكثر هؤلاء إنما يشيرون إلى ذلك عند أهواء أنفسهم لرفع الملام عنهم وإلا فإذا كان لهم هذا مع أحد قابلوه وقاتلوه واعتدوا عليه أيضاً ولا يقفون عند حد ولا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة بل هم كما قال الله **{وَحَمَلُهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلَومًا جَهُولًا}** {الأحزاب 72} ظلمة جهال مثل السبع العادى يفعلون بحكم الأهواء المحضة ويدفعون عن أنفسهم الملام والعذل أو ما يجب عليهم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالجبر الباطل وبملاحظة القدر النافذ معرضين عن الأمر

والنهى ولا يفعلون مثل ذلك بمن اعتدى عليهم وظلمهم وأذاهم بل ولا بمن قصر في حقوقهم بل ولا بمن أطاع الله فأمر بما أمر الله به ونهى عما نهى الله عنه وقد بسطت الكلام في هؤلاء القدريه والقسم الأول وذكرت القدريه الإبليسية في غير هذا الموضع وإنما الغرض هنا التنبيه على معاقد الأقوال وقد فرق الله في كتابه بين القسمين بين من قام بكلماته الكونيات وبين من اتبع كلماته الدينيات وذلك في أمره وإرادته وقضائه وحكمه وإنماه وبعثه وارساله فقال في الأمر الدينى الشرعى {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَإِلَحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى} النحل 90 {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤْتُوا الْأَمْوَالَ إِلَى أَهْلِهَا} النساء 58 {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذَبَّحُوا بَقَرَةً} البقرة 67 وقال في الأمر الكوني القدري {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} يس 82 {أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ} النحل 1 وبهذا الجمع والتفريق تزول الشبهة في مسألة الأمر الشرعى هل هو مستلزم للإرادة الكونية أم لا فان التحقيق أنه غير مستلزم للإرادة الكونية القدري وإن كان مستلزمًا للإرادة الدينية الشرعية³⁹⁹

* وأن هؤلاء القدريه الجبرية الجهمية أهل الفناء في توحيد الربوبية حقيقة قولهم من جنس قول المشركين الذين قالوا {لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكَنَا وَلَا أَبَاوْنَا وَلَا حَرَّمَنَا مِنْ شَيْءٍ} الأنعام 148 قال الله تعالى {كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا فَلَمْ يَعْلَمُوكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتَخَرُّجُوهُ لَنَا إِنْ تَشْبِعُونَ إِلَّا الظُّنُنَ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ} 148 فلن فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين {149} الأنعام 148-149 فإن هؤلاء المشركين لما أنكروا ما بعثت به الرسل من الأمر و النهي و أنكروا التوحيد الذي هو عبادة الله و حده لاشريك له و هم يقررون بتوحيد

³⁹⁹ مجموع الفتاوى ج: 2 ص: 410-412

الربوبية و أن الله خالق كل شيء ما بقي عندهم من فرق من جهة الله تعالى بين مأمور و محظور فقالوا {لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكَنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمَنَا مِنْ شَيْءٍ} **الأنعام**¹⁴⁸ و هذا حق فإن الله لوشاء أن لا يكون هذا لم يكن لكن أي فائدة لهم في هذا هذا غايتها أن هذا الشرك و التحرير بقدر و لا يلزم إذا كان مقدوراً أن يكون محبوباً مرضياً لله و لا علم عندهم بأن الله أمر به و لا أحبه و لا رضيه بل ليسوا في ذلك إلا على ظن و خرص فإن إحتجوا بالقدر فالقدر عام لا يختص بحالهم و إن قالوا نحن نحب هذا و نسخط هذا فنحن نفرق الفرق الطبيعي لإنقاء الفرق من جهة الحق قال تعالى لا علم عندكم بإنتقاء الفرق من جهة الله تعالى و الجهمية المثبتة للشرع تقول بأن الفرق الثابت هو أن التوحيد قرن به النعيم و الشرك قرن به العذاب و هو الفرق الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم و هو عندهم يرجع إلى علم الله بما سيكون و أخباره بل هؤلاء لا يرجع الفرق عندهم إلى محبة منه لهذا و بغض لهذا و هؤلاء يوافقون المشركين في بعض قولهم لا في كله كما أن القدرة من الأمة الذين هم مجوس الأمة يوافقون المجوس المحسنة في بعض قولهم لا في كله و إلا فالرسول قد دعاهم إلى عبادة الله و حده لاشريك له و إلى محبة الله دون ما سواه و إلى أن يكون الله و رسوله أحب إليه مما سواهما و المحبة تتبع الحقيقة فإن لم يكن المحبوب في نفسه مستحفاً أن يحب لم يجز الأمر بمحبته فضلاً عن أن يكون أحب إلينا من كل ما سواه و إذا قيل محبته محبة عبادته و طاعته قيل محبة العبادة و الطاعة فرع على محبة المعبود المطاع و كل من لم يحب في نفسه لم تحب عبادته و طاعته و لهذا كان الناس يبغضون طاعة الشخص الذي يبغضونه و لا يمكنهم مع بغضه محبة طاعته إلا لغرض آخر محبوب مثل عوض يعطيهم على طاعته فيكون المحبوب في الحقيقة هو ذلك العوض فلا يكون الله و رسوله أحب إليهم مما سواهما إلا بمعنى أن العوض الذي يحصل من المخلوقات أحب إليهم من كل شيء و محبة ذلك

العوض مشروط بالشعور به فما لا يشعر به تمنع محبته فإذا قيل
هم قد و عدوا على محبة الله و رسوله بأن يعطوا أفضل
محبوباتهم المخلوقة قيل لا معنى لمحبة الله و رسوله عندكم إلا
محبة ذلك العوض و العوض غير مشعور به حتى يحب و إذا
قيل بل إذا قال من قال لا يحب غيره إلا لذاته المعنى أنك إذا
أعطيتني أعطيتك أعظم ما تحبه صار محبًا لذلك الأمر له قيل
ليس الأمر كذلك بل يكون قلبه فارغا من محبة ذلك الأمر و إنما
هو معلق بما و عده من العوض على عمله كال فعلة الذين يعملون
من البناء و الخليطة و النساجة و غير ذلك ما يطلبون به أجورهم
فهم قد لا يعرفون صاحب العمل أو لا يحبونه و لا لهم غرض
فيه إنما غرضهم في العوض الذي يحبونه و هذا أصل قول
الجهمية القدرية و المعتزلة الذين ينكرون محبة الله تعالى و لهذا
قالت المعتزلة و من اتبعها من الشيعة أن معرفة الله و جبت
لكونها لطفا في إداء الواجبات العقلية فجعلوا أعظم المعارف تتبعا
لما ظنوه و اجبا بالعقل و هم ينكرون محبة الله و النظر إليه
فضلا عن لذة النظر و ابن عقيل لما كان في كثير من كلامه
طائفة من كلام المعتزلة سمع رجلا يقول اللهم أنساك لذة
النظر إلى و جهة ف قال يا هذا هب أن له و جها أقتلذ بالنظر
إليه و هذا اللفظ مأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم في
الحديث الذي رواه النسائي و غيره عن عمار عن النبي صلى الله
عليه و سلم أنه قال في الدعاء اللهم بعلمنك الغيب و قدرتك
على الخلق أحيني ما كانت الحياة خيرا لي و توفني إذا كانت
الوفاة خيرا لي اللهم إني أسألك خشيتك في الغيب و الشهادة و
أسألك كلمة الحق في الغضب و الرضا و أسألك القصد في الفقر
و الغنى و أسألك نعيمًا لا ينفد و أسألك قرة عين لا تقطع و أسألك
الرضا بعد القضاء و برد العيش بعد الموت و أسألك لذة النظر
إلى و جهة الكريم و الشوق إلى لقائك من غير ضراء مضرة و
لافتة مضلله اللهم زينا بزينة الإيمان و اجعلنا هداة مهتدين
و قد روی هذا اللفظ من و جه آخر عن النبي صلى الله عليه و

سلم أظنه من رواية زيد بن ثابت و معناه في الصحيح من حديث
 صحيب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا دخل أهل
 الجنة الجنة نادى مناد يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدا ي يريد أن
 ينجزكموه فيقولون ما هو ألم بيض و جوها و يثقل موازيننا و
 يدخلنا الجنة و يجرنا من النار قال فيكشف الحجاب فينظرون إليه
 بما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه و هي الزراية يعني
 قوله {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةً} يونس 26 فقد أخبر أنه
 ليس فيما أعطوه من النعيم أحب إليهم من النظر و إذا كان النظر
 إليه أحب الأشياء إليهم علم أنه نفسه أحب الأشياء إليهم و إلا لم
 يكن النظر أحب أنواع النعيم إليهم فإن محبة الرؤية تتبع محبة
 المرئي و مالا يحب و لا يبغض في نفسه لا تكون رؤيته أحب
 إلى الإنسان من جميع أنواع النعيم و في الجملة فإنكار
 الرؤية و المحبة و الكلام أيضاً معروفاً من كلام الجهمية و
 المعتزلة و من وافقهم⁴⁰⁰

* ومن هؤلاء من يفضل بعض الأولياء على الأنبياء وقد
 يجعلون الخضر من هؤلاء وهذا خلاف ما أجمع عليه مشائخ
 الطريق المقتدى بهم دع عنك سائر أئمة الدين و علماء المسلمين
 بل لما تكلم الحكيم الترمذى فى كتاب ختم الأولياء بكلام
 وذكر انه يكون فى آخر الأولياء من هو أفضل من الصحابة
 وربما لوح بشيء من ذكر الأنبياء قام عليه المسلمون وأنكروا
 ذلك عليه ونفوه من البلد بسبب ذلك ولا ريب انه تكلم فى ذلك
 بكلام فاسد باطل لا ريب فيه ومن هناك ضل من اتبעה فى ذلك
 حتى صار جماعات يدعى كل واحد انه خاتم الأولياء كابن
 عربى صاحب الفصوص و سعد الدين بن حمويه وغيرهما
 وصار بعض الناس يدعى ان فى المتأخرین من يكون أفضل فى
 العلم بالله من أبي بكر و عمر و المهاجرين والأنصار الى أمثال

هذه المقالات التي يطول وصفها مما هو باطل بالكتاب والسنة والاجماع بل طوائف كثieron آل الأمر بهم الى مشاهدة الحقيقة الكونية القدريّة وظنوا ان من شهدها سقط عنه الأمر والنهي والوعد والوعيد وهذا هو دين المشركين الذين قالوا **{لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ}** {الأنعام 148} وهؤلاء شر من القدريّة المعتزلة الذين يقررون بالأمر والنهي والوعد والوعيد ويذكرون بالقدر فان أولئك يشبهون المجرم وهؤلاء يشبهون المشركين المكذبين بالأنبياء والشرائع فهم من **401** شر الناس

* يوجد قوم من العلماء و أهل الكلام و التصوف أثبتوا القدر و آمنوا بأن الله رب كل شيء و مليكه و أنه ما شاء كان و ما لم يشأ لم يكن و أنه خالق كل شيء و ربه و مليكه و هذا حسن و صواب لكنهم قصرروا في الأمر و النهي و الوعد و الوعيد و أفطروا حتى خرج غلاتهم إلى الإلحاد فصاروا من جنس المشركين الذين قالوا **{لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ}** {الأنعام 148}

فأولئك القدريّة و إن كانوا يشبهون المجرم من حيث أنهم أثبتوا فاعلا لما أعتقدوه شرا غير الله سبحانه فهو لاء شابهوا المشركين الذين قالوا **{لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ}** {الأنعام 148} فالمشركون شر من المجرم فإن المجرم يقررون بالجزية باتفاق المسلمين وقد ذهب بعض العلماء إلى حل نسائهم و طعامهم وأما المشركون فاتفقت الأمة على تحريم نكاح نسائهم و طعامهم و مذهب الشافعي و أحمد في المشهور عنه و غيرهما أنهم لا يقررون بالجزية و جمهور العلماء على أن مشركي العرب لا يقررون الجزية و إن أقرت المجرم

فإن النبى صلى الله عليه وسلم لم يقبل الجزية من أحد من المشركين بل قال أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله و أنا رسول الله فإذا قاتلوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها و حسابهم على الله عزوجل والمقصود هنا أن من ثبت القدر و إحتاج به أبطال الأمر والنهي فهو شر من ثبت الأمر و النهي و لم يثبت القدر و هذا متفق عليه بين المسلمين و غيرهم من أهل الملل بل بين جميع الخلق فإن من إحتاج بالقدر و شهود الربوبية العامة لجميع المخلوقات و لم يفرق بين المأمور و المحظوظ و المؤمنين و الكفار و أهل الطاعة و أهل المعصية لم يؤمن بأحد من الرسل و لا بشيء من الكتب و كان عنده آدم و إبليس سواء و نوح و قومه سواء و موسى و فرعون سواء و السابقون الأولون و كفار مكة سواء وهذا الضلال قد كثُر في كثير من أهل التصوف و الزهد و العبادة لاسيما إذا قرئوا به توحيد أهل الكلام المثبتين للقدر و المشيئة من غير إثبات المحبة و البغض و الرضى و السخط الذين يقولون التوحيد هو توحيد الربوبية و الإلهية عندهم هي القدرة على الإختراع و لا يعرفون توحيد الإلهية و لا يعلمون أن الأله هو المألوه المعبود و أن مجرد الإقرار بأن الله رب كل شيء لا يكون توحيدا حتى يشهد أن لا إله إلا الله كما قال تعالى {وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُشْرِكُونَ} يوسف 106 قال عكرمة تسألهם من خلق السموات و الأرض فيقولون الله و هم يعبدون غيره و هؤلاء يدعون التحقيق و الفناء في التوحيد و يقولون أن هذا نهاية المعرفة و أن العارف إذا صار في هذا المقام لا يستحسن حسنة و لا يستقيح سيئة لشهود الربوبية العامة و القيومية الشاملة و هذا الموضع وقع فيه من الشيوخ الكبار من شاء الله و لا حول و لا قوة إلا بالله و هؤلاء غایة توحيدهم هو توحيد المشركين الذين كانوا يعبدون الأصنام الذين قال الله عنهم { قُل لَمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } 84 { سَيَقُولُونَ اللَّهُ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ } 85 { قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ

العظيم {86} سيقولونَ اللَّهُ قُلْ أَفَلَا تَتَقَوَّنَ {87} قُلْ مَنْ بِيَدِهِ
 مَلْكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُحِبُّ وَلَا يُحَاجِرُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ
 تَعْلَمُونَ {88} سيقولونَ اللَّهُ قُلْ فَإِنَّى شُسْحَرُونَ {89}
 المؤمنون 84-89 و قال تعالى {ولَئِنْ سَأَلْتُهُمْ مَنْ خَلَقَ
 السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَإِنَّى
 يُوْفَكُونَ {61} اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ
 اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيهِ {62} وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
 فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ
 لَا يَعْقِلُونَ {63} العنكبوت 61-63 و قال تعالى {ولَئِنْ سَأَلْتُهُمْ
 مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ
 لَا يَعْلَمُونَ {لقمان 25} و قال تعالى {ولَئِنْ سَأَلْتُهُمْ مَنْ خَلَقُوهُمْ
 لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَإِنَّى يُوْفَكُونَ {الزخرف 87} و قال تعالى {قُلْ مَنْ
 يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْنَ يَمْلِكُ السَّمَعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ
 يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدْبِرُ الْأَمْرَ
 فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَقَوَّنَ {31} فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا
 بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَإِنَّى تُصْرَفُونَ {32} ذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ
 رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ {33} قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ
 مَنْ يَبْدَا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِدُّهُ فَقُلْ اللَّهُ يَبْدَا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِدُّهُ فَإِنَّى
 تُوْفَكُونَ {34} قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلْ اللَّهُ
 يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يَتَبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا
 أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ {35} يومن 31-35 و قال
 تعالى {أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ
 مَاءً فَابْنَتَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِثُوا شَجَرَهَا إِلَهٌ
 مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ {60} أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ
 خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا إِلَهٌ
 مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ {61} أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ
 وَيَكْسِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفاءَ الْأَرْضِ أَلَّهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا
 تَذَكَّرُونَ {62} أَمَّنْ يَهْدِيْكُمْ فِي ظُلْمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ
 الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيِ رَحْمَتِهِ أَلَّهُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا

**يُشْرِكُونَ {63} أَمَّنْ يَبْدَا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعْبِدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ أَلِلَّهِ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ**

صَادِقِينَ {64} النَّمَل 60-64 فَإِنْ هُؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا
مُقْرِنِينَ بِأَنَّ اللَّهَ خَالِقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخَالِقُهُمْ وَبِيَدِهِ مُلْكُوتُ
كُلِّ شَيْءٍ بَلْ كَانُوا مُقْرِنِينَ بِالْقَدْرِ أَيْضًا فَإِنَّ الْعَرَبَ كَانُوا يَتَبَوَّنُونَ
الْقَدْرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَهُوَ مُعْرُوفٌ عَنْهُمْ فِي النُّظُمِ وَالنُّثُرِ وَمَعَ
هَذَا فَلَمَّا لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ بَلْ عَبْدُوا غَيْرَهُ
كَانُوا مُشْرِكِينَ شَرَا مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فَمَنْ كَانَ غَايَةً تَوْحِيدَهُ
وَتَحْقِيقَهُ هُوَ هَذَا التَّوْحِيدُ كَانَ غَايَةً تَوْحِيدَهُ تَوْحِيدَ الْمُشْرِكِينَ
وَهُذَا الْمَقَامُ مَقَامٌ وَأَىْ مَقَامٍ زَلَّتْ فِيهِ أَقْدَامُ وَضَلَّتْ فِيهِ أَفْهَامُ وَ
بَدَلَ فِيهِ دِينُ الْمُسْلِمِينَ وَالتَّبَسَّمُ فِيهِ أَهْلُ التَّوْحِيدِ بِعِبَادَةِ الْأَصْنَامِ
عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ يَدْعُونَ نَهَايَةَ التَّوْحِيدِ وَالْتَّحْقِيقِ وَالْمَعْرِفَةِ وَ
الْكَلَامِ وَمَعْلُومٍ عِنْدَ كُلِّ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ أَنَّ الْمَعْتَزَلَةَ وَ
الشِّيَعَةَ الْقَدْرِيَّةَ الْمُتَبَتِّئَنَ لِلْأَمْرِ وَالنَّهِيِّ وَالْوَعْدِ وَالْوَعْدِ خَيْرٍ
مِّنْ يَسُوَيِّ بَيْنَ الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ وَالْبَرِّ وَالْفَاجِرِ وَالنَّبِيِّ
الصَّادِقِ وَالْمُتَنَبِّئِ الْكَاذِبِ وَأُولَئِيِّ اللَّهِ وَأَعْدَائِهِ وَيَجْعَلُ هَذَا
غَايَةَ التَّحْقِيقِ وَنَهَايَةَ التَّوْحِيدِ وَهُؤُلَاءِ يَدْخُلُونَ فِي مَسْمَى
الْقَدْرِيَّةِ الَّذِينَ ذَمَّهُمُ الْسَّلْفُ بَلْ هُمْ أَحْقَ بِالذَّمِّ مِنَ الْمُعْتَزَلَةِ وَ
نَحْوُهُمْ كَمَا قَالَ أَبُو بَكْرُ الْخَلَالُ فِي كِتَابِ السُّنَّةِ الرَّدُّ عَلَى
الْقَدْرِيَّةِ وَقَوْلُهُمْ أَنَّ اللَّهَ أَجْبَرَ الْعِبَادَ عَلَى الْمَعَاصِيِّ وَذَكْرُ عَنِ
الْمَرْوَذِيِّ قَالَ قَلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ رَجُلٍ يَقُولُ أَنَّ اللَّهَ أَجْبَرَ الْعِبَادَ
فَقَالَ هَذَا لَا تَقُولُ وَأَنْكِرَ ذَلِكَ وَقَالَ {يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ
وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} المَدْرَسَةُ 31 وَذَكَرَ عَنِ الْمَرْوَذِيِّ أَنَّ رَجُلًا قَالَ
أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْبَرْ الْعِبَادَ عَلَى الْمَعَاصِيِّ فَرَدَ عَلَيْهِ أَخْرَى فَقَالَ أَنَّ اللَّهَ
جَبَرَ الْعِبَادَ أَرَادَ بِذَلِكَ إِثْبَاتَ الْقَدْرِ فَسَأَلُوا عَنِ ذَلِكَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلَ
فَأَنْكَرَ عَلَيْهِمَا جَمِيعًا عَلَى الَّذِي قَالَ حِبْرٌ وَعَلَى الَّذِي قَالَ لَمْ يَجْبَرْ
حَتَّى تَابَ وَأَمْرَ أَنْ يَقُولَ {يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ}
المَدْرَسَةُ 31 وَذَكَرَ عَنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَهْدَى قَالَ أَنْكَرَ
سَفِيَّانَ الثُّوْرِيَّ حِبْرًا وَقَالَ إِنَّ اللَّهَ جَبَلَ الْعِبَادَ قَالَ الْمَرْوَذِيُّ

أراد قول النبي صلى الله عليه وسلم لأنشج عبد القيس يعني قوله إن فيك لخاقين يحبهما الله الحلم والإناءة فقال أخلاقين تخلفت بهما أم خلقين جبت عليهم فقال بل خلقين جبت عليهما فقال الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما وذكر عن أبي إسحاق الفزاري قال قال الأوزاعي أتاني رجلان فسألانى عن القدر فأجبت أن آتيك بهما تسمع كلامهما وتجيبهما قلت رحمك الله أنت أولى بالجواب قال فأتاني الأوزاعي ومعه الرجلان فقال تكلما فقا قدمنا علينا ناس من أهل القدر فنازعنـا في القدر ونازـعـاهـمـ فـيـهـ حـتـىـ بـلـغـ بـنـاـ وـ بـهـ إـلـىـ أـنـ قـلـنـاـ أـنـ اللـهـ جـبـرـنـاـ عـلـىـ مـاـ هـاـنـاـ عـنـهـ وـ حـالـ بـيـنـاـ وـ بـيـنـ مـاـ أـمـرـنـاـ بـهـ وـ رـزـقـنـاـ مـاـ حـرـمـ عـلـيـنـاـ فـقـلـتـ يـاـ هـؤـلـاءـ إـنـ الـذـيـ أـتـوـكـمـ بـمـاـ أـتـوـكـمـ بـهـ قـدـ إـبـتـدـعـواـ بـدـعـةـ وـ أـحـدـثـواـ حـدـثـاـ وـ أـنـىـ أـرـاـكـمـ قـدـ خـرـجـتـ مـنـ الـبـدـعـةـ إـلـىـ مـثـلـ مـاـ خـرـجـوـاـ إـلـيـهـ فـقـالـ أـصـبـتـ وـ أـحـسـنـتـ يـاـ أـبـاـ إـسـحـاقـ وـ ذـكـرـ عنـ بـقـيـةـ بـنـ الـوـلـيدـ قـالـ سـأـلـتـ الـزـبـيـديـ وـ الـأـوزـاعـيـ عـنـ الجـبـرـ فـقـالـ الـزـبـيـديـ أـمـرـ اللـهـ أـعـظـمـ وـ قـدـرـتـهـ أـعـظـمـ مـنـ أـنـ يـجـبـرـأـوـ يـعـضـلـ وـ لـكـنـ يـقـضـيـ وـ يـقـدـرـ وـ يـخـلـقـ وـ يـجـبـ عـدـهـ عـلـىـ مـاـ أـحـبـ وـ قـالـ الـأـوزـاعـيـ مـاـ أـعـرـفـ لـلـجـبـرـ أـصـلـاـ مـنـ الـقـرـآنـ وـ السـنـةـ فـأـهـابـ أـنـ أـقـولـ ذـلـكـ وـ لـكـنـ الـقـضـاءـ وـ الـقـدـرـ وـ الـخـلـقـ وـ الـجـبـلـ فـهـذـاـ يـعـرـفـ فـيـ الـقـرـآنـ وـ الـحـدـيـثـ عـنـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـ سـلـمـ وـ قـدـ قـالـ مـطـرـفـ بـنـ الشـخـيرـ لـمـ نـوـكـلـ إـلـىـ الـقـدـرـ وـ إـلـيـهـ نـصـيرـ وـ قـالـ ضـمـرـةـ إـبـنـ رـبـيـعـةـ لـمـ نـؤـمـرـ أـنـ نـتـكـلـ عـلـىـ الـقـدـرـ وـ إـلـيـهـ نـصـيرـ وـ قـدـ ثـبـتـ فـيـ الصـحـيـحـ عـنـ النـبـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـ سـلـمـ قـالـ مـاـ مـنـكـمـ مـنـ أـحـدـ إـلـاـ وـ قـدـ عـلـمـ مـقـعـدـهـ مـنـ الـجـنـةـ وـ مـقـعـدـةـ مـنـ النـارـ قـالـوـاـ يـاـ رـسـوـلـ اللـهـ أـفـلـاـ نـدـعـ الـعـمـلـ وـ نـتـكـلـ عـلـىـ الـكـتـابـ فـقـالـ لـاـ إـعـمـلـوـاـ فـكـلـ مـيـسـرـ لـمـاـ خـلـقـ لـهـ وـ هـذـاـ بـابـ وـ اـسـعـ وـ الـمـقـصـودـ هـنـاـ أـنـ الـخـلـالـ وـ غـيـرـهـ مـنـ أـهـلـ الـعـلـمـ أـدـخـلـوـاـ الـقـائـلـيـنـ بـالـجـبـرـ فـيـ مـسـمـيـ الـقـدـرـيـةـ وـ إـنـ كـانـوـاـ لـاـ يـحـتـجـونـ بـالـقـدـرـ عـلـىـ الـمـعـاصـيـ فـكـيـفـ بـمـنـ يـحـتـجـ بـهـ عـلـىـ الـمـعـاصـيـ وـ مـعـلـومـ أـنـهـ يـدـخـلـ فـيـ ذـمـ مـنـ ذـمـ اللـهـ مـنـ الـقـدـرـيـةـ مـنـ يـحـتـجـ بـهـ عـلـىـ إـسـقـاطـ الـأـمـرـ

و النهي أعظم مما يدخل فيه المنكر له فإن ضلال هذا أعظم
ولهذا قرنت القدرة بالمرجئة في كلام غير واحد من السلف و
روي في ذلك حديث مرفوع لأن كلا من هاتين البدعتين تفسد
الأمر و النهي و الوعيد فالإرجاء يضعف الإيمان
بالوعيد و يهون أمر الفرائض و المحارم و القدري أن إحتاج
به كان عونا للمرجىء و إن كذب به كان هو والمرجىء قد تقاولا
هذا يبلغ في التشديد حتى لا يجعل العبد يستعين بالله على فعل
ما أمر به و ترك ما نهى عنه و هذا يبالغ في الناحية الأخرى
ومن المعلوم ان الله تعالى ارسل الرسل و انزل الكتب لتصدق
الرسل فيما اخبرت و تطاع فيما امرت كما قال تعالى {وَمَا
أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ} النساء 64 و قال تعالى
{مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ} النساء 80 والإيمان بالقدر من
تمام ذلك فمن اثبت القدر و جعل ذلك معارضا للأمر فقد اذهب
الاصل و معلوم ان من اسقط الامر و النهي الذي بعث الله به
رسله فهو كافر باتفاق المسلمين واليهود و النصارى بل هو لاء
قولهم متناقض لا يمكن احدا منهم ان يعيش به ولا تقوم به
مصلحة احد من الخلق ولا يتعارض عليه اثنان فان القدر ان كان
حجة فهو حجة لكل احد والا فليس حجة ل احد فإذا قدر ان الرجل
ظلمه ظالم او شتمه شاتم او اخذ ماله او افسد اهله او غير ذلك
فمتى لامه او ذمه او طلب عقوبته ابطل الاحتجاج بالقدر ومن
ادعى ان العارف اذا شهد القدر سقط عنه الامر كان هذا الكلام
من الكفر الذي لا يرضاه لا اليهود ولا النصارى بل ذلك ممتنع
في العقل محال في الشرع فان الجائع يفرق بين الخبز والتراب
والعطشان يفرق بين الماء والسراب فيحب ما يشبعه ويرويه
دون ما لا ينفعه والجميع مخلوق الله تعالى فالحي وان كان من
كان لابد ان يفرق بين ما ينفعه وينعمه ويسره وبين ما يضره
ويشققه ويؤلمه وهذا حقيقة الامر و النهي فان الله تعالى امر العباد
بما ينفعهم ونهاهم عما يضرهم والناس في الشرع و القدر
على اربعة انواع فشر الخلق من يحتاج بالقدر لنفسه ولا

يراه حجة لغيره يستند اليه فى الذنوب والمعائب ولا يطمئن اليه فى المصائب كما قال بعض العلماء انت عند الطاعة قدرى وعند المعصية جبرى اى مذهب وافق هواك تمذهبت به وبازاء هؤلاء خير الخلق الذين يصبرون على المصائب ويستغفرون من المصائب كما قال تعالى {فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ} غافر 55 وقال تعالى {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ إِلَيْهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} 22 لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكتم والله لا يحب كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ} 23 الحديد 22-23 وقال تعالى {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدَ قَلْبُهُ} التغابن 11 قال بعض السلف هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم انها من عند الله فيرضي ويسلم قال تعالى {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحْشَأْتُمْ أَوْ ظَلَمْوًا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفِرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوْا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ} آل عمران 135 وقد ذكر الله تعالى عن ادم عليه السلام انه لما فعل من فعل قال {رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنْكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} الأعراف 23 وعن ابليس انه قال {بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَرْبَيْنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا غُوَيْنَهُمْ أَجْمَعِينَ} الحجر 39 فمن تاب اشبه اباه ادم ومن اصر واحت بالقدر اشبه ابليس والحديث الذى فى الصحيحين فى احتجاج ادم وموسى عليهما السلام لما قال له موسى انت ادم ابو البشر خلقك الله بيده ونفح فيك من روحه وعلمك اسماء كل شىء لماذا اخر جتنا ونفسك من الجنة فقال له ادم انت موسى الذى اصطفاك الله برسالته وبكلامه وخط لك التوراة بيده فبكم وجدت مكتوبا على قبل ان اخلق {وَعَصَى آدَمْ رَبَّهُ فَغَوَى} طه 121 قال بهذا وكذا سنة قال فحج ادم موسى وهذا الحديث فى الصحيحين من حديث ابى هريرة وقد روى باسناد جيد من حديث عمر رضى الله عنه فآدم عليه السلام انما حج موسى لان موسى لامه على ما فعل لاجل ما حصل لهم من

المصيبة بسبب اكله من الشجرة لم يكن لومه له لاجل حق الله في الذنب فان ادم كان قد تاب من الذنب كما قال تعالى {فَتَلَقَّى آدَمْ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ أَنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ } البقرة 37

وقال تعالى {ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى} طه 122

وموسى ومن هو دون موسى عليه السلام يعلم انه بعد التوبة والمغفرة لا يبقى ملام على الذنب وآدم اعلم بالله من ان يحتاج بالقدر على الذنب وموسى عليه السلام اعلم بالله تعالى من ان يقبل هذه الحجة فان هذه لو كانت حجة على الذنب لكان حجة لا بلليس عدو آدم وحجة لفرعون عدو موسى وحجة لكل كافر وفاجر وبطل امر الله ونهيه بل انما كان القدر حجة لآدم على موسى لانه لام غيره لاجل المصيبة التي حصلت له بفعل ذلك وتلك المصيبة كانت مكتوبة عليه وقد قال تعالى {مَا أَصَابَ

مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ } التغابن 11

وقال انس خدمت النبي عشر سنين فما قال لى اف قط ولا قال لشيء فعلته لم فعلته ولا لشيء لم افعله لم لا فعلته وكان بعض اهله اذا عاتبني على شيء يقول دعوه فلو قضى شيء لكان وفي الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت ما ضرب رسول الله بيده خادما ولا امرأة ولا دابة ولا شيئاً قط الا ان يجاهد في سبيل الله ولا نيل منه شيء فقط فانتقم لنفسه الا ان تنتهي محارم الله فاذا انتهكت محارم الله لم يقم لغضبه شيء حتى ينتقم الله وقد قال لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها ففي امر الله ونهيه يسارع الى الطاعة ويقيم الحدود على من تعدى حدود الله ولا تأخذ في الله لومة لائم واذا آذاه مؤذ او قصر مقصرا في حقه عفا عنه ولم يؤاخذه نظرا الى القدر فهذا سبيل الذين انعم الله عليهم من النبئين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا وهذا اوجب فيما قدر من المصائب بغير فعل ادمي كالünsئب السماوية او بفعل لا سبيل فيه الى العقوبة كفعل ادم عليه السلام فانه لا سبيل الى لومه شرعا لاجل التوبة ولا قدر ا لاجل القضاء والقدر واما اذا ظلم

رجل رجلا فله ان يستوفى مظلمه على وجه العدل وان عفا عنه
كان افضل له كما قال تعالى {وَالْجُرُوحُ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ
بِهِ فَهُوَ كَفَّارٌ لَهُ} المائدة 45⁴⁰²

أصل الضلال اتخاذ دين لم يشرعه الله أو تحريم مالم يحرمه الله

*فاتخاذ ما ليس بمشروع ديناً أو تحريم ما لم يحرم دين الجاهلية والنصارى الذي عابه الله عليهم كما قال تعالى {سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا أَبْأُونَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ} الأنعام 148 وقال تعالى فيما رواه مسلم في صحيحه من حديث عياض بن حمار إنني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين وحرمت عليهم ما أحالت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً وقال في حق النصارى {وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ} التوبة 29 ومثال ذلك أن يحصل من بعضهم تقصير في المأمور أو اعتداء في المنهي إما من جنس الشبهات وإما من جنس الشهوات ف مقابل ذلك بعضهم بالاعتداء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو بالتقدير في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتقصير والاعتداء إما في المأمور به والمنهي عنه شرعاً وإما في نفس أمر الناس ونهيهم هو الذي استحق به أهل الكتاب العقوبة حيث قال {وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الدَّلْلُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَأْوُرًا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ} البقرة 61 فجعل ذلك بالمعصية والاعتداء والمعصية مخالفة الأمر وهو التقصير والاعتداء مجاوزة الحد وكذلك يضمن كل مؤمن على مال إذا قصر

وفرط في ما أمر به وهو المعصية إذا اعتدى بخيانة أو غيرها
 ولهذا قال {وَلَا تَعَوْنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدُوانِ} المائدة 2
 فالإثم هو المعصية والله أعلم وقال النبي إن الله فرض
 فرائض فلا تضيئوها وحرم محارم فلا تنتهكوهـا وحد حدودـا فلا
 تعتمدوـها وسكت عن أشياء رحمة لكم من غير نسيان فلا تسأـلوا
 عنها فالمعصية تضيـعـ الفـرـائـضـ وـانتـهـاـكـ المـحـارـمـ وـهـوـ مـخـالـفةـ
 الـأـمـرـ وـالـنـهـيـ وـالـاعـتـدـاءـ مـجاـوزـةـ حـدـودـ المـبـاحـاتـ وـقـالـ تـعـالـىـ
 {يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاـمـ عـنـ الـمـنـكـرـ وـيـحـلـ لـهـمـ الـطـيـبـاتـ
 وـيـحـرـمـ عـلـيـهـمـ الـخـبـائـثـ} الأعراف 157 فـالـمـعـصـيـةـ مـخـالـفـةـ أـمـرـهـ
 وـنـهـيـهـ وـالـاعـتـدـاءـ مـجاـوزـةـ ماـاحـلـهـ إـلـىـ ماـحـرـمـهـ وـكـذـلـكـ قـولـهـ وـالـلهـ
 أـعـلـمـ {رـبـنـاـ اـغـفـرـ لـنـاـ دـنـوبـنـاـ وـإـسـرـافـنـاـ فـيـ أـمـرـنـاـ} آلـ
 عمرـانـ 147 فـالـذـنـوبـ الـمـعـصـيـةـ وـالـإـسـرـافـ الـاعـتـدـاءـ وـمـجـاـوزـةـ
 الـحـدـ وـأـعـلـمـ أـنـ مـجـاـوزـةـ الـحـدـ هـيـ نـوـعـ مـنـ مـخـالـفـةـ النـهـيـ لـأـنـ
 اـعـتـدـاءـ الـحـدـ مـحـرـمـ مـنـهـ عـنـهـ فـيـدـخـلـ فـيـ قـسـمـ الـمـنـهـيـ عـنـهـ لـكـنـ
 الـمـنـهـيـ عـنـهـ قـسـمـانـ مـنـهـيـ عـنـهـ مـطـلـقاـ كـالـكـفـرـ فـهـذـاـ فـعـلـهـ إـثـمـ وـمـنـهـيـ
 عـنـهـ وـقـسـمـ أـبـيـحـ مـنـهـ أـنـوـاعـ وـمـقـادـيرـ وـحـرـمـ الـزـيـادـةـ عـلـىـ تـلـكـ
 الـأـنـوـاعـ وـالـمـقـادـيرـ فـهـذـاـ فـعـلـهـ عـدـوـانـ وـكـذـلـكـ قـدـ يـحـصـلـ عـدـوـانـ
 فـيـ الـمـأـمـورـ بـهـ كـمـاـ يـحـصـلـ فـيـ الـمـبـاحـ فـإـنـ الـزـيـادـةـ عـلـىـ الـمـأـمـورـ بـهـ
 قـدـ يـكـونـ عـدـوـانـاـ وـقـدـ يـكـونـ مـبـاحـاـ مـطـلـقاـ وـقـدـ يـكـونـ مـبـاحـاـ إـلـىـ غـاـيـةـ
 فـالـزـيـادـةـ عـلـيـهـاـ عـدـوـانـ وـلـهـذـاـ التـقـيـيمـ قـبـيلـ فـيـ الشـرـيـعـةـ هـيـ
 الـأـمـرـ وـالـنـهـيـ وـالـحـلـلـ وـالـحـرـامـ وـالـفـرـائـضـ وـالـحـدـودـ وـالـسـنـنـ
 وـالـأـحـکـامـ فـالـفـرـائـضـ هـيـ الـمـقـادـيرـ فـيـ الـمـأـمـورـ بـهـ وـالـحـدـودـ
 الـنـهـيـاـتـ لـمـاـ يـجـوزـ مـنـ الـمـبـاحـ الـمـأـمـورـ بـهـ وـغـيـرـ الـمـأـمـورـ بـهـ 403

*فـماـ روـاهـ مـسـلـمـ فـيـ صـحـيـحـهـ عـنـ جـابـرـ قـالـ كـانـ رـسـولـ اللـهـ صـلـىـ
 اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ إـذـاـ خـطـبـ اـحـمـرـتـ عـيـنـاهـ وـعـلـاـ صـوـتـهـ وـاشـتـدـ غـضـبـهـ
 حـتـىـ كـأـنـهـ مـنـذـرـ جـيـشـ يـقـولـ صـبـحـكـ وـمـسـاـكـ وـيـقـولـ بـعـثـتـ أـنـاـ

⁴⁰³ مـجمـوعـ الـفـتاـوىـ جـ: 3 صـ: 361-363

والساعة كهاتين ويقرن بين أصبعين السبابية والوسطى ويقول أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلاله وفي رواية للنسائي وكل ضلاله في النار وفيما رواه أيضا في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد وفي لفظ في الصحيحين من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد وفي الحديث الصحيح الذي رواه أهل السنن عن العرياض بن سارية عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إنه من يعيش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجد وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلاله وهذه قاعدة قد دلت عليها السنة والإجماع مع ما في كتاب الله من الدلالة عليها أيضا قال تعالى {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءٌ شَرَّعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذِنْ بِهِ اللَّهُ} الشورى 21 فمن ندب إلى شيء يتقرب به إلى الله أو أوجبه بقوله أو فعله من غير أن يشرعه الله فقد شرع من الدين مالم يأذن به الله ومن اتبעהه في ذلك فقد اتخذ شريكا لله شرع له من الدين مالم يأذن به الله نعم قد يكون متولا في هذا الشرع فيغفر له لأجل تأويله إذا كان مجتهدا الاجتهد الذي يعفي فيه عن المخطئ ويثاب أيضا على اجتهاده لكن لا يجوز اتباعه في ذلك كمالا يجوز اتباع سائر من قال أو عمل قوله أو عملا قد علم الصواب في خلافه وإن كان القائل أو الفاعل ماجورا أو معذورا وقد قال سبحانه {اتَّخِذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحِ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} التوبة 31 قال عدي بن حاتم للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله ما عبدوهم قال ما عبدوهم ولكن أحلو لهم الحرام فأطاعوهم وحرموا عليهم الحلال فأطاعوهم فمن أطاع أحدا في دين لم يأذن به الله من تحليل أو تحريم أو استحباب أو إيجاب فقد لحقه من هذا الذم نصيب كما يلحق الآخر

الناهي أيضا نصيب ثم قد يكون كل منهم مغفوا عنه لاجتهاده ومثابا أيضا على الاجتهاد فيختلف عنه الذم لفوات شرطه أو لوجود مانعه وإن كان المقتضي له قائما ويلحق الذم من يبين له الحق فيتركه أو من قصر في طلبه حتى لم يتبن له أو عرض عن طلب معرفته لهوى أو لكسل أو نحو ذلك وأيضا فإن الله عاب على المشركين شيئاً أحدهما أنهم أشركوا به مالم ينزل به سلطانا والثاني تحريرهم مالم يحرمه الله عليهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فيما رواه مسلم عن عياض بن حمار عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى إني جعلت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين وحرمت عليهم ما أحالت لهم وأمرتهم أن يشروا بي مالم أنزل به سلطانا قال سبحانه {سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمَنَا مِنْ شَيْءٍ} الأنعام 148 فجمعوا بين الشرك والحرirm والشرك يدخل فيه كل عبادة لم يأذن الله بها فإن المشركين يزعمون أن عبادتهم إما واجبة وإما مستحبة وإن فعلها خير من تركها ثم منهم من عبد غير الله ليتقرب بعبادته إلى الله ومنهم من ابتدع ديننا عبدوا به الله في زعمهم كما أحدثه النصارى من أنواع العبادات الحديثة وأصل الضلال في أهل الأرض إنما نشأ من هذين إما اتخاذ دين لم يشرعه الله أو تحريم مالم يحرمه الله ولهذا كان الأصل الذي بني الإمام أحمد وغيره من الأئمة عليه مذاهبهم أن أعمال الخلق تنقسم إلى عبادات يتخذونها دينا ينتفعون بها في الآخرة أو في الدنيا والآخرة وإلى عادات ينتفعون بها في معايشهم فالأصل في العادات أن لا يشرع منها إلا ما شرعه الله والأصل في العادات أن لا يحظر منها إلا ما حظره الله وهذه المواسم الحديثة إنما نهى عنها لما حدث فيها من الدين الذي يتقرب به كما سنذكره إن شاء الله وأعلم أن هذه القاعدة وهي الاستدلال

بكون الشيء بدعة على كراحته قاعدة عامة عظيمة وتمامها
404 بالجواب عما يعارضها

أهل السنة وسط بين أهل التعطيل وبين أهل التمثيل

*فأهل السنة والجماعة في الفرق فهم في باب أسماء الله وآياته وصفاته وسط بين أهل التعطيل الذين يلحدون في أسماء الله وآياته ويعطّلون حقائق ما نعت الله به نفسه حتى يشبهوه بالعدم والموات وبين أهل التمثيل الذين يضربون له الأمثال ويشبهونه بالمخلوقات فيؤمن من أهل السنة والجماعة بما وصف الله به نفسه وما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكليف وتمثيل وهم في باب خلقه وأمره وسط بين المكذبين بقدرة الله الذين لا يؤمنون بقدرته الكاملة ومشيئته الشاملة وخلقه لكل شيء وبين المفسدين لدين الله الذين يجعلون العبد ليس له مشيئة ولا قدرة ولا عمل فيعطّلون الأمر والنهي والثواب والعقاب فيصيرون بمنزلة المشركين الذين قالوا { لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمَنَا مِنْ شَيْءٍ } الأنعام 148 فيؤمن من أهل السنة بأن الله على كل شيء قادر فيقرر أن يهدي العباد ويقلب قلوبهم وأنه ما شاء الله كان وما لم يشاً لم يكن فلا يكون في ملکه ما لا يريد ولا يعجز عن إنفذ مراده وأنه خالق كل شيء من الأعيان والصفات والحركات ويؤمنون أن العبد له قدرة ومشيئة وعمل وأنه مختار ولا يسمونه مجبورا إذ المجبور من أكره على خلاف اختياره والله سبحانه جعل العبد مختارا لما يفعله فهو مختار مرید والله خالقه وخالق اختياره

⁴⁰⁴اقتضاء الصراط ج: 1 ص: 269-268 و مجموع الفتاوى ج: 4 ص:
196

و هذا ليس له نظير فإن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله⁴⁰⁵

أضل الضلال اتباع الظن والهوى

*قال تعالى { قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَبَعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ } الأنعام 148 فإن اتباع الظن جهل واتباع هوى النفس بغير هدى من الله ظلم وجماع الشر الجهل والظلم قال الله تعالى { وَحَمَلَهَا إِنْسَانٌ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا } الأحزاب 72⁴⁰⁶

وأضل الضلال اتباع الظن والهوى كما قال الله تعالى في حق من ذمهم { إِنْ يَتَبَعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءُهُمْ مِّنْ رَّبِّهِمُ الْهُدَى } النجم 23 وقال في حق نبيه (وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَى { 1 } مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى { 2 } وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى { 3 } إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى { 4 } } النجم 4-1 فنزهه عن الضلال والغواية اللذين هما الجهل والظلم فالضلال هو الذي لا يعلم الحق والغاوي الذي يتبع هواه وأخبر أنه ما ينطق عن هوى النفس بل هو وحي أوحاه الله إليه فوصفه بالعلم ونزعه عن الهوى⁴⁰⁷

من احتج بالقدر على ما فعله من ذنبه كان من أخسر الناس

⁴⁰⁵ مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 374

⁴⁰⁶ مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 348

⁴⁰⁷ مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 384

*قوله {مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ } النساء 79 حق من كل وجه ظاهرا وباطنا على مذهب أهل السنة وأما السيدة فلا تكون إلا بذنب العبد وذنبه من نفسه وهو لم يقل إني لم أقدر ذلك ولم أخلقه بل ذكر للناس ما ينفعهم فإذا تدبر العبد علم أن ما هو فيه من الحسنات من فضل الله فشكر الله فزاده الله من فضله عملا صالحا ونعمما يفيضها عليه وإذا علم أن الشر لا يحصل له إلا من نفسه بذنبه استغفر وتاب فزال عنه سبب الشر فيكون العبد دائمًا شاكرا مستغفرا فلا يزال الخير يتضاعف له والشر يندفع عنه كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في خطبته الحمد لله فيشكير الله ثم يقول نستعينه ونستفغره نستعينه على الطاعة ونستفغره من المعصية ثم يقول وننحوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا فيستعيذ به من الشر الذي في النفس ومن عقوبة عمله فليس الشر إلا من نفسه ومن عمل نفسه فيستعيذ الله من شر النفس أن يعمل بسبب سيئاته الخطايا ثم إذا عمل استعاد بالله من سيئات عمله ومن عقوبات عمله فاستعانه على الطاعة وأسبابها واستعاد به من المعصية وعقابها فعلم العبد بأن ما أصابه من حسنة فمن الله وما أصابه من سيئة فمن نفسه يوجب له هذا وهذا فهو سبحانه فرق بينهما هنا بعد أن جمع بينهما في قوله { قُلْ كُلُّ مَنْ عِنْدِ اللَّهِ } النساء 78 ثم بين فرق الذي ينتفعون به وهو أن هذا الخير من نعمة الله فاشكروه يزدكم وهذا الشر من ذنوبكم فاستغفروه يدفعه عنكم والمذنب اذا تاب واستغفر تأسى بالأنبياء كادم والمؤمنين كآدم وغيره وإذا أصر واحتج بالقدر فقد تأسى بالأشقياء كإبليس ومن اتبעהه من الغاوين فكان من ذكره أن السيدة من نفس الإنسان بذنبه بعد أن ذكر أن الجميع من عند الله تنبئها على الاستغفار والتوبة والاستعاذه بالله من شر نفسه وسيئات عمله والدعاء بذلك في الصباح والمساء وعند المنام كما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك أبا بكر الصديق أفضل الأمة حيث علمه أن يقول اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أعوذ بك من شر نفسي وشر

الشيطان وشركه وأن اقترف على نفسي سوءاً أو أجره إلى مسلم
 فيستغفر مما مضى ويستعيذ مما يستقبل فيكون من حزب
 السعداء وإذا علم أن الحسنة من الله الجزاء والعمل سأله أن يعينه
 على فعل الحسنات بقوله {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} الفاتحة 5
 وأما إذا أخبر أن الجميع من عند الله فقط ولم يذكر الفرق فإنه
 يحصل من هذه التسوية إعراض العاصي والمذنب عن ذم نفسه
 وعن التوبة من ذنوبها والاستعاذه من شرها بل وقام في نفسه أن
 يحتاج على الله بالقدر وتلك حجة داحضة لا تنفعه بل تزيده عذاباً
 وشقاء كما زادت إيليس وكالذين قالوا {سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ
 لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُنَا وَلَا أَبَاوْنَا وَلَا حَرَمَنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَبَ
 الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بِأَسْنَانِ قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتَخْرُجُوهُ
 لَنَا إِنْ تَتَبَعُونَ إِلَّا الظَّنُّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ} الأنعام 148 فمن
 احتاج بالقدر على ما فعله من ذنبه وأعرض عمما أمر الله من
 التوبة والاستغفار والاستعاذه بالله والاستعاذه به واستهدائه كان
 من أحسن الناس في الدنيا والآخرة فهذا من فوائد ذكر الفرق بين
 الجميع 408

احرص على ما ينفعك واستعن بالله

* فقول القائل كيف تستجلب الأقسام بالحركات جوابه ان
 الأقسام تناولت الحركات كما تناولت السعادات والله تعالى قدر
 ان يكون هذا بهذا فإذا ترك العبد العمل ظاناً أن السعادة تحصل
 له كان هذا الترك سبباً لكونه من أهل الشقاوة وهذا ضل
 فريق كان كذبوا بالقضاء والقدر وصدقوا بالأمر والنهى
 وفريق آمنوا بالقضاء ولاقدر لكن قصرروا في الأمر والنهى
 وهؤلاء شر من الأولين فإن هؤلاء من جنس المشركين الذين

⁴⁰⁸ الحسنة والسيئة ج: 1 ص: 43-44 و مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 265

قالوا لو شاء الله ما أشركنا سورة الأنعام 148 وأولئك من جنس المجروس لكن إذا عنى بهذا الكلام أن العبد لا يتكل على عمله ولا يظن أنه ينجو بسعيه فهذا معنى صحيح فالأسباب التي من العباد بل ومن غيرهم ليست موجبات لا لأمر الدنيا ولا للأمر الآخرة بل قد يكون لا بد منها ومن أمور أخرى من فضل الله ورحمته خارجة عن قدرة العبد وما ثم موجب إلا مشيئة الله فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وكل ذلك قد بينه النبي ص وهو معروف عند من نور الله بصيرته وأما التفريق بين المقدور عليه والمعجز عنه ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي ص أنه قال المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن اللو تفتح عمل الشيطان وفي سنن أبي داود عن النبي ص أنه اختصم إليه رجلان فقضى على أحدهما فقال المقصى عليه حسبي الله ونعم الوكيل فقال النبي ص إن الله يلوم على العجز ولكن عليك بالكيس فإذا أحزنك أمر فقل حسبي الله ونعم الوكيل⁴⁰⁹

الإيمان بالقدر هدى والإحتجاج به على الله ضلال وغنى

* أن الله رب كل شيء وخلقه ومليكه لارب غيره ولا خالق سواه وإنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن لا حول ولا قوة إلا به ولا ملجاً منه إلا إليه وأنه على كل شيء قادر فجميع ما في السموات والأرض من الأعيان وصفاتها وحركاتها فهي

⁴⁰⁹ الاستقامة ج: 1 ص: 176-177

مخلوقة له مقدورة له مصرفه بمشيئته لا يخرج شيء منها عن قدرته و ملكه و لا يشركه في شيء من ذلك غيره بل هو سبحانه لا إله إلا هو وحده لا شريك له له الملك و له الحمد و هو على كل شيء قدير فالعبد فقير الى الله في كل شيء يحتاج إليه في كل شيء لا يستغني عن الله طرفة عين فمن يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له فنقول إذا ألم العبد أن يسأل الله الهدایة و يستعينه على طاعته أعاذه و هداه و كان ذلك سبب سعادته في الدنيا و الآخرة و إذا خذل العبد فلم يعبد الله و لم يستعن به ولم يتوكل عليه وكل إلى حوله وقوته فيوليه الشيطان وصد عن السبيل و وشقى في الدنيا و الآخرة و كل ما يكون في الوجود هو بقضاء الله وقدره لا يخرج أحد عن القدر المقدور ولا يتجاوز ما خط له في اللوح المحفوظ ليس لأحد على الله حجة بل

{ فَلِلّٰهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهُدَاكُمْ أَجْمَعِينَ } الأنعام 149 كل

نعمة منه فضل وكل نعمة منه عدل وعلى العبد أن يؤمن بالقدر وليس له أن يحتاج به على الله بالإيمان به هدى و الإحتجاج به على الله ضلال وغى بل بالإيمان بالقدر يوجب أن يكون العبد صبارا شكورا صبورا على البلاء شكورا على الرخاء إذا أصابته نعمة علم أنها من عند الله فشكره سوء كانت النعمة حسنة فعلها أو كانت خيرا حصل بسبب سعيها فإن الله هو الذي يسر عمل الحسنات و هو الذي تفضل بالثواب عليها فله الحمد في ذلك كله و إذا أصابته مصيبة صبر عليها و إن كانت تلك المصيبة قد جرت على يد غيره فالله هو الذي سلط ذلك الشخص وهو الذي خلق أفعاله و كانت مكتوبة على العبد كما قال تعالى {مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيَّةً فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّنْ قَبْلِ أَنْ تَنْزَلَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللّٰهِ يَسِيرٌ} 22 لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكتم و الله لا يحب كُلَّ مُختالٍ فخور {الحاديـ 22-23} وقال تعالى {مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيَّةً إِلَّا بِإِذْنِ اللّٰهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللّٰهِ يَهْدِ فَلَبَّهُ} 11 التغابن قالوا هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى و يسلم

و عليه إذا أذنب أن يستغفر ويتب ولا يحتاج على الله بالقدر ولا يقول أي ذنب لي وقد قدر علي هذا الذنب بل يعلم أنه هو المذنب العاصي الفاعل للذنب وإن كان ذلك كله بقضاء الله وقدره ومشيئته إذ لا يكون شيء إلا بمشيئته وقدرته و خلقه لكن العبد هو الذي أكل الحرام و فعل الفاحشة و هو الذي ظلم نفسه كما أنه هو الذي صلى و صام و حج و جاهد فهو الموصوف بهذه الأفعال وهو المتحرك بهذه الحركات و هو الكاسب بهذه المحدثات له ما كسب و عليه ما إكتسب والله خالق ذلك و غيره من الأشياء لماله في ذلك من الحكمة البالغة بقدرته التامة و مشيئته النافذة قال تعالى {فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ} 55 غافر فعلى العبد أن يصبر على المصائب وأن يستغفر من المعائب والله تعالى لا يأمر بالفحشاء ولا يرضي عباده الكفر و لا يحب الفساد و هو سبحانه خالق كل شيء و ربه و ملائكة و ما شاء كان و ما لم يشاً لم يكن فمن يهده الله فلا مضل له و من يضل فلا هادي له و مشيئة العبد للخير و الشر موجودة فإن العبد له مشيئة للخير و الشر و له قدرة على هذا وهذا وهو العامل لهذا و هذا و الله خالق ذلك كله وربه وملائكة لا خالق غيره ولا رب سواه ما شاء كان و ما لم يشاً لم يكن وقد أثبت الله المشيئتين مشيئه الرب ومشيئه العبد وبين أن مشيئه العبد تابعة لمشيئه الرب في قوله تعالى {إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا} 29 وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْهِ حَكِيمًا} 30 الانسان 29-30 و قال تعالى {إِنَّ هُوَ إِلَّا ذَكْرٌ لِلْعَالَمِينَ} 27 لمن شاء منكم أن يستقيم {28} وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} 29 التكوير 27-29 وقد قال تعالى {أَيْنَمَا تَكُونُوا يُذْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِنْ تُصِبُّهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبُّهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلُّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَا لِهُؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا} 78 مَا أَصَابَكُمْ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا

أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَكَفَى بِاللَّهِ
شَهِيداً {79} النساء 78-79 410

{ فَلَوْ شَاءَ لَهُدَائِكُمْ أَجْمَعِينَ }

*قال تعالى {قُلْ فَلَلَّهِ الْحَجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهُدَائِكُمْ أَجْمَعِينَ} الانعام 149 اتفق المسلمين وسائر أهل الملل على أن الله على كل شيء قدير كما نطق بذلك القرآن أى في مواضع كثيرة جدا وأن الشيء إسم لما يوجد في الأعيان و لما يتصور في الأذهان فما قدره الله وعلم أنه سيكون هو شيء في التقدير و العلم و الكتاب و أن لم يكن شيئا في الخارج و منه قوله {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} يس 82 و لفظ الشيء في الآية يتناول هذا و هذا فهو على كل شيء ما و جد و كل ما تصوره الذهن موجودا إن تصور أن يكون موجودا قديرا لا يستثنى من ذلك شيء و لا يزداد عليه شيء كما قال تعالى {بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَائِهِ} القيامة 4 وقال {وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدْرٍ فَأَسْكَنَاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابِهِ لَقَادِرُونَ} المؤمنون 18 قال المفسرون لقادرون على أن نذهب به حتى تموتوا عطشا و تهلك مواشيكم و تخرب أراضيكم و معلوم أنه لم يذهب به و هذا قوله {أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَسْرِيُونَ} الواقعة 68 إلى قوله و {وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تَكْدِبُونَ} الواقعة 82 و هذا يدل على أنه قادر على مالا يفعله فإنه أخبر شئنا لأنينا كل نفس هداها {السجدة 13} {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ} يونس 99 {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا افْتَنَتُلُوا} البقرة 253

فإنه أخبر في غير موضع أنه لو شاء لفعل أشياء و هو لم يفعلها
فلو لم يكن قادرا عليها لكان إذا شاءها لم يمكن فعلها⁴¹¹

الأصول الثلاثة توحيد الله والإيمان برسله وبال يوم الآخر أمور متلازمة

*ودين الإسلام مبني على أصلين وهما تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأول ذلك أن لا تجعل مع الله لها آخر فلا تحب مخلوقا كما تحب الله ولا ترجوه كما ترجو الله ولا تخشاه كما تخشى الله ومن سوى بين المخلوق والخالق في شيء من ذلك فقد عدل بالله وهو من الذين بربهم يعدلون وقد جعل مع الله لها آخر وإن كان مع ذلك يعتقد أن الله وحده خلق السموات والأرض فإن مشركي العرب كانوا مقررين بأن الله وحده خلق السموات والأرض كما قال تعالى {وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَإِنَّمَا يُؤْفَكُونَ} العنكبوت 61 وكأنوا مع ذلك مشركين يجعلون مع الله آلة أخرى⁴¹²

*قال تعالى في أعظم الآيات {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} البقرة 255 ذكره في ثلاثة مواضع من القرآن كل موضع فيه أحد أصول الدين الثلاثة وهي التوحيد والرسل والآخرة هذه التي بعث بها جميع المرسلين وأخبر عن المشركين أنهم يكفرون بها في مثل قوله {وَلَا تَبْيَغْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ} الأنعام 150 فقال هنا {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} البقرة 255 قرناها

⁴¹¹مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 10

⁴¹²مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 311

بأنه لا إله إلا هو و زاد في آل عمران { نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التُّورَةَ وَالْإِنْجِيلَ }³ من قبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ }⁴ آل عمران 4-3 وهذا إيمان بالكتب والرسل وقال في طه { يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذْنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا }¹⁰⁹ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفُهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا }¹¹⁰ وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيْوِمِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا }¹¹¹ طه 109-111 ⁴¹³

*قال تعالى { حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَ كُوَا فِيهَا جَمِيعاً قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لَا وَلَا هُمْ رَبَّنَا هَوْلَاءَ أَضْلَلُونَا فَاتَّهُمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ } الأعراف 38 كذلك قال { أَفَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَثَاراً فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } غافر 82 إلى قوله { وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ }⁸⁵ غافر 85 فأخبر هنا بمثل ما أخبر به في الأعراف أن هؤلاء المعرضين بما جاءت به الرسل لما رأوا بأس الله وحدوا الله وتركوا الشرك فلم ينفعهم ذلك وكذلك أخبر عن فرعون وهو كافر بالتوحيد وبالرسالة انه لما ادركه الغرق قال { قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ } يومن 90 قال الله { الآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ } يومن 91 وقال تعالى { وَإِذَا أَخَذَ رَبِّكَ مِنْ تَبَيِّ آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتُهُمْ وَأَشَهَدُهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمُ الْسُّنْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلِّي شَهَدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ }¹⁷² أَوْ تَقُولُوا إِنَّا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلٍ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفْتَهَلُكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطَلُونَ }¹⁷³ الأعراف 172-173 وقال تعالى { أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمٌ نُوحٌ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءُهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُوا أَيْدِيهِمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا

بِمَا أَرْسَلْنَا مِنْهُ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ {9} قَالَتْ
 رُسُلُهُمْ أَفَيِ الَّهُ شَكٌّ فَأَطْرَفَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ يَدْعُوكُمْ لِيغْفِرَ لَكُمْ
 مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤْخِرُكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمَّى قَالُوا إِنَّا نَنْهَا إِلَّا بَشَرٌ مُّثُنا
 ثُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آباؤُنَا فَأَتُونَا بِسُلطَانٍ
 مُّبِينٍ {10} إِبْرَاهِيمٌ 9-10 وهذا في القرآن في مواضع أخرى يبيّن
 فيها أن الرسل كلهم أمرموا بالتوحيد بعبادة الله وحده لا شريك له
 ونهوا عن عبادة شيء من المخلوقات سواه أو اتخاذها لها ويخبر
 أن أهل السعادة هم أهل التوحيد وأن المشركين هم أهل الشقاوة
 وذكر هذا عن عامة الرسل ويبيّن أن الذين لم يؤمنوا بالرسل
 مشركون فعلم أن التوحيد والإيمان بالرسل متلازمان وكذلك
 الإيمان باليوم الآخر هو والإيمان بالرسل متلازمان فالثلاثة
 متلازمة ولها يجمع بينها في مثل قوله ﴿وَلَا تَتَبَعُ أَهْوَاءَ الَّذِينَ
 كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ

﴿الأنعام 150﴾

ولهذا أخبر أن الذين لا يؤمنون بالأخرة مشركون فقال تعالى
 ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَرَتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ
 ﴾ الزمر 45 وأخبر عن جميع الأشقياء ان الرسل أنذرتهم
 باليوم الآخر كما قال تعالى ﴿كُلُّمَا أَقْيَ فِيهَا فَوْجٌ سَالَّهُمْ خَرَّتْهَا
 أَلْمَ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ {8} قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءُنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبُنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ
 اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ {9} وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ
 أَوْ نَعْقَلُ مَا كَنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ {10} فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا
 لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ {11} الْمُلْكٌ 8-11 فأخبر أن الرسل أنذرتهم
 وانهم كذبوا بالرسالة وقال تعالى ﴿وَسَيِّقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ
 زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَأَوْهَا فُتَحْتُ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَرَّتْهَا أَلْمَ يَأْتِكُمْ
 رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا

فَالْلُّوَا بَلَى } الزِّمْر 71 فَأَخْبَرَ عَنْ أَهْلِ النَّارِ إِنَّهُمْ قَدْ جَاءُتْهُمْ
الرِّسْالَةَ وَانذَرُوا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ⁴¹⁴

ثلاث مهلكات

* والهوى مصدر هوى يهوى هوى ونفس المهوى يسمى هوى ما يهوى فاتباعه كاتباع السبيل كما قال تعالى { وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدُلُونَ } الأنعام 150 وكما في لفظ الشهوة فاتباع الهوى يراد به نفس مسمى المصدر أي اتباع ارادته ومحبته التي هي هواه واتباع الارادة هو فعل ما تهواه النفس كقوله تعالى واتبع سبيل من أتاب الي و قوله وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبيل ففرق بكم عن سبيله وقال ولا تتبعوا من دونه أولياء فلفظ الاتباع يكون للأمر الناهي وللأمر والنهي وللمأمور به والمنهي عنه وهو الصراط المستقيم كذلك يكون للهوى أمر ونهي وهو أمر النفس ونهيا كما قال تعالى ان النفس لأمرة بالسوء الا ما رحم ربى ان ربى غفور رحيم ولكن ما يأمر به من الأفعال المذمومة فأحدها مستلزم للأخر فاتباع الأمر هو فعل المأمور واتباع أمر النفس هو فعل ما تهواه فعلى هذه يعلم أن اتباع الشهوات واتباع الأهواء هو اتباع شهوة النفس وهوهاه وذلك يفعل ما تشتهيه وتهواه بل قد يقال هذا هو الذي يتبع في لفظ اتباع الشهوات والأهواء لأن الذي يشتهي ويهوى إنما يصير موجودا بعد أن يشتهي ويهوى وإنما ينم الانسان اذا فعل ما يشتهي ويهوى عند وجود فهو حينئذ قد فعل ولا ينهى عنه بعد وجوده ولا يقال

لصاحبه لا تتبع هو اك وأيضا فال فعل المراد المشتهى الذي يهواه الانسان هو تابع لشهوته وهوه فليس الشهوة والهوى تابعة له فاتباع الشهوات هو اتباع شهوة النفس و اذا جعلت الشهوة بمعنى المشتهى كان مع مخالفة الأصل يحتاج الى أن يجعل في الخارج ما يشتهى والانسان يتبعه كالمرأة المطلوبة أو الطعام المطلوب وإن سميت المرأة شهوة والطعام أيضا كما في قوله صلى الله عليه وسلم كل عمل ابن آدم له الا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به يدع طعامه وشرابه وشهوته من أجلي أي بترك شهوته وهو إنما يترك ما يشتهيه كما يترك الطعام لأنه يدع طعامه بترك الشهوة الموجودة في نفسه فإن تلك مخلوقة فيه مجبر علىها وإنما يثاب اذا ترك ما تطلبها تلك الشهوة وحقيقة الأمر أنها متلازمان فمن اتبع نفس شهوته القائمة بنفسه اتبع ما يشتهيه وكذلك من اتبع الهوى القائم بنفسه اتبع ما يهواه فإن ذلك من آثار الارادة واتباع الارادة هو امثال أمرها وفعل ما تطلبه المأموم الذي يتبع أمر أميره ولابد أن يتصور مراده الذي يهواه ويشتهيه في نفسه ويتخيله قبل فعله فيبقى ذلك المثال كالمثال مع المأموم يتبعه حيث كان وفعله في الظاهر تبع لاتباع الباطن فتبقي صورة المراد المطلوب المشتهى التي في النفس هي المحركة للانسان الامر له ولهذا يقال العلة الغائية علة فاعلية فإن الانسان للعلة الغائية بهذا التصور والارادة صار فاعلا للنفع وهذه الصورة المرادة المتتصورة في النفس هي التي جعلت الفاعل فاعلا فيكون الانسان متبعا لها والشيطان يمده في الغي فهو يقوى تلك الصورة ويقوى أثرها ويزين للناس اتباعها وتلك الصورة تتناول صورة العين المطلوبة كالمحوب من الصور والطعام والشراب وتناول نفس الفعل الذي هو المباشرة لذلك المطلوب المحوب والشيطان والنفس تحب ذلك وكلما تصور ذلك المحوب في نفسه أراد وجوده في الخارج فإن أول الفكر آخر العمل وأول البغية آخر الدرك ولهذا يبقى الانسان عند شهوته وهوه أسيرا لذلك مقهورا تحت سلطان الهوى أعظم من

قهر كل قاهر فإن هذا القاهر الهوائي القاهر للعبد هو صفة قائمة بنفسه لا يمكنه مفارقتها البتة والصورة الذهنية تطلبها النفس فإن المحبوب تطلب النفس أن تدركه وتمثله لها في نفسها فـ مـ تـ بـعـ لـ لـ اـ رـ اـ دـةـ وإن كانت الذهنية والتزين من الزين والمراد التصور في نفسه والمشتهى الموجود في الخارج له محركان التصور والمشتهى هذا يحركه تحرياك طلب وأمر وهذا يأمره أن يتبع طلبه وأمره فاتباع الشهوات والأهواء يتناول هذا كله بخلاف كل قاهر ينفصل عن الإنسان فإنه يمكنه مفارقته مع بقاء نفسه على حالها وهذا إنما يفارقه بتغير صفة نفسه ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم ثلات مهلكات شح مطاع وهو مـ تـ بـعـ واعجاب المرء بنفسه وثلاث منجيات خشية الله في السر والعلانية والقصد في الفقر والغنا وكلمة الحق في الغضب والرضا وقوله في الحديث هو مـ تـ بـعـ فيه دليل على أن المـ تـ بـعـ هو ما قام في النفس كقوله في الشح المطاع وجعل الشح مطاعاً لأنـهـ هوـ الـأـمـرـ وـ جـعـلـ الـهـوـيـ مـ تـ بـعـ لأنـ المـ تـ بـعـ قد يكون أمـاـ يـقـنـدـىـ بـهـ وـلاـ يـكـونـ آـمـراـ⁴¹⁵

أهل البدع والتفرق هم أهل الأهواء

*فإن إتباع الإنسان لما يهواه هو أخذ القول والفعل الذي يحبه ورد القول والفعل الذي يبغضه بلا هدى من الله قال تعالى {فَإِنْ شَهُدُواْ فَلَا تَشْهُدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ} الأنعام 150 فمن أتبع أهواء الناس بعد العلم الذي بعث الله به رسوله وبعد هدى الله الذي بينه لعباده فهو بهذه المثابة ولهذا كان السلف يسمون أهل

⁴¹⁵ الزهد والورع والعبادة ج: 1 ص: 28

البدع والتفرق المخالفين لكتاب والسنة أهل الأهواء حيث قبوا
ما أحبوه وردوا ما أبغضوه بأهوائهم بغير هدى من الله⁴¹⁶

إن المشركين يعدلون آهتهم برب العالمين

* قال تعالى { فَإِنْ شَهُدُوا فَلَا تَشَهِّدُ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ } الأنعام 150 وهذا يتناول أهواء المشركين كما صرح بنهاية عن اتباع أهواء المشركين⁴¹⁷

* فإن المشركين يعدلون آهتهم برب العالمين كما قال { ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ } الأنعام 1 وقال { تَأَلَّهُ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ } 97 { إِذْ نُسَوِّيْكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ } 98 { الشعراة 97-98 }⁴¹⁸

* و إذا كان الشيء يعدل غيره فعدل الشيء بالفتح هو مساويه وإن كان من غير جنسه كما قال تعالى { أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا } المائدة 95 والصيام ليس من جنس الطعام والجزاء ولكن يعادله في القدر وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا و قوله تعالى { وَلَا يُعْلِلُ مِنْهَا عَدْلٌ } البقرة 123 أي فدية و الفدية ما يعدل بالمفدي و إن كان من غير جنسه { ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ } الأنعام 1 أي يجعلون له عدلاً أي ندا في الإلهية و إن كانوا يعلمون أنه ليس من جنس الرب سبحانه⁴¹⁹

⁴¹⁶ مجموع الفتاوى ج: 4 ص: 189

⁴¹⁷ الجواب الصحيح ج: 3 ص: 57

⁴¹⁸ مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 362

⁴¹⁹ مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 137

أعلم الناس من كان رأيه وقياسه موافقاً للنصوص

* أعلم الناس من كان رأيه واستصلاحه واستحسانه وقياسه موافقاً للنصوص كما قال مجاهد أفضل العبادة الرأي الحسن وهو اتباع السنة ولهذا قال تعالى {وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْغَرِيزِ الْحَمِيدِ} ص6 ولهذا كان السلف يسمون أهل الآراء المخالفة للسنة والشريعة في مسائل الاعتقاد الخبرية ومسائل الأحكام العملية أهل الأهواء لأن الرأي المخالف للسنة جهل لا علم فصاحبه ومن اتبع هواه بغير علم ولهذا يذكر الله في القرآن من يتبع هواه بغير علم ويذم من يتبع هواه بغير هدي من الله كما قال تعالى {وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ} القصص 50 وقال تعالى {وَإِنَّ كَثِيرًا لِّيَضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ} الأنعام 119 وكل من اتبع هواه اتبّعه بغير علم إذ لا علم بذلك إلا بهدي الله الذي بعث الله به رسالته كما قال تعالى {فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِّنِي هُدًى فَمَنْ اتَّبَعَ هُدًى إِنَّ فَلَأَ يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى} 123 {وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنَكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} 124 { طه 123-124 ولهذا نعم الله الهوى في مواضع من كتابه واتّباع الهوى يكون في الحب والبغض كقوله تعالى {يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَنَّعِّمُ الْهَوَى فَيُضِلُّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ} ص26 فهنا يكون اتبّاع الهوى هو ما يخالف الحق في الحكم قال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَامِينَ بِالْقِسْطِ شَهَدَاءَ اللَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَنَّعِّمُ الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنَ

تَلْوُاً وَأَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَيْرًا } النساء 135
 فهنا يكون اتباع الهوى فيما يخالف القسط من الشهادة وغيرها
 والحق هو العدل واتباع الهوى في خلاف ذلك هو من الظلم
 وقد نهى رسول الله عن اتباع أهواء الخلق وقال تعالى {ولَنْ
 تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَشْبَعَ مِلْتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدًى اللَّهِ
 هُوَ الْهُدَى وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الذِّي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ
 مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ } البقرة 120 فنها عن اتباع أهواء
 الذين أوتوا الكتاب بعد ما جاءهم من العلم وكذلك قال تعالى
 في الآية الأخرى { وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ
 الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمْنَ الظَّالِمِينَ } البقرة 145 وقال تعالى { وَأَنِ احْكُمْ
 بِيَنَّهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَبَعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرُهُمْ أَنْ يَقْتُلُوكُ عن
 بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلُّوْ فَاعْلَمُ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ
 بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ } المائدة 49 وقال تعالى { قُلْ هَلْ مُشَهِّدَأَكُمْ
 الَّذِينَ يَشْهُدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَمَ هَذَا فَإِنْ شَهَدُوا فَلَا تَشْهُدْ مَعْهُمْ وَلَا
 تَشْبَعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِإِيمَانِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَهُمْ
 بِرِبِّهِمْ يَعْدِلُونَ } الأنعام 150 فقد نها عن اتباع أهواء
 المشركين واتباع أهواء أهل الكتاب وحذر أن يفتتوه عما أنزل
 الله إليه من الحق وذلك يتضمن النهي عن اتباع أهواء أحد في
 خلاف شريعته وسنته وكذا أهل الأهواء من هذه الأمة وقد بين
 ذلك في قوله تعالى { ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا
 وَلَا تَتَبَعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ } 18 { إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ
 شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بِعَصْبُهُمْ أُولَئِكَ بَعْضٌ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ } 19
 الجاثية 18-19 فقد أمره في هذه الآية باتباع الشريعة التي جعله
 عليها ونهاه عن اتباع ما يخالفها وهي أهواء الذين لا يعلمون
 ولهذا كان كل من خرج عن الشريعة والسنن من أهل الأهواء كما
 سماهم السلف وقال تعالى { وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَ
 السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ } المؤمنون 71 وقال تعالى
 { قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَنَّبِعُوا أَهْوَاءَ
 قَوْمٍ قَدْ ضَلَّوْ مِنْ قَبْلٍ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلَّوْ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ

{ المائدة 77 } وَقَالَ تَعَالَى { وَمَا لَكُمْ أَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطَرَرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنْ كَثِيرًا لِيَضْلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ } الأَنْعَام 119 وَقَالَ تَعَالَى { قَالُوا لَوْلَا أُوتَيْتِ مِثْلَ مَا أُوتَيْتِي مُوسَى أَوْلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتَيَ مُوسَى مِنْ قَبْلِ } القصص 48 إِلَى قَوْلِهِ { فَأَتَوْا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَتْبَعُهُ إِنْ كُنْنَا صَادِقِينَ } 49 فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِبُوا لَكَ فَاعْلُمْ أَنَّمَا يَتَبَعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلَّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنْ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ

الظَّالِمِينَ } 50 القصص 49-50 وَقَالَ تَعَالَى { وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ أَنَّفَا أَوْلَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ } 16 وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَفْوَاهُمْ } 17 محمد 16-17 فذكر الذين أتوا العلم وهم الذين يعلمون أن ما أنزل إليه من ربه الحق ويفقهون ما جاء به وذكر المطبوع على قلوبهم فلا يفقهون إلا قليلا الذين اتبعوا أهوائهم يسألونهم ماذا قال الرسول آنفا وهذه حال من لم يفقه الكتاب والسنّة بل يتشكل ذلك فلا يفقهه أو قرأه متعارضا متناقضا وهي صفة المنافقين ثم ذكر صفة المؤمنين فقال تعالى { وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ } محمد 17 زيادة الهدي وهو ضد الطبع على قلوب أولئك وآتاهم تقواهم وهو ضد اتباع أولئك الأهواء فصاحب التقوى ضد صاحب الأهواء كما قال تعالى { وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى } 40 فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى } 41 النازعات 40-41 وقال تعالى { إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيمَةَ الْجَاهِلِيَّةَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْأَزْمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقُّ بِهَا وَأَهْلَهَا } الفتح 26⁴²⁰

⁴²⁰ قاعدة في المحبة ج: 1 ص: 20

"ليس أحد أغير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن "

* قال الله تعالى {فَلَمْ تَعَالَوْا أَئْلُلَ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا شُرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالَّذِينَ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أُولَادَكُمْ مِنْ إِمَلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَاهُمْ وَلَا تَقْرِبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا يَبْطَئُ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَاعِدُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } 151 { وَلَا تَقْرِبُوا مَالَ الْيَتَيمِ إِلَّا بِأَنَّكُمْ هُنَّ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشْدَدَهُ وَأَوْفُوا الْكِيلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسِعَهَا وَإِذَا قَلِمْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَاعِدُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } 152 { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَاعِدُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } 153 { الأنعام 151-153 في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما أحد أغير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن وما أحد أحب إليه المدح من الله ولذلك مدح نفسه وفي رواية لمسلم وليس أحد أحب إليه العذر من الله من أجل ذلك انزل الكتاب وارسل الرسل جمع النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث بين وصفة سبحانه بأكمل المحبة للممادح وأكمل البغض للمحارم وفي الصحيحين عن المغيرة بن شعبة قال قال سعد بن عبادة لو رأيت رجلاً مع امرأته لأضربه بالسيف غير مصحف فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تعجبون من غيره سعد والله لأنّا أغير منه والله أغير مني ومن أجل غيره الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا أحد أحب إليه العذر من الله من أجل ذلك بعث المنذرين والمبشرين ولا أحد أحب إليه المدحة من الله من أجل ذلك وعد الله الجنة وقال البخاري وقال عبيد الله بن عمرو عن عبد الملك لا شخص أغير من الله وترجم البخاري على ذلك باب وفي الصحيح عن أبي هريرة عن النبي صلى

الله عليه وسلم انه قال ان الله يغار وغيره الله ان يأتي المؤمن ما حرم عليه وفي الصحيح عن اسماء انها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا شيء اغیر من الله⁴²¹

*وفي الصحيحين عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يا امة محمد ما احد اغیر من الله ان يزني عبده او تزني امته⁴²²

المحرمات قسمان

* أن المحرمات قسمان أحدهما ما يقطع بأن الشرع لم يبح منه شيئاً لا لضرورة ولا لغير ضرورة كالشرك والفواحش والقول على الله بغير علم والظلم المحسن وهي الأربعة المذكورة في قوله تعالى {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيُّ الْفَوَاحشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمُ وَالْبَغْيُ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} الأعراف 33 فهذه الأشياء محرمة في جميع الشرائع وبتحريمهها بعث الله جميع الرسل ولم يبح منها شيئاً قط ولا في حال من الأحوال ولهذا أنزلت في هذه السورة المكية ونفي التحرير مما سواها فانما حرمه بعدها كالدم والميتة ولحم الخنزير حرمه في حال دون حال وليس تحريمه مطلقاً وكذلك الخمر بياح لدفع الغصة بالاتفاق وبياح لدفع العطش في أحد قولي العلماء ومن لم يبحها قال إنها لا تدفع العطش وهذا مأخذ أحمد فحينئذ فالأمر موقوف على دفع العطش بها فان علم أنها

⁴²¹ مجموع الفتاوى ج: 4 ص: 184 و مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 437

و الاستقامة ج: 2 ص: 3

⁴²² الاستقامة ج: 2 ص: 5

تدفعه أبيحت بلا ريب كما يباح لحم الخنزير لدفع المجاعة وضرورة العطش الذي يرى أنه يهلكه أعظم من ضرورة الجوع ولهذا يباح شرب النجاسات عند العطش بلا نزاع فان اندفع العطش وإلا فلا إباحة في شيء من ذلك وكذلك الميسر فإن الشارع أباح السبق فيه بمعنى الميسر للحاجة في مصلحة الجهاد وقد قيل إنه ليس منه وهو قول من لم يبح العوض من الجانيين مطلقاً إلا المحلل ولا ريب أن الميسر أخف من أمر الخمر وإذا أبيحت الخمر للحاجة فالميسر أولى والميسر لم يحرم لذاته إلا لأنه يصد عن ذكر الله وعن الصلاة ويوقع العداوة والبغضاء فإذا كان فيه تعاون على الرمي الذي هو من جنس الصلاة وعلى الجهاد الذي فيه تعاون وتنافل به القلوب على الجهاد زالت هذه المفسدة وكذلك بيع الغرر هو من جنس الميسر ويباح منه أنواع عند الحاجة ورجحان المصلحة وكذلك الربا حرم لما فيه من الظلم وأوجب أن لا يباح الشيء إلا بمثله ثم أبيح بيعه بجنسه خرضاً عند الحاجة بخلاف غيرها من المحرمات فانهم تحريم في حال دون حال ولهذا والله أعلم نفي التحرير عم سواها وهو التحرير المطلق العام فان المنفي من جنس المثبت فلما ثبت فيها التحرير العام المطلق نفاه عم سواها و المقام الثاني أن يفرق بين ما يفعل في الانسان ويأمر به ويبنه وبين ما يسكن عن نهي غيره عنه وتحريمه عليه فإذا كان من المحرمات ما لو نهى عنه حصل ما هو أشد تحريماً لم ينه عنه ولم يبحه أيضاً ولهذا لا يجوز إنكار المنكر بما هو أنكر منه ولهذا حرم الخروج على ولاة الأمر بالسيف لأجل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأن ما يحصل بذلك من فعل المحرمات وترك واجب أعظم مما يحصل بفعلهم المنكر والذنوب وإذا كان قوم على بدعة أو فجور ولو نهوا عن ذلك وقع بسبب ذلك شر أعظم مما هم عليه من ذلك ولم يمكن منعهم منه ولم يحصل بالنهاي مصلحة راجحة لم ينهوا عنه بخلاف ما أمر الله به الأنبياء وأتباعهم من دعوة الخلق فان

دعوتهم يحصل بها مصلحة على مفسدتها كدعوة موسى لفرعون ونوح لقومه فانه حصل لموسى من الجهاد وطاعة الله وحصل لقومه من الصبر والاستعانة بالله ما كانت عاقبتهم به حمية وحصل أيضا من تفريق فرعون وقومه ما كانت مصلحته عظيمة وكذلك نوح حصل له ما أوجب أن يكون ذريته هم الباقيين وأهله الله قومه أجمعين فكان هلاكهم مصلحة فالمنهي عنه إذا زاد شره بالنهي وكان النهي مصلحة راجحة كان حسنا وأما إذا زاد شره وعظم وليس في مقابلته خير يفوته لم يشرع إلا أن يكون في مقابلته مصلحة زائدة فان أدى ذلك إلى شر أعظم منه لم يشرع مثل أن يكون الأمر لا صبر له فيؤذى فيخزع جزعا شديدا يصير به مذيناً وينقص به إيمانه ودينه فهذا لم يحصل به خير لا له ولا لأولئك بخلاف ما إذا صبر واتقى الله وجاهد ولم يتعد حدود الله بل استعمل التقوى والصبر فان هذا تكون عاقبته حمية وأولئك قد يتوبون فيتوب الله عليهم ببركته وقد يهلكم ببغיהם ويكون ذلك مصلحة كما قال تعالى {فَقُطِّعَ دَابِرُ

الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } الأئمَّة 45
وأما الإنسان في نفسه فلا يحل له أن يفعل الذي يعلم أنه محرم لظنه أنه يعينه على طاعة الله فان هذا لا يكون إلا مفسدة أو مفسدته راجحة على مصلحته وقد تقلب تلك الطاعة مفسدة فان الشارع حكيم فلو علم أن في ذلك مصلحة لم يحرمه لكن قد يفعل الانسان المحرم ثم يتوب وتكون مصلحته أنه يتوب منه ويحصل له بالتوبة خشوع ورقه وإنابة إلى الله تعالى فان الذنب قد يكون فيها مصلحة مع التوبة منها فان الانسان قد يحصل له بعدم الذنب كبر وعجب وقسوة فإذا وقع في ذنب أذله ذلك وكسر قلبه ولبن قلبه بما يحصل له من التوبة ولهذا قال سعيد بن جبير إن العبد ليعمل الحسنة فيدخل بها النار ويفعل السيئة فيدخل بها الجنة وهذا هو الحكم في ابتلاء من ابتلى بالذنب من الأنبياء والصالحين وأما بدون التوبة فلا يكون المحرم إلا مفسدته راجحة فليس للإنسان أن يعتقد حل ما يعلم أن الله حرمه

قطعاً وليس له أن يفعله قطعاً فان غلبه نفسه وشيطانه فوقع فيه
تاب منه فان تاب فصار بالتوبه خيراً مما كان قبله فهذا من
رحمة الله به حين تاب عليه وإلا فلو لم يتتب لفسد حاله بالذنب
وليس له أن يقول أنا أفعل ثم اتوب ولا يبيح الشارع له ذلك لأنه
بمنزلة من يقول أنا أطعم نفسي ما يمرضني ثم أتداوي أو أكل
السم ثم اشرب الترياق والشارع حكيم فانه لا يدرى هل يمكن
من التوبة أم لا وهل يحصل الدواء بالترياق وغيره أم لا وهل
يمكن من الشرب أم لا لكن لو وقع هذا وكانت آخرته الى التوبة
النصول كان الله قد أحسن إليه بالتوبه وبالعفو عما سلف من
ذنبه وقد يكون مثل هذا ليس صلاحه إلا في أن يذنب ويتب
ولو لم يفعل ذلك كان شراً منه لو لم يذنب ويتب لكن هذا أمر
يتعلق بخلق الله وقدره وحكمته لايمكن أحد أن يأمر به الانسان
لأنه لا يدرى أن ذلك خير له وليس ما يفعله خلقاً لعلمه وحكمته
يجوز للرسل وللعباد أن يفعلوه ويأمروا به وقصة الخضر
مع موسى لم تكن مخالفة لشرع الله وأمره ولا فعل الخضر ما
فعله لكونه مقدراً كما يظنه بعض الناس بل ما فعله الخضر هو
مأمور به في الشرع بشرط أن يعلم من مصلحته ما علمه
الخضر فانه لم يفعل محراً مطلقاً ولكن خرق السفينة وقتل
الغلام وأقام الجدار فان إتلاف بعض المال لصلاح أكثره هو أمر
مشروع دائماً وكذلك قتل الانسان الصائب لحظة بين غيره أمر
مشروع وصبر الانسان على الجوع مع إحسانه إلى غيره أمر
مشروع فهذه القضية تدل على أنه يكون من الأمور ما ظاهره
فساد فيحرمه من لم يعرف الحكمة التي لأجلها فعل وهو مباح
في الشرع باطنها وظاهرها الممن علم ما فيه من الحكمة التي توجب
حسنه وإياحته وهذا لا يجيء في الأنواع الأربعه فان الشرك
والقول على الله بلاعلم والفواحش ما ظهر منها وما بطن والظلم
لا يكون فيها شيء من المصلحة وقتل النفس أبيح في حال دون
حال فليس من الأربعة وكذلك إتلاف المال بياح في حال دون
حال وكذلك الصبر على المجاعة ولذلك قال {قُلْ أَمْرَ رَبِّي

بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُواْ وُجُوهُكُمْ عِنْدَ كُلّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ
 الدِّينَ } الأعراف 29 فاخلاص الدين له والعدل واجب مطلقا
 في كل حال وفي كل شرع فعلى العبد أن يعبد الله مخلصاله
 الدين ويدعوه مخلصاله لا يسقط هذا عنه بحال ولا يدخل الجنة إلا
 أهل التوحيد وهم أهل لا إله إلا الله فهذا حق الله على
 كل عبد من عباده كما في الصحيحين من حديث معاذ أن النبي
 قال له يامعاذ أتدرى ما حق الله على عبادة قلت الله رسوله
 أعلم قال حقه عليهم ان يعبدوه لا يشركوا به شيئاً الحديث
 فلاينجون من عذاب الله إلا من اخلص الله دينه وعبادته ودعاه
 مخلصاله الدين ومن لم يشرك به ولم يعبد فهو معطل عن
 عبادته وعبادة غيره كفر عون وأمثاله فهو أسوأ حالاً من المشرك
 فلا بد من عبادة الله وحده وهذا واجب على كل أحد فلا يسقط عن
 أحد البتة وهو الاسلام العام الذي لا يقبل الله ديناً غيره ولكن
 لا يعذب الله احداً حتى يبعث اليه رسولاً وكما أنه لا يعذبه فلا
 يدخل الجنة الا نفس مسلمة مؤمنة ولا يدخلها مشركاً ولا مستكراً
 عن عبادة ربه فمن لم تبلغه الدعوة في الدنيا امتحن في الآخرة
 ولا يدخل النار الا من اتبع الشيطان فمن لاذنب له لا يدخل النار
 ولا يعذب الله بالنار أحداً إلا بعد أن يبعث اليه رسولاً فمن لم
 تبلغه دعوة رسول اليه كالصغير والمجون والميت في الفترة
 المحضة فهذا يمتحن في الآخرة كما جاءت بذلك الآثار

فيجب الفرق في الواجبات والمحرمات والتمييز بينهما هو اللازم
 لكل أحد على كل حال وهو العدل في حق الله وحق عباده بأن
 يعبدوا الله مخلصاله الدين ولا يظلم الناس شيئاً وما هو محروم
 على كل أحد في كل حال لا يباح منه شيء وهو الفواحش والظلم
 والشرك والقول على الله بلا علم وبين ما سوى ذلك قال تعالى

{ قُلْ تَعَالَوْا أَئْنُ مَا حَرَمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً }

} الأنعام 151 وهذا حرم مطلقاً لا يجوز منه شيء
وَبِالَّذِينَ إِحْسَانًا } الأنعام 151 وهذا فيه تقييد فأن الوالد إذا
 دعا الولد إلى الشرك ليس له أن يطيعه بل له أن يأمره وينهيه

وهذا الأمر والنهي للوالد هو من الاحسان اليه وإذا كان مشركا جاز للولد قتله وفي كراحته نزاع بين العلماء قوله **{ولَا تقتلوا أولاً دِكُمْ مِّنْ إِمْلَاقٍ}** {الأنعام 151} فهذا تحريم خاص **{ولَا تَقْرِبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ}** {الأنعام 151} هذا مطلق **{ولَا تَقْرِبُوا مَالَ الْبَيْتِ إِلَّا بِالِّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشْدَدَهُ}** {الأنعام 152} هذا مقيد فان يتامى المشركين أهل الحرب يجوز غنيمة أموالهم لكن قد يقال هذا أخذ وقربان بالتي هي أحسن إذا فسر الأحسن بامر الله ورسوله **{وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ}** {الأنعام 152} هذا مقيد بمن يستحق ذلك **{وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا}** {الأنعام 152} هذا مطلق **{وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا}** {الأنعام 152} فاللوفاء واجب لكن يميز بين عهد الله وغيره ويفرق بين ما يسكت عنه الانسان وبين ما يلفظ به ويفعله ويأمر به ويفرق بينما قدره الله فحصل بسببه خير وبين ما يؤمر به العبد فيحصل بسببه خير⁴²³

جميع الرسل متفقون في الأصول الاعتقادية والعلمية

أرسل الله سبحانه وتعالى محمد صلى الله عليه وسلم بالحق بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً أرسله إلى جميع التقلين الجن والإنس عربهم وعجمهم أميمهم وكتابيهم وأنزل عليه كتابه أنزله ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم وبهديهم به إلى صراط مستقيم صراط الذي له ما في السموات وما في الأرض وهو صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وهو دين الله الذي بعث به الرسل قبله وأنزل عليه الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيناً عليه فصدق كتابه ما بين يديه من

⁴²³ مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 470-478

كتب السماء وأمر بالإيمان بجميع الأنبياء و هيمن على ما بين يديه من الكتاب وذلك يعم الكتب كلها شاهدا و حاكما و مؤتمنا يشهد بمثل ما فيها من الأخبار الصادقة وقرر ما في الكتاب الأول من أصول الدين و شرائعه الجامعة التي اتفقت عليها الرسل كالوصايا المذكورة في آخر الأنعام وأول الأعراف وسورة سبحان و نحوها من السور المكية قال تعالى {قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدِينِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مَنْ إِمْلَاقٌ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرِبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النِّفَسَ الَّتِي حَرَمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَاعِدُكُمْ بِهِ لَعْلَكُمْ تَعْقِلُونَ} 151 وَلَا تَقْرِبُوا مَالَ الْبَتَّيْمِ إِلَّا بِالْتَّيْ هِيَ أَحْسَنُ حَيَّ يَبْلُغُ أَشْدَهُ وَأَوْفُوا الْكِيلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقُسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا فَلَمْ قَاعِدُلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَاعِدُكُمْ بِهِ لَعْلَكُمْ تَذَكَّرُونَ} 152 وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَنْتَبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَاعِدُكُمْ بِهِ لَعْلَكُمْ تَنَقُّونَ} 153

سورة الأنعام الآيات 150-153 فدين الأنبياء والمرسلين دين واحد دين المرسلين يخالف دين المشركين المبدعين الذين فرقوا دينهم وكانوا شيئاً 424

فإن الله سبحانه دلنا على نفسه الكريمة بما أخبرنا به في كتابه العزيز وعلى لسان نبيه وبذلك أنزل الكتب وأرسل الرسل فقال تعالى {شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أُوْحِيَنَا إِلَيْكُمْ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ} الشورى 13 وقال {وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلَنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ} الزخرف 45 وقال تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا

424 الجواب الصحيح ج: 1 ص: 65-66

أنا فَاعْبُدُونِ } الأنبياء 25 وقد ثبت عن النبي أنه قال أنا
 معاشر الأنبياء ديننا واحد الأنبياء إخوة لعات وان أولى الناس
 بابن مريم لأنه ليس بيني وبينهنبي فالدين واحد وإنما
 تنوّع شرائعهم ومناهجهم كما قال تعالى { لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ
 شِرْعَةً وَمِنْهَا جَأْ } المائدة 48 فجميع الرسل متتفقون في الدين
 الجامع في الأصول الاعتقادية والعلمية كالإيمان بالله ورسله
 واليوم الآخر والعملية كالأعمال العامة المذكورة في سورة
 الأنعام والأعراف وبين إسرائيل وهو قوله تعالى { قُلْ تَعَالَوْا أَنْ
 مَا حَرَمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدِينِ احْسَنُوا وَلَا
 تَقْتُلُوا أُولَادَكُمْ مَنْ إِمْلَاقَ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرِبُوا الْفَوَاحِشَ
 مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا يَبْطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفَسَاتِ الَّتِي حَرَمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ
 ذَلِكُمْ وَصَالَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقُلُونَ } 151 وَلَا تَقْرِبُوا مَالَ الْبَيْتِ إِلَّا
 بِالْتَّيْ هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشْدَهُ وَأَوْفُوا الْكِيلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا
 نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا فَلَّمْ فَاعْدُلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبَعْهُدِ
 اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَالَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } 152 وَأَنَّ هَذَا
 صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَبَعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ
 ذَلِكُمْ وَصَالَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقَوْنَ } 153 الأنعام 151-153 وقوله
 { قُلْ أَمْرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وَجُوهُكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ }
 الأعراف 29 الآية وقوله { قُلْ إِنَّمَا حَرَمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا
 ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا يَبْطَنَ } الأعراف 33 الآية وقوله { وَقَضَى رَبُّكَ إِلَّا
 تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ } الإسراء 23 إلى آخر الوصايا وقوله { قُلْ هَذِهِ
 سَبِيلِي أَدْعُوكُمْ إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ } يوسف 108 الآية فالدعوة
 والعبادة اسم جامع لغاية الحب لله وغاية الذل له فمن ذل له من
 غير حب لم يكن عابدا بل يكون هو المحبوب المطلوب فلا يحب
 شيئا إلا له ومن أشرك غيره في هذا وهذا لم يجعل له حقيقة
 الحب فهو مشرك وإشراكه يوجب نقص الحقيقة كقوله تعالى
 { وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنَدَادًا يُجْبِونَهُمْ كَحْبَ اللَّهِ }
 البقرة 165 الآية والحب يوجب الذل والطاعة والسلام أن
 يستسلم الله لا لغيره فمن يستسلم له ولغيره فهو مشرك ومن لم

يُسْتَسْلِمُ لَهُ فَهُوَ مُتَكَبِّرٌ وَكَلَاهُمَا ضَدُّ الْإِسْلَامِ وَالْقَلْبُ لَا يُصْلِحُ
 إِلَّا بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ وَتَحْقِيقُ هَذَا تَحْقِيقُ الدُّعَوَةِ النَّبُوَيَّةِ وَمَنْ
 الْمُحَبَّةُ الدُّعَوَةَ إِلَى اللَّهِ وَهِيَ الدُّعَوَةُ إِلَى الْإِيمَانِ بِهِ وَبِمَا جَاءَتْ بِهِ
 رَسُولُهُ بِتَصْدِيقِهِمْ فَيُمْبَلِّغُهُمْ فِيمَا أَخْبَرُوا بِهِ وَطَاعُتْهُمْ بِمَا أَمْرَوْا بِهِ فَالْمُدْعَوَةُ
 إِلَيْهِ مِنَ الدُّعَوَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَمَا أَبْغَضَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فَمِنَ الدُّعَوَةِ
 إِلَى اللَّهِ النَّهِيُّ عَنْهُ وَمِنَ الدُّعَوَةِ إِلَى اللَّهِ أَنْ يَفْعُلَ الْعَبْدُ مَا أَحْبَبَ اللَّهُ
 وَرَسُولُهُ وَيَتَرَكُ مَا أَبْغَضَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ
 الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ بِمَا أَخْبَرَ بِهِ الرَّسُولُ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ وَصَفَاتِهِ
 وَمِنْ سَائِرِ الْمُخْلُوقَاتِ كَالْعَرْشِ وَالْكَرْسِيِّ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَأَنْ
 يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مَا سَوَاهُمَا⁴²⁵

قرن حق الأبوين بحقه

* قَالَ اللَّهُ تَعَالَى {قُلْ تَعَالَوْا أَئْنَ مَا حَرَمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ إِلَّا
 شُرُكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْأُولَادِيْنِ احْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أُولَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقِ
 نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَنْفَرِبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ
 وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَارَكُمْ بِهِ لَعْنَكُمْ
 تَعْقِلُونَ {151} وَلَا تَنْفَرِبُوا مَالَ الْبَيْتِ إِلَّا بِالْتَّيْ هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى
 يَبْلُغُ أَشْدَهُ وَأَوْفُوا الْكِيلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُكَفِّنُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا
 وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَارَكُمْ
 بِهِ لَعْنَكُمْ تَذَكَّرُونَ {152} وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا
 تَنْتَعِلُوا السُّبُلَ فَتَنَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَارَكُمْ بِهِ لَعْنَكُمْ
 تَنَقُّلُونَ {153} الأنعام 151-153 فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْعَبْدَ وَخَلَقَ أَبْوَيْهِ
 وَخَلَقَهُ مِنْ أَبْوَيْهِ فَالسَّبِيلُ الَّذِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ هُوَ الْخَلْقِ التَّامِ
 بِخَلْفِ سَبِيلِ الْأَبْوَيْنِ فَإِنَّ أَصْلَ مَادَتِهِ مِنْهُمَا وَلَهُ مَادَةٌ مِنْ غَيْرِهِمَا
 ثُمَّ إِنَّهُمَا لَمْ يَصُورَاهُ فِي الْأَرْحَامِ وَالْعَبْدُ لَيْسَ لَهُ مَادَةٌ إِلَّا مِنْ أَبْوَيْهِ

مجموع الفتاوى ج: 20 ص: 6-7 و مجموع الفتاوى ج: 15 ص:

والله هو خالقه وبارؤه ومصوره ورازقه وناصره وهاديه وإنما حق الأبوين فيه بعض المناسبة لذلك فلذلك قرن حق الأبوين بحقه في قوله {أَن اشْكُرْ لِي وَلَوِ الدِّينُكَ} لقمان 14 وفي قوله {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا} النساء 36 وفي قوله {وَقَضَى رَبُّكَ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا} الإسراء 23 وجعل النبي التبريء من الأبوين كفراً لمناسبتهم للتبريء من الرب وفي الحديث الصحيح من أدعى إلى غير أبيه وهو يعلم إلا كفر أخرجاه في الصحيحين قوله كفر بالله من تبرء من نسب وإن دق قوله لا ترغموا عن آبائكم فان كفراً بكم أن ترغموا عن آبائكم فحق النسب والقرابة والرحم تقدمه حق الربوبية وحق القريب المحبب الرحمن فإن غاية ذلك أن تتصل بهذا كما قال الله أنا الرحمن خلقت الرحمن وشققت لها من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها بنته وقال الرحمن شجنة من الرحمن وقال لما خلق الله الرحمن تعلقت بحقو الرحمن فقالت هذا مقام العاذ بك من القطيعة ⁴²⁶

خص هذه الصورة بالنهي لأنها هي الواقعه لا لأن التحرير يختص بها

* قال الله تعالى {وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِّنْ إِمْلَاقٍ} الأنعام 151
فإنه خص هذه الصورة بالنهي لأنها هي الواقعه لا لأن التحرير يختص بها وكذلك قوله {وَإِن كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانً مَّقْبُوضَةً} البقرة 283 ذكر الزمن في هذه الصورة للحاجة مع أنه قد ثبت سائل أن النبي صلى الله عليه وسلم مات ودرعه من هونه فهذا رهن في الحضر ⁴²⁷

⁴²⁶ ب مجموع الفتاوى ج: 32 ص: 14

⁴²⁷ الفتاوى الكبرى ج: 2 ص: 413-414

* قال الله تعالى {وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُلِتْ} 8 {بَأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلتْ} 9 التكوير 8-9 وقال الله تعالى {وَلَا تَقْتُلُوا أُولَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ} الإسراء 31 وفي الصحيحين عن ابن مسعود عن النبي أنه قيل له أى الذنب أعظم قال أن يجعل الله ندا وهو خلقك قيل ثم أى قال أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك وإذا كان الله قد حرم قتل الولد مع الحاجة وخشية الفقر فلأن يحرم قتله بدون ذلك أولى وأحرى 428

الشريعة تأمر بالصالح الخالصة والراجحة

قال الله تعالى {قُلْ تَعَالَوْا أَتُنْ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَا تَشْرِكُوْا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدِينِ احْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أُولَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرِبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَاعِدُكُمْ بِهِ لَعْنَكُمْ تَعْقُلُونَ} 151 {وَلَا تَقْرِبُوا مَالَ الْبَيْتِمِ إِلَّا بِالْتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَسْدَهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبَعْهُدُ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَاعِدُكُمْ بِهِ لَعْنَكُمْ تَذَكَّرُونَ} 152 {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَنْتَعِلُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَاعِدُكُمْ بِهِ لَعْنَكُمْ تَنَعُونَ} 153 الأنعام 151-153 والشريعة تأمر بالصالح الخالصة والراجحة كالإيمان والجهاد فإن الإيمان مصلحة محضة والجهاد وإن كان فيه قتل النفوس فمصلحته راجحة وفتنة الكفر أعظم فسادا من القتل كما قال تعالى {وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ} البقرة 217 ونهى عن المفاسد الخالصة والراجحة كما نهى عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن وعن الإثم والبغى وغير

الحق وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله
مala تعلمون وهذه الأمور لا يبيحها قط في حال من الأحوال ولا
في شرعة من الشرائع وتحريم الدم والميته ولحم الخنزير
والخمر وغير ذلك مما مفسدته راجحة وهذا الضرب تبيحه عند
الضرورة لأن مفسدة فوات النفس أعظم من مفسدة الإغذاء به

429

"أول ما يقضى بين الناس يوم القيمة في الدماء"

* وأما الحدود والحقوق التي للأدمي معين فمنها النقوص قال
الله تعالى {قُلْ تَعَالَوْا أَتُلُّ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَا تُشْرِكُوا بِهِ
شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ
وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرِبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا
النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَاعِدُكُمْ بِهِ لَعْنَكُمْ تَعْقُلُونَ
{151} وَلَا تَقْرِبُوا مَالَ الْبَيْتِ إِلَّا بِالْتَّيْهِ هِيَ أَحْسَنُ حَثَّى يَبْلُغُ أَشُدَّهُ
وَأَوْفُوا الْكِيلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُكَافِعُ نَفْسًا إِلَّا وَسْعَهَا وَإِذَا قَاتَمْ
فَاعْدُلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَاعِدُكُمْ بِهِ لَعْنَكُمْ
تَذَكَّرُونَ {152} وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَبَعُوا
السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَاعِدُكُمْ بِهِ لَعْنَكُمْ
تَتَقْوَنَ {153} الأنعام 151-153 وقال تعالى {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ
أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَئًا} النساء 92 إلى قوله {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا
مُتَعَمِّدًا فَجَزَ أُوْهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِيبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْنَهُ وَأَعَدَ لَهُ
عَذَابًا عَظِيمًا} النساء 93 وقال تعالى {مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى
بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ
فَكَانَ إِنَّمَا قَتْلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَانَ إِنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا

{ المائدة 32 } وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أول ما يقضى بين الناس يوم القيمة في الدماء فاقتلت ثلاثة أنواع أحدها العمد الممحض وهو ان يقصد من يعلمه معصوما بما يقتل غالبا سواء كان يقتل بحده كالسيف ونحوه او بثقله كالسندان وكوذين القصار او بغير ذلك كالتحرير والتغريق والالقاء من مكان شاهق والخنق إمساك الخصيتيين حتى تخرج الروح وغم الوجه حتى يموت وسقى السموم ونحو ذلك من الأفعال فإذا فعله وجب فيه القود وهو ان يمكن أولياء المقتول من القاتل فإن أحبوا قتلوا وإن أحبوا عفوا وإن أحبوا أخذوا الديمة وليس لهم ان يقتلوا غير قاتله قال الله تعالى { وَلَا تَقْتُلُوا النَّفَسَاتِ الَّتِي حَرَمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلَنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا } الإسراء 33 قيل في التفسير لا يقتل غير قاتله وروى عن أبي شريح الخزاعي رضى الله عنه قال قال رسول الله من أصيب بدم او خبل الخبل الجراح فهو بالخيار بين إحدى ثلات فان أراد الرابعة فخذوا على يديه ان يقتل او يعفو او يأخذ الديمة فمن فعل شيئا من ذلك فعاد فان له جهنم خالدا فيها أبدا رواه أهل السنن قال الترمذى حديث حسن صحيح فمن قتل بعد العفو او أخذ الديمة فهو أعظم جرما من قتل ابتداء حتى قال بعض العلماء انه يجب قتله حدا ولا يكون أمره لأولياء المقتول قال الله تعالى { كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقَصَاصُ فِي الْقُتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرُّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأَنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَإِنْبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءُ إِلَيْهِ بِالْحَسَانِ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةً فَمَنْ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ } البقرة 178 قال العلماء إن أولياء المقتول تغلى قلوبهم بالغيظ حتى يؤثروا ان يقتلوا القاتل وأولياءه ربما لم يرضوا بقتل القاتل بل يقتلون كثيرا من أصحاب القاتل كسيد القبيلة ومقدم الطائفة فيكون القاتل قد اعترى في الابتداء وتعدى هؤلاء في الاستيفاء كما كان يفعله أهل الجاهلية الخارجون عن الشريعة في هذه الأوقات من الأعراب والحاضرة وغيرهم وقد يستعظامون قتل

القاتل لكونه عظيماً أشرف من المقتول فيفضى ذلك إلى أن أولياء المقتول يقتلون من قدروا عليه من أولياء القاتل ربما حالف هؤلاء قوماً واستعنوا بهم وهؤلاء قوماً فيفضى إلى الفتنة والعداوات العظيمة وسبب ذلك خروجهم عن سنن العدل الذي هو القصاص في القتل فكتب الله علينا القصاص وهو المساواة والمعادلة في القتل وأخبر أن فيه حياة فإنه يحقن دم غير القاتل من أولياء الرجلين وأيضاً فإذا علم من يريد القتل أنه يقتل كف عن القتل وقد روى عن على بن أبي طالب رضي الله عنه وعمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال المؤمنون تتكافأ دمائهم وهم يد على من سواهم ويسعى بذمتهم أدناهم لا لا يقتل مسلم بكافر ولا ذو عهد في عهده رواه أحمد وأبو داود وغيرهما من أهل السنن فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن المسلمين تتكافأ دمائهم أي تتساوی وتنتعاد فلا يفضل عربي على عجمي ولا قرشى أو هاشمى على غيره من المسلمين ولا حر أصلى على مولى عتيق ولا عالم أو أمير على أمى أو مأمور وهذا متافق عليه بين المسلمين بخلاف ما كان عليه أهل الجاهلية وحكام اليهود فإنه كان بقرب مدينة النبي صلى الله عليه وسلم صنفان من اليهود قريطة والنضير وكانت النضير تفضل على قريطة في الدماء فتحاكموا إلى النبي في ذلك وفي حد الزنا فأنهم كانوا قد غيروه من الرجم إلى التحريم وقالوا إن حكم بينكم بذلك كان لكم حجة ولا فأنتم قد تركتم حكم التوراة فأنزل الله تعالى {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْرِزُكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ} المائدة 41 إلى قوله {إِنَّ جَآءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضْرُوكَ شَيْئاً وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقُسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} المائدة 42 إلى قوله {فَلَا تَخْشُوا النَّاسَ وَإِخْشُونَ وَلَا تَشْتَرُوا بِإِيمَانِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ} 44 وكتبنا عليهما أنَّ النَّفَسَ بِالنَّفَسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ

وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأَذْنَ بِالْأَذْنِ وَالسَّنَ بِالسَّنَ وَالْجُرُوحَ
 قِصَاصٌ {45} المائدة 44-45 فَبَيْنَ سَبَانَهُ وَتَعَالَى أَنَّهُ
 سُوَى بَيْنَ نُفُوسِهِمْ وَلَمْ يُفْضِلْ مِنْهُمْ نَفْسًا عَلَى أَخْرِيٍّ كَمَا كَانُوا
 يَفْعَلُونَهُ إِلَيْهِ قَوْلُهُ {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ
 يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَلَا حُكْمُ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَشَبَّهُ
 أَهْوَاءُهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعْلَنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَاءَ
 } المائدة 48 إلى قوله {فَاحْكُمُ الْجَاهِلِيَّةَ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنَ مِنَ اللَّهِ
 حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقَنُونَ } المائدة 50 فَحُكْمُ اللَّهِ سَبَانَهُ فِي دَمَاءِ
 الْمُسْلِمِينَ أَنَّهَا كُلُّهَا سَوَاءٌ خَلَفَ مَا عَلَيْهِ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ وَأَكْثَرُ
 سَبَبُ الْأَهْوَاءِ الْوَاقِعَةِ بَيْنَ النَّاسِ فِي الْبَوَادِي وَالْحَوَاضِرِ إِنَّمَا هُوَ
 الْبَغْيُ وَتَرْكُ الْعَدْلِ فَإِنْ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ قَدْ يَصِيبُ بَعْضُهَا بَعْضًا
 مِنْ لَآخْرِيِّ دَمًا أَوْ مَالًا أَوْ تَعْلُو عَلَيْهِمْ بِالْبَاطِلِ وَلَا تَتَصَافَّهَا وَلَا
 تَقْتَصِرُ الْأُخْرَى عَلَى اسْتِيَافِ الْحَقِّ فَالْوَاجِبُ فِي كِتَابِ اللَّهِ الْحُكْمُ
 بَيْنَ النَّاسِ فِي الدَّمَاءِ وَالْأَمْوَالِ وَغَيْرِهَا بِالْقَسْطِ الَّذِي أَمْرَ اللَّهُ بِهِ
 وَمَحْوِيْمَا كَانَ عَلَيْهِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ مِنْ حُكْمِ الْجَاهِلِيَّةِ وَإِذَا أَصْلَحَ
 مَصْلُحَ بَيْنَهُمَا فَلِيَصْلُحْ بِالْعَدْلِ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى {وَإِنْ طَائِفَتَانِ
 مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ أَحَدُهُمَا عَلَى
 الْأَخْرَى فَقَاتَلُوا الَّتِي تَبْغِيَ حَتَّى تَنْفَيَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاعَتْ
 فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ } 9 إِنَّمَا
 الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخْوَيْكُمْ } 10 الحجرات 9-10
 وَيَنْبَغِي أَنْ يَطْلُبَ الْعَفْوَ مِنْ أُولَيَاءِ الْمَقْتُولِ فَإِنْهُ أَفْضَلُ لَهُمْ كَمَا قَالَ
 تَعَالَى { وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَارَةً لَهُ }
 } المائدة 45 قَالَ أَنْسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا رَفَعَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ
 أَمْرَ فِيهِ الْقِصَاصُ إِلَّا أَمْرَ فِيهِ بِالْعَفْوِ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدُ وَغَيْرُهُ
 وَرَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ
 رَسُولُ اللَّهِ مَا نَقْصَتْ صَدْقَةٌ مِنْ مَالٍ وَمَا زَادَ اللَّهُ عِبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا
 عَزَّا وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدُ اللَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ وَهَذَا الَّذِي ذَكَرْنَا مِنْ
 التَّكَافُؤِ هُوَ فِي الْمُسْلِمِ الْحَرِّ مَعَ الْمُسْلِمِ الْحَرِّ فَمَمَا الْذَّمِيْفِ جَمِيعُهُ
 الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ بِكَفَاءٍ لِلْمُسْلِمِ كَمَا أَنَّ الْمُسْتَأْمِنَ الَّذِي يَقْدِمُ

من بلاد الكفار رسولاً او تاجراً ونحو ذلك ليس بكفاء له وفaca
 ومنهم من يقول بل هو كفاء له وكذلك النزاع في قتل الحر
 بالعبد والقصاص في الجراح أيضاً ثابت في الكتاب والسنة
 والإجماع بشرط المساواة فإذا قطع يده اليمنى من مفصل فله أن
 يقطع يده كذلك وإذا قلع سنه فله أن يقلع سنه وإذا شجه في رأسه
 أو وجهه فأوضح العظم فله أن يشجه كذلك وإذا لم تتمكن المساواة
 مثل أن يكسر له عظماً باطننا أو يشجه دون الموضحة فلا يشرع
 القصاص بل تجب الديمة المحدودة أو الأرث وأما القصاص في
 الضرب بيده أو بعصاه أو سوطه مثل أن يلطمها أو يلكمه أو
 يضربه بعصا ونحو ذلك فقد قالت طائفة من العلماء إنه لا
 قصاص فيه بل فيه تعزير لأن لا تتمكن المساواة فيه والمأثور عن
 الخلفاء الراشدين وغيرهم من الصحابة والتابعين أن القصاص
 مشروع في ذلك وهو نص أحمد وغيره من الفقهاء وبذلك جاءت
 سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصواب وقال أبو
 فراس خطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه فذكر حديثاً قال
 فيه ألا إني والله ما أرسل عمالي إليكم ليضربوا أبشاركم ولا
 ليأخذوا أموالكم ولكن أرسلهم إليكم ليعلمونكم دينكم وسننكم فمن
 فعل به سوى ذلك فليرفعه إلى فوالي الذي نفسي بيده إذا لاقته منه
 فوثب عمرو بن العاص فقال يا أمير المؤمنين إن كان رجل من
 المسلمين على رعية فأدبر رعيته أنت لتقسه منه قال إيه الذي
 نفس محمد بيده إذا لاقته منه أني لا أقصه وقد رأيت رسول
 الله صلى الله عليه وسلم يقص من نفسه ألا لا تضربوا المسلمين
 فتلذوا لهم ولا تمنعوه حقوقهم فتكفرونهم رواه الإمام أحمد وغيره
 ومعنى هذا إذا ضرب الراعي رعيته ضرباً غير جائز فلما
 الضرب المشروع فلا قصاص فيه بالإجماع إذ هو واجب او
 مستحب أو جائز⁴³⁰

⁴³⁰ مجموع الفتاوى ج: 28 ص: 373-378 و السياسة الشرعية ج: 1 ص: 125-128

النظر إلى العورات حرام

* قال النبي صلى الله عليه وسلم إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم فعلم أن مجرد الجمال الظاهر في الصور والثياب لا ينظر الله إليه وإنما ينظر إلى القلوب والأعمال فإن كان الظاهر مزيناً مجملًا بحال الباطن أحبه الله وإن كان مقبحاً مدنساً بقبح الباطن أبغضه الله فإنه سبحانه يحب الحسن الجميل ويبغض السيء الفاحش وأهل جمال الصورة يبتلون بالفاحشة كثيراً واسمها ضد الجمال فإن الله سماه فاحشة وسوءاً وفساداً وخيثناً فقال تعالى {قُلْ تَعَالَوْا أَئْنَ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ أَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدِينَ إِحْسَانًا وَلَا تَنْقِتُوا أُولَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَالِكُمْ بِهِ لَعْلَكُمْ تَعْقِلُونَ } الأనعام 151⁴³¹

* والنظر إلى العورات حرام داخل في قوله تعالى {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ} الأعراف 33 وفي قوله { وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ } الأنانع 151 فإن الفواحش وإن كانت ظاهرة في المباشرة بالفرج أو الدبر وما يتبع ذلك من الملامسة والنظر وغير ذلك وكما في قصة لوط {أَتَأْتَوْنَ الْفَاحشَةَ مَا سَبَقُوكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ } الأعراف 80 { أَتَأْتَوْنَ الْفَاحشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ } النمل 54 وقوله { وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً } الإسراء 32 فالفاحشة أيضاً تتناول كشف العورة وإن لم يكن في ذلك مباشرة كما قال تعالى {وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا } الأعراف 28 وهذه الفاحشة هي

⁴³¹ الاستقامة ج: 1 ص: 357

طوافهم بالبيت عراة وكانوا يقولون لا نطوف بثياب عصينا الله فيها إلا الحمس فإنهم كانوا يطوفون في ثيابهم وغيرهم إن حصل له ثياب من الحمس طاف فيها وإن طاف عريانا وإن طاف بثيابه حرمت عليه فألقاها فكانت تسمى لقاء وكذلك المرأة إذا لم يحصل لها ثياب جعلت يدها على فرجها ويدها الأخرى على دبرها وطافت تقول اليوم يبدو بعشه أو كله وما بدأ منه فلا أحلم وقد سمي الله ذلك فاحشة وقوله في سياق ذلك {قُلْ إِنَّمَا حَرَمَ رَبِّيُّ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ} الأعراف 33 يتناول كشف العورة أيضاً وإبداءها ويؤكد ذلك أن إبداء فعل النكاح باللفظ الصرير يسمى فحشاء وتفحشاً فكشف الأعضاء والفعل للبصر كشف ذلك للسمع وكل واحد من الكشفيين يسمى وصفاً كما قال عليه السلام لا تنتع المرأة المرأة لزوجها حتى كأنه ينظر إليها ويقال فلان يصف فلاناً وثوب يصف البشرة ثم إن كل واحد من إظهار ذلك للسمع والبصر بياح الحاجة بل يستحب إذا لم يحصل المستحب أو الواجب إلا بذلك كقول النبي لما عز أنكتها وك قوله من تعزى الجاهلية فأعضوه بهن أبيه ولا تكونوا والمقصود أن الفاحشة تتناول الفعل القبيح وتتناول إظهار الفعل وأعضاءه وهذا كما أن ذلك يتناول ما فحش وإن كان بعد نكاح قوله تعالى {وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آباؤُكُمْ مِّنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحشَةً وَمَقْتَأً وَسَاءَ سِبِيلًا} النساء 22 فأخبر أن هذا النكاح فاحشة وقد قيل أن هذا من الفواحش الباطنة فظهر أن الفاحشة تتناول العقود الفاحشة كما تتناول المباشرة بالفاحشة فإن قوله {وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آباؤُكُمْ مِّنَ النِّسَاءِ} النساء 22 يتناول العقد والوطء وفي قوله {مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ} الأعراف 33 عموم لأنواع كثيرة من الأقوال والأفعال وأمر تعالى بحفظ الفرج مطلقاً بقوله {وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ} التور 30 وبقوله {وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ} 5 إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم {6} المؤمنون 5-6 الآيات وقال {وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ

{ الأحزاب 35 حفظ الفرج مثل قوله { وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ }
{ التوبة 112 وحفظها هو صرفها عما لا يحل⁴³²

* والفتنة تحصل بالسماع (للشعر الملحن باعتباره بمنزلة ذكر الله كمجالس الصوفية وسماع الأغاني وحضور مجالس الله) من وجهين من جهة البدعة في الدين ومن جهة الفجور في الدنيا أما الأول فلما قد يحصل به من الاعتقادات الفاسدة في حق الله او الإرادات والعبادات الفاسدة التي لا تصلح الله مع ما يصد عنه من الاعتقادات الصالحة والعبادات الصالحة تارة بطريق المضادة وتارة بطريق الاستغلال فإن النفس تشتعل وتستغنى بهذا عن هذا وأما الفجور في الدنيا فلما يحصل به من دواعي الزنا والفواحش والإثم والبغى على الناس ففي الجملة جميع المحرمات قد تحصل فيه وهو ما ذكرها الله في قوله { وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ } الأنعام 151⁴³³

مدح الله وأثنى على من كان له عقل

* ان اسم العقل عند المسلمين وجمهور العقلاة إنما هو صفة وهو الذي يسمى عرضا قائما بالعقل وعلى هذا دل القرآن في قوله تعالى قال تعالى { ذَلِكُمْ وَصَاحِكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } الأنعام 151 وقوله { أَفَمُ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَقَرُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا } الحج 46 وقوله { قَدْ بَيَّنَا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ } آل عمران 118 ونحو ذلك مما يدل على ان العقل مصدر عقل يعقل عقلا وإذا كان كذلك فالعقل لا يسمى به مجرد العلم الذي لم يعمل به صاحبه ولا العمل بلا علم بل إنما يسمى به العلم الذي يعمل به والعمل بالعلم ولهذا قال أهل النار { لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ

⁴³² مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 381-384

⁴³³ الاستقامة ج: 1 ص: 410

أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ } الْمَلِكٌ 10 وَقَالَ تَعَالَى
 { أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا } الْحِجَّةُ 46
 وَالْعُقْلُ الْمُشْرُوطُ فِي التَّكْلِيفِ لَا بَدْ أَنْ يَكُونَ عِلْمًا يَمْيِيزُ بَيْنَ
 الْإِنْسَانِ بَيْنَ مَا يَنْفَعُهُ وَمَا يَضُرُّهُ فَالْمَجْنُونُ الَّذِي لَا يَمْيِيزُ بَيْنَ
 الدِّرَاهِمِ وَالْفَلُوْسِ وَلَا بَيْنَ أَيَّامِ الْأَسْبُوعِ وَلَا يَفْقَهُ مَا يُقَالُ لَهُ مِنْ
 الْكَلَامِ لَيْسَ بِعَاقِلٍ أَمَا مِنْ فَهْمِ الْكَلَامِ وَمِيَزَ بَيْنَ مَا يَنْفَعُهُ وَمَا يَضُرُّهُ
 فَهُوَ عَاقِلٌ ثُمَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ أَنَّ الْعُقْلَ هُوَ عِلْمٌ ضُرُورِيٌّ وَمِنْهُمْ
 مَنْ يَقُولُ أَنَّ الْعُقْلَ هُوَ الْعَمَلُ بِمَوْجَبِ تَلْكِ الْعِلْمِ وَالصَّحِيحُ أَنَّ
 اسْمَ الْعُقْلِ يَتَنَاهُ إِلَيْهِ هَذَا وَهَذَا وَقَدْ يَرَادُ بِالْعُقْلِ نَفْسُ الْغَرِيزَةِ الَّتِي فِي
 إِنْسَانٍ الَّتِي بِهَا يَعْلَمُ وَيَمْيِيزُ وَيَقْصِدُ الْمَنَافِعَ دُونَ الْمُضَارِّ كَمَا قَالَ
 أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلَ وَالْحَارِثُ الْمَحَاسِبِيُّ وَغَيْرُهُمَا أَنَّ الْعُقْلَ غَرِيزَةً
 وَهَذِهِ الْغَرِيزَةُ ثَابِتَةٌ عِنْ جَمِيعِ الْعَقَلَاءِ كَمَا أَنَّ فِي الْعَيْنِ قُوَّةً بِهَا
 يَبْصُرُ وَفِي الْلِّسَانِ قُوَّةً بِهَا يَذْوَقُ وَفِي الْجَلْدِ قُوَّةً بِهَا يَلْمَسُ عِنْدَ
 434 جَمِيعِ الْعَقَلَاءِ

*الناس يدركون بعقولهم الامور الدنيا فيعرفون ما يجلب لهم
 منفعة في الدنيا وما يجلب لهم مضره وهذا من العقل الذي ميز به
 الانسان فإنه يدرك من عواقب الافعال ما لا يدركه الحس ولفظ
 العقل في القرآن يتضمن ما يجلب به المنفعة وما يدفع به المضره
 435

*قال تعالى { إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لَّا يُؤْلِي النُّهَى } طه 54 أي
 العقول وقال تعالى { هَلْ فِي ذَلِكَ قَسْمٌ لَّذِي حِجْرٌ } الفجر 5 أي
 لذى عقل وقال تعالى { وَانْقُوْنَ يَا أُولَى الْأَلْبَابِ } البقرة 197
 وقال { إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُ الْبُكُّمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ }
 الأنفال 22 وقال تعالى { إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ }

⁴³⁴مجموع الفتاوى ج: 9 ص: 286

⁴³⁵مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 311

{يوسف} 2 فِإِنَّمَا مَدْحُ اللَّهِ وَأَنْتَى عَلَى مَنْ كَانَ لَهُ عَقْلٌ فَأَمَا مَنْ لَا يَعْقُلُ فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَحْمِدْهُ وَلَمْ يَثْنَ عَلَيْهِ وَلَمْ يَذْكُرْهُ بِخَيْرٍ قَطْ بَلْ قَالَ تَعَالَى عَنْ أَهْلِ النَّارِ {وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ} الْمَالِكُ 10 وَقَالَ تَعَالَى {وَلَقَدْ ذَرَنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْحِنْ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبَصِّرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَذْنٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أَوْلَئِكَ كَالْأَنْعَامَ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أَوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ} الْأَعْرَافُ 179 وَقَالَ {أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامَ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَيِّلًا} الْفَرْقَانُ 44

436

أعظم الله أمر اليتامي في كتابه

* قال تعالى {وَلَا تَقْرِبُوا مَالَ الْيَتَيمِ إِلَّا بِالْيَتِيمِ} هي أحسن حثى يبلغ أشدده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا تكفل نفساً إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون} الأنعام 152 اليتيم في الأدميين من فقد أباه لأن أباه هو الذي يهبه ويرزقه وينصره بموجب الطبع المخلوق ولهذا كان تابعاً في الدين لوالده وكان نفقته عليه وحضارته عليه والإنفاق هو الرزق والحضانة هي النصر لأنها الإيواء ودفع الأذى فإذا عدم أبوه طمعت النفوس فيه لأن الإنسان ظلوم جهول والمظلوم عاجز ضعيف فتقوى جهة الفساد من جهة قوة المقتضى ومن جهة ضعف المانع ويتوارد عنه فسادان ضرر اليتيم الذي لا دافع عنه ولا يحسن إليه وفجور الأدمي الذي لا وزع له فلهذا أعظم الله أمر اليتامي في كتابه في آيات كثيرة مثل قوله {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيقَاتَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهُ وَبِالْوَالِدِينِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ} البقرة 83 قوله

436 ب مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 437

{لَيْسَ الِّبْرَأُ أَنْ تُؤْلُوا وُجُوهُهُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ} البقرة 177
 الى قوله {وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبَّهُ ذُو الْقَرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ} البقرة 177
 قوله {فُلْنَ مَا أَنْفَقْتُمْ مِّنْ خَيْرٍ فَلَلَّوَ الدِّينُ وَالْأَقْرَبُونَ
 واليتمانى والمساكين } البقرة 215⁴³⁷

* وقد دلت سنة رسول الله على أن الولاية امانة يجب أداؤها في مواضع مثل ما تقدم ومثل قوله لأبي ذر رضي الله عنه في الامارة إنها امانة وإنها يوم القيمة خزى وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها رواه مسلم وروى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه ان النبي قال إذا ضيغت الأمانة فانتظر الساعة قيل يا رسول الله وما إصاعتها قال إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة وقد أجمع المسلمون على معنى هذا فأن وصي اليتيم وناظر الوقف ووكيل الرجل في ماله عليه أن يتصرف له بالأصلح فالإصلاح كما قال الله تعالى **{وَلَا تَقْرِبُوا مَالَ الْيَتَيمِ إِلَّا بِالْتِي هِيَ أَحْسَنُ}**
{الأنعام 152} ولم يقل إلا بالتي هي حسنة وذلك لأن الوالي راع على الناس بمنزلة راعي الغنم كما قال النبي كلهم راع وكلهم مسئول عن رعيته فالامام الذي على الناس راع وهو مسئول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسئوله عن رعيتها وللولد راع في مال ابيه وهو مسئول عن رعيته والعبد راع في مال سيده وهو مسئول عن رعيته إلا فكلهم راع وكلهم مسئول عن رعيته أخر جاه في الصحيحين وقال ما من راع يسترعى الله رعيه يوم يموت وهو غاش لها إلا حرث الله عليه رائحة الجنة رواه مسلم⁴³⁸

* و مما قد اتفقا على تقديم العموم فيه كقوله **{وَلَا تَقْرِبُوا مَالَ الْيَتَيمِ إِلَّا بِالْتِي هِيَ أَحْسَنُ}** **{الأنعام 152}** مع قوله { وَلَا تَأْكُلُوهَا

مجموع الفتاوى ج: 34 ص: 110⁴³⁷

مجموع الفتاوى ج: 28 ص: 250-251⁴³⁸

إِسْرَافًاً وَبِدَارًاً أَن يَكْبُرُوا } النَّسَاء٦ فَان أَكْلُهَا حَرَامٌ سَوَاء قَصْد
بِدَارًا كَبِيرًا الْيَتَيمُ أَوْ لَا 439

علق الله الأحكام ببلوغ الحلم

* لأن الله إنما علق الأحكام ببلوغ الحلم بقوله تعالى {وَابْتَلُوا
الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ } النساء٦ و قوله تعالى {وَإِذَا بَلَغَ
الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ } النور 59 و قوله تعالى { حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ }
الأنعام 152 و قول النبي صلى الله عليه وسلم رفع القلم عن
الصبي حتى يحتمل لكن لما كان بلوغ الحلم خفيًا عن غير المحتشم
و كان ذلك غالباً يكون مع بلوغ خمسة عشر و إنبات شعر العانة
جعل مظنته عالمة قائمة مقامه في الأحكام التي تتعلق بغير هذا
البالغ من الحدود والقصاص و الجهاد و الحجر و غير ذلك إذ
كانوا لا يطلقون على الحقيقة غالباً فاما ما بينه وبين الله فإنه يعلم
وقت احتلامه و لأن هذه الأمور تتكرر قبل الإحتلام و بعده فجاز
إن يجعل ما يقارب الإحتلام في حكمه احتياطاً و عموماً و هذا
لأن الصبي في الأصل لما كان مظنة نقص العقل و ضعف البنية
جعل الشرع بلوغ الأشد حد التكليف لأن مظنة استكمال شرائطه
غالباً 440

الشرع جاء بتحصيل المصالحة و تكميلها و تعطيل المفاسد و تقليلها

مجموع الفتاوى ج: 31 ص: 107 439

شرح العمدة ج: 4 ص: 47 440

* والشائع جاء بتحصيل المصالح وتمكيلها وتعطيل المفاسد وتقليلها فهي تأمر بما ترجم مصلحته وإن كان فيه مفسدة مرجوحة كالجهاد وتنهى عما ترجمت مفسدته وإن كان فيه مصلحة مرجوحة كتناول المحرمات من الخمر وغيره ولهذا أمر تعالى أن نأخذ بأحسن ما أنزل إلينا من ربنا فالإحسن إما واجب وإما مستحب قال تعالى {وَأَمْرٌ قُومَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَارِيْكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ} الأعراف 145 وقال {وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِّنْ رَبِّكُمْ} الزمر 55 فأمر باتباع الأحسنة والأخذ به وقال تعالى {الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقُولَ فَيَتَبَعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمُ أُولُوا الْأَلْبَابِ} الزمر 18 فاقتضى أن غيرهم لم يهده وهذا يقتضي وجوب الأخذ بالإحسن وهو مشكل وقد تكلم الناس فيه ونظيره قوله تعالى **{وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتَيمِ إِلَّا بِالْتِي هِيَ أَحْسَنُ}** الأنعام 152 ونظائر هذا كثيرة مما يذكر فيه أن المأمور به خير وأحسن من المنهي عنه وإن كان الأول واجبا والثاني محظى وذلك لأن المأمور به قد يشتمل على مفسدة مرجوحة والمنهي عنه يشتمل على مصلحة مرجوحة فيكون باعتبار ذلك في هذا خير وحسن وفي هذا شر وسيء لكن هذا خير وأحسن وإن كان واجبا فقوله تعالى {وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِّنْ رَبِّكُمْ} الزمر 55 هو أمر بالإحسن من فعل المأمور أو ترك المحظور وهو يتناول الأمر بالواجب والمستحب فإن كلاهما أحسن من المحرم والمكره لكن يكون الأمر أمر إيجاب وأمر استحباب كما أمر بالإحسان في قوله تعالى {وَأَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُنْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلِكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} البقرة 195 والإحسان منه واجب ومنه مستحب⁴⁴¹

* وقد دلت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن الولاية أمانة يجب أداؤها في مواضع مثل ما تقدم ومثل قوله لأبي ذر رضي الله عنه في الإمارة إنها أمانة وإنها يوم القيمة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها رواه مسلم وروى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا ضعفت الأمانة انتظر الساعة قيل يا رسول الله وما إضاعتها قال إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة وقد أجمع المسلمون على معنى هذا فإن وصي اليتيم وناظر الوقف ووكيل الرجل في ماله عليه أن يتصرف له بالأصلح فالإصلاح كما قال الله تعالى ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن ولم يقل إلا بالتي هي حسنة وذلك لأن الوالي راع على الناس بمنزلة راعي الغنم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته فالإمام الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها والولد راع في مال أبيه وهو مسؤول عن رعيته والعبد راع في مال سيده وهو مسؤول عن رعيته ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته أخرجاه في الصحيحين وقال صلى الله عليه وسلم ما من راع يستر عيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لها إلا حرم الله عليه رائحة الجنة رواه مسلم⁴⁴²

تحقيق المناط أن يعمل بالنص والإجماع

* وتحقيق المناط أن يعمل بالنص والإجماع فإن الحكم معلق بوصف يحتاج في الحكم على المعين إلى أن يعلم ثبوته ذلك الوصف فيه كما يعلم أن الله أمرنا بإشهاد ذوى عدل منا وممن

⁴⁴²السياسة الشرعية ج: 1 ص: 13

نرضى من الشهداء ولكن لا يمكن تعين كل شاهد فيحتاج أن يعلم في الشهود المعينين هل هم من ذوى العدل المرضيin أم لا وكما أمر الله بعشرة الزوجين بالمعروف وقال النبي للنساء رزقهن وكسوتهن بالمعروف ولم يمكن تعين كل زوج فيحتاج أن ينظر في الأعيان ثم من الفقهاء من يقول إن نفقة الزوجة مقدرة بالشرع والصواب ما عليه الجمهور أن ذلك مردود إلى العرف كما قال لهند خذى ما يكفيك ولذلك بالمعروف وكما قال تعالى {وَلَا تَقْرِبُوا مَالَ الْبَيْتِ إِلَّا بِالْأَحْسَنِ} الأنعام 152 ويبقى النظر في تسليمه إلى هذا التاجر بجزء من الربح هل هو من التي هي أحسن أم لا وكذلك قوله {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ} التوبه 60 يبقى هذا الشخص المعين هل هو من الفقراء المساكين المذكورين في القرآن أم لا وكما حرم الله الخمر والربا عموماً يبقى الكلام في الشراب المعين هل هو خمر أم لا وهذا النوع مما اتفق عليه المسلمين بل العقلاء بأنه لا يمكن أن ينص الشارع على حكم كل شخص إنما يتكلم بكلام عام وكان نبينا قد أوتي جوامع الكلم

443

بخس المكيال و الميزان من الأعمال التي أهلك الله بها

قوم شعيب

*أما بخس المكيال و الميزان فهو من الأعمال التي أهلك الله بها قوم شعيب و قص علينا قصتهم في غير موضع من القرآن لنعتبر بذلك و الأصرار على ذلك من أعظم الكبائر و صاحبه مستوجب تغليظ العقوبة و ينبغي أن يؤخذ منه ما بخسه من أموال المسلمين على طول الزمان و يصرف في صالح المسلمين اذا

مجموع الفتاوى ج: 22 ص: 329 - 330⁴⁴³

لم يمكن إعادته إلى أصحابه والكيال و الوزان الذي يبخس الغير هو ضامن محروم مأثوم و هو من أخسر الناس صفة اذ باع آخرته بدنيا غيره ولا يحل أن يجعل بين الناس كيالاً أو وزاناً يبخس أو يحابي كما لا يحل أن يكون بينهم مقوم يحابي بحيث يكيل أو يزن أو يقوم لمن يرجوه أو يخاف من شره أو يكون له جاه و نحوه بخلاف ما يكيل أو يزن أو يقوم لغيرهم أو يظلم من يبغضه و يزيد من يحبه قال الله تعالى {وَأَرْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقُسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا} الأنعام 152 و قال تعالى {بِإِيمَانِ الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَامِينَ بِالْقُسْطِ شُهَدَاءَ اللَّهَ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَنَعَّمُوا أَهْوَى وَإِنْ تَعْلُوَا وَإِنْ تَلُوْا أَوْ ثُغْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا} النساء 135 والله أعلم 444

{ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا }

*فالصواب من القول قول الجهمية الذى وافقوا فيه السلف والجمهور وهو أنه ليس كل من طلب واجتهد واستدل يتمكن من معرفة الحق فيه بل استطاعة الناس فى ذلك مقاوتة والقدرة يقولون ان الله تعالى سوى بين المكلفين فى القدرة ولم يخص المؤمنين بما فضلهم به على الكفار حتى آمنوا ولا خص المطيعين بما فضلهم به على العصاة حتى أطاعوا وهذا من أقوال القدرة والمعزلة وغيرهم الذى خالفوا بها الكتاب والسنة واجماع السلف والعقل الصرير كما بسط فى موضعه ولهذا قالوا إن كل مستدل فمعه قدرة تامة يتوصل بها إلى معرفة الحق ومعلوم ان الناس إذا اشتبهت عليهم القبلة فى السفر فكلهم مأمورون بالاجتهد والاستدلال على جهة القبلة ثم بعضهم يتمكن

⁴⁴⁴ مجموع الفتاوى ج: 29 ص: 474

من معرفة جهتها وبعدهم يعجز عن ذلك فيغلط فيظن في بعض الجهات أنها جهتها ولا يكون مصيباً في ذلك لكن هو مطيع لله ولا إثم عليه في صلاته إليها لأن الله تعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها فعجزهم عن العلم بها كعجزه عن التوجيه إليها كالمقيد والخائف والمحبوس والمريض الذي لا يمكنه التوجيه إليها وللهذا كان الصواب قول ما يقول إن الله لا يعذب في الآخرة إلا من عصاه بترك المأمور أو فعل المحظور والمعتزلة في هذا وافقوا الجماعة بخلاف الجهمية ومن اتبعهم من الأشعرية وغيرهم فإنهم قالوا بل يعذب من لا ذنب له أو نحو ذلك ثم هؤلاء يحتاجون على المعتزلة في نفي الإيجاب والتحريم العقلي بقوله تعالى {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا} الإسراء 15 وهو حجة عليهم أيضاً في العذاب مطلقاً إلا بعد ارسال الرسل وهم يجوزون التعذيب قبل ارسال الرسل فأولئك يقولون يعذب من لم يبعث إليه رسولاً لأنه فعل القبائح العقلية وهؤلاء يقولون بل يعذب من لم يفعل قبيحاً فقط للأطفال وهذا مخالف للكتاب والسنة والعقل أيضاً قال تعالى {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا} الإسراء 15 وقال تعالى عن أهل النار {كُلُّمَا أُقْيِي فِيهَا فَوْجٌ سَأَلُوهُمْ حَرَّنَّهَا أَلْمٌ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ} 8 قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزال الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كثير {الملك 9-8} فقد أخبر سبحانه وتعالى بصيغة العموم أنه كلما ألقى فيها فوج سألهم الخزنة هل جاءهم نذير فيعترفون بأنهم قد جاءهم نذير فلم يبق فوج يدخل النار إلا وقد جاءهم نذير فمن لم يأته نذير لم يدخل النار وقال {ذلك أن لم يكن ربكم مهلك القرى بظلم وأهلهما غافلون} الأنعام 131 أي هذا بهذا السبب فعلم أنه لا يعذب من كان غافلاً ما لم يأته نذير ودل أيضاً على أن ذلك ظلم تنزعه سبحانه عنه وأيضاً فان الله تعالى قد أخبر في غير موضع أنه لا يكلف نفساً إلا وسعها كقوله {إِنَّمَّا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا} البقرة 286 وقوله تعالى {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا} الأعراف 42

و قوله ﴿ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ البقرة 233 و قوله ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا ﴾ الطلاق 7 وأمر بتقواه بقدر الاستطاعة فقال ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا أَسْتَطَعْتُمْ ﴾ التغابن 16 وقد دعاه المؤمنون بقولهم ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلُنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾ البقرة 286 فقال قد فعلت فدللت هذه النصوص على أنه لا يكلف نفسا ما تعجز عنه خلافا للجهمية المجردة ودللت على أنه لا يؤخذ المخطيء والناسي خلافا للقدريه والمعزلة هذا فصل الخطاب في هذا الباب فالمجتهد المستدل من إمام وحاكم وعلم وناظر ومفت وغير ذلك إذا اجتهد واستدل فاتقى الله ما استطاع كان هذا هو الذي كلفه الله إياه وهو مطيع الله مستحق للثواب إذا اتقاه ما استطاع ولا يعقوبه الله أبنته خلافا للجهمية المجردة وهو مصيب بمعنى أنه مطيع الله لكن قد يعلم الحق في نفس الأمر وقد لا يعلمه خلافا للقدريه والمعزلة في قولهم كل من استفرغ وسعه علم الحق فان هذا باطل كما تقدم بل كل من استفرغ وسعه استحق الثواب وكذلك الكفار من بلغه دعوة النبي في دار الكفر وعلم أنه رسول الله فآمن به وآمن بما أنزل عليه واتقى الله ما استطاع كما فعل النجاشي وغيره ولم تمكنه الهجرة إلى دار الإسلام ولا التزام جميع شرائع الإسلام لكونه ممنوعا من الهجرة ومنعوا من إظهار دينه وليس عنده من يعلمه جميع شرائع الإسلام فهذا مؤمن من أهل الجنة كما كان مؤمن آل فرعون مع قوم فرعون وكما كانت امرأة فرعون بل وكما كان يوسف الصديق عليه السلام مع أهل مصر فإنهم كانوا كفارا ولم يمكنه ان يفعل معهم كل ما يعرفه من دين الإسلام فإنه دعاهم إلى التوحيد والإيمان فلم يجيئوه قال تعالى عن مؤمن آل فرعون ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلِ بِالْتَّيَّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَّتِ قُلُّتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا ﴾ غافر 34 وكذلك النجاشي هو وإن كان ملك النصارى فلم يطعه قومه في الدخول في الإسلام بل إنما دخل معه نفر منهم ولهذا لما مات لم

يُكَنْ هُنَاكَ أَحَدٌ يَصْلِي عَلَيْهِ فَصْلَى عَلَيْهِ النَّبِيُّ بِالْمَدِينَةِ خَرْجًا
بِالْمُسْلِمِينَ إِلَى الْمَصْلِي فَصَفَّهُمْ صَفَوْفًا وَصَلَّى عَلَيْهِ وَأَخْبَرَهُمْ
بِمُوْتِهِ يَوْمَ مَاتَ وَقَالَ إِنَّ أَخَاكُمْ صَالِحًا مِنْ أَهْلِ الْحَبْشَةِ مَاتَ
وَكَثِيرٌ مِنْ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ أَوْ أَكْثَرُهَا لَمْ يَكُنْ دَخَلَ فِيهَا لِعْجَزَهُ عَنْ ذَلِكَ
فَلَمْ يَهَاجِرْ وَلَمْ يَجَاهِدْ وَلَا حَجَّ الْبَيْتَ بَلْ قَدْ رُوِيَ أَنَّهُ لَمْ يَصْلِ
الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ وَلَا يَصُومُ شَهْرَ رَمَضَانَ وَلَا يُؤْدِي الزَّكَاةَ
الشَّرِيعَةَ لِأَنَّ ذَلِكَ كَانَ يَظْهَرُ عَنْ قَوْمِهِ فَيُنَكِّرُونَهُ عَلَيْهِ وَهُوَ لَا
يُمْكِنُهُ مُخَالَفَتَهُمْ وَنَحْنُ نَعْلَمُ قَطْعًا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يُمْكِنُهُ أَنْ يَحْكُمَ بَيْنَهُمْ
بِحُكْمِ الْقُرْآنِ وَاللهُ قَدْ فَرَضَ عَلَى نَبِيِّنَا بِالْمَدِينَةِ أَنَّهُ إِذَا جَاءَهُ أَهْلُ
الْكِتَابِ لَمْ يَحْكُمْ بَيْنَهُمْ إِلَّا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْهِ وَحْذَرَهُ أَنْ يَفْتَنُهُ عَنْ
بعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْهِ وَهَذَا مِثْلُ الْحُكْمِ فِي الزَّنا لِلْمُحْسِنِ
بَحْدِ الرِّجْمِ وَفِي الْدِيَاتِ بِالْعَدْلِ وَالتَّسْوِيَةِ فِي الدَّمَاءِ بَيْنَ الشَّرِيفِ
وَالْوَضِيعِ النَّفْسِ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنِ بِالْعَيْنِ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَالنَّجَاشِيَّ
مَا كَانَ يُمْكِنُهُ أَنْ يَحْكُمَ بِحُكْمِ الْقُرْآنِ فَإِنَّ قَوْمَهُ لَا يَقْرُونَهُ عَلَى ذَلِكَ
وَكَثِيرًا مَا يَتَولَّ الرَّجُلُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْتَّارِ قَاضِيًّا بَلْ وَإِمَاماً
وَفِي نَفْسِهِ أَمْوَارُ مِنَ الْعَدْلِ يَرِيدُ أَنْ يَعْمَلَ بِهَا فَلَا يُمْكِنُهُ ذَلِكَ بَلْ
هُنَاكَ مَنْ يَمْنَعُهُ ذَلِكَ وَلَا يَكْلُفُ اللَّهُ نَفْسًا أَلَا وَسَعَهَا وَعُمَرُ بْنُ عَبْدِ
الْعَزِيزِ عُودِيُّ وَأَوْذِي عَلَى بَعْضِ مَا أَقَامَهُ مِنَ الْعَدْلِ وَقِيلَ إِنَّهُ سَمِّ
عَلَى ذَلِكَ فَالنَّجَاشِيُّ وَأَمْثَالُهُ سَعْدَاءُ فِي الْجَنَّةِ وَإِنَّ كَانُوا لَمْ يَلْتَزِمُوا
مِنْ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ مَا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى التَّزَامِهِ بَلْ كَانُوا يَحْكُمُونَ
بِالْحُكَمِ الَّتِي يُمْكِنُهُمُ الْحُكْمُ بِهَا ⁴⁴⁵

* إِنَّ اللَّهَ سَبَّحَنَهُ أَمْرَنَا بِالْمَعْرُوفِ وَهُوَ طَاعَتُهُ وَطَاعَةُ رَسُولِهِ
وَهُوَ الصَّلَاحُ وَالْحَسَنَاتُ وَالْخَيْرُ وَالْبَرُ وَنَهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَهُوَ
مَعْصِيَتُهُ وَمَعْصِيَةُ رَسُولِهِ وَهُوَ الْفَسَادُ وَالسَّيَّئَاتُ وَالشَّرُّ وَالْفَجُورُ
وَقِيدُ الْإِيجَابِ بِالْإِسْتِطَاعَةِ وَالْوَسْعِ وَابْحَاثِ مَا حَرَمَ مَا يُضْطَرُ

⁴⁴⁵ مجموع الفتاوى ج: 19 ص: 216 و منهاج السنة النبوية ج: 5 ص: 116-111

المرء اليه غير باع ولا عاد وقد اتفق سلف الامة وأئمتها على ان كل احد يؤخذ من قوله ويترك الا رسول الله وهذا من الفروق بين الانبياء وغيرهم فان الانبياء صلوات الله عليهم وسلم لهم الایمان بجميع ما يخبرون به عن الله عز وجل وتجب طاعتهم فيما يأمرنون به بخلاف الاولياء فانهم لا تجب طاعتهم فى كل ما يأمرنون به ولا الایمان بجميع ما يخبرون به بل يعرض امرهم وخبرهم على الكتاب والسنة فما وافق الكتاب والسنة وجب قبوله وما خالف الكتاب والسنة كان مردودا وان كان صاحبه من اولياء الله وكان مجتهدا معذورا فيما قاله له اجر على اجتهاده لكنه إذا خالف الكتاب والسنة كان مخطئا وكان من الخطأ المغفور إذا كان صاحبه قد اتقى الله ما استطاع فان الله تعالى يقول {فَأَتُقْوِيَ اللَّهُ مَا أَسْتَطَعْنُ} التغابن¹⁶ وهذا تفسير قوله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ} آل عمران¹⁰² قال ابن مسعود وغيره حق تقاته ان يطاع فلا يعصى وان يذكر فلا ينسى وان يشك فلا يكفر اى بحسب استطاعتكم فان الله تعالى لا يكلف نفسا الا وسعها كما قال تعالى {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ} البقرة²⁸⁶ وقال تعالى {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا حَالِدونَ} الأعراف⁴² وثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبائهم فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وإذا امرتكم بأمر فأنتوا منه ما استطعتم فأوجب مما امر به ما يستطيعون وكذلك فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال في حديث اخر انكم لن تحصوا او تستطيعوا كل ما امرتم به ولكن وقال ان هذا الدين يسر ولن يشد الدين احد الا غلبه فسددوا وقاربوا

واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة والقصد القصد
تبلغوا وهذا العام المجمل فقال { وَأُوفُوا الْكِيْلَ وَالْمِيزَانَ
بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا } الأنعام 152⁴⁴⁶

* ومن فعل ما أمر به بحسب حاله من اجتهد يقدر عليه أو تقليد
إذا لم يقدر على الاجتهد وسلك في تقليده مسلك العدل فهو
مقتصد اذا الأمر مشروط بالقدرة { لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا } البقرة 286 فعلى المسلم في كل موطن أن يسلم وجهه لله وهو
محسن ويذوم على هذا الاسلام فإسلام وجهه اخلاصه لله
واحسان فعله الحسن فتدبر هذا فإنه اصل جامع نافع عظيم⁴⁴⁷

العدل جماع الدين والحق والخير كله

* { أَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ
لِيَقُولَمُ النَّاسُ بِالْقِسْطِ } الحديد 25 أن العدل جماع الدين والحق
والخير كله والعدل الحقيقي قد يكون متعدراً أو متعرضاً إما علمه
وإما العمل به لكون التمثال من كل وجه غير متمكن أو غير
معلوم فيكون الواجب في مثل ذلك ما كان اشبه بالعدل وأقرب
إليه وهي الطريقة المثلث ولهاذا قال سبحانه { وَأُوفُوا الْكِيْلَ
وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا } الأنعام 152⁴⁴⁸

* والمحبة المحمودة هي المحبة النافعة وهي التي تجلب لصاحبها
ما ينفعه وهو السعادة والضارة هي التي تجلب لصاحبها ما
يضره وهو الشقاء ومعلوم أن الحي العالم لا يختار أن يحب

⁴⁴⁶ مجموع الفتاوى ج: 11 ص: 208 و الاستقامة ج: 2 ص: 315

⁴⁴⁷ مجموع الفتاوى ج: 19 ص: 128

⁴⁴⁸ مجموع الفتاوى ج: 22 ص: 132

ما يضره لكن يكون ذلك عن جهل وظلم فإن النفس قد تهوي ما يضرها ولا ينفعها وذلك ظلم منها لها وقد تكون جاهلة بحالها به بأن تهوي الشيء وتحبه بلا علم منها بما في محبته من المنفعة والمضررة وتتبع هواها وهذا حال من اتبع الظن وما تهوي نفسه يكون عن اعتقاد فاسد وهو حال من اتبع الظن وكل تهوي نفسه وكل ذلك من أمور الجاهلية وإن كان كل من جهلها وظلمها لا يكاد يخلو عن شبهة يشتبه بها الحق وشهوه هي في الأصل محمودة إذا وضعت في محلها كحال الذي يحب لقاء قريبه فإن هذا محمود وهو أصل صلة الرحم التي هي شجنة من الرحمن لكن إذا اتبع هواه حتى خرج عن العدل بين ذوي القربي وغيرهم كان هذا ظلما كما قال تعالى { وَإِذَا قُلْتُمْ فَاغْدُلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا فَرْبَى } الأنعام 152 وقال تعالى { كُونُوا قَوَامِينَ بِالْقُسْطِ شُهَدَاءَ اللَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنَ وَالْأَقْرَبَيْنَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَإِنَّ اللَّهَ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَبَعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدُلُوا } النساء 135

وكذلك الذي يحب الطعام والشراب والنساء فإن هذا محمود وبه يصلح حالبني آدم ولو لا ذلك لما استقامت نفس الأنساب ولا وجدت الذرية ولكن يجب العدل والقصد في ذلك كما قال تعالى { وَكُلُوا وَاشْرِبُوا وَلَا تُسْرِفُوا } الأعراف 31 وكما قال تعالى { إِلَى أَرْوَاحِهِمْ أَوْ مَا مَلَكُتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ } 6 فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون {7} المؤمنون 7 فإذا تجاوز حد العدل وهو المشروع صار ظالما عاديا بحسب ظلمه وعدوانه وقد ذكرنا في مواضع أن المشروع والنافع والصالح والعدل والحق والحسن أسماء متكافئة مسماها واحد بالذات وإن تتوعد صفاته بمنزلة أسماء الله الحسني فأسماؤه تعالى وأسماء كتابه ودينه ونبيه مسمى كل صنف من ذلك واحد وإن تتوعد صفاته فكل عمل صالح هو نافع لصاحبه وبالعكس وكل نافع

صالح فهو مشروع وبالعكس وكل ما كان صالحًا مشروع فهو
حق وعدل وبالعكس⁴⁴⁹

*أن كل خير فهو داخل في القسط والعدل وكل شر فهو داخل في الظلم ولهذا كان العدل أمراً واجباً في كل شيء وعلى كل أحد والظلم محرماً في كل شيء ولكل أحد فلا يحل ظلم أحد أصلاً سواء كان مسلماً أو كافراً أو كان ظالماً بل الظلم إنما يباح أو يجب فيه العدل عليه أيضاً قال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ إِلَهُكُمْ شُهَدَاءٌ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمُنَّكُمْ شَنَآنُ} المائدة 8 أي يحملنكم شنان أي بغض قوم وهم الكفار على عدم العدل {قَوْمٌ عَلَى أَلَا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلنَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} المائدة 8 وقال تعالى {فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ} البقرة 194 وقال تعالى {وَإِنْ عَاقِبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ} النحل 126 وقال تعالى {وَجَزَاءُ سَيِّئَاتِهِ سَيِّئَاتٌ مُّثُلُّهَا} الشورى 40 وقد دل على هذا قوله في الحديث يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرباً فلا تظالموا فإن هذا خطاب لجميع العباد أن لا يظلم أحد أحداً وأمر العالم في الشريعة مبني على هذا وهو العدل في الدماء والأموال والأبعضاع والأنساب والأعراض ولهذا جاءت السنة بالقصاص في ذلك ومقابلة العادي بمثل فعله لكن المماثلة قد يكون علمها أو عملها متعدراً ومتعرضاً ولهذا يكون الواجب ما يكون أقرب إليها بحسب الإمكان ويقال هذا أمثل وهذا أشبه وهذه الطريقة المثل لاما كان أمثل بما هو العدل والحق في نفس الأمر إذ ذاك محجوز عنه ولهذا قال تعالى {وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا} الأنعام 152 فذكر أنه لم يكلف نفسها إلا وسعها حين أمر

449449 قاعدة في المحبة ج: 1 ص: 17

بتوفية الكيل والميزان بالقسط لأن الكيل لا بد له أن يتفضل أحد المكيلين على الآخر ولو بحبة أو حبات وكذلك التفاضل في الميزان قد يحصل بشيء يسير لا يمكن الاحتراز منه فقال تعالى {لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا} الأنعام 152 ولهذا كان القصاص مشروعًا إذا أمكن استيفاؤه من غير جف كالاقتصاص في الجروح التي تنتهي إلى عظم وفي الأعضاء التي تنتهي إلى مفصل فإذا كان الجnf واقعاً في الاستيفاء عدل إلى بدله وهو الديه لأنه أشبه بالعدل من اتلاف زيادة في المقتضى منه وهذه حجة من رأى من الفقهاء أنه لا قود إلا بالسيف في العنق قال لأن القتل بغير السيف وفي غير العنق لا نعلم فيه المماثلة بل قد يكون التحرير والتغريق والتتوسيط ونحو ذلك أشد إيلاماً لكن الذين قالوا يفعل به مثل ما فعل قولهم أقرب إلى العدل فإنه مع تحرير التسوية بين الفعلين يكون العبد قد فعل ما يقدر عليه من العدل وما حصل من تفاوت الألم خارج عن قدرته وأما إذا قطع يديه ورجليه ثم وسطه فقبول ذلك بضرب عنقه بالسيف أو رض رأسه بين حجرين فضرب بالسيف فهنا قد تيقنا عدم المعادلة والمماثلة وكنا قد فعلنا ما تيقنا انتقاء المماثلة فيه وأنه يتذرع معه وجودها بخلاف الأول فإن المماثلة قد تقع إذ التفاوت فيه غير متيقن وكذلك القصاص في الضربة واللطممة ونحو ذلك عدل عنه طائفة من الفقهاء إلى التعزيز لعدم إمكان المماثلة فيه والذي عليه الخلفاء الراشدون وغيرهم من الصحابة وهو منصوص ألمد ما جاءت به سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثبوت القصاص به لأن ذلك أقرب إلى العدل والمماثلة فإنما إذا تحررنا أن نفعل به من جنس فعله ونقارب القدر من القدر كان هذا أمثل من أن نأتي بجنس من العقوبة تخالف عقوبته جنساً وقدراً وصفة وهذا النظر أيضاً في ضمان الحان والعقار ونحو ذلك بمثله تقريرياً أو بالقيمة كما نص ألمد على ذلك في مواضع ضمان الحيوان وغيره ونص عليه الشافعي فيمن خرب حائط غيره أنه ببنيه كما كان وبهذا قضى سليمان عليه السلام في حكومة

الحرج التي حكم فيها هو وأبوه كما قد بين ذلك في موضعه
 فجميع هذه الأبواب المقصود للشريعة فيها تحريم العدل بحسب
 الإمكان وهو مقصود العلماء لكن أفهمهم من قال بما هو أشبه
 بالعدل في نفس الأمر وإن كان كل منهم قد أوتي علماً وحكم
 لأنه هو الذي أنزل الله به الكتب وأرسل به الرسل وضده الظلم
 كما قال سبحانه يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي
 وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا ولما كان العدل لابد أن
 يتقدمه علم إذ من لا يعلم لا يدرى ما العدل والإنسان ظالم
 جاهل إلا من تاب الله عليه فصار عالماً عادلاً صار الناس من
 القضاة وغيرهم ثلاثة أصناف العالم العادل والجاهل والظالم
 فهذا من أهل النار كما قال النبي صلى الله عليه وسلم
 القضاة ثلاثة قاضيان في النار وقاض في الجنة رجل علم الحق
 وقضى به فهو في الجنة ورجل قضى للناس على جهل فهو في
 النار ورجل علم الحق وقضى بخلافه فهو في النار فهذا
 القسمان كما قال من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ
 ومن قال في القرآن برأيه فأخطأ فليتبوأ مقعده من النار وكل
 من حكم بين اثنين فهو قاض سواء كان صاحب حرب أو متولي
 ديوان أو منتصباً للاحتساب بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
 حتى الذي يحكم بين الصبيان في الخطوط فإن الصحابة كانوا
 يعدونه من الحكماء ولما كان الحكماء مأموريين بالعدل بالعلم وكان
 المفروض إنما هو بما يبلغه جهد الرجل قال النبي صلى الله عليه
 وسلم إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ

فله أجر

450

صحة القلب وصلاحه في العدل ومرضه من الزيف والظلم والانحراف

*أن العدل محمود محبوب باتفاق أهل الأرض وهو محبوب في النفوس مركوز حبه في القلوب تحبه القلوب وتحمده وهو من المعروف الذي تعرفه القلوب والظلم من المنكر الذي تنكره القلوب فتبغضه وتذمه العدل واجب لكل أحد على كل أحد في كل حال والله تعالى أرسل الرسل ليقوم الناس بالقسط قال الله تعالى {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًاٍ بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُولَمُ النَّاسُ بِالْقِسْطِ} الحديد 25 وقال تعالى {إِنَّ اللَّهَ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ} الشورى 17 وقال تعالى {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤْتُوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ} النساء 58 وقال {فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَغْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضْرُوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُفْسِطِينَ} المائدة 42 وقال {فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَنَزَّعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ} المائدة 48 فأمره أن يحكم بالقسط وأن يحكم بما أنزل الله فدل ذلك على أن القسط هو ما أنزل الله فما أنزل الله هو القسط والقسط هو ما أنزل الله ولهذا وجب على كل من حكم بين اثنين أن يحكم بالعدل لقوله تعالى {وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ} النساء 58 فليس لحاكم أن يحكم بظلم أبداً والشرع الذي يجب على حكام المسلمين الحكم به عدل كله ليس في الشرع ظلم أصلاً بل حكم الله أحسن الأحكام والشرع هو ما أنزل الله فكل من حكم بما أنزل الله فقد حكم بالعدل⁴⁵¹ * العدل هو الاعتدال والاعتدال هو صلاح القلب كما أن الظلم فساده ولهذا جميع الذنوب يكون الرجل فيها ظالماً لنفسه والظلم خلاف العدل فلم يعدل على نفسه بل ظلمها فصلاح القلب في

⁴⁵¹ منهاج السنة النبوية ج: 5 ص: 130 و الصافية ج: 2 ص: 327

العدل وفساده في الظلم وإذا ظلم العبد نفسه فهو الظالم وهو المظلوم كذلك إذا عدل فهو العادل والمدعول عليه فمنه العمل وعليه تعود ثمرة العمل من خير وشر قال تعالى {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ} البقرة 286 وـ العمل له أثر في القلب من نفع وضر وصلاح قبل أثره في الخارج فصلاحها عدل لها وفسادها ظلم لها قال تعالى {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَامٍ لِلْعَبْدِ} فصلات 46 وقال تعالى الإسراء {إِنَّ أَحْسَنَنُمْ أَحْسَنَنُمْ لِأَنَّفْسِكُمْ وَإِنَّ أَسَأَنُنَا فَلَهَا} الإسراء 7 قال بعض السلف إن للحسنة لنورا في القلب وقوة في البدن وضياء في الوجه وسعة في الرزق ومحبة في قلوب الخلق وإن للسيئة لظلمة في القلب وسوادا في الوجه وهذا في البدن ونقصا في الرزق وبعضا في قلوب الخلق كما أن الجسد إذا صاح من مرضه قيل قد اعتدل مزاجه والمرض إنما هو انحراف المزاج مع أن الاعتدال المحسن السالم من الأخلاق لا سبب إليه ولكن الأمثل فالأمثل فهكذا صحة القلب وصلاحه في العدل ومرضه من الزيف والظلم والانحراف والعدل المحسن في كل شيء متذر علمًا وعملا ولكن الأمثل فالأمثل ولهذا يقال هذا أمثل ويقال للطريقة السلفية الطريقة المثلثة وقال تعالى {وَلَنْ تَسْتَطِعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ} النساء 129 وقال تعالى {وَلَا تَنْرَبُوا مَالَ الْبَيْتِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشْدَهُ وَأَوْفُوا الْكِيلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعِهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَارُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} الأنعام 152 والله تعالى

بعث الرسل وأنزل الكتب ليقوم الناس بالقسط وأعظم القسط عبادة الله وحده لا شريك له ثم العدل على الناس في حقوقهم ثم العدل على النفس و الظلم ثلاثة أنواع والظلم كله من أمراض القلوب والعدل صحتها وصلاحها قال أحمد بن حنبل لبعض الناس لو صحت لم تخف أحدا أي خوفك من المخلوق هو من

مرض فيك كمرض الشرك والذنوب وأصل صلاح القلب هو
حياته واستئرته 452

العدل في القول خبر يتعلق بالماضي والحاضر و الوفاء بالعهد يكون في القول المتعلق بالمستقبل

*قال الله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُهُودِ} المائدة 1 و
العقود هي العهود و قال تعالى {وَإِذَا فُلِتْمَ فَاغْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا
قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا} الأنعام 152 و قال تعالى {وَأَوْفُوا
بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْوُلًا} الإسراء 34 و قال تعالى
{وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلِّونَ الْأَذْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ
مَسْوُلًا} الأحزاب 15 فقد أمر سبحانه بالوفاء بالعقود و هذا
عام و كذلك أمر بالوفاء بعهد الله و بالعهد و قد دخل في ذلك ما
عقده المرأة على نفسه بدليل قوله {وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ
قَبْلُ} الأحزاب 15 فدل على ان عهد الله يدخل فيه ما عقده
المرء على نفسه و ان لم يكن الله قد أمر بنفس ذلك المعهود عليه
قبل العهد كالذر و البيع إنما أمر بالوفاء به و لهذا قرنه بالصدق
في قوله {وَإِذَا فُلِتْمَ فَاغْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا}
الأنعام 152 لأن العدل في القول خبر يتعلق بالماضي و
الحاضر و الوفاء بالعهد يكون في القول المتعلق بالمستقبل كما
قال تعالى {وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لِئنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَدِّقَنَّ
وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ} 75 {فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخْلَوْا بِهِ
وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ} 76 {فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمٍ
يُلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ} 77 التوبة 75
453 77-

أمراض القلوب ج: 1 ص: 7-8 و مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 99 452

مجموع الفتاوى ج: 29 ص: 138-139 453

* والكلام يجب ان يكون بالعلم والقسط فمن تكلم في الدين بغير علم دخل في قوله تعالى {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ} الإسراء 36 وفي قوله تعالى {وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} الأعراف 33 ومن تكلم بقسط وعدل دخل في قوله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُوْنُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ اللَّهِ} النساء 135 وفي قوله تعالى {وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا} الأنعام 152 وفي قوله تعالى {أَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا إِلَيْنَا} وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط الحديد 254

يستدل بالعدل على القياس الصحيح العقلى والشرعى

* أن عامة السيئات يدخل في الظلم وأن الحسنات غالباً عدل وأن القسط هو المقصود بارسال الرسل وإنزال الكتب والقسط والعدل هو التسوية بين الشيئين فان كان بين متماثلين كان هو العدل الواجب المحمود وإن كان بين الشيء وخلافه كان من باب قوله {ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ} الأنعام 1 كما قالوا {تَالَّهُ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} 97 {إِذْ نُسَوِّيْكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ} 98 الشعراء 97-98 وهذا العدل والتسوية والتمثيل والاشراك هو الظلم العظيم وإذا عرف أن مادة العدل والتسوية والتمثيل والقياس والاعتبار والتشريك والتشبيه والتنظير من جنس واحد فيستدل بهذه الأسماء على القياس الصحيح العقلى والشرعى ويؤخذ من ذلك تعبير الرؤيا فإن مداره على القياس والاعتبار والمشابهة التي بين الرؤيا وتأويلها ويؤخذ من ذلك ما في الأسماء واللغات من الاستعارة والتشبيه إما في وضع اللفظ بحيث يصير حقيقة في الاستعمال وإما في

الاستعمال فقط مع القرينة اذا كانت الحقيقة اخرى فان مسميات
 الأسماء المتشابهة متشابهة ويؤخذ من ذلك ضرب الأمثال
 للتوصير تارة وللتصديق أخرى وهو نافعة جداً وذلك أن أدرك
 النفس لعين الحقائق قليل وما لم يدركه فإنما يعرفه بالقياس على
 ما عرفته فإذا كان هذا في المعرفة فهي التعريف ومخاطبة الناس
 أولى وأحرى ثم التماثل والتعادل يكون بين الوجودين
 الخارجيين وبين الوجودين العلميين الذهنيين وبين الوجود
 الخارجي والذهني فال الأول يقال هذا مثل هذا والثاني يقال فيه مثل
 هذا كمثل هذا والثالث يقال فيه هذا كمثل هذا فالمثل إما أن
 يذكر مره أو مرتين أو ثلاث مرات إذا كان التمثيل بالحقيقة
 الخارجية كما في قوله {مَثُلُّهُمْ كَمَثُلُّ الَّذِي أَسْتَوْقَدْ نَاراً}
 {البقرة 17} فهذا باب المثل وأما باب العدل فقد قال تعالى {
 وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى } الأنعام 152 وقال تعالى {
 كُونُوا قَوَامِينَ بِالْقُسْطِ شُهَدَاءَ اللَّهِ } النساء 135 الآية وقال {
 كُونُوا قَوَامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقُسْطِ } المائدة 8 وقال {شَهَادَةُ
 بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَانِ عَدْلٍ مِنْكُمْ }
 {المائدة 106} {وَأَشْهُدُوا ذَوَانِي عَدْلٍ مِنْكُمْ } الطلاق 2 فهذا العدل
 والقسط في هذه المواقع هو الصدق المبين وضده الكذب
 والكتمان وذلك أن العدل هو الذي يخبر بالأمر على ما هو
 عليه لا يزيد فيكون كاذباً ولا ينقص فيكون كاتماً والخبر مطابق
 للمخبر كما تطابق الصورة العلمية والذهبية للحقيقة الخارجية
 ويتطابق اللفظ للعلم ويتطابق الرسم للفظ فإذا كان العلم يعدل
 المعلوم لا يزيد ولا ينقص والقول يعدل العلم لا يزيد ولا ينقص
 والرسم يعدل القول كان ذلك عدلاً والقائم به قائم بالقسط وشاهد
 بالقسط وصاحبه ذو عدل ومن زاد فهو كاذب ومن نقص فهو
 كاتم ثم قد يكون عمداً وقد يكون خطأ فتبر هذا فإنه عظيم نافع
 جداً هو حسنة مأمور بها وأنه لا يقاومها شيء من الذنوب
 * ان المماثل من كل وجه متذر حتى في المكيارات فضلاً عن
 غيرها فإنه إذا اتلف صاعاً من بر فضمن بصاع من بر لم يعلم

ان احد الصاعين فيه من الحب ما هو مثل الآخر بل قد يزيد
احدهما على الآخر ولهذا قال تعالى { وَأَوْفُوا الْكِيلَ وَالْمِيزَانَ
بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا } الأنعام 152 فان تحديد الكيل
والوزن مما قد يعجز عنه البشر ولهذا يقال هذا امثل من هذا اذا
كان اقرب الى المماطلة منه اذا لم تحصل المماطلة من كل وجه

455

طريق الموازنة والمعادلة من سلكه كان قائما بالقسط

* انه قد يقترن بالحسنات سيئات اما مغفورة او غير مغفورة وقد
يتعدى او يتتعسر على السالك سلوك الطريق المشروعة المحضة
الابنوع من المحدث لعدم القائم بالطريق المشروعة علما وعملا
فاذا لم يحصل النور الصافى بان لم يوجد الا النور الذى ليس
بصاف والا بقى الانسان فى الظلمة فلا ينبغي ان يعيى الرجل
ويينهى عن نور فيه ظلمة الا اذا حصل نور لا ظلمة فيه والا فكم
من عدل عن ذلك يخرج عن النور بالكلية اذا خرج غيره عن
ذلك لما رأه فى طرق الناس من الظلمة وانما قررت هذه
القاعدة ليحمل ذم السلف والعلماء للشىء على موضعه
ويعرف ان العدول عن كمال خلافه النبوة المأمور به شرعا تارة
يكون لتقدير الحسنات علما و عملا وتارة بعدوان بفعل السيئات
علما و عملا وكل من الامرين قد يكون عن غلبة وقد يكون مع
قدرة فالاول قد يكون لعجز وقصور وقد يكون مع قدرة
وامكان و الثاني قد يكون مع حاجة و ضرورة وقد
يكون مع غنى و سعة وكل واحد من العاجز عن كمال الحسنات
ومالمضطر الى بعض السيئات معذور فان الله يقول { فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا أَسْتَطَعْتُمْ } التغابن 16 وقال { لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا }

{الانعام 152} وقال {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا} {البقرة 286} {لَا يُكَافِئُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا} الطلاق 7 في البقرة والطلاق . وقال {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا} أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون {الأعراف 42} وقال النبي اذ امرتم بامر فاتوا منه ما استطعتم وقال سبحانه {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ} الحج 78 وقال {مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ} المائدة 6 وقال {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ} البقرة 185 وقال {غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ} البقرة 173 وقال {وَلَنْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنَّ مَا تَعْمَدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا} الأحزاب 5 وهذا اصل عظيم وهو ان تعرف الحسنة في نفسها علما و عملا سواء كانت واجبة او مستحبة وتعرف السيئة في نفسها علما وقولا و عملا محظورة كانت او غير محظورة ان سميت غير المحظورة سيئة وان الدين تحصيل الحسنات والمصالح و تعطيل السيئات والمجاسد و انه كثيرا ما يجتمع في الفعل الواحد او في الشخص الواحد الامران فالذم والتهي والعقاب قد يتوجه الى ما تضمنه احدهما فلا يغفل عما فيه من النوع الآخر كما يتوجه المدح والامر والثواب الى ما تضمنه احدهما فلا يغفل عما فيه من النوع الآخر وقد يمدح الرجل بترك بعض السيئات البدعية والفحشية لكن قد يسلب مع ذلك ما حمد به غيره على فعل بعض الحسنات السنوية البرية فهذا طريق الموازنة والمعادلة ومن سلكه كان قائما بالقسط الذي انزل الله له الكتاب والميزان⁴⁵⁶

{ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ } فَتَفَرَّقَ بَكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ }

*فان الله قد اكمل لنا ديننا واتم علينا نعمته ورضى لنا الاسلام دينا وامرنا ان نتبع صراطه المستقيم ولا نتبع السبل فتفرق بنا عن سبيله وجعل هذه الوصية خاتمة وصايات العشر التي هي جوامع الشرائع التي تصاهم الكلمات التي انزلها الله على موسى في التوراة وان كانت الكلمات التي انزلت علينا اكمل وابلغ ولها قال الربيع ابن خثيم من سره ان يقرأ كتاب محمد الذي لم يفض

خاتمه بعده فليقرأ آخره سورة الانعام قال الله تعالى { قُلْ }

تَعَالَوْا أَئْلُلَ مَا حَرَمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَا شَرِّكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ أَحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أُولَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ تَحْنُنْ تَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تُفْرِبُو أَفْوَاحَشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النُّفُسَ الَّتِي حَرَمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَاحِبُكُمْ بِهِ لَعْنُكُمْ تَعْقِلُونَ { 151 } وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتَمِ إِلَّا بِالْتَّيْ هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَسْدَهُ وَأَوْفُوا الْكِيْنَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَافِنُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَاحِبُكُمْ بِهِ لَعْنُكُمْ تَذَكَّرُونَ { 152 } وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بَكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَاحِبُكُمْ بِهِ لَعْنُكُمْ تَنْقُونَ { 153 }

الأنعام 151 - 153 وأمرنا ان لا نكون { كالذين تفرقو واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات } آل

عمران 105 واخبر رسوله { إِنَّ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ } الأنعام 159 وذكر انه جعله على شريعة من الامر وامرنا ان يتبعها ولا يتبع سبيل الذين لا يعلمون وقال تعالى { وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَمِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعْلَنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكُمْ لِيَنْتَلوْكُمْ فِي مَا آتَيْكُمْ فَاسْتَبِّنُو الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيَنْبَيْكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ { 48 } وَأَنِ

احْكُم بِيَنَّهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَقْتُلُوكُمْ
 عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ {49} المائدة 49-48 فامرہ ان لا
 يتبع اهواءهم عما جاءه من الحق وان كان ذلك شرعا او طريقة
 لغيره من الانبياء انه قد جعل لكل نبی سنة وسبيلا وحذره ان
 يفتتوه عن بعض ما انزل الله اليه فاذا كان هذا فيما جاءت به
 شریعة غيره فكيف بما لا یعلم أنه جاءت به شریعة بل هو
 طریقة من لا کتاب له وأمرہ وايانا في غير موضع ان تتبع ما
 انزل علينا دون ما خالقه فقال { المص } 1 کتاب انزل إليک
 فلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُتَذَرَّ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ { 2 }
 اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِّنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أُولَئِءِ قَلِيلًا مَا
 تَذَكَّرُونَ { 3 } الأعراف 3-1 وبيان حال الذين ورثوا الكتاب فخالفوه
 والذين استمسكوا به فقال { فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرَثُوا
 الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا
 { الأعراف 169 الى قوله { وَالَّذِينَ يُمَسْكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا
 الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ { الأعراف 170 وقال
 { وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعْنَكُمْ تُرْحَمُونَ
 { 155 } أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ
 قَبْلَنَا { الأنعام 155-156 الآيات وقال { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ انْقُ
 اللَّهُ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْمًا حَكِيمًا { 1 }
 وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ حَبِيرًا { 2 }
 الأحزاب 2-1 وقال { وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا } آل
 عمران 103 وحبل الله کتابه كما فسره النبی وقال { وَاتَّبِعْ مَا
 يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ } يومن 109 الى غير ذلك من
 نصوص الكتاب والسنة التي اجمع المسلمين على اتباعها وهذا
 مما لم يختلف المسلمون فيه جملة ولكن قد يقع التنازع في
 تفصيله فتارة يكون بين العلماء المعتبرين في مسائل الاجتهاد
 وتارة يتنازع فيه قوم جهال بالدين او منافقون او سماعون
 للمنافقين فقد اخبر الله سبحانه ان فينا قوما سماعين للمنافقين
 يقبلون منهم كما قال { لَوْ خَرَجُوا فِيْكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا

وَلَا وَضَعُوا خِلَالَكُمْ يَيْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاً عَوْنَ لَهُمْ } التوبة 47
457

الدين ما شرعه الله ورسوله

*فان اقواما استحلوا بعض ما حرمه الله واقوما حرموا بعض ما
احل الله تعالى وكذلك اقواما احدثوا عبادات لم يشرعها الله بل
نهى عنها و اصل الدين ان الحلال ما احله الله
ورسوله والحرام ما حرم الله ورسوله والدين ما شرعه الله
ورسوله ليس لاحد ان يخرج عن الصراط المستقيم الذى بعث
الله به ورسوله قال الله تعالى {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا
فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَنْتَبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَاعِدُكُمْ بِهِ
لَعْلَكُمْ تَنَقُّونَ } الأنعام 153 وفي حديث عبد الله بن مسعود
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه خط خطأ وخط
خططا عن يمينه وشماله ثم قال هذه سبيل الله وهذه سبل على
كل سبيل منها شيطان يدعوك اليه ثم قرأ {وَأَنَّ هَذَا
صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَنْتَبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ
} الأنعام 153 وقد ذكر الله تعالى في سورة الانعام والاعراف
وغيرهما ماذم به المشركيين حيث حرموا ما لم يحرمه الله تعالى
كالبيرة والسبابة واستحلوا ما حرم الله كقتل اولادهم وشرعوا
ديننا لم يأذن به الله فقال تعالى {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءٌ شَرَعُوا لَهُمْ مِنْ
الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذِنْ بِهِ اللَّهُ } الشورى 21 ومنه اشياء هي محمرة
جعلوها عبادات كالشرك والفواحش مثل الطواف بالبيت عراة
وغير ذلك 458

457 مجموع الفتاوى ج: 25 ص: 127-129

458 مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 388-389

حيث ذكر الله الحق في القرآن جعله واحداً وجعل الباطل متعدداً

*الصراط في لغة العرب هو الطريق يقال هو الطريق الواضح ويقال هو الطريق المحدود بجانبين الذي لا يخرج عنه ومنه الصراط المنصوب على جهنم وهو الجسر الذي يعبر عليه المؤمنون إلى الجنة وإذا عبر عليه الكفار سقطوا في جهنم ويقال فيه معنى الاستواء والاعتدال الذي يجب سرعة العبور عليه وفيه ثلاثة لغات هي ثلاثة قراءات الصراط والسراط والزراط وهي لغة عربية عرباء ليست من المعرفة ويقال أصله من قولهم سرطت الشيء أسرطه سرطاً إذا ابتلعته واسترطته ابتلعته فإن المبتلع يجري بسرعة في مجرى محدود ومن أمثلة العرب لا تكن حلو فتستطرط ولا مرا فتفنى من قولهم أعنيت الشيء إذا أزنته من فيك لمرارته ويقال فلان يسترط ما يأخذ من الدين وحكي يعقوب بن السكينة الأخذ سريطاً والقضاء صريطاً والسرطاط الفالوذج لأنه يسترط استرطاً وسيف سراطي أي قاطع فإنه ماض سريع المذهب في مضربه فالصراط هو الطريق المحدود المعندي الذي يصل سالكه إلى مطلبها بسرعة وقد ذكر الله لفظ الصراط في كتابه في غير موضع ولم يسم الله سبيلاً للشيطان سرطاً بل سماها سبلاً وخص طريقه باسم الصراط كقوله تعالى **{وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَاحُوكُمْ بِهِ لَعْنَكُمْ تَنَقُّلُونَ}** الأنعام 153 وفي السنن عن عبد الله بن مسعود قال خط لنا رسول الله خطوطاً عن يمينه وشماله ثم قاله هذا سبيلاً وهذا سبل على كل سبيل منها شيطان يدعوك إليه من أجابه قذفه في النار ثم قرأ **{وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ}** الأنعام 153 فسمى سبحانه طريقه صراطاً وسمى تلك سبلاً ولم يسمها

صراطاً كما سماها سبيلاً وطريقه يسميه سبيلاً كما يسميه
459 صراطاً

*وقال تعالى في آل عمران {شَهَدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأَوْلُوا الْعِلْمُ قَائِمًا بِالْقُسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}18 {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُولَئِنَّ الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ}19 {آل عمران 18-19 فأخبر ان الدين عند الله الاسلام وان الذين اختلفوا من اهل الكتاب وصاروا على ملل شتى ما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم وفيه بيان ان الدين واحد لا اختلاف فيه وقال {شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكُمْ وَمَا وَصَّنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَنْقِرُوا فِيهِ} {الشورى 13} وذكر في النحل دعوة المرسلين جميعهم واتفاقهم على عبادة الله وحده لا شريك له فقال {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ} النحل 36 الآية وهذا في القرآن مذكور في مواضع كثيرة وكذلك في الأحاديث الصحيحة مثل ما ترجم عليه البخاري فقال باب ما جاء في أن دين الأنبياء واحد وذكر الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة عن النبي قال أنا معاشر الأنبياء أخوة لعلات ومثل صفتة في التوراة لن أقبضه حتى أقيم به الملة العوجاء ففتح به أعينا عميا وأذانا صما وقلوبا غلفا ولهاذا وحد الصراط والسبيل في مثل قوله تعالى {إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}6 {صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرَ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ}7 {الفاتحة: 6-7} ومثل قوله تعالى {وَإِنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ} {وقوله {مَئُولُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} البقرة 261 {وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ} البقرة 184}

الجواب الصحيح ج: 3 ص: 180⁴⁵⁹⁴⁵⁹

وقوله {وَقَاتُلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونُ الدِّينُ كُلُّهُ لِهِ} 460
الأنفال 39 والاسلام دين جميع المرسلين

* وقد ذكر في غير موضع أن دين الأنبياء كلهم الإسلام كما قال تعالى عن نوح {وَأَمْرَتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ} النمل 91 وقال عن إبراهيم و قال عن إبراهيم {إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} 131 وَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنْيَهُ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِي إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} 132 البقرة 131-132 وقال يوسف {فَاطَّرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْتَ وَلِيُّ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَالْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ} يوسف 101 {وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمَ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ} يوسف 84 وقال عن السحرة {رَبَّنَا أَفْرَغَ عَلَيْنَا صَبَرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ} الأعراف 126 وقال عن بلقيس {رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمانَ لِهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} النمل 44 وقال {يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْجَارُ} المائدة 44 وقال {وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي فَلَلَوْا آمِنًا وَاشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} المائدة 111 وتتنوع الشرائع لا يمنع أن يكون الدين واحدا وهو الإسلام كالدين الذي بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم فإنه هو دين الإسلام أولاً وأخراً وكانت القبلة في أول الأمر بيت المقدس ثم صارت القبلة الكعبة وفي كلا الحالين الدين واحد وهو دين الإسلام فهكذا سائر ما شرع للأنبياء قبلنا ولهذا حيث ذكر الله الحق في القرآن جعله واحدا وجعل الباطل متعددا كقوله {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَنْتَهُوا أَسْبُلَ فَتَرَقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَاحُوكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَنَقُّلُونَ} الأنعام 153 وقوله {شَاكِرًا لَا نَعْمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} النحل 121 وقوله {وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا} الفتح 2

وقوله {اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ} والَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ } البقرة 257 وهذا يطابق ما في كتاب الله من أن الإختلاف المطلق كله مذموم بخلاف المقيد الذي قيل فيه {وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا افْتَنَّهُ } البقرة 253 فهذا قد بين أنه اختلاف بين أهل الحق والباطل ⁴⁶¹

كتاب الله حكم ما بينكم ومن ابتغى الهدى في غيره

أضلهم الله

*أن الواجب على المسلمين الإلتزام بالكتاب والسنن كما أمرهم الله تعالى بذلك في قوله {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا} آل عمران 103 وقوله تعالى {المص} 1 {كتاب أنزَلْ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذَرَ بِهِ وَذِكْرِي لِلْمُؤْمِنِينَ} 2 {الثَّعْوَأْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِّنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَنَعَّوْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ} 3 {الأعراف} 1-3 **{وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَانْتُهُوا}** {الأنعام} 155 {وَاتَّبِعُوا النُّورَ الَّذِي أَنْزَلْ مَعَهُ} {الأعراف} 157 و {الَّذِينَ يَتَبَعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأَمِيَّ} {الأعراف} 157 {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ} المائدة 92 {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ} {النساء} 64 {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ} {النساء} 65 {الآية} {فَرُدُوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ} {النساء} 59 {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ} {الأنعام} 153 وقوله {قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَيِّ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى} 123 {وَمَنْ أَغْرَضَ عَنِ ذِكْرِي فَإِنَّهُ

⁴⁶¹ منهاج السنة النبوية ج: 5 ص: 265-267

مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْسُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى {124} قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا {125} قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْنَا فَنَسِيَتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى {126} طه 123-126 قال ابن عباس رضي الله عنهم تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ثم قرأ هذه الآية ومثل هذا كثير من الكتاب والسنة وهذا مما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها ⁴⁶²

*فالاعتقاد المطابق للحق ينفع صاحبه ويثاب عليه ويسقط به الفرض إذا لم يقدر على أكثر منه لكن ينبغي أن يعرف أن عامة من ضل في هذا الباب أو عجز فيه عن معرفة الحق فإنما هو لتفريطه في إثبات ما جاء به الرسول وترك النظر والاستدلال الموصل إلى معرفته فلما أعرضوا عن كتاب الله ضلوا كما قال تعالى لبني آدم {فَإِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِي هُدًى فَمَنْ أَتَيَنَّعَ هُدًى إِلَيْهِ فَلَا يَضُلُّ وَلَا يَشْقَى}123 ومن أعرض عن ذكرِي فإنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْسُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى {124} طه 123-124 قال ابن عباس تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة وقرأ هذه الآية وكما في الحديث الذي رواه الترمذى وغيره عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ستكون فتنة قلت بما المخرج منها يا رسول الله قال كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضلله الله وهو جبل الله المتبين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تائب من الألسن ولا تقصي عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد ولا تشبع منه العلماء وهو الذي لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا {إِنَّا

⁴⁶² منهاج السنة النبوية ج: 2 ص: 553-554 و مجموع الفتاوى ج: 504 ص:

سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا {1} يَهُدِي إِلَى الرُّشْدِ {2} الجن 1-2 من قال به صدق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم قال تعالى {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَنْتَبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ} الأنعام 153 وقال تعالى {المص} {1} كِتَابٌ أَنزَلْنَا لَكُمْ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرْجٌ مِنْهُ {2} الأعراف 1-2 إلى قوله {اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلْنَا لِكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَنْتَبِعُوا مِنْ دُونِهِ أُولَيَاءِ} الأعراف 3 وقال تعالى {وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعْلَكُمْ تُرَحَّمُونَ} 155 {أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنِ الدِّرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ} 156 {أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءُكُمْ بَيِّنَةً مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنْجُزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنِ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ} 157 الأنعام 155-157

وقوله سبحانه أنه سيجري الصادف عن آياته مطلقاً سواء كان مكذباً أو لم يكن سوء العذاب بما كانوا يصدفون يبين ذلك أن كل من لم يقر بما جاء به الرسول فهو كافر سواء اعتقد كذبه أو استکبر عن الإيمان به أو أعرض عنه اتباعاً لما يهوه أو ارتتاب فيما جاء به فكل مكذب بما جاء به فهو كافر وقد يكون كافراً من لا يكذبه اذا لم يؤمن به ولهذا أخبر الله في غير موضع من كتابه بالضلال والعذاب لمن ترك اتباع ما أنزله وإن كان له نظر وجدل واجتهاد في عقليات وأمور غير ذلك وجعل ذلك من نعوت الكفار والمنافقين قال تعالى {وَلَقَدْ مَكَنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَنَّا كُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمِعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئَدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئَدُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ} 463 الآيات 26

⁴⁶³ الفتاوى الكبرى ج: 1 ص: 456 و درء التعارض ج: 1 ص: 167 و درء التعارض ج: 1 ص: 55 و مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 315

*بل على المريد أن يسلك الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ويتبع ما دل عليه الكتاب والسنة والإجماع فإن ذلك هو صراط الله الذي ذكره ورضي به في قوله **{وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ**
وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَاعِدُكُمْ بِهِ لَعْنَكُمْ

464 تَقْوَى } الأَنْعَام 153

*قال الإمام أحمد في خطبته في الرد على الجهمية والزنادقة الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدي ويصبرون منهم على الأذى يحيون بكتاب الله الموتى ويبصرون بنوره أهل العمى فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه وكم ضال تائه قد هدوه فما أحسن أثرهم على الناس وأقبح أثر الناس عليهم ينفعون عن كتاب الله تحريف الغالين و إنتقال المبطلين و تأويل الجاهلين الذين عقدوا الولية البدعة وأطلقوا عنان الفتنة فهم مختلفون في الكتاب مخالفون لكتاب مجتمعون على مخالفة الكتاب يقولون على الله و في الله و في الكتاب بغير علم يتكلمون بالتشابه من الكلام و يخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم فنعود بالله من فتن المسلمين والثانية طريقة هشام و أتباعه يحكي عنهم أنهم أثبتو ما قد نزه الله نفسه عنه من إتصافه بالنقاء و ممائاته للمخلوقات فأجابهم الإمام أحمد بطريقة الأنبياء و اتباعهم و هو الإعتماد بحبل الله الذي قال الله فيه {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتَهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} 102 {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا} 103 {آل عمران} 102-103 و قال {كَانَ النَّاسُ أَمَةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحُكِّمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أَوْتُوهُ

مِنْ بَعْدِ مَا جَاءُهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَعْنَاهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا
 اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطِ
 مُسْتَقِيمٍ {البقرة 213} وَقَالَ تَعَالَى {الْمَصْ} {1} كِتَابٌ أُنزِلَ
 إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى
 لِلْمُؤْمِنِينَ {2} اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ
 أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ {3} الاعراف 1-3 وَقَالَ تَعَالَى {
 فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنْيَ هُدًى فَمَنْ اتَّبَعَ هُدًى فَلَا يَضُلُّ وَلَا يَسْقَى} {123}
 وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنَكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
 أَعْمَى} {124} قَالَ رَبِّ لَمْ حَشِرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ
 بَصِيرًا} {125} قَالَ كَذَلِكَ أَتَتَكَ آيَاتِنَا فَنَسِيَّتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ
 تُنسِي} {126} طه 123-126 وَقَالَ تَعَالَى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
 آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ
 فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
 الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ ثَوْبِيًا} النساء 59 وَقَالَ تَعَالَى
 {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقْدِمُوا بَيْنَ يَدِيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَتْقُوا اللَّهَ إِنَّ
 اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} {1} يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْنَوَاتِكُمْ فَوْقَ
 صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهِرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرٍ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ
 تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ} {2} الحجرات 1-2 وَقَالَ تَعَالَى {
 أَلَمْ تَرِ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ
 قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَكَّمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكُفُرُوا بِهِ
 وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضْلِلُهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا} {60} وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا
 إِلَى مَا أُنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصْدُونَ عَنَّا
 صُدُودًا} {61} فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمْتُ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ
 جَاؤُوكَ يَحْلُفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا} {62} أَوْلَئِكَ
 الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرَضْتُمْ عَنْهُمْ وَعَظَمْتُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي
 أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا} {63} وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ
 وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفِرُ لَهُمْ
 الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَابًا رَحِيمًا} {64} فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى
 يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مَمَّا

قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا {65} النساء 60-65 و قوله تعالى {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَنْتَبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ} الأنعام 153 و قوله تعالى {إِنَّ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ

وَكَانُوا شَيْعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ} الأنعام 159 و قوله تعالى {فَاقْمُ وَجْهَكَ لِلَّدِينِ حَنِيفًا فَطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَنْبِيلَ لِخُلُقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} 30 مُنَبِّهِنَ إِلَيْهِ وَأَنَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} 31 مِنَ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شَيْعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدِيهِمْ فَرَحُونَ} 32 الروم 30-32

وقوله {شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَنْتَرَقُوا فِيهِ} الشورى 13 فهذه النصوص وغيرها تبين أن الله أرسل الرسل وأنزل الكتب لبيان الحق من الباطل وبيان ما اختلف فيه الناس وأن الواجب على الناس اتباع ما أنزل إليهم من ربهم ورد ما تنازعوا فيه إلى الكتاب والسنة وان من لم يتبع ذلك كان منافقا وان من اتبع الهدى الذي جاءت به الرسل فلا يضل ولا يشقى و من أعرض عن ذلك حشر أعمى ضالا شيئاً معذباً و أن الدين فرقوا بينهم قد برئ الله و رسوله منهم

فتابع الإمام أحمد طريقة سلفه من أئمة السنة والجماعة المعتصمين بالكتاب والسنة المتبعين ما أنزل الله اليهم من ربهم و ذلك أن ننظر بما و جدنا الرب قد أثبته لنفسه في كتابه أثباته و ما و جدناه قد نفاه عن نفسه نفيه و كل لفظ و جد في الكتاب والسنة بالإثبات أثبت ذلك اللفظ وكل لفظ و جد منفيا نفي ذلك اللفظ و أما الألفاظ التي لا توجد في الكتاب والسنة بل و لا في كلام الصحابة والتبعين لهم باحسان وسائر أئمة المسلمين لا إثباتها و لا نفيها و قد تنازع فيها الناس بهذه الألفاظ لا تثبت و لا تنفي إلا بعد الإستفسار عن معانيها فان وجدت معانيها بما أثبته الرب لنفسه أثبت و ان و جدت مما نفاه الرب عن نفسه نفيت و ان و جدنا اللفظ أثبتت به حق و باطل أو

نفى به حق و باطل أو كان مجملًا يراد به حق و باطل و صاحبه أراد به بعضها لكنه عند الاطلاق يوهم الناس أو يفهمهم ما أراد و غير ما أراد فهذه الألفاظ لا يطلق اثباتها و لا نفيها كلفظ الجوهر و الجسم و التحيز و الجهة و نحو ذلك من الألفاظ التي تدخل في هذا المعنى فقل من تكلم بها نفياً أو إثباتاً إلا و أدخل فيها باطلًا و أن أراد بها حقاً و السلف و الأئمة كرروا هذا الكلام المحدث لاستعماله على باطل و كذب و قول على الله بلا علم و كذلك ذكر أحمد في رده على الجهمية أنهم يفترون على الله فيما ينفونه عنه و يقولون عليه بغير علم و كل ذلك مما حرمه الله و رسوله و لم يكره السلف هذه لمجرد كونها اصطلاحية و لا كرروا الاستدلال بدليل صحيح جاء به الرسول بل كرروا الأقوال الباطلة المخالفة لكتاب و السنة و لا يخالف الكتاب و السنة إلا ما هو باطل لا يصح بعقل و لا سمع ولهذا لما سئل أبو العباس ابن سريح عن التوحيد فذكر توحيد المسلمين و قال و أما توحيد أهل الباطل فهو الخوض في الجواهر والأعراض و إنما بعث الله النبي صلى الله عليه وسلم بإنكار ذلك و لم يرد بذلك أنه أنكر هذين اللفظين فإنهما لم يكونا قد أحدثا في زمانه و إنما أراد إنكار ما يعني بهما من المعاني الباطلة فإن أول من أحدثهما الجهمية و المعتزلة و قصدتهم بذلك إنكار صفات الله تعالى أو أن يرى أو أن يكون له كلام يتصرف به و أنكرت الجهمية أسماءه أيضًا و أول من عرف عنه إنكار ذلك الجعد بن درهم فضحى به خالد بن عبد الله القسري بواسطه و قال يا أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم فانى مضح بالجعد بن درهم إنه زعم أن الله لم يتخذ ابراهيم خليلا و لم يكلم موسى تكليما تعالى الله عما يقول الجعد علوا كبيرا ثم

نزل فذبحه و كلام السلف والأئمة في ذم هذا الكلام وأهله
مبسط في غير هذا الموضع⁴⁶⁵

كل بدعة ليست واجبة ولا مستحبة فهي بدعة سيئة وهي ضلاله

*أن باب العبادات والديانات والتقربات متلاقة عن الله ورسوله فليس لأحد أن يجعل شيئاً عبادة أو قربة إلا بدليل شرعاً قال تعالى {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءَ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذِنْ بِهِ اللَّهُ} الشورى 21 وقال تعالى {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَنْتَبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ} الأنعام 153 وقال تعالى {الْمَصِ} 1 كتاب أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صُدُرِكَ حَرَجٌ مَّنْهُ لِتَذَرَّ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ} 2 اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِّنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَنَاهُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ} 3 الاعراف 1-3 ونظائر ذلك في الكتاب كثير يأمر الله فيه بطاعة رسوله واتباع كتابه وينهى عن اتباع ما ليس من ذلك والبدع جميعها كذلك فان البدعة الشرعية أي المذمومة في الشرع هي ما لم يشرعه الله في الدين أي ما لم يدخل في أمر الله ورسوله وطاعة الله ورسوله فاما إن دخل في ذلك فإنه من الشرعه لا من البدعة الشرعية وإن كان قد فعل بعد موت النبي بما عرف من أمره كخروج اليهود والنصارى بعد موته وجمع المصحف وجمع الناس على قارئ واحد في قيام رمضان ونحو ذلك وعمر بن الخطاب الذي أمر بذلك وإن سماه بدعة فإنما ذلك لأنه بدعة في اللغة إذ كل أمر فعل على غير مثال متقدم يسمى في اللغة بدعة وليس مما تسميه الشرعية بدعة وينهى عنه فلا يدخل فيما رواه مسلم من صحيحه عن جابر قال كان رسول الله صلى الله

⁴⁶⁵ مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 302-306

عليه وسلم يقول في خطبته إن أصدق الكلام كلام الله وخير الهدى هدى محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلاله فإن قوله صلى الله عليه وسلم كل بدعة ضلاله حق وليس فيما دلت عليه الأدلة الشرعية على الاستحباب بدعة كما قال في الحديث الذي رواه أهل السنن وصححه الترمذى عن العرباض بن سارية عن النبي صلى الله عليه وسلم قال وعظنا رسول الله موعظة بلغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقلنا يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا فقال أوصيكم بتوقوى الله عليكم بالسمع والطاعة وإن كان عباد حبشايا فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي تمسكوا بها واعضوا عليها بالنواخذة وإياكم ومحدثات الأمور فان كل بدعة ضلاله وفي رواية فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلاله وفي رواية وكل ضلاله في النار ففي هذا الحديث أمر المسلمين باتباع سنته وسنة الخلفاء الراشدين وبين أن المحدثات التي هي البدع التي نهى عنها ما خالف ذلك فالتراريح ونحو ذلك لو لم تعلم دلالة نصوصه وأفعاله عليها لكان أدنى أمرها أن تكون من سنة الخلفاء الراشدين فلا تكون من البدع الشرعية التي سماها النبي بدعة ونهى عنها اتبع الإمام أحمد طريقة سلفه ذلك أن ننظر فيما وجدنا الرب قد أثبتته لنفسه في كتابه أثبتناه وما وجدناه قد نفاه عن نفسه نفيناه⁴⁶⁶

* وكل بدعة ليست واجبة ولا مستحبة فهي بدعة سيئة وهي ضلاله باتفاق المسلمين ومن قال في بعض البدع إنها بدعة حسنة فإنما ذلك إذا قام دليل شرعاً أنها مستحبة فأما ما ليس بمستحب ولا واجب فلا يقول أحد من المسلمين أنها من الحسنات التي

⁴⁶⁶ مجموع الفتاوى ج: 31 ص: 35

يتقرب بها الى الله ومن تقرب الى الله بما ليس من الحسنات المأمور بها أمر ايجاب ولا استحباب فهو ضال متبوع للشيطان وسبيله من سبيل الشيطان كما قال عبد الله ابن مسعود خط لنا رسول الله خط وخط خطوطا عن يمينه وشماله ثم قال هذا سبيل الله وهذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعوه اليه ثم قرأ {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَنْتَبِغُوا السُّبُّلَ فَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ} الأنعام 153 فهذا أصل جامع يجب على كل من آمن بالله ورسوله أن يتبعه ولا يخالف السنة المعلومة وسبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوه بإحسان باتباع من خالف السنة والإجماع القديم لا سيما وليس معه في بدعته إمام من أئمة المسلمين ولا مجتهد يعتمد على قوله في الدين ولا من يعتبر قوله في مسائل الإجماع والنزاع فلا ينخرم الإجماع بمخالفته ولا يتوقف الإجماع على موافقته ولو قدر أنه نازع في ذلك عالم مجتهد لكن مخصوصا بما عليه السنة المتواترة وباتفاق الأئمة قبله فكيف إذا كان المنازع ليس من المجتهدين ولا معه دليل شرعي وإنما اتبع من تكلم في الدين بلا علم ويجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير⁴⁶⁷

* كل مبتدع خالف سنة رسول الله وكذب ببعض ما جاء به من الحق وإبتدع من الباطل ما لم تشرعه الرسل فالرسول بريء مما إبتدعه وخالفه فيه وقال تعالى {فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ} الشعراة 216 وقال تعالى {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ} الأنعام 159 فالحلال ما حلله الله ورسوله والحرام ما حرمته الله ورسوله والدين ما شرعه الله ورسوله وقد نه الله المشركين على انهم حلوا وحرموا وشرعوا علينا لم يأذن به الله فقال تعالى {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءَ شَرَّعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذِنْ بِهِ اللَّهُ} الشورى 21 والسور المكية أنزلها الله

تبارك وتعالى في الدين العام الذي بعث به جميع الرسل كالمؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر محمد خاتم المرسلين لا نبغي بعده وأمته خير أمة أخرجت للناس وقد بعثه الله بأفضل الكتب وأفضل الشرائع وأكمل له وأمته الدين وأتم عليه النعمة ورضي لهم الإسلام ديناً وهو قد دعا إلى الصراط المستقيم كما قال تعالى {وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} صِرَاطٍ أَلَّا يَلْهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ {52} الشورى 52-53 وقد أمرنا الله أن نتبع

هذا الصراط المستقيم ولا نعدل عنه إلى السبل المبتدةة فقال تعالى {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَنْتَبِعُوا السُّبُلَ} فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَاحُوكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقَوْنَ} الأنعام 153 وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه خط لنا رسول الله خططاً وخط خططاً عن يمينه وشماله ثم قال هذا سبيل الله وهذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعوك إليه ثم قرأ {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَنْتَبِعُوا السُّبُلَ} فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ} الأنعام 153 وللهذا أمرنا الله ان نقول في صلاتنا {اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} الفاتحة 7 وقال النبي اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون وهو لم يتم حتى بين الدين وأوضح السبيل وقال تركتكم على البيضاء النقية ليها كنها رها لا يزيف عنها بعدى إلا هالك وقال ما تركت من شيء يقربكم من الجنة إلا وقد حدثكم به ولا من شيء يبعدهم عن النار إلا وقد حدثكم به وقال أنه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسننى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى تمسكوا بها بها وعضووا عليها بالنواخذة وإياكم

ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلاله قال
الترمذى حديث صحيح⁴⁶⁸

* وقد قال تعالى {أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهًا هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ} الجاثية 23 فمن كان يعبد ما يهواه فقد اتخذ إلهه هواه فما هوية الهوية فهو لا يتأنه من يستحق التأنه بل يتأنه ما يهواه و هذا المتخذ إلهه هواه له محبة كمحبة المشركين لآلهتهم و محبة عباد العجل له و هذه محبة مع الله لا محبة الله و هذه محبة أهل الشرك والنفوس قد تدعى محبة الله و تكون في نفس الأمر محبة شرك تحب ما تهواه و قد أشركته في الحب مع الله و قد يخفى الهوى على النفس فإن حبك الشيء يعمى و يصم و هكذا الأعمال التي يظن الإنسان أنه يعملها الله و في نفسه شرك قد خفي عليه و هو يعمله إما لحب رياسة و إما لحب مال و إما لحب صورة و لهذا قالوا يارسول الله الرجل يقاتل شجاعة و حمية و رداء فأي ذلك في سبيل الله فقال من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله فلما صار كثير من الصوفية النساك المتأخرین يدعون المحبة و لم يزنوها بميزان العلم و الكتاب و السنة دخل فيها نوع من الشرك و إتباع الأهواء و الله تعالى قد جعل محبته موجبة لإتباع رسوله فقال {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحِبِّكُمُ اللَّهُ} آل عمران 31 و هذا لأن الرسول هو الذي يدعو إلى ما يحبه الله و ليس شيء يحبه الله إلا و الرسول يدعو إليه و ليس شيء يدعو إليه الرسول إلا و الله يحبه فصار محبوب الرب و مدعوا الرسول متلازمين بل هذا هو هذا في ذاته و إن تنوّعت الصفات فكل من إدعى أنه يحب الله و لم يتبع الرسول فقد كذب ليست محبته لله و حده بل إن كان يحبه فهي محبة شرك فإنما يتبع ما يهواه كدعوى اليهود و

النصارى محبة الله فإنهم لو أخلصوا له المحبة لم يحبوا إلا ما أحب فكانوا يتبعون الرسول فلما أحبوا ما أبغض الله مع دعواهم حبه كانت محبتهم من جنس محبة المشركين و هكذا أهل البدع فمن قال أنه من المريدين لله المحبين له و هو لا يقصد إتباع الرسول و العمل بما أمر به و ترك ما نهى عنه فمحبته فيها شوب من محبة المشركين و اليهود و النصارى بحسب ما فيه من البدعة فإن البدع التي ليست مشروعة و ليست مما دعا إليه الرسول لايحبها الله فإن الرسول دعا إلى كل ما يحبه الله فأمر بكل معروف و نهى عن كل منكر و أيضاً فمن تمام محبة الله و رسوله بغض من حاد الله و رسوله و الجهاد في سبيله لقو له تعالى {لَا تَحِدُّ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} يُؤَدِّوْنَ مِنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءٌ هُمْ أَوْ أَبْنَاءٌ هُمْ أَوْ إِخْرَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أَوْ لِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ } المجادلة 22 و قال تعالى {تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِسْ مَا قَدَّمْتُ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ } 80 { وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزَلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُو هُمْ أَوْلَيَاءٍ وَلَكِنْ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسْقُونَ } 81 { المائدة 80-81 و قال تعالى {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءٌ مِّنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبُغْضَاءُ أَبْدَأَ حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ } الممتحنة 4 فأمر المؤمنين أن يتأسوا بإبراهيم و من معه حيث أبدوا العداوة و البغضاء لمن أشرك حتى يؤمنوا بالله و حده فain هذا من حال من لا يستحسن حسنة و لا يستنقب سيئة و هؤلاء سلكوا طريق الإرادة و المحبة مجملًا من غير إعتماد بالكتاب و السنة كما سلك أهل الكلام و الرأي طريق النظر و البحث من غير إعتماد بالكتاب و السنة فوقع هؤلاء في ضلالات و هؤلاء في ضلالات كما قال تعالى { فَإِمَّا يَأْتِنَّكُمْ مِّنِي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَىي فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَسْقُى } 123 { وَمَنْ أَعْرَضَ عَنِ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنَكاً

وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى {124} قَالَ رَبِّ لِمَ حَسْرَتِي أَعْمَى
وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا {125} قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْنَا آيَاتِنَا فَنَسِيَّتُهَا وَكَذَلِكَ
الْيَوْمَ تُنسَى {126} طه 123-126 وَقَالَ {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي
مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَنْتَبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ
الأنعام 153 وَقَالَ {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلّٰٰتِي هِيَ أَفَوْمُ
الإِسْرَاءِ 9 وَقَالَ {قَدْ جَاءَكُمُ الْحُقْوٰ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ اهْتَدَى
فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضْلُلُ عَلَيْهَا {يوس 108 وَ
مِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ فِي الْقُرْآنِ وَقَدْ بَسَطَ الْكَلَامَ عَلَى هَذَا الْأَصْلِ
فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ⁴⁶⁹

*كان الزهرى يقول كان علماؤنا يقولون الاعتصام بالسنة هو النجاة وقال مالك السنة سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وذلك أن السنة والشريعة والمنهج هو الصراط المستقيم الذى يوصل العباد إلى الله والرسول هو الدليل الهادى للهرب فى هذا الصراط كما قال تعالى {إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا} 45 {وَدَاعِيًّا إِلَى اللَّٰهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا} 46 الاحزاب 45-46 وقال تعالى {وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} 52 {صِرَاطٍ اللَّٰهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّٰهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ} 53 الشورى 52-53 وقال تعالى {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَنْتَبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَاعِدُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقَوْنَ} الأنعام 153 وقال عبدالله بن مسعود خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خط خطوطا عن يمينه وشماله ثم قال هذا سبيل الله وهذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعوك إليه ثم قرأ {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَنْتَبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَاعِدُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقَوْنَ} الأنعام 153⁴⁷⁰

⁴⁶⁹ مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 359-362

⁴⁷⁰ مجموع الفتاوى ج: 4 ص: 57

معرفة ما جاء به الرسول و ما أراده بلفاظ القرآن و ال الحديث هو أصل العلم والإيمان والسعادة

* أن معرفة ما جاء به الرسول و ما أراده بلفاظ القرآن و الحديث هو أصل العلم والإيمان و السعادة و النجاة ثم معرفة ما قال الناس في هذا الباب لينظر المعاني الموافقة للرسول و المعاني المخالفة لها و الألفاظ نوعان نوع يوجد في كلام الله و رسوله و نوع لا يوجد في كلام الله و رسوله فيعرف معنى الأول و يجعل ذلك المعنى هو الأصل و يعرف ما يعنيه الناس بالثانية و يرد إلى الأول هذا طريق أهل الهدى و السنة و طريق أهل الضلال و البدع بالعكس يجعلون الألفاظ التي أحدهما و معانيها هي الأصل و يجعلون ما قاله الله و رسوله تبعا لهم فيردونها بالتأويل و التحرير إلى معانيهم و يقولون نحن نفس القرآن بالعقل و اللغة يعنون أنهم يعتقدون معنى بعقليهم و رأيهم ثم يتأنلون القرآن عليه بما يمكنهم من التأويلات و التفسيرات المتضمنة لتحرير الكلم عن مواضعه و لهذا قال الإمام أحمد أكثر ما يخطيء الناس من جهة التأويل و القياس و قال يجتنب المتكلم في الفقه هذين الأصلين المجمل و القياس و هذه الطريق يشتراك فيها جميع أهل البدع الكبار و الصغار فهي طريق الجهمية و المعتزلة و من دخل في التأويل من الفلاسفة و الباطنية الملاحدة و أما حذاق الفلاسفة فيقولون إن المراد بخطاب الرسول صلى الله عليه و سلم إنما هو أن يخيل إلى الجمهور ما ينتفعون به في صالح دنياهم و ان لم يكن ذلك مطابقا للحق قالوا و ليس مقصود الرسول صلى الله عليه و سلم بيان الحق و تعريفه بل مقصوده أن يخيل إليهم ما يعتقدونه و يجعلون خاصة النبوة قوة التخييل فهم يقولون أن الرسول صلى

الله عليه و سلم لم يبين و لم يفهم بل و لم يقصد ذلك و هم متنازعون هل كان يعلم الأمور على ما هي عليه على قولين منهم من قال كان يعلمها لكن ما كان يمكنه بيانها و هؤلاء قد يجعلون الرسول أفضل من الفيلسوف و منهم من يقول بل ما كان يعرفها أو ما كان حاذقا في معرفتها و إنما كان يعرف الأمور العملية و هؤلاء يجعلون الفيلسوف أكمل من النبي صلى الله عليه و سلم لأن الأمور العملية أكمل من العلمية فهو لا يجعلون خبر الله و خبر الرسول صلى الله عليه و سلم إنما فيه التخييل و أولئك يقولون لم يقصد به التخييل و لكن قصد معنى يعرف بالتأويل و كثير من أهل الكلام الجهمية يوافق أولئك على أنه ما كان يمكنه أن يبوح بالحق في باب التوحيد فخاطب الجمهور بما يخيل لهم كما يقولون إنه لو قال إن ربكم ليس بداخل العالم و لا خارجه و لا يشار إليه و لا هو فوق العالم و لا كذا و لا كذا لنفترت قلوبهم عنه و قالوا هذا لا يعرف قالوا فخاطبهم بالتجسيم حتى يثبت لهم ربا يعبدونه و ان كان يعرف أن التجسيم باطل و هذا يقوله طوائف من أعيان الفقهاء المتأخرین المشهورین الذين ظنوا أن مذهب النفاة هو الصحيح و إحتاجوا أن يعتذروا عما جاء به الرسول صلى الله عليه و سلم من الإثبات كما يوجد في كلام غير واحد و تارة يقولون إنما عدل الرسول صلى الله عليه و سلم عن بيان الحق ليجتهدوا في معرفة الحق من غير تعريفه و يجتهدوا في تأويل ألفاظه فتعظم أجورهم على ذلك و هم إجتهادهم في عقلياتهم و تأويلاتهم و لا يقولون إنه قصد به إفهام العامة الباطل كما يقول أولئك المقلوفة و هذا قول أكثر المتكلمين النفاة من الجهمية و المعتزلة و من سلك مسلكهم حتى ابن عقيل و أمثاله و أبو حامد و ابن رشد الحفيد و أمثالهما يوجد في كلامهم المعنى الأول و أبو حامد إنما ذم التأويل في آخر عمره و صنف الجام العوام عن علم الكلام محافظة على هذا الأصل لأنه رأى مصلحة الجمهور لا تقوم إلا بإيقاع الظواهر على ما هي عليه و إن كان هو يرى ما ذكره في كتبه

المضنون بها أن النفي هو الثابت في نفس الأمر فلم يجعلوا مقصوده بالخطاب البيان والهدي كما وصف الله به كتابه ونبيه حيث قال { هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ } البقرة 2 وقال { هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ } آل عمران 138 وقال { إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } يوسف 2 وقال { وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ } المُبِينُ } العنكبوت 18 وقال { كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكُمْ لِتُخْرُجَ النَّاسُ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ } إبراهيم 1 وأمثال ذلك و قال النبي صلى الله عليه وسلم تركتكم على البيضاء ليلاها كنهارها لا يزيغ عنها بعدى إلا هالك وقال تعالى { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ } الأنعام 153 وقال { قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ } 15 يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخر جهم ممن الظلمات إلى النور بإذنه ويهدى بهم إلى صراط مُستقيم { 16 } المائدة 15-16 وقال { مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءَ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ } الشورى 52 وقال { فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوا وَنَصَرُوا وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أَنْزَلْ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } الأعراف 157

471

من أصول الإسلام أن تميز ما بعث الله به محمدا من الكتاب والحكمة

* فمن أصول الإسلام أن تميز ما بعث الله به محمدا من الكتاب والحكمة ولا تخلطه بغيره ولا تلبس الحق بالباطل كفعل أهل الكتاب فإن الله سبحانه أكمل لنا الدين وأتم علينا النعمة ورضي لنا الإسلام دينا وقد قال صلى الله عليه وسلم تركتكم على

471 مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 355-358

البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك وقال
عبد الله بن مسعود رضي الله عنه خط لنا رسول الله خط وخط
خطوطا عن يمينه وشماله ثم قال هذا سبيل الله وهذه السبيل على
كل سبيل منها شيطان يدعوك إليه ثم قرأ قوله تعالى {وَأَنَّ هَذَا
صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَنْتَهِي إِلَيْهِ السُّبُّلُ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ}
الأنعام 153 وجماع ذلك بحفظ أصلين أحدهما

تحقيق ما جاء به الرسول فلا يخلط بما ليس منه من المنقولات
الضعيفة والتفسيرات الباطلة بل يعطى حقه من معرفة نقله
ودلالته والثانى أن لا يعارض ذلك بالشبهات لا رأيا ولا رواية

قال الله تعالى فيما يأمر به بني إسرائيل وهو لنا {وَأَمْنَوْا بِمَا
أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرَ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا
بِإِيمَانِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِبَاهِي فَاتَّقُونِ} 41 ولا تُلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ
وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} 42 البقرة 42-41 فلا يكتم الحق
الذى جاء به الرسول ولا يلبس بغيره من البطل ولا يعارض
بغيره قال الله تعالى {أَتَتَّبِعُوا مَا أَنْزَلْ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا
تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أُولَئِكَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ} الأعراف 3 وقال تعالى
{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحِ
إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأَنْزَلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ} الأنعام 93

وهو لاء الأقسام الثلاثة هم أعداء الرسل فإن أحدهم إذا أتى بما
يخالفه إما ان يقول إن الله أنزله على فيكون قد افترى على الله أو
يقول أوحى إليه ولم يسم من أوحاه أو يقول أنا انساته وأنا أنزل
مثل ما أنزل الله فأما ان يضيفه إلى الله أو إلى نفسه أو لا يضيفه
إلى أحد وهذه الأقسام هم من شياطين الإنس والجن الذين {
يُوَحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا} الأنعام 12 قال
الله تعالى {وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ

مَهْجُوراً {30} وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُواً مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى
 بِرَبِّكَ هَادِيًّا وَنَصِيرًا {31} الفرقان 30-31 والحمد لله⁴⁷²
 *قال الله تعالى {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ
 لِلَّهِ} الأنفال 39 فالمقصود أن يكون الدين كله الله ولا دين إلا
 ما شرعه الله تعالى على أنس بن رسله وفي الصحيحين أن النبي
 قيل له يا رسول الله الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل
 رياء فأى ذلك في سبيل الله فقال من قاتل لتكون كلمة الله هي
 العليا فهو في سبيل الله فيكون المقصود على كلمة الله وظهور
 دين الله وإن يعلم المسلمين كلهم إنما عليه المبتدعون المراؤون
 ليس من الدين ولا من فعل عباد الله الصالحين بل من فعل أهل
 الجهل والضلال والاشراك بالله تعالى الذين يخرجون عن توحيده
 واحلاص الدين له وعن طاعة رسنه و أصل الاسلام
 أشهد أن لا إله إلا الله وإن محمدا رسول الله فمن طلب بعباداته
 الرياء والسمعة فلم يحقق شهادة أن لا إله إلا الله ومن خرج عما
 أمره به الرسول من الشريعة وتبعه بالبدعة فلم يحقق شهادة أن
 محمدا رسول الله وإنما يحقق هذين الأصلين من لم
 يعبد إلا الله ولم يخرج عن شريعة رسول الله التي بلغها عن الله
 فإنه قال تركتكم على البيضاء ليتها كنها رحا لا يزيغ عنها إلا
 هالك وقال ما تركت من شيء يقربكم إلى الجنة إلا قد
 حدثتكم به ولا من شيء يبعدكم عن النار إلا وقد حدثتكم به
 وقال ابن مسعود خط لنا رسول الله خطأ وخط خطوطا عن
 يمينه وشماله ثم قال هذا سبيل الله وهذه سبل على كل سبيل منها
 شيطان يدعو إليه ثم قرأ {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ
 وَلَا تَنْتَبِعُوا السُّبُلَ فَقَرَرَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ} الأنعام 153 فالعبادات
 والزهدات والمقالات والتورعات الخارجة عن سبيل الله وهو

الصراط المستقيم الذى أمرنا الله ان نسأله هدایته وهو ما دل عليه السنة هي سبل الشيطان ولو كان لأحدهم من الخوارق ما كان فليس أحدهم بأعظم من مقدمهم الدجال الذى يقول للسماء أمطرى فتمطر وللأرض أبنتى فتنبت وللخربة أظهرى كنوزك فتخرج معه كنوز الذهب والفضة وهو مع هذا عدو الله كافر بالله وأولياء الله هم المذكورون في قوله {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خُوفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} 62 {الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ} 63 يومن 63-62 فهم المؤمنون المتقوون والتقوى فعل ما أمر الله به وترك ما نهى الله عنه فمن ترك ما أمر الله واتخذ عبادة نهى الله عنها كيف يكون من هؤلاء وفي صحيح البخارى عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي يقول الله تعالى من عادى لى ولها الحديث فبين سبحانه أنه ما تقرب العبد إلى الله بمثل أداء ما افترض عليه والتقرب بالواجبات فقط طريق المقتضيين أصحاب اليمين ثم التقرب بعد ذلك بما أحبه الله من النوافل هو طريق السابقين المقربين والمحبوبات هي ما أمر الله به ورسوله أمر ايجاب أو أمر استحباب دون ما استحبه الرجل برأيه وهو اه والله سبحانه وتعالى أعلم 473

ان اتباع الامر أصل عام وان اجتناب المنهى عنه فرع خاص

* عامة الأسماء يتتوعد مسماتها بالاطلاق والتقييد وكذلك لفظ اتباع ما أنزل الله يتناول جميع الطاعات قوله {إِنَّمَا تَنْهَىٰ عَنِ الْمُحَاجَةِ مَنْ رَبَّكُمْ وَلَا تَنْهَىٰ عَنِ الدُّنْيَا مَنْ ذُنِبَ} الأعراف 3 قوله {فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَىِي فَلَا يَضُلُّ وَلَا يَسْقُى} طه 123 قوله {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَنْتَهِي السُّبُّلُ فَقَرَقَ بِكُمْ عَنِ سَبِيلِهِ} الأنعام 153 وقد يقرن به غيره قوله {وَهَذَا كِتابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَانْقُوا أَعْلَكُمْ ثُرْحَمُونَ} الأنعام 155

473473 مجموع الفتاوى ج: 11 ص: 617-618

وقوله {اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ
الْمُشْرِكِينَ} الأنعام 106 وقوله {وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ
وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ} يونس 109⁴⁷⁴

* ان الكلمات الجوامع التي في القرآن تتضمن امثال المأمور به والوعيد على المعصية بتركه مثل قوله تعالى لنبيه {فَاسْتَقِمْ كَمَا
أَمْرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغُوا} هود 112 وقال {فَإِذْلِكَ
فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أَمْرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءِهِمْ} الشورى 15 وقال
{فُلْ إِنِّي أَمْرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
{14} {فُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتَ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ
عَظِيمٍ} الأنعام 14-15 وقال {فُلْ إِنِّي أَمْرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ
مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ} 11 {وَأَمْرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ
الْمُسْلِمِينَ} 12 الزمر 11-12 وقال {فُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي
خَرَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا
يُوحَى إِلَيَّ فُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَكَبَّرُونَ
الأنعام 50 وقال {وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ
وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ} يونس 109 وقال {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي
مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلُ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ
الأنعام 153 إلى أمثال هذه النصوص التي يوصى فيها باتباع ما
أمر ويبين أن الاستقامة في ذلك وأنه لم يأمر إلا بذلك وأنه إن
ترك ذلك كان عليه العذاب ونحو ذلك مما يبين أن اتباع الامر
أصل عام وان اجتناب المنهى عنه فرع خاص⁴⁷⁵

**"تعوذوا بالله من فتنة العالم الفاجر والعابد الجاهل فان
فتنتهما فتنه لكل مفتون "**

مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 169⁴⁷⁴

مجموع الفتاوى ج: 20 ص: 113⁴⁷⁵

* وإنما دين الله ما بعث به رسله وأنزل به كتبه وهو الصراط المستقيم وهو طريقة أصحاب رسول الله خير القرون وأفضل الأمة وأكرم الخلق على الله تعالى بعد النبيين قال تعالى {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ} التوبة 100 فرضى عن السابقين الأولين رضا مطلقاً ورضى عن التابعين لهم بإحسان وقد قال النبي في الأحاديث الصحيحة خير القرون الذي بعثت فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وكان عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يقول من كان منكم مستنا فليستن بمن قد مات فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة أولئك أصحاب رسول الله أبناء هذه الأمة قلوبها وأعمقها علماً وأقلها تكلافاً قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه فاعرفوا لهم حقهم وتمسكون بهديهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم وقال حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما يا معاشر القراء استقيموا وخذوا طريق من كان قبلكم فوالله لئن اتبعتموه لقد سبقتم سبقاً بعيداً ولئن أخذتم يميناً وشمالاً لقد ضللتم ضلالاً بعيداً وقد قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه خط لنا رسول الله خططاً وخط حوله خطوطاً عن يمينه وشماله ثم قال هذا سبيل الله وهذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعوا إليه ثم قرأ {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَنْتَبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ} الأنعام 153 وقد أمرنا سبحانه أن نقول في صلاتنا {إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} 6 صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} 7 الفاتحة 7 وقال النبي اليهود مغضوب عليهم والنصارى صالون وذلك أن اليهود عرفوا الحق ولم يتبعوه والنصارى عدوا الله بغير علم ولهذا كان يقال تعوذوا بالله من فتنة العالم الفاجر والعابد الجاهل فان فتنتهما فتنة لكل مفتون وقال تعالى {فَلِمَّا يَأْتِنَكُمْ مِنِي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَى يَضِلُّ وَلَا يَسْقُى} 123 {وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} 124 طه 123-124 قال ابن

Abbas رضي الله عنهم تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه
أَنْ لَا يَضُلَّ فِي الدُّنْيَا وَلَا يَشْقَى فِي الْآخِرَةِ وَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ⁴⁷⁶

"إنما أخاف على أمتي الأئمة المضللين"

* فعن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة أو اثنتين وسبعين فرقة والنصارى مثل ذلك وتفرق أمتي على ثلات وسبعين فرقة رواه أبو داود وابن ماجة والترمذى وقال هذا حديث حسن صحيح وعن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أهل الكتابين افترقا في دينهم على ثنتين وسبعين ملة وإن هذه الأئمة ستفترق على ثلات وسبعين ملة يعني الأهواء كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة وقال إنه سيخرج من أمتي أقوام تتجرى بهم تلك الأهواء كما يتجرى الكلب بصاحبه فلا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله والله يا معاشر العرب لئن لم تقوموا بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم لغيركم من الناس أخرى أن لا يقوم به هذا حديث محفوظ من حديث صفوان بن عمرو عن الأزهر بن عبد الله الحراري وعن أبي عامر عبد الله بن يحيى عن معاوية رواه غير واحد منهم أبو اليمان وبقية وأبو المغيرة رواه أحمد وأبو داود في سننه وقد روى ابن ماجه هذا المعنى من حديث صفوان بن عمرو عن راشد بن سعد عن عوف بن مالك الأشعري ويروى من وجوه آخر فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بافتراق أمته على ثلات وسبعين فرقة واثنتان وسبعين لا ريب أنهم الذين خاضوا كخوض الذين من

⁴⁷⁶ مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 127

قبلهم ثم هذا الاختلاف الذي أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم إما في الدين فقط وإما في الدين والدنيا ثم قد يؤول إلى الدنيا وقد يكون الاختلاف في الدنيا فقط وهذا الاختلاف الذي دلت عليه هذه الأحاديث هو مما نهي الله عنه في قوله سبحانه **{وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَعْرَفُوا وَأَخْتَلُفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}** {آل عمران 105} قوله **{إِنَّ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شَيْعًا لِسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ}** {الأنعام 159} قوله **{وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَنْتَهِي السُّبُّلُ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِكُمْ وَصَاعِدُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقَوْنَ}** {الأنعام 153} وهو موافق لما رواه مسلم في صحيحه عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه أنه أقبل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في طائفة من أصحابه من العالية حتى إذا مر بمسجدبني معاوية دخل فركع فيه ركعتين وصلينا معه ودعا رب طويلا ثم انصرف إلينا فقال سألت ربي ثلاثة فأعطياني اثنتين ومنعني واحدة وسألت ربي أن لا يهلك أمتي بالسنة فأعطيتها وسألت ربي أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطيتها وسألته أن لا يجعل بأسمهم بينهم فمنعنيها وروى أيضا في صحيحه عن ثوبان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإن أمتي سيلع ملكها ما روى منها وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض وإنني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها سنة بعامة وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم وإن ربي قال يا محمد إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد وإنني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة بعامة وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها أو قال من بين أقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبى بعضهم بعضا ورواه البرقاني في صحيحه وزاد وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضللين وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيمة ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين

وحتى يعبد قئام من أمتى الأوثان وإنه سيكون في أمتى كذابون
 ثلاثة كلهم يزعم أنهنبي وأنا خاتم النبييننبي بعدي ولا تزال طائفة من أمتى على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى وهذا المعنى محفوظ عن النبي
 صلى الله عليه وسلم من غير وجه يشير إلى أن الفرقة
 والاختلاف لا بد من وقوعهما في الأمة وكان يحذر أمه منه
 لينجو من الوقوع فيه من شاء الله له السلامه كما روى النزال بن سبرة عن عبد الله بن مسعود قال سمعت رجلا قرأ آية سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ خلافها فأخذت بيده فانطلقت به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فعرفت في وجهه الكراهة وقال كلاما محسن ولا تختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا فهللوا رواه مسلم نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الاختلاف الذي فيه جد كل واحد من المختلفين ما مع الآخر من الحق لأن كلا القارئين كان محسنا فيما قرأه وعل ذلك بأن من كان قبلنا اختلفوا فهللوا ولهذا قال حذيفة لعثمان أدرك هذه الأمة لا تختلف في الكتاب كما اختلفت فيه الأمم قبلهم لما رأى أهل الشام وأهل العراق يختلفون في حروف القرآن الاختلاف الذي نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأفاد ذلك شيئاً أحدهما تحريم الاختلاف في مثل هذا والثاني الاعتبار بمن كان قبلنا والحذر من مشابهتهم⁴⁷⁷

* ومحمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء لانبي بعده فعصم الله أمه أن تجتمع على ضلاله وجعل فيها من تقوم به الحجة إلى يوم القيمة ولهذا كان إجماعهم حجة كما كان الكتاب والسنة حجة ولهذا امتاز أهل الحق من هذه الأمة والسنة والجماعة عن أهل الباطل الذين يزعمون أنهم يتبعون الكتاب ويعرضون عن سنة رسول الله وعما مضت عليه جماعة المسلمين فإن الله

أمر في كتابه باتباع سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولزوم سبيله وأمر بالجماعة والائتلاف ونهى عن الفرقه والاختلاف
قال تعالى {وَإِنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَنْتَبِغُوا السُّبُّلَ} 478
فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ } الأنعام 153

لطائف لغوية

1- قال تعالى { وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامَ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرْ عِمْمَهُمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ } 136 وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قُتْلَ أَوْ لَادْهُمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُو هُمْ وَلِيُلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلَوْهُ فَرَزْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ } 137 وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حَجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءَ بِرْ عِمْمَهُمْ وَأَنْعَامٌ حُرْمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتَرَاءَ عَلَيْهِ سَيْجَرِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ } 138 الأنعام 136-138 سمى الأرض المزروعة حرثا 479

2- قال تعالى { وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لَذُكْرِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَرْوَاحِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءٌ سَيَجْزِيهِمْ وَصَنْفُهُمْ إِنَّهُ حِكِيمٌ عَلِيمٌ } الأنعام 139 حكيم منزه عن السفة عليه منزه عن الجهل 480

3- ان الوصف هو الاظهار والبيان للبصر أو السمع كما يقول الفقهاء ثوب يصف البشرة او لا يصف البشرة وقال تعالى { سَيَجْزِيهِمْ وَصَنْفُهُمْ } الأنعام 139 وقال { سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا

⁴⁷⁸ مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 369

⁴⁷⁹ مجموع الفتاوى ج: 29 ص: 124

⁴⁸⁰ الجواب الصحيح ج: 4 ص: 407

يَصِفُونَ } الْأَنْعَام 100 وقال لا تنتع المرأة المرأة لزوجها حتى كأنه ينظر إليها والنعت الوصف ومثل هذا كثير و الصفة مصدر وصفت الشيء أصفه وصفاً وصفة مثل وعد وعد وعد وزنا وزنة وهم يطلقون اسم المصدر على المفعول كما يسمون المخلوق خلقاً ويقولون درهم ضرب الأمير فإذا وصف الموصوف بأنه وسع كل شيء رحمة وعلماً سمي المعنى الذي وصف به بهذا الكلام صفة فيقال للرحمة والعلم والقدرة صفة بهذا الاعتبار هذا حقيقة الامر ⁴⁸¹

4- قال تعالى {قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أُولَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ أَفْتَرَاءٌ عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلَّوْا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ } الْأَنْعَام 140 الى قوله { إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } الْأَنْعَام 144 عامه الأسماء يتتنوع مسماتها بالاطلاق والتقييد وكذلك لفظ الهدى اذا أطلق تناول العلم الذي بعث الله به رسوله والعمل به جمياً فيدخل فيه كل ما أمر الله به كما في قوله { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } الفاتحة 6 والمراد طلب العلم بالحق والعمل به جمياً وكذلك قوله { هُدًى لِلْمُتَّقِينَ } البقرة 2 والمراد به أنهما يعلمون ما فيه ويعملون به ولهذا صاروا مفلحين وكذلك قول أهل الجنة { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا } الأعراف 43 وانما هداهم بأن ألهما العلم النافع والعمل الصالح ثم قد يقرن الهدى اما بالاجتباء كما في قوله { وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } الْأَنْعَام 87 وكما في قوله { شَاكِرًا لَأَنْعُمَهُ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ } النحل 121 { اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ } الشورى 13 وكذلك قوله تعالى { هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينَ الْحَقِّ } التوبه 33 والهدى هنا هو الایمان ودين الحق هو الاسلام

و اذا أطلق الهدى كان كالإيمان المطلق يدخل فيه هذا وهذا
ولفظ الضلال اذا أطلق تناول من ضل عن الهدى سواء
كان عمداً او جهلاً ولزم ان يكون معذباً كقوله {إِنَّهُمْ أَفَوْا
آبَاءُهُمْ ضَالِّيْنَ} 69 {فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ} 70 ولقد ضلَّ
قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِيْنَ} 71 الصافات 69 - 71 قوله {وَقَالُوا
رَبَّنَا إِنَّا أَطْعَنَا سَادَتَنَا وَكَبَرَاءِنَا فَأَضْلَلُونَا السَّبِيلَا} 67 {رَبَّنَا آتَهُمْ
ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا} 68 الأحزاب 67 - 68
وقوله {فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَيْ ا فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى} طه 123 ثم
يقرن بالغى والغضب كما في قوله {مَا ضلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا
غَوَى} النجم 2 وفي قوله {غَيْرُ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الظَّالِّيْنَ}
الفاتحة 7 قوله {إِنَّ الْمُجْرِمِيْنَ فِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ} القمر 47

482

5- لفظ التشابه ليس هو التماثل في اللغة قال تعالى
{وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهَا} البقرة 25 وقال تعالى {مُتَشَابِهَا وَغَيْرَ
مُتَشَابِهَا} الأنعام 141 483 ولم يرد به شيئاً هو مماثل في اللغة

6- وقال تعالى {وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ حَنَّاتَ مَعْرُوشَاتَ وَغَيْرَ
مَعْرُوشَاتَ وَالنَّخلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ
مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُّوْ مِنْ نَمَرَهِ إِذَا أَتَمَرَ وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ
حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِيْنَ} الأنعام 141
فالاسراف مجاوزة الحد تعدى الحد ومجاوزة الفصد

484

7- قال تعالى {قُلْ لَا أَحَدٌ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمٌ عَلَى طَاعِمٍ
يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوْحًا أَوْ لَحْمٌ خَنْزِيرٌ فَإِنَّهُ
رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أَهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ

⁴⁸² مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 166

⁴⁸³ مجموع الفتاوى ج: 6 ص: 113

⁴⁸⁴ مجموع الفتاوى ج: 11 ص: 695

رَبَّكَ غُفْرُ رَحِيمٌ { الأنعام 145} لفظ الرجس أصله القدر و يراد به الشرك كقوله { فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ } الحج 30 و

يراد به الخبائث المحرمة كالمطعومات و المشروبات كقوله { قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمًا حِنْزِيرٍ فَإِنَّ رِجْسًا أَوْ فِسْقًا } الأنعام 145 و قوله { إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ } المائدة 485 90

8- قال تعالى { فَمَنِ اضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غُفْرُ رَحِيمٌ } الأنعام 145 العداون مجاوزة قدر الحاجة 486

9- قال تعالى { فَإِنْ كَذَبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ نُو رَحْمَةٌ وَاسِعَةٌ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ } الأنعام 147 ورحمته اسم جامع لكل خير ودار الرحمة الخالصة هي الجنة 487

10- قال تعالى { وَلَا تَتَّبِعَ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ } الأنعام 150 و إذا كان الشيء يعدل غيره فعدل الشيء بالفتح هو مساويه وإن كان من غير جنسه كما قال تعالى { أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا } المائدة 95 والصيام ليس من جنس الطعام والجزاء ولكنه يعادله في القدر وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا و قوله تعالى { وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ } البقرة 123 أي فدية و الفدية ما يعدل بالمفدي و إن كان من غير جنسه { ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ } الأنعام 1 أي يجعلون له عدلا أي ندا

⁴⁸⁵ منهاج السنة النبوية ج: 7 ص: 81

⁴⁸⁶ مجموع الفتاوى ج: 11 ص: 695

⁴⁸⁷ مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 65

فِي الإِلَهِيَّةِ وَإِنْ كَانُوا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ جَنْسِ الرَّبِّ سَبَّاهُ
488

11- ان اسم العقل عند المسلمين وجمهور العقلاء إنما هو صفة وهو الذي يسمى عرضا قائما بالعاقل وعلى هذا دل القرآن في قوله تعالى قال تعالى {ذَلِكُمْ وَصَاحِبُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} الأنعام 151 قوله {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا} الحج 46 قوله {قَدْ بَيَّنَاهُ لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ} آل عمران 118 ونحو ذلك مما يدل على ان العقل مصدر عقل يعقل عقلا وإذا كان كذلك فالعقل لا يسمى به مجرد العلم الذي لم يعمل به صاحبه ولا العمل بلا علم بل إنما يسمى به العلم الذي يعمل به والعمل بالعلم ولهذا قال أهل النار {لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعْيِ} الملك 10 وقال تعالى {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا} الحج 46 والعقل المشروط في التكليف لا بد أن يكون علوما يميز بها الإنسان بين ما ينفعه وما يضره فالمحنون الذي لا يميز بين الدرارهم والفلوس ولا بين أيام الأسبوع ولا يفقه ما يقال له من الكلام ليس بعاقل أما من فهم الكلام وميز بين ما ينفعه وما يضره فهو عاقل ثم من الناس من يقول العقل هو علوم ضرورية ومنهم من يقول العقل هو العمل بموجب تلك العلوم والصحيح أن اسم العقل يتناول هذا وهذا وقد يراد بالعقل نفس الغريزة التي في الإنسان التي بها يعلم ويميز ويقصد المنافع دون المضار كما قال أحمد بن حنبل والحارث المحاسبي وغيرهما ان العقل غريزة وهذه الغريزة ثابتة عند جمهور العقلاء كما أن في العين قوة بها يبصر وفي اللسان قوة بها يذوق وفي الجلد قوة بها يلمس عند جمهور العقلاء 489

488488 مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 137

489489 مجموع الفتاوى ج: 9 ص: 286

12- قال تعالى {وَلَا تَقْرِبُوا مَالَ الْيَتَيمِ إِلَّا بِالْتَّيْمَ هِيَ أَحْسَنُ حَثًّا يَبْلُغُ أَشْدَهُ وَأَوْفُوا الْكِيلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا فُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } الأنعام 152 اليتيم في الآدميين من فقد أباه لأن أباه هو الذي يهذبه ويرزقه وينصره بموجب الطبع المخلوق ولهذا كان تابعاً في الدين لوالده وكان نفقته عليه وحضانته عليه والإنفاق هو الرزق ⁴⁹⁰

13- الذي يدل عليه القرآن في سورة المائدة في آية الشهادة في قوله {فَيُئْسِمَنِ بِاللَّهِ إِنْ ارْتَبَمْ لَا نَشَرِي بِهِ ثَمَنًا } المائدة 106 أي بقولنا { وَلَوْ كَانَ ذَا فُرْبَى } المائدة 106 حذف ضمير كان لظهوره اي ولو كان المشهود له كما في قوله { وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا فُرْبَى } الأنعام 152 و كما في قوله {كُوْنُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ اللَّهِ } النساء 135 إلى قوله { إِنْ يَكُنْ عَنِيَا أَوْ فَقِيرًا } النساء 135 اي المشهود عليه و نحو ذلك لأن العادة أن الشهادة المزورة يتعاض عليها و إلا فليس احد يشهد شهادة مزورة بلا عوض ولو مدح أو اتخاذ يد و آفة الشهادة إما اللي و اما الاعراض الكذب و الكتمان ⁴⁹¹

14- الصراط في لغة العرب هو الطريق يقال هو الطريق الواضح ويقال هو الطريق المحدود بجانبين الذي لا يخرج عنه ومنه الصراط المنصوب على جهنم وهو الجسر الذي يعبر عليه المؤمنون إلى الجنة وإذا عبر عليه الكفار سقطوا في جهنم ويقال فيه معنى الاستواء والاعتدال الذي يوجب سرعة العبور عليه وفيه ثلاثة لغات هي ثلاثة قراءات الصراط والسراط والزراط وهي لغة عربية عرباء ليست من المعرفة ويقال أصله من

قولهم سرطت الشيء أسرطه سرطا إذا ابتلعته واسترطته ابتلعته
 فإن المبتلع يجري بسرعة في مجرى محدود ومن أمثل
 العرب لا تكن حلوا فتسترط ولا مرا فتعفى من قولهم أعفiate
 الشيء إذا أزلتة من فيك لمرارته ويقال فلان يسترط ما يأخذ من
 الدين وحکي يعقوب بن السکيت الأخذ سريط والقضاء
 صريط والسرطاط الفالوذج لأنه يسترط استراتا وسيف سراطي
 أي قاطع فإنه ماض سريع المذهب في مضربه فالصراط هو
 الطريق المحدود المعتمد الذي يصل سالكه إلى مطلبها بسرعة
 وقد ذكر الله لفظ الصراط في كتابه في غير موضع ولم يسم الله
 سبيل الشيطان سراطًا بل سماها سبلا وخص طريقه باسم
 الصراط كقوله تعالى {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ
 وَلَا تَنْتَبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَاعِدُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ
 تَنْقُونَ} الأنعام 153 وفي السنن عن عبد الله بن مسعود قال خط
 لنا رسول الله خطًا وخط خطوطًا عن يمينه وشماله ثم قاله
 هذا سبيل الله وهذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعوك إليه من
 أجابه قذفه في النار ثم قرأ {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا
 فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَنْتَبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ} الأنعام 153
 فسمى سبحانه طريقه صراطاً وسمى تلك سبلا ولم يسمها
 صراطاً كما سماها سبيلاً وطريقه يسميه سبيلاً كما يسميه
 صراطاً⁴⁹²

الأنعام 154-165

إِنَّمَا آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ
وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِعَلَّهُمْ بِلِقَاءَ رَبِّهِمْ
يُؤْمِنُونَ {154} وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا
لِعَلَّكُمْ تُرَحَّمُونَ {155} أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَى
طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ {156}
أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أَنْزَلَ عَلَيْنَا الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ
جَاءَكُمْ بَيِّنَةً مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ
بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنْجُزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ
آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ {157} هُلْ
يَنْظَرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ
بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا
إِيمَانُهَا لَمْ تُكُنْ أَمْنَثَ مِنْ قَبْلِهِ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا
قُلْ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ {158} إِنَّ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ
وَكَانُوا شَيْعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ
يُبَيِّنُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ {159} مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ
عَشْرُ أَمْثَالَهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ
لَا يُظْلَمُونَ {160} قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ
مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مَلِهَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ
الْمُشْرِكِينَ {161} قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ
وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ {162} لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أَمْرَتُ
وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ {163} قُلْ أَعِيرِ اللَّهَ أَبْغَى رَبَّا وَهُوَ
رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكُسُبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَنْزِرُ
وَازْرَةً وَزْرَ أَخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُبَيِّنُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ
فِيهِ تَخْتَلِفُونَ {164} وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَافَ الْأَرْضِ

وَرَفِعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ{165}

إن الله تعالى إنما يخص بالذكر من الكتب المتقدمة التوراة
فالتوراة أعظم من الإنجيل وقد بين الله أنه لم ينزل كتاباً
أهدي من التوراة والقرآن فإن الله تعالى إنما يخص
بالذكر من الكتب المتقدمة التوراة دون غيرها فهي التي
يقرنها بالقرآن كقوله تعالى { ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ
ثُمَّاً عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى
وَرَحْمَةً لِعَلَّهُمْ بِلِقاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ } 154 { وهذا كتاب
أنزلناه مباركاً فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون } 155 { أن
تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا
عن دراستهم لغافلين } 156 { الانعام 154-156 فقد
ذكر التوراة والقرآن وقولهم أنزل الكتاب على طائفتين
من قبلنا فيبين أن الكتاب اسم جنس يتناول هنا التوراة
والإنجيل كقوله تعالى يا أهل الكتاب ⁴⁹³

* قال تعالى { ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ثُمَّاً عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ
وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِعَلَّهُمْ بِلِقاءِ رَبِّهِمْ
يُؤْمِنُونَ } الانعام 154 وذكر كتاب موسى بهذه الإضافة لا بلفظ
التوراة في غير موضع ⁴⁹⁴

⁴⁹³الجواب الصحيح ج: 2 ص: 352

⁴⁹⁴الجواب الصحيح ج: 5 ص: 244

قال تعالى { ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ
 وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِعَلَّهُمْ بِلِقَاءَ رَبِّهِمْ
 يُؤْمِنُونَ } الأنعام 154

الرحمة تحصل بالقرآن

* و قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح ما
 اجتمع قوم في بيته من بيوت الله يتلون كتاب الله و يتدارسونه
 بينهم إلا غشيتهم الرحمة و تنزلت عليهم السكينة و حفتهم
 الملائكة و ذكرهم الله فيمن عنده و قد ذكر الله في غير
 موضع من كتابه أن الرحمة تحصل بالقرآن كقوله تعالى {أَوْ
 تَقُولُوا لَوْ أَنَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءُكُمْ بَيِّنَةً
 مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً فَمَنْ أَظْلَمُ مَمَنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ
 عَنْهَا سَنْجِرِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءُ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا
 يَصْدِفُونَ } الأنعام 157 495

* أصل جامع في الاعتصام بكتاب الله ووجوب اتباعه وبيان
 الاهداء به في كل ما يحتاج إليه الناس من دينهم وأن النجاة
 والسعادة في اتباعه والشقاء في مخالفته وما دل عليه من اتباع
 السنة والجماعة قال الله تعالى { قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ
 لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدًى يَفْلِلُ وَلَا
 يَشْقَى } 123 وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكَأً
 وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى } 124 قَالَ رَبِّ لَمْ حَشَرْتَنِي أَعْمَى
 وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا } 125 قَالَ كَذَلِكَ أَتَنْهَا آيَاتِنَا فَنَسِيَتْهَا وَكَذَلِكَ
 الْيَوْمَ تُنسَى } 126 طه 123-126 قال ابن عباس تكفل الله
 لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في
 الآخرة ثم قرأ هذه الآية وقال تعالى { وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ }

495 الاستقامة ج: 1 ص: 396

مُبَارَكٌ فَاتَّيْعُوهُ وَاتَّقُوا لِعَلْكُمْ تُرْحَمُونَ {155} {أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلْ
 الْكِتَابَ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ
 لَغَافِلِينَ {156} } أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَا أَنْزَلْ عَلَيْنَا الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ
 فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيْنَهُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدَى وَرَحْمَةً فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ
 بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَّفَ عَنْهَا سَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ
 الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ {157} } **الأنعام 155-157** فذكر

سبحانه أنه يجزى الصادف عن آياته مطلقاً سواء كان مكذباً أو لم يكن سوء العذاب بما كانوا يصدفون يبين ذلك أن كل من لم يقر بما جاء به الرسول فهو كافر سواء اعتقد كذبه أو استکبر عن الإيمان به أو أعرض عنه اتباعاً لما يهواه أو ارتاب فيما جاء به فكل مكذب بما جاء به فهو كافر وقد يكون كافراً من لا يكذبه إذا لم يؤمن به ولهذا أخبر الله في غير موضع من كتابه بالضلال والعذاب لمن ترك إتباع ما أنزله وإن كان له نظر وجده واجتهاد في عقليات وأمور غير ذلك وجعل ذلك من نعوت الكفار والمنافقين⁴⁹⁶

أنزل القرآن كراهة أن يقولوا ذلك ومنعاً ودفعاً

أرسل الله سبحانه وتعالى محمد صلى الله عليه وسلم بالحق بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً أرسله إلى جميع التقلين الجن والإنس عربهم وعجمهم أميهم وكتابيهم وأنزل عليه كتاباً أنزله ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم ويهديهم به إلى صراط مستقيم صراط الذي له ما في السموات وما في الأرض وهو صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين

⁴⁹⁶ مجموع الفتاوى ج: 19 ص: 77 و درء التعارض ج: 1 ص: 56

وهو دين الله الذي بعث به الرسل قبله و أنزل عليه الكتاب
 بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهمينا عليه فصدق كتابه
 ما بين يديه من كتب السماء وأمر بالإيمان بجميع الأنبياء
 وهيمن على ما بين يديه من الكتاب وذلك يعم الكتب كلها شاهدا
 وحاكما ومؤمنا يشهد بمثل ما فيها من الأخبار الصادقة
 وقرر ما في الكتاب الأول من أصول الدين وشرائعه الجامعة
 التي اتفقت عليها الرسل كالوصايا المذكورة في آخر الأنعام⁴⁹⁷
 *قال تعالى { وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَّكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ
 تُرْحَمُونَ }¹⁵⁵ { أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ
 قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنِ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ }¹⁵⁶ { الانعام 155-156 }
 فتبين أنه أنزل القرآن كراهة أن يقولوا ذلك ومنعا لأن يقولوا ذلك
 ودفعا لأن يقولوا ذلك⁴⁹⁸

القوى ان تعمل بطاعة الله على نور من الله وأن ترك معصية الله على نور من الله

* قال تعالى { وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَّكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ
 تُرْحَمُونَ }¹⁵⁵ { أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ
 قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنِ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ }¹⁵⁶ { الانعام 155-156 }
 عامة الأسماء يتتنوع مسمها بالاطلاق والتقييد وكذلك اذا
 أفرد اسم طاعة الله دخل في طاعته كل ما أمر به وكانت
 طاعة الرسول داخلة في طاعته وكذا اسم القوى اذا افرد
 دخل فيه فعل كل مأمور به وترك كل محظور قال طلق بن
 حبيب القوى ان تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو رحمة
 الله وأن ترك معصية الله على نور من الله تخاف عذاب الله وهذا

⁴⁹⁷ الجواب الصحيح ج: 1 ص: 64

⁴⁹⁸ مجموع الفتاوى ج: 32 ص: 187

كما في قوله {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ} 54 {فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ} 55 القمر 54-55 وقد يقرن بها اسم آخر كقوله {وَمَن يَتَّقَ اللَّهَ يَجْعَلُ لَهُ مَخْرَجًا} 2 {وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} 3 الطلاق 2-3 قوله {إِنَّهُ مَن يَتَّقَ وَيَصْبِرُ} يوسف 90 قوله {وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ} النساء 1⁴⁹⁹

إثبات الملائكة وأفعالها وكلامها وتأثيرها في العالم

* بهذه النصوص وأمثالها صريحة بإثبات الملائكة وأفعالها وكلامها وتأثيرها في العالم بالقول والفعل وهذا يبطل قولهم إن المؤثر في العالم هو القوى النفسانية أو القوى الطبيعية فإن الملائكة خارجة عن هذا وهذا وحينئذ مما يحصل من خوارق العادات بأفعال الملائكة أعظم مما يحصل بمجرد القوى النفسانية والأنباء أحق الناس بمعاونة الملائكة لهم وتأييد الله تعالى لهم

500

مذهب سلف الأمة أنهم يصفونه بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله في النفي والاثبات

* فاعتقد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة وهو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والإيمان بالقدر خيره وشره ومن الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه وبما وصفه به رسوله محمد صلى

⁴⁹⁹مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 164

⁵⁰⁰الصفدية ج: 1 ص: 207

الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل بل يؤمنون بأن الله سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه ولا يحرفون الكلم عن موضعه ولا يلحدون في أسماء الله وآياته ولا يكيفون ولا يمثلون صفات خلقه لأنه سبحانه لا سمي له ولا كفو له ولا ند له ولا يقاس بخلقه سبحانه وتعالى فانه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره وأصدق قيلا وأحسن حديثا من خلقه ثم رسله صادقون مصدوقون بخلاف الذين يقولون عليه مالا يعلمون ولهذا قال سبحانه وتعالى {سُبْحَانَ رَبِّ الْعَزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ} 180 {وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ} 181 {وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} 182 {الصافات} 180-182 فسبح نفسه بما وصفه به المخالفون للرسل وسلم على المرسلين لسلامة ما قالوه من النقص والعيب وهو سبحانه قد جمع فيما وصف وسمى به نفسه بين النفي والإثبات فلا عدول لأهل السنة والجماعة مما جاء به المرسلون فإنه الصراط المستقيم صراط الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وقد دخل في هذه الجملة ما وصف به نفسه في سورة الإخلاص التي تعدل ثلث القرآن وقوله سبحانه **{وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ}** **{الأنعام} 155** وقوله سبحانه **{هُلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ}** **{الأنعام} 158**

501

* هو سبحانه يتكلم إذا شاء ويسكت إذا شاء كما أنه سبحانه وتعالى خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش وأنه سبحانه استوى إلى السماء وهي دخان وأنه سبحانه يأتي في ظلل من الغمام والملائكة كما قال **{وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفَّا صَفَّا}** **{الفجر} 22** وقال **{هُلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ**

⁵⁰¹ مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 131 و العقيدة الواسطية ج: 1 ص: 18

الملائكةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ {الأنعام 158} و قال تعالى {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} {يس 82} و قال تعالى {وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ} {التوبه 105} ⁵⁰²

*فان وصفه سبحانه وتعالى بالاستواء الى السماء وهى دخان كوصفه بأنه خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم يستوى على العرش ووصفه بالاتيان والمجيء فى مثل قوله تعالى {هُنَّ يَنْظَرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيهِمُ اللَّهُ فِي ظُلُلٍ مِّنَ الْعَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ} {القراءة 210} و قوله {هُنَّ يَنْظَرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ} {الأنعام 158} و قوله {وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفَّا صَفَّا} {الفجر 22} وكذلك قوله تعالى {خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} {الأعراف 54} و قوله {وَالسَّمَاءَ بَنَيَّنَاهَا بِأَيْدٍ} {الذاريات 47} و قوله {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِينُكُمْ ثُمَّ يُحِبِّكُمْ هُنَّ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مَنْ شَيْءٌ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} {الروم 40} و قوله {يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَرْجُ إِلَيْهِ} {السجدة 5} وأمثال ذلك من الأفعال التي وصف الله تعالى بها نفسه التي تسمى النهاة أفعالاً متعددة وهي غالباً ما ذكر في القرآن أو يسمونها لازمة لكونها لا تتصل المفعول به بل لا تتعدى إليه إلا بحرف الجر كالاستواء إلى السماء وعلى العرش والنزول إلى السماء الدنيا ونحو ذلك فان الله وصف نفسه بهذه الأفعال ووصف نفسه بالأقوال الازمة والمتعددة في مثل قوله {إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ} {ص 71} و قوله {وَكَلَمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا} {النساء 164} و قوله تعالى {وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا} {الأعراف 22} و قوله {وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ} {القصص 65} ونحو ذلك مما وصف به نفسه في كتابه وما صح

عن رسوله فان القول في جميع ذلك من جنس واحد ومذهب سلف الأمة وأئمتها أنهم يصفونه بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله في النفي والابيات والله سبحانه وتعالى قد نفي عن نفسه مماثلة المخلوقين فقال الله تعالى (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) {1} اللَّهُ الصَّمَدُ {2} لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَدْ {3} وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ {4} فيبين أنه لم يكن أحد كفوا له وقال تعالى {هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِّيًّا} مريم 65 فأنكر أن يكون له سمى وقال تعالى {فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا} البقرة 22 وقال تعالى {فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ} النحل 74 وقال تعالى {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} الشورى 11 فيما أخبر به عن نفسه من تنزيهه عن الكفر والسمى والمثل والنذر وضرب الأمثال له بيان أن لا مثل له في صفاته ولا أفعاله⁵⁰³

*وصف الله سبحانه نفسه بالنزول إلى السماء الدنيا في الثالث الاخير من الليل كما ورد في الاحاديث الصحيحة وأيضا بالنزول عشية عرفة في عدة احاديث صحيحة وبعضها في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها عن النبي أنه قال ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدا من النار من يوم عرفة وانه عز وجل ليدنو ثم بياهى بهم الملائكة فيقول ما أراد هؤلاء وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم عرفة ان الله ينزل إلى سماء الدنيا بياهى بأهل عرفة الملائكة فيقول أنظروا الى عبادى اتونى شعثا غبرا صاحين من كل فج عميق وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ان الله ينزل إلى السماء الدنيا بياهى بأهل عرفة الملائكة ويقول أنظروا الى عبادى اتونى شعثا غبرا فوصف أنه يدنو عشية عرفة إلى السماء الدنيا وبياهى الملائكة بالحجيج فيقول انظروا الى عبادى اتونى شعثا غبرا ما أراد

هؤلاء ووصفه نفسه بالنزول كوصفه في القرآن بأنه {إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} الأعراف 54 وبأنه {اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ} فصلت 11 وبأنه نادى موسى وناجاه في البقعة المباركة من الشجرة {فَلَمَّا آتَاهَا نُودِي مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبَقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} القصص 30 وبالمجيء والاتيان في قوله {وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفَّا صَفَّا} الفجر 22 وقال {هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكُمْ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكُمْ} الأنعام 158 والأحاديث المتواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم في اتيان الرب يوم القيمة كثيرة وكذلك اتيانه لأهل الجنة يوم الجمعة 504

يفتح الله عز وجل للتوبة مسيرة عرضه أربعون سنة ولا يغلق حتى تطلع الشمس من قبله

* أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن يحيى بن علوى بن الحسين الدرجى القرشى قراءة عليه أنا اسمع فى رجب سنة 680 أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن نصر بن أبي الفتاح الصيدلانى اجازة أخبرنا أبو على الحسن بن أحمد بن الحسن الحداد أخبرنا أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق الحافظ أخبرنا أبو محمد عبد الله بن جعفر بن أحمد بن فارس قال سمعت سفيان بن عيينة يقول حدثنا عاصم عن زر قال أتيت صفوان بن عسال المرادى فقال لى ما جاء بك فقلت جئت إبتغاء العلم فإن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم

رضا بما يطلب قلت حاى فى نفسي أو صدرى مسحا على الخفين
 بعد الغائط والبول فهل سمعت من رسول الله فى ذلك شيئاً قال
 نعم كان يأمرنا إذا كنا سفراً أو مسافرين أن لا ننزع خفافنا ثلاثة
 أيام وليلاليهن إلا من جنابة ولكن من غائط أو بول أو نوم قلت هل
 سمعته يذكر الهدى قال نعم بينما نحن معه في مسیر إذ ناداه
 اعرابي بصوت له جهوري فقال يا محمد فأجابه على نحو من
 كلامه هاوم قال أرأيت رجلاً يحب قوماً ولم يلحق بهم قال المرء
 مع من أحب ثم لم يزل يحدثنا أن من قبل المغرب باباً يفتح الله
 عز وجل للتوبة مسيرة عرضه أربعون سنة ولا يغلق حتى تطلع
 الشمس من قبله وذلك قوله {يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا
 يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا} الأنعام 158 الآية ولد سنة 599 وتوفي في
 صفر سنة 671⁵⁰⁵

أنواع الاختلاف

*والاختلاف على ما ذكره الله في القرآن قسمان أحدهما أنه
 يذم الطائفتين جميعاً كما في قوله {وَلَا يَزَّلُونَ
 مُخْلِفِينَ} 118 {إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ} 119 هود 118-119
 فجعل أهل الرحمة مستثنين من الاختلاف وكذلك قوله {ذَلِكَ
 بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي
 شَقَاقٍ بَعِيدٍ} البقرة 176 وكذلك قوله {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ
 إِلَسْلَامٌ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ
 بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكُفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ} آل
 عمران 19 وقوله {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ
 بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} آل عمران 105

وقوله {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا بَيْنَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ
 إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ تُمْ يُبَيِّنُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ} الأنعام 159
 وكذلك وصف اختلاف النصارى بقوله {وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا
 نَصَارَى إِخْدَنَا مِثْقَلَهُمْ فَسُوْا حَظًّا مَمَّا نَكْرُوْا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمْ
 الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُبَيِّنُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا
 يَصْنَعُونَ} المائدة 41 ووصف اختلاف اليهود بقوله {وَأَفْتَنَاهُمْ
 بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلُّمَا أُوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ
 أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسِّعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ
} المائدة 64 وقال {فَتَقْتَلُوْا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا
لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ} المؤمنون 53 وكذلك النبي صلى الله عليه وسلم
لما وصف أن الأمة ستفترق على ثلات وسبعين فرقة قال كلها
في النار إلا واحدة وهي الجماعة وفي الرواية الأخرى من كان
على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي فبين أن عامة المختلفين
الذكور من الجانبيين إلا فرقة واحدة وهم أهل السنة والجماعة
وهذا الاختلاف المذموم من الطرفين يكون سببه تارة فساد النية
لما في النفوس من البغي والحسد وإرادة العلو في الأرض بالفساد
ونحو ذلك فيجب لذلك ذم قول غيره أو فعله أو غلبه ليتميز عليه
أو يحب قول من يوافقه في نسب أو مذهب أو بلد أو صدقة
ونحو ذلك لما في قيام قوله من حصول الشرف والرئاسة له وما
أكثر هذا فيبني آدم وهذا ظلم ويكون سببه تارة أخرى جهل
المختلفين بحقيقة الأمر الذي يتنازع عن فيه أو الجهل بالدليل الذي
يرشد به أحدهما الآخر أو جهل أحدهما بما مع الآخر من الحق
في الحكم أو في الدليل وإن كان عالما بما مع نفسه من الحق
حکماً ودلیلاً والجهل والظلم هما أصل كل شر كما قال سبحانه
{وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا} الأحزاب 72
أما
أنواع الاختلاف فهي في الأصل قسمان اختلاف تنوع واختلاف
تضاد واختلاف التنوع على وجوه منه ما يكون كل واحد من
القولين أو الفعلين حقاً مشرعوا كما في القراءات التي اختلف
فيها الصحابة حتى زجرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن

الاختلاف وقال كلاما محسن ومتنه اختلاف الأنواع في صفة الأذان والإقامة والاستفتاح والتشهيدات وصلاة الخوف وتكبيرات العيد وتكبيرات الجنائز إلى غير ذلك مما شرع جميعه وإن كان قد يقال إن بعض أنواعه أفضل ثم نجد لكثير من الأمة في ذلك من الاختلاف ما أوجب اقتتال طوائف منهم كاختلافهم على شفع الإقامة وإيثارها ونحو ذلك وهذا عين المحرم ومن لم يبلغ هذا المبلغ فتجد كثيرا منهم في قلبه من الهوى لأحد هذه الأنواع والإعراض عن الآخر أو النهي عنه ما دخل به فيما نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم ومنه ما يكون كل من القولين هو في الواقع في معنى قول الآخر لكن العبارتان مختلفتان كما قد يختلف كثير من الناس في ألفاظ الحدود والتعريفات وصيغ الأدلة والتعبير عن المسميات وتقسيم الأحكام وغير ذلك ثم الجهل أو الظلم هو الذي يحمل على حمد إحدى المقالتين ونفي الأخرى ومنه ما يكون المعنيان غيرين لكن لا يتنافيان فهذا قول صحيح وذلك قول صحيح وإن لم يكن معنى أحدهما هو معنى الآخر وهذا كثير في المنازعات جدا ومنه ما يكون طريقتان مشروعتان ولكن قد سلك رجل أو قوم هذه الطريقة وأخرون قد سلكوا الأخرى وكلاهما حسن في الدين ثم الجهل أو الظلم يحمل على ذم أحدهما أو تفضيله بلا قصد صالح أو بلا علم أو بلا نية وأما اختلاف التضاد فهو القرآن المتناقيان إما في الأصول وإما في الفروع عند الجمهور الذين يقولون المصيب واحد وإلا فمن قال كل مجتهد مصيب فعنه هو من باب اختلاف التنوع لا اختلاف التضاد فهذا الخطب فيه أشد لأن القولين يتناقيان لكن نجد كثيرا من هؤلاء قد يكون القول الباطل الذي مع منازعه فيه حق ما أو معه دليل يقتضي حقا ما فيرد الحق في هذا الأصل كله حتى يبقى هذا مبطلا في البعض كما كان الأول مبطلا في الأصل كما رأيته لكثير من أهل السنة في مسائل القدر والصفات والصحابة وغيرهم وأما أهل البدعة فالامر فيهم ظاهر وكما رأيته لكثير من الفقهاء أو لأكثر

المتأخرین فی مسائل الفقه وکذلک رأیت منه کثیرا بین بعض
 المتفقہة وبعض المتصوفة وبين فرق المتصوفة ونظائره کثیرة
 ومن جعل الله له هدایة ونورا رأى من هذا ما يتبعن له به منفعة
 ما جاء فی الكتاب والسنۃ من النھی عن هذا وأشباهه وإن كانت
 القلوب الصھیحه تذكر هذا ابتداء لكن نور على نور ومن لم
 يجعل الله له نورا فما له من نور وهذا القسم الذي سمیا
 اختلاف النوع کل واحد من المختلفین مصیب فیه بلا تردد لكن
 الذم واقع على من بغی على الآخر فيه وقد دل القرآن على حمد
 کل واحد من الطائفین فی مثل هذا إذا لم يحصل من أحداهما
 بغی كما فی قوله {مَا قطْعْتُمْ مِنْ لَيْلَةً أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى
 أَصْوَلِهَا فِي إِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ} الحشر 5 وقد كان
 الصحابة فی حصار بنی النضیر اختلقو فی قطع الأشجار
 والنخلیل فقط قوم وترك آخرون وكما فی قوله {وَدَاؤُودَ
 وَسُلَيْمانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنْمُ الْقَوْمِ وَكَنَّا
 لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ} 78 ففهمناها سلیمان وکلًا آتینا حکما وعلمًا
 وسخرنا مع داؤود الجبال یسبحن والطیر وکنًا فاعلین {79}
 الأنبياء 79-78 فخص سلیمان بالفهم وأثنى عليهما بالعلم
 والحكم وكما فی إقرار النبي صلی الله علیه وسلم يوم بنی
 قریظة وقد كان أمر المنادی ينادي لا يصلین أحد العصر إلا فی
 بنی قریظة من صلی العصر فی وقتها ومن آخرها إلى أن وصل
 إلى بنی قریظة وكما فی قوله صلی الله علیه وسلم إذا اجتهد
 الحاکم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد ولم یصب فله أجر ونظائره
 کثیرة وإذا جعلت هذا قسما آخر صار الاختلاف ثلاثة اقسام
 وأما القسم الثاني من الاختلاف المذکور فی كتاب الله فهو ما حمد
 فيه إحدى الطائفین وهم المؤمنون ودم فيه الآخری كما فی قوله
 تعالى {إِنَّكَ الرَّسُولَ فَضَلَّنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَمَ اللَّهُ
 وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْنَاتِ وَآتَيْنَاهُ
 بِرُوحِ الْفُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا افْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مَنْ بَعْدِ مَا
 جَاءَنَّهُمُ الْبَيْنَاتُ وَلَكِنَّ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ

شَاءَ اللَّهُ مَا افْتَنَّا وَلِكُنَّ اللَّهُ يَفْعُلُ مَا يُرِيدُ } الْبَقْرَةُ 253 فَوْلَهُ (وَلِكُنَّ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ) حَمْدٌ لِأَحَدٍ
الظَّانِفَيْنَ وَهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَذُمُّ الْآخَرِيْ 506

اتبع الناس للرسول اقلهم اختلافا

* ومعلوم أن الكفار فرقوا دينهم وكانوا شيئاً كما قال سبحانه
 {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَأَخْتَلُفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ
 وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } آل عمران 105 وقال {وَمَا تَفَرَّقَ
 الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ } البينة 4 وقال
 {وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِنَاقِبَهُمْ فَتَسْوِيَ حَظًا مَمَّا
 ذُكْرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ
 يُبَيِّنُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ } المائدة 14 وقال عن اليهود {
 وَلَيَزِدَنَ كَثِيرًا مَنْهُمْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَفْيَانًا
 بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ } المائدة 64 وقد قال
 تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام {لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ
 } الأنعام 159 وذلك يقتضي تبرؤه منهم في جميع الأشياء ومن
 تابع غيره في بعض أموره فهو منه في ذلك الأمر لأن قول القائل
 أنا من هذا وهذا مني أي أنا من نوعه وهو من نوعي لأن
 الشخصين لا يتحدا إلا بالنوع كما في قوله تعالى {بَعْضُكُمْ
 مِنْ بَعْضٍ } آل عمران 195 قوله عليه الصلاة والسلام لعلي
 أنت مني وأنا منك فقول القائل لست من هذا في شيء أي
 لست مشاركا له في شيء بل أنا متبرئ من جميع أموره وإذا
 كان الله قد برأ رسوله صلى الله عليه وسلم من جميع أمورهم
 فمن كان متبعاً للرسول صلى الله عليه وسلم حقيقة كان متبرئاً
 منهم كبرئه صلى الله عليه وسلم منهم ومن كان موافقاً لهم كان

506 اقتضاء الصراط ج: 1 ص: 39

مخالفا للرسول بقدر موافقته لهم فإن الشخصين المختلفين من كل وجه في دينهما كلما شابهت أحدهما خالفت الآخر⁵⁰⁷

* فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمْرٌ بِالْجَمَاعَةِ وَالْاِنْتِلَافِ وَذُنُمِ النَّفَرِ وَالْاِخْتِلَافِ
فَقَالَ تَعَالَى {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا} آل
عُمَرَانَ 103 وَقَالَ {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاَخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ
مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأَوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} 105 يَوْمَ تَبَيَّضُ
وُجُوهٌ وَتَسْوُدُ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرُتُمْ بَعْدَ
إِيمَانِكُمْ فَذُو قُوَّا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكُفُّرُونَ} 106 آل عُمَرَانَ 105-1

قال ابن عباس وغيره تبييض وجوه أهل السنة وتسود
وجوه أهل البدعة والفرقة وقال تعالى {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا
دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ} الأنعام 159 وقال
تعالى {فَلَقِمْ وَجْهَكَ لِلَّذِينَ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا
لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ} الروم 30 إلى قوله تعالى {وَلَا تَكُونُوا مِنَ
الْمُشْرِكِينَ} 31 {مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا} 32
الروم 32-33 وقد ذم أهل التفرق والاختلاف في مثل قوله
{وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ}
البينة 4 وفي مثل قوله {وَلَا يَزَّ الْوَنَ مُخْتَلِفِينَ} 118 {إِلَّا مَنْ
رَّحَمَ رَبُّكَ} 119 هود 118-119 وفي مثل قوله {وَإِنَّ
الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ} البقرة 176 وكذلك سنة
رسول الله صلى الله عليه وسلم توافق كتاب الله كالحديث

المشهور عنه الذي رواه مسلم بعضاً عن عبد الله بن عمرو
وسائره معروف في مسند أحمد وغيره من حديث عمرو بن
شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
خرج على أصحابه وهم يتنازرون في القدر ورجل يقول ألم يقل
الله كذا ورجل يقول ألم يقل الله كذا فكأنما فقيء في وجهه حب

الرمان قال أبها أمرتم إنما هلك من كان قبلكم بهذا ضربوا كتاب الله ببعض وإنما نزل كتاب الله ليصدق بعضه يعضا لا ليذب بعضه بعضا انظروا ما أمرتم به فا فعلوه وما نهيت عنه فاجتنبوه هذا الحديث أو نحوه وكذلك قوله المراء في القرآن كفر وكذلك ما أخر جاه في الصحيحين عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ قوله {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَآخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ} آل عمران 7 إلى قوله {فَإِنَّمَا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَبَغُ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ} آل عمران 7 فقال النبي صلى الله عليه وسلم إذا رأيتم الذين يتبعون متشابه منه فأولئك الذين سمي الله فاحذروهم 508

* وقال تعالى {إِنَّ الَّذِينَ فَرَقُوا بَيْنَهُمْ وَكَانُوا شَيْعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُبَيِّنُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ} الانعام 159
 فان القوم كلما بدوا عن اتباع الرسل والكتب المنزلة كان أعظم في تفرقهم واختلافهم فانهم يكونوا أضل كما في الحديث الذي رواه الترمذى عن ابى امامه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أتوا الجدل ثم قرأ قوله {مَا ضَرَبَ بُوْهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِيمُونَ} الزخرف 58 إذ لا يحكم بين الناس فيما تنازعوا فيه إلا كتاب منزل ونبي مرسل كما قال تعالى {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِّرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمُ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءُهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَعْدًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهُدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} البقرة 213 ولهذا قال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِ

⁵⁰⁸⁵⁰⁸الفتاوى الكبرى ج: 1 ص: 453 و منهاج السنة النبوية ج: 3 ص:

467 و درء التعارض ج: 1 ص: 48

الْأَمْرُ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَّ عِثْمٌ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا } النساء 59 وقد أنزل مع رسالته الكتاب والميزان كما قال تعالى {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا إِلَيْنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنَزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُولَمُ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنَزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَتَصْرُّهُ وَرَسُلُهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ } الحديد 25 وقال الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان } الشورى 17 والميزان قال كثير من المفسرين هو العدل وقال بعضهم هو ما به توزن الأمور وهو ما به يعرف العدل وكذلك قالوا في قوله } والسماء رفعها ووضع الميزان } الرحمن 17 الامثال المضروبة والاقيسة العقلية التي تجمع بين المتماثلات وتفرق بين المخالفات وقد امر الله بالجماعة والاختلاف ونهى عن الفرقه والاختلاف فقال تعالى {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَنَقِّرُوا } آل عمران 103 وقال تعالى {إِنَّ الَّذِينَ فَرَقُوا بَيْنَهُمْ وَكَانُوا شَيْعَاءِ لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ } الأنعام 159 وقال {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَأَخْتَلُفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ } آل عمران 105 وقد اخبر ان اهل الرحمة لا يختلفون فقال تعالى {وَلَا يَزَّ الْوَنَّ مُخْتَلِفِينَ } 118 إلآ من رَحْمَ رَبِّكَ } 119 هود 118-119 ولهذا يوجد اتباع الناس للرسول اقلهم اختلافا كأهل الحديث والسنّة فانهم اقل اختلافا من جميع الطوائف ثم من كان إليهم اقرب من جميع الطوائف المنتسبة الى السنّة كانوا اقل اختلافا فأما من بعد من السنّة كالمعترضة والرافضة فتجدهم اكثر الطوائف اختلافا 509509

وجوب الاجتماع في الدين

الرد على المنطقيين ج: 1 ص: 334 و مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 310

*وَأَمَّا دِينُ اللَّهِ وَهَدَاهُ الَّذِي أَنْزَلَ بِهِ كِتَابًا وَبَعَثَ بِهِ رَسُولًا فَهُوَ
إِتْبَاعُ كِتَابِهِ وَسُنْتِهِ فِي جَمِيعِ الْأَمْرِ وَتَرْكُ اِتْبَاعِ مَا يَخْالِفُ ذَلِكَ
فِي جَمِيعِ الْأَمْرِ وَالْإِجْمَاعِ عَلَى ذَلِكَ⁵¹⁰

*قال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ نُقَاتِهِ وَلَا تَمُوْثِنَ إِلَّا
وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} 102 {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرُّقُوا
وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ فَلَفَّ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَاصْبَحْتُمْ
بِنِعْمَتِهِ إِخْرَانًا} 103 آل عمران 102-103 إلى قوله تعالى {وَلَا
تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ} آل
عمران 105 إلى قوله {كُنْتُمْ خَيْرًا مِّنْ أَخْرَجْتُ لِلنَّاسِ} آل
عمران 110 فامرنا بـملازمة الاسلام الى الممات كما أمر الانبياء
جميعهم بالاسلام وان نعتصم بحبلة جميعا ولا نتفرق ونهانا أن
نكون كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وذكر أنه
تبين وجه وتسود وجه قال ابن عباس تبين وجه وهذا السنة
والجماعة وتسود وجه أهل البدعة والفرقة وذكر انه يقال لهم {
أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ} آل عمران 106 وهذا عائد الى قوله {وَلَا
تَمُوْثِنَ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} آل عمران 102 فأمر بـملازمة
الاسلام وبين ان المسودة وجوههم أهل التفرق والاختلاف يقال
لهم أكفرتم بعد ايمانكم وهذا دليل على كفرهم وارتدادهم وقد
تأولها الصحابه في الخارج وهذا نظير قوله للرسول {أَنْ
أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ} الشورى 13 وقد قال في البقرة
{كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ
مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحُكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ
فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أَوْتُواهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ
الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنْ الْحَقِّ إِلَيْنَاهُ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ
إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} البقرة 213 الآية وقال ايضا {إِنَّ الَّذِينَ

فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ } الأنعام 159

وقال تعالى {فَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُراً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرَحُونَ } المؤمنون 53 وقال تعالى {فَأَقْمَ وَجْهَكَ لِلَّذِينَ حَنِيفُهُمْ فَطَرَ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيْمَ وَلَكُنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } 30 مُنَبِّئِنَ إِلَيْهِ وَأَنْتُوْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ } 31 مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرَحُونَ } 32 الرَّوم 30-32 وقال تعالى {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعْيَادَ بَيْنَهُمْ } آل عمران 19 الآية {وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَعُهُمُ الْبَيِّنَةُ } البينة 4 الآية ونظيرها في الجاثية {وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعْيَادَ بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ } الجاثية 17 وقال الله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا } النساء 59 وقال تعالى {وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلَا خَوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غُلَّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَوْفٌ رَّحِيمٌ } الحشر 10 اذا كان الله تعالى قد أمرنا بطاعة الله وطاعة رسوله وأولى الامر منا وامرنا عند التنازع في شيء أن نرده إلى الله وإلى الرسول وامرنا بالاجتماع والاتفاق ونهانا عن التفرق والاختلاف وأمرنا أن نستغفر لمن سبقنا بالإيمان وسمانا المسلمين وأمرنا ان ندوم عليه الى الممات بهذه النصوص وما كان في معناها توجب علينا الاجتماع في الدين كاجتماع الأنبياء قبلنا في الدين وولاة الأمور فينا هم خلفاء الرسول قال النبي في الحديث الصحيح إن بنى إسرائيل كانت تسوسمهم الأنبياء كلما هلك نبى قام نبى وإنه لا نبى بعدى وسيكون خلفاء ويكثرون قالوا فما تأمرنا يا رسول الله قال اوفوا بيعة الأول فالاول وأدوا لهم الذى لهم فان الله سائلهم عما

استرعاهم وقال ايضا العلماء ورثة الانبياء وروى عنه أنه قال وددت أنى قد رأيت خلفائى قالوا ومن خلفاؤك قال الذين يحيون سنتى يعلمونها الناس فهو لاء هم ولادة الأمر بعده وهم الأمراء والعلماء وبذلك فسرها السلف ومن تبعهم من الأئمة كالامام احمد وغيره وهو ظاهر قد قررناه فى غير هذا الموضع فالأصول الثابتة بالكتاب والسنة والاجماع هى بمنزلة الدين المشتركة بين الانبياء ليس لأحد خروج عنها ومن دخل فيها كان من أهل الاسلام المغض وهم أهل السنة والجماعة⁵¹¹

*ومحمد صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء لا نبى بعده فعصم الله أمرته أن تجتمع على ضلاله وجعل فيها من تقوم به الحجة إلى يوم القيمة ولهذا كان إجماعهم حجة كما كان الكتاب والسنة حجة ولهذا امتاز أهل الحق من هذه الأمة والسنة والجماعة عن أهل الباطل الذين يزعمون أنهم يتبعون الكتاب ويعرضون عن سنة رسول الله وعما مضت عليه جماعة المسلمين فإن الله أمر في كتابه باتباع سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولزوم سبيله وأمر بالجماعة والاختلاف ونهى عن الفرقة والاختلاف فقال تعالى {إِنَّ الَّذِينَ فَرَقُوا بِيْنَهُمْ وَكَانُوا شَيْءًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ} الأنعام 159⁵¹²

*وقد ذم الله سبحانه أهل التفرق والاختلاف في الكتاب الذين يؤمن كل منهم ببعضه دون بعض⁵¹³

بعض صور التفرق والاختلاف

⁵¹¹ بـ مجموع الفتاوى ج: 19 ص: 115

⁵¹² مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 369

⁵¹³ مجموع الفتاوى ج: 12 ص: 341

التفرق والاختلاف في الكتاب والسنة

* وهذه الأصول الثلاثة وهي الإيمان بالله وبالاليوم الآخر والعمل الصالح هي الموجبة للسعادة في كل ملة كما قال تعالى {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِرِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرٌ هُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} البقرة 62 والشرع ما جاءت به الرسل وهو الأصل الرابع ذم الله التفرق والاختلاف في الكتاب والسنة فإن هذه الأصول الأربع مترابطة والتفرق في ذلك بالأمر في بعضه والنهي عن بعض هو من التفرق والاختلاف الذي ذمه الكتاب والسنة من المختلفين وقال تعالى {وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شَقَاقٍ بَعِيدٍ} البقرة 176 وقال تعالى {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ} الأنعام 159 وقال تعالى {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَأَخْتَلُفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ} آل عمران 105 ولهذا غضب النبي لما اختلفوا في القراءة وقال كلاهما محسن وقال إن القرآن نزل على سبعة أحرف فاقرؤوا منه ما تيسر وكذلك غضب لما تنازعوا في القدر وأخذوا يعارضون بين الآيات معارضة تقضي إلى الإيمان ببعض دون بعض وهذا التفرق والاختلاف يوجب الشرك وينافي حقيقة التوحيد الذي هو إخلاص الدين كله كما قال تعالى {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلَّدِينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيْمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} 30 مُنْبَيِّنَ إِلَيْهِ وَأَنْقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ} 31 الروم 30-31 فإقامة وجهة الدين حنيفاً وعبادة الله وحده لا شريك له وذلك يجمع الإيمان بكل ما أمر الله به وأخبر به أن يكون الدين كله الله ثم قال الله تعالى {وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} 31 {مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً} 32 الروم 32-31 وذلك أنه إذا كان الدين كله الله حصل الإيمان والطاعة لكل ما أنزله وأرسل به رسلاً وهذا يجمع كل حق

ويجمع عليه كل حق وإذا لم يكن كذلك فلا بد أن يكون لكل قول ما يمتازون به مثل معظم مطاع أو معبد لم يأمر الله بعبادته وطاعته ومثل قول ودين ابتدعوه لم يأذن الله به ولم يشرعه فيكون كل من الفريقين مشركا من هذا الوجه وأيضا ففي قلوببني آدم محبة وإرادة لما يتأنهونه ويعبدونه وذلك هو قوام قلوبهم وصلاح نفوسهم كما أن فيهم محبة وإرادة لما يطعمونه وينكحونه وبذلك تصلح حياتهم ويدوم شملهم و حاجتهم إلى التأله أعظم من حاجتهم إلى الغذاء فإن الغذاء إذا فقد يفسد الجسم وبفقد التأله تفسد النفس ولن يصلحهم إلا تأله الله وعبادته وحده لا شريك له وهي الفطرة التي فطروا عليها كما قال النبي في الحديث المتفق عليه كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمسانه وفي صحيح مسلم عن عياض بن حمار عن النبي فيما يروي عن ربه أنه قال إنني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين وحرمت عليهم ما أحلاط لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا لكن أكثر الشرك فيبني آدم بإيجاد إله آخر مع الله ودان بذلك كثير منهم في أنواع كثيرة⁵¹⁴

* فعن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة أو اثنتين وسبعين فرقة والنصارى مثل ذلك وتفرق أمتي على ثلات وسبعين فرقة رواه أبو داود وابن ماجة والترمذى وقال هذا حديث حسن صحيح وعن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أهل الكتاب افترقوا في دينهم على ثنتين وسبعين ملة وإن هذه الأمة ستفرق على ثلات وسبعين ملة يعني الأهواء كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة وقال إنه سيخرج من أمتي

⁵¹⁴ قاعدة في المحبة ج: 1 ص: 42

أقوام تتجارى بهم تلك الأهواء كما يتجاري الكلب بصاحبه فلا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله والله يا معشر العرب لئن لم تقوموا بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم لغيركم من الناس أخرى أن لا يقوم به هذا حديث محفوظ من حديث صفوان بن عمرو عن الأزهر بن عبد الله الحراري وعن أبي عامر عبد الله بن يحيى عن معاوية رواه عنه غير واحد منهم أبو اليمان وبقية وأبو المغيرة رواه أبو أحمد وأبو داود في سننه وقد روى ابن ماجه هذا المعنى من حديث صفوان بن عمرو عن راشد بن سعد عن عوف بن مالك الأشعري ويروى من وجوه آخر فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بافتراق أمته على ثلات وسبعين فرقة واثنتان وسبعون لا ريب أنهم الذين خاضوا كخوض الذين من قبلهم ثم هذا الاختلاف الذي أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم إما في الدين فقط وإما في الدين والدنيا ثم قد يؤول إلى الدنيا وقد يكون الاختلاف في الدنيا فقط وهذا الاختلاف الذي دلت عليه هذه الأحاديث هو مما نهى الله عنه في قوله سبحانه {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَأَخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} آل عمران 105 وقوله {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شَيْعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى أَنَّهُمْ ثُمَّ يُنَبِّهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ} الأنعام 159 وقوله {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَنْتَبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَاحِبُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقَوْنَ} الأنعام 153 وهو موافق لما رواه مسلم في صحيحه عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه أنه أقبل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في طائفة من أصحابه من العالية حتى إذا مر بمسجدبني معاوية دخل فركع فيه ركعتين وصلينا معه ودعا ربها طويلا ثم انصرف إلينا فقال سألت ربي ثلاثة فأعطياني اثنين ومنعني واحدة وسألت ربي أن لا يهلك أمتى بالسنة فأعطيتها وسألت ربي أن لا يهلك أمتى بالغرق فأعطيتها وسألته أن لا يجعل بأسمهم بينهم فمنعنيها وروى أيضا في صحيحه عن ثوبان رضي الله عنه قال قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإن أمتي سيلغ ملوكها ما روى منها وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض وإنني سألت ربى لأمتى أن لا يهلكها بسنة بعامة وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم وإن ربى قال يا محمد إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد وإنني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة بعامة وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها أو قال من بين أقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً رواه البرقاني في صحيحه وزاد وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضللين وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيمة ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين وحتى يبعد فئام من أمتي الأوثان وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثة كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى وهذا المعنى محفوظ عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير وجه يشير إلى أن الفرقية والاختلاف لا بد من وقوعهما في الأمة وكان يحذر أمته منه لينجو من الوقوع فيه من شاء الله له السلام كما روى النزال بن سبرة عن عبد الله بن مسعود قال سمعت رجلاً قرأ آية سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ خلافها فأخذت بيده فانطلقت به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فعرفت في وجهه الكراهة وقال كلاماً محسن ولا تختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا رواه مسلم نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الاختلاف الذي فيه جد كل واحد من المختلفين ما مع الآخر من الحق لأن كلا القارئين كان محسنا فيما قرأه وعلل ذلك بأن من كان قبلنا اختلفوا فهلكوا ولهذا قال حذيفة لعثمان أدرك هذه الأمة لا تختلف في الكتاب كما اختلفت فيه الأمم قبلهم لما رأى أهل الشام وأهل العراق يختلفون في حروف القرآن الاختلاف الذي نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأفاد ذلك شيئاً

أحد هما تحريم الاختلاف في مثل هذا والثاني الاعتبار بمن
كان قبلنا والحضر من مشابهتهم⁵¹⁵

*دين الإسلام الذي بعث الله به جميع الرسل وهو عبادة الله وحده لا شريك له فإن هذا دين الإسلام الذي لا يقبل الله من أحد من الأولين والآخرين ديناً غيره وكذلك الإسلام العام وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إننا معاشر الأنبياء ديننا واحد وإن أولى الناس بابن مريم لأنها ليس بيديه وبينهنبي ولهذا ترجم البخاري على ذلك باب من جاء في أن دين الأنبياء واحد وقال تعالى {شَرَعَ لَكُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُورًا وَالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تُنَفَّرُّ قُوَّا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ} 13 الشورى فقد أمر الرسل أن يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وقال تعالى في الآية الأخرى {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شَيْعَةً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ} 159 الانعام فدم الدين تفرقوا على الأنبياء فامن هؤلاء ببعض وهؤلاء ببعض وهم الذين فرقوا دينهم وكانوا شيئاً⁵¹⁶

*ونحن علينا أن نتبع ما أنزل علينا من ربنا من الكتاب والحكمة وتلزم الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ونتعتصم بحبل الله جميعاً ولا ننفرق ونأمر بما أمر الله به وهو المعروف وننهى عما نهى عنه وهو المنكر وأن نتحرى الأخلاص لله في أعمالنا فان هذا هو دين الإسلام قال الله تعالى {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا

⁵¹⁵اقضاء الصراط ج: 1 ص: 22

⁵¹⁶الصفدية ج: 2 ص: 306

دِينَهُمْ وَكَانُوا شَيْعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ
يُنَبِّهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ } الْأَنْعَامُ 159

* ان الله تبارك وتعالى أكمل الدين بمحمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين وبينه وبلغه البلاغ المبين فلا تحتاج أمهه إلى أحد بعده يغير شيئاً من دينه وإنما تحتاج إلى معرفة دينه الذي بعث به فقط وأمهه لا تجتمع على ضلاله بل لا يزال في أمهه طائفة قائمة بالحق حتى تقوم الساعة فإن الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله فأظهره بالحجۃ والبيان وأظهره باليد والسان ولا يزال في أمهه ظاهرة بهذا وهذا حتى تقوم الساعة والمقصود هنا أن ما اجتمعت عليه الأمة إجماعاً ظاهراً تعرفه العامة والخاصة فهو منقول عن نبيهم صلى الله عليه وسلم ونحن لا نشهد بالعصمة إلا لمجموع الأمة وأما كثير من طوائف الأمة ففيهم بدع مخالفة للرسول وبعضها من جنس بدع اليهود والنصارى وفيهم فجور ومعاصي لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بريء من ذلك كما قال تعالى له { إِنَّ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شَيْعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ } 159 الآية الأنعام وقال صلى الله عليه وسلم من رغب عن سنتي فليس مني وذلك مثل إجماعهم على أن محمداً صلى الله عليه وسلم أرسل إلى جميع الأمم أهل الكتاب وغير أهل الكتاب فإن هذا تلقوه عن نبيهم صلى الله عليه وسلم وهو منقول عندهم نقلًا متواتراً يعلمونه بالضرورة وكذلك إجماعهم على استقبال الكعبة البيت الحرام في صلاتهم فإن هذا الإجماع منهم على ذلك مستند إلى النقل المتواتر عن نبيهم وهو مذكور في كتابهم وكذلك الإجماع

على وجوب الصلوات الخمس وصوم شهر رمضان وحج البيت
 العتيق الذي بناه إبراهيم خليل الرحمن ودعا الناس إلى حجه⁵¹⁸
 *وَذُمُّ الَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَخَتَلُوا فِي الْكِتَبِ وَهُمُ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ
 دُونِ بَعْضٍ فَيَكُونُ مَعَ هُؤُلَاءِ بَعْضٌ وَمَعَ هُؤُلَاءِ بَعْضٍ كَوْلُهُ
 {وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ} البقرة 176 وقوله
 {وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُواهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَعْيَانًا
 بَيْنَهُمْ} البقرة 213⁵¹⁹

*ففي صفات العبادات الظاهرة التي حصل فيها تنازع بين الأمة
 في الرواية والرأي مثل الأذان والجهر بالسملة والقنوت في
 الفجر والتسليم في الصلاة ورفع الأيدي فيها ووضع الأكف فوق
 الأكف ومثل التمتع والإفراد والقرآن في الحج ونحو ذلك فإن
 التنازع في هذه العبادات الظاهرة والشعائر أوجب أنواعا من
 الفساد الذي يكرهه الله ورسوله وعباده المؤمنون أحدها
 التفرق والإختلاف المخالف للإجتماع والإنلاف حتى يصير
 بعضهم يبغض بعضاً ويعاديه ويحب بعضاً ويواлиه على غير
 ذات الله وحتى يفضي الأمر ببعضهم إلى الطعن واللعن والهمز
 واللمز وببعضهم إلى الإنقتل بالأيدي والسلاح وببعضهم إلى
 المهاجرة والمقاطعة حتى لا يصلى بعضهم خلف بعض وهذا كله
 من أعظم الأمور التي حرمتها الله ورسوله والإجتماع والإنلاف
 من أعظم الأمور التي أوجبها الله ورسوله قال الله تعالى { يَا
 أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوْذِنُ إِلَّا وَأَنْتُمْ
 مُسْلِمُونَ } 102 { وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا
 } 103 { آل عمران 102-103 إلى قوله } وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ
 تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ
 عَظِيمٌ } 105 { يَوْمَ تَبَيَّنُضُّ وُجُوهُ وَتَسُودُ وُجُوهُ } 106 { الـ

⁵¹⁸518 الجواب الصحيح ج: 1 ص: 363

⁵¹⁹519 مجموع الفتاوى ج: 12 ص: 13

عمران 105-106 قال ابن عباس تبیض وجوه أهل السنة والجماعة وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة وكثير من هؤلاء يصیر من أهل البدعة بخروجه عن السنة التي شرعاها رسول الله لأمته ومن أهل الفرقة بالفرقة المخالفة للجماعة التي أمر الله بها رسوله قال تعالى {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شَيْعَةً لَّهُنَّ مِّنْهُمْ فِي شَيْءٍ} الأئمّة 159 وقال تعالى {فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا دَارَتَ بَيْنَكُمْ} الأنفال 1 وقال {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} فأصلحوا بين أخويكم الحجرات 10 وقال {إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ} النساء 114 وهذا الأصل العظيم وهو الإعتصام بحبل الله جمیعاً وأن لا يتفرق هو من أعظم أصول الإسلام وما عظمت وصیة الله تعالى به في كتابه وما عظم ذمه لمن تركه من أهل الكتاب وغيرهم وما عظمت به وصیة النبي في مواطن عامة وخاصة مثل قوله عليكم بالجماعة فإن يد الله على الجماعة وقوله فإن الشیطان مع الواحد وهو من الإثنين أبعد وقوله من رأى من أمیرہ شيئاً يکرهه فليصبر عليه فإنه من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه وقوله إلا أنینکم بأفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قالوا بل يا رسول الله قال صلاح ذات البین فإن فساد ذات البین هي الحالقة لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين وقوله من جاءكم وامرکم على رجل واحد منکم يريد أن يفرق جماعتکم فإذا ضربوا عنقه بالسيف كائنا من كان وقوله يصلون لكم فإن أصابوا فلكم ولهم وإن أخطأوا فلهم وعليهم وقوله ستفترق هذه الأمة على ثلات وسبعين فرقة منها واحدة ناجية وإثنتان وسبعون في النار وقيل ومن الفرقة الناجية قال هي الجماعة يد الله على الجماعة و باب الفساد الذي وقع في هذه الأمة بل وفي غيرها هو التفرق والإختلاف فإنه وقع بين امرائها وعلمائها من ملوكها ومشايخها وغيرهم من ذلك ما الله به عليم وإن كان بعض ذلك مغفوراً لصاحبه لإنجاته

الذى يغفر فيه خطوه أو لحسناته الماحية أو توبته أو لغير ذلك لكن يعلم أن رعايته من اعظم أصول الإسلام ولهذا كان إمتياز أهل النجاة عن أهل العذاب من هذه الأمة بالسنة والجماعة ويدركون فى كثير من السنن والآثار فى ذلك ما يطول ذكره وكان الأصل الثالث بعد الكتاب والسنة الذى يجب تقديم العمل به هو الإجماع فإن الله لا يجمع هذه الأمة على ضلاله⁵²⁰

2-الرافضة سلكوا في الصحابة مسلك التفرق

* والرافضة سلكوا في الصحابة مسلك التفرق فوالوا بعضهم وغلوا فيه وعادوا بعضهم وغلوا في معاداته وقد يسلك كثير من الناس ما يشبه هذا في أمرائهم وملوكهم وعلمائهم وشيوخهم فيحصل بينهم رفض في غير الصحابة تجد أحد الحزبين يتولى فلاناً ومحبيه ويبغض فلاناً ومحبيه وقد يسب ذلك بغير حق وهذا كله من التفرق والتشييع الذي نهى الله عنه ورسوله فقال تعالى {إِنَّ الَّذِينَ فَرَقُوا بَيْنَهُمْ وَكَانُوا شَيْعَاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ} الأنعام 159 وقال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِلِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} 102 {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَنْفَرُوا وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ فَآلَّفُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَاصْبَحُوكُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا} 103 آل عمران 102-103 وقال تعالى {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَأَخْتَلُفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأَوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} 105 {يَوْمَ تَبَيَّنُ وُجُوهُ وَتَسْوُدُ وُجُوهٌ فَلَمَّا الَّذِينَ اسْوَدُتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرُتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ} 106 {وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} 107 آل عمران 105-107 قال ابن عباس تبييض وجوه أهل السنة وتسود وجوه أهل البدعة ولهذا كان أبو أمامة الباهلي وغيره

يتأولها في الخوارج فالفاتحة تعالى قد أمر المؤمنين كلهم أن يعتصموا بحبله جمِيعاً ولا يتفرقوا وقد فسر حبله بكتابه وبدينه وبالإسلام وبالإخلاص وبأمره وبعهده وبطاعته وبالجماعة وهذه كلها منقوله عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وكلها صحيحة فإن القرآن يأمر بدين الإسلام وذلك هو عهده وأمره وطاعته والإعتصام به جمِيعاً إنما يكون في الجماعة ودين الإسلام حقيقته الإخلاص لله وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله يرضي لكم ثلاثة أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وأن تعتصموا بحبل الله جمِيعاً ولا تفرقوا وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم وقال لما ذكر الأمر بالجهاد وأن من الناس من يبطئ عنه {أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدةً وَإِنْ تُصِبُّهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبُّهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكُمْ فَلَمَّا كُلَّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَا لِهُؤُلَاءِ الْقَوْمُ لَا يَكَادُونَ يَفْهَمُونَ حَدِيثاً }78 {مَا أَصَابَكُمْ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكُمْ }79 النساء 78 521

3- زوال الألفة والعصمة واخوة الدين

* ان الله بعث محمداً بالحق وأنزل عليه الكتاب وكان قد بعث إلى ذوى أهواء متفرقة وقلوب متشتة وآراء متباعدة فجمع به الشمل وألف به بين القلوب وعصم به من كيد الشيطان ثم إنه سبحانه وتعالى بين أن هذا الأصل هو الجماعة عماد دينه فقال سبحانه {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ }102 {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَإِذْكُرُوا نَعْمَاتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ فَأَلَّفَ بَيْنَ قَلُوبِكُمْ فَاصْبَحُوكُمْ يُنْعَمُتُهُ إِخْرَاجُكُمْ عَلَى شَفَافِ حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَانْقَذُكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ إِلَيْكُمْ أَنَّهُ يُعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ }

منهاج السنة النبوية ج: 5 ص: 136-138 521

لِكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهَدُونَ {103} وَلَا تَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَذْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ
 وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ
 الْمُفْلِحُونَ {104} وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَقْرَفُوا وَأَخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا
 جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ {105} يَوْمَ تَبَيَّضُ وُجُوهُ
 وَتَسْوَدُ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرُ ثُمَّ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ
 فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْתُمْ تَكْفُرُونَ {106} آل عمران 102-106
 قال ابن عباس رضى الله عنهم تبیض وجوه أهل السنة وتسود
 وجوه أهل البدعة فانظروا رحمة الله كيف دعا الله إلى
 الجماعة ونهى عن الفرقة وقال في الآية الأخرى {إِنَّ الَّذِينَ فَرَقُوا
 بَيْنَهُمْ وَكَانُوا شِيعَاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ} الأنعام 159 فبراً نبيه
 من الذين فرقوا بينهم وكأنوا شيئاً كما نهانا عن التفرق
 والاختلاف بقوله {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَقْرَفُوا وَأَخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا
 جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ} آل عمران 105 وقد كره النبي من المجادلة ما
 يفضي إلى الإختلاف والتفرق فخرج على قوم من أصحابه وهم
 يتجادلون في القدر فكانوا فقيء في وجهه حب الرمان وقال
 أبهذا أمرتم أم إلى هذا دعيتكم أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض
 إنما هلك من كان قبلكم بهذا ضربوا كتاب الله بعضه ببعض
 قال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهم فما أبغط نفسي كما
 غبطتها ألا أكون في ذلك المجلس روى هذا الحديث أبو داود في
 سننه وغيره وأصله في الصحيحين والحديث المشهور عنه صلى
 الله عليه وسلم في السنن وغيرها انه قال تفرق أمتى على
 ثلاث وسبعين فرقة كلهم في النار إلا واحدة قيل يا رسول الله
 ومن هي قال من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي
 وفي رواية هي الجماعة وفي رواية يد الله على
 الجماعة فوصف الفرقة الناجية بأنهم المستمسكون بسننه
 وأنهم هم الجماعة وقد كان العلماء من الصحابة والتابعين
 ومن بعدهم إذا تنازعوا في الأمر اتبعوا أمر الله تعالى في قوله
 {فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ
 بِاللَّهِ وَالْيَوْمَ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} النساء 59 وكانوا

يتنازرون في المسألة مناظرة مشاوره ومناصحة وربما اختلف قولهم في المسألة العلمية والعملية مع بقاء الألفة والعصمة وأخوة الدين نعم من خالف الكتاب المستبين والسنة المستقيضة أو ما أجمع عليه سلف الأمة خلافا لا يعذر فيه فهذا يعامل بما يعامل به أهل البدع فعائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قد خالفت ابن عباس وغيره من الصحابة في أن محمدا رأى ربه وقالت من زعم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله تعالى الفريدة وجمهور الأمة على قول ابن عباس مع أنهم لا يبدعون المانعين الذين وافقوا أم المؤمنين رضى الله عنها وكذلك أنكرت أن يكون الأموات يسمعون دعاء الحي لما قيل لها أن النبي قال ما أنت بأسمع لما أقول منهم فقلت إنما قال أنهم ليعلمون الآن أن ما قلت لهم حق ومع هذا فلا ريب أن الموتى يسمعون خفق النعال كما ثبت عن رسول الله وما من رجل يمر بقبر الرجل كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام صح ذلك عن النبي إلى غير ذلك من الأحاديث وأم المؤمنين تأولت والله يرضي عنها وكذلك معاوية نقل عنه في أمر المعراج أنه قال إنما كان بروحه والناس على خلاف معاوية رضي الله عنه ومثل هذا كثير وأما الاختلاف في الأحكام فأكثر من أن ينضبط ولو كان كل ما اختلف مسلمان في شيء تهاجر لم يبق بين المسلمين عصمة ولا أخوة ولقد كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهم سيدا المسلمين يتنازعان في أشياء لا يقصدان إلا الخير وقد قال النبي لأصحابه يوم بنى قريظة لا يصلين أحد العصر إلا في بنى قريظة فأدركتهم العصر في الطريق فقال قوم لا نصلى إلا في بنى قريظة وفانتهم العصر وقال قوم لم يرد منا تأخير الصلاة فصلوا في الطريق فلم يعب واحدا من الطائفتين أخرجاه في الصحيحين من حديث ابن عمر وهذا وإن كان في الأحكام فما لم يكن من الأصول المهمة فهو ملحق بالأحكام وقد قال إلا أنبيئكم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

قالوا بلى يا رسول الله قال صلاح ذات البين فإن فساد ذات البين
 هي الحالة لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين رواه أبو
 داود من حديث الزبير بن العوام رضي الله عنه وصح عنه
 أنه قال لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث يلتقيان فيصد
 هذا ويصد هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام نعم صح عنه أنه
 هجر كعب بن مالك وصاحبيه رضي الله عنهم لما تخلفوا عن
 غزوة تبوك وظهرت معصيتهم وخيف عليهم النفاق فهجرهم
 وأمر المسلمين بهجرهم حتى أمرهم باعتزال أزواجهم من غير
 طلاق خمسين ليلة إلى أن نزلت توبتهم من السماء وكذلك أمر
 عمر رضي الله عنه المسلمين بهجر صبيح بن عسل التميمي لما
 رأه من الذين يتبعون ما تشبه من الكتاب إلى أن مضى عليه
 حول وتبيّن صدقه في التوبة فأمر المسلمين بمراجعته فبها
 ونحوه رأى المسلمون أن يهجروا من ظهرت عليه علامات
 الزيف من المظہرين للبدع الداعين إليها والمظہرين للكبائر فاما
 من كان مستتراً بمعصية أو مسراً لبدعة غير مكفرة فان هذا لا
 يهجر وإنما يهجر الداعي إلى البدعة إذ الهجر نوع من العقوبة
 وإنما يعاقب من أظهر المعصية قوله أو عملاً وأما من أظهر
 لنا خيراً فـإنا نقبل علانيته ونكل سريرته إلى الله تعالى فإن غايته
 أن يكون بمنزلة المنافقين الذين كان النبي صلى الله عليه وسلم
 يقبل علانيتهم ويكل سرائرهم إلى الله لما جاءوا إليه عام تبوك
 يحلفون ويعذرون ولهذا كان الإمام احمد وأكثر من قبله
 وبعده من الأئمة كمالك وغيره لا يقبلون روایة الداعي إلى بدعة
 ولا يجالسوه بخلاف الساكت وقد أخرج أصحاب الصحيح عن
 جماعات من رمي ببدعة من الساكتين ولم يخرجوا عن الدعاة
 إلى البدع⁵²²

⁵²² مجموع الفتاوى ج: 24 ص: 171-175

* والواجب على الجميع ان يكونوا يدا واحدة مع الحقى على المبطل فيكون المعظم عندهم من عظمه الله ورسوله والمقدم عندهم من قدمه الله ورسوله والمحبوب عندهم من أحبه الله ورسوله والمهان عندهم من أهانه الله بحسب ما يرضى الله ورسوله لا بحسب الأهواء فانه من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعص الله ورسوله فانه لا يضر إلا نفسه فهذا هو الأصل الذى عليهم اعتماده وحيثنى فلا حاجة الى تفرقهم وتشيعهم فان الله تعالى يقول {إِنَّ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ} الأنعام 159 وقال تعالى {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَأَخْتَلُفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ} آل عمران 105⁵²³

* إن الله تعالى أمرنا بالجماعة والإئتلاف ونهانا عن الفرقة والإختلاف وقال لنا فى القرآن {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا} آل عمران 103 وقال {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَأَخْتَلُفُوا} آل عمران 105 وأن الله أمر بالجماعة الإئتلاف ونهى عن البدعة والاختلاف وقال {إِنَّ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ} الأنعام 159 وقال النبي عليكم بالجماعة فإن يد الله على الجماعة وقال الشيطان مع الواحد وهو من الإثنين أبعد وقال الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم والذئب إنما يأخذ القاصية والنائية من الغنم فالواجب على المسلم إذا صار في مدينة من مدن المؤمنين أن يصلى معهم الجمعة والجماعة ويyoالي المؤمنين ولا يعاديهם وإن رأى بعضهم ضالا أو غاويا وأمكن أن يهديه ويرشهده فعل ذلك وإلا يكلف الله نفسا إلا وسعها وإذا كان قادرا على أن يولي في إمامه المسلمين الأفضل ولاه وإن قدر أن يمنع من يظهر البدع والفجور منعه⁵²⁴

⁵²³ مجموع الفتاوى ج: 28 ص: 17

⁵²⁴ مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 284

4- تكفير الطائفة غيرها من طوائف المسلمين

وإستحلال دمائهم وأموالهم

* قال مجاهد في قوله تعالى {إِنَّ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً} **الأنعام 159** قال هم أهل البدع والشبهات فهم في أمور مبتدعة في الشرع مشتبهة في العقل ⁵²⁵

* ومن البدع المنكرة تكفير الطائفة غيرها من طوائف المسلمين وإستحلال دمائهم وأموالهم كما يقولون هذا زرع البدعي ونحو ذلك فإن هذا عظيم لوجهين أحدهما أن تلك الطائفة الأخرى قد لا يكون فيها من البدعة أعظم مما في الطائفة المكفرة لها بل تكون بدعة المكفرة أغلظ أو نحوها أو دونها وهذا حال عامة أهل البدع الذين يكفر بعضهم بعضاً فإنه إن قدر أن المبتدع يكفر كفر هؤلاء وهؤلاء وإن قدر أنه لم يكفر لم يكفر هؤلاء ولا هؤلاء فكون إحدى الطائفتين تكفر الأخرى ولا تكفر طائفتها هو من الجهل والظلم وهؤلاء من الذين قال الله تعالى فيهم {إِنَّ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ} **الأنعام 159** والثانية أنه لو فرض أن إحدى الطائفتين مختصة بالبدعة لم يكن لأهل السنة أن يكفروا كل من قال قولًا أخطأ فيه فإن الله سبحانه قال {رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذنَا إِن نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا} **البقرة 286** وثبت في الصحيح أن الله قال قد فعلت وقال تعالى {وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ} **الأحزاب 5** وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله تجاوز لي عن أمتي الخطأ والنسيان وهو حديث حسن رواه ابن ماجه وغيره وأجمع الصحابة وسائر أئمة المسلمين

على أنه ليس كل من قال قولًا أخطأ فيه أنه يكفر بذلك وان كان قوله مخالفًا للسنة فتكفير كل مخطئ خلاف الإجماع لكن للناس نزاع في مسائل التكفير قد بسطت في غير هذا الموضوع و المقصود هنا أنه ليس لكل من الطوائف المنتسبين إلى شيخ من الشيوخ ولا إمام من الأئمة أن يكفروا من عداهم بل في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باهأ بها أحدهما وقال أيضًا المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه وقال لا تقاطعوا ولا تذابروا ولا تبغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخواناً وقال مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكي منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر وليس للمنتسبين إلى ابن مزروق أن يمنعوا من مناكحة المنتسبين إلى العوفى لإعتقادهم أنهم ليسوا أكفاء لهم بل أكرم الخلق عند الله أتقاهم من أي طائفة كان من هؤلاء وغيرهم كما قال تعالى {يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إنَّ أكْرَمُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَيْرٌ} الحجرات 13 وفي الصحيح أن النبي سئل أي الناس أكرم قال أتقاهم وفي السنن عنه أنه قال لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأبيض على أسود ولا لأسود على أبيض إلا بالتفوي الناس من آدم وآدم خلق من تراب

526

* وفي الصاح عن النبي أنه قال مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكي منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر وفي الصحاح أيضاً أنه قال المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه ببعضه وشبك بين اصابعه

وفي الصحاح أيضا انه قال والذى نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه وقال صلى الله عليه وسلم المسلم أخو المسلم لا يسلمه ولا يظلمه وأمثال هذه النصوص في الكتاب والسنة كثيرة وقد جعل الله فيها عباده المؤمنين بعضهم أولياء بعض وجعلهم إخوة وجعلهم متناصرين متراحمين متعاطفين وأمرهم سبحانه بالائتلاف ونهاهم عن الاافتراق والاختلاف فقال **{وَاعْتَصِمُوا بِحَلْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُواْ} {آل عمران: 103}** وقال **{إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ بَيْنَهُمْ وَكَانُواْ شَيْعَالْسُتَّ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ} {الأنعام: 159}** الآية فكيف يجوز مع هذا لأمة محمد أن تفترق وتختلف حتى يوالي الرجل طائفة ويعادي طائفة أخرى بالظن والهوى بلا برهان من الله تعالى وقد برأ الله نبيه من كان هكذا⁵²⁷

*من أعظم أصول الإسلام الذي هو معرفة الجماعة وحكم الفرقه والتقايل والتکفير والتلاعن والتباغض وغير ذلك فنقول هذا الباب أصله المحرم فيه من البغي فإن الإنسان ظلوم جهول قال تعالى إن الذين فرقوا بينهم وكانوا شيئا لست منهم في شيء سورة الأنعام 159 في غير موضع وقد ثبت في الصحيحين عن النبي ص أنه قال لتسليكن سنن من قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا يا رسول الله فمن قال اليهود والنصارى ثم إنه من مسائل الخلاف ما يتضمن أن اعتقاد أحدهما يوجب عليه بغض الآخر ولعنه أو تفسيقه أو تکفيره أو قتاله فإذا فعل ذلك مجتها مخطئا كان خطأه مغفورا له وكان ذلك في حق الآخر مهنة في حقه وفته وبلاء ابتلاه به وهذه حال البغاة المتأولين مع أهل العدل سواء كان ذلك بين أهل اليد والقتل من الأمراء ونحوهم أو بين أهل اللسان والعمل من العلماء والعباد ونحوهم وبين من يجمع

الأمرین ولكن الاجتہاد السائغ لا يبلغ مبلغ الفتنة والفرقة إلا مع البغى لا لمجرد الاجتہاد كما قال تعالى إن الذين فرقوا بينهم و كانوا شيئاً لست منهم في شيء سورة الأنعام 159

فلا يكون فتنۃ وفرقۃ مع وجود الاجتہاد السائغ بل مع نوع بغي ولهذا نهى النبي ص عن القتل في الفتنة وكان ذلك من أصول السنة وهذا مذهب أهل السنة والحديث وأئمۃ اهل المدينة من فقهائهم وغيرهم ومن الفقهاء من ذهب إلى أن ذلك يكون مع وجود العلم التام من أحدهما والبغى من الآخر فيجب القتل مع العادل حينئذ وعلى هذا الفتنة الكبرى بين أهل الشام والعراق هل كان الأصوب حال القاعدین أو حال المقاتلين من أهل العراق والنصوص دلت على الأول وقالوا كان ترك قتال أهل العراق أصوب وإن كانوا أقرب إلى الحق وأولى به من الشام إذ ذاك كما بسطنا الكلام في هذا في غير هذا الموضوع وتكلمنا على الآيات والاحادیث في ذلك ومن أصول هذا الموضوع أن مجرد وجود البغى من إمام أو طائفة لا يوجب قتالهم بل لا يبيحه بل من الأصول التي دلت عليها النصوص أن الإمام الجائز الظالم يؤمر الناس بالصبر على جوره وظلمه وبغيه ولا يقاتلونه كما أمر النبي ص بذلك في غير حديث فلم يأذن في دفع البغى مطقا بالقتل بل إذا كانت فيه فتنۃ نھی عن دفع البغى به وأمر بالصبر

528

5- ان كثیراً من نزاع الناس سببه ألفاظ مجملة مبتدعة ومعان مشتبهة

* ومن الأصول الكلية أن يعلم أن الألفاظ نوعان نوع جاء به الكتاب والسنة فيجب على كل مؤمن أن يقر بموجب ذلك فيثبت

الاستقامة ج: 1 ص: 26⁵²⁸

ما أثبته الله ورسوله وينفي ما نفاه الله ورسوله فاللفظ الذى أثبته الله أو نفاه حق فان الله يقول الحق وهو يهدى السبيل والآلفاظ الشرعية لها حرمة ومن تمام العلم أن يبحث عن مراد رسوله بها ليثبت ما أثبته وينفي ما نفاه من المعانى فإنه يجب علينا أن نصدقه فى كل ما أخبر ونطيه فى كل ما أوجب وأمر ثم إذا عرفنا تفصيل ذلك كان ذلك من زيادة العلم والإيمان وقد قال تعالى { يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ } المجادلة 1 وأما الألفاظ التى ليست فى الكتاب والسنة ولا اتفق السلف على نفيها أو إثباتها فهذه ليس على أحد أن يوافق من نفاهما أو أثبتتها حتى يستقرس عن مراده فان أراد بها معنى يوافق خبر الرسول أقر به وان أراد بها معنى يخالف خبر الرسول أنكره ثم التعبير عن تلك المعانى ان كان فى ألفاظه اشتباه او اجمال عبر بغيرها او بين مراده بها بحيث يحصل تعريف الحق بالوجه الشرع فان كثيرا من نزاع الناس سببه ألفاظ مجملة مبتدعة ومعان مشتبهة حتى تجد الرجلين يتخاصمان ويتعدايان على اطلاق ألفاظ ونفيها ولو سئل كل منهما عن معنى ما قاله لم يتصوره فضلا عن أن يعرف دليله ولو عرف دليله لم يلزم أن من خالقه يكون مخطئا بل يكون فى قوله نوع من الصواب وقد يكون هذا مصيبة من وجه وهذا مصيبة من وجه وقد يكون الصواب فى قول ثالث وكثيرا من الكتب المصنفة فى أصول علوم الدين وغيرها تجد الرجل المصنف فيها فى المسألة العظيمة كمسألة القرآن والرؤيا والصفات والمعاد وحدوث العالم وغير ذلك يذكر أقوالا متعددة والقول الذى جاء به الرسول وكان عليه سلف الأمة ليس فى تلك الكتب بل ولا عرفة مصنفوها ولا شعرووا به وهذا من أسباب توكيده التفرق والاختلاف بين الأمة وهو مما نهيت الأمة عنه كما فى قوله تعالى { وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَقَرَّقُوا وَأَخْتَافُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءُهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } 105 يوم تبييض وجوه وتسود وجوه فأمما الذين اسوذت وجوههم { 106 } قال ابن عمران 105-106 قال ابن عباس

تبين وجه أهل السنة والجماعة وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة وقد قال تعالى {إِنَّ الَّذِينَ فَرَقُوا بَيْنَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ} الأنعام 159 وقال تعالى {وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ أُفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ} البقرة 176 وقد خرج النبي على أصحابه وهم يتنازعون في القدر وهذا يقول ألم يقول الله كذا وهذا يقول ألم يقول الله كذا فقال أبهذا أمرتم أم إلى هذا دعيتكم إنما هلك من كان قبلكم بهذا أن ضربوا كتاب الله بعضه ببعض انظروا ما أمرتم به فافعلوه وما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمر الناس به أن يعملوا بمحكم القرآن 529 ويؤمنوا بمتشابهه

المراد بالحسنة والسيئة عند عامة المفسرين

* والذي عليه عامة المفسرين أن الحسنة و السيئة يراد بها النعم والمصائب ليس المراد مجرد ما يفعله الإنسان باختياره باعتباره من الحسنات أو السيئات ولفظ الحسنات و السيئات في كتاب الله يتناول هذا و هذا قال الله تعالى عن المنافقين {إِن تَمْسِكُمْ حَسَنَةً تَسُؤُهُمْ وَإِن تُصِبُّكُمْ سَيِّئَةً يُفَرِّحُوا بِهَا وَإِن تُصِبُّرُوا وَتَنْتَهُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا} آل عمران 120 و قال تعالى في حق الكفار المتطرفين بموسى و من معه {فَإِنَّمَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِن تُصِبُّهُمْ سَيِّئَةً يَطْيِرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ} الأعراف 131 ذكر هذا بعد قوله {وَلَقَدْ أَخْذَنَا أَلَّا فِرْعَوْنَ بِالسَّيِّئَاتِ وَنَفَّصَ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ} الأعراف 130 وأما الأعمال المأمور بها و المنهى عنها فهي مثل قوله تعالى {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا}

وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ

530

{**الأنعام 160**}

*قال تعالى { مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ } النساء 79 وأما القرآن فالمراد منه هذا بالحسنات والسيئات النعم والمصابيح ليس المراد الطاعات والمعاصي وهذا كقوله تعالى { إِنَّ تَمْسَكْ حَسَنَةً تَسُؤُهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةً يَعْرَفُوا بِهَا وَإِنْ تَصِيرُوا وَتَتَقَوَّلُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا } آل عمران 120 وكقوله { إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةً تَسُؤُهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصَيْبَةً يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلِ وَيَقُولُوا وَهُمْ فَرَحُونَ } 50 قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مُوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلَيَتَوَكَّلْ الْمُؤْمِنُونَ } 51 التوبه 50-51 الآية ومنه قوله تعالى { وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } الأعراف 168 كما قال تعالى { وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً } الأنبياء 35 اي بالنعم والمصابيح وهذا بخلاف قوله { من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلاها } الأنعام 160 وأمثال ذلك فان المراد بها الطاعة والمعصية وفي كل موضع ما بين المراد باللفظ فليس في القرآن العزيز بحمد الله تعالى اشكال بل هو مبين وذلك انه اذا قال ما اصابك وما مسك ونحو ذلك كان من فعل غيرك بك كما قال { مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ } النساء 79 وكما قال تعالى { إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةً تَسُؤُهُمْ } التوبه 50 وقال تعالى { وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةً بِمَا قَدَّمْتُ أَبْدِيهُمْ } الشورى 48 وإذا قال { من جاء بالحسنة } الأنعام 160 كانت من فعله لانه هو الجائى بها فهذا يكون فيما فعله العبد لا فيما فعل به 531

مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 237 والحسنة والسيئة ج: 1 ص: 21 530

مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 111-112 531531

يعطى العبد بكل حسنة عشر أمثالها

* أن الله يعطى العبد بكل حسنة عشر أمثالها كما قال تعالى {من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها} الأنعام 160 ⁵³²

* أن الحسنة يضاعفها الله وينميتها ويثيب على الهم بها والسيئة لا يضاعفها ولا يؤخذ على الهم بها فيعطي صاحب الحسنة من الحسنات فوق ما عمل وصاحب السيئة لا يجزيه إلا بقدر عمله قال تعالى {من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلاً وهم لا يظلمون} الأنعام 160 ⁵³³

* قال تعالى {وَسَارُوا إِلَيْ مَغْفِرَةٍ مِّنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَتْ لِلْمُتَّقِينَ} 133 {الذِّينَ يُنْفَعُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} 134 آل عمران 133-134 ذكر أنه يحب المحسنين والعافين عن الناس وتبيين بهذا أن هذا من الإحسان والإحسان ضد الإساءة وهو فعل الحسن سواء كان لازماً لصاحبه أو متعدياً إلى الغير ومنه قوله {من جاء بالحسنة فله خير مثناها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذي عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون} القصص 84 وقال {من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلاً} الأنعام 160

فالكافر للغيظ والعافي عن الناس قد أحسن إلى نفسه وإلى الناس فإن ذلك عمل حسنة مع نفسه ومع الناس ومن أحسن إلى الناس فإلى نفسه كما يروى عن بعض السلف أنه قال ما أحسنت إلى أحد وما أساءت إلى أحد وإنما أحسنت إلى نفسى وأساءت إلى نفسى قال تعالى {إِنَّ أَحْسَنَتُمْ أَحْسَنَتُمْ لِأَنَّفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا

⁵³² مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 136

⁵³³ مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 265

{الإسراء} 7 و قال تعالى {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَنْفَسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا } فصلت 46 ولو لم يكن الإحسان إلى الخلق إحساناً إلى المحسن يعود نفعه عليه لكان فاعلاً إثماً أو ضرراً فإن العمل الذي لا يعود نفعه على فاعله إما حيث لم يكن فيه فائدة وإما شر من العبث إذا ضر فاعله والعفو عن الظالم أحد نوعي الصدقة المعروفة والإحسان إلى الناس وجماع ذلك الزكاة والله سبحانه دائمًا يأمر بالصلة والزكوة وهي الصدقة وقد ثبت في الصحيح عن النبي من غير وجه أنه قال كل معروفة صدقة وذلك نوعان أحدهما اتصال نفع إليه الثاني دفع ضر عنه فإذا كان المظلوم يستحق عقوبة الظلم ونفسه تدعوه إليه فكف نفسه عن ذلك ودفع عنه ما يدعوه إليه من إصراره فهذا إحسان منه إليه وصدقة عليه والله تعالى {يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ } يوسف 88 و {لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ } التوبة 120⁵³⁴

الظلم ممتنع من الله سبحانه وتعالى

* والظلم ممتنع من الله سبحانه وتعالى باتفاق المسلمين وقيل الظلم وضع الشيء في غير موضعه فهو سبحانه لا يظلم الناس شيئاً قال تعالى {وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْنَمًا } طه 112 قال المفسرون هو أن يحمل عليه سيئات غيره ويعاقب بغير ذنبه والهضم أن يهضم من حسناته⁵³⁵

* والمقصود هنا أن الثواب والعقاب إنما يكون على عمل وجودي بفعل الحسنات كعبادة الله وحده وترك السيئات كترك الشرك أمر وجودي و فعل السيئات مثل {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهِ}

مجموع الفتاوى ج: 30 ص: 364-370⁵³⁴⁵³⁴

مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 219⁵³⁵

وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ
 {الأَنْعَام١٦٠} فَإِنْ أَعْصَى الْأَوْلَى وَالآخِرَاتِ فَجَزَاؤُهُ دُمُّ الثَّوَابِ
 وَالْعَقَابِ إِنْ فَرَضَ رَجُلٌ أَمْنًا بِالرَّسُولِ مَجْمُلاً وَبَقِيَ مَدَّةً لَا
 يَفْعَلُ كَثِيرًا مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ وَلَا سَمِعَ أَنَّهَا مُحَرَّمَةٌ فَلَمْ يَعْتَدْ
 تَحْرِيمَهَا مَثْلُ مَنْ آمَنَ وَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ حَرَمَ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ
 الْخَنَزِيرِ وَلَا عِلْمَ أَنَّهُ حَرَمَ نِكَاحَ الْأَقْارِبِ سَوْى أَرْبَعَةِ أَصْنَافٍ وَلَا
 حَرَمَ بِالْمَصَاهِرَةِ أَرْبَعَةِ أَصْنَافٍ حَرَمَ عَلَى كُلِّ مَنْ زَوْجَيْنِ
 أَصْوَلَ الْآخِرِ وَفِرْوَعَهُ إِنْذَا آمَنَ وَلَمْ يَفْعَلْ هَذِهِ الْمُحَرَّمَاتِ وَلَا
 اعْتَدَ تَحْرِيمَهَا لَأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ ذَلِكَ فَهَذَا لَا يَثْبُتُ وَلَا يَعَاقِبُ
 وَلَكِنْ إِنْذَا عَلِمَ التَّحْرِيمَ فَاعْتَقَدَهُ أَثْبَتَ عَلَى اعْتِقَادِهِ وَإِنْذَا تَرَكَ ذَلِكَ
 مَعَ دُعَاءِ النَّفْسِ إِلَيْهِ أَثْبَتَ ثَوَابًا آخَرَ كَالَّذِي تَدْعُونَ نَفْسَهُ إِلَى
 الشَّهْوَاتِ فِيهَا كَالصَّائِمِ الَّذِي تَشْتَهِي نَفْسُهُ الْأَكْلُ وَالْجَمَاعُ
 فِيهَا كَمَا وَالَّذِي تَشْتَهِي نَفْسُهُ شُرْبُ الْخَمْرِ وَالْفَوَاحِشِ فِيهَا فَهَذَا
 يَثْبُتُ ثَوَابًا آخَرَ بِحَسْبِ نَهْيِهِ لِنَفْسِهِ وَصَبْرِهِ عَلَى الْمُحَرَّمَاتِ
 وَاسْتِغْلَالِ الطَّاعَاتِ الَّتِي ضَدَّهَا إِنْذَا فَعَلَ تَلَكَ الطَّاعَاتِ كَانَتْ
 مَانِعَةً لَهُ عَنِ الْمُحَرَّمَاتِ إِنْذَا تَبَيَّنَ هَذَا فَالْحَسَنَاتُ الَّتِي يَثْبُتُ
 عَلَيْهَا كُلُّهَا وَجُودِيَّةُ نِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَمَا أَحَبَّتُهُ النَّفْسُ مِنْ ذَلِكَ
 وَكَرْهُتُهُ مِنَ السَّيِّئَاتِ فَهُوَ الَّذِي حَبِّبَ الإِيمَانَ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ وَزَرَبَ
 فِي قُلُوبِهِمْ وَكَرِهَ إِلَيْهِمُ الْكُفَّارُ وَالْفَسُوقُ وَالْعَصِيَانُ^{٥٣٦}

التوحيد هو أول الدين وأخره وباطن الدين وظاهره

*الْتَّوْحِيدُ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ الرَّسُولُ وَنَزَّلَتْ بِهِ الْكِتَبُ وَبِهِ بَعَثَ اللَّهُ
 الْأَوْلَى وَالآخِرَاتِ مِنَ الرَّسُولِ قَالَ تَعَالَى {وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا
 مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ اللَّهَ يُعْبُدُونَ
 } الزَّرْ خَرْف٤٥ وَقَالَ تَعَالَى {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنَّ
 اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ

⁵³⁶ الحسنة والسيئة ج: 1 ص: 59

عَلَيْهِ الضَّلَالُهُ } النحل 36 وقال تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ
مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ } الأنبياء 25
وقد أخبر الله تعالى عن كل من الرسل مثل نوح وهود وصالح
وشعيب وغيرهم أنهم قالوا لقومهم آ عبدوا الله مالكم من إله غيره
وهذا أول دعوة الرسل وأخرها قال النبي صلى الله عليه وسلم
في الحديث الصحيح المشهور أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا
أن لا إله إلا الله وأنني رسول الله فإذا قالوها فقد عصموها مني
دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله وقال النبي صلى
الله عليه وسلم في الحديث الصحيح أيضاً من مات وهو يعلم أن
لا إله إلا الله دخل الجنة وقال من كان آخر كلامه لا إله إلا الله
دخل الجنة والقرآن كله مملوء من تحقيق هذا التوحيد والدعوة
إليه وتعليق النجاة والفلاح واقتضاء السعادة في الآخرة به
ومعلوم أن الناس متغرون في تحقيقه وحقيقة إخلاص الدين
كله الله والفناء في هذا التوحيد مقررون بالبقاء وهو أن تثبت الإلهية
الحق في قلبك وتنتفي الإلهية ما سواه فتجمع بين النفي والإثبات
فتقول لا إله إلا الله فالنفي هو الفناء والإثبات هو البقاء وحقيقة
أن تفني بعبادته عما سواه ومحبته عن محبة ما سواه وبخشيته
عن خشية ما سواه وبطاعتة عن طاعة ما سواه وبموالاته عن
موالاة ما سواه وبسؤاله عن سؤال ما سواه وبالاستعاذه به عن
الإستعاذه بما سواه وبالتوكل عليه عن التوكل على ما سواه
وبالتقويض إليه عن التقويض إلى ما سواه وبالإنابة إليه عن
الإنابة إلى ما سواه وبالتحاكم إليه عن التحاكم إلى ما سواه
وبالتخاصم إليه عن التخاصم إلى ما سواه وفي الصحيحين
عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول إذا قام يصلي من
الليل وقد روی أنه كان يقوله بعد التكبير اللهم لك الحمد أنت قيم
السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت نور السموات
والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت الحق وقولك الحق ووعدك
الحق ولقاوك حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد
حق اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك

خاصمت وإليك حاكمت فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت
وقال تعالى {قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَخِدُ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعِمُ} الأنعام 14 وقال {أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْنَغَيِ حَكْمًا
وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفْصَلًا} الأنعام 14 وقال {
أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيْهَا الْجَاهِلُونَ} 64 {وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ
وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ أَنْ شُرُكْتَ لِيَحْبَطَ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ
الْخَاسِرِينَ} 65 {بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ} 66 الزمر
64-66 وقال تعالى {قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ
دِينًا قِيمًا مِلَّةً إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} 161 {قُلْ إِنَّ
صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} 162 {لَا
شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ} 163 {قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ
أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكُسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا
عَلَيْهَا} 164 {الأنعام 161-164} وهذا التوحيد كثير في
القرآن وهو أول الدين وأخره وباطن الدين وظاهره وذرورة سنام
هذا التوحيد لأولى العزم من الرسل ثم للخليلين محمد وإبراهيم
صلى الله عليهما وسلم تسلیماً⁵³⁷

*الدين هو التعاہد والتعاقد وإذا كان كذلك فالامور التي
يحتاجون إليها يحتاجون أن يوجبوها على أنفسهم والأمور التي
تضرهم يحتاجون أن يحرموها على نفوسهم وذلك دينهم وذلك لا
يكون إلا باتفاقهم على ذلك وهو التعاہد والتعاقد ولهذا جاء
في الحديث لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له
فهذا هو من الدين المشترك بين جميع بنى آدم من التزام واجبات
ومحرمات وهو الوفاء والعهد وهذا قد يكون باطلًا فاسدا إذا كان
فيه مضره لهم راجحة على منفعته وقد يكون دين حق إذا كانت
منفعة خاصة أو راجحة كما قال تعالى {قُلْ يَا أَيُّهَا⁵³⁸
الْكَافِرُونَ} 1 {لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ} 2 {وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا

أَعْبُدُ {3} وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ {4} وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ {5} لِكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ {6} الكافرون 1-6 و قال تعالى { مَا كَانَ لِيَاخْذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ } يوسف 76 و قال تعالى { قَاتَلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ } التوبة 29 الدين الحق هو طاعة الله و عبادته والدين الحق هو طاعة الله و عبادته كما بينا أن الدين هو الطاعة المعتادة التي صارت خلقاً وبذلك يكون المطاع محظوظاً مراضاً إذ أصل ذلك المحبة والإرادة ولا يستحق أحد أن يعبد ويطاع على الإطلاق إلا الله وحده لا شريك له ورسله وأولو الأمر أطاعوا لأنهم يأمرنون بطاعة الله كما قال النبي في الحديث المتفق عليه من أطاعني فقد أطاع الله ومن أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصاني فقد عصي الله ومن عصي أميري فقد عصاني وأما العبادة فللها وحده وليس فيها واسطة فلا يعبد العبد إلا الله وحده كما قد بينا ذلك في مواضع وبيننا أن كل عمل لا يكون غايتها إرادة الله و عبادته فهو عمل فاسد غير صالح باطل غير حق أي لا ينفع صاحبه وقد قال سبحانه {وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُحْلِسِينَ لَهُ الدِّينُ حُنَفَاءُ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيمَةِ } البينة 5 وقال تعالى {وَقَاتَلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فَتْنَةٌ وَيَكُونُ الدِّينُ لِلَّهِ } البقرة 193 وقال تعالى { ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ } التوبة 36 وقال تعالى { قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مَلَةً إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } الأنعام 161 وقال تعالى { فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لَيَنْقَضُهُوا فِي الدِّينِ وَلَيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ } التوبة 122 وفي الصحيحين عن النبي انه قال من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين وقال تعالى { وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ اسْتَطَاعُوهُ وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَمَتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبَطْتُ أَعْمَالَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ } البقرة 217 { وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ اسْتَطَاعُوهُ وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ

عن دينه فَيُمْتَ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا
 وَالآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا حَالُدُونَ { البقرة 217 }
 وقال تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنِ دِينِهِ فَسَوْفَ
 يَأْتِي اللَّهُ بِقُومٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ } المائدة 54 وهو الدين الحق
 الذي هو عبادة الله وحده لا شريك له وطاعته وطاعة رسوله هو
 الإسلام العام الذي لا يقبل الله دينا غيره كما قال تعالى { إِنَّ
 الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ } آل عمران 19 وقال تعالى { وَمَنْ يَبْتَغِ
 غَيْرَ الْإِسْلَامَ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ
 } آل عمران 85 وقال تعالى { أَفَغَيْرُ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ
 مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طُوعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ } آل
 عمران 83 وقال تعالى { شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ
 نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكُمْ وَمَا وَصَّنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى
 أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَنْقِرُّوْ فِيهِ كُبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ
 إِلَيْهِ } الشورى 13 وقال تعالى { إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا
 شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ } الأنعام 159 كل دين سوي الإسلام
 باطل فإذا كان لا بد لكل أمريكي من اجتماع ولا بد في كل
 اجتماع من طاعة ودين وكل دين وطاعة لا يكون لله فهو باطل
 وكل دين سوي الإسلام فهو باطل وأيضا فلا بد لكل حي من
 محبوب هو منتهي محبته وإرادته وإليه تكون حركة باطنها
 وظاهره وذلك هو إليه ولا يصلح ذلك إلا الله وحده لا شريك له
 وكل ما سوي الإسلام فهو باطل والمتفرقون أيضا فيه الذين
 أخذ كل منهم ببعضه وترك بعضه وافترقت أهواههم قد بريء
 الله ورسوله منهم لا بد في كل دين من شيبتين العقيدة والشريعة
 أو المعبد والعبادة ولا بد في كل دين وطاعة ومحبة من
 شيبتين أحدهما الدين المحبوب المطاع وهو المقصود المراد
 والثاني نفس صورة العمل التي تطاع ويعبد بها وهو السبيل
 والطريق والشريعة والمنهج والوسيلة كما قال الفضيل بن
 عياض في قوله تعالى { لِيَنْلُوكُمْ أَيْكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً } هود 7
 قال أخلصه وأصوبه قالوا يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه قال إن

العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا والخاص أن يكون الله والصواب أن يكون على السنة فهكذا كان الدين يجمع هذين الأمرين المعبد والمعبود الله واحد والعبادة طاعته وطاعة رسوله فهذا هو دين الله الذي ارتضاه كما قال تعالى {وَرَضِيتُ لِكُمُ الْإِسْلَامَ دِيَنًا} المائدة 3 وهو دين المؤمنين من الأولين والآخرين وهو الدين الذي لا يقبل الله من أحد غيره لأنّه دين فاسد باطل كمن عبد من لا تصلح عبادته أو عبد بما لا يصلح أن يعبد به⁵³⁸

الاسلام دين جميع المسلمين

*أن دين الله الذي أنزل به كتبه وبعث به رسّله ما تقدم من إرادة الله وحده بالعمل الصالح وهذا هو الإسلام العام الذي لا يقبل الله من أحد غيره قال تعالى {وَمَنْ يَبْتَغَ غَيْرَ الْإِسْلَامَ دِيَنًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} آل عمران 85 وقال تعالى {شَهَدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمُ قَاتِلًا بِالْقَسْطِ لَا إِلَهُ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} 18 {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ} 19 آل عمران 18-19 والاسلام يجمع معنيين أحدهما الاستسلام والانقياد فلا يكون متکبرا والثاني الاخلاص من قوله تعالى {وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ} الزمر 29 فلا يكون مشركا وهو أن يسلم العبد لله رب العالمين كما قال تعالى {وَمَنْ يَرْغَبُ عَنِ مِلْكِهِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفَهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَا فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ} 130 {إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} 131 {وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِي إِنَّ

⁵³⁸قاعدة في المحبة ج: 1 ص: 36-40 و الصافية ج: 2 ص: 302

الله اصطفى لكم الدين فلأتموئن إلا وأنتم مسلمون {132} البقرة
130-132 وقال تعالى { قُلْ إِنَّمَا هَذَا نِيَرٌ بَّيْنَ أَيْ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ
دِينًا فِيمَا مِلَّهُ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } {161} قُلْ إِنَّ
صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } {162} لَا
شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أَمْرُتُ وَإِنَّا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ } {163} الاتعام 161-163
والاسلام يستعمل لا زما معدى بحرف اللام مثل ما ذكر في
هذه الآيات ومثل قوله تعالى { وَأَنْبَيْوَا إِلَيْ رَبِّكُمْ وَأَسْلَمُوا لَهُ مِنْ
قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ } الزمر 54 ومثل قوله
تعالى { قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ
رَبِّ الْعَالَمِينَ } النمل 44 ومثل قوله { أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ
وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ
يُرْجَعُونَ } آل عمران 83 ومثل قوله { قُلْ أَنْدَعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا
لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنَرُدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ أَذْهَانَ اللَّهِ كَالَّذِي
اسْتَهْوَتُهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى
الْهُدَى إِنَّنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأَمْرَنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ
} 71 { وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُهُ } 72 { الأنعام 71-72 } ويستعمل
متعديا مقرونا بالاحسان كقوله تعالى { وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا
مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيْهُمْ قُلْ هَانُوا بُرُّ هَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ } 111 { بَلِي مَنْ أَسْلَمَ وَجْهُهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرٌ إِنَّ
رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } 112 { البقرة 111-112 }
وقوله { وَمَنْ أَحْسَنَ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ
مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا } النساء 125 فقد انكر
أن يكون دين أحسن من هذا الدين وهو اسلام الوجه لله مع
الاحسان وأخبر ان كل من اسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره
عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون أثبتت هذه الكلمة
الجامعة والقضية العامة ردا لم زعم من زعمه أن لا يدخل الجنة
الا متهود او متصرر وهذا الوصفان وهم اسلام الوجه لله
والاحسان هما الأصلان المتقدمان وهمما كون العمل خالصا لله

صواباً موافقاً للسنة والشريعة وذلك أن اسلام الوجه لله هو
متضمن للقصد ونبي الله 539

* وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم أنا معاشر الانبياء
ديتنا واحد وهو الاسلام وهو الاستسلام لله لا لغيره بأن تكون
العبادة والطاعة له والذل وهو حقيقة لا اله الا الله ولا ريب
أن ما سوى هذا لا يقبل وهو سبحانه يطاع في كل زمان بما امر
به في ذلك الزمان فلا اسلام بعد مبعث محمد الا فيما جاء
به وطاعته وهي ملة ابراهيم التي لا يرغب عنها الا من سفه
نفسه وهو الأمة الذي يؤتم به كما أن القدوة هو الذي
يقتدى به وهو الامام كما في قوله {إِنَّمَا جَاءَكُمْ بِالنَّاسِ
إِمَامًا} البقرة 124 وهو القانت والقوت دوام الطاعة وهو
الذي يطيع الله دائمًا والحنيف المستقيم إلى ربه دون ما سواه
540

* في توحد الملة وتعدد الشرائع وتنوعها وتوحد الدين الملى دون
الشرعى وما في ذلك من اقرار ونسخ وجريان ذلك في اهل
الشريعة الواحدة بنوع من الاعتبار قال الله تعالى {وَإِذْ أَبْشَرَ
إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاءَكُمْ بِالنَّاسِ إِمَامًا
} البقرة 124 فهذا نص في انه امام الناس كلهم وقال {إِنَّ
إِبْرَاهِيمَ كَانَ أَمَّةً} النحل 120 وهو القدوة الذي يؤتم به وهو معلم
الخير وقال تعالى {ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا
كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} النحل 123 وقال تعالى في آل عمران
{شَهَدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمُ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا
إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} 18 {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا
أَخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعْدًا بَيْنَهُمْ
} 19 {آل عمران 18-19 فأخبر ان الدين عند الله الاسلام وان

مجموع الفتاوى ج: 28 ص: 173 - 176 539

مجموع الفتاوى ج: 5 ص: 239 540

الذين اختلفوا من اهل الكتاب وصاروا على ملل شتى ما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم وفيه بيان ان الدين واحد لا اختلاف فيه **وقال تعالى {فَلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قَيْمًا مَلَّةً إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ {161} قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ {162} الأنعام 161-162** هذا بعد ان ذكر الانبياء فقال **{أَوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فِيهِمَا هُمْ أَقْدَهُ {الأنعام 90} وهذا في القرآن مذكور في موضع كثيرة وكذلك في الأحاديث الصحيحة مثل ما ترجم عليه البخاري فقال باب ما جاء في أن دين الأنبياء واحد وذكر الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة عن النبي قال أنا معاشر الأنبياء أخوة لعلات ومثل صفتة في التوراة لن أقبضه حتى أقيم به الملة العوجاء فافتتح به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا ولهذا وحد الصراط والسبيل في مثل قوله تعالى **{إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ {6} صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ {7} الفاتحة-6-** 7 **والإسلام دين جميع المسلمين**⁵⁴¹**

*قال تعالى **{وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مَلَّةً إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ {البقرة 135} إلى قوله {فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلُّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شَقَاقٍ فَسِيَّكُفِّكُهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ {البقرة 137} فقوله {قُلْ بَلْ مَلَّةً إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا {البقرة 135} يبين أن ما عليه اليهود و النصارى ينافي ملة إبراهيم و هذا بعد بعث محمد مما لا ريب فيه فإنه هو الذي بعث بملة إبراهيم و الطائفتان كانتا خارجتين عنها بما وقع منهم من التبديل قال تعالى {إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ أَتَبْعَوْهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا {آل عمران 68} و قال **{قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا****

⁵⁴¹ مجموع الفتاوى ج: 19 ص: 109 و شرح العمدة ج: 2 ص: 201

قِيمًا مَلَهُ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا } الْأَنْعَام 161 الآية و قال {ثُمَّ أَوْحَيْنَا
إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مَلَهُ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا } النحل 123

⁵⁴²

* وليس للقلوب سرور ولا لذة تامة الا في محبة الله والتقرب
إليه بما يحبه ولا يمكن محبته إلا بالاعراض عن كل محبوب
سواء وهذا حقيقة لا إله إلا الله وهي ملة ابراهيم الخليل عليه
السلام وسائر الأنبياء والمرسلين صلاة الله وسلامه عليهم
أجمعين وكان النبي يقول لأصحابه قولوا أصبحنا على فطرة
الاسلام وكلمة الاخلاص ودين نبينا محمد وملة أبيينا ابراهيم
حنيفا مسلما وما كان من المشركين والحنيف

للسلف فيه ثلات عبارات قال محمد ابن كعب مستقيما وقال
عطاء مخلصا وقال آخر متبعا فهو مستقيم القلب إلى الله دون
ما سواه قال الله تعالى {فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ
لِلْمُشْرِكِينَ } فصلت 6 وقال تعالى {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ
ثُمَّ اسْتَقَامُوا } الأحقاف 13 قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه
فلم يتلقوا عنه يمنه ولا يسرة فلم يتلقوا بقلوبهم إلى ما سواه لا
بالحب ولا بالخوف ولا بالرجاء ولا بالسؤال ولا بالتوكل عليه
بل لا يحبون إلا الله ولا يحبون معه أندادا ولا يحبون إلا آياته لا
طلب منفعة ولا لدفع مضره ولا يخافون غيره كائناً من كان ولا
يسألون غيره ولا يتشرفون بقلوبهم إلى غيره

⁵⁴³

أهل البدع والضلال يحجون إلى المشاهد وقبور شيوخهم

مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 572

مجموع الفتاوى ج: 28 ص: 33

*قال تعالى { قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مَلَّةٌ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } 161 { قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } 162 { لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أَمْرَتُ وَأَنَا أَوْلُ الْمُسْلِمِينَ } 163 الانعام 161-163 فالله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن تكون صلاته ونسكه لله فمن سافر إلى بقعة غير بيوت الله التي يشرع السفر إليها ودعا غير الله فقد جعل نسكه وصلاته لغير الله عز وجل والنبي نهى عن السفر إلى مسجد غير المساجد الثلاثة وإن كان بيته من بيوت الله إذا لم تكن له خاصية تستحق السفر إليه ولا شرع هو ومن قبله من الأنبياء السفر إليه بخلاف الثلاثة فإن كل مسجد منها بناء نبى من الأنبياء ودعاء الناس إلى السفر إليه فلها خصائص ليست لغيرها فإذا كان السفر إلى بيوت الله غير الثلاثة ليس بمشروع بإتفاق الأئمة الأربع بل قد نهى عنه الرسول فكيف بالسفر إلى بيوت المخلوقين الذين تتخذ قبورهم مساجد وأوثانا وأعياداً ويشرك بها وتدعى من دون الله حتى أن كثيراً من معظميها يفضل الحج إليها على الحج إلى بيت الله فيجعل الشرك وعبادة الأوثان أفضل من التوحيد وعبادة الرحمن كما يفعل ذلك من يفعله من المشركين وقال تعالى { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنِ يَشَاءُ وَمَنِ يُشْرِكَ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا } 116 إن يدعون من دونه إلا إنا نا وإن يدعون إلا شيطاناً مريداً { 117 النساء 116-117 }⁵⁴⁴

وهذا الذي ذكرنا من أن السفر إلى الأماكن المعظمة القبور وغيرها عند أصحابه كالحج عند المسلمين هو أمر معروف عند المتقدمين والمتاخرين لفظاً ومعنى فإنهم يقصدون من دعاء المخلوق والخضوع له والتضرع إليه نظير ما يقصده المسلمون من دعاء الله تعالى والخضوع له والتضرع إليه نظير ما يقصد هـ

⁵⁴⁴ مجموع الفتاوى ج: 27 ص: 360

ال المسلمين من دعاء الله تعالى والخضوع له والتضرع إليه لكن كما قال تعالى {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ الْأَهْلِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُ حُبّاً لِلَّهِ} البقرة 165 وهم يسمون ذلك حجا إليها وهذا معروف عند متقدميهم ومتاخرتهم وكذلك أهل البدع والضلال من المسلمين كالرافضة وغيرهم يحجون إلى المشاهد وقبور شيوخهم وأئمتهم ويسمون ذلك حجا ويقول داعيهم السفر إلى الحج الأكبر ويظهرون علمًا للحج إليه ومعه مناد ينادي إليه كما يرفع المسلمون علمًا للحج لكن داعي أهل البدع ينادي السفر إلى الحج الأكبر علانية في مثل بغداد يعني السفر إلى مشهد من المشاهد فيجعلون السفر إلى قبر بعض المخلوقين هو الحج الأكبر والحج إلى بيت الله عندهم الأصغر وقد ذكر ذلك أئمتهم في مصنفاتهم ومن جهال الناس من يقول وحق النبي الذي تحرج المطابيا إليه فلما كان المشركون يصلون ويدعون المخلوق ويحجون إلى قبره قال تعالى {قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينِنَا قِيمًا مَلَةً إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} 161 {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} 162 {لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أَمْرُتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ} 163 {الأنعام 161-163} وقال تعالى {وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا أَخْرَ} 88 القصص وقوله تعالى {وَنُسُكِي} {الأنعام 162} قد ذكروا في تفسيره الذبح لله والحج إلى بيت الله وذكروا أن لفظ النسك يتناول العبادة مطلقاً والله سبحانه قد بين في القرآن أن الذبح والحج كلاهما منسك قال تعالى {وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقْنَاهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ} الحج 34 وقال النبي من ذبح بعد الصلاة فقد اصاب النسك ومن ذبح قبل الصلاة فإنما هو شاة لحم عجلها لأهله وليس من النسك شيء وقال تعالى عن إبراهيم وإسماعيل {رَبَّنَا تَقْبَلْ مِنَ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} 127 {رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَثَبِّ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ} 128 {البقرة 127-128}

فأرى الله إبراهيم وابنه إسماعيل المواقع التي تقصد في الحج والأفعال التي تفعل هناك كالطواف والسعى والوقوف والرمي كما ذكر ذلك غير واحد من السلف والصلاوة تتناول الدعاء الذي هو بمعنى العبادة والذي هو بمعنى السؤال فالصلاحة تجمع هذا وهذا قال تعالى {وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} غافر 60 فقد فسر دعاءه بسؤاله فالنبي أمره الله أن يقول **{قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}** ⁵⁴⁵ لأن الله لا تعالى أن يكون الدعاء للصلوة الله ولا تبني المساجد إلا الله لا تبني على قبر مخلوق ولا من أجله ولا يسافر إلى بيوت المخلوقين وقد نهى أن يحج ويسافر إلى بيوت الله التي ليست لها تلك ⁵⁴⁵ **الخصائص**

* ولم يشرع الله تعالى لل المسلمين مكانا يقصد للصلوة إلا المسجد ولا مكانا يقصد للعبادة إلا المشاعر فمشاعر الحج كعرفة ومزدلفة ومنى تقصد بالذكر والدعاء والتکبير الصلاة بخلاف المساجد فإنها هي التي تقصد للصلوة وما ثم مكان يقصد بعينه إلا المساجد والمشاعر وفيها الصلاة والنسك قال تعالى **{قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}** ¹⁶² لا شريك له وبذلك أمرت ¹⁶³ **{الأنعام 162-163}** وما سوى ذلك من البقاع فإنه لا يستحب قصد بقعة بعينها للصلوة ولا الدعاء ولا الذكر إذ لم يأت في شرع الله ورسوله قصدها لذلك وإن كان مسكننا لنبي أو منزل أو ممرا فإن الدين أصله متابعة النبي وموافقته بفعل ما أمرنا به وشرعه لنا وسننه لنا ونقتدي به في أفعاله التي شرع لنا الإقتداء به فيها بخلاف ما كان من خصائصه فاما الفعل الذي لم يشرعه هو لنا ولا أمرنا به ولا

فعله فعلاً سن لنا أن نتأسى به فيه فهذا ليس من العبادات والقرب
 فإذا خاذ هذا قربة مخالفة له وما فعله من المباحات على غير وجه
 التعبد يجوز لنا أن نفعله مباحاً كما فعله مباحاً ولكن هل يشرع لنا
 أن نجعله عبادة وقربة فيه قوله تعالى كما تقدم وأكثر السلف والعلماء
 على أنا لا نجعله عبادة وقربة بل نتبعه فيه فإن فعله مباحاً فعلناه
 مباحاً وإن فعله قربة فعلناه قربة ومن جعله عبادة رأى أن ذلك
 من تمام التأسي به والتشبه به ورأى أن في ذلك برك لكونه
 مختصاً به نوعاً خاصاً⁵⁴⁶

الصلوة و النسك هما أجل ما يتقرب به إلى الله

* عماد الدين الذي لا يقوم إلا به هو الصلوات الخمس المكتوبات ويجب على المسلمين من الاعتناء بها ما لا يجب من الاعتناء بغيرها كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يكتب إلى عماله إن أهم أمركم عندي الصلاة فمن حفظها وحافظ عليها حفظ دينه ومن ضيعها كان لما سواها من عمله أشد إضاعة وهي أول ما أوجبه الله من العبادات والصلوات الخمس تولى الله إيجابها بمخاطبة رسوله ليلة المعراج وهي آخر ما وصى به النبي صلى الله عليه وسلم أمته وقت فراق الدنيا جعل يقول الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم وهي أول ما يحاسب عليه العبد من عمله وأخر ما يفقد من الدين فإذا ذهبت ذهب الدين كله وهي عمود الدين فمتى ذهبت سقط الدين قال النبي رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذرورة سلامه الجهاد في سبيل الله وأمر الصلاة عظيم شأنها أن تذكر هنا فإنها قوام الدين وعماده وتعظيمه تعالى لها في كتابه فوق جميع العبادات فإنه سبحانه يخصها بالذكر تارة ويقرنها وبالنسك تارة كقوله تعالى **{قُلْ إِنَّ**

⁵⁴⁶ مجموع الفتاوى ج: 27 ص: 504

صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ {162} لا
شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أَمْرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ {163} الأنعام 162 -
547 163

* قوله تعالى {فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحِرْ} الكوثر 2 أمره الله أن يجمع بين هاتين العبادتين العظيمتين و هما الصلاة و النسك الدالثان على القرب و التواضع و الإفتقار و حسن الظن و قوة اليقين و طمأنينة القلب إلى الله و إلى عدته و أمره و فضله و خلفه عكس حال أهل الكبر و النفرة و أهل الغنى عن الله الذين لا حاجة في صلاتهم إلى ربهم يسألونه إياها و الذين لا ينحرؤن له خوفا من الفقر و ترکا لإعانته الفقراء و إعطائهم و سوء الظن منهم بربهم و لهذا جمع الله بينهما في قوله تعالى {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} الأنعام 162 و النسك هي النبيحة إيتاء و جهة و المقصود أن الصلاة و النسك هما أجل ما يتقرب به إلى الله 548

* أن كل عبادة من العبادات فإن الصلاة مقرونة بها فإن العبادة تعم جميع الطاعات وقد خصت الصلاة بذلك الأمر و الاصطبار عليها فإذا ذكرت الزكاة قيل {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ} البقرة 43 و إذا ذكرت المناسك قيل {فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحِرْ} الكوثر 2 {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} الأنعام 162 و إن ذكر الصوم قيل {وَأَسْتَعِنُوْ بالصَّبَرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاصِّيْعِينَ} البقرة 45 فان الصبر المعدود في الثاني هو الصوم قال صلى الله عليه وسلم صوم شهر الصبر و ثلاثة أيام من كل شهر 549

⁵⁴⁷ مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 428

⁵⁴⁸ مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 531-532

⁵⁴⁹ شرح العمدة ج: 4 ص: 89

*ان الصلاة هي أعرف المعروف من الأعمال وهي عمود الاسلام وأعظم شرائعة وهي قرينة الشهادتين وانما فرضها الله ليلة المراج وخاطب بها الرسول بلا واسطة لم يبعث بها رسولا من الملائكة وهي آخر ما وصى به النبي أمه و هي المخصوصة بالذكر في كتاب الله تخصيصا بعد تعليم قوله تعالى {وَالَّذِينَ يُمْسِكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ} الأعراف 170 و قوله {إِنَّمَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ} العنكبوت 45 وهي المقر ونه بالصبر وبالزكاة وبالنسك وبالجهاد في مواضع من كتاب الله كقوله تعالى {وَاسْتَعِنُوا بِالصَّابِرِ وَالصَّلَاةِ} البقرة 45 و قوله {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَأَثُوا الزَّكَةَ} البقرة 43 و قوله {إِنَّ صَلَاتِي وَسُكْيِي} الأنعام 162 و قوله {أَشِدَّاءَ عَلَى الْكُفَّارِ رُحْمَاءَ بَنِيهِمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً} الفتح 29 و قوله {وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَاقْمِتْ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقْمِ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلَحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أَخْرَى لَمْ يُصَلِّوْا فَلْيُصَلِّوْا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ} النساء 102 الى قوله {فَإِذَا اطْمَأْنَتُمْ فَاقْمِمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا} النساء 103 وأمرها أعظم من ان يحيط به فاعتناء ولاة الامر بها يجب أن يكون فوق اعنتائهم بجميع الاعمال ولهذا كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه يكتب الى عماله ان أهم امركم عندى الصلاة من حفظها وحافظ عليها حفظ دينه ومن ضيعها كان لما سواها أشد إضاعة

رواه مالك وغيره 550550

الاحكام المتعلقة بالاضحية

١- تسمية الله على الذبيحة غير ذبها الله

* ومعلوم أن ما حرم أن يجعل غير الله مسمى فكذلك منوياً إذ هذا مثل النباتات في العبادات فإن اللفظ بها وإن كان أبلغ لكن الأصل القصد الا ترى أن المتقرب بالهدايا والضحايا سواء قال أذبها الله أو سكت فإن العبرة بالنسبة وتسميتها الله على الذبيحة غير ذبها الله فإنه يسمى على ما يقصد به اللحم وأما القرابان فيذبح الله سبحانه ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في قربانه اللهم منك ولك بعد قوله بسم الله والله أكبر لقوله تعالى **{فَلَمَّا أَتَى رَبَّ الْعَالَمِينَ} {الأنعام: ١٦٢}** ^{وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي} ^{٥٥١}

* النسك في اللغة العبادة قال الجوهرى النسك العبادة والناسك العابد وقد نسكاً وتنسك أي تعبد ونسك بالضم أي صار ناسكاً ثم خص الحج باسم النسك لأنه أدخل في العبادة والذل لله من غيره ولهذا كان فيه من الأفعال ما لا يقصد فيه إلا مجرد الذل لله و العبادة له كالسعى ورمي الجمار قال النبي صلى الله عليه وسلم إنما جعل رمي الجمار والسعي بين الصفا والمروءة لإقامة ذكر الله رواه الترمذى وخص بذلك الذبح الفداء أيضاً دون مطلق الذبح لأن إراقة الدم لله أبلغ في الخضوع و العبادة له ولهذا كان من كان قبلنا لا يأكلون القرابان بل تأتي نار من السماء فتأكله ولهذا قال تعالى **{الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَاهَدَ إِلَيْنَا أَلَا نُؤْمِنُ لِرَسُولِهِ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ ثَاكِلُهُ النَّارُ} {ص: ١٨٣}** قاءكم رسل ممن قبلي بالبيانات وبالذى قلتم فلم قتلتموهם إن كنتم صادقين

جمعوها ثم جاءت النار فأكلتها ليكون قتالهم محضاً للرغبة ويكون ذبحهم عبادة محضة لله لا لأجل أكلهم وآمة محمد صلى الله عليه وسلم وسع الله عليهم لكمال يقينهم وإخلاصهم وأنهم يقاتلون الله ولو أكلوا المغنم ويدبحون الله ولو أكلوا القرابان

^{٥٥١٥٥١} اقتضاء الصراط ج: ١ ص: 158

لهذا كان عباد الشياطين والأصنام يذبحون لها الذبائح أيضا فالذبح للمعبود غاية الذل والخضوع له ولهذا لم يجز الذبح لغير الله ولا أن يسمى غير الله على الذبائح وحرم سبحانه ما ذبح على النصب وهو ما ذبح لغير الله وما سمي عليه غير إسم الله وإن قصد به اللحم لا القرابان ولعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من ذبح لغير الله ونهي عن ذبائح الجن و كانوا يذبحون للجن بل حرم الله ما لم يذكر إسم الله عليه مطلقا كما دل على ذلك الكتاب والسنة في غير موضع وقد قال تعالى {فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحِرْ} الكوثر 2 أي إنحر لربك كما قال الخليل {إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} الأنعام 162 وقد قال هو و اسماعيل إذ يرفعان القواعد من البيت {رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} 127 {رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتْنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ} 128 البقرة 128 فالمناسك هنا مشاعر الحج كلها كما قال تعالى {الْكُلُّ أُمَّةٌ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ} الحج 67 وقال تعالى {وَلَكُلُّ أُمَّةٌ جَعَلَنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقْهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ} الحج 34 وقال {لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ} الحج 37 كما قال تعالى {وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ} الحج 32 فالمقصود تقوى القلوب لله وهو عبادتها له و حده دون ما سواه بغاية العبودية له و العبودية فيها غاية المحبة و غاية الذل و الإخلاص و هذه ملة إبراهيم الخليل و هذا كله مما يبين أن عبادة القلوب هي الأصل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله و إذا فسدت فسد الجسد كله ألا و هي القلب و

النية و القصد هما عمل القلب فلا بد في المتابعة للرسول صلى الله عليه وسلم من اعتبار النية و القصد⁵⁵²

*وأما الأضحية فإنه يستقبل بها القبلة فيرجعها على الأيسر ويقول بسم الله والله أكبر اللهم تقبل مني كما تقبلت من إبراهيم خليلك وإذا ذبحها قال وجهت وجهي للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين **{قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}** {162} لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين {163} الأنعام 162-163 ويتصدق بثلثها ويهدى ثلثها وإن أكل أكثرها أو أهداه أو أكله أو طبخها ودعا الناس إليها جاز ويعطى أجرة الجزار من عنده وجدها إن شاء انتفع به وإن شاء تصدق به والله أعلم⁵⁵³

الأضحية من أعظم شعائر الإسلام

*واما الأضحية فالا ظهر وجوبها أيضا فانها من أعظم شعائر الإسلام وهي النسك العام في جميع الأمصار والنسك مقرون بالصلاحة في قوله **{قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}** {الأنعام 162} وقد قال تعالى **{فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحِرْ}** {الكواثر 2} فأمر بالنحر كما أمر بالصلاحة وقد قال تعالى **{وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرُ الْمُخْتَبِينَ}** {الحج 34} وقال **{وَالْبُنْدَنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَ قَدَّا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَ كَذَلِكَ سَخَرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}** {36} لَن ينال الله لحومها ولا دماءها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم

⁵⁵² مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 484-486

⁵⁵³ مجموع الفتاوى ج: 26 ص: 309

لِتُكَبِّرُوا اللَّهُ عَلَىٰ مَا هَدَأْكُمْ وَبَشِّرُ الْمُحْسِنِينَ {37} الحج 36-37

وهي من ملة إبراهيم الذي أمرنا باتباع ملته وبها يذكر قصة الذبيح فكيف يجوز أن المسلمين كلهم يتركون هذا لا يفعله أحد منهم وترك المسلمين كلهم هذا أعظم من ترك الحج في بعض السنين وقد قالوا إن الحج كل عام فرض على الكفاية لأنه من شعائر الإسلام والضحايا في عيد النحر كذلك بل هذه تفعل في كل بلد

هي الصلاة فيظهر بها عبادة الله وذكره والذبح له والنسك له ما لا يظهر بالحج كما يظهر ذكر الله بالتكبير في الأعياد وقد جاءت الأحاديث بالأمر بها وقد خرج وجوبها قوله قولاً في مذهب أحمد وهو قول أبي حنيفة وأحد القولين في مذهب مالك أو ظاهر مذهب مالك ونفاة الوجوب ليس معهم نص فإن عمدتهم قوله من أراد أن يضحى ودخل العشر فلا يأخذ من شعره ولا من أظفاره قالوا الواجب لا يعلق بالإرادة وهذا كلام مجمل فإن الواجب لا يوكل إلى إرادة العبد فيقال أن شئت فأفعله بل قد يعلق الواجب بالشرط لبيان حكم من الأحكام كقوله {إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُواْ } المائدة 6 وقد قدروا فيه إذا أردتم القيام وقدروا إذا أردت القراءة فإستعد الطهارة واجبة القراءة في الصلاة واجبة وقد قال { إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرُ لِلْعَالَمِينَ } 27 لمن شاء منكم أن يسْتَقِيمَ {28} التكوير 27-28 ومشيئة الإستقامة واجبة وأيضاً فليس كل أحد يجب عليه أن يضحى وإنما تجب على القادر فهو الذي يريد أن يضحى كما قال من أراد الحج فليتعجل فإنه قد تضل الضالة وتعرض الحاجة والحج فرض على المستطيع قوله من أراد أن يضحى كقوله من أراد الحج فليتعجل ووجوبها حينئذ مشروط بأن يقدر عليها فاضلاً عن حوائجه الأصلية كصدقة الفطر ويجوز أن يضحى بالشاة عن أهل البيت صاحب المنزل ونسائه وأولاده ومن معهم كما كان الصحابة يفعلون وما نقل عن بعض الصحابة من أنه لم يصبح بل إشتري لحما فقد تكون مسألة نزاع كما تنازعوا في وجوب

العمرة وقد يكون من لم يوضح لم يكن له سعة في ذلك العام وأراد بذلك توبیخ أهل المباهاة الذين يفعلونها لغير الله أو أن يكون قد بتركها ذلك العام توبیخهم فقد ترك الواجب لمصلحة راجحة كما قال لقد هممت أن أمر بالصلوة فتقام ثم إنطلق معي برجال معهم حزم حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار لو لا ما في البيوت من النساء والذرية فكان يدع الجمعة والجماعة الواجبة لأجل عقوبة المخالفين فإن هذا من باب الجهاد الذي قد يضيق وقته فهو مقدم على الجمعة والجماعة ولو أن ولی الأمر كالمحتسب وغيره تخلف بعض الأيام عن الجمعة لينظر من لا يصلحها فيعاقبه جاز ذلك وكان هذا من الأذار المبيحة لترك الجمعة فإن عقوبة أولئك واجب متعين لا يمكن إلا بهذا الطريق والنبي قد بين أنه لو لا النساء والصبيان لحرق البيوت على من فيها لكن فيها من لا تجب عليه جمعة ولا جماعة من النساء والصبيان فلا تجوز عقوبته كما لا ترجم الحامل حتى تضع حملها لأن قتل الجنين لا يجوز كما في حديث

وقت الأضحية

* وقد يكون الترتيب شرطاً لا يسقط بجهل ولا نسيان كما في الحديث الصحيح من ذبح قبل الصلاة فإنما هو شاة لحم فالذبح للأضحية مشروط بالصلاحة قبله وأبو بردة بن نيار رضي الله عنه كان جاهلاً فلم يعذره بالجهل بل أمره بإعادة الذبح بخلاف الذين قدموا في الحج الذبح على الرمي أو الحلق على ما قبله فإنه قال أفعل ولا حرج فهاتان سنتان سنة في الأضحية إذا ذبحت قبل

مجموع الفتاوى ج: 23 ص: 162-164⁵⁵⁴

الصلاه أنها لا تجزئ وسنة في الهدي إذا ذبح قبل الرمي جهلاً
أجزاءً والفرق بينهما والله أعلم أن الهدي صار نسكاً بسوقه إلى
الحرم وتقليله وإشعاره فقد بلغ محله في المكان والزمان فإذا قدم
جهلاً لم يخرج عن كونه هدياً وأما الأضحية فإنها قبل الصلاة لا
تتميز عن شاة اللحم كما قال النبي من ذبح قبل الصلاة فإنما هي
شاة لحم قدمها لأهله وإنما هي نسك بعد الصلاة كما قال تعالى
﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحِرْ﴾ الكوثر² وقال ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي
الْأَنْعَام١62﴾ فصار فعله قبل هذا الوقت كالصلاه قبل وقتها
في هذا وقت الأضحية وقته بعد فعل الصلاه كما بين الرسول ذلك
في الأحاديث الصحيحة وهو قول الجمهور من العلماء مالك
وأبي حنيفة وأحمد بن حنبل وغيرهم وإنما قدر وقتها بمقدار
الصلاه الشافعي ومن وافقه من أصحاب أحمد كالخرقي وفي
الأضحية يشترط في أحد القولين أن يذبح بعد الإمام وهو قول
مالك وأحد القولين في مذهب أحمد ذكره أبو بكر والحجۃ فيه
حديث جابر في الصحيح وقد قيل إن قوله ﴿لَا تُقْدِمُوا بَيْنَ
يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ الحجرات 1 نزلت في ذلك⁵⁵⁵

الاسلام في الاصل من باب العمل وأما الایمان فاصله تصديق واقرار ومعرفة

* وقد صار الناس في مسمى الاسلام على ثلاثة أقوال قيل
هو الإيمان وهو إسمان لمسمى واحد وقيل هو الكلمة وهذا
القولان لهما وجه سنذكره لكن التحقيق ابتداء هو ما بينه النبي
صلى الله عليه وسلم لما سئل عن الاسلام والايمان ففسر الاسلام
بـالاعمال الظاهرة والايمان بالإيمان بالاعمال الخمسة فليس لنا

555 مجموع الفتاوى ج: 21 ص: 420-421

اذا جمعنا بين الاسلام والايمان أن نجيب بغير ما أجاب به النبي وأما اذا أفرد اسم الايمان فانه يتضمن الاسلام واذا أفرد الاسلام فقد يكون مع الاسلام مؤمنا بلا نزاع وهذا هو الواجب وهل يكون مسلما ولا يقال له مؤمن قد تقدم الكلام فيه وكذلك هل يستلزم الاسلام للايمان هذا فيه النزاع المذكور وسنبينه والوعد الذى فى القرآن بالجنة وبالنجاة من العذاب إنما هو معلق باسم الايمان وأما اسم الاسلام مجردا علق به فى القرآن دخول الجنة لكنه فرضه وخبر أنه دينه الذى لا يقبل من أحد سواه وبالاسلام بعث الله جميع النبيين قال تعالى {وَمَن يَتَّبِعْ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} آل عمران 85 ووصف الله انباء بنى اسرائيل بالاسلام في قوله {إِنَّا أَنْزَلْنَا التُّورَاهَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ} المائدة 44 والانباء كلهم مؤمنون ووصف الحواريين بالايمان والاسلام فقال تعالى {وَإِذْ أُوحِيَ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمَنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا أَمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} المائدة 111 و {قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ أَمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} آل عمران 52 وحقيقة الفرق أن الاسلام دين و الدين مصدر دان يدين دينا اذا خضع وذل و دين الاسلام الذي ارتضاه الله وبعث به رسلاه هو الاستسلام الله وحده فاصله في القلب هو الخضوع لله وحده بعبادته وحده دون ما سواه فمن عبده وعبد معه لها آخر لم يكن مسلما ومن لم يعبد بل استكبر عن عبادته لم يكن مسلما والاسلام هو الاستسلام الله وهو الخضوع له والعبودية له هكذا قال اهل اللغة اسلم الرجل اذا استسلم فالاسلام في الاصل من باب العمل عمل القلب والجوارح وأما الايمان فاصله تصديق واقرار ومعرفة فهو من باب قول القلب المتضمن عمل القلب والاسلام فيه التصديق والعمل تابع له فلهذا فسر النبي صلى الله عليه وسلم الايمان بایمان القلب وبخضوعه وهو الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسلاه وفسر

الإسلام بإسلام مخصوص هو المبني الخمس وهذا في
سائر كلامه يفسر اليمان بذلك النوع ويفسر الاسلام بها وذلك
النوع أعلى ولهذا قال النبي الاسلام علانية واليمان في القلب
فإن الاعمال الظاهرة يراها الناس وأما ما في القلب من تصديق
ومعرفة وحب وخشية ورجاء فهذا باطن لكن له لوازمه قد تدل
عليه واللازم لا يدل إلا إذا كان ملزوماً فلهذا كان من لوازمه ما
يفعله المؤمن والمنافق فلا يدل في الحديث عبد الله بن عمرو وابي
هريرة جميرا عن النبي قال المسلم من سلم المسلمين من لسانه
ويده والمؤمن من امنه الناس على دمائهم وأموالهم ففسر
المسلم بأمر ظاهر وهو سلامة الناس منه وفسر المؤمن بأمر
باطن وهو أن يأمنوه على دمائهم وأموالهم وهذه الصفة أعلى من
ذلك فأن من كان مأموناً سلم الناس منه وليس كل من سلموا منه
يكون مأموناً فقد يترك أذاهم وهم لا يأمنون إليه خوفاً أن يكون
ترك أذاهم لرغبة ورهبة لا ليمان في قلبه وفي الحديث عبيد
بن عمير عن عمرو بن عبسة عن النبي صلى الله عليه وسلم أن
رجالاً قال للنبي ما الإسلام قال اطعام الطعام ولین الكلام
قال فما اليمان قال السماحة والصبر فاطعام الطعام عمل
ظاهر يفعله الإنسان لمقاصد متعددة وكذلك لين الكلام وأما
السماحة والصبر فخلقان في النفس قال تعالى {وَتَوَاصُوا
بِالصَّبَرِ وَتَوَاصُوا بِالْمَرْحَمَةِ} البلدة 17 وهذا أعلى من ذاك وهو
أن يكون صبراً شكوراً فيه سماحة بالرحمة للإنسان وصبر على
المكاره وهذا ضد الذي خلق هلوعاً إذا مسه الشر جزواً وإذا
مسه الخير منعاً فإن ذاك ليس فيه عند النعمة ولا صبر عند
المصيبة وتمام الحديث فأى الإسلام أفضل قال من سلم
المسلمون من لسانه ويده قال يا رسول الله أى المؤمنين أكمل
إيمانًا قال أحسنهم خلقاً قال يا رسول الله أى القتل أشرف
قال من أريق دمه وعقر جواهه قال يا رسول الله فأى
الجهاد أفضل قال الذين جاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل
الله قال يا رسول الله فأى الصدقة أفضل قال جهد المقل

قال يا رسول الله فأى الصلاة أفضل قال طول القنوت قال
 يا رسول الله فأى الهجرة أفضل قال من هجر السوء وهذا
 محفوظ عن عبيد بن عمير تارة يروى مرسلاً وتارة يروى مسندًا
 وفي رواية أي الساعات أفضل قال جوف الليل الغابر
 وقوله أفضل اليمان السماحة والصبر يروى من وجهه
 اخر عن جابر عن النبي وهكذا في سائر الأحاديث انما يفسر
 الاسلام بالاستسلام لله بالقلب مع الاعمال الظاهرة كما في
 الحديث المعروف الذي رواه أحمد عن بهز بن حكيم عن أبيه عن
 جده أنه قال والله يا رسول الله ما أتيتك حتى حلفت عدد أصابعى
 هذه أن لا آتيك فبالذى بعثك بالحق ما بعثك به قال الاسلام قال
 وما الاسلام قال أن تسلم قلبك لله وان توجه وجهك إلى الله
 وان تصلى الصلاة المكتوبة وتوؤدى الزكاة المفروضة أخوان
 نصيران لا يقبل الله من عبد اشرك بعد إسلامه وفي رواية
 قال أن تقول أسلمت وجهي لله وتخليت وتقيم الصلاة وتوئى
 الزكاة وكل مسلم على مسلم محرم وفي لفظ تقول أسلمت
 نفسي لله وخليت وجهي إليه وروى محمد بن نصر من حديث
 خالد بن معدان عن أبي هريرة قال قال رسول الله أن للإسلام
 صوی ومناراً كمنار الطريق من ذلك أن تعبد الله ولا تشرك به
 شيئاً وإن تقيم الصلاة وتوئى الزكاة وتصوم رمضان والامر
 بالمعروف والنهي عن المنكر وتسلم على بنى ادم اذا لقيتهم فان
 ردوا عليك ردت عليك وعليهم الملائكة وان لم يردوا عليك ردت
 عليك الملائكة ولعنتهم ان سكت عنهم وتسليمك على أهل بيتك
 اذا دخلت عليهم فمن إنقص منهن شيئاً فهو سهم في الاسلام
 تركه ومن تركهن فقد نبذ الاسلام وراء ظهره⁵⁵⁶

{ وَلَا تَزِرُ وَازْرَةٌ وَزْرَ أَخْرَى }

*أَنَّ اللَّهَ لَا يَجْعَلُ الذَّنْبَ ذَنْبًا لِمَنْ لَمْ يَفْعُلْهُ فَإِنَّهُ هُوَ الْقَاتِلُ { وَلَا
تَزِرُّ وَازْرَةً وَزِرَّ أُخْرَى } ⁵⁵⁷ الأَنْعَامُ 164

*قال تعالى {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ
بِظَلَامٍ لِلْعَبْدِ} ⁴⁶ فصلت 46 يدل الكلام على أنه لا يظلم محسنا
فينقصه من إحسانه أو يجعله لغيره ولا يظلم مسيئا فيجعل عليه
سيئات غيره بل لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وهذا قوله { أَمْ
لَمْ يُنْبَأْ بِمَا فِي صُحْفِ مُوسَى } 36 وَإِنْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَى } 37 أَلَا
تَزِرُّ وَازْرَةً وَزِرَّ أُخْرَى } 38 وَأَنْ لَيْسَ لِلنَّاسِ إِلَّا مَا
سَعَى } 39 النجم 39-36 فأخبر أنه ليس على أحد من
وزر غيره شيء وأنه لا يستحق إلا ما ساعاه وكلا القولين حق
على ظاهره فأخبر أنه ليس على أحد من وزر غيره شيء
 وأنه لا يستحق إلا ما ساعاه وكلا القولين حق على ظاهره وإن
ظن بعض الناس أن تعذيب الميت بيكانه أهله عليه ينافي الأول
فليس كذلك إذ ذلك الناجح يعذب بنوته لا يحمل الميت وزره
ولكن الميت يناله ألم من فعل هذا كما يتألم الإنسان من أمور
خارجية عن كسبه وإن لم يكن جزاء الكسب والعقاب أعم من
العقاب كما قال صلى الله عليه وسلم السفر قطعة من العذاب
وكذلك ظن قوم أن انتقام الميت بالعبادات البدنية من الحي ينافي
قوله { وَأَنْ لَيْسَ لِلنَّاسِ إِلَّا مَا سَعَى } ³⁹ النجم فليس
الأمر كذلك فإن انتقام الميت بالعبادات البدنية من الحي بالنسبة
إلى الآية كانتفauge بالعبادات المالية ومن ادعى أن الآية تخالف
أحدهما دون الآخر فقوله ظاهر الفساد بل ذلك بالنسبة إلى الآية
كانتفauge بالدعاء والاستغفار والشفاعة وقد بينا في غير هذا
الموضع نحو من ثلثين دليلا شرعا يبين انتقام الإنسان بسعى
غيره إذ الآية إنما نفت استحقاق السعي وملكه وليس كل ما لا
يستحقه الإنسان ولا يملكه لا يجوز أن يحسن إليه مالكه ومستحقه

⁵⁵⁷الفتاوى الكبرى ج: 2 ص: 361 و مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 300

بما ينتفع به منه فهذا نوع وهذا كذلک ليس كل ما لا يملکه
الإنسان لا يحصل له من جهته منفعة فإن هذا كذب في الأمور
⁵⁵⁸**الدينية والدنيوية**

* قوله تعالى {قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبّاً وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا
تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُّ وَازِرَةٌ وِزْرًا أَخْرَى ثُمَّ إِلَى
رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبَّئُكُمْ بِمَا كُنْתُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ} الأنعام 164 وفي
قول النبي صلى الله عليه وسلم ألا لا يجني جان إلا على نفسه
 وإنما ذلك مثل أن يطلب بمال قد وجب على غيره وهو ليس
وكيلولا ضامنا ولا له عنده مال أو يعاقب الرجل بجريمة قريبه
أو جاره من غير أن يكون قد اذنب لا بترك واجب ولا ب فعل
⁵⁵⁹ محرم فهذا الذي لا يحل

* أن الظلم ممکن مقدر وأنه منزه عنه لا يفعله لعلمه وعدله فهو
لا يحمل على أحد ذنب غيره قال تعالى {مَنْ اهْتَدَ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي
لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضْلُلُ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُّ وَازِرَةٌ وِزْرًا أَخْرَى
وَمَا كَانَ أَكَانَ مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا} الإسراء 15 {وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ
الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا} طه 112
وعلى هذا فعقوبة الإنسان بذنب غيره ظلم ينزله الله عنه وأما إثابة
المطيع ففضل منه وإحسان وإن كان حقا واجبا بحكم وعده باتفاق
ال المسلمين وبما كتبه على نفسه من الحرج وبموجب أسمائه
وصفاته فليس هو من جنس ظلم الأجير الذي استأجر ولم
يوف أجره فإن هذا معاوضة المستأجر استوفى منفعته فإن لم
يوفه أجره ظلمه والله تعالى هو المحسن إلى العباد بأمره
ونهيهم وبإقداره لهم على الطاعة وبإعانتهم على طاعته وهم كما
قال تعالى في الحديث الصحيح الإلهي يا عبادي إنني حرمت

⁵⁵⁸الفتاوى الكبرى ج: 1 ص: 406

⁵⁵⁹السياسة الشرعية ج: 1 ص: 79

الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا ياعبادي كلهم
 ضال إلا من هديته فاستهدوني أهلكم يا عبادي كلهم جائع إلا من
 أطعمنه فاستطعموني أطعمكم يا عبادي كلهم عار إلا من كسوته
 فاستكسوني أكسكم يا عبادي لو أن أولكم وأخركم وإنسكم وجنكم
 كانوا على أتقى قلب رجل منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً يا
 عبادي لو أن أولكم وأخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب
 رجل منكم مانقص ذلك من ملكي شيئاً يا عبادي لو أن أولكم
 وأخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت
 كل إنسان منهم مسألته ما نقص مما عندي إلا كما ينقص المحيط
 إذا دخل البحر يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضری فتضرونني ولن
 تبلغوا نفعي فتنفعوني يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم
 أوفيكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا
 يلومن إلا نفسه فبين أن الخير موجود من الثواب مما يحمد
 الله عليه لأن المحسن به وبأسبابه وأما العقوبة فإنه عادل فيها فلا
 يلومن العبد إلا نفسه كما قيل كل نعمة منه فضل وكل نعمة منه
 عدل وأصحاب هذا القول يقولون الكتاب والسنة إنما تدل
 على هذا القول والله قد نزه نفسه في غير موضع عن الظلم
 الممكن المقدور مثل نقص الإنسان من حسناته وحمل سيئات
 غيره عليه ⁵⁶⁰

*أن سائر أهل السنة الذين يقررون بالقدر ليس فيهم من يقول إن
 الله تعالى ليس بعدل ولا من يقول إنه ليس بحكيم ولا فيهم من
 يقول إنه يجوز أن يترك واجباً ولا أن يفعل قبيحاً فليس في
 المسلمين من يتكلم بمثل هذا الكلام الذي أطلقه ومن أطلقه كان
 كافراً مباح الدم باتفاق المسلمين ولكن هذه مسألة القدر
 والنزاع فيها معروف بين المسلمين فأما نفاة القدر كالمعتزلة
 ونحوهم فقولهم هو الذي ذهب إليه متاخرو الإمامية وأما

⁵⁶⁰ منهاج السنة النبوية ج: 2 ص: 310-311

المثبتون للقدر وهو جمهور الأمة وأئمتها كالصحابة والتابعين لهم بإحسان وأهل البيت وغيرهم فهو لاء تنازعوا في تفسير عدل الله وحكمته والظلم الذي يجب تنزيهه عنه وفي تعليل أفعاله وأحكامه ونحو ذلك فقالت طائفة إن الظلم ممتنع منه غير مقدور وهو محال لذاته كالجمع بين النقيضين وإن كل ممكן مقدور فليس هو ظلماً وهؤلاء هم الذين قصدوا الرد عليهم وهؤلاء يقولون إنه لو عذب المطيعين ونعم العصاة لم يكن ظالماً وقالوا الظلم التصرف فيما ليس له والله تعالى له كل شيء أو هو مخالفة الأمر والله لا أمر له وهذا قول كثير من أهل الكلام المثبتين للقدر ومن وافقهم من الفقهاء أصحاب الأئمة الأربع وقال طائفة بل الظلم مقدور ممكн والله تعالى منزه لا يفعله لعدله ولهذا مدح الله نفسه حيث أخبر أنه لا يظلم الناس شيئاً والمدح إنما يكون بترك المقدور عليه لا بترك الممتنع قالوا وقد قال تعالى {وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا} طه 112 قالوا الظلم أن يحمل عليه سيئات غيره والهضم أن يهضم حسناته وقال تعالى {ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقَرَى نَقْصُهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ} 100 وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم فما أَعْنَتْ عَنْهُمُ الْهَنْئُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ شَيْبٍ} 101 هود 100-101 فأخبر أنه لم يظلمهم لما أهلكهم بذلك بذنبهم وقال تعالى {وَجِيءَ بِالنَّبِيِّنَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} الزمر 69 فدل على أن القضاء بينهم بغير القسط ظلم والله منزه عنه وقال تعالى {وَنَاضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِنْ قَالَ حَبَّةٌ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ} الأنبياء 47 أي لا تنقص من حسناتها ولا تعاقب بغير سيئاتها فدل على أن ذلك ظلم ينزله الله عنه وقال تعالى {قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعْدِ} 28 ما يُبَدِّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَامٍ لِلْعَبْدِ} 29 ق 28-29 وإنما نزه نفسه عن أمر يقدر عليه لا عن الممتنع لنفسه ومثل هذا في

القرآن في غير موضع مما يبين أن الله ينتصف من العباد ويقضي بينهم بالعدل وأن القضاء بينهم بغير العدل ظلم ينزله الله عنه وأنه لا يحمل على أحد ذنب غيره وقال تعالى { وَلَا تَنْزِرْ وَازِرَةً وَزِرَّ أُخْرَى } الأنعام 164 فإن ذلك ينزله الله عنه بل لكل نفس ما كسبت وعليها ما اكتسبت وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى يقول يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا فقد حرم على نفسه الظلم كما كتب على نفسه الرحمة في قوله { كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ } الأنعام 54 وفي الحديث الصحيح لما قضى الله الخلق كتب في كتاب فهو موضوع عنده فوق العرش إن رحمتي غلت غضبي والأمر الذي كتبه الله على نفسه أو حرمه على نفسه لا يكون إلا مقدور الله سبحانه فالمنتزع لنفسه لا يكتبه على نفسه ولا يحرمه على نفسه وهذا القول قول أكثر أهل السنة والمتبنين للقدر من أهل الحديث والتفسير والفقه والكلام والتصوف من أتباع الأئمة الأربعة وغيرهم⁵⁶¹

الرد على الذين يقولون يعذب من لم يبعث إليه رسولاً ومن يقولون بل يعذب من لم يفعل قبيحاً

*كان الصواب في قول من يقول إن الله لا يعذب في الآخرة إلا من عصاه بترك المأمور أو فعل المحظور والمعزلة في هذا وافقوا الجماعة بخلاف الجهمية ومن اتبعهم من الأشعرية وغيرهم فإنهم قالوا بل يعذب من لا ذنب له أو نحو ذلك ثم هؤلاء يحتاجون على المعزلة في نفس الإيجاب والتحريم العقلي بقوله تعالى { وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا } الإسراء 15

⁵⁶¹ منهاج السنة النبوية ج: 1 ص: 137

وهو حجة عليهم أيضا في نفي العذاب مطلقا إلا بعد إرسال الرسل وهم يجוזون التعذيب قبل إرسال الرسل فأولئك يقولون يعذب من لم يبعث إليه رسولا لأنه فعل القبائح العقلية وهو لاء يقولون بل يعذب من لم يفعل قبيحا فقط كالأطفال وهذا مخالف للكتاب والسنة والعقل أيضا قال تعالى { وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا } الإسراء 15 وقال تعالى عن النار { كُلُّمَا أُقْيَى فِيهَا فَوْجٌ سَأَلُوكُمْ خَرَنَّتْهَا أَلْمٌ يَاتِكُمْ نَذِيرٌ } 8 قالوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ } 9 الملك 8 - 9 فقد أخبر سبحانه وتعالى بصيغة العموم أنه كلما ألقى فيها فوج سالم الخزنة هل جاءهم نذير فيعرفون بأنهم قد جاءهم نذير فلم يبق فوج يدخل النار إلا وقد جاءهم نذير فمن لم يأته نذير لم يدخل النار وقال تعالى لإبليس { لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعُكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ } ص 85 فقد أقسم سبحانه أنه يملؤها من إبليس وأتباعه وإنما أتباعه من أطاعه فمن لم يعمل ذنبا لم يطعه فلا يكون ممن تملأ به النار وإذا ملئت بأتبعه لم يكن لغيرهم فيها موضع وقد ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة وأنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يزال يلقى في النار وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه وفي رواية فيضع قدمه عليها فتقول قطة وينزوى بعضها إلى بعض أي تقول حسي حسي وأما الجنة فيبقى فيها فضل فينسى الله لها خلقا فيسكنهم فضول الجنة هكذا روی في الصحاح من غير وجه وقع في بعض طرق البخاري غلط قال فيه وأما النار فيبقى فيها فضل والبخاري رواه في سائر الموضع على الصواب ليبين غلط هذا الرواية كما جرت عادته بمثل ذلك إذا وقع من بعض الرواية غلط في لفظ ذكر ألفاظ سائر الرواة التي يعلم بها الصواب وما علمت وقع فيه غلط إلا وقد بين فيه الصواب بخلاف مسلم فإنه وقع في صحيحه عدة أحاديث غلط أنكرها جماعة من الحفاظ على مسلم والبخاري قد أنكر عليه بعض الناس تخريج أحاديث لكن الصواب فيها مع البخاري

والذي أنكر على الشيوخ أحاديث قليلة جداً وأما سائر متونهما فمما اتفق علماء المحدثين على صحتها وتصديقها وتلقينها بالقبول لا يستردون في ذلك وقد قال تعالى {يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسَ أَلَمْ يَأْتُكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقاءَ يَوْمَكُمْ هَذَا قَالُوا شَهَدْنَا عَلَى أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهَدُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ} 130 {ذَلِكَ أَنَّ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكُ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَآهَلُهَا غَافِلُونَ} 131 {الأنعام 130-131} فقط خاطب الجن والإنس واعترف المخاطبون بأنهم جاءتهم رسائل يقصون عليهم آياته وينذرونهم لقاء يوم القيمة ثم قال {ذَلِكَ أَنَّ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكُ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَآهَلُهَا غَافِلُونَ} 131 {الأنعام 131} أي هذا بسبب فعله أنه لا يذهب من كان غافلاً ما لم يأته نذير فكيف الطفل الذي لا عقل له ودل أيضاً على أن ذلك ظلم تنزه سبحانه عنه وإلا فلو كان الظلم هو الممتنع لم يتصور أن يهلكهم بظلم بل كيماً أهلكهم فإنه ليس بظلم عند الجهة البرية وقد قال تعالى {وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكُ الْقُرَى حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أَمْمَهَا رَسُولًا يَتَّلَوُ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَآهَلُهَا ظَالِمُونَ} 59 {القصص 59} وقال تعالى {وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكُ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَآهَلُهَا مُصْلِحُونَ} 117 {البقرة 117} وقال تعالى {وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا} 112 {طه 112} قال المفسرون الظلم أن يحمل عليه سيئات غيره والهضم أن ينقص من حسناته فجعل سبحانه عقوبته بذنب غيره ظلماً ونزع نفسه عنه ومثل هذا كثير قوله {أَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ} البقرة 286 وقوله **{وَلَا تَزِرْ وَازِرَةُ وَزَرَ أَخْرَى}** {الأنعام 164} وكذلك قوله {لَا تَخْتَصِمُوا لَدِيَ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ} 28 {ما يُبَدِّلُ الْقَوْلُ لَدِيَ وَمَا أَنَا بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ} 29 {ق 28-29} فيبين سبحانه أنه قدم بالوعيد وأنه ليس بظلام للعبد كما قال في الآية الأخرى {ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقْصَهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ} 100 {وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمُ الْهَنْثُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ

لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَثْبِيتٍ {101} هود 100 -
 101 فهو سبحانه نزه نفسه عن ظلمهم وبين أنهم هم الذين ظلموا
 أنفسهم بشركهم فمن لم يكن ظالماً لنفسه تكون عقوبته ظلماً تنزه
 الله عنه وقال في الآية الأخرى {إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ
 جَهَنَّمَ خَالِدُونَ} 74 {لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ} 75 {وَمَا
 ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ} 76 الزخرف 74- 562

الإيمان بربوبية الله

* و اذا آمن بالرب واعتقد ربوبيته وأخبر بها كان قد اتخاذ الله ربا
 ولم يبلغ ربا سوى الله ولم يتخذ ربا سواه كما قال تعالى {فُلْ أَغْيِرَ
 اللَّهُ أَبْغِي رَبًا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ} الأنعام 164 وقال تعالى
 {أَغَيْرَ اللَّهَ أَتَّخَذَ وَلَيْاً فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} الأنعام 14
 وقال {وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّنَ أَرْبَابًا أَيْأَمُرُكُمْ
 بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} آل عمران 80 وهو أيضاً في نفسه
 هو الإله الحق لا الله غيره فإذا عبده الإنسان فقد وحده من لم
 يجعل معه إليها آخر ولا اتخذ إليها غيره قال تعالى {فَلَا تَدْعُ مَعَ
 اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونُ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ} الشعراء 213 وقال تعالى
 {لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَنَقْعُدُ مَذْمُومًا مَخْذُولًا} الإسراء 22
 وقال ابراهيم لأبيه آزر {أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا لِهِ إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ
 فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} الأنعام 74 فالملحوق ليس بالله في نفسه لكن
 عابده اتخذ إليها وجعله إليها وسماه إليها وذلك كله باطل لا ينفع
 صاحبه بل يضره كما أن الجاهل إذا اتخذ إماماً ومفتيها وقاضياً
 كان ذلك باطلاً فإنه لا يصلح أن يوم ولا يفتى ولا يقضى وغير
 الله لا يصلح أن يتخذ إليها يعبد ويدعى فإنه لا يخلق ولا يرزق

وهو سبحانه لا مانع لما أعطى ولا معطى لما منع ولا ينفع ذا الجد منه الجد ومن دعا من لا يسمع دعاءه أو يسمع خولا يستجيب له فدعاوه باطل وضلال كل من سوى الله اما أنه لا يسمع دعاء الداعي أو يسمع ولكن لا يستجيب له فإن غير الله لا يستقل بفعل شيء أبنته وقد قال تعالى {فَإِذْ عَمِّنْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْ قَالَ نَرَأَةً فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شُرٍّ وَمَا لَهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ} 22-23 فغير الله لا الشفاعة عندة إلا لمَنْ أذنَ لَهُ {23} سبا 22-23 فغير الله لا مالك لشيء ولا شريك في شيء ولا هو معاون للرب في شيء بل قد يكون له شفاعة ان كان من الملائكة والأنبياء والصالحين ولكن لا تتفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له فلا بد أن يأذن للشافع أن يشفع وان يأذن للمشفوع له أن يشفع له ومن دونه لا يملكون الشفاعة البنتة فلا يصلح من سواه لأن يكون لها معبودا كما لا يصلح أن يكون خالقا رازقا لا الله الا هو وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قادر

لا يصلح إن يقال إن الله يستخلف أحدا عنه

* الخليفة هو الذي خلف غيره وإن كان لم يستخلفه ذلك الغير كما يقوله الجمهور لم يحتاج في هذا الإسم إلى الإستخلاف والإستعمال الموجود في الكتاب والسنة يدل على أن هذا الإسم يتناول كل من خلف غيره سواء استخلفه أو لم يستخلفه كقوله تعالى {ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِتَنْتَظِرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ} يوൺ 14 وقوله تعالى {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ} الأنعام 165 وقال {وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ} الزخرف 60 قوله {وَانْكُرُوا إِذْ جَعَلْنُ

⁵⁶³ مجموع الفتاوى ج: 13 ص: 204

خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمٍ نُوحَ } الْأَعْرَافِ 69 وَ فِي الْقَصَّةِ الْأُخْرَى
 { وَ اذْكُرُوا إِذْ جَعَلْتُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ } الْأَعْرَافِ 74 } وَ قَالَ
 مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي } الْأَعْرَافِ 142 فَهَذَا
 اسْتِخْلَافٌ وَ قَالَ تَعَالَى { وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ خَلْفَهُ
 لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا } الْفَرْqانِ 62 وَ قَالَ { إِنَّ فِي
 اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ } يُونَسٌ 6 أَيْ هَذَا يَخْلُفُ هَذَا وَ هَذَا يَخْلُفُ هَذَا
 فَهُمَا يَتَعَاقِبَانَ وَ قَالَ مُوسَى { عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ
 وَ يَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرْ كَيْفَ تَعْمَلُونَ } الْأَعْرَافِ 129⁵⁶⁴

* والخليفة لا يكون خليفة إلا مع مغيب المستخلف أو موته فالنبي صلى الله عليه وسلم إذا كان بالمدينة امتنع أن يكون له خليفة فيها كما أن سائر من استخلفه النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع انقضت خلافته وكذلك سائر ولاة الأمور إذا استخلف أحدهم على مصره في مغيبه بطل استخلافه ذلك إذا حضر المستخلف

ولهذا لا يصلح إن يقال إن الله يستخلف أحدا عنه فإنه حي قيوم شهيد مدبر لعباده منزه عن الموت والنوم والغيبة ولهذا لما قالوا لأبي بكر يا خليفة الله قال لست خليفة الله بل خليفة رسول الله وحسبني ذلك والله تعالى يوصي بأنه يخلف العبد كما قال صلى الله عليه وسلم اللهم أنت الصاحب في السفر وال الخليفة في الأهل وقال في حديث الدجال والله خليفتي على كل مسلم وكل من وصفه الله بالخلافة في القرآن فهو خليفة عن مخلوق كان قبله

قوله { ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ } يُونَسٌ 14
 { وَ اذْكُرُوا إِذْ جَعَلْتُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمٍ نُوحَ } الْأَعْرَافِ 69
 { وَ عَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لِيُسْتَخْلَفَنَّهُمْ فِي
 الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ } النُّورِ 55 و كذلك قوله
 { إِنَّمَا جَاءَكُمْ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً } الْبَقْرَةِ 30 أَيْ عَنْ خَلْقٍ كَانَ فِي
 الْأَرْضِ قَبْلَ ذَلِكَ كَمَا ذَكَرَ الْمُفْسِرُونَ وَ غَيْرُهُمْ وَ أَمَّا مَا يَظْنُهُ

طائفة من الاتحادية و غيرهم أن الإنسان خليفة الله فهذا جهل و
565 ضلال

*وقال تعالى {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ
فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ} الأنعام 165 وقال {إِنَّا دَأَوْدُ إِنَّا جَعَلْنَاكُمْ
خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ} ص 26 أي خليفة
عمن قبلكم من الخلق ليس المراد أنه خليفة عن الله وأنه من الله
كإنسان العين من العين كما يقول ذلك بعض الملحدين القائلين
566 بالحلول والاتحاد كصاحب الفتوحات المكية

* قال الله تعالى {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ
خَلِيفَةً} البقرة 30 و قال الله تعالى {إِنَّا دَأَوْدُ إِنَّا جَعَلْنَاكُمْ خَلِيفَةً
فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُ الْهَوَى فَيُنَصِّلُكُمْ عَنْ
سَبِيلِ اللَّهِ} ص 26 قوله {إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً}
البقرة 30 يعم آدم و بنيه لكن الإسم متناول لأدم علينا قوله {لَقَدْ
خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ} التين 4 و قوله {خَلَقَ الْإِنْسَانَ
مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَارِ} 14 و خَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجِ مِنْ
نَارٍ 15 الرحمن 14-15 و قوله {وَبَدَا خَلْقُ الْإِنْسَانِ مِنْ
طِينٍ} 7 ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين 8 السجدة 7-8
{ثُمَّ جَعَلَنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ} المؤمنون 13 إلى أمثال ذلك
ولهذا كان بين داود و آدم من المناسبة ما أحب به داود حين أراه
ذريته و سأله عن عمره فقيل أربعون سنة فوهبه من عمره الذي
هو ألف سنة ستين سنة و الحديث صحيح رواه الترمذى و غيره
وصححه ولهذا كلاهما ابتلى بما ابتلاه به من الخطيئة كما أن كلا
منهما مناسبة للأخرى إذ جنس الشهوتين واحد و رفع درجته
بتوبة العظيمة التي نال بها من محبة الله له و فرحة به ما نال و

⁵⁶⁵ منهاج السنة النبوية ج: 7 ص: 353

⁵⁶⁶ منهاج السنة النبوية ج: 1 ص: 509

يذكر عن كل منها من البكاء و الندم و الحزن ما يناسب بعضه
 بعضاً وال الخليفة هو من كان خلفاً عن غيره فعيلة بمعنى فاعلة
 كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا سافر يقول اللهم أنت
 الصاحب في السفر وال الخليفة في الأهل و قال صلى الله عليه
 وسلم من جهز غازياً فقد غزا و من خلفه في أهله بخير فقد
 غزا و قال أو كلما خرجنا في الغزو خلف أحدهم و له
 نبيب كنبيب التيس يمنح اصحابه اللبن من اللبن لئن أطفرني الله
 بأحد منهم لأجعله نكلاً و في القرآن {سَيَقُولُ الَّذِينَ مُخْلِفُونَ
 مِنَ الْأَعْرَابِ} الفتح 11 و قوله {فَرَحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ
 خَلَافَ رَسُولِ اللَّهِ} التوبة 81 والمراد بال الخليفة أنه خلف
 من كان قبله من الخلق والخلف فيه مناسبة كما كان أبو بكر
 الصديق خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه خلفه على
 أمته بعد موته و كما كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا سافر
 لحج أو عمرة أو غزوة يستخلف تارة ابن أم مكتوم و تارة غيره و استخلف
 على بن أبي طالب في غزوة تبوك و تسمى الأمكانة التي
 يستخلف فيها الإمام مخالفين مثل مخالفين اليمن و مخالفين
 أرض الحجاز و منه الحديث حيث خرج من مخالف إلى
 مخالف و منه قوله تعالى {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ
 الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لَيَنْلُوْكُمْ فِي مَا آتَكُمْ}
 الأنعام 165 و قوله تعالى {وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا
 ظَلَمُوا} يونس 13 إلى قوله تعالى {ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي
 الْأَرْضِ} يونس 14 و منه قوله تعالى {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا
 مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لِيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخَلَفَ
 الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينُهُمُ الَّذِي أَرْتَضَى لَهُمْ وَ} النور 55
 الآية وقد ظن بعض القائلين الغالطين كابن عربى أن الخليفة
 هو الخليفة عن الله مثل نائب الله وزعموا أن هذا بمعنى أن يكون
 الإنسان مستخلفاً و ربما فسروا تعليم آدم الأسماء كلها التي
 جمع معانيها الإنسان و يفسرون خلق آدم على صورته

بها المعنى أيضاً وقد أخذوا من الفلاسفة قولهم الإنسان هو العالم الصغير و هذا قريب و ضمروا إليه أن الله هو العالم الكبير بناء على أصلهم الكفرى في و حدة الوجود و أن الله هو عين وجود المخلوقات فالإنسان من بين المظاهر هو الخليفة الجامع للأسماء والصفات و يتقرع على هذا ما يصيرون إليه من دعوى الربوبية والألوهية المخرجة لهم إلى الفرعونية والقرمطية والباطنية وربما جعلوا الرسالة مرتبة من المراتب وأنهم أعظم منها فيقرنون بالربوبية والوحدانية والألوهية وبالرسالة ويصيرون في الفرعونية هذا إيمانهم أو يخرجون في أعمالهم أن يصيروا سدى لا أمر عليهم و لأنهم لا إيجاب ولا تحريم والله لا يجوز له خليفة ولها لما قالوا لأبي بكر يا خليفة الله قال لست بخليفة الله لكنني خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم حسيبي ذلك بل هو سبحانه يكون خليفة لغيره قال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل اللهم اصحبنا في سفانا وخالفنا في أهلانا وذلك لأن الله حى شهيد مهيمن قيوم رفيق حفيظ غني عن العالمين ليس له شريك ولا ظهير ولا يشفع أحد عنده الا بإذنه والخليفة أئمماً يكون عند عدم المستخلف بموت أو غيبة ويكون لحاجة المستخلف إلى الاستخلاف وسمى خليفة لأنه خلف عن الغزو وهو قائم خلفه وكل هذه المعانى منتفية في حق الله تعالى و هو منزه عنها فإنه حي قيوم شهيد لا يموت و لا يغيب و هو غنى يرزق و لا يرزق يرزق عباده و ينصرهم و يهديهم و يعافيهما بما خلقه من الأسباب التي هي من خلقه والتى هي مفتقرة إليه كافتقار المسببات إلى أسبابها فالله هو الغنى الحميد له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما {يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأنٍ} الرحمن 29 {وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ} الزخرف 84 ولا يجوز أن يكون أحد خلفاً منه ولا يقيم مقامه لأنه لا سمي له ولا كفاء له فمن جعل له خليفة فهو مشرك به وأما الحديث

النبي **السلطان** ظل الله في الأرض يأوي إليه كل ضعيف و ملهوف و هذا صحيح فإن الظل مفترق إلى آوى و هو رفيق له مطابق له نوعا من المطابقة و الآوى إلى الظل المكتنف بالظلم صاحب الظل فالسلطان عبد الله مخلوق مفترق إليه لا يستغنى عنه طرفة عين و فيه من القدرة و السلطان و الحفظ و النصرة و غير ذلك من معانى السؤدد و الصمدية التي بها قوام الخلق ما يشبه أن يكون ظل الله في الأرض و هو أقوى الأسباب بها يصلح أمور خلقه و عباده فإذا صلح ذو السلطان صلحت أمور الناس وإذا فسد فسدت بحسب فساده و لا تفسد من كل و جه بل لابد من مصالح و إذ هو ظل الله لكن الظل تارة يكون كاما مانعا من جميع الأذى و تارة لا يمنع الا بعض الأذى و أما إذا عدم الظل فسد الأمر كعدم سر الروبية التي بها قيام الأمة الإنسانية و الله تعالى أعلم⁵⁶⁷

وجوب اتخاذ الإمارة

*فلا بد في العقل والدين من أن يكون بعضهم فوق بعض كما ان الجسد لا يصلح إلا برأس قال تعالى {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيُبَلُّوْكُمْ فِي مَا آتَأْكُمْ} الأنعام 165 وقال تعالى {نَحْنُ فَسَمَّنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيُتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيَّاً} الزخرف 32⁵⁶⁸

*وجوب اتخاذ الإمارة يجب أن يعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين بل لا قيام للدين إلا بها فإن بني آدم لا تتم

مجموع الفتاوى ج: 35 ص: 42-46 و الفتاوى الكبرى ج: 2 ص: 552⁵⁶⁷

مجموع الفتاوى ج: 28 ص: 394⁵⁶⁸

مصلحتهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض ولا بد لهم عند الاجتماع من رأس حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم رواه أبو داود من حديث أبي سعيد وأبي هريرة وروى الإمام أحمد في المسند عن عبد الله بن عمرو أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يحل لثلاثة يكونون بفلاة من الأرض إلا أمروا عليهم أحدهم فاوجب صلى الله عليه وسلم تأمير الواحد في الاجتماع القليل⁵⁶⁹

الشر لم يرد في أسمائه وإنما ورد في مفعولاته

* ومعلوم أن كل مخلوق يقال هو من الله بمعنى أنه خلقه بائنا عنه لا بمعنى أنه قام به واتصف به كما في قوله تعالى {وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ} الجاثية 13 وقوله تعالى {وَمَا بِكُمْ مِّنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ} النحل 53 والله تعالى وإن كان خالقا لكل شيء فإنه خلق الخير والشر لما له في ذلك من الحكمة التي باعتبارها كان فعله حسنة متقدما كما قال {الذِّي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقُهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ} السجدة 7 وقال {أَتَقْنَ كُلَّ شَيْءٍ} النمل 88 فلهذا لا يضاف إليه الشر مفردا بل إما أن يدخل في العموم وإما أن يضاف إلى السبب وإما أن يحذف فاعله فالأول كقول الله تعالى {اللَّهُ خَالقُ كُلَّ شَيْءٍ} الزمر 62 والثاني كقوله {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفُلْقِ} [1] من شر ما خلق [2] الفرق 1-2 والثالث كقوله فيما حكاه عن الجن {وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا} الجن 10 وقد قال في أم القرآن {إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} [6] صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} [7] الفاتحة 6-7 فذكر أنه فاعل النعمة وحذف

⁵⁶⁹ السياسة الشرعية ج: 1 ص: 140

فاعل الغضب وأضاف الضلال إليهم وقال الخليل عليه السلام {وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ} الشعراء 80 ولهذا كان الله الأسماء الحسنى فسمى نفسه بالأسماء الحسنى المقتضية للخير وإنما يذكر الشر في المفعولات قوله {اَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} المائدة 98 قوله في آخر سورة الأنعام {إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ} الأنعام 165 قوله في الأعراف {إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ} الأعراف 167 قوله {نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} 49 وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ} 50 الحجر 49-50 قوله {حَمٌ} 1 تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم {2} غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هُوَ} 3 غافر 3 وهذا لأن ما يخلقه من الأمور التي فيها شر بالنسبة إلى بعض الناس فله فيها حكمة هو بخلقه لها حميد مجيد له الملك وله الحمد فليس بالإضافة إليه شرا ولا مذمومة فلا يضاف إليه ما يشعر بنقيض ذلك كما أنه سبحانه خالق الأمراض والأوجاع والروائح الكريهة والصور المستقبحة والأجسام الخبيثة كالحيات والعدرات لما له في ذلك من الحكمة البالغة⁵⁷⁰

*أن الشر لم يرد في أسمائه وإنما ورد في مفعولاته ولم يضاف إليه إلا على سبيل العموم وأضافه إلى السبب المخلوق أو بحذف فاعله وذلك قوله تعالى {اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ} الزمر 62 و {من شرّ ما خلق} الفرق 2 وكسمائه المترنة مثل المعطى المانع الضار النافع المعز المذل الخافض الرافع و قوله {وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ} الشعراء 80 و قوله {صِرَاطُ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الظَّالِمِينَ} 7 الفاتحة وقول الجن {وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا} الجن 10 وقد ثبت في صحيح مسلم عن النبي

⁵⁷⁰ منهاج السنة النبوية ج: 3 ص: 143

صلى الله عليه و سلم أنه كان يقول في دعاء الاستفصال و
 الخير ببديك و الشر ليس إليك و سواء أريد به أنه لا يضاف
 إليك و لا يتقرب به إليك أو قيل إن الشر إما عدم و إما من لوازム
 العدم و كلاهما ليس إلى الله فهذا يبين أنه سبحانه إنما يضاف إليه
 الخير و أسماؤه تدل على صفاته و ذلك كله خير حسن جميل
 ليس فيه شر و إنما وقع الشر في المخلوقات قال تعالى {نَّبِيُّ
 عَبْدِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} 49 وَ أَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ
 الْأَلِيمُ {الحجر 49-50} و قال تعالى {أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ
 الْعِقَابِ وَ أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} المائدة 98 و قال تعالى **{إِنَّ رَبَّكَ**
سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ} {الأنعام 165} فجعل المغفرة و
 الرحمة من معاني أسمائه الحسنى التي يسمى بها نفسه فتكون
 المغفرة و الرحمة من صفاتاته و أما العقاب الذي يتصل بالعباد
 فهو مخلوق له و ذلك هو الأليم فلم يقل و إنني أنا المعذب ⁵⁷¹

لطائف لغوية

1- قال تعالى {إِنَّمَا آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ
 وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِعَلَّهُمْ يُلْقَاءُهُمْ
 يُؤْمِنُونَ} الانعام 154 وذكر كتاب موسى بهذه الإضافة لا بألفاظ
 التوراة في غير موضع ⁵⁷²

2- قال تعالى {إِنَّمَا آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ
 وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِعَلَّهُمْ يُلْقَاءُهُمْ
 يُؤْمِنُونَ} الانعام 154 ورحمته اسم جامع لكل خير ودار
 الرحمة الخالصة هي الجنة ⁵⁷³

⁵⁷¹⁵⁷¹ مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 95

⁵⁷² الجواب الصحيح ج: 5 ص: 244

⁵⁷³ مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 65

3- قال تعالى { فَقَدْ جَاءُكُم بِيَنَّةً مِّنْ رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنْجُزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ } الانعام 157 البينة من البيان و البينة هي السبيل البينة وهي الطريق البينة الواضحة وهي أيضا ما تبين بها الحق فهي بينه في نفسها مبينة لغيرها وقد تفسر بالبيان وهي الدلاله والإرشاد ف تكون كالهدى كما يقال فلان على هدى وعلى علم فيفسر بمعنى المصدر والصفة والفاعل ومنه قوله { أَوْلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةً مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى } طه 133 أي بيان ما فيها أو بين ما فيها أو الأمر البين فيها وقد سمي الرسول ببينة كما قال { حَتَّىٰ تَأْتِيهِمُ الْبَيِّنَةُ } 1 رسُول مِنَ اللَّهِ { 2 } البينة 2 فإنه يبين الحق والمؤمن على سبيل بينة ونور من ربه⁵⁷⁴

4- قال تعالى { أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدِي مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءُكُم بِيَنَّةً مِّنْ رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنْجُزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ } الانعام 157 عامة الأسماء يتتواع مسمها بالاطلاق والتقييد وكذلك لفظ الهدى اذا أطلق تناول العلم الذي بعث الله به رسوله والعمل به جميرا فيدخل فيه كل ما أمر الله به كما في قوله { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } الفاتحة 6 والمراد طلب العلم بالحق والعمل به جميرا وكذلك قوله { هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ } البقرة 2 والمراد به أنهم يعلمون ما فيه ويعلمون به ولهذا صاروا مفلحين وكذلك قول أهل الجنة { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا } الأعراف 43 وانما هداهم بأن ألههم العلم النافع والعمل الصالح ثم قد يقرن الهدى اما بالاجتباء كما في قوله { وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ } الأنعام 87 وكما في قوله { شَاكِرًا لَا نُعْمِهِ اجْتَبَاهُ }

وَهَدَاهُ} النَّحْل 121 {اللَّهُ يَجْنِبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ
مَنْ يُنِيبُ} الشُّورِي 13 وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ
رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ} التَّوْبَة 33 وَالْهُدَى هُنَا هُوَ الْإِيمَان
وَدِينُ الْحَقِّ هُوَ الْإِسْلَامُ وَإِذَا أَطْلَقَ الْهُدَى كَانَ كَالْإِيمَانِ الْمُطْلَقُ
يَدْخُلُ فِيهِ هَذَا وَهَذَا⁵⁷⁵

5- قَالَ تَعَالَى {قُلْ أَغَيْرُ اللَّهِ أَبْغِي رَبًا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا
تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَرُرُ وَازْرَةٌ وَزْرَ أَخْرَى ثُمَّ إِلَى
رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُبَيَّنُكُمْ بِمَا كُنْתُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ} الْأَنْعَامُ 164 أَنَّ
الْكَسْبَ هُوَ الْفَعْلُ الَّذِي يَعُودُ عَلَى فَاعْلَهُ بِنَفْعٍ أَوْ ضَرَرٍ كَمَا قَالَ
تَعَالَى {لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ} الْبَقْرَةُ 286 فَبَيْنَ
سَبْحَانِهِ أَنَّ كَسْبَ النَّفْسِ لَهَا أَوْ عَلَيْهَا وَالنَّاسُ يَقُولُونَ فَلَمَّا كَسَبَ
مَالًا أَوْ حَمْدًا أَوْ شُرْفًا كَمَا أَنَّهُ يَنْتَقِعُ بِذَلِكِ⁵⁷⁶

6- قَالَ تَعَالَى {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ} الْأَنْعَامُ 162 أَنَّ أَصْنَافَ الْعَالَمِينَ يَرَادُ بِهِ جَمِيعُ
أَصْنَافِ الْخَلْقِ كَمَا قَوْلُهُ تَعَالَى {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}
الْفَاتِحةُ 2⁵⁷⁷

7- قَالَ تَعَالَى {قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا
مَلِئَةٌ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُسْرِكِينَ} 161 {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي
وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} 162 {لَا شَرِيكَ لَهُ
وَبِذَلِكَ أَمْرَتُ وَإِنَّا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ} 163 الْأَنْعَامُ 161-163
وَلِفَظِ الْإِسْلَامِ يَتَضَمَّنُ الْإِسْتِسْلَامَ وَالْإِنْقِيَادَ وَيَتَضَمَّنُ الْإِخْلَاصَ
مَا خُوذَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءٌ
مُتَشَابِكُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هُلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بِنْ

⁵⁷⁵ مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 166

⁵⁷⁶ مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 387

⁵⁷⁷ مجموع الفتاوى ج: 4 ص: 367

أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } الزمر 29 فلا بد في الإسلام من الاستسلام لله وحده وترك الإسلام لما سواه وهذا حقيقة قولنا لا إله إلا الله فمن استسلم لله ولغير الله فهو مشرك والله لا يغفر أن يشرك به ومن لم يستسلم له فهو مستكبر عن عبادته وقد قال تعالى {وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَآخِرِينَ } غافر 60 وثبت عنه صلى الله عليه وسلم في الصحيح أنه قال لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر ولا يدخل النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان فقيل له يا رسول الله الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً أفمن الكبر ذلك قال لا إن الله جميل يحب الجمال الكبير بطر الحق وغمط الناس بطر الحق جحده ودفعه وغمط الناس ازدراؤهم ⁵⁷⁸ واحتقارهم

8- تخصيص العرش بالربوبية في قوله { رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ } التوبة 129 فإنه قد يخص لعظمته ولكن يجوز ذلك في سائر المخلوقات فيقال { رَبُّ الْعَرْشِ } التوبة 129 و { رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ } الأنعام 164 ⁵⁷⁹

9- قال تعالى { وَلَا تَزِرُّ وَازِرَةٌ وَزِرَّ أَخْرَى } الأنعام 164 وقال النبي صلى الله عليه وسلم ⁵⁸⁰ ألا لا يجني جان إلا على نفسه

(رَبٌّ)

أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ

اقضاء الصراط ج: 1 ص: 454 و الاستقامة ج: 2 ص: 303 ⁵⁷⁸

مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 379 ⁵⁷⁹⁵⁷⁹

مجموع الفتاوى ج: 28 ص: 324 ⁵⁸⁰

**الّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالدِّيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ
صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلَحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي
إِنِّي تُبَّتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ)**

الحمد لله رب العالمين

###